رسائل جامعية (٢٠)

دعوة التقريب بين الأديان

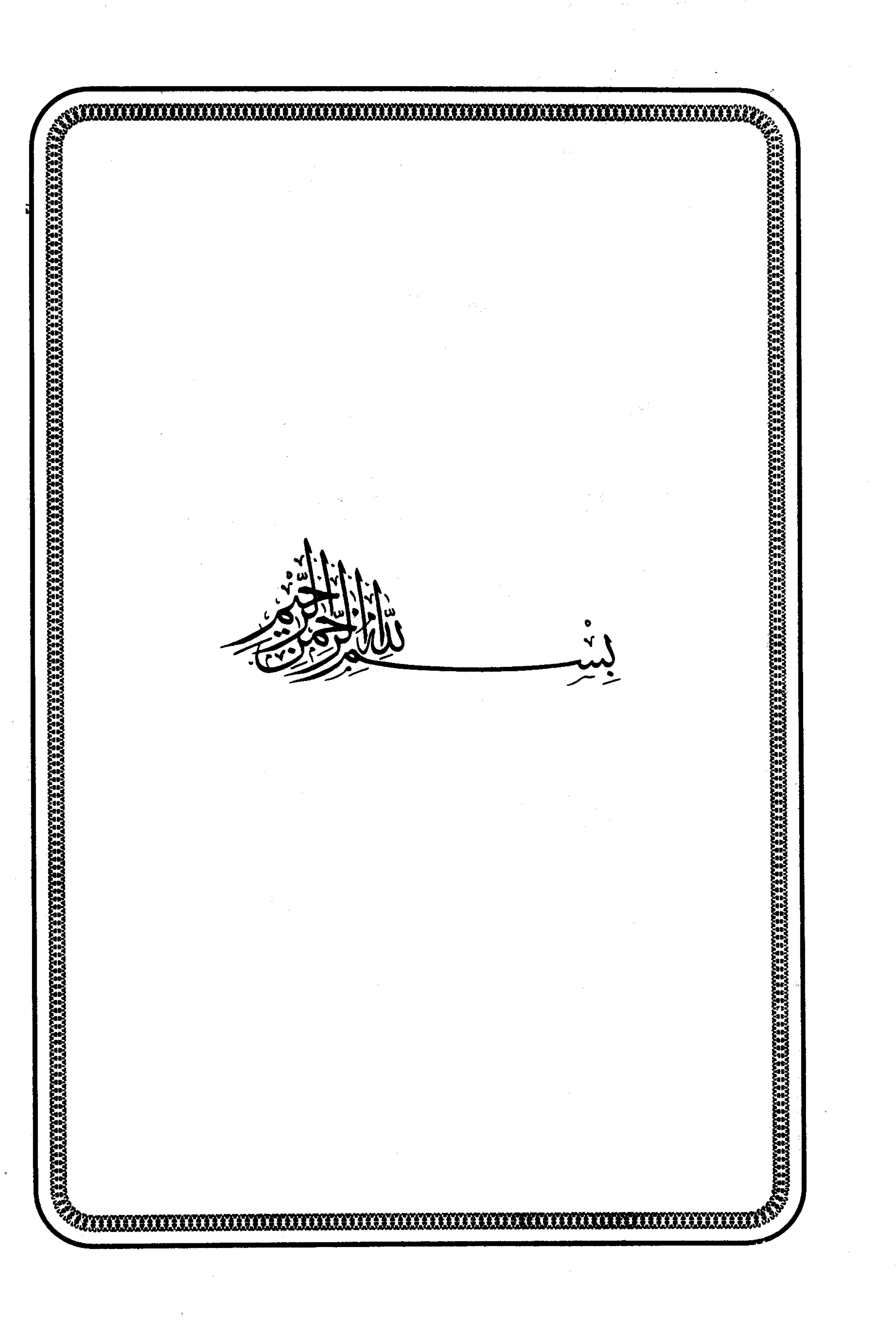
دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

المجلد الأول

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة «الدكتوراه» في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ وقد جرت مناقشتها ضحىٰ يوم الاثنين الموافق ١٧/٨/ ١٤٢١هـ، ومنح الباحث مرتبة الشرف الأولىٰ، مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها بين الجامعات.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد منَّ الله على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فأقام الله به الحجّة، وأوضح المحجة. أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وقد كان الناس في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، يستوي في ذلك كتابيّهم، ومشركهم، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③﴾ [البينة]، (والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابيّ معتصم بكتاب؛ إما مبدل، وإما منسوخ، ودين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك. وإما أميّ من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبرٍ، أو تمثال، أو غير ذلك)[1] فحق عليهم، قوله تعالى في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني.
تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل. مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الرابعة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). (١/ ٦٣).

وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك، وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء...»[1]، ففتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً، ممن سبقت لهم من الله الحسنى، من أهل الكتاب والأميين. فقال من آمن من أهل الكتاب: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص]، وقال من آمن من الأميين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران].

وأما الذين غلبت عليهم شقوتهم، واستنكفوا، واستكبروا، فشرقوا بدعوته ولم يرفعوا بها رأساً، ولم يقبلوا ما بعثه الله به من الهدى والعلم.

لقد كانت رسالته ﷺ رحمة للعالمين، وبركة على الخلق أجمعين. فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وخلفه ﷺ في

---

(١) صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. نشر وتوزيع: إدارات البحوث العلمية والإفتاء. الرياض. الطبعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). (٤/٢١٩٧).

أمته الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، الذين يمسّكون بالكتاب، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.
فأحيا الله بهذا النبي الكريم ما اندرس من ملة إبراهيم، وسنن المرسلين، من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ونبذ ما ابتدعه من سفه نفسه، ورغب عن ملة إبراهيم، من اليهود والنصارى والمشركين.
وأكمل الله لهذه الأمة الدين، وأتم عليها النعمة، ورضي لها الإسلام ديناً، حتى صارت خير أمةٍ أخرجت للناس، كما وصفها ربها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران] فنسخ الله بدين الإسلام سائر الأديان، وجعل القرآن، آخر كتبه نزولاً، وأحدثها عهداً به؛ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه، وافترض على جميع الخلق الإيمان بنبيه الخاتم واتباعه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]، فمن ابتغى غير الإسلام ديناً خاب وخسر: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، ومن طلب الهدى من غير القرآن أضله الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة]. ومن سمع بنبيه محمد ﷺ ولم يؤمن به أكبه الله في النار: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[1]. وكل هذا معلومٌ من الدين بالضرورة، لكونه من أصول الإسلام، ومعاقد الإيمان.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٣٤).

ولم يدر بخَلَد أحدٍ من أمة الإسلام أن يسعى إلى توفيقٍ أو تلفيق أو توحيد أو تقريب، بين دين الإسلام وما سواه من الأديان، بل ولا يخطر بالبال، ولا يكاد، عند من فقه مراد الله، ودخل الإيمان قلبه. إن هي إلا همهمات ومؤامرات في دهاليز الباطنية المظلمة، وهذيانات وشطحات في عقول غلاة المتصوفة ما كانوا ليجهروا بها على الملأ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون. وإلا لسحقتهم أقدام، وانبرت لهم أقلام، ورفعت لحربهم أعلام.

ولكن الزمان استدار، فعز العلم، وفشا الجهل، وانخذل أهل الإسلام، واستطال الكفار، فعصفت بأمم الأرض مذاهب شتى، ومقالات سوء، نشأت في أحضان الغرب النصراني، ترضع من لبان يهود، حتى نمت وترعرعت، وامتدت أغصانها، واسترسلت في فناء المسلمين وعقر دارهم، وليس لعرقٍ ظالم حق.

فمن هذه المقالات التي استحالت دعوات، دعوة التقريب بين الأديان، التي خرجت من حيز الكمون إلى فضاء الاستعلان، ومن طور الفكرة، إلى مرحلة التنفيذ، في العقود الأربعة الماضية. تدعو المسلمين إلى حل عرى الدين، وموادّة الكافرين وجعل المسلمين كالمجرمين، وكسر حاجز النفرة من المشركين. وقد تذرع دعاتها بألوان الحيل، وتوسَّلوا بزخرف القول، وبهرج العمل، لتسليكها بين المسلمين، وتأنيسها، وتوطينها، وأوضعوا خلالهم يبغونهم الفتنة، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

فمنذ انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢م إلى ١٩٦٥م) الذي تواضع فيه أساقفة الكاثوليك على هجر عبارتهم العتيقة: (لا خلاص خارج الكنيسة)، وتوسيع مفهوم «الخلاص» ليشمل غير النصارى، ومؤتمرات التقريب بين الأديان بعامة، وبين الإسلام والنصرانية خاصة تجري على قدمٍ وساق، حتى بلغ عددها خلال العقود الأربعة المنصرمة

ـ حسب علمي ـ ثلاثمائة مؤتمر، بل فاق. وأنشئت لها المراكز المتخصصة، وجمعيات الصداقة، بل وشيدت لها مجامع الأديان المؤلفة من كنيسٍ وكنيسة ومعبدٍ ومسجد، وأقيمت لأجلها الصلوات المشتركة!!!

إن ظهور «دعوة التقريب بين الأديان» بثوبها الجديد، وانتشارها الواسع في جميع بقاع المعمورة، يعد «نازلة» جديدة، «وبدعة» حديثة، تتطلب مواجهةً واعية تقوم على دراسة حقيقتها، وتتبع أصولها، واستقراء واقعها، لمعرفة أهدافها وبواعثها، وكشف عوارها وخطرها على المسلمين.

ومما يؤكد ضرورة الاهتمام بهذه الدعوة، ونقدها في ضوء العقيدة الإسلامية ما يلي:

أولاً: خطر هذه الدعوة على أصول الاعتقاد عند المسلمين، من الإيمان بالله وكتبه ورسله، واستزلالهم إلى تصويب عقائد الكفار، وتصحيح أديانهم.

ثانياً: مواكبة هذه الدعوة للاتجاه العالمي السائر نحو «العولمة»، التي ترمي إلى القضاء على الخصائص العقدية والتشريعية والاجتماعية وغيرها، للمجتمع الإسلامي، وصهره في بوتقة «العالمية» مع اليهود والنصارى والذين لا يعلمون.

ثالثاً: الدعم الكبير الذي تحظى به هذه الدعوة من قبل أئمة الكفر، وترويجها بمختلف الوسائل الإعلامية، وإدانة ما يضادها، ووصفه بـ«التعصب» و«الأصولية» تمهيداً لسلخ المسلمين عن دينهم الذي ارتضاه الله لهم.

رابعاً: الانفتاح العالمي الهائل الذي حصل في العقود الأخيرة، اجتماعياً وثقافياً وإعلامياً، واختلاط الأعراق والشعوب المختلفة،

وشيوع المعتقدات والعادات المتنوعة عبر القنوات الفضائية، مما أحال العالم الفسيح إلى قرية كونية دانية الأطراف، وسوغ الدعوة إلى التقريب بين الأديان والحضارات.

خامساً: عدم التكافؤ المادي بين الأمم الإسلامية، وكثير من أمم النصارى واليهود، حيث يرزح المسلمون تحت ضغط التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ويسلبهم الشعور بالاستعلاء والخيرية الضروريين للأخذ بزمام المبادرة، ويجعلهم مسوقين للطرف الأقوى.

سادساً: انزلاق بعض المنتسبين إلى الإسلام، والمحسوبين عليه، إلى مزالق عقدية خطيرة في هذا المجال، حيث فاهوا بما يخالف الكتاب والسنة والإجماع، واجترحوا من الأفعال والممارسات ما ينقض عقيدة الولاء والبراء. ثم نالوا حظاً من التصدير والتفخيم ليغتر بهم العامة، ويتخذوهم أئمة.

سابعاً: عدم وجود دراسة متوسعة ـ حسب علمي ـ عنيت بفحص مناشط هذه الدعوة على المستوى العالمي، وتحليلها، ونقدها في ضوء العقيدة الإسلامية.

ثامناً: وهو الأهم، الحاجة الماسة إلى إحياء المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، واهتبال الإمكانات الإعلامية الكبيرة، والأوضاع الديموقراطية السائدة في الغرب لتبليغ دين الله، وهداية الخلق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

لهذه الأسباب، وقع اختياري، وانصب اهتمامي على هذا الموضوع.

وقد أدركت منذ البداية ـ إدراكاً مجملاً ـ سعة الموضوع في

الرقعة الزمانية والمكانية، وتشعب طرقه، وصعوبة لوازمه، من حيث جمع المادة ودراستها ولكني استخرت الله تعالى، واستعنت به، واستشرت أهل الخبرة من مشايخي الأجلاء وإخواني الكرام، فألفيت انشراحاً في نفسي، وهمة في عزمي، وتشجيعاً وحفزاً من مشايخي وإخواني، وما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوق، وتثبت في أمره. وإني لأرجو الله أن يكون هذا البحث عملاً مبروراً، وجهداً مشكوراً، خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده، مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مراحل إعداد هذه الدراسة:

أ ـ جمع المادة العلمية: قام الباحث بحضور معارض الكتب التالية، لتوفير مادة البحث:

١ ـ معرض «عمَّان» الدولي للكتاب، المنعقد في الفترة: (٢٤ ـ ٢٨/ ٥/ ١٤١٧هـ).

٢ ـ معرض الكتاب اللبناني الدائم في بيروت، ومكتبات النصارى المختلفة.

٣ ـ معرض القاهرة الدولي للكتاب، المنعقد في الفترة: (١٤ ـ ٢٤/ ٩/ ١٤١٧هـ).

٤ ـ معرض الشارقة الدولي للكتاب، المنعقد في الفترة: (٤ ـ ١٥/ ٧/ ١٤١٨هـ).

بالإضافة إلى الاستفادة من الخدمات الثقافية المميزة التي يقدمها كلٌ من:

- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض.
- مكتبة الملك فهد الوطنية، في الرياض.

وغيرهما من المكتبات الجامعية والعامة في الداخل والخارج، ومحفوظات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. كما أن حيوية الموضوع والاهتمام العالمي به، وتتابع مؤتمراته ومنتدياته في العديد من المواقع في العالم، أوجب متابعة مستمرة لما تنشره وسائل الإعلام حول هذه القضية، ومراجعةً لما سبق نشره.

ب ـ **زيارة المراكز والمؤسسات** المعنية بقضية التقريب والحوار بين الأديان، والوقوف عن كثب على أهدافها، ومناشطها، وإنتاجها الفكري، ومشاريعها العملية. وكان منها:

١ ـ زيارة المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمَّان ـ الأردن ـ يوم الأربعاء الموافق ٢٧/ ٥/ ١٤١٧هـ.

٢ ـ زيارة مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، التابع لجامعة البلمند الأرثذوكسية قرب طرابلس ـ لبنان ـ يوم الاثنين الموافق ٨/ ٤/ ١٤١٨هـ.

٣ ـ زيارة معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، التابع لجامعة القديس يوسف في بيروت يوم الاثنين الموافق ٨/ ٤/ ١٤١٨هـ.

٤ ـ زيارة مقر المجمع البابوي للحوار بين الأديان PCID في الفاتيكان، يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/ ٣/ ١٤١٩هـ.

٥ ـ زيارة مقر جمعية سانت إيجيديو، في روما ـ إيطاليا ـ يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/ ٣/ ١٤١٩هـ.

٦ ـ زيارة مقر جمعية «كريسلام» CRISLAM في مدريد ـ إسبانيا ـ يوم الأربعاء الموافق ٥/ ٤/ ١٤١٩هـ.

٧ ـ زيارة المركز الثقافي في القلعة الحرة، في قرطبة ـ إسبانيا ـ مؤسسة روجيه جارودي يوم الجمعة الموافق ٧/ ٤/ ١٤١٩هـ.

كما قام الباحث بزيارة بعض دول جنوب شرقي آسيا (ماليزيا،

سنغفورة، أندونيسيا) والوقوف على بعض آثار هذه الدعوة في الأوساط الإسلامية، في صيف عام ١٤٢٠هـ.

ج ـ **إجراء لقاءات ومحاورات** مع المعنيين بقضية التقريب والحوار بين الأديان لاستجلاء أبعاد الموضوع وجوانبه التي لا تكشفها الكتابات والشعارات المعلنة، بل تتبدى في ماجريات النقاش. وقد تحاور الباحث مع العديد من المسلمين وغير المسلمين، النصارى خاصة، في هذا الموضوع، ومن أبرزهم:

١ ـ المونسنيور: ميشيل فيتزجيرالد، أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان في الكنيسة الكاثوليكية يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩هـ، في الفاتيكان.

٢ ـ الدكتور: ياناري، نائب رئيس جمعية سانت إيجيديو يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩هـ، في روما.

٣ ـ الدكتور طارق متري، أمين مجلس الكنائس العالمي للعلاقات بين الأديان، يوم الاثنين الموافق ٨/٤/١٤١٨هـ، في بيروت.

٤ ـ الدكتور رضوان السيد رئيس تحرير مجلة الاجتهاد، المشارك، يومي الجمعة والسبت الموافقين ٢٩، ٣٠/٥/١٤١٧هـ، ويوم الجمعة ٥/٤/١٤١٨هـ، في بيروت.

٥ ـ الدكتور جورج مسُّوح نائب مدير جامعة البلمند، ومدير مركز الدراسات الإسلامية والمسيحية يوم الاثنين الموافق ٨/٤/١٤١٨هـ، في البلمند، قرب طرابلس.

٦ ـ الأب الأسباني إيمليو غاليندو آغيلار، مؤسس جماعة «كريسلام»، يوم الأربعاء ٥/٤/١٤١٩هـ، في مدريد.

بالإضافة إلى عددٍ من الشخصيات العلمية والدعوية في أوربا وأندونيسيا وماليزيا، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

د ـ **صياغة البحث**: توفر لدى الباحث مادة علمية كثيرة، متعددة الجوانب، متشعبة الأطراف، تحتل مساحة جغرافية واسعة، وتوغل في أعماق التاريخ. وتتفاعل باستمرار في الراهن، وتستشرف المستقبل. وكانت أبرز صعوبات البحث تتمثل في الجوانب التالية:

١ ـ سعة مجال البحث، فهو لا يختص بحقبة تاريخية معينة، ولا يقتصر على دراسة قضية التقريب بين الأديان في بلدٍ معين، ولا يقف عند حدٍ زمني معين.

٢ ـ تعدد اللغات التي كتبت بها بعض مراجع البحث، مما حمل الباحث على ترجمة بعض النصوص إلى العربية، بنفسه، كالإنجليزية، وبالاستعانة بالناطقين بها كالإيطالية والاسبانية والإندونيسية.

٣ ـ كثرة محاولات التقريب في السنوات الأخيرة، وتلاحقها، بما يشق معه حصرها والإحاطة بما يكتب حولها في الصحف والمجلات ودور النشر. فلا يكاد يمر أسبوع أو نحوه، حتى يقع الطرف، أو يطرق الأذن نبأ جديد ذو صلة بالموضوع.

وقد قسمت البحث إلى: تمهيد، وثلاثة أبوابٍ، وخاتمة، وبعض الملاحق التوثيقية والتوضيحية.

فجعلت **التمهيد** متضمناً جملةً من الأصول العقدية والتشريعية التي تضبط العلاقة بين دين الله الإسلام، وسائر الملل والنحل التي تسمى «أدياناً» عبر خمسة مباحث:

فعرفت بدين الإسلام، ثم أتبعته بتعريف الراغبين عنه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكيف حادوا عن ملة إبراهيم، وثلثت ببيان الأحكام العقدية التي يستحقونها في باب أسماء الدين والإيمان، والأحكام العملية في باب الموالاة والمعاداة، وصفة معاملتهم. ثم

كشفت عن موقف أهل الكتاب، الذين يريد دعاة التقريب مقاربتهم، من الإسلام وكتابه ونبيه ﷺ. وأخيراً، ألممت بلمحة تاريخية عن طبيعة العلاقات بين أهل الإسلام وأهل الكتاب عبر القرون الخالية، حتى عصرنا الراهن، فيها عبرة وذكرى لمن همَّ أن يخرق النواميس الشرعية، والسنن الإلهية.

أما الباب الأول: فخصصته لاستجلاء حقيقة التقريب، وتحديد مدلولاته المختلفة، ودرجاته المتفاوتة، وبيان الخطوط العريضة لكل درجة، والتمثيل لها ببعض المحاولات القديمة والحديثة.

ثم تتبعت الأصول التاريخية لنشأة الدعوة إلى التقريب بين الأديان لدى مختلف الفرقاء، من يهودٍ ونصارى ومنتسبين إلى الإسلام في العصور السالفة.

ثم أفضت في الحديث عن حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث، من خلال ما صدر عن المجامع الدينية، والقيادات المرجعية لأهل الكتاب من مختلف طوائفهم الكبرى كالكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي، ومجالس النصارى العرب. وما جرت به أقلام بعض المفتونين من الإسلاميين العصرانيين من دعاة التقريب. وحاولت تحليل مفهوم التقريب لدى كل طرف، واستخلاص نتائجه.

ثم ختمت الباب الأول باستنباط بواعث التقريب المختلفة والمتعددة، التي تحمل كل طائفة على السعي في هذا المضمار.

وبعد بيان الجانب النظري لحقيقة التقريب في الماضي والحاضر، ومعرفة بواعثها في الباب الأول، جعلت **الباب الثاني** في بيان المحاولات الفردية والجماعية للتقريب بين الأديان في العصر الحديث. فاخترت في الفصل الأول منه نماذج بارزة جمعت بين التنظير الفكري، والنشاط العملي لترسيخ هذه الدعوة. أما الفصل الثاني فحشدت فيه كل

ما بلغه علمي من أنواع المحاولات الجماعية الصادرة عن هيئاتٍ أو جهاتٍ دينية أو مدنية في صورة مؤتمرات ثنائية، أو ثلاثية، أو متعددة، حتى تجاوز عددها ثلاثمائة مؤتمر في شتى أصقاع المعمورة. وحاولت إلى جانب التوصيف الإحصائي تحليل بعض المحاولات ودوافعها لدى الأفراد والجهات المختلفة.

أما الباب الثالث: فأفردته للنقد والتقويم. ففي الفصل الأول منه نقدت هذه الدعوة في ضوء العقيدة الإسلامية، واستشهدت بدلالة الواقع الراهن على فسادها ثم كشفت بعض الشبهات التي يتعلل بها الراكضون خلف سراب التقريب.

وفي الفصل الثاني قدمت الأصل الشرعي - ولا أقول البديل - الذي يتعين الرجوع إليه، والعض عليه بالنواجذ، وهو الدعوة بدعاية الإسلام مضموناً وأسلوباً، مهتدياً بنصوص الكتاب والسنة والسيرة النبوية المحفوظة، مستنيراً بعمل سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى عصرنا الحاضر.

ثم إني ختمت البحث **بخاتمة** تتضمن تلخيصاً مركزاً لأهم نتائجه، وجملةً من التوصيات العملية التي تعتمد سلامة المنهج، وتأخذ في حسبانها الواقع الذي آلت إليه الأمة الإسلامية، والمجتمع البشري، متحاشياً أنماط التفكير الغالية، والعبارات الخطابية العاطفية. فالأمة الإسلامية مؤهلة لأن تقوم بدورها الريادي الهادي لجميع الناس، إن هي أخذت بأسباب الخيرية، وسلكت منهج النبيين.

وقد ذيلت البحث ببعض **الملاحق** التوثيقية لفتاوى بعض علماء الأمة المعاصرين، حول هذه النازلة، من هيئات وأفراد، ونصوص من خطب تحذر من خطر هذه الدعوة من أكرم منابر الإسلام في الحرمين الشريفين، إضافةً لبعض الملاحق التوضيحية التي وردت الإحالة إليها في ثنايا البحث.

هذا، وقد التزمت ـ ما وسعني ـ بقواعد البحث العلمي المقررة، ومعاييره المعتبرة، من:

١ ـ ترقيم الآيات القرآنية، وعزوها إلى مواضعها في كتاب الله.

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية، والآثار، وبيان درجتها. فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بالعزو إليهما. وإن كانت في سواهما نقلت ما وجدت من كلام الأئمة المتقدمين أو المتأخرين في الحكم عليها.

٣ ـ ترجمة الأعلام، سوى المشهورين، في أول موضع يرد ذكرهم فيه من البحث.

٤ ـ توثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية ـ ما أمكن ـ من كتبٍ ودوريات ونشرات معتمدة.

٥ ـ التعريف بالفرق والطوائف والمواضع والمصطلحات الغريبة.

٦ ـ التعليق والاستدراك في الحاشية على بعض المعاني والألفاظ الخاطئة التي لا يعالجها صميم البحث، وترد كثيراً في المنقولات عن اليهود والنصارى وبعض العصريين من المسلمين. فأكتفي بالتنبيه عليها في موضع، عن تكرار ذلك في سائر المواضع.

كما صنعت بعض **الجداول والفهارس** الفنية لتسهيل الرجوع والاستفادة من مادة البحث، وهي:

١ ـ جدول يتضمن مسرداً بمؤتمرات التقريب بين الأديان، حسب ترتيب وقوعها الزمني، وتاريخ انعقادها، وأماكنها، وموضوعاتها، والجهات المنظمة لها.

٢ ـ جدول يتضمن قائمة بالجمعيات والمؤسسات والمراكز المعنية بقضية التقريب ـ حسب الترتيب الهجائي ـ ومقارِّها. مع الإحالة في الجدولين على مواضع ورودها في غضون البحث.

٣ - فهرس بالأحاديث النبوية الشريفة، ومواضع ورودها في البحث.
٤ - فهرس بالآثار، ومواضع ورودها في البحث.
٥ - فهرس بالأعلام المترجم لهم في الحاشية، ومواضع ورود أسمائهم في البحث.
٦ - فهرس بالفرق والطوائف، ومواضع ورودها في البحث.
٧ - فهرس بالمراجع، من كتب عربية وأعجمية، ودوريات، ونشرات وخلافه.
٨ - فهرس عام بالموضوعات.

وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى إماطة اللثام عن الوجه الكالح لهذه البدعة الخطيرة التي هي من آخر ما تفتقت عنه عقول أهل الكتاب والمشركين لاستزلال المسلمين عن دينهم الحق، واستدراجهم إلى سبيل المجرمين، وفتنتهم عما أنزل الله إليهم، أو بعضه.

كما أرجو أن أكون قد أوقفت الباحثين والمعنيين على حجم المحاولات الضخمة التي يبذلها دعاة التقريب بين الأديان من الغربيين والعصرانيين من بني جلدتنا، عن طريق الكتابات والمؤتمرات والمشاريع العملية، لإرساء هذه الدعوة الكفرية، وإحلالها محل الدعوة الإيمانية إلى توحيد الله تعالى وعبادته، عن طريق الجمعيات والمراكز المختلفة، التي عرَّفت بالعشرات منها في هذه الدراسة، وناقشت شبهاتهم، وكشفت عن أهدافهم ومراميهم، تحذيراً للأمة، ونصحاً لله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وإني لمدرك تماماً أن إيفاء الموضوع حقه، يتطلب توفر عددٍ كبير من الباحثين عليه لسعة رقعته الجغرافية، وعمقه التاريخي، وتجدد مادته، وحسبي أن أكون رسمت بعض الخطوط العامة، وشرعت السبيل لغيري لاستكمال النقص، فما كان من خيرٍ وصواب فمن الله وحده، وبفضله وتوفيقه، وما كان سوى ذلك فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله أولاً وآخراً.

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي أتاحت لي الفرصة، وأعانتني على جمع المادة العلمية. وأزجي بالغ الشكر والعرفان بالجميل لشيخي الفاضل، المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري، حفظه الله، الذي تابع جميع مراحل إعداد الرسالة، وأفادني بتوجيهاته وتصويباته، وغمرني بلطفه وتواضعه، وكريم خلقه، جزاه الله عني خيراً. كما أشكر فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد اللّه أبو زيد الذي زودني ببعض المعلومات والملاحظات القيمة.

كما أشكر جميع الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية والدعوية التي قدمت لي يد العون والتشجيع، وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وغيرها، في الداخل والخارج، وكل فاضلٍ، من عالم أو أخٍ أو أهل، أمدّني برأي ثاقب، أو لفت انتباهي إلى كتاب أو خبر، أو قضى لي حاجةً، أو دعا لي دعوةً صالحة، أسأله تعالى أن يعظم له الأجر والمثوبة، وأن يجعل له سهماً في هذا العمل، يفرح به يوم يلقاه. كما أرجو ممن وقف على هذا الكتاب، ورأىٰ فيه خطأً أو خللاً أو نقصاً، أن ينبهني عليه كتابياً أو هاتفياً، مشكوراً مأجوراً. فإن العبد مظنة الزلل والقصور، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وحتى يمكن تداركه في طبعات لاحقة إن شاء الله.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين، المبعوث إلى الناس أجمعين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه والتابعين.

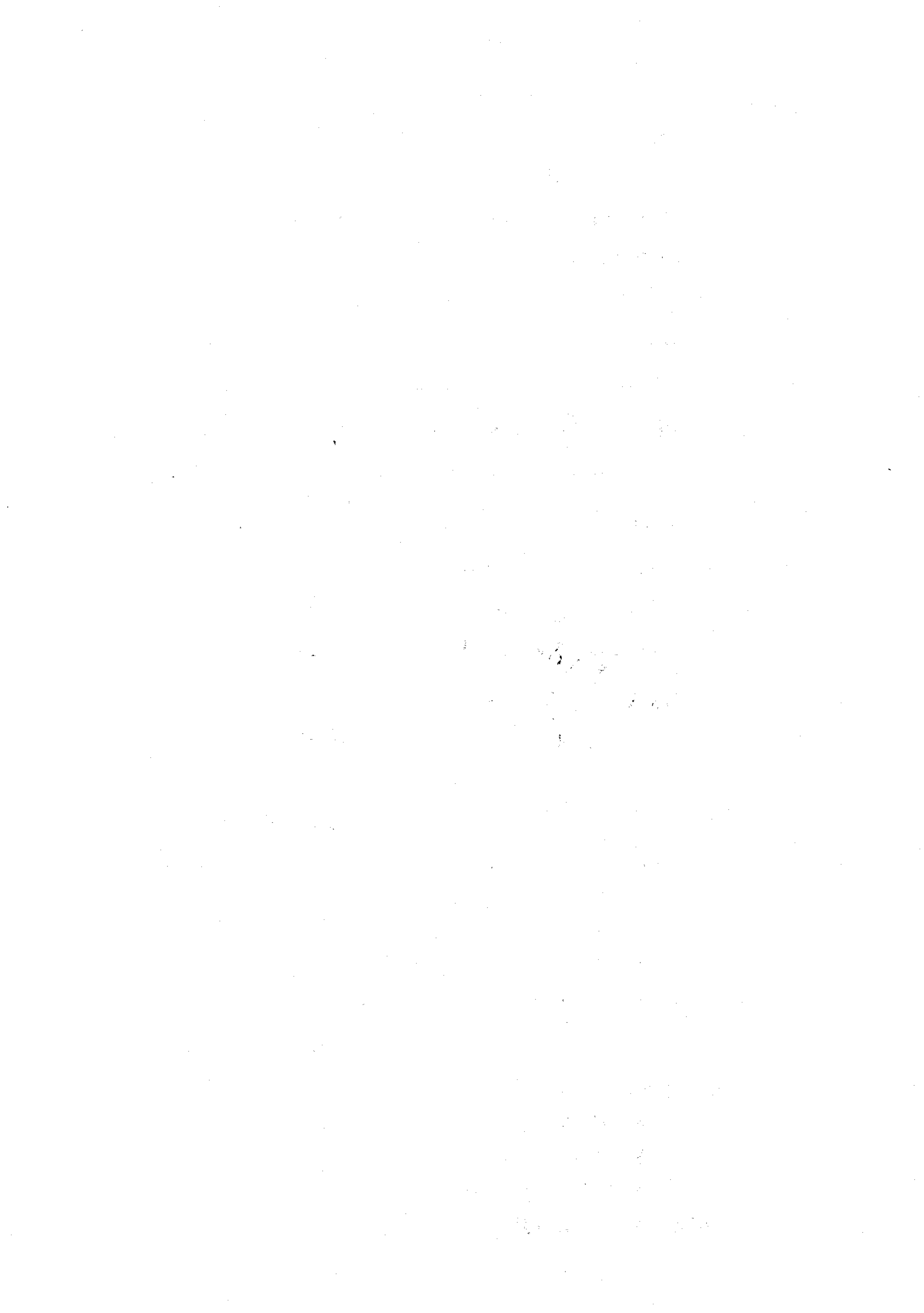
كتبه/ د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

عنيزة. المملكة العربية السعودية

ص.ب. (٢٤٦) الرمز البريدي (٨١٨٨٨)

هاتف (٠٦٣٦٤٦٩٠٦) جوال (٠٥٥١٣٢٤٦٨)

البريد الإلكتروني qadisa@yahoo.com



التمهيد

ويتضمن خمسة مباحث:

* المبحث الأول: دين الإسلام.
* المبحث الثاني: أهل الكتاب.
* المبحث الثالث: حكم الإسلام في أهل الكتاب.
* المبحث الرابع: موقف أهل الكتاب من الإسلام.
* المبحث الخامس: لمحة تاريخية عن العلاقات بين المسلمين وأهل الكتاب.

المبحث الأول

دين الإسلام

خلق الله آدم عليه السلام بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه وزوجه جنته، وأباحها لهما يأكلان منها رغداً حيث شاءا، ومنعهما من قربان شجرة معينة، فأزلهما الشيطان بوسوسته وإغرائه وفتنته ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ [طه].

ثم أنشأ ذريته من الأرض واستعمرهم فيها، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعلهم خلائف فيها، ليبلوهم فيما آتاهم من فضله، وما خولهم من نعمه، وينظر كيف يعملون فـ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] أي على دينٍ واحد، وملة واحدة، وشريعة من الحق، فاختلفوا[1]، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. مصر. الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م). (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٧).

فأنبياء الله هم صفوته من خلقه، والواسطة بينه وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه، وخبره وموعظته، أنزل عليهم كتبه، وأيدهم بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات التي على مثلها يؤمن البشر، يقيم الله بهم الحجة، ويدحض بهم الشبهة، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

فمن رحمته بخلقه، وإعذاره إليهم، أنه لم يدع أمةً إلا بعث فيها رسولاً: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل (الإسلام العام):

ودين الله الذي بعث به أنبياءه من أولهم إلى آخرهم واحد هو «الإسلام»، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ودعوة الأنبياء واحدة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]. ومفتاح دعوتهم التي يبادئون بها أقوامهم واحد: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]. ومنهجهم واحد: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. فلا يجوز التفريق بين رسل الله، وقد جمعهم الله، ووحد دينهم ودعوتهم: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وأكفر سبحانه من فرق بينه وبين رسله، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

وسماهم الله المسلمين، ووصفهم بالإسلام، الذي هو الاستسلام لله والخضوع والانقياد والإذعان؛ فقال عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس]، وقال عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة]، وعنه وعن إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]، ووصف بذلك أنبياء بني إسرائيل قاطبة فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، وعن يعقوب وبنيه: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة]، وقال عن لوط وأهل بيته: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات]، وعن يوسف عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف]، وعن موسى وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس]، ولهذا قال سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف]، وكذا فاه بذلك فرعون لما أدركه الغرق لعلمه من موسى أنه سبيل النجاة فقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس]، ولكن حيث لا ينفعه ذلك. وعن سليمان وملكة سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل]، وعن الحواريين، أصحاب عيسى عليه السلام: ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة] حتى الجن تسموا بذلك فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الجن].

وبما أمر الله به الأولين من الأنبياء والمرسلين، أمر نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر]، ﴿وَأُمِرْتُ

أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر]، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل]، فامتثل أمر ربه وقال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وبذلك يتبين أن دين الله واحد هو «الإسلام»، ولا دين سواه. ولهذا أرشد الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يعتصم بهذا الأصل العظيم، ويأوي إلى هذا الركن المتين عند مجادلة أهل الكتاب وغيرهم، ويفاصلهم على أساسه فقال: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران]، فمن سبقت له من الله الحسنى اغتبط بنعمة الله، وعرف دين الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤]، ومن تولى وأعرض، فقد أمر الله عباده أن يقولوا لهم: ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]. فليس لله دينٌ يعبد به سوى الإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وإنما حصل التنوع في الشرائع التي شرعها الله لكل أمة على لسان نبيها ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] رحمه الله تعالى: (فدينهم واحد، وهو عبادة الله

---

(١) صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل. المكتب الإسلامي. استانبول. طبعة ١٩٧٩م. (٤/١٤٢)، صحيح مسلم (٤/١٨٣٧).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، ابن تيمية، ولد في حران ثم انتقل إلى دمشق، فنبغ واشتهر وبرع في كل فن، وأفتى ودرس وهو دون العشرين، وكان قوياً في ذات الله، =

وحده لا شريك له، وهو يعبد في كل وقتٍ بما أمر به في ذلك الوقت، وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت. وتنوع الشرائع في الناسخ والمنسوخ من المشروع، كتنوع الشريعة الواحدة. فكما أن دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ هو دين واحد، مع أنه قد كان في وقتٍ يجب استقبال بيت المقدس في الصلاة، كما أمر المسلمون بذلك بعد الهجرة ببضعة عشر شهراً، وبعد ذلك يجب استقبال الكعبة، ويحرم استقبال الصخرة. فالدين واحد وإن تنوعت القبلة في وقتين من أوقاته. فهكذا شرع الله تعالى لبني إسرائيل السبت، ثم نسخ ذلك وشرع الجمعة، فكان الاجتماع يوم السبت واجباً إذ ذاك ثم صار الواجب هو الاجتماع يوم الجمعة وحرم الاجتماع يوم السبت. فمن خرج عن شريعة موسى قبل النسخ لم يكن مسلماً ومن لم يدخل في شريعة محمد ﷺ بعد النسخ لم يكن مسلماً)(١).

وهذا هو المعنى الصحيح الوحيد لوحدة الدين، وما سوى ذاك وسواس الشياطين. وقد ختم الله النبوة بمحمدٍ ﷺ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ

= شديداً على أهل البدع، ولقي بسبب صدعه في الحق الأذى الكثير، وسجن مراراً بسبب ذلك، فصبر واحتمل حتى لقي ربه وهو معتقل في قلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ)، فخرجت دمشق كلها في جنازته. وكان ﷺ يحارب التقليد والبدع، وتعتبر مؤلفاته مرجعاً لمذهب أهل السنة والجماعة، فمن مؤلفاته «منهاج السنة النبوية» و«درء تعارض العقل والنقل» و«الإيمان» وغيرها كثير. وهي غزيرة الفوائد، مكنوزة بالعلم المستند على الكتاب والسنة، وقد جمع فتاويه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في سبعة وثلاثين مجلداً.

راجع الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت ـ لبنان. الطبعة السادسة ١٩٨٤م. (١/ ١٤٤)، فوات الوفيات (١/ ٣٥ ـ ٤٥)، الدرر الكامنة (١/ ١٤٤)، البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥)، آداب اللغة (٣/ ٢٤٣)، النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧١).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٨٤٨ ـ ٨٤٩).

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وجعل رسالته للناس كافة عربهم وعجمهم: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]. فالإسلام العام هو ما بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والإسلام الخاص هو ما جاء به محمد ﷺ من هدى وبيان، وحلالٍ وحرام ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٨٤]، فنسخ الله به جميع الرسالات والشرائع السابقة، فمن أدركه ولم يدخل في عقده كان من أهل النار، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة(١) مرفوعاً: (والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت وهو لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)(٢). فتلك هي وحدة الدين التي تنتظم الشرائع جميعاً في عقد الإسلام العام، ثم تختتمها بما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وهو الإسلام الخاص. فلا يعبد الله في المشرق بما لا يعبد به في المغرب، بل الدين واحد، كما أن المعبود واحد. فمن جوَّز أو سوغ «تعدد الأديان» وأنها الآن طرق تؤدي إلى الله فقد افترى على الله الكذب، وقال على الله بغير علم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام].

ولهذا ذهب بعض المحققين المعاصرين، وهو الشيخ محمود

---

(١) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث. قدم على رسول الله ﷺ، في السنة السابعة من الهجرة، وروى عنه ما يقرب من (٥٣٧٤) حديثاً، وتوفي سنة ٥٩هـ رضي الله عنه وأرضاه.
الأعلام (٣٠٨/٣)، الإصابة ت (١١٧٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٧٠)، حلية الأولياء (٣٧٦/١)، الجواهر المضية (٤١٨/٢).

(٢) صحيح مسلم: (١/ ١٣٤).

محمد شاكر[١] كَلَلهُ، إلى منع إطلاق لفظ «الدين» على ما سوى «الإسلام» فقال: (فصار بيناً بعد هذا أن الله سبحانه لا يرضى لنا أن نسمي شيئاً من الملل، من نصرانية ويهودية وغيرهما «ديناً»، سوى ملة أبينا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وملة أنبيائه جميعاً، وهي «الإسلام» «دين الله» الذي لا يقبل من عباده ديناً سواه، والذي أرسل به رسوله محمداً ﷺ ليبطل الملل كلها، ولا يكون شيءٌ منها يسمى «ديناً» سوى «الإسلام». وإذاً فقول المسلم مثلاً: «الأديان السماوية» قول مخالفٌ لعقيدة أهل الإسلام في حقيقة هذه الملل)[٢]. وما قاله كَلَلهُ حقٌ لا مرية فيه بالنظر إلى المدلول الشرعي لكلمة «دين»، وهو ما بعث الله به أنبياءه ورسله، فهو واحدٌ لا يتعدد، وهو «الإسلام». ولكن بالنظر إلى المعنى اللغوي الدال على العادة والشأن ومطلق الطاعة[٣]، فإن الأمر واسع، فيتناول الدين

(١) ولد في الإسكندرية عام (١٣٢٧هـ ١٩٠٩م). تلقىٰ تعليمه الأولي في القاهرة. وفي عام (١٩٢٦م) التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة المصرية، واستمر بها إلى السنة الثانية، ثم نشب بينه وبين طه حسين خلاف شديد حول منهج دراسة الشعر الجاهلي أدىٰ إلى تركه الدراسة الجامعية. سافر إلى الحجاز عام (١٣٤٧م ١٩٢٨م)، وأسس مدرسة جدة السعودية الابتدائية بناءً على طلب من الملك عبد العزيز آل سعود ـ كَلَلهُ ـ عاد إلى القاهرة بعد عام واحد واشتغل بالتأليف والكتابة الصحفية، وتحقيق النصوص وإخراج التراث. من مؤلفاته: (المتنبي)، (أباطيل وأسمار)، وحقق ثمانية كتب من كتب التراث، وله قصائد ومقالات منوعة. نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام (١٩٨١)، وعضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة، وجائزة الملك فيصل، وتوفي في الثالث من ربيع الآخر عام (١٤١٨هـ) كَلَلهُ. انظر النشرة التعريفية الصادرة عن هيئة جائزة الملك فيصل.

(٢) أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م. (٢/ ٥٥٠ـ ٥٥١).

(٣) قال الجوهري: (والدِينُ بالكسر: العادة والشأن. قال:

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني. . . =

الحق الذي هو الإسلام، وسائر البدع والضلالات والأحوال والتقاليد التي يسير عليها بعض الناس. ولهذا قيد الله تعالى لفظ «الدين» في مواضع من كتابه فقال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ووصفه بما يخصصه فقال: ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩]، و﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦، يوسف: ٤٠، الروم: ٣٠، ٤٣]. و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، و﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١].

كما أضاف سبحانه لفظ «الدين» إلى غيره، فقال: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، وسمى ما عليه المنحرفون من أهل الكتاب والكفار ديناً فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون]، وعن فرعون وقومه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦]، وعن اليهود: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران]، وذمَّ ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩، الروم: ٣٢]، وعن أهل الكتاب: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩]، وإنما تديَّنوا بسواه. بل سمى سبحانه ما أحدثه المحرفون من اللعب واللهو ديناً فقال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف: ٥١].

فتبين بذلك جواز إطلاق لفظ «الدين» و«الأديان» على ما سوى الإسلام، باعتبار تدينهم بها، كما جاز إطلاق لفظ «الآلهة» على ما يعبد من دون الله، مع أنه «الإله» الواحد الحق، باعتبار تأليههم لها.

= والدين: الطاعة. ودان له، أي أطاعه. قال عمرو بن كلثوم:

وأيام لنا ولهم طِوال عصينا المَلْك فيها أن ندينا

ومنه الدين؛ والجمع الأديان. يقال: دان بكذا ديانةً، وتدين به، فهو دَيِّن ومتديِّن). الصحاح: الجوهري، إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (٥/ ٢١١٨ ـ ٢١١٩).

وعلى هذا الإطلاق جرى المصنفون من المسلمين قديماً وحديثاً[١].

أما وصف تلك الأديان ـ سوى الإسلام ـ بـ: «السماوية» فوصفٌ باطل، لما يحمله من دلالة باطلة، من كونها نزلت من السماء، والواقع أنها تحريف لما نزل من السماء[٢]. وكذلك التعبير بـ«الأديان الثلاثة» عن الإسلام واليهودية والنصرانية، فإن فيه غضاً من الإسلام، وإيحاءً بأن هذه «الثلاثة» متساوية. قال شيخنا محمد بن صالح العثيمين[٣]

---

(١) من ذلك قول الإمام مالك رحمه الله في كتاب الأقضية: (ولا من يغير دينه من أهل الأديان كلها، إلا الإسلام) الموطأ (٢/٧٣٦). دار إحياء الكتب العربية. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر في هذا أيضاً رسالةً بعنوان: (الدين السماوي هو الإسلام) للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي. ط: دار المجتمع للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

(٣) فضيلة شيخنا محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين، من آل مقبل الوهيبي التميمي، أبو عبد اللّٰه. ولد في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٧هـ في مدينة عنيزة، بالمملكة العربية السعودية. تتلمذ على العالم الرباني المفسر الفقيه، شيخ عنيزة عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ـ ١٣٧٦هـ)، رحمه الله، فقرأ عليه التوحيد والفقه والتفسير والأصول والنحو. ثم سافر إلى الرياض سنة ١٣٧٢هـ، للدراسة في المعهد العلمي، فتتلمذ على الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد اللّٰه بن باز (١٣٣٠ـ ١٤٢٠هـ) رحمه الله، وتأثر به في علم الحديث، والشيخ المفسر الأصولي محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ـ ١٣٩٣هـ) وغيرهما من الأفاضل. وبعد وفاة شيخه السعدي سنة ١٣٧٦هـ، خلفه في الإمامة والخطابة والتدريس في الجامع الكبير في عنيزة، بالإضافة إلى تدريسه في المعهد العلمي في عنيزة منذ عام ١٣٧٤هـ. ثم انتقل من المعهد إلى التدريس في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم سنة ١٣٩٨هـ إلى قريب وفاته. وكان مواظباً على التدريس والإمامة، وله حضور قوي في مختلف المناسبات، ومشاركات علمية في وسائل الإعلام، والتدريس والإفتاء في المسجد الحرام في شهر رمضان. وامتاز بحسن التقرير، وتنظيم العرض والتقسيم، وتسهيل=

حفظه الله: (قد يسمع ما بين حينٍ وآخر كلمة «الأديان الثلاثة» حتى يظن السامع أنه لا فرق بين هذه الأديان الثلاثة، كما أنه لا فرق بين المذاهب الأربعة. ولكن هذا خطأ عظيم. إنه لا يمكن أن يحاول التقارب بين اليهود والنصارى والمسلمين، إلا كمن يحاول أن يجمع بين الماء والنار) من خطبة يوم الجمعة «الأولى» الموافق ١٥/١/١٤٢٠هـ.

والإسلام بالمعنى العام الذي جاءت به جميع الرسل متضمنٌ لأصول الإيمان وآثاره، وأمهات العبادات والشرائع، وإن اختلفت كيفياتها، وأحوال المعاد والجزاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده، في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم. وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه.

فالأصل الأول: يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصها على عباده، والأمثال التي ضربها لهم.

= العلم، ودقة الفتيا. فقصده الطلبة من كل مكان حتى بلغوا المئين في حلقته، وانتشرت كتبه ودروسه المسجلة وفتاواه في أصقاع الأرض. ونال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤١٤هـ، وعين عضواً في هيئة كبار العلماء سنة ١٤٠٧هـ.

كان وقته عامراً بالإفادة والاستفادة، وقضاء حوائج الناس، وكان ورعاً عابداً صواماً قواماً دؤوباً على الوظائف الدينية لا يكل ولا يمل، حازماً في أموره كلها. كما كان سهلاً يكره التكلف، بسيطاً في ملبسه ومسكنه ومركبه، قصداً في منطقه، يكره التملق والتشدق والمديح. ألف عشرات الكتب في الفقه والتوحيد والمصطلح والأصول والفرائض. توفي رحمه الله بعد مرضٍ عانى منه سبعة أشهر، ليلة الخميس ١٦/١٠/ ١٤٢١هـ عن أربع وسبعين سنة.

والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله ويكرهه.

والأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب. وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح وموقوفه عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل)[1]. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة].

وقال واصفاً حال مؤمني أهل الكتاب: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران]. وقال ناعياً على الذين تفرقوا منهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة].

ثم أكمل الله الدين وأتم النعمة ببعثة نبيه الخاتم، ورسوله إلى الناس كافة محمد بن عبد الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]، وذلك هو الإسلام الخاص الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وإليه ينصرف المراد عند الإطلاق.



---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، وابنه محمد. الطبعة الأولى ـ ١٣٩٨هـ (١٩/ ٩٥ ـ ٩٦).

الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ (الإسلام الخاص):

* قال تعالى مبيناً ما عليه رسوله محمد ﷺ وأتباعه من أصول الاعتقاد: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

* وعين لهم أركان البر الاعتقادية والعملية فقال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

* وعرَّف أهل الكتاب بعلامات نبيِّه الخاتم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

* ولهذا عَرَفه هرقل ـ عظيم الروم ـ حين سأل أبا سفيان، لما بلغه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فكان من جملة ما سأله: ماذا يأمركم؟ فقال أبو سفيان ـ وكان إذ ذاك على الشرك ـ: يقول: (اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)[1].

* ولما أراد الله تعالى أن يبين معالم دينه، ويرتب لعباده أركانه،

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٥).

انتدب أفضل رسولٍ ملكي إلى أفضل رسولٍ بشري، كما في هذا الحديث العظيم الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يومٍ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[(١)].

* وعن عبد الله بن عمر[(٢)] ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٣٧ ـ ٣٨). قال ابن رجب في شرحه: (وهو حديث عظيم جداً، يشتمل على شرح الدين كله) جامع العلوم والحكم: (١/ ٩٧).

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستُصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة. وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادلة. وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر. مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها. تقريب التهذيب (١/ ٤٣٥).

وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)[١].

* وعن عمرو بن عبسة[٢] ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: (أن يسلم قلبك لله ﷻ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك. قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. قال: وما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة. قال: فما الهجرة؟ قال: تهجر السوء. قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد. قال: وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم. قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عُقر جواده، وأهريق دمه. قال رسول الله ﷺ: ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبرورة أو عمرة)[٣].

* وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو[٤] ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: (أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[٥].

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٨)، صحيح مسلم: (١/ ٤٥).

(٢) عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور، أسلم قديماً، وهاجر بعد أحد. ثم نزل الشام. تقريب التهذيب (٢/ ٧٤).

(٣) رواه أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل: ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني تحقيق: أبو عاصم، حسن بن عباس بن قطب وآخرون. مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، مكتبة الخراز ـ جدة الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م): (٤/ ١١٤)، (٥/ ٣). وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (١/ ٦٤).

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، صحابي جليل، من الزهاد النساك أسلم قبل أبيه، وشهد مع النبي ﷺ حروبه وغزواته، وكان من المكثرين من الحديث وله ما يقرب من (٧٠٠) حديث توفي سنة ٦٥هـ.
انظر: الأعلام (٤/ ١١١)، طبقات ابن سعد (القسم الثاني من الجزء الرابع ٨ ـ ١٣)، الإصابة رقم (٤٨٣٨)، حلية الأولياء (١/ ٢٨٣)، صفة الصفوة (١/ ٢٧٠).

(٥) صحيح البخاري: (١/ ٩) صحيح مسلم: (١/ ٦٥).

* وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى)[1].

فتبين من هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التعريف الجلي بدين الإسلام، وأنه متضمنٌ للهدى ودين الحق: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف]. فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح.

فأصول الإيمان ستة:

(١) أعظمها الإيمان بالله تعالى وتوحيده:

• في ربوبيته: فلا خالق سواه، ولا مالك سواه، ولا مدبر سواه. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف]. فمن زعم أن للكون خالقان أو أكثر، أو أن العبد يخلق فعل نفسه، أو سمى أحداً من خلقه ـ كعيسى عليه السلام ـ رباً فقد أشرك في ربوبيته.

• في ألوهيته: فهو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه. كما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة]، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة القلبية من محبة أو خوفٍ أو رجاءٍ أو توكل، أو العملية من سجودٍ أو ركوعٍ أو ذبحٍ أو طواف، أو لسانية من دعاءٍ أو ذكرٍ أو تلاوة، أو مالية من زكاةٍ أو صدقة أو نذر، لغير الله فقد أشرك في ألوهيته.

• في أسمائه وصفاته: فله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له ولا نِدَّ ولا سَمي ولا كفوء له سبحانه، ولا يقاس بخلقه، ولا تضرب له الأمثال. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ١١ ـ ١٢)، صحيح مسلم: (١/ ٥١ ـ ٥٣).

أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف]. فمن سمى الله بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له أباً، أو وصفه بصفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقين كقول اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأنه استراح بعد خلق السماوات والأرض، سبحانه وتعالى، فقد ألحد في أسمائه وصفاته.

فهذا هو التوحيد الحق، المبني على محبة الله وتعظيمه، المستلزم لإفراده بالعبادة دون ما سواه من ملكٍ مقرب، أو نبي مرسل، أو ولي صالح، أو هوىً متبع.

(٢) الإيمان بملائكته الكرام: الذين وصفهم بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت]، وما صح في السنة المطهرة من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم، ووجوب محبتهم وموالاتهم، خلافاً لليهود الذين عادوا جبريل عليه السلام، والنصارى الذين غلوا فيه واتخذوه إلهاً في عقيدة التثليث الفاجرة.

(٣) الإيمان بكتب الله التي أنزلها على رسله من عنده، مما سماه الله لنا كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وما لم يسم لنا نؤمن به على سبيل الإجمال، وتصديق ما صح من أخبارها، والعمل بما لم ينسخ من أحكامها. وقد حفظ الله القرآن من التحريف والتبديل فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، ونسخ به الشرائع السابقة فقال بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي حاكماً وأميناً وشاهداً عليه[1].

(١) انظر: جامع البيان (٦/٢٦٦ ـ ٢٦٧)، تفسير القرآن العظيم ابن كثير، =

(٤) الإيمان برسل الله جميعاً، وعدم التفريق بينهم، واعتقاد أنهم بشرٌ تلحقهم خصائص البشرية من المرض والجوع والعطش والموت، لكن اصطفاهم الله واختارهم لتحمل وحيه، وتبليغه للناس، وأنهم أكمل الناس عبوديةً، ليس فيهم شيءٌ من صفات الألوهية البتة. ثم تصديق ما صح من أخبارهم والعمل بشريعة خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ.

(٥) الإيمان باليوم الآخر: ويشمل الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ الصحيحة، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه أو نعيمه والبعث بعد النفخ في الصور، والحساب والجزاء، والجنة والنار.

(٦) الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وذلك يتضمن الاعتقاد الجازم بعلمه سبحانه بالكائنات، ذواتها وصفاتها، جملة وتفصيلاً، وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ومشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وهو خالق كل شيء. والعباد فاعلون حقيقة، مختارون حقيقة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

وتفاصيل هذه الأركان، والأصول العظام معلومة موجودة في كتب أهل الإسلام. وهي بحمد الله عقائد متينة، لا تفاوت فيها ولا خلل، ولا تناقض ولا اضطراب، موافقةٌ للفِطَر السليمة، والعقول المستقيمة. عباراتها بيّنة، ودلالتها واضحة. يقبلها العاميُّ البسيط، ولا يشبع منها العالم المحيط.

= أبو الفداء، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة ـ الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

ومباني الإسلام العملية خمسة:

(١) الشهادتان: المعبر عنهما باللسان لقصد الاستعلان. فمن أقرَّ بهما صار مسلماً حكماً، ثم لزمته بقية خصال الإسلام. ومن لم يتلفظ بهما لم يدخل في عقد الإسلام. وهما أساس صحة سائر الأعمال وشرط قبولها. فشهادة أن لا إله إلا الله تدل على الإخلاص، كما في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)[1]. وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي كمال المتابعة، لقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2]، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[3]. فلا يمكن لأحدٍ كائناً من كان أن يرفع شيئاً أو يضع شيئاً في دين الله، كما صنع اليهود والنصارى في أديانهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فيحلون لهم ما حرم الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم[4]. فدين الإسلام مبني على الاتباع لا على الابتداع، كما أنه مبني على الإخلاص لا على الشرك.

(٢) إقام الصلاة: وهي خمس صلواتٍ في اليوم والليلة في أوقاتها وهيئاتها الشرعية.

(٣) إيتاء الزكاة المقدرة شرعاً في الأموال الزكوية إلى مستحقيها.

(٤) صوم رمضان من كل عامٍ بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

(٥) حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً مرة في العمر.

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٨٩).
(٢) صحيح البخاري: (٣/ ١٦٧)، صحيح مسلم: (٣/ ١٣٤٣).
(٣) صحيح مسلم: (٣/ ١٣٤٤).
(٤) انظر جامع البيان: (١٠/ ١١٣ ـ ١١٥).

فمن أتى بهذه الأركان الخمسة صار مسلماً حقاً واستحق الجنة.

ويلتحق بكل واحدٍ من هذه العبادات الواجبة تطوع من جنسها، لمن كان لديه نهمة في العبادة، ورغبة في التزود من العمل الصالح.

والعبادات في الإسلام مبنية على اليسر والتخفيف ورفع الحرج، بخلاف ما عليه اليهود من إفراطٍ وتشديد، وما عليه النصارى من تفريط وتساهل.

فالضرورات تبيح المحظورات، والمشقة تجلب التيسير. قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وأما الإحسان فوصفٌ يدل على إتقان العبادة، والنصح فيها، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها كما لو كان العابد يرى معبوده تُجاهه، أو يستشعر رؤيته إياه. قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقوله ﷺ في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه... إلخ» يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهي: استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه. وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم... ويوجب أيضاً النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها)[1]، وتفاصيل هذه العبادات وأحكامها وآدابها مبثوثة في كتب الفقه ودواوين السنة.

كما تضمنت الشريعة الإسلامية المبنية على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تنظيماً دقيقاً لأحكام المعاملات والعقود والولايات التي تتناول جميع الجوانب الشخصية والاجتماعية والمالية والسياسية للفرد والأمة. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]. فليس الإسلام مقتصراً على النسك الخاص كما هو الحال في النصرانية المحرفة، بل يتناول جميع مجالات الحياة المختلفة لتحقيق العبودية التامة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٢٦).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]. فلا فصل بين الدين والدنيا، ولا بين الدنيا والآخرة، وليس ثم إلا حكم الله أو حكم الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

ومن أصول الإسلام الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال من الصدق والعفاف والصلة والعفو وحسن الجوار والإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام.

وفي سبيل تحقيق هذه المقاصد العظام شرع الله لعباده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وجعل ذلك شارة مميزة لهذه الأمة الإسلامية. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فرسوله ﷺ للناس جميعاً، ورسالته للناس كافة، وأمته تعلم الناس الخير، فليس في الإسلام «شعب مختار» منكفئٌ على نفسه، ولا «رهبانية» مبتدعة سلبية، بل هو الأمر والنهي والدعوة والتعليم. حتى إذا حيل بين هذه الأمة وتبليغ رسالة ربها، وخُشي أن تكون فتنة، فهو الجهاد في سبيل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

وقد صدق الله وعده، فأظهر دينه على الدين كله بالحجة والبيان، والسيف والسنان على يد صحابة رسوله الكرام، فلم يكد ينقضي قرنهم حتى كان الإسلام قد بلغ الصين شرقاً وبلاد الغال «فرنسا» غرباً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ثم لم يزل حال أهله يعلو ويهبط، بحسب تمسكهم بحبل الله، والتزامهم بشرعه، وفقاً للناموس الرباني المطرد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

المبحث الثاني

أهل الكتاب

ورد هذا المصطلح «أهل الكتاب» في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة، على سبيل الخبر أو الطلب. وورد مثل هذا العدد بلفظ «الإيتاء» بتصرفاته المختلفة مثل «أوتوا الكتاب»، «آتيناهم الكتاب» ونحوها، وفي أربعة مواضع بلفظ «الميراث» مثل: «أورثوا الكتاب». فضلاً عن المواضع الكثيرة التي يعبر عنهم بأسمائهم الخاصة. ومجموع ذلك يدل على العناية التامة التي أولاها الإسلام لدعوة أهل الكتاب، كيف لا، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل].

فمن هم «أهل الكتاب» الذين يتناولهم هذا اللفظ بأخباره وأحكامه؟

قال ابن جرير[1] رحمه الله: (يعني تعالى ذكره بقوله: «يا أهل الكتاب»: يا أهل التوراة والإنجيل)[2]. وقال أيضاً: (عنى بقوله: «يا

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، ولد سنة ٢٢٤هـ في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، إمام في التفسير والتاريخ، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. اهـ. له «جامع البيان في تفسير القرآن»، و«أخبار الرسل والملوك» وغيرها. توفي سنة ٣١٠هـ.
انظر: الأعلام (٦/ ٦٩)؛ إرشاد الأريب (٦/ ٤٢٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٣٥١)، الوفيات (١/ ٤٥٦)، طبقات السبكي (٢/ ١٣٥)، مفتاح السعادة (١/ ٢٠٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٣/ ٣٠٤).

أهل الكتاب»: أهل الكتابين، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب. ولم يخصص جل ثناؤه بقوله: «يا أهل الكتاب» بعضاً دون بعض، فليس بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة بأولى منه، بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة، وإذ لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر، لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح، فالواجب أن يكون كل كتابي معنياً به... وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان معلوماً بذلك أنه عُني به الفريقان جميعاً)[١].

فأهل الكتاب إذاً هم اليهود والنصارى، وهذا أمر واضح متقرر لدى جميع المفسرين ويزيد الأمر وضوحاً إضافة «الكتاب» إلى هاتين الطائفتين خاصة، كما في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ [الأنعام]. قال ابن جرير رحمه الله: (فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد، لئلا يقول المشركون: لم ينزل علينا كتاب فنتبعه، ولم نُؤْمَرْ، ولم ننه، فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر، إذ لم يأتِ من الله كتاب ولا رسول، وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا، فإنهما: اليهود والنصارى. وكذلك قال أهل التأويل)[٢]. ثم روى بسنده عن ابن عباس[٣]

(١) جامع البيان: (٣/ ٣٠٢ - ٣٠٣).
(٢) جامع البيان: (٨/ ٩٣).
(٣) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الإمام البحر الحبر، ابن عم رسول الله ﷺ، ولِدَ وبنو هاشم في الشعب قبل الهجرة بثلاث، دعا له رسول الله ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، كان يلقب بحبر هذه الأمة، وقال فيه ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. مات بالطائف سنة ٦٨هـ رضي الله عنه وأرضاه.
الأعلام (٤/ ٩٥)، الإصابة ت (٤٧٧٢)، صفة الصفوة (١/ ٣١٤)، حلية الأولياء (١/ ٣١٤)، ذيل المذيل (٢١).

ومجاهد[١] وقتادة[٢] والسدي[٣] نحوه. وهذه القبْلية المتقررة لدى المشركين بشأن طائفتي أهل الكتاب؛ اليهود والنصارى، هي القبلية المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري[٤] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سَنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ خرب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[٥].

وإطلاق مصطلح «أهل الكتاب»، وإرادة اليهود والنصارى بذلك خاصة مستفيضٌ في السنة المطهرة. ومن شواهد ذلك:

(١) ما روى البخاري[٦] عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ: «مثلكم

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، ولد سنة (٢١هـ) ويعد من كبار التابعين، من الأئمة المفسرين، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس، توفي سنة (١٠٤هـ).
الأعلام (٥/ ٢٧٨)، صفة الصفوة (٢/ ١١٧)، ميزان الاعتدال (٣/ ٩)، حلية الأولياء (٣/ ٢٧٩)، غاية النهاية (٢/ ٤١).

(٢) قتادة بن دِعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت. مات سنة مائة وبضع عشرة سنة. تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣).

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد الكوفي، صدوق يهم، ورمي بالتشيع. مات سنة مائة وسبع وعشرين. تقريب التهذيب (١/ ٧٢).

(٤) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، من الملازمين للنبي ﷺ، توفي سنة ٧٤هـ. الأعلام (٣/ ٨٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩)، صفة الصفوة (١/ ٢٩٩)، حلية الأولياء (١/ ٣٦٩).

(٥) رواه البخاري: (٨/ ١٥١)، ومسلم: (٤/ ٢٠٥٤).

(٦) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب «الجامع الصحيح». ولد عام ١٩٤هـ، في بخارى، وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وله من التصانيف: «التاريخ الكبير»، و«خلق أفعال العباد»، و«الأدب المفرد»، و«جزء=

ومثل أهل الكتابين، كمثل رجل استأجر أجراء، فقال: من يعمل لي من غُدوةٍ إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء»[1].

(٢) وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير... الحديث»[2].

(٣) وفي مسند الإمام أحمد[3] عن زياد بن لبيد[4] ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا أوان ذهاب العلم، قال شعبة: أو قال: هذا أوان

= القراءة خلف الإمام» وغيرها، وكتابه الصحيح انتقاه من ستمائة ألف حديث يحفظها، وكانت وفاته سنة ٢٥٦هـ.
الأعلام (٦/ ٣٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٢٢)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧)، وفيات الأعيان (١/ ٤٥٥)، تاريخ بغداد (٢/ ٤ ـ ٣٦)، طبقات السبكي (٢/ ٢).

(١) صحيح البخاري: (٣/ ٤٩ ـ ٥٠).

(٢) صحيح مسلم: (١/ ١١٥).

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، الإمام الحافظ المحدث الفقيه أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ١٦٤هـ ببغداد، وسافر في طلب الحديث. امتحن في فتنة القول بخلق القرآن، فثبت، وأوذي فصبر، وأعز الله به السنة. من مصنفاته: «المسند»، و«فضائل الصحابة»، و«الزهد»، و«الأشربة» وغيرها. توفي سنة ٢٤١هـ.
الأعلام (١/ ٢٠٣)، حلية الأولياء (٩/ ١٦١)، صفة الصفوة (٢/ ١٩٠)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥)، تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢).

(٤) زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الله، صحابي شهد بدراً. وكان عاملاً على حضرموت لما مات النبي ﷺ. مات سنة إحدى وأربعين. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٠).

انقطاع العلم. فقلت: وكيف وفينا كتاب الله، نعلمه أبناءنا، ويعلمه أبناؤهم أبناءهم؟ فقال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد! ما كنت أحسبك إلا من أعقل أهل المدينة. أليس اليهود والنصارى فيهم كتاب الله تعالى؟ قال شعبة[١]: أو قال: أليس اليهود والنصارى فيهم التوراة والإنجيل ثم لم ينتفعوا منه بشيء؟ أو قال: أليس اليهود والنصارى أو أهل الكتاب، شعبة يقول ذلك، فيهم كتاب الله ﷻ؟»[٢].

(٤) وفي سنن أبي داود[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة. وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة. وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة». ثم رواه من حديث معاوية[٤] بن أبي سفيان بلفظ: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب، افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق

---

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد العَتَكي، مولاهم، أبو بسطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متقن. كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث. وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذب عن السنة. وكان عابداً. مات سنة مائة وستين. تقريب التهذيب (١/ ٣٥١).

(٢) المسند: (٤/ ٢١٩). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٢/ ٣٧٧).

(٣) سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، أبو داود، إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، ورحل رحلة كبيرة في طلب الحديث، وتوفي بالبصرة، من تصانيفه: «السنن»، و«المراسيل»، و«الزهد». وهو من تلاميذ الإمام أحمد، وله عنه «مسائل». توفي سنة ٢٧٥هـ.
الأعلام (٣/ ١٢٢)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٥٢)، تهذيب ابن عساكر (٦/ ٢٤٤)، تاريخ بغداد (٩/ ٥٥)، وفيات الأعيان (١/ ٢١٤)، الذريعة (١/ ٣١٦).

(٤) معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية، الأموي أبو عبد الرحمن، الخليفة، صحابي، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي. ومات في رجب سنة ستين، وقد قارب الثمانين. رضي الله عنه وأرضاه. تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٩).

على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»[١].

وعند أحمد من حديث معاوية ﷺ، أيضاً، قال: «إن أهل الكتابين... الحديث»[٢].

فتبين بهذا أن الله سبحانه سمى «اليهود» و«النصارى» «أهل الكتاب»، ولم يسمهم «مسلمين»، وذلك لرغبتهم عن ملة إبراهيم «الإسلام» ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة]. قال ابن جرير رحمه الله: (عنى الله بذلك اليهود والنصارى لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام، لأن ملة إبراهيم هي الحنيفية المسلمة، كما قال تعالى ذكره: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ ـ ثم ساق بسنده عن قتادة ـ: رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية، بدعة ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم، يعني الإسلام حنيفاً، كذلك بعث الله نبيه محمداً ﷺ بملة إبراهيم. ـ وعن الربيع بن أنس[٣] مثله ـ)[٤].

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسوا بمسلمين، ولا يشملهم وصف الإسلام لمفارقتهم ما كان عليه أنبياؤهم، وتحريفهم الكلم عن

---

(١) سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد. دار الحديث. بيروت. الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ. (٥/ ٤ ـ ٦).

(٢) المسند: (٤/ ١٠٢). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٢٠٤) وجمع طرقه وشواهده.

(٣) الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي، بصري، نزل خرسان، صدوق له أوهام. رمي بالتشيع. مات سنة مائة وأربعين أو قبلها. تقريب التهذيب (١/ ٢٤٣).

(٤) جامع البيان: (١/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩).

مواضعه. وقد زعم بعض المتأخرين، المداهنين لأهل الكتاب، الداعين إلى التقارب معهم، أنهم مؤمنون، وأنه يسعهم - فيما بينهم وبين ربهم - البقاء على دينهم، والعمل بما في أيديهم من كتب، وأنه لا يلزمهم الدخول في الإسلام، والإيمان برسالة محمدٍ ﷺ[1]، وشبَّهوا ببضع آيات، وهي:

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة].

• وقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

• وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

والجواب عن ذلك يسير - بحمد الله -:

• فأما آية البقرة وما شابهها، فللمفسرين فيها ثلاثة مسالك:

الأول: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن جرير رحمه الله: (كان يرى أن الله جل ثناؤه، كان قد وعد من عمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: «وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ»)[2].

الثاني: أن معنى القيد في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أن:

---

(١) سيرد ذكر مقالاتهم في مبحث «الإسلاميون العصرانيون» من الباب الأول.
(٢) جامع البيان: (١/ ٣٢٣).

(إيمان اليهود والنصارى والصابئين، التصديق بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به، فمن يؤمن منهم بمحمد، وبما جاء به وباليوم الآخر، ويعمل صالحاً، فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك، فله ثواب عمله وأجره عند ربه)[1]، واستظهره ابن جرير[2].

الثالث: أن الآية تتناول من كان قبل بعثة نبينا محمدٍ ﷺ وحسب. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي[3] ﷺ: (الصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺ وأن هذا مضمون أحوالهم... وذلك - والله أعلم - أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس، أنهم كلهم يشملهم الذم. فأراد الباري تعالى أن يبين من لا يلحقه الذم منهم بوصفه)[4].

ولم ير ابن كثير[5] ﷺ منافاة بين هذه المسالك: (فإن هذا الذي

---

(١) جامع البيان: (١/ ٣٢٠).

(٢) جامع البيان: (١/ ٣٢٤).

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ)، التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة ١٣٥٨هـ. له نحو ثلاثين كتاباً، منها: «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»، و«طريق الوصول إلى العلم المأمول»، و«توضيح الكافية الشافية لابن القيم» وغيرها. الأعلام (٣/ ٣٤٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. المؤسسة السعيدية. الرياض - السعودية، مطابع الدجوي - القاهرة طبعة عام (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م). (١/ ٩٣).

(٥) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه محدث، ولد سنة (٧٠١هـ) في قرية من أعمال بصرى، ثم انتقل إلى دمشق، ورحل في طلب العلم، من تصانيفه «البداية والنهاية» و«شرح صحيح البخاري» ولم يكمله، وتفسير القرآن العظيم و«جامع المسانيد والسنن» وغيرها، توفي عام ٧٧٤هـ.

=

قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحدٍ طريقةً ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه الله بما بعثه به. فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدىً وسبيل نجاة)[١].

• وأما قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧] فتوجيهه على القراءتين في (وليحكم).

(«وَلِيحْكُمَ» بالنصب على أن اللام لام كي، أي وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور لِيحكمَ أهل ملته به في زمانهم. وقرئ: «وَلْيَحْكُمْ» بالجزم، اللام لام الأمر، أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمدٍ ﷺ، والأمر باتباعه وتصديقه إذا وُجد)[٢].

• وأما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ...﴾ الآية، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ الآية [المائدة: ٦٦، ٦٨] فإن المراد بـ: «وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ/ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ»: (ما جاءكم به محمد ﷺ من الفرقان فتعملوا بذلك كله، وتؤمنوا بما فيه من الإيمان بمحمدٍ ﷺ وتصديقه، وتقروا بأن كل ذلك من عند الله، فلا تكذبوا بشيءٍ منه، ولا تفرقوا بين رسل الله، فتؤمنوا ببعض وتكفروا

= الأعلام (١/ ٣٢٠)، الدرر الكامنة (١/ ٣٧٣)، البدر الطالع (١/ ١٥٣)، (٢٥٨٢)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١)، آداب اللغة (٣/ ١٩٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٥). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية: أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: د. علي بن حسن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان. دار العاصمة. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. (٣/ ١٢١ - ١٢٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٣/ ١٢٦)، وانظر: جامع البيان: (٦/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

ببعض، فإن الكفر بواحدٍ من ذلك كفر بجميعه، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً، فمن كذب ببعضها فقد كذب بجميعها)[١].

فلم يبق بحمد الله مستمسك للذين يريدون أن يفرقوا دين الله، أو يفرقوا بين رسل الله، ويكونوا شيعاً، ثم ينادي بعضهم بالتقريب بين الأديان. فدين الله واحد، ووحدته وتوحيده باتباع ما جاء به الرسول الخاتم ﷺ.

ويحسن في هذا المقام أن ننبه على ثلاث شُبَه تتعلق بمدلول: «أهل الكتاب».

الشبهة الأولى: أن اليهود والنصارى، أو معظمهم ـ على الأقل ـ لا يستحقون اليوم وصف «أهل الكتاب»؛ إذ قد هجروا دينهم وغيروا وبدلوا، وليسوا كأهل الكتاب وقت تنزل القرآن. وناتج هذه المقدمة أنه لا تجري على المنتسبين إلى هاتين الملتين الأحكام العلمية والعملية المتعلقة بأهل الكتاب.

والجواب: أن هذه دعوى باطلة، فإن انحرافهم عن كتاب ربهم وتغييرهم له وتحريفهم الكلم عن مواضعه، سابق لإطلاق هذا الوصف عليهم. فإن الله تعالى الذي أباح للمسلمين ذبائحهم والمحصنات من نساءهم، بوصفهم أهل الكتاب في صدر سورة المائدة بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة] هو الذي أكفرهم بعدها ببضع آيات بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]، وبقوله في نفس السورة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. وحكى عنهم في

---

(١) جامع البيان: (٦/٣٠٩).

آخرها مقالة الكفر في خطابه لنبيه عيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

وكذلك الحال بالنسبة لليهود، وقد لعنهم الله في هذه السورة بنفسه، وعلى لسان أنبيائه. فقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة] وحكى عنهم فيها مقالة السوء والكفر فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وكانت سورة المائدة من آخر ما نزل على رسول الله ﷺ. وأما إخلالهم اليوم بشرائع دينهم، وهجرهم لأحكام كتبهم، فإنه قديم فيهم، وليس حادثاً، فقد كانوا يتحايلون على أحكام التوراة ووصايا الأنبياء. ومع ذلك استحقوا هذا الاسم، فلا يزول عنهم لمجرد تماديهم في الكفر والفسوق والعصيان.

وجماع القول: أن القوم ما داموا ينتسبون إلى أديانهم، ويظهرون تعظيم أنبيائهم، وبيعهم، وكنائسهم، ويحتفلون بأعيادهم الدينية وغير ذلك من شعائرهم الظاهرة، وتقاليدهم الدينية الخاصة، فهم «أهل الكتاب» الذين عنى الله بكتابه، ورسوله ﷺ في سنته. فتتعلق بهم أحكام أهل الكتاب العلمية والعملية. ولا يزول هذا الوصف عن جملتهم وآحادهم إلا إذا فارقوا ذلك بإيمانٍ بالله ورسوله ﷺ فيكونون من جملة المسلمين، أو تحولٍ إلى ملةٍ من الملل الإلحادية أو الوثنية، سوى اليهودية والنصرانية، فحينئذٍ تجري عليهم أحكام سائر المشركين والملحدين، وتزول عنهم خاصية «أهل الكتاب».

الشبهة الثانية: تتعلق بالنصارى خاصة. ومفادها: أن النصارى المذكورين في القرآن، المشمولين بوصف «أهل الكتاب»، ليسوا هم

«نصارى اليوم»، بل هم فرقة تاريخية خارجة عن النصرانية الرسمية التي أقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥م. وبالتالي فنصارى اليوم غير معنيين بأحكام الكفر والغلو والضلال التي دمغ القرآن بها تلك الفرقة، ولا تنسحب عليهم آثارها.

ويروج لهذه الشبهة بعض دعاة التقارب والحوار من النصارى العرب خاصة، وربما تابعهم عليها بعض المنتسبين إلى الإسلام. والحق أنه لا فرق بين النصارى المذمومين في القرآن، ونصارى اليوم البتة مهما تمحّل هؤلاء وتحذلقوا بالألفاظ، فالحقائق واحدة، وعقائدهم متطابقة[1].

الشبهة الثالثة: أن مصطلح «أهل الكتاب»، يشمل المسلمين أيضاً! بناءً على أن الكتاب إذا أطلق في القرآن يقصد به كل كتاب جاء من عند الله. ومراد القائلين بذلك مؤانسة اليهود والنصارى بالاندماج معهم في هذا الوصف تحقيقاً للتقارب، لإقامة جبهة «أهل الكتاب» في وجه الإلحاد[2].

ولا ريب أنه قول ساقط متهافت شاذ لم يسبق إليه قائله، ولا يغير شيئاً من ثوابت الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فكما تجب المحافظة على الألفاظ الشرعية، ويحرم العدول عنها إلى مصطلحات حادثة، تجب المحافظة على مدلولاتها التي أرادها الشارع، فلا يُدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها، ما هو منها، بأنواع التعطيل والتحريف.

وحتى تستبين سبيل أهل الكتاب، من يهودٍ ونصارى، وأنها مجافية لسبيل المؤمنين، راغبةٌ عن ملة إبراهيم، نقدم تعريفاً باليهودية والنصرانية من حيث هما ديانتان فقط، دون الاستطراد في الجوانب التاريخية، إلا ما دعت إليه الحاجة، لمقارنتهما بدين الإسلام الذي جاءت به الرسل.

---

(١) سيرد ذكر مزاعم هؤلاء النصارى ومناقشتها في مبحث «النصارى العرب» في الباب الأول.

(٢) سيرد ذكر هذه الدعوى في مبحث «الإسلاميون العصرانيون» في الباب الأول.

اليهودية

بعث الله نبيه موسى عليه السلام لغايتين:

إحداهما: دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده، وموعظته وهدايته.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات]، ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

الثانية: تخليص بني إسرائيل من أذى فرعون وقومه، وقيادتهم وهدايتهم.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء].

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [طه].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم].

فأما المهمة الأولى، فقد جرى في سبيلها مواقف مشهودة، انتهت بإغراق فرعون وقومه، بعد عنادهم واستكبارهم وجحدهم آيات الله، وقد استيقنتها أنفسهم.

وأما المهمة الثانية: فقد تمت بآية باهرة، ومنّة عظيمة على بني إسرائيل حين فرق بهم البحر، فكان كل فرقٍ كالطود العظيم. وتحقق

مراد الله ﷻ في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص].

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف].

ولكن هذه الأمة المنعتقة لتوها من نير العبودية والاستذلال لم تفقه الحكمة، ولم تشكر النعمة، ولم تع حقيقة التوحيد التي جاء بها نبيها ﷺ، ففاجأوه بجملة من الاقتراحات الكفرية، والأفعال الشركية، والتمرد على طاعة الله:

- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨].
- ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ۝١٤٨﴾ [الأعراف].
- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، ولما قال لهم نبيهم:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝٢١ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝٢٤﴾ [المائدة].

موقف اليهود من التوراة:

تلك حال أسلاف هذه الأمة المغضوب عليها؛ من الكفر بالله، وسوء الأدب معه، وأذية نبيه الذي كتب الله نجاتهم من عدوهم على يديه. ولكن المصيبة الأعظم التي منيت بها هذه الأمة المغضوب عليها، وتجاوز أثرها ذلك الجيل إلى كل يهودي في الأرض ـ إلا من رحم الله ـ موقفهم من كتاب الله ووحيه الذي به العصمة والنجاة، والهدى والنور. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥] ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] فكان موقف أسلافهم الذين عاينوا الآيات البينات، الرفض والعصيان:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف] فلم يرفعوا بذلك رأساً، ولم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله. وسلك خلوفهم مسالك شتى في الحيدة عن هدى الله منها:

- تحريف الكلم عن مواضعه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]. فوقع التحريف منهم في التأويل، وهو الأكثر، وفي التنزيل بزيادة ألفاظ أو تبديلها بغيرها[1].

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم، محمد بن أبي بكر. تحقيق وتعليق: محمد عفيفي. المكتب الإسلامي. بيروت ـ مكتبة الخاني ـ الرياض. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). (٢/ ٤٨٠ ـ ٤٩٦).

• كتمان ما أنزل الله وإخفاؤه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة] ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ [الأنعام: ٩١].

• التحايل على شرع الله بوجوه الحيل للتخلص منه: وهم أئمة هذا المسلك الدنيء، ولهم فيه أفعال مشينة ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] فمن ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله يهود حرمت عليهم الشحوم، فجمّلوها، فباعوها ـ وفي رواية ـ: وأكلوا أثمانها»(١)، جملوها أي أذابوها.

---

(١) رواه البخاري: (٣/ ٤٠)، ورواه مسلم: (٣/ ١٢٠٧ ـ ١٢٠٨).

ومن حيلهم المسِفَّة التي وصفها أحدهم للتحايل على تحريم الحلب يوم السبت، فقال: (رأى الحاخامات الصهاينة أن الحلب الممنوع يصبح مباحاً إذا لم يكن الحليب أبيضاً وصبغ باللون الأزرق. وهذا الحلب السبتي الأزرق يخصص لصناعة الجبن حصراً. ويغسل الصباغ الأزرق بالمصل. وابتدع الحاخامون غير الصهاينة حيلةً أكثر مكراً، شاهدت بنفسي إجراءها في أحد الكيبوتزات الدينية ـ أي المستوطنات التي أقاموها في فلسطين ـ عام ١٩٥٢م؛ اكتشفوا حكماً قديماً يسمح بإفراغ ضروع البقرة يوم السبت بغرض تخفيف معاناة البقر من امتلاء ضروعها، بشرط أن يسيل الحليب على الأرض ويهمل. والآن ما الذي يجري فعلاً؟ صباح السبت يذهب أحد المتدينين في الكيبوتز إلى حظيرة الأبقار، ويضع الدلاء تحت البقرة... ثم يذهب إلى الكنيس ليصلي. فيأتي زميلٌ له معتزماً «بحسن نية» تخفيف معاناة الأبقار، بجعل حليبها يسيل على الأرض. فإذا وجد بالصدفة، دلاءً تحت الأبقار، فهل هو ملزم بإزاحتها؟ بالطبع لا. ولذلك يتجاهل الدلاء ويؤدي مهمته الرحيمة ويذهب إلى الكنيس. وختاماً يأتي ثالث من زملائه المتدينين إلى=

وهذا مشابه لما فعله أسلافهم «أصحاب السبت» الذين مسخهم الله قردة وخنازير، لما حرم عليهم الصيد يوم السبت، فاحتالوا على صيد الحيتان يوم السبت، ولم يأكلوها إلا ليلة الأحد[1]. قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف].

• هجر العمل به: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة: ٤٣].

• الاستعاضة عنه بغيره: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].

❁ ❁ ❁

= حظيرة الأبقار، ويكتشف، مندهشاً، الدلاء الملأى بالحليب، فيضعها في برّاد، ويلتحق برفاقه في الكنيس. الأمر كله جيد الآن، ولا حاجة لتبديد الأموال لشراء الصباغ الأزرق). التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاث آلاف سنة: للكاتب اليهودي: إسرائيل شاحاك ترجمة: صالح علي سوداح. بيسان للنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٦٩). وقد ذكر أمثلة عجيبة لتحايلهم على شرائعهم. انظر أيضاً: (٧٨ ـ ٧٩).

(١) انظر جامع البيان: (٩/ ٩٠ ـ ١٠١).

الكتب المقدسة عند اليهود:

١ ـ توراة «عزرا»:

قد كان للأحداث التاريخية التي عصفت باليهود من بعد موسى عليه السلام، أثر بالغ في ضياع التوراة ثم محاولة صياغتها من جديد، ثم استحداث كتبٍ أخرى تزاحمها في المنزلة حتى فاقتها. يقول السموأل بن يحيى[1]، الذي كان من أحبار اليهود ثم اهتدى إلى الإسلام في القرن السادس الهجري: (ذكر السبب في تبديل التوراة. علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحدٌ من علمائهم وأحبارهم، أنها المنزلة على موسى البتة؛ لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوى... وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم، لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم. ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة[2]... فأما بقية التوراة فدفعها

---

(١) كان اسمه رحمه الله شموائيل بن يهوذا بن أبوان. وكان والده من فاس وأمه من البصرة، وكلاهما من علماء اليهود. وقد اشتغل في صباه بعلوم الآلة والمنطق والرياضيات، ثم قرأ التواريخ فقاده ذلك إلى التفكر في المذاهب والأديان، فقرأ القرآن، فبهرته فصاحته، ورأى النبي ﷺ مرتين في المنام فأسلم، وحسن إسلامه. وصنّف «إفحام اليهود» توفي رحمه الله سنة ٥٧٠هـ. انظر قصته في كتابه المذكور آنفاً: (٧٤ ـ ٧٥).

(٢) لعل المراد نصف سورة من نسخة التوراة المكتوبة، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقال: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف]. وأما تبليغ الرسالة فقد جرىٰ كاملاً ولا ريب، ولم يكتم شيئاً منه عليه السلام، حاشا رسل الله من الكتمان: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب] قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ=

إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم. وهؤلاء الأئمة الهارونيون، الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها، قتلهم «بخت نصَّر»[١] على دمٍ واحد، يوم فتح بيت المقدس. ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنةً بل كان كل واحدٍ من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة.

فلما رأى «عزرا»[٢] أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن. . . فهذه التوراة التي بأيديهم ـ على الحقيقة ـ كتاب عزرا، وليس كتاب الله[٣].

لقد سبق السموأل بن يحيى المغربي الباحثين الغربيين بقرابة تسعة قرون في الإفصاح عن هذه الحقيقة. فقد ظل اليهود والنصارى يعتقدون لقرونٍ طويلة أن موسى هو كاتب التوراة. ولكن هذا الاعتقاد الموروث

= وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن].

(١) بخت نصَّر/ أو نبوخذ نصَّر: ملك كلداني بابلي، اجتاح دولة يهوذا، ودمّر أورشليم ونهب الهيكل سنة ٥٨٦ق.م، وأهلك الكثير من سكانها، واستاق الناجين إلى بابل، فيما عرف بالسبي البابلي. انظر: العهد القديم. سفر الأخبار الثاني (٨٣٠).

(٢) عزرا: كاهن وكاتب يهودي، ظهر في فترة السبي البابلي، عاصر عفو الملك الفارسي «قورش» عن اليهود، وإذنه لهم بالعودة لفلسطين. وكان له دورٌ بارز في تنظيم اليهود، وجمع شملهم، وعزلهم عن باقي الشعوب، وإعادة شريعتهم. انظر: العهد القديم. سفر عزرا (٨٤٧ ـ ٨٥٣).

(٣) إفحام اليهود، للسموأل بن يحيى المغربي تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، طبع ونشر إدارات البحوث العلمية والافتاء. الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) (١٣٥ ـ ١٤٠).

قد تداعى تحت مطارق النقد الحديث. يقول الدكتور موريس بوكاي[١]: (أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تماماً)[٢]، ثم ذكر بعض الدراسات النقدية الجادة التي قام بها المتخصصون، وخلص إلى النتيجة التالية: (بهذا إذاً يمتد تحرير نص أسفار موسى الخمسة على ثلاثة قرون بأقل تقدير... وبهذا يتضح تكون أسفار موسى الخمسة من أقوالٍ موروثة مختلفة، جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفاً محررون وضعوا تارةً ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة، وأخرى متنافرة، كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر)[٣]، ويكفي أن تلك الأسفار المنسوبة إلى موسى ﷺ قد ختمت بحكاية وفاة موسى نفسه[٤].

---

(١) كاتب وطبيب فرنسي معاصر، كان كاثوليكياً، عاش فترة شبابه في المغرب إبان الاحتلال الفرنسي. اطلع على القرآن الكريم، وانبهر بما فيه من الآيات المتعلقة بالخلق والفَلَك والظواهر الكونية والإنسانية المطابقة للحقائق العلمية الحديثة، فأعتنق الإسلام عام ١٩٧٢م في الرياض، وزار مكة والمدينة، وتعلم اللغة العربية. من مؤلفاته بعد إسلامه: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) و(ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة). انظر التعريف به في كتاب، مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية. د. محمد بن عبد الله السحيم. ج١ (٣٨٣ ـ ٤٠٦).

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. د. موريس بوكاي. ترجمة: قسم الترجمة بالدار. مكتبة مدبولي ـ القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٦م. (٣٠).

(٣) المرجع السابق. (٣٣).

(٤) انظر العهد القديم: دار المشرق ـ بيروت. توزيع: المكتبة الشرقية. جمعيات الكتاب المقدس في المشرق ـ بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٨٩م. (٤١٣ ـ ٤١٤). سفر التثنية: (٣٤/١ ـ ١٢).

ويقول العالم اليهودي باهليل سلفر في كتابه «موسى والتوراة الأصلية»:

(حتى الوصايا العشر[١] التي يكاد يجمع العلماء على أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية، لم تكن بكاملها، وعلى هيئتها الحالية كالتي أتى بها موسى)[٢].

فإذا كان هذا في «التوراة» التي عليها المعول في الديانة اليهودية، فكيف بغيرها مما كتبه الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً؟ وأي سند رباني لليهودية وقد اختلط كتابها، وصبّت فيه روافد متعددة؟.

لقد تزعم «عزرا» حركة الكتابة هذه، ويصفه مؤلف (التوراة: تاريخها وغاياتها) بأنه: (أول الكتبة، ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين «وضعوا» التوراة والشريعة الشفهية، والتي سيطرت لقرونٍ

---

(١) وردت هذه الوصايا في سفر التثنية (٥/ ١ ـ ٢٢). العهد القديم: (٣٦٧ ـ ٣٦٨). وملخصها:
ـ لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي.
ـ لا تصنع لك منحوتاً، أية صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. ولا تسجد لها، ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلهك إله غيور...
ـ لا تلفظ اسم الرب إلهك باطلاً...
ـ احفظ يوم السبت لتقديسه، كما أمرك الرب إلهك... فلا تصنع فيه عملاً...
ـ أكرم أباك وأمك... ـ لا تقتل ـ لا تزن ـ لا تسرق ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور.
ـ لا تشته امرأة قريبك، ولا تشته بيته ولا حقله ولا خادمه ولا خادمته ولا ثوره ولا حماره...).

(٢) نقلاً من: اليهود تاريخ وعقيدة: (١٤٢).

عديدة على عقول وجميع مقدرات اليهود. وكان للكتبة هؤلاء حزبٌ منظم، هو حزب «الفريسيين». وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخاميين، أي معلمو الشريعة. تقول الموسوعة اليهودية أمام كلمة «كتبة»: (هم هيئة من المعلمين، كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب. وقد ابتدأ تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسهم. وهؤلاء الكتبة كانوا أول من علم التوراة، وهم واضعو الشريعة الشفهية)[(١)].

٢ ـ العهد القديم:

لقد تتابع هؤلاء الكتبة على الإضافة إلى التوراة، وإلحاق أسفار جديدة حتى تكوّن لديهم ما يسمى بـ«العهد القديم»، وصار يبلغ خمسة أضعاف الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى ﷺ، والتي تؤرخ لبني إسرائيل حتى سنة ٢٤٠٠ق.م. وتؤلف القسم الأول، المسمى: «أسفار الشريعة» أو «التوراة» وهي: سفر التكوين، والخروج، الأحبار «اللاويين»، العدد، وتثنية الاشتراع. يتلوها أسفار تاريخية تبلغ ستة عشر سفراً تغطي تاريخ اليهود منذ دخولهم الأرض المقدسة في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. ثم سبعة أسفار تعرف بكتب الحكمة تضم أشعاراً وأناشيد وأمثالاً. ثم ثمانية عشر سفراً تعرف بكتب الأنبياء تغطي الفترة بين القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد[(٢)].

لقد استغرق تدوين «العهد القديم» زمناً طويلاً (يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة، واعتماداً على التراث المنقول شفوياً. وقد

---

(١) التوراة. تاريخها وغاياتها: ترجمة وتعليق: سهيل ديب. دار النفائس. بيروت. الطبعة الرابعة. (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). (٤٧). وقد نسبه إلى لاهوتي أمريكي.

(٢) انظر في دراسة هذه المجموعات ونقدها: القرآن والتوراة والإنجيل. موريس بوكاي (٢٠ ـ ٦٥) تاريخ بني إسرائيل. محمد عزة دروزة.

صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار، بسبب أحداثٍ حدثت، أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحياناً... ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح، كما يرى الكثيرون)[(١)].

ولا يخفى أن هذه المدة الطويلة، وما شهدته من أحداثٍ جسيمة تعرض لها بنو إسرائيل من داخلهم وخارجهم قد حادت بهم عن نهج النبوة والدين الحق.

يقول السموأل بن يحيى ﷺ: (إن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها، وأخذها بلادها، انطمست حقائق سالف أخبارها، واندرس قديم آثارها وتعذر الوقوف عليها... وهذه الطائفة، بلا شك أعظم الطوائف حظاً مما ذكرناه، لأنها من أقدم الأمم عهداً، ولكثرة الأمم التي استولت عليها من الكنعانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والإسلام.

وما من هذه الأمم إلا من قصدهم أشد القصد، وطلب استئصالهم، وبالغ في إحراق بلادهم، وإخرابها، وإحراق كتبهم[(٢)]، إلا

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. (٢٦ ـ ٢٨).

(٢) ذلك مصداق قضاء الله عليهم بقوله: (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) (الأعراف: ١٦٧). ومن أشهر الحوادث التي وقعت عليهم في التاريخ:

ـ تسلط فرعون مصر «شيشنق» عليهم حتى نهب أورشليم في حدود ٩٠٠ق.م.

ـ هجوم «سارجون» ملك الآشوريين عليهم، وقضائه على دولة يهوذا، وسبي بعض أهلها سنة ٧٢٢ق. م.

ـ هجوم «نبوخذ نصّر» ملك البابليين عليهم مرتين سنة ٥٩٨ق.م ٥٨٦ق.م وتدمير أورشليم، وإحراق الهيكل، واستياق عشرات الألوف من اليهود أسرى فيما عرف بالسبي البابلي.

=

المسلمين. فإن الإسلام صادف اليهود تحت ذمة الفرس، ولم يبق لهم مدينة ولا جيش إلا العرب المتهودة بخيبر.

فأشد على اليهود من جميع هذه الممالك، ما نالهم من ملوكهم العصاة... وغيرهم من الملوك الإسرائيليين، الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم، وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها، وتعليم رسوم عبادتها، وابتنوا لها البِيَع العظيمة، والهياكل، وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بني إسرائيل، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة، وأعصاراً متصلة. فإذا كان هذا تواتر الآفات على شرعهم من قِبَل ملوكهم، ومنهم على أنفسهم، فما ظنك بالآفات المتفنّنة التي تواترت عليهم من استيلاء الأمم فيما بعد، عليهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، ومنعهم إياهم عن القيام بشعائرهم)[١].

٣ ـ التلمود:

وإلى جانب «العهد القديم» طوّر حاخامات يهود عبر القرون تراثاً دينياً ضخماً، يعدونه الأصل الثاني في ديانتهم، وإن كان في حقيقة الأمر هو محل عنايتهم وحفاوتهم ودرسهم، ذلك هو «التلمود» ويعني بالعبرية «التعليم».

= ـ تسلط السلوقيين والبطالسة عليهم في حدود سنة ٣٠٠ق.م.
ـ اضطهاد القائد الروماني «تيتوس» إياهم وتدمير أورشليم وحرق الهيكل، واسترقاقهم سنة ٧٠ق.م.
ـ تجدد الاضطهاد الروماني على يد تراجان ١١٦م، وهادريان ١٣١م وهيرقليدس.
ـ اضطهاد «يزدجرد» الثاني ملك الفرس إياهم سنة ٤٣٨م.
انظر: اليهود تاريخ وعقيدة (١٨ ـ ٢٦).

(١) إفحام اليهود. وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ. (١٤٣ ـ ١٤٥).

ويتكون التلمود، حسب دائرة المعارف اليهودية Jewish Encyclopaedia من جذرين أساسيين:

أحدهما: المشناه: Mishnah وهي مجموع المرويات الشفهية المنسوبة إلى موسى ﷺ التي يزعم الحاخامات أنهم تناقلوها جيلاً بعد جيل.

وقد شرع في تدوينها الحاخام «يوضاض» بعد المسيح بمائة وخمسين عاماً. ثم ضمها مع زيادات ألحقت بها الحاخام يهوذا هاناسي في حدود عام ٢٠٠م. ويحاول اليهودي المستعرب «موسى بن ميمون» تنظير هذه المرويات، بالسنَّة النبوية لدى المسلمين فيقول: (منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس يهوذا هاناسي لم يتفق أحدٌ من علماء اليهود على أي عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية، باسم «القانون الشفهي»، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه، لينقلها شفهياً إلى شعبه... وهكذا تقدم الزمن حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنَّة والأحكام والقرارات وشرح القانون المروي عن موسى، ـ معلمنا ـ المأمور به في كل جيل)[1].

وقد قام الحاخام يهوذا هاناسي بتنسيق مدونات مائتي عالم يهودي يعرفون باسم «تنائيم»، كتبوها لفترة تمتد من السنة العاشرة للميلاد حتى نهاية القرن الثاني للميلاد. ويضارع مشروع المشناه كتاب «بريثا» Braitha، الذي وضعه الحاخام اليعازر بن يعقوب.

الثاني: جمارا Gemara: وهي شرح لما استغلق فهمه من المشناه مع زيادات وتعليقات، ابتدأها ابنا الحاخام هاناسي، وتابعهم آخرون

---

(١) عن التلمود: تاريخه وتعاليمه. ظفر الإسلام خان. دار النفائس ـ بيروت. الطبعة السادسة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (١٢ـ ١٣).

في هذه المهمة عرفوا باسم «أمورائيم». ولهذا فإن كلمة جمارا تعني الإكمال.

وثم نوعان من الجمارا: جمارا أورشليم، أو فلسطين، صنف في حدود ٤٠٠م وقيل ٣٢٠م، وجمارا بابل، صنف في حدود ٥٠٠م، نسبة إلى موطن الشرَّاح من الحاخامات. فمن ثم تنوع «التلمود» إلى: تلمود أورشليم وتلمود بابل.

ويزعم اليهود أن أصل التلمود هي «الوصية» المذكورة في سفر الخروج: (وقال الرب لموسى: اصعد إليَّ إلى الجبل، وأقم هنا حتى أعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم) ٢٤/ ١٢[(١)] بحسبان أن لوحي الحجارة هما ما يتضمن الوصايا العشر، والشريعة هي التوراة المكتوبة، والوصية هي المشناه وذلك مصداق قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويصفه السموأل بن يحيى: (وأما التلمود، فهو الكتاب الأكبر، ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرته. ولم يكن الفقهاء الذين ألَّفوه في عصرٍ واحد، وإنما ألَّفوه في جيل بعد جيل)[(٢)]. أما الطبعات الحديثة التي ظهرت في هذا القرن ما بين عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٥٢م فقد بلغت خمسة وثلاثين مجلداً[(٣)].

(١) العهد القديم: (١٩٤ ـ ١٩٥)، وجاء في التلمود. تاريخه وتعاليمه: (قد أعطى الله الشريعة على طور سيناء، وهي التوراة والمشنا والجمارا، ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفهياً). عن الكنز المرصود في قواعد التلمود: ترجمة كتابَيْ: اليهودي على حسب التلمود د. روهلنج، تاريخ سوريا لسنة ١٨٤٠م. شارل لوران. ترجمة د. يوسف نصر الله. دار القلم ـ دمشق، دارة العلوم ـ بيروت. طبعة دار القلم الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م). (٥١).

(٢) إفحام اليهود: (١٦٢).

(٣) التوراة تاريخها وغاياتها: (٨٢).

وقد أضفى أحبار السوء من الحاخامات على «التلمود» هالة من القداسة والتبجيل ليعظمه البلْه من بني إسرائيل، وبالغوا في وصفه وإطرائه وصونه. فمن مأثوراتهم:

■ (إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشنا فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة.

■ من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى.

■ إن التوراة أشبه بالماء، والمشنا أشبه بالنبيذ، والجمارا أشبه بالنبيذ العطري. والإنسان لا يستغني عن الثلاثة كتب المذكورة، كما أنه لا يستغني عن الثلاثة أصناف السالف ذكرها)[١].

تلك نظرة شاملة على مصادر الديانة اليهودية، وكتبها المقدسة لديهم، تكشف بوضوح عن انقطاع السند بين اليهودية وملة إبراهيم، وطروء زيادات خطيرة، وحصول تحريفٍ، وكتمان لما أنزل الله، أنتج ديانة محرفة، لا تستقيم وقانون الإسلام العام في شقيها العقدي والتشريعي على نحو ما سنوضحه في الصفحات التالية:

العقائد اليهودية:

(١) في باب الإيمان بالله:

بالرغم مما بقي في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، والمعدودة عندهم توراة، من التأكيد على التوحيد، ونبذ الوثنية والشرك، فقد حفل العهد القديم والتلمود بأنواع الكفر والشرك في

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود: (٥٠ ـ ٥١).

الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، مما تقشعر منه الأبدان، ولا يصدر من أهل إيمان، ومن شواهد ذلك:

□ **فِرية الرؤية في الدنيا**: جاء في سفر الخروج: (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، فرأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنع بلاط سفير أشبه بالسماء نفسها نقاءً. وعلى أعيان بني إسرائيل هؤلاء لم يمد يده، فرأوا الله وأكلوا وشربوا) ٢٤/ ٩ ـ ١١[١]. وفي سفر العدد يَرِد تَشَفُّع من موسى، وهو يناجي الله قائلاً ـ حسب زعمهم ـ: (... إنك يا رب، في وسط هذا الشعب الذي تراءيت له، يا رب، وجهاً لوجه، وأن غمامك مقيم فوقهم، وأنك سائر أمامهم بعمود غمام نهاراً، وبعمود نار ليلاً) ١٤/ ١٤ ـ ١٥[٢].

وهذا مما افتروه على الله. فإذا كان موسى ﷺ قد سأل الرؤية فلم ينلها في الدنيا، فكيف بهؤلاء الذين شرطوها على موسى لقاء إيمانهم، فأخذتهم الصاعقة. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة].

□ **فِرية وصفه تعالى ـ بالندم ـ**: جاء في سفر التكوين: (فندم الرب على أنه صنع الإنسان على الأرض، وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقت، الإنسان مع البهائم والزحافات وطيور السماء، لأني ندمت على أني صنعتهم) ٦/ ٦ ـ ٧[٣].

---

(١) العهد القديم: (١٩٤).

(٢) العهد القديم: (٣٠٨).

(٣) العهد القديم: (٧٧ ـ ٧٨).

وفي سفر الخروج: (فعدل الرب عن الإساءة التي قال إنه ينزلها بشعبه) ٣٢/ ١٤[١]. ويرى السموأل بن يحيى أن المترجم حرف اللفظ، وصوابه: فندم[٢].

وفي سفر صموئيل الأول: (إني قد ندمت على إقامتي شاول ملكاً) ١٥/ ١١[٣] فسبحان العليم الحكيم.

أما التلمود فيغرق كاتبه في الإسفاف والتفريط في جنب الله، فيقول: (يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة، حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان، فتحصل الزلازل)[٤]. فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم.

□ **فِرية وصفه ـ تعالى ـ بالتعب:** جاء في سفر التكوين: (وانتهى الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله، واستراح في اليوم السابع) ٢/ ٢[٥]. وقد أكذبهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق].

□ **فِرية وصفه ـ تعالى ـ بالنوم والغفلة:** حكى السموأل بن يحيى أن اليهود يقولون في العشر الأُول من كل سنة، في صلاتهم دعاءً بشعاً معتدىً فيه: (لِمَ تقول الأمم: أين إلاههم؟ انتبه! لِمَ تنام يا رب، استيقظ من رقدتك) ثم علق قائلاً: (وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار، وانتظار فرجٍ

(١) العهد القديم: (٢٠٩).
(٢) إفحام اليهود: (١٣٣). ويرى كَلَلهُ أن متأخريهم هذبوا بعض الألفاظ بما استفادوه من توحيد المسلمين: (١٣٢).
(٣) العهد القديم: (٥٤٩).
(٤) الكنز المرصود: (٥٦).
(٥) العهد القديم: (٧٠).

لا يزداد عنهم إلا بعداً)[١]. فسبحان من ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٢) في باب أنبياء الله:

إذا كان القدح وسوء الأدب والجرأة في كتب اليهود قد بلغت جناب الله سبحانه وتعالى، فلا غرو أن تطال أذيتها رسله الكرام، ومصطفَيه الأخيار، عليهم صلواته سبحانه. ومن شواهد ذلك:

□ **نوحٌ** عليه السلام: جاء في سفر التكوين: (وابتدأ نوحٌ حارث الأرض يغرس الكَرم، وشرب من الخمر، فسكر، وتكشف في داخل خيمته) ٩/ ٢٠ ـ ٢١[٢]. وصدق الله، وكذبت يهود: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء].

□ **إبراهيم** عليه السلام يصوره سفر التكوين باذلاً عرض زوجته سارة لرؤساء الفراعنة حين قدومه مصر، لتحقيق مطامع دنيوية: (فلما قارب أن يدخل مصر، قال لساراي امرأته: أنا أعلم أنك امرأة جميلة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني، ويبقونك على قيد الحياة. فقولي: أنك أختي حتى يُحسن إلي بسببك وتحيا نفسي بفضلك... فأحسن إلى أبرام بسببها، فصار له غنم وبقر وحمير وخدام وخادمات وحمائر وجمال) ١٢/ ١١ ـ ١٧ كل هذا وامرأته في بيت فرعون[٣].

---

(١) إفحام اليهود: (١٣١).
(٢) العهد القديم: (٨٢).
(٣) العهد القديم: (٨٦ ـ ٨٧). وأصل القصة ثابت في صحيح البخاري: (بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هذا الرجل معه امرأة من أحسن النساء فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري=

فحاشا نبي الله الذي ألقي في النار في ذات الله، أن يتجر بعرضه، وأن يرضى السوء في أهله.

□ **إسماعيل** عليه السلام: لعل بشارة الملك لهاجر في البرية بتكثير نسل ابنها قد أغاظ كتبة سفر التكوين، فنفثوا فيه من حَر غيظهم هذه الجملة: (ويكون حماراً وحشياً بشرياً) ١٦/ ١٢[١]. وهي عبارة نشاز لا تتفق مع سياق البشارة.

□ **لوط** عليه السلام وأهل بيته المؤمنون: يقلب كاتب سفر التكوين الحقائق في شأن أهل هذا البيت، فلا يقدح بكلمة واحدة في امرأة لوط الخائنة لزوجها في دينه وضيافته، بل يجعلها مشمولة أصلاً بالنجاة، فيقول عن الملكين حين أمرا لوطاً بالخروج من قرية «سدوم»: (فأمسك الرجلان بيده، وبيد امرأته وابنتيه، لشفقة الرب عليه، وأخرجاه، ووضعاه خارج المدينة ١٩/ ١٥ ـ ١٦[٢]. والواقع أنها تبعتهم لما أحست بالخطر. ولهذا لا يكاد يذكر في القرآن إنجاء الله للوط عليه السلام وأهل بيته إلا مقروناً باستثناء امرأته. وبالمقابل فإن سفر

= وغيرك: وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني. فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب ليتناولها بيده فأخذ. فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله فأُطلق. ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأُطلق. فدعا بعض حجبته فقال: إنك لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني بشيطان. فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيم؟ قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر) (٤/ ١١٢). فهذا السياق النبوي المعصوم للقصة، يكشف عن حال إبراهيم عليه السلام في هذه المحنة التي ألمت به وزوجه، وأنه فزع إلى الصلاة. ولم يشتغل باستثمار الحمير والجمال مستغلاً حظوة زوجته الجميلة كما يصور سفر التكوين. وانظر فتح الباري: (٦/ ٢٧٨).

(١) العهد القديم: (٩١).

(٢) العهد القديم: (٩٥).

التكوين يصور لوطاً الذي وصفه الله بقوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤]، ووصف أهل بيته ـ سوى امرأته ـ بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات]، بصورة هابطة: (وصعد لوط من صُوعَر، وأقام في الجبل هو وابنتاه معه. لأنه خاف أن يقيم في صوعر. فأقام في مغارة هو وابنتاه. فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها. تعالي نسقي أبانا خمراً، ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً هذه الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباها، ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى: ها أنذا قد ضاجعت أمس أبي، فلنسقه خمراً في تلك الليلة أيضاً. وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغرى فضاجعته، ولم يعلم بنيامها ولا قيامها، فحملت ابنتا لوط من أبيهما) ١٩/ ٣٠ ـ ٣٦[1]. فهذه وقيعة الذين يفترون على الكذب، ويؤذون أنبياءه، وقد شهد لآل لوط خصومهم فقالوا: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢، والنمل: ٥٦].

□ **موسى** عليه السلام: لم يسلم من أذاهم مع ما أجرى الله على يديه من إنجائهم من آل فرعون، وقيادتهم وتعليمهم، حتى إنه عاتبهم على ذلك فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥]، أي وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم.

ومن جملة ما سجله سفر الخروج من أذيتهم إياه: (فتذمر الشعب على موسى. وقال: ماذا نشرب؟) ١٥/ ٢٤[2]، (فتذمرت جماعة بني إسرائيل كلها على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو إسرائيل:

(١) العهد القديم: (٩٦).
(٢) العهد القديم: (١٧٩).

ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، حيث كنا نجلس عند قدر اللحم، ونأكل من الطعام شِبعنا، في حين أنكما أخرجتمانا إلى هذه البرية لتميتا هذا الجمهور كله بالجوع) ١٦/ ٢ ـ ٣[١]، (فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أصنع إلى هذا الشعب؟ قليلاً ويرجمني) ١٧/ ٤[٢].

وفي سفر العدد: (وتكلَّم الشعب على الله وعلى موسى، وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لنموت في البرية؟ فإنه ليس لنا خبز ولا ماء. وقد سئمت نفوسنا هذا الطعام الزهيد) ٢١/ ٥[٣].

فلذلك نهى الله هذه الأمة المحمدية عن سلوك سبيل هؤلاء المعتدين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾﴾[٤] [الأحزاب].

□ **هارون** عليه السلام: نسب سفر الخروج إلى هارون عليه السلام الضلوع في صناعة العجل الذهبي، والتهيئة لعبادته، استجابة لطلب مشركي قومه: (ورأى الشعب أن موسى قد تأخر في النزول من الجبل. فاجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا. فإن موسى، ذلك الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا حلقات الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم، وأتوني بها. فنزع كل الشعب حلقات الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها هارون فأخذها وصبها في قالب، وصنعها عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما رأى هارون ذلك، بنى مذبحاً أمام العجل، ونادى قائلاً: غداً عيدٌ

(١) العهد القديم: (١٧٩ ـ ١٨٠).
(٢) العهد القديم: (١٨١).
(٣) العهد القديم: (٣٢١).
(٤) انظر في بيان معنى الأذى جامع البيان: (٢٢/ ٥٠ ـ ٥٣)، تفسير القرآن العظيم: (٦/ ٤٨٤ ـ ٤٨٧).

للرب. فبكروا في الغد، وأصعدوا مُحرقات، وقربوا ذبائح سَلامِية، وجلس الشعب يأكل ويشرب، ثم قام يلعب) ٣٢/٢ ـ ٦[1].

فالحمد لله الذي برأ نبيه في القرآن من بهتان الذين كفروا وظلموا، فقال: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ [طه]. وإنما صنعه سلفهم السامري. وقد أشربوا في قلوبهم حب العجل، والشرك بالله تعالى، فلم يزل يعاودهم الحنين إلى عبادة الأوثان، حتى عبدوها في أزمنة لاحقة، كما شهد عليهم سفر القضاة: (وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب، وعبدوا البعل والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة مؤاب وآلهة بني عمّون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب، ولم يعبدوه) ١٠/٦[2].

□ داود ﷺ: يصمه سفر صموئيل الثاني بوصمة شنيعة، وعمل منحط لا يصدر إلا من أعتى المجرمين، وأدنى الخونة، حيث زعم أنه زنى بزوجة أحد جنوده المجاهدين المخلصين «أوريا»، وتعمد إرساله إلى أخطر جبهات القتال، وحمَّله كتاباً فيه: (ضعوا أوريا حيث يكون القتال شديداً، وانصرفوا من ورائه، فيضرب ويموت)[3] ١١/ ١٥ كل ذلك ليستأثر بها! حاشا نبي الله، وخليفته في الأرض، عن اتباع الهوى، وهو الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص]، ووصف ملكه وحكمه بقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص] فهل تستقيم هذه الشهادة الصادقة العادلة مع ما تتنزل به الشياطين على كل أفاكٍ أثيم للنيل من نبي مبرأ كريم؟!.

فالحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

---

(١) العهد القديم: (٢٠٨).
(٢) العهد القديم: (٤٨٩ ـ ٤٩٠).
(٣) العهد القديم: (٤٩٠).

□ **عيسى** عليه السلام وأمه رضي الله عنها: بعث عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف]، فما صدقوا رسالته، ولا قبلوا بشارته، بل وصموه بأبشع الألقاب، وقذفوا أمه العذراء البتول بأقذع السباب، وسعوا في أذيته وقتله. ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٧]. ومما جاء في تلمودهم: (إن يسوع الناصري موجودٌ في لجّات الجحيم بين الزفت والنار. وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنى)[١]، وجاء وصفه فيه عليه السلام بأنه «ساحر» و«مجنون» و«كافر لا يعرف الله» و«تمثال» و«مرتد» و«تعاليمه كفر»[٢]، وأنه (ولد يوسف النجار سفاحاً)[٣].

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

(٣) في باب الإيمان باليوم الآخر:

مع كون الإيمان باليوم الآخر من أسس الإسلام الذي بعث الله به الرسل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة]، إلا إن ذكره في العهد القديم نادرٌ جداً، لا يتناسب مع أهميته العقدية في ترتيب الثواب والعقاب على الأعمال والشرائع التي تطفح بها كتبهم الدينية. وربما كان أوضح نصٍ يشير إلى البعث والجزاء والحساب الأخروي ما ورد

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود. المقدمة: (٢٧).
(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود: (١٠٥ ـ ١٠٦).
(٣) إفحام اليهود: (١٠٣).

في سفر دانيال، وهو من الأسفار التي وضعت في وقت متأخر[١]: (وكثير من الراقدين في أرض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية، وبعضهم للعار والرذل الأبدي. ويضيء العقلاء كضياء الجَلَد، والذين جعلوا كثيراً من الناس أبراراً كالكواكب أبد الدهور) ١٢/٢ ـ ٤[٢].

وقد حدا هذا ببعض الحركات اليهودية الحديثة (الحركة الإصلاحية) إلى عقد مؤتمر في مدينة «فيلادلفيا» الأمريكية عام ١٨٦٩م، ثم في مدينة «بيتسبرج» تضمن كلاهما توصية صريحة بـ: (إنكار نظرية بعث الجسد... مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح، ينكر المؤتمر المبدأ القائل ببعث الأجساد، وبالعذاب بعد الموت)[٣].

وقد أغرب بعض الكتاب المعاصرين حين زعم أن هذا القدر الضئيل من الإشارة إلى البعث والحياة الآخرة اقتبسه اليهود من الفرس، وأنه لا أصل له في ديانتهم[٤].

والحق أن الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان الذي جاءت به رسل الله قاطبة، ولهذا وعظ سحرة فرعون لما آمنوا، فرعون فقالوا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه] وهم حديثو عهدٍ بكفر،

---

(١) انظر «مدخل» للتعريف بسفر دانيال في العهد القديم: (١٨٥٢)، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٢٨).

(٢) العهد القديم: (١٨٨٥ ـ ١٨٨٦).

(٣) عن: الملل المعاصرة في الدين اليهودي. د. إسماعيل راجي الفاروقي. مكتبة هبة ـ القاهرة. الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م). (٥٥، ٥٦).

(٤) انظر مثلاً: اليهودية أحمد شلبي: (١٩٥)، اليهود تاريخ وعقيدة: (١٦٧)، قصة العقائد. سليمان مظهر: (٣١٨).

فدل ذلك على أن الإيمان بالبعث من أشهر ما جاء به موسى عليه السلام[١].

أما السبب الحقيقي لندرة ذكر البعث واليوم الآخر في كتبهم الدينية، فلعلمهم بما أعد الله لهم من العقوبة، فهم ينفرون من ذكره، ويطمسون مواضعه. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة].

الشريعة اليهودية:

كما رغبت اليهودية عن ملة إبراهيم في الإيمان والاعتقاد، رغبت عنها كذلك في الأحكام والشرائع. فإن ملة إبراهيم عليه السلام مبنيةٌ على رفع الحرج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[٢] [الحج: ٧٨]، موسومة بموافقة الفطرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[٣] [البقرة: ١٢٤]. أما الشريعة اليهودية فقد آلت إلى جملة من الأغلال والآصار المضروبة على رقاب اليهود، بعضها عقوبة من الله، بسبب معاصيهم وتفريطهم في جنب الله، وبعضها من وضع أحبارهم وحاخاميهم.

فأما الصنف الأول، فدل عليه قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون: (٥/ ٣٠٥).

(٢) قال ابن جرير رحمه الله: (نصب ملةَ، بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه عليكم كملة أبيكم) جامع البيان: (١٧/ ٢٠٧).

(٣) ذهب جمع من المفسرين إلى أن المراد بهؤلاء الكلمات خصال الفطرة. والصحيح أن خصال الفطرة من هؤلاء الكلمات. انظر جامع البيان: (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٨).

هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام]. وقد كان حال بني إسرائيل قبل ذلك على البراءة الأصلية، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقد فتح الله لهم باب الفرج، لو أنهم ولجوه، مرتين؛ حين جاءهم عيسى عليه السلام بالتخفيف ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، ثم حين جاءهم محمد ﷺ المنعوت لهم بجملة أوصاف منها: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وأما الصنف الثاني، فمما شددوا به على أنفسهم، في باب الذبائح والأطعمة وغيرها (مما ليس له أصل عن موسى ولا هو في التوراة، وإنما هو من أوضاع الحاخاميم وآرائهم)[١]. ونقتطف جملة من قوانينهم المعقدة التي يسمونها «هالاخاه شوخيطا» أي علم الذبائح: (لا بد من غسل الأطباق والحلل والسكاكين والملاعق مع الصلاة عليها. وهم لا يجيزون أكل اللحم والأسماك معاً، لاعتقادهم أن ذلك يؤدي إلى البرص. كما لا يجيزون الجمع بين اللحم والحليب ومشتقاته. ويحرم طبخ اللحم في السمن أو الزبد، بل يجب أن تطبخ في زيوت نباتية. كما يحرم وضع اللحم في إناءٍ كان قد وضع فيه لبن أو جبن من قبل أو أن تستعمل سكين واحدة في تقطيع اللحوم والجبن وما إليه. ولذلك يتعين على اليهودي الأكل بأوانٍ تخصص للحوم فقط

(١) إغاثة اللهفان: (٢/٤٤٩).

توضع في مكان، وأخرى للألبان ومشتقاتها وتوضع في مكان آخر... ولا يجوز أن يقوم بعملية الذبح إلا رجل دين يسمى «شوحيط» يتقن الذبح بالطريقة الشرعية. فإن لمس الحيوان أو الطير أثناء ذبحها أو قبل أن يصفي دمها غير رجل الدين المسؤول تصبح الذبيحة محرمة... ولا يجوز للذابح أن يذبح إلا بعد حصوله على ترخيص من حاخام... ويجب أن يكون نصل السكين ضعف زور الطائر أو الحيوان المراد ذبحه... ثم يمر بالسكين مرة واحدة وباتجاهٍ واحد على عنق الحيوان وإلا كان الأكل محرماً، وإن ضغط الذابح بالسكين على الزور، كما لو أنه يقطع شيئاً ما أو كمن يضرب بسيفٍ حرمت الذبيحة. وإذا غطى الريش أو الشعر السكين فالذبيحة محرمة)(١).

ومن صور هذا التشديد الذي ابتدعه حاخاماتهم ما حكاه السموأل بن يحيى: (أنهم أمروهم بأن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواءً، ويتأملوها حتى يخرج الهواء من ثقب منها أم لا؟ فإن خرج منها الهواء حرّموه. وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه.

وأيضاً فإنهم أمروا الذي قَدَّ الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة، ويتأمل بأصبعه فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة، حرّموه ولم يأكلوه، وسموه «طريفاً» ويعنون بذلك أنه نجس)(٢).

ويرجع السموأل بن يحيى الأمر في تشديدهم الإصر على أنفسهم إلى سببين:

---

(١) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود: غازي السعدي. دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. عمّان ـ الأردن. الطبعة الأولى ١٩٩٤م. (٦٥ ـ ٦٦).

(٢) إفحام اليهود: (١٦٦).

أحدهما: (أن الحاخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم، وضيقوا عليها المعيشة، والإصر، فقصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم، فيؤدي اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم.

والسبب الثاني في تضييق الإصر عليهم، أن اليهود مبددون في شرق البلاد وغربها. فما من جماعةٍ منهم في بلدةٍ إلا إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلادٍ بعيدة، يظهر لهم الخشونة في دينه، والمبالغة في التورع والاحتياط. فإن كان من المتفقهة، فهو يشرع في إنكار أشياء عليهم ويوهمهم التنزه عما هم فيه وينسبهم إلى قلة الدين، وينسب ما ينكره عليهم إلى مشائخه وأهل بلده، ويكون في أكثر ذلك الإسناد كاذباً... فأما إن كان القادم، أحد أحبار اليهود وعلمائهم فهنالك ترى العجب من الناموس الذي يعتمده، والسنن التي يحدثها ويلحقها بالفرائض، ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه، فتراهم مستسلمين إليه، وهو يحتلب درَّهم ويجتلب ـ بحيله ـ درهمهم)[1].

فصدق الله العليم بحالهم ومآلهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

(١) إفحام اليهود: (١٧٥، ١٧٧).

النصرانية

بعث الله عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحاً منه، عيسى عليه السلام، إلى بني إسرائيل الذي طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، آيةً للناس ورحمةً منه، مسبوقاً بالبشارات النبوية والملائكية؛ فقد تقدمه يحيى بن زكريا عليه السلام ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]. وقالت الملائكة لأمه مريم بنت عمران: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران]. ورافق مولده من خوارق العادات، والخروج عن المألوفات؛ بكونه من أم بلا أب، وتكليمه الناس في المهد، ما يوجب أن يهز العقول البليدة، ويلين القلوب القاسية، ويلفت الأنظار والأفكار إلى ما جاء بـــه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم].

وحين شرع في دعوة بني إسرائيل، أيده الله بروح القدس، فأجرى على يديه الآيات العظام التي لا يعرض عنها إلا مفتون مطموس: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران].

أما مضمون دعوته ورسالته، فكما قيل للرسل من قبله، عبادة الله وتوحيده:

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزخرف]. وكانت رسالته عليه السلام موجهةً إلى بني إسرائيل خاصة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [الصف: ٦]، ومن أغراضها التخفيف عليهم: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وقد آتاه الله كتاباً من أعظم كتبه، وهو الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة]. وكانت رسالته عليه السلام حلقة وصل بين الرسالات السماوية السابقة واللاحقة: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(١) [الصف: ٦].

ومع ما احتف بحمله ووضعه ومهده من آيات، وما أُيدت به رسالته بعد ذلك من معجزات، فإنه بشرٌ خالص البشرية، مخلوقٌ كما خلق آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، وتلحقه صفات البشرية: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]. وكما كانت ولادته آية، كانت وفاته الأولى آية:

---

(١) ولهذا قال نبينا ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي) رواه مسلم: (٤/١٨٣٧).

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء]. ثم إن له جولة أخرى على الأرض قبل موته كما أقسم على ذلك نبينا محمد ﷺ، فيما رواه أبو هريرة: (والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)[1]. ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم].

مواقف الناس من عيسى ابن مريم عليه السلام ورسالته:

انقسم الناس تجاه عبد الله ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه، عيسى عليه السلام، ثلاثة أقسام:

• **قسم كفر به**، وهم عتاة اليهود، وعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالبهتان العظيم وسعوا في ذمه لدى الحكام الرومان، وراموا صلبه: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ [النساء].

• **وقسمٌ آمن به وصدَّقه** وناصره ودعا إلى دينه وشريعته، واحتمل الأذى الفظيع في سبيل ذلك، وهم الحواريون ومن تابعهم: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران].

فكانت نتيجة دعوته: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ

---

(١) رواه مسلم: (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦). ويقع له عليه السلام في نزوله هذا أحداثٌ عظام من قتل الدجال واجتماع المؤمنين إليه بعد فتح يأجوج ومأجوج، وحجه وعمرته مما صحت به السنة.

فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ [الصف] ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ(١) ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران].

٣ ـ **وقسم غلا فيه**، ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، وهي العبودية والرسالة، وبالغ في إطرائه، حتى خرج به من وصف البشرية إلى مرتبة الألوهية ـ والعياذ بالله ـ إما انبهاراً بما أجراه الله على يديه من الآيات المعجزات، وإما دسيسة من اليهود الكافرين الحاقدين ليفسدوا دين النصارى، كما وقع من شاول «بولس» وأشياعه من الغلو

---

(١) للمفسرين في المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ قولان:
أحدهما: المؤمنون به حقاً من النصارى، ثم المسلمون من هذه الأمة. قال ابن جرير: (الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الإسلام وفطرته، فوق الذين جحدوا نبوتك، وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل فكذبوا بما جئت به، وصدوا عن الإقرار به. فمصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم). جامع البيان (٣/ ٢٩٢). وقال الشوكاني: (أي اتبعوا ما جئت به. وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلهاً. ومنهم المسلمون، فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى ﷺ ووصفوه بما يستحقه من دون غلو... وقد ذهب إلى هذا كثير من أهل العلم) فتح القدير (١/ ٣٤٥).
الثاني: إنهم النصارى من حيث الجملة، فوق اليهود. قال ابن جرير: (وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود) جامع البيان (٣/ ٢٩٣). وقال ابن كثير بعد ذكر تفرق النصارى، وظهور الملك قسطنطين: (وهم في هذا كله قاهرون لليهود، أيدهم الله عليهم لأنهم أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفار عليهم لعائن الله) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٨). وللشوكاني في هذا رسالة بعنوان: (وبل الغمامة في تفسير: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾).

كما سيأتي. قال ابن كثير رحمه الله: (إن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده؛ فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته. ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة: وقد حكى الله مقالتهم في القرآن، ورد على كل فريق فاستمروا كذلك قريباً من ثلاثمائة سنة)[١].

حال النصارى بعد رفع المسيح:

لا ريب أن حواريي المسيح عليه السلام، ومن تبعهم بإحسان قد ساروا على سنن المرسلين، من توحيد رب العالمين، والعمل بشريعته المبلغة بالإنجيل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧]. ولكن المصادر الدينية التي تؤرخ لتلك الحقبة المهمة قد صيغت وللأسف وفق اعتقاد ضُلَّال النصارى، السائد اليوم. ومع ذلك فإنها تشير إلى وجود جماعة واحدة من كبار تلاميذ المسيح وأقربائه ملتزمة بالشريعة اليهودية، معظمةً للناموس الذي جاء به موسى عليه السلام، ولا تعزل نفسها عن أداء العبادات والصلوات في الهيكل كسائر بني إسرائيل، لكنها تؤمن بالمسيح عليه السلام، وتدعو إلى دينه في أوساط اليهود خاصةً دون سائر الأمم، وتلقت في سبيل هذا التميز صنوف الاضطهاد النفسي والبدني من رؤساء الكهنة اليهود.

ومن أقدم المصادر التي تصف حال الحواريين بعد رفع المسيح سفر «أعمال الرسل»[٢] وقد جاء فيه: (وكانوا يواظبون على تعليم

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٤٧).

(٢) يُظن أن كاتب هذا السفر هو «لوقا» صاحب أحد الأناجيل الأربعة. انظر: مدخل إلى أعمال الرسل العهد الجديد: دار المشرق ـ بيروت. توزيع: المكتبة الشرقية. جمعيات الكتاب المقدس في المشرق ـ بيروت. الطبعة الثالثة. (٣٧٢).

الرسل، والمشاركة، وكسْر الخبز، والصلوات... وكان جميع الذين آمنوا جماعةً واحدة، يجعلون كل شيءٍ مشتركاً بينهم، يبيعون أملاكهم وأموالهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم. يلازمون الهيكل كل يومٍ بقلبٍ واحد... وكان الرب كل يوم يضم إلى الجماعة أولئك الذين ينالون الخلاص) ٢/ ٤٢ ـ ٤٧[1].

ويضم ذلك السفر ذكر حكايات وكرامات جرت لـ«الرسل»[2]، تشابه آيات عيسى ﷺ من إحياء الموتى، وشفاء المرضى بإذن الله، كما يضم ذكر عظات لبني إسرائيل، على لسان بطرس، أكبر الحواريين، وقد نَدَّت في أحدها الجملة التالية:

(إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا، قد مجَّد عبده «يسوع» الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام بيلاطس) ٣/ ١٣. مما أحوج المُحَشِّي أن يثبت التعليق التالي: (قد يكون هذا اللقب لقباً طقسياً... يتفرد به سفر أعمال الرسل... ولا شك أنه قديم)[3] وتكرر هذا التعبير في هذا السفر، في موضعين آخرين: (على عبدك القدوس يسوع الذي مسحته) ٤/ ٢٧[4]، (ليجري الشفاء والآيات والأعاجيب باسم عبدك القدوس يسوع) ٤/ ٣٠[5]، مما يدل على صفاء العقيدة عند أوائل النصارى، وإن حاول مشركوهم طمسها.

ولعل أول خلافٍ نشأ بين أتباع المسيح ﷺ، ليس حول شخص

(١) العهد الجديد: (٣٨٠).

(٢) مصطلح «الرسل» عند النصارى يعني تلاميذ المسيح الاثني عشر، بعد الاستعاضة عن يهوذا الإسخريوطي، الخائن، بـ«مِتّيا» بطريق القرعة. انظر: أعمال الرسل: (١/ ٢١ ـ ٢٦). العهد الجديد: (٣٧٦).

(٣) العهد الجديد: (٣٨١).

(٤) العهد الجديد: (٣٨٥).

(٥) العهد الجديد: (٣٨٥).

المسيح وطبيعته، وإنما حول دعوة الأمم من غير اليهود، والآثار المترتبة على ذلك. فينسب سفر أعمال الرسل إلى بطرس رؤيا أو «جذب»، أوَّلها على مشروعية تعميد الوثنيين، وقبولهم مؤمنين بالمسيح ولو لم يكونوا يهوداً، فاستنكر أصحابه ذلك: (وسمع الرسل والإخوة في اليهودية أن الوثنيين هم أيضاً قبلوا كلمة الله. فلما صعد بطرس إلى أورشليم، أخذ المختونون[1] يخاصمونه. قالوا: لقد دخلت إلى أناس قلف وأكلت معهم) ١١/١ ـ ٣[2]. وتكرر الموقف مع بعض المؤمنين الفارين إلى الأمصار من اضطهاد اليهود، فكانوا (لا يكلمون أحداً بكلمة الله إلا اليهود... فلما قدموا أنطاكية أخذوا يكلمون اليونانيين أيضاً) ١١/١٩ ـ ٢٠[3]. وحين قدمها بولس وبرنابا، ووُجها بشغب اليهود قالا بجرأة: (إليكم أولاً كان يجب أن تُبَلَّغ كلمة الله. أما وأنتم ترفضونها، ولا ترون أنفسكم أهلاً للحياة الأبدية، فإننا نتوجه الآن إلى الوثنيين) ١٣/٤٦[4]. وترتب على هذا التوسع في الدعوة مشكلة تطبيقية في حق المهتدين من الوثنيين: (ونزل أناسٌ من اليهودية، وأخذوا يلقنون الإخوة فيقولون: إذا لم تختتنوا على سنة موسى، لا تستطيعون أن تنالوا الخلاص. فوقَع بينهم وبين بولس وبرنابا خلافٌ وجدال شديد. فعزموا على أن يصعد بولس وبرنابا، وأناس منهم آخرون إلى أورشليم حيث الرسل والشيوخ للنظر في هذا الخلاف) ١٥/١ ـ ٢[5].

وكان أن عقد أول مجمع نصراني لمناقشة وضع المؤمنين من غير

---

(١) المقصود بهم النصارى الذين يعتقدون لزوم العمل بشريعة موسى، ومنها الختان.

(٢) العهد الجديد: (٤٠٤).

(٣) العهد الجديد: (٤٠٥).

(٤) العهد الجديد: (٤١٢).

(٥) العهد الجديد: (٤١٤ ـ ٤١٥).

اليهود، تمخض عن القرار التالي: (قد حسن لدى الروح القدس، ولدينا ألا يلقى عليكم من الأعباء سوى ما لا بد منه. وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنا. فإذا احترستم منها تحسنوا عملاً عافاكم الله) ١٥/٢٨ ـ ٢٩[١].

فإن صح النقل فهذه أول بادرة لهجر الشريعة وقعت من النصارى، وما زالت تتفاقم حتى تحللوا من جميع الشرائع، وكان ذلك من أعظم أسباب تفرقهم وعداوتهم وضلالهم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [المائدة: ١٤].

إن مؤرخي النصرانية يمنحون لمن يسمونهم «الرسل» ومن دونهم مزايا تشريعية لا تنبغي إلا لله سبحانه، بدعوى متهافتة، وهي إلهام الروح القدس[٢]، ومن ثم يسوغون لأسلافهم إحداث تعديلات في صلب الدين. يقول الأرثذوكسي الروسي أفغراف سميرنوف: (لم يكن اليهود المؤمنون بالمسيح يتميزون كثيراً في البداية عن الكنيسة اليهودية العامة. فكانوا يجتمعون للصلاة... في هيكل أورشليم، ويقدمون فيه تقادم، وبالإجمال يتممون كل ناموس الطقس الموسوي. وبما أنهم نشأوا على احترام الناموس الموسوي، فما استطاعوا بسرعة أن يكوِّنوا لذاتهم فكرةً بأن ناموس الطقوس كان ظلاً فقط للخيرات المقبلة، وصار بمجيء المسيح لا لزوم له. وكثيرون منهم كانوا يؤكدون بأنه من الواجب أن يحفظ في المسيحية أيضاً. وتحت تأثير الفكرة اليهودية

---

(١) العهد الجديد: (٤١٧).

(٢) أبطل الشيخ رحمة الله الهندي هذه الدعوة من سبعة عشر وجهاً. انظر: إظهار الحق: الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني. تحقيق: محمد أحمد ملكاوي. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ. (٢/ ٣٥٣ ـ ٤٥٢).

القديمة بأن وعود الله بـ«مسيا» ومملكته تختص بالشعب اليهودي وحده، فكثيرون من المؤمنين من اليهود كانوا يؤكدون بأن اليهود وحدهم يجب أن يدخلوا في الكنيسة المسيحية. ولكي يصير قبول الوثنيين في الكنيسة، يجب عليهم أن يصيروا أولاً يهوداً، أعني يقبلوا الختان، ويتمموا كل ناموس الطقوس الموسوي... إن بدء التبشير بين الوثنيين ينسب إلى بدء السنة الأربعين بعد ميلاد المسيح)[١].

ولا شك أن هؤلاء اليهود المؤمنين بالمسيح عليه السلام هم أنصاره إلى الله وحواريوه، وإن كانت كتابات ضُلّال النصارى تبخسهم منزلتهم، وتغمطهم حقهم، وسبقهم، وتحاول إقصاءهم، مع علمهم التام بأنهم كبار تلامذة المسيح وحواريوه، مثل بطرس، وينبزونهم بألقاب التنقص مثل: «أساقفة الختان»، و«المسيحيين اليهود».

ولا شك أيضاً أن هؤلاء هم حفظة الإنجيل الحقيقي المتضمن للهدى والنور والموعظة، فإلامَ آل أمرهم، ومن ثم أمر دين المسيح؟.

يقول الأمير الحسن بن طلال في تعريفه بالمسيحية ـ حسب تعبيره ـ: (ومن بعد يسوع، عمد هؤلاء الأتباع: «العبريون» أي الإسرائيليون، وهم الذين عُرفوا باسم: «النصارى» باليونانية Nazarenoi إلى تنظيم أنفسهم في أورشليم كمذهبٍ خاص بقيادة يعقوب بن يوسف أحد إخوة يسوع الأربعة[٢]، ثم بقيادة آخرين من أقربائه باعتبارهم من

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية (٢٦). ألفه باللغة الروسية أفغراف سميرنوف. تعريب: الكسندروس جحا. مطرانية الروم الأرثذوكس بحمص ـ سوريا. طبعة ١٩٦٤م. وقد منحه المجمع المقدم الروسي جائزة، وحبذه ليكون كتاباً مدرسياً لطلبة الصفوف العالية ـ من المقدمة.

(٢) يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام هو ابن يوسف النجار، وإخوته هم: يعقوب ويوسي ويهوذا وسيعان. ويسمونهم «إخوة الرب» ـ تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً ـ انظر: إنجيل مرقس (٦/ ٣)، متى (١٢/ ٣٦) قورنتس الأولى (٩/ ٥).

نسل داود. فتوجس الرومان خيفةً من أن هؤلاء يطالبون بملك محلي، ولذلك قاموا باضطهادهم بين حين وآخر... وقدامى مؤرخي الكنيسة أسموا يعقوب بن يوسف وخلفاءه «أساقفة الختان»... لا لأنهم كانوا أنفسهم أيضاً مختونين، كونهم إسرائيليين، بل لأن الكنيسة التي قادوها كانت تعتبر نفسها جماعةً دينية إسرائيلية أصولية تعتز بتشددها في اتباع شريعة موسى، وفي جعل الختان ملزماً لجميع الذكور من سائر الأمم الذين يختارون اتباع مذهبهم. ولم يختلف مذهب هؤلاء «النصارى» عن اليهودية إلا قليلاً. وأهم اختلاف هو أن «النصارى» اعترفوا بيسوع الناصري مسيح الوعد، في حين أن اليهود لم يقروا بذلك. ولهذا أنكر اليهود على «النصارى» مذهبهم، وصنفوهم على أنهم «مينيم»؛ وهي لفظة عبرية تعني «منشقين» أو «هراطقة». أما بالنسبة إلى شريعة موسى فقد كان تمسك «النصارى» بتفاصيلها، بل على نحو أدق، بحذافيرها، كتمسك أكثر اليهود تشدداً. وهم، على التقائهم كأبناء «كنيسة» ـ باليونانية Ekklesia، أي «جماعة» لها مذهبها الخاص، استمروا يقيمون عباداتهم في كنيس اليهود حتى نحو ٨٠م، عندما منع اليهود جماعات «المينيم» من استعمال كنيسهم. وعندما أخرج الإمبراطور «هدريان» اليهود من أورشليم عام ١٣٥م، كان النصارى من جملة من أخرج من المدينة، على أساس أنهم ليسوا إلا فرقةً من فرق اليهود.

ومع جلاء «النصارى» عن أورشليم في ذلك العام انتهت سلالة «أساقفة الختان» فيها... وبانقضاء هذا المذهب ازدادت الفرص لانتشار المسيحية بدلاً من أن تتضاءل)[1].

---

(١) المسيحية في العالم العربي: الحسن بن طلال. المعهد الملكي للدراسات الدينية. مكتبة عمّان ـ عمّان. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٢٤).

بولس وإفساد النصرانية:

لقد استحالت النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام من دين توحيدي إلى نصرانية خداج مشوهة، رسم معالمها خصم عنيد للحواريين، كان يضطهد المؤمنين، من عتاة اليهود، اسمه شاول، فما لبث أن ادعى الإيمان بالمسيح، وتغلغل في خاصة أصحابه، وأحدث في دينه ما أفسده، وخرج به عن ملة إبراهيم، الإسلام، إلى أوضاعٍ شركية، ومقولاتٍ كفرية، وتحلل من الشريعة، وشق كلمة القوم، وطَرح بينهم بذور الشقاق والافتراق، حتى ساد مذهبه وغلب على أتباع المسيح.

لقد كان ذلك الدعيّ هو بولس. جاء في سفر أعمال الرسل: (أما شاول فما زال صدره ينفث تهديداً وتقتيلاً لتلاميذ الرب. فقصد إلى عظيم الكهنة وطلب منه رسائل إلى مجامع دمشق. حتى إذا وجد أناساً على هذه الطريقة رجالاً ونساءً ساقهم موثقين إلى أورشليم. وبينما هو سائر، وقد اقترب من دمشق، إذا نورٌ من السماء قد سطع حوله فسقط إلى الأرض، وسمع صوتاً يقول له: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا رب؟. قال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. ولكن قم فادخل المدينة، فيقال لك ما يجب عليك أن تفعل) ٩/١ ـ ٦، وتمضي الأسطورة لتصنع منه قديساً ممتلأً منَ الروح القدس ـ على حد تعبيرهم ـ[١] ويبدي نشاطاً ملحوظاً، وحماساً وقَّاداً في نشر معتقده بين أبناء الأمم، وتنسب إليه خوارق وتضحيات، ويطوف مدائن فلسطين من أورشليم إلى قيصرية فطرطوس فأنطاكية فقبرص. ثم يمتد إلى مدن آسيا الصغرى واليونان ومالطة حتى بلغ روما في رحلاتٍ متتابعة، ونشاط دائب فرض له مكانةً ومنزلةً في الجماعة الناشئة.

لقد كان واضحاً منذ البداية أن بولس ينتهج خطاً مخالفاً لخط

---

(١) العهد الجديد: (٣٩٦ ـ ٣٩٧).

الحواريين ويتكلم بلغةٍ مشوبةٍ بمعتقداتٍ وأفكار غريبة عن الهدي النبوي للمسيح ﷺ، كما يقر بذلك المعجبون به من نصارى اليوم. يقول جون لوريمر، أستاذ تاريخ الكنيسة بكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة «بروتستانتي»: (يؤخذ من بعض الإشارات أنه كان يمزج في تعاليمه المسيحية بعضاً من الحكمة الوثنية، وربما نوعاً من الغنوسية[١]، أو بعض الفلسفات اليونانية)[٢].

وسواءٌ كان «شاول» يهودياً حاقداً تظاهر بالنصرانية ليفسدها، أم كان «بولس» متنصراً متحمساً ذا مواهب شخصية فذة، لم يستطع أن يتخلص من آثار سابقة ولم يفقه دعوة المسيح وغاياتها، أياً كان الأمر، فقد أحدث شرخاً عظيماً في مسيرة النصرانية، ونقلها نقلةً واسعة من ديانةٍ توحيدية إصلاحية موجهة إلى بني إسرائيل خاصة، إلى ديانةٍ أمشاج صبت فيها ثقافات شتى، في محاولته الرامية لاستيعاب الأمم الأخرى، عبر صياغات عقدية دخيلة، بلغة تفهمها الأمم الوثنية.

وكان بذكائه وأناته يداري تلاميذ المسيح ﷺ، ويحرص على

---

(١) الغنوصية Gnosticism والغنوسية أيضاً، أو الغنوسطية، فلسفة صوفية. واسم علم على المذاهب الباطنية. غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل، وبالوجد لا بالاستدلال. فهي المعرفة بالله التي يتناقلها المريدون سراً... وتقول بإلهين: أحدهما كبير، خير، مفارق لا يدركه العقل، ولا يحيط به العلم... وروح الشر أو إلهه الملقب أركون، ومنه خرج العلم السفلي... ولقد ظهر الغنوص أول ما ظهر في الأديان الفارسية... وعرفت اليهودية الغنوصية، وتجلت فيما عرف عند اليهود باسم «القبالة». وكانت القبالة أكبر غنوص عرفه تاريخ الأديان... والمسيحية كما طرحها بولس الرسول ديناً غنوصياً. واقتصر الغنوص فيها على المسيح وحده. الموسوعة الفلسفية (٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٢) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر. ترجمة فهيم عزيز. دار الثقافة. القاهرة. طبعة ١٩٨٢م. (١/ ٦٥).

إظهار المرجعية لكنيسة أورشليم، حيث كبار التلاميذ «الرسل» والشيوخ، لينال الشرعية المطلوبة لمشاريعه الأممية الطموحة، حتى استطاع بقوة بيانه أن ينتزع قراراً من مجمع أورشليم بإعفاء الوثنيين المهتدين من بعض أحكام الشريعة كما تقدم، في حين أنه كان يطوي البساط من تحت النصارى الحقيقيين. وقد بلغ من مداراته لهم أن ختن تلميذه «طيموتاوس» ذا الأب اليوناني والأم اليهودية(١).

ومع ذلك تحوّل النصارى الخلَّص السائرين على درب المسيح أمام التيار البولسي المتنامي إلى مجرد فرقة صغيرة صنفت فيما بعد ضمن الهراطقة، بعد أن وقفت موقفاً حازماً واضحاً من تجاوزات بولس وتلاميذه.

ويتابع أفغراف سميرنوف وصف مآل هذه الفرقة الأم، فيقول: (في بادئ الأمر لم يكن لهذه العقيدة صفة هرطقة، لأن جميع المسيحيين من اليهود الموجودين في فلسطين كانوا يتممون حسب العادة المرعية ناموس موسى ويختتنون. ولكن في بدء العصر الثاني استقل حزب الغيورين على ناموس موسى كهراطقة. وفي الثلاثين سنة من ذاك العصر بعد خراب أورشليم عندما لم يعد من الممكن المحافظة على ناموس موسى بحذافيره، فقسم المسيحيين من اليهود أعرض عن إتمامه بالكلية، وانضم إلى المسيحيين الذين من الوثنيين وألفوا كنيسة في المدينة التي بنيت مكان أورشليم ـ إيليا كبيتولينا ـ ووافقوا على انتخاب أسقفٍ ليس من ذوي الختان.

أما حزب المسيحيين من اليهود المدافع عن إتمام الناموس الموسوي، فقد انفصل بحزمٍ عن الكنيسة، وألف جمعية منفصلة هرطوقية تماماً. وانشق هذا الحِزب إلى قسمين: الغيورون المتعصبون

---

(١) انظر: أعمال الرسل: (٣/١٦) العهد الجديد: (٤١٨).

للناموس، والمعتدلون[١]. فالقسم الأول معروف باسم: يفيونيين[٢]، والثاني باسم: ناصريين[٣]. فالناصريون لم يتراجعوا عن جوهر التعليم الكنسي العام، معترفين بيسوع المسيح مسيا[٤] وإلهاً، وموافقين على ولادته الخارقة الطبيعة، وغير ذلك ولكن مع هذا يعدون من الواجب على المسيحيين من اليهود المحافظة على ناموس موسى، ولم يعطوا للناموس مثل هذه الأهمية لأجل المسيحيين من الوثنيين. ويعترفون بالرسول «بولس» من أجل المسيحيين من الوثنيين. وقد نظرت الكنيسة بتساهل إلى هذا الحزب من المتهودين غير حاسبة إياهم «هراطقة» بالمعنى الخاص. وشيعة الناصريين بقيت موجودة بعدد قليل حتى العصر الرابع.

وعكس ذلك شيعة الأفيونيين الذين اتخذوا هذا الاسم من الكلمة العبرانية أفيون ومعناه «فقير». هؤلاء أوجبوا إتمام ناموس موسى على جميع المسيحيين، معتبرين لهذا السبب الرسول بولس، الذي ناهض الناموس، مرتداً عن الإيمان. والديانة اليهودية بموجب مفهومهم، لها

---

(١) هكذا في الأصل، ومقتضى اللغة: (الغيورين المتعصبين للناموس، والمعتدلين).

(٢) ويقال: الإبيونيين. وهو الأشهر في الكتابات الحديثة.

(٣) ناصري: لقب كان يطلق على المسيح نفسه، نسبة إلى الناصرة. وكان يوصف به أتباعه كما في القرآن. ونصارى اليوم يتنصلون منه، ويقصرون استعماله على المتهودين منهم. وقد تضمن سفر أعمال الرسل ٢٤/٥ إطلاقه عليهم، حيث وصف بولس أثناء محاكمته لدى الحاكم الروماني فيلكس بأنه (أحد أئمة شيعة النصارى) وعلق المحشي بقوله: (هذه هي المرة الوحيدة التي يسمى فيها المسيحيون «نصارى» على مثال يسوع. العهد الجديد: (٤٤٢).

(٤) (مسيا، أو مشيح (Messiah, Messie) هو المسيح الذي أنبأ العهد القديم بمجيئه لتحرير البشر من عبودية الخطيئة، وإقامة ملكوت الله في الأرض) العهد القديم. مصطلحات لغوية (٢٨).

أهمية عظيمة كالسابق في أمر خلاص البشر حتى بعد مجيء المسيح المخلص. وهكذا صارت الديانة المسيحية محدودة مع أن غاياتها أن تشمل جميع العالم. والأفيونيون لم يعتبروها ديانة جديدة، بل امتداداً للديانة اليهودية ذاتها. ومن هنا كان تعليمهم عن المسيح المخلص هو غير الذي تمسكت وتتمسك به الكنيسة المسيحية الحقيقية. لقد اعتبروه «مسيا» لكن ليس الله الفادي، بل نبياً عظيماً فقط يشبه موسى جاء ليكرز بمجيء مملكته التي يمكن أن يدخلها اليهود فقط. وكل مهمته انحصرت حسب مفهومهم بتفسير الناموس وإكماله بإعطاء وصايا جديدة. وقد أنكروا على يسوع المسيح استحقاق الألوهية معتبرين إياه إنساناً عادياً، ابن يوسف ومريم، ونال قوة إلهية واستحقاق مسيا في المعمودية فقط. وعلى هذا لم تكن عند الأفيونيين العقيدة المسيحية عن فداء البشرية، بواسطة الرب يسوع المسيح من الخطيئة واللعنة والموت، وموت المسيح المخلص ليس له عندهم أهمية فدائية. . .)[1].

ويتضح من هذا السياق أن الإفيونيين من جملة النصارى الذين أثنى عليهم القرآن الكريم، في حين ذمَّ غيرهم، وأن عقائدهم كما دوَّنها أفغراف سميرنوف، وهو مخالف لهم، هي عين ما يعتقده المسلمون من أمة محمد ﷺ في المسيح، مع التحفظ على نسبة المسيح إلى يوسف النجار، وقد يكون مخالفوهم أرادوا أن يظهروا إلى أي مدىً يرفض الأفيونيين فكرة تأليه المسيح فألصقوا بهم إنكار الولادة الخارقة من أمٍ بلا أب، وهم من ذلك براء.

لقد كان هؤلاء هم المدافعين عن الدين الصحيح أمام التيار البولسي لتبديل دين المسيح. وقد صمدوا ما شاء الله، ولكن الله غالب على أمره. يقول: جون لوريمر: (لا نعرف من العهد الجديد طول

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية: (٨٥ ـ ٨٧).

المدة التي استمرت فيها قضية التهوديين مشتعلة داخل الكنيسة ولكن ما نعرفه هو أن الرسول بولس هو الذي حارب واستطاع أن يعيد التوازن إلى الكنيسة كمؤسسة لا يحتاج من يدخل فيها وينضم إليها سوى الإيمان بالمسيح يسوع. ومما ساعد على أفول هذه الحركة التهودية أفول نجم الكنيسة في أورشليم، وارتفاع نجم كنائس الأمم، وازديادها في العدد والأهمية والتأثير)[١].

وهكذا طويت صفحة هذه الفئة المؤمنة من أنصار المسيح الذين كانوا على ملة إبراهيم، وساد أنصار بولس. فحين جاء الإسلام كان ثمة بقايا من هؤلاء الموحدين من أهل الكتاب منتشرين في بعض الدّيارات والصوامع، قد فارقوا المشركين الذين صارت لهم الدولة والغلبة. فما أعظم فرحتهم ببعثة محمد ﷺ، وما أشد بهجتهم بالقرآن، وقد وصف الله ذلك الفرج عليهم بقوله: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص]، وفي وصف آخر: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة].

الكتب المقدسة عند النصارى:

إذا كانت الجماعة المؤمنة التي حملت دين المسيح بحق قد توارت عن الأنظار، حتى التحق آخرها بدين الإسلام، فما مآل كتابها الذي آتاه الله نبيها، الإنجيل، ﴿هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ

---

(١) تاريخ الكنيسة (٦٩).

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة]؟ ذلك أن الأمم تتعرض لأحوالٍ متفاوتة من الظهور والأفول، فإذا كان بين ظهرانيها كتابٌ محفوظٌ تعتصم به، أمكن أن تهتديَ به وتعود إلى رشدها، ويستقيم أمرها. فهل «الإنجيل»، الذي أنزله الله لا يزال موجوداً؟ وهل سلم من التحريف والزيادة والنقصان؟.

إن النصارى اليوم يعترفون بـ«الكتاب المقدس» وهو يضم جزئين:

١ ـ **العهد القديم**: وقد سبق التعريف به، ونقده عند الحديث عن اليهودية[١].

٢ ـ **العهد الجديد**: ويتكون من الأناجيل المنسوبة لأربعة من رواة سيرة المسيح ﷺ، وهم: متّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. تمثل أكثر من ثلث الكتاب. يعقبها سفر «أعمال الرسل» يُظن أن كاتبه «لوقا». ثم أربع عشرة رسالة موجهة إلى أهالي بعض المدن، وبعض الأفراد، وضعها «بولس»، تمثل قرابة ربع الكتاب. ثم مجموعةً من الرسائل العامة لبعض قديسيهم؛ واحدة ليعقوب واثنتان لبطرس، وثلاث ليوحنا، وواحدة ليهوذا، وتختتم برؤيا يوحنا. فيكون مجموعها سبعة وعشرين سفراً.

جاء في تصدير الرهبانية اليسوعية للطبعة الثالثة للعهد الجديد عام ١٩٨٩م ما نصه: (كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحيي الجيل الأول في مرجعين: أولهما العهد القديم، وكان الكتبة

---

(١) ثَمَّ جدال قديم بين اليهود، وبين النصارى في تحديد قائمة الأسفار المعتمدة «القانونية» انعقدت لبحثها مجامع مسكونية. ولا يزال الخلاف قائماً بين مختلف الطوائف حول أسفار بعينها. انظر: مدخل إلى العهد القديم. العهد القديم: (٤٧ ـ ٥٢).

المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب استشهادهم بوحي الله. وأما المرجع الآخر الذي نما نمواً سريعاً فقد أجمعوا على تسميته «الرب»، وكان يطلق هذا الاسم على كل من التعليم الذي ألقاه يسوع... ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوصٍ مكتوبة. وأما أقوال الرب، وما كان يبشر به الرسل، فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ مدةً طويلة، ولم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين أهم ما علَّمه الرسل، وتولي حفظ ما كتبوه... ويبدو أن المسيحيين، حتى ما يقرب من السنة ١٥٠، تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة. وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسية... ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً، كما يظهر شأن رسائل بولس... ومهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة ١٤٠ أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعةً من النصوص الإنجيلية المكتوبة...

وكان بعد السنة ١٥٠ بقليل أن مست الحاجة في الكنيسة إلى قاعدةٍ شاملة. فاتجهت الأنظار إلى مجموعة الأناجيل الأربعة، لأنها نالت، حتى ذلك الوقت انتباه الناس، لما تحلَّت به من الصفات، ولصحة الشهادة التي تؤديها «للرب»)[1].

ويتضح مما سبق بعض الحقائق المتصلة بالكتب المقدسة لدى النصارى:

١ ـ أن المرجع الديني المكتوب، هو «العهد القديم» الذي يجمعهم مع اليهود. وقد تقدم ذكر ما اعترى هذا المرجع من انقطاع

---

(١) العهد الجديد: (٨ ـ ٩).

سند وضياع، وإعادة صياغة، وما لحقه من تحريف وزيادات كتبتها الأيدي الآثمة ونسبتها إلى الله. فيلزم النصارى ما لزم اليهود.

٢ ـ أن عيسى ﷺ لم يقم بإملاء نصٍ مكتوب هو «الإنجيل»، بل تم حفظ تعاليمه وأقواله عن طريق الحفظ في الصدور. وظل الأمر على هذه الصفة حتى منتصف القرن الثاني للميلاد، بعد انقراض جيل «الرسل».

٣ ـ أن رسائل «بولس» هي التي حظيت بالاهتمام والدرس والتداول بين أتباع الكنائس خارج أورشليم، وكانت شهرتها وأثرها تفوق الإنجيل.

٤ ـ أن مسوغ اختيار الأناجيل الأربعة، من بين سائر الأناجيل هو أنها نالت انتباه الناس وصحة الشهادة التي تؤديها.

هذه نظرة ضلال النصارى إلى ظروف تكوين «العهد الجديد». وحقيقة الأمر أن الله تعالى علَّم عبده ونبيه عيسى الإنجيل كما علمه التوراة: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران]. وهو ﷺ قد بلَّغ رسالات ربه، وعلَّم حوارييه ما علمه ربه من الإنجيل مميزاً إياه عن سائر مواعظه ووصاياه. وقد وجد بالفعل نسخٌ متعددة من الأناجيل بعضها منسوبٌ إلى كبار حوارييه، كإنجيل بطرس، أو كبار الرسل، كإنجيل برنابا، أو إلى طوائف معينة، كإنجيل الناصريين، وإنجيل الأبيونيين، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل المصريين وغيرها. ولكن أتباع بولس الذي نشَّئوا المتنصرين من أبناء الأمم، غير اليهود، على رسائل بولس أقصوا ما لا يتفق وتعاليمهم الشركية، ووصفوا تلك الأناجيل بأنها «منحولة»، واستبقوا ما يوافق أهواءهم، فكانت هذه الأربعة.

يقول أفغراف سميرنوف: (.. في العصر الرابع اعترفت الكنيسة

بهذه الكتب أنها قانونية. وفيما الكنيسة تقبل في قانون الكتب المقدسة الكتب الرسولية، فقد فرزت من عدد الكتب التي ليست رسولية، ورفضت بكل حزم الكتب المزيفة والمدسوسة. مثلاً: «إنجيل اليهود» و«إنجيل المصريين» و«إنجيل نيقوديم» و«إنجيل توما» و«أعمال بولس» و«رؤيا بطرس» وغيرها)[١].

إنه لمما يدعو للدهشة والاستغراب أن تُضَم رسائل بولس الأربع عشرة إلى قانون العهد الجديد، ولم يكن بولس أحد الحواريين الاثني عشر «الرسل»، ولم يلقَ المسيح، وتستبعد كتابات تلاميذ المسيح! سيما وأن رسائل بولس تنحى منحىً مجافياً لتعاليم المسيح وهديه. ويقول: جون لوريمر: (من الأهمية بمكان أن نذكر أن الوثائق الأولى كانت رسائل الرسول بولس. وقد ركزت أساساً على أمور لاهوتية، وتعاليم خاصة بالسلوك الشخصي والأمور الدينية، ولم يكن بها شيءٌ يذكر عن حياة المسيح أو أية اقتباسات من تعليمه أو صلواته أو أمثاله)[٢].

أما الأناجيل الأربعة المنتخبة وفق شرط الإيمان البولسي فهي عبارة عن قصص تاريخية تروي سيرة النبي يحيى ﷺ ـ يوحنا المعمدان عندهم ـ ثم سيرة عيسى ﷺ، وما أحاط بحمله وولادته ونشأته من آيات، ثم دعوته وخطبه ومواعظه، وما يصاحب ذلك من آيات أجراها الله على يديه، ثم كيد اليهود له وسعيهم في قتله لدى الحكام الرومان، ثم محاكمته والحكم بصلبه، ودعوى صلبه فعلاً، ودفنه ثلاثة أيام، ثم قيامته من قبره، ومكوثه أربعين يوماً، ثم رفعه إلى السماء، ووعده حوارييه بالعودة إلى الأرض ثانية.

إن كنيسة أتباع بولس منذ عام ١٧٠م[٣] وحتى المجمع الفاتيكاني

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية: (٧٧).
(٢) تاريخ الكنيسة: (٨٣).
(٣) يرجح النصارى أن هذا التاريخ هو تاريخ اعتماد الأناجيل الأربعة قانونياً. =

الثاني المنعقد في روما لعموم أساقفة الكاثوليك في الفترة (١٩٦٢ - ١٩٦٥)[١] وإلى ساعتنا هذه تؤكد بجمودٍ وإصرار على مصداقية هذه الأناجيل الأربعة، وتخلع عليها ألقاب القداسة والثقة، وتدعو إلى التشبث بها، فقد جاء في وثيقة المجمع «دستور عقائدي» في الفصل الخامس «العهد الجديد» ما نصه: (لا يغرب على أحدٍ أن الأناجيل تفضل حقاً سائر الكتب المقدسة، كانت ما كانت، ولو من العهد الجديد، لأنها شاهد ما بعده شاهد على مخلصنا، لكلمة الله المتجسد: على سيرته وتعاليمه.

لقد اعتبرت الكنيسة في كل مكان وفي كل زمان، أن الأناجيل الأربعة هي من وضع الرسل: إن ما كرز[٢] به هؤلاء، بأمر من المسيح قد نقلوه فيما بعد، هم أنفسهم أو بعض من أحاط بهم من المعاونين، مدونين إياه بوحي من الروح القدس، في أسفار أصبحت سند الإيمان نعني بها الأناجيل الأربعة التي تنوعت شكلاً، على حسب ما وردت على يد متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا.

إن الكنيسة المقدسة، أمُّنا، قد أصرت دوماً وتصر الآن على التأكيد أن الأناجيل المتعارف عليها، هي من الكتب التاريخية، من غير أن يساورها أي شك، وأن هذه الأناجيل قد نقلت بصدقٍ وأمانة، ما قام به يسوع ابن الله من أعمال، وما نشر من تعليم طيلة حياته بين الناس، لا ينوي منها إلا خلاصهم الأبدي، إلى اليوم الذي رفع فيه... إن الرسل بعد أن صعد الرب عنهم نقلوا إلى مستمعيهم كل ما

= انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية (٧٧)، مدخل إلى العهد الجديد (١٠٨)، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم (٧٧ - ٧٨).

(١) سيتم التعريف بهذا المجمع على سبيل التفصيل في الباب الأول.

(٢) كَرزَ كرزاً: وعظ ونادى ببشارة الإنجيل. «سريانية». المنجد في اللغة (٦٨٠).

ساقه من أقوال، وكل ما أجراه من أفعال، بعد أن فقهوا كامل معانيها، على ضوء ما جرى له من أحداث مجيدة، وعلى ضوء ما استناروا به من إشراقة روح الحق، فكان أن دوَّن الكتاب الإلهيون الأناجيل الأربعة مستخدمين أساليب متنوعة: فتارة انتخلوا بعضاً مما وصل إليهم روايةً، أو مما صادف أن انتهى إليهم كتابةً. وطوراً دمجوا أحداثاً وأقوالاً عديدة في خلاصاتٍ موجزة، وحيناً شرحوا أموراً مرتبطة بالمسيح على ضوء ما كانت عليه كنائسهم آنذاك. وحيناً اعتمدوا النمط الإرشادي في التبشير برسالة المسيح. لقد حرصوا في كل هذه الأساليب، أن ينقلوا لنا دوماً، عن يسوع، حقائق ثابتة، وخالصة الصدق. لقد سطروا مؤلفاتهم هذه، فمكنونا من اختبار «قوة» التعليم الذي تسلمناه... سواء اعتمدوا على ذاكرتهم وما سجلوه بأنفسهم، أو ركنوا إلى أقوال أولئك الذين كانوا منذ البدء شهود عيان، وخداماً للكلمة)[1].

إن هذا النص العقدي الذي نقلناه بكامله عن أحدث مجمعٍ من مجامع النصارى ليكشف عن حقائق مهمة، تتعلق بالأناجيل المعتمدة عند النصارى:

١ ـ أنهم يعترفون أن أياً من هذه الأناجيل ليس كلام الله، لا حقيقة ولا مجازاً، وليس من إملاء المسيح ﷺ ابتداءً، بل يسلّمون ـ ولا يستطيعون غير ذلك ـ بأن تلك الأناجيل عمل بشري من وضع الرسل أو معاونيهم، شأنهم شأن أي مصنف كتاب، فهم مجرد رواة ومؤرخين: نقلوا، ودوّنوا، وانتخلوا، ودمجوا، وشرحوا، وسطروا، وسجلوا، وركنوا... إلخ من الأفعال البشرية المسندة إلى بشرٍ عاديين.

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني دساتير ـ قرارات ـ بيانات: ترجمة الأب حنا فاخوري ـ معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت حريصا. المكتبة البولسية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٢م. (١٣٤ ـ ١٣٦).

وغاية ما يبهرجون به هذه «المذكرات» أن يزعموا أنها تمت بوحيٍ من روح القدس. وتلك دعوى عريضة يلوح بها النصارى كثيراً لتمرير بدعهم وإفكهم. فإذا كان «الروح القدس» ينزل على الحواريين الاثني عشر «الرسل عندهم» ـ أعمال الرسل ٢/١ ـ ٤[١] وعلى قورنيليوس الوثني، قائد المئة، وأهل بيته أثناء عظة بطرس ـ أعمال الرسل ١٠/ ٤٤ ـ ٤٦[٢] وغير ذلك من مزاعم، فأي مزية لأنبياء الله على سائر البشر؟ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠، فصلت: ٦].

إن الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ﷺ لا يمكن عقلاً أن يكون قصة حياته، وذهابه وإيابه، وقصة صلبه ودفنه ـ كما يزعمون ـ، وغاية ما تبلغ أن تكون بمنزلة «السيرة النبوية» أو «السنة النبوية» التي يشترط لقبولها صحة الإسناد، وفق معايير منضبطة. وبناءً عليه فليست هذه الأناجيل هي «الإنجيل» المنزل من عند الله، بل اكتسبت هذا الاسم الشريف ظلماً وافتياتاً على الحقيقة، وعرفاً فاسداً كما قال أ. تريكو A. Tricot في تعليقه على ترجمة للعهد الجديد: (منذ وقتٍ مبكرٍ جداً، منذ بداية القرن الثاني، استقر العرف على استخدام الكلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين، في نحو ١٥٠ يسميها أيضاً «مذكرات الرسل Memoires des Aportres»)[٣].

وحقيقة الأمر أن النصرانية البولسية طمست كتاب الله «الإنجيل»، واستعاضت عنه بهذه المرويات التاريخية لسيرة المسيح بعد أن لوثتها بتعاليم بولس الكفرية، وخلعت عليها لقب «الإنجيل». وهكذا يتضح

---

(١) العهد الجديد: (٣٧٦).

(٢) العهد الجديد: (٤٠٣).

(٣) عن: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٧٧ ـ ٧٨). ولم يسلِّم د. موريس بوكاي استناداً على دراسات متخصصين كاثوليك وبروتستانت على وجود تلك الكتب في بداية القرن الثاني، وأقصى تاريخ ممكن هو ١٤٠م.

باعتراف المجمع الفاتيكاني الثاني، أضخم مجمع مسكوني للنصارى منذ وجودهم، فقدان الكنيسة للإنجيل الأصلي الموحى به من الله إلى عيسى ابن مريم، ولو محرفاً كالتوراة. وتلك قاصمة الظهر.

٢ ـ أنهم يعترفون أن واضعي هذه الأناجيل ليسوا جميعاً من تلاميذ المسيح. وتلك حقيقة تاريخية لا يملك النصارى إنكارها وتمثل طعناً في ثبوت ما تضمنته من أخبار بسبب انقطاع السند.

فأهم هذه الأناجيل وأولها في الترتيب لدى الكنيسة «إنجيل متى» المنسوب إلى أحد الحواريين. ويدور جدلٌ عميق بين دارسي العهد الجديد حول صحة نسبة الإنجيل إلى متى الحواري. وقد خلص د. موريس بوكاي إلى القول: (لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حواري المسيح)[1] كما يدور جدل حول تاريخ تدوينه. وقد خلص الشيخ محمد أبو زهرة[2] إلى القول: (والحق أن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده)[3]، كما أن مترجمه من العبرانية إلى اليونانية مجهول تماماً.

أما إنجيل مرقص، وهو أقدمها من حيث الظهور التاريخي، وذلك

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٨٣).

(٢) محمد بن أحمد أبو زهرة، من الشخصيات البارزة في العصر الحديث ولد سنة ١٣١٦هـ بمصر، وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية، ثم تدرج حتى أصبح أستاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة، وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، من تصانيفه: «أصول الفقه»، «الوحدة الإسلامية»، «أبو حنيفة»، «مالك»، «الشافعي»، «أحمد».
توفي سنة ١٣٩٤هـ.
الأعلام: (٦/ ٢٥).

(٣) محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ مصر. الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ. (٤٥).
وانظر: إظهار الحق: (١/ ١٥١).

بعد منتصف القرن الأول، ربما بين ٦٥ ـ ٧٠م[١]، فليس مؤلفه من الحواريين قطعاً. لكنه تتلمذ لخاله «برنابا»، ورافقه في رحلته مع بولس إلى إنطاكية. وثَمَّ خلاف بين مؤرخي النصرانية حول كاتبه الحقيقي أهو بطرس عن مرقص، أم هو مرقص بتوجيه من بطرس، أم مرقص بغير توجيه من بطرس[٢]. وهذا «الاضطراب» ولا ريب يوهن النسبة. فضلاً عن العيوب المتعلقة بالتحرير والسرد القصصي المضطرب[٣].

أما إنجيل «لوقا» فقد ظهر بعد مرقص وقبل متى، ولوقا طبيب أنطاكي وليس من الحواريين، ولا من تلاميذ الحواريين، بل هو تلميذ لبولس صحبه في بعض أسفاره.

أما إنجيل «يوحنا» فآخرها ظهوراً، ويختلف عن الثلاثة السابقة اختلافاً بيّناً في ترتيبه وأسلوبه، بل ومضامينه العقدية، حيث إنه الإنجيل الوحيد الذي صرح بألوهية المسيح. والنصارى ينسبونه إلى الحواري يوحنا بن زبدي الصياد، حِبّ المسيح ﷺ ـ كما تحكي كتبهم ـ. ولكن هذه النسبة أيضاً محل خلاف. يقول د. موريس بوكاي: (إن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس تحدد أن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحرير قام به يوحنا الحواري، وإن كان ذلك احتمالاً غير مستبعد برغم كل شيء. ولكن كل شيءٍ يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى أكثر من كاتبٍ واحد)[٤] فلا يخلو الأمر من أن يكون قد كتبه «يوحنا» آخر، ويؤيد هذا تأخر ظهوره رغم نسبته إلى أحد الحواريين؛ أو أن يكون وضع أصله يوحنا الحواري ثم دس فيه إضافات ليست منه[٥].

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة: (٨٣)، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٨٨).
(٢) انظر: محاضرات في النصرانية: (٤٧)، وإظهار الحق: (١/ ١٥٢).
(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٨٨).
(٤) المرجع السابق: (٩٤).
(٥) انظر: إظهار الحق: (١/ ١٥٤ ـ ١٥٧).

وعلى كلا الاحتمالين فالباعث الرئيسي لاعتماده قانونياً، وربما لتأليفه، إدراج عقيدة ألوهية المسيح في الأناجيل، بسبب خلو الثلاثة السابقة منها، إذ كيف يعقل أن تهمل الأناجيل هذه العقيدة البولسية الأساسية؟!.

وبهذا تسقط نسبة الديانة النصرانية إلى سنة عيسى عليه السلام الشفهية، كما سقطت نسبتها إلى كتاب الله الإنجيل. وحُقَّ لنا أن نقول: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف]. فلا وحي ولا أثر.

٣ ـ أنهم يعترفون أن هذه الأناجيل الأربعة متنوعة شكلاً، وأسلوباً، وتتفاوت في طريقة التصنيف وفي النمط الإرشادي... إلخ وهذا كافٍ بالقطع بأنها ليست من عند الله، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء]، فتحققُ جواب «لو» دليلٌ على ثبوت شرطه. ومع ذلك يزعم النصارى أنها نقلت كل أقوال المسيح وأفعاله بأمانةٍ وصدق. والدراسات النقدية الجادة والمتجردة من قبل النصارى، أنفسهم أثبتت وجود ثغرات كبيرة، وتناقضات صارخة، تجعل قارئها من النصارى فضلاً عن غيرهم، في حيرةٍ بالغة لا مخرج منها إلا باليقين التام أنها محاولات بشرية تمت في أجواء خصومة وتحزب، حملت محرريها، سواء كانوا من نُسبت إليهم فعلاً أو من نسبوها إلى غيرهم، وهم منها براء، على التحريف.

وبإزاء التوثيق الفاتيكاني المطلق لهذه الأناجيل الأربعة، تقول دراسة متأنية توفَّر عليها أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت، كمقدمة للترجمة المسكونية للعهد الجديد، ونشرت عام ١٩٧٢م، أن هذه الأناجيل (تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس، وتصحح الأخطاء، وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم. بهذا الشكل جمع

ودوَّن المبشرون، كل بحسب وجهة نظره ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية)[١]. ويقول الأب كايننجسر: (لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهي كتابات ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعتهم عن المسيح)[٢].

وقد أدى هذا التنوع إلى حصول تناقضات كبيرة، في الحدث الواحد مما يقطع بعدم مصداقيتها، وأن النصارى أسسوا بنيانهم على شفا جرفٍ هار. وتفاصيل هذه التناقضات مبسوطٌ في الكتب المتخصصة في مجادلة أهل الكتاب[٣].

وهكذا حجب النصارى عن نور الحق، وانقطعت صلتهم بمشكاة النبوة المضيئة بسبب مكر بولس وأتباعه الذين غيبوا الإنجيل الحق، واستعاضوا عنه برسائل بولس الكفرية.

العقائد النصرانية:

أدخل بولس جملة من العقائد الوثنية المستمدة من عقائد الأمم الكافرة، على النصارى متخذاً من شخص المسيح ﷺ مظهراً لتلك العقائد. كما أنه ما زال يفتل في الذروة والغارب لفصل النصارى عن شريعة موسى ﷺ التي جاء عيسى ﷺ متمماً لها، لا ناقضاً، حتى فسخهم منها.

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٧٩).
(٢) المرجع السابق: (٨٠).
(٣) انظر على سبيل المثال:
- الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم: (٢/ ٢ - ٣٨).
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لابن تيمية.
- تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب. للميورقي. (٢٠٣ - ٢٢٢).
- إظهار الحق. لرحمت الله الهندي. (١/ ١٨٧ - ٢٤٦)، (٢/ ٢٩٩ - ٣٥٢).
- مناظرات الداعية المعاصر أحمد ديدات للنصارى.
- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٧٧ - ١٣٩).

وقد جُوبه في العقود الأولى التالية لرفع المسيح برفضٍ من الحواريين وكبار التلاميذ بعد أن تكشَّف لهم فساد طويته ومذهبه. وقد كان من أوائل الدعاة «الرسل» الذين تبينوا أمره «برنابا»، رغم أنه هو الذي عرَّف به أولاً وزكّاه أمام التلاميذ، فقد استصحبه في بعض أسفاره، ثم نشأت بينهما مشادة ومشاجرة شديدة في أنطاكية يصورها سفر أعمال الرسل ١٥/٣٧ ـ ٤٠[١] خصومة شخصية حول استصحاب مرقص معهما. ومثل هذا الأمر لا يوجب هذا الافتراق. فلا بد أن برنابا وجد منه ما يستحق النكير الشديد. ولهذا ورد في الكتاب المنسوب إلى برنابا في مقدمته ذكر الذين أضلهم الشيطان بدعوى بنوة المسيح لله، وترك الختان: (الذين ضل في عدادهم أيضاً بولص)[٢]. وفي آخر فصلٍ منه: (وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله. وقد خدع في عدادهم بولص) ٢٢٢/٥[٣].

وثم إنجيل آخر يسمى الأغنسطي ينسج على نفس المنوال في مقدمته وخاتمته في التنديد ببولس[٤]. كما أن قارئ رسائل بولس يلمس بشكل واضح الروح العدائية التي كان يواجه بها بولس من قبل أتباع المسيح أينما توجه، مما يحمله على النيل منهم، ومحاولة إثبات استقلاله عنهم بكونه تلقى عن المسيح مباشرة ـ رغم أنه لم يلقَه ـ في الحادثة التي يزعم أنها جرت له على طريق دمشق[٥].

---

(١) العهد الجديد: (٤١٨).
(٢) إنجيل برنابا: ترجمة: د. خليل سعادة. تحقيق: سيف الله أحمد فاضل. دار القلم. الكويت. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). (٣٨). وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً (١٣٢ ـ ١٣٩).
(٣) إنجيل برنابا: (٢٩٧).
(٤) انظر: مقدمة مترجم «إنجيل برنابا» د. خليل سعادة: (٢٧).
(٥) تقدم ذكرها: (٦٦).

• ففي رسالته إلى أهل غلاطية يصدرها بقوله: (من بولص وهو رسول، لا من قِبل الناس ولا بمشيئة إنسان، بل بمشيئة يسوع المسيح والله الآب الذي أقامه بين الأموات، ومن جميع الإخوة الذين معي إلى كنائس غلاطية... عجبت لسرعة ارتدادكم هذا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى بشارة أخرى، وما هي بشارة أخرى، بل هناك قوم يلقون البلبلة بينكم، وبغيتهم أن يبدلوا بشارة المسيح... فأعلمكم أيها الإخوة بأن البشارة التي بشرت بها ليست على سنة البشر، لأني ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان، بل بوحي من يسوع المسيح) ١/١ ـ ٢، ٦ ـ ٧، ١١ ـ ١٢[١]. فهو هنا يشير إلى نوعين من البشارة موجهتين إلى نصارى ذوي كنائس، ويشير إلى مخالفين له يبلبلون تعاليمه. ويؤكد أنه يتلقى الوحي مباشرة من المسيح، فليس بحاجة إلى مرجعية الحواريين. ويتضح الخلاف الناشب بين الفريقين مع قدر أكبر من تحديد الخصوم حين يقول: (أما الأعيان[٢] ـ ولا يهمني ما كان شأنهم: أن الله لا يحابي أحداً من الناس ـ... ولكن لما قدم صخر[٣] إلى أنطاكية قاومته وجهاً لوجه لأنه كان يستحق اللوم... حتى إن برنابا انقاد هو أيضاً إلى ريائهم. فلما رأيت أنهم لا يسيرون سيرة قويمة، كما تقضي حقيقة البشارة، قلت لصخر أمام جميع الإخوة: إذا كنت أنت اليهودي تعيش عيشة الوثنيين، لا عيشة اليهود، فكيف تلزم الوثنيين بأن يسيروا سيرة اليهود) ٢/٦، ١١، ١٣ ـ ١٤[٤] ينكر بذلك على كبير الحواريين «بطرس»، وأحد كبار التلاميذ «برنابا» عدم تبشيرهم

(١) العهد الجديد: (٥٧٢ ـ ٥٧٣).
(٢) قال المعلق: أي الاثني عشر. العهد الجديد: (٥٧٤) حاشية (٦). يعني الحواريين.
(٣) لقب لكبير الحواريين «بطرس».
(٤) العهد الجديد: (٥٧).

الوثنيين القلف، ونهيهم المؤمنين عن مؤاكلتهم، مع زعمه أن بطرس كان يؤاكلهم.

• ومما يدل على حجم الانقسام الذي أحدثه بين النصارى، ما جاء في رسالته الأولى لأهل قورنتس: (كل واحد منكم يقول: أنا لبولس وأنا لأبلُّس وأنا لصخر وأنا للمسيح) ١/ ١٢[(١)].

وأخطر العقائد الكفرية التي دسها بولس في الإيمان النصراني ثم صارت مع مرور الزمن أركان العقيدة النصرانية، ما يلي:

أولاً: دعوى ألوهية المسيح وربوبيته:

• (في البدء كان الكلمة. والكلمة كانت لدى الله. والكلمة هو الله) إنجيل يوحنا ١/ ١[(٢)].

• (أجابه توما: ربي وإلهي! فقال له يسوع: الأنك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين يؤمنون ولم يروا) إنجيل يوحنا ٢٠/ ٢٨ ـ ٢٩[(٣)].

• (وهو فوق كل شيء إلهٌ مبارك أبد الدهور) رسالة بولس إلى أهل رومة ٩/ ٥[(٤)].

• (ولا يستطيع أحدٌ أن يقول: «يسوع ربٌ» إلا بإلهامٍ من الروح القدس) رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس ١٢/ ٣[(٥)].

• (فليعلم يقيناً بيت إسرائيل أجمع، أن يسوع هذا الذي

---

(١) العهد الجديد: (٥١١)، وانظر: النصرانية تاريخاً وعقيدة.. وكتباً ومذاهب: د. مصطفى شاهين. دار الاعتصام. القاهرة. طبعة ١٩٩١م. (١٤٨ ـ ١٥٣).

(٢) العهد الجديد: (٢٨٩).

(٣) العهد الجديد: (٣٥٨).

(٤) العهد الجديد: (٤٨٧).

(٥) العهد الجديد: (٥٢٨).

صلبتموه، قد جعله الله رباً ومسيحاً) أعمال الرسل ٢/٣٦[١].

• (فدنوا منه، وأيقظوه، وقالوا له: يا رب نجنا لقد هلكنا) إنجيل متى ٨/٢٥[٢].

والأناجيل الأربعة تعج بوصف المسيح بـ «الرب» ومناداته بذلك بما يشق حصره.

ثانياً: دعوى بنوة المسيح:

• (... فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله الحي. فأجابه يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات) إنجيل متى: ١٦/ ١٥ ـ ١٧[٣].

• (وإذا صوتٌ من السماوات يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت) إنجيل متى ٣/١٧[٤].

• (فقال له عظيم الكهنة: أستحلفك بالله الحي لتقولن لنا، هل أنت المسيح ابن الله؟ فقال له يسوع: هو ما تقول) إنجيل متى ٢٦/ ٦٣ـ ٦٤[٥]، وعند مرقص (أنا هو) ١٤/ ٦٢[٦].

• (لأنهم يصلبون ابن الله ثانية) رسالة بولس إلى العبرانيين ٦/٦[٧].

• (فأخذا يصيحان: وما لنا ولك يا ابن الله) إنجيل متى ٨/ ٢٩[٨].

---

(١) العهد الجديد: (٣٧٩).
(٢) العهد الجديد: (٥٩).
(٣) العهد الجديد: (٨٢ ـ ٨٣).
(٤) العهد الجديد: (٤٣).
(٥) العهد الجديد: (١١٢).
(٦) العهد الجديد: (١٧٣).
(٧) العهد الجديد: (٧٠٢).
(٨) العهد الجديد: (٥٩).

ثالثاً: مقالة التثليث:

• (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم: الآب والابن والروح القدس) إنجيل متى ٢٨/١٩[١].

• (ولتكن نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس معكم جميعاً) رسالة بولس إلى أهل قورنتس ١٣/١٣[٢].

إن هذه العقائد الثلاث: ألوهية المسيح وبنوته لله والثالوث الأقدس، عقائد متلازمة:

(فالمسيحيون يعتبرون أن شخص يسوع البشري هو «ابن» الله الذي يشترك مع الله «الآب» في الألوهية والأزلية. وفي إنجيل يوحنا ١/١ ـ ١٨ أن يسوع هو كلمة الله الأزلية... التي صارت جسداً ـ أي كائناً إنسياً ـ فعاش يسوع إنساناً مملوءاً نعمةً وحقاً، مُظهِراً للعالم المجد الذي حل به لكونه «الابن» الوحيد لله «الآب».

وعلى هذا الأساس... فإن المسيحية تعد الله «ثالوثاً أقدساً» غير قابلٍ للتجزئة تتوحد فيه ثلاثة أقانيم إلهية ـ باليونانية Hypostasis مادة طبيعية، ماهية ـ وهذه الأقانيم الثلاثة هي «الآب» وهو الله المنزه؛ و«الابن» وهو الله المتمثل بالمسيح؛ والروح القدس وهو «الرب المحيي» الذي يمثل الوساطة الإلهية في الكون، التي تكلمت تاريخياً على ألسنة الأنبياء من بني إسرائيل، والتي تستمر في التبيان عن نفسها من خلال «شركة القديسين»، مشكلة بذلك الرابطة الأبدية بين الإلهي والإنساني على الأرض)[٣].

لعل هذه الصياغة الحديثة للعقائد الثلاث السابقة تحاول جاهدة

---

(١) العهد الجديد: (١١٩).

(٢) العهد الجديد: (٥٦٤).

(٣) المسيحية في العالم العربي: (١٦).

أن تجلي الغموض الذي يكتنف النصوص النصرانية القديمة حول عقيدة التثليث من جنس قول يوحنا: (في البدء كان الكلمة. والكلمة كان لدى الله. والكلمة هو الله. كان في البدء لدى الله. به كان كل شيء. وبدونه ما كان شيءٌ مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس... لم يكن هو النور. بل جاء ليشهد للنور. كان النور الحق الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم، كان في العالم. وبه كان العالم. والعالم لم يعرفه... والكلمة صار بشراً، فسكن بيننا. فرأينا مجده. مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق... إن الله ما رآه أحدٌ قط. الابن الوحيد الذي في حضن الأب هو الذي أخبر عنه) ١/ ١ ـ ٤، ٨ ـ ١٠، ١٤، ١٨[١].

ومن جنس نشيد بولس: (قد أُظهر في الجسد. وأعلن باراً في الروح. وتراءى للملائكة. وبُشر به عند الوثنيين. وأومن به في العالم. ورفع في المجد) رسالة بولس الأولى إلى طيموتاوس ٣/ ١٦[٢].

إن العقل السليم ليحار أمام هذه الجمل والمقاطع، ويتردد الذهن جيئةً وذهاباً بين مدلولاتها المحتملة، فما يكاد يفهم أن المراد بجملة ما «الله»، حتى يطوّح به النص نحو «الابن»، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن عامة العقلاء.

وحقيقة الأمر ـ مهما حاول النصارى قديماً وحديثاً أن يتنصلوا من هذه الحقيقة الدامغة ـ أنهم يثبتون ثلاثة آلهة منفصلة، ويخلعون على كلٍ منها خصائص الألوهية والربوبية، ولا تغني عنهم مماحكتُهم اللفظية الممتنعة ببداهة العقول، كقولهم: الآب والابن وروح القدس إلهٌ واحد. تثليث في وحدة، ووحدة في تثليث.

---

(١) العهد الجديد: (٢٩٨ ـ ٢٩١).

(٢) العهد الجديد: (٦٦٣ ـ ٦٦٤).

فها هو ذا يوحنا يقول في إنجيله: (فكما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم. فكذلك الابن يحيي من يشاء. لأن الآب لا يدين أحداً، بل جعل القضاء كله للابن) ٥/ ٢١ ـ ٢٢[1].

فأين القوم من توحيد الربوبية، بله توحيد الألوهية والعبادة؟!.

وقد أكفر الله النصارى بهذه المقالة الفاجرة التي لا تصدر إلا ممن لم يقدر الله حق قدره، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، ثم دحض مقالتهم: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة]. وكرر تكفيرهم، وأقام عليهم الحجة البالغة من قول المسيح نفسه، وحكمه على من وقع منه ذلك، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

وأما دعوى البنوة فمهما حاولوا تصويرها تصويراً فلسفياً للنأي بها عن صورة الولادة البشرية، فإن مجرد نسبة الولد لله فرية عظيمة مهولة لا انفكاك لهم عن عارها وشؤمها. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥] فلأجل هذه المقالة البائرة قاتلهم الله، ومن قاتله الله قتله: ﴿وَقَالَتِ

---

(١) العهد الجديد: (٣٠٢).

ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

وأما أسطورة «التثليث» بقولهم: «إن الله ثالث ثلاثة» فمن أعظم أسباب شقاء القوم. فهم يعجزون عن تقريرها بعبارة معقولة مقبولة، ويقرون بذلك[١]، فيفرون إلى ما ينافي العقل، وبئس المفر، فإن النصوص الشرعية الصحيحة قد تأتي بمحارات العقول، ولكنها لا تأتي بمحالات العقول[٢]. فالعقل يحار ويكل عن إدراك كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، أو أحوال اليوم الآخر، لكنه لا يحكم باستحالة ذلك. يحكم قطعاً بأن التوحيد ينافي التثليث. قال ابن كثير ﷺ: بعد ذكر تفرقهم إلى ملكية ويعقوبية ونسطورية: (وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك، وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم! هل اتحدا أو ما اتحدا، بل امتزجا، أو حل فيه؟ على ثلاث مقالات. وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى. ونحن نكفر الثلاثة)[٣].

ولما كانت خرافة التثليث من أسفه المقالات، زجرهم الله زجر السفهاء الذين يلقنون الحق، ولا يُنظر في قولهم لتهافته، فقال تعالى:

---

(١) نقل الشيخ محمد أبو زهرة ﷺ عن أحد مصنفيهم بعد تقريره عقيدة التثليث قوله: (قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا. ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر جلاءً في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات والأرض) محاضرات في النصرانية: (١٠٣). وسوف يفهمون حقيقة الأمر جيداً إذا ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق].

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: (٥/ ٢٩٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٤٧٩).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء].

وقد أقام الله دليلاً عقلياً، قاطعاً لمقالة مدعي الولد ومشركي الألوهية، فقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ [المؤمنون].

وفي هذه الأدلة القرآنية كفاية في نقض عقائد النصارى، وأما اللوازم الفاسدة التي تترتب عليها فكثيرة واضحة مبسوطة في مظانها[١].

---

(١) انظر في الرد على النصارى:
- الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لابن تيمية.
- المختار في الرد على النصارى. للجاحظ.
- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل. للغزالي.
- أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية. للقرافي.
- الرد على النصارى. للجعفري.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. لابن القيم.
- الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية. للدمشقي الطيبي.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب. للميورقي.
- إظهار الحق. لرحمت الله الهندي.
- المسيح ﷺ بين الحقائق والأوهام. لمحمد وصفي.
- حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة. لعلي الجوهري.

=

قال ابن القيم[١] كَلَلله: (إن هذه الأمة ارتكبت محظورين عظيمين، لا يرضى بهما ذو عقلٍ ولا معرفة:

أحدهما: الغلو في المخلوق، حتى جعلوه شريك الخالق، وجزءاً منه، وإلهاً آخر معه، وأنفوا أن يكون عبداً له.

والثاني: تنقُّصُ الخالق وسبُّه ورميه بالعظائم... وبالجملة فلا نعلم أمة من الأمم سبت ربها ومعبودها وإلهها بما سبت به هذه الأمة. كما قال عمر: إنهم سبوا الله مسبَّةً ما سبه إياها أحدٌ من البشر)[٢] يريد اعتقادهم أن عيسى هو الله مع ما وقع له من حملٍ ووضعٍ ورضاعٍ وسائر صفات البشر ثم ما وقع عليه من إهانةٍ ولطمٍ وبصق وصلبٍ في زعمهم.

= - المناظرة الأولى. لعلي الجوهر.
- النصرانية: تاريخاً وعقيدة وكتباً ومذاهب. لمصطفى شاهين.
- حقيقة النصرانية. لهشام أحمد عبد الحي.
- مناظرات الداعية أحمد ديدات.
- مناظرة بين الإسلام والنصرانية. لنخبة من المسلمين والنصارى.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، أبو عبد اللّه، شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان ينتصر لجل أقواله. وهو الذي هذب كتبه ونشرها، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه وطيف به على جمل مضروباً بالعصا، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، وألف تصانيف كثيرة منها «إعلام الموقعين» و«أحكام أهل الذمة»، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» وغيرها. وكان مولده سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ.
الأعلام (٦/ ٥٦)، الدرر الكامنة (٣/ ٤٠٠)، البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤)، آداب اللغة (٣/ ٢٤٥)، شذرات الذهب (٦/ ١٦٨)، التيمورية (٣/ ٢٥١).

(٢) إغاثة اللهفان: (٢/ ٣٩٧ - ٣٩٨).

رابعاً: أسطورة الخطيئة والتكفير والخلاص بالصلب والفداء:

• (فكما أن الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعاً خطئوا... فإذا كانت جماعة الناس قد ماتت بزلة إنسان واحد، فبالأولى أن تفيض على جماعة الناس نعمة الله والعطاء الممنوح بنعمة إنسان واحد ألا وهو يسوع المسيح) رسالة بولس إلى أهل رومة ٥/ ١٢، ١٤ ـ ١٥[١].

• (مع أننا كنا أمواتاً بزلاتنا، أحياناً مع المسيح «بالنعمة نلتم الخلاص» وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماوات في المسيح يسوع. فقد أراد أن يظهر للأجيال الآتية نعمته الفائقة السعة بلطفه لنا في المسيح يسوع) رسالة بولس إلى أهل أفسس ١/ ٥ ـ ٧[٢].

• (هو وسيط لعهد جديد، بوصية جديدة، حتى إذا مات فداءً للمعاصي المرتكبة في العهد الأول نال المدعوون الميراث الأبدي الموعود. لأنه حيث تكون الوصية فلا بد أن يثبت موت الموصي... إنه لم يظهر إلا مرةً واحدة في نهاية العالم ليزيل الخطيئة بذبيحة نفسه... قُرِّب مرة واحدة ليزيل خطايا جماعة الناس. وسيظهر ثانية بمعزل عن الخطيئة للذين ينتظرونه للخلاص) رسالة بولس إلى العبرانيين ٩/ ١٥ ـ ١٦، ٢٦، ٢٨[٣].

• (جميع الناس قد خطئوا فحرموا مجد الله، ولكنهم بُرِّروا مجاناً بنعمته، بحكم الفداء الذي تم في المسيح يسوع، ذاك الذي جعله الله كفارةً في دمه بالإيمان ليُظهر برَّه، بإغضائه عن الخطايا الماضية في

---

(١) العهد الجديد: (٤٧٨).
(٢) العهد الجديد: (٥٩٢).
(٣) العهد الجديد: (٧٠٨).

حلمه تعالى، ليُظهر برَّه في الزمن الحاضر، فيكون هو باراً، ويبرر من كان من أهل الإيمان بيسوع) رسالة بولس إلى أهل رومة ٣/ ٢٣ ـ ٢٦[١].

إن هذه العقائد المتلازمة من سريان خطيئة آدم إلى ذريته، وحصول التكفير والخلاص بافتداء المسيح نفسه عن البشرية على خشبة الصليب، منظومة فلسفية وضعها بولس وأقام عليها سوق النصرانية. ومع أن الأناجيل الأربعة تفيض في ذكر حادثة الصلب المزعومة، بما يجعلها من المعلوم عندهم بالضرورة، إلا أنها تعرضها عرضاً مأساوياً محزناً، وتظهر المسيح ضحية لخيانة يهوذا الاسخريوطي، وليس بطلاً فدائياً يقوم بمهمة شريفة سامية كما يصور بولس في رسائله[٢]، ويقررها أتباعه على النحو التالي: (محبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم. لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة. ولكن الله من فرط محبته، وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد. فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم، ليخلص العالم... وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب، ولهذا صُلب. ورضي الله عن صلبه. وهو ابنه، ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة أيامٍ من قبره)[٣].

وكل هذا مما أدخله بولس على دين المسيح، وأفسد به أهل ملته، وابتدعه من عند نفسه. وهو طعن في عدل الله سبحانه وحكمته، فكيف يؤخذ اللاحق بجريرة السابق؟ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا

---

(١) العهد الجديد: (٤٧٢ ـ ٤٧٣).

(٢) انظر: متى (٢٧/ ١١ ـ ٦١)، مرقس (١٥/ ١ ـ ٤٧) لوقا (٢٣/ ١ ـ ٤٩)، يوحنا (١٨/ ٢٨ ـ ٣٧).

(٣) محاضرات في النصرانية: (١٠٧).

سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النجم].
فكيف إذا كانت خطيئة آدم عليه السلام مغفورة، وصاحبها مجتبىً مَهْدي: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه]. وثالثاً: كيف إذا لم يكن عيسى عليه السلام قد صلب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ [النساء][1].

خامساً: دعوى دينونة المسيح:

• (وإذا جاء ابن الإنسان في مجده، تواكبه جميع الملائكة، يجلس على عرش مجده، وتحشر لديه جميع الأمم، ويفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الخراف عن الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي، فرثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم... ثم يقول للذين عن الشمال: إليكم عني أيها الملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته... فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية) إنجيل متى ٢٥/٣١ ـ ٣٤، ٤١، ٤٦[2].

• (الحقَّ الحقَّ أقول لكم: تأتي ساعة ـ وقد حضرت الآن ـ فيها يسمع الأموات ابن الله والذين يسمعونه يحيون. فكما أن الأب له الحياة في ذاته. فكذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته. وأولاه سلطة إجراء القضاء، لأنه ابن الإنسان. لا تعجبوا من هذا فتأتي ساعة فيها يسمَعُ صوته جميع الذين في القبور فيخرجون منها أما الذين

(١) وانظر في إبطال عقيدة الصلب والفداء: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/١٠٨ ـ ١١٦).
(٢) العهد الجديد: (١٠٧).

عملوا الصالحات فيقومون للحياة. وأما الذين عملوا السيئات فيقومون للقضاء) إنجيل يوحنا ٥/ ٢٥ ـ ٢٨[١].

فهذان النصَّان الصريحان من الأناجيل، وأمثالهما من رسائل بولس يكشفان عن اعتقاد النصارى: أن الذي سيتولى الفصل بين الخلائق يوم القيامة والجزاء على الأعمال هو المسيح وليس ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]. وهذا من شركهم في الربوبية، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾ [غافر]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار]، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء].

وفي حديث الشفاعة الطويل أن الناس في الموقف يأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ليشفعوا لهم عند ربهم في فصل القضاء فيعتذرون وكل واحدٍ منهم يقول: (نفسي نفسي)[٢]، حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فينتدب لها، وهذا غاية المجد ذلك اليوم وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء]. وهو الشفاعة لأهل الموقف أن يقضي الله بينهم.

وهذه العقائد النصرانية التي أدخلها بولس، مستمدةٌ في الواقع من

(١) العهد الجديد: (٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) رواه البخاري: (٥/ ٢٢٦).

النحل الوثنية، كما أخبر سبحانه: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة]. قال ابن القيم ﷺ: (ثم أخذ دين المسيح في التبدل والتغير، حتى تناسخ واضمحل. ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء. بل ركّبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام. وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا أصل لها. ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق. ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل، إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس)[١].

وقد اعتنى بعض المعاصرين الحاذقين بالتنظير بين العقائد النصرانية والعقائد الوثنية، والمقابلة بينهما بما يكشف كشفاً جلياً عن مضاهاة بولس لقول الذين كفروا من قبل، واستمداده منهم[٢].

المجامع النصرانية:

ظل الصراع قائماً بين أتباع المسيح وأتباع بولس. وكان الظهور للمؤمنين الموحدين حتى عام ٧٠م حين حصار أورشليم من قبل الرومان، وفتكهم بأهلها من اليهود وحيث إن أتباع المسيح كانوا متمسكين بالناموس الموسوي فقد بدوا في أعين الرومان يهوداً فتعرضوا للاضطهاد والشتات، في حين بدا البولسيون مجافين للمظاهر اليهودية فساعد ذلك في تمكينهم. ومع ذلك فقد احتاج أتباع بولس إلى عدة

---

(١) إغاثة اللهفان: (٢/ ٣٨٤).

(٢) انظر كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: لمحمد بن طاهر التنير البيروتي. ت(١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م) تحقيق: د. محمد بن عبد الله الشرقاوي. دار عمران - بيروت، مكتبة الزهراء - القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م). وانظر أيضاً: محاضرات في النصرانية: (٣٣ - ٣٩).

قرون لخلخلة العقائد الصحيحة، وزرع العقائد الوثنية في أجيال النصارى. ونظراً للاضطهاد العام الذي لقيه النصارى في أرجاء الدولة الرومانية وتخفي علمائهم، وصعوبة التواصل بينهم فقد حال ذلك دون كشف الشبهات، ومقاومة العقائد الدخيلة، فضلّوا ضلالاً بعيداً. ولما اطمأن القوم في مطلع القرن الرابع وتنفسوا الصعداء، وجهروا بما يعتقدون تكشَّف الحال عن خلافٍ عريض، وانقسام عميق، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فلا يجمعهم سوى مجرد الاسم وفوجئ الإمبراطور الروماني قسطنطين لما اعتنق النصرانية عام ٣١٢م بهذا التشرذم، فأراد أن يجمع كلمتهم في مجمع يضم رؤوسهم، مفتتحاً بذلك سلسلة من المجامع المتعاقبة لتقرير العقيدة النصرانية، ونبذ ما يخالفها.

مجمع نيقية:

هو أول مجمع مسكوني. وقد دعا إليه الإمبراطور قسطنطين، فانعقد في مدينة نيقية في شهر مايو عام ٣٢٥ وحضره ألفان وثمانمائة وأربعون أسقفاً، لمناقشة عقيدة آريوس، وهو كاهن في كنيسة الإسكندرية، أنكر إنكاراً شديداً أن يكون «ابن الله» مساوٍ لـ«الأب» في الجوهر. (وحظيت هذه العقيدة الأريوسية، وما رافقها من تعاليم بالقبول السهل لدى جماعات مسيحية في أرجاء مختلفة من العالم الروماني، وما يحيط به من مناطق. وأفضى هذا إلى بدعة حظيت بانتشار شعبي واسع، فهددت وحدة الكنيسة كما لم تُهدَّد من قبل. وقد جعلت هذه البدعة من «الابن» في الثالوث الأقدس، وكذلك ضمنياً من الروح القدس، وسيطين للآب، وكائنين مخلوقين، الأمر الذي حول المسيحية إلى نوعٍ متطور من الإيمان اليهودي، يجعل الآب هو الله الخالق وهو وحده الأبدي. لكن المذهب الآريوسي أقر في الوقت نفسه الماهية الإلهية للابن وللروح القدس في الثالوث، وبذلك خرج

عن مبدأ التوحيد، إذ جاء في الواقع معترفاً بثلاثة آلهة: واحدٌ أولي واثنين ثانويين)[١].

وكان هذا الحشد الكبير من الأساقفة يمثلون طوائف شتى متباينة الأقوال في أصول الإيمان. فأتاح لهم قسطنطين أن يتناظروا ويتجادلوا، وشارك في تلك المناقشات آريوس نفسه، ثم جنح قسطنطين إلى مقالة أتباع بولس القائلين بتأليه المسيح وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً فقط (أي: ١٥,٥٪ من المجتمعين) واستبعد من سواهم، وفوضهم أن يصوغوا قانوناً للإيمان يحمل عليه الكافة ويبدع من لم يقل به، فكان مجمع نيقية الذي تمخض عن (قانون الإيمان النيقاوي) أو ما يسميه النصارى العرب (الأمانة الكبرى)[٢]. ونصها المعدل بعد مجمع القسطنطينية الأول المنعقد عام ٣٨١م ما يلي:

(أنا أومن: (١) بإلهٍ واحدٍ آب قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى ولا يرى. (٢) وبرب واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، قبل كل الدهور، نور من نور، إلهٌ حق من إلهٍ حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، هو الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً. وصلب عنا في عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقبر وقام أيضاً في اليوم الثالث، على ما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الآب. وسيأتي أيضاً بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه نهاية. (٣) وأومن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب (والابن)[٣]،

(١) المسيحية في العالم العربي: (٣٩).
(٢) قال ابن كثير رحمه الله: (التي هي الخيانة الحقيرة) (٢/ ٤٨).
(٣) هذه اللفظة (الابن) أدخلت على النص اللاتيني دون اليوناني لاحقاً، وصارت مدعاة للخلاف أيضاً.

المسجود له، والممجد مع الآب والابن، الذي تكلم بالأنبياء. (٤) وأعتقد بكنيسة واحدة رسولية. (٥) وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. (٦) وأنتظر قيامة الموتى. (٧) وحياة الدهر الآتي)[١].

وسواء كان آريوس موحداً حقاً، أو جاء بتوحيد مهجن من توحيد اليهود وتثليث النصارى، فقد انقرض مذهبه تحت حملات الإرهاب البولسي المدعوم بسيف الإمبراطور.

(وقد أمر قسطنطين في الرسالة التي وجهها بعد المجمع إلى جميع الأساقفة والشعوب أن تحرق تآليف آري ـ أي آريوس ـ ويهدد بالموت كل من يخفيها)[٢]. فاندثرت مقالة آريوس وسائر المقالات الأخرى التي لا تتوافق مع قانون الإيمان النيقاوي. ولكن ذلك لم يوحد كلمة النصارى، فلم تزل الانشقاقات تعصف بهم حول أتفه خلافٍ لفظي أو سلطة كنسية فيعقدون لذلك المجامع المسكونية الكبرى لفض النزاع، فلا يزيدهم ذلك إلا فرقة[٣]. قال ابن القيم ﷺ: (وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضَّلال وتفترق على اللعن. فلا ينفض إلا وهم ما بين لاعن وملعون. ـ وقال بعد أن ذكر مجامعهم الكبار ـ: فهذه عشرة مجامع كبار من مجامعهم مشهورة، اشتملت على أكثر من أربعة عشر ألفاً من البتاركة والأساقفة والرهبان، كلهم ما بين لاعن وملعون. فهذه حال المتقدمين مع قرب زمانهم من أيام المسيح، ووجود أخباره فيهم، والدولة دولتهم، والكلمة كلمتهم، وعلماؤهم إذ

---

(١) أخذ نَصُّها من: المسيحية في العالم العربي: (٤٢ ـ ٤٣).

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية (٢٢٨).

(٣) اكتفينا بذكر مجمع نيقيه لأهميته البالغة في رسم عقيدة عامة النصارى. وانظر تفصيل القول فيه وفي بقية المجامع: تاريخ الكنيسة المسيحية. الفصل الثاني (٢٢٠ ـ ٢٩٦). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: (٣١٨/٣٤٦)، محاضرات في النصرانية: (١٢٠ ـ ١٤٨).

ذاك أوفر ما كانوا، واهتمامهم بأمر دينهم، واحتفالهم به كما ترى، وهم حيارى تائهون، ضالون مضلون، لا يثبت لهم قدم، ولا يستقر لهم قولٌ في إلٰههم، بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه، وصرح بالكفر والتبري ممن اتبع سواه. فقد تفرقت بهم في نبيهم وإلٰههم الأقاويل. وهم كما قال الله سبحانه: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾[1] [المائدة].

الشريعة عند النصارى:

جاء عيسى عليه السلام مصدقاً لما بين يديه من التوراة، ومتمماً لشريعة موسى، ومخففاً عن بني إسرائيل بعض ما جُوزوا به ـ كما تقدم ـ ولم يأت ناقضاً لشريعة بني إسرائيل التي أودعها الله في التوراة، وحكم بها النبيون الذين أسلموا ـ وهو أحدهم ـ للذين هادوا. وقد جاء في إنجيل يوحنا أنه قال: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء: ما جئت لأبطل، بل لأُكمل. الحقَّ أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء، أو تزول السماء والأرض. فمن خالف وصيةً من أصغر تلك الوصايا وعلَّم الناس أن يفعلوا مثله، عُدَّ الصغيرَ في ملكوت السماوات. وأما الذي يعمل بها ويعلِّمها فذاك يعد كبيراً في ملكوت السماوات) ٥/ ١٧ ـ ١٩.

وهكذا كان الحواريون وكبار التلاميذ محافظين على الناموس، ملتزمين بالشريعة الظاهرة التي عليها قومهم بنو إسرائيل، حتى أجلب عليهم بولس في شأن المتنصرين من الوثنيين، وطالب بإعفائهم من الختان وأحكام الشريعة، سوى ذبائح الأصنام، والدم، والميتة،

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان: (٢/ ٣٨٩، ٣٩٥) وما أصدق قول الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

والزنى. أعمال الرسل ١٥/٢٣ ـ ٢٩، ولم يزل يهون من شأن الشريعة حتى أبطلها بعقيدة الصلب والفداء؛ ذلك أنه لم يكتف باتخاذ هذه العقيدة تكفيراً وخلاصاً من خطيئة آدم الموروثة ـ بزعمه ـ، بل جعل منها بزخرف القول، وتشقيق الكلام، ذريعة للتحلل من أحكام الشريعة التي كانت مضروبة على بني آدم، وسبباً لحلول اللعنة عليهم بزعمه. يقول في رسالته إلى أهل غلاطية: (إن أهل العمل بأحكام الشريعة هم جميعاً في حكم اللعنة. فقد ورد في الكتاب: «ملعون من لا يثابر على العمل بجميع ما كتب في سفر الشريعة»، أما أن الشريعة لا تبرِّر أحداً عند الله فذاك أمرٌ واضح، لأن «البار بالإيمان يحيا»، على حين أن الشريعة ليست من الإيمان، بل من عمل بهذه الأحكام يحيا بها. إن المسيح افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنةً لأجلنا، فقد ورد في الكتاب: «ملعونٌ من عُلِّق على الخشبة» ذلك كيما تصير بركة إبراهيم إلى الوثنيين في المسيح يسوع فننال بالإيمان الروح الموعود به... فقبل أن يأتي الإيمان كنا بحراسة الشريعة مغلقاً علينا من أجل الإيمان المنتظر تَجَلِّيه. فصارت الشريعة لنا حارساً يقودنا إلى المسيح لنُبرَّر بالإيمان، فلما جاء الإيمان لم نبق في حكم الحارس. لأنكم جميعاً من أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع)[1] (٣/١٠ ـ ١٤، ٢٣ ـ ٢٦).

لقد أرسى بولس عقيدة «الإرجاء» لدى النصارى، الذي يجعل الإيمان مجرد المعرفة، وفق الفلسفة التالية: البشر مرتهنون بخطيئة أبيهم آدم. وقد أعطى الله لإبراهيم عهداً بالخلاص لذريته من بني إسرائيل لقاء الالتزام بأحكام الشريعة، فمن خالفها فهو ملعون. وبالتالي فأهل العمل بأحكام الشريعة ـ فضلاً عن الوثنيين ـ في حكم اللعنة. والعمل الخلاصي الذي قام به المسيح هو أنه قَبِل ميتة الملعون، وصار لعنةً من

(١) العهد الجديد: (٥٧٧ ـ ٥٧٨).

أجل البشر ليحررهم من لعنة الشريعة الناتجة عن الخطيئة، ودفع حياته ثمناً لهذا الخلاص فصار مجرد الإيمان بيسوع من يهودي أو وثني؛ مختون أو غير مختون هو سبب الخلاص دون العمل بأحكام الشريعة. فالإيمان يفتح قلب الإنسان على الحياة التي في المسيح والشريعة تحبسه في الخطيئة وتتركه في اللعنة. وبذلك يتسع العهد الخلاصي الممنوح لذرية إبراهيم ـ فرع إسحاق ـ ليشمل جميع البشر ببركة الإيمان بالمسيح وحسب[١].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات]. هذا هو الأساس النظري لتنصلهم من الشريعة. وقد ساعد على ذلك ما وقع عليهم من اليهود من اضطهادٍ ومضارَّة، فأرادوا مفاصلتهم والخروج عن شعارهم الظاهر، كيداً وتشفياً. قال ابن القيم رحمه الله: (... أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون، ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة. فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح: إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زنية. فقالوا: هو إله تام وهو ابن الله. ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان. ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة. ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها. ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه، وجعلوه شعار دينهم. ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة، وقالوا: كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج. ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق. ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا ويحللوا ما شاءوا. ورأوهم يحرمون

---

(١) انظر: الشروحات والتعليقات على النص السابق من رسالة بولس إلى أهل غلاطية. العهد الجديد: (٥٧٥).

السبت ويحفظونه، فحرموا هم الأحد، وأحلوا السبت، مع إقرارهم بأن المسيح كان يحرم السبت ويحفظه... فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود ومغايظتهم)[١]، فلا عجب إذاً أن كثر أتباعهم من حصب جهنم.

الطقوس البدعية الكهنوتية عند النصارى:

استعاض النصارى من أتباع بولس بالعبادات الشرعية، طقوساً وثنية كهنوتية لم تَرَح رائحة ملة إبراهيم، ولم تخرج من مشكاة النبوة، وهي ما يسمونها «الأسرار الكنسية» ويعرِّفونها بأنها: (أعمال مقدسة تمنح بواسطتها بصورة غير منظورة نعمة الله التي تعيد وتجدد وتقدس الإنسان الذي يقبلها... مصدر الأسرار إلهي، وأنه يجب أن تتم بطرقٍ معلومة محددة على أيدي أناسٍ مفوضين بذلك)[٢].

وهذه الأسرار المزعومة سبعة، ثلاثة أصلية، وأربعة ملحقة:

(١) **سر المعمودية أو العماد**: وهو غمس الجسم «تغطيسه» في الماء، أو غسله أو رشه ثلاث مرات ـ على خلاف بين مذاهبهم ـ ثم مسحه بالزيت المقدس «الميرون» باسم الآب والابن والروح القدس، بغرض تطهير طالب الدخول في النصرانية، أو الطفل المولود لأبوين نصرانيين من الخطيئة الأصلية، خطيئة آدم، وغفران جميع الخطايا.

(٢) **سر القربان المقدس «العشاء الرباني»**: حيث يقوم الكاهن من أسقفٍ أو قسيس بتقديس خبزٍ وخمر ليأكله الجمهور بعد استدعاء الروح القدس، على التقدمة، فالخبز يصبح بمثابة جسد المسيح، والخمر دمه، حقيقة! ويسمى أيضاً «سر الشكر» «الأفخاريستيا».

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: (٢٦٦).
(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية: (٨١ ـ ٨٢).

(٣) **سر السيامة**: وهي انتقال سلطة يسوع الروحية التي وهبها ـ بزعمهم ـ للرسل من جيلٍ إلى جيل لقيادة الكنيسة عن طريق «وضع الأيدي» على الرؤوس، فحينئذٍ تسري «الخلافة الرسولية» في الرتب الكنسية الثلاث: الأسقفية، المشيخة أو القسوسية والشَّمَّاسية. وهذا السر هو ما يميز رجال الدين النصارى «الأكليروس» عن العلمانيين، أي المؤمنين العاديين. فهذه الأسرار الثلاثة أصلية قديمة.

(٤) **سر الزواج المقدس**: بالاقتران الشرعي ـ في مقابل المدني ـ بين الزوجين في مراسم كنسية، فيجعلهما هذا السر جسداً واحداً بمباركة الكنيسة.

(٥) **سر الإماتة أو الغفران**: وهو نيل الغفران والتكفير عن الخطيئة بالاعتراف أمام الكاهن. ويلتحق به سر الصلاة على المحتضر «الطقوس الأخيرة» لتحقيق الغفران أيضاً.

(٦) **سر مسحة الميرون**: لمنح نعمة مواهب الروح القدس لتثبيته في الحياة.

(٧) **سر مسحة الزيت**: لشفاء المرضى نفسياً وبدنياً[١].

وهكذا اتخذ النصارى دينهم هزواً ولعباً، وهجروا شريعة الله التي فيها الهدى والنور.

إنجيل برنابا:

وقد جدد الله إقامة الحجة على النصارى في القرون الأخيرة حين اكتشفت نسخة تامة وحيدة من كتاب لأحد كبار تلاميذ المسيح المخلصين، وهو «برنابا»، وذلك في مطلع القرن الثامن عشر، عرفت

---

(١) انظر تفاصيل هذه الأسرار في تاريخ الكنيسة المسيحية: (١٦١ ـ ١٦٦)؛ و: المسيحية في العالم العربي: (٤٥ ـ ٥٠).

باسم «إنجيل برنابا»[١].

والكاتب لم يزعم أن ما كتبه هو «الإنجيل» المنزل من عند الله، رغم أنه كُتب على طرته: الإنجيل الصحيح لعيسى المسمى المسيح[٢]. وغاية ما ذكر أنه حكى في الفصل الحادي والعشرين بعد المائتين، الفصل قبل الأخير، ما يلي: (والتفت يسوع إلى الذي يكتب وقال: يا برنابا عليك أن تكتب إنجيلي حتماً، وما حدث في شأني مدة وجودي في العالم، واكتب أيضاً ما حل بيهوذا[٣]، ليزول انخداع المؤمنين ويصدق كل أحد الحق. حينئذٍ أجاب الذي يكتب: إني لفاعلٌ ذلك إن شاء الله يا معلم...)[٤] ١٢١/١ ـ ٣.

فالكاتب قد كتب في هذا الكتاب ما حدث بشأن المسيح مدة وجوده في العالم من البشارات به، وولادته الخارقة، وآياته المؤيدة بروح القدس، ودعوته إلى عبادة الله تعالى، والبشارة بنبيه محمد ﷺ، وما وقع له من أذى اليهود واضطهادهم وسعيهم في محاكمته وصلبه لدى الحاكم الروماني، ثم رفعه إلى السماء، وضمن ذلك خطبه ومواعظه وأمثاله ووصاياه، التي ربما كان بعضها نصوصاً من الإنجيل الحقيقي، كل ذلك بأسلوبٍ إيماني مشرق، ووضوح تام وحميّة صادقة، تُشعِر القارئ أن كاتبه يقبس من مشكاة

---

(١) انظر في قصة العثور عليها: مقدمة المترجم لها الدكتور خليل سعادة في كتاب إنجيل برنابا: (١٧ ـ ٢٠).
(٢) المرجع السابق: (٣٧).
(٣) يهوذا الإسخريوطي: أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، باع معلمه بثلاثين من الفضة، فصار اسمه عنواناً للخيانة. شنق نفسه يأساً. المنجد في الأعلام (٧٥٢) هكذا عند النصارى، والصحيح أن الله ألقىٰ شبه المسيح عليه، فشبه لهم وصلبوه، وأما المسيح عليه السلام فما قتلوه وما صلبوه، بل رفعه الله إليه.
(٤) المرجع السابق: (٢٩٦).

النبوة، ويمتح من معين التنزيل. حتى إن مترجم هذا الكتاب الدكتور خليل سعادة، رغم كونه نصرانياً مخالفاً لكاتبه في المعتقد، أطراه بما يلي: (الحقيقة التي لا مراء فيها أن كاتب إنجيل برنابا على جانبٍ كبير من الفلسفة، وسمو المدارك، وقوة الحجة، وشدة العارضة، وجلاء البيان، وإن مباحثه الفلسفية في الجسد والحس والنفس من الوجهة الدينية لمن أسمى ما كتب الباحثون الدينيون في هذا الموضوع)(١).

وقد أفصح برنابا ﷺ في مفتتح كتابه وختامه بنفرته مما أحدثه بولس وأشياعه من كفر وضلال، فاستهل بالخطبة التالية: (برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً وعزاءً. أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب(٢) قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعاليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحمٍ نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله. وعليه فاحذروا كل أحدٍ يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً. وليكن الله العظيم معكم، وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر. آمين)(٣) ١ ـ ١٠ فهذا هو

---

(١) المرجع السابق. المقدمة: (٢٩). والنصارى يعبرون بـ«الفلسفة» و«المباحث الفلسفية» عن «العقيدة» و«المباحث العقدية».

(٢) هكذا جاء في النص المترجم. ومعلومٌ أن هذا اللفظ ليس من «الأسماء الحسنى»، ولعل ترجمته الصحيحة: «القدير» كما سيدل عليه نص لاحق: (٢١٦/٣).

(٣) إنجيل برنابا: (٣٧ ـ ٣٨).

الباعث على تأليف هذا الكتاب. وفي آخر فصلٍ منه يختتم بما يلي: (وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة. أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل، كما هي الحال دائماً. فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولن يقوم. وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام. وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون أن يسوع هو ابن الله. وقد خدع في عدادهم بولص. أما نحن فإنما نبشر بما كتبتُ، الذين يخافون الله ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله. آمين) ٢٢٢/١ ـ ٦[١].

لقد روى برنابا مما سمعته أذناه ووعاه قلبه عن المسيح مباشرة ما يدحض كفريات بولص وأشياعه، وهو ما يشهد له القرآن العظيم الذي جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب. فنذكر أهمها، ونستشهد بموضوع واحد من كتابه لكل مسألة، ونشير إلى مواضع أخرى بأرقامها، طلباً للاختصار:

* **أولاً:** إنكاره ﷺ دعوى ألوهيته، وانزعاجه البالغ من ذلك، وأنه عبد الله ورسوله: (لقد ضللتم ضلالاً عظيماً أيها الإسرائيليون لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان... أشهد أمام السماء، وأشهد كل شيء على الأرض أني بريء من كل ما قد قلتم. لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر) ٩٣/١ ـ ٢، ١٠[٢].

* **ثانياً:** إنكاره ﷺ دعوى بنوته: (ليكن ملعوناً كل من يدرج في أقوالي أني ابن الله) ٥٣/ ٣٥[٣].

---

(١) إنجيل برنابا: (٢٩٧).

(٢) إنجيل برنابا: (١٥٤). وانظر أيضاً: (٩/٤٧ ـ ١١) (٩٩) ٥٩/١ ـ ٤ (٢٣٦).

(٣) إنجيل برنابا: (١٠٧). وانظر: ٧٠ (١٢٨، ٢١٢/ ٥ (٢٨٥).

* **ثالثاً:** إثباته العهد لإسماعيل عليه السلام وأنه الذبيح: (صدقوني لأني أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق) ٤٣/ ٣١[١].

(فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما وُلد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟) ٤٤/ ١٠ ـ ١١[٢].

* **رابعاً:** بشارته ببعثة محمد ﷺ وأنه «مسيا» الذي ينتظره بنو إسرائيل: سأله كهنة الهيكل وغيرهم في مناسباتٍ عدة هل أنت مسيا؟ فمن أجوبته: (لست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه: لأني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا، الذي خلق قبلي، وسيأتي بعدي، وسيأتي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية) ٤٢/ ١٤ ـ ١٥[٣].

(إن اسم مسيا عجيب، لأن الله نفسه سماه لما خلقَ نفسه... إن اسمه المبارك محمد) ٩٧/ ١٤، ١٧[٤].

* **خامساً:** تأكيده على العمل بشريعة الأنبياء: (أتظنون أني جئت لأجل الشريعة والأنبياء؟ الحق أقول لكم، لعمر الله أني لم آتِ لأبطلها ولكن لأحفظها... لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته لا يمكن أن يكون مرضياً لله من يخالف أقل وصاياه) ٣٨/ ٢ ـ ٣، ٥[٥].

---

(١) إنجيل برنابا: (٩٤).

(٢) إنجيل برنابا: (٩٥).

(٣) إنجيل برنابا: (٩٢). وفي نقل برنابا هاهنا ما يستنكر من الغلو، فلينتبه لذلك.

(٤) إنجيل برنابا: (١٦١ ـ ١٦٢). وانظر: (٣٩/ ١٤ ـ ٢٦) (٨٨، ٤١/ ٣٠) (٩١) (٤٤/ ١٩ ـ ٣١) (٩٦، ٨٢/ ٧ ـ ١٩) (١٤٢، ١٤٣، ٩٦) (١٥٩) وغيرها كثير.

(٥) إنجيل برنابا: (٨٦).

* **سادساً:** إثباته الدينونة لله سبحانه وتعالى، والشفاعة العظمى لنبيه محمد ﷺ: تضمنت الفصول: ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦ شرحاً وافياً لأحوال يوم القيامة وأهواله ومحاسبة الله للخلائق، وفيه: (تعالوا للدينونة أيتها الخلائق لأن خالقك يريد أن يدينك) ١٨/٥٤، وشفاعة النبي ﷺ، وفيه: (ويكلم الله رسوله قائلاً: مرحباً بك يا عبدي الأمين، فاطلب ما تريد تنل كل شيء... وبعد أن يتكلم يعطي الله رسوله كتاباً مكتوباً فيه أسماء كل مختاري الله) ١٦/٥٥ ـ ١٧، ٣٧[١]. حتى لكأن القارئ يقرأ حديث الشفاعة.

* **سابعاً:** إثبات رفع المسيح إلى السماء، ونفي صلبه: (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع... جاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب. فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد) ١/٢١٥، ٥ ـ ٦[٢].

(ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع. وكان التلاميذ كلهم نياماً. فأتى الله العجيب بأمرٍ عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبهاً بيسوع) ١/٢١٦ ـ ٤[٣].

هكذا روى برنابا مشاهداته الأخيرة بوصفه «شاهد عيان». وتفيض الفصول التالية في وصف ما جرى ليهوذا الخائن من محاكمة وإهانة وصلب بنفس الترتيب الذي ترويه الأناجيل الأربعة منسوباً إلى المسيح. كما يصف برنابا الاضطراب الذي حصل في صفوف أتباعه من جراء

---

(١) إنجيل برنابا: (١٠٥ ـ ١١٢).
(٢) إنجيل برنابا: (٢٨٨). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤).
(٣) إنجيل برنابا: (٢٨٨).

ذلك، وكيف زاغ بعضهم، وثبَّت الله الراسخين في الإيمان بسياقٍ يتفق من حيث الجملة مع ما قرر القرآن.

يقول الدكتور خليل سعادة، مترجم كتاب برنابا، في مقدمته: (ولما شاع خبر إنجيل برنابا في فجر القرن الثامن عشر، أحدث دوياً عظيماً في أندية الدين والعلم، ولا سيما إنكلترة، فكثر بشأنه الجدل، واحتدمت بين العلماء مناقشات)(١).

لقد كان اكتشاف هذا الكتاب وشيوعه بارقة أمل وفرصة نادرة للمراجعة واتباع الهدى، وإيثاره على الهوى، سيما والكتاب يفوق ما يسمونها «الأناجيل الأربعة» سمواً في المعاني، وجزالة ووضوحاً في الأسلوب، وتمكناً في العلم بالكتب السابقة، وعلواً في الإسناد، حتى قال مترجمه: (إنك إذا أعملت النظر في هذا الإنجيل وجدت لكاتبه إلماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد له مثيلاً بين طوائف النصارى إلا في أفرادٍ قليلين من الأخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على الدين كالمفسرين، حتى إنه ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضاً من له إلمامٌ بالتوراة يقرب من إلمام كاتب إنجيل برنابا)(٢).

فيا سبحان الله لِمَ لا يكون كاتب إنجيل برنابا هو برنابا نفسه؟ لقد نُكِس القوم على رؤوسهم، وآثروا رسوم آبائهم، وأصروا على ملة بولس.

وقد تشبث بعضهم بوجود تعليقات باللغة العربية على هوامش المخطوط، فحاولوا نسبة الكتاب إلى مؤلفٍ مسلم مجهول! وما أحسن ما أجاب به الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله: (ومن الغريب أن يُتخذ من

(١) مقدمة مترجم إنجيل برنابا: (٢٠).
(٢) المرجع السابق: (٢٤).

التعليقات العربية دلالة على أصله الإسلامي، ولا يتخذ من صلبه الإيطالي دليلاً على أصله المسيحي)[١].

ومن الثابت لدى مؤرخي النصرانية وجود جملة من الأناجيل والرسائل الرسولية، سوى ما تضمنه قانون العهد الجديد، وأن الكنيسة دأبت على اعتبارها «منحولة» و«مزورة» ومن ذلك «إنجيل برنابا»[٢]. ويذكرون أن البابا «جلاسيوس الأول» أصدر قراراً في أواخر القرن الخامس الميلادي يتضمن قائمةً بالكتب المحرّمة، المنهي عن مطالعتها، وفي عدادها كتاب اسمه: إنجيل برنابا[٣]. وذلك قبل بعثة النبي محمد ﷺ بأكثر من قرنٍ من الزمان. فكيف يتسنى أن يؤلفه مسلمٌ عربي؟! وأما وجود البشارة في النبي محمد ﷺ باسمه الصريح «محمد» فذاك دليلٌ على صدقه لا على تزويره، لموافقته ما في القرآن: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وبعد:

فإن اليهود قد رغبوا عن ملة إبراهيم، ورسالة موسى عليه السلام، وهجروا التوراة، واتبعوا «عزرا»، وعظموا التلمود.

وإن النصارى قد رغبوا عن ملة إبراهيم ورسالة المسيح عليه السلام، وضيعوا الإنجيل، واتبعوا «بولس» واشتغلوا برسائله.

فخرجت هاتان الأمتان عن دين الإسلام الذي ابتعث الله به جميع رسله، إلى معتقداتٍ وأحوالٍ وأوضاع ليست على هدى الله ولا سنن المرسلين، تتراوح بين الغلو والتساهل، والإفراط والتفريط. فحينئذٍ (بعث الله محمداً ﷺ إلى الخلق على فترة من الرسل، وقد مقت أهل

---

(١) محاضرات في النصرانية: (٦٣).
(٢) انظر: تاريخ الكنيسة: (١٥١)، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (١٠٣).
(٣) مقدمة مترجم إنجيل برنابا: (٢٧).

الأرض: عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا ـ أو أكثرهم ـ قبل مبعثه.

والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصمٌ بكتاب إما مبدل، وإما منسوخ، ودينٍ دارس بعضه مجهول، وبعضه متروك. وإما أمي من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنه ينفعه: من نجم أو وثنٍ أو قبرٍ أو تمثالٍ أو غير ذلك، والناس في جاهليةٍ جهلاء، من مقالاتٍ يظنونها علماً وهي جهل، وأعمالٍ يحسبونها صلاحاً وهي فساد. وغاية البارع منهم علماً وعملاً أن يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، وقد اشتبه عليهم حقه بباطله. أو يشتغل بعملٍ القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلاً، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق، حتى يصل ـ إن وصل ـ بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزرٍ قليلٍ مضطرب، لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي، باطله أضعاف حقه ـ إن حصل ـ وأنى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب وتعذر الأدلة عليه والأسباب. فهدى الله ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى، هداية جلَّت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين عموماً، ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم، علماً وعملاً، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فللَّه الحمد كما يحب ربنا ويرضى)[(١)].

وبهذا يعلم أن من يسعى للتقريب بين الإسلام وبين اليهودية والنصرانية يحاول الجمع بين النقيضين، والتوفيق بين المتضادين، وأنه لم يفقه حقيقة الدين الذي بعث الله به المرسلين.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٦٣ ـ ٦٤).

المبحث الثالث

حكم الإسلام في «أهل الكتاب»

أرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وحجةً على الناس أجمعين؛ كتابيِّهم ومشركهم، عربهم وعجمهم، في وقتٍ كانوا أشد ما يكونون حاجة إلى نبيٍ من عند الله يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويذكرهم بأيام الله، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم. ذلك أنهم قد آل أمرهم إلى مأزقٍ لا يمكنهم الانفكاك من قبضته إلا ببينة من ربهم، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ [البينة].

فجاء هذا «القرآن» الذي هو كلام الله بياناً شافياً، وحكماً فصلاً، وقضاءً عدلاً، فيما كانوا فيه يختلفون، سيما أهل الكتاب الذين اتخذوا دينهم شيعاً، وتفرقت بهم المذاهب والأهواء، ولم يقيموا التوراة والإنجيل. فلذلك خُصُّوا بالذكر في آياته، واستُهدفوا في مقاصده وغاياته. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾ [النمل] فهو يرفع الخلاف، ويهدي ويرحم، ثم يقضي ويحكم.

وقال تعالى بعد ذكر الكتابين السابقين، التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]. قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في معنى «مهيمناً

عليه»: (وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتابٍ قبله)[١].

فمن سبقت له من الله الحسنى، من أهل الكتاب، وقبل البشرى أُوتي أجره مرتين ونال الحُسنيين، وصار من جملة المسلمين، كما حكى الله ذلك عن بعضهم: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة]. فليس عن هؤلاء «السعداء» نتكلم في هذا المبحث، فقد ارتفع عنهم وصف «أهل الكتاب»، وصاروا من «أهل الإسلام». وإنما الكلام على من أصر على دينه، وتشبث برسوم ملته، وأخذته العزة بالإثم، فلم يرفع بالإسلام رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي بعث به نبيه محمداً ﷺ.

وقد حكم الإسلام في أهل الكتاب حكمين:

أحدهما: حكم علمي: في بيان حقيقة ما هم عليه من الاعتقادات والأعمال، وتعيين مُسمَّاهم في باب أسماء الدين والإيمان، وبيان جزائهم في باب وعيد الله.

الثاني: حكم عملي: في وصف معاملتهم، وما يختصون به من أحكام دون سائر الناس.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٣/١٢٨).

فالأول: ثابتٌ لا يتغير بتغير الزمان والمكان والحال. **والثاني:** أصله ثابت كذلك، لكن قد تتغير بعض أحكامه بتغير الأحوال، وفق ما تقتضيه السياسة الشرعية على نحو ما سنبين لاحقاً ـ إن شاء الله ـ.

أولاً: حكم الإسلام في أهل الكتاب من الناحية الاعتقادية:

توافرت نصوص الكتاب والسنة عل ذم عامّة أهل الكتاب، وحكاية مقالاتهم الفاسدة في مختلف أبواب الإيمان، وأعمالهم البدعية والشركية، وأخلاقهم الذميمة، مما سبق ذكر طرفٍ منه من صميم كتبهم التي يقدسونها، وتاريخهم الذي يسلِّمون به، في المبحث السابق. ونذكر هاهنا حكم الإسلام الفصل في حقيقة ما عليه أهل الكتاب من عقائد وأعمال حين أدركهم الإسلام، دون الاستطراد في ذكر معايبهم السابقة مع أنبيائهم على سبيل التفصيل مما قصه الله في سورة البقرة والنساء والأعراف وطه وغيرها، عن اليهود، وما قصه في سورة آل عمران والمائدة وغيرهما، عن النصارى.

١ ـ الحكم بنفي الإيمان عنهم:

* ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

* ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾[المائدة].

* ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٨١].

* ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة].

٢ - الحكم بكفرهم:

وردت النصوص بتكفير اليهود والنصارى صريحة واضحة لا تحتمل اللبس والتأويل مقرونةً بذكر سبب كفرهم. وقد تنوعت موارد كفرهم، فمن ذلك:

أ - القول بالوهية المسيح:

* ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢].

ب - القول بالتثليث:

* ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

جـ - القول بالبنوة:

* ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة].

د - الكفر بآيات الله:

* ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١، آل عمران: ١١٢].

* ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٩٨].

* ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

هـ - عدم إقامة التوراة والإنجيل:

* ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٨﴾ [المائدة].

و ـ الكفر برسالة محمد ﷺ:

* ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

ز ـ كفرهم بإطلاق:

* ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء].

* ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة].

* ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة].

٣ ـ الحكم بشركهم وعبادتهم غير الله:

* ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

* ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء].

* ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن

كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة].

* ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

٤ ـ الحكم بضلالهم:

* ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة] ـ في النصارى ـ.

* ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة].

٥ ـ الحكم بفسقهم:

* ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].

* ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة].

* ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف].

* ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

* ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة].

* ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد].

٦ ـ الحكم عليهم باللعن والغضب:

* ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة].

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة].

* ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٦١، ٩٠، آل عمران: ١١٢].

* ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء].

* ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

* ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾ [المائدة: ١٣].

* ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: ٦٤].

* وقال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». متفق عليه[(١)].

٧ ـ الحكم عليهم بالنار والخلود فيها:

* ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة].

* ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ١١٠)، صحيح مسلم: (١/ ٣٧٦).

عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨١)﴾ [البقرة].

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ (٦)﴾ [البينة].

* ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ [المائدة].

* ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾ [البقرة].

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ (١٧٥)﴾ [البقرة].

* ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١)﴾ [آل عمران].

* ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [البقرة].

* وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من

هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم(١).

فهذا حكم الإسلام في أهل الكتاب من الناحية العلمية الاعتقادية:

فهم في باب أسماء الدين والإيمان: كفارٌ، غير مؤمنين، مشركون، ضلالٌ، فساق، ضلالاً وفسقاً مخرجين عن حد الإيمان، مغضوبٌ عليهم، ملعونون.

وهم في باب وعيد الله: خالدون مخلدون في النار.

فجملة ما أكفر الله به اليهود والنصارى:

١ ـ عدم إيمانهم بالله الإيمان الصحيح، بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فقد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، ونسبوا إليه الولد وألهوا المسيح، وجعلوا الله ثالث ثلاثة، ووصفوه بصفات العيب والنقص ومشابهة المخلوقين.

٢ ـ أذيتهم لأنبياء الله بالقتل والسب والتكذيب.

٣ ـ إنكارهم لنبوة محمدٍ ﷺ بعد قيام الحجة عليهم.

٤ ـ كفرهم بآيات الله، بتكذيبها وكتمانها وإخفائها وتحريفها تحريفاً لفظياً ومعنوياً والاختلاف فيها، وعدم إقامتها، والإعراض والتولي عنها.

٥ ـ كفرهم باليوم الآخر.

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ١٣٤).

الحكم بنسخ شرائعهم بشريعة الإسلام:

فلما آل حال القوم إلى الكفر بالله وتكذيب رسله وتحريف كتبه، واستزلال الشيطان لهم في عباداتهم إلى الشرك والبدعة، وفي معاملتهم إلى الظلم والعدوان، حتى انطمس انتماؤهم إلى ملة إبراهيم، وتحللوا من عرى الدين، نسخ الله شرائعهم بشريعة الإسلام، وأبطل اليهودية والنصرانية، وأثبت الحنيفية المسلمة، فلا يقبل ديناً سوى الإسلام: وأدلة ذلك:

* ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

* ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وصدر سورة آل عمران قد نزل في محاجة نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ.

* ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

* ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

وذلك بعد ذكر أمره السابق لليهود بالحكم بالتوراة، وأمره للنصارى بالحكم بالإنجيل.

* وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[١].

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ١٣٤).

* وقال أيضاً: «إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية»(١).

وإلى جانب هذا الحكم العقدي الفاصل كشف الله تعالى في كتابه لعباده المؤمنين من صفات السوء، التي طبعوا عليها، وصارت سمةً لعامتهم، وما يكفيهم للحذر منهم، وعدم الوقوع فيما وقعوا فيه، وأكثرها في اليهود، ومن ذلك:

١ ـ الحسد:

* ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران].

٢ ـ النفاق والخيانة:

* ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [المائدة: ٤١].

* ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

* ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران].

* ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح (١٣/ ٢٠٤، ٢٦٤). ورواه أحمد بلفظ: (إن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية): المسند: (٥/ ١٣١). وقال محققوه: إسناده حسن. انظر: تكملة تحقيق المسند طبعة مؤسسة قرطبة الجزء الثاني من المجلد الخامس: (٧٢ ـ ٧٣).

أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة].

٣ - المكر والخديعة:

* ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٢، ٧٣].

٤ - المعصية والعدوان وموالاة الكفار:

* ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ﴾ [المائدة: ٦٢].

* ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ﴾ [النساء: ١٦١]،

* ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة].

٥ - البخل والشح:

* ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤].

* ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ﴾ [آل عمران: ٧٥].

٦ - الجبن:

* ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

* ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر].

٧ ـ قسوة القلوب:

* ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

* ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

* ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴿١٣﴾﴾ [المائدة].

٨ ـ العداوة والبغضاء:

* ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ٦٤] ـ في اليهود ـ.

* ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤] ـ في النصارى ـ.

٩ ـ الذلة والمسكنة:

* ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

* ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

١٠ ـ السعي في الفساد:

* ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٦٤].

١١ ـ نقض العهود:

* ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة].

* ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

* ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

١٣ ـ الدعاوى العريضة الكاذبة:

* ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [المائدة: ١٨]

* ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

ثانياً: حكم الإسلام في معاملة أهل الكتاب:

بناءً على الحكم العقدي الواضح في كفر أهل الكتاب وفسقهم وضلالهم ورغبتهم عن ملة إبراهيم، واستنكافهم عن اتباع خاتم المرسلين ﷺ، جاءت أحكام الشريعة الإسلامية بمعاملتهم معاملةً تجمع بين التزام الحق ولزوم العدل؛ بين تمييز أهل الإيمان وإظهار شرفهم وعلوهم، لشرف الحق الذي يحملونه، ليظهره الله على الدين كله، وبين منع الظلم والاستطالة بغير حق على من يعيش في كنف المسلمين، ويستظل بولايتهم ملتزماً شرائطهم العادلة المنصفة.

وقد كان يعيش في أطراف الجزيرة العربية، وبعض نواحيها قبائل من أهل الكتاب كنصارى تغلب، ونصارى نجران، ويهود خيبر وفدك بعد إجلاء اليهود من المدينة إبان العهد النبوي، ولما فتح الخلفاء الراشدون الأمصار كان عامة أهل العراق والشام ومصر من أهل الكتاب. فما ضاقت بهم شريعة الله، ولم يحتر المسلمون في معاملتهم، ولم يحتاجوا إلى ما عرف في التاريخ القديم والحديث بعمليات التطهير العرقي والديني. وفي ذات الوقت لم يتخل أهل الإسلام عن خصائص دينهم، أو يتأثروا بجمهورهم الكثيف في بداية حركة الفتح الإسلامي. بل لزموا موازنةً دقيقة منصفةً عادلة مستمدة من

كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، لقَّحت عقول المجتهدين من أئمة الفقه وولاة المسلمين، حتى تكون ما عرف بـ«أحكام أهل الذمة».

ونثبت فيما يلي طائفتين من الأحكام المتعلقة بمعاملة أهل الكتاب:

الطائفة الأولى: في الأحكام المقصودة لحفظ الدين، وتميز المسلمين.

والطائفة الثانية: في الأحكام المقصودة لحفظ الحق وقيام العدل والإحسان.

ثم نتبعه ببيان الفارق الدقيق بين هذين المقصودين، وميزان العدل بين هاتين الكفتين الذي خفي على كثيرٍ من الناس فوقع بعضهم في الإفراط وبعضهم في التفريط.

أ ـ الأحكام المتعلقة بحفظ الدين وتميز المسلمين:

١ ـ كون الدين كله لله بإسلامهم أو إعطائهم الجزية أو قتالهم:

* ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة].

* ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

* ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

* عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله.

اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...»[١] الحديث.

* وعند معاذ بن جبل[٢] ﷺ قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً أو تبيعة، ومن كل أربعين مسنة، ومن كل حالم ديناراً أو عدله مَعَافِر[٣].

وعلى ذلك درج الخلفاء الراشدون أثناء الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام والعراق ومصر. فصار قوادهم يبرمون العهود والاتفاقيات الملزمة لأهل الكتاب الباقين على دينهم، بدفع الجزية للمسلمين مع إقرارهم على أموالهم وعقارهم ومعابدهم، واعتبارهم «أهل ذمة». قال ابن

---

(١) رواه مسلم: (٣/ ١٣٥٧).

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمن، من أعيان الصحابة. شهد بدراً وما بعدها. وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن. مات بالشام سنة ثمان عشرة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٥).

(٣) رواه الترمذي: (٣/ ١١٥)، والنسائي: (٣/ ٢٦)، وأبو داود: (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) وقال عن المعافر: (ثياب تكون في اليمن). وقال ابن حجر: (وصححه ابن حبان والحاكم) بلوغ المرام من أدلة الأحكام: ابن حجر، أحمد بن علي، العسقلاني. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية. بيروت (٢٧٥).

القيم رحمه الله: (فالجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً. . واختلف الناس في تفسير «الصَّغار» الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية. فقال عكرمة(١): أن يدفعها وهو قائم، ويكون الآخذ جالساً. وقالت طائفة: أن يأتي بها بنفسه ماشياً لا راكباً، ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويجر إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف، ثم تجريده ويمتهن.

وهذا كله مما لا دليل عليه. ولا هو مقتضى الآية، ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك. والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم بجريان أحكام الملة عليهم، وإعطاء الجزية، فإن التزامهم ذلك هو الصغار)(٢).

هذا هو المقصود الأعظم، والهدف الأساسي من فرض الجزية كما نطقت بذلك النصوص. فهي مظهر جلي لكون الدين كله لله، واستسلام العباد لأمره، وكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقد تقترن بهذا الهدف مقاصد أخرى من مقتضى عقد الذمة، وهي الحماية والمنعة المكفولة من قبل الدولة الإسلامية لأهل ذمتها، ومن أجل ذلك رد أبو عبيدة(٣)، عامر بن الجراح رضي الله عنه ما أخذه من

---

(١) عكرمة: مولى ابن عباس، وثقه جماعة، واعتمده البخاري. أما مسلم فلم يخرج له إلا قليلاً مقروناً بغيره، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. توفي سنة ١٠٥هـ. ميزان الاعتدال (٤/ ١٣).

(٢) «أحكام أهل الذمة» ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. تحقيق: د. صبحي الصالح. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الرابعة ١٩٩٤م. (١/ ٢٢ ـ ٢٤). (١/ ٢٢ ـ ٢٤).

(٣) عامر بن عبد الله بن الجراح، القرشي، الفهري، أبو عبيدة أحد العشرة، أسلم قديماً، وشهد بدراً. مات شهيداً بطاعون عمواس سنة ثماني عشرة، وله ثمان وخمسون سنة. تقريب التهذيب (١/ ٣٨٨).

الجزية على أهل الشام لما بلغه اجتماع جحافل الروم لحرب المسلمين، فخشي ألا يفي بما وعدهم من الحماية: (فكتب أبو عبيدة إلى كل والٍ ممن خلَّفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج)[١]: قال الماوردي[٢] رحمه الله: (يجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب لِيُقَرُّوا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقان:

أحدهما: الكف عنهم، **والثاني:** الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين)[٣].

ويجنح كثير من الكتاب المسلمين المعاصرين إلى «الاعتذار» عن الإسلام! لفرضه الجزية على أهل الكتاب، بألوان متكلفة من التوجيهات والاستنباطات، وربما صح بعضها تبعاً، لا استقلالاً، في حين يغضون الطرف عن الحكمة الأصيلة في هذا التشريع، وهي إذلال الكفار وإظهار صغارهم[٤]. ولا ريب أن هذا المنحى إنما هو نتيجة للهزيمة

---

(١) كتاب الخراج: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم. المطبعة السلفية ـ القاهرة. الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ. (١٥٠).

(٢) الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن، الماوردي. أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدانٍ كثيرة. ثم جعل «أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي. توفي في بغداد. من كتبه: أدب الدنيا والدين، والنكت والعيون، والأحكام السلطانية. وغيرها. انظر: الأعلام (٤/ ٣٢٧).

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. تخريج وتعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي. دار الكتاب. بيروت. (٢٥٤).

(٤) انظر على سبيل المثال: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د. يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. الطبعة السادسة (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م). (٣٤ ـ ٣٦).

النفسية والحضارية التي يعيشها المسلمون في هذا الزمان. ويقابل هذا الانكسار المعاصر تساؤلٌ يَرِد في قلوب المسلمين الأولين: هل في إبقاء أهل الكتاب بين ظهراني المسلمين بالجزية، ما ينافي كون كلمة الله هي العليا، وكون الدين لله؟ ويجيب ابن القيم رحمه الله قائلاً: (ليس في إبقائهم بالجزية ما يناقض هذا المعنى، كما أن إبقاء أهل الكتاب بالجزية بين ظهور المسلمين لا ينافي كون كلمة الله هي العليا، وكون الدين كله لله. فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره، وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم، فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم، وإقامة دينهم كما يحبون، بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة. والله أعلم)[١].

ويلتحق بهذا الأصل العظيم؛ كون الدين كله لله، وكون كلمة الله هي العليا، خضوع أهل الذمة لأحكام الشرع العام في الدماء والأموال والأعراض، وعدم مضايقة المسلمين بالاستعلان بشعائرهم الظاهرة. وما سوى ذلك من الأمور التعبدية والشخصية والاجتماعية فيما بينهم فهم أحرار، إلا أن يحتكموا إلينا.

وقد ألحق ابن القيم رحمه الله ذكر الشروط العمرية وأحكامها وموجباتها وشرحها في آخر كتاب «أحكام أهل الذمة» وأشاد بها، وقوى من شأنها فقال: (وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم، وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها)[٢]. وسياق هذه الشروط يعطي المتفقه حدود المعالم الرئيسية لمعاملة أهل الكتاب، ودينونتهم لحكم الإسلام. وقد رواها

---

(١) أحكام أهل الذمة: (١/ ١٨).

(٢) أحكام أهل الذمة: (٢/ ٦٦٣ ـ ٦٦٤).

عبد الله ابن الإمام أحمد[1] بسنده أن أهل الجزيرة كتبوا إلى عبد الرحمٰن بن غنم[2]: (إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا، على أنَّا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة، ولا في ما حولها ديراً ولا قلاية[3] ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا، ولا ما كان منها في خطط المسلمين، وأن لا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، ولا نكتم غشاً للمسلمين، وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألا نخرج صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين، وألا نخرج باعوثاً ـ قال: والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر ـ ولا شعانين[4]، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمور، ولا نظهر شركاً، ولا نرغِّب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً، ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين، وألا نمنع أحداً من أقربائنا أرادوا

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن، ولد سنة ٢١٣هـ، من حفاظ الحديث المتقنين، وهو راوي المسند عن أبيه، وله زوائد المسند، وله أيضاً زوائد الزهد على كتاب الزهد لأبيه وله مسائل عن أبيه. ومن كتبه أيضاً «السنة» توفي سنة ٢٩٠هـ. الأعلام (٤/ ٦٥)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٤١)، الطبقات لأبي يعلى (١/ ١٨٠)، التيمورية (٢٣٦٢)، الرسالة المستطرفة (١٦).

(٢) عبد الرحمن بن غَنْم الأشعري. مختلف في صحبته وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين. مات سنة ثمان وسبعين. تقريب التهذيب (١/ ٤٩٤).

(٣) القِلَّاية: مسكن الأسقف «يونانية» المنجد في اللغة (٦٥٢).

(٤) الشعانين: عيد الأحد الذي قبيل الفصح «عبرانية» مأخوذ من: «هوشيعه نا» أي خلصنا. المنجد في اللغة (٣٣٦).

الدخول في الإسلام، وأن نلزم زيَّنا حيث كنا، وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجز مقادم رؤوسنا، ولا نفرق نواصينا، ونشد الزنانير[١] على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق، ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس، ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا يشارك أحدٌ منا مسلماً في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام، ونطعمه من أوسط ما نجد. ضمنا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا، وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق.

فكتب بذلك عبد الرحمٰن بن غنم إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب إليه عمر: (أن امض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين، اشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم: ألا يشتروا من سبايانا. ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده) فأنفذ عبد الرحمٰن بن غنم ذلك، وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط[٢].

ورغم ما قيل في شأن هذه الشروط من ناحية الثبوت، أو من الناحية الموضوعية فقد ظلت المرجع الأساسي لفقهاء الأمة[٣].

---

(١) الزنانير: جمع زُنَّار وزُنَّارة: ما يشد على الوسط «يونانية». المنجد في اللغة (٣٠٨).

(٢) عن أحكام أهل الذمة: (٢/٦٥٧ ـ ٦٦١).

(٣) ذكر ابن حزم هذه الشروط في مراتب الإجماع: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. دار الكتب العلمية. بيروت. (١١٥). ورواها بسنده عن=

يقول الماوردي: (ويشترط عليهم في عقد الجزية شرطان، مستحق ومستحب:

أما المستحق فستة شروط:

أحدها: ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له.

والثاني: ألا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب له ولا ازدراء.

والثالث: ألا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه.

والرابع: ألا يصيبوا مسلمة بزنا لا باسم نكاح(١).

والخامس: ألا يفتنوا مسلماً عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ولا دينه.

والسادس: ألا يعينوا أهل الحرب، ولا يودوا أغنياءهم(٢).

فهذه الستة حقوق ملتزمة، فتلزمهم بغير شرط، وإنما تشترط إشعاراً لهم وتأكيداً لغليظ العهد عليهم، ويكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم.

وأما المستحب فستة أشياء:

أحدها: تغيير هيئاتهم بلبس الغيار، وشد الزنار.

= عبد الرحمن بن غنم، في المحلى: (٧/٣٤٦ ـ ٣٤٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٠٢). وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم». وقال بعدها: «رواه حرب بإسنادٍ جيد) ثم قال: (وهذه الشروط أشهر شيءٍ في كتب الفقه والعلم. وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين، وأصحابهم وسائر الأئمة) (١/٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(١) في العبارة خفاء. ولعلها: (ولا باسم نكاح) أو (ولو باسم نكاح).

(٢) في العبارة خفاء. ولعلها: (ولا يؤووا عيونهم)، فقد جاء في ما يلزم الذّمي عند أبي يعلىٰ: (ولا يؤوي للمشركين عيناً، أعني جاسوساً). الأحكام السلطانية ١٥٨، فربما جرىٰ تصحيف من النساخ.

والثاني: ألا يعلوا على المسلمين في الأبنية، ويكونوا إن لم ينتصوا مساوين لهم.

والثالث: أن لا يسمعوهم أصوات نواقيسهم، ولا تلاوة كتبهم، ولا قولهم في عزير والمسيح.

والرابع: ألا يجاهروهم بشرب خمورهم، ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم.

والخامس: أن يخفوا دفن موتاهم، ولا يجاهروا بندبٍ عليهم ولا نياحة.

والسادس: أن يمنعوا من ركوب الخيل عتاقاً وهجاناً، ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير.

وهذه الستة المستحبة لا تلزم بعقد الذمة حتى تشترط فتصير بالشرط ملتزمة، ولا يكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم، لكن يؤاخذون بها إجباراً ويؤدبون عليه زجراً، ولا يؤدبون إن لم يشترط ذلك عليهم)[١].

والناظر في هذه الشروط من خلال الأصول العامة للشريعة، والنصوص الواضحة بإلزام أهل الذمة الذلة والصغار، وأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه يدرك أنها ذات أصل عُمَري راشدي مستضيء بنور الكتاب والسنة. أما ما غص به بعض الكتاب المحدثين واستثقلوه منها، أو اجتهدوا في توجيهها توجيهاً لا يتفق ومقاصد الشرع فإنما جاء نتيجة لضغط الواقع المرير والضعف البالغ الذي مني به المسلمون في هذه الأزمنة، والله المستعان.

---

(١) الأحكام السلطانية: (٢٥٨ ـ ٢٦٠)، وانظر أيضاً: الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء: (١٥٨).

٢ ـ عدم موالاتهم أو ائتمانهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

* ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

* فنُهي المؤمنون عن موالاة الكفار عموماً، وأهل الكتاب خصوصاً، ومعنى الموالاة في اللغة القرب والنصر والحلف. قال الجوهري(١) في مادة «ولي»: (الوَلْي: القرب والدنو. يقال: تباعد بعد

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، لغوي، من الأئمة، ومن أشهر مؤلفاته: الصَّحاح، وله كتاب في العروض، ومقدمة في النحو. مات سنة ٣٩٣هـ. =

ولْي.. والوَلِيُّ: ضد العدو. يقال منه: تولاه.. والموالاة ضد المعاداة والوَلاية والوِلاية: النصرة. يقال هم عليَّ ولَاية: أي مجتمعون في النصرة)[١]. وقال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، بعد أن ذكر أقوالاً في سبب نزولها: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً ووليّاً من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان)[٢].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران] (يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم، يقول: من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين، وإنما جعل البطانة مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده، وكثير من أقاربه، محل ما ولي جسده من ثيابه)[٣]، ثم بين أن المعنيين بذلك هم أهل الكتاب من يهود بني

= الأعلام (١/٣١٣)، معجم الأدباء (٢/٢٦٩)، النجوم الزاهرة (٤/٢٠٧)، لسان الميزان، (١/٤٠٠)، إنباه الرواة (١/١٩٤)، يتيمة الدهر (٤/٢٨٩).

(١) الصحاح: (٦/٢٥٢٨).

(٢) جامع البيان: (٦/٢٧٦).

(٣) جامع البيان: (٤/٦٠).

إسرائيل وليس المنافقين أو المشركين[١].

وهكذا فهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ الذي شهد عهده فتوح الأمصار وانضواء أهل الكتاب تحت عقد الذمة، فكان شديد الحرص والحيطة على عدم موالاتهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وزجر عماله ونوابه على استعمالهم على مصالح المسلمين الخاصة. ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن أبي حاتم[٢] بسنده قال: (قيل لعمر بن الخطاب: إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً فلو اتخذته كاتباً. قال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين)[٣]، وعقب ابن كثير ﷺ قائلاً: (ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يغشوها إلى الأعداء من أهل الحرب)[٤]. وقد أفاض ابن القيم ﷺ في سرد مواقف بعض الخلفاء من أهل الذمة، حين رأوا منهم نفوذاً واستطالةً على المسلمين في دولة بني أمية وبني العباس وانتهاءً بدولة بني أيوب[٥]. ونختار منها قطعةً نسخها ﷺ من كتابٍ للخليفة العباسي المتوكل[٦] إلى عماله،

(١) جامع البيان: (٤/ ٦٣ ـ ٦٤).
(٢) عبد الرحمن بن محمد، أبي حاتم، ابن إدريس بن المنذر التيمي الحنظلي، الرازي، أبو محمد ولد سنة ٢٤٠هـ، حافظ للحديث، من كبارهم. له تصانيف منها: الجرح والتعديل، والتفسير، والرد على الجهمية. وغيرها توفي سنة ٣٢٧هـ. الأعلام (٣/ ٣٢٤).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٢/ ٥٠٠) وصحح المحقق إسناده.
(٤) تفسير القرآن العظيم: (١/ ٣٩٨).
(٥) انظر: أحكام أهل الذمة: (٢٠٨ ـ ٢٤٤).
(٦) جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون (الرشيد)، أبو الفضل خليفة عباسي، ولد ببغداد وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة (٢٣٢هـ)، ولما استخلفه كتب إلى أهل بغداد كتاباً بترك الجدل في القرآن، وأن الذمة=

يقول فيه بعد مقدمة زاخرة بالآيات القرآنية في تحريم موالاة أهل الكتاب وائتمانهم: (... وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأي لهم ولا روية يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين، ويسلطونهم على الرعية فيعسفونهم، ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم، والعدوان عليهم، فأعظَمَ أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبره، وتبرأ إلى الله منه، وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسمه والنهي عنه، ورأى أن يكتب إلى عماله على الكُوَر والأمصار، وولاة الثغور والأجناد في ترك استعمالهم للذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم، والإشراك لهم في أماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه، وجعل في المؤمنين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين، وحسن الرعاية لما استرعاهم، والكفاية لما استكفوا، والقيام بما حملوا، ما أغنى عن الاستعانة بالمشركين بالله، المكذبين برسله، الجاحدين لآياته الجاعلين معه إلهاً آخر، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ورجاء أمير المؤمنين بما ألهمه الله من ذلك، وقذف في قلبه، جزيل الثواب، وكريم المآب، والله يعين أمير المؤمنين على نيته في تعزيز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وحزبه، فليعلم هذا من رَأي أمير المؤمنين، ولا يستعان بأحد من المشركين، وإنزال أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله تعالى بها. فاقرأ كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشعه فيهم، ولا يعلمن أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحدٍ من عمالك وأعوانك بأحدٍ من أهل الذمة في عمل. والسلام)[١].

ثم خلص ابن القيم كَلَّلهُ إلى القول: (ولما كانت التولية شقيقة الولاية كانت توليتهم نوعاً من توليهم، وقد حكم تعالى بأن من تولاهم

= بريئة ممن يقول بخلقه أو غير خلقه. توفي سنة (٢٤٧هـ). الأعلام (٢/ ١٢٧)، تاريخ بغداد (٧/ ١٦٥)، تاريخ الطبري (١١/ ٢٦ ـ ٦٢).

(١) أحكام أهل الذمة: (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً، والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً، والولاية صلة، فلا تجامع معاداة الكافر أبداً)[١].

٣ ـ تحريم محبتهم وموادتهم ومؤاخاتهم:

■ قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة]، وأي محادَّة لله تعالى أعظم من الشرك به ووصفه بالنقائص والعيوب، تعالى عما يقولون علواً عظيماً! وأي محادَّة لرسوله ﷺ أعظم من تكذيبه وإنكار نبوته، ورد الحق الذي جاء به!.

■ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر[٢]: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)[٣].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة. ومن عجبٍ أن تنزلق ألسنة

---

(١) أحكام أهل الذمة: (١/ ٢٤٢).

(٢) أبو ذر: جندب بن جناده بن سفيان، من بني غفار، من كبار الصحابة، أسلم قديماً قبل الهجرة وله فضائل ومناقب جمّة، توفي بالربذة سنة ٣٢هـ.
الأعلام (٢/ ١٤٠)، طبقات ابن سعد (٤/ ١٦١)، الإصابة (٧/ ٦٠)، صفة الصفوة (١/ ٢٣٨)، حلية الأولياء (١/ ١٥٦)، الذريعة (١/ ٣١٦)، الكنى والأسماء (١/ ٢٨).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير: (٣/ ١٢٥)، والبغوي في شرح السنة: (٣/ ٤٢٩). وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل) (٤/ ٣٠٧، ٢/ ٧٣٥).

بعض رقاق الدين المتعالمين فيطلقون وصف «الأخوة» على أهل الكتاب، فيرفع أحدهم عقيرته في المنتديات العامة، وفوق المنابر العالية قائلاً: إخواننا النصارى!! كيف وقد قال الله: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

٤ ـ تحريم التشبه بهم:

* قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[١]. وهذا التشبه المنهي عنه، المذموم شرعاً، يشمل مماثلة أهل الكتاب ومضاهاتهم، ومجاراتهم في عقائدهم وعباداتهم وسلوكهم وعاداتهم التي يختصون بها، لما يوجب ذلك التشبه ـ ولو كان ظاهرياً ـ من الميل الباطني. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (... إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك. وأمور ظاهرة: من أقوالٍ وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم

---

(١) رواه أحمد في المسند: (١/ ٥٠)، وأبو داود (٤/ ٣١٤)، وجوّد سنده ابن تيمية، وحسَّنه ابن حجر. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤٠)، والفتاوى (٢٥/ ٣٣١) وفتح الباري (٦/ ٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير من حديث البشير النذير: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة الحلبوني. دمشق. برقم (٦٠٢٥).

بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

وقد بعث الله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم، والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة، لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضياً لذلك إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن أسباب الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين، وأعدائه الخاسرين. وكلما كان القلب أتم حياء وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام - لست أعني مجرد التوسم ظاهراً أو باطناً بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة، كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطناً وظاهراً أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحاً محضاً لو تجرد عن

مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم، كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له)[١].

وقد أسس شيخ الإسلام ﷺ كتابه العظيم ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ـ على هذا الأصل الكبير، وساق جملة كبيرة من النصوص الدالة على منع التشبه بالقوم ظاهراً وباطناً.

٤ ـ الحذر من كتبهم ومروياتهم:

تقدم ذكر الآيات الدالة على تحريفهم للكلم من بعد مواضعه، وكتابتهم الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيءٍ، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله، محضاً لم يُشَب، قد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا، فكتبوا بأيديهم، قالوا: هو من عند الله، ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً. أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم! فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم)[٢].

* وعن جابر[٣] بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ فغضب، فقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم بشيءٍ فيخبروكم بحقٍ فتكذبوا به.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: (١/ ٨٠ ـ ٨٢).

(٢) صحيح البخاري: (٨/٢٠٨).

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ له ما يقرب من ١٥٤٠ حديثاً. توفي سنة ٧٨هـ. الأعلام (٢/ ١٠٤)، الإصابة (١/ ٢١٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١٤٢).

أو بباطلٍ فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)[١].

* وفي رواية: (فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا)[٢].

* وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ بنسخةٍ من التوراة فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة فسكت. فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير. فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال: أعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسول الله ﷺ، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً. فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمدٍ بيده! لو بدا لكم موسى، فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني)[٣].

* وعن أبي نملة الأنصاري[٤] ﷺ أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجلٌ من اليهود، فقال: يا محمد: هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: الله أعلم. قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله. فإن كان حقاً لم

---

(١) رواه أحمد. المسند: (٣/ ٣٨٧)، وقد استقصى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني طرقه وشواهده وخلص إلى القول: (هو على أقل تقدير حديث حسن). ووصف في فتوى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية رقم (١٩٤٠٢) في ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ بالثبوت.

(٢) رواه أحمد. المسند: (٣/ ٣٣٨).

(٣) رواه الدارمي في المقدمة: (١١٥).

(٤) أبو نملة الأنصاري، صحابي اختلف في اسمه فقيل عمار، وقيل عمر، وقيل عمارة، وهو ابن معاذ بن زرارة من بني ظفر من الأوس شهد أحداً، وقيل شهد بدراً. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٤٨٢).

تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم)[١].

فيجب الحذر من كتبهم ومروياتهم وآثارهم، وهي ما أطلق عليه المسلمون «الإسرائيليات»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (هذه الأحاديث الإسرائيلية، تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا، مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته، لما تقدم[٢]، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لأمرٍ ديني)[٣].

٥ ـ تحريم بداءتهم بالسلام، وتقديمهم في المرور أو العبور ونحو ذلك:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريقٍ فاضطروهم إلى أضيقه)[٤].

* وعن أبي بَصرة[٥] رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (إنا غادون إلى يهود فلا تبدؤوهم بالسلام، فإذا سلموا عليكم: فقولوا: وعليكم)[٦].

---

(١) رواه أحمد. المسند: (٤/ ١٣٦). وأبو داود: (٤/ ٥٩).
(٢) يعني حديث: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) رواه البخاري: (٤/ ١٤٥).
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).
(٤) صحيح مسلم: (٤/ ١٧٠٧).
(٥) أبو بَصرة، حُمَيْل وقيل جُمَيْل بن بصرة بن وقاص، أبو بصرة الغفاري، صحابي سكن مصر ومات بها. تقريب التهذيب (١/ ٢٠٥).
(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٩٨). وقال محققوه: (حسن). انظر: الجزء الثالث من المجلد السادس: (٤٧٥).

قال ابن القيم كَلَلهُ: (والمقصود أن السلام اسمه ووصفه وفعله، والتلفظ به ذكر له.. فحقيق بتحية هذا شأنها أن تصان عن بذلها لغير أهل الإسلام، وألا يحيى بها أعداء القدوس السلام. ولهذا كانت كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار: «سلام على من اتبع الهدى» ولم يكتب لكافر: «سلام عليكم» أصلاً. فلهذا قال في أهل الكتاب: «لا تبدؤوهم بالسلام»)[١].

(وأما الرَّدُّ عليهم فأمر أن يقتصر به على «عليكم»... هذا كله إذا تحقق أنه قال السامّ عليكم، أو شك فيما قال. فلو تحقق السامع أن الذمي قال له: «سلام عليكم» لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام؟ أو يقتصر على قوله: «وعليك»؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام. فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فندب إلى الفضل وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما)[٢].

٦ ـ تحريم تهنئتهم بشعائر الكفر وأعيادهم الدينية:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء] ولا ريب أن أعيادهم الدينية حافلة بترداد عبارات الكفر والشرك، فلا يشاركهم فيها، ويقرهم عليها، ويهنئهم بها إلا منافق ما قدر الله حق قدره. قال ابن القيم كَلَلهُ: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به، فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك

(١) أحكام أهل الذمة: (١/ ١٩٧).
(٢) أحكام أهل الذمة: (١/ ١٩٧ ـ ١٩٩).

عليك، أو: تهنأ بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة فقد تعرض لمقت الله وسخطه)[١].

٧ ـ تحريم دخولهم الحرم وإقامتهم بجزيرة العرب:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة] قال الماوردي رحمه الله: (أن ليس لجميع من خالف دين الإسلام من ذمي أو معاهد أن يدخل الحرم، لا مقيماً فيه ولا ماراً به، وهذا مذهب الشافعي[٢] رحمه الله وأكثر الفقهاء. وجوز أبو حنيفة[٣] دخولهم إليه إذا لم يستوطنوه)[٤].

---

(١) أحكام أهل الذمة: (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٢) الإمام محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي المطلبي القرشي، أبو عبد الله، ولد سنة ١٥٠هـ وجمع بين الفقه والحديث والتقى والورع، له «الرسالة» و«الأم» وغيرها، توفي سنة ٢٠٤هـ.
الأعلام (٦/ ٢٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٩)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٥)، الوفيات (١/ ٤٤٧)، غاية النهاية (٢/ ٩٥)، تاريخ بغداد (٢/ ٥٦ ـ ٧٣).

(٣) النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ٨٠هـ، وتنسب إليه رسالة «الفقه الأكبر»، توفي سنة ١٥٠هـ.
الأعلام (٨/ ٣٦)، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٣)، وفيات الأعيان (٢/ ١٦٣)، النجوم الزاهرة (٢/ ١٢)، البداية والنهاية (١٠/ ١٠٧)، الجواهر المضية (١/ ٢٦).

(٤) الأحكام السلطانية: (٢٩٠).

* عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود: أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم. فقال: ذلك أريد. ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله)[١].

فهذا دليل خاص على منع استيطانهم المدينة. قال الماوردي: (وأجلى عمر بن الخطاب ﷺ أهل الذمة عن الحجاز، وضرب لمن قدم منهم - تاجراً أو صانعاً - مقام ثلاثة أيام، ويخرجون بعد انقضائها فجرى به العمل، واستقر عليه الحكم، فمنع أهل الذمة من استيطان الحجاز، ولا يمكنون من دخوله، ولا يقيم الواحد منهم في موضع منه أكثر من ثلاثة أيام، فإذا انقضت صرف عن موضعه، وجاز أن يقيم في غيره ثلاثة أيام ثم يصرف إلى غيره، فإن أقام بموضع منه أكثر من ثلاثة أيام عُزِّر إن لم يكن معذوراً)[٢].

* وعن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً)[٣].

* وعن عائشة ﷺ قالت: كان آخر ما عَهِد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»[٤].

---

(١) رواه البخاري: (٨/ ٧٥)، (٤/ ٦٥)، (٨/ ١٥٦)، ومسلم: (٣/ ١٣٨٧).
(٢) الأحكام السلطانية: (٢٩٢).
(٣) رواه مسلم: (٣/ ١٣٨٨).
(٤) مسند الإمام أحمد: (٦/ ٢٧٥). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٥/ ٣٢٥): (رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع).

* وعن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ (أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)(١).

وإنما أمر النبي ﷺ بإخراجهم مع كونه قد عقد معهم صلحاً، فلأنهم لم يفوا بشروطه، فأما أهل نجران فلإسلام بعضهم ثم ردته. ولأنه ﷺ صالحهم على ترك الربا فنقضوا عهده. وأما يهود خيبر فلأنه ﷺ جعل عقد الصلح معهم جائزاً من جهته فقال: (نقركم بها على ذلك ما شئنا)(٢)، وفي لفظ: (نقركم ما أقركم الله)(٣)(٤).

وهذه النصوص تدل على أهمية بقاء جزيرة العرب معقلاً للإسلام، وحوزةً يفيء إليها أهله، ويأرز إليها الدين، فلا غرو أن تكون بمنأى عن أعدائه لا يهتكون سترها ولا يستبيحون حماها. وسبحان العليم الحكيم.

ب ـ الأحكام المتعلقة بحفظ الحقوق، وقيام العدل والإحسان:

ـ عدم الإكراه في الدين:

* قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

* ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس].

* ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف].

---

(١) مسند الإمام أحمد: (١/ ١٩٥).
(٢) رواه مسلم: (٣/ ١١٨٨).
(٣) رواه البخاري: (٣/ ١٧٧).
(٤) انظر: أحكام أهل الذمة: (١٧٥ ـ ١٩١).

قال ابن كثير في تفسير قوله: لا إكراه في الدين: (أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً)(١).

وهكذا كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده يكتفون بالعرض والترغيب، ولا يكرهون أحداً على التزام الإسلام، ويكلونه لبارئه.

* فعن وسق الرومي قال: (كنت مملوكاً لعمر، فكان يقول لي: أسلم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم، فأبيت، فقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ فلما حضرته الوفاة أعتقني فقال: اذهب حيث شئت)(٢).

٢ ـ الإحسان إليهم والعدل في معاملتهم وتحريم أذيتهم وحفظ ذمتهم:

* قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة].

قال ابن جرير رحمه الله بعد سياق الأقوال في المعنيين بقوله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (١/ ٣١٠).

(٢) أحكام القرآن للجصاص: (٢/ ٤٤)، وانظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم: (١/ ٢١١).

وتصلوهم وتقسطوا إليهم، إن الله ﷻ عم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضاً دون بعض)[١].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

قال ابن جرير ؒ: (لا يحملنكم عداوة قومٍ على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم، وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة)[٢].

* وعن عبد الله بن عمرو ؆ عن النبي ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»[٣].

* وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء ـ بيت المقدس ـ:

(هذا ما أعطى عبد الله عمر، أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود)[٤].

---

(١) جامع البيان: (٢٨/ ٦٦).

(٢) جامع البيان: (٦/ ١٤١).

(٣) رواه البخاري: (٤/ ٦٥)، (٨/ ٤٧).

(٤) تاريخ الطبري: (٢/ ٤٤٩).

* قال موفق الدين بن قدامة(١) رحمه الله في باب أحكام أهل الذمة: (وعلى الإمام حفظهم والمنع من أذاهم، واستنقاذ من أسر منهم) وشرحها شمس الدين بن قدامة(٢) رحمه الله بقوله: (تلزمه حمايتهم من المسلمين وأهل الحرب وأهل الذمة، لأنه التزم بالعهد حفظهم، ولهذا قال علي رضي الله عنه: إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا. وقال عمر رضي الله عنه في وصيته للخليفة بعده: «وأوصيه بأهل ذمة المسلمين خيراً، أن يوفي لهم بعهدهم، ويُحَاطُوا من ورائهم، ويجب فداء أسراهم، سواء كانوا في معونتنا أو لم يكونوا»)(٣).

* وقال ابن حزم(٤) في مراتب الإجماع: (واتفقوا أن من أسره

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الجماعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين. ولد عام (٥٤١هـ) إمام في الفقه عالم بالحديث من تصانيفه: «المغني» و«روضة الناظر» و«الكافي» و«المقنع» وغيرها. مات سنة (٦٢٠هـ). انظر: الأعلام (٤/ ٦٧)، البداية والنهاية (١٣/ ٩٩)، شذرات الذهب (٥/ ٨٨)، ذيل الطبقات (٢/ ١٣٣).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الجماعيلي الأصل، الصالحي، الحنبلي، شمس الدين أبو الفرج، ولد سنة (٥٩٧هـ)، فقيه أصولي، محدث خطيب، ولد بسفح قاسيون في دمشق، وتفقه على عمه موفق الدين، وولي القضاء مدة تزيد على اثنتي عشرة سنة على كره منه، ثم عزل نفسه في آخر عمره. وتوفي بدمشق سنة (٦٨٢هـ). من تصانيفه: «شرح المقنع لعمه» و«تسهيل المطلب في تحصيل المذهب».

(٣) المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف: موفق الدين ابن قدامة، وشمس الدين ابن قدامة، وعلاء الدين المرداوي. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. هجر. مصر. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م). (١٠/ ٤٨٩).

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، ولد سنة (٣٨٤هـ)، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، وكان يقال: «لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان» لسلاطة لسانه، توفي سنة (٤٥٦هـ). من تصانيفه «الفصل في=

أهل الحرب من كبار أهل الذمة وصغارهم ونسائهم أن ذمتهم لا تنتقض بذلك ما لم يلحق مختاراً، وأنه إن ظفر المسلمون بالمأسورين المذكورين من أنهم لا يسترقون)[١].

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كَلَّلهُ في رسالته إلى سرجوان ملك قبرص:

(.. وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان[٢] وقطلوشاه[٣]، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإنا نفتكهم، ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة، وأطلقنا من النصارى من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء على الله)[٤].

* وجاء في وصية أبي يوسف[٥] إلى هارون

= الملل والأهواء والنحل» و«المحلى» و«ملخص إبطال القياس» وغيرها. الأعلام (٤/ ٢٥٤)، نفح الطيب (١/ ٣٦٤)، آداب اللغة (٣/ ٩٦)، إرشاد الأريب (٥/ ٨٦ ـ ٩٧)، لسان الميزان (٤/ ١٩٨)، اللباب (١/ ٢٩٧).

(١) مراتب الإجماع: (١٢٣).

(٢) غازان ويقال: «قازان» محمود بن أرغون بن بغا. أحد ملوك التتار. استولى على بلاد الشام واعتنق الإسلام سنة (٦٩٣هـ) وتوفي سنة (٧٠٣هـ). انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٤٠، ١٤/ ٦، ٢٩).

(٣) الأمير سيف الدين قطلو بك التشنكير الرومي. كان من أكابر الأمراء، وولي الحجوبية في وقت. وهو الذي عمر القناة بالقدس. توفي تسع وعشرين وسبعمائة. انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٤٥).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (٢٨/ ٦١٧ ـ ٦١٨).

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ولد سنة ١١٣هـ، يعد أول من نشر مذهب أبي حنيفة، كان فقيهاً =

الرشيد[(١)] رحمهما الله: (وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتقدم لهم حتى لا يظلموا، ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحقٍ وجب عليهم)[(٢)].

٣ - حسن جوارهم:

* قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

واختار ابن جرير رحمه الله في معنى «الجنب» (الغريب البعيد، مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً)[(٣)].

= علامة، ولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، من كتبه «الخراج» و«الآثار» وهو مسند أبي حنيفة و«أدب القاضي» والجوامع وغيرها، توفي سنة ١٨٢هـ.

الأعلام (٨/ ١٩٣)، مفتاح السعادة (٢/ ١٠٠ - ١٠٧)، النجوم الزاهرة (٢/ ١٠٧)، البداية والنهاية (١٠/ ١٨٠)، الجواهر المضية (٢/ ٢٢٠)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٢).

(١) هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣هـ) هارون «الرشيد» ابن محمد «المهدي» بن المنصور العباسي، أبو جعفر: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم. ولد بالري. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني Irene وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار سنوياً. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه. كان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه. فصيحاً، شجاعاً، كريماً، حازماً، متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة. رحمه الله. انظر: الأعلام (٨/ ٦٢).

(٢) الخراج: (١٣٤ - ١٣٥).

(٣) جامع البيان: (٥/ ٨٠).

* وعن مجاهد رحمه الله أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه)[١].

٤ ـ عيادة مريضهم:

* عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار)[٢]، وقيده بعض أهل العلم بقصد دعوته إلى الإسلام[٣]. ولعل في مجرد الزيارة والعيادة من تأليف قلبه، وإظهار محاسن الإسلام، ما يستقل بذلك.

٥ ـ القيام لجنائزهم:

* عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى[٤] قال: كان سهل بن حُنيف[٥]، وقيس بن سعد[٦] قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقال: إن النبي ﷺ

---

(١) رواه الترمذي: (٨/ ١٢٤ ـ ١٢٥). وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) صحيح البخاري: (٢/ ٩٧).

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة: (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢).

(٤) عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، المدني، ثم الكوفي. ثقة. مات بوقعة الجماجم سنة ستٍ وثمانين. تقريب التهذيب (١/ ٤٩٦).

(٥) سهل بن حُنيف بن واهب الأنصاري، الأوسي صحابي، من أهل بدر، استخلفه علي على البصرة. ومات في خلافته. تقريب التهذيب (١/ ٣٣٦).

(٦) قيس بن سعد بن عُبادة، الخزرجي، الأنصاري صحابي جليل. مات سنة ستين تقريباً. تقريب التهذيب (٢/ ١٢٨).

مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفساً؟»[١].

* وعن جابر رضي الله عنه قال: (قام النبي ﷺ وأصحابه لجنازة يهودي حتى توارت)[٢]. وفي شهود جنائزهم وتعزيتهم تفصيل عند الفقهاء[٣].

٦ ـ دخول مساجد المسلمين ـ سوى المجسد الحرام ـ للحاجة:

* قال ابن إسحاق[٤]: (وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة. فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير[٥]، قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: (دعوهم). فاستقبلوا المشرق. فصلوا صلاتهم)[٦].

---

(١) صحيح البخاري: (٢/ ٨٧)، صحيح مسلم: (٢/ ٦٦١).
(٢) صحيح مسلم: (٢/ ٦٦١).
(٣) انظر؛ أحكام أهل الذمة: (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥).
(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، من أقدم مؤرخي العرب، له «السيرة النبوية» التي هذبها ابن هشام و«كتاب الخلفاء» و«المبدأ» توفي سنة (١٥١هـ). الأعلام (٦/ ٢٨)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨)، إرشاد الأريب (٦/ ٣٩٩)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٦٣)، عيون الأثر (١/ ١٠)، ذيل المذيل (١٠٣).
(٥) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام، روى عن عميه عبد الله وعروة، وعنه ابن إسحاق وابن جريج وغيرهم، ثقة من الطبقة السادسة مات سنة بضع عشرة مائة، وأخرج له الجماعة. تقريب التهذيب (٩/ ٩٣)، تقريب التهذيب (٤٧١) رقم (٥٧٨٢).
(٦) نقلاً عن زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت، مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت. الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (٣/ ٦٢٩)، وانظر: تفسير ابن كثير: (١/ ٣٦٨ ـ ٣٧١). وصحح ابن القيم القصة والصلاة في أحكام أهل الذمة: (١/ ١٨٧).

قال ابن القيم: (في فقه هذه القصة: ففيها: جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين. وفيها: تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك)[١].

٧ ـ الصدقة والوقف على فقرائهم والوصية لهم:

* قال ابن القيم رحمه الله: (لا ريب أن الصدقة جائزة على مساكين أهل الذمة. والوقف صدقة. فهاهنا وصفان: وصف يعتبر وهو المسكنة، ووصف ملغى في الصدقة والوقف وهو الكفر، فيجوز الدفع إليهم من الوقف بوصف المسكنة، لا بوصف الكفر)[٢].

* وروى أبو عبيد القاسم بن سلام[٣] رحمه الله بسنده عن سعيد بن المسيب[٤]: (أن رسول الله ﷺ تصدق صدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجري عليهم)[٥].

* وروى أبو يوسف بسنده: قال: مر عمر بن الخطاب بباب قومٍ وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر. فضرب عضده من خلفه

---

(١) زاد المعاد: (٣/ ٦٣٨).
(٢) أحكام أهل الذمة: (١/ ٣٠٠).
(٣) القاسم بن سلام الهروي الأزدي، أبو عبيد، مولده سنة ١٥٧هـ من كبار العلماء بالحديث والفقه، له «الأموال» و«الأمثال» و«غريب الحديث» وغيرها. توفي سنة ٢٢٤هـ. الأعلام (٢/ ١٧٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣١٥)، وفيات الأعيان (١/ ٤١٨).
(٤) سعيد بن المسيب بن حزن، أبو محمد، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. ولد سنة ١٣هـ وجمع بين الفقه والحديث والزهد والورع. وكان أحفظ الناس لأقضية عمر حتى سمي راوية عمر، توفي سنة ٩٤هـ. الأعلام (٣/ ١٠٢)، طبقات ابن سعد (٥/ ٨٨)، وفيات الأعيان (١/ ٢٠٦)، صفة الصفوة (٢/ ٤٤)، حلية الأولياء (٢/ ١٦١).
(٥) الأموال: (٦٠٥).

وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية، والحاجة، والسن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيءٍ من المنزل. ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم. (إنما الصدقات للفقراء والمساكين)، والفقراء هم المسلمون، والمساكين من أهل الكتاب. فوضع عنه الجزية وعن ضربائه)[1].

وقال الإمام البخاري في صحيحه: (باب الوصية بالثلث. وقال الحسن: لا يجوز للذمي وصية إلا الثلث. وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩][2].

٨ ـ الحقوق المعيشية في السكنى والتنقل والتكسب:

* قال ابن حزم في «مراتب الإجماع»: (واتفقوا أن لأهل الذمة المشي في أرض الإسلام، والدخول حيث أحبوا من البلاد حاشا الحرم بمكة، فإنهم اختلفوا أيدخلونه أم لا. واتفقوا على أن لهم سكنى أي بلدٍ شاءوا من بلاد الإسلام على الشروط التي قدمنا حاشا جزيرة العرب)[3].

* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعاً من حديد)[4].

* وعن عائشة أيضاً قالت: كان على رسول الله ﷺ ثوبان قِطريان غليظان فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه، فقدم بزٌّ من الشام لفلان

(١) الخراج: (١٣٦).
(٢) صحيح البخاري: (٣/١٨٦ ـ ١٨٧).
(٣) مراتب الإجماع: (١٢٢).
(٤) صحيح البخاري: (٣/٨).

اليهودي، فقلت: لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة، فأرسل إليه، فقال: قد علمت ما يريد. إنما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي. فقال رسول الله ﷺ: كذب. قد علم أني من أتقاهم لله وأداهم للأمانة)[١].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمرٍ أو زرع)[٢].

٩ ـ حل طعامهم ونسائهم:

* قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة].

فأما الطعام المذكور في الآية فـ(لم يختلف السلف أن المراد بذلك الذبائح)[٣].

وأما المحصنات هنا فـ(هن العفايف)[٤] وتفاصيل هذين الحكمين في مظانها في كتب الفقه.

وفي تمييز أهل الكتاب عن سائر أصناف المشركين بهذين الأمرين من البر والإحسان وحسن المعاملة ما لا يخفى، وله آثارٌ حميدة في استمالة قلوبهم، وتقريبهم إلى دين الإسلام.

---

(١) رواه الترمذي: (٥/ ٢١٧). وقال: حديث حسن غريب صحيح.
(٢) صحيح البخاري: (٣/ ٦٩)، صحيح مسلم: (٣/ ١١٨٦).
(٣) أحكام أهل الذمة: (١/ ٢٤٥).
(٤) أحكام أهل الذمة: (٢/ ٤١٩).

١٠ ـ تشميت عاطسهم:

* عن أبي موسى ﷺ قال: كانت اليهود تعاطس عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لها: يرحمكم الله فكان يقول: يهديكم الله، ويصلح بالكم)[١].

هذه الموازنة الدقيقة التي جاء بها الإسلام بين النهي عن موالاة الكافرين وموادتهم، والحث على برهم والإحسان إليهم وإيجاب العدل معهم، تشكل على كثير من الناس فيفضي به الأمر إما إلى إعمال الطائفة الأولى من النصوص والغض عن الطائفة المقابلة، فيقع في ظلم أهل الكتاب ـ سوى الحربيين ـ والعنف معهم وجفوتهم وأذيتهم، وإما إلى إعمال الطائفة الثانية من النصوص والإغراق في مداهنة أهل الكتاب وموادتهم حتى تتعطل دلالة النصوص الأولى، ويختلط عليهم أمر الولاء والبراء، ينقض أوثق عرى الإيمان.

وقد تنبه الفقيه المالكي أبو العباس القرافي[٢] ﷺ لهذا الاشتباه الخطير فعقد فصلاً في كتابه القيم «الفروق» ننقله بطوله لأهميته وبيانه، فقال:

(الفرق التاسع عشر والمائة بين قاعدة بر أهل الذمة، وبين قاعدة التودد لهم.

اعلم أن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ

---

(١) رواه أبو داود: (٥/٢٩٢)، والترمذي: (١٠/١٩٨ ـ ١٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) القَرافِي: (٠٠٠ ـ ٦٨٤هـ) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي. من علماء المالكية. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول. منها: أنوار البروق في أنواء الفروق، والذخيرة في فقه المالكية، والأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، وغيرها. انظر: الأعلام (١/٩٥).

جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة] فمنع الموالاة والتودد. وقال في الآية الأخرى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة] وقال في حق الفريق الآخر: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة] وقال ﷺ: «استوصوا بأهل الذمة خيراً»[1]، وقال في حديثٍ آخر: «استوصوا بالقبط خيراً»[2]. فلا بد من الجمع بين هذه النصوص، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان ملبسان فيحتاجان إلى الفرق.

وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا، وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام. وكذلك حكى ابن حزم في مراتب الإجماع له: أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة. وحكى في ذلك إجماع الأمة[3]. فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صوناً لمقتضاه عن الضياع، إنه لعظيم. وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة تعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر،

---

(١) لم أجده.
(٢) لم أجده.
(٣) لم أجد هذا النقل في «مراتب الإجماع» ولعل ذلك بسبب اختلاف النسخ.

فمتى أدى إلى هذين، امتنع وصار من قبل ما نهى عنه في الآية وغيرها. ويتضح ذلك بالمثل: فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذٍ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها، هذا كله حرام. وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق، وأخلينا لهم واسعها ورحبها والسهل منها، وتركنا أنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها، كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس، والولد مع الوالد، والحقير مع الشريف، فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر، وتحقير شعائر الله تعالى وشعائر دينه واحتقار أهله. ومن ذلك تمكينهم من الولايات والتصرف في الأمور الموجبة لقهر من هي عليه، أو ظهور العلو وسلطان المطالبة، فذلك كله ممنوع وإن كان في غاية الرفق والأناة أيضاً، لأن الرفق والأناة في هذا الباب نوع من الرئاسة والسيادة وعلو المنزلة في المكارم، فهي درجة رفيعة أوصلناهم إليها، وعظمناهم بسببها، ورفعنا قدرهم بإيثارها، وذلك كله منهي عنه، وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادماً ولا أجيراً يؤمر عليه وينهى، ولا يكون أحد منهم وكيلاً في المحاكمات على المسلمين عند ولاة الأمور، فإن ذلك أيضاً إثبات لسلطانهم على ذلك المسلم. وأما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنية؛ فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منا بهم، لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمور دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع

عدوه، فإن ذلك من مكارم الأخلاق. فجميع ما نفعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل لا على وجه العزة والجلالة منا[١]، ولا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا ﷺ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا عز وجل. ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالاً لأمر ربنا عز وجل وأمر نبينا ﷺ، لا محبة فيهم، ولا تعظيماً لهم، ولا نظهر آثار تلك الأمور التي نستحضرها في قلوبنا من صفاتهم الذميمة. لأن عقد العهد يمنعنا من ذلك، فنستحضرها حتى يمنعنا من الود الباطن لهم المحرم علينا خاصة)[٢].

هذا هو الفقه بعينه، الذي يجري جميع النصوص مجراها، ولا يضرب بعضها ببعض، أو يُعمل بعضها ويلغي الآخر. إنه فهم دقيق، وتمييز واع بين الاعتقاد الباطن وما يستلزمه، والعدل الظاهر وما يقتضيه. فلله دره.

ومن المؤسف أن كثيراً من الكتاب المعاصرين يجتزئ ما يعجبه ويوافق هواه من كلام هذا الإمام، ويهمل ذكر باقيه مما لا يتم المعنى إلا به، فيبرز الجمل العظيمة المتضمنة بر أهل الذمة والإحسان إليهم، ويسوقها باسم تسامح الإسلام، ويضرب صفحاً عن عباراته القوية الإيمانية في التبرؤ القلبي من موادتهم وموالاتهم.

وفي هذا عدوان على النصوص، وتجنٍ على هذا الإمام، وغش للأمة حيث حجب عنها كامل الحقيقة، وحرمها هذا الفرقان المبين، والله المستعان.

---

(١) هكذا في الأصل. ولعل صوابها: (من هذا القبيل على وجه العزة والجلالة منا، لا على وجه التعظيم. . . .).

(٢) الفروق: القرافي، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي. دار المعرفة. بيروت. (١٤ ـ ١٦).

المبحث الرابع

«موقف أهل الكتاب من الإسلام»

لقد كان أولى الناس باتباع محمد ﷺ، أهل الكتاب. وذلك لأسباب:

أحدها: أنه البشارة المرتقبة التي زفَّها الأنبياء قبله إلى أقوامهم، فتعلقت أفئدتهم بذلك النبي المنتظر، الذي خلعت عليه وعلى أتباعه أجل الأوصاف، وأكرم المعاني، على نحو ما سنذكر بعد قليل.

والثاني: أنه البينة التي بها افتكاكهم من دوامة الخلاف المرير الذي مزقهم كل ممزق، حتى كفَّر بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً.

والثالث: أنه فتح لأهل الإيمان على أهل الشرك والأوثان.

ولكن هذا التوقع لم يقع إلا بصورة جزئية فردية، فقد تحددت مواقف أهل الكتاب من يهود ونصارى إبان العهد النبوي، وحين تنزل القرآن، وبدلاً من أن تنضوي زعامتا الديانتين اليهودية والنصرانية، في الديانة الإسلامية التي تمثل الامتداد الطبيعي لملة إبراهيم عليه السلام، ناصبتاها العداء، وتفننتا في ردها، ومحاولة وأدها في مهدها، واستئصالها بعد بدوها. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف].

أولاً: موقف أهل الكتاب من الإسلام قبل البعثة النبوية:

دل كتاب الله، القرآن العظيم، على أن أهل الكتاب قد بُشروا بنبي عظيم موصوف بصفات شريفة يبعث في آخر الزمان، وقد أمروا باتباعه، كما أفاضت كتبهم الدينية في الحديث عنه.

١ ـ القرآن الكريم:

* قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

* ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

* ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

* ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة].

* روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس: (﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان منهم. فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾، أي تقرون بأنه نبي، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه. وهو يخبرهم أنه النبي ﷺ الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا، اجحدوه ولا تقروا لهم به)[1].

* ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة]. قال ابن جرير رحمه الله: (أخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسول الله ﷺ من الله بتصديق ما في أيديهم من التوراة أن محمداً ﷺ نبي الله، نبذ فريق، يعني بذلك أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا مقرين، حسداً منهم له، وبغياً عليه)[2].

* ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

فهذه الآيات القرآنية قاطعة بحصول البشارة بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل وكونه موصوفاً فيهما بأكرم الصفات المقتضية لتعلق أهل هذين الكتابين بالإيمان بنبوته والتشوق لمبعثه، ولما كان عيسى ابن مريم عليه السلام أولى الناس به، حيث لم يكن بينهما نبي انتقلت البشارة من الوصف إلى التسمية الصريحة القاطعة لأدنى التباس.

---

(١) جامع البيان: (١/ ٣٧٠).

(٢) جامع البيان: (١/ ٤٤٣).

في كتبهم الدينية:

تضمنت كتب بني إسرائيل عبارات متعددة دالة على مبعث نبي عظيم، مؤيد من عند الله، يخضع الله له الأمم والشعوب، ويظهره على من خالفه، وهذا موافق لما أخبر الله به في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

وقد روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (لم يبعث الله عز وجل نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه)[١]. ولكن أهل الكتاب لا يثبتون هذه البشارة في حق نبينا محمد ﷺ، بل يحملها اليهود على موعودٍ منتظر في آخر الزمان يتبعونه، ويحملها النصارى على المسيح عيسى ابن مريم، ورجعته في آخر الزمان. ولا ريب أن هذه العبارات تعرضت لعوامل التحريف اللفظي والمعنوي من قبل الأحبار والرهبان لصرف نظر أتباعهم عن رسالة نبينا محمد ﷺ. قال الفخر الرازي[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة]: (اعلم

---

(١) جامع البيان: (٣/ ٣٣٢).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي، إمام في الفلسفة وعلم الكلام، ويقال له «ابن خطيب الري» وهو قرشي النسب أصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته. وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ، ومن مؤلفاته: «مفاتيح الغيب» وهو التفسير المشهور و«لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات» و«معالم أصول الدين» و«المحصول في علم الأصول» وغيرها.

الأعلام (٦/ ٣١٣)، الوفيات (١/ ٤٧٤)، مفتاح السعادة (١/ ٤٤٥)، آداب اللغة (٣/ ٩٤)، لسان الميزان (٤/ ٤٢٦).

أن إضلال الغير لا يحصل إلا بطريقين، وذلك لأن ذلك الغير إن كان قد سمع دلائل الحق فإضلاله لا يمكن إلا بتشويش تلك الدلائل عليه، وإن كان ما سمعها فإضلاله إنما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه، ومنعه من الوصول إليها. فقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إشارة إلى القسم الأول وهو تشويش الدلائل عليه. وقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ إشارة إلى القسم الثاني وهو منعه من الوصول إلى الدلائل)[١].

وسنذكر أدناه نماذج من هذه الجمل المتضمنة البشارة بنبينا محمد ﷺ.

* جاء في سفر التثنية: (فقال لي الرب:... سأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك. وأجعل كلامي في فمه فيخاطبهم بكل ما آمره به) ١٨/ ١٧ ـ ١٨[٢]. وقد بين الشيخ رحمت الله الهندي[٣] رحمه الله دلالة هذا النص على البشارة بنبينا محمد ﷺ من عشرة أوجه[٤] مدارها على امتناع إرادة يوشع بن نون أو عيسى ابن مريم عليه السلام بذلك، وإثبات لفظ «إخوتهم» يستعمل في التوراة في حق بني إسماعيل. وقال البروفسور المهتدي عبد الأحد داود[٥] رحمه الله معلقاً على النص السابق: (فإذا كانت

---

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازي، محمد بن عمر. دار الفكر. الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (٢/ ٥٤).

(٢) العهد القديم: (٢٨٦).

(٣) سيرد التعريف به في آخر الباب الثالث.

(٤) إظهار الحق: (١١١٦ ـ ١١٢٨).

(٥) عبد الأحد داود: كان اسمه دافيد بنجامين، كلداني. ولد سنة ١٨٦٧م في «أرميا» من بلاد فارس. وعمل موظفاً في إرسالية الكنيسة الإنجليكانية إلى النسطريين في بلدته بين عامي ١٨٨٦، ١٨٨٩م، ثم ابتعث إلى روما لدراسة اللاهوت. ورسم كاهناً عام ١٨٩٥م. وكان قسيساً لطائفة الروم الكلدانيين. وفي عام ١٩٠٤م زار إستانبول عائداً من بريطانيا، والتقى بعدد من العلماء المسلمين، فاعتنق الإسلام. انظر: مقدمة كتابه (محمد في الكتاب المقدس)، =

هذه الكلمات لا تنطبق على «محمد» فإنها تبقى غير متحققة ولا نافذة. فالمسيح نفسه لم يدَّعِ أبداً أنه النبي المشار إليه. حتى إن حوارييه كانوا على نفس الرأي، وأنهم يتطلعون إلى دعوة المسيح مرة ثانية لكي تتحقق النبوءة، وحتى الآن فإنه من الثابت غير المنقوض بأن «الظهور الأول للمسيح» لم يكن ليدل على ما جاء في الجملة «أقيم لهم نبياً مثلك» وكذلك فإن عودة المسيح مرةً ثانية لا تكاد تحمل معنى هذه الكلمات. وأن المسيح كما تؤمن به كنيسته سوف يظهر كقاضٍ، وليس كمقدم للتشريع؛ بينما الموعود هو الذي يجيء حاملاً «الشريعة النارية المشعة بيده اليمنى»[(١)].

* جاء في سفر التثنية أيضاً: (أقبل الرب من سيناء. وأشرق لهم من ساعير. وسطع من جبل فاران) ٣٣/ ٢[(٢)].

قال الشيخ رحمت الله الهندي مبيناً هذه الجمل: (فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام، واستعلانه من جبل فاران إنزاله القرآن؛ لأن فاران جبل من جبال مكة. وفي الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في وصف حال إسماعيل عليه السلام هكذا: «٢٠ ـ وكان الله معه، ونما وسكن في البرية وصار شاباً يرمي بالسهام، وسكن برية فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر»[(٣)].

= وانظر: «مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية» د. محمد السحيم (٢٣٧ ـ ٢٦٠).

(١) محمد في الكتاب المقدس: عبد الأحد داود. ترجمة: فهمي شما. مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق. دار الضياء للنشر والتوزيع. عمّان. الطبعة الثانية) ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

(٢) العهد القديم: (٤١١).

(٣) إظهار الحق: (٤/ ١٣٥). والمعروف أن إسماعيل عليه السلام تزوج مرتين من قبيلة جرهم، التي جاورت البيت.

* وجاء في سفر التكوين: (وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه. وهاءنذا أباركه وأنميه وأكثره جداً جداً، ويلد اثني عشر رئيساً. وأجعله أمة عظيمة) ١٧/ ٢٠[١].

وهذا النص يناسب دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، في القرآن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة]. ولا ريب أن هذه الدعوة إنما تحققت ببعثة نبينا محمد ﷺ، وأن «الأمة» المسلمة المنشودة إنما هي أمته. أما ذكر الاثني عشر رئيساً فلعله يوافق قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه جابر بن سمرة[٢] رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ فسمعته يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة». قال: ثم تكلم بكلام خَفِيَ عليّ. قال: فقلت لأبي: ما قال: قال: «كلهم من قريش»[٣]، وفي لفظ: (لا يزال الإسلام عزيزاً...)[٤]، وفي لفظٍ: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة. أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)[٥]. وقريش هم صفوة ذرية إسماعيل عليه السلام،

---

(١) العهد القديم: (٩٢).

(٢) جابر بن سمرة بن جُنادة، السوائي، صحابي، ابن صحابي. نزل الكوفة ومات بها سنة سبعين. تقريب التهذيب (١/ ١٢٢).

(٣) رواه مسلم: (٣/ ١٤٥٢).

(٤) رواه مسلم: (٣/ ١٤٥٣).

(٥) رواه مسلم: (٣/ ١٤٥٤) وتمام هؤلاء الخلفاء القرشيين الاثني عشر عمر بن عبد العزيز رحمه الله الذي ولي على رأس القرن الأول، خير القرون، قرن رسول الله ﷺ وفيه جرت معظم الفتوح الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ورسول الله ﷺ هو صفوة الصفوة كما في الحديث الذي رواه واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[١]. يقول البرفسور المهتدي عبد الأحد داود: (فإذا كان «محمد» وكما هو معروف للجميع قد جاء من نسل إسماعيل، وابنه قيدار «عدنان»، ثم ظهر بعد ذلك نبياً في قفار فاران، ثم دخل مكة مع عشرة آلاف قديس «مؤمن»، وجاء بالشريعة النارية إلى شعبه، أو ليست هذه النبوءة السالفة الذكر هي التي تحققت بالحرف الواحد؟؟)[٢].

* جاء في إنجيل «يوحنا» ما نصه: (إذا كنتم تحبوني حفظتم وصاياي، وأنا سأسأل الآب فيهب لكم مؤيِّداً آخر يكون معكم للأبد) ١٤/ ١٥ ـ ١٦، ثم قال في فقرة لاحقة من نفس الإصحاح: (ولكن المؤيِّد الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي، هو يعلمكم جميع الأشياء ويذكركم جميع ما قلته لكم) ١٤/ ٢٦[٣]. وقد نقل الشيخ رحمت الله الهندي هذا النص عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م في لندن على النحو التالي: (١٥ ـ إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي (١٦) وأنا أطلب من الآب فيعطيكم «فارقليط» آخر ليثبت معكم إلى الأبد (١٧) روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم، وهو ثابت فيكم (٢٦) والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي، وهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما قلته لكم (٣٠) والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا)[٤].

---

(١) رواه مسلم: (٤/ ١٧٨٢).

(٢) محمد في الكتاب المقدس: (٣٢).

(٣) العهد الجديد: (٣٣٧).

(٤) إظهار الحق: (٤/ ١١٨٥).

هذا النص المنسوب إلى المسيح عليه السلام يتفق في مضمونه مع البشارة القرآنية الواردة على لسانه عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وقد كان عيسى عليه السلام يتكلم بالعبرانية، فلما كتبت الأناجيل باليونانية عبر عن المبشَّر به بلفظ «بيريكليتوس»، فلما عربت الأناجيل كتبها البعض بلفظ «الفارقليط»، وترجمها البعض بمعنى «المعزي». يقول الداعية أحمد ديدات[1]: («أحمد» أو «محمد» المثنى عليه أو الممدوح أو المحمود (The Praised One) هو تقريباً ترجمة للكلمة اليونانية «بيركليتوس» (Periclytos)؛ في إنجيل يوحنا الموجود حالياً (يوحنا ١٤:١٦؛ ١٥:٢٦، ١٦:٧) تأتي كلمة «كومفرتر» (Comforter) في النسخة الإنجليزية (والتي تترجم في التراجم العربية بـ«المعزي») عوضاً عن الكلمة اليونانية «باراكليتوس» (paracletos) التي تعني «المحامي» أو «المؤيد» أو «الشفيع» (Advocate) «الذي يدعى لمساعدة أو معاونة (إنسان) آخر، الصديق، أو الولي، الودود الحنون».

---

(١) أحمد ديدات: أحمد حسين ديدات. ولد سنة ١٩١٨م. هندي الأصل، ويعيش في «جنوب أفريقيا». تخرج من كلية «مولاي سلطان التقنية» واجتاز برنامجاً في الرسم الهندسي التقني، وفي رياضيات تشغيل اللاسلكي وصيانته. اشتغل بالدعوة إلى الله منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، وشارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية والإقليمية والدولية. واعتنى بالرد على النصارى خاصة. ومناظرتهم في المحافل العامة، ففتح له في ذلك وأفحم خصومه بسعة اطلاعه على كتبهم الدينية، وبيان تناقضها وتحريفها، وقوة حجته، وطول نفسه، وسجل أكثر من اثنتي عشرة محاضرة ومناظرة تداولها الناس. وقد أنشأ لهذا الغرض معهداً إسلامياً اسمه «السلام»، وألف بضعة كتب عن النصرانية، منها: ماذا يقول الإنجيل عن محمد؟، هل الإنجيل كلمة الله؟، الصلب أو خرافة الصلب. وغيرها. منح براءة جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٦هـ. انظر: التعريف به في النشرة الصادرة عن هيئة الجائزة.

وهذه الترجمة مفضلة عن ترجمتها بـ«المعزي». ويؤكد علماؤنا... أن كلمة «باراكليتوس» (paracletos) تفسير خاص محرف، أو قراءة محرفة لكلمة «بيريكليتوس» (periclytos) ومعناها: المستوجب للحمد. وأنه كان في القول الأصلي لعيسى نبوة خاصة بنبينا الكريم «أحمد» بالاسم[(١)]. وحتى لو قرأناها «باراكليت» (بارقليط أو فارقليط) (paraclte) فإنها تشير إلى النبي الكريم «المبعوث» ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء] وهو ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]... إنه من الواضح لكل الباحثين عن الحق بإخلاص أن محمداً ﷺ هو «الباراكليت» الموعود (The promised paraclete)، أو المعزي (Comforter) المسمى أيضاً على سبيل التخيير بالمساعد أو المعين (helper) والمحامي والمؤيد والشفيع (Advocate) والناصح الأمين أو المشير (Counsellor)... إلخ المذكور في نبوات عيسى ﵇ في إنجيل يوحنا)[(٢)].

* ويزيد الأمر وضوحاً حول شخصية «الفارقليط» أو «المعزي» ومهمته ودوره، ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح ﵇: (أما الآن فإني ذاهب إلى الذي أرسلني. وما من أحدٍ منكم يسألني: إلى أين تذهب؟ بل ملأ الحزن قلوبكم لأني قلت لكم هذه الأشياء. غير أني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أذهب. فإن لم أذهب لا يأتكم المؤيد. أما إذا ذهبت فأرسله إليكم وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والدينونة. أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على البر فلأني ذاهب إلى الآب فلن تروني، وأما على الدينونة فلأن سيد هذا العالم قد دين. لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكن

---

(١) انظر: ما كتبه البرفسور عبد الأحد داود حول هذا التحريف في كتابه محمد في الكتاب المقدس: (٢١٩ ـ ٢٢٩)، وراجع ما تقدم من إثبات البشارة به في إنجيل برنابا في المبحث السابق في التمهيد.

(٢) مفهوم العلاقة بين الله والبشر في الأديان السماوية: (٣٠ ـ ٣٣).

لا تطيقون الآن حملها، فمتى جاء هو، أي روح الحق، أرشدكم إلى الحق كله، لأنه لن يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث، سيمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم به) ١٦/ ٥ ـ ١٤[١].

وهذه البشارة بـ«المؤيد» أو «المعزي» كما في بعض الترجمات صدرت في الأيام الأخيرة من حياة المسيح ﵇ قبل رفعه كما واضح في إنجيل يوحنا. ولعل فيها بياناً لسبب تلقيب المبشر به بـ«المعزي» أو على الأقل لترجمته بذلك. وهو أن رجاء قدومه وبعثته يزيل الكآبة التي ملأت قلوب الحواريين لفراق المسيح، فيكون في ذلك عزاء لهم. كما أن فيه دلائل قوية متعينة على إرادة النبي ﷺ بهذه البشارة منها:

١ ـ أنه يقيم الحجة البالغة على العالم.

٢ ـ أنه يبين مقتضى الإيمان الصحيح بالمسيح ﵇ بين الغالي فيه والجافي عنه؛ بين النصارى الذين رفعوه فوق منزلته وألهوه وادعوا بنوته لله تعالى، واليهود الذين كفروا به وزعموا أنه ابن سفاح وآذوه أشد الإيذاء وهموا بقتله. وأما هو ﷺ فقد مجَّده، لأنه يتلقى الوحي من الله الذي أرسل كلاً منهما ﵉ وأداه كما سمعه. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء]، وقال بعد سرد قصة ولادته: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم].

---

(١) العهد الجديد: (٣٤٣ ـ ٣٤٤).

٣ ـ أنه يجيء بالحق الكامل، والهداية التامة الشاملة الموحى بها من عند الله تعالى: (فمتى جاء هو أي روح الحق أرشدكم إلى الحق كله، لأنه لن يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث...)، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمقصود من سياق هذه النصوص من التوراة والإنجيل التي بأيدي القوم، بيان موقفهم من الإسلام ونبيه ﷺ قبل البعثة، وأنهم يهوداً ونصارى كانوا يتطلعون إلى بعثته بفارغ الصبر، ويستفتحون بذلك على أعدائهم من الوثنيين، ويرون أنهم أولى الناس به، وأنه وارث دين إبراهيم عليه السلام.

وكانوا قبيل البعثة يخبرون عن نبي أظلَّهم زمانه، كما جاء في قصة إسلام سلمان الفارسي(١) رضي الله عنه الطويلة في رحلته للبحث عن الحق، وتنقله بين الأساقفة؛ كل واحدٍ يوصي به إذا حضرته الوفاة إلى مثله، فكان آخرهم صاحب عمورية، فقال له سلمان لما حُضِر: (يا فلان: إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل...)(٢) الحديث.

---

(١) سلمان الفارسي أبو عبد الله، ويقال له سلمان الخير. أصله من أصبهان، وقيل من رامه هرمز، من أول مشاهده الخندق، مات سنة (٣٤هـ). تقريب التهذيب (١/ ٣١٥).

(٢) رواه أحمد بطوله: (٥/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣). وأصله مجملاً في صحيح البخاري: (٤/ ٢٧٠) عن سلمان رضي الله عنه أنه تداوله بضعة عشر سيداً.

ثانياً: موقف أهل الكتاب من الإسلام بعد البعثة النبوية:

لقد كان حرياً بأهل الكتاب أن يقبلوا البشارة، ويؤمنوا جميعاً بالنبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، موصوفاً بالأوصاف المنضبطة، مضروباً له الأمثال المنطبقة، حتى يؤتيهم الله كفلين من رحمته، ويجعل لهم نوراً يمشون به، ويغفر لهم، كما وعدهم. قال ﷺ: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران. . .)[١] الحديث. ولكن مواقفهم تباينت؛ فمن سبقت له من الله الحسنى قَبِل البشرى وَقَرَّ بها عيناً. ومن حق عليه القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي بعث به نبيه الخاتم.

ويمكن القول إن موقف زعماء أهل الكتاب تحدد إبان العهد النبوي حيث كان اليهود يقطنون المدينة وما حولها، كما أنه ﷺ قد كاتب ملوك النصارى في مصر والحبشة وبلاد الشام، ووفد عليه نصارى نجران[٢]. ويتلخص في رفض دعوة الإسلام، وتكذيب رسوله، والإصرار على دين الآباء المحرف، حتى مع وهج السيف أو ذل الجزية.

أما الموقف «الشعبي» المتمثل في جمهور أهل الديانتين ـ سوى الزعماء الدينيين والمدنيين ـ فقد تفاوت تفاوتاً بيناً. فقد كان النصارى أكثر قبولاً للإسلام ومودة للمؤمنين واتباعاً للحق، بينما كان اليهود ـ كعادتهم ـ أغلظ قلوباً وطباعاً، وأشد عداوة للذين آمنوا، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري (١/٣٣) ومسلم (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) انظر: الباب الثالث. الفصل الثاني.

ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة].

وتأتي شهادة التاريخ موافقةً لما قرره القرآن الكريم حيث شهدت العقود الأولى التالية للفتوحات الإسلامية لبلاد الشام والعراق ومصر انخراط أعدادٍ كبيرة من سكان البلاد الأصليين من النصارى في الدين الجديد، وقد تمت عملية «إسلام» لا «أسلمة»، بشهادة المؤرخين المنصفين من الأعداء قبل الأصدقاء، ودهشتهم في نفس الوقت، وفي الدراسة المتميزة التي أعدها فيليب فارج[(١)]، ويوسف كرباج[(٢)] بعنوان: «المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي» يطرح الباحثان سؤالاً ملفتاً: (كيف تسنى لحفنة من الفاتحين، الذين يتميز إيمانهم بهذه الدرجة من الحمية، الفوز بولاء جماهير على هذه الدرجة من الضخامة، وعلى هذه الدرجة من البعد؟ كيف أمكن العثور في مصر وفي الهلال الخصيب على نقطة توازن بين الضغوط المتعارضة التي مثلها التوسع الإسلامي، والمقاومة المسيحية)[(٣)]؟ ويقدم الباحثان

---

(١) مدير مركز البحوث والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية (القاهرة)، وباحث في المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية (فرنسا)، مؤلف دراسات ديموغرافية عديدة عن الشرق العربي.

(٢) باحث بالمعهد الوطني للدراسات الديموغرافية (فرنسا)، مؤلف دراسات ديموغرافية عديدة عن المغرب الأقصى. من مقدمة كتابيهما.

(٣) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي: فيليب فارج، =

إجابات متعددة، وتفسيرات متنوعة لهذا التساؤل نختلف معهما في أولويتها وأهميتها لكنهما ـ وهذا هو المهم ـ يعترفان (أن الإكراه عليه ـ أي اعتناق الإسلام ـ كان غائباً في أغلب الأحيان، وهو لم يحدث في تاريخ الإسلام العربي إلا بصفة استثنائية...

ومن ثم فإن جزءاً من السكان يتبنى الإسلام بسرعة، ويفوز بحكم تحوله إلى اعتناق الإسلام بالمواطنة التامة، وربما دون مكابدة قطيعة حقيقية، لأن الدين الجديد يقدم نفسه بوصفه امتداداً للمسيحية واليهودية)[1].

وأياً كانت الأسباب المفترضة، فإنا نعتقد أن السبب الحقيقي والأساس يرجع إلى أمرين:

أولهما: صحة دين الإسلام ونقائه ووضوحه وشموله، وموافقته للعقل والفطرة وتصديقه لما بين يديه من الكتاب.

ثانيهما: الأوصاف الحميدة التي ذكرها الله في كتابه عن مؤمني النصارى وهي:

١ ـ **العلم:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾.

٢ ـ **العبادة:** ﴿وَرُهْبَانًا﴾.

٣ ـ **التواضع:** ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

٤ ـ **قبول الحق ورقة الطباع:** ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ

= ويوسف كرباج. ترجمة: بشير السباعي. سينا للنشر بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٤م. (٣٧).

(١) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٣٨). والإسلام يمثل الحلقة الأخيرة من دين الله الحق لا اليهودية ولا النصرانية المحرفتين، بل امتداد لملة إبراهيم الذي ما كان يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً.

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٥ ـ **العقل والشجاعة**: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

تلك هي المؤهلات الحقيقية التي تقود صاحبها للإيمان بالله ورسله في كل زمان ومكان، ومن كل جيل وقبيل بصرف النظر عن الانتماءات العرقية والدينية السابقة، لكن المؤثرات التاريخية والاجتماعية وحظوظ النفس وأهواءها، وحب الدنيا والشيطان صوارف عن سبيل الله، وقد تكثُر في قومٍ وتقل نسبياً عند آخرين.

ومنذ العهد النبوي، إلى يومنا هذا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يصر اليهود على يهوديتهم، والنصارى على نصرانيتهم، ويردون دين الإسلام الذي نسخ الله به جميع الشرائع السابقة، ويزعمون أنهم هم الذين على الحق، المستحقون لدخول الجنة، ومن سواهم كافر محروم منها. وفي بيان هذا الموقف العام المشترك يقول الله تعالى عنهم:

■ ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

■ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]،

■ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

■ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة].

■ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

■ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

هذا هو الموقف العام، ولكلٍ من الفريقين خصوصية زائدة توضحها نصوص خاصة، ووقائع كاشفة من السيرة النبوية.

أ ـ موقف اليهود من الإسلام:

١ ـ الجحود والاستكبار بعد العلم والبينة:

■ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

قال ابن جرير ﷺ: (كان هؤلاء اليهود الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدقٌ لما معهم من الكتب، التي أنزلها الله قبل الفرقان، كفروا به، يستفتحون بمحمد ﷺ، ومعنى الاستفتاح: الاستنصار، يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه: أي من قبل أن يبعث ـ ثم روى بسنده عن عمر بن قتادة الأنصاري[1] عن أشياخٍ منهم ـ قالوا: فينا والله وفيهم، يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة... قالوا: كنا قد علوناهم دهراً في

(١) عمر بن قتادة بن النعمان الظَّفَري، الأنصاري، المدني، مقبول. تقريب التهذيب (٢/ ٦٢).

الجاهلية، ونحن أهل الشرك، وهم أهل الكتاب، فكانوا يقولون: إن نبياً مبعثه الآن قد أظل زمانه، يقتلكم قتل عادٍ وإرم، فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به..

وروى بسنده عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور[1] أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ، ونحن أهل شرك، وتخبرونا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة][2].

■ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾[3] [البقرة].

■ ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة][4].

---

(١) بشر بن البراء بن معرور، رضي الله عنهما، هو وأبوه صحابيان. مات من أكلة خيبر، من الشاة المسمومة التي أهدتها اليهودية للنبي ﷺ. انظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٠٩).

(٢) جامع البيان: (١/ ٤١٠ ـ ٤١١).

(٣) تقدم بيان معناها في أول هذا الفصل.

(٤) تقدم بيان معناها في أول هذا الفصل.

■ عن ابن مسعود[١] ﷺ قال: (إن الله ابتعث نبيه ﷺ لإدخال رجل الجنة، فدخل الكنيسة، فإذا هو بيهود، وإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة، فلما أتوا على صفة النبي ﷺ أمسكوا، وفي ناحيتها رجل مريض، فقال النبي ﷺ: ما لكم أمسكتم؟ قال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا. ثم جاء المريض يحبو، حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته. فقال: هذه صفتك وصفة أمتك. أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله ثم مات. فقال النبي ﷺ: لُوا أخاكم)[٢].

■ وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن بي اليهود»[٣]. وفي رواية عنه: «لو آمن بي عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض»[٤].

■ وعن أنس بن مالك[٥] ﷺ، أن عبد الله بن سلام[٦] بلغه

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين إلى الإسلام المقربين إلى رسول الله ﷺ، وكان خادمه وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله. توفي سنة (٣٢هـ).
الأعلام (٤/١٣٧)، الإصابة (٤٩٥٥)، غاية النهاية (١/٤٥٨)، صفة الصفوة (١/١٥٤)، حلية الأولياء (١/١٢٤).

(٢) رواه أحمد. المسند: (١/٤١٦).

(٣) رواه البخاري: (٤/٢٦٩)، مسلم (٤/٢١٥١).

(٤) رواه أحمد (٢/٣٤٦، ٣٦٢، ٤١٦).

(٥) أنس بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو حمزة، خادم رسول الله ﷺ. أسلم صغيراً، وتوفي سنة ٩٣هـ. الأعلام (٢/٢٤)، صفوة الصفوة (١/٢٩٨).

(٦) عبد الله بن سلام الإسرائيلي، أبو يوسف، حليف بني الخزرج، قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله. مشهور، له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاثون وأربعين. تقريب التهذيب (١/٤٢٢).

مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فذكرهن، وأخبره بخبرهن... فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهُتٌ فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبي ﷺ: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج عليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله)[1].

■ وعن عوف بن مالك[2] رضي الله عنه قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأني محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه، قال: فأسكتوا، ما أجابه منهم أحد. ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد. فقال: أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى آمنتم أو كذبتم. ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد. قال فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمون فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من

---

(١) رواه البخاري: (٤/٢٦٨). وانظر سيرة النبي ﷺ: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء. الرياض. (٢/١٣٨ - ١٣٩).

(٢) عوف بن مالك الأشجعي، أبو حماد، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح، وسكن دمشق ومات سنة ثلاثٍ وسبعين. تقريب التهذيب (٢/ ٩٠).

أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً. قال رسول الله ﷺ: كذبتم، لن يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن كذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام. وأنزل الله ﷻ فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[1] [الأحقاف].

■ وعن صفية بنت حيي[2] ﵂ قالت: (كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسَيْن، قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالَّين، كسلانين، ساقطين، يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحدٌ منهما مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهوَ هوَ؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت)[3].

---

(١) رواه أحمد. المسند (٦/ ٢٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٦، ٤٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤١٥ ـ ٤١٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦): رجاله رجال الصحيح.

(٢) صفية بنت حُيَي بن أخطب، الإسرائيلية، أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر. وماتت سنة ستٍ وثلاثين. وقيل في ولاية معاوية، وهو الصحيح. تقريب التهذيب (٢/ ٦٠٣).

(٣) سيرة النبي ﷺ (١٠/ ١٤٠). وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٢١٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلالٍ نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، فقال رسول الله ﷺ: سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام. فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله ﷺ: سلوني عما شئتم، فقالوا: أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهن: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى، وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم، ومن وليُّه من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعُنِّي، فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، فقال: نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، فقالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: أشهد الله عليكم، وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة، أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة، كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، قال: وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه، ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد. قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: فإن وليّي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا فعندها نفارقك. لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ

عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] فعندها باءوا بغضب على غضب)[١].

هذه نماذج من مواقف النبي ﷺ مع يهود، استفرغ النبي ﷺ جهده في دعوتهم، وإقامة الحجة عليهم، فلم يكن منهم إلا الإعراض والصدود والجحد والتكذيب، بعد العلم والبينة، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

٢ ـ الصد عن سبيل الله وإثارة الشبهات:

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء]. وقد روى ابن جرير رحمه الله بسنده أن جماعة من أحبار اليهود قدموا على قريش فـ(قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأول، فاسألوهم أدينكم خير، أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، وممن اتبعه، فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾)[٢].

* وقال تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة]، روى ابن جرير رحمه الله عن مجاهد، والبراء، وابن عباس أن السفهاء هم اليهود[٣].

---

(١) جامع البيان: (١/٤٣١ ـ ٤٣٢) ورواه أحمد في مسنده (١/ ٢٧٣، ٢٧٨).
(٢) جامع البيان: (٥/١٣٥).
(٣) جامع البيان: (٢/١ ـ ٢).

وإنما أرادوا التشكيك والإثارة والطعن في هذا الدين للصد عنه والتنفير منه.

قال ابن كثير رحمه الله: (لما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب، والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: «ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها»؟ أي قالوا: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا. فأنزل الله جوابهم: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي الحكم والتصرف والأمر كله لله)[1].

* قال تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [آل عمران]. قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيهم إياهم الإضلال، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهو لا يشعرون)[2].

* وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران]. قال ابن كثير رحمه الله: (هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم؛ وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (١/ ١٩٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم: (١/ ٣٧٣).

إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين)[١].

٣ ـ محاولة قتل النبي ﷺ وأذيته:

* نقل الحافظ ابن حجر[٢] في فتح الباري، وصحح إسناده، ما رواه ابن مردويه[٣] بسنده عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ في قصة إجلاء يهود بني النضير، وفيه: (فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ، اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك، ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك ففعل، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر. فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخٍ لها من الأنصار، مسلم، تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبيَّ ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع، وصبحهم بالكتائب... إلخ ثم قال الحافظ: وكذا أخرجه عبد بن حميد[٤] في تفسيره عن عبد الرزاق[٥]، وفي ذلك رد

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٣)، وانظر الآثار المروية في ذلك في جامع البيان (٣/ ٣١١ ـ ٣١٣).

(٢) ابن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) أحمد بن علي بن محمد الكناني، العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر. من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. أقبل على علم الحديث، ورحل إلى الحجاز واليمن وغيرهما لسماع الشيوخ، حتىٰ أصبح حافظ الإسلام في عصره. ولي قضاء مصر مرات. تصانيفه كثيرة جليلة منها: (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، (لسان الميزان)، (الدرر الكامنة). انظر الأعلام (١/ ١٧٨).

(٣) ابن مردويه (٣٢٣ ـ ٤١٠هـ) أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له: ابن مردويه الكبير: حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان. له كتاب «التاريخ» وكتاب في «تفسير القرآن» و«مسند» و«مستخرج» في الحديث. الأعلام (١/ ٢٦١).

(٤) عبد بن حميد بن نصر، الكسيّ، أبو محمد ثقة حافظ، مات سنة مائة وتسع وأربعين. تقريب التهذيب (١/ ٥٢٩).

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، أبو بكر، من أئمة الحديث وحفاظهم=

على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت: فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق..)[١].

* قال ابن إسحاق: (.. وخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري[٢]، فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرةً فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى رسول الله ﷺ الخبر فانصرف عنهم...)[٣].

* عن أنس بن مالك ﷺ أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها، فقيل: ألا نقلتها، قال: لا. فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ[٤].

* عن عائشة ﵂ قالت: سحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله. حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه. ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟

= الأثبات، ولد سنة ١٢٦هـ، وله «المصنف» و«التفسير» و«الجامع الكبير» وغيرها توفي سنة ٢١١هـ. الأعلام (٣/ ٣٥٣)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠)، وفيات الأعيان (١/ ٣٠٣)، ميزان الاعتدال (٢/ ١٢٦)، الرسالة المستطرفة (٣١).

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري: ابن حجر، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. دار المعرفة - بيروت. الطبعة الثانية. (٧/ ٢٥٥). وانظر: المصنف لعبد الرزاق (٥/ ٣٥٩ - ٣٦٠)، وسنن أبي داود (٣/ ٤٠٤ - ٤٠١).

(٢) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله، أبو أمية الضَّمري، صحابي مشهور، أول مشاهده بئر معونة. مات في خلافة معاوية. تقريب التهذيب (٢/ ٦٥).

(٣) عن سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢/ ١٩٢)، وانظر: فتح الباري (٧/ ٢٥٤).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٤١)، صحيح مسلم (٤/ ١٧١٢).

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليّ، ثم قال: أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق. قال: فيما ذا؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطَة وجُفِّ طلعةٍ ذكر[١]. قال: فأين هو؟ قال في بئر ذي أروان. قال: فذهب النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لَكَأن ماءها نُقاعة الحِنَّاء، ولَكَأن نخلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله: أفأخرجته؟ قال: لا، أما أنا، فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثوِّر على الناس منه شراً، وأمر بها فدفنت)[٢].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان على رسول الله ﷺ ثوبان قِطْرِيَّان غليظان، فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه، فقدم بَزٌّ من الشام لفلانٍ اليهودي، فقلت: لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة. فأرسل إليه فقال: قد علمت ما يريد، إنما يريد أن يذهب بمالي، أو بدراهمي فقال رسول الله ﷺ: كذب، قد علم أني من أتقاهم لله، وأداهم للأمانة)[٣].

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله... الحديث)[٤]، وكان يهودياً شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه[٥].

---

(١) المُشط: الآلة التي يسرح بها الشعر، والمشاطة: ما يخرج من الشعر عند التسريح. وجف الطلع: الغشاء الذي يكون عليه.
(٢) صحيح البخاري: (٧/ ٢٩ ـ ٣٠).
(٣) رواه الترمذي: (٥/ ٢١٧). وقال: حديث عائشة حديث حسن غريب صحيح.
(٤) صحيح البخاري: (٥/ ٢٥).
(٥) انظر: فتح الباري: (٧/ ٢٥٩).

* وعن أنس بن مالك ﷺ قال: مر يهودي برسول الله ﷺ فقال: السَّامُ عليك. فقال رسول الله ﷺ: وعليك. فقال رسول الله ﷺ: أتدرون ما يقول؟ قال: السّامُ عليك. قالوا: يا رسول الله، ألا نقتله؟ قال: لا، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)[١].

* وعن علي ﷺ أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجلٌ حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها)[٢].

٤ ـ موالاة الكافرين والمنافقين، ومعاداة المؤمنين:

* قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة].

* وقال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة]. قال ابن عباس ﷺ: (شياطينهم من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول)[٣].

* وجاء في خبر بني النضير، فيما رواه أبو داود وغيره عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ، وفيه: (.. فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتُقاتلُن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خَدَم نسائكم شيء - وهي الخلاخيل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أجمعت بنو النضير بالغدر...

---

(١) صحيح البخاري: (٨/ ٥١).

(٢) سنن أبي داود: (٤/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠).

(٣) جامع البيان: (١/ ١٣٠).

الحديث)[١]. ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن موسى بن عقبة[٢] رحمه الله في المغازي قال: (كانت النضير قد دسوا إلى قريش، وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ، ودلوهم على العورة)[٣]. فكانت هذه خيانةٌ منهم لعهد رسول الله ﷺ، وسبباً، بالإضافة إلى ما تقدم من محاولة قتلهم إياه، في إجلائهم عن المدينة، وبذلك يكونون هم البادؤون في حرب رسول الله ﷺ ونقض عهده، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: (أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ...)[٤].

* نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه قال: (خرج حيي بن أخطب بعد قتل بني النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في غطفان ويحضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف ثمر خيبر...)[٥].

فلما تحزب الأحزاب، وحاصروا المدينة نقض بنو قريظة العهد، وانضموا إلى الأحزاب، ولحق المسلمين شدة عظيمة، وجهد وجوع كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب]. قال موسى بن عقبة رحمه الله: (وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(٢) موسى بن عقبة بن أبي عياش، الأسدي، مولى آل الزبير، ثقة فقيه إمام في المغازي. مات سنة مائة وإحدى وأربعين، وقيل بعد ذلك. تقريب التهذيب (٢/ ٣٨٦).

(٣) فتح الباري: (٧/ ٢٥٥).

(٤) صحيح البخاري: (٥/ ٢٢)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٧)، سنن أبي داود (٣/ ٤٠٧).

(٥) فتح الباري: (٧/ ٣٠١)، وانظر: سيرة النبي ﷺ (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً. قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم، فنازلهم حيي على ذلك فعند ذلك نقضوا العهد، ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد...)(١).

وستظل هذه العداوة بين المسلمين ويهود إلى قيام الساعة، كما تدل عليه الأحاديث النبوية الصحيحة:

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله)(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود)(٣).

وواقع الحال من تسلط اليهود على أرض فلسطين دليل متجدد على عداوتهم الأزلية الأبدية للمسلمين، وعلم من أعلام النبوة، وبشارات الفرج.

ب ـ موقف النصارى من الإسلام:

لا يختلف الموقف العام للنصارى من الإسلام عن موقف اليهود. فكلا الطائفتين أصرت على عقائدها السابقة، وردت الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وحافظت على تنظيماتها الدينية، وقياداتها

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (٤/ ١٠٣)، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢٣٥ ـ ٢٣٨).

(٢) صحيح البخاري: (٣/ ٢٣٢).

(٣) صحيح البخاري: (٣/ ٢٣٢) واللفظ لمسلم (٤/ ٢٢٣٩).

المرجعية المرسومة قبل مجيء الإسلام. ولا يعهد أن فرقة من فرق النصارى المعروفة ـ على كثرتها ـ أعلنت اعتناقها للدين الجديد، وانخلاعها من الأوضاع السابقة. وإنما يتميز النصارى على اليهود على المستوى الفردي، حيث تحفظ وقائع السيرة النبوية مواقف مشرفة صادقة لعدد من الأفراد الذين كانوا على النصرانية، فاعتنقوا الإسلام، أو على الأقل أبدوا مظاهر التبجيل والتعظيم لنبيه ﷺ وتأدبوا معه. ويقع هذا الموقف الفردي المتعاطف من أعلى القيادات السياسية والدينية للنصارى كما يقع من سائر الأفراد. بينما نفتقد هذا الملحظ بالنسبة لليهود، حتى قال ﷺ: «لو آمن بي عشرة من اليهود ـ وفي رواية من أحبار اليهود ـ لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض»[١].

وسنسوق أدناه بعض الشواهد لاستجلاء هذا الموقف، وبيان أوجه الموافقة والمفارقة مع ما سبق.

* إن أول اتصال جرى بين الإسلام والنصارى كان في الساعات الأولى من البعثة[٢]. فقد جاء في قصة بدء الوحي، بعد أن عاد ﷺ من غار حراء ـ حيث جاءه الملك ـ إلى زوجه خديجة رضي الله عنها يرجف فؤاده فطمأنته ثم: (انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً قد تنصَّر في الجاهلية، وكان

---

(١) متفق عليه. صحيح البخاري (٤/٢٦٩)، صحيح مسلم (٤/١٥١). وقد تقدم.

(٢) يذكر بعض المؤرخين للسيرة النبوية قصة «بحيرا»، ويحاول بعض المغرضين من المستشرقين ومتعصبة النصارى الاحتجاج بها على حصول صلة وتتلمذ بين نبي الإسلام ﷺ ورهبان النصارى، وقد درس د. أكرم ضياء العمري هذه الحادثة وتتبع أسانيدها الضعيفة ونقدها. انظر: السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري. مكتبة العبيكان. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. (١/ ١٠٦ ـ ١١١).

يكتب الكتاب العِبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمي، فقالت خديجة: يا ابن عم: اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى. يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي)[١].

* وعن أم سلمة[٢] ﵂ أنها قالت: (لما ضاقت مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحدٌ عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه» فخرجنا إليه أرسالاً، حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، آمنين على ديننا، ولم نخش فيه ظلماً).

* وفي رواية عنها قالت: (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله، لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه)[٣].

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٣ - ٤).

(٢) أم سلمة: أم المؤمنين هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية، القرشية المخزومية ﵂. تزوجها النبي ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة، وكانت من أكمل النساء عقلاً وخلقاً، توفيت بالمدينة سنة ٦٢هـ.
الأعلام (٨/ ٩٧)، صفوة الصفوة (٢/ ٧٠)، الإصابة في تمييز الصحابة (كتاب النساء).

(٣) مسند أحمد (١/ ٢٠٢ - ٢٠٣)، (٥/ ٢٩٠)، دلائل النبوة للبيهقي (٣٠٢)، =

* وفي حديث ابن مسعود ﷺ في قصة الهجرة: (وبعثت قريش عمرو بن العاص[١]، وعمارة بن الوليد بهدية. فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم. قال جعفر[٢]: أنا خطيبكم اليوم، فاتَّبعوه. فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ. قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولاً، ثم أمرنا ألا نسجد لأحدٍ إلا لله ﷻ. وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه. قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم. والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه، وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما...)[٣].

= دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٢٤٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٧): (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع).

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية. مات سنة نيف وأربعين. وقيل بعد الخمسين. تقريب التهذيب (٢/ ٧٢).

(٢) جعفر بن أبي طالب، الهاشمي، ذو الجناحين، الصحابي الجليل، ابن عم رسول الله ﷺ استشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان من الهجرة. تقريب التهذيب (١/ ١٣١).

(٣) مسند أحمد (١/ ٤٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة ص (٢٩٨). وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن) (٣/ ٦٩).

* وفي رواية أم سلمة، لما قرأ جعفر على النجاشي صدر سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قالت: (فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد . . ـ ولما أراد عمرو بن العاص أن يكيدهم في اليوم التالي بسؤالهم عن عيسى ابن مريم، فأجابوا الملك بالحق الذي جاء به القرآن ـ قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. فناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله. اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي. والسيوم: الآمنون. من سبكم غُرم، من سبَّكم غُرم، من سبَّكم غُرم. فما أحب أن لي دير ذهب وأني آذيت رجلاً منكم، والدير بلسان الحبشة الجبل. . .)[١].

* وفي رواية موسى بن عقبة أنه لما وافقهم على قولهم في عيسى ابن مريم: (فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً. . .)[٢].

* وعن جعفر بن أبي طالب ﷺ في قصة الهجرة إلى الحبشة قال: (فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه فردنا. قال: نعم. فحملنا وزوَّدنا، ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنه رسول الله، وقل له: يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فتلقاني رسول الله ﷺ واعتنقني، ثم قال:

---

(١) تقدم تخريجه قريباً. ومعنى «ناخرت» وفي لفظ «تناخرت» أي تكلموا بكلامٍ يشوبه الغضب والنفور. والبطارقة: جمع بطريق وهم رجال الكنيسة.
(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٩ ـ ٢٠).

ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر. ووافق ذلك فتح خيبر. ثم جلس، فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا. فقال: نعم، فعل بنا كذا وكذا، وحملنا، وزوَّدنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وقال لي: قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات: اللهم اغفر للنجاشي، فقال المسلمون: آمين. ثم قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ)[١].

* وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة)[٢].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل، فإن كذبني فكذبوه. قال: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملكٍ؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد

---

(١) رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة جعفر بن أبي طالب، وقال في إثرها: حسن غريب نقلاً عن السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٥ ـ ١٧).

(٢) صحيح البخاري: (٤/ ٢٤٦)، (٢/ ٨٨).

أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أُدخِل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله، لقلت رجل يتأسّى بقولٍ قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا. قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا. فقد أعرِف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنّه خارج، لم أكن أظن أنه منكم. فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به

دحية[(١)] إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه: (بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل، عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأخرجنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.. وقال في آخره: فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرةٍ له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم: هل لكم في الفلاح والرُّشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل)[(٢)].

* وقد روى الإمام أحمد وغيره ما يدل على تكرار هذا الموقف من هرقل مع قومه في السنة التاسعة للهجرة حين غزا النبي ﷺ غزوة تبوك، لما بلغه أن الروم قد حشدوا للمسلمين، فلم يجد لهم أثراً، ولم يلق حرباً، وبعث كتاباً إلى هرقل: (.. فلما أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم باباً

---

(١) هو دحية بن خليفة بن فرزة بن فضالة الكلبي، صحابي جليل، مات في خلافة معاوية. تقريب التهذيب (١/ ٢٣٥).

(٢) صحيح البخاري: (١/ ٥ ـ ٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧).

فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال؛ يدعوني إلى أن أتَّبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب، ليأخذن ما تحت قدميّ، فهلم نتبعه على دينه أو نعطيه ما لنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجلٍ واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟! فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم[١]، ولم يكد، وقال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم...

- ثم ذكر تمام القصة، وبعث هرقل للتنوخي ليتثبت له من ثلاث خصال، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: يا أخا تنوخ إني كتبت بكتابٍ إلى كسرى فمزقه، والله ممزقه، وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي[٢] بصحيفة فخرقها، والله مُخْرِقُه ومُخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً، ما دام في العيش خير)[٣].

* عن حذيفة رضي الله عنه قال: (جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنّا لا نفلح ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف له أصحاب

---

(١) رفأهم: أي ترفق بهم حتى أسكتهم.

(٢) في صحيح مسلم عن أنس: (وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ) (٣/١٣٩٧).

(٣) مسند أحمد (٣/٤٤١ ـ ٤٤٢)، (٤/٧٤)، ومدار الرواية على سعيد بن أبي راشد وهو مقبول.

رسول الله ﷺ. فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة)[١].

هكذا روى البخاري قصة وفد نصارى نجران مختصراً، وقد أفاض أهل التواريخ في تفصيل وقائع القصة بما لا يرتقي إلى درجة الصحة، ويطول سرده[٢]، ونكتفي بقطعة رواها ابن إسحاق صاحب السير، قال:

قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره، واسمه عبد المسيح. والسيد: ثِمالُهم وصاحب حلهم ومجتمعهم، واسمه، الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني كعب بن وائل أسقفهم، وحبرهم، وإمامهم، وصاحب مدراسهم. وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرَّفوه وموَّلوه، وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فلما وجَّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً إلى رسول الله ﷺ، وإلى جنبه أخٌ له يقال له: كرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال له كرز: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست. فقال: ولمَ يا أخي؟ فقال: والله إنه النبي الأمي الذي كنا ننتظره. فقال له كُرز:

---

(١) صحيح البخاري: (٥/ ١٢٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٥/ ٥٢ ـ ٥٦) وتفسير ابن كثير (١/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠)، زاد المعاد (٣/ ٦٢٩ ـ ٦٣٨). فتح الباري (٨/ ٧٣ ـ ٧٤).

فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم: شرفونا، وموّلونا، وأكرمونا،وقد أبوا إلا خِلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك)[١].

هذه أربعة أمثلة تظهر أربعة مواقف فردية للنصارى، من الإسلام:

١ ـ ورقة بن نوفل: الحبر المؤمن الذي عرف الحق فاتبعه.

٢ ـ والنجاشي: الملك المؤمن،الذي عرف الحق فاتبعه، ولم يعبأ بتهديد بطارقته.

٣ ـ وهرقل: الملك العالم، الذي عرف الحق، لكنه ضن بملكه، وانخذل أمام قومه.

٤ ـ وأبو حارثة ابن علقمة: أسقف نجران، الذي عرف الحق، لكنه آثر الحياة الدنيا وزينتها.

وخلف هذه الرموز يقف مئات بل ألوفٌ من النصارى يتخذون مواقف مشابهة، لا يتسع ديوان التاريخ لتقييدها جميعاً، لكن المحصلة العامة لحركة التاريخ، تثبت ما أسلفنا من تهيؤ النصارى لقبول الحق أكثر من اليهود، كما تثبت الشواهد السابقة حرص المؤسسة الكنسية بتنظيماتها المختلفة على التمسك بنصرانيتها حفاظاً على السيادة والقيادة والمصالح الشخصية. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة]. ويحلو لبعض الكتاب المحدثين والصحفيين المدهنين، أن يتوددوا إلى النصارى باستدعاء

---

(١) نقلاً عن زاد المعاد (٣/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠).

الشواهد التاريخية على تعاطف النصارى مع المسلمين، وتمييع قضية العداوة الأزلية بين الفريقين التي نطقت بها نصوص الوحيين، والتلبيس على الناس بالخلط بين المواقف الفردية لآحاد النصارى الصادقين في طلب الحق، والموقف العدائي الدائم للكنيسة على اختلاف اتجاهاتها، وتعدد فرقها. إن مقتضى الأمانة التاريخية ـ فضلاً عن الثوابت العقدية ـ تقضي بإبراز المواقف العدائية العنيفة للنصارى ضد المسلمين منذ العهد النبوي وحتى يومنا هذا، ومحاولة فتنتهم عن دينهم، شواهد ذلك في العهد النبوي:

□ حشدهم مائتي ألف مقاتل من الروم ونصارى العرب في معركة «مؤتة» مقابل ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين(١).

□ قتلهم فروة بن عمرو الجذامي ـ عامل الروم على من يليهم من العرب ـ لما أسلم، وصلبهم إياه(٢).

□ قتلهم «صفاطر» الأسقف، لما شهد شهادة الحق، وقد كان مقدماً معظماً عند الروم(٣). بالإضافة إلى ما تقدم سرده من مواقف بطارقة هرقل والنجاشي ونصارى نجران، والله المستعان.

وأما التاريخ الإسلامي فحافلٌ بالعلاقات العدائية الدموية ـ كما سنلمح إليه في الفصل التالي ـ بين المسلمين والنصارى. وشواهد العصر الحديث حاضرة ماثلة في مواقع متعددة من العالم كالفلبين، وأندونيسيا، وأرتريا، والبلقان.

يبقى أن نقرر جازمين أن هذه العلاقة العدائية ستظل إلى يوم

---

(١) انظر: ما أفرد في وصف المعركة مثل: غزوة مؤتة: لمحمد أحمد باشميل. وغزوة مؤتة لشوقي أبو خليل وغيرهما.
(٢) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٤/ ٢٦١).
(٣) انظر: البداية والنهاية: (٤/ ٢٦٧).

القيامة عداوةً أبدية، لإخبار الله ورسوله ﷺ بذلك ثم بحكم اختلاف الاعتقاد من جهة، ولما يتميز به هؤلاء النصارى ممثلين بالروم من صفاتٍ وخصائص نوعية، من جهة أخرى، تبقي لهم أسباب القوة المادية، والشوكة الحربية، فلا يزال الناس يجدون منهم بأساً، كما قال ﷺ[١]. وقد روى مسلم[٢] رحمه الله أن المستورد القرشي[٣] رضي الله عنه قال عند عمرو بن العاص رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس) فقال له عمرو: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرةً، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف. وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك)[٤]. وفي لفظ عند مسلم أيضاً: (وأجبر الناس عند مصيبة، وخير الناس لمساكينهم وضعفائهم)[٥].

وعنه رضي الله عنه قال: بينا أنا عند عمرو بن العاص فقلت له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة) فقال له عمرو: ألم أزجرك عن مثل هذا[٦].

---

(١) تقدم في قصة التنوخي (٢٢٩).

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري النيسابوري، ثقة، حافظ، إمام، مصنف، عالم بالفقه، مات سنة إحدى وستين ومائتين. وله سبع وخمسون سنة. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٥).

(٣) المستورد بن شداد بن عمرو القرشي، الفهري، حجازي، نزل الكوفة، له ولأبيه صحبة. مات سنة خمس وأربعين. تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢).

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٢٢).

(٥) المرجع السابق.

(٦) مسند أحمد (٤/ ٢٣٠). ولعله زجره عن ذلك حتى لا يفت في أعضاد الناس في قتالهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢١٥): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

وقد أخبر النبي ﷺ عن الفتن والملاحم التي تكون في آخر الزمان بين أهل الإسلام وعبدة الصلبان بما لا يدع مجالاً للشك في أبدية هذه العداوة، وأن ما يجري هذه الأيام منهم من مجاملات ومودات إنما هو قشرة رقيقة ظاهرة تخفي تحتها عداوة متأصلة، وكيداً خفياً، وإحناً وأحقاداً لا يطفئ لهيبها إلا أن نتبع ملتهم ـ عياذاً بالله ـ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]، ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران].

ومن أمثلة هذه الأحاديث الصحيحة:

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق(١)، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً. فيفتحون قسطنطينية، فبينا هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خرج، فبينا هم يُعِدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى

---

(١) موضعان بالشام قرب حلب.

يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته)[١].

■ وعن يُسيرِ بن جابر[٢] قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجلٌ ليس له هِجِّيرى[٣] إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد وكان متكئاً فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا، ونحّاها نحو الشام فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلتُ: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال رَدَّةٌ شديدة، فيشترط المسلمون شُرطَة[٤] للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشُّرطة، ثم يشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشُّرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة. فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدَّبْرَة[٥] عليهم فيقتلون مقتلةً، إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم يُرَ مثلها. حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلّفهم حتى يخر ميتاً، فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد. فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراثٍ يُقاسم. فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك؛

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٢١) وفي الحديث دلالة على أن الروم سينتزعون القسطنطينية من أيدي المسلمين، ثم يفتتحها المسلمون ثانية.

(٢) يسير بن جابر، الكوفي، مختلف في نسبته، قيل: كندي وقيل غير ذلك. وله رؤية. مات سنة خمس وثمانين. تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٤).

(٣) أي شأنه ودأبه ترديد تلك الجملة.

(٤) طائفة من الجيش تتقدم إما للشهادة أو النصر.

(٥) الدَّبرة: الهزيمة.

فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون[١] ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ)[٢].

■ وعن ذي مِخبَر[٣] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرجٍ ذي تلول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليبُ، فيغضب رجلٌ من المسلمين، فيدقُّه، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة)[٤] وفي رواية: (وتكون الملاحم، فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف)[٥].

■ وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: (اعدد ستاً بين يدي الساعة، وذكر السادسة: ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت

---

(١) يتركون.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٣٤ ـ ٢٢٢٤).

(٣) ذي مِخْبر، الحبشي، صحابي، نزل الشام، وهو ابن أخي النجاشي. تقريب التهذيب (١/ ٣٩).

(٤) رواه أبو داود (٣/ ٢١٠)، وسنن ابن ماجه: ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة العلمية، بيروت. (٢/ ١٣٦٩) والحاكم (٤/ ٤٢١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال في الزوائد: إسناده صحيح وأحمد (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، (٥/ ٤٠٩).

(٥) رواه أحمد (٤/ ٩١)، والحاكم (٤/ ٤٢١) وصححه ووافقه الذهبي.

ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)[١]. وفي رواية عنه عند أحمد: (قلت: وما الغاية؟ قال: الراية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً. فسطاط المسلمين يومئذٍ في أرضٍ يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها: دمشق)[٢].

■ وفي رواية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، ليجمعون لكم تسعة أشهر، كقدر حمل المرأة، ثم يكونون أولى بالغدر منكم...)[٣].

■ تلك طبيعة العلاقة مع عباد الصليب في الماضي والحاضر والمستقبل، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة].



(١) رواه البخاري: (٤/ ٦٨).
(٢) المسند: (٦/ ٢٥).
(٣) المسند: (٢/ ١٧٤).

المبحث الخامس

لمحة تاريخية عن العلاقات بين المسلمين وأهل الكتاب

تبين من المبحثين السابقين أن العهد النبوي شهد اكتمال الأحكام العقدية والشرعية الإسلامية تجاه أهل الكتاب، بما لا يدع مجالاً لتحريفٍ أو ابتداع. كما شهد أيضاً تطبيق تلك الأحكام واقعاً مُعاشاً من خلال مساكنة اليهود المسلمين في المدينة، وفرض الجزية على نصارى نجران، وغيرهم. فلا ريب أن ذلك العهد الزاهر لا يمثل مرحلة تاريخية فحسب، بل مرجعية عقدية شرعية لكل المراحل التالية.

كما أن مواقف زعامات أهل الكتاب الدينية والسياسية إبان ذلك العهد رسمت الطريق لخلفهم في الاستنكاف عن قبول الحق، ومعاداة أهله.

ونقصد في هذا المبحث الإلمام بمجمل العلاقات التاريخية بين المسلمين بعد العهد النبوي المتميز، وأهل الكتاب، سواء كانوا ذميين أو مستأمنين أو كانوا حربيين، ولا شك أن الإحاطة بتفاصيل ومفردات العلاقات التاريخية بين المسلمين وأهل الكتاب عمل موسوعي ضخم يتطلب توافر عشرات الباحثين عليه، لسعة رقعته الزمانية والمكانية وتنوع مادته. والمقصود هنا وضع خطوطٍ عامة بارزة لتكوين خلفية تاريخية يستصحبها القارئ وهو يدلف إلى دراسة قضية معاصرة، ونازلة جديدة هي «دعوة التقريب بين الأديان».

يمكن أن نقسم تاريخ العلاقات الإسلامية ـ الكتابية إلى خمس

مراحل متميزة[١]، آخذين بالاعتبار حين التقسيم العلاقات الإسلامية - النصرانية أساساً، لكونها الجبهة الساخنة، ذات الشوكة والمواجهة، والكر والفر، والمد والجزر، على مدار التاريخ، بينما تختفي اليهودية في معظم فترات التاريخ عن الصدارة بسبب القلة العددية، والشتات القومي ليهود، والذلة والمسكنة التي ضربها الله عليهم دون التقليل من خطرهم وكيدهم الخفي.

المرحلة الأولى: من عام ١١هـ إلى عام ١١٤هـ:

تضم هذه المرحلة عصر الخلفاء الراشدين وصدر الإسلام، وعلى وجه التحديد من وفاة الرسول ﷺ إلى معركة «بلاط الشهداء»، في زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[٢]، حيث بلغت الدولة الإسلامية الفتية أقصى اتساعها في غرب أوربا، وشارفت جيوش عبد الرحمٰن الغافقي[٣] رحمه الله على اجتياح فرنسا، وتمثل هذه المرحلة «المرحلة

---

(١) سيكون تاريخ الحافظ ابن كثير رحمه الله (البداية والنهاية) مرجعاً أساسياً في هذا العرض التاريخي، لاستيعابه فترة طويلة من تاريخ العلاقات، ولمزاياه الفنية المنهجية، ودفعاً للتوسع والإطالة في مبحثٍ لا يهدف أصلاً الدراسة التاريخية المتخصصة، وإنما التقاط الشواهد التاريخية التي تتأتى من مصدر واحدٍ وثيق كالبداية والنهاية.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ ـ ١٢٥هـ) من خلفاء الدولة الأموية. بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ. نشط في عهده الجهاد في سبيل الله فقاتل المسلمون الترك، وقتلوا خاقانهم، واستولوا على بلاد ما وراء النهرين، وكثر المال. كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. انظر: الأعلام (٨/٨٦)، البداية والنهاية (٩/٣٥١ ـ ٣٥٤).

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي: أبو سعيد، أمير الأندلس، من كبار القادة الغزاة الشجعان. أصله من غافق، من قبيلة عك في اليمن. رحل إلى أفريقية ثم إلى الأندلس، وولي قيادة الشاطئ الشرقي، وكثرت جموعه بعد مقتل السمح بن مالك سنة ١٠٢هـ، وولاه هشام بن=

الذهبية» للإسلام مع النصرانية، حيث تم طي بساط النصرانية عن الأقاليم المعمورة؛ في الشام والعراق ومصر والمغرب بل وأسبانيا وجنوب فرنسا، ونشر أعلام الإسلام عبر سلسلة متتابعة من الفتوحات السريعة المذهلة، كان قوادها، ولحمة سداها أصحاب محمد ﷺ وخيار التابعين. فقد استهل الخليفة الراشد الأول: أبو بكر الصديق مدة خلافته القصيرة، سنتين وثلاثة أشهر، بإنفاذ جيش أسامة بن زيد[1] رضي الله عنه - الذي عقد لواءه رسول الله ﷺ قبل وفاته، والسير إلى تخوم البلقاء من الشام وقتال الروم[2]، رغم ارتداد كثير من قبائل العرب عن الإسلام، ولما تم القضاء على المرتدين، شرع الصديق رضي الله عنه في جمع المسلمين لغزو الشام، وتولية الأمراء، وعقد الألوية والرايات، وذلك في أول سنة ثلاثة عشر للهجرة[3].

وبعد وفاة الصديق رضي الله عنه في جمادى الآخرة، تولى الخلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان كما وصف النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أريت في المنام أني أنزع بِدلْوِ بكرة على

= عبد الملك إمارة الأندلس سنة ١١٢هـ، وهو الذي بنى قنطرة قرطبة المشهورة. واجتاز بالمسلمين جبال البرانس لغزو بلاد الغال «فرنسا» فاستولى على أجزاء منها، ودحر جيوش شارل مارتل، فجمع له جيشاً كبيراً، من الغاليين والجرمانيين، فدارت معركة هائلة في «بواتييه» عرفت باسم بلاط الشهداء، استشهد فيها رحمه الله. انظر: الأعلام (٣/ ٣١٢).

(١) أسامة بن زيد بن حارثة: الأمير، أبو محمد، وأبو زيد. صحابي مشهور. حِب رسول الله ﷺ وابن حِبه. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام. سكن وادي القرى بعد وفاة النبي ﷺ ثم انتقل إلى الشام في أيام معاوية رضي الله عنه. مات سنة أربع وخمسين من الهجرة، عن خمسٍ وسبعين سنة. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٥٣)، الأعلام (١/ ٢٩١).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٦/ ٣٠٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (٧/ ٢ ـ ٤).

قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً[(١)] أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له. ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً[(٢)]، فلم أر عبقرياً[(٣)] يَفري فَرِيَّه[(٤)] حتى رَويَ الناس، وضربوا بعطن)[(٥)]. ففي زمن خلافته رضي الله عنه استكملت فتوح العراق والشام ومصر عبر سلسلة متلاحقة من المعارك الفاصلة والفتوحات العظام مثل: معركة اليرموك ١٣هـ، فتح دمشق ١٣هـ، وقعة فحل ١٣هـ، معركة القادسية ١٤هـ، فتح حمص الأول، وقنسرين وقيسارية وأجنادين وبيت المقدس وحمص الثانية جميعها في ١٥هـ. ثم فتح المدائن ومعركة جلولاء وفتح تكريت والموصل من أرض العراق في ١٦هـ والجزيرة في ١٧هـ وفي سنة ٢٠هـ كان فتح مصر، والإسكندرية عام ٢٥هـ.

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه جرى فتح أفريقية عام ٢٧هـ، وابتداء فتح الأندلس ٢٧هـ، وفتح قبرص ٢٨هـ ومعركة ذات الصواري البحرية ٣١هـ، وغزوة ملاطية ٣٣هـ. ثم انكفأ المسلمون على أنفسهم بسبب ما جرى من الفتنة، وقتل عثمان رضي الله عنه، فتوقفت الفتوح.

ولما استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عاود غزو بلاد الروم منذ سنة اثنتين وأربعين للهجرة، وبلغ المسلمون مدينة قسطنطينية

---

(١) الذنوب: الدلو الكبيرة إذا كان فيها الماء. فتح الباري (٧/ ٣٢).
(٢) الغرب: الدلو العظيمة.
(٣) المراد به كل شيء بلغ النهاية.
(٤) أي يعمل عمله البالغ. فتح الباري (٧/ ٣٣).
(٥) صحيح البخاري (٤/ ١٩٨) والعطن: مناخ الإبل إذا شربت ثم صدرت. فتح الباري (٧/ ٣٣). وقال ابن حجر: (.. لم يتعرض في ذكر عمر إلى عدد ما نزعه من الدلاء، وإنما وصف نزعه بالعظمة إشارة إلى كثرة ما وقع في خلافته من الفتوحات والله أعلم) الفتح (٧/ ٣٢).

عام ٤٣هـ وعام ٤٩هـ، في غزواتٍ متتابعة لبلاد الروم، وفتحت جزيرة «رودس» عام ٥٣هـ، و«كريت» عام ٥٥هـ. وفي عام ٦٢هـ سارت جيوش المسلمين غرباً في الشمال الإفريقي لقتال الروم والبربر، وفي عام ٧٨هـ بلغوا «طنجة» في أقصى المغرب، واكتمل فتح المغرب في عام ٩١هـ. وفي عام ٩٢هـ غزا المسلمون بلاد الأندلس وفتحوا أقاليمها في أقل من ثلاث سنين. وفي عام ٩٤ تم فتح «أنطاكية» و«سندرة» من أرض الروم. قال ابن كثير رحمه الله: (وفيها فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك[١]، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه، حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[٢].

وقد حاول المسلمون مراراً فتح القسطنطينية، وكان من أواخر هذه المحاولات الجادة في هذه المرحلة تجهيز سليمان بن عبد الملك[٣] عام ٩٨هـ لأخيه مسلمة بجيش عظيم، ولكن لم يقع ذلك الفتح

(١) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس (٤٨ ـ ٩٦هـ)، من خلفاء الدولة الأموية. ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، فوجه القواد لفتح البلاد، فامتدت الفتوح في عهده إلى بلاد الهند والتركستان وأطراف الصين شرقاً، وأقاصي المغرب وبلاد الأندلس غرباً. وكان ولوعاً بالبناء والعمران وإصلاح الطرق. وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام، وأجرى الأرزاق على الناس، وجعل لكل أعمى قائداً، ولكل مقعد خادماً، وجعل بيوتاً للغرباء. وأعاد بناء المسجد النبوي، والمسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق، رحمه الله. انظر: الأعلام (٨/ ١٢١)، البداية والنهاية (٩/ ١٦١ ـ ١٦٦).

(٢) البداية والنهاية: (٩/ ٩٥).

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان (٥٤ ـ ٩٩هـ) أبو أيوب، الخليفة الأموي، ولد في دمشق، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ. وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، وجهز جيشاً كبيراً، وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية. وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك. رحمه الله. الأعلام (٣/ ١٣٠)، والبداية والنهاية (٩/ ١٧٧).

المرتقب، ولم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء محكماً، رحب الفناء شاهقاً في السماء)[١].

وفي عهد الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز[٢] رحمه الله اخترق المسلمون جبال البرانس الفاصلة بين شبه الجزيرة الإيبيرية (أسبانيا والبرتغال حالياً، الأندلس سابقاً) ودخلوا جنوب فرنسا (بلاد الغال) وفتحوا «سبتمانيا» ومدن حوض نهر «الرون» حتى بلغوا مدينة «سانس» الواقعة على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب باريس. وظلوا يتوسعون في تلك المناطق ويناوشون الفرنجة، حتى تصاف جيشان ضخمان وجهاً لوجه في معركة فاصلة من معارك التاريخ، عرفها المسلمون باسم «بلاط الشهداء»، وسماها خصومهم الفرنجة: «تور ـ بواتييه) وذلك في أواخر شعبان سنة ١١٤هـ أسفرت ـ بعد ملاحم طاحنة ـ عن انهزام المسلمين إلى مواقع خلفية في جنوب فرنسا.

لقد كان هذا الحدث التاريخي مؤشراً هاماً في حركة المد الإسلامي يمثل الذروة العليا، والحد الأقصى الذي بلغته حركة الفتوح الإسلامية الظافرة، ومن بعده أخذ المؤشر يتجه ناحية الانحدار، وتلك سنة الله في خلقه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

---

(١) البداية والنهاية: (٩/ ١٧٤).

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أبو حفص، الخليفة الصالح والملك العادل، وربما قيل خامس الخلفاء الراشدين، ولي الخلافة من سنة ٩٩هـ حتى وفاته سنة ١٠١هـ، فمدة خلافته سنتان ونصف وأخباره في عدله وحسن سياسته شهيرة، وقد ألفت في مناقبه كتب جمة.
الأعلام (٥/ ٥٠)، فوات الوفيات (٢/ ١٠٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٥)، حلية الأولياء (٥/ ٢٣٥)، صفوة الصفوة (٢/ ٦٣)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٦).

يقول «جيبون»: (لو انتصر العرب في تور ـ بواتييه، لتلي القرآن وفسر في أكسفورد وكمبردج)[١].

لقد تميزت هذه المرحلة «الذهبية» المدهشة بجملة من الخصائص الفريدة:

أولاً: الدافع العقدي النقي، والحماس الإيماني الجهادي لدى الفاتحين المسلمين الذين خرجوا من بوتقة جزيرتهم العربية الضيقة ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور غير مبالين بقلة عددهم، وضعف عتادهم، وقوة عدوهم وكثرة جموعه، مستعلين بالإيمان، مستخفِّين بالطغيان، موقنين بموعود ربهم الآجل والعاجل، مصدقين ببشارة نبيهم ﷺ، فضربوا أروع الأمثلة في التضحية والبسالة والحرص على الشهادة، والزهادة بما في أيدي الناس في مواقف وملاحم ومقامات مشهورة أذهلت أبناء البلاد المفتوحة، فوطأ الله لهم أكناف الأرض وفتح لهم القلوب قبل الحصون. وتسمو درجة النقاء والطهر والنزاهة في الأفواج الأولى من الفاتحين الذين هم أصحاب محمد ﷺ وكبار التابعين، وفي عصرهم فتحت الأقاليم الكبار، وصارت دار إسلام إلى آخر الزمان، وكلما مضى الدهر قدماً نقص هذا المستوى الرفيع، وشابته الشوائب حتى بلغ الأمر منتهاه في هذه المرحلة التي تمثل قرناً من الزمان بعد وفاة الرسول ﷺ تقريباً، وعامة أهلها خير القرون.

لقد كان يحدو أولئك الفاتحين في هذه المرحلة حاديان؛ عامٌ وخاص.

فأما العام: فقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

---

(١) نقلاً عن: بلاط الشهداء: شوقي أبو خليل. دار الفكر. دمشق. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م). ل: شوقي أبو خليل (٣٦). وأكسفورد وكمبردج جامعتان عريقتان في إنجلترا.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأما الخاص: فقوله ﷺ: (لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)[١]. ورواه الإمام أحمد من حديث بشر الخثعمي رضي الله عنه، قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك[٢] فسألني فحدثته فغزا القسطنطينية.

وعن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة، يريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله، يلقي بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب[٣]: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أي نقيم في أموالنا، ونصلحها وندع الجهاد. قال أبو عمران: فلم يزل

(١) المسند (٤/ ٣٣٥). وسنده حسن وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٢١): رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات.

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان (٠٠ ـ ١٢٠هـ) أمير قائد، من أبطال عصره من بني أمية في دمشق له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان، وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية سنة ٩٦هـ، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة ١٠٩هـ ومات بالشام. قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته. انظر: الأعلام (٧/ ٢٢٤)، البداية والنهاية (٩/ ٣٢٨).

(٣) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب من كبار الصحابة، شهد بدراً، ونزل النبي ﷺ حين قدم المدينة عليه، مات غازياً بالروم سنة خمسين وقيل بعدها. تقريب التهذيب (١/ ٢١٣).

أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية)[١].

ظل المسلمون يبعثون بالصوائف والشواتي في أرض الروم طوال القرن الأول طلباً لهذا الشرف العظيم، فتح القسطنطينية، والفوز بالمنقبة الرفيعة التي وصف بها النبي ﷺ جيش الفاتحين وأميرهم.

وكذلك الحال على الجانب الغربي، فقد كان هذا الهاجس يحدو جيوش المسلمين المجاهدة في الشمال الإفريقي وهم يهمون بفتح الأندلس، قال ابن كثير رحمه الله: (لما افتتحت أفريقية: بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول: إن القسطنطينية إنما تفتتح من قبل البحر، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان، والسلام)[٢]. وكان ذلك في سنة ٢٧هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه.

لقد كان المسلمون يطمحون أن يحيلوا بحر الروم ـ البحر الأبيض المتوسط حالياً ـ إلى بحر الإسلام، وأن يحيطوا بالقسطنطينية من جانبيها الآسيوي والأوربي، وكان موسى بن نصير[٣] رحمه الله يقول: (لو

---

(١) سنن أبي داود (٣/٢٧) والترمذي برقم (٢٩٧٦) وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٢) البداية والنهاية (٧/١٥٢). وانظر: الكامل (٣/٤٧) وتاريخ الطبري (٤/٢٥٣).

(٣) موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي، بالولاء (١٩ ـ ٩٧هـ) أبو عبد الرحمن، فاتح الأندلس، أصله من وادي القرى بالحجاز نشأ في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية. فغزا قبرس، وبنى بها حصوناً، وغزا أفريقية، ووليها، وأقام بالقيروان، ووجه مولاه طارق بن زياد لفتح الأندلس عام ٩٢هـ، ففتحها ثم التحق به في العام التالي، وأكملا معاً فتح الجزيرة حتى جبال البرانس، وكان يطمع باختراق أوربا ليصل إلى القسطنطينية من الجانب الآخر، ولكن الوليد بن عبد الملك خاف عاقبة الإيغال فأمره بالتوقف=

انقاد الناس لي لقدتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية ـ وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج ـ ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى)[١]. وبهذه الروح الوثابة، وهذا التألق الإيماني رسم الفاتحون خريطة العالم من جديد، وأزاحوا النصرانية عن أشرف مقدساتها، وأغلى مرابعها، وأرسوا دعائم الدين الحق، ووطدوا أركانه.

ولعل استعصاء هذه المدينة «القسطنطينية» ومنعتها أمام جيوش المسلمين ومحاولاتهم المتكررة لفتحها، حتى اكتفوا ببناء جامع فيها على رأس القرن الأول، ثم ما تلا ذلك من صد التوسع الإسلامي في فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء الفاصلة عام ١١٤هـ، كان إيذاناً بانتهاء مرحلة متميزة، فريدة، أثمرت ثماراً يانعة باقية في تاريخ بني الإنسان.

ثانياً: الإقبال العظيم على اعتناق الإسلام، والدخول في دين الله من أبناء البلاد المفتوحة رضاً وطواعية. ولقد شهدت العقود الأولى من الفتح الإسلامي انخراطاً في الدين الجديد من معتنقي الأديان الأخرى ـ خصوصاً النصارى ـ وتحولاً ملفتاً في المجتمعات المنضوية تحت راية الإسلام دون عنفٍ ولا إكراه في ظاهرة تاريخية لم يسبق لها مثيل، شهد بها الخصوم قبل الأولياء.

يقول برنارد لويس[٢]: (لقد وصل محمد إلى السلطة والحكم أثناء

= والعودة إلى دمشق، فوصلها عام ٩٦هـ في مرض الوليد، ثم حج مع سليمان، وتوفي في وادي القرى. وكان شجاعاً عاقلاً كريماً، لم يهزم له جيش قط كَلَله. انظر: الأعلام (٧/ ٣٣٠).

(١) البداية والنهاية (٩/ ١٧٤).

(٢) برنارد لويس: ولد في لندن عام ١٩١٦م. حصل على اللسانس مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة لندن عام ١٩٣٦م، ودبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس عام ١٩٣٧م، والدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٣٩م. وهو أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى في جامعة «برنستون»، وعضو دائم=

حياته، وقد أسس بنفسه أول دولة إسلامية، وحكمها مع أصحابه، لقد انتهت مهمة الرسالة الروحية لمحمد بوفاته، ولكن رسالته الدينية والسياسية استمرت على يد خلفائه. وتحت حكم الخلفاء، تقدم المسلمون من انتصار إلى انتصار، وبالتالي نشأ خلال قرن واحد كيان شاسع الأصقاع يمتد من حدود الهند والصين إلى جبال البيرينيه وسواحل المحيط الأطلسي، وهو كيان يحكم ملايين الأتباع، وبأعدادٍ هائلة، ممن اعتنقوا الدين الجديد... إن تاريخ الدولة الإسلامية المبكر - الذي يحظى بالقداسة - يشكل جوهر ولب ذاكرة ووعي المسلمين في كل مكان، وهو يحكي قصة الفتوحات السريعة المتواصلة، والتي تساقط أمامها زعماء العقائد الفاسدة التي تضطهد شعوبها.

لقد وصل الإسلام إلى الانتصار النهائي سواء من حيث العقيدة أو السلاح، وأوصل كلمة الله إلى البشرية كلها، وفرض الشريعة الإلهية على العالم كله)[1]. (.. وهكذا فعندما وصل المسلمون في العصور الوسطى إلى صقلية وأسبانيا والبرتغال، شاهدنا بعد فترة قصيرة عمليات تحول ودخول جماعات كثيرة من النصارى إلى الدين الجديد)[2].

إن التفسير الحقيقي لظاهرة الاعتناق الجماعي للإسلام من سكان البلاد المفتوحة؛ كتابيين أو وثنيين، ترجع إلى أمرين أساسيين:

= في معهد الدراسات المتقدمة في برنستون - نيوجرسي - ١٩٧٤م. يشغل العديد من المناصب العلمية، وعضو فخري في عشرات الجمعيات. مؤلفاته تربو على العشرين، وله عشرات الأبحاث المنشورة في التاريخ والفرق. انظر التعريف به في مقدمة كتابه (الإسلام الأصولي). دار الجيل. بيروت. ط١٤١هـ - ١٩٩٤م.

(١) الإسلام والغرب: برنارد لويس. دار الرشيد - دمشق - بيروت، مؤسسة الإيمان - بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). (٥).

(٢) الإسلام والغرب (٨).

أولهما: صحة العقيدة الإسلامية ووضوحها ومتانتها، وموافقتها التامة للعقل والفطرة وأصول الشرائع السابقة، وبعدها عن التعقيد والغموض والتكلف والبدعة الذي آلت إليه الأديان المحرفة. فوجد فيها القوم بغيتهم، وسكينة قلوبهم، وحل إشكالاتهم العقدية والتشريعية، على حد قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ١ ـ ٣].

وثانيهما: الالتزام الشرعي، والتطبيق الدقيق لحملة هذا الدين من الفاتحين المؤمنين الأولين، حتى ضربوا أروع الأمثلة في الصدق والوفاء بالعهود، وحفظ الذمة والعدل والنزاهة، مع صدق الإيمان وقوة الصلة بالله تعالى، والشهادة في سبيله على حد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج].

لقد رأى أبناء البلاد المفتوحة في أصحاب رسول الله ﷺ ملائكة يمشون على الأرض مطمئنين، فبهروا بصدقهم وإخلاصهم وعدلهم وخشيتهم لربهم وزهادتهم في الدنيا، فعلموا أنهم تضلعوا من معين النبوة، وأشرقت قلوبهم بنور الإيمان فاختاروا الإسلام راغبين منقادين رجاء أن يؤتوا أجورهم مرتين[١].

(١) يقول الباحثان فيليب فارج، ويوسف كرباج: (إن العراق الذي كان يركز الكتلة الديموغرافية للمنطقة، قد ترك لنا المؤشرات الأكثر ترتيباً،... ففي الشمال في ظل الخلفاء الأوائل تظل النسطورية حيوية... وفي الجنوب، في المقابل، يمتد الإسلام بسرعة بالغة، والبرهان على ذلك هو انهيار إيرادات ضريبة الرأس: ففي عهد الخليفة عمر الأول، تصل إلى ما بين ١٠٠ مليون و١٢٠ مليوناً من الدراهم؛ بينما لا يجمع الأمويون منها غير ٤٠ مليوناً من الدراهم في عهد عبد الملك (٦٨٥ ـ ٧٠٥م). وهذه الأرقام توضح اتساع=

ولا ننفي أن تكون التشريعات الإسلامية في حق أهل الذمة من فرض الجزية وغيرها قد تدفع ببعضهم إلى اعتناق الإسلام، أو على الأقل تحملهم على التفكير بذلك. ولكننا نجزم أن «الجزية» في حد ذاتها، أو مجرد «الغلبة» و«السيطرة السياسية» غير كافية أبداً في التخلي عن المعتقد، بدليل أن هؤلاء القوم قد خضعوا لبعض مخالفيهم في المعتقد، الذين ساموهم سوء العذاب، ونكلوا بهم، فما زادهم ذلك إلا إصراراً على دينهم. كما أن ذلك الذمي يرى مواطنه المسلم يدفع لبيت مال المسلمين زكاة ماله كما يدفع هو الجزية. إضافةً إلى ذلك فقد ظل أعداد من هذه الطوائف قروناً متطاولة مصرين على دينهم الأول، يدفعون الجزية. فالباعث الحقيقي والسبب الرئيس في إقبالهم على الإسلام هو ما أشرنا إليه، ولو كره الحاسدون.

وقد تفيأ أهل الذمة ظلال العدل الإسلامي الوارفة، وعاشوا آمنين مطمئنين على أرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم، بل ومقدساتهم طوال هذه المرحلة متمتعين بضمانات كفلها لهم التشريع الإسلامي ذاته[1].

فلم يلحظ التاريخ خلال هذه الفترة حوادث شغب أو ثورات أو

= عمليات التحول إلى اعتناق الإسلام: إن ثلثي إجمالي السكان يقرران الانتماء إلى الإسلام منذ النصف الأول للقرن. وإذا ما سلمنا بأن العراق (بمفهوم جغرافي واسع) كان يضم نحو عام ٧٠٠ زهاء ٩ ملايين من السكان، فبالإمكان توزيع هؤلاء إلى ٦ ملايين من المسلمين حديثي الاعتناق للإسلام و٣ ملايين من المسيحيين). المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلام العربي والتركي (٢٤ ـ ٢٥).

وأما في مصر فيقول الباحثان: (إن أكثر من نصف الأقباط سوف يتحولون إلى اعتناق الإسلام في أقل من أربعين سنة؛ ٢٦٪ بين عامي ٦٤٤، ٦٦١ ثم ٣٣٪ في عهد معاوية وحده بين عامي ٦٦١، ٦٨٠). المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٣٢).

(١) راجع مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب.

انتفاضات، على ضد ما يجري إثر عمليات الاحتلال من الشعب المغلوب على الجيش المنتصر. بل إن التاريخ يحفظ وقائع يطول سردها تكشف عن الجانب الخلقي في التعامل، والوفاء بالعهود، وحفظ الحقوق، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

ونختار لذلك مثلين: أحدهما في قصة بناء الجامع الأموي في دمشق، الذي كان كنيسة للنصارى، فلما فتح المسلمون دمشق (أخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة «مريُحنا»[1]، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرقي بالسيف، وأخذت النصارى الأمان من أبي عبيدة، وكان على باب الجابية، الصلح، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقي، فجعله أبو عبيدة مسجداً يصلي فيه المسلمون... وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد... فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم، ويأخذ المسلمون يمنةً إلى مسجدهم، ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربوا بناقوسهم، إجلالاً للصحابة، ومهابة وخوفاً.. ثم لم يزل الأمر على ما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى من سنة أربع عشرة إلى سنة ستٍ وثمانين في ذي القعدة منها)[2].

ولما كثر المسلمون، وضاق بهم المسجد، وتأذوا من مجاورة النصارى لرفع أصواتهم بقراءة الأناجيل، فاوضهم الوليد بن عبد الملك على الخروج وصالحهم وأرضاهم.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله هَمَّ أن يرد عليهم ما أخذ منهم الوليد، حتى حقق القضية وخيرهم بين الرد وبين استرجاع كنائس خارج

---

(١) لعلها نطق عربي لـ «مار يوحنا».

(٢) البداية والنهاية: (٩/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

البلد لم تدخل في الصلح، فاختاروا استبقاء تلك الكنائس، ويطيبوا نفساً للمسلمين بتلك البقعة من الجامع)[١].

إن هذه الحادثة التي دامت فصولها قرابة تسعين سنة، لتدل على مدى التحرج الشرعي الذي يشعر به المسلمون تجاه حقوق أهل الذمة، تديناً لله، وحفظاً لعهده وذمة رسوله ﷺ، لا خوفاً من هؤلاء النصارى ولا طمعاً فيهم، ولا يحفظ تاريخ الغزاة والفاتحين تسامحاً وعدلاً وإنصافاً ووفاءً كما حفظ لأهل الإسلام، خصوصاً في هذا القرن الأول.

وأما المثال الثاني فعلى المستوى الفردي، فقد روى أبو بكر الآجري[٢] رحمه الله في أخبار أبي حفصٍ عمر بن عبد العزيز رحمه الله بسنده أنه (أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها. فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص، أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين: أسألك كتاب الله عز وجل. قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي ـ والعباس جالس ـ فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أقطعنيها يا أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سِجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله. فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، فاردد عليه يا عباس ضيعته، فرد عليه)[٣].

---

(١) انظر: تفاصيل الموضوع في البداية والنهاية (٩/ ١٤٢ ـ ١٥٢).

(٢) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري الشافعي، فقيه محدث نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، ثم انتقل إلى مكة وتوفي فيها، وله من التصانيف: «الشريعة»، و«أخلاق العلماء» و«النصيحة» وغيرها. مات سنة (٣٦٠هـ). انظر: الأعلام (٦/ ٩٧)، وفيات الأعيان (١/ ٤٨٨)، صفوة الصفوة (٢/ ٢٦٥).

(٣) أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته: الآجري، أبو بكر=

هذه هي الضمانة الوثيقة التي يجد فيها أهل الذمة مأمنهم: «كتاب الله»، حتى ولو كان خصمه ابن خليفة معه سجل من الخليفة. فكتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد. فأين يجد الباحث إنصافاً ونصرة للمظلوم من أبناء الأمم المغلوبة من ظالمه من السادة المتغلبين في تاريخ البشرية؟

تلك لمحة مختصرة عن العلاقة التاريخية على الصعيدين الداخلي والخارجي بين المسلمين وأهل الكتاب في هذه المرحلة المتميزة تنبئ عما وراءها من مواقف وأحداث لا يتسع المقام لحصرها.

المرحلة الثانية: من عام ١١٥هـ إلى عام ٤٩٠هـ.

تشغل هذه المرحلة حيزاً زمنياً يمتد من منتصف العقد الثاني من القرن الثاني الهجري حيث بلغت الفتوحات الإسلامية أقصى امتدادٍ لها، وآذنت بالانحسار التدريجي البطيء، وينتهي بالإرهاصات السابقة لأولى الحملات الصليبية على بلاد الشام في العقد الأخير من القرن الخامس الهجري، أي ما يقارب أربعمائة سنة تقريباً.

والسمة المميزة لهذه المرحلة من ناحية العلاقات الإسلامية الكتابية على جانبيها الشرقي والغربي، أي في خط المواجهة مع الإمبراطورية البيزنطية شرقاً، والفرنجة غرباً، كونها مرحلة كرٍ وفر، ومناوشات متبادلة، وحماية ثغور، وعمليات صلح وتبادلِ أسرى، دون أن تشهد إضافة أقاليم كبار لدار الإسلام كما كان الحال في المرحلة الأولى. وربما كانت الكفة راجحة للجانب الإسلامي في العقود الأولى من هذه المرحلة، لا سيما في خط التماس مع الإمبراطورية البيزنطية، ثم مالت الكفة لصالح الجانب النصراني في أواخر هذه المرحلة، لا سيما في بلاد الأندلس.

= محمد بن الحسين. تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). (٥٧ ـ ٨٥).

ويمكن أن نبين هذا الإجمال بشيءٍ من التفصيل الموجز الذي تفرضه طبيعة البحث.

• إثر معركة «بلاط الشهداء» ١١٤هـ = ٧٣٢م زحف النصارى بقيادة «شارل مارتل» تجاه جنوب فرنسا واسترد بعض المدن المفتوحة، وبعد ستٍ وثلاثين سنة من الحروب والمناوشات ودع المسلمون فرنسا بعد إقامة دامت سبعين سنة تقريباً (٧٢٠ ـ ٧٦٨م)، مخلفين ورائهم جبال البرانس حداً طبيعياً فاصلاً بين مملكة الفرنجة في فرنسا ومملكة المسلمين في الأندلس[١].

• وفي الجانب الآخر دخلت الدولة الأموية في معمعة من الفتن الداخلية، واضطراب الأمور، وفساد أمر الخلافة بعد وفاة هشام بن عبد الملك ﷲ عام ١٢٥. قال ابن كثير: (لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية، وتولى وأدبر الجهاد في سبيل الله)[٢]. وانشغل المسلمون بأنفسهم، وسقطت الخلافة الأموية، وقامت خلافة بني العباس على أشلاء المسلمين ودمائهم عام ١٣٢هـ، وظل أمر الجهاد راكداً مما أغرى الروم بالهجوم على «ملطية» عام ١٣٨هـ، فقابله المسلمون بالتوغل في بلاد الروم عام ١٣٩هـ، ومفاداة الأسرى[٣]، ثم توقفت الصوائف حتى عام ١٤٦هـ[٤].

• وحين استتبت الأمور لبني العباس في عهد المهدي[٥] (١٥٨ـ١٦٩هـ)،

---

(١) تفاصيل ذلك في: نفح الطيب ج(١)، فجر الأندلس، جذوة المقتبس.
(٢) البداية والنهاية: (٨/ ٣٥٤).
(٣) البداية والنهاية: (٩/ ٧٣).
(٤) المرجع السابق.
(٥) المهدي العباسي (١٢٧ ـ ١٦٩هـ) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله. من خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولي بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ، وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً. =

والرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ)، والمأمون[١] (١٩٨ ـ ٢١٨هـ)، والمعتصم[٢] (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) ـ باستثناء فترات طارئة من الفتن الداخلية ـ نشطت حركة الجهاد نسبياً، وتتابع الغزو وحماية الثغور، وفتح بعض المدن والحصون، وأخذ الجزية من ملوك القسطنطينية أحياناً. ومن أبرز تلك الأحداث: غزو عام ١٥٩هـ، ١٦٢هـ، ١٦٤هـ، وغزو القسطنطينية عام ١٦٥هـ وأخذ الجزية من أهلها في خلافة المهدي[٣]، ثم فتح «أنقرة» و«مطمورة» عام ١٨١هـ، وإذلال ملك الروم «نقفور» عام (١٨٧ ـ ١٩٠هـ) في خلافة الرشيد[٤]. وغزو بلاد الروم عام ٢١٥هـ، والرد على هجومهم على «طرسوس» عام ٢١٦هـ، وما تبع ذلك من مناوشات عام

= كان محمود العهد والسيرة، محبباً إلى الرعية، شديداً على المبتدعة والزنادقة. انظر: الأعلام (٦/ ٢٢١).

(١) عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي، أبو العباس، سابع خلفاء بني العباس، وأحد أعاظم الملوك، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين، فعمل على ترجمة كتب الفلسفة والمنطق، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، وحض الناس على قراءتها، وقرب العلماء والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والشعراء وامتحن الناس بالقول بخلق القرآن في آخر حياته، توفي سنة ٢١٨هـ.
الأعلام (٤/ ١٤٢)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣)، الكامل في التاريخ (٦/ ١٤٤ ـ ١٤٨)، تاريخ الطبري (١٠/ ٢٩٣)، فوات الوفيات (١/ ٢٣٩).

(٢) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، خليفة من أعاظم خلفاء بني العباس، بويع سنة ٢١٨هـ بعد وفاة أخيه المأمون، وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية في خبر مشهور، اتسع ملكه جداً، وقرب إليه الأتراك، وكثروا في جنده فبنى لهم سامرا لما ضاقت بهم بغداد، توفي سنة ٢٢٧هـ. الأعلام (٧/ ١٢٧)، الكامل (٦/ ١٤٨ ـ ١٧٩)، مروج الذهب (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٠/ ١٢٩، ١٣٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٦٥).

(٤) انظر: البداية والنهاية: (١٠، ١٧٧، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٣).

٢١٧ ـ في خلافة «المأمون»[١]، ثم الرد على هجوم الروم على «ملطية»، وفتح عمورية عام ٢٢٣هـ في خلافة المعتصم[٢].

وبالجملة فقد كان جانب الدولة الإسلامية مرهوباً في الصدر الأول من خلافة بني العباس.

ولما آل الأمر إلى المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ)، وازداد نفوذ الأمراء الأتراك، ضعف أمر الجهاد، واستطال الروم على المسلمين، بل وقعت سابقة خطيرة، فقد هجمت الفرنجة على مدينة «دمياط» المصرية، وقتلوا وحرقوا وسبوا، ورجعوا في مراكبهم لم يعرض لهم أحد، وذلك عام ٢٣٨هـ[٣]. كما أغار الروم على بلاد الجزيرة عام ٢٤٢هـ[٤] وقصد ملك الروم بلاد الشام في عام ٢٤٨هـ في خلافة «المنتصر[٥]» (٢٤٧ـ ٢٤٨)[٦]. وهزم المسلمون في «ملطية» عام ٢٤٩هـ في خلافة «المستعين[٧]» (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ)[٨]. وكل ذلك لضعف جانب الخلافة،

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١٠/ ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٠/ ٢٨٥)

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٠/ ٣١٧).

(٤) انظر: البداية والنهاية: (١٠/ ٣٤٣).

(٥) المنتصر العباسي (٢٢٣ ـ ٢٤٨هـ) محمد «المنتصر بالله» بن جعفر «المتوكل على الله» بن المعتصم أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة بعد أن قتل أباه، سنة ٢٤٧هـ. وهو أول من عدا على أبيه من بني العباس. ولم تطل مدته، مدة خلافته ستة أشهر وأيام. قيل مات مسموماً. انظر: الأعلام (٦/ ٧٠)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٩٤ ـ ٣٥٤).

(٦) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣٥٣).

(٧) المستعين بالله العباسي (٢١٩ ـ ٢٥٢هـ) أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس. أمير المؤمنين، من خلفاء الدولة العباسية. بويع له بعد وفاة المنتصر سنة ٢٤٨هـ. وجرت في مدته فتن داخلية. انظر: الأعلام(١/ ٢٠٤)، البداية والنهاية (١١/ ٢ ـ ١١).

(٨) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٣).

وتفويض الأمر إلى أمراء الأجناد الأتراك، واشتغال الخلفاء بالملاهي والقيان والخمور، وعدم النهوض بأعباء الجهاد وحماية الثغور، وقد أدت أحداث عام ٢٤٩هـ في ملطية إلى هياج العامة، وتبني أهل اليسار من البغاددة تمويل المتطوعين للجهاد في الثغور[١].

واستمر الحال في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أثناء خلافة «المعتمد»[٢] (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) في مناوشات مستمرة، كانت المبادرة غالباً بأيدي الروم، بينما يستميت أهل الثغور من المسلمين في الدفاع، كما جرى في ملطية عام ٢٥٩هـ[٣]، وصقلية عام ٢٦٦هـ[٤]، وطرسوس عام ٢٧٠هـ[٥]، والرقة عام ٢٨٩هـ[٦].

● وما أن حل القرن الرابع الهجري حتى كانت دويلات الرافضة تجثم على معظم الأقاليم الإسلامية، وتنشر الرعب والخراب والكفر والبدعة فيها. فالقرامطة (٢٧٨ ـ ٤٦٦) في الأحساء والبحرين يقطعون الطريق على الحجيج، ويقتلونهم في المسجد الحرام[٧]، ويغيرون على البصرة وجنوب العراق، والصليحيون في اليمن (٤٢٩ ـ ٥٦٩هـ)،

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٣).

(٢) المعتمد على الله (٢٢٩ ـ ٢٧٩هـ) أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، أبو العباس، المعتمد على الله. خليفة عباسي. ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ بعد مقتل المهتدي. وطالت أيام ملكه، وكانت مضطربة، بسبب نفوذ الموالي، حتىٰ قام ولي عهده أخوه الموفق بالله طلحة فضبط الأمور. كان سمحاً جيد الفهم شاعراً. مات ببغداد. انظر: الأعلام (١/ ١٠٧).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٣١).

(٤) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٣٩).

(٥) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٤٥).

(٦) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٨٤).

(٧) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٨١، ١٢٢، ٢٧٢، ١٦٠).

والعبيديون (٢٩٧ ـ ٥٦٧هـ) في المغرب ومصر، ثم فلسطين والشام، والحمدانيون في الموصل وحلب وأعمالها (٣١٧ ـ ٣٩٤هـ). وبقيت الخلافة العباسية في العراق رسماً بالياً، والخليفة جسداً ملقى، يسيره الأمراء الأعاجم من البويهيين الرافضة (٣٢٠ ـ ٤٤٠هـ) أو حريم القصر.

وبالجملة فقد عم الرفض الأرض[(١)]. فلا غرو أن يشهد القرن الرابع أحداثاً جساماً، وجرأة بالغة من أهل الصليب، منتهزين ضعف أهل السنة وغلبة أهل التشيع والرفض.

ومن أبرز أحداث ذلك القرن العصيب:

* هجوم «الدمستق» ملك الروم على «ملطية»، ومطالبته أهل السواحل الإسلامية بالخراج عام ٣١٤هـ[(٢)].

* هجومه على «رأس العين» وإعماله القتل والسبي في أهلها عام ٣٣٢هـ[(٣)].

* هزيمة الروم لسيف الدولة الحمداني[(٤)]، وإيقاعهم بأهل

---

(١) قال ابن كثير: (.. وقد امتلأت البلاد رفضاً، وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين. وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضاً، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب فكثر السب والتكفير منهم للصحابة). البداية والنهاية: (١١/ ٢٣٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ١٥٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٠٨).

(٤) سيف الدولة الحمداني (٣٠٣ ـ ٣٥٦هـ) علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن، سيف الدولة، الأمير، يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم، ونجوم الدهر. ولد في «ميافارقين» بديار بكر، ونشأ شجاعاً مهذباً، عالي الهمة، وملك واسطاً وما جاورها. ومال إلى الشام فامتلك دمشق، وعاد إلى حلب فملكها=

طرسوس عام ٣٣٧هـ[1].

* احتلال الروم «سروج» وقتل أهلها، وإحراق مساجدها عام ٣٤١هـ[2].

* دخول الروم «آمد» و«ميافارقين»، وأخذ مدينة «سمساط» عام ٣٤٧هـ[3].

* بل دخولهم «حلب» وإعمال السيف في أهلها الذين استبسلوا في الدفاع عنها، وتخريبها، وأخذ الأسارى والسبايا عام ٣٥١هـ[4].

* إغارة الروم على «الرها» عام ٣٥٢هـ[5]، ومناوشة المسلمين في جزيرتي إقريطش «كريت» عام ٣٥١هـ[6]، و«صقلية» عام ٣٥٣هـ[7].

* ثم هجومهم على «المصيصة» و«طرسوس» عام ٣٥٤هـ[8].

* تحريق «حمص» وسبي أهلها عام ٣٥٨هـ[9]، ثم دخول «أنطاكية وقتل الشيوخ والعجائز وسبي الأطفال والنساء عام ٣٥٩هـ، ثم «طرابلس».

قال ابن كثير: (ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلداً،

= سنة ٣٣٣هـ، وتوفي فيها، ودفن في ميافارقين. أخباره ووقائعه مع الروم كثيرة. انظر: الأعلام (٤/ ٣٠٣)، البداية والنهاية (١١/ ٢٦٣).

(١) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٢٠).
(٢) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٢٥).
(٣) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٣٣).
(٤) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٣٩).
(٥) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٤٣).
(٦) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٣٩).
(٧) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٥٣).
(٨) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٥٥).
(٩) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٦٦).

سوى القرى، وتنصر خلقٌ كثير على أيديهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وجاءوا إلى «حمص» فأحرقوا ونهبوا وسلبوا، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما أراد من البلاد، ويأسر من قدر عليه. وصارت له مهابة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلده ومعه السبي نحو من مائة ألف ما بين صبي وصبية)[١].

كل هذه المآسي والنكسات، وقد طبق الرفض جميع ممالك الإسلام تقريباً، وكان أخطرها استيلاء بني بويه على مقاليد الأمور في دار الخلافة في بغداد عام ٣٣٤هـ.

قال ابن كثير: (وكل هذا في ذمة ملوك الأرض، أهل الرفض الذين قد استحوذوا على البلاد، وأظهروا فيها الفساد. قبحهم الله)[٢]. وقال في ترجمة النقفور ملك الأرمن، الملقب بالدمستق، الهالك سنة ٣٥٦هـ ما نصه:

(كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً، وأشدهم كفراً، وأقواهم بأساً، وأحدهم شوكة، وأكثرهم قتلاً وقتالاً للمسلمين في زمانه، استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسراً، واستمرت في يده قهراً، وأضيفت إلى مملكة الروم قدراً. وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع منهم، وقهر أهل السنة بينهم، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد، ونكد العيش، والفرار من بلاد إلى بلاد، فلا يبيتون ليلةً إلا

(١) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٦٧).

في خوف من قوارع الأعداء، وطوارق الشرور المترادفة، فالله المستعان)[١].

وفي هذا التقرير البليغ من هذا المؤرخ الموسوعي، والعالم الرباني، دروس من دروس الزمان، ودلائل الإيمان، يتعين على أهل الإسلام أن يعوها، ويقدروها حق قدرها، ويعرفوا عدوهم الداخلي والخارجي، فهل من مستعتب؟

لم يكن لملوك الرفض هَمٌّ بإقامة الجهاد، ورد عبَّاد الصليب، بل كانت عهودهم عهود شر وفتن، واضطراب وفساد، وإرهاق للمسلمين بالحروب الداخلية.

ثم بدت أعلام السنة تلوح من قبل المشرق بظهور الدولة الغزنوية عام ٣٦٦هـ، وعلو نجم ملكها المظفر فاتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ، بعد ملكٍ دام ثلاثاً وثلاثين سنة نصر فيه السنة، وقمع البدعة، ونشر الإسلام[٣].

• ثم جاء من بعده ملوك السلاجقة السنيون عام ٤٢٩هـ، وتم على أيديهم القضاء على بني بويه الذين جثموا على دار الخلافة

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١١/ ٢٤٣).

(٢) محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٦١ ـ ٤٢١هـ) السلطان، يمين الدولة، أبو القاسم، فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور. وكانت عاصمته «غزنة» بين خراسان والهند، وفيها ولادته ووفاته. أرسل إليه القادر بالله العباسي خلعة السلطنة عام ٣٨٩هـ، غزا خراسان وقضى على الدولة السامانية. وصمد لقتال ملك الترك وراء النهر. كان حازماً صائب الرأي، يجالس العلماء ويناظرهم، وكان من أعيان الفقهاء، فصيحاً بليغاً. أصيب بمرض مدة سنتين حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: الأعلام (٧/ ١٧١)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٩ ـ ٣١).

(٣) انظر: ترجمته في البداية والنهاية: (١٢/ ٢٩ ـ ٣١).

العباسية في بغداد أكثر من مائة عام، (٣٣٤هـ ـ ٤٤٧هـ). وفي ظل هذه الدولة السنية الفتية انتعش أمر الجهاد فجدد السلاجقة ما اندرس من غزو الروم عام ٤٤٠هـ حتى (لم يبقَ بينهم وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً)[١].

* ثم في عام ٤٤٦هـ[٢]، وفي النصف الثاني من القرن الخامس وقعت ثلاثة أحداث كبار في تاريخ العلاقات الإسلامية النصرانية:

أولها: معركة «ملاذ كرت» أو «مانزكرت» عام ٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠م، بين جحافل الإمبراطورية البيزنطية بقيادة ملك الروم «أرمانوس» والسلاجقة السنيين بقيادة السلطان ألب أرسلان في معركة من معارك التاريخ الفاصلة. كان الظفر فيها حليف المسلمين[٣].

الثاني: سقوط مدينة «طليطلة» بيد «ألفونسو»، ملك قشتالة النصراني عام ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م بعد حكم دام ٣٧٢ سنة[٤].

الثالث: استيلاء الفرنج النورمانديين على جزيرة «صقلية» عام ٤٨٤هـ ـ ١٠٩٠م[٥].

إن لهذه الأحداث الكبار دلالات كباراً أيضاً:

١ ـ لقد كانت معركة «ملاذ كرت» إيذاناً بانهيار الخطر البيزنطي، وفشل محاولات النصارى من قبل المشرق، ومن ثم التفكير الجاد بالبحث عن سبل أخرى.

(ولم تقم للروم مذ ذاك قائمة، وبعدها لم ينفك أباطرة بيزنطة

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٥٨).
(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٦٥).
(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ١٠١)، والكامل في التاريخ (٨/ ٢٢٣).
(٤) انظر: الكامل في التاريخ(٨/ ٢٩٨).
(٥) انظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٣٤٥).

يوفدون البعثات إلى الغرب، يروجون الدعوة للحروب المقدسة)[١].

٢ ـ كان سقوط «طليطلة» ـ عاصمة القوط قديماً ـ بيد النصارى إيذاناً بأفول شمس المسلمين في الأندلس. فقد كانت هذه المدينة واسطة عقد المدن الأندلسية، وسرة الجزيرة، وقد عبر بعض الشعراء عن هذا المعنى بقوله:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدوٍ لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط[٢]

٣ ـ كان سقوط جزيرة «صقلية» بأيدي الفرنج إيذاناً بانتهاء سيادة المسلمين البحرية على بحر الروم ـ البحر الأبيض المتوسط ـ بوصفها درة ذلك البحر، وكبرى جزره، والمسيطرة على طرق التجارة والأساطيل فيه، واطمأن النصارى على سلامة عاصمتهم الكبرى «روما» التي هددها الفاتحون المسلمون وحاصروها عام ٢٣١هـ = ٨٥٠م في عهد البابا «سرجيوس الثاني»[٣].

أما على الصعيد المدني، أي حال أهل الذمة في دار الإسلام، فقد كان من حيث الجملة استمراراً لحالهم في المرحلة الأولى من ناحية الحقوق والواجبات. ومن الطبيعي أن يصاحب ضعف التمسك بالدين، أو تولي المبتدعة والباطنية مقاليد الحكم في بعض الولايات

---

(١) الحروب الصليبية والمجابهة. شمس الدين الكيلاني. «مجلة الاجتهاد» (ملف العلاقات الإسلامية المسيحية) الأعداد (٢٨ ـ ٣٢) رئيس التحرير: الفضل شلق، رضوان السيد. دار الاجتهاد ـ بيروت (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م) (٢٨/ ٥٣).

(٢) عن كتاب الزلاقة: شوقي أبو خليل. دار الفكر. دمشق. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م). (١٩).

(٣) انظر: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام (١٠١). عن فتح صقلية: شوقي أبو خليل دار الفكر ـ دمشق. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م). (٨٧).

نوع ظلم واعتداء على حقوق أهل الذمة، وربما كان مبعثها أحياناً تصرفات استفزازية تصدر من أهل الذمة تهيج العامة أو بعض المتسلطين فيوقعون بهم. ومع ذلك تظل هذه الحوادث والوقائع محدودة تحفظ ولا يقاس عليها، بل إننا نجد شواهد من التسامح، وإن شئت قل من التساهل والتفريط في إسناد بعض الأمور الهامة لأهل الذمة، وتقريبهم من الخلفاء.

ونقتطف نبذاً من الأمثلة مما جمعه الشيخ محمد عبده[١] في رده على صاحب مجلة «الجامعة»: (.. ممن اشتهر من الحكماء بالحظوة عند الخلفاء: جيورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور.. وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي تيوفيل بن توما النصراني المنجم، وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان، وله كتب في التاريخ جليلة، ونقل كتاب «أميردس» إلى السريانية بأفصح عبارة. وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطبيب، وجبريل ولده، ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني، ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة، طبية وغيرها، وخدم الرشيد ومَن بعده، إلى المتوكل... وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق مولى المأمون، أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علمٍ من علوم الطب والفلسفة[٢] وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور، وسابور ابنه، وكانا نصرانيين، وولي سابور بن سهل بيمارستان جنديسابور.

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم... وفي أيام

---

(١) تأتي ترجمته والكلام عنه في الباب الأول.

(٢) ليته ما فعل. فإن ترجمة كتب الفلاسفة من اليونان وغيرهم قد فتحت على المسلمين باب علم الكلام المذموم، فانصرف المفتونون به عن الطريقة القرآنية النبوية في تقرير العقائد، وأرادوا الوصول إلى ذلك بالقوانين الأرسطية التي تبلبل العقل وتورث الشك.

المتوكل اشتهر حنين بن إسحاق النصراني العبادي، وهو من أشهر المترجمين لكتب أرسطو[١] وغيره... وممن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة، والعامة في زمنه أيام خلافة الراضي[٢] متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري، كان متفنناً في جميع العلوم العقلية... ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة دولة الإسلام، وهو نصراني، طلبه الخلفاء إلى بغداد لأجل الترجمة، ثم يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي، انتهت إليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته... ومنهم أبو الفرج بن الطيب، فيلسوف عالم)[٣].

ويمكن القول أن هذا اللون من المعاملة والتمكين يمثل أحد طرفي قصد الأمور، فلم يكن المسلمون في القرن الأول يمكنون أهل الذمة من المهام الكبار، أو يتخذونهم بطانة، وإنما ظهر ذلك في هذه المرحلة كما أن الطرف الآخر، بمعنى الإساءة والتجاوز ظهر أيضاً في هذه المرحلة بصفة محدودة، ولأسبابٍ محلية، ومن شواهد ذلك:

---

(١) أرسطو طاليس بن نيقوماخوس، من أهل أسطاخرا، ويعد من متأخري فلاسفة اليونان، وهو المقدم المشهور والمعلم الأول عندهم، ولد سنة ٣٨٤ق.م وسمي المعلم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل، وكان قد تتلمذ على أفلاطون نيفاً وعشرين سنة. وكان أرسطو يلقي دروسه على تلاميذه وهم يمشون فلذا لقب أتباعه بـ «المشائين». الملل والنحل: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة ـ بيروت. الطبعة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م). (١١٩/٢).

(٢) الراضي بالله (٢٩٧ ـ ٣٢٩هـ) محمد ابن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد، أبو العباس، الراضي بالله. ورث عن سلفيه، القاهر والمقتدر، خلافة ضعيفة، فحاول إصلاح الأمر حين ولي سنة ٣٢٢، فعجز. واستقل الولاة بما يلون من الأقاليم، وأكثرهم رافضة. ولم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها. انظر: الأعلام (١٧/٦).

(٣) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (١٦ ـ ١٩).

□ مشاركة نصارى حمص في التمرد على واليها في عهد المتوكل العباسي عام ٢٤١هـ، فكان من آثار ذلك أن أمر الخليفة (أن يخرج كل نصراني بها، ويهدم كنيستها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع، وأن يضيفها إليه)(١).

وربما حصل مزيدٌ من التشديد في مسألة تمييز أهل الذمة عن المسلمين فوق ما كان معمولاً به في القرن الأول، ففي سنة ٢٣٥هـ (أمر المتوكل أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم، وثيابهم، وأن يتطيلسوا بالمصبوغ بالقلى، وأن يكون على عمائمهم رقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم، وأن يلزموا بالزنانير الخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة، وأن لا يركبوا خيلاً، ولتكن ركبهم من خشب، إلى غير ذلك من الأمور المذلة لهم، المهينة لنفوسهم، وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم، وأمر بتخريب كنائسهم المحدثة، وبتضييق منازلهم المتسعة، فيؤخذ منها العشر، وأن يعمل مما كان متسعاً من منازلهم مسجد، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق، وإلى كل بلدٍ ورستاق)(٢).

وأياً كانت طبيعة معاملة أهل الذمة وتفاوتها في المجتمع الإسلامي، نظراً لاختلاف السياسة الشرعية في ظرفٍ معين، فإنها لا تنحدر إلى حد الإكراه في الدين، والتهديد بالقتل كما يقع من النصارى أنفسهم لرعاياهم وأسراهم من المسلمين في تلك العهود.

قال ابن كثير رحمه الله: (.. وقد كانت أم الملك «تدورة» ـ لعنها الله ـ

(١) البداية والنهاية: (١٠/ ٣٢٣).
(٢) البداية والنهاية: (١٠/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

عرضت النصرانية على من كان في يدها من الأسارى، وكانوا نحواً من عشرين ألفاً، فمن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته، فقتلت اثني عشر ألفاً، وتنصر بعضهم...)(١).

□ وربما تعرض أهل الذمة للمضايقة والأذى بسبب فساد الدولة وانحراف الحاكم، كما جرى أثناء تسلط الحاكم بأمره العبيدي من تخريب كنيسة بيت المقدس، وإباحتها للعامة، وهدم كنائس أخرى في مصر عام ٣٩٨هـ. ثم نودي في النصارى: (من أحب الدخول في دين الإسلام دخل، ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمناً، ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التي زادها الحاكم على العهدة العمرية، من تعليق الصلبان على صدورهم، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرطال، وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرطال. وفي الحمام يكون في عنق الواحد منهم قربة زنة خمسة أرطال، بأجراس، وأن لا يركبوا خيلاً، ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التي هدمها، وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه. وقال: (ننزه مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، ولا يعرف باطنه، قبحه الله)(٢).

□ وربما وقع شيء من الفتن بين المسلمين وأهل الذمة بسبب استفزاز هؤلاء الأخيرين للمسلمين كما جرى في بغداد سنة ٤٠٣هـ حين (توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى، فخرجت النوائح والصلبان معها جهاراً، فأنكر ذلك بعض الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصراني بدبوس في رأسه فشجه، فثار المسلمون بهم فانهزموا حتى لجأوا إلى كنيسة لهم هناك، فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها، وما

---

(١) البداية والنهاية: (١٠/٣٢٤).
(٢) البداية والنهاية: (١١/٣٣٩).

قرب منها من دور النصارى، وتتبعوا النصارى في البلد...)[١].

ونخلص إلى القول أن هذه المرحلة لم تشهد عمليات فتح كبرى، على الجانب النصراني على الأقل، أخذاً بالاعتبار بعض الفتوحات الإسلامية في المشرق، بل اتخذ الجهاد صفة حماية الثغور، وأخذ الجزية في بادئ الأمر، ثم جرت عملية انحسار تدريجي بطيء استغرق قروناً، في أطراف الدولة الإسلامية بسبب ضعف الخلافة، وهيمنة الجنس الأعجمي من الأتراك على خلفاء بني العباس، وإنهاك الدولة بالحروب والفتن الداخلية التي أثارتها الدول الرافضية في أواخر القرن الثالث، والقرن الرابع.

وأما على الصعيد الداخلي، فرغم حوادث متفرقة تعرض لها أهل الذمة فقد سارت عملية فهم الإسلام واعتناقه من قبل السكان المحليين سيراً حثيثاً[٢]، بسبب كثرة العلماء والصالحين والوعاظ، وظهور آثار الإسلام الاجتماعية والنفسية على معتنقيه.

لقد سلك التاريخ العلمي والدعوي لأهل الإسلام مسلكاً مغايراً للتاريخ السياسي للحكومات الإسلامية المتعاقبة، وافترقا منذ انتهاء المرحلة الأولى بعد القرن الأول تقريباً.

ويتضح هذا الافتراق، بالمقارنة بين هذين التاريخين، وتراجم أعلام كل منهما، حتى كأنهما، لا يشتركان في رقعة مكانية وزمانية واحدة.

---

(١) البداية والنهاية: (١١/٣٤٨).

(٢) انظر الجداول الإحصائية والرسوم البيانية لنسب السكان من مختلف الطوائف. المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٤٤ - ٤٧).

المرحلة الثالثة من عام (٤٩٠ ـ ٦٩٠هـ):

تمثل هذه المرحلة فترة الحملات الصليبية المنطلقة من غرب ووسط أوربا النصرانية إلى بلاد المشرق الإسلامي (سواحل الشام ومصر وآسيا الصغرى) في سبع حملاتٍ متعاقبة استغرقت قرابة قرنين من الزمان (٤٩٠ ـ ٦٩٠هـ). بالإضافة إلى استمرار الزحف النصراني جنوباً على بقية الأندلس المسلمة، وبقية جزر البحر الأبيض المتوسط.

والسمة المميزة لهذه المرحلة هي انتقال المجابهة النصرانية من الإمبراطورية البيزنطية الأرثذوكسية إلى دول وسط وغرب أوربا الكاثوليكية بقيادة بابوات روما، وبالتالي انتقال أرض المعركة من الحدود والثغور المتاخمة للإمبراطورية البيزنطية في آسيا الوسطى إلى العمق الإسلامي في السواحل الشامية وبيت المقدس، بسبب عمليات الإنزال البحري التي تقذف بها هذه الحملات، أو الجموع الهوجاء التي تنطلق من الممالك الأوربية لتلتقي عند أسوار القسطنطينية، وتُفوَّج من هناك.

ويمكن أن يؤرخ لبدء الحملات الصليبية بالاجتماع الحاشد الذي دعا إليه البابا «أربان الثاني» في مدينة «كليرمون» في جنوب فرنسا، في نوفمبر من عام ١٠٩٦م، وحضره كبار الأساقفة والأمراء والإقطاعيين. وقد ألهب البابا حماس المجتمعين بخطبة بليغة مؤثرة، أثار فيها العصبية الدينية، بل والأطماع الدنيوية، تمحورت حول أربع ركائز:

الأولى: الدعوة إلى حملة مقدسة هدفها فلسطين، استناداً على نصوص من الإنجيل.

الثانية: أنه يدعو إلى هذه الحملة باسم الرب بوصفه نائباً عنه في الأرض.

الثالثة: الحث على نبذ الخلافات بين المؤمنين بالمسيح وتوحيد الجهود.

الرابعة: منح غفران جزئي لكل من يشارك في هذه الحملة، سواءً مات في الطريق أو قتل[١].

واستجاب الحاضرون لنداءات البابا التحريضية، وصاحوا جميعاً في ذلك الحقل الفسيح صيحة مدوية صارت شعاراً في حروبهم المقبلة مع المسلمين قائلين: (الرب يريدها) أو (تلك إرادة الله). ثم شرع الباب أوربان الثاني يجوب أنحاء فرنسا للدعوة إلى حربه المقدسة. كما برز قادة كنسيون شعبيون من أمثال «بطرس الناسك» هجروا أديرتهم وتفرغوا لتهييج الفلاحين والفقراء لإنقاذ مهد المسيح ـ بزعمهم ـ، ودغدغة مشاعرهم بامتلاك الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً[٢].

وعلى مدى قرنين من الزمان تمخضت أوربا الصليبية عن سبع حملات شهيرة موجهة نحو بلاد المشرق الإسلامي، نوجزها بما يلي:

أولاً: الحملة الصليبية الأولى:

تكونت من خمسة جيوش جرارة، قدمت من فرنسا وألمانيا وإيطاليا والتقت في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية «القسطنطينية» في أواخر عام ١٠٩٦م، ثم عبرت مضيق البسفور متجهة نحو دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فسقطت عاصمتهم «نيقية» عام ١٠٩٧م. وفي الطريق إلى «أنطاكية» جنح قسم من الصليبيين نحو الرها، وكونوا أول إمارة صليبية في قلب العالم الإسلامي. وفي أواخر عام ١٠٩٧م فرض الصليبيون حصاراً على أنطاكية التي صمدت صموداً باهراً أمام الحصار، لولا خيانة بعض الأرمن المستأمنين على أحد أبراجها، فسقطت في منتصف عام ١٠٩٨م ـ ٤٩١هـ. وقد حاول بعض الأمراء

(١) باختصار من: ماهية الحروب الصليبية. د.قاسم عبده قاسم. (١٠٣ ـ ١٠٦).
(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية: د. قاسم عبده قاسم. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. طبعة ١٩٩٣م. (١٠٨ ـ ١١١).

المسلمين إيقاف الزحف الصليبي بعد سقوط أنطاكية ولكنه مُني بالهزيمة، وهكذا تكونت الإمارة الصليبية الثانية عام ١٠٩٩م في أنطاكية. ثم واصل الصليبيون مسيرهم جنوباً فاستولوا على «معرة النعمان». وكان الهدف الأخير، والحلم المنشود لهذه الجموع الهادرة مدينة «القدس» التي كانت حديثة عهد بصراع بين السلاجقة والعبيديين، فاستفاد العبيديون من انشغال السلاجقة بحروبهم مع الصليبيين فاستولوا على القدس عام (٤٩٣هـ = ١٠٩٩م). ولكن متعتهم لم تطل فقد حاصرها الصليبيون على مدى خمسة أسابيع في ذلك العام. قال ابن كثير رحمه الله: (لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج لعنهم الله بيت المقدس، شرفه الله، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وتبروا ما علوا تتبيراً)[1].

وهكذا تكونت مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٠٠م[2].

لقد كانت هذه الأحداث صدمة هائلة لجمهور المسلمين الذين لم يملكوا إلا البكاء وإزجاء القصائد العاطفية، فقد كان ضعف التمسك بالدين، وفشوا المعاصي والبدع، يقف خلف التشرذم السياسي والتنافس بين أمراء المدن الكبار: دمشق، وحلب، والموصل، وضعف الخلافة العباسية في بغداد يكبل هذه المشاعر، ويحول دون تحولها لتكوين جبهة موحدة أمام هذا العدو الغاشم، والعنصر الغريب الذي زرع قسراً في الأرض الإسلامية. أما «العبيديون» في مصر فكانوا أبعد ما يكون من تقديم المساعدة لأهل الإسلام في بلاد الشام. بل كانوا يرسلون السفارات إلى ملوك الصليبيين للتفاوض على اقتسام الأرض.

---

(١) البداية والنهاية: (١٢/١٥٦).

(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية (١٢٠ ـ ١٣٠).

ومع كون الصليبيين قد وسعوا نفوذهم على السواحل الشامية[١]، حتى دان لهم شرق البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى جيب «الرها» وريف القدس، إلا إنهم لم يهنأوا بهذا الملك المغتصب، فقد كانوا يتعرضون لبعض الهزائم المنكرة على أيدي المسلمين. فمن ذلك:

* ما ذكره ابن كثير في حوادث سنة أربع وتسعين وأربعمائة: (.. وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل، فالتقى معه ستكين بن أنشمند طايلو، أتابك دمشق الذي يقال له أمين الدولة.. فهزم الإفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى - يعني الثلاثة آلاف - وذلك في ذي القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فملكها وأسر ملكها ولله الحمد)[٢].

* وفي حوادث سنة سبع وتسعين وأربعمائة: (.. قصد الفرنج لعنهم الله الشام، فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفاً، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً. وقد أسر في هذه الوقعة «بردويل» صاحب الرها)[٣].

* وفي حوادث سنة سبع وخمسمائة (١١١٣م): (.. كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض «طبرية»، كان فيها ملك دمشق الأتابك «طغتكين» ومعه صاحب سنجار، وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، فهزموا الفرنج هزيمة واضحة، وغنموا منهم أموالاً جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها. ولله الحمد والمنة)[٤].

---

(١) في عام ٤٩٤هـ سقطت قيسارية وسروج وعكا. ٥٠٣هـ طرابلس، ٥٠٤ صيدا، ٥٠٥ صور.

(٢) البداية والنهاية: (١٢/ ١٥٨)

(٣) البداية والنهاية: (١٢/ ١٦٣). و«بردويل» هو: «بلدوين» كونت الرها.

(٤) البداية والنهاية: (١٢/ ١٧٥ - ١٧٦).

* وفي حوادث سنة ثلاث عشرة وخمسمائة: (.. سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها، وقتلوا من أهلها خلقاً، فسار إليهم صاحب ماردين إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة، ولله الحمد. ولم يفلت منهم إلا اليسير، وأسر من مقدميهم نيفاً وتسعين رجلاً، وقتل فيمن قتل «سيرجال» صاحب أنطاكية وحمل رأسه إلى بغداد)[(١)].

* وفي حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة: (حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرها، فأسر ملكها جوسكين الإفرنجي وجماعة من رؤوس أصحابه، وسجنهم بقلعة خرتبرت)[(٢)].

* وفي حوادث سنة عشرين وخمسمائة: (اقتتل طغتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج فقتل منهم خلقاً كثيراً، وغنم منهم أموالاً جزيلة ولله الحمد والمنة)[(٣)].

* وفي حوادث سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة: (حاصرت الفرنج مدينة «دمشق»، فخرج إليهم أهلها فقاتلوهم قتالاً شديداً... حتى نصرهم الله من عنده، فإن المسلمين هزموهم، وقتلوا منهم عشرة آلاف، ولم يفلت منهم سوى أربعين نفساً، ولله الحمد والمنة. وقتل «بوهيموند» الفرنجي صاحب أنطاكية)[(٤)].

* وفي حوادث سنة أربع وعشرين وخمسمائة: (.. ملك عماد الدين زنكي[(٥)] بلاداً كثيرة من الجزيرة، وهما «كذا» مع الفرنج، وجرت

---

(١) البداية والنهاية: (١٢/ ١٨٤).
(٢) البداية والنهاية: (١٢/ ١٨٨).
(٣) البداية والنهاية: (١٢/ ١٩٦).
(٤) البداية والنهاية: (١٢/ ٢٠٠).
(٥) عماد الدين زنكي بن آقسنقر. مؤدب الأميرين ألب أرسلان وفروخ شاه=

معهم حروبٌ طويلة، نصر عليهم في تلك المواقف كلها ولله الحمد. وقتل خلقاً من جيش الروم حين قدموا الشام)[١].

* وفي حوادث سنة سبع وعشرين وخمسمائة: (.. اقتتلت الفرنج فيما بينهم قتالاً شديداً فمحق الله بسبب ذلك خلقاً كثيراً. وغزاهم فيها عماد الدين زنكي فقتل منهم ألف قتيل، وغنم أموالاً جزيلة، ويقال لها غزوة «أسوار»)[٢].

* وفي حوادث سنة ثمان وعشرين وخمسمائة: (فتح زنكي قلاعاً كثيرة، وقتل خلقاً من الفرنج، وفيها فتح شمس الملوك الشقيف وتيروت، ونهب بلاد الفرنج)[٣].

* وفي حوادث سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (١١٤٤م): (أخذ عماد الدين زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وسبى نساء كثيرة، وغنم أموالاً جزيلة، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً)[٤].

يقول الدكتور قاسم عبده قاسم: (كانت تلك هي أول إمارة صليبية تقوم على أرض الشرق العربي الإسلامي، وكان سقوطها صدمة نفسية مؤلمة وعنيفة على الصليبيين، ترددت أصداؤها في كل مكان. إذ أن المدينة كانت ترتبط بتراث المسيحية الباكر. كما أن سقوطها بعد

= السلجوقيين. تولى واسط سنة (٥١٦هـ)، وانتزع الرها من أيدي الصليبيين، واغتيل سنة (٥٤١هـ) في حروبه ضد الصليبيين. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٩٠، ٢١٩، ٢٢١).

(١) البداية والنهاية: (١٢/ ٢٠٠).

(٢) البداية والنهاية: (١٢/ ٢٠٤).

(٣) البداية والنهاية: (١٢/ ٢١٩).

(٤) البداية والنهاية: (١٢/ ٢١٩).

أقل من خمسين عاماً من استيلاء بلدوين البويوني عليها كان نذير شؤم بالنسبة للصليبيين)[١].

وهكذا مال ميزان القوىٰ لصالح المسلمين الذين لم يزالوا يعانون من التفكك والفتن الداخلية، وإن كانت بوادر العافية قد بدأت تظهر بعلو نجم آل زنكي في أرض الموصل.

ثانياً: الحملة الصليبية الثانية: (١١٤٥ ـ ١١٤٩م).

جاءت هذه الحملة رد فعل بطيء لسقوط إمارة الرها، في عهد البابا «إيجينيوس الثالث» (١١٣٥ ـ ١١٤٥م)، وتكونت من جيوش ألمانيا بقيادة الإمبراطور «كونراد الثالث»، وفرنسا بقيادة ملكها «لويس التاسع». ووصلت إلى المنطقة نهاية عام ١١٤٧م، وقد منيت بالفشل الذريع، وعاد الملكان الصليبيان يجران أذيال الخيبة[٢].

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: (حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل، دمشقَ، وعليها مجير الدين أرتق، وأتابك معين الدين، وهو مدبر المملكة، وذلك يوم السبت سادس ربيع الأول، فخرج إليهم أهلها في مائة ألفٍ وثلاثين ألفاً، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً، قتل من المسلمين في أول يومٍ نحو من مائتي رجل، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون، واستمر الحرب مدة، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل، والنساء والأطفال مكشفي الرؤوس يدعون ويتباكون، والرماد مفروش في البلد، فاستغاث أرتق بنور الدين محمود[٣] صاحب حلب، وبأخيه

(١) ماهية الحروب الصليبية (١٣٨).
(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية (١٣٩ ـ ١٤٠).
(٣) نور الدين محمود بن زنكي (عماد الدين)، أبو القاسم، الملقب بالملك=

سيف الدين غازي صاحب الموصل، فقصداه سريعاً في نحو من سبعين ألفاً بمن انضاف إليهم من الملوك وغيرهم، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد، فلحقهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً)[١].

وكان من آثار هذه الحملة على الجانب الإسلامي مزيد من التوحد بين الممالك الإسلامية، فقد صارت بلاد الشام جبهة واحدة تحت قيادة نور الدين محمود، في مواجهة الإمارات الصليبية على امتداد الساحل. وبقيت الجبهة الجنوبية، مصر بأيدي العبيديين الذين كانوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة.

وقد تصدى نور الدين محمود زنكي لجهاد الصليبيين، وانتزاع الحصون والبلاد من أيديهم في بلاد الشام في وقائع مظفرة من أشهرها:

* غزوة سنة أربع وأربعين وخمسمائة التي قتل فيها ملك أنطاكية. ثم فتح حصن فاميا قرب حماة[٢].

* فتح حصن إعزاز سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وأسر جوسلين الإفرنجي وابنه[٣]، وأخذ كل ما كان تحت يده من البلاد في السنة التي تلتها.

= العادل، ملك الشام والجزيرة ومصر، وهو أحد ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم، كان مداوماً للجهاد يباشر القتال بنفسه، وقارع الصليبيين وهزمهم في مواقع، وكان متواضعاً مهيباً وقوراً مكرماً للعلماء، توفي سنة ٥٦٩هـ. الأعلام (٧/ ١٧٠)، الروضتين (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) وما قبلها، الكامل في التاريخ (١١/ ١٥١)، تاريخ ابن خلدون (٥/ ٢٥٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٨٧)، مرآة الزمان (٨/ ٣٠٥).

(١) البداية والنهاية: (١٢/ ٢٢٤).

(٢) البداية والنهاية: (١٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٣) البداية والنهاية: (١٢/ ٢٢٨).

* وقعة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت (وقعة عظيمة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج، فكسرهم وقتل منهم خلقاً ولله الحمد)(١).

* وقعة حارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة، (فكسرهم كسرة فظيعة، وأسر البرنس «بيموند» صاحب أنطاكية، والقومص، صاحب طرابلس، والدوك صاحب الروم، وابن جوسلين، وقتل منهم عشرة آلاف، وقيل عشرين ألفاً)(٢).

* فتح «بانياس» في سنة تسع وخمسين أيضاً، وقيل ستين(٣).

* فتح حصن «المنيطرة» في الشام، سنة إحدى وستين وخمسمائة(٤).

ولكن انتصار الصليبيين في عسقلان، وانتزاعهم إياها من أيدي العبيديين سنة ٥٤٨هـ أثار مخاوف نور الدين محمود من طمعهم في الاستيلاء على مصر، في وقتٍ كانت الدولة العبيدية تلفظ أنفاسها الأخيرة. وحصل ما توقعه نور الدين ـ فعلاً ـ فقد (أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية، وساعدهم المصريون، فتصرفوا في بعض البلاد)(٥) وذلك سنة ثنتين وستين وخمسمائة، فبعث نور الدين أحد أمرائه وهو أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين(٦) يوسف بن

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٢٩).
(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٤٨).
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٥١).
(٥) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٥٢)، و(المصريون) يطلق في تلك الحقبة على ملوك مصر من العبيديين.
(٦) يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، له المناقب الجمة، والسيرة العظيمة، فمن مناقبه قضاؤه على العبيديين بمصر، والإصلاح الداخلي في البلاد حيث جمع بين ملك مصر=

أيوب، فهزما الفرنج وعادا بعد ذلك إلى الشام[١]. ولكن الأمر استفحل في سنة أربع وستين وخمسمائة فقد (.. طغت الفرنج بالديار المصرية... وتحكموا في أموالها ومساكنها، أفواجاً أفواجاً ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها، ويخرجوا منها أهلها من المسلمين، وقد سكنها أكثر شجعانهم، فلما سمع الفرنج بذلك جاءوا إليها من كل فج وناحية، صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة... فعند ذلك أرسل صاحبها «العاضد» يستغيث نور الدين، وبعث إليه بشعور نسائه يقول: أدركني، واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج..)[٢].

فحينئذٍ بعث نور الدين ـ مرة أخرى ـ أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين فانسحب الصليبيون. وتم فتح مصر في تلك السنة، ولم يلبث أسد الدين أن توفي بعد شهرين، وولي صلاح الدين، وزارة العاضد، وكان نائباً لنور الدين في مصر. وبعد فك الحصار عن «دمياط» سنة خمس وستين[٣]، اتجه صلاح الدين إلى إصلاح ما أفسده العبيديون الرافضة، ففي سنة ست وستين وخمسمائة: (عزل صلاح الدين قضاة مصر، لأنهم كانوا شيعة، وولى قضاء القضاة بها لصدر

= والشام والجزيرة والموصل. فعمل على جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ومن ثم جابه الصليبيين ونازلهم حتى كانت موقعة «حطين» الشهيرة بقيادته، وكانت وفاته سنة ٥٨٩هـ. وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته منها كتاب «تاريخ الروضتين» لأبي شامة، وغيرها.

الأعلام (٨/ ٢٢٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٦)، تاريخ ابن خلدون (٤/ ٧٩، ٥/ ٢٥٠ ـ ٣٣٠)، الكامل في التاريخ (١٢/ ٣٧)، طبقات السبكي (٤/ ٣٢٥)، مرآة الزمان (٨/ ٤٢٥).

(١) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٦٠).

الدين عبد الملك بن درباس المارداني الشافعي[١]، فاستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية، وبنى مدرسة للشافعية وأخرى للمالكية.. وعمَّر صلاح الدين أسوار البلد، وكذلك أسوار إسكندرية، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً، وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة، وضرب قلعة كانت لهم على أيلة، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم... وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر)[٢].

وفي أول جمعة من سنة سبع وستين وخمسمائة هلك العاضد، آخر ملوك الدولة العبيدية، وأقيمت الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية بعد انقطاعٍ دام أكثر من مائتي سنة (٣٥٩ ـ ٥٦٧هـ)، واجتثت تلك الشجرة الخبيثة من أرض الإسلام، وعادت مصر إلى حظيرة السنة، وعاصمة الخلافة[٣]. ولله الحمد والمنة.

وإنما مُني المسلمون بأوطانهم، وغزاهم عدوهم في عقر دارهم بسبب هؤلاء الباطنية الذين أرادوا إطفاء نور الإيمان، ونشر البدعة والشرك والعصيان، ومكنوا لأعداء المسلمين من الصليبيين والتتار وسائر ملل الكفار، وملكوهم الحصون والثغور، كهؤلاء العبيديين

---

(١) صدر الدين عبد الملك بن عيسىٰ بن درباس المارداني: قاضي الديار المصرية، الكردي الشافعي، ولد بأعمال الموصل عام ٥١٦ تقريباً، ورحل في طلب الفقه، وكان مشهوراً بالصلاح والفقه، توفي سنة ٦٠٥هـ، وكان من أبناء التسعين. السير (٢١/ ٤٧٤)، التكملة لوفيات النقلة (٢/الترجمة ١٠٦٢)، تاريخ الإسلام ١٨/ ١/ ١٩٦ ـ ١٩٧، العبر (٥/ ١٣)، البداية والنهاية (١٣/ ٥٢)، حسن المحاضرة (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ٢٦٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٢/ ١٦٤).

اللئام، وقد بيّن المؤرخ الفاضل عماد الدين بن كثير هذه اللازمة، فقال: (وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء، وأكثرهم مالاً، وكانوا من أعتى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة. ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين، وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقاً، وأمماً لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها، وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكن الله سلم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد الله ﷻ هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته)[١].

وقد توفي الملك المجاهد نور الدين محمود زنكي رحمه الله سنة تسع وستين وخمسمائة بعد حياة حافلةٍ بالجهاد في سبيل الله، وتسلم الراية بعده الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وبعد أربعة عشر عاماً قضاها في لم الشمل وجمع الكلمة، والقضاء على الفتن الداخلية، والإثخان في الصليبيين، وإصلاح أمور الرعية[٢]، تهيأ في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للملحمة الكبرى مع الفرنج التي كانت مقدمة ضرورية لفتح القدس، فكانت معركة حطين الفاصلة في شهر ربيع

---

(١) البداية والنهاية: (١٢/ ٢٦٧).

(٢) انظر: تفاصيل ذلك في البداية والنهاية من (٢٨٥) إلى (٣٢٠) ج(١٢).

الآخر، حشد فيها الجانبان قواتهما، وشهدها ملوكهما، ودارت رحى الحرب يومي الجمعة والسبت لخمس بقين من ربيع الآخر، (ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله ﷻ، فمنحهم الله أكتافهم، فقتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم، سوى قومس طرابلس، فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله)[١].

ثم قتل صلاح الدين رحمه الله «أرياط» صاحب الكرك بيده، لكونه تعرض لسب النبي ﷺ.

وفي الخامس عشر من شهر رجب من السنة نفسها ٥٨٣هـ سارت جحافل المسلمين إلى بيت المقدس ففتحوه يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب، بعد أن بقي بيد عبدة الصلبان اثنتين وتسعين سنة (٤٩٢ ـ ٥٨٣هـ)[٢] (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م). ثم اتجه صلاح الدين رحمه الله لفتح الحصون الممتنعة واستنقاذ مدن الساحل الشمالية، حتى كاد يفتح أنطاكية. والحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٦هـ = ١١٩٠م):

كان وقع أنباء انتصارات صلاح الدين مؤلماً في أوربا، حتى إن البابا أربان الثالث (١١٨٥ ـ ١١٨٧م) مات من هول الصدمة حين بلغته الأنباء[٣]. قال ابن الأثير: (ثم إن الرهبان والقسوس، وخلقاً كثيراً من

---

(١) البداية والنهاية: (١٢/ ٣٢١).
(٢) انظر: تفاصيل ذلك الفتح العظيم في البداية والنهاية (١٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٧).
(٣) انظر: ماهية الحروب الصليبية (١٤٨).

مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد، وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس من أيديهم، وأخذهم البطرك الذي كان بالقدس، ودخل بهم بلاد الفرنج، يطوفها بهم جميعاً، ويستنجدون أهلها، ويستجيرون بهم، ويحثونهم على الأخذ بثأر البيت المقدس، وصوروا المسيح ﷺ، وجعلوه مع صورة عربي يضربه، وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح ﷺ، وقالوا لهم: هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين، وقد جرحه وقتله، فعظم ذلك على الفرنج، فحشروا، وحشدوا حتى النساء)[١].

وقد تكونت الحملة الصليبية الثالثة من كبار ملوك أوربا، وهم:

• الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا (١١٥٢ ـ ١١٩٠م) الذي هلك غرقاً في أحد أنهار آسيا الصغرى، وتمزق جيشه، وملك إنجلترا، ريتشارد الأول (١١٨٩ ـ ١١٩٩م)، وملك فرنسا، فيليب أغسطس (١١٨٠ ـ ١٢٢٣م).

وقد وصل الفرنسيون عكا في ربيع الأول سنة سبع وثمانين، ثم وافاهم الإنجليز في جمادى الأولى من السنة نفسها، وحاصروها حصاراً شديداً، واستبسل أهلها وحاميتها في الدفاع عنها، ومن ورائهم الملك صلاح الدين يمدهم بالمؤن والأقوات عن طريق البحر، حتى سقطت بأيدي الفرنج في السابع من جمادى الآخرة. وقتل الفرنج ثلاثة آلاف أسير من أهلها صبراً. رحمهم الله

ولم تتمكن هذه الحملة التي علقت عليها الآمال تحقيق أهدافها من استعادة بيت المقدس ومدن الساحل، رغم ما بذلوه من محاولات،

---

(١) الكامل في التاريخ. ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) (١٠/٦٩).

وتكبدوه من خسائر وهزائم متكررة. وانحصرت مكاسبهم في الاستيلاء على عكا، التي دافع عنها صلاح الدين الأيوبي سبعة وثلاثين شهراً. وحاولوا أخذ عسقلان فصدهم المسلمون حتى يئسوا وطلبوا الصلح والأمان، وجرت الهدنة بين المسلمين والنصارى في السابع من شعبان من سنة ثمان وثمانين وخمسمائة على وضع الحرب ثلاثين سنة ونصف. وعاد ملوك أوربا يجرون أذيال الخيبة، وعاد صلاح الدين إلى بيت المقدس يصلح شؤونها، ثم إلى دمشق، حيث توفي رحمه الله جاهداً مجاهداً في السابع والعشرين من شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة[١].

رابعاً: الحملة الصليبية الرابعة: (٦٠٠هـ ـ ١٢٠٤م):

كان هدف هذه الحملة «مصر»، وذلك في عهد البابا «إنوسنت الثالث» (١١٩٨ ـ ١٢١٦م)، ولكن مسار الحملة انحرف عن القاهرة إلى القسطنطينية، تحقيقاً لأحلام بابوية روما القديمة في القضاء على الكنيسة البيزنطية الأرثذوكسية. فدمروا المدينة الحصينة ونهبوها، وقتلوا إخوة الدين، وكفى الله المؤمنين القتال سوى فرق قليلة من هذه الحملة اتحدت مع المستوطنين في بلاد الشام من الصليبيين. قال ابن كثير: (ثم إن الفرنج قصدوا بلاد الشام، وقد تقووا بملكهم القسطنطينية، فنزلوا عكا وأغاروا على كثيرٍ من بلاد الإسلام من ناحية الغور وتلك الأراضي فقتلوا وسبوا، فنهض إليهم العادل[٢]، وكان بدمشق،

---

(١) انظر: تفاصيل ذلك في البداية والنهاية (١٢/ ٣٣٤ ـ ٣٥١).

(٢) الملك العادل (٥٤٠ ـ ٦١٥ هـ): محمد بن أيوب بن شادي، أبو بكر، سيف الإسلام، الملقب بالملك العادل. أخو السلطان صلاح الدين ونائبه على مصر. من كبار سلاطين الدولة الأيوبية. تنقل بين الولايات، ثم ضمها جميعاً، وقسمها بين أولاده. كان حازماً مجرباً داهية حسن السيرة توفي وهو يجهز العساكر لقتال الإفرنج بعالقين، وقضىٰ على بقايا الإسماعيلية بمصر سنة=

واستدعى الجيوش المصرية والشرقية، ونازلهم بالقرب من عكا، فكان بينهم قتال شديد وحصار عظيم، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة، وأطلق لهم شيئاً من البلاد، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١].

خامساً: الحملة الصليبية الخامسة: (٦١٥ـ٦١٨هـ) (١٢١٨ـ١٢٢١م):

استهدفت هذه الحملة مصر، أيضاً، وانطلقت من عكا على الساحل الشامي قوات الصليبيين، ونزلت على «دمياط»، وذلك سنة خمس عشرة وستمائة. وفي تلك الأثناء توفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب، أخو صلاح الدين، فسقطت دمياط وما وراءها، ثم سار الصليبيون متجهين نحو القاهرة، ونازلهم المسلمون في مواقع كثيرة حتى إن الملك الكامل[٢] (عرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل، ويتركوا «دمياط»، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا. فقدر الله تعالى أنها ضاقت عليهم الأقوات، فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم، فأخذها الأسطول البحري، وأرسلت المياه على أراضي «دمياط» من كل ناحية، فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن، فحينئذٍ أنابوا إلى المصالحة بلا معاوضة)[٣]. وكان ذلك سنة ثمان عشرة وستمائة. يقول

= ٦٠٤هـ. قال المقريزي: «ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم»، انظر: الأعلام (٦/ ٤٧).

(١) البداية والنهاية: (١٣/ ٣٧).

(٢) الملك الكامل (٥٧٦ ـ ٦٣٥هـ): محمد بن محمد العادل ابن أيوب، أبو المعالي، ناصر الدين. من سلاطين الدولة الأيوبية، ولي مصر سنة ٦١٥، ووسع نطاق ملكه، فشمل الشام والحجاز واليمن والجزيرة. جاهد الصليبيين بدمياط. كان حازماً عفيفاً عن الدماء مهيباً، يباشر أمور الملك بنفسه. توفي بدمشق، ودفن بقلعتها. انظر: الأعلام (٧/ ٢٨).

(٣) البداية والنهاية: (١٣/ ٩٥).

د. قاسم عبده قاسم: (كانت الحملة ضد دمياط آخر محاولات البابوية لتوجيه حملة صليبية تحت قيادتها فقط، ولحسابها منفردة)(١).

سادساً: الحملة الصليبية السادسة: (٦٢٦هـ ـ ١٢٢٨م):

قائد هذه الحملة هو الإمبراطور الألماني المحنك فردريك الثاني (١٢١٥ ـ ١٢٥٠م)، الذي استغل تفرق حكام الدولة الأيوبية، وروح الضعف والمسالمة التي أبداها الملك الكامل أثناء حصار دمياط، فحقق عن طريق السياسة مكاسب لم تحققها الحملات الصليبية العسكرية الضخمة. فقد قدم فلسطين بستمائة فارس فقط، وأسطول هزيل(٢)، ومع ذلك رجع وقد تسلم بيت المقدس! ويصف ابن كثير هذه الملابسة العجيبة في أحداث سنة ست وعشرين وستمائة فيقول: (استهلت هذه السنة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا أحزاباً وفرقاً، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظم(٣)، واختلاف من بعده من الملوك. فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ مِنهم، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده! وتبقى بأيديهم بقية البلاد. فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم أسواره، فعظم ذلك المسلمين جداً، وحصل وهن شديد، وإرجافٌ عظيم. فإنا لله وإنا إليه راجعون)(٤).

---

(١) ماهية الحروب الصليبية: (١٥٨).
(٢) ماهية الحروف الصليبية: (١٦٠).
(٣) الملك المعظم: توران شاه بن أيوب بن شادي، شمس الدولة، فخر الدين، أخو صلاح الدين الأيوبي. تولىٰ اليمن ثم دمشق، ثم انتقل إلى مصر سنة ٥٧١هـ حتى مات فيها سنة ٥٧٦هـ. انظر: الأعلام (٢/ ٩٠).
(٤) البداية والنهاية: (١٣/ ١٢٤).

وظل بيت المقدس بيد الصليبيين عشر سنين (٦٢٦، ٦٣٦هـ)، (١٢٢٩ ـ ١٢٣٩م) تمثل الهدنة السابقة. وما أن انقضت سني الهدنة حتى هجم الصليبيون على جنوب فلسطين فقاتلهم الأيوبيون في غزة سنة ست وثلاثين وستمائة وهزموهم شر هزيمة، ثم استنقذوا بيت المقدس في السنة نفسها ولله الحمد. وظلت بأيدي المسلمين حتى استولى عليها الإنجليز، ثم اليهود الصهاينة في العصور الأخيرة[1].

سابعاً: الحملة الصليبية السابعة: (٦٤٧هـ ـ ١٢٤٩م):

كانت هذه الحملة موجهة أيضاً إلى مصر، لكن دون المرور بعكا، معقل الصليبيين في السواحل الشامية. بل انطلقت من ميناء مرسيليا الفرنسي بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، ونزل قبالة «دمياط»، وذلك في آخر حياة الملك الصالح[2] أيوب. (فهرب من كان فيها من الجند والعامة، واستحوذ الفرنج على الثغر وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين)[3]. ثم توفي الملك الصالح في تلك الأثناء واستدعي ابنه الملك المعظم توران شاه. وفي مطلع السنة التالية، سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة (في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دمياط، فقتل منهم ثلاثين ألفاً، وقيل مائة ألف، وغنموا شيئاً كثيراً ولله الحمد، ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا.

---

(١) ماهية الحروب الصليبية: (١٦٢).

(٢) الملك الصالح (٦٠٣ ـ ٦٤٧هـ): أيوب بن محمد الكامل بن أبي بكر العادل بن أيوب، أبو الفتوح، نجم الدين. من كبار الملوك الأيوبيين بمصر. ولد ونشأ بالقاهرة. وولي بعد خلع أخيه العادل الثاني سنة ٦٣٧هـ. كان شجاعاً مهيباً عفيفاً صموتاً. عمَّر بمصر ما لم يعمِّره أحد من ملوك بني أيوب. أغار الإفرنج في أواخر أيامه على دمياط سنة ٦٤٧هـ. فتوفي بالسل أثناء جهادهم بالمنصورة. ودفن بالقاهرة. انظر: الأعلام (٢/٣٨).

(٣) البداية والنهاية: (١٣/١٧٧).

وكان فيمن أسر ملك الفرنسيين وأخوه)[١]. وقد أفرج عنه فيما بعد لقاء فدية كبيرة والانسحاب عن دمياط. وقد كانت هذه الحملة آخر حملة صليبية على مصر[٢]، بل كانت آخر حملة صليبية ذات بال على المشرق الإسلامي.

وبعد أن آل الأمر إلى دولة المماليك الفتية التي قضت على الهجوم التتري الكاسح في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، اتجه القائد المظفر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري[٣] (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ) إلى تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام بحزم وعزم وصرامة، فتهاوت معاقل النصارى واحدة تلو الأخرى في موسم حصاد رابح: قيسارية وأرسوف (٦٦٣هـ ـ ١٢٦٨م)، قلعة صفد، معقل الفرسان الداوية (٦٦٤هـ ـ ١٢٦٦م) يافا، وحصن شقيف أرنون (٦٦٦هـ ـ ١٢٦٨م).

وفي نفس العام حصل الفتح الكبير لأنطاكية بعد أن ظلت أسيرة بيد الصليبيين أكثر من مائة وخمسين عاماً.

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون[٤] تابع فتوح سلفه بيبرس،

---

(١) البداية والنهاية: (١٣/ ١٧٨).

(٢) ماهية الحروب الصليبية: (١٦٥).

(٣) الظاهر بيبرس (٦٢٥ ـ ٦٧٦هـ): بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر. ولد بأرض القبجاق، وأسر فبيع حتى آل إلىٰ الملك الصالح، نجم الدين أيوب فقربه ثم أعتقه. صار «أتابك» العساكر المصرية زمن الملك قطز وقاتل معه التتار في «عين جالوت». تولىٰ سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨. وقاتل الصليبيين، وفتح بلاد النوبة. وكان شجاعاً جباراً. توفي في دمشق. انظر: الأعلام (٢/ ٧٩).

(٤) المنصور قلاوون (٦٢٠ ـ ٦٨٩هـ): قلاوون الألفي العلائي الصالحي، النجمي، أبو المعالي، سيف الدين، السلطان الملك المنصور. أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. قبجاقي الأصل. أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ، خدم الظاهر بيبرس، وابنه العادل ثم خلعه، وتولىٰ=

فقد سقط حصن المرقب سنة ٦٨٤هـ ـ ١٢٨٥م، ثم اللاذقية في سنة ٦٨٦هـ ـ ١٢٨٧م، ثم طرابلس وبيروت وجبلة سنة (٦٨٨هـ ـ ١٢٩١م)، في عهد السلطان الأشرف خليل[(١)] ابن السلطان المنصور قلاوون، مؤذناً بنهاية الوجود الصليبي على أرض الإسلام بعد مائتي عامٍ تماماً من حملتهم الأولى[(٢)].

لقد مرت بالمسلمين فترة عصبية طوال هذين القرنين (٤٩٠ ـ ٦٩٠هـ) من جراء هذا الغزو الصليبي، وكانت حرباً عقدية صرفة في مظاهرها وأعلامها وأهدافها المعلنة[(٣)] وخطابها للجمهور. ودافع المسلمون دفاعاً مجيداً عن ديارهم ومقدساتهم، وبذلوا المهج والأرواح والأموال، ولم يدعوا عدوهم يهنأ بعيش، أو يقر له قرار. ولا ريب أن الصليبيين خسروا خسائر فادحة، وباءت محاولاتهم المتكررة بالفشل والخيبة، وتكسر نصالهم على صدور أهل الإسلام المنيعة، وتعلموا درساً راسخاً من دروس التاريخ. والحقيقة أنه ما كان يمكن أن يكون لهم موطىء قدم، لولا عوامل داخلية مهدت لهم الطريق، أهمها:

= السلطنة. وكانت له حروب مع التتار والنوبة، ظفر فيها وغنم. مات بالقاهرة. انظر: الأعلام (٥/ ٢٠٣).

(١) الأشرف ابن قلاوون (٦٦٦ ـ ٦٩٣هـ): خليل بن قلاوون الصالحي، الملك الأشرف، صلاح الدين، ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر. ولي بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩، واستفتح الملك بالجهاد، فقصد البلاد الشامية، وقاتل الإفرنج، واسترد منهم عكا وصوراً وصيدا وبيروت وجميع الساحل، وكان شجاعاً مهيباً عالي الهمة جواداً. قتل غيلة بمصر. انظر: الأعلام (٢/ ٣٢١).

(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية: (١٦٦ ـ ١٧٠) والبداية والنهاية (١٣/ ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٠).

(٣) انظر: في مناقشة دوافع الحملات الصليبية وأهدافها: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية د. عبد الله الربيعي (٢٢ ـ ٣٨).

أولاً: تسلط دول الرافضة على رقاب المسلمين، وإشاعتهم الكفر والفسوق والعصيان والبدع، وتواطئهم مع أعداء الإسلام، والنشاط الباطني المدمر، الذي اعتمد أسلوب الاغتيالات الانتحارية على أيدي «فداوية» الإسماعيلية الرافضة في هذين القرنين، ومحاولة إجهاض أي بادرة قوة، وزعامة صالحة من ملوك أهل السنة[١].

ثانياً: التشرذم السياسي، والفتن الداخلية، داخل معسكر أهل السنة، وضعف الخلافة العباسية في معظم الأحوال.

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه رحى حرب صليبية في المشرق الإسلامي، كانت تجري أحداث مشابهة في الساحة الأندلسية. إذ لم تشترك «إسبانيا النصرانية» في الحملات الصليبية المتجهة إلى بيت المقدس لأنها كانت تخوض حرباً صليبية حامية الوطيس في عقر دارها، هدفها طرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية وإعادتها إلى المنظومة الأوربية، والكنيسة الكاثوليكية.

فبعد سقوط «طليطلة» الخطير، مستهل ثمانٍ وسبعين وأربعمائة (٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م)، لم يوقف تقدم الأسبان الجارف لالتهام دويلات ملوك الطوائف إلا جواز أمير المرابطين، يوسف بن تاشفين[٢] (٤٦٣ ـ ٥٠٠هـ)

---

(١) انظر: شواهد لهذه المحاولات والاغتيالات المتكررة في المواضع التالية من البداية والنهاية (١٢/١٥٨، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٩٨).

(٢) يوسف بن تاشفين (٤١٠ ـ ٥٠٠هـ): يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب أمير المسلمين، وملك الملثمين، سلطان المغرب الأقصىٰ، وباني مدينة مراكش. كتب إليه المعتمد بن عباد، صاحب أشبيلية يستنجده على قتال الفرنج، فجاز إلى الأندلس بمجموعة، وكسر النصارى في وقعة الزلاقة الفاصلة سنة ٤٧٩ وبايعه ملوك الطوائف، وملك الجزيرة كلها وبلاد المغرب. وكان حازماً ضابطاً. انظر: الأعلام (٨/ ٢٢٢).

إلى البر الأندلسي، والتحام المسلمين والنصارى في سهل «الزلاقة» في معركة فاصلة من معارك التاريخ الكبرى، كان النصر فيها حليف المسلمين، في الثاني عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة (٤٧٩هـ - ١٠٨٦م)[١]. وكان من ثمرات هذه المعركة إلى جانب وقف الزحف النصراني، إنهاء عهد ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس المسلمة تحت راية المرابطين، ثم من بعدهم الموحدين. وتوج المرابطون انتصاراتهم ضد النصارى بفتح حصن «أقليش» على رأس القرن السادس الهجري سنة خمسمائة وواحد (٥٠١هـ - ١١٠٨م). واستمرت المعارك العنيفة بين المسلمين والنصارى فسقطت «سرقسطة» سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، ثم «قلعة أيوب» بعدها بسنة. وسقطت دولة المرابطين سنة إحدى وأربعين وخمسمائة تحت مطارق الموحدين في البر المغربي، والنصارى في الأندلس.

وانبعثت روح الجهاد الإسلامي في بلاد المغرب مع دولة «الموحدين» الفتية، في الوقت الذي انبعثت فيه هذه الروح على يد «آل زنكي» ثم «آل أيوب» في بلاد المشرق الإسلامي. فقد قام عبد المؤمن بن علي الموحدي بشن غاراتٍ برية وبحرية على ثغر «المهدية» على الساحل التونسي، واستعادها من الفرنج النورمانديين، حكام صقلية، بعد أن بقيت رهينة بأيديهم اثنتي عشرة سنة. وذلك سنة خمس وخمسين وخمسمائة (٥٥٥هـ - ١١٦٠م).

وجاءت الوفود الأندلسية تستنصر إمام الموحدين عبد المؤمن بن علي القيسي[٢] في الدين، فجاز البحر في سنة ست وخمسين

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٣٠٧).

(٢) عبد المؤمن بن علي (٤٨٧ - ٥٥٨هـ): عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلىٰ بن مروان، أبو محمد الكومي، أمير المؤمنين مؤسس دولة الموحدين في المغرب وإفريقية وتونس. التقىٰ بابن تومرت فتصادقا وانتهىٰ الأمر بأن=

وخمسمائة (٥٥٦هـ ـ ١١٦١م). وضم ممالك الأندلس ومدنها تحت راية الموحدين وأثخن في النصارى. حتى توفي سنة ثمان وخمسين، وقد حشد حملة عسكرية ضخمة كانت مؤهلة للقضاء على ممالك النصارى الخمس شمال الجزيرة. وخلفه في جهاد النصارى ابنه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(١)، الذي قضى أربعة عشر عاماً في الفتوح ومناوشة الأعداء حتى قضى نحبه في معركة «شنترين» سنة ثمانين وخمسمائة (٥٨٠هـ ـ ١١٨٤م)(٢).

وبعد خطاب تحدٍ واستفزاز بعث به ألفونسو الثامن ملك قشتالة إلى سلطان الموحدين أبي يوسف يعقوب بن يوسف المنصور(٣)، كتب على ظهره مجيباً: «ارجع إليهم فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها،

= ولي ابن تومرت ملك المغرب الأقصىٰ، ولقب بالمهدي، وجعل لعبد المؤمن قيادة جيوشه، ثم خلفه سنة ٥٢٤هـ، وقاتل المرابطين، فاستأصلهم، ودخل الأندلس واستولىٰ على مدائنها. ودفن إلى جوار ابن تومرت. انظر: الأعلام (٤/ ١٧٠).

(١) يوسف بن عبد المؤمن (٥٣٣ ـ ٥٨٠هـ): يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، أبو يعقوب. أمير المؤمنين. ثالث ملوك دولة الموحدين بالمغرب والأندلس. كان حازماً شجاعاً حسن السيرة. له ميل إلى الفلسفة. جاهد الفرنجة، فأصيب في «شنترين» فمات متأثراً بجراحه. انظر: الأعلام (٨/ ٢٤١).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٩/ ٤٨٠).

(٣) المنصور الموحدي (٥٥٤ ـ ٥٩٥ هـ): يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، أبو يوسف المنصور بفضل اللّٰه من ملوك الموحدين في المغرب، وأعظمهم آثاراً. وجه عنايته إلى الإصلاح والفتوح. استرد أربع مدن من الإفرنج بالأندلس، كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل أربعين عاماً. فخافه الفونس، صاحب طليطلة، فطلب منه الصلح خمس سنين، ليجمع لحربه ولكنه كسرهم سنة ٥٩١هـ. كان ديناً، نهى الفقهاء عن الإفتاء إلا بالكتاب والسنة. بنى كثيراً من المساجد والمدارس، والمستشفيات أجرى عليها الأرزاق. انظر: الأعلام (٨/ ٢٠٣).

ولنخرجنهم منها أذلةً وهم صاغرون» الجواب ما ترى، لا ما تسمع، التقى جحفلان عظيمان كأمثال الجبال، حشد فيها كل طرف وسعه، يوم التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة (٥٩١هـ ـ ١١٩٥م) في معركة فاصلة، عرفت باسم «الأرك» انتصر فيها الموحدون، تذكر بمعركة «الزلاقة» التي انتصر فيها المرابطون قبل أكثر من مائة عام (٤٧٩هـ). وسار الموحدون الظافرون يخترقون الأراضي القشتالية حتى بدت لهم مشارف «طليطلة» معقل النصارى، فحاصروها، ولكنها امتنعت، فأعقب ذلك هدنة. وهكذا أوقفت موقعة الأرك زحف النصارى البطيء عشرين سنة لاحقة.

وابتدأ الوهن في جانب الموحدين إثر موقعة «العقاب» التي مُني فيها أبو عبد الله محمد الناصر[1]، سلطان الموحدين ـ بهزيمة فادحة وذلك سنة تسع وستمائة (٦٠٩هـ ـ ١٢١٢م) أعقبها انتكاسات خطيرة في النصف الأول من القرن السابع الهجري. فقد سقطت «ماردة» و«بطليوس» سنة ثمان وعشرين، «وأبده» سنة إحدى وثلاثين، و«قرطبة» سنة ثلاثٍ وثلاثين، ثم «بلنسية» و«شاطبة» و«دانية» سنة ستٍ وثلاثين، ثم «مرسية» سنة إحدى وأربعين، وأخيراً «إشبيلية» سنة ستٍ وأربعين وستمائة.

وهكذا تهاوت حواضر الأندلس الشهيرة، الواحدة تلو الأخرى في ملحمة مأساوية، وبدت الأندلس المسلمة في النصف الثاني من القرن السابع تسير نحو مصيرها المحتوم، وخاتمتها البائسة، لولا نفحة ربانية

---

(١) محمد الناصر: محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الزناتي، الكومي، الموحدي، الناصر لدين الله. من خلفاء دولة الموحدين في المغرب والأندلس. في أيامه كانت وقعة «العقاب» مع نصارىٰ الأندلس سنة ٦٠٩، كسر فيها الموحدون. عاد بعدها إلىٰ مراكش، وتوفي بها سنة ٦١٠هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٤٥).

أجراها الله تعالى على أيدي «المرينيين» أنعشت الوجود الإسلامي في جنوب الجزيرة المتمثل في مملكة بني الأحمر في «غرناطة»، الذين لم تفدهم مصانعتهم للنصارى في تجنب استنزافهم إياهم، واستنقاصهم أراضيهم من أطرافها، فاستنجد بنو الأحمر بإخوة الدين، فهب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني[1] لنجدتهم، وتمكن من دحر النصارى سنة أربعٍ وسبعين وستمائة (٦٧٤هـ ـ ١٢٧٥م)، وقتل قائدهم «دونونة» الذي عاث في أرض المسلمين قتلاً ونهباً وفساداً. ثم سار فحاصر «أشبيلية» و«شريش» سنة خمسٍ وسبعين، وتوغل في أراضي النصارى سنة سبعٍ وسبعين. كما قام الأسطول المريني بالانتصار على الأسطول القشتاليِ في معركة بحرية سنة ثمان وسبعين وستمائة أسفرت عن تحرير «الجزيرة الخضراء» التي أراد النصارى بالاستيلاء عليها قطع الطريق على المدد الآتي من المغرب الإسلامي. واضطر «شانجة» ملك قشتالة إلى طلب الصلح من المسلمين. وهكذا اكتشف النصارى أن من الخير لهم الرضى بوجودٍ إسلامي محدود في جنوب الأندلس، دون المخاطرة بعمل عسكري أحمق يثير حمية المسلمين في العدوة المقابلة، فيتعرضون لحملة إسلامية لا يستطيعون التنبؤ بآثارها. وقد أجّلت هذه التحسبات والمخاوف دولة بني الأحمر قرنين من الزمان، إلى أن سقطت آخر الحواضر الإسلامية من بلاد الأندلس، مدينة غرناطة في

(١) المنصور المَريني (٦٠٧ ـ ٦٨٥هـ): يعقوب بن عبد الحق المريني الزناتي. أبو يوسف، السلطان المنصور بالله، بربري من أصل عربي. آلت إليه إمارة بني مرين سنة ٦٥٦هـ، قضىٰ على دولة الموحدين سنة ٦٧٤، وصفا له المغرب كله، ثم جاز إلى الأندلس، فأثخن في النصارىٰ واسترد منهم ما أخذوه من مدائن الأندلس. وكان عهده عامراً بالفتوح والعمران والإصلاح الاجتماعي والإحسان إلى المرضىٰ والعمي والفقراء، وبناء المدارس لطلبة العلم. واستمر غازياً مجاهداً، بانياً مصلحاً إلى أن توفي في الجزيرة الخضراء بالأندلس. انظر: الأعلام ٨/ ١٩٩.

الثامن من ربيع الأول سنة سبعٍ وتسعين وثمانمائة (٨٩٧هـ ـ ١٤٩٢م). ولله الأمر من قبل ومن بعد[١].

لقد كانت حرب الاستعادة الإسبانية ـ Spanish Reconquest ـ كما يسميها المؤرخون النصارى ـ حرباً صليبية صرفة، تقف خلفها حركة الإصلاح الكلوني، التي ولدت في «دير كلوني» في مطلع القرن العاشر الميلادي (٩١٠م)، وأشعلت فكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين الغزاة، الذين استولوا على الممالك النصرانية. فقد أكد البابا غريغوري السابع بأن إسبانيا جزءٌ من أرض القديس بطرس، وأن الجزيرة الأيبيرية جزء لا يتجزأ من الجسد المسيحي. كما حرم البابا «باسكال الثاني» (١٠٩٩ ـ ١١١٨م) وكان راهباً كلونياً على الفرسان الإسبان المشاركة في الحروب الصليبية في الشرق[٢]. وذلك لأولوية المشاركة في الحرب الصليبية في الغرب على أرض الأندلس.

أما على الصعيد الداخلي في «دار الإسلام»، فقد بقي أهل الذمة يواصلون عيشهم في أحضان المجتمع الإسلامي وفق القواعد المقررة في الكتاب والسنة والإجماع، والمستقرة منذ القرون الأولى، ولا يعكر هذا الصفو سوى حوادث متفرقة مردها إلى عمليات استفزاز محلية تثور في أوساط العوام، دون أن تتبناها أو حتى تقرها السلطة المركزية[٣]. ولا تكاد تمثل هذه الحوادث نسبةً تذكر إذا قورنت بحوادث الشغب التي تجري بين السنة والروافض في بغداد وغيرها، أو حتى حوادث التعصب المذهبي الفقهي بين الجهلة من أتباع المذاهب الفقهية.

---

(١) انظر: مقالة «حرب الاستعادة الإسبانية: هل هي حرب كلونية مقدسة ضد الإسلام؟ لـ: فيسنت كانتارينو. مجلة الاجتهاد (٢٩/٥٩ ـ ٨١).
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر: على سبيل المثال حادثة لليهود في بغداد. في البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٨).

لقد كان المسلمون خلال هذين القرنين يفرقون بين «أهل الذمة» و«الفرنج» الحربيين. بل إن النصارى الشرقيين أنفسهم عانوا الأمرين من هؤلاء الغزاة التابعين للكنيسة الكاثوليكية بوصفهم إياهم هراطقة، عليهم أن يعودوا إلى حمى النصرانية الصحيحة، بالرغم من أن البابا أربان الثاني سوّق دعايته للحملات الصليبية بحجة حماية النصارى المضطهدين على أيدي المسلمين بزعمه.

يقول الباحثان فيليب فارج، ويوسف كرباج: (كان الفرنجة قد جاءوا لتقديم العون إلى المسيحيين الشرقيين. وبدلاً من تحقيق هذا المشروع الأولي، سوف تنتهي حملتهم بتدهور ملحوظ لوضع الجماعة المسيحية الشرقية.

وعندما يبدأ المسلمون في استعادة الأرض المقدسة، فإنهم لن يتهموا الجماعة المسيحية المحلية بالتواطؤ «مع العدو». والواقع أن إعادات الفتح الإسلامي المتعاقبة قد لقيت حيادها، وأحياناً تعاونها. وكان الاحتلال الإفرنجي قد أدخل نوعاً من التواطؤ فيما بين السكان المحليين المنتمين إلى مختلف الملل. ويصل الأمر بالمسيحيين العرب إلى حد اعتبار انتصارات نور الدين في الشمال، وانتصارات صلاح الدين في الجنوب خطوة أولى نحو تحررهم من النير الديني الإفرنجي، بل ويبدو أنهم سوف يذهبون في القدس إلى حد التفاهم مع صلاح الدين بهدف تسهيل الاستيلاء على المدينة. والواقع أن مسيحيي القدس والمدن الساحلية سوف يكون بوسعهم البقاء حيث هم وصون ممتلكاتهم، بشرط دفع ضريبة رأس. هذه الأخيرة تنزلق من جديد من خزانة إلى أخرى، ولكن في اتجاه مضاد: فهي تنتقل الآن من خزينة المملكة اللاتينية إلى خزينة المملكة الإسلامية)[١].

(١) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٨٥).

وبدلاً من أن يتحالف أهل الذمة من النصارى مع إخوة الدين من الفرنجة، نجد وقائع محدودة يتحالف فيها هؤلاء مع المغول الوثنيين ضد المسلمين مما كلفهم بعد ذلك عملية تصفية حساب مريرة يستحقونها.

قال ابن كثير ﷺ في حوادث سنة ثمان وخمسين وستمائة حين دخول التتار دمشق بقيادة أمير منهم من قبل هولاكو[١] يقال له: «إبل سيان»: (وكان لعنه الله معظماً لدين النصارى، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم فعظمهم جداً، وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة وصولة بسببه، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو، وأخذوا معهم هدايا وتحفاً، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته[٢]. ودخلوا من باب توما، ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس، وهم ينادون بشعارهم ويقولون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح، ويذمون دين الإسلام وأهله، ومعهم أواني فيها خمر، لا يمرون على باب مسجدٍ إلا رشوا عنده خمراً، وقماقم ملآنة خمراً يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم... فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى، وذم دين الإسلام وأهله، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[٣].

---

(١) هولاكو (١٢١٧ ـ ١٢٦٥م): حفيد جنكيزخان المغولي. باطش جبار، أغار على الممالك الإسلامية الشرقية، وأعمل في أهلها السيف، حتى بلغ بغداد فحاصرها سنة (٦٥٦هـ ١٢٥٨م)، وتواطأ معه ابن العلقمي الرافضي، وزير المستعصم، فدخلها واستباحها، وقتل الخليفة والقضاة والعلماء، ثم احتل الشام، وعاد إلى إيران. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٤٨).

(٢) وهكذا صنع لعنه الله حين دخول بغداد، حيث استباح دماء المسلمين غدراً، وأمن اليهود والنصارى. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢) واتخذ لنفسه زوجة نصرانية، ويقال إنه اعتنق النصرانية سراً.

(٣) البداية والنهاية: (١٣/ ٢١٩).

لم يكن ثم مبررٌ لتلك المظاهرة الغادرة، سيما وأجواء الشام لا تزال معطرة بسيرة صلاح الدين الأيوبي وتسامحه مع خصومه، فلمَ هذا الحلف المغولي ـ النصراني الأحمق؟ ولم يمض سوى سبعة أشهر حتى انهزم المغول في عين جالوت، في العشر الأخير من رمضان من تلك السنة هزيمة منكرة، (فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب، فانتهبوا ما فيها، وأحرقوها، وألقوا النار فيما حولها، فاحترقت دور كثيرة إلى النصارى «كذا» ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة. وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل: إنه لم يكن منهم الطغيان كما كان من عبدة الصلبان)[١].

لم يقم المسلمون المنتصرون على الفرنج خلال هذين القرنين بعمليات تطهير ديني، وتهجير واسعة النطاق كما فعل الأسبان بالمسلمين، بل غاية ما في الأمر وقوع عمليات تأديب وثأر وانتصار.

ويشاء الله تعالى أن «ينقلب السحر على الساحر» وينعكس الأمر على أولئك النصارى الذين طمعوا في التعاون مع الغزاة الجدد لإطفاء نور الإسلام، فيقع ما لم يكن لهم بحسبان؛ ففي سنة أربع وتسعين وستمائة (مَلَكَ التتار «قازان» بن أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكيزخان، فأسلم وأظهر الإسلام على يدي الأمير «توزون» ﷺ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة وخرّب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية)[٢].

وهكذا يعز الله دينه، ويعلي كلمته بأقوام قدموا من أقصى المشرق ليجتثوه من أرضه، ويطمسوا معالمه، فأبى الله إلا أن يتم نوره،

---

(١) البداية والنهاية: (١٣/ ٢٢١).

(٢) البداية والنهاية: (١/ ٣٤٠).

فيخضع أولئك البرابرة الجفاة لقوة الإسلام الذاتية، وتأثيره العجيب بعد أن عجزت السيوف والرماح عن إخضاعهم. ويعوض الله المسلمين عما فقدوه في الحروب الصليبية، وفي الأندلس بأعدادٍ هائلة من المسلمين الجدد الذين أعادوا ترتيب «النِّسَب» السكانية، فتحول «أهل الذمة» إلى أقلية مطلقة[١].

المرحلة الرابعة: (٦٩٠هـ - ١٢١٣هـ):

لم تكد تطوى صفحة الصليبيين في بلاد الشام، وهم يستقلون مراكبهم هاربين من عكا سنة تسعين وستمائة (٦٩٠هـ - ١٢٩١م)، حتى فتحت صفحة جديدة من صفحات المواجهة الإسلامية النصرانية. لكن ميدان المعركة انتقل هذه المرة إلى الطرف الآخر، وعلى وجه التحديد على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية المتاخمة لممالك السلاجقة المسلمين.

لقد شهد النصف الأخير من القرن السابع الهجري نشأة إمارة صغيرة لقوم من الترك النازحين إلى هضبة الأناضول فراراً من بطش المغول، وإثر مشاركتهم في بعض المعارك المحلية منحهم سلطان «قونية» ثغراً على حدود سلطنته مع الإمبراطورية البيزنطية، انطلق منه هؤلاء المجاهدون يثخنون في الأرض، ويوسعون نفوذهم، حتى تأسست لهم دولة مستقلة على يد أميرهم عثمان بن أرطغرل، صارت فيما بعد أطول دولة في التاريخ عمراً، عرفت باسم الدولة العثمانية[٢].

---

(١) انظر: فصل «سبعة قرون من الأسلمة» في: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي التركي (٢٣ - ٣٧).

(٢) انظر في نشأة الدولة العثمانية وتاريخها: الفتوحات الإسلامية: دحلان، أحمد زيني. مطبعة السعادة - مصر. أحمد زيني دحلان. (٢/٨٩ - ٩٠)، صحوة الرجل المريض؛ د. موفق بني المرجة. دار البيارق - بيروت. الطبعة الثامنة=

اتجه آل عثمان إلى قتال الروم، ووطئت أقدامهم أراضٍ لم يطأها فاتح مسلمٌ من قبل. فقد تمكن السلطان عثمان (٦٩٩ ـ ٧٢٦هـ) من توسعة الإمارة التي ورثها عن أبيه أرطغرل أكثر من ثلاثة أضعاف ما كانت عليه، وتمكن من النفاذ إلى بحر «مرمرة» سنة سبع وسبعمائة، وفي آخر أيامه تم فتح مدينة بيزنطية عظيمة؛ بروسة. فنقل إليها خليفته وابنه السلطان «أورخان» كرسي مملكته ليكون قريباً من ساحات الفتوحات الجديدة في أوربا الشرقية، فافتتح مدينة «نيقوميدية» و«أزينق» من بلاد اليونان، وفتح مدينة «غليبولي» التي تعد مفتاح «القسطنطينية» سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة. وفي عهد ابنه السلطان الشهيد «مراد الأول» (٧٦١ ـ ٧٩٢هـ) تم فتح «أدرنة» في العام التالي لحكمه. ونقل إليها عاصمة مملكته، وأخضع معظم الأراضي البيزنطية بحيث صارت «القسطنطينية» محاصرة تماماً بالأراضي العثمانية، التي بلغت حدود مملكة الصرب وبلغاريا وألبانيا. وقد تحالف ملوك البوسنة وصربيا والمجر ضد العثمانيين ـ إثر سقوط أدرنة ـ بمباركة وتأييد من البابا «أربانوس»، وهاجموا المدينة المفتوحة فهزمهم السلطان عندها هزيمة منكرة سنة خمسٍ وستين وسبعمائة (٧٦٥هـ ـ ١٣٦٣م).

وتتواصل الفتوح العثمانية حتى تسقط بلغاريا في أيدي المسلمين، ويأسرون أميرها. وأمام هذا السيل الجارف من الانتصارات يتحالف أمراء أوربا الشرقية ضد السلطان مراد الأول، فتدور معركة حامية الوطيس، من معارك الإسلام الفاصلة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة

= (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، العثمانيون في التاريخ والحضارة: د. محمد حرب. دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م). د. محمد حرب (١٣، ١٥)، تاريخ المشرق العربي. د.عمر بن عبد العزيز عمر (٣٥ ـ ٣٨)، الشعوب الإسلامية: د. عبد العزيز سليمان نوار. دار النهضة العربية. بيروت. طبعة عام ١٩٧٣م. (٢٣ ـ ٢١٠).

(٧٩٢هـ ـ ١٣٨٩م) عرفت باسم «قوصووة» ينتصر فيها العثمانيون، ويؤسر ملك الصرب، ويقتل. ولكن السلطان مراد يقضي نحبه بطعنة غادرة من جندي صربي وهو يتفقد ساحة المعركة. ولكنه خلف أراضيَ شاسعة تبلغ خمسة أضعاف ما ورثه عن أبيه أورخان في مدى ثلاثين سنة تقريباً قضاها كَلَلهُ في الفتوح والجهاد.

وفي عهد ابنه السلطان «بايزيد الأول» الملقب بـ «الصاعقة»، استمرت الجيوش العثمانية النظامية المعروفة بـ «الإنكشارية» تنتقص أوربا من أطرافها، بطموحات عالية، وهمة مضاءة، ففتح رومانيا وألبانيا وجزيرة رودس، وحاصر «القسطنطينية» سبعة أشهر كاملة. فقام ملك المجر «سيجسموند» بالاستنجاد بالبابا لتكوين حملة صليبية أوربية حملت شعار: سحق الأتراك أولاً، ثم احتلال «القدس».

وتجمعت جيوش مجرية وألمانية وفرنسية وإنجليزية وإيطالية وإسبانية بلغ تعدادها مائة ألف مقاتل، وعبرت نهر الدانوب لتصطدم بجيوش بايزيد الصاعقة على مقربة من مدينة نيكوبولي «نيقوبوليس»، فتصعق بهزيمة نكراء سنة تسع وتسعين وسبعمائة (٧٩٩هـ ـ ١٣٩٦م) كانت هزيمة لأوربا كلها، وللنصارى عامة على يد آل عثمان.

لقد كان بايزيد الصاعقة يطمح إلى اجتياح أوربا كلها. وكان الأوربيون يدركون ذلك، فحينئذٍ يتجدد الحلف النصراني ـ المغولي الذي سبق أن أبرمه النصارى مع «هولاكو»، لكن في هذا الزمان مع طاغية مغولي آخر هو «تيمورلنك»[1]. فـ (في سنة اثنتين وثمانمائة اجتمع

---

(١) تيمورلنك (١٣٣٦ ـ ١٤٠٥م): ملك المغول، وحفيد جنكيزخان. ولد في كش بالقرب من سمرقند. اعتلىٰ العرش بدهائه وبطشه. فتح خوارزم وكشغر وفارس وسورية ومصر. خرب بغداد سنة ١٣٨٦م، واحتل موسكو، وانتصر على العثمانيين في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢م. انظر: المنجد في الأعلام (٢٠٠).

كثير من ملوك الروم الذين اقتلع ملكهم السلطان يلدرم[١] بايزيد، وساروا إلى تيمور مستغيثين به، يشكون إليه من السلطان بايزيد، ويرغبونه في المسير إلى الروم، يستنجدون به عليه في رد ممالكهم، فأجاب تيمور سؤالهم، وسار بجيوش كثيرة...)[٢]. وكان نهاية هذا السلطان المجاهد أن وقع أسيراً في يد تيمور، وتوفي في عاصمته تبريز.

قام السلطان «محمد الأول» (٨١٦ ـ ٨٢٤هـ) بلم شعث الدولة بعد تمزيقها، وإخماد الفتن والانشقاقات حتى استقرت الأمور، وخلفه ابنه السلطان «مراد الثاني» (٨٢٤ ـ ٨٥٥هـ)، وجرت بينه وبين ملوك أوربا وبابواتها حروبٌ وملاحم عظيمة تراوحت بين نصرٍ وهزيمة، ولكنها أسفرت في نهاية المطاف عن إخضاع الصرب والبوسنة وبلاد المورة، وضرب الجزية على الأقاليم المجاورة.

ولما آل الأمر إلى «محمد الثاني» (٨٥٥ ـ ٨٨٦هـ) الملقب بالفاتح، استهل ولايته بالتهيؤ لفتح القسطنطينية، فتم ذلك فعلاً سنة سبع وخمسين وثمانمائة (٨٥٧هـ ـ ١٤٥٣م). وكان حدثاً هاماً اهتز له العالم الإسلامي فرحاً وسروراً، وهز أوربا وسائر النصارى في العالم حزناً وثبوراً، وسقطت الدولة البيزنطية العريقة، واعتبر ذلك التاريخ مبدءاً للتاريخ الحديث، لجلالة المناسبة وعميق آثارها. وتحولت مدينة قسطنطين «القسطنطينية» إلى مدينة الإسلام «إسلامبول»، وصارت كنيستها العظمى «أياصوفيا» جامعاً للمسلمين[٣].

---

(١) يلدرم تعني «الصاعقة» بالتركية.

(٢) الفتوحات الإسلامية (٢/ ١٠١).

(٣) انظر: في تفاصيل هذا الفتح العظيم وسيرة محمد الفاتح: محمد الفاتح د. سالم الرشيدي، محمد الفاتح: عبد السلام فهمي.

وقد تابع السلطان محمد فتوحاته حتى أخضع بلاد المورة والصرب والبوسنة والأرناؤوط وألبانيا، إلى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة (٨٧١هـ ـ ١٤٦٧م). ثم ولى وجهه نحو بلاد القرم فأخضعها سنة تسع وسبعين وثمانمائة (٨٧٩هـ ـ ١٤٧٥م). أما أهم دولتين في أوربا ذلك العهد، وهما جمهوريتا البندقية وجنوة فقد اضطرتا للصلح مع السلطان محمد الفاتح، والتنازل عن كثيرٍ من المواقع.

لقد كان النصف الثاني من القرن التاسع الهجري يمثل قمة تألق الدولة العثمانية وقوتها ونفوذها بحيث لا تساميها دولة من دول العالم آنذاك. وكان فاتح القسطنطينية يطمح إلى فتح «روما»، معقل البابوية، لولا أن عاجله الأجل سنة ست وثمانين وثمانمائة (٨٨٦هـ ـ ١٤٨١م)، بعد حكم دام أكثر من ثلاثين سنة، أبلاها في الحروب والفتوح وتسطير الأمجاد الخالدة، رحمه الله رحمة واسعة.

وفي نهاية القرن التاسع سجل التاريخ ثلاثة أحداث كبار:

١ ـ سنة ستٍ وثمانين وثمانمائة (٨٨٦هـ ـ ١٤٨١م) وصل الرحالة البرتغالي «فاسكو دي جاما» إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح.

٢ ـ سنة سبعٍ وتسعين وثمانمائة (٨٩٧هـ ـ ١٤٩٢م) وصل الرحالة الأسباني كريستوفر كلومبس إلى إحدى جزر الهند الغربية ـ كما كان يظن ـ وتم اكتشاف قارة أمريكا.

٣ ـ في نفس العام كان سقوط «غرناطة» آخر ممالك المسلمين في الأندلس على يد النصارى الأسبان، وجرى طرد المسلمين من أسبانيا إلى الشمال الأفريقي.

لقد كان للحدثين الأولين آثار استراتيجية، واقتصادية بالغة الأثر في تغيير ميزان القوى لصالح الغرب النصراني. كما كان للحدث الثالث أثر نفسي في رد الاعتبار، والثأر الديني لنصارى أوربا لقاء الهزائم

المتكررة التي منوا بها في الجانب الشرقي من قارتهم، لا سيما سقوط القسطنطينية.

وتجددت الأمجاد الإسلامية في عهد أشهر سلاطين «آل عثمان» وهو السلطان «سليمان القانوني» (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ)، الذي هز أركان أوربا بفتوحاته العظام، وجهاده الدؤوب في كل صوب، ومن أشهر مآثره:

* فتح «بلغراد» سنة سبع وعشرين وتسعمائة (٩٢٧هـ ـ ١٥٢١م).

* هزيمة الجيش المجري وحلفائه الألمان والنمساويين في معركة «موكر»، وقتل ملك المجر، القائد الأعلى للقوات النصرانية «لويس الثاني»، سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة (٩٣٢هـ ـ ١٥٢٦م)، والاستيلاء على العاصمة المجرية «بشت»، التي تعرف الآن باسم «بودابست»، وخضوع مملكة المجر للحماية العثمانية.

* حصار «فيينا» عاصمة النمسا، سنة خمسٍ وثلاثين وتسعمائة (٩٣٥هـ ـ ١٥٢٩م)، وفرار الأرشيدوق النمسوي «فرديناند» منها، والإغارة على الأراضي الألمانية.

* تجريد حملة عثمانية بقيادة السلطان عرفت باسم الحملة العثمانية على ألمانيا لتأديب أسرة «هابسبرج» العريقة، اخترقت البلقان والمجر والنمسا إلى ألمانيا، فاضطر «فرديناند» ملك النمسا إلى التوقيع على معاهدة صلح مذلة، ودفع جزية سنوية قدرها ثلاثون ألف دوق ذهباً للخزينة العثمانية.

* استعادة مدينة «بودين» المجرية سنة ثمان وأربعين وتسعمائة (٩٤٨هـ ـ ١٥٤١م) وتحويل أضخم كنائسها إلى جامعٍ للمسلمين، وتعيين ملكٍ للمجر من قبل السلطان.

* القضاء على حملة صليبية بإشراف البابا بول الثالث، ومشاركة

ملكي النمسا والمجر سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (٩٥١هـ ـ ١٥٤٣م)، وإلزامهما بدفع الجزية. ولما نقض النصارى المعاهدة قام أمراء سليمان القانوني بتأديب النمساويين وإلزامهم بالاعتراف بالحماية العثمانية لمملكة المجر، ودفع الجزية سنة تسع وستين وتسعمائة (٩٧٩هـ ـ ١٥٦٢م).

كانت هذه الانتصارات المجيدة في ميادين القتال البرية، يقابلها على ثبج البحار انتصارات مماثلة جعلت من البحر الأبيض المتوسط شبه بحيرة عثمانية تروح فيها أساطيلهم وتغدو، كما جحافلهم البرية، فمن أشهر الوقائع البحرية في عهد السلطان سليمان القانوني:

■ فتح جزيرة «رودس» سنة ثمان وعشرين وتسعمائة (٩٢٨هـ ـ ١٥٢٢م)، وانتزاعها من فرسان القديس يوحنا. وكانت قلعتها أقوى قلعة بحرية في العالم آنذاك. وقد استعصت على الأسطول العثماني سنة خمسٍ وثمانين وثمانمائة زمن السلطان محمد الفاتح.

■ كسر الأسطول الصليبي المتحالف في موقعة «بَرَوَزة» سنة خمسٍ وأربعين وتسعمائة (٩٤٥هـ ـ ١٥٣٨م)، الذي دعا لتكوينه البابا «بول الثالث»، وقاده أشهر القادة البحريين في العالم حينذاك «أندريا دوريا»، وضم ثلاثمائة قطعة بحرية. فهزمهم القائد العثماني «خير الدين برباروس»، الذي لم يكن تحت يده سوى مائة وعشرين قطعة.

■ هزيمة أسطول «شرلكان» ملك الألمان سنة ثمان وأربعين وتسعمائة (٩٤٨هـ ـ ١٥٤١م)، وصده عن مهاجمة الجزائر.

■ تحرير «طرابلس الغرب» من احتلال فرسان مالطة النصارى، ومحاصرتهم سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩هـ ـ ١٥٥٢م) على يد قبطان البحر العثماني «طورغود رئيس».

■ كما قامت القوات البحرية العثمانية بأربع حملات بحرية تأديبية

للبرتغاليين المعتدين على مسلمي الهند، بعد اكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، منذ عام أربعٍ وأربعين وتسعمائة (٩٤٤هـ ـ ١٥٣٨م) إلى أربع وستين وتسعمائة (٩٦٤هـ ـ ١٥٥٧م).

وتوفي السلطان سليمان القانوني، بعد حكم دام ثمانٍ وأربعين سنة، عام أربعٍ وسبعين وتسعمائة (٩٧٤هـ ـ ١٥٦٦م). يقول الدكتور محمد حرب: (كان عهد القانوني قمة العهود العثمانية سواءً في الحركة الجهادية، وفي الناحية المعمارية والعلمية والأدبية والعسكرية. كان هذا السلطان يؤثر في السياسة الأوربية تأثيراً عظيماً، وبمعنى أوضح كان هو القوة العظمى دولياً في زمنه. نعمت الدولة الإسلامية العثمانية في عهده بالرخاء والطمأنينة)[1].

شهد آخر القرن العاشر بعد وفاة سليمان القانوني فتح العثمانيين لجزيرة «قبرص» وانتزاعها من أهل «البندقية» سنة تسع وسبعين وتسعمائة (٩٧٩هـ ـ ١٥٧١م)، ثم أعقبه اتحاد نصراني مكون من أسبانيا والبندقية والبابوية أخذوا المسلمين على حين غرة وهزموهم في معركة «لينتر البحرية» في نفس السنة.

أما القرن الحادي عشر الهجري فقد كان قرناً جهادياً حافظ العثمانيون فيه بشكلٍ عام على تفوقهم العسكري، وأخضعوا الشعوب الأوربية المتمردة تحت ولايتهم، كما أضافوا عدداً من الفتوحات والانتصارات الهامة، باستثناء فترة اضطرابٍ قصيرة في مستهل ولاية السلطان «محمد الرابع».

ومن أبرز أحداث ذلك القرن على صعيد العلاقات الإسلامية النصرانية:

١ ـ فتوح في المجر في مطلع القرن، زمن السلطان «محمد

---

(١) العثمانيون في التاريخ والحضارة (٨٩).

الثالث» (١٠٠٣ هـ - ١٠١٢هـ)، ثم نصر عظيم على التحالف الأوربي في سهل «كرزت» سنة أربعٍ بعد الألف (١٠٠٤هـ - ١٥٩٦م).

٢ - تأديب المتمردين من أهل بولونيا وهم من القوزاق، والقضاء على المتحالفين معهم من الروس والفرنسيين والنمساويين سنة ثلاثين بعد الألف (١٠٣٠هـ - ١٦٢١م) إثر معارك طاحنة بقيادة السلطان «عثمان» (١٠٢٧هـ - ١٠٣١هـ) وفرض عليهم الجزية.

٣ - فتح جزيرة «كريت» وانتزاعها من البنادقة سنة ثمانين بعد الألف (١٠٨٠هـ - ١٦٦٩م).

٤ - غزو بولندا سنة ثلاث وثمانين بعد الألف (١٠٨٣هـ - ١٦٧٢م).

٥ - حصار مدينة «فيينا» سنة إحدى وتسعين (١٠٩١هـ - ١٦٨٠م)، ثم حصارها مرة ثانية سنة أربعٍ وتسعين (١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م). وتم فك الحصار على أيدي قوات مشتركة من النمسا وألمانيا وبولونيا وسائر الأمم الأوربية، وأوقعت بالمسلمين خسائر فادحة. ويبدو أن هذه الحادثة رفعت معنويات النصارى المنحطة وأيقظت فيهم روح الأمل في التحرر من الهيمنة العثمانية. ويصف أحمد زيني دحلان[1] تلك التغييرات بعد حادثة «فيينا» بقوله: (.. وبعد تلك الوقائع الشديدة، والحروب المهولة، أخذ البابا يحرض أهل أوربا على طرد المسلمين من قرة بلادهم، فاجتمعت العساكر من كل الجهات، وصمموا على

(١) أحمد بن زيني دحلان (١٢٣٢ - ١٣٠٤هـ) فقيه، مكي، مؤرخ. ولد بمكة، وتولى فيها الإفتاء والتدريس. وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة، فطبع فيها بعض كتبه. ومات في المدينة، من تصانيفه «الفتوحات الإسلامية». وكان من أعداء دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ﷺ وقد شوه سمعتها، وافترى عليها برسالة ظالمة جائرة نشرها بين الحجيج عنوانها: «رسالة في الرد على الوهابية». انظر: الأعلام (١/ ١٢٩).

إخراج المسلمين من أوربا. فتكفلت النمسا، وتكفلت مقدونيا ببلاد بولونيا، والبندقية وغيرهم من ساكني شطوط البحر الأبيض في دلمانيا ـ هكذا ـ بكثير من البلاد، وزحفوا على بلاد الدولة العثمانية من جميع الأطراف، فكانت عساكر الدولة تحارب الإفرنج من جملة أماكن، والبابا يحرض الإفرنج على التجلد والقتال وأنجدهم بجيوش كثيرة)[1].

وفعلاً، مُني العثمانيون في نهاية القرن الحادي عشر بخسائر فادحة بلغت إلى حد حصار النمساويين لبلغراد. وبعد معارك متعددة في عهد السلطان «مصطفى الثاني» (١١٠٦هـ ـ ١٦١٥م) تراوحت بين النصر والهزيمة، وقعت معاهدة «كارلونز» سنة عشر ومائة بعد الألف (١١١٠هـ ـ ١٦٩٩م).

لقد تم في هذه المرحلة نشر الإسلام في مواطن كثيرة من آسيا وأوربا لم تبلغها دعوة الإسلام من قبل، واعتنقت شعوب وأعراق بأكملها هذا الدين في فترة وجيزة. فقد اعتنق الألبان الإسلام وظلوا يشكلون غالبية سكان ألبانيا رغم عمليات التهجير والاضطهاد النصراني والشيوعي التي تمت فيما بعد. كما دخل «البوغوميليون»[2] في دين الإسلام أفواجاً في بلاد البوشناق وبلغاريا وغيرهما. كما انتشر الإسلام في رومانيا واليونان وقبرص. وكذلك الحال في الجانب الآسيوي من القرم والشراكسة «الداغستان» وغيرهم، وامتزجت هذه القوميات في هذا الكيان الإسلامي الكبير، وانتقلت أعداد كبيرة من الألبان والأرناؤوط والشركس والقرم إلى المشرق الإسلامي في مصر والشام والعراق لدواعٍ أمنية ووظيفية واقتصادية متنوعة. كما استقر عشرات الآلاف من الأتراكَ

---

(١) الفتوحات الإسلامية: (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(٢) انظر: البوغوميليون والمسيحيون والبوسنة. لطفي المعوش. مجلة الاجتهاد (٢٩/ ١٠٧ ـ ١١٦)، وانظر أيضاً: الدعوة إلى الإسلام. السير توماس أرنولد، ومحمد الفاتح د. سالم الرشيدي (١٩٨ ـ ١٩٩).

المسلمين في البلاد المفتوحة شرق أوربا، وشادوا معالم الإسلام التي لا تزال شواهدها باقية حتى يومنا هذا في دول البلقان. وصار المسلمون، رغم كل ما تعرضوا له من صنوف القهر والفتنة ـ ولا يزالون ـ جزءاً لا يتجزأ من بنية الشعوب الأوربية الشرقية. ولولا الوضع القلق والفتن والقلاقل المتابعة لاعتنقت تلك الشعوب الإسلام بالكلية.

أما القرن الثاني عشر الهجري فقد كان قرن المجابهة مع الروس الذين نهضت دولتهم على يد قيصرهم «بطرس الأكبر»، الذي اعتدى على الأراضي العثمانية في «أزاق»، فأعلنت إستانبول الحرب على روسيا سنة ثلاث وعشرين بعد المائة والألف (١١٢٣هـ ـ ١٧١١م)، وانتصرت على القوات الروسية عند نهر «بروث»، حتى حاق الخطر بالقيصر، فلجأت زوجته «كاترينا» إلى إبرام معاهدة «بروث» المذلة لهم. ثم استغلت روسيا انشغال العثمانيين بمحاربة العجم فتحالفت مع النمسا، وأشهرت الحرب ضد العثمانيين لكنهما منيتا بالهزيمة سنة ثمانٍ وأربعين (١١٤٨هـ ـ ١٧٣٥م).

وهكذا انقضى النصف الأول من القرن الثاني عشر وكفة المسلمين راجحة ضد الروس، بالإضافة إلى استرجاع بلاد المورة من جمهورية البندقية سنة سبعٍ وعشرين (١١٢٧هـ ـ ١٧١٥م). أما النصف الثاني منه فكانت الكفة تميل فيه لصالح الروس، فقد هُزم العثمانيون في موقعة «شكزم» سنة اثنتين وخمسين (١١٥٢هـ ـ ١٧١٥م). واتبعها توقيع معاهدة بين الطرفين في بلغراد، وسرعان ما نقضت «كاترينا الثانية» ملكة روسيا المعاهدة واعتدت على بلاد «القرم». فأعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا سنة اثنتين وثمانين (١١٨٢هـ ـ ١٧٦٨م). ولكنها هزمت في معركة «جزيرة خيوش» البحرية سنة أربعٍ وثمانين (١١٨٤هـ ـ ١٧٧٠م)، ثم عقدت معاهدة «كجوق كينارجه» سنة

١١٨٨هـ، ثم معاهدة القسطنطينية سنة ١١٩٨هـ إثر ضم روسيا بلاد القرم إليها سنة (١١٩٧هـ ـ ١٧٨٣م). واستمر التفوق الروسي في مطلع القرن الثالث عشر على حساب الممالك العثمانية في صربيا والمجر حتى أبرمت معاهدة «باسي» بتوسط دولة إنجلترا ودولة بروسيا.

لقد شاخ هذا المحارب القديم، وأثخنته الجراحات الداخلية والخارجية، وتكالبت عليه الأعداء ينهشونه من كل جانب، وهو يحاول أن يستمسك ويستقيم، ولكنه يترنح ويهتز أمام أمم فتية ناشطة يؤلف بينها الحقد الصليبي وثارات التاريخ، كما يطعن في خاصرته الباطنيون من أحفاد هولاكو وتيمورلنك، مرتدين عباءة التشيع في أجزاء كثيرة من بدنه المترهل. وكانت قاصمة الظهر حقاً لهذا الكيان الإسلامي المتقادم، أن رفض دعوة التوحيد والتجديد التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر على يد الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[1]، والتي كانت مرشحة حقاً لبث روح الصفاء

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، التميمي، النجدي، الإمام المجدد المصلح. ولد سنة ١١١٥هـ في بلدة «العيينة». حفظ القرآن دون العاشرة، وتتلمذ في صباه على والده، قاضي العيينة ثم حريملاء. ثم رحل في طلب العلم إلى الحرمين والشام والبصرة. وكان شغوفاً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، عظيم التأثر بمنهجهما السلفي في الاعتقاد والعمل. فعاد إلى نجد يدعو إلى إخلاص التوحيد، ونبذ الشرك، ومحاربة البدع الاعتقادية والعملية، فلقي معارضة وتخذيلاً، حتىٰ ناصره أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ وجاهد في سبيل نشر دعوته هو وأبناؤه من بعده، حتى دانت لهم معظم الجزيرة العربية، وبلغوا أطراف الشام والعراق. وعرف أتباعه بأهل التوحيد، ونبزهم خصومهم بالوهابية، إيهاماً بأنهم قد استحدثوا مذهباً جديداً. وسرىٰ هذا المصطلح إلى كتب الغربيين وغيرهم. وكان لدعوته الإصلاحية ﷺ تأثير في نشوء اليقظة الدينية في كثير من مناطق العالم الإسلامي. توفي ﷺ في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ. من آثاره: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وأصول الإيمان. ورسائل متعددة. انظر: =

والنقاء العقدي في جسم الدولة العثمانية، الذي أنهكته الطرق الصوفية البدعية، والمظاهر الشركية، لكن علماء السوء، وبطانة الشر ما زالت تفتل في الذروة والغارب حتى حملت «الباب العالي» على إيصاد أبوابه في وجه دعوة الحق، وتجريد الحملات المتتابعة للقضاء على الدعوة السلفية في نجد والحجاز. ولا عجب أن نرى الاقتران التام بين هذا الموقف العدائي وأفول نجم الدولة العثمانية.

لقد أخطأت الدولة العثمانية حين تعاملت مع دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتعاملها مع «إسماعيل الصفوي[1]» أو «فخر الدين المعني[2]» أو غيرهما من أصحاب الضلالات العقدية أو المطامح الدنيوية. كان اللائق بدولة جهادية تقف على ثغور المسلمين أن تعنى بالبناء الداخلي والإصلاح العقدي وتنقية المجتمعات الإسلامية مما شابها من البدعة والشرك والفسوق، وكانت جميع هذه العناصر

= تاريخ ابن غنام، والكتب المؤلفة باسمه للندوي وابن حجر آل أبي طامي وغيرهم. وانظر: الأعلام (٦/ ٢٥٧).

(١) إسماعيل الصفوي (١٤٨٧ ـ ١٥٢٤م): ولد في أردبيل، وتوفي فيها. مؤسس الدولة الصفوية في إيران. استولى على أذربيجان وفارس. تلقب بالشاه سنة ١٥٠٣م. وسع ممتلكاته إلى هراة شرقاً، وبغداد جنوباً، وفرض سيادته على كربلاء والنجف، ونشر مذهب الرافضة. اصطدم بالعثمانيين، فكسروه في معركة جالدران ١٥١٤م. انظر: المنجد في الأعلام (٤٤)

(٢) فخر الدين المعْني (٩٨٠ ـ ١٠٤٤ = ١٥٧٢ ـ ١٦٣٥م) فخر الدين (الثاني) ابن قرقماس ابن فخر الدين الأول، من آل معن. من أكبر أمراء هذه الأسرة من دروز الشوف بلبنان. ولي سنة ١٠١١هـ، عظم أمره واستولىٰ على صيدا وصفد وبيروت، وناوأ حكومة الأستانة، فجرّدت حملة للقضاء عليه، ففر إلى إيطاليا، ثم عفي عنه وأعيد إلى إمارته، ولقب بسلطان البر، فطمع في التوسع مجدداً، فقبض عليه سنة ١٠٤٣هـ، فسجن في الأستانة مدة، ثم عفىٰ عنه السلطان واستبقاه، ثم كثرت الوشايات فيه فقتله وولديه.

والمؤهلات مجتمعة في دعوة التوحيد السلفية مضافاً إليها روح الجهاد، وحب الاستشهاد، ولكن هذا الأمل لم يقع، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وهكذا أطل القرن الثالث عشر الهجري على الساحة الإسلامية وهي تشهد تراجعاً وانحساراً في خطوط المواجهة مع النصارى الأوربيين والروس، الذين أخذوا يخطون خطواتٍ واسعة في ميادين التقدم المادي والصناعي، ويرمقون الممالك الإسلامية التابعة للدولة العثمانية بنظراتٍ طامعة حاقدة.

المرحلة الخامسة: (١٢١٣هـ - ١٣٦٨هـ):

تمثل هذه المرحلة فترةً تمتد من قيام الحملة الفرنسية على مصر عام ثلاثة عشر بعد المائتين وألف (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) وتنتهي بالإعلان عن قيام دولة يهود (إسرائيل) فوق أرض فلسطين عام (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م).

والسمة العامة لهذه المرحلة هي التقهقر السياسي والعسكري والعلمي للأمة الإسلامية مقابل النمو الأوربي المطرد في كافة المجالات المادية مما أفضى إلى انهيار الخلافة العثمانية، وطي بساطها من أوربا الشرقية، ثم احتلال البلدان الإسلامية العريقة من قبل الاستعمار الأوربي بشكل لم يسبق له مثيل حتى في الحروب الصليبية.

والمتغير الوحيد في هذه المرحلة عن مرحلة الحروب الصليبية أن الحكومات الأوربية المتأثرة بالثورة الفرنسية (١٧٨٩م) العلمانية باتت أكثر دهاءً، وغزت المجتمعات الإسلامية بأسلحتها المتفوقة، تحت شعارات منمقة لا تحمل الطابع الديني الصليبي، بل تحاول أن تتجنب استفزاز المشاعر الإسلامية، وتتستر تحت لافتات سياسية مثل «الانتداب» و«الوصاية» و«الحماية»... إلخ.

ومن أبرز الحوادث التاريخية التي ترسم معالم هذه المرحلة ما يلي:

١ ـ **الحملة الفرنسية على مصر:** بعد عشر سنوات تقريباً من قيام الثورة الفرنسية جرد «نابليون بونابرت»[1] حملة بحرية للاستيلاء على مصر، أسوة بأسلافه الصليبيين الذين كان آخرهم «لويس التاسع». فرست العبّارة الفرنسية أمام شواطئ الإسكندرية في المحرم من سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف (١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م). وبث نابليون مرسوماً في المصريين تضمن العبارات الخادعة التالية: (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له، ولا شريك له في ملكه، من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية، السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونوبارته يُعَرِّف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد، الصناجق[2] الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون في الذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة، يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها مثله. فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم. يا أيها المصريون: قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين. وإنني أكثر

---

(١) نابليون (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م): ولد في أجاكسيو، من عائلة بونابرت. إمبراطور فرنسا (١٨٠٤ ـ ١٨١٥). اشتهر في حملة على إيطاليا مرتين، قاد حملة على مصر سنة (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩)، وجلب إليها مطبعة من الفاتيكان. تحالفت أوربا ضده، فهزم في معركة «واترلو» سنة ١٨١٥، فنفي إلى جزيرة سانت هيلانة، حيث توفي. انظر: المنجد في الأعلام (٧٠٣).

(٢) الصناجق: كلمة تركية تعني هنا الحكام على جزء من الولايات العثمانية.

من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى، وأحترم نبيه والقرآن العظيم...

أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية[١] وأعيان البلد: قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في «رومية الكبرى»، وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام. ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردوا منها «الكواللرية» الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك، الفرنساوية في كل وقتٍ من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه...)[٢].

بهذه المزايدات الرخيصة، والتلون الساخر أراد هذا الداهية أن يطمأن جموع المسلمين إلى سلامة أهدافه ونبلها، وادعاء الإسلام، وتعظيم النبي والقرآن والسلطان أمام السذج الجهلة من العامة، وأرباب الطرق الصوفية وأتباعهم، الذين كانوا جمهور الناس في تلك الحقبة المنحطة وللأسف، بلغة سوقية منحطة، قصد بها مخاطبة الغوغاء. وتكشف أحداث هذه الواقعة عن مدى التضعضع العقدي والاجتماعي والنفسي الذي آلت إليه المجتمعات الإسلامية، فضلاً عن الفوضى السياسية، وانفراط عقد الأمن والتدبير في مواجهة هذا الخطر الداهم[٣].

مكث الفرنسيون في مصر حتى جمادى الأولى سنة ست عشرة

---

(١) الجربجية: مصطلح تركي يعني زعماء العساكر الإنكشارية.

(٢) انظر: النص الكامل في تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن. دار الجيل ـ بيروت. (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٤).

(٣) انظر في وصف الواقع السياسي والاجتماعي والديني ما كتبه المؤرخ النابه، والناقد البصير عبد الرحمن الجبرتي في تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٢/ ١٧٩ ـ ٥٠٠).

ومائتين وألف (١٢١٦هـ ـ ١٨٠١م)، ولولا وجود منافس آخر في الساحة من طينتهم، وهم الإنكليز، لبقوا أكثر من ذلك. فقد كان الإنكليز يحسدون الفرنسيين على هذه «الغنيمة الباردة» فتظاهروا بمساندة الدولة العثمانية لطرد الفرنسيين، وإزاحتهم عن ميدان الصراع واقتسام الغنائم.

وقد كان لهذه الحملة آثار ثقافية واجتماعية على المجتمع المصري[1]، كما كشفت عن تواطؤ الأقباط مع أهل ملتهم، وسومهم ـ لما تمكنوا ـ المسلمين العذاب[2].

٢ ـ الحملة الإنكليزية على مصر: جرَّد الانكليز حملةً عسكرية على مصر، في غرة محرم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف (١٢٢٢هـ ـ ١٨٠٧م)، فاستولوا على الإسكندرية. ثم تصدى لهم «محمد علي باشا»[3] (١١٨٣هـ ـ ١٢٦٥هـ) فهزمهم، وعقد معهم صلحاً فغادروا البلاد في شهر رجب من تلك السنة[4].

٣ ـ ثورة اليونان: أدى الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية، وهزائمها المتوالية أمام الجيوش الروسية في البلقان إلى طمع اليونانيين

---

(١) انظر: في المصدر السابق على سبيل المثال (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧، ٤٨٦).
(٢) انظر: في المصدر السابق على سبيل المثال (٢/ ٢٥٠، ٣٤٧، ٤٣٧، ٤٩١).
(٣) محمد علي باشا (١١٨٤ ـ ١٢٦٥هـ= ١٧٧٠ ـ ١٨٤٩م): محمد علي بن إبراهيم أغا بن علي، ألباني الأصل مستعرب. ولد في «قولة» التابعة الآن لليونان، واحترف تجارة الدخان، فأثرىٰ، ولي مصر سنة ١٢٢٠هـ فقضىٰ على المماليك سنة ١٢٢٦هـ غدراً. أوعزت إليه الحكومة العثمانية أن يجرد حملة للقضاء على الدولة السعودية الأولىٰ، وشارك في حرب «المورة»، واستولىٰ على سورية، ثم قايض الدولة العثمانية على ردها لقاء أن يكون حكم مصر وراثياً في أسرته. أرسل البعثات التعليمية إلى أوربا، وبنىٰ المدارس والمعامل في مصر. اعتزل الأمور لابنه إبراهيم سنة ١٢٦٤هـ. انظر: الأعلام (٦/ ٢٩٨).
(٤) انظر: تاريخ عجائب الآثار (٣/ ١٧٦ ـ ٢١٤).

في الاستقلال. فشبت نار الثورة في بلاد المورة سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف (١٢٣٧هـ ـ ١٨٢٦م)، فعقدت الدول الأوربية الكبرى مؤتمراً في لندن ذلك العام بدعوى الاحتجاج على الممارسات غير الإنسانية لإبراهيم باشا[1]، ودمروا السفن العثمانيين والمصرية، واحتلت فرنسا بلاد المورة سنة أربع وأربعين (١٢٤٤هـ ـ ١٨٢٨م). ثم أرغمت روسيا والدول الأوربية العثمانيين على القبول باستقلال اليونان في معاهدة «أدرنة» سنة خمسٍ وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٥هـ ـ ١٨٢٩م).

٤ ـ احتلال فرنسا للجزائر: وذلك سنة ست وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٦هـ ـ ١٨٣٠م)، بدعوى أن أهلها كانوا يعتدون على مراكبهم البحرية!. وظلت الجزائر رهينة الأسر مدة مائة وخمسة وثلاثين عاماً، حتى انسحابهم منها سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف، تحت وطأة الجهاد الإسلامي المستميت (١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م).

٥ ـ احتلال الإنكليز لعدن والسيطرة على مضيق باب المندب: سنة أربع وستين ومائتين وألف (١٢٦٤هـ ـ ١٨٣٩م). وقد بقيت تحت نير الاحتلال حتى، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).

---

(١) إبراهيم «باشا» بن محمد علي «باشا» (١٢٠٤ ـ ١٢٦٤هـ) قائد بعيد المطامح، من ولاة مصر. قدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة ١٢٢٠هـ، فتعلم بها، وأرسله أبوه، أو متبنيه محمد علي سنة ١٢٣١هـ بحملةٍ إلى الحجاز ونجد، ثم إلى بلاد المورة ـ اليونان ـ ١٢٩٣هـ، ثم إلى سورية سنة ١٢٤٧هـ، فانقادت له بلاد الشام. ودخل في معارك طاحنة مع الدولة العثمانية، ظفر في معظمها حتى قارب الأستانة. وفي عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٢٥٤هـ اتفق مع الإنجليز على إخراجه من سورية، فعاد إلى مصر سنة ١٢٥٦هـ في مدة ولاية محمد علي الذي تنازل له، وجاء الفرمان من الأستانة بتوليته، ثم مات قبل وفاة محمد علي. انظر: الأعلام (١/ ٧٠).

٦ ـ **سقوط رومانيا واستقلالها عن الدولة العثمانية**: سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٣هـ ـ ١٨٥٧م)، بعد حكم دام أكثر من أربعة قرون ونصف.

٧ ـ **حرب القرم**: بين الحكومة العثمانية وحلفائها الإنكليز والفرنسيين من جهة، وروسيا من الجهة الأخرى سنة تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٩هـ ـ ١٨٥٣م) بسبب تحرشات الروس بالعثمانيين وإهانتهم إياهم، واستمرت حتى توقيع معاهدة باريس سنة ثلاث وسبعين (١٢٧٣هـ ـ ١٨٥٦م). وقد أنهكت هذه الحرب الدولة العثمانية وفقدت أجزاء من أراضيها، وزادت من نفوذ الإنكليز والفرنسيين في سياسات الحكومة العثمانية تجاه الأقليات النصرانية، وغيرها.

٨ ـ **سقوط الهرسك**: سنة ثلاث وتسعين ومائتين (١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م) بمساندة الروس والدول المجاورة في أول ولاية السلطان عبد الحميد الثاني، وقد امتدت الحرب وتقهقر العثمانيون إلى قرب أدرنة. وأعقب ذلك معاهدة تقضي بتملك الروس لتلك البلاد، ويبقى للعثمانيين أدرنة ـ عاصمتهم القديمة ـ وما يليها إلى إستانبول مع تحميلهم دفع غرامة الحرب. وتلتها معاهدة برلين ١٨٧٨م التي كانت أشد إذلالاً.

٩ ـ **احتلال الفرنسيين تونس**: سنة سبع وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٧هـ ـ ١٨٨١م) بدعوى تأديب بعض قبائل العرب المعتدين! وظلت تونس بأيديهم ثمان وسبعين سنة حتى نالت استقلالها سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م).

١٠ ـ **احتلال الإنكليز لمصر**: سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٨هـ ـ ١٨٨٢م) للقضاء على ثورة «عرابي باشا»[1]، والتحكم في

---

(١) عرابي باشا (١٢٥٧ ـ ١٣٢٩هـ = ١٨٤١ ـ ١٩١١م) أحمد عرابي بن محمد=

ولاتها من أحفاد محمد علي باشا ثم احتلال السودان تبعاً لمصر. وقد ظل الإنكليز في مصر حتى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م)، وفي السودان إلى ما بعد ذلك بسنتين.

١١ ـ انعقاد المؤتمر الصهيوني في مدينة «بال» بسويسرا: سنة ١٨٩٧م الذين ضم زعامات اليهود في العالم لرسم الخطط للسيطرة على العالم، وإنشاء وطنٍ قومي لليهود على أرض فلسطين.

١٢ ـ سقوط بلغاريا: سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢٨هـ ـ ١٩٠٨م) بعد حكم دام أكثر من خمسة قرون.

١٣ ـ قيام ثورة جمعية الاتحاد والترقي العلمانية التركية وخلع السلطان عبد الحميد الثاني[1]: سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف

= عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم. زعيم مصري. ولد في قرية رزنة من قرى الزقازيق بمصر، وجاور في الأزهر سنتين، ثم انتظم جندياً في الجيش سنة ١٢٧١هـ، وبلغ رتبة «أميرالاي». تزعم هو وبعض الضباط حركة تتضمن مطالب وطنية أيام الخديوي توفيق فاعتقل ثم أفرج عنه، وجعل وكيلاً لنظارة الجهادية، وأنعم عليه بلقب لواء «باشا». وبعد استيلاء الإنجليز على مصر سنة (١٢٩٩هـ ١٨٨٢م)، نفوه إلى جزيرة سيلان سنة ١٣٠٠هـ، فمكث فيها ١٩ عاماً، ثم عاد إلى مصر أيام الخديوي عباس، وتوفي بالقاهرة. انظر: الأعلام (١/١٦٨).

(١) السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ ـ ١٩١٨م) عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد العثماني، آخر سلاطين آل عثمان الفعليين. ورث مملكة مترامية الأطراف يتربص بها الأعداء من كل جانب. حاول أن يحيي فكرة الجامعة الإسلامية لمواجهة الأطماع الأوربية المتنامية لتقاسم إرث الرجل المريض كما كانوا يصفون الخلافة العثمانية، ولكنه فشل بسبب مؤامرات جمعية الاتحاد والترقي التي عزلته عن منصبه سنة ١٩٠٩م، ونصبت سلاطين صوريين بعده. وقد شوهت سيرته من قبل الغربيين والنصارى العرب. انظر: مذكرات السلطان عبد الحميد، صحوة الرجل المريض.

(١٣٢٩هـ ـ ١٩٠٩م) الذي كان آخر خليفة عثماني فعلي، وذلك لوأد فكرة الجامعة الإسلامية التي صار يدعو إليها لمواجهة التسلط الأوربي.

١٤ ـ سقوط ألبانيا وانتزاعها من الدولة العثمانية: سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٢هـ ـ ١٩١٢م) بعد حكم إسلامي دام قرابة أربعة قرون ونصف.

١٥ ـ احتلال فرنسا لمراكش وتقاسمها مع إسبانيا الأراضي المغربية: سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢١هـ ـ ١٩٠١م)، حتى نالت الاستقلال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م). وبقيت مدينتا «سبته» و«مليلة» تحت الحكم الأسباني إلى الآن.

١٦ ـ احتلال إيطاليا ليبيا: سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٤هـ ـ ١٩١٤م) وظلت أسيرة في أيديهم قرابة نصف قرن حتى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م).

١٧ ـ إبرام اتفاقية (سايكس ـ بيكو): سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٦هـ ـ ١٩١٦م) بين فرنسا وبريطانيا بشأن اقتسام المنطقة العربية المتبقية من تركة الرجل المريض ـ أي الدولة العثمانية ـ وهي العراق وسوريا الكبرى والخليج العربي وفلسطين والأردن، باسم «الحماية» لحكومات مصطنعة، تنشأ بعد مسرحية الثورة العربية الكبرى، التي يعلنها الشريف حسين بن علي[1] في الحجاز ضد العثمانيين في

---

(١) الشريف حسين (١٢٧٠ ـ ١٣٥٠هـ=١٨٥٤ ـ ١٩٣١م) الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، من أحفاد أبي نمي ابن بركات، الحسني الهاشمي. ولد في الأستانة، وانتقل مع والده إلى مكة، فتعلم فيها، ونبغ في شؤون الإمارة، فطلب عمه عون الرفيق من الحكومة العثمانية إبعاده، فنفي إلى الأستانة عام ١٣٠٩هـ حتى مات عمه فعاد أميراً لمكة سنة ١٣٢٦هـ. وفي عام (١٣٣٤هـ ١٩١٦م) أعلن بمساندة من الإنجليز الثورة العربية على=

تلك السنة، وتدعم من قبل طرفي الاتفاقية. وقد كشف البلاشفة بنود هذه الاتفاقية في العام التالي.

١٨ ـ صدور وعد «بلفور» رئيس وزراء بريطانيا: سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٧م) بتعهد من الحكومة البريطانية لليهود بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي فوق أرض فلسطين. وفي نفس العام دخل القائد الإنكليزي «اللنبي» مدينة القدس هاتفاً: الآن انتهت الحروب الصليبية، كما دخلوا بغداد، وفي السنة التالية دخل الفرنسيون بيروت.

١٩ ـ اندلاع الثورات العربية في فلسطين وسوريا ضد الانتداب الأجنبي: سنة أربعين وثلاثمائة وألف (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٠م) وقمعها من قبل القوات الغازية المتفوقة عسكرياً، كما في موقعة «ميسلون» قرب دمشق في نفس العام. وتتبع الإنجليز لفصائل المجاهدين التابعين لعز الدين القسام[1] ﷺ وغيره في فلسطين. ثم توقيع معاهدات استعمارية مع الحكومات المحلية في كل من سوريا وفلسطين ولبنان والعراق ومصر سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٦هـ ـ ١٩٥٦م).

= الأتراك. وحين منع أهل نجد من الحج قصده الملك عبد العزيز بن سعود، وتخلى عنه الإنجليز، فخرج من جدة إلى العقبة ثم قبرص عام ١٩٢٥م، ثم رجع إلى عمَّان، فمات بها، ودفن في القدس. انظر: الأعلام (٢/ ٢٤٩).

(١) عز الدين القسام (١٣٠٠ ـ ١٣٥٤هـ): محمد عز الدين بن عبد القادر القسام، مجاهد من أسرة كريمة في جبَلة من أعمال اللاذقية. تعلم في الأزهر بمصر، واشتغل في بلده بالتعليم والوعظ إلى أن احتل الفرنسيون ساحل سورية في ختام الحرب العالمية الأولىٰ سنة ١٩١٨م، فثار في جماعة من تلاميذه ومريديه، وطارده الفرنسيون. ثم انتقل إلى دمشق، فحيفا في فلسطين، وتولىٰ فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته، وخاض معارك جهادية ضد الإنجليز لما استفحل خطر اليهود، وظهرت بطولته، حتى قضىٰ مجاهداً. ودفن في قرية «الشيخ» قرب حيفا ﷺ. انظر: الأعلام (٦/ ٢٦٧).

٢٠ ـ **إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية**: سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف (١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٤م) بعد حكم دام أكثر من ستة قرون، بعد انتخاب مصطفى كمال، أتاتورك[١]، رئيساً للجمهورية التركية العلمانية الحديثة. وكان ليهود «الدونمة» الدور الأكبر في اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة، ومن خلفهم المؤتمر الصهيوني العالمي، بإثارة الفتن وتشويه صورة السلطان عبد الحميد الثاني، وتأسيس الجمعيات المناوئة في داخل تركيا وخارجها[٢].

أما وضع «أهل الذمة» فقد تحول إلى مشكلة ضخمة في هذه المرحلة. فقد كان يعيش بين ظهراني المسلمين في الولايات العثمانية أكثر من عشر طوائف نصرانية أساسية[٣]، ونصف هذا العدد من اليهود[٤]. وكانت معاملتهم تجري وفق القواعد الشرعية المتبعة من سائر الدول الإسلامية المتعاقبة.

---

(١) مصطفى كمال (١٨٨١ ـ ١٩٣٨م): قائد تركي، ولد في سلانيك، ينتمي إلى يهود الدونمة من جهة أمه. شارك في ثورة الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد الثاني، التي دعت إلى إحلال الدستور محل الشريعة الإسلامية، ثم خلعت السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وألغت السلطنة عام ١٩٢٢م، ثم الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، بعد تأسيس الجمهورية التركية، وكان أول رئيس لها عام ١٩٢٣م. قام بمحاولة القضاء على مظاهر الإسلام في تركيا، واستبدل الأبجدية العربية باللاتينية، وعمل على علمنة البلاد وتغريبها. انظر: الرجل الصنم، وصحوة الرجل المريض.

(٢) انظر: في الأحداث المسرودة في الفقرات من ٣ إلى ٢٠. العثمانيون في التاريخ والحضارة (١٠٧ ـ ١٢٧)، صحوة الرجل المريض (٢٢٨ ـ ٢٥٨).

(٣) هي: الروم الأرثذوكس، الروم الكاثوليك، السريان الأرثذوكس، النساطرة، الموارنة، الأقباط الأرثذوكس، الأقباط الكاثوليك، الكلدان الكاثوليك، اللاتين الكاثوليك، والبروتستانت.
وانظر في هذا: المسيحية في العالم العربي، للحسن بن طلال، والعرب والنصارى لحسين العودات.

(٤) وهي: الربانيون، السامريون، السبتيون، الدونمة، وشهود يهوه.

ولكن الأطماع الأوربية أرادت أن تتخذ من هذه الطوائف موطئ قدم للنفاذ إلى العمق الإسلامي لدولة الخلافة، وأن تتذرع بالدفاع عن حقوقها كلما أرادت أن تسوغ تدخلاً في الشؤون الداخلية لها.

يرجع أول تنظيم مقنن لشؤون أهل الذمة إلى عهد السلطان «محمد الفاتح» إثر سقوط القسطنطينية (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م)، وهو ما عرف بنظام الملة (الذي قسم «الرعايا» إلى مللٍ حسب أديانهم، وأعطى لرجال الدين المسيحيين على طوائفهم ما هو موكولٌ إلى رجال الدين المسلمين على طوائفهم، وخاصة الأمور الدينية والتعليمية والأحوال الشخصية وغيرها. ثم اكتشف أن طقوس العبادة النصراني تختلف من طائفة لأخرى، فزاد عدد الملل حسب الطوائف أيضاً، وليس حسب الأديان فقط)(١).

وقد تمتعت الطوائف المسيحية واليهودية، منذ سقوط القسطنطينية بالاعتراف بها اعترافاً رسمياً. فقد أقرت السلطنة العثمانية للبطاركة الأرثذوكس والأرمن ولحاخام العاصمة الأعظم بأنهم ليسوا رؤساء طوائفهم الروحية فحسب، بل رؤساؤها السياسيون أيضاً. أما الطوائف الأخرى، كالأقباط في مصر، والموارنة والنساطرة والسريان والأرثذوكس في لبنان وسوريا والعراق فكانت على اتصال أقل بالحكام لإقامتها بعيداً عن العاصمة، ومع ذلك فقد كان بطاركتها ينالون اعتراف السلطان بهم من وقتٍ إلى آخر، وكان السلطان يقوم بتنصيب البطاركة والحاخاميين رسمياً)(٢).

كما يرجع أول تنظيم للامتيازات الأجنبية لدى الدولة العثمانية إلى

---

(١) العرب النصارى: حسين العودات. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. الطبعة الأولى ١٩٩٢م. (١٥٦).

(٢) الفكر العربي في عصر النهضة. ألبرت حوراني (٤٦).

عهد السلطان سليمان القانوني، الذي تربطه علاقة مميزة بفرانسوا الأول ملك فرنسا. فقد وقع مع فرنسا معاهدة سنة (٩٤١هـ ـ ١٥٣٥م) يمنحها بعض الامتيازات التجارية طالما أن الحاكمين على قيد الحياة. وظل الفرنسيون يجددون تلك المعاهدة حتى أقرت رسمياً سنة (١١٥٣ ـ ١٧٤٠م). كما منح السلطان سليمان القانوني فرانسوا الأول لقب «حامي الكاثوليكية» في البلاد الإسلامية[١]. كما نصت المعاهدة الموقعة في ١١٥٣هـ ـ ١٧٤٠م على إعفاء الفرنسيين المقيمين في الدولة العثمانية من الخراج. (وإذا حدث خلاف بين فرنساويين فللسفراء والقناصل أن يفحصوا ويحكموا حسب شرائعهم وعوائدهم بدون أن يمانعهم بذلك أحد)[٢]. وتضمنت المعاهدة نص المرسوم السلطاني التالي: (إن الأمم النصرانية المعاديتنا ـ كذا ـ، والمسالمة إمبراطور فرنسا، التي ترغب في زيارة القدس الشريف تقدر على الذهاب والإياب بكل حرية وأمان، وإن وجد فيما بعد السماح للأمم المذكورة بالاتجار في ممالكنا المحروسة، فذهابهم وإيابهم حالتئذٍ يكون تحت الراية الفرنساوية)[٣]. كما عززت المعاهدة الوضعية الخاصة للرهبان الفرنسيين المقيمين في الأراضي المقدسة)[٤].

ومع الضغوط المتتالية على الحكومة العثمانية الآخذة في الضعف والاضمحلال منحت مثل هذه الامتيازات لبقية الدول الكبرى؛ بريطانية ثم روسيا والنمسا وغيرها، واختصت كل دولة بحماية طائفة معينة؛ ففرنسا حامية الكاثوليك، وروسيا حامية الأرثذوكس، وبريطانيا حامية البروتستانت وهكذا.

---

(١) انظر: صحوة الرجل المريض، موفق بني المرجة (١٧٦).
(٢) انظر: نص المعاهدة في المصدر السابق (٤٠١ ـ ٤٠٣) البنود (٢٦، ٣٢، ٣٣).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

وحين استولى إبراهيم باشا على بلاد الشام أثناء الصراع المصري العثماني سنة (١٢٤٨هـ ـ ١٨٣٢م) سن أنظمة جديدة عرفت بالقانون (البيورلدي) تقضي بإلغاء الضرائب عن جميع الطوائف، ومعاقبة من يطالبهم بأدنى إتاوة مهما كان مسماها. كما سمح للنصارى بترميم معابدهم، وبناء معابد جديدة. وألغى نظام «الغيار» الخاص بملابس أهل الذمة، ومكنهم من لبس ما يشاءون، وركوب الجياد، وولاهم المناصب في المجالس المحلية، بل وجلد من أنكر عليهم هذه المساواة مع المسلمين)[1].

ومجاراةً لهذه التنظيمات الجريئة، سارع خصمه السلطان عبد المجيد الأول العثماني إلى إرضاء الأوربيين فأصدر مرسومه الشهير بـ (خط شريف كولخانه) الذي ألغى رسمياً (نظام الملل) العثماني، وذلك سنة (١٢٥٥هـ ـ ١٨٣٩م)، فقرر المساواة بين المسلمين وغيرهم، وإلغاء نظام الذمة، ومشاركة غير المسلمين في الخدمة العسكرية على حدٍ سواء مع المسلمين. وتفرع عنه «فرمانات» تنفيذية لضمان الحرية الدينية، وإزالة مظاهر التحقير والصغار، وتخصيص مرتبات مالية للرهبان، وفسح بناء المعابد وغير ذلك)[2].

وقد استغلت الدول الكبرى امتيازات الحماية استغلالاً بشعاً، طال ضرره تلك الطوائف، وحولها من مللٍ مشمولة برعاية الدولة المسلمة وعهدها وذمتها إلى «أقليات» تعيش وسط أغلبية مسلمة ترى فيها وكراً للتآمر وإيواء الأجنبي. بل جعل منها أقليات متنافرة مختلفة الولاءات رغم اتحاد الدين. وكان من آثار ذلك اندلاع الفتن الطائفية في لبنان والشام بين الدروز والموارنة سنة (١٢٥٧هـ ـ ١٨٤١م) وانتهائه

(١) انظر: العرب النصارى (١٦٨ ـ ١٧٠).
(٢) انظر: المصدر السابق (١٧٠ ـ ١٧٣)، الشعوب الإسلامية (١٨٤ ـ ١٨٥).

بتقسيم لبنان إلى قائمقاميتين[١]: درزية ومارونية بعد ذلك بسنة. ثم عودة النزاع الطائفي على أوسع نطاق في بلاد الشام سنة (١٢٧٦هـ ـ ١٨٧٠م)، كانت بريطانيا تسلح فيه الدروز، وفرنسا تسلح المارونيين. وبلغ عدد الضحايا من الجانبين أكثر من عشرة آلاف قتيل.

ومن صور الاستغلال البشع أن روسيا استغلت الخلاف الواقع بين طائفتي الروم الأرثذوكس، الواقعين تحت حمايتها، واللاتين الكاثوليك في بيت المقدس للتحرش بالدولة العثمانية وإشعال فتيل حرب القرم سنة (١٢٦٩هـ ـ ١٨٥٣م)[٢]. واستمرت هذه الحرب الفاجرة ثلاث سنين، ثم جلست الأطراف الكبرى المتحاربة على مائدة المفاوضات في باريس سنة (١٢٧٣هـ ـ ١٨٥٦م). (واتفق لقبول الدولة العثمانية ضمن المجموعة الأوربية أن تصدر «خطاً» جديداً يضع برنامجاً واضحاً للإصلاح أكثر اتساعاً ودقة من «خط كلخانه» وعلى هذا الأساس صدر الخط الهمايوني (١٨٥٦م)[٣].

قضى هذا القانون الجديد «الخط الهمايوني» على البقية الباقية من تميز المسلمين، وتمييز غيرهم في المجتمع العثماني، ومكن لأهل الذمة أن يصبحوا مواطنين من الدرجة الأولى. ونص على معاقبة كل من يستعمل عبارة مهينة ضد الأقليات، وأطلق لهم الحرية في شغل الوظائف العامة المدنية والعسكرية، وبيع وشراء الأملاك العقارية... إلخ)[٤]. كما شهدت هذه المرحلة الخامسة من سلسلة العلاقات الإسلامية النصرانية نشاطاً ملحوظاً في الإرساليات التنصيرية من أوربا

---

(١) تعبير سياسي تنظيمي كان سائداً في الولايات التابعة لتركيا العثمانية، (قائم مقام).

(٢) انظر: الفتوحات الإسلامية: (٢/ ٢٦٩).

(٣) الشعوب الإسلامية: (١٩٣).

(٤) انظر: العرب النصارى: (١٧٣)، الشعوب الإسلامية (١٩٣).

وأمريكا، وافتتاح الجامعات والكليات الدينية والمدنية المختلفة في بلاد المسلمين. وقد تلقفت بالدرجة الأولى أبناء الطوائف النصرانية، وثقفتهم بالعلوم العصرية مما مكنهم لاحقاً من البروز والتصدر في المناصب السياسية والفكرية في بلاد المسلمين بعقولٍ أوربية، وكان لهؤلاء أسوأ الأثر في سلخ المجتمع الإسلامي عن خصوصيته(١).

هكذا بدا العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر، (التاسع عشر الميلادي إلى منتصف القرن العشرين). بدت صورته كئيبة قاتمة؛ هزائم متلاحقة، فوضى سياسية، جهل وبدع وانحرافات عقدية ومسلكية، تخلف في جميع مناحي الحياة الفكرية والمادية، أزمة ثقة بين شعوبه، وتحالف مع الأعداء أحياناً، في مقابل قفزات سريعة لدى الأمم النصرانية في مجال الإعداد المادي، والقوة الصناعية والعسكرية والاقتصادية، وتنسيق دائب على اقتسام التركة، وإذلال الورثة. أدى هذا وذاك إلى قطع شجرة الخلافة الإسلامية الجامعة، من أصلها بفرع من فروعها، وبأيدي أبنائها، أو هكذا يبدو ظاهراً على الأقل. ثم قسم متاع الأيتام وعيونهم زائغة.

لقد كانت الحركات الإسلامية الجهادية التي ظهرت في أجزاء من العالم الإسلامي إبان فترة الاستعمار الحديث كانتفاضات الطير الذبيح، سرعان ما أخمدت أنفاسه.

جاء النصارى هذه المرة دون صلبان، يتقدمهم المستشرقون وليس القسس، ويفاوضون بقناصلهم ومندوبيهم السامين لا ببطرس الناسك. إنهم هذه المرة لا يهدمون الجوامع ـ غالباً ـ ويحولونها إلى كنائس وكاتدرائيات، ولكنهم يظهرون تعظيم الدين والمشايخ، ويدغدغون

---

(١) انظر في تاريخ وأثر هذه الإرساليات: صحوة الرجل المريض (١٦٥ ـ ١٧٣)، المسيحية في العالم العربي (١١٧ ـ ١٢٧)، الإسلام والحضارة الغربية. د. محمد محمد حسين.

مشاعر العامة والدهماء. لقد فقهت أوربا النصرانية درس الحروب الصليبية، وتحاشت أن تنجب الاستفزازات الدينية أمثال «نور الدين زنكي»، و«صلاح الدين الأيوبي»، و«الظاهر بيبرس البندقداري».

جاء النصارى هذه المرة باسم السياسة لا باسم الدين، فحققوا ما لم يحققه أسلافهم المتعصبون. لقد أوهنوا عرى الدين في المجتمعات الإسلامية، وغزوا الأفكار قبل الديار، وغسلوا الأدمغة، وهزوا الثوابت والعقائد، ونشروا الرذيلة باسم الحرية، ونفخوا في صورة أهل الذمة باسم حماية الأقليات، وأَحَلُّوا الفكرة «العلمانية» محل الفكرة الدينية، واستنطقوا بذلك رجالاً من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا.

فيا لها من داهية على المسلمين عظيمة، ونازلة لم يشهد تاريخ الإسلام لها نظيراً. فالرزايا والبلايا التي وقعت في تاريخ هذه الأمة تكون على الأبدان والأموال والبلدان، ولكن هذه الداهية الأخيرة تستأصل العقول والأفكار. وتورث الردة والإلحاد، وقد كان؛ فكم التهمت نار المبادئ الضالة التي ولدت وترعرعت في حضن هؤلاء المستعمرين من أبناء هذه الأمة، وسخرتهم في تدميرها. ولولا أن الله تعالى تكفل بحفظ الذكر، وتجديد الدين، وبقاء الطائفة المنصورة، وإلا لكان الإسلام نسياً منسياً. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

وبعد هذه القراءة التاريخية لأبرز الأحداث التي رسمت حدود العلاقات الإسلامية الكتابية في مراحلها المختلفة على مدى أربعة عشر قرناً هجرياً، وفي مدٍ وجزر على شواطىء البحر الأبيض المتوسط، والدول المطلة عليه، حيث جرت معظم هذه الوقائع، ندرك مقدار الكم الهائل من الصور والذكريات التي تختزنها كلٌ من الذاكرتين الإسلامية والنصرانية، وتستدعيها كلما تجدد لونٌ من ألوان المجابهة والتَّماس.

لقد كانت علاقة ساخنة لا تبرد، هادرةً لا تهدأ، متصلة لا

تنقطع، أشبه ما تكون بمعركة حامية الوطيس، لا يكف طرفاها عن الكر والفر، إلا أن يفنى صاحبه، أو يحتويه.

إن الذاكرة النصرانية لا يمكن أن تنسى كيف طوي بساطها، وقلص ظلها عن مقدساتها، ومهد مسيحها، وأرض التوراة والإنجيل، وانتزعت من يدها مواطن أشرف كنائسها في بيت المقدس، والإسكندرية، وأنطاكية، والقسطنطينية، وصارت الأرض التي تدر عسلاً ولبناً دار إسلام، فما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين.

لقد روعت النصرانية حين اخترقت جحافل الإسلام شمال إفريقيا، وعبرت مضيق جبل طارق، واستوعبت شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال)، ثم تسلقت جبال البرانس لتمكث في جنوب فرنسا سبعين سنة.

إن الذاكرة النصرانية لا يمكن أن تنسى كابوس العثمانيين الذين دوَّخوا أوربا، وأقضُّوا مضاجع البابوية عدة قرون، وأخضعوا عواصم البلقان تحت سنابك خيولهم، وهدموا أسوار القسطنطينية، وبلغراد، وبودابست بمدافعهم العملاقة، وحاصروا «فينا» ثلاث مراتٍ، وطموحهم لا يقف إلا عند روما معقل النصرانية. ولهذا يصبون لعناتهم على الأتراك ليل نهار في أدبياتهم فضلاً عن صلواتهم.

وبالمقابل فإن الذاكرة الإسلامية لا يعزب عنها تلك الفظائع التي أنزلها الصليبيون بوحشية وهمجية في بيت المقدس، وسواحل الشام، على مدى قرنين من الزمان.

ولا ينسى المسلمون حرب الاستعادة الأسبانية التي جازتهم على ما ساقوه إلى الأندلس من علم وحضارة جزاء «سنمار»، وطردتهم شر طردة، ثم أتبعتها بمأساة «الموريسكيين»[1] التي تعد من أعظم مآسي التاريخ.

وكيف يغيب عن بال المسلمين صور الإذلال والقمع التي أحلها

---

(١) الاسم الذي كان ينبز به النصارى الأسبان بقايا المسلمين في الأندلس ومعناه عندهم: العرب الأصاغر.

الغزاة النصارى بديار الإسلام على يد نابليون في مصر، وفظائع الروس بالعثمانيين في بلاد البلقان والقرم والداغستان وأواسط آسيا. وأخيراً تقاسم الدول الأوربية لتركة «الرجل المريض» كما يقسم المتاع، فيمتصون خيراتها، ويذيقون أهلها الذل والهوان.

إنه إرث تاريخي لا يتجاهله إلا مغفل مغرور، بلغت به السذاجة مبلغاً عظيماً، فصار ألعوبةً بيد أعدائه المستبصرين. وهو إرث يتفق اتفاقاً تاماً، جملةً وتفصيلاً مع الثوابت العقدية لدى المسلمين في نظرتهم نحو أهل الكتاب، ومفرداته شواهد واضحة كالشمس في رابعة النهار على تلك الثوابت[١]. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

وبعد:

فأين نحن الآن؟ وما طبيعة المرحلة الراهنة؟ هل هي امتداد للمرحلة الخامسة، أم هي مرحلة جديدة لها خصائصها المميزة؟

لقد ورثت البلدان الإسلامية التابعة للحكومة العثمانية عنها «الخط الهمايوني» بالإضافة إلى جملة القوانين الوضعية التي ابتدأ إصدارها في عهد السلطان «سليم الثالث» عام (١٢٢٢هـ ـ ١٨٠٦م) على الطريقة الفرنسية، وظلت تتتابع حتى آخر أيام الدولة العثمانية[٢]. ثم جاء الاستعمار الأوربي ليؤكد الفكرة العلمانية وينحّي الفكرة الدينية لتنظيم الحياة والعلاقات، عبر مستشرقيه وتلامذتهم المستغربين وغزوه الفكري.

وحينما حمل الاستعمار عصاه ورحل إلى بلاده، واستقلت الدول الإسلامية، وجدت نفسها في عالم متغير ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ عالم يرفع شعارات السلام الدولي، والمواثيق الدولية التي تعلن المساواة بين شعوب العالم في الحقوق والواجبات، وتدعو إلى نبذ

(١) راجع مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب.
(٢) انظر: الشعوب الإسلامية: (١٧٥ ـ ١٩٥).

التمييز على أساس الدين والعرق واللون، وكوّن لتمثيل هذه المبادئ وتطبيقها منظمة عالمية عرفت باسم «هيئة الأمم المتحدة» تأسست عام ١٩٤٥م، وتفرعت عنها الهيئات والمنظمات واللجان العالمية التي تنتظم العالم بخيط واحد، وفق معايير متساوية ـ على الأقل من الناحية النظرية[١] ـ.

فلا ريب أن الأمة الإسلامية تعيش مرحلة جديدة مستقلة لها خصائصها المميزة، وإن كانت لم تكتمل صورتها بعد، لا تحتاج فيها إلى إنشاء مبادئ فذلك أمرٌ محسوم مقرر منذ ظهور هذا الدين الخاتم، ومبادئه ثابتة لا تقبل النقاش، وإنما تحتاج إلى فقه علمي تؤسس عليه «السياسية الشرعية» التي تلائم وضعها الحالي في حلبة الصراع الدولي، دون المساس بالثوابت العقدية.

ومن المعالم البارزة التي ترسم خصائص هذه المرحلة الراهنة ما يلي:

* **أولاً:** نمو فكرة «العالمية» أو «العولمة» GLOBALIZATION، والدعوة إلى إلغاء الفروق العقدية والعرقية والإقليمية بين شعوب العالم، والسعي نحو قيام «الحكومة العالمية». وبذور هذه الفكرة وضعتها الماسونية العالمية، وخلفها تقف المخططات اليهودية[٢].

* **ثانياً:** قيام دولة إسرائيل فوق أرض فلسطين المسلمة، بدعم

---

(١) انظر: في تفاصيل ذلك: أصول القانون الدولي العام د. محمد سامي عبد الحميد.
المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومة العالمية. د. محمد حسن الأبياري.

(٢) انظر في الماسونية: الماسونية في العراء. د. محمد بن علي الزغبي، الماسونية ذلك العالم المجهول. صابر طعيمة، الماسونية تحت المجهر: د. إبراهيم فؤاد عباس. دار الرشاد ـ جدة ـ السعودية. الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، القوى الخفية لليهودية العالمية. داود عبد الغفور سنّقرط.

وتأييد مطلق من القوى النصرانية في العالم، في مسرح الأحداث التي جرت عليها الحروب الصليبية. وفق خلفية توراتية مشتركة بين اليهود والنصارى.

* **ثالثاً:** تنامي الأصولية الإنجيلية، وتأثيرها الظاهر والخفي في السياسات الدولية(١).

* **رابعاً:** تنامي الصهيونية المسيحية في أوربا وأمريكا ضد الإسلام(٢).

* **خامساً:** تنامي الصحوة الإسلامية في أرجاء العالم الإسلامي، والأقليات المسلمة في العالم.

* **سادساً:** ظهور الدعوة لتقارب الأديان من الجانب النصراني، وتفعليها بصفة لم يسبق لها مثيل.

وهي معالم تبدو معقدة ومتشابكة ومتعارضة، فمن دعوة إلى الانخراط في الأممية العالمية وشعارات الإنسانية، إلى حركاتٍ ظاهرةٍ وخفية تجذِّر التعصب الديني، إلى دعواتٍ للحوار والتفاهم وفهم الآخر، والالتقاء حول نقاط الاتفاق.

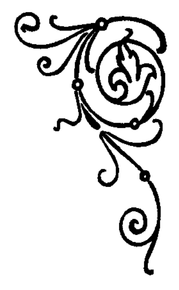
كل ذلك يشعرنا أننا أمام وضعٍ جديد، ومرحلة متغيرة عما سبقها في تاريخ العلاقات الإسلامية ـ الكتابية. وكل معلم من هذه المعالم جدير بالدراسة والفحص والتقويم لكي يتخذ المسلمون الموقف الشرعي والإجرائي المكافىء له.

ومن هذه المعالم الجديدة الطارئة في تاريخ العلاقات الإسلامية الكتابية الدعوة إلى تقارب الأديان، وهو موضوع دراستنا هذه التي نسأل الله تعالى أن تسهم في جلاء الغبش وبيان الحق في هذه النازلة.

---

(١) انظر: الأصولية الإنجيلية. صالح الهذلول.

(٢) انظر: الصهيونية المسيحية. محمد السماك، النبوءة والسياسة. غريس هالسل.

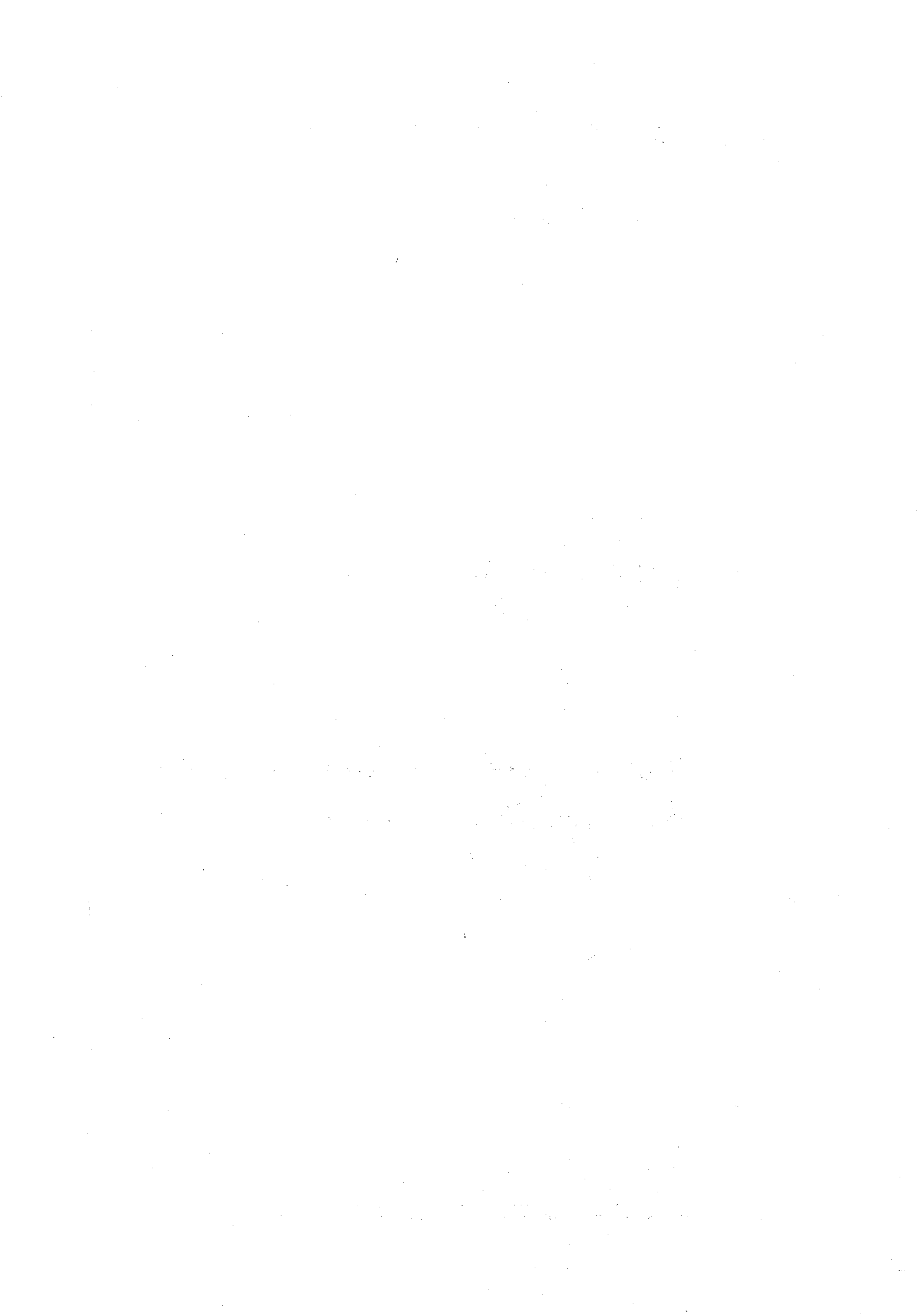
الباب الأول

حقيقة التقريب بين الأديان وأصوله وبواعثه

ويتضمن:

* الفصل الأول: حقيقة التقريب بين الأديان.
* الفصل الثاني: الأصول التاريخية لدعوة التقريب بين الأديان.
* الفصل الثالث: حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث.
* الفصل الرابع: بواعث الدعوة إلى التقريب بين الأديان.



الفصل الأول

حقيقة التقريب بين الأديان

تطلق: «دعوة التقريب بين الأديان» على مجمل المحاولات الفكرية والعملية الساعية لإيجاد لونٍ من ألوان التلاقي والاتصال بين دين الإسلام وغيره من الأديان المحرفة، والملل الوثنية.

ومع أن هذه الدعوة بشقيها الفكري والعملي ذات جذور تاريخية، إلا إنها لم تظهر ظهوراً جلياً، ولم تنتشر انتشاراً عالمياً إلا في العصر الحاضر، وعلى وجه الخصوص في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري حتى أيامنا هذه، النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، حيث اكتسبت معانيَ جديدة، وأهدافاً متعددة، ووسائل متنوعة لم تكن متاحة من قبل، وصارت ـ بالفعل ـ إحدى المعالم المميزة لهذه الحقبة من التاريخ التي تسودها شعارات الإنسانية والمساواة والحرية، دون تمييز مبني على أساس ديني أو عرقي، وإنْ بالشعارات فقط، وذلك على مدى نصف قرن، منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م. وأخيراً، وفي أعقاب سقوط الكتلة الشيوعية، وتفكيك الاتحاد السوفيتي، وانحلال حلف وارسو، ولد مصطلحٌ جديد هو: «العولمة» أي توحيد العالم[١]. وذلك ما يعني المضي حثيثاً في إزالة الفوارق،

---

(١) يقول سمير أمين: (معنى ذلك: ولادة مفاهيم ومضامين وأفكار وأنساق جديدة على حساب انتهاء وانتفاء ظواهر وحالات ومضامين ومصطلحات ومفاهيم عدة، مثل: (شرق ـ غرب، شمال ـ جنوب) (العالم الثالث)، الشيوعية، (البلدان الاشتراكية)، (الحياد الإيجابي)، (عدم الانحياز)، (التأميم). . . إلخ، وسيمضي زمن ليس بطويل تعيش فيه مفاهيم القرن العشرين في حالة=

وتمييع الحدود، والقضاء على الخصوصيات للمجتمعات المتنوعة دينياً، وثقافياً. وذلك يتطلب المزيد من التقريب بين الأديان في المرحلة المقبلة.

يقول الكاتب الإسلامي الفاضل د. محمد محمد حسين[(١)] رحمه الله: (العالمية في الاصطلاح الحديث مذهبٌ يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المتباينة. ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهبٍ واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية، لإحلال السلام في العالم محل الخلاف)[(٢)]. وهي بهذا التعريف أوسع مدلولاً، وأشمل أثراً من «تقريب الأديان» أو «وحدة الأديان»، بل تصبح وحدة الأديان إحدى مفردات «العالمية»، ويوضح ذلك قوله: (وللعالمية تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة، من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية. وكلها تحاول أن تصل إلى

= اغتراب حقيقي، أو سيقضى عليها نهائياً، لتصبح تاريخاً أيديولوجياً عفى عليه الزمن. إذ ستنبثق مفاهيم ومصطلحات ومضامين جديدة، تتخذ لها صوراً وأشكالاً مختلفة كونها ستعبر عن واقع سياسي أو أيديولوجي مختلف). العولمة الجديدة، والمجال الحيوي للشرق الأوسط. مفاهيم عصرٍ قادم. سيار الجميل. مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. بيروت. الطبعة الأولى (١٩٩٧م).

(١) محمد محمد حسين (نحو ١٣٣٠هـ - ١٤٠٣هـ) كاتب إسلامي ملتزم، وناقد أدبي، ذو غيرة إيمانية. ولد بسوهاج بصعيد مصر، وولي التدريس بجامعة الإسكندرية، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. تميزت كتاباته بالأصالة والمنهجية، وكشف عوار الدعوات العصرانية، من مؤلفاته: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، حصوننا مهددة من داخلها، الثقافة الغربية، أزمة العصر، الروحية الحديثة، وغيرها. انظر: ذيل الأعلام (١٩٩).

(٢) الإسلام والحضارة الغربية (١٧١).

النظام الواحد، الذي يجمع الناس في كل ميدان من هذه الميادين المختلفة على مذهبٍ واحد، أو بعبارة أخرى تحاول أن تكتشف الأصول الإنسانية المشتركة ـ حسب زعمهم ـ وراء مظاهر التعدد المتباينة في هذه الأنشطة البشرية لتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدينٍ واحد، ويتكلم لغةً واحدةً، يتذوق الفنون والآداب بذوقٍ واحدٍ مشترك)[١].

والواقع أن دعوة التقريب بين الأديان التي هبت رياحها بقوة من الغرب النصراني، قبل أكثر من ثلاثة عقود، إثر المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م)، لا تحمل مدلولاً اصطلاحياً محدداً، فضلاً أن تكون ذات حقيقة شرعية. فلفظ «التقريب» أو «التقارب» **Rapprochement**، يدل على مسألة نسبية هي «القرب» تتفاوت في حقيقتها وتطبيقاتها لدى مختلف الأطراف، بل وفي نظرة كل طرفٍ على حدة، في فترة زمنية معينة، كما سيتضح لاحقاً، فقد تقتصر على حدٍ أدنى من المجاملات الشكلية، وقد توغل في الاقتراب إلى درجة الاندماج والوحدة وسقوط الفوارق، وبين هذا وذاك مراتب عديدة.

ومن بين أكثر من ثلاثمائة مؤتمر من مؤتمرات التقريب بين الأديان، والعديد من المناسبات والاحتفالات المشتركة، جرت في العصر الحديث، وتم حصرها وتوصيفها في الباب الثاني، بالإضافة إلى الكتابات الصادرة من دعاة التقريب ومنظريه، يمكن أن نميز ثلاثة اتجاهات:

أولاً: التقريب بين الأديان: ويمثل معظم المحاولات العالمية والإقليمية والمحلية لإيجاد تواصل، وبناء علاقات بين مختلف الأديان والملل. ويقوم على الخصائص الفكرية التالية:

---

(١) المرجع السابق (١٨٠).

١ ـ اعتقاد «إيمان» الطرف الآخر، وإن لم يبلغ الإيمان التام الذي يعتقده هو.

٢ ـ نبذ «التلفيقية» أو «التوفيقية» بجمع عناصر من مختلف الأديان أو محاولة حمل بعضها على بعض للوصول إلى وضعٍ موحَّد.

٣ ـ الاعتراف بالآخر، واحترام عقائده وشعائره، ورفع الأحكام المسبقة.

أما من الناحية المنهجية، فيعتمد الأساليب التالية:

١ ـ الدعوة إلى التعرف على الآخر كما يريد أن يُعرف.

٢ ـ تجنب البحث في المسائل العقدية الشائكة.

٣ ـ نسيان الماضي التاريخي، والاعتذار عن أخطائه، ومحاولة التخلص من آثاره.

٤ ـ إبراز أوجه التشابه والاتفاق، وإقصاء أوجه الاختلاف والافتراق.

٥ ـ التعاون على تحقيق القيم المشتركة.

٦ ـ تبادل التهاني والزيارات والمجاملات في المناسبات الدينية المختلفة.

وقد تبلور هذا التوجه في العصر الحديث في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني، وتجاوب معه ذوو الاتجاه العصراني من المسلمين وغيرهم. ومن ثم فقد حملت عناوين المؤتمرات المعقودة للتقريب بين الأديان في العقود الأربعة الأخيرة شعارات تعبر عن هذه الطبيعة العلائقية الجديدة، نرتبها حسب كثرة ورودها في مسرد المؤتمرات:

(الحوار = ٣٢ مرة)، (السلام = ١٨مرة)، (التعايش = ١٦مرة)، (التعاون = ١٤مرة)، (التفاهم = ٧ مرات)، (الانسجام = ٥ مرات)، (التعددية = ٥ مرات)، (الاشتراك ـ ومشتقاته = ٤ مرات)، (التسامح = ٣ مرات)،

(الانفتاح)، (التباحث)، (التعارف)، (الصداقة) = مرتين لكلٍ منها.

وهي معانٍ تصب في التيار العام للتقارب بدرجاتٍ متفاوتة، وجميعها تذكر مضافة إلى «الدين» أو «الإيمان»، أو إلى دينين معاً ـ غالباً: الإسلام والنصرانية ـ أو إلى ثلاثة: الإسلام، والنصرانية، واليهودية، أو إلى الأديان الخمسة الكبرى ـ على حد تعبيرهم ـ مضيفين البوذية والهندوسية.

وهذا المستوى من العلاقة هو السائد في العقود الأخيرة في المؤتمرات والندوات المعنية، وينخرط في فعالياته العديد من المفكرين ورجال الدين من سائر الملل، وبعض المنسوبين إلى العلم والدعوة من المسلمين.

ومن شواهد هذا الاتجاه ما جاء في البيان المجمعي: «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية» الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م، وفيه: (والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حق ومقدس. وتولي تقديرها باحترامٍ صادق هذه الطرق المسلوكة في العمل والحياة، وهذه القواعد والتعاليم، التي وإن اختلفت في أمور كثيرة عما تقول به هي وتعلّمه، تحمل، غير مرة، قبساً من شعاع الحقيقة الي تنير جميع الناس... ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية)[1].

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني. دساتير. قرارات. بيانات (٦٢٨ ـ ٦٢٩)، وسيأتي مزيد تفصيل لموقف الكنيسة الكاثوليكية من دعوة التقريب.

* يقول محمد مهدي شمس الدين[١] واصفاً مشروعه للحوار الإسلامي المسيحي، بعد أن استبعد جميع أشكال الحوار التاريخية!: (يقوم بصورة أساسية على أن يبحث قادة الفكر والروح في كلا الدينين عن المساحات المشتركة بينهما في قضايا الإنسان والمجتمع والحضارة، فإذا اكتشفت هذه المساحات المشتركة، يتوجه الدينان معاً نحو العالم في عملية فتح روحي للحضارة الحديثة، وإنسانها ـ ثم يجمل «المساحات المشتركة» في ثمان نقاط: ـ الإيمان بالله، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان ببعثة الأنبياء ـ إجمالاً ـ الإيمان بالبعد الروحي للإنسان، الإيمان بحاجة الإنسان للعبادة، الإيمان بكرامة الإنسان، الإيمان بالأخلاق، الإيمان بالأسرة. مع التأكيد البالغ على الابتعاد عن دائرة «حوار اللاهوت وعلم الكلام» أي «الحوار العقدي»[٢].

* ويقول د. يوسف القرضاوي: (نحن معاً نؤمن بالله، ولو إيماناً إجمالياً، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي، نؤمن بعبادة الله، وبالقيم الأخلاقية، وبثبات هذه القيم، نؤمن بوحدة الإنسانية، وبأن الإنسان مخلوقٌ مكرم، نؤمن.. نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين.

---

(١) محمد مهدي شمس الدين: ولد في النجف سنة (١٣٥٤هـ = ١٩٣٦م) توفي سنة (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، وتتلمذ على كبار علماء الشيعة في زمانه مثل: محسن الحكيم، وأبو القاسم الخوئي، شارك في النشاطات السياسية والعلمية والاجتماعية للحركة الشيعية في العراق، هاجر إلى لبنان عام (١٩٦٩م) وانضم إلى موسى الصدر مؤسس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، ثم خلفه في رئاسة المجلس بعد اختفائه عام ١٩٧٨م، أسس العديد من المعاهد الدينية والمؤسسات الاجتماعية للطائفة الشيعية في لبنان. من مؤلفاته: «نظام الحكم والإدارة في الإسلام»، «دراسات في نهج البلاغة»، «ثورة الحسين»، «أنصار الحسين»، «عقائد الشيعة». ويبلغ المطبوع منها أكثر من عشرين مؤلفاً، انظر: الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب. فرج موسى (٢٩ ـ ٦٢).

(٢) انظر المرجع السابق (١٨ ـ ١٩).

فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليها، يمكن أن تُقرِّب بين المختلفين بعضهم بعضاً. من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب. المهم أيضاً أن يكون عند الآخرين مثل هذه الروح.. فيعاملونا بمثل ما نعاملهم به، ويقتربون منا بقدر ما نقترب منهم)[1].

ولسنا في هذا المقام بصدد مناقشة مفردات هذه المقولات الصادرة عن الإسلاميين حيث أفرد لذلك مبحث مستقل، وإنما لرسم معالم هذا الاتجاه تمييزاً له عن غيره.

ثانياً: وحدة الأديان: وهو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية، وصواب جميع العبادات، وأنها طرق إلى غاية واحدة. وهذا الاتجاه، بطبيعة الحال يستصحب الخصائص الفكرية والمنهجية العامة للاتجاه السابق، ويزيد عليها بالدعوة إلى التخفف من السمات العقدية والتشريعية الخاصة بكل ديانة، بحسبانها ظواهر وتقاليد تاريخية محلية لشعبٍ معين، في حقبة تاريخية معينة، والانضواء تحت مفاهيم عامة، وجملٍ فضفاضة.

ويمثل هذا الاتجاه في التاريخ زنادقة الصوفية من أرباب وحدة الوجود، كابن عربي الطائي[2] القائل:

---

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي: حسن علي دَبَا. دار البشير للثقافة والعلوم. طنطا ـ مصر. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). (١٦).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر، الحاتمي الطائي الأندلسي، الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس سنة ٥٦٠هـ. طاف في البلاد الإسلامية واستقر في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨هـ قال عنه الذهبي: «قدوة القائلين بوحدة الوجود». له نحو أربعمائة كتاب ورسالة من أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم. كفّره بسبب مقالاته وشطحاته كثير من العلماء. انظر: الأعلام (٦/ ٢٨١). وتنبيه النبي للبقاعي، وجزء في عقيدته وحياته للفاسي.

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[١]

والفرق الباطنية مثل: إخوان الصفا وخلان الوفا[٢].

كما يمثله في العصر الحاضر متصوفة العصر السائرون على خطى ابن عربي وأمثاله، حيث يقول أحدهم: (جوهر أديان السماء كلها، وما جاءت به من شرائع إبراهيم وموسى والمسيح ومحمد وبوذا، وغيرهم من الأنبياء والحكماء ما هو إلا نقل الإنسان وتطويره من السيء إلى الحسن، ثم إلى الأحسن، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الظلم إلى العدالة والتراحم والمحبة)[٣]. أما الاختلاف بين الإسلام وسائر الأديان فـ (مثله مثل الزهور المتنوعة الألوان، التي إذا اجتمعت في باقة متناسقة بهرت العيون، وهزت الشعور)[٤].

كما نحا هذا المنحىٰ بعض شعراء المهجر من النصارىٰ العرب.

يقول جبران خليل جبران[٥]: (تقول فكرتكم: الموسوية،

---

(١) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق (٣٩).

(٢) انظر فصل: (الأصول التاريخية لدعوة التقريب) من هذا الباب (٣٩١).

(٣) الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق: إعداد: د.محمود حسن الحمصي. دار الرشيد. دمشق ـ بيروت، مؤسسة الإيمان ـ بيروت. الطبعة الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩١م). (٢/ ٧٢٨، ١٠٥٩).

(٤) الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق. (٢/ ٦٧١).

(٥) جبران بن خليل بن ميخائيل، الماروني، اللبناني. ولد في قرية «بشرِّي» سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٣م، تعلم في بيروت، ورحل إلى باريس ثم الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٩٥م، وتوفي فيها سنة (١٣٤٩هـ = ١٩٣١م). يعد نابغة الكتاب المعاصرين في المهجر الأمريكي. من آثاره: دمعة وابتسامة، عرائس المروج، الأرواح المتمردة. انظر: الأعلام (٢/ ١١٠).

البرهمية، البوذية، المسيحية، الإسلام. أما فكرتي فتقول: ليس هناك سوىٰ دين واحد، مجرد، مطلق، تعددت مظاهره، وظل مجرداً مطلقاً، وتشعبت سبله. ولكن مثلما تتفرع الأصابع من الكف الواحد)[١].

وفي هذا السياق التأم عددٌ من عشاق التصوف في مؤتمرات متتابعة في عقدي السبعينيات والثمانينيات، تحت مسميات «الإيمان» و«الروحانيات» ونحوها، كان من أبرزها «فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية GRIC» المنطلقة من دير «سنينكا» في فرنسا[٢]، بالإضافة إلى المؤتمرات المنعقدة في تخليد ذكرى بعض «أولياء الصوفية»، و«قديسي النصرانية».

ومن أبرز منظِّري هذا الاتجاه «وحدة الأديان» في العقود الثلاثة الأخيرة، المفكر الفرنسي «روجيه جارودي»، ولكن من منطلقٍ «إنساني» بالدرجة الأولى، قبل وبعد إعلان إسلامه عام ١٩٨٢م، ثم باستدلالٍ «صوفي» بدرجة ثانية، بعد ذلك. وهو يطرح نوعين من الوحدة:

• **أحدهما:** وحدة صغرى، وهي «الإبراهيمية»، ويهدف من ورائها إلى توحيد الأديان التي تعلن انتماءها إلى أبي الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام، أي: الإسلام والنصرانية واليهودية، فيقول في الملتقى الإبراهيمي الذي دعا إليه في قرطبة عام ١٩٨٧م: (إن رسالة القرآن عالمية، وتحويل هذه الرسالة إلى التقاليد الخاصة بحقبة من الزمن أو بشعب ما، يعتبر دفاعاً عن فلكلور، وليس عن عقيدة... استرجاع رسالة إبراهيم التي هي موحِّدة، وذلك للإجابة والرد على التحديات في عصرنا هذا بعيداً عن تناقضاتنا)[٣]. وقال في كتابه «الإسلام» الصادر عام ١٩٩٦م: (إنهم

---

(١) قصة الأدب المهجري. محمد خفاجي (١٦٦).
(٢) سيأتي التعريف بها في الفصل الثاني من الباب الثاني (١٢٤٧).
(٣) النص المترجم للمحاضرة لدى الباحث.

كثيرون أولئك الذين يتطلعون في العالم المسيحي، كما في العالم المسلم إلى توحيد قواهم، ليبنوا معاً القرن الحادي والعشرين بوجهٍ إنساني، أي بوجهٍ إلهي، باسم إيمانٍ وحيد، بصورة أساسية عبر تنوع العبادات والطقوس)[(١)].

• **الثاني**: وحدة كبرى: تشمل جميع الأديان والملل الوثنية، بل والملحدين! بجامع أن تلكم الوثنيات آثار نبواتٍ سابقة، وأن الملحدين يؤمنون بـ «الإنسان» وأن للحياة «معنى». فيقول: (إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي ﷺ، كانت إقامة ما نسميه اليوم: «وحدة فيدرالية» للطوائف الدينية... أي على الإيمان بمعناه الأرحب والأوسع، وحتى مع الملحدين ممكن أن يكون لديهم إيمان بالإنسان. وبإمكانهم إقامة طائفة دينية بالمعنى الذي قلناه فيما سبق، لتعميق هذه الاحترام الأساسي للإنسان)[(٢)]. ويقول: (إن مهمتنا هي أن نجمع جميع الناس ذوي الإيمان ـ أياً كان إيمانهم ـ ضد العالم الحالي، عالم اللامعنى، وأن نخلق نويات لمقاومة اللامعنى، شاجبين ومقاتلين كل ما هو مناقض لوحدة العالم

---

(١) الإسلام: روجيه جارودي. ترجمة: وجيه أسعد. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م. (٤٢).

(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م. «مجلة الموقف» شهرية ـ ثقافية ـ عربية. تصدر عن: المركز الوطني للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع. لبنان ـ بيروت. عدد (٧٥) أبريل ١٩٩١م، رمضان ١٤١١هـ، عن كتاب: روجيه جارودي، من الإلحاد إلى الإيمان: لقاءات ومحاضرات. إعداد: رامي كلّاوي. دار قتيبة. بيروت ـ دمشق. الطبعة الثانية عام (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م). (١٨١ ـ ١٨٢).

ومعنى (فيدرالية) (Federalism): اتحاد بين وحدات سياسية تتنازل عن سيادتها الفردية لسلطة مركزية، ولكنها تحتفظ بسلطات حكومية محدودة. انظر: المورد (٣٤١).

السمفونية)[١]. ويقول: (وليكن كلٌّ منا ما يكون مسلماً أو مسيحياً، فإن ذلك لا يفصله عمن لا يشاركه دينه... وسنلتقي جنباً إلى جنب مع كل أعضاء البشرية التي تحطم قيود الجزئي، قيود الفردية والقومية التي تفت العالم)[٢]. وهذا غيضٌ من فيض من مقولاته.

• **ثالثاً: توحيد الأديان**: ويقصد به المحاولات الساعية، قديماً وحديثاً، إلى دمج جملةٍ من الأديان والملل في دينٍ واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الملفق الجديد.

وفرق ما بينه والاتجاه السابق، أن المناداة بـ«وحدة الأديان» تعني تصويب أوضاعٍ قائمة ضمن أطرها الخاصة التي تميزها، بشرط عدم نفي أو استبعاد الآخرين، وربط تلك الوحدات المفردة بإطار عام يسوغ توجهاتها جميعاً. في حين أن «توحيد الأديان» تفعيلٌ يقتضي إنهاء وحل تلك الأوضاع السابقة ونسخها بوضعٍ جديد، وإن كانت عناصره مأخوذةٌ من حطام السابق.

ويميز الباحثون في تاريخ الملل بين لونين من ألوان الدمج والتوحيد؛ فيقول د. محمد هلال: (يطلق باحثو الأديان اسم «الالتقاطية» «الألكتزم» على عملية دمج عناصر مختلفة دون محاولة إيجاد تنسيق منهجي... بينما يسمون عملية الدمج هذه، مع محاولة إيجاد تنسيق منهجي يربط العناصر الملتقطة المختلفة، بالتلفيقية

---

(١) نحو حرب دينية، جدل العصر: روجيه جارودي. تقديم: ليوناردو بوف. ترجمة: صيّاح الجهيّم. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٦م. (٧٣). وكلمة (سيمفونية) (Symphonic) تعني: متناغم، متآلف الأصوات. انظر: المورد ٩٣٩.

(٢) جولتي وحيداً في القرن (٤٣٧). وقد أفرد لجارودي مبحث مستقل في الباب الثاني (٧٢٧ ـ ٨١٥).

«السنكرتزم»[1]. وهذا يتضح جلياً في نشأة وتكون الأديان الوثنية الشركية التي تتلاقح فيما بينها، وتستعير من بعضها بعضاً أسماء المعبودات والطقوس والمعتقدات الدينية[2]. بل قد دب ذلك إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فجرى في جسم الديانتين إدماج بعض الفلسفات الوثنية والعقائد الشركية، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠][3].

ونستطيع أن نميز هذين اللونين في المحاولات الحديثة لتوحيد الأديان:

١ ـ الالتقاطية: تظهر بشكل جلي بالديانة «المونية» Moonism التي اخترعها في أواخر الخمسينيات الميلادية الكوري الشمالي: «صن مون»، واستمد مكوناتها العقدية من النصرانية أساساً، وخليطٍ عجيب من اليهودية والإسلام والبوذية، بل والنظريات العلمية الحديثة، وادعى النبوة، وسعى بثروته الهائلة إلى توحيد الأديان تحت رسالته، كما جاء في القانون الأساسي للحركة المونية، المنقح عام ١٩٨٤م: (إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إلهٍ واحدٍ، بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية و الوطنية والقومية والاجتماعية)[4].

ويتبع «مون» قرابة ثلاثة ملايين نسمة في العالم، يعتقدون صحة تعاليمه[5].

(١) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام: د.محمد هلال. دار البشير ـ عمان ـ الأردن. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م). (٦٨).
(٢) انظر في كتاب: «الله» لعباس محمود العقاد.
(٣) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.
(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩٢).
(٥) انظر مبحث «المونية» في الفصل الأول من الباب الثاني.

ومن شواهد الالتقاطية في محاولة توحيد الأديان تاريخياً، البهائية[١].

٢ ـ التلفيقية: تأسيساً على أن السمة التي تميز التلفيقية عن الالتقاطية هي وجود تنسيق منهجي يربط العناصر الملتقطة، يمكن أن نحسب محاولات الأب الأسباني إيميليو غاليندو آغيلار ومجموعته التي تطلق على نفسها «كريسلام» «Crislam»، لوناً من ألوان التلفيقية البطيئة، التي تسعى إلى الوصول إلى صيغة عقدية موحدة، تتجاوز حدود «الإبراهيمية» التي جاء بها جارودي وغيره لتشمل سائر الوثنيات، ولكن ليس تحت شعار غير ديني كما صنع جارودي أيضاً باسم «الإنسانية» أو «المعنى»، وإنما النفاذ إلى «البؤر الدينية» لكل دين أو نحلة، التي ستكون واحدة، في حسبان غاليندو، وهي ألوهية المسيح، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً، كما يشير إليه النص التالي: (إن خطورة كل حوار بين الأديان... هو أن لا يتحول إلى حوار ديني داخلي. وعلى الدوام يجري الحوار انطلاقاً من الأديان باعتبارها شيئاً نسبياً. فحوار ديني يرمي أن يكون مناسباً يتخطى الحدود الضيقة للإسلام والمسيحية... ويستلزم هذا بالضرورة أن ينتقل كل دينٍ من مظهره المؤسساتي إلى طابعه السري الأكثر عمقاً، للاتصال بهذا الجذر العالمي، مع هذه البؤرة الديناميكية... إنه بقدر قليلٍ من وضوح الرؤية يمكن أن نفهم أن هذا هو الطريق الوحيد البشري الذي يوجد أمامنا كي نقترب أكثر فأكثر بمرور الوقت من «المطلق»)[٢]. ثم يؤكد لاحقاً: (إن كل حوار ديني لا ينطلق من تجربة الإله، إنما يكون كلمة مشركة)[٣].

---

(١) انظر الكلام عن البهائية في فصل «الأصول التاريخية لدعوة التقريب».

(٢) من تقدمته لأعمال المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة (العقيدة للأمام) تنظيم كريسلام (١٢ ـ ١٣).

(٣) العقيدة للأمام (١٧٥).

وفي نهاية المطاف يفصح عن العلاقة المتطابقة بين «تجربة الإله» و«المطلق» فيقول: (إن أولئك الذين دخلوا في تجربة ابن عربي نحو عيسى يعرفون بنورٍ واضح كالنيران، أن المطلق الوحيد هو الرب)[١].

وهذا الاتجاه يستدعي بوعي وإدراك، خلافاً لسائر الاتجاهات السابقة، المشكلات العقدية الجذرية، ويناقشها، ليقينه التام أنه لا يمكن تخطيها في سعيه نحو توحيد الأديان، ثم يقوم بتنسيقها ضمن منظومته العقدية الخاصة في علاقة الله بالإنسان)[٢].

تلك خطوطٌ عامة للاتجاهات الرامية إلى التقريب بين الأديان، وفي الفصول التالية تفصيل لحقيقة التقريب لدى مختلف الفرقاء، ودرس للمحاولات الفردية والجماعية المبذولة في هذا السبيل.

ولا يعزب عن البال أن هذه المستويات الثلاثة: «التقريب»، و«الوحدة»، و«التوحيد»، لا يفصلها حدودٌ حاسمة في مجال التطبيق العملي الميداني، حيث تتمازج تياراتها، وتصب مفرداتها الفكرية بنسبٍ متفاوتة في مجرى «سبيل المجرمين» الذي يشطح بعيداً عن «سبيل المؤمنين»، ويرغب عن «ملة إبراهيم».

وقد آثرت في عنوان هذا البحث تغليب لفظ «التقريب»، لأنه الأعم من حيث الدلالة، والأقدم من حيث الاستعمال، كما أنه الاتجاه السائد من حيث التطبيق.

---

(١) من تقدمته لأعمال المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة (من أنا في قولكم أنتم) تنظيم كريسلام (١٣).

(٢) انظر الكلام عن محاولات غاليندو في الفصل الأول من الباب الثاني (٩٣٩).

الحوار بين الأديان:

شاع في العقود الأخيرة استعمال مصطلح «الحوار» DIALOGUE على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، وطال ذلك دعوة التقريب بين الأديان، فطغى هذا التعبير على ما عداه، وصارت تعرف بـ (حوار الأديان) أو (الحوار بين الأديان) Inter Faith أو Interreligiouse Dialogue، وصار محبذاً لدى المشتغلين في هذا الحقل، مقدماً على غيره من الاصطلاحات، مما يستدعي إلقاء الضوء على دلالته:

فـ «الحوار» من حيث اللغة، مادته «حور» و(الحوْر: الرجوع عن الشيء إلى شيء... والمُحاورة: المجاوبة. والتحاور: التجاوب... والمُحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة)[(١)]. وعلى هذا جاء استعماله في القرآن، قال الراغب في «مفردات القرآن»: (والمُحاورة، والحوَار: المرادّة في الكلام. ومنه التحاور. قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾)[(٢)].

فحقيقته اللغوية مطابقة لحقيقته الاصطلاحية التي تعني التباحث بين طرفين أو أكثر، ومراجعة الكلام بينهم بغرض التوصل إلى اتفاق، وإبداء وجهة نظر. يقول د. عبد العزيز التويجري[(٣)]: (مفهوم الحوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر، من المفاهيم الجديدة، حديثة العهد بالتداول؛ ولعل مما يدل على جدة هذا المفهوم وحداثته أن

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم الأنصاري، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي. دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م). (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

(٢) مفردات القرآن (١٣٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٤، ٣٧].

(٣) المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).

جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت في الخمسين سنة الأخيرة، بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة، تخلو من الإشارة إلى لفظ «الحوار»... فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولي... وعلى هذا الأساس، فإن الحوار مفهوم سياسي إيدلوجي ثقافي حضاري، وليس مفهوماً قانونياً)[١].

ولعل من أسباب شيوع هذا الشعار في دعوة التقريب بين الأديان، كونه لا يفصح ـ بحد ذاته ـ عن هدفٍ مبيّت، أو يوحي بتوجهٍ معين، يمكن أن يعد ملزماً أو محرجاً للمنادين به من الطرفين. فالحوار لافتة تخفي وراءها أشكالاً متنوعة من المضامين، ووعاءٌ يمكن أن يحوي مواد متباينة. فقد يكون حواراً يقصد به التقريب وفق الأسس الفكرية والمنهجية التي سبق بيانها، وربما كان غطاءً لوحدة الأديان كما في «الحوار الإبراهيمي»، وقد يتذرع به دعاة توحيد الأديان للتسلل إلى مقاصدهم الخفية كما تصنع المونية، ومجموعة كريسلام.

وفي نفس الوقت، يستعمل مصطلح الحوار خارج نطاق دعوة التقريب بين الأديان، فيما يعرف بقضايا «التعايش»، وحينئذٍ فالأمر لا يتعلق بالدين من حيث هو دين، عقيدة وشريعة، ولكن بالعلاقة المعيشية البحتة بين معتنقي الأديان. وهو بهذا الاعتبار يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوبٍ أو طوائف، وربما تكون أقليات دينية، ويعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجَّرين واللاجئين، ونحو ذلك. ومن أمثلة هذا اللون من الحوار: (الحوار العربي الأوربي)، و(حوار الشمال والجنوب).

---

(١) الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي: د. عبد العزيز بن عثمان التويجري. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). (٧).

وهذا الحوار بحد ذاته ـ بصرف النظر عما يصاحبه من تأطيرات قد تلتحق بالأنواع السابقة ـ تفرضه طبيعة الحياة البشرية، وحاجاتها الفطرية المختلفة، ومن ثم فلا غبار على الدخول في مفاوضاتٍ أو مداولات من هذا القبيل، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية لمصلحة الأمة الإسلامية. وقد رافق هذا اللون من حوار التعايش نشأة الأمة الإسلامية منذ عهد النبوة، كما جرى في المعاهدات النبوية مع يهود المدينة وغيرهم، وزخر الفقه الإسلامي المؤسس على الكتاب والسنة بتراثٍ ضخم في مجال العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين.

وعليه فلا بد من التبين والاستفصال لدعوات الحوار المجملة، ومعرفة أهدافها ومادتها قبل الخوض في غمارها، وألا يجر المسلمون إلى مواقف لم يحسبوا لها حساباً، ولم يرسموا لها خطة. والجانب المقابل يدرك هذا جيداً. يقول الكاتب الروسي المعاصر إليكسي جورافسكي في كتابه: (الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم): (في كتابنا هذا حيث تناقش إشكالية الحوار الإسلامي ـ المسيحي لا بد قبل كل شيء من تحديد وضبط مفهوم الحوار ذاته. ففي المعنى العريض للكلمة يمكن فهم الحوار الإسلامي المسيحي كتاريخٍ للعلاقات المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين على مدىٰ أربعة عشر قرناً... ولكن في الوقت الحالي يتشكل مفهوم آخر للحوار ـ كمحطة تاريخية واعية، كوضع شديد الأهمية والحساسية، يتطلب دراسة مفاهيمية ـ نظرية متكاملة، ومعالجة مؤسساتية، عملية مثمرة وفاعلة. إن تاريخ الحوار المذكور لا يمتد لأكثر من بضعة عقودٍ من الزمن. وتقويم هذه الظاهرة الجديدة من زاويةٍ واحدة أمرٌ غير ممكن. وبغية تقدير مضمونه الفكري، فإنه لا بد أولاً من تحديد سياسي واجتماعي ـ ثقافي للبلد أو للإقليم، الذي يجري فيه الحوار. حيث إن الاتجاهات الخاصة بالحوار يمكن أن تكون ذات أهدافٍ متشعبة، ووفق

مستويات مختلفةٍ أيضاً تصعب الإحاطة بكل أطرافها وتفرعاتها وميادينها المعقدة ومتعددة الجوانب، التي تنضوي تحت عنوان «الحوار الإسلامي ـ المسيحي». ولكن من الضروري في الوقت ذاته إيجاد مرتكزات منهجية سليمة، من شأنها أن تمنحنا زاوية ملائمة، تسمح برؤية الجوانب المتنوعة في وحدة مشكلية واضحة المعالم إلى حدٍ معقول)[1].

ونحن بدورنا إذ نستشرف البحث في موضوعٍ يعد «نازلة» جديدة بالمسلمين ـ بصورته المعاصرة ـ ويحتل رقعة جغرافية تسع العالم بأكمله، كما يستشف من مسرد المؤتمرات المعقودة، ومواقعها، ويتناول موضوعاتٍ على درجةٍ فائقة من الخطورة والحساسية والآثار المتعدية، لا بد لنا من منهجية صارمة في استقراء معالم هذه الظاهرة المعاصرة ومراميها المعلنة والخفية، وتتبع أصولها التاريخية ومفهومها المعاصر لدى مختلف الفرقاء.



(١) الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم: أليكسي جوارفسكي. ترجمة: د. خلف محمد الجراد. مراجعة: أ.د: محمود حمدي زقزوق، عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت طبعة (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م). (٢١ ـ ٢٢).

الفصل الثاني

الأصول التاريخية لدعوة التقريب بين الأديان

مرت دعوة التقريب بين الأديان بمراحل متعددة قبل أن تصل إلى الصيغة السائدة النشطة في النصف الثاني من القرن العشرين. ذلك أن المسافة بعيدة جداً بين الرفض المطلق والقبول النسبي، أو النبذ الكلي والاعتراف الجزئي، وتحتاج إلى سلسلة طويلة من الممهدات الفكرية لإحداث تغييرات جذرية لدى الملل التي لا تحتكم إلى معايير ثابتة، وعقائد راسخة في مبادئها وتقويمها للآخرين، وهذا ما حدث بالفعل من جانب أهل الكتاب، والنصارى خاصة، ومن بعض الشذاذ المنتسبين إلى الإسلام على مدار التاريخ.

وقد بدأت محاولات تقريب الإسلام إلى الملل والأديان الأخرى منذ وقتٍ مبكر، في العهد النبوي المكي، من قبل المشركين كما حكى الله عنهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم]، وحين عرضوا على نبينا محمدٍ ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، فأنزل الله آياتٍ حاسمة حازمة تقطع طمع كل طامعٍ مراوغ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[1] [الكافرون].

---

(١) روى الطبري، وابن أبي حاتم - رحمهم الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجلٍ بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكُفَّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلةً واحدة، فهي لك، ولنا فيها صلاح. قال: ما هي؟ قالوا تعبد آلهتنا سنة، اللات=

وتكررت المحاولة في العهد النبوي من قبل أهل الكتاب لزحزحة المسلمين عن دينهم وإعادتهم إلى الشرك، أو الدخول في اليهودية أو النصرانية. قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ

= والعزى، ونعبد إلهك سنة. قال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي. فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون]، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر]. جامع البيان (٣٠/ ٣٣١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقوله في الحديث: «حتى أنظر ما يأتيني من ربي» قد يقول هذا من يقصد به دفع الظالمين بالتي هي أحسن، ليجعل حجته أن الذي أنزل عليه طاعته قد منع من ذلك. فيؤخر الجواب حتى يستأمره. وإن كان هو يعلم أن هذا القول الذي قالوه لا سبيل إليه... فليس في مثل هذا الجواب تردد ولا تجويز منه أن الله يبيح له ذلك) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٤٤).

وفي رواية الطبري وابن أبي حاتم أبو خلف، عبد الله بن عيسى، قال الحافظ ابن حجر: «ضعيف» التقريب (١/ ٤٣٩). وقد روى الطبري عن سعيد بن مينا أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا خير مما في يدك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك. فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون] حتى انقضت السورة. جامع البيان: (٣٠/ ٣٣١). ونسبها القرطبي إلى ابن عباس (٢٠/ ٢٢٥)، وانظر: أسباب النزول للواحدي (٥٠٥)، ولباب النقول للسيوطي (٢٣٧) من رواية عبد الرزاق عن وهب قال: قالت كفار قريش للنبي ﷺ: إن سرك أن تتبعنا عاماً، ونرجع إلى دينك عاماً. فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون] إلى آخر السورة.

بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة]. ومن ذلك ادعاؤهم الإبراهيمية، ومحاجتهم المسلمين في ذلك، فأدحض الله حجتهم، وأكذبهم بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران].

فإذا تجاوزنا هذه المرحلة من العهد النبوي الذي تم فيها إرساء قواعد الإيمان وتقرير أحكام أهل الكتاب من الناحيتين العقدية والشرعية، والتحذير التام من الانسياق لإغراءاتهم المختلفة: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، نجد أن تاريخ اليهودية والنصرانية والإسلام يضم بعض الشواهد التاريخية المتناثرة، أو بعض الممهدات الفكرية المتسلسلة لفكرة التقريب.

وهدف هذا الفصل تتبع تلك الشواهد، ورد الفروع الراهنة إلى الأصول الماضية في مسارب الزمن، وثنايا التاريخ.

كما أن التاريخ البشري العام، خارج حدود اليهودية والنصرانية والإسلام، يحتفظ بمحاولات للتقريب بين الأديان، لعل ممن أشهرها محاولة الملك المغولي الإمبراطور أكبر[1]، في الهند، الذي كان يجمع

---

(١) الإمبراطور أكبر: (١٥٤٢ ـ ١٦٠٥م)، سليل تيمورلنك، ابن همايون من زوجته الفارسية حميدة، ثبَّت إمبراطورية المغل المتداعية حين استلم الحكم ١٥٥٦. يعتبر أعظم الملوك المسلمين، وأباطرة المغل في الهند. ترك=

زعماء الأديان المختلفة من مسلمين ونصارى وهندوس، ويعقد بينهم المناظرات إبان فترة حكمه في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. «وقد شيد لهذا الغرض بناية فخمة في عاصمة مملكته «فاتحبور سِكري»، أطلق عليها اسم «خان العبادات»، وسعى لتحقيق المساواة بين الأديان، فألغى الجزية والامتيازات الأخرى، وحاول تأسيس دينٍ جديد ملفقٍ من سائر الأديان سماه «دين إلهي».

وقد أثار نهمه بالمناظرات التنافس بين أتباع الأديان المختلفة، حتى إن نصارى الهند بعثوا سفاراتٍ إلى روما وفرنسا وأسبانيا للاستعانة بهم في مناظرة المسلمين أمام الإمبراطور، فأمدوهم باليسوعيين والفرنسيسكان، طمعاً في تنصير المغول، ولكن المناظرات التي كان يديرها الإمبراطور نفسه أسفرت عن اعتناقه للإسلام، وتسميه بمحمد، وتلقبه بجلال الدين، وتكنيه بأبي الفتح[١].

ولا بد من تحديد مدلولٍ واضح لما هو «تاريخي» وما هو «معاصر»، وقد اعتمدت عرف المؤرخين باعتبار التاريخ المعاصر هو القرن الراهن، أي المائة سنة الأخيرة[٢].

= إمبراطورية قوية منظمة، امتدت من كابل غرباً إلى بنغال شرقاً، ومن أسفل الهملايا شمالاً إلى نهر نرمدة جنوباً، استعاد من الفرس مستعمرات أجداده في أواسط آسيا. المنجد في الأعلام (٥٨).

(١) انظر: المنجد في اللغة والأعلام: لويس معلوف اليسوعي. دار المشرق. بيروت ـ لبنان. الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م. (٥٨). ومجلة الأمة عدد ٥٤ عام ١٩٨٥م (٤٣) وانظر صوراً لخان العبادات وجلسات المناظرات في Recognize the Spiritual Bonds which Unite Us. p:4,87,88.

وانظر تمجيد روجيه جارودي له في الباب الثاني، المحاولات الفردية.

(٢) ليس ثم تقسيم حاسم، متفق عليه، للعصور التاريخية، والتقسيم الغربي التقريبي يدل على ما يلي:

العصور الوسطى التي تلت العصور القديمة: تبتدئ من سقوط الإمبراطورية=

وسوف تتم دراسة الأصول التاريخية من خلال ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: عند اليهود.
- المبحث الثاني: عند النصارى.
- المبحث الثالث: عند المسلمين.

= الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ وتنتهي باكتشاف كولومبوس لأمريكا عام ١٤٩٢م، وأما عصر النهضة فيطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة (القرون ١٤ ـ ١٦) ويؤرخ لها بسقوط القسطنطينية (١٤٥٣م). وتمثل القرون (١٧، ١٨، ١٩) العصر الحديث. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: إشراف: محمد شفيق عطا غربال. دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. الطبعة الأولى عام ١٩٦٥م. (١٢١٦ ـ ١٢١٧).

المبحث الأول

الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند اليهود

لم يُبد اليهود ميلاً إلى التقارب مع الديانات الأخرى، سواءً في المجتمعات النصرانية التي سيموا فيها سوء العذاب، أو في المجتمعات الإسلامية التي نعموا فيها بالأمن والاستقرار ورغد العيش، بل وتبوءوا فيها المناصب العليا، فيما عرف في اصطلاح اليهود أنفسهم بـ «العصر الذهبي لليهود»، في أسبانيا المسلمة، «الأندلس»[(١)].

ويرجع ذلك إلى عقيدة صارمة راسخة، هي عمدة الديانة اليهودية المتوارثة وهي: «عقيدة شعب الله المختار» الذي حظي بالاصطفاء، وأقيم العهد الرباني معه دون غيره، وما أنشأ ذلك من عقائد تلمودية[(٢)] باعثها الحقد والتشفي من الأمم الغالبة، بوصفها «أغياراً» أو «جوييم» ـ أي أمميين ـ لا تستحق مُصافَّة اليهود، فضلاً عن مقاربتهم.

لذا عاش اليهود ردحاً من الزمن في عزلة اجتماعية وفكرية وسياسية عن المجتمعات التي يقطنونها كأقليات. وضرب الحاخامات حول أتباع الديانة اليهودية سياجاً من التحذيرات والإرهاب الروحي، وأحياناً البدني لمن تسول له نفسه خرق التعاليم الدينية. ولم يطوّر اليهود من موقعهم الديني ـ خلافاً للنصارى ـ أي مشروع للتقارب مع الآخرين، رغم شدة الضغوط والاضطهاد التي يلقونها غالباً، قال

---

(١) انظر: التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية، وطأة ثلاث آلاف سنة. إسرائيل شاحاك (٩١).

(٢) انظر: حقيقة التقريب عند اليهود في هذا الباب.

تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف]، بل وحين واتتهم الفرصة، أسفروا عن خبايا نفوسهم، وصرحوا بأفضلية دينهم على سائر الأديان، كما جرى ذلك حين هجم المغول على الممالك الإسلامية، وقضوا على الخلافة العباسية، وفتكوا بالمسلمين في بغداد سنة ٦٥٦هـ ـ ١٢٨٥م، في حين أمَّنوا اليهود والنصارى(١)، وفتح الوزير الرافضي الخبيث، ابن العلقمي(٢)، والخواجه نصير الدين ـ بل نصير الشرك ـ الطوسي(٣) الباب على مصراعيه للزنادقة والفلاسفة، وبنى لهم «دار الحكمة»(٤). ففي تلك الأحوال المضطربة التي ينعق فيها بوم الكفر والزندقة، ويغيب فيها سيف السلطان، وكلمة الحق، ألّف اليهودي سعيد بن منصور بن كمونة(٥) كتابه «تنقيح الأبحاث في البحث

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١٣/ ٢٠٢).

(٢) محمد بن أحمد بن علي (٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ) أبو طالب، مؤيد الدين! الأسدي، البغدادي، المعروف بابن العلقمي، وزير المستعصم العباسي، وصاحب الجريمة النكراء في ممالأة هولاكو على غزو بغداد، كان رافضياً، وقد أهين على أيدي التتار بعد دخولهم بغداد، ومات غماً في قلة وذلة، ودفن في مشهد موسى بن جعفر «الكاظمية» ببغداد.
انظر: الأعلام (٥/ ٣٢١).

(٣) محمد بن محمد بن الحسن (٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ) أبو جعفر، فيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علت منزلته عند هولاكو فكان يطيعه فيما يشير عليه. ابتنى بمراغة قبة ومرصداً عظيماً، وقرر منجمين لرصد الكواكب، وجعل لهم أوقافاً تقوم بمعاشهم، وكان هولاكو يمده بالأموال. صنف كتباً عديدة في الفلسفة وعلم الهيئة والرياضيات. وهلك ببغداد. انظر: الأعلام (٧/ ٣٠).

(٤) المرجع السابق (١٣/ ٢١٥).

(٥) سعيد بن منصور بن سعد، هبة الله، ابن كمونة: الإسرائيلي، عز الدولة، =

عن الملل الثلاث». (لقد وضع ابن كمونة بحثه في الوقت الذي كان فيه الإسلام ـ تماماً كالمسيحية واليهودية ـ ديانة تتقبلها السلطة المغولية ـ البوذية. هذه المساواة في نظر السلطة بين الأديان الثلاثة هي ما أتاح لابن كمونة القيام بهذه المقارنة التاريخية. . .

إنه حوار الديانات الثلاث كما كان يقدر لمثل هذا الحوار أن يقوم في بغداد في القرن الثالث عشر)(١).

والحقيقة أنه كان حواراً من طرفٍ واحد، بل إنه يفتقر إلى المساواة خلافاً لما يزعمه الكتاب الغربيون المغرمون بالنقد التاريخي للأديان. وقد أجحف ابن كمونة الإسلام حقه، وطعن في صدق القرآن، مما حمل العامة على محاولة قتله(٢).

وحين أبدى الرِّبي إبراهيم بن موسى بن ميمون، الذي ورث عن والده الشهير لقب «رأس الجالوت»، في مصر الأيوبية سنة ١٢٣٧م، نوعاً من الميل والتقارب مع الشريعة الإسلامية، قوبل مقابلةً عنيفةً من أبناء الجالية اليهودية، ورمي بالابتداع لأنه دعا إلى (تقليد المحيط المسلم، مثلاً في الصلاة. . . يقترح إزالة المساند من الكنيس، وتوزيع سجاجيد الصلاة على الأرض، كما هو الحال في المساجد. واقترح أيضاً الركوع كما هو الحال في صلاة المسلمين. . . ويمتدح

= أديب، منطقي كيميائي فيلسوف اليهود. من أهل بغداد، توفي بالحلة سنة (٦٨٣هـ). من مؤلفاته: «شرح تلويحات السهروردي في الحكمة»، «اللمعة الجوينية»، «شرح الإشارات لابن سينا»، «الحكمة الجديدة في المنطق»، «شرح التلويحات في المنطق والحكمة»، انظر: الأعلام (٣/ ١٠٢)، كشف الظنون (٩٥، ٤٨٢، ٤٩٥، ٦٨٥)، معجم المؤلفين (٢/ ٢١٤).

(١) الحقيقة بنت زمانها، مقارنة الأديان عند ابن كمونة. فريدريش نيفونر. مجلة الاجتهاد (٢٨/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٢) المرجع السابق (١٧٢ ـ ١٧٨).

الصمت المحترم في المساجد الذي كان على نقيض الضوضاء غير المبجلة والصخب الذي تميزت به المعابد اليهودية في ذلك الزمن...)(١).

وقد آل به الأمر أن اشتكاه اليهود إلى الملك العادل، بدعوى أنه (يحاول إرغامهم على تبني بدعة محرمة في دينهم... لذلك أجبر إبراهيم أن يعتذر للحاكم المسلم، وأن يعلن توبته، وأنه لن يسيء استخدام سلطته باعتباره «رأس الجالوت» للطائفة اليهودية، وذلك عن طريق إدخال بدعٍ عليها)(٢).

إن اليهود، لبواعث عنصرية بحتة، لم يخضعوا ديانتهم لتجربة التقارب بين الأديان، وحرصوا أشد الحرص على التميز عن الأمميين، ولكنهم استعاضوا على تعريض دياناتهم للمساومة بإنشاء الجمعيات الهدامة التي تدعو إلى «العالمية» وتطلق الشعارات الإنسانية الفضفاضة، كالحرية والإخاء والمساواة ليتم تذويب، وصهر جميع الأديان، والثقافات العالمية في صهريجه الضخم، وتبقى «اليهودية» نقية، متماسكة أمام تيار «العالمية»، فيتسنى لها بعد القضاء على الخصوم، تحقيق السيادة على العالم.

الماسونية:

ومن أقدم تلك الجمعيات وأشهرها، وأكثرها نفوذاً: «الماسونية». وهي منظمة سرية يهودية، عالمية، يرجع بعض الكتاب تاريخ إنشائها إلى حقبٍ بعيدة في التاريخ، ترفع شعارات إنسانية، وتخفي ملامح

---

(١) الفكر الإسلامي والفكر اليهودي: بعض جوانب التأثير الثقافي المتبادل، هافا لازاروس ـ يافه. مجلة الاجتهاد (٢٨/ ٢٠٤ ـ ٢٠٩).

(٢) المرجع السابق.

يهودية في طقوسها ورموزها واصطلاحاتها، وتهدف في آخر المطاف إلى سيطرة اليهود على العالم[١].

وليس من هدف البحث الاستطراد في حقيقة هذه الجمعية الغامضة وما أحيطت به من مبالغات وتهويلات ـ ربما كان وراءها الماسون أنفسهم ـ بل الذي يعنينا هو موقفها من قضية التقريب بين الأديان، بوصفها جناحاً قوياً من أجنحة اليهودية، في موازاة الصهيونية. فالماسونية لاستغلال غير اليهود في مصالح اليهود، والصهيونية للحفاظ على هوية اليهود خاصة.

يقول رئيس محفل الشرف الأعظم الماسوني، محمد رشاد فياض، في كتابه النور الأعظم: (الميمات الثلاث في الموسوية والمسيحية والمحمدية[٢] يجتمعون ـ هكذا ـ في ميم واحدة هو ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات. إنها تجمع وتوحّد المتفرقات والمتشتتات، وإن باءي البوذية والبرهمية يجتمعان في باء البناء، بناء هيكل المجتمع الإنساني الصالح المنزه من العمالة العنصرية والعملاء. إن ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادئ الحرية والمساواة والإخاء، ونحن نزيد عليها المحبة والعدالة

---

(١) انظر عن الماسونية: السر المصون في شيعة الفرِمسون، لويس شيخو، أسرار الماسونية: الجنرال رفعت أتلخان، الماسونية: داود سنقرط، بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة وتقديم: د. إحسان حقي. دار النفائس. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، الماسونية: محمود ثابت الشاذلي، الماسونية ذلك العالم المجهول. صابر طعيمة، الماسونية في العراء. د. محمد الزغبي.

(٢) المحمدية: تعبير يراد به المسلمون. وقد نقل الشيخ بكر أبو زيد عن محمد علي مؤلف: الفكر الخوالد قوله: (أما التسمية بمحمدي ومحمدية فلم تكن في يوم من الأيام سائدة ولا مستساغة لدى أتباع هذا الدين، وعقب قائلاً: (إذاً: فالتوقي من هذا الإطلاق مناسب). معجم المناهي اللفظية (٤٩٧).

والعطاء. . . الماسونية على حقيقتها ليست عمالة لأية ديانةً أو عنصريةً معينة. إنها عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، وبالمبادئ الإنسانية مزينة. عقيدة الأحرار، هي عقيدة لجميع أبناء البشرية دون تمييزٍ أو تفريق. وإنها لن تمنح الفضل والأولوية لفريقٍ دون فريق)[١].

وهذه عباراتٌ مشبعة بالرموز الباطنية التي تذكر بمقالات البهائية والصوفية من جهة، ومسكونة بروح التهمة من جهة أخرى، لا سيما وهي تصدر عن ماسوني عربي يحاول تحسين وجه الماسونية اليهودية الكالح، وإلا فإن عداء الماسونية للأديان جميعاً أمرٌ لا يخفى قد طفحت به تصريحاتهم، كما جاء في البرتوكول الرابع عشر لحكماء صهيون: (عندما نغدو سادة لن نترك ديناً قائماً غير ديننا القائل بالإله الواحد الذي يرتبط به مصيرنا. لأننا نحن شعب الله المختار، وبنا ارتبط مصير العالم، ولذا يجب أن نقضي على كل الأديان، فإذا نشأ عن ذلك وجود ملحدين عصريين فإنهم سيكونون عناصر انتقالية، وهذا لا يضر مخططنا لأنهم سيكونون مثالاً للأجيال التي ستعتنق تعاليم دين موسى، الذي بفضل قوته وعقلانيته يجب أن ينتهي بنا إلى التسلط على العالم كله)[٢].



---

(١) النور الأعظم (١١٢ ـ ١١٥). عن الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين (١٨١).

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون (٨٦). ترجمة: د. إحسان حقي. وانظر الماسونية تحت المجهر (٥٦ ـ ٥٧).

المبحث الثاني

الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند النصارى

لقد كان ظهور الإسلام وانتشاره السريع في القرن السابع الميلادي صدمة عنيفة للكنائس النصرانية المختلفة التي تهيمن على شعوب منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط وما جاورها، فقد تهاوت معاقل النصرانية العريقة ومهد المسيح عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل، أمام الفاتحين الجدد من أصحاب العمائم، رعاء الشاء والإبل، الضاربين في تيه الجزيرة العربية لقرون بعيدة، وفي تيه الشرك والوثنية والتخلف لقرونٍ أبعد. وفي مدةٍ تقل عن مائة عام تمكن المسلمون من إخضاع جميع السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للبحر الأبيض المتوسط وفي مدةٍ تزيد على المائة قليلًا بلغوا أعماق أوروبا النصرانية في جنوب فرنسا. (وهكذا كان الإسلام يتوسع على نحوٍ مندفع مخلفاً، في الحقيقة، صدماتٍ هائلة تستعصي على التصور)[1]. كما عبر أحد الكتاب الغربيين.

والصدمة الكبرى التي تفوق إخضاع الأرض وضمها لدار الإسلام، كانت تتمثل في خضوع القلوب لدعوة الحق، ودخول الناس في دين الله أفواجاً. كما وعد الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف]، فـ (في مرحلة لاحقة، ومع الرسوخ السياسي واللاهوتي للدين الإسلامي،

---

(١) انظر: الشخصية العربية في الجدال المسيحي مع الإسلام. دانيل ساهاس. مجلة الاجتهاد (٢٨/ ١١١).

وتنامي النزعات والاتجاهات الانتقادية للمسيحية، تحولت الكتلة الأساسية لمسيحيي الشرق الأدنى إلى الإسلام)[1]، كما يعترف كاتب آخر.

وربما ظنت الدولة البيزنطية لأول وهلة أنها أمام زوبعة عارضة نشأت بسبب انفجار سكاني، وضيق معيشي حاق بأعراب الجزيرة، سرعان ما تخبو جذوته ويخمد لهيبه، لافتقار القوم لأسس التنظيم والتخطيط الذي يحفظ مكاسبهم.

وربما ظنت الكنيسة الأرثذوكسية، وغيرها من الكنائس المحلية الأخرى أنها أمام همج رعاع لا يرتقون في تفكيرهم إلى آفاق الثقافة الهلنستية[2]، فلا تملك تقاليدهم البدوية الصمود أمام الفلسفة النصرانية العريقة.

ولكن هذه الظنون من المؤسستين الرسمية والكنسية تهاوت، كما تهاوت جحافلهم أمام إيمان الفاتحين المسلمين، ومتانة ووضوح عقائدهم.

ولم تشأ كبرياء الكنيسة النصرانية المصطنعة أن تذعن للحق، كما لم تشأ الإمبراطورية البيزنطية أن تذعن للأمر الواقع، ومن ثم فقد اتسمت العلاقات بين المسلمين والنصارى بالعداء المستمر طوال التاريخ، كما أن العلاقة بين الإسلام والنصرانية المحرفة اتخذت نفس الطابع، ولم يكن هناك مجالٌ لما عُرف أخيراً باسم «التقريب» أو

---

(١) الإسلام والمسيحية. أليكسي جورافسكي. (١٧٨).

(٢) الهلنستية أو الهيلينية Hellenism: الثقافة الناشئة من امتزاج الفلسفة اليونانية بثقافات حوض البحر المتوسط. وهي الثقافة السائدة إذ ذاك، انظر: الموسوعة الفلسفية: د. عبد المنعم الحَفني. دار ابن زيدون ـ بيروت، مكتبة مدبولي ـ القاهرة. الطبعة الأولى. (٥٠٢).

«الحوار» من الجانبين، بالصفة التي تمخضت عنها النصرانية في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.

ويصف المستشرق الروسي إليكسي جورافسكي هذه العلاقة التاريخية في جانبيها السياسي والعقدي بالعبارات التالية: (إن المجابهة العسكرية ـ السياسية بين هاتين الديانتين ـ أو قل بين هاتين الحضارتين ـ منذ بدء ظهورهما المتجاور، ووصولاً إلى القرن العشرين كانت هي الطابع المسيطر على علاقاتهما الأخرى، ـ بما في ذلك العلاقات الدينية ـ الأيديولوجية. وبودنا التأكيد في هذا السياق أن ترسيخ الإسلام وتوطيد أركانه العقائدية في سوريا، ومصر وشمال أفريقيا سحبا من المسيحية النصف الغني بثرواته من المجال الجغرافي الحضاري لشاطئ البحر المتوسط.

إن فتح المسلمين إسبانيا وصقلية، والحملات الصليبية إلى فلسطين، واستيلاء الصليبيين على القدس، وثأر صلاح الدين الأيوبي وانتصاره عليهم، وطرد العرب ـ المسلمين من أسبانيا، وسقوط القسطنطينية، وهجوم الأتراك العثمانيين على مناطق البلقان، وتمرد الشعوب الإغريقية والسلافية، كل هذه المصادمات والمجابهات العنيفة ألبست رداء الدين، والحرب من أجل تعزيز راية الإيمان ضد «الكفرة»[1]. ولهذا فإن مقولات مثل: «الحروب المقدسة» أو «الجهاد» ترسخت في وعي ومدارك، وفي لاوعي أتباع الديانتين كأوامر إلهية لا راد لها، بل أصبحت فريضة على المؤمنين من كلتا العقيدتين أن يلتزموا

---

(١) وهذا هو الواقع ظاهراً وباطناً لدى المسلمين في فتوحاتهم، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] وغيرهما، أما بواعث النصارى فالرجل أدرى بقومه.

بأدائها، والاستشهاد في سبيلها، وصولاً إلى إلغاء الطرف «الكافر»، أو «إخضاعه» وإلزامه بشروطٍ مذلة في كثيرٍ من الحالات والمواقف)[١].

أساليب النصارى في مواجهة الإسلام:

لقد احتاجت النصرانية إلى ثلاثة عشر قرناً من الزمان، بدءاً من القرن السابع إلى القرن العشرين حتى تبلغ مرحلة «الحوار». وبين التنافر والتقارب برزت في الفكر النصراني ممارسات متنوعة في مواجهة الإسلام في جانبه العقدي، يمكن تحديدها بما يلي:

أولاً: أسلوب التشويه والتضليل:

وقد ولد هذا الأسلوب في وقتٍ مبكر، لمواجهة موجات الفتح الإسلامي والاعتناق الجماعي لدين الإسلام. ومن أشهر من أرسى قواعده قسيسٌ دمشقي عرف باسم «يوحنا الدمشقي»[٢] المتوفى سنة ٧٥٠م، وقد عاش هو وأبوه منصور بن سرجون في أكناف أمراء بني أمية. وقد ألف عدة مؤلفاتٍ ضمنها القدح في الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه القرآن. فالإسلام عنده ليس دين إبراهيم عليه السلام، بل هو مؤذِن بالمسيح الدجال. والرسول ﷺ واحد من أتباع بدعة آريوس، لا يعرف من العهدين القديم والجديد إلا ما ضحلت قيمته، والقرآن نتاج لأحلام اليقظة، كما ينتقد إجراءات الزواج والطلاق في الشريعة[٣].

---

(١) الإسلام والمسيحية (٣٦ ـ ٣٧).

(٢) ولد في دمشق عام ٦٧٥ تقريباً. من آباء ومعلمي الكنيسة، ويوصف بـ«القديس». قاوم ما يسميه النصارى بدعة تحطيم الصور «الأيقونات»، وألف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر. انظر: المنجد في الأعلام (٧٥٣).

(٣) انظر مقالة: (الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام) داينيل ساهاس مجلة الاجتهاد: (٢٨/١٠٩ ـ ١٣٦).

إن هذا القسيس المضلل، الذي يصفه النصارى بـ «القديس»، يبوء بإثم إشاعة هذه الافتراءات التي صدت كثيراً من النصارى في الشرق والغرب عن الوقوف على حقيقة الإسلام[1]. يقول إليكسي جورافسكي: (إذا كنا نتفق على واقعة أن التصورات الأوربية عن الإسلام تشكلت ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر للميلاد، فإننا يجب أن نشير إلى حقيقة أن هذه التصورات تكونت في كثير من جوانبها وخطوطها الكبرى على خلفية التفسير المسيحي الشرقي للعقيدة الإسلامية. وتعد المؤلفات التي وضعها يوحنا الدمشقي، المتوفى سنة ٧٥٠م من أكبر الدراسات المسيحية الشرقية عن الإسلام.

والواقع أن التصورات المتكونة عن الإسلام كبدعة مسيحية، مرتدة، ومنشقة، وعن محمد كنبي مزيف، انتقلت من مسيحيي سوريا إلى البيزنطيين، ومنهم إلى الأوربيين)[2].

وإذا كان يوحنا الدمشقي، وهو عربي النسب واللسان، يلجأ إلى كتابة مفترياته وتشويهاته المتعمدة عن الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه العزيز، باللغة اليونانية، وهو يعيش بين ظهراني المسلمين، وفي خدمة البلاط الأموي خشية رد الفعل العلمي والاجتماعي والسلطوي، فللقارئ أن يتخيل ما يمارسه القسس الحاقدون الذين يعيشون خلف الحدود في أرجاء أوروبا البيزنطية، ثم الرومانية، حيث لا يعلمون عن الإسلام وعقيدته وشريعته وتطبيقه سوى ما يتلقفون من إنتاج نظرائهم الذين يتميزون غيظاً وحسداً في المشرق الإسلامي، ثم يضيفون إليه ما تبلغه

(١) يقول داينيل ساهاس: (يبدو أن يوحنا الدمشقي هو أول كاتب بيزنطي استخدم هذا التشويه الإتيمولوجي ـ أي الاشتقاقي ـ لأغراض الجدل العنيف، وتحفيز الذاكرة) الاجتهاد (١٢٦/٢٨) وذلك حين نبز المسلمين بلقب «السرازنيين Saracens»، أي الذين أبعدتهم سارة باحتقار.

(٢) الإسلام والمسيحية (٧٠ ـ ٧٣).

أوهامهم المريضة، وخيالاتهم الفاسدة من أساطير وحكايات مسفة. وهذا ما حدث بالفعل في أوروبا، طوال القرون الوسطى. فقد رُوجت العديد من الخرافات والتهم السخيفة عن الإسلام، وعن شخص نبينا محمد ﷺ نعف عن ذكرها إكراماً له وتوقيراً، مما حدا بباحث غريب معاصر أن ينتقدها بإنصاف قائلاً: (وللحقيقة، يجب القول أن تلك الأساطير المختلقة تمثل سخرية مأساوية، لأن النبي «محمد» الذي حارب أكثر من أي مخلوق آخر عبادة الأوثان، والذي حطم جميع أصنام الكعبة، يتحول في تصور المسيحيين إلى «صنم يؤلهه أتباعه» الذين يطلقون عليهم ازدراءً واحتقاراً لقب «عبيد سارة» أو «أبناء الجارية»[(١)]. وقد ظل هذا الأسلوب هو الأسلوب السائد والأسهل في الأوساط الشعبية للتنفير من الإسلام والصد عن سبيله، حتى اعتنقت أوروبا المذاهب العقلية، وانعتقت من سلطان الكنيسة الكهنوتي، فانحسر نوعاً ما، وإن كنا لا نزال نطّلع على خائنةٍ منهم، تحملها وسائل الإعلام المختلفة، تنبىء عن حقدٍ دفين[(٢)].

ثانياً: أسلوب المجادلة العقلية وإثارة الشبهات:

ورائد هذا المسلك هو الراهب الفرنسي (بطرس المبجَّل) ـ كما يصفه النصارى ـ عاش في الفترة ١٠٩٤م ـ ١١٥٦م، وشغل منصب رئيس كهنة دير كلوني، وقد عاصر قيام الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م والثانية ١١٤٥م، وأدرك فشل المسلك العدواني العسكري في تحقيق الأهداف النصرانية. (وقد انطلق من مُسلّمة حتمية الصراع ولكن ليس

---

(١) الإسلام والمسيحية (٧٧)، وانظر أيضاً ما جاء في (٦٧، ٧٤ ـ ٧٦).

(٢) دأبت وسائل الإعلام الغربي النصراني ـ ومن خلفها اليهود ـ على تشويه صورة الإسلام والمسلمين بتصويرهم بصورة الأحمق الجاهل المتخلف، وأخيراً الإرهابي، وبث ما يسيء إلى المسلمين ويحتقرهم من الدعايات التجارية التي تسخر بعقائد الإسلام وشرائعه.

بالسيف، وإنما بالكلمة والإقناع والحجة. وفي نظرته للمسلمين كهراطقة، واعتقد بطرس المبجل بإمكان إعادتهم إلى فلك الكنيسة، وذلك إذا تمكن اللاهوتيون والمبشرون المسيحيون من أن يظهروا لهم بشكل مقنع، أين تكمن انحرافاتهم وضلالاتهم)[1].

ومن المعروف أن دير كلوني الذي ينتمي إليه بطرس المبجل - عندهم - كان له دورٌ بارز في تاريخ النصرانية، فيما عرف بـ «الإصلاح الكلوني» وعلى وجه الخصوص في تأجيج الروح الصليبية في حرب الاستعادة الأسبانية Reconquista، ولكن الفترة التي تولى فيها هذا الراهب رئاسة الدير، كانت أوروبا مشغولة عنه بتمويل الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ضد منطقة شرق المتوسط، مما أدى إلى إعطاء الحروب الأسبانية ضد المسلمين مكانة ثانوية. ولعل هذا ما حدا به إلى سلوك أسلوب المجادلة العقلية.

يقول أستاذ لاهوت الأديان «لودفيغ هاغمان»: (يعتبر رئيس كهنة دير كلوني بطرس المعروف بالمبجَّل «١٠٩٤ - ١١٥٦» أول من مهد الطريق للمجادلة العقلية مع الإسلام، وقد اكتسب بذلك شهرة عريضة. فأثناء زيارته التفتيشية والرعوية للأديرة الخاضعة لرهبنته في أسبانيا عام ١١٤٢، خطرت له فكرة القيام بمجادلة عقلية. فالمعلومات الناقصة وغير الواضحة التي كونها معاصروه لأنفسهم جعلته يصل إلى القناعة بضرورة سد هذا العجز عبر برنامج مُلِح وصفه كما يلي:

١ - ردم حدة العجز الحاصل في المعلومات.

٢ - استنكار العمليات العسكرية.

٣ - إعطاء الأفضلية لتبرير الإيمان والمعتقد المسيحيين.

(١) الإسلام والمسيحية (٨١).

٤ ـ أخيراً الإقدام على وضع ترجمة لاتينية للقرآن الكريم)[١].

وقد استعان بطرس هذا بجملة من المستعربين في ترجمة بعض الأحاديث النبوية، وكتابة بعض المقالات والمحاورات المزعومة، كما وجه بنفسه خطاباً مفتوحاً إلى (العرب، أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمداً)[٢].

كما صنف كتاباً أسماه «دحض العقيدة الإسلامية» ضُم لاحقاً إلى ترجمات أتباعه، وعرفت المجموعة باسم «المجموعة الطليطلية» أو «فيلق كلوني» (وهي المجموعة التي صارت بالنسبة للأوربيين المصدر الرئيسي للمعلومات والمعطيات عن الدين الإسلامي على مدى خمسمائة عام تقريباً)[٣].

وعلى الرغم من أن هذا اللون من المقاربة يراد به النقض والهجوم، إلا إنه يمثل تحولاً في الاتجاه العام لدى نصارى القرون الوسطى من مرحلة المهاترات والتلفيقات ونسج الأساطير والخرافات بغرض التنفير، إلى مرحلة متقدمة تعتمد التعرف على الخصم عن كثب، لمجادلته وإثارة الشبهات في وجهه. وقد نسج على منوال بطرس المبجل، فيما بعد، المستشرقون في القرون اللاحقة، كما لاحظ ذلك المستشرق جورافسكي، فقال: (يلاحظ أي باحثٍ موضوعي، أن الأغلبية المطلقة من مستشرقي القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين لم يتخلصوا من المواقف المسبقة الموجهة ضد الإسلام، سواءً أكان عداؤها صريحاً مباشراً وعنيفاً، أم كان يتسم بعدم الارتياح تجاه الشعوب الإسلامية)[٤].

---

(١) المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي. مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٢٥ ـ ٢٦).
(٢) انظر: الإسلام والمسيحية (٨٢ ـ ٨٣).
(٣) الإسلام والمسيحية (٨٤).
(٤) الإسلام والمسيحية (١٠٥).

ثالثاً: أسلوب التبشير «الدعوة إلى التنصر»:

ويمثل هذا الاتجاه الراهب الإيطالي فرنسيس الأسيزي «١١٨٢ ـ ١٢٢٦م». ويعده النصارى من أكبر قديسيهم، وإليه تنسب طائفة الرهبان الفرنسيسكان. وعمدتهم النص المنسوب إلى المسيح ﷺ: (اذهبوا في العالم أجمع، وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين) (إنجيل مرقس ١٦ : ١٥)[(١)]. وقد قام فرنسيس الأسيزي بنفسه بهذه المهمة، فقد صحب الحملة الصليبية السادسة الموجهة نحو مصر عام ١٢١٩م والتقى الملك الكامل الأيوبي ودعاه إلى النصرانية[(٢)].

ومن أشهر الرهبانيات التي انتهجت هذا الأسلوب، وكانت معاصرة من حيث النشأة للفرنسيسكان، طائفة الرهبان الدومينيكان التي أسسها الراهب الإسباني دومنيك «١١٧٠ ـ ١٢٢١م» وإليها ينسب «توما الإكويني»[(٣)] المتوفى سنة ١٢٧٤م، أكبر لاهوتي دومينيكاني.

ويقوم الفرنسيسكان والدومينيكان بذرع العالم، وبعث الإرساليات التنصيرية إلى شتى أنحاء المعمورة منذ تأسيسهما في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي حتى يومنا هذا.

ومن الجدير بالذكر أن الدومينيكان قد أسسوا معهداً في القاهرة باسم «معهد الدراسات الدومينيكاني»، انبثقت عنه أولى جمعيات التقارب الديني في البلاد الإسلامية، وهي جمعية «الإخاء الديني» عام

---

(١) العهد الجديد (١٧٨).

(٢) انظر: الإسلام والمسيحية (٨٧ ـ ٨٩).

(٣) توما الإكويني (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م) ولد في إيطاليا، وعلّم في جامعة باريس. معلم الكنيسة وحجتها في اللاهوت والفلسفة المدرسية «سكولاستيك». اطلع على آراء ابن سينا والغزالي وابن رشد عن طريق الترجمات اللاتينية وانتقدها. من مؤلفاته العديدة: الخلاصة اللاهوتية، والخلاصة ضد الأمم. انظر المنجد في الأعلام (١٩٦).

١٩٤١م، كما عقدوا ندوة حوارية حملت اسم الأيام الدومينيكانية[١].

رابعاً: أسلوب التقارب والحوار:

لعل أقدم تراثٍ نصراني يشير إلى نزعة التقارب والحوار الديني المفضي إلى تصويب جميع صور العبادات والأديان هو ما جرى به قلم الراهب «رامون لول»[٢] الذي عاش حقبة الحروب الصليبية في المشرق، والصراع الإسلامي ـ النصراني في الأندلس. وكانت مدينة «ميورقة» الأندلسية، مسقط رأسه، تضم مسلمين ونصارى ويهود. وقد ألف كتاباً باللغة العربية عنوانه: «الملحد ـ أو الظريف ـ والحكماء الثلاثة» (يبين فيه كيف أن «الحكماء الثلاثة»؛ اليهودي والمسيحي والمسلم، أنقذوا «الظريف» «الكافر» من يأسه، إذ حملوا إليه الرسالة نفسها: ليس الإنسان وحيداً. وللعالم معنى)[٣]. ويحكي هذا الراهب، المتأثر بفلسفة ابن عربي ـ كيف اكتشف هؤلاء الثلاثة وحدة إيمانهم العميقة، وخطيئة انقسامهم.

وقد كان لسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م بأيدي الفاتحين العثمانيين آثاراً بعيدة المدى على جميع المستويات، فقد اهتزت أوروبا من أدناها إلى أقصاها لسقوط مدينة قسطنطين الكبير، وحطم ذلك البقية الباقية من كبريائها. وكان من آثار ذلك أن (برزت أطروحات ومواقف

---

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي ـ ضرورة المغامرة: د. سعود المولى. دار المنهل اللبناني. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م). (١٤٠). وسيأتي التعريف بالجمعية ومناشطها في الباب الثاني (٩٤٢).

(٢) راهب فرنسيسكاني، ولد في ميورقة عام ١٢٣٢م، زاول التنصير في أفريقية، وعارض فلسفة ابن رشد. وشجع تعليم اللغات الشرقية. له مؤلفات بالعربية. توفي عام ١٣١٥هـ. انظر: المنجد في الأعلام (٦١٧).

(٣) انظر: الإسلام (١٣٦ ـ ١٣٨)، الإسلام في الغرب (٢٣٩ ـ ٢٤٠) لروجيه جارودي.

جديدة كل الجدة في هذا السياق، مثَّلها نيكولاي كوزاني (١٤٠١ ـ ١٤٦٤م) ويوحنا سيغوفي، (حوالي ١٤٠٠ ـ ١٤٥٨م) حيث انطلق الاثنان من رؤية، مؤداها أن الحرب لا تحل الخلاف بين الديانتين. وكلاهما اعتقد أن المحاولات الرامية إلى تحويل المسلمين إلى المسيحية بلا معنى ولا طائل منها، ولم تؤد إلى نتائج إيجابية. ولهذا طالبا بضرورة الكشف عن الفوارق والاختلافات الواقعية، والبحث الجاد عن الأمور المشتركة بينهما. وتماشياً مع هذا المنحى درس نيكولاي كوزاني ويوحنا سيغوفي فكرة وضع أساسٍ راسخ للحوار بين ممثلي هاتين العقيدتين)[١]. وقد ألف نيكولاي كوزاني كتابه «سلام الإيمان» في نفس العام الذي سقطت فيه القسطنطينية عام ١٤٥٣م. ثم ألف عام ١٤٦٢م (شرحاً نقدياً للقرآن الكريم «في غربلة القرآن» هادفاً إلى أن يباشر حواراً ينطلق مما هو مشترك بين المسيحيين والمسلمين)[٢] وكذلك صنع صديقه سيغوفي. وهذه المحاولات في تاريخ دعوة التقريب لدى النصارى دفع إليها هول الصدمة الناتجة عن سقوط القسطنطينية. وقد تلاها سابقة ملفتة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حيث وجه البابا بيوس الثاني ١٤٥٨ ـ ١٤٦٤م كتاباً إلى السلطان العثماني محمد الفاتح يتضمن بحثاً في مسائل عقدية[٣]، ودعوة إلى النصرانية، ولكنه كما وصف لودفيغ هاغمان: (تشتم منه رائحة اليأس)[٤].

وحين ظهرت حركة الإصلاح الديني «البروتستانتية» على يد مارتن لوثر[٥] (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م)، بدت وكأنها تتجه نحو الموضوعية في فهم

---

(١) الإسلام والمسيحية. (٩١).
(٢) الإسلام. روجيه جارودي. (١٣٨ ـ ١٣٩).
(٣) الإسلام والمسيحية. (٩٢).
(٤) المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي، مجلة الاجتهاد (٣٠/٢٨).
(٥) راهب أوغسطيني. لاهوتي ومفكر وكاتب. بدأ في ألمانيا الإصلاح الديني=

الإسلام، مما أطلق عليه مارتن لوثر «خرافات الأوربيين وجهالاتهم» حيال الإسلام، ولكنه سرعان ما قلب ظهر المجن، وصب جام غضبه وسبابه المقذع على الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحاصرون فيينا عام ١٥٢٩م[١].

و(في عام ١٧٠٥ أصدر هادريان ريلاند «١٦٧٦ ـ ١٧١٨م» كتابه «الديانة المحمدية» الذي يعتبر أول عرضٍ موضوعي للإسلام من وجهة نظر مسيحية... قامت الكنيسة الكاثوليكية بإلقاء الحرم عليه ومنعه. وفي هذا العصر قدم غولتهولد أفرايم لسنغ (١٧٢٩ ـ ١٧٨١م) عمله الأدبي «ناتان الحكيم»، الذي وضعه بصيغة رمزية جواباً عن السؤال التالي: أي من الديانات الثلاث، اليهودية، والمسيحية والإسلام تعتبر الدين الحق؟)[٢] ليصل إلى أن كلاً من الديانات الثلاث تعكس وحي الله.

ولكن هذه النبرات التي تحاول أن تتسم بالموضوعية في مطلع القرن الثامن عشر، ظلت خافتة ضعيفة وسط ضجيج التعصب والعماية لأصوات أكثر شهرة وقبولاً من أمثال الكاتب الفرنسي الشهير «فولتير»[٣]

= «البروتستانتية»، وانفصل عن الكنيسة في شأن الغفرانات، وسلطة البابا، والتبتل، وإكرام القديسين، والمطهر والقداس. وفي ١٥١٧م نقل التوراة إلى الألمانية، فكانت الترجمة حدثاً دينياً أدبياً، انظر: المنجد في الأعلام (٦١٥).

(١) انظر: المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي. مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٢٩)، والإسلام والمسيحية (٩٧).

(٢) المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي. مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٣١).

(٣) فولتير (فرنسوا ماري أراوي) ولد في باريس. مؤلف فرنسي من نوابغ زمانه. أقام في بروسيا وسويسرا. تزعم حركة الفلسفة المادية، وقاوم رجال السلطة الدينية والمدنية، ونقدهم بقلمه الرشيق اللاذع، كتب في الشعر والتاريخ والمسرح والمراسلة والفلسفة. من مؤلفاته: المحاورات الفلسفية «كنديد»، «زئير»، «محمد»، «شارل ١٢». انظر: المنجد في الأعلام (٥٣٣).

(١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م)، الذي ألف مسرحية بعنوان «التعصب، أو النبي محمد»، ونبز فيها شخص نبينا محمد ﷺ بأبشع الصفات، في عصر يوصف في التاريخ الأوربي بعصر الأنوار. (وبشكل عام يمكن التأكيد، أنه بدءاً من القرن الخامس عشر وإلى نهاية القرن التاسع عشر، نمت المعارف الواقعية عن الإسلام بصورة بطيئة لأقصى الحدود، وضمن وسط محدود جداً من الدوائر العلمية الأوربية)[١].

ويرى جورافسكي أن (الإرهاصات الأولية، الممهدة فلسفياً ولاهوتياً للحوار الإسلامي ـ المسيحي، الذي نوقش رسمياً للمرة الأولى في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني) تمت على يد شخصيتين بارزتين:

أحدهما: الفيلسوف الروسي فلاديمير سولوفيوف «١٨٥٣ ـ ١٩٠٠»، الذي تدرج في فهمه للإسلام وسر ظهوره التاريخي، وشخصية نبيه محمد ﷺ وكانت ذروة أبحاثه في هذا المضمار في كتابه «محمد: سيرته وتعاليمه الدينية»، الذي ألفه قبل وفاته بأربع سنوات ١٨٩٦م، وفيه يرتقي إلى إثبات نبوة محمد ﷺ حيث يقول: (في مكة ولد هذا الإنسان «النبي محمد»، الذي نفذت من خلاله وعود الرب، التي قطعها حول إسماعيل جد العرب، وجد نبيهم هذا... ـ ويقول: ـ لقد كان محمد يملك بالتأكيد عبقرية دينية خاصة... وكل تصرفاته كانت مرهونة ـ دون شك ـ بأسانيد دينية واضحة. إن دعوة محمد وأحاديثه عن الله وصفاته وقدراته وعن الوحي الإلهي، وعن الأوامر والنواهي، وعن مصير الأشرار والأخيار، رغم أنها لم تكن كاملة، ولكن هذه المبادئ لم تكن كاذبة مطلقاً)[٢].

---

(١) الإسلام والمسيحية (١٠٣).

(٢) عن الإسلام والمسيحية: (١١٦ ـ ١١٧).

ولا ريب أن هذا الفيلسوف يرصد الإسلام من وجهة نظر النصرانية حين يفتقد في الإسلام بعض عناصر اللاهوت النصراني، فيصفه بعدم الكمال. ودين الإسلام الذي أكمل الله به الدين وأتم به النعمة في غنىً عن شهادته وأمثاله، ولكن المقام مقام تبيين التدرج التاريخي في مقاربة النصارى لدين الإسلام وفهمه.

ولا ريب أن هذه الكلمات إذا قورنت بقائمة السباب المقذع الذي كان يصدر من كبار مفكري أوروبا ولاهوتييها خلال القرون الوسطى والحديثة، تبدو تحولاً مهماً وتقدماً في طريق الحقيقة، وإن كان بقي على القوم مراحل. ولأجل هذا الطرح الجريء لفلاديمير سولوفيوف في نهاية القرن التاسع عشر، عده جورافسكي (أباً مؤسساً لحوار بين الديانات الكتابية ـ التوحيدية الثلاثة)[(١)] على حد تعبيره.

ولعل هذا الفيلسوف اللاهوتي الأرثذوكسي، قد مهد الطريق للشخصية الثانية، الكاثوليكية، التي هيأت للتقارب والحوار في النصف الأول من القرن العشرين وهو: المستشرق الفرنسي: لويس ماسينيون[(٢)] ١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م، الذي اشتغل بالدراسات العربية في دمشق والقاهرة، واستهواه التصوف، فكانت أطروحته في الدكتوراه في جامعة السربون بعنوان: (مأساة الحسين بن منصور الحلاج[(٣)]، شهيد الإسلام الزاهد)،

---

(١) الإسلام والمسيحية: (١١١).

(٢) لويس ماسينيون: مستشرق فرنسي، عضو في المجامع العلمية في بلدانٍ عديدة شرقية وغربية، اهتم بنشر مؤلفات الحلاج. ترك آثاراً جمة في مختلف الشؤون الإسلامية، ولا سيما الصوفية منها. انظر: المنجد في الأعلام (٦٢٨).

(٣) أبو مغيث، فيلسوف من كبار الملحدين، كان يعتقد بالحلول ووحدة الوجود. قبض عليه المقتدر العباسي، وقتل شر قتلة سنة (٣٠٩هـ). له كتب في تقرير كفره وزندقته تربو على الأربعين، اعتنى المستشرقون بسيرته وتعاليمه. انظر: الأعلام (٢/ ٢٦٠).

وكتب عن ابن سبعين[١] الصوفي الأندلسي. واتجه إلى فكرة توحيد الديانات الكتابية الثلاث. (وفي رأي الدارسين، فإن مؤلفاته، وإسهاماته العلمية، ومنطلقاته الروحية، ونشاطاته السياسية مهدت الطريق للتحول الكاثوليكي الجذري بشأن الموقف من الإسلام)[٢].

يقول الأب موريس بورمانس[٣]: (.. بفعل «مسيحيين نبويين» مثل: ميجيل أسين إي بلاسيوس، ولويس ماسينيون وغيرهما، تجددت نظرة الكنيسة إلى الإسلام، وصارت ترى فيه، علمياً ولاهوتياً، دين توحيد يرتبط بالدعوة الإبراهيمية... فكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى إعلان المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م عن علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، الذي أصبح للكاثوليك «شرعة الحوار الإسلامي المسيحي»)[٤].

---

(١) ابن سبعين (٦١٣ ـ ٦٦٩هـ) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي الرقوطي، قطب الدين، أبو محمد، من الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود. من كتبه: الحروف الوضعية في الصور الفلكية، أسرار الحكمة المشرقية، النصيحة. قال ابن دقيق العيد ﷺ: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته، ولا تعقل مركباته. وقال الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله: «لا نبي بعدي»، ورد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية. الأعلام (٣/ ٢٨٠).

(٢) الإسلام والمسيحية. (١٢٠ ـ ١٢١).

(٣) ولد في «ليل» ـ فرنسا ـ عام ١٩٢٥م. رسِّم كاهناً في رهبانية الآباء البيض عام ١٩٤٩م. دكتوراه في الآداب من السربون عام ١٩٧١م، أستاذ اللغة والقانون الإسلامي والروحانية عند المسلمين في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بروما (١٩٦٤ ـ ١٩٨٤م)، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الكهنوت بروما «أوربانيانا»، مدير المجلة الدولية الإسلامية المسيحية Islamo Christiana، من مؤلفاته: «توجيهات في سبيل الحوار ط١٩٨١م»، الحوار الإسلامي المسيحي في العشر سنوات الأخيرة ط١٩٧٨م.

(٤) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: الأب: موريس=

لقد سلك ماسينيون في سبيل التقريب بين الإسلام والنصرانية مسلكين:

أحدهما: مسلك علمي يتجلى بجملة من الآراء والأفكار التي كونها عن الإسلام متأثراً باهتماماته الشخصية بالتصوف، وعلى الخصوص بالحلاج[1]. (إن تصور ماسينيون للدين الإسلامي يستند بالدرجة الأولى، ومن حيث الجوهر إلى النقطتين المركزيتين التاليتين:

١ ـ انتماء الإسلام للملة الإبراهيمية أو للشجرة الإبراهيمية.

٢ ـ النهج الذي سلكه الحلاج في تفسيره وممارسته للإشكالية اللاهوتية للإسلام)[2].

وهذه الثانية تكشف سر حماس ماسينيون للتقارب مع الإسلام. ذلك أن الفرق الهائل بين الإسلام والنصرانية يتركز في مفهوم «التوحيد»، حيث ينعى الإسلام على النصرانية عقيدة الحلول والتجسد في شخص المسيح، ويكفر القائلين بها لمنافاتها للتوحيد الخالص لله رب العالمين. وحيث إن الخلاف في هذه القضية خلاف أساسي مبدئي، فقد وجد ماسينيون في شخصية الحسين بن منصور الحلاج، الصوفي الزنديق، منفذاً يتسلل به إلى المسلمين، بتمجيد زائغٍ ينتسب إلى الإسلام ويقول بعقيدة الحلول، أي حلول الإله في شخصه، حتى حمله ذلك على أقوالٍ وأفعالٍ كفرية. قال ابن الجوزي[3] رحمه الله: (اتفق

= بورمانس. أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين. ترجمة: المطران يوحنا منصور. المكتبة البولسية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٨٦م. (٢٧ ـ ٢٨).

(١) سيأتي الكلام عنه قريباً.

(٢) الإسلام والمسيحية (١٢٧).

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث. ولد سنة (٥٠٨هـ)، كان كثير التصانيف له نحو ثلاثمائة مصنف، منها: «زاد المسير في علم التفسير»، «المنتظم في تاريخ=

علماء العصر على إباحة دم الحلاج)[١]. فكأن ماسينيون يريد أن يجتذب المسلمين لعقيدة تأليه عيسى ﷺ بضرب المثل بشخص الحلاج الذي صلب كما صلب المسيح بزعمه ـ فصار شهيد الإسلام. ويقرر إدوارد سعيد في كتابه الحافل «الاستشراق» هذا المعنى الخفي فيقول: (كان الإسلام في عرف لويس ماسينيون الذي قد يكون أعظم المستشرقين الفرنسيين شهرة وتأثيراً، رفضاً منتظماً للتجسد المسيحي، وكان بطل الإسلام الأعظم، لا محمد، ولا ابن رشد، بل الحلاج، القديس المسلم الذي صلبه المسلمون السنيون لجرأته على شخصنة الإسلام)[٢]. ويقول أيضاً: (كان النموذج المثالي لماسينيون هو الحلاج، الذي سعى لتحرير نفسه خارج الجماعة السنية بالبحث عن، وأخيراً بنوال، الصلب عينه الذي يرفضه الإسلام رفضاً قاطعاً؛ وكان محمد، كما يرى ماسينيون، قد رفض عمداً الفرصة التي أتيحت له لعبور الهوة التي كانت تفصله عن الله[٣]. ولذلك فإن إنجاز الحلاج تمثل في أنه حقق وحدة اسرارية بالله، وضد الطبيعة النظرية للإسلام)[٤].

= الملوك والأمم»، «تلبيس إبليس»، و«مناقب الإمام أحمد»، «الموضوعات»، وغيرها، توفي سنة ٥٩٧هـ.
مرآة الزمان (٨/ ٤٨١)، الكامل (١٠/ ٢٢٨)، الأعلام (٣/ ١٦)، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٩)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٨)، مفتاح السعادة (١/ ٢٠٧).

(١) تلبيس إبليس. (١٧٢).

(٢) الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء: إدوارد سعيد. ترجمة: كمال أبو ديب. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ـ لبنان. الطبعة العربية الرابعة ١٩٩٥م. (١٢٧).

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

(٤) الاستشراق (٢٧١).

وبالتالي، فقد كان ماسينيون يهدف في دعوته الصريحة إلى التقارب بين الديانتين، ليس إلى الوصول إلى جوامع مشتركة فحسب، بل أساساً إلى استزلال المسلمين إلى القول بعقيدة الحلول وتأنيسها، وتصوير خصومها متزمتين منغلقين ضد «فردٍ متنور» من المسلمين أنفسهم، وليس من خارجهم، وهو الحلاج، دون أن يمس جوهر النصرانية الشركي القائم على ألوهية المسيح، وبنوته بأدنى تغيير. ويستدل بواقعة الحلاج الذي أظهر هذه الفكرة واستشهد وصلب في سبيلها بعد مرور ثلاثمائة سنة تقريباً على ظهور الإسلام على أن: (الإسلام مفتوح لفعل الخير، ويحمل في جوهره إمكان ـ «التحول من الداخل»، أو «التجدد والانبعاث الذاتيين». والمفهوم هذا يضعه ماسينيون معارضاً «نقيضاً» لمفهوم «التحول إلى دين آخر» وذلك عَبْر الأولياء المسلمين الذي يأتي الحلاج على رأسهم ويشغل مكانة الصدارة بينهم)[1].

وإلى جانب هذه القضية الأساسية التي اتخذها ماسينيون ركيزة أساسية في مشروعه وتفنن في عرضها، يحشد شواهد دينية مشتركة ومواقف تاريخية سلمية لدعم فكرته في التقارب، ويعتقد (أن متابعة بحث تلك المحطات المشتركة ـ بين الديانتين ـ من شأنها تهيئة الأرضية الطيبة لحوار لاهوتي مثمر بين المسيحية والإسلام)[2].

المسلك الثاني الذي سلكه لويس ماسينيون، وتميز به عن كثير ممن سبقوه أو عاصروه مسلك عملي، لا يكتفي بتحبير الصفحات، وطرح الأفكار من بُعد، بل صاحبه تغلغل في أعماق المجتمع الإسلامي، واهتمام بقضاياه السياسية الساخنة ومناصرتها وتكوين جمعيات الصداقة المختلفة مع المسلمين:

- فقد تعلم اللغات الأساسية التي يتحدث بها المسلمون، وهي

---

(١) الإسلام والمسيحية. (١٢٥).

(٢) الإسلام والمسيحية. (١٢٧).

العربية والتركية والفارسية، وأتقن العربية حتى صار عضواً في مجمعيها في دمشق والقاهرة. وحاضر بالعربية.

- توجه للدراسة في الأزهر، وعين أستاذاً في جامعة القاهرة في الفترة ١٩١٢ ـ ١٩١٣م.
- صار مديراً لمجلة العالم الإسلامي عام ١٩١٩م.
- أسس الجمعية الفرنسية الإسلامية عام ١٩٤٧، وجمعية فرنسا ـ المغرب عام ١٩٥٣م، وأدان الاستعمار الفرنسي لبلاد المغرب: تونس والجزائر وسجن بسبب ذلك، ووقف مع الفلسطينيين[(١)].

هذا من جانب المسلمين، أما نشاطه العملي في سبيل تحقيق فكرته مع أبناء ملته فيتمثل في دعوتهم إلى الاعتراف بـ «المصداقية النسبية» للقرآن، والاعتراف الجزئي «المشروط» بنبوة محمد، وأنه يجب على الكنيسة أن تعترف بالإسلام ومكانته الاعتبارية المستقلة كديانة توحيدية[(٢)]. (وضمن هذا الفهم تقدم ماسينيون، بمبادراتٍ كثيرة لتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية ـ الرومانية «الفاتيكان» تجاه الإسلام. ولهذا يرى بعض دارسي مؤلفات ماسينيون والمهتمين بتحليل مواقفه العملية، وأنشطته الاجتماعية والسياسية أن مراسلاته واتصالاته الواسعة مع الهيئات الكاثوليكية العليا، بما في ذلك صداقته الشخصية مع جيوفاني باتيستا مونتيني ـ الذي أصبح البابا بولس السادس ـ مهدت التربة ـ إلى حدٍ معين ـ للمناقشات التي دارت في المجمع الفاتيكاني الثاني «١٩٦٣ ـ ١٩٦٥» حول العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والمسلمين)[(٣)].

لقد كانت محاولات ماسينيون ذروة المحاولات التاريخية التي تمخضت عنها النصرانية طوال ثلاثة عشر قرناً في مقاربة الإسلام.

---

(١) انظر الأعلام (٥/ ٢٤٧).
(٢) انظر الإسلام والمسيحية: (١٢٥، ١٢٨).
(٣) الإسلام والمسيحية: (١٢٨).

المبحث الثالث

الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند المسلمين

ثَمَّ فارقٌ كبير في تناول هذه القضية بالبحث بين المسلمين وغيرهم. ذلك أن بنية الإسلام المتماسكة عقيدة وشريعة، التي تكفل الله بحفظها بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] تحول دون قبول بدعة في الدين، سيما ما يتصل بالأصول الاعتقادية الكبرى؛ من كون دين الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وذلك يقطع طمع كل صاحب هوى وبدعة أن ينسب إلى الإسلام ما ليس منه.

أما النصارى فقد اتخذوا دينهم هزواً ولعباً، وأكثروا التنقل وفق أهوائهم دون ضابط رادع، أو معيار ثابت. فما عقدوا عليه الخناصر، وعضوا عليه بالنواجذ في مجمع، سرعان ما ينقضونه ويتبرءون منه في آخر، وما كان صاحبه ملعوناً محروماً في حقبة من التاريخ، تتغير الأحوال والقيم فيصبح بريئاً مظلوماً. والأمثلة على ذلك كثيرة، فاليهود الذين كانوا ألد أعداء المسيح وأتباعه لقرون متطاولة، أصبحوا في نظر الكنيسة ضحايا الظلم والتعسف، براَء من دم المسيح الذي صلبوه بزعمهم[1]. والعلماء التجريبيون في علوم الطبيعة والفلك وغيرهما الذين خالفوا علم الهيئة الكنسي واستحقوا الحجب والحرق أحياء، باتوا محل

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩ ـ ٦٣١).

التقدير لإسهاماتهم في حقل المعارف الإنسانية[١]. بل «الماسون»، الذين توالى بابوات روما منذ عام ١٧٣٨م على التنديد بهم وبجمعياتهم السرية، وتحريم الانتماء إليها، توقف ذلك عام ١٩٦٥م حين أصدر البابا بولس السادس أمراً بإلغاء تجريم الماسونية[٢].

أما اليهود فإن سر انكماشهم وانكفائهم على أنفسهم مرده لأسباب عنصرية، وشعور بالكبر والتفوق على سائر البشرية، وليس إلى معيارية دينية يلتزمون بها ويتحرجون من هتكها، فإن القوم أجرأ الناس على حدود الله وتعديها بأدنى الحيل.

أما المسلمون المعتصمون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فعندهم من العلم والإيمان ما يعصمهم من اتخاذ دينهم غرضاً للأهواء، ومركباً للمطامع الشخصية أو الجماعية. فلم يقع، ولن يقع ـ بحفظ الله ـ في تاريخ السواد الأعظم، أهل السنة والجماعة، أدنى ملابسة تشير إلى مقاربة أهل الكتاب في دينهم ومعتقدهم، والبحث عن صيغة مشتركة، وعقيدة ملفقة يمالئون بها أهل الكتاب. وحاشاهم.

ولكن وقع في غضون التاريخ من بعض المنتسبين إلى الإسلام، الناشئين في أكناف المسلمين، ممن استهوتهم الشياطين، بعض الزنادقة والملحدين قديماً، والمنهزمين المشبوهين حديثاً، من صار إلى شعبة من هذه الدعوة الخبيثة. ومن ثم فالحديث عن الأصول التاريخية عند المسلمين حديث عن شواهد التصقت بجسم الأمة الإسلامية، وليست منها، كما يلتصق الدنس بالبدن. أما الحديث عن ذلك عند الآخرين فحديث عن تحولاتٍ حقيقية، وتغيرات جذرية تجري في صلب عقائدهم، وتنطق بها مجامعهم ومراجعهم المعتمدة. وشتان بين الحالين.

---

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني (٢٤٦ ـ ٢٤٩).
(٢) انظر: الماسونية تحت المجهر. د. إبراهيم فؤاد عباس. (٥٨).

ويمكن أن نحدد الأصول التاريخية لظهور دعوة التقريب عند المسلمين بالمحطات التالية:

- غلاة الصوفية من أصحاب وحدة الوجود.
- الفرق الباطنية.
- طلائع العصرانيين.

أولاً: غلاة الصوفية، القائلون بوحدة الوجود:

وهم الذين استزلهم الشيطان فأوحى إليهم أن لا موجود في الكون إلا الله، وأن سائر الأعيان والأشياء والأفعال ما هي إلا مظاهر وجوده، وتجليات أفعاله. ومن ثم فكل ما في الكون هو ذات الحق سبحانه، وكل حركة وسكون، وخيرٍ وشر، وطاعة ومعصية، وإيمان وكفر، تنغمر في بحر وحدة الوجود حتى تعود شيئاً واحداً، وتسقط الحواجز والحدود والرسوم بين الذات والغير. وهذا غاية التوحيد عندهم، في عبارات مبهرجة عليها من زخرف القول، وبريق المعنى ما يستهوي كل قلبٍ مفتون[(١)].

قال شيخ الإسلام: (وهؤلاء المتفلسفة ومتصوفوهم كابن سبعين وأتباعه، يجوزون أن يكون الرجل يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً يعبد الأوثان. فليس الإسلام عنده واجباً، ولا التهود والتنصر والشرك محرماً، ولكن قد يرجحون شريعة الإسلام على غيرها. وإذا جاء المريد إلى شيخ من شيوخهم، وقال: أريد أن أسلك على يديك. يقول له: على دين المسلمين أو اليهود أو النصارى؟ فإذا قال له المريد: اليهود والنصارى! أما هم كفار؟ يقول: لا، ولكن المسلمون خير منهم. وهذا

---

(١) انظر ما جمعه محمود عبد الرؤوف القاسم في: «الكشف عن حقيقة الصوفية» (١٠٥ ـ ٢٦٢).

من جنس جهال التتر أول ما أسلموا. فإن الإسلام عندهم خير من غيره. وإن كان غيره جائزاً، لا يوالون عليه ويعادون عليه)[١].

وقد أجمع الدارسون على أن من نتائج القول بوحدة الوجود القول بوحدة الأديان.

يقول برهان الدين البقاعي[٢] رحمه الله: (وعلى هذا الأصل المخبث الخبيث ـ وهو الاتحاد بين جميع الكائنات، وأنه لا غير، ولا غيرية في شيء من الوجود ـ فرع صحة كل دين، لأن الفاعل عنده، إنما هو الله)[٣]. وذلك في رده على ابن الفارض[٤]. ويقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل: (آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه،

---

(١) كتاب الرد على المنطقيين: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. إدارة ترجمان السنة. لاهور ـ باكستان. الطبعة الرابعة. (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م). (٢٨٢).

(٢) برهان الدين البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، ولد سنة (٨٠٩هـ)، مفسر، محدث، مؤرخ. تتلمذ على أساطين عصره كابن حجر العسقلاني، وابن ناصر الدين. توفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ، وصنف تصانيف عديدة منها: «المناسبات القرآنية» و«عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران»، و«تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» وغيرها. انظر: الأعلام (١/ ٥٦).

(٣) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمٰن الوكيل. دار الكتب العلمية. بيروت ـ لبنان. طبعة (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م) (٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٤) ابن الفارض: عمر بن مرشد، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين، ابن الفارض. ولد سنة ٥٧٦هـ. تصوف حتى صار من كبارهم، ونظم الشعر حتى صار أشعر المتصوفين، في شعره كفر صراح من القول بوحدة الوجود، وقد جمع شعره سبطه علي في ديوان باسمه وشرحه كثيرون، مات سنة (٦٣٢هـ)، كفّره نحو أربعين عالماً. انظر: الأعلام (٥/ ٥٥) وتحذير العباد من أهل العناد للبقاعي.

هذه الأسطورة ـ أسطورة وحدة الوجود ـ استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام، وافترته أساطير الخيال، وفارت به الشهوات، أو ما أوحاه الله إلى رسله، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم، بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك، وبأن الإسلام على هداه وقدسه، عين الدين المجوسي في ضلاله ورجسه)[١].

بل قد أدرك هذا المعنى كبار المستشرقين من أمثال: ر.ا. نيكلسون[٢]، حيث يقول: (ومن لوازم مذهبهم في وحدة الوجود أيضاً قولهم بصحة جميع العقائد الدينية أياً كانت)[٣]. وجولدتسيهر[٤] يؤكد

(١) هذه هي الصوفية: عبد الرحمٰن الوكيل. دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان. الطبعة الرابعة ١٩٨٤م. (٩٣)، وانظر في هذا المعنى الرسالتين العلميتين: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها على الأمة الإسلامية. إدريس محمود إدريس (٢٧٧)، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة محمد أحمد لوح (٥٦٠)، وابن عربي دراسة وتحليل. سميح عاطف الزين (١٠٠ ـ ١٠٤)، وأصول التصوف. د. عبد الله حسن زروق (٧٩)، ونظرات في معتقدات ابن عربي. د. كمال محمد عيسى (٥٥).

(٢) ر.ا. نيكلسون: رينولد ألين نيكلسون Reynold Allen Nicholson مستشرق إنجليزي، ولد سنة (١٢٨٥هـ ـ ١٨٦٨م). أولع من صباه بالمشرقيات وتعلم في جامعتي أبردين وكمبردج، وتخرج منها سنة ١٨٩٣م وتعلم العربية والفارسية، وتخصص في التصوف الإسلامي، وأصدر: «مختارات من ديواني شمسي تبريزي» و«تذكرة الأولياء» للعطار، وألف في التصوف: «الصوفية في الإسلام» و«دراسات في التصوف الإسلامي» وغيرها. وتوفي سنة (١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م)، انظر: الأعلام (٣/ ٣٩). ومقدمة الصوفية في الإسلام.

(٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه (٨٨).

(٤) إجناس جولدتسيهر Ignas Goldziher، مستشرق مجري يهودي، ولد سنة (١٢٢٦هـ = ١٨٥٠م)، رحل إلى البلاد العربية، وصنف في الإسلام والأدب=

أنه (مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للإسلام، فلغالبيتهم نزعة مشتركة إلى محو الحدود الفاصلة بين العقائد والأديان. وعندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول إليها)[١].

ونسوق أدناه أمثلة صريحة لهذه الزندقة التي تفوه بها بعض كبار المتصوفة:

• **قال ابن عربي:**

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

فقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[٢]

وقال أيضاً:

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه[٣]

ويقول معللاً مذهبه الكفري هذا: (فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر

= العربي باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجم إلى العربية كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام» وفيه شبهات ومطاعن. وأخرج جزءاً كبيراً من كتاب «فضائح الباطنية» للغزالي. توفي في بودابست سنة (١٣٤٠هـ = ١٩٢١م). انظر: الأعلام (١/ ٨٤).

(١) العقيدة والشريعة. (١٧٠).

(٢) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق «ديوان ابن عربي» د. محمد الشقيري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. الطبعة الأولى (١٩٩٥م). (٢٤٥).

(٣) فصوص الحكم. لابن عربي (٣٤٥).

على ما هو عليه. فكن في نفسك هيولى[1] لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد... فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه)[2].

• **ويقول عصريُّه ونظيره في الزندقة ابن الفارض:**

تنزهت في آثار صنعي منزهاً ... عن الشرك بالأغيار جمعي وألفتي
فبي مجلس الأذكار سَمْعُ مطالع ... ولي حانة الخمار عين طليعة
وما عقد الزنَّارَ حكماً سوى يدي ... وإن حُل بالإقرار بي فهي حَلَّتِ
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد ... فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وإن خر للأحجار في البُدِّ[3] عاكف ... فلا وجه للإنكار بالعصبية
فقد عبد الدينار معنى منزهٌ ... عن العار بالإشراك بالوثنية
وما زاغت الأبصار من كل ملةٍ ... وما راغت الأفكار في كل نحلة
وما احتار من للشمس عن غرةٍ صبا ... وإشراقها من نور إسفار غُرَّتي
وإن عبد النارَ المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حجة
فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم ... سواي وإن لم يظهروا عقد نيتي
رأوا ضوء ناري مرة فتوهمو ... ه ناراً، فضلوا في الهدى بالأشعة)[4]

---

(١) «الهيولى» (لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة. وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين: الجسمية والنوعية). التعريفات: الجرجاني علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثانية (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م). (٣٢١).

(٢) فصوص الحكم. (١٩١).

(٣) البُدّ: بيت الأصنام.

(٤) ديوان ابن الفارض د. عبد الخالق محمود. عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ط١٩٩٥م (٣٠٨ ـ ٣٠٨).

وقد نقل البقاعي ﷺ عن بعض شراح هذه الأبيات ـ ولم يسم ـ قولهم: (إنه مهد في هذه الأبيات أعذار كل فرقة، وإن كل صاحب ملةٍ ونحلة ـ وإن بطل سعيه ـ على نصيبٍ من الهدى. فعباد النار غير مؤاخذين من جميع الوجوه، بل من وجهٍ دون وجه، ولا لوم على أحد، بل لكل واحد وجه، ومحمل خير يحمل عليه، فكلٌ يعمل على شاكلته، وكذا عابد الأصنام، قالوا: لا تنكر عليه، فإن أنكرت لم يكن إنكارك إلا تعصباً؛ لأنك لا تنكر على المقبل على الدنيا، مع أنه أقوى شركاً من عابد الصنم! وقالوا: كما أن القرآن نور المساجد، فكذلك الإنجيل نور المعابد. وقالوا نحو هذا في التوراة، وفي عابد الشمس: إنه بإثبات عين الألوهية لم يكن ناقصاً، فقام له عذرٌ من وجه من الوجوه. وذلك كاف للكريم)[١]، ثم عقب قائلاً: (ولا يقول بشيءٍ من هذا مسلم)[٢].

• **وقال عبد الكريم الجيلي**[٣]:

(وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... ومالي عن حكم الحبيب تنازع
فطوراً تراني في المساجد راكعاً ... وإنيَ طوراً في الكنائس راتع
إذا كنتُ في حكم الشريعة عاصياً ... فإنيَ في علم الحقيقة طائع)[٤]

• **وقال جلال الدين الرومي**[٥]: (من قصيدة مترجمة عن الفارسية).

---

(١) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي. (٢٤٢).
(٢) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي. (٢٤٢).
(٣) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولد سنة (٧٦٧هـ) من كبار المتصوفة، له كتب كثيرة منها: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل»، وأكثرها لا يزال مخطوطاً، توفي سنة (٨٣٢هـ). انظر: الأعلام (٤/ ٥٠).
(٤) فصوص الحكم (٢١٢).
(٥) جلال الدين الرومي: شاعر صوفي فارسي. ولد سنة (٦٠٤هـ = ١٢٠٧م)=

انظر إلى العمامة أحكمتها فوق رأسي.

بل انظر إلى زنار زرادشت حول خصري.

أحمل الزنار وأحمل المخلاة...

مسلمٌ أنا، ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي...

ليس لي سوى معبد واحد، مسجداً كان أو كنيسة أو بيت أصنام)[١].

وينقل عنه ر.ا. نيكلسون شعراً:

إن يكن في الدنيا محب ـ أيها المسلمون ـ فأنا ذلك المحب.

إن يكن في الدنيا مؤمنٌ، أو كافر، أو راهب نصراني، فأنا هو...

أنا الثنتان وسبعون فرقة ومذهباً في الدنيا، وأقسم بربي أنها ليست شيئاً غيري)[٢] ومن هنا استنتج هذا المستشرق أن (هذه المذاهب ـ منطقياً[٣] ـ تلغي كل قانون ديني أو أخلاقي. وليس عند خيال العارف مثوبات أو عقوبات ربانية، ولا مقاييس للحَسَن أو القبيح... ومن هنا كانت جميع أشكال الأديان متساوية، وليس الإسلام بأفضل من الوثنية. وليس شيئاً عقيدة يعتقدها الإنسان، أو شعيرة يؤديها)[٤].

= في بلخ إيران يلقب بجلبي أفندي، أسس الطريقة المولوية. ارتحل إلى مكة والشام، ثم استقر في قونية وتوفي بها سنة (٦٧٢هـ = ١٢٧٣م). من آثاره: «المثنوي» منظومة صوفية شهيرة، و«الروض الكبير» و«الصغير». انظر: المنجد في الأعلام (٢١٥) الطبعة السابعة، ومعجم المؤلفين (٣/ ١٥٣).

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه، (٩٤).

(٢) الصوفية في الإسلام: د.ر.ا. نيكلسون. ترجمة وتعليق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي. القاهرة ـ مصر. طبعة (١٣٧١هـ = ١٩٥١م) ص١٥١.

(٣) أي كنتجية منطقية للقول بوحدة الوجود.

(٤) الصوفية في الإسلام. (٨٥).

ثانياً: الفرق الباطنية:

يطلق هذا الاسم «الباطنية» على جملة من الفرق والحركات والاتجاهات الكفرية، ويجمعها جميعاً مبدأ التحلل من النصوص الشرعية في العقائد والأعمال، بدعوى أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً. وجعلوا التأويل رسالة الأئمة. وراموا بذلك التحلل من نصوص الشرع كلها، وإدخال أديانهم الباطلة على الإسلام باسم الإسلام، وكل يتدين بدينه باسم الإسلام. قال أبو حامد الغزالي[(١)] (إن الباطنية إنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموزٌ وإشارات إلى حقائق معينة)[(٢)].

وقد نشأت معظم هذه الفرق وتفرعت عن شجرة «الرفض» الخبيثة، حيث لا ضابط من نقل صحيح، أو عقل صريح، أو دينٍ رادع. وإنما هي أهواء تتجارى بأصحابها كما يتجارى الكَلَب بصاحبه. ولكن القوم ادَّرعوا بغلالة رقيقة من الإسلام زوراً ونفاقاً ليدفعوا عن أنفسهم غوائل السوء، وإلا فهم كما وصفهم الغزالي، وفضحهم بقوله: (ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض)[(٣)].

قال عبد القاهر البغدادي[(٤)]: (الذي يصح عندي من دين الباطنية

---

(١) محمد بن محمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، زين الدين، الطوسي، ولد عام (٤٥٠هـ)، كان من كبار الشافعية وعظماء الفلاسفة والصوفية، من مصنفاته: «إحياء علوم الدين»، «الوجيز»، «الوسيط»، «البسيط»، وغيرها. توفي عام (٥٠٥هـ). انظر: الأعلام (٧/ ٢٢)، وفيات الأعيان (١/ ٤٦٣)، طبقات الشافعية (٤/ ١٠١)، شذرات الذهب (٤/ ١٠)، مفتاح السعادة (٢/ ١٩١)، آداب اللغة (٣/ ٩٧).

(٢) فضائح الباطنية (١١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أبو منصور، عالم متفنن من أئمة الأصول، =

أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع)[١].

إخوان الصفا:

ومن أقدم مأثوراتهم الخبيثة جملة من الرسائل تبلغ اثنتين وخمسين رسالة، عرفت باسم: «رسائل إخوان الصفا، وخلان الوفا» اعتنى بإخراجها وقدم لها بطرس البستاني[٢]، وقال في مقدمتها: (تألفت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري[٣] «القرن العاشر للميلاد»، وكان موطنها البصرة، ولها فرعٌ في بغداد، ولم يعرف من

= ولد ونشأ في بغداد ورحل إلى خراسان ثم فارقها إلى أسفرائين، من تصانيفه «الفرق بين الفرق» و«أصول الدين» و«الناسخ والمنسوخ» وغيرها. توفي سنة (٤٢٩هـ). انظر: الأعلام (٤/٤٨)، وفيات الأعيان (١/٢٩٨)، طبقات السبكي (٣/٢٣٨)، فوات الوفيات (١/٢٩٨)، مفتاح السعادة (٢/ ١٨٥).

(١) الفرق بين الفرق: عبد القادر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة. بيروت ـ لبنان. (٢٩٤).

(٢) بطرس البستاني (١٣١٦ ـ ١٣٨٩هـ=١٨٩٨ ـ ١٩٦٩م): بطرس بن سليمان بن حسن أفرام البستاني. أديب لبناني، حسن الأسلوب من مواليد دير القمر. تعلم المبادىء وأحسن الفرنسية. عمل في الصحافة، وألف كتباً منها: أدباء العرب، معارك العرب، آداب المراسلة. وأشرف على طبع كتب منها: لسان العرب. انظر: الأعلام (٢/ ٥٩).

(٣) تميز القرن الرابع الهجري باستيلاء الرافضة على معظم الممالك الإسلامية، فقد استولى البويهيون على مقر الخلافة العباسية في العراق، منذ عام ٣٣٤، وتملكوا بلاد فارس وسائر المشرق. وظهر القرامطة قبلهم في الأحساء والبحرين وعمان واليمن وأجزاء من الشام منذ ٢٧٨هـ حتى ٤٦٦هـ، وانطلق العبيديون من المغرب عام ٢٩٦، واحتلوا مصر عام ٣٥٨هـ، ثم بلاد الشام حتى قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٨هـ. وهكذا عم الرفض الأرض في القرن الرابع. وفي ظلهم ترعرعت هذه الجماعات الخبيثة. راجع مبحث نبذة تاريخية في التمهيد.

أشخاصها سوى خمسة يتغشاهم الغموض والشك، ولا يسفر اليقين عن حقيقة أمرهم بما يطمئن إليه الخاطر، وينشرح له الصدر لما كانوا عليه من التستر والاكتتام)[١].

ويتضح بجلاء لقارئ تلك الرسائل أن أولئك «الإخوان» جماعة شيعية سرية منظمة، تعتمد أسلوب الدعوة الفردية، للتغلغل في مختلف طبقات الناس، واقتناص من سبقت لهم من الله السوأى. وتنقسم تلك الرسائل إلى أربعة أقسام: رياضية تعليمية، وجسمانية طبيعية، ونفسانية عقلية، وناموسية إلهية. وقد استمدوا معلوماتهم من كلام الفلاسفة، وزوَّقوه بالنصوص الشرعية، فأولوها تأويلاً باطنياً، وصاغوا ذلك بأسلوبٍ متأدب متلطف، وصدَّروا فصولها بقولهم: (اعلم أيها الأخ البار الرحيم). وقد صرحوا في غير ما موضع:

(أن علومنا مأخوذة من أربعة كتب:

• **أحدها:** الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة، من الرياضيات والطبيعيات.

• **والآخر:** الكتب المنزلة التي جاءت بها الأنبياء، صلوات الله عليهم، مثل التوراة والإنجيل والفرقان، وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة، وما فيها من الأسرار الخفية.

• **والثالث:** الكتب الطبيعية: وهي صور أشكال الموجودات، بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك، وأقسام البروج، وحركات الكواكب، ومقادير أجرامها، وتصاريف الزمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر. كل هذه صور وكنايات دالات على معانٍ لطيفة

---

(١) مقدمة رسائل إخوان الصفاء (١/ ٥) وانظر في تحقيق نسبتها كتاب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي. د. محمد أحمد الخطيب (١٦٩ ـ ١٧٧).

وأسرار دقيقة، يرى الناس ظاهرها، ولا يعرفون معاني بواطنها من لطيف صفة الباري جل ثناؤه.

• **والنوع الرابع:** الكتب الإلهية التي لا يمسها إلا المطهرون الملائكة، التي هي بأيدي سفرة كرامٍ بررة...)[١].

ولا أظن باطنياً جاء بعدهم، إلا واستقى من هذا المستنقع الآسن، حتى إذا تضلع منه، واستروح زخمه ونتنه، قاءه دعاوى ومفتريات، وهو قائم على بابٍ من أبواب جهنم من أجابه قذفه فيها، وأورده إياها، وبئس الورد المورود.

وقد نقل البستاني عن المستشرق دي بور قوله: (إن آراء إخوان الصفاء ظهرت في جملتها من جديد عند فرق كثيرة في العالم الإسلامي: كالباطنية والإسماعيلية والحشاشين والدروز، وقد أفلحت الحكمة اليونانية في أن تستوطن الشرق، وذلك عن طريق إخوان الصفاء)[٢].

وقد تبين من سرد مصادرهم الأربعة منزلة الأديان عندهم، وكونها على حدٍ سواء، وأن كتبها المنزلة من توراة وإنجيل وفرقان، وغيرها من صحف الأنبياء ـ كما زعموا ـ على درجة واحدة في المرجعية، بالإضافة إلى المصادر الثلاثة الأخرى. ولهذا نجدهم يهونون في مواضع كثيرة من شأن اختلاف الشرائع، ويجوزون الجميع، ويسوغونه بما يفضي إلى القول بوحدة الأديان. فمن ذلك قولهم: (اعلم أن اختلاف الشرائع ليس بضار، إذا كان الدين واحداً، لأن الدين هو طاعة وانقياد للرئيس الآمر فيما يأمر وينهى المرؤوسين بحسب ما يليق

---

(١) رسائل إخوان الصفاء (١٠/ ٤٢).

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام (١١٣)، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. عن المرجع السابق (١/ ٧).

بواحدٍ واحد، وما يرى أنه يصلح له ويصلح فيه، لأن أوامر أصحاب النواميس، ونواهيهم مماثلة لأمر الطبيب الرقيق الشفيق، فيما أمر العليل من الحِمية في الصيف من تناول الأشياء الحارة بالطبع، وإجازته شرب المبّردات في البلدان الحارة، وفيما يرى ويأمر له...

فبهذا الوجه أيضاً اختلاف العلماء رحمة، واختلاف أهل الديانات في أمر الدين، وسنن أحكامه، حكمة جلية لا يعرفها إلا المحققون المستبصرون)[١]. فجعلوا اختلاف الأديان كاختلاف المذاهب في الدين الواحد، والكل سائغ صحيح.

بل إن مذهبهم الباطني يتسع لكل شيء، ويقبل كل نحلة وملة، ولا يعادي أحداً. وبهذا يتواصون قائلين: (ينبغي لإخواننا، أيدهم الله تعالى، أن لا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهبٍ من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها)[٢].

ومن ثم تنمحق الأديان كلها، في ساح الباطنية الفساح، فلا يميز دين من دين، ولا دين من ملة، ولا ملة من نحلة، ولا آية محكمة من فلسفة مظلمة. ومن لبان هذه المعاني ارتضع أرباب وحدة الوجود، ودهاقنة الباطنية. فقد حكى بطرس البستاني (أن سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين من عظماء الإسماعيلية ورؤسائها كان يكب على مطالعة رسائل إخوان الصفاء)[٢].

وقال مصطفى غالب ـ الكاتب الإسماعيلي المعاصر ـ: (هذا هو دين الحب الإنساني الذي بشروا به ودعوا إليه. ومن الطبيعي أن يتأثر بأفكارهم هذه عباقرة الفلاسفة من المتصوفين، وعلى رأسهم

---

(١) رسائل إخوان الصفا. (٩/ ٤٨٧، ٤٩١).

(٢) رسائل إخوان الصفا. (٧).

محيي الدين بن عربي الذي نادى بدين الحب ووحدة الوجود ووحدة المعبود)[١].

البهائية:

ومن فروع هذه الشجرة الباطنية الخبيثة، فرقة «البهائية»، المنسوبة إلى مؤسسها الميرزا حسين علي المازندراني[٢]، المتلقب بـ «البهاء» أو «بهاء الله»، الفارسي، المولود سنة ١٢٣٣هـ، الذي ورث دعوة «البابية» إثر إعدام مؤسسها الباب، علي بن محمد الشيرازي[٣] سنة ١٢٦٥هـ ـ ١٨٤٩م. وكلا الداعيين أفاك أثيم، عُتُلٌ زنيم، ادعى ما ليس له، وتشبع بما ليس فيه، ولكن البهاء كان أكثر مراوغة وذكاء، واحتماء بأعداء الإسلام، فاستحالت دعوته دعوة عالمية، واسعة الانتشار، وإن

---

(١) إخوان الصفا. مصطفى غالب (١١٧ ـ ١١٨) عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (١٨٥).

(٢) البهاء (١٢٣٣ ـ ١٢٠٩هـ): حسين علي نوري بن عباس بن بزرك، الميرزا، المعروف بالبهاء، أو بهاء الله. رأس «البهائية» ومؤسسها. إيراني مستعرب، أصله من «مازندران». اعتنق دعوة «البابية»، واتهم بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال شاه إيران، فاعتقل ونفي إلى بغداد. دعا إلى بدعته في العراق والآستانة، فنفي إلى أدرنة ثم إلى سجن عكا. ثم أفرج عنه والتف حوله مريدوه، ودفن في حيفا. من آثاره: «الأقدس»، و«الإيقان»، و«الهيكل»، انظر: الأعلام (٢/٢٤٨).

(٣) الباب (١٢٣٥ ـ ١٢٦٦هـ): علي محمد ابن الميرزا رضىٰ البزاز الشيرازي. مؤسس البابية، التي هي أصل البهائية. إيراني. تقشف في صباه، فكان يمكث في الشمس ساعات عديدة، وأثَّر ذلك في عقله، ولما بلغ الخامسة والعشرين سنة ١٢٦٠هـ جاهر بعقيدة ظاهرها توحيد الأديان وقوامها تلفيق دين جديد. فادعىٰ أنه «الباب» ثم «المهدي المنتظر» وتبعه خلق كثير. قام عليه علماء الشيعة، فحوكم وسجن، ثم قتل رمياً بالرصاص. له كتاب «البيان» وغيره. انظر: الأعلام (٥/١٧).

كانت قليلة الأتباع[١]. وساعده على ذلك مناداته بالتقارب بين الأديان، والوحد العالمية[٢]، ونسخ الجهاد، والتنصل من أحكام الإسلام، وموالاة اليهود والنصارى، وهي مسوغات كافية لدعمه وتشجيعه وتمكين أتباعه، من قبل الاستعمار الإنجليزي والروسي في ذلك الزمان.

يقول الميرزا حسين المازندراني «البهاء»: (يا علماء الأمم غضوا الأعين عن التجانب، وانظروا إلى التقارب والاتحاد، وتمسكوا بالأسباب التي توجب الراحة والاطمئنان لعموم أهل الإمكان)[٣].

وهو لا يدعو إلى مجرد إقرار جميع الديانات القائمة، ولكنه يدعو إلى وحدة الأديان بالانسلاخ من الأديان السابقة، واعتناق ديانة ملفقة نحتها عقله المأفون من جميع الأديان، ونسخت ما سبقها. فالبهائية (ليست ديناً جديداً: إنها الديانة المجردة، والتي تقوم على قمة أهرامات الديانات البرتستنتية والكاثوليكية والإسلامية واليهودية والبوذية... إلخ التي تتصارع بعضها مع بعض، وهي تحاول أن تجلب الجميع رغم أنوفهم إلى صفوفها، لأنها وحدها فقط الديانة الحقيقية، وكل الديانات الأخرى خاطئة، وغير صحيحة)[٤]. ولهذا يقرر أنه (ليس لأحدٍ أن

---

(١) انظر في تاريخ هاتين الدعوتين وعقائدهما: حقيقة البابية والبهائية: د. محسن عبد الحميد. المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، دمشق ـ سوريا. الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م)، البهائية: تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، عبد الرحمٰن الوكيل، البابية: عرض ونقد. إحسان إلهي ظهير، البهائية. السيد محب الدين الخطيب، البهائية والقاديانية: د. أسعد السحمراني.

(٢) يقول المستشرق جولد تسيهر: (بينا البابية، في حقيقتها ترمي إلى إصلاح الإسلام، يتقدم بهاء الله بفكرة واسعة النطاق، وهي إيجاد ديانة عالمية يتحقق بواسطتها الإخاء الديني بين الناس كافة) العقيدة والشريعة في الإسلام (٢٧٥).

(٣) نبذة من تعاليم بهاء الله. (١٢٣). عن حقيقة البابية والبهائية. (٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٤) مقالة عن البهائية، للمستشرق الفرنسي دريفوس ص٨ نقلاً عن البهائية والقاديانية د. أسعد السحمراني. (٨٨).

يتمسك اليوم إلا بما ظهر في هذا الظهور. هذا حكم الله من قبل ومن بعد، وبه زين صحف الأولين)[١].

ومن ثم فقد نادى البهاء (أن يتحد العالم على دينٍ واحد، ويصبح جميع الناس إخواناً، وتتوثق عرى المحبة والاتحاد بينهم، وتزول الاختلافات الدينية)[٢]، ولكن كيف تزول الاختلافات الدينية، ويتحد العالم على دينٍ واحد؟ يكون ذلك بالدعوة إلى «الديانة العالمية» والتبشير بها، وهي البهائية الملفقة من شظايا الديانات الأخرى. يقول عباس عبد البهاء[٣] ـ ابن مؤسس الفرق البهائية: (لقد خطر ببالي أن أطوف البلاد الغربية، وأدعو في المنتديات الكبرى، وفي الكنائس، إلى وحدة العالم الإنساني حسب تعاليم حضرة بهاء الله، وأروج فكرة الصلح العام، وأرفع عقيرتي على قدر استطاعتي وأقول للعالم: الحمد لله لقد طلعت شمس الحقيقة من أفق الشرق[٤]، وأرسلت أشعتها على جميع العالم، وإن أشعتها هي تعاليم السماء فهي تدعو العالم بأجمعه إلى الاتحاد والسلام العام، وإلى التحري عن الحقيقة، وتأسيس التآلف والمحبة بقوة الدين، وتحكيم العلم والعقل والدين في المعاملات)[٥].

---

(١) الأقدس. (١٢). عن البهائية والقاديانية (٨٦).

(٢) بهاء الله والعصر الجديد. ل: أسلمنت ج.أ (١٢١). عن البهائية والقاديانية (٩١).

(٣) عباس عبد البهاء (١٢٦٠ ـ ١٣٤٠هـ): عباس عبد البهاء بن حسين علي نوري، الملقب بالبهاء. صحب أباه في نفيه إلى العراق والأستانة وأدرنة وعكا. خلف أباه في قيادة البهائية وتنظيم جماعتها سنة ١٣٠٩هـ. زار أوربا وأمريكا عامي (١٣٣٠، ١٣٣١هـ)، وعاد إلى فلسطين، فمات بحيفا. وله أتباع في أوربا وأمريكا وغيرها من دول العالم. من رسائله، مكاتيب عبد البهاء، الخطابات. انظر: الأعلام (٣/ ٢٦١)

(٤) الحقيقة أنها شمس طلعت بين قرني شيطان من مشرق الفتن.

(٥) من رسالة بعث بها عبد البهاء إلى مدير مجلة المشرق البريطانية عام ١٩١٣. نقلاً عن المصدر السابق (٩٥).

لقد جهر البهاء بما أسَرَّه إخوان الصفاء بعد تسعة قرون. وهلك بعد ألف سنة من مهلك سلفه الحلاج سنة ١٣٠٩هـ.

ثالثاً: طلائع العصرانيين:

لعل أول من جهر بالدعوة إلى التقريب بين الأديان من الإسلاميين في العصر الحديث مؤسس المدرسة العصرانية الحديثة، وواضع لبناتها الفكرية الأولى: جمال الدين الأفغاني(١)، إذ يقول: (.. هكذا نجد الأديان الثلاثة: الموسوية، والعيسوية والمحمدية على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، إذا نقص في الواحدة شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية... لقد لاح لي بارق أمل كبير: أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثل ما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة.

وأخذت أضع لنظريتي هذه خططاً، وأخط أسطراً، وأحبر رسائل للدعوة، كل ذلك وأنا لم أخالط أهل الأديان كلهم عن قربٍ وكثب، ولا تعمقت في أسباب اختلاف حتى أهل الدين الواحد، وتفرقهم فرقاً

---

(١) هو محمد بن صفدر، ولد سنة ١٢٥٤هـ ١٨٣٨م، قيل في أسعد آباد التابعة لولاية كنر من أفغانستان، وقيل في أسد آباد التابعة لهمدان في إيران. كما اختلف في نسبه فقيل إنه شريف، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، وقيل بل هو فارسي الأصل. وقد طوّف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية وكتب في الصحف، وألف الكتب، ودعا إلى ما أسماه بـ«الجامعة الإسلامية». وشخصيته غامضة مريبة، اتهم بالرفض وبالانخراط في الماسونية. توفي سنة ١٣١٥هـ ـ ١٨٩٧م. انظر: الأعلام ٦/١٦٨ ـ ١٦٩، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام (٩ ـ ٥٤). جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب (دار الكتاب العالمي) بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م). (١٥ ـ ٧٤).

وشيعاً وطوائف. ولكن لما علمت أن دون اتحاد أهل الأديان تلك الهوات العميقة، وأولئك «المرازبة»[١] الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة «حانوت»، وكل طائفة كمنجم من مناجم الذهب والفضة، ورأس مال تلك التجارات ما أحدثوه من الاختلافات الدينية والطائفية والمذهبية... علمت أن أي رجل يجسر على مقاومة التفرقة، ونبذ الاختلاف، وإنارة أفكار الخلق بلزوم الائتلاف، رجوعاً إلى أصول الدين الحقة فذلك الرجل هو هو، يكون عندهم قاطع أرزاق المتجرين في الدين، وهو هو في عرفهم الكافر الجاحد المارق المخردق المهرتق، المفرق.. إلخ.. إلخ)[٢].

• ويتبين من هذا النص ما يلي:

١ ـ أن «وحدة الأديان» في نظر الأفغاني لا تقتصر على الاتفاق في المبدأ والغاية ـ مع أن هذا غير مسلَّم بعد ما طرأ التحريف على اليهودية والنصرانية ـ ولكنها تعني أيضاً «التلفيقية» بدليل قوله: إذا نقص في الواحدة شيء استكملته الثانية.

٢ ـ أنه لا يرى «الإسلام» ناسخاً لما قبله من الأديان، ولا «مهيمناً» عليها، بل ينظر إلى الأديان الثلاثة على حدٍ سواء.

٣ ـ وبه يتبين أي لون من الائتلاف كان يدعو إليه، وأي لونٍ من

(١) جمع مرزبان (هو بضم الزاي: أحد مرازبة الفرس. وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك. وهو معرَّب) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية. بيروت ـ لبنان. طبعة (١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م). (٣١٨/٤).

(٢) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، د. محمد عمارة. القاهرة، ٢٩٦٨م. (٢٩٠ ـ ٢٩٥).

الاختلاف كان ينبذه، فهو يريدها ديانة فضفاضة ينضوي تحت لوائها كل جاهل زنديق لا يقيم وزناً للحدود والرسوم، بل يردد شعاراتٍ عامة لا تلتزم بما جاء به ﷺ من الهدى ودين الحق. وهذا ما يفسر المقاومة العنيفة التي قوبلت بها دعوته من وصفه بالكفر والجحود والمروق... إلخ مما أفصح عنه، وعد ذلك محافظة على الأرزاق والنفوذ من قبل معارضيه المتجرين بالدين بزعمه.

٤ ـ وأخيراً، فإن هذا الاعتراف الشخصي يدل على قِدم الفكرة في ذهنه وعشعشتها في خياله في مقتبل عمره، قبل أن يخالط أهل الأديان في الهند وإيران وبريطانيا وفرنسا وروسيا، كما يدل على تخطيط وعمل ودعوة لهذه الفكرة بكتابة الرسائل والتأليف. ثم جاءت سيرته الذاتية شاهداً عملياً على نظريته في توحيد الأديان، فقد كان تلاميذه خليطاً من اليهود والنصارى(١).

وقد تبعه على هذا المنهج أخص تلاميذه، وأشهرهم نسبةً إليه، وهو الشيخ محمد عبده(٢)، الذي حدث عن نفسه قائلاً: (في أثناء نفيي

---

(١) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م). (٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، التركماني، ولد عام ١٢٦٦هـ ـ ١٨٤٩م في قرية محلة نصر في مصر. تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف، ولما قدم جمال الدين الأفغاني إلى مصر عام ١٨٧١م اتصل به وافتتن به. ناصر الثورة العرابية فسجن ثم نفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٢٩هـ ١٨٨١م. ثم سافر إلى باريس، والتقى بشيخه الأفغاني، وأصدرا معاً جريدة «العروة الوثقى» وعاد إلى مصر عام ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٨م، وعين قاضياً. وتوثقت صلته باللورد كرومر، المندوب السامي لبريطانيا أثناء احتلالها لمصر. ثم ولي منصب المفتي العام للديار المصرية عام (١٣١٧هـ = ١٨٩٩م). وتوفي بالإسكندرية عام (١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م). انظر: الأعلام (٦/ ٢٥٢)، الفكر الإسلامي المعاصر (١٣ ـ ٥٤)، الإمام محمد عبده. جدلية العقل والنهضة.

في دمشق سنة ١٨٨٣م كان أحد القسس في إنجلترا واسمه «إسحاق تيلور»[١] يقوم بالدعاية لتوحيد الإسلام والنصرانية، على أساس فكرة التوحيد الموجودة في الإسلام، والموجودة عند الكنيسة الإنجليكية[٢]. وكان لي صديق فارسيٌ «اسمه ميرزا باقر»[٣]، يعتقد إمكان تحقيق هذه الفكرة. وقد تمكن هذا من إقناعي أنا وآخرين من علماء دمشق بكتابة رسالة إلى تيلور في الموضوع. وما إن وصلت هذه الرسالة إلى القس تيلور حتى فرح بها ونشرها، مستعيناً بها على إثبات صحة دعواه)[٤].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تابع الإيراني المتذبذب ميراز باقر مهمته للجمع بين رجالات الدينين الإسلامي والنصراني لتحقيق فكرة التقريب. ويصف محمد رشيد رضا[٥]، تلميذ محمد عبده، ومؤرخ

(١) نقل محمد رشيد رضا قطعاً من مقالاته في الصحف الإنجليزية في الثناء على الإسلام والدعوة إلى التقارب مع النصرانية. انظر تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١/ ٨٢٢ ـ ٨٢٧).

(٢) التوحيد في الإسلام ليس مجرد «فكرة» بل هو «عقيدة» راسخة، ربانية المصدر، وليست بشرية من نتاج الأفكار كما عبر الكاتب. أما الكنيسة الإنجيليكية فلا تخالف سائر الكنائس بالقول بالتثليث. وحاشا الإسلام أن يكون موافقاً لها في مسألة الألوهية والتوحيد.

(٣) ذكر محمد رشيد رضا أن ميرزا باقر كان إيرانياً قد تنصر، وتسمى بميرزا يوحنا، ونشط في الدعوة للنصرانية. ثم أظهر توبته وعودته إلى الإسلام وشارك في ترجمة بعض المقالات الإنجليزية لجريدة العروة الوثقى، وكان يحتج بالقرآن دون الحديث على أصول الإسلام التي يدعو إليها ويعمل بها، وكان له شذوذ في ذلك غريب.
انظر تاريخ الأستاذ الإمام (١/٨١٧ ـ ٨١٩).

(٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م). (٢/٣١٩) (نقلاً عن مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٣٩م ذي الحجة ١٣٥٧ س٤٧ ص٣٩٠ ـ ٣٩٣).

(٥) محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، ولد ونشأ في «القلمون» من أعمال=

سيرته الذاتية ـ الخطوة التالية بقوله: (عرف ميرزا باقر في لندن وغيرها بعض رجال الإنكليز المستقلي الفكر، المحبين لحرية البحث في الدين. ولما وُجد هو والأستاذ الإمام في بيروت بعد تعطيل العروة الوثقى اجتمعا فيها بالأستاذ بيرزاده، وعارف أبي تراب، تابع السيد الأفغاني، وبجمال بك نجل رامز بك التركي، قاضي بيروت الشهير.. وألفوا جمعية سياسية دينية سرية موضوعها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، وإزالة الشقاق بين أهلها، والتعاون على إزالة ضغط أوربة عن الشرقيين، ولا سيما المسلمين منهم، وتعريف الأفرنج بحقيقة الإسلام وحقيته، من أقرب الطرق، وقد دخل في هذه الجمعية مؤيد الملك أحد وزراء إيران، وحسن خان مستشار السفارة الإيرانية في الأستانة، وبعض الإنكليز واليهود. وكان من أعضائها من رجال الدين في لوندرة القس إسحاق طيلر، بل كان هو داعيتها هنالك، ومن رجال الحكومة «جي، دبليو، لينتر» مفتش المدارس في الهند. وكان الأستاذ الإمام صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها، وميرزا باقر هو الناموس «السكرتير» العام لها»[1].

كما أشار رشيد رضا إلى موقف محمد عبده من أحد دعاة التقريب النصارى، واسمه «خريستفورس جبارة»، الذي كان ناشطاً

= طرابلس الشام عام ١٢٨٢هـ ١٨٦٥م. هاجر إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، ولازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وأنشأ مجلة المنار عام ١٨٩٨م. وقد زار عدداً من الأقطار الإسلامية والأوربية، وكتب وألف. وتأثر أخريات عمره بالدعوة السلفية، وطبع في مطابع المنار كثيراً من كتب أئمة السلفية. وتوفي فجأة عام ١٣٥٤هـ ـ١٩٣٥م. انظر: الأعلام (١٢٦/٦)، الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل: سمير أبو حمدان. الشركة العالمية للكتاب. دار الكتاب العالمي. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م). (٩ ـ ٥٥).

(١) تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: محمد رشيد رضا. مطبعة المنار. مصر. الطبعة الأولى (١٣٥٠هـ = ١٩٣١م). (٨١٩/١ ـ ٨٢٠).

متحمساً لهذه الدعوة في أمريكا، فقال: (ثم جاء إلى مصر وألف فيها كتباً ورسائل كثيرة يوفق فيها بين التوراة والإنجيل والقرآن، فحرمته الكنيسة الأرثذوكسية. وكان قد وصل من رتبها الكهنوتية إلى رتبة «لارشمندريت»، وكذلك قابله المسلمون بالهزء والسخرية، إلا الأستاذ الإمام، وصاحب المنار، فاحتمل من الإيذاء ما هو معهود في كل من يدعو الناس إلى خلاف ما هم عليه)[1].

ومن هذه الوقائع والاعترافات الشخصية نستخلص ما يلي:

١ ـ اقتناع الشيخ «محمد عبده» بفكرة التقريب بين الأديان، وأخذه زمام المبادرة، ونظرائه، بالكتابة إلى القس الإنكليزي إسحاق تيلور، داعية التقريب النصراني، وكان ذلك عام ١٣٠١هـ ـ ١٨٨٣م في دمشق.

٢ ـ الانتقال من طور الفكرة إلى العمل، بعد عودته من باريس، إثر تعطيل جريدة العروة الوثقى عام ١٨٨٥م، فأسس مع موافقيه جمعية التقريب بين الأديان السماوية، في بيروت بصفة سرية، وكان صاحب الرأي الأول فيها.

٣ ـ ضلوع الرافضة المبكر، بل وقوفهم خلف قيام هذه الجمعية فكرة وعملاً ومشاركة، كما يتضح من جهود الإيراني ميرزا باقر، ومؤيد الملك، وحسن خان، وكلهم إيرانيون.

٤ ـ استمرار هذه الفكرة لديه بعد عودته إلى مصر عام ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٨م وتعيينه مفتياً عاماً، كما يتضح من إيوائه لداعية التقريب «خريستفورس جبارة» وحدبه عليه.

وبهذه المواقف الفكرية والعملية لرائدي المدرسة العصرانية، تم

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٨٢٧).

إرساء دعامة كبيرة من دعائم الاتجاه العصراني الحديث، وهي الدعوة إلى «وحدة الأديان»، وتمييع الحواجز والحدود بين دين الله الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وهو دين الإسلام الذي جاء به محمدٌ ﷺ عقيدة وشريعة، والأديان المحرفة المنسوخة من اليهودية والنصرانية.

وقد تتابع تلاميذ هذه المدرسة على النسج على منوال أشياخهم، وترديد أفكارهم، بل والتوسع والإيغال فيها بما تقشعر منه جلود المؤمنين، ويذكر بمقالات الزنادقة والملحدين.



الفصل الثالث

حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث

جرت الإشارة في الفصل الأول من هذا الباب إلى الاتجاهات العامة لدعوة التقريب بين الأديان. وفي هذا الفصل نحاول الوقوف عن كثب على حقيقة هذه الدعوة لدى مختلف الفرقاء من خلال وثائقهم الرسمية أو كتابات زعاماتهم الدينية في هذه الحقبة من التاريخ المعاصر.

ونظراً لكون الجانب النصراني هو صاحب المبادرة في هذه الدعوة وتفعيلها على اختلاف طوائفه، وهيئاته الرسمية، فسيتم عرض موقفه بشكلٍ أكثر تفصيلاً، ثم نتبعه بالحديث عن اليهود، ثم الإسلاميين العصرانيين: على النحو التالي:

١ ـ المبحث الأول: حقيقة التقريب بين الأديان عند الكنيسة الكاثوليكية.

٢ ـ المبحث الثاني: حقيقة التقريب بين الأديان عند مجلس الكنائس العالمي.

٣ ـ المبحث الثالث: حقيقة التقريب بين الأديان عند النصارى العرب.

٤ ـ المبحث الرابع: حقيقة التقريب بين الأديان عند اليهود.

٥ ـ المبحث الخامس: حقيقة التقريب بين الأديان عند الإسلاميين العصرانيين.

المبحث الأول

حقيقة التقريب بين الأديان عند الكنيسة الكاثوليكية

تعني كلمة «كاثوليكية» جامعة. وهو الوصف الذي تضمنه الإيمان النيقاوي الذي أقر في مجمع «نيقية» سنة ٣٢٥م للكنيسة الشرعية، فجاء فيه: (وأعتقد بكنيسة واحدةٍ جامعة رسولية)[١].

وقد اعتبرت الكنيسة الغربية التي مقرها حاضرة الفاتيكان[٢] في روما نفسها مستحقةً لهذا الوصف دون ما سواها من الكنائس، بدعوى أن مؤسسها هو «بطرس» حواري المسيح ورسوله، بل كبير الحواريين ورئيسهم، والباباوات بعده خلفاؤه[٣]. وكان أخطر وأكبر انقسام جرى في تاريخ الكنيسة هو الانفصال بين روما والقسطنطينية عام ١٠٥٤[٤]، أفضى إلى تمايز مزمن بين:

---

(١) راجع التمهيد. (٩٦ ـ ٩٨).

(٢) الفاتيكان Vatican: مقام البابوات في روما. يتألف من البلاط والمعابد والمتاحف والمكتبة... ودولة الفاتيكان: دولة اعترفت بها إيطاليا في معاهدة «لاتران» ١٩٢٩م. رئيسها «البابا»، مساحتها نحو ٤٤ هكتاراً، عدد سكانها لا يتعدى الألف شخص. تتألف من كنيسة القديس بطرس، والبلاط البابوي وملحقاته، بالإضافة إلى القصور والبنايات الموجودة في العاصمة الإيطالية، و(كاستل غوند ولفو) خارج حدود مدينة الفاتيكان. المنجد في الأعلام (١٥٦)، وانظر على سبيل التوسع كتاب: الفاتيكان عاصمة الكثلكة في العالم. تأليف بول بويار. منشورات عويدات. بيروت.

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية (١٤٦).

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية. (٣٨١ ـ ٣٩٠).

١ ـ الكنيسة «الرومانية» «اللاتينية» «الكاثوليكية».

٢ ـ الكنيسة «البيزنطية» «اليونانية» «الأرثوذكسية».

وقد تبادلتا قرارات الحجب والحرمان عبر القرون، وتحاولان التقارب في النصف الأخير من هذا القرن[١].

وتعد الكنيسة الكاثوليكية أكبر الكنائس النصرانية أتباعاً، إذ يتجاوز عددهم تسعمائة مليون نسمة موزعين في شتى أنحاء العالم، ويتركزون في دول الغرب القديمة: إيطاليا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وغيرها[٢]، بالإضافة إلى مستعمرات تلك الدول في أمريكا اللاتينية ـ الجنوبية ـ والفلبين.

وتتميز الكنيسة الكاثوليكية بتنظيم هرمي دقيق، يتربع على سدته «البابا» أسقف روما، وخليفة بطرس الرسول ـ كما يزعمون ـ ويلقب بـ«الحبر الأعظم». وقد منحته بعض مجامعهم صفة «العصمة»[٣].

المجمع الفاتيكاني الثاني:

أطلق المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد في مدينة «روما»، في الفترة الممتدة من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٥م، عقال الكنيسة الكاثوليكية في نظرتها وتعاملها مع الآخرين المخالفين، من النصارى أتباع الكنائس

---

(١) انظر: تاريخ الحركة المسكونية: الأب: روبير كليمان اليسوعي. ترجمة الأب: صبحي حموي اليسوعي. دار المشرق. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩١م. ج(١، ٢).

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، وأهم أحداث الكنيسة الغربية: المطران ميشيل يستيم. الأرشمندريت أغناطيوس ديك. معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت. حريصا. المكتبة البولسية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الثالثة ١٩٩١م. (٣٨٨).

(٣) جرى ذلك في المجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٦٩م.

الأخرى، وغير النصارى من اليهود والمسلمين، بل والوثنيين والعلمانيين.

ولقد كان هذا المجمع حدثاً كبيراً، ومنعطفاً خطيراً، في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، التي آلت إلى حالة من الجمود والشلل في أعقاب الحربين العالميتين، وما أعقبهما من تغيرات كبرى في العالم، وانفتاح بين الشعوب والأفكار والمعتقدات. وكان لا بد لهذه الكنيسة الصارمة أن تنفض عنها غبار القرون الوسطى، ولغتها الإملائية لتتمكن من العيش في هذا الواقع الجديد المنفتح، أو تقبل لنفسها ومؤسساتها ذات التنظيم الهرمي التراتبي الدقيق بالموت البطيء، والانحسار التدريجي أمام الأيديولوجيات التي تنافسها بقوة على الساحة العالمية، وعلى الأخص في عقر دارها «أوربا الحديثة»، التي اعتنقت الديموقراطية والحرية، وانعتقت من نير الكنيسة وسلطانها الكهنوتي.

لقد وجدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي أمام ثلاثة خيارات فيما يتعلق بصلتها بالعالم:

(١ ـ موقف «الجيتو»[1] الهارب إلى عالمه الخاص، والمنكفئ على ذاته.

٢ ـ موقف التحريم، والاقتراب من العالم فقط بهدف إدانته.

٣ ـ موقف الحوار)[2]. ولا ريب أن المصلحة اقتضت ترجيح الخيار الثالث، حتى مع بعض التنازلات الجوهرية، والتخلي عن بعض التقاليد والأفكار العتيدة، في سبيل مواكبة حركة المجتمع الإنساني التي

---

(١) الجيتو أو «الغيتو» Ghetto تعني في الأصل حي اليهود، حيث ينعزل اليهود عادة في تجمعات سكنية خاصة، ولا يختلطون بالسكان المجاورين. ثم صار تعبيراً شائعاً في الدلالة على العزلة.

(٢) انظر: الإسلام والمسيحية. إليكسي جورافسكي (١٦٤).

لم تنتظر إذناً من الكنيسة، ولم تعد تخشى حجباً أو حرماناً منها. ومن ثم كانت ولادة المجمع الفاتيكاني الثاني.

وبعد ما يقرب من أربع سنوات من المداولات والمجادلات، بل والنزاعات بين التيار المحافظ والتيار التقدمي، تبنت الكنيسة الخيار التقدمي المنفتح على الآخرين، مما يعد «تطويراً لاهوتياً» في هذا المجمع (الذي أدخل في الكنيسة نهجاً جديداً في التفكير اللاهوتي والعمل الراعوي)[١]. فبعد أن كانت الكنيسة ترى أنها وحدها تمتلك «الحقيقة المطلقة»، وأنه لا سبيل إلى «الخلاص»[٢] إلا عن طريقها، أبدت قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني مرونةً وتنازلاً عن هذه المعتقدات العتيدة التي كانت الأساس في القرون السابقة لقرارات الحجب والحرمان.

جاء في أول دساتير المجمع (الكنيسة: دستور عقائدي) فقرة ١٦: (... بيد أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد الرحمن الرحيم، الذي يدين الناس في اليوم الآخر)[٣]. وهذا النص (يسجل تغيراً جذرياً في موقف الكنيسة

---

(١) انظر مقدمة: المجمع الفاتيكاني. (٢١) للمطران كيرلس سليم بسترس. وانظر فصل: المجمع الفاتيكاني الثاني ولاهوت التحرر من كتاب: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة (٧٩ ـ ٩٣). والراعوي أو الرُّعوي أو الرعِائي اصطلاح كنسي تنظيمي فـ (الراعي... كل من ولي أمر قومٍ كالأسقف والبطريرك وغيرهما... والرعية... الخاضعون لأوامره. ومنهُ رعية الأسقف ونحوه) المنجد (٢٦٨).

(٢) الخلاص: مصطلح كنسي عقدي يعني (النجاة... يوم الخلاص: الفوز بآخرة صالحة. المخلِّص: لقب السيد المسيح) المنجد (١٩١). وراجع العقائد النصرانية في التمهيد. (٩٠ ـ ٩٣).

(٣) المجمع الفاتيكاني الثاني: دساتير، قرارات، بيانات (٥٢).

الكاثوليكية بالنسبة إلى سائر الأديان. وهو تغير لا رجوع ممكن عنه... وهو ملزم بما للمجمع المسكوني من سلطة)[١].

وفي البيان المتعلق بعلاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية: (..والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حقٌّ ومقدس، وتولي تقديرها باحترامٍ صادق هذه الطرق المسلوكة في العمل والحياة، وهذه القواعد والتعاليم التي وإن اختلفت في أمور كثيرة عما تقول به وتُعلِّمُه، تحمل غير مرة قبساً من شعاع الحقيقة التي تنير جميع الناس. غير أنها تبشر، ويجب أن تبشر بلا انقطاع بالمسيح الذي هو «الصراط والحقيقة والحياة» (يو ١٤ : ٦).

من أجل ذلك تحرض أبناءها على الاعتراف بالقيم الروحية والأدبية والاجتماعية والثقافية التي توجد عند أتباع الديانات الأخرى، والمحافظة عليها وإنمائها، وذلك بطريق الحوار والتعاون معهم، بمقتضى الفِطنة والمحبة، مع الشهادة للإيمان والحياة المسيحية).

وبعد هذا الانفتاح العام على الآخرين، والاعتراف بما لديهم من قيمٍ ومثل في سابقة ليس لها نظير في الخطاب الكنسي، يتوجه البيان إلى خصوصية المسلمين بهذه الدعوة فيتابع قائلاً: (وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله، الواحد الحي القيوم، الرحمن، القدير، الذي خلق السماء والأرض، وكلم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله، وإن خفيت مقاصده[٢]، كما سلم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه، وإنهم على كونهم

---

(١) البيانات الإسلامية المسيحية. جولييت حداد (٢٨).

(٢) يزعم نصارى المجمع الفاتيكاني أن روح المسيح يعمل بطريقة خفية في جميع الأديان والتقاليد الأخرى. وأن ما فيها من حق وصواب فمن أثره الخفي. وسيأتي لذلك مزيد تفصيل.

لا يعترفون بيسوع إلهاً، يكرمونه نبياً، ويكرمون أمه العذراء مريم، مبتهلين إليها أحياناً بإيمان[١]. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثون أحياء. من أجل هذا يقدرون الحياة الأدبية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم خصوصاً.

ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم فيما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية).

ثم يتوجه البيان الكنسي إلى اليهود، فيذكر بأواصر الرحم والقربى، والتراث الروحي المشترك بين ورثة العهد القديم وورثة العهد الجديد، ويخلص إلى القول: (وبإزاء هذا الواقع، واقع التراث الروحي العظيم، المشترك بين المسيحيين واليهود، يريد المجمع أن يشجع ويحرض على التعاون والتقدير المتبادل بين الملتين، وذلك خصوصاً بالدراسات الكتابية واللاهوتية، وبطريق الحوار أيضاً).

وفي مسعىً مُلَطَّف لتبرئة اليهود من دم المسيح في زعمهم، ـ خلافاً لما درج عليه النصارى طوال القرون السالفة ـ يتابع البيان قائلاً: (ولئن يكن ذوو السلطان من اليهود ومشايعوهم هم الذين دفعوا على قتل المسيح، فإن ما اقترفته الأيدي إبان آلامه لا يمكن إسناده، في غير تمييز، إلى جميع اليهود الذين عاشوا آن ذاك، ولا إلى اليهود العائشين في عصرنا. من أجل ذلك لا يجوز على كون الكنيسة هي الشعب

---

(١) هذا من افتراء النصارى على المسلمين. فالمسلمون لا يبتهلون إلا إلى الله وحده، ولا يدعون أحداً سواه قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

الجديد لله (!) أن يُشَهَّر باليهود بأنهم منبوذون من الله، وأنهم ملعونون، كما لو كان ذلك يستنتج من الكتاب المقدس. فليحرص الجميع إذن، في التعليم المسيحي، وفي الوعظ بكلمة الله، ألَّا يعلموا شيئاً لا يتوافق مع حقيقة الإنجيل وروح المسيح.

وإلى ذلك فإن الكنيسة التي تستنكر جميع ألوان الاضطهاد لجميع الناس أياً كانوا، ولا قِبَل لها بأن تنسى التراث المشترك بينها وبين اليهود تأسف ـ لا لبواعث سياسية ألبتة بل بدافع من محبة الإنجيل الدينية ـ للأحقاد والاضطهادات وجميع مظاهر العداء للسامية التي ألمَّت باليهود، أياً كان عهدها، وأياً كان فاعلوها)[1].

وبالنسبة لموقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص يصور الكاتب الروسي أليكسي جورافسكي حجم النُّقلة قائلاً: (للمرة الأولى منذ أربعة عشر قرناً من وجود المسيحية والإسلام يتحدث مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة إيجابية عن المسلمين، معترفاً بوضعهم الديني المتميز. ولهذا شبهت المطبوعات الكاثوليكية التغير الحاصل في موقف الكنيسة تجاه الإسلام بـ«الانقلاب الكوبرنيكي»[2]. وهو تشبيه غير مبالغ فيه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن رسالة البابا بيوس الثاني عشر Fideil donum الصادرة في أواخر الخمسينيات (١٩٥٧م» رأت في انتشار الإسلام في أفريقيا «خطراً على الكنيسة»، وأن كتاب «تاريخ الإرسااليات الكاثوليكية»، المؤلف من أربعة

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩ ـ ٦٣١).

(٢) نسبة إلى العالم الفلكي البولوني «كوبرنيك Copernic (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣) الذي برهن على دوران الكرة الأرضية على ذاتها وحول الشمس. انظر المنجد في الأعلام (٥٩٦) خلافاً للفكرة السائدة آنذاك من كون الأرض مركز الكون، فأحدث انقلاباً كبيراً في علم الفلك، وهذا وجه التشبيه.

مجلدات، والصادر في المرحلة نفسها، نظر إلى نشاط الإسلام وفعاليته العالمية ككارثة تضاهي خطر الشيوعية)[١].

إن هذه الفقرات من دساتير المجمع الفاتيكاني الثاني وبياناته، لتمثل موقفاً عقدياً جديداً، تبني عليه طريقة عمل جديدة أيضاً. وهي تمثل أساساً متيناً لمشروع الحوار والتقارب بين الكنيسة والأديان الأخرى، وقاعدة انطلاق عريضة استند عليها الناشطون من دعاة التقارب والحوار منذ ذلك الحين. وبتحليل تلك الفقرات نلمس ما يلي:

أولاً: إيجاد المسوغ العقدي لمشروعية الحوار بتوسيع دائرة الخلاص، وإمكان شمولها غير النصارى. وهي خطوة هامة وضرورية بالنسبة للكنيسة حتى تقيم جسور التواصل مع المخالفين الذين كانوا في نظرها سابقاً «كفاراً»، و«محرومين من ملكوت الله». هذا مع عدم التخلي عن البشارة بالمسيح مطلقاً.

ثانياً: الاعتراف بالأصول الإيمانية، العقائد والشرائع الدينية لدى المسلمين، وإن لم يبلغ الأمر الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، لما يستلزم ذلك من لوازم تعني نسخ الديانة النصرانية.

ثالثاً: إبداء الأسف على النزاع التاريخي العدائي مع المسلمين، والاعتذار لليهود مما نالهم من اضطهاد وتشهير.

رابعاً: دعوة المسلمين واليهود إلى التفاهم والتعاون عن طريق الحوار الأخوي.

وبالمقابل، فقد أبدى الكاتب الروسي إلكسي جورافسكي في تحليله العميق لمقررات المجمع الفاتيكاني الثاني تجاه الإسلام جملة

---

(١) الإسلام والمسيحية. (١٣٧ ـ ١٣٨).

من التعقبات، إذ يقول: (.. لكن اللباقة القصوى للنص لم تتمكن مع ذلك من إخفاء بعض التناقضات المبدئية، والنقاط الخلافية الجدية بين الديانتين، وعلى الرغم من الحل الإيجابي الذي قدمه المجمع للمشكلة المسيحية القديمة حول موقع المسلمين في عقيدة «الخلاص Salut»، فإنه صرح بتحفظٍ وأشار من بعيد إلى وضع الإسلام في ما يتعلق بالتقليد التوراتي وبالوحي.. وقد امتنع المجمع عن الإشارة القاطعة والصريحة إلى اتباع المسلمين «ملة إبراهيم»، حيث يشير إلى ارتباط المسلمين بالتقليد الإبراهيمي، ولكن ليس من الناحية التاريخية، وإنما من حيث التبعية الإيمانية لإبراهيم[(١)].

وقد سكت المجمع عن مشكلة وثوقية وصحة المكانة النبوية لمحمد، مع أن هذه المسألة جرى التعرض لها أثناء المناقشات والمداولات، حيث اقترح بعض المؤتمرين إدخال تعديلٍ على القسم السادس عشر من مسودة الدستور العقائدي «الكنيسة» يؤكد أن المسلمين (يعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي كلَّم الناس بالأنبياء)، إلا أن اللجنة اللاهوتية المختصة ألغت هذه العبارة، نظراً لأنها يمكن أن تؤول

---

(١) يشير الكاتب إلى قضية مهمة وهي اعتقاد النصارى أن عهد الله لإبراهيم قد تحقق عبر فرع إسحاق في عيسى ﷺ، ولم يسر في الفرع الإسماعيلي إلى محمدٍ ﷺ. وكذب النصارى، وصدق الله العظيم إذا قال لخليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة]. فما أبعد إخوان القردة والخنازير من اليهود، وعباد الصليب والصور من النصارى عن عهد الله، وملة إبراهيم الذي دعا ربه وهو يرفع القواعد من البيت ـ الكعبة ـ ومعه ابنه البكر إسماعيل ﷺ، قائلين: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة]. فكانت هذه الأمة وكان هذا الرسول ﷺ.

بشكل مثيرٍ للإشكال، كأن يفهم منها أن الله «تكلم عبر محمد» في حين أن التصريح الختامي صاغ هذه العبارة بصورة مقتضبة: «الذي كلم الناس».

من الملاحظ، أن كثيراً من النواحي، وخصوصاً تلك التي تتناقض مع طقوس المذهب الكاثوليكي ظلت خارج دراسة المجمع. كما لم تناقش المشكلات المتعلقة مثلاً برأي الإسلام بالقدرة الكلية ـ المطلقة للإله، وحرية الاختيار الإنساني(١).

كما لم يتعرض المجمع للمسائل ذات الصلة بمفهوم الأمة والكنيسة، وقضايا الوحي والإيمان، والدنيا والآخرة والعلمانية... إلخ علماً بأنه بالنسبة للوعي الديني، فإن هذه المسائل تشكل معطيات محددة للغاية، ولا يمكن فصلها عن النواحي الاجتماعية ـ الثقافية للتعاون والحوار بين هاتين الديانتين)(٢).

ورغم هذه التعقبات المهمة، تبقى قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني معلماً بارزاً في رحلة التقارب بين الأديان.

الكتب والوثائق الكاثوليكية المتعلقة بقضية التقريب بين الأديان:

لِتبيُّن فهم الكنيسة الكاثوليكية لنصوص المجمع، وأسلوب تطبيق مقرراته، نختار بعض الكتابات والوثائق التي تجلي حقيقة التقريب في نظر الكنيسة:

أ ـ (نحو حوارٍ مع الإسلام):

من أقدم البيانات الكاثوليكية بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، المقالة التي كتبها «لويس جاردت»، ونشرتها أمانة سر شؤون غير النصارى عام ١٩٦٦م بعنوان «نحو حوار مع الإسلام»، واستهلها

---

(١) دأب النصارى على وصف الإسلام بمذهب «الجبرية»! ربما لاعتقادهم أن العقيدة الأشعرية هي المعتمدة.

(٢) الإسلام والمسيحية: (١٤٥ ـ ١٥١).

بتوجيه لأبناء ملته قائلاً: (.. إن القيم المسيحية التي تبدو في حياة أولئك الذين يستقر إيمانهم في بواطنهم، لا تستدعي أن يظهروا ذلك الإيمان على صيغة سبابٍ للقيم الإسلامية، وإنما عليهم أن يجعلوا غايتهم «رصف الحجارة» التي توجد حقاً في الإسلام مثل «الثقة بالله، والصبر على شدة البلاء، والإخلاص والصدق...»، تلك الصفات التي ظهرت في أفضل أشكالها في حياة المسلمين الروحية، على الإنسان أن يتعلم كيف يجد المسرة في الثناء على هذه الصفات دون تحفظ)[(١)].

وبعد هذه المقدمة، يختار الكاتب «مواضيع محتملة للبحث» في الحوار الإسلامي المسيحي، هي عبارة عن: (ثلاثة «إرشادات عظيمة» تسيطر ليس فقط على فكر المسلم، ولكن على توجهه الكامل إلى العالم والإنسان والله، والتي تدفعني إلى الاعتقاد أنها مفيدة بشكل خاص من أجل استمرار البحث)[(٢)].

وهذه القضايا «الإسلامية» التي يريد الكاتب أن يجعلها مادة للبحث والحوار، يحاول عرضها بطريقة حذرة، ذكية، وبأساليب ملتوية، هي على النحو التالي:

أولاً: (.. القضية الكبرى في الفكر اللاهوتي الإسلامي، مشكلة ازدواجية السببية؛ السببية الإلهية، والسببية الإنسانية، أو مشكلة أفعال الله وأفعال الإنسان، ويتبع ذلك مشكلة حرية الإنسان.

---

(١) Towards a Dialoge with Islam. Louis Gardet Secretaraitus pro-non Christainis: Bulletin, VOL, NO.3 نحو حوار مع الإسلام. لويس جاردت. عن مجموعة وثائق صادرة عن المؤسسة الإسلامية، ليستر. بعنوان الحوار بين النصارى والمسلمين ج(٢)، (٢، ٣).

(٢) المرجع السابق، (٢، ٣).

إن المشكلة هنا ليست مجابهة بين الفكر المسيحي والفكر الإسلامي، بقدر ما هي «جهد مشترك للتفكير» في قضية «السلوك». ونترك المجال للتقدم الحديث في علوم الإنسان وفي المعرفة نفسها، وقد يجد الفكر الإسلامي نفسه مدعواً إلى التجديد والتقدم، دون إضاعة طبيعته الخاصة)[١].

أليس هذا الكلام ترديداً لما افتراه بعض المستشرقين من اتهام العقيدة الإسلامية بـ«الجبر»، بناءً على جنوح بعض الفرق الإسلامية في مسألة «أفعال العباد»؟ وليس المقصود نقاش هذه القضية طبعاً[٢]، ولكن التنبه لطبيعة القضايا المرشحة للحوار، والتي يتعين على الفكر الإسلامي كما يتوقع الكاتب أن يحدث «تجديداً» و«تقدماً» فيها!

ثانياً: مفهوم «الشهادة»: بعد تحليل فلسفي لمدلول الشهادة يصل الكاتب إلى جملٍ واضحة لعلها «بيت القصيد» فيقول: (.. تقوم النصرانية بمواجهة التحولات الظاهرية، والعمق النفسي بقضية الشخص وأساسه الوجودي بالمقابلة مع التصرفات ومواضيعها خارج فكره، وتتركز المشكلة الإسلامية على الشهادة وتهتم بها بشكلٍ ربما كان شديد العنف، ولكنها مشكلة تثير بدورها التساؤل عن الشيء المثبَت بكل نتائجه وقيمة الحكم على الوجود والحكم على الحقيقة)[٣].

لم يشأ الكاتب أن يستدعي بعض المصطلحات الدينية في معنى

---

(١) المرجع السابق، (٣).

(٢) العقيدة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تثبت للإنسان إرادة واختياراً وفعلاً وقدرة، ولكنها تابعة لإرادة الله وقدرته كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]، وقال ﷺ لأصحابه لما قالوا: أفلا نتكل؟: (لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٠).

(٣) المرجع السابق، (٤).

الشهادة النصرانية، لأن السياق لا يناسب أن يقول في هذا المقام: «المسيح هو السبيل الأوحد إلى الله، ولا خلاص خارجاً عنه». وتلك هي الشهادة النصرانية في أبسط صورها، ولكنه يلمز الشهادة الإسلامية بكونها تؤدي «بشكل ربما كان شديد العنف» وذلك في إشارة واضحة إلى «الجهاد في سبيل الله» الذي يثمر الشهادة في أعظم صورها، ويسمى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا «شهيداً» إذا قتل في هذا السبيل.

وبالتالي، فالكاتب يريد أن يخضع قضية «الجهاد» التي تقض مضاجع المستعمرين النصارى لمبضع الجراح لكن من خلال دائرة أوسع، وتحت عنوانٍ آخر هو مفهوم الشهادة، ويبدي تشوفه لحدوث تغيير أو تعديل في الموقف الإسلامي حين يقول: (إنني راغب جداً في أن أعتقد أن هناك مجالاتٍ جديدة تظهر أمام الفكر الإسلامي ليستكشفها فيما يتعلق بالشهادة. . .)[١].

ثالثاً: «القيم الخلقية الإسلامية». يقول الكاتب: (.. إن الإسلام في الماضي لم يقم بصياغة لاهوته الخلقي بنفسه، لقد كان يكفي أن يبرز العناصر حيثما تتطلب فرائض الله المتعلقة بمفاهيم القانون الإلهي «التكليف» استجابة أساسية من «المؤمن». ويبدو غريباً أن التقدم الحديث في علوم الإنسان لم يجعل المفكر المسلم يعيد النظر في مشكلة «التكليف» في إطار الأبعاد المتجددة لعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، وبتعبير آخر ضمن أبعادٍ فلسفيةٍ خُلقيةٍ تأخذ بعين الاعتبار الماديات الأساسية لوضعِ لاهوت خلقي)[٢].

إن الكاتب يعيد صياغة شبهات المستشرقين والمبشرين بطريقة

---

(١) المرجع السابق، (٤).

(٢) المرجع السابق، (٤).

«حوارية». فأحد المطاعن التي يدندن حولها المستشرقون والمبشرون أن الإسلام دين تكاليف و«أحكام شرعية»، وأن «الفلاح» في نظر المسلمين إنما يكون بحسب التزام المسلم بهذه الأحكام فعلاً وتركاً، بخلاف النصرانية التي تخلي عهدة أتباعها من جميع الالتزامات والأعمال اكتفاءً بالإيمان القلبي بالمسيح[١].

والكاتب يحاول أن يقرر أن هذه الجملة من التكاليف الخلقية ليست من أصل الإسلام في صياغتها الحالية، وفي ذلك إشارة إلى ما يزعمه البعض من أن الفقهاء المتأخرين هم الذين قننوا هذه الأعمال وأكسبوها الصفة الشرعية. ولذلك يبدي الكاتب استغراباً حول عدم تأثير التقدم الحديث في علوم الإنسان في إعادة النظر في مشكلة «التكليف».

وغير خافٍ على كل مسلم أن تدينه لله رب العالمين مبني على أساس متين من العقيدة والشريعة المحفوظة التي لم تنلها أيدي التحريف والتبديل، وأن مجموع تلك العقائد والشعائر (الإيمان والعمل الصالح) هو الموصل إلى «الفلاح» الدنيوي والأخروي بعد رحمة الله تعالى، ولكن القوم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

ثم يتساءل الكاتب أخيراً: (ألا تستطيع هذه الإرشادات الثلاثة المتلاقية في نقطة واحدة أن تحدد مجالاً ما يمكن فيه القيام بحوار خاص مثمر بين الفكر النصراني والإسلامي؟)[٢].

ومن حقنا نحن أن نتساءل: هل الحوار الذي تسعى إليه الكنيسة الكاثوليكية مع المسلمين يعني إثارة شبهات المستشرقين، وإن بشكلٍ مهذب، ونقل الحوار إلى قضايا تخص أحد الطرفين، ليقوم الطرف الآخر بتقويمها، وتقديم الحلول المناسبة من خلال المنظور الكنسي؟

---

(١) راجع مبحث الشريعة عند النصارى في التمهيد (٩٨ ـ ١٠١).
(٢) المرجع السابق، (٥).

لِمَ لم يطرح الكاتب معضلات العقيدة الكاثوليكية وأسرارها السبعة التي تأباها الفطر والعقول السليمة كما يشهد التاريخ والواقع فهي أولى بالاستجلاء والاستكشاف، كعقيدة التثليث والصلب والفداء والخلاص وعصمة البابا... إلخ[1]؟

إن هذه المقالة تكشف نوعاً من أنواع الأداء المبكر في أسلوب الحوار النصراني الإسلامي، يستهدف بحث مسائل عقدية، يأخذ الجانب النصراني فيها بزمام المبادرة والتخطيط والتوجيه، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال].

ب ـ (توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين):

ومن الإصدارات المهمة للكنيسة الكاثوليكية في مجال الكشف عن حقيقة التقريب بين الأديان لديها ما كتبه الأب «موريس بورمانس» بعنوان: «توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين»، وحظي بمراجعة لفيفٍ من كبار الآباء والخبراء في طبعته الثانية عام ١٩٨٠م، وتبنته ونشرته أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين (التوطئة الحوار وقيام تعاون بين المسيحيين والمسلمين)[2] مما يجعله وثيقة رسمية للكنيسة الكاثوليكية، وشرحاً لعبارات ومقاصد المجمع الفاتيكاني الثاني.

والكتاب في أصله موجهٌ إلى النصارى، وبالأخص الكاثوليك منهم. وقد أفصح مؤلفه عن غايته قائلاً: (إن الذين يدينون بالإسلام، والذين يتبعون «يسوع» يتساءلون اليوم عما كان لمسيرتهم معاً على الطريق من الأشكال المتنوعة، طوال أربعة عشر قرناً من التاريخ المضطرب، إن الله يدعوهم اليوم إلى استخلاص العبر من ذلك،

---

(١) راجع مبحث العقائد النصرانية في التمهيد (٨١ ـ ٩٥).
(٢) من مقدمة الرئيس المساعد لأمانة السر، جان جادو للكتاب (١٤).

ليعرفوا على وجهٍ أفضل، بلا ريب، أن سبل الحوار قد تصل بهم غداً إلى شهادة أنصع، وتعاون أخلص، في خدمة الله لمصلحة الناس وخير العالم. وهذه الفصول إنما كتبت لتساعد المسيحيين، ولا سيما الكاثوليك على ذلك، فقد دعاهم المجمع الفاتيكاني الثاني إلى العودة لما تقتضيه رسالة الحوار الصحيح، فيكون تقبلاً للآخر، وحديثاً عن الإيمان، ومشاركة في القيم. ولضمان هذه المرامي المجردة للحوار الذي كان قائماً على مر العصور، في الأوضاع التاريخية والحالات الشخصية الأشد تنوعاً، يجد المسيحيون في هذه الصفحات بعض الأفكار السريعة والمقترحات الوجيزة عن الأبعاد المتعددة لحوارهم الحاضر مع المسلمين)[1]. ومن ثنايا هذا الخطاب الذي يوجهه الأب موريس بورمانس إلى مواطنيه، وأبناء ملته نلتقط بعض الجمل الكاشفة لحقيقة الحوار وغايته كما يراها أحد أقطاب المنادين بالحوار والتقارب المنتمين إلى الكنيسة الكاثوليكية:

■ (الحوار في جوهره يهدف إلى تعزيز التعاون بين الجميع، وجعلهم يتعمقون في عقيدتهم وتراثهم الديني، وإلى تنشيط التماسهم لمشيئة الله وحدها، ورجوع كل منهم إلى الرب الذي يخاطبه، ويغفر له، ويغير ما فيه إلى الأفضل، فلا يسوغ إذن، على الإطلاق، أن تكون غاية الحوار سعي المحاور إلى اجتذاب الآخر إلى دينه بأي ثمن، أو حمله على الشك في الإيمان الذي يغتذي به، بل على العكس، يعتزم المؤمنون، في «تنافس روحي» وتسابق مقدس، حيث «يستبقون الخيرات» (القرآن ٤٨,٥)[2] أن يتعاونوا على «استباق

(١) توجيهات في سبيل الحوار (١٩).

(٢) الآية في سورة المائدة: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨] وهذا الأسلوب في عزو الآيات محاكاة لأهل الكتاب في عزوهم إلى ما يسمونه (الكتاب المقدس) فينبغي الحذر من التشبه بهم.

أنفسهم»، فيصيروا خيراً مما هم عليه، في سياق ما دعاهم الله إليه، ليزدادوا قرباً منه، ويزيدوا من وزن الخير في العالم)[١].

■ وفي تقويمه للعلاقة الإسلامية بأهل الكتاب في العهد النبوي يقول: (إن الإسلام الذي نشأ في شبه جزيرة العرب متصدياً للشرك المكي، كان في وسعه أصلاً الاعتقاد بأنه النسيب الداني أو القاصي لليهودية القائمة في يثرب «المدينة» وفي غيرها من المدن، أو الجار الذي تربطه أواصر الود والتكامل مع تلك الجماعات في اليمن والحبشة القائلة بالطبيعة الواحدة، أو مع تلك الكنائس النسطورية[٢] في الإمبراطورية الساسانية، واليعقوبية[٣] أو الملكيّة[٤] في الإمبراطورية

---

(١) توجيهات في سبيل الحوار (٢٠).

(٢) النسطورية: النساطرة أو الأشوريوُن طائفة من المسيحيين ينتسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية. قطنوا في كردستان بين الموصل وأرمينية إلى أن تبدد شملهم بعد حرب ١٩١٤م. ازدهرت عندهم الحياة الرهبانية فأوفدوا المبشرين إلى آسيا الشرقية القرن (٦) ونشروا المسيحية في إيران والهند والصين، انضم قسم منهم إلى الكثلكة في القرن السادس عشر، وهم الكلدان). انظر: المنجد (٧٠٨).

(٣) اليعقوبية: (السريان: هم اليوم النصارى أبناء اللغة السريانية. انفصلت منهم جماعة عن كنيسة أنطاكية، على أثر المجادلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح. وتلتقي مع الكنيسة القبطية في اعتناقها للمونوفيسية، وقولهما معاً بأن للمسيح طبيعة واحدة. وتنظمت في سورية وفي بلاد ما بين النهرين، بفضل يعقوب البرادعي، كنيسة يعرف أبناؤها باليعاقبة القرن (٦)، كما تفرعت منهم في القرن (٥) الكنيسة المارونيّة. وقد تكونت في القرن (٧) كنيسة سريانية كاثوليكية، وفي الهند طائفة لا يستهان بها من السريان هم المالنكاريون، ولها أتباع في العراق أيضاً. وطقوس السريان الكنسية مأخوذة من الطقس الأنطاكي، يستعملون فيها اللغة السريانية). انظر: المنجد في الأعلام (٣٥٤)، الموسوعة العربية الميسرة ١٤١٩هـ.

(٤) الملكانية: (المَلَكِيُون: هو الاسم الذي أطلقه العرب على مسيحيي سورية=

البيزنطية. ولكن سرعان ما اعتُمد أسلوب التحريم والنبذ، فلم يعد الحوار الإسلامي المسيحي، الذي بدأ مأسوياً عند مباهلة المدينة (٦٣١) (القرآن ٦١,٣)[١] حين خضع مسيحيو نجران للدولة الإسلامية الفتية، وقبلوا عهد الذمة الذي فرضته، سوى سلسلة من المصادمات السياسية أو الثقافية أو الدينية، أوجدت فيها المماحكات الجدلية، والتحديات الأيديولوجية، جماً من الأفكار الخاطئة الناجمة عن إساءة في الفهم أو تسرع في الحكم، وتفاقمت الأمور على مر الزمن)[٢].

■ وفي محاولة لتحديد مفهوم «الحوار»: (إن كلمة «الحوار» وإن درجت في الاستعمال أكثر من اللزوم، وصارت عرضة للالتباس، حتى ليؤثر عليها البعض لفظة «المشاركة» أو «التلاقي» يراد بها هنا: التعبير عن نمطٍ من الوجود والعمل يأبى كل اعتزال، ويعني دائماً بالآخر، بل يعتقد أن العلاقة بالآخر هي التي تكوّن الشخصية. فمن الواجب إذن أن يكون الحوار الأمنية العميقة لكل مؤمنٍ جدّي صادق)[٣].

■ ويحدد الكاتب أربعة استعدادات أساسية في أشخاص المتحاورين، ضرورية في نظره لبلوغ حوار حقيقي، تكشف بدورها عن حقيقة ذلك الحوار وطبيعته:

= الذين خضعوا لقرارات المجمع الخلقيدوني (٤٥١)، وهم في ذلك من جهة الإمبراطور. انضم فرع منهم إلى الكنيسة الكاثوليكية القرن (١٨). والفرع الثاني هم الروم الأرثذوكس لغتهم الطقسية اليونانية والعربية). المنجد في الأعلام (٦٨٤).

(١) يشير إلى الآية (٦١ من السورة الثالثة، سورة آل عمران وهي آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران].

(٢) المرجع السابق، (٢٥ - ٢٦).

(٣) المرجع السابق، (٤٥).

(١ ـ قبول الواحد للآخر: . . . يفترض استقبال المسيحيين والمسلمين بعضهم بعضاً قبول بعضهم للبعض الآخر، على ما بينهم من اختلافٍ عظيم، واحترام بعضهم بعضاً في تنوع تراثهم الديني، ومحاولة اكتشاف الآخر في جِدَّة اللقاء، سعياً إلى المزيد من التقدير والحب له. من هنا يجب أن يبدأ كل حوار. . .

٢ ـ التفاهم: . . . والمطلوب هو التلاقي في سبيل التفاهم، ومعرفة كل واحدٍ للآخر، لا كما هو فقط، بل كما يريد أن يكون أيضاً. . . ولكن تبادل الإعلام لن يكفي أبداً لبلوغ التفاهم. فعلى المتحاورين كذلك أن يتحرروا مما عندهم من عقد النقص أو التفوق، ويكونوا أكثر تقبلاً لما قد يبديه الآخر من توضيحاتٍ لذاته أو لتراثه الديني، بحيث يصبح كل واحدٍ في النهاية قادراً على أن يضع نفسه في موضع غيره. .

٣ ـ التعايش والمشاركة: على المسيحيين والمسلمين المدعوّين إلى أن يعترف بعضهم ببعض في أصالتهم، ويتبادلوا الشهادة لأمانتهم، أن يتلاءموا بعضهم مع بعض، ويخترعوا مواقف تعزز الوحدة، ويتعاونوا حيثما يشعرون بأنهم ملتزمون القيم نفسها، ولن نلح أبداً بكفاية على ما يتوفر للحوار من إغناء عندما يستطيع الجميع أن يأكلوا معاً، ويتعاضدوا في العمل، ويعانوا متضامنين الآلام نفسها، ويتقاسموا في نفس الأعياد الفرح والبهجة. . . إن الاعتراف لكل فردٍ وللجماعة التي ينتمي إليها بما يحق لهم من أفضال، وما يختصون به من فضائل يقوي حظ الحوار في بلوغ تكاملٍ أسمى.

٤ ـ الجرأة والمخاطرة: والحوار، في كل حال، هو دوماً مغامرة لا يعرف فيها المتحاورون إلى أين ينتهون، وبحسبهم أن تقوم بينهم الثقة، وأن يشرعوا في التخاطب والتعايش. ولا بد لذلك من فسحة من

الحرية حتى يجرب كل واحد فيها حظه، مع اجتهاده في مراعاة محاوره وجماعته)[١].

• - ويبرز الكاتب جملة من المحاذير والمحترزات التي تخالف روح الحوار الصادق - في نظره -.

(ليس أسوأ للحوار من السعي الكاذب إلى التكيف، وقوامه عند المسيحي، انتقاص إيمانه حين عرضه بحيث يجعله مقبولاً لدى المسلمين: إن الحوار يفقد كل معناه إذا انتقص الفريق المسيحي إيمانه إلى حد جعله عموميات، وحجب عقائده التي تفترق عما يؤكده القرآن.

وليس المقصود هنا تحولاً بالانتقال من دين إلى آخر، بفعل «مناورات» إيديولوجية أو مداخلات مجتمعية: المؤمنون الحقيقيون كلهم مجمعون على نبذ أشكال الاجتذاب الديني هذه، التي تليق بالإيمان الذي يعيشونه، وبالله الذي يخدمونه...

فلا مجال عندئذٍ لانتصار الواحد على الآخر، أو لاحتمال ضم الواحد إلى الآخر، أو للتباري في المجاملة والملاطفة: إن الحوار هو تساؤل في الإيمان، وتنافس أخوي في العمل «باسم الله»، «فما الحوار إلا صبرٌ طويل... (دعوة) تخلصت من أدران الجدل والدعاية... فتصبح أصلاً تفتحاً على الغير وانتباهاً إليه، تصبح بحثاً متواصلاً عن الحقيقة، وذلك بالتعمق في فهم القيم الدينية والإيمان بها إيماناً راسخاً، حتى تصير حياة الإنسان شهادة بحتاً...

إلا أن هناك خطراً دقيقاً قد يتهدد حوارهم المشترك، وهو الارتياب، الصحيح أو الباطل، بنوايا المحاور، فتنسب إليه أفكارٌ مبيتة تهدف إلى الاجتذاب الديني.

---

(١) المرجع السابق، (٤٩ - ٥١).

أو لا يتهم بعضهم الحوار اليوم بأنه أسلوبٌ جديد، بل «مناورة» بارعة، لضم الآخر إلى أيديولوجية من يقوم بالمبادرة، أو إلى إيمانه، فينبغي إذن تكرار القول أن الحوار الصحيح يفترض عند الطرفين العزوف عن السعي إلى حمل الآخر على تغيير دينه، على وجه مصطنع، أو حمله على الشك في معتقده الديني، وسيكون ذلك مسخاً أو خيانة للحوار الحقيقي...)(١).

ويلح الكاتب في مواضع كثيرة على «الارتقاء» بالحوار إلى مستوى «الحوار الروحي»، بل «الوحدة الروحية» الناتجة من الانفتاح على الآخر، والإعجاب بما لديه:

(إن حوار القيم الحضارية لا يمكن أن يكون فيه الكفاية للمؤمنين الذين يعلمون أن الحوار الأساسي هو الذي يفتتحه الله وينميه ويقوده إلى غايته مع كل واحدٍ منهم، في إطار تراثه الديني، وحسبما يراه الله في حرية مقتضياته غير المرتقبة...

فإذا كان عند المسيحيين والمسلمين كلامٌ كثير يتبادلونه عن القيم التي تهيمن على التزامهم خدمة البشر والمجتمع البشري، فهم يتبينون أيضاً أن بإمكانهم التحادث عن اختباراتهم الدينية بالمعنى الحقيقي، وعن جوابهم الشخصي للتلمسات الإلهية، وعن كنوز القداسة والصلاح التي أنمتها وادخرتها المسيحية والإسلام على مدى التاريخ. إن «الانفتاح في البحث الروحي» يدعو حينئذٍ كل محاور إلى الإعجاب بما يكتشفه عند المؤمنين في الديانات الأخرى...

هذه الدعوة إلى الوحدة الحية في نفوس المتحاورين من المسيحيين والمسلمين، تشبه المساعي المسكونية إلى لَمِّ شمل جميع الذين ينتمون إلى يسوع المسيح رباً أوحد...)(٢).

---

(١) المرجع السابق، (٥٧ ـ ٦٢).

(٢) توجيهات في سبيل الحوار (١٣٧ ـ ١٣٩).

• ويقترب الكاتب أكثر في تطبيق هذه الوحدة الروحية بأسلوبٍ عملي فيقول:

(والمسيحيون الذين يحضرون صلاة المسلم الأمين، التي يرددها خمس مراتٍ في اليوم يشعرون بالاحترام والإعجاب، وكذلك المسلمون الذين يشهدون أحياناً صلاة الساعات، أو صلاة القداس (الأفخارسيتا)[١] في جماعة مسيحية، يأخذهم العجب، ويحسون بالتعاطف. ومن مصلحة المسيحيين أن يزدادوا معرفةً لصيغ الصلاة العديدة عند محاوريهم من المسلمين، كما أن هؤلاء يجنون بلا ريب فائدة من إيلائهم الصلوات المسيحية انتباهاً أشد. وعلى حوار المؤمنين إذن أن يسهل هذا التبادل لكنوز الصلاة الروحية التي جمعها هؤلاء وأولئك على مدى التاريخ.

وقد يحدث أن يشعر المسيحيون والمسلمون بالحاجة إلى أن يصلوا معاً، ولكنهم يرون على الفور صعوبة تلبية تلك الحاجة. ويبدو أن على الجميع أن يحترم كل منهم احتراماً كاملاً قوام الصلاة الطقسية والعبادة المفروضة عند الآخر، دون أن يحاولوا أبداً المشاركة فيها مباشرة، على أن يتساهلوا ويقبلوا أن يشهدوها متعاطفين إذا ما دعوا إلى ذلك، أو طلبوا الحضور باسم الإضافة الإبراهيمية... قد يجد الفريقان في أسوة الأولياء والقديسين الجرأة الضرورية لاستنباط صيغ مشتركة جديدة للتسبيح والابتهال تجمعهما في اختبار للصلاة يتم في حياة كل منهما)[٢].

• ونختم هذه النقولات بإماطة اللثام عن موقف الكاتب، وموقف

---

(١) راجع مبحث الطقوس البدعية الكهنوتية عند النصارى في التمهيد. الأسرار السبعة (١٠١ ـ ١٠٢).

(٢) المرجع السابق، (١٤٧ ـ ١٤٩).

الكنيسة الكاثوليكية بالطبع، من الحوار في أخطر القضايا، وهي قضية التوحيد والألوهية، وحقيقة عيسى عليه السلام، فيقرر قائلاً: (ليس من النافع، بل قد يكون من الضار للحوار، إعادة الجدل وتوسيعه كما حصل في أوائل القرون الوسطى. ويبدو أنه من المستحيل التقريب بين المسيحيين والمسلمين في هذا المجال، باعتماد البراهين الفلسفية، أو الاستدلالات اللاهوتية الكلامية)[١].

ونكتفي بهذا القدر من كتاب «توجيهات في سبيل الحوار» لاستكناه حقيقة دعوة التقريب والحوار كما يراها الجانب النصراني، وهو يخاطب مواطنيه، وتتضح لنا معالم أساسية نستخلصها من العرض السابق:

أولاً: أن تاريخ العلاقات الإسلامية النصرانية خلا من الحوار بصورته الصحيحة، وعلى الأخص ما جرى في العهد النبوي مع نصارى نجران، حيث يصفه المؤلف بأنه «مأسوي» انتهى بالمباهلة والإخضاع، واعتمد أسلوب التحريم والنبذ. وما أعقبه بعد ذلك طوال التاريخ كان سلسلة من المصادمات والمماحكات والتحديات.

ومن ثم فالحوار المطلوب وليد هذا العصر الحديث. وأسلوب المناظرة والمجادلة والردود لا يتفق ومشروع الحوار الحقيقي المقترح.

ثانياً: حقيقة الحوار المطلوب انفتاح مطلق على الآخر يأبى كل اعتزال، ويعنى دائماً بالآخر، يتقبله ويحترم تراثه، ويحاول أن يكتشفه ويتعرف عليه، ومن ثَمَّ يتعايش معه ويشاركه آلامه وأفراحه، وينطلق معه في حوار مطلق بلا قيد ولا شرط إلى المجهول، (كالمسافرين في الطريق لا يعرفون جيداً إلى أين يقودهم الله، ولكنهم يقرون بأنه يريدهم أن يسيروا معاً)[٢]. تلك حقيقة الحوار وأسلوبه في نظر الكنيسة الكاثوليكية.

---

(١) توجيهات في سبيل الحوار (١٠٩).

(٢) المرجع السابق، (٦٢).

ثالثاً: هدف الحوار تعزيز التعاون بين الجميع، الموصل إلى التعمق في العقيدة والتراث الديني، الحامل للتغيير إلى الأفضل، ومحاولة الارتقاء نحو الوحدة الروحية، والمشاركة التعبدية، بل واستنباط صيغ مشتركة جديدة للصلاة والتسبيح يمارسها الطرفان معاً.

رابعاً: والحوار الحقيقي، والتقارب الصادق يربأ في نظر المؤلف عن محاولات الاجتذاب الديني والدعوي بجميع أشكاله، بل يعد ذلك خيانة لا تليق بالهدف النبيل الذي يسعى إليه. كما يرفض الحوار الصادق التكيف الكاذب والمجاملة على حساب الضمير والمعتقد، بل يؤكد الكاتب لمواطنيه النصارى أن مجرد التعبير عن إيمانه بعموميات، وحجب معتقده الذي يخالف صريح القرآن إلى الحد الذي يجعله مقبولاً لدى المسلمين انتقاص وسعي كاذب. كما لا بد لطرفي الحوار من السلامة من مشاعر الارتياب تجاه بعضهما بعضاً من تبييت نية مسبقة للضم والتشكيك والاجتذاب.

خامساً: ومع طلاقة الحوار، ورحابة الدعوة إلى الانفتاح، إلا أن للحوار حداً لا يجوز تخطيه، بل ولا الاقتراب منه، ذلك ما يتصل بعقيدة التثليث والتجسد والفداء في شخصية المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فالحوار هنا ضار بل مستحيل.

إن الحوار الذي يصفه الأب موريس بورمانس، شارحاً بذلك مضامين قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني وأهدافه ليمثل نمطاً غريباً، وبدعة محدثة على منهج الدعوة الإسلامية في ماهيته وفي أسلوبه وفي غاياته.

إن الكاتب يغالي في تعظيم شأن الحوار وتمجيده، حتى يستحيل في حس القارئ إلى هدف بدلاً من كونه وسيلة. لقد عرف المسلمون منذ فجر الدعوة الإسلامية دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، بالحجة والبيان والدليل والبرهان، وتركوا في ذلك تراثاً

ضخماً، ولكن المحاور النصراني يريد أن يبرئ الحوار الصادق من أدنى تهمة للدعوة والاجتذاب والإقناع، ويرى في ذلك تعكيراً لصفاء الحوار!

كما استقر عند المسلمين بداهة أن أهم القضايا التي يجادلون فيها أهل الكتاب هي قضية التوحيد المطلق لله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ونبذ مظاهر الشرك وعبودية سوى الله تعالى، وعمدتهم في هذا الجدل الشرعي الصحيح قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]. ولكن دعاة الحوار الحديث يريدون تنحية هذه القضية الأساسية وتحاشيها، لأن الحوار فيها يفسد الحوار، وهكذا يصبح الحوار غاية لا وسيلة. وفضلاً عن ذلك هو غاية غير واضحة يخبط المتحاورون فيه في التيه، بحرية ومغامرة لا يدرون إلى أين ينتهون! وكل ذلك مرفوض عقلاً، فضلاً عن كونه ردةً وزندقةً ديناً وشرعاً. ولا أدل على ذلك من تلك المطالب والمقترحات التي تقدم بها الكاتب للمشاركات الروحية من صلوات وابتهالات، لا يمكن أن يقبل بها مسلم يعي حقيقة دينه. وربما وجدت صدىً لدى بعض الزنادقة من المنتسبين إلى الإسلام من غلاة الصوفية الذين يسقطون الحدود والرسوم والشعائر، أو الفرق الباطنية الضالة. وهذا يفسر ميل الكاتب[1] وغيره من الآباء الروحيين للنصارى إلى أقطاب التصوف من القائلين بوحدة الوجود والاتحاد والحلول، وإعجابهم بهم، وتمجيدهم لهم، وذلك لاتفاق المشرب.

---

(١) انظر في المرجع السابق، (٨٩ ـ ٩١، ١٠٣، ١٠٥، ١٥٠).

ج ـ (حوار وبشارة: تاملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل):

وقد أثار هذا التحول التاريخي في موقف الكنيسة الكاثوليكية من الأديان سواءً ما يتعلق بالقاعدة النظرية حول توسيع فكرة الخلاص وشمولها من هم خارج الكنيسة، أو ما ترتب على ذلك من الدعوة إلى الحوار والبحث عن القيم المشتركة والتعاون في تنميتها، أثار جدلاً واسعاً في أروقة الكنيسة ذاتها وخارجها، واشتعل فتيل الجدل ـ بطبيعة الحال ـ في الملتقيات الأولى للمجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٢م بين الدوائر الكنسية المحافظة في الفاتيكان والآباء التقدميين الراغبين في الانفتاح على عالم جديد منفتح.

وفي دورة المجمع الثانية عام ١٩٦٣م، بعد وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين وتتويج البابا بولس السادس، بلغ الجدل ذروته في مناقشة أهم دساتير المجمع المتعلق بتحديد هدف الكنيسة ورسالتها وعلاقاتها، ويصور الأب غابي هاشم البولسي هذه الأزمة بقوله: (احتل مشروع «الكنيسة[1]» مكان الصدارة في هذه الدورة، بل في أبحاث المجمع كله، ولا عجب في ذلك، لأن لهذا الموضوع أهميته الأساسية في حياة الكنيسة، إذ عليه يتم الاعتماد، وإليه يتم الرجوع في بناء الأسس اللاهوتية وانعكاساتها على سائر مضامير الحياة الكنسية، لقد شكل هذا المشروع المنعطف الخطير، وتسبب بأزمة حادة، وضعت مصير الكنيسة وتوجه المجمع على المحك. وسرى الريب في النفوس الضعيفة، فراحت تتساءل: هل تقوى الكنيسة على مواجهة ذاتها والانفتاح على العالم المعاصر، أم تتمسك بأهداب سلطة زمنية، وامتيازاتٍ إدارية، فتدير بالتالي ظهرها للفرصة الذهبية، ضاربة عرض

---

(١) المقصود مشروع صياغة الدستور العقدي الأول للمجمع المسمى «الكنيسة».

الحائط بآمال الكثيرين وتطلعاتهم؟ تلك لعمري أوج الأزمة التي بلغتها المناقشات قبيل التصويت التاريخي الذي جرى في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٦٣م)[١].

وأسفر التصويت عن تفوق النزعة التقدمية، وتمخض المجمع عن تلك الوثيقة التاريخية المسماة «الكنيسة. دستور عقائدي» متضمنة تلك الفقرة المشار إليها آنفاً حول مفهوم الخلاص، والتخلي عن اعتبار الإسلام هرطقة دينية مسيحية، والاعتراف به ديناً رسمياً جديراً بالاحترام[٢]. وجرى جدل مماثل حول البيان المجمعي حول «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»[٣]. ولكن الروح الانفتاحية، والعبارات التصالحية سادت في النهاية.

ولكن هذا الجدل الذي حسم رسمياً بصدور دساتير المجمع وقراراته وبياناته[٤] لم تنحسم مادته واقعياً في العقول والصدور. فثارت إشكالات متعددة حول بنوده المختلفة. ومن أبرز هذه الإشكالات المتصلة بموضوع بحثنا، معضلة العلاقة بين الحوار والبشارة، ومحاولة التوفيق بينهما. وسنلقي عليها بعض الضوء لكون ذلك يسهم بشكل جيد في كشف المفهوم الكنسي لقضية «الحوار» وأهدافه ومراميه، عند مقابلته بالقضية العتيدة التليدة لدى الكنيسة وهي «البشارة».

---

(١) من مقدمة: (المجمع الفاتيكاني الثاني) (١٦، ١٧).
(٢) المرجع السابق، (٥٢).
(٣) انظر مقدمة البيان في المرجع السابق، (٦٢٥، ٦٢٩).
(٤) (خرجت الكنيسة الكاثوليكية من المجمع بمجموعة من الوثائق التي تتفاوت قيمتها من الناحية الإيمانية، كما تدل على ذلك العناوين الرئيسية الثلاثة: فالدستور غير القرار، وكلاهما غير البيان، ذلك لأن الدستور يحمل سمة الديمومة، فيما القرار له صفة عملية، وأحكام مرتبطة بظروف الزمان والمكان، وأما البيان فإعلان موقفٍ من موضوع ما، وهو رهن بمناسبته التاريخية). من مقدمة كتاب: المجمع الفاتيكاني الثاني: دساتير، قرارات، بيانات) (٢٠).

وقد أصدرت أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين عقب الجمعية العمومية التي عقدت سنة ١٩٨٤م وثيقة بعنوان: «موقف الكنيسة من مؤمني سائر الأديان: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار والرسالة» تضمنت ذكر أربعة أشكال من أشكال الحوار هي:

(أ ـ حوار الحياة: حيث يعمل الناس على أن يعيشوا بروح انفتاح وحسن جوار، مقتسمين أفراحهم وأحزانهم، ومشاكلهم ومشاغلهم الإنسانية.

ب ـ حوار الأعمال: حيث يتعاون المسيحيون والآخرون في سبيل تنمية كاملة وتحرر للإنسان غير منقوص.

ج ـ حوار التبادلات اللاهوتية: حيث يعمل أخصائيون على تعميق الفهم للتراث الديني لدى كلٍ منهم، وتقدير القيم الروحية الخاصة بكل منهم تقديراً متبادلاً.

د ـ حوار الخبرة الدينية: حيث يتقاسم أشخاصٌ متجذرون في تقاليدهم الدينية الخاصة ثرواتهم الروحية، من مثل ما يتعلق بالصلاة والتأمل، وبالإيمان وطرق البحث عن الله والمطلق)[١].

وبعد تحول «الأمانة» إلى «المجمع البابوي للحوار بين الأديان»، قام المجمع بمعالجة أوسع للقضية، وإعداد وثيقة جديدة بعنوان: «حوار وبشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل»، تم إقرارها في الجمعية العمومية للمجلس البابوي من أجل

---

(١) حوار بشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان، والتبشير بالإنجيل (٣١) وانظر: شرح هذه الأشكال بمزيدٍ من التفصيل عند: موريس بورمانس في: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٤٦ ـ ٤٨)، وعادل تيودور خوري في الفاتيكان والحوار الإسلامي المسيحي، مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٤٦ ـ ٥٠).

الحوار بين الأديان في نيسان ـ أبريل سنة١٩٩٠م[١]. وقد اشترك في وضع الوثيقة كل من: رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، ورئيس مجمع تبشير الأمم، ووقَّعاها في أيار ـ مايو سنة ١٩٩١م.

ونظراً لحداثة الوثيقة وأهميتها ورسميتها، فسنعتمدها مرجعاً أصيلاً في استجلاء حقيقة الحوار من وجهة النظر الكاثوليكية بعد خضوعه لمطارق النقد من داخل الكنيسة نفسها.

• في مقدمة الوثيقة تصوير لأبعاد المشكلة: (إن عمل الحوار يبعث في نفوس الكثيرين بعض المسائل. فهنالك من يبدو لهم في تفكيرهم الخاطئ، أن الحوار في رسالة الكنيسة الحالية، يجب أن يقوم مقام البشارة. وهنالك آخرون يقفون موقفاً معاكساً، ويمتنع عليهم فهم قيمة الحوار بين الأديان. وهنالك أخيراً من تولتهم الحيرة فتساءلوا قائلين: لئن بلغ الحوار بين الأديان هذه الدرجة من الأهمية، فهل فقدت الرسالة الإنجيلية دورها المُلِح؟ هل أصبح العمل على ضم الناس إلى حظيرة الكنيسة أمراً ثانوياً، أو بالأحرى نافلاً؟ من هنا الحاجة إلى بعض التوجيهات العقائدية والراعوية، ترمي هذه الوثيقة إلى المشاركة فيها، من غير أن تدعي التمكن من الإجابة الشافية عن شتى الأسئلة المعقدة التي يثيرها الموضوع)[٢].

تحاول الوثيقة أولاً إيجاد قاعدة لتسويغ وتبرير عملية الحوار مع غير النصارى بإثبات تضمن عقائدهم وتقاليدهم ما يستحق الاحترام والتقدير أولاً، ثم، وهذا هو الجديد هاهنا، إشعار النصراني أن تلك

---

(١) انظر مقدمة: حوارٌ وبشارة: تأملاتٌ وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل، المجمع البابوي للحوار بين الأديان. تعريب دائرة الترجمة في المكتبة البولسية. الطبعة الأولى ١٩٩٣م. (٧، ٨).

(٢) حوار وبشارة (٩).

الجوانب المشرقة لدى الآخرين إنما هي أثر للنعمة الحاصلة بيسوع المسيح بطريقة سرية غير مدركة لدى أولئك الأقوام:

• (... ينتج عن سر الوحدة هذا أن جميع المخلَّصين والمخلَّصات يشتركون، وإن بأشكالٍ مختلفة، بسر الخلاص عينه في يسوع المسيح بواسطة روحه. هذا ما يعيه المسيحيون جيداً بفضل إيمانهم فيما يغيب عن وعي الآخرين أن يسوع هو ينبوع خلاصهم. بيد أن سر الخلاص يشملهم بطرقٍ يعرفها الله، بفضل عمل روح المسيح غير المنظور. والواقع أن أعضاء الديانات الأخرى يستجيبون لدعوة الله، وينالون الخلاص بيسوع المسيح، بممارسة صادقة لما هو خير في تقاليدهم الدينية، واتباع توجيهات ضميرهم، حتى وإن لم يقروا ويعترفوا به على أنه مخلصهم)[1].

• (... إننا حين نؤكد أن التقاليد الدينية الأخرى تحتوي على «عناصر نعمة» لا نعني بذلك أن كل ما فيها ثمرة النعمة. فالخطيئة عملت في العالم. والتقاليد الدينية الأخرى، على ما لها من قيمة إيجابية، تعكس أيضاً حدود العقل البشري الذي يميل بعض الأحيان إلى اختيار الشر. وإن نظرة منفتحة وإيجابية على التقاليد الدينية الأخرى، لا تسمح لنا بالتغاضي عن التناقضات التي يمكن أن تكون بينها وبين الوحي المسيحي. وحيث يقتضي الأمر لا بد من الاعتراف بوجود تعارض بين بعض العناصر الأساسية للدين المسيحي، وبعض مظاهر هذه التقاليد)[2].

وهكذا تجمع الوثيقة أزمة «الخلاص» التي سبق أن أثبتها المجمع الفاتيكاني لغير النصارى، بيد العقيدة النصرانية، فالآخرون لم يهتدوا

---

(١) حوار وبشارة (٢٤، ٢٥).

(٢) حوار وبشارة (٢٤، ٢٥).

في نظر الكنيسة إلى طريق الله، وسبيل الخلاص، بصفة مستقلة، وإنما بنوعٍ من التأثير غير المدرك من الروح القدس، أحد أقانيم التثليث النصراني، وبالتالي فكل «عنصر نعمة» موجود في تلك الأديان والتقاليد الأخرى، فمن عمل يسوع. وما سوى ذلك مما لا تقره العقيدة النصرانية فمن أثر الخطيئة، ولا يمكن حينئذٍ التغاضي عنها.

وبهذا يتضح إن عملية «تأنيس» الحوار للرافضين له من الجانب الكاثوليكي، الذين يعتقدون أنه يعارض مهمة «البشارة»، تنطلق من محاولة نسبة ما لدى غير النصارى من معتقداتٍ وممارسات صائبة، إلى تأثرهم غير الواعي بعمل الخلاص النصراني، ومن هنا فقط، تستحق الاحترام والتقدير، فلا تعارض إذاً يقع في ضمير النصراني الذي يعتقد أنه يمتلك «الحقيقة المطلقة»، ما دامت عناصر الخير والصواب لدى الآخرين هي من تأثير الأسرار النصرانية، شعر الآخرون أم لم يشعروا. فما أثر استبطان هذه الفكرة على قضية «الحوار»؟ تخلص الوثيقة إلى القول: (ذلك يعني إذن أن المسيحيين، وهم يعتقدون الحوار بروح منفتح مع أتباع التقاليد الدينية الأخرى، يستطيعون أن يحثوهم سلمياً على التفكير في محتوى معتقدهم، وعلى المسيحيين أنفسهم أن يقبلوا بدورهم أن يكونوا موضع تساؤل، ومع ما لديهم من ملء الوحي الإلهي في يسوع المسيح، قد تكون الطريقة التي يفهمون بها ديانتهم ويعيشونها بحاجة إلى تنقية)[1].

■ وبهذا الوضوح تفشي الوثيقة هدف الحوار وثمرته، وتوزع المهام على طرفي الحوار كالتالي:

١ ـ على أصحاب الديانات الأخرى إعادة النظر في مفردات عقائدهم، عَلَّهم أن يكتشفوا أصولها النصرانية التي أثمرت لهم هذه الممارسات والمعتقدات الصائبة.

---

(١) حوار وبشارة (٢٥، ٢٦).

٢ ـ على النصارى حثهم على ذلك بطريقة سلمية وهي «الحوار»، لا «المجابهة». وليس عليهم أن يعيدوا النظر في معتقداتهم، لأنها حقٌّ مطلق!. لكن عليهم أن يقبلوا ـ صابرين محتسبين ـ أن تكون تلك العقائد موضوع تساؤل من قبل الآخرين فحسب. ثم لا تنسى الوثيقة أن تكافئ المحاورين النصارى باعتبار ممارسة الحوار تتيح لهم «تنقية» تدينهم، و«تجديد» طريقة فهمهم له، وبذلك يلتقي «الحوار» و«البشارة» في هدفٍ مشترك، هو «الخلاص» بالمفهوم الكنسي. تقول الوثيقة: (في هذا الإطار يسهل أكثر فأكثر فهم السبب والمعنى اللذين يجعلان الحوار بين الأديان عنصراً جوهرياً من رسالة الكنيسة التبشيرية، والسبب الأساسي لالتزام الكنيسة بالحوار ليس «أنثروبولوجياً»[1] فحسب، بل لاهوتي أيضاً. ففي حوار يستمر مدى العصور، وهب الله الخلاص، ولم يبرح يهبه للبشر. والكنيسة وفاءً للمبادرة الإلهية توجب على نفسها إذن أن تدخل في حوار خلاصي مع الجميع)[2].

ويشرح القرار المجمعي «إلى الأمم» طبيعة هذا الحوار الخلاصي وحقيقته: (إن تلاميذ المسيح المتحدين بحياتهم وعملهم اتحاداً وثيقاً بالبشر، يتمنون أن يقدموا لهم شهادة المسيح الحقة، ويعملون من أجل خلاصهم حتى حيث لا يتمكنون من التبشير تبشيراً كاملاً بالمسيح. «إلى الأمم ١٢»[3].

وهكذا يتبين أن الحوار ليس مشروعاً مستقلاً، بل هو مشمول

---

(١) الأنثروبولوجيا Anthropology: علم الإنسان (علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته) المورد: قاموس إنكليزي ـ عربي. منير البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت طبعة ١٩٧٦م الطبعة العاشرة. (٥٢).

(٢) حوار وبشارة (٢٩).

(٣) حوار وبشارة (٣٠).

بالمشروع الأساسي العتيد؛ البشارة. وما لا يدرك كله لا يترك جُلُّه. ولكن الوثيقة تعرب صراحة عن الأمنية النهائية حين تقول: (نظراً إلى هذا الهدف، أي قيام الجميع بارتداد أعمق إلى الله، يكون للحوار بين الأديان قيمته الخاصة. وفي أثناء هذا الارتداد، «قد يُولد القرار بالتخلي عن موقف روحي أو ديني سابق لاعتناق آخر» «موقف الكنيسة ٣٧»)[١].

وتمضي الوثيقة قدماً في التأكيد على ضرورة «إعلان بشرى يسوع المسيح»، وأصالة هذه المهمة، ودور الكنيسة، وطرائق إعلان البشرى، والعقبات التي تواجه ذلك[٢]، حتى إن القارئ ليتساءل في ظل هذه التأكيدات الواضحة لأهمية التبشير المباشر الصريح، لِمَ الحوار إذن، وما الحاجة إليه؟

وتجيب الوثيقة عن هذا التساؤل في نهاية الفصل: (من البديهي إذن أن تكون الكنيسة لأسباب سياسية أو غير سياسية، في أوضاع يستحيل فيها عملياً إعلان البشرى، فتقوم برسالتها التبشيرية ليس فقطَ بحضورها وشهادتها، بل بنشاطاتها، كالالتزام بالإنماء البشري، وبالحوار نفسه. وأما في الأوضاع التي تتوافر فيها للناس الاستعدادات لسماع رسالة الإنجيل، والإمكانات للاستجابة لها، فينبغي للكنيسة أن تبادر إلى تطلعات هؤلاء الناس وتحقيق آمالهم)[٣].

إن هذا النص يدل على أن «الحوار» تَقِيَّة تتخذ في الظروف غير المناسبة أو بعبارة أخرى: هو «أضعف الإيمان». فحينما يتعذر عملياً إعلان البشرى فلا أقل من طرح الموضوع للحوار، فلن يعدم المحاور

---

(١) حوار وبشارة (٣٠).
(٢) انظر: حوار وبشارة (٤٣ ـ ٦٤).
(٣) حوار وبشارة (٦٤).

فائدةً مهما قلَّت: (الحوار الحقيقي بين الأديان يفترض من قبل المسيحي الرغبة في حمل الغير على معرفة يسوع ومحبته أكثر فأكثر. وإعلان يسوع المسيح يجب أن يتم بروح الحوار الإنجيلية، ولا شك أن النشاطين يبقيان متميزين. إلا أن التجربة تدل على أن الكنيسة المحلية وحدها، والشخص وحده يستطيعان أن يلتزما بهذا أو ذاك)(١).

العبارات واضحة المدلول جداً على كون الحوار وظيفة وقتية تمليها ظروف محلية يقدرها الفرد أو الكنيسة، وهو على كل حال يهدف إلى حمل الغير على معرفة يسوع ومحبته أكثر فأكثر. لقد سقطت الأقنعة، وظهرت الحقيقة من بين ركام الجمل الغائمة والعبارات المطاطية، والأساليب حمالة الأوجه. ونختم بهذا النداء الذي توجهه الوثيقة للنصارى:

(جميع المسيحيين مدعوون شخصياً ليكونوا شركاء بهاتين الطريقتين لإتمام هذه الرسالة الوحيدة للكنيسة، أي إعلان البشرى والحوار. أما شكل مشاركتهم فيرتبط بالظروف، وبدرجة إعدادهم لها. ولكن عليهم أن يتذكروا بأن الحوار كما قيل في السابق لا يكوِّن كل رسالة الكنيسة، وهو لا يستطيع أن يحل مكان إعلان البشرى إلا أنه يبقى متجهاً نحو إعلانها)(٢).

إن هذه التحولات، والتقلبات في مناخ الكنيسة الكاثوليكية تجاه قضية الحوار، لتكشف عن صراع مبطن بين أجنحة القوى داخل الكنيسة، والتي تمتد جذورها إلى المداولات الحامية التي دارت في أروقة المجمع الفاتيكاني الثاني أثناء مناقشة مسودات الدساتير والقرارات والبيانات بين أصحاب النزعات المختلفة. بل في الحقيقة

(١) حوار وبشارة (٦٧).

(٢) حوار وبشارة (٧٣).

إلى ما قبل المجمع ذاته فيما يتعلق بالإسلام والقرآن والنبوة، في مجال الدراسات الكاثوليكية المعاصرة(الإسلاميات)؛ إذ يشير إلكسي جورافسكي إلى وجود ثلاثة اتجاهات سابقة للمجمع:

(اتجاه الحد الأعلى: ويعترف أنصاره بصورة أو بأخرى بالطابع الإلهي للقرآن. أما الاتجاه المضاد فيمثل في التيار «المنغلق» أو «المتحفظ» إزاء الإسلام، ويطلق على أتباعه «أصحاب الحد الأدنى»... الذي يرى في الإسلام محاولة فاشلة قام بها حاخام مكي لتهويد العرب. مستخدماً لهذه الغاية «الأمي» محمد[1].

تيار الوسط: الموقف الرسمي للكنيسة المعاصرة ـ موقف الود، والانفتاح، والحوار مع المسلمين. مع أن موقفهم بالنسبة لنبوة محمد ﷺ، والطبيعة الإلهية للقرآن أكثر تحفظاً... وينطلق موقفهم من ضرورة الحوار والتقارب مع الإسلام في الميادين الاجتماعية والسياسية، والثقافية والروحية، مع ابتعادهم عن المنطقة التي لا تمس، أو التي لا تتحمل المناقشة المفصلة لحساسية الأمر، ونعني بها المسائل المتعلقة بالأسس والمبادئ العقائدية الكبرى في كلا الديانتين)[2].

والحقيقة أن المجمع الفاتيكاني الثاني قد سجل انتصاراً لأنصار التقارب والحوار، لكنه لم يقضِ على الاتجاهات الأخرى، بل ظلت تصطرع في الخفاء، (ففي مرحلة ما بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، برزت في الكاثوليكية ثلاث نزعات من حيث الموقف تجاه الحوار مع الإسلام:

---

(١) قد حكى الله هذه المقولة البائرة عن أمثالهم من المنكرين في مكة: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

(٢) الإسلام والمسيحية. (١٢٨ ـ ١٣٠).

■ أنصار النزعة الأساسية «الأكبر عدداً»، يؤسسون موقفهم المؤيد للحوار انطلاقاً من قرارات المجمع، ووثائق الفاتيكان، والرسائل البابوية اللاحقة، منطلقين من الاعتراف بـ«الصلة الروحية» القائمة بين الديانتين، والتي تتجلى أكثر وضوحاً في العقيدة التوحيدية[١]. وهي العقيدة السامية، التي ستؤدي إلى التفاهم المتبادل، والصون والتعزيز المشترك «للعدالة الاجتماعية والسلام»...

■ أما أنصار النزعة الثانية، فإنهم لا يمانعون من حيث المبدأ في إقامة الحوار بين الديانتين، لكنهم يشترطون إقامته ضمن المجال الدنيوي البحت، بحيث ينأى الحوار عن مناقشة الإشكاليات والمسائل الدينية التي تتصل بمفهومي «الأمة» و«الكنيسة العالمية»...

■ بينما تتجلى مواقف أنصار النزعة الثالثة ومنطلقاتهم في رسالة الأسقف اللبناني ب. بسيم[٢] إلى الكاردينال بينيدولي، الذي ترأس أمانة سر اللجنة الخاصة بشؤون الديانات غير المسيحية، فبعد أن يعمم بعض الآراء السياسية ـ التشريعية للنظرية الإسلامية، يؤكد ب. بسيم أن الشكل الوحيد المقبول لدى المسلمين فيما يخص النسق الاجتماعي ـ السياسي هو «الأمة» أي الجماعة الإسلامية الثيوقراطية[٣]، التي تضع المسلمين الأغلبية في مرتبة «الحامي» و«الراعي» لديانات الأقليات الأخرى، ولهذا فإنه في حدود العالم الإسلامي لا يمكن الحديث عن أي مساواة، بما في ذلك الحقوق المدنية بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وهذا الواقع يحول وحده ـ حسب رأي ب. بسيم ـ دون إقامة أي حوار مفيد بين الديانتين)[٤].

(١) أين التوحيد في عقيدة التثليث؟!
(٢) بلوس باسيم ـ أو: بسيم ـ النائب الرسولي للاتين.
(٣) الثيوقراطية Theocracy: الحكومة الدينية.. دولة خاضعة لحكم رجال الدين. المورد (٩٦٢).
(٤) الإسلام والمسيحية. (١٥١ ـ ١٥٣).

إن هذه النزعات داخل الكنيسة الكاثوليكية عميقة متجذرة، وتتأثر كل منها قوة وضعفاً بحسب متغيراتٍ شتى، مثل مستوى الاستجابة الإسلامية للحوار، والأحداث العالمية السائدة في العالمين الإسلامي والنصراني، وقبل ذلك وأثناءه وبعده المصلحة العليا للكنيسة ورسالتها التنصيرية.

وحيث إننا لا نترقب مجمعاً مسكونياً وشيكاً ليفصل بين هذه الاتجاهات ويرجح إحدى الكفتين بقانون التصويت المعتمد في تلك المجامع منذ فجر النصرانية، فإننا لا نملك أن نقطع بالرأي السائد المعتمد إلا من خلال زاوية رصدٍ واحدة في نظري، وهي منهجية بابا الفاتيكان الذي يملك سلطات واسعة تصل إلى حد «العصمة» عندهم، ويقوم تباعاً بتوجيه الرسائل لأساقفته في مختلف القضايا في نشاطٍ دائب لا نظير له في تاريخ باباوات روما، وبالتالي فإن موقفه من قضية التقريب يعبر عن الموقف الرسمي الراهن للكنيسة الكاثوليكية. ونحاول في الصفحات التالية استطلاع هذا الموقف.

موقف البابا يوحنا بولس الثاني من التقريب بين الأديان:

يقف على رأس هرم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية منذ عام ١٩٧٨م البابا «يوحنا بولس الثاني»، الذي تميز بنشاطه وحيويته، ورحلاته المتعددة لمختلف أقطار العالم لنشر النصرانية، وتفقد أحوال رعيته الكاثوليكية(١).

ويعد بابا روما الرئيس الأعلى لنصارى العالم على اختلاف طوائفهم وتعدد انقساماتهم، ولا يداني منصبه هذا أي منصب ديني نصراني في العالم، ويحمل هذا البابا ألقاباً فخمة، تشي بالمكانة

(١) سيأتي مزيد تفصيل لمحاولات البابا يوحنا بولس الثاني العملية للتقريب بين الأديان في فصل: المحاولات الجماعية من الباب الثاني.

الكبرى التي يتبوؤها بين أتباع ملته. مثل: خليفة القديس بطرس، ونائب يسوع المسيح، والحبر الأعظم للكنيسة العالمية، إلى غير ذلك من الألقاب الدالة على مستوى تمثيله الرفيع للنصارى.

وقد دأب البابا يوحنا بولس الثاني على ترديد نصوص المجمع الفاتيكاني الثاني المتعلقة بالمسلمين في كل مناسبة يحصل بها نوع اتصال أو زيارة تتعلق بالمسلمين، والحوار معهم. وقد كان أيام انعقاد المجمع قد تجاوز الأربعين من عمره وكان من الأعضاء المشاركين الأساسيين بدرجة أسقف[١].

وفي فترة بابويته كثر الحديث عن قضية الحوار، والعلاقة بين الحوار والبشارة، واستضاف «الفاتيكان» العديد من اللقاءات الدينية المنوعة، وشارك في الكثير من مؤتمرات التقارب والحوار، وأصدر الوثائق والإرشادات المتعلقة بقضية الحوار والبشارة، وأكد البابا بنفسه على تبني الحوار مع الأديان عموماً، والإسلام خصوصاً، انطلاقاً من مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني، ولكنه وضع الحوار في إطار المهمة الأساسية للكنيسة، وهي التبشير. فمع عناية البابا بالحوار واستمراره، كقوله في رسالة الفادي: (المؤمنون جميعهم، والجماعات المسيحية كلها، مدعوون إلى ممارسة الحوار... إن الحوار هو الطريق إلى الملكوت)[٢]، إلا إنه في خطابه الموجه إلى أعضاء الجمعية العمومية للمجلس البابوي للحوار بين الأديان المنعقد عام ١٩٧٨م يجعله قسيماً توأماً للتبشير، فيقول: (.. كما أن الحوار بين الأديان هو مادة من مواد رسالة الكنيسة، فإن إعلان عمل الله الخلاصي في سيدنا يسوع

---

(١) انظر: يوحنا بولس الثاني والإسلام. للدكتورة: زينب عبد العزيز (١٩).

(٢) رسالة الفادي: البابا يوحنا بولس الثاني. اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام. جل الديب ـ لبنان. صدرت في روما ١٩٩٠م. (٩٠).

المسيح هو أيضاً مادة أخرى... وإنه من غير الجائز أن يختار الواحد، ويتجاهل الآخر، أو يطرح)[١].

أما الرحم الجامع لهذين التوأمين فيتبين بقوله: (إن الحوار بين الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية. فهو باعتباره طريقة ووسيلة لمعرفة وإغناءٍ متبادلين، لا يتعارض مع الرسالة إلى الأمم. إنه بالعكس، مرتبط بها، بنوعٍ خاص، وهو تعبير عنها...

إن الخلاص يأتي من المسيح، وإن الحوار لا يعفي من التبشير بالإنجيل...

تعتبر الكنيسة أن ليس ثمة من تناقضٍ بين البشارة بالمسيح، والحوار بين الديانات، ولكنها تشعر بضرورة تنسيقهما في إطار رسالتها إلى الأمم)[٢]، ولعل سر احتفاء البابا يوحنا بولس الثاني بالحوار، هو أنه يرى فيه معبراً ثقافياً ينفذ التبشير من خلاله إلى أعماق الحضارات الأخرى، بعد تأنيسه بالحوار، وذلك ما اصطلح الكنسيون على تسميته بالغرس الثقافي للمسيحية المستنبت في تربة ثقافات أخرى. يقول البابا في الإرشاد الرسولي المعنون بـ«تبليغ التعليم الديني»: (إن رسالة البشارة متضمنة في الثقافة الإنجيلية التي لا يجب أن تنفصل عنها. إنها تنتقل عبر حوار رسولي متضمن بالضرورة في حوار ثقافي بعينه. إن قوة الإنجيل قادرة على التغيير والتجديد، لذلك لا يجب أن يتغير الإنجيل أو يتأثر عند اتصاله بالثقافات، وعندئذٍ فإن التعليم الديني سيتأصل في مختلف الثقافات، ويضفي كمال المسيح على قيمها الشرعية)[٣].

---

(١) عن حوار وبشارة (١٠).

(٢) رسالة الفادي (٨٦ ـ ٨٧).

(٣) نقلاً عن: تنصير العالم. (مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني): د. زينب عبد العزيز. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة ـ مصر. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م). (١٠٧).

وفي هذا القدر تفسير وبيان لطبيعة «الحوار» الذي ينشده راعي الكنيسة الكاثوليكية، إنه الحوار المتدسس الذي لا يعني في الحقيقة معنى التبادل، والاستعداد للتغيير، والتجرد، والمجازفة، من طرفي الحوار كما كانت الكنيسة تدعي ذلك عقب المجمع الفاتيكاني الثاني، ولكنه الحوار الذي يشترط مسبقاً أنه: (لا يجب أن يتغير الإنجيل أو يتأثر عند اتصاله بالثقافات).

إن الحوار في نظر البابا عملية نفسية يخضع لها المحاور الآخر، فيتعرض لحالة اهتزاز قيم، وزلزلة ثوابت تنتج «الارتداد» الذي يوصل في نهاية المطاف إلى اعتناق موقفٍ عقدي جديد. ويصف البابا يوحنا بولس الثاني هذه العملية بقوله: (إن الحوار بالنسبة إلى الكنيسة هو ـ نوعاً ما ـ أداة، وعلى الأخص طريقة للقيام بعملها في عالم اليوم... إنارة الكون كله ببشارة الإنجيل، وتوحيد البشر بروحٍ واحد... وفي الواقع إن الكنيسة تستعمل طريقة الحوار لكي تحسن حمل الناس ـ سواء أكانوا يعرفون أنفسهم أنهم أعضاء الجماعة المسيحية بالعماد والاعتراف بالإيمان، أم هم غرباء عنها ـ على الارتداد والتوبة، عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديداً عميقاً في ضوء سر الفداء والخلاص...

إن الحوار الصحيح يرمي إذن، بادئ بدء، إلى تجديد كل الناس بالارتداد الباطني والتوبة مع احترام كل الضمائر)[1]. والنص غني عن التعليق.

وإذا تجاوزنا ما بين أقواس التنصيص، والصياغات الرسمية، والجمل ذات الصفة التعميمية الصادرة عن البابا يوحنا بولس الثاني في حاضرة الفاتيكان، وشهِدنا مواقف عملية، وتصريحات ميدانية خاض

(١) عن المرجع السابق، (١٠٩).

غمارها في تطوافه في بلاد العالم، تستوقفنا زيارته التاريخية لبلدٍ مسلم بأكمله هو «المغرب»، حيث التقى الشبيبة المغاربة في الملعب الرياضي «الاستاد»، في الدار البيضاء يوم الاثنين ١٩/أغسطس/ ١٩٨٥م، وخاطب ألوف الشباب المسلم الذين غصت بهم مدرجات الملعب، قائلاً:

(.. أما أنا من جهتي، في الكنيسة الكاثوليكية، فأحمل على عاتقي مهمة خاصة، بصفتي خليفة «بطرس الرسول» الذي اختاره سيدنا يسوع لكي يثبّت قلوب إخوته في الإيمان. فبعد الأحبار العظام الذين تعاقبوا على مر التاريخ دون انقطاع، إنني اليوم أسقف مدينة روما، ومثله مدعوٌ ليكون بين إخوانه في العالم شاهداً للعقيدة المسيحية، وضامناً لحرية جميع أبناء الكنيسة...)[1].

بهذه المقدمة الدعائية يعرف البابا نفسه أمام جموع المسلمين، دون مواربة أو مراعاة لأدبيات الحوار ومجاملاته التي طمست الحقيقة في النداءات الأولى للكنيسة إثر المجمع الفاتيكاني الثاني، وتمخضاته كما في كتابات الأب موريس بورمانس.

ثم يتوجه البابا بالمطالبة التالية للجموع المحتشدة: (... وعلينا أن يحملنا هذا الخضوع لله، وهذه المحبة للإنسان على احترام حقوق الإنسان، تلك الحقوق التي هي تعبير عن مشيئة الله، والتي هي مقتضى الفطرة البشرية كما خلقها الله، فالاحترام والحوار يتطلبان إذاً المعاملة بالمثل في جميع الميادين، ولا سيما في ميدان الحريات الأساسية، وبالأخص، الحرية الدينية، وهما يعززان السلام والوئام بين الشعوب. ويساعدان على الحل المشترك لمشاكل الرجال والنساء في هذه الأيام، وبالأخص لمشاكل الشبان والشابات...)[2]، ماذا يمكن أن تعني

---

(١) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: (١٨٨).

(٢) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: (١٩١).

المطالبة بالحرية الدينية في بلدٍ جميع أهله من المسلمين، سوى طلب الفسح بالردة عن دين أهل ذلك البلد، وقبول النشاط التنصيري تحت شعار الحرية والسلام والمحبة والحوار. الحوار الذي يفترض في الطرف المقابل إخضاع كل شيء للنقاش مهما كانت قداسته، على حد تعبير البابا حين ينادي:

(أيها الشبان والشابات، إنني على يقين من كونكم قادرين جميعاً على هذا الحوار. فأنتم لا ترضون أن تتقيدوا بالأحكام المسبقة. إنكم مستعدون لبناء صرح حضارة قوامها المحبة. وبإمكانكم أن تعملوا على هدم الحواجز التي شيدتها كبرياء الناس في بعض الأحيان، وضعفهم وخوفهم في أغلب الأحيان، وإنكم تريدون أن تحبوا الآخرين بصرف النظر عن أية حدود أمة أو عرق أو دين)[١]. ومقابل هذا الخطاب الإملائي الداعي إلى التحرر من الثوابت، وعدم التقيد بالأحكام المسبقة، والدعوة إلى كسر الحواجز، ينبري البابا يوحنا بولس الثاني في ختام كلمته الكنسية في نشر العقيدة النصرانية الكفرية، مستغلاً هذا الاجتماع الحاشد للشبيبة المسلمة في المغرب، لتقرير عقيدة ألوهية المسيح، فيقول: (..ومع ذلك فإن الصراحة تقتضي أيضاً أن نعترف بتبايناتنا، وأن نحترمها. ومن البديهي أن أهم هذه التباينات هي نظرتنا إلى شخص سيدنا يسوع الناصري وعمله. إنكم تعلمون أن سيدنا يسوع في اعتقاد المسيحيين هو الذي يدخلهم في معرفة حميمة للذات الإلهية التي تفوق كل إدراك بشري، وفي نوع من الاتحاد الابنيّ بعطايا الله ومواهبه، ولذلك فهم يشهدون ويقرون أنه هو الرب والمخلص. إنها لتباينات هامة جداً، يمكننا قبولها بتواضع واحترام، وبروح التسامح المتبادل، ففي ذلك سر من الأسرار، أنا على يقين من أن الله سينيرنا بشأن خفاياه يوماً من الأيام)[٢].

---

(١) المرجع السابق، (١٩٣ ـ ١٩٤).

(٢) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٩٦).

ثم ينهي هذا الخطاب التاريخي بدعاء وابتهال تؤمِّن عليه الجموع المحتشدة. وهكذا يتحول خطاب الاثنين إلى موعظة الأحد. وينقلب أسلوب الحوار واحترام ما لدى الآخر إلى قداس كنسي.

ولنا أن نتساءل: أهذا هو التطبيق العملي لفلسفة الحوار التي تنادي به الكنيسة الكاثوليكية على يد حبرها الأعظم، خليفة بطرس؟ أين ذهبت تلك الاحترازات المشددة، والشروط المؤكدة في بيانات الكنيسة في الستينيات والسبعينيات برفض جميع صور الاجتذاب في عملية الحوار؟

هل آنست الكنيسة الكاثوليكية في هذه العقود الأخيرة، ممثلة بحبرها الأعظم، أنْ قد آن الأوان لزيادة حصة البشارة على حساب حصة الحوار، بعد أنْ آتى الحوار أكله بكسر الحواجز، وتمييع الحدود لدى الآخرين، فتوصل فقهاء التنصير إلى تغيير نمط الخطاب؟

لقد كانت هذه الزيارة لبلدٍ مسلم عريق، ومخاطبة شبابه الذين يمثلون معظم البنية السكانية فيه، سابقةً خطيرة، ظل البابا يوحنا بولس الثاني يتغنى بذكرها، ويلهج بالإشادة بها، فيقول في عام ١٩٩٤م:

(إن الرحلة التي قمت بها إلى المغرب... يمكن اعتبارها بالتأكيد حدثاً تاريخياً.

إنها لم تكن ببساطة زيارة ودية، بل كانت بحق ذات طابع رعوي.

لقد كان اللقاء مع الشبيبة في ملعب الدار البيضاء عام ١٩٨٥م، غير قابل للنسيان.

إن انفتاح الشباب لكلمات البابا كان مدهشاً عندما تحدث عن الإيمان بالله الواحد. لقد كان بالتأكيد حدثاً لا سابقة له)[1].

---

(١) عبور عتبة الرجاء (٩٤) Crossing the thershold of hope.

وثم شاهدٌ عملي صارخ على الأسلوب الذي يتناول به البابا يوحنا بولس الثاني قضية الحوار والعلاقة مع الأديان الأخرى، يتمثل في دعوته إلى الصلاة المشتركة بين أتباع الديانات في بلدة «أسّيزي» الإيطالية عام ١٩٨٦م(١).

وعوضاً من الجلوس على «مائدة مستديرة» كما تقتضي ذلك روح الحوار والتكافؤ لدى المنادين به، فإن (البابا قدم نفسه للعالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً، وأنه حامل رسالة السلام للبشرية جمعاء)(٢).

لقد ظهر البابا يوحنا بولس الثاني في تلك الخطوة الجريئة بصورة الأب الروحي ليس للكاثوليك، أو حتى النصارى فحسب، بل لجميع أتباع الديانات الأخرى من خلال إدارة ذلك اللقاء، وأسلوب تنظيمه وإخراجه، وضم جميع ممثلي الأديان تحت رداءه البابوي، كما احتواهم بكلماته الفضفاضة التي تجيش بعبارات الإيمان والمحبة والسلام. وأمام مواطنيه، ورجال دينه قدم لهم القاعدة النظرية التي تسوغ مثل هذا العمل المشترك مع أطرافٍ لا تؤمن بألوهية المسيح، وأسرار العقيدة النصرانية، فقد (شدد البابا يوحنا بولس الثاني في الكلمة التي وجهها إلى الكوريا الرومانية، بعد يوم الصلاة في أسيزّي، وكرر التشديد على الحضور الشامل للروح القدس قائلاً: «كل صلاة صحيحة هي من عمل الروح القدس الحاضر سرياً في قلب كل شخص بشري» سواء كان مسيحياً أو غير مسيحي، ثم إنه عاد وتطلع، في هذا الخطاب نفسه، إلى أبعد من الأفراد، وذكر بوضوح أهم العناصر التي تقوم من مجموعها القاعدة اللاهوتية للنظرة الإيجابية التي نقابل بها

---

(١) سيأتي وصف دقيق لهذه الصلاة المشتركة في الباب الثالث.
(٢) سلسلة تقارير المعلومات، صادر من مركز المعلومات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت برقم ٨٧/١٥ بتاريخ ١٩٨٧/٨/٥م (١٠٠).

التقاليد الدينية الأخرى، ونمارس معها الحوار بين الأديان)[١].

ونظراً للنجاح الذي حققه البابا في أسّيزي عام ١٩٨٦م على طريق الحوار والتفاهم، حسب الرؤية النصرانية، فقد انبرت جمعية كاثوليكية عريقة في التنصير، هي جمعية «سانت إجيديو»[٢] للعمل على استمرار هذا المشروع الناجح، وتبني الدعوة لمؤتمرات يحضرها ممثلو الأديان الكبرى سنوياً وتختتم بصلاة جماعية، كتلك التي أمّها البابا في أسيزي عام ١٩٨٦م، وذلك بتوجيه وتأييد منه. فقد (أصر قداسة البابا يوحنا بولس الثاني على ألا تبقى صلاة أسيزي حدثاً منفرداً، وطرح «روح أسيزي»، فشاءت جمعية سانت إجيديو أن ترحب بها، إذ شجعها عدد كبير من الشخصيات المسيحية والإسلامية، والشخصيات المنتمية إلى أديان أخرى. فنشأت هذه اللقاءات السنوية للصلاة من أجل السلام)[٣].

وإذا فحصنا أهم الجوامع المشتركة التي يتذرع المجمع الفاتيكاني الثاني، سابقاً، والبابا يوحنا بولس الثاني، حالياً، لتكون قاعدة للحوار والتقارب بين المسلمين والنصارى، وهي قضية الإيمان بالله، فسنجد اعترافاً صريحاً من البابا بالتباين بين الديانتين في هذا الأصل الأصيل، ليس فقط من جهة عقيدة التثليث، بل حتى بقصر النظر على أقنوم (الأب) الذي يفترض أن يقابل عند المسلمين العقيدة في (الله) سبحانه وتعالى. بل نجد اتهاماً وتنقصاً وطعناً علنياً من داعية الحوار الفاتيكاني في العقيدة الإسلامية.

---

(١) حوار وبشارة (٢٤).

(٢) انظر التعريف بهذه الجمعية في الباب الثاني (١٠٦٦).

(٣) عن نشرة «لجنة الصداقة الإسلامية المسيحية» الصادرة عن جمعية سانت إجيديو ـ روما (٤).

جاء ذلك في ثنايا كتابٍ صدر عام ١٩٩٤م بعنوان: (عبور عتبة الرجاء: Crossing the Threshold of Hope أو كما يترجمه البعض: (ادخلوا في الرجاء)، طبع منه ملايين النسخ بمختلف اللغات. وفي الفصل المعنون بـ«محمد» حسب الطبعة الإنجليزية، نال البابا يوحنا بولس الثاني من المفهوم القرآني لله سبحانه وتعالى، فقال: (إن كائناً من كان يَخْبرُ العهد القديم والجديد ثم يقرأ القرآن، سيرى بوضوح العملية التي تم بواسطتها تماماً اختزال الوحي الإلهي. إنه من المستحيل أن لا يلاحظ الابتعاد عما قاله الله عن نفسه، أولاً في العهد القديم من خلال الأنبياء، وانتهاءً في العهد الجديد من خلال ابنه، أما في الإسلام، فكل هذا الثراء الإلهي الخاص، الذي يُكوِّن ميراث العهدين القديم والجديد، قد ترك جانباً بصورة حاسمة.

بعض أكثر الأسماء جمالاً في اللغة البشرية أطلقت على إله القرآن.

ولكنه في النهاية إله خارج العالم، إله جلالة فحسب، وليس «عمانويل» أي: إله معنا. الإسلام ليس دين فداء. ليس فيه مجال للصليب والقيامة.

لقد ذكر يسوع. ولكن بصفته نبياً مبشراً بالنبي الخاتم محمد فحسب.

هناك ذكرٌ أيضاً لمريم، والدته العذراء، ولكن مأساة الفداء غائبة بالكلية.

ولهذا السبب فليس علم اللاهوت فقط، بل حتى علم الناسوت الإسلامي بعيد جداً عنه في المسيحية)[1].

---

(١) عبور عتبة الرجاء (٩٢، ٩٣) Crossing the threshold of hop.

وبصرف النظر عما تضمنه النص من مغالطاتٍ واضحة، وافتراءات كاذبة[١] عن الاعتقاد الإسلامي، في ذات الله وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، فإن مؤدى كلام البابا يوحنا بولس الثاني إثبات إلهٍ للعهدين القديم والجديد مغاير تماماً لإله القرآن ـ على حد تعبيره ـ. فماذا بقيَ يا ترى لكي يكون أساساً لحوار مشترك مؤسس على جوامع مشتركة بين ديانتين، لا تتفقان، ولا تكادان تقتربان من بعضهما بعضاً في علم اللاهوت ـ كما الاصطلاح الكنسي ـ ولا علم الناسوت؟! لم التحدث بلغتين، والكيل بمكيالين؟ وهل يُظن بقائل هذا الكلام الواعي للفروق الأساسية لمعتقد الديانتين في ذات الله عز وجل، الممتلئ حماسةً وتفانياً لنشر معتقده ذاك في أرجاء المسكونة، أن يُخضع هذه القضية للنقاش والحوار الحر النزيه الذي يطالب به الآخرين؟! أم أنها مناورة قد قُررت أحكامها سلفاً من جانبهم، وينتظرون من أتباع التقاليد الدينية الأخرى ـ كما يعبرون أحياناً ـ أن يعيدوا النظر في مواقفهم وعقائدهم المسبقة، بتوجيه روحهم القدس المهيمن على المصلين في أسيزي؟!

هذا من حيث حقيقة الحوار والتقارب المزعوم، أما من حيث مضمون الادعاءات الواردة فنقول بإجمال: إن أي تراث مزعوم لا يداني ولا يكاد، ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة من التعريف بالله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، فقد وصف الله تعالى بصفات الكمال والجلال والجمال، ونزهه عن صفات العجز والنقص والعيب بما تحصل به طمأنينة القلوب، وانشراح الصدور، وجلاء الأفهام وقبول العقول، ونقيض هذه المزايا، مجتمع برمته في العقيدة النصرانية المتوثنة، المليئة بالأسرار الغامضة، والتناقضات الفاضحة، وحسبك بهذا الكتاب الذي تضمن النص السابق دليلاً على ما نقول؛

---

(١) انظر الرد الذي كتبته الدكتورة زينب عبد العزيز بعنوان: (يوحنا بولس الثاني والإسلام).

فقد جاء إجابة على استفسارات مقلقة، وإشكالات مزعجة، جمعها صحفي شهير هو الكاتب: فيتوريو ميسوري من قلب المجتمع الأوربي العريق في نصرانيته، ومع ذلك ظلت هذه الأسئلة تعيش معه حتى الألف الثالثة من ميلاد المسيح، وستظل، ما داموا في غيهم يعمهون، وما دامت الكنيسة تمارس دور الإضلال والتعمية والصد عن سبيل الله، وإليك أيها القارئ مسرداً ببعض عناوين فصول الكتاب ومقدماتها:

- هل الله موجود؟ ـ ألا يزال موجوداً، وما الدليل؟
- إذا كان الله موجوداً فلماذا يختبيء؟
- هل عيسى ابن الله حقاً؟
- ماذا تحصَّل من تاريخ الفداء؟ ـ لماذا هذا الكم من الشرور في العالم؟
- لماذا يحتمل «الرب» المعاناة؟ ـ هل البوذية عوض عن المسيحية؟
- هل ستموت المسيحية؟ ـ هل يمكن للإنسان أن يلعن نفسه إلى الأبد؟

إلى غير ذلك من الأسئلة الموحشة التي تكشف عن فزع الفطرة الإنسانية من العقائد الدينية «البالية» التي تفرضها الكنيسة على أتباعها، وتدندن بها حول الحلول وألوهية المسيح والفداء، بما لم يغن ولم يسمن من جوع. أما الإسلام دين الفطرة، فأتباعه في راحة تامة من هذه التعقيدات، وقد حسم أمرها بمجرد إدراك حقيقة التوحيد المحض السالم من شوائب الشرك والخرافة، التي يعتبرها البابا ثراء دينياً قد تُرك جانباً في الإسلام.

وحسبنا في هذا المقام أن نميط اللثام عن حقيقة عبارات الاحترام والتقدير، ولغة المجاملات والمراوغات التي يتذرع بها أئمة النصارى

وهم ينادون المسلمين إلى الحوار والتقارب، وما تخفي صدورهم أكبر مما يظهر أحياناً على فلتات ألسنتهم، ولحن قولهم.

ونختم الحديث عن حقيقة الحوار في منظور الكنيسة الكاثوليكية بهذا النص الوارد في وثيقة «حوار وبشارة» الآنفة الذكر:

(عندما تقوم الكنيسة برسالتها تتصل بجماعاتٍ من الناس ذوي تقاليد دينية مختلفة جداً. فالبعض منهم يصبحون تلاميذ ليسوع المسيح، في كنيسته، إثر اهتداءٍ عميق، وبقرار من إرادتهم الحرة، وآخرين يجتذبهم شخص يسوع ورسالته، ولكنهم لا يدخلون حظيرته لأسبابٍ مختلفة. وآخرون أيضاً يلبثون على غير اكتراث، أو على اكتراث ضئيل ليسوع. ومهما يكن من أمر فرسالة الكنيسة تتوجه إلى جميع البشر، وإنه ليمكن أن يكون لها في الحوار، دور نبوي بالنظر إلى الديانات التي ينتمي إليها أولئك البشر. وهي عندما تؤدي الشهادة للقيم الإنجيلية تطرح سؤالاً على هذه الديانات، وهي كذلك بقدر ما تتسم بالحدود البشرية! تصبح هدفاً لأن يثار السؤال عنها بالطريقة نفسها، وبتعزيز هذه القيم إذن وفق ذهنية تقوم على التنافس واحترام سر الله، يلتقي أعضاء الكنيسة، ومؤمنو الأديان الأخرى، كرفاقٍ على الطريق المشترك الذي تدعى إلى سلوكه البشرية بأسرها. وذلك ما أشار إليه يوحنا بولس الثاني في إسيزي في ختام نهار الصلاة والصوم والحج! لأجل السلام عندما قال: (لنر في هذا الأمر استباقاً لما قد يريد الله أن يراه متحققاً في تاريخ الإنسانية: سيراً أخوياً نترافق فيه نحو هدفٍ سامٍ يعده لنا)[1].

والنص في ضوء ما تقدم غني عن التعليق. ولنا قول الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ

(١) حوار وبشارة (٦٩).

كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

خلاصة وتحليل:

إن نظرة شاملة لمسيرة الكنيسة الكاثوليكية خلال العقود الثلاثة الأخيرة التالية لمقررات المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م) حول قضية الحوار مع الإسلام تكشف عن ثلاث مراحل متميزة:

١ ـ **المرحلة الأولى**: وهي التي أعقبت المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي قدم المسوغ اللاهوتي للحوار، عن طريق توسيع عقيدة الخلاص، وهجر الدعوى الكنسية القديمة القائلة: «لا خلاص خارج الكنيسة»، والتخفف من لوازم عبارة إنجيل يوحنا القائلة: «أنا الطريق والحق والحياة» (١٤/ ١)[(١)].

وتميزت هذه المرحلة التي امتدت حتى نهاية السبعينيات تقريباً بـ(الرغبة في المعرفة الموضوعية الهادئة، وفي طلب القربى الروحية، وفي السعي إلى لقاءٍ إنساني عن طريق المشاركة في التربية والمجتمع)[(٢)]. بل التوق إلى «الحوار الروحي»، و«الوحدة الروحية»،

---

(١) العهد الجديد (٣٣٦).

(٢) المسيحية والإسلام. مرايا متقابلة مجموعة من المؤلفين. مركز الدراسات المسيحية الإسلامية. جامعة البلمند. الطبعة الكاثوليكية. عاريا ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م. من فصل: «الحوار المسيحي ـ الإسلامي في الواقع والرؤية» د. طارق متري. (١٧٢).

والتقاط شواهد التراث الروحي المشتركة بين الديانتين، حتى ولو لم تكن تتمتع بالصفة المرجعية المقبولة لدى الجانب الإسلامي، كالاحتفاء بالتراث الصوفي والفلسفي، لإثبات أواصر القربى والتشابه بين الديانتين.

كما سادت في هذه المرحلة التأكيدات المتتالية على نبذ نوايا الاجتذاب، والتحايل والإيحاء، والتزام النزاهة المطلقة في الحوار.

ومما يمثل هذه المرحلة تمثيلاً صادقاً كتاب: «توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين» للأب موريس بورمانس، الذي سبق عرض جوانب منه، وطبع طبعة ثانية عام ١٩٨٠م[١].

ولعل روح الانفتاح والجدة التي كانت سائدة ذلك الوقت، بالإضافة إلى الشعور بالخطر الإلحادي الشيوعي، كانا وراء صياغة أدبيات تلك الفترة، ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية في أي وقت مضى أقرب إلى مدلول «الحوار»، من الناحية اللفظية على الأقل ـ وأصدق لهجة منها في هذه المرحلة. وقد انتهت بنهاية حياة البابا بولس السادس الذي مهر قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني بختمه، وكان مشبعاً بأهدافها، حتى وافاه الأجل في أغسطس ١٩٧٨م. وربما امتد أثرها سنتين إضافيتين، بصفة أقل، حتى وفاة الكاردينال سيرجيو بينيدولي[٢] رئيس الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين عام ١٩٨٠م، الذي كان على منهج البابا بولس السادس.

---

(١) مما يصب في هذا الاتجاه أيضاً مقالة بعنوان: (ما هو الاتجاه الديني الذي يجب أن يتبناه المسيحيون) أصدرتها أمانة سر شؤون غير المسيحيين عام ١٩٦٩م ضمن إضمامة من (إرشادات من أجل الحوار بين المسلمين والمسيحيين).

(٢) سيأتي تعريف بالرؤساء الذين تعاقبوا على أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين في الباب الثاني.

٢ ـ **المرحلة الثانية**: تمثل هذه المرحلة تنامي ردود الفعل المضادة للانفتاح على الديانات والتقاليد الأخرى، واعتبار أسلوب «الحوار» و«التقارب» خيانة لرسالة الكنيسة وتخلياً عن البشارة. هذا من جانب النقد الذاتي داخل الأسرة الكاثوليكية، لكن صاحب ذلك ما يشبه «خيبة الأمل» و«الإحباط» تجاه التجاوب الإسلامي مع دعوة الحوار، فنصارىٰ الحوار فضلاً عن معارضيه، لم يجدوا بغيتهم التي تلبي طموحاتهم في مسلمي الحوار فضلاً عن معارضيه، وهذه المرحلة واكبت السنوات الأولى من سيامة يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان، وتولي رئيس الأساقفة جان جادوت الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين، الذي لم يكن في مستوى سابقيه رتبة كهنوتية، ولا حماساً ونشاطاً في العمل، مما فسح المجال لنمو الرأي المضاد، حتى استقالته عام ١٩٨٤م.

ويصف الدكتور طارق متري[١] هذا الموقف قائلاً: (وعندما أطلقت الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي، وعدد من الكنائس في الغرب خصوصاً، مبادراتها الحوارية تجاه المسلمين، لم تكن مدركة تمام الإدراك عمق التغيير الذي أصاب العقليات والأحاسيس اللاهوتية، ولا واثقة، على نحوٍ كاف، بسرعة التجاوب معها في صفوف المسيحيين، ولم يكن بوسعها، من جهةٍ أخرى أن تستبق كل ما سوف تثيره الحركة التي دفعتها من أفكار تتجاوز النصوص

---

(١) أستاذ جامعي في لبنان، أرثوذكسي. مسؤول العلاقات مع المسلمين في مجلس الكنائس العالمي «جنيف». له أبحاث وكتابات عديدة في مسائل الحوار الإسلامي النصراني، عضو مؤسس لمجلس كنائس الشرق الأوسط، وفريق العمل العربي في الحوار الإسلامي ـ النصراني. له مساهمات عدة، في آخرها الإشراف على تحرير كتاب:
Christian Muslim Discussion Religion, Law and Society. انظر مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٤٢٢).

العقائدية، أو التوجيهات الرعائية، وسرعان ما وعت أنها، في حقيقة الأمر، اختارت الدخول في ما يشبه المجازفة، وتبيَّن لها أن التجاذب حول مواقفها المعلنة، داخل الجماعة المسيحية واقعٌ لا محال. ولم يقتصر التجاذب هذا على المواقف اللاهوتية الجديدة أو على تسويغ الحوار، بل طال أيضاً اختيار مواضيعه، والشركاء فيه، من المسلمين والمسيحيين، بمن فيهم المسيحيون العرب.

لقد واجه الحوار مقاومةً من هنا وتحفظاً من هناك، ولم يكن يسيراً أن يبدل المسيحيون، نظراتهم إلى ذواتهم، وإلى المسلمين، مفلتين من قبضة التاريخ، ولم يكن سهلاً أن يضرب المسلمون صفحاً عن الماضي المثقل بمشاعر الريبة والعداء، وأن يحلوا الثقة محل الشك بنوايا الكنائس حيالهم. ذلك أن علاقات القوى الاقتصادية والسياسية والثقافية على الصعيد العالمي، ورغم التغيير النسبي الذي سبقت الإشارة إليه، ظلت مفتقرة إلى التوازن الذي يسمح للحوار أن يكون منزهاً عن المصالح، ومقدَّمها ما يخص تثبيت السيطرة الغربية، وإن بأشكال جديدة)[1].

هذا هو المناخ السائد في نهاية السبعينيات ومطالع الثمانينيات، فلا عجب حينئذٍ أن تنشغل الكنيسة بحل المعضلة اللاهوتية الناشئة بين أصالة البشارة، وحداثة الحوار. وحيث لا يمكن التنصل من مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني وإعلاناته، فقد اتجهت الكنيسة لفلسفة مفهوم الحوار وفق المعطيات الجديدة. فجاءت وثيقة عام ١٩٨٤م الصادرة عن أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، المعنونة بـ: «موقف الكنيسة من مؤمني سائر الأديان: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار والرسالة» وجرى تطويرها وتنقيحها، حتى أقرها المجلس البابوي للحوار بين

(١) المسيحية والإسلام: مرايا متقابلة (١٧٣ ـ ١٧٤).

الأديان، وصدرت موقعة من رئيسه، ورئيس مجمع تبشير الأمم عام ١٩٩١م بعنوان: «حوار وبشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل» كما سبق التعريف بها، ممثلة الهم المسيطر على الكنيسة في هذه المرحلة أصدق تمثيل، وحقيقة الحوار في هذه المرحلة الثانية مساعدة الآخرين على اكتشاف التأثير الجزئي للنعمة الحاصلة بتأثير الروح القدس في تقاليدهم الدينية، والسير بهم إلى اكتشاف كامل الحقيقة. وبذلك يصبح مشروع الحوار مشمولاً بمشروع البشارة لاهوتياً وعملياً. كما أن من معالم هذه المرحلة المراوحة النسبية بين الحوار والبشارة حسب الظروف المحلية المحيطة بشخصٍ ما، أو كنيسةٍ ما.

ويلتقي مع هذا التحليل المستشرق الروسي إليكسي جورافسكي حيث يقول: (يمكن القول بعبارة مقتضبة، إن الحوار الذي أريد به أن يكون أسلوباً جديداً للتبشير المسيحي لم يعد كافياً على الإطلاق، حيث إن التحول الحاصل في توجه الكنيسة بالنسبة لموقفها من العالم، أدى بدوره إلى إعادة النظر في ما يخص مفهوم الرسالة المسيحية ومهام التبشير المسيحي في الشرق. ويفضل اللاهوتيون ـ الكاثوليك المعاصرون استعمال صيغة «الاهتداء إلى المسيح»، بدلاً من الصيغ القديمة «التحول إلى المسيح»، بحيث أن ذلك «التحول» أو «الاهتداء» يجري ليس على حساب القضاء على الديانات الأخرى، وإنما من خلال «نضجها» الطبيعي، فالمبشر المسيحي يتوجب عليه أن يساعد في تسريع ذلك النضج)[1].

لم يعد «الحوار» بصيغته المطروحة في الستينيات يفي بطموحات الكنيسة التنصيرية المتسارعة، بل صار أشبه بمركبة قديمة بطيئة يستعملها

---

(١) الإسلام والمسيحية. (١٧١).

صاحبها في بعض المناسبات، دون أن يتخلص منها نهائياً، لما استقل مركبة جديدة سريعة.

٣ ـ **المرحلة الثالثة**: وهي الفترة الممتدة من أواسط الثمانينيات وحتى وقتنا الراهن. وتتسم باستمرار التأكيد على أهمية الحوار من الناحية الإعلامية والمظهرية، ولكن باعتبار الحوار جسراً لنقل الثقافة الإنجيلية إلى الآخرين، أو ما صار يسمى «بالغرس الثقافي». وهذه المرحلة أعقبت رحلات البابا يوحنا بولس الثاني لأجزاء من العالم الإسلامي، ولقائه بمسلمين في آسيا وأفريقيا وأوربا على مدى أربع سنوات (١٩٨٠ ـ ١٩٨٤م). وعاد بلا ريب مقتنعاً بعدم كفاءة أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين التي كان يشغلها إذ ذاك رئيس الأساقفة جان جادوت، في تفعيل الحوار الهادف إلى نشر النصرانية، فكان أن عين الكاردينال الأفريقي الأصل فرانسيس آرينزي في ذلك المنصب ليرضي طموحه، وفق النظرة الجديدة للحوار. ومن الملاحظ في هذه الفترة تكثيف النشاط التنصيري، واستخدام كافة وسائل التقنية الحديثة لتنصير العالم ومن أخطرها مشروع Lumen 2000، أي نور سنة ٢٠٠٠م، وهو القمر الصناعي المخصص لبث برامج التنصير عبر القنوات الفضائية: تقول الدكتورة زينب عبد العزيز: (ولا يتوقف الدور القيادي للبابا عند حد التدخل في الشؤون السياسية، والعمل على السيطرة عليها فحسب، وإنما يتعداه لفرض النمط الحضاري الغربي على العالم ليتواكب مع النظام العالمي الواحد، والدين العالمي الواحد! فذلك هو ما طالب به حينما أعلن ضرورة «تنصير العالم» في نوفمبر ١٩٨٢م من مدينة «شانت يقب» بشمال غرب أسبانيا... تلك المدينة التي كانت آخر ما وصل إليه الفتح الإسلامي، وأول ما سقط في حرب الاسترداد. ويكفي أنها تحمل اسم حامل الراية أثناء الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس.

فبعد أن طالب بتنصير العالم أمام حشد مكونٍ من قرابة مليونين من الأتباع، وأغلبهم من الشباب الذي يحاول استرداده من الضياع، راح يردد ذلك النداء الذي جمع فيه بين الكنيسة وأوربا والحضارة الأوربية قائلاً: «يا أوروبا... عودي إلى رشدك، كوني نفسك! استكشفي أصولك! أحيي جذورك! أحيي تلك القيم الأصيلة التي جعلت تاريخك مجيداً، وجعلت وجودك مثمراً على القارات الأخرى»[١].

هذه المرحلة أخطر مراحل الحوار الذي تمارسه الكنيسة الكاثوليكية، حيث تمطر الآخرين بعبارات ذات مدلولٍ فارغ تخدرهم فيها، وتصرف أنظارهم عن الاشتغال بما يهمهم حقاً، في الوقت الذي تستنفد فيه كافة السبل والوسائل للتبشير، والغرس الثقافي طويل الأمد، تحت ستار «الحوار» الطعم.

أما المرحلة القادمة فعلمها عند الله، لكن رؤية المنحنى المنحدر يشي بشيءٍ من معالمها الذي سيسفر عن الوجه الكالح للصليبية الجديدة.

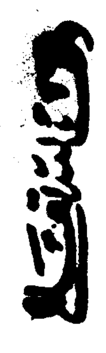


(١) تنصير العالم (٩٤ ـ ٩٥).

رسائل جامعية (٢٠)

دعوة
التقريب بين الأديان

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية



تأليف
الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

المجلد الثاني

دار ابن الجوزي

المبحث الثاني

حقيقة التقريب بين الأديان عند مجلس الكنائس العالمي

يمثل مجلس الكنائس العالمي الطوائف النصرانية غير الكاثوليكية، ويتمتع بنفوذٍ واسع يضاهي نفوذ «الفاتيكان»، وتنضوي تحته جميع الكنائس البروتستانتية[١] والإنجليكانية[٢] والأرثوذكسية[٣]، التي يبلغ عددها ثلاثمائة وست عشرة كنيسة موزعة على أكثر من مائة بلد، ويتبعها قرابة أربعمائة مليون نصراني[٤].

---

(١) الكنائس البروتستانتية: (هي الكنائس المسيحية الغربية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية تحت تأثير لوثر وكالفن، انتشرت في ألمانيا والبلدان السكندنافية وإسكتلندة وسويسرة ثم في أميركا الشمالية. وهي متشعبة إلى كنائس يختلف بعضها عن بعض في عقائدها وقوانينها. أهم فروعها: اللوثرية، والكلفينية والإنكليكانية. وتعرف الفروع الأولى بالكنائس الإنجيلية، وتعتبر هذه الكنائس الكتاب المقدس مصدراً وحيداً للوحي، ولا تعترف بالكهنوت). المنجد في الأعلام (١٢٨).

(٢) مذهب الدولة الرسمي في إنكلترة. أنشأه هنري الثامن الذي كان ملكاً في إنكلترا من (١٥٠٩ ـ ١٥٧٤م)، وانفصل عن الكنيسة الكاثوليكية سنة (١٥٣٥م)، وقد واصل إدوارد السادس تثبيت أركان هذا المذهب، ثم أتمته إليزابيث الأولى سنة (١٥٦٢م) «المترجم» الإسلام والمسيحية. جورافسكي (٩٩).

(٣) هي الكنائس المسيحية الشرقية البيزنطية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية على أيام ميخائيل كيرولارس، بطريرك القسطنطينية (١٠٥٤م). انتشرت في روسيا، وبلاد البلقان واليونان ومختلف بلدان الشرق الأدنى، حيث تؤلف كنائس مستقلة تحت سلطة بطاركتها. المنجد في الأعلام (٣٢).

(٤) انظر نبذة عن المجلس في: تاريخ الكنيسة الشرقية للمطران ميشيل يستيم، والأرشمندريت أغناطيوس ديك. (٣٩٥ ـ ٣٩٧). وانظر: الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة لسعود المولى (١٣٠ ـ ١٣١)، (١٥٥ ـ ١٦٨).

وقد ولد المجلس نتيجة لتلاقح عدة اتجاهات في الحركة المسكونية العالمية[(١)]، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، بغية توحيد العمل التبشيري في البلدان غير النصرانية.

وأهم هذه الاتجاهات:

١ ـ اتجاه الحركة الإرسالية العالمية ومجلس التبشير العالمي.

٢ ـ اتجاه المسيحية العملية لتنظيم الحركة الاجتماعية.

٣ ـ اتجاه وتيار الحوار اللاهوتي لتوحيد الكنيسة «إيمان ودستور».

وبعد فترة حملٍ دامت قرناً كاملاً، تمخضت الحركة المسكونية عن ولادة مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٤٧م. وقد انضمت الكنائس الأرثوذكسية إلى المجلس في مؤتمر «نيودلهي» عام ١٩٦١م. أما الموقف الكاثوليكي للبابوية الرومانية فظل يصر على أنه ليس هناك سوى كنيسة واحدة، فلا مبرر إذاً لطرح «اتحاد الكنائس»، وأن على المنشقين العودة إلى الكنيسة الأم «حظيرة بطرس». إلا أن البابا يوحنا الثالث والعشرين أرسل وفداً مراقباً إلى مؤتمر نيودلهي[(٢)].

ولكن هذا التجمع المتعدد الأطراف والاتجاهات، لا يعتمد البناء

---

(١) الحركة المسكونية: يقول الأب روبير كليمان اليسوعي:
(كانت لفظة «مسكونة» تدل على الأرض المسكونة، وكانت هذه الأرض مساحة الإمبراطورية اليونانية الرومانية في القرنين الرابع والخامس... أما في الكنيسة فاستعملوا صفة «مسكوني» للدلالة على لقاءات الأساقفة« مجامع» للبحث في المسائل المختصة بالكنيسة كلها، وفي مطلع القرن العشرين استعمل هذا اللفظ لوصف الجهود المبذولة لجمع شمل المسيحيين كلهم في كنيسة واحدة). تاريخ الحركة المسكونية (١/١٧).

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسحي ضرورة المغامرة (١٣٠ ـ ١٣١). وتاريخ الكنيسة الشرقية (٣٩٥).

التنظيمي الهيكلي الذي تسير عليه الكنيسة الكاثوليكية بدقة وتراتبية وصرامة. بل يكتفي باللقاء حول جوامع مشتركة في العمل التبشيري، وإصدار توصياتٍ ليس لها صفة الإلزام. ف(ليس مجلس الكنائس سلطة عليا تؤلف بين أعضائها، بل هي حسب تحديده الرسمي: «رابطة أخوية لكنائس تعترف بالرب يسوع إلهاً ومخلصاً وفق ما جاء في الكتب، وتسعى للاستجابة معاً لدعوتها المشتركة لمجد الإله الأوحد، الأب والابن وروح القدس». هناك قاعدة إيمانية مشتركة هي الحد الأدنى المطلوب من الأعضاء المنتسبين إلى المجلس. وهناك برنامج عمل يتابع مهام الحركات الثلاث التي نشأ عنها)[١].

إن قطب رحى هذا المجلس يدور حول هدفين بارزين: توحيد الكنائس النصرانية، وتعزيز العمل التبشيري في العالم أجمع، وقد فرض هذا الأخير على المجلس ضرورة دراسة العلاقة بالديانات العالمية الحية التي يحتك بأتباعها حيثما حلت إرسالياته في أي مكانٍ في العالم. (ولعل أول محاولة بروتستانتية لفهم الإسلام، ودراسة مسألة العلاقة به قد تمثلت في «البرلمان العالمي للأديان» الذي انعقد في إيفانستون بولاية إيللينوس عام ١٨٩٣م، والذي حضره ألكسندر راسل وب ـ أول أمريكي مسلم وهو دبلوماسي سابق، حمل اسم «محمد»)[٢].

أما «الحوار» مع الإسلام فيرجع إلى تاريخ تأسيس المجلس رسمياً عام ١٩٤٧م. وهو ذات التاريخ الذي ظهرت فيه عبارة «الحوار»، وعلى وجه الخصوص الحوار مع الإسلام في المذهب البروتستانتي[٣].

(١) تاريخ الكنيسة الشرقية (٣٩٦).
(٢) الحوار الإسلامي المسيحي ـ ضرورة المغامرة. (١٥٥).
(٣) انظر: تصورات بروتستانتية حول الإسلام. جان باسّيه، مجلة الاجتهاد: (٣١/٥٩).

مواقف الجمعيات العمومية لمجلس الكنائس العالمي من قضية التقريب بين الأديان:

وقد واجهت المؤسسات والهيئات البروتستانتية السابقة لتأسيس مجلس الكنائس العالمي، والمكونة له فيما بعد، معضلة موقف النصرانية من الديانات الأخرى وكيفية التعامل مع أتباعها، وحملت بذور الخلاف اللاهوتي العميق إلى ردهات المجلس الجديد. (ونتيجة لهذه المناقشات، شكل مجلس الكنائس مشروعاً دراسياً حمل عنوان «كلمة الله والأديان الحية للبشر» استمر منذ ١٩٥٥م حتى عام ١٩٧١م، حيث عملت المجموعة المكلفة به على إجراء دراسات وتقديم تقارير وأوراق عمل وعقد مؤتمرات استشارية.. ولعل أبرز نتاجات هذه المجموعة يتمثل في كتاب «كنيث كراغ»: «نداء المئذنة». وهو دعوة إلى فهم الإسلام كما هو بنظر أهله أو معتنقيه، وإلى إعادة التفكير في الموقف المسيحي التقليدي في هذا المجال)(١).

وفي يونيو ١٩٦٦م عقد المجلس ندوة في «برمانا» ـ لبنان ـ لبحث العلاقة مع الإسلام، أعقبها في مارس من العام الذي يليه دعوة بعض المسلمين إلى جنيف للتمهيد للقاء أشمل تم في «كرتينيه» قرب جنيف في الفترة بين ٢، ٦ مارس ١٩٦٩م جاء في نتائجه ما يلي:

(يرى المشتركون في المؤتمر أن الحوار بين المسيحيين والمسلمين ضروري، وأنه ينبغي التوسع فيه على أصعدة مختلفة. هذه الضرورة تأتي:

أ ـ من القرابة الخاصة والتاريخية بين الديانتين.

ب ـ من النقد الذاتي الذي تمتاز به الديانتان.

ج ـ من الوضع الناجم عن اختلاط السكان...

---

(١) الحوار الإسلامي ـ المسيحي ضرورة المغامرة. (١٦١).

د ـ من الوضع التاريخي الحالي الخاص.

غاية الحوار الأولى هي حمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل وتعزيز التفاهم. فعلاقاتهما قد أثقلتها عصورٌ مشحونة بكثير من سوء التفاهم. والغاية الأخرى هي طرح مشترك للأسئلة التي تؤدي إلى التجدد والتعمق الروحي، ويؤدي مثل هذا الحوار إلى تعهد مسؤولياتٍ مشتركة على الصعيد العملي وتحقيقها)[1]. وهذا اللقاء هو أول اتصال بين مجلس الكنائس العالمي وممثلين مسلمين يصدر عنه بيان مشترك، ويمثل حدثاً بارزاً في تاريخ العلاقة بين دعاة التقارب من الجانبين، أعقبه العديد من الاتصالات الثنائية، وتعدد الأطراف.

وفي عام ١٩٧١م تم تأسيس الوحدة الفرعية للحوار مع معتنقي المعتقدات الحية والأيديولوجيات Dialogue With people of Living Faiths and Ideologies (DFI).

(وقد قسمت هذه الدائرة مجالات عملها إلى ٣ هي:

١ ـ الهندوسية والبوذية. ٢ ـ الإسلام والديانات التقليدية!! ٣ ـ اليهودية[2]. وأشار الأب الكاثوليكي «موريس بورمانس» إلى أن هذه الوحدة الفرعية (أخذت تمارس نشاطاتها بالتعاون والتنسيق مع أمانة السر الرومانية)[3]. لقد كان مجلس الكنائس العالمي مدفوعاً في الستينيات إلى الانفتاح والحوار محاكاةً للخطوة الجريئة التي اتخذتها الكنيسة الكاثوليكية، المنافس التقليدي، في المجمع الفاتيكاني الثاني

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة. نصوص مختارة: جمع: جولييت حداد. إشراف: الأب أوغسطس دوبره لاتور، د. هشام نشابة. جامعة القديس يوسف. بيروت. معهد الدراسات الإسلامية المسيحية. دار المشرق. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٣٦، ٣٧).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة (١٦٢).

(٣) توجيهات في سبيل الحوار. (١٦٣).

(١٩٦٢م ـ ١٩٦٥م). ولكنه انفتاح مشوب بالحذر والترقب، يثير التساؤلات أكثر مما يقرر التوصيات، كما في بيانات لقاء «كارتينيه» عام ١٩٦٩م: (كيف يمكننا تصور التبشير والدعوة، ومحاولة اجتذاب الآخرين؟

هل بالإمكان القيام بصلاة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين؟)[١].

في اجتماع اللجنة المركزية للمجلس العالمي للكنائس المنعقد في «أديس أبابا» مطلع عام ١٩٧١م، صدرت إرشادات لشرح سياسة الوحدة الفرعية للمجلس حول الحوار مع معتنقي الأديان والمثل «الأيديولوجيات» الحية، تضمنت الفقرات التالية:

(١ ـ إن المجلس العالمي للكنائس من خلال حياة وواقع كنائسه التأسيسية، ومن خلال النشاطات التي يقوم بها بالنيابة عن هذه الكنائس، يلتزم بعلاقاتٍ مزدوجة مع الناس في مختلف الأقطار، والحوار باعتباره نشاطاً إنسانياً تشترك فيه العناصر الروحية والفكرية والواقعية، وهو جزء من هذه العلاقة، وفي الوقت الحاضر هو أمر مستعجل لا محيد عنه، وهو مملوء بالفرص.

إنه أمرٌ لا محيد عنه، لأن النصارى في كل مكانٍ في العالم يعيشون في مجتمعات تشمل أدياناً عديدة. إنه أمر عاجل، لأن الناس جميعاً واقعين تحت ضغوطٍ مشتركة في البحث عن العدالة والسلام والمستقبل المأمول. وهو مملوء بالفرص، لأن النصارى يستطيعون الآن بأساليب حديثة أن يكشفوا عن مظاهر جديدة من العبودية والسيادة للمسيح، وعن مضامين جديدة من واقع الكنيسة في مجال التحرك نحو مجتمع إنساني مشترك.

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية. (٣٨).

٢ ـ إن إيماننا بعيسى المسيح الذي أصبح إنساناً من أجل جميع البشر في جميع العصور، يؤيدنا في هذا الحوار. إن التعبير عن هذا الإيمان في حياة وواقع الكنيسة يقودنا إلى تطوير علاقات مع البشر من مختلف الأديان والمثل. إن عيسى المسيح الذي حررنا هو الذي يخرجنا من العزلة إلى الحوار الصادق الذي ندخله مؤمنين بوعد عيسى المسيح. أن روح القدس ستقودنا إلى الحقيقة الكلية)(١). وبعد سرد موجز لبعض لقاءات الحوار بين الكنائس المحلية والإقليمية مع أتباع الديانات والتقاليد الأخرى، بل وبعض اللادينيين كالماركسيين، خلص البيان إلى القول: (إن النصارى في أقطار كثيرة لا يتحدثون عن الحوار فقط، ولكنهم منشغلون به في الوقت الراهن، وعلى مستويات مختلفة، وهم في نقاطٍ كثيرة مضطرون إليه في سياق العلاقات المعيشية مع أهل الأديان والنظريات الأخرى)(٢).

إن هذا المدخل يشعر أن «الحوار» مع الآخرين بالنسبة لمجلس الكنائس العالمي:

١ ـ اضطراري: فرضته أحوال العالم الراهنة، واختلاف النصارى بغيرهم.

٢ ـ مستعجل: فيتحتم الدخول فيه بسبب الضغوط المشتركة التي تواجهها أطراف الحوار.

٣ ـ وأخيراً: مملوء بالفرص للتعبير عن الإيمان النصراني، بمباركة الروح القدس، أي البشارة.

وواضحٌ من المسوغين الأولين أن مجلس الكنائس العالمي لا

---

(١) بيان وإرشادات حول سياسة مؤقتة (١٢) عن وثائق صادرة عن المؤسسة الإسلامية. ليستر.
(٢) المرجع السابق، (١٣).

ينظر إلى الحوار إلا من زاوية «فرض الأمر الواقع»، وأنه ليس مطلباً أصلياً. أما المسوغ الثالث فمحل تجربة ونظر. وقد كشف البيان اختلاف التوجهات في مؤتمر «أديس أبابا» حيال قضية الحوار، فقال: (١١ ـ وقد لمس المجلس العالمي آثاراً صريحة، وأنواعاً كثيرة من الإقناع. لذلك فلا يوجد لديه رأي موحد حول الحوار مع أهل الأديان الأخرى... يجب أن نفهم ممارسة المجلس العالمي للحوار على أنها مغامرة مشتركة للكنائس)[١].

هكذا بدا موقف المجلس العالمي للكنائس في مطلع السبعينيات تجاه قضية الحوار أنه أمر اضطراري مستعجل لا محيد عنه، بل هو مغامرة وبالتالي فهذه الإرشادات «سياسية مؤقتة» كما سماها.

ومرد هذا التردد والحذر إلى إشكالاتٍ حقيقية لدى القوم تتلخص في ثلاثة أسئلة:

١ ـ ما هي المضامين اللاهوتية الأساسية للحوار؟

٢ ـ ما هي العلاقة بين الحوار والبشارة والشهادة؟

٣ ـ كيف يُفهم الحوار ويمارس في مجال تأهيل الأشخاص[٢]؟

وكل سؤالٍ له إجابتان متضادتان لدى القوم. والبيان يقول بكل صراحة: (هناك خلافٌ دقيقٌ بيننا وفي كنائسنا، فيما إذا كان التركيز على الحوار سوف يضعف مضاء هذه المهمة التبشيرية أم أن المجتمع الإنساني، والحديث الذي سيوجده الحوار سوف يجعلانها تتقدم)[٣].

ولهذا جاءت التوصيات في مؤتمر أديس أبابا منصبةً على قضيتين:

---

(١) المرجع السابق، (١٥).
(٢) انظر هذه التساؤلات في المرجع السابق، (١٦).
(٣) المرجع السابق، (١٦).

الأولى: العناية بتأهيل وتدريب وتهيئة (مجموعاتٍ من الناس قادرين على الاشتغال في حوار موثوق مع أصحاب الأديان والنظريات الأخرى في أقطارهم وأقاليمهم الخاصة. أما في الأماكن التي تم فيها هذا فعلاً فيجب إيجاد الأساليب والوسائل لإشراك الكنائس الأخرى في الآراء التي استخلصت)[١]. وما يستلزم ذلك من تغيير في المناهج التعليمية والبحثية، ووكلت المهمة إلى المعهد المسكوني في «بوسي».

الثانية: التركيز في الحوار على قضايا إنسانية عامة، كالعدالة والسلام والتطور.

هكذا ولدت «اللجنة الفرعية للحوار مع معتنقي الأديان والمثل الحية» عام ١٩٧١م مترددة حذرة متحفظة. وفي المؤتمر العام للمجلس العالمي للكنائس المنعقد في «نيروبي» عام ١٩٧٥م، رأى بعض المشاركين (أن الحوار كان خيانةً للرسالة ـ المسيحية، وباباً مفتوحاً أمام التوليف)[٢].

وقد حملت هذه التجاذبات لجنة الحوار الفرعية على إجراء استفتاء شامل لمختلف الكنائس المعنية بالحوار تحت عنوان: «استشارة لاهوتية بشأن الحوار ضمن الجماعات الدينية». وقد درست نتائجه في مؤتمر «شيانغ ماي» في «تايلند» من ١٨ ـ ٢٧ أبريل ١٩٧٧م[٣]. وتمخض المؤتمر عن تطوير الخطوط المباشرة للحوار، ثم تبناها مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٧٩م[٤] بعد صدور كتاب ستانلي سامارثا «الدين وسط الأديان. تأملات على الحوار في المجتمع» عام ١٩٧٧م

(١) المرجع السابق، (١٧، ١٨).
(٢) تصورات بروتستانتية حول الإسلام. جان باسيّه. مجلة الاجتهاد (٣١/ ٦٠).
(٣) انظر: توجيهات في سبيل الحوار. موريس بورمانس (١٦٣).
(٤) تصورات بروتستانتية حول الإسلام. مجلة الاجتهاد (٣١/ ٦٠).

Faith in the Midst of Faiths. Reflections on Dialogue in Commuinity.
.Cf. S. Samartha. Geneve Wcc 1977

(وأصبحت هذه الوثيقة فيما بعد أساساً لعمل قسم الحوار)[١].

وفي مطلع عام ١٩٧٩م اجتمعت اللجنة العامة لمجلس الكنائس العالمي في «جامايكا»، ونشر المجلس الإرشادات الصادرة عنها، نقتطف منها ما يلي:

■ (.. إن النصارى يؤمنون بالثالوث المقدس؛ الله خالق جميع البشر، المخلص في عيسى المسيح، روح التنزيل والتجديد ـ الذي به ندعى نصارى ـ بالنسبة لعلاقاتنا الإنسانية مع جيراننا الكثيرين، وتشمل هذه العلاقات هذا الحوار الذي نعبر به عن أعمق معتقداتنا، ونستمع لمعتقدات جيراننا. إن إيماننا النصراني هو الذي يحررنا حتى ننفتح على إيمان الآخرين، ونخاطر، ونثق ونكون عرضة للنقد. ففي الحوار يتوازن الاعتقاد والانفتاح.

إن الحوار ليس مجرد نشاط اجتماعات ومؤتمرات في عالم للنصارى فيه جيران كثيرون. إنه أسلوب حياة لإيماننا النصراني مرتبطين ومختلطين بأولئك الجيران الذين نشاركهم في المدن والشعوب والأرض بمجموعها. الحوار أسلوب حياة مرتبطة بالجيران. وهذا لا يحل محل، ولا يحدد واجبنا النصراني في الشهادة، كما أنه يجعل الجميع في حوار مع من يخالطونهم)[٢].

لقد تضمنت هذه المقدمة التأكيد على قضية الحوار باعتباره

---

(١) إيمان جاري وإيماني. مقاربات لاهوتية من خلال الحوار بين الأديان. إصدار مجلس الكنائس العالمي. تعريب: طارق متري. (٧ ـ ٨).

(٢) إرشادات توصي بها الكنائس للدراسة والتطبيق. (٢٦) عن مجموعة وثائق من إصدار المؤسسة الإسلامية. ليستر.

أسلوب حياة، يعبر فيه الفرد عن إيمانه النصراني، ويتلقى النقد من مخالفيه، الذين هم في أحيان كثيرة جيران. وقد شاع التعبير بوصف «الجيرة» في بيانات المجلس فترة الثمانينيات للدلالة على حتمية المواجهة والاحتكاك، وما تتطلبه من انفتاح على «الجيران». ومن ثم فقد انصبت الإرشادات على الحديث عن مؤهلات الحوار وشروطه، وتفهم الآخرين واحترامهم. وفوق ذلك التركيز على المجالات التعليمية مثل:

(أ ـ برامج التعليم في المدارس والكليات، وأنظمة تعليم الكبار، لزيادة فهم التعاليم الثقافية والدينية والنظرية للإنسانية...

ب ـ برامج التعليم في الكليات والمعاهد اللاهوتية، لتهيئة كهنة نصارى يملكون التدريب والحساسية الضرورية للحوار بين الأديان.

ج ـ الاتصالات الإيجابية بالبرامج في أقسام الجامعة والمعاهد الأخرى للتعليم العالي والتي تهتم بالدراسة الأكاديمية للدين.

د ـ مراجعة المادة المستعملة، والتعليمات العادية، في مناهج التوجيه لجميع المستويات في الكنائس، بما فيها الكليات والمعاهد اللاهوتية، مع ملاحظة إزالة كل ما يشجع التعصب وتبلد الأحاسيس نحو أهل الأديان والمثل الأخرى.

هـ ـ تطوير مواد مدرسة الكنيسة لأجل دراسة أصحاب الأديان والمثل الأخرى.

و ـ إعداد المناهج المناسبة للأشخاص الذين يمكن أن يرسلوا للعمل في محيط ثقافات أخرى، أو الذين يمكن أن يسافروا كسائحين في مثل هذا المحيط لترقية مفاهيمهم وأحاسيسهم.

ز ـ رد فعل مناسب نحو كتب النصوص المدرسية ووسيلة تقديمها، والتي يمكن أن تتحامل على صورة الجيران.

ح ـ الاستعمال البنّاء لوسائل الدعاية والمذياع والتلفزيون و. . . كلما أمكن ذلك من أجل الوصول إلى مستمعين أوسع، في نطاق الجهود لزيادة تفهم أصحاب الأديان والمثل الأخرى)[١].

إن هذه التوصيات والإرشادات لتكشف رجحان كفة المنادين بالحوار، ولكنها في الوقت نفسه تكشف طبيعة ذلك الحوار في جانبه الثقافي، إنه حوار البشارة والاجتذاب والأنجلة المؤسس على خطط مدروسة، وإدراك ووعي بطبيعة الآخر، وتأهيل للأفراد لاحتراف الحوار. إن النقاط السابقة تدور حول أربعة محاور:

أولاً: دراسة الأديان الأخرى دراسة متعمقة تبلغ أعلى التخصصات العلمية تحت ستار «زيادة تفهم أصحاب الأديان والمثل الأخرى».

ثانياً: تدريب وتأهيل فرسان الحوار علمياً وميدانياً، ولو عن طريق السياحة.

ثالثاً: تخفيف الحساسيات السابقة والمتوقعة التي تستعدي الآخرين، وتثير تعصبهم بمراجعة المواد المستعملة في المناهج التعليمية، وإزالة ما لا يناسب الجيران، أو يبلد أحاسيس الأتباع.

رابعاً: الاستفادة من جميع الوسائل الدعائية والإعلامية الممكنة للوصول إلى المستمعين.

والحوار لدى مجلس الكنائس العالمي في أواخر السبعينيات يتسع وينفتح إلى أقصى الحدود الشكلية؛ فـ«الغاية تبرر الوسيلة» فلا بأس بالمشاركة في المناسبات الدينية للآخرين! يقول البيان: (لا بد أن يثير الحوار مشكلة المساهمة في الاحتفالات والطقوس والعبادة والتأمل:

تتقارب المجتمعات الإنسانية وتعبر عن نفسها وتتجدد في الطقوس

---

(١) المرجع السابق، (٢٨ ـ ٢٩).

والعبادة، والحوار يفسح المجال لتقديم الاحترام لشعائر الجيران في المجتمع. وتتوسع الأمور أحياناً، وتقبل دعوات الزيارة كضيوف ومراقبين في الطقوس العائلية والاجتماعية والمواعظ والاحتفالات. وتهيئ هذه المناسبات فرصاً ممتازة لزيادة الفهم المتبادل بين الجيران. ولا بد أن يثير العمل المشترك في مشاريع ونشاطات عامة، أو الزيارات المنزلية في الأعياد في نهاية المطاف القضية الصعبة، والمهمة جداً، وهي المشاركة الكاملة في صلاة أو عبادة أو تأملاتٍ مشتركة. وهذه إحدى مجالات الحوار التي هي أكثر الأمور جدلاً، أو أكثرها حاجةً للاستكشاف الواسع.

وسواء حدث هذا أم لا، فإن المشاركين في الحوار يرغبون أن يواجهوا القضايا الراهنة باهتمام وحساسية بالنسبة للإخلاص المتبادل، وهم يدركون تماماً دلائل ومقاصد ما فُعِل وما لم يفعل)[١].

لا شك أن مؤشر مؤتمر نيروبي المنعقد عام ١٩٧٥م، الذي قيل فيه إن الحوار خيانة للرسالة النصرانية، قد قفز إلى الجهة المقابلة في جامايكا عام ١٩٧٩م حين يتبنى الحوار إلى درجة المشاركة في المناسبات الدينية وربما الصلاة أيضاً، واعتبار ذلك (فرصاً ممتازة لزيادة الفهم المتبادل بين الجيران)، وإن شئت فقل لأداء الشهادة النصرانية.

أما مادة «الحوار» كما تبدو لمجلس الكنائس العالمي في نهاية السبعينيات فلا تختلف عن ذي قبل: (يجب متابعة الحوار بالمساهمة في الأعمال العامة في المجتمع: النشاطات العامة، والخبرات هي أكثر الأمور مناسبة للحوار حول قضايا: الإيمان والنظريات والسلوك، ومن خلال البحث عن مجتمع عادل للبشر جميعاً)[٢].

---

(١) المرجع السابق، (٣٠ ـ ٣١).

(٢) المرجع السابق، (٢٩).

وأخيراً يرسم المجلس سياسة واضحة حيال منظمات تقارب الأديان التي تتبنى قضايا معينة، ذات صبغة سياسية أو اجتماعية فيقرر: (هناك الآن منظمات كثيرة تربط بين أديان العالم وتبحث في تمكين هذه الأديان من التعاون لأغراضٍ متنوعة مثل الكفاح من أجل السلام، والعدالة في المجتمع الواحد وبين الأمم. ويحتاج النصارى المشاركون في الحوار أن تكون لديهم قدرة انتقائية للمشاركة في الاجتماعات التي ترتبها مثل هذه المنظمات. يجب أن يكون الممثلون النصارى حريصين على الاعتراف المتبادل والاحترام والإخلاص لكل دين. وأحياناً يكون ضرورياً أن يوضحوا أن مشاركتهم لا تدل بالضرورة على قبول المطالب الضمنية لاجتماع أو منظمة معينة. ويتجنب النصارى بشكل عام أن يتحالفوا ضد أديان أخرى، أو مُثل، من حيث كونها أدياناً ومثلاً. إن المجلس العالمي للكنائس يقبل إيفاد ملاحظين استشاريين إلى اجتماعات منتقاة من هذه النوعية، ولكنه في الوقت الحاضر لن يشارك مباشرة بشكل رسمي في التركيب التنظيمي للمنظمات العالمية ذات الأديان المتعددة)[١].

إنه انفتاح مدروس، يعرف أين يضع خطاه، فلا يجر إلى مواقف لا يَرتضيها، أو يتاجر به فيها، معياره المصلحة، فحيث وجدت المهمة الرسولية فهو ثمَّ، وإذا تعذرت بأي شكلٍ من الأشكال فلا مجال للمجاملة وتضييع الوقت.

هذا وقد صاغ المجلس اعتبارات خاصة باليهود عام ١٩٨٢م باسم:

Ecumenical Considerations On Jewish Christian Dialogue.

اعتبارات مسكونية حول الحوار اليهودي النصراني.

---

(١) المرجع السابق، (٣١ ـ ٣٢).

الكتب والبيانات الصادرة عن بعض منسوبي مجلس الكنائس العالمي:

وخارج قباب المؤتمرات، وبعيداً عن نصوص البيانات الرسمية نعرض نماذج مستقلة لطروحات بعض دعاة الحوار والانفتاح من أعضاء المجلس، ونصوصاً مقابلة للرافضين للحوار، لمزيدٍ من استيضاح حقيقة التقريب لدى النصارى غير الكاثوليك.

١ ـ (إيمان جاري وإيماني):

في عام ١٩٨٤م أوصت اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي بإعداد برنامج دراسي يمتد خمسة أعوام لتحديد معنى الهوية النصرانية في عالم تتعدد فيه الثقافات والأديان والأيديولوجيات، فأصدر قسم الحوار كتيباً عام ١٩٨٦م موجهاً إلى كافة النصارى بعنوان: إيمان جاري وإيماني My Neighbour's Faith and Mine.

Theological Discoveries in Interfaith Dialogue A Study Guide.

مقاربات لاهوتية من خلال الحوار بين الأديان. دليل دراسي.

أفصح عن «هدف الدراسة» وبواعثها قائلاً: (الدراسة جواب على الحاجة لوضع تفكيرنا اللاهوتي في سياق التعدية الدينية المعاصرة، ولكن هذا لا يعني بالطبع الإجابة على كل الأسئلة اللاهوتية المعقدة التي يثيرها الموقف من إيمان الآخرين وشهادتهم. لقد تسببت هذه الأسئلة في خلافات عميقة بين اللاهوتيين المسيحيين، ولم يأت اليوم الذي نصل فيه إلى حلولٍ حاسمة. إن التمييز بين الوحي الطبيعي والوحي الخاص[1] ليس حلاً نهائياً، والنظريات التي تعتبر بعض التراثات الدينية مجرد استعدادٍ لقبول الإنجيل لا تكفي. لكن البحث

---

(١) لعلهم يريدون بالوحي الطبيعي ما تستلهمه الأديان والتقاليد ـ سوى النصرانية ـ من الفطرة والعقل والتجربة، من تجارب صائبة. بينما «الوحي الخاص» هو ما اختصت به النصرانية من الأناجيل.

المتجدد قد يقودنا إلى اكتشاف ـ أو إعادة اكتشاف ـ مؤشرات روحية داخل تراثنا، تقودنا إلى الأمام.

ليست الغاية من هذه الدراسة تقديم معلوماتٍ عن الأديان الأخرى. لكننا ندعو إلى تفهم جيراننا كأهل دينٍ حي، وإلى اعتبار معتقداتهم وممارستهم عنصراً في تفكيرنا اللاهوتي حول العالم والجماعة الإنسانية.

بعبارة أخرى: إن هذه الدراسة نداء إلى المسيحيين كي يكتشفوا معنىً لاهوتياً لإيمان جيرانهم. وهذا أمرٌ لم يفه التفكير المسيحي حقه. ولكن عندما يؤثر دين جيراننا على طريقتنا في ممارسة عقيدتنا ووعيها، نضطر لمواجهة التحدي والسعي لاكتشاف أبعاد جديدة لإيماننا. ننظر، من خلال ذلك، إلى جيراننا على ضوءٍ جديد، ونتعلم العيش معهم في جماعة متقاربة...

ومهما يكن من أمر، تحاول هذه الدراسة أن تتأمل في أفضل مظاهر سعي الإنسانية الديني. ورغم تحفظاتنا المشروعة حول بعض جوانب الأديان، علينا أن نتعامل مع القيم الإيجابية في حياة المؤمنين وشهادتهم. لذلك ليست الدراسة بحثاً في العقائد الأخرى قدر ما تتناول عقيدتنا نحن. موضوعها الأول: كيفية وعي إيماننا على نحوٍ أفضل فيما نعيش مع أصدقاء وجيران يعتنقون عقيدة أخرى)[1].

وقد تألفت الدراسة المذكورة، إيمان جاري وإيماني، من تسعة فصول، يتكون كل فصل من نصوص دينية لأبرز الديانات والتقاليد الحية، فبالإضافة إلى الإسلام واليهودية ثم البوذية والهندوسية والزرادشيتة والكونفوشية وغيرها، يعقب تلك النصوص تعليق يسلط الضوء على المادة المراد إبرازها، ثم جملة من الأسئلة اللاهوتية

---

(١) إيمان جاري وإيماني. (٨ ـ ٩).

والتطبيقية التي تصب في هدف الدراسة، كما صدر كل فصل بصورةٍ ضوئية «فوتوغرافية» ملتقطة من الممارسات الدينية والاجتماعية للشعوب غير النصرانية. وتقترح الدراسة تأليف مجموعات صغيرة تقوم بتدارس القضايا المطروحة وتأملها، ثم صياغة النتائج وإرسالها إلى قسم الحوار في المجلس[1]، الذي وعد أنه (ستنظم في عام ١٩٨٩ حلقة استشارية دولية لدراسة الأجوبة والملاحظات الواردة من مختلف أنحاء العالم على أن ترفع خلاصات هذه الحلقة إلى الكنائس)[2].

إن هذه الدراسة المعنونة بـ«إيمان جاري وإيماني»، من خلال عنوانها وأهدافها ومضامينها التساؤلية، بل وطريقة إخراجها الفنية لتكشف عن عمق المعضلة التي يواجهها القوم حين تجبههم العقائد والممارسات الأخرى، وتحرجهم أمام ضمائرهم أو على الأقل تزلزل قناعاتهم الدينية. وفي القصة التالية المنتزعة من ثنايا الكتاب ما يصور عمق هذه المعضلة:

(يروي الكاتب «بوتوك» أن حاخاماً شاباً، كان مسافراً في اليابان، وعند زيارة معبد بوذي رأى مسناً يحمل كتاباً ويصلي، وهو يميل إلى الوراء ثم إلى الأمام. سأل الحاخام صديقه: «هل تعتقد أن إلهنا يصغي إليه»؟ أجاب: «لا أعرف لم تخطر المشكلة في بالي قط. فإذا كان لا يصغي، لماذا؟ وإذا كان يصغي، لا بد من التساؤل في ما نحن عليه»...

إن سؤال الحاخام عميق من الناحية اللاهوتية. فإذا كان الله لا يصغي، نتساءل بحق «أي إله هو الذي لا يصغي لصلاة إنسان؟» وإذا كان الله يصغي يصح التساؤل عما يميز الجماعة التي ننتمي إليها؟ من

---

(١) انظر المرجع السابق، (١٠).
(٢) المرجع السابق، (٧).

نحن الذين نعتبر أن لنا امتيازاً في الوصول إلى سمع الله؟)[١].

إن مثل هذه المواقف لتهز الفرد النصراني ـ وإن كان الكاتب ألصق الحادثة بغير نصراني ـ وتحمله على التساؤل فيما هو عليه، وفيما عليه الآخرون سيما في هذا الزمان الذي انعتق فيه الأفراد من التسلط الكنسي على العقول، وسادت فيه معاني الحرية واحترام الضمير، فكيف إذا رأى أولئك الأفراد تعبد المسلمين في صلواتهم ودعائهم وخشوعهم وصومهم وحجهم وغير ذلك من مظاهر العبادة النقية الصادقة؟

إن الاختلاط والتعايش يمثل خطورة حقيقية بالنسبة للكنائس على أتباعها، وهمًّا ضاغطاً يتطلب كشفه تقديم «لاهوت» يستوعب أداء الآخرين، ويختصره ويحتويه، ويظهره ضئيلاً محدوداً بجنب الاعتقاد الكنسي. ومن ثم فإن الأسلوب الأمثل حمل الأتباع على التقدم لاكتشاف «إيمان الجيران» بروح مستعلية مهيمنة، تتواضع لـ(تتأمل في أفضل مظاهر سعي الإنسانية الديني). إن ذلك أجدى، وأقل ضرراً من أسلوب الحجب وتقديم معلومات مغلوطة تستثير في نفوس الأتباع روح البحث الصادق غير الموجه من الخارج. فالتقدم نحو الخصم خيرٌ من مدافعته.

إن الفاحص لعبارات الدراسة ليلمس بوضوح أن المشروع وإن بدا مؤطراً بالموضوعية والانفتاح، فإنه يؤكد بعمق على الانكفاء على الذات، وتوظيف معطيات الآخرين لتعميق الانتماء، تأمل في هذه الجمل الواردة في «هدف الدراسة»:

■ (لكن البحث المتجدد قد يقودنا إلى اكتشاف ـ أو إعادة اكتشاف ـ مؤشرات روحية داخل تراثنا تقودنا إلى الأمام...).

---

(١) المرجع السابق، (٥٤).

■ (لكننا ندعو إلى تفهم جيراننا كأهل دينٍ حي، وإلى اعتبار معتقداتهم وممارساتهم عنصراً في تفكيرنا اللاهوتي حول العالم والجماعة الإنسانية...).

■ (عندما يؤثر دين جيراننا على طريقتنا في ممارسة عقيدتنا ووعيها نضطر لمواجهة التحدي والسعي لاكتشاف أبعادٍ جديدة لإيماننا...).

■ (ليست الدراسة بحثاً في العقائد الأخرى، قدر ما تتناول عقيدتنا نحن. موضوعها الأول: كيفية وعي إيماننا على نحوٍ أفضل، فيما نعيش مع أصدقاء وجيران يعتنقون عقيدة أخرى).

ولذلك فإن الدراسة استبعدت منذ البداية نظرية (التمييز بين الوحي الطبيعي والوحي الخاص)، ونظرية (اعتبار بعض التراثات الدينية مجرد استعدادٍ لقبول الإنجيل)، ونحوها من النظريات التي تحاول تقديم معنى لاهوتي لممارسات الآخرين، وتنحى الدراسة منحىً جديداً في معالجة التحدي الذي تسبب في إيجاد خلافات عميقة بين اللاهوتيين النصارى باحتواء ما عند الآخرين وإلحاقه بجوانب روحية موجودة أصلاً في اللاهوت النصراني لم يتم اكتشافها، أو يعاد اكتشافها من جديد. ومن ثم لا تمنح الأديان والتقاليد والأيديولوجيات الأخرى صفة القسيم، أو الند أو حتى الفرع إذ هي - في جوانبها التي تبدو مشرقة وصائبة - مشمولة باللاهوت النصراني.

تلك خطوة إلى الوراء في الحقيقة مقارنة بمفهوم الخلاص الجديد الذي جاء به المجمع الفاتيكاني الثاني، وتداعياته.

وبالفعل فقد أولى مجلس الكنائس العالمي قضية التعددية الدينية اهتماماً خاصاً. فعقد مؤتمراً في «نيودلهي» عام ١٩٨٧ بعنوان «التعددية الدينية»، ثم في «نيو وندسور» - ميرلاند بأمريكا في العام التالي ١٩٨٨،

بعنوان: «تحدي التعددية». وفي العام الذي يليه ١٩٨٩م أرَّخ المجلس لمبادراته الحوارية مع المسلمين على مدى عشرين عاماً من تأسيس اللجنة الفرعية للحوار بكتاب:

Meeting in Faith: Twenty Years of Christian Muslin Conversations. Geneve. Wcc 1989.

لقاء في الإيمان. عشرون عاماً من الحوار المسيحي الإسلامي.

وفي عام ١٩٩١م أصدر المجلس كتاباً بعنوان:

Ecumenical Considerations on Christian Muslim Relations.

اعتبارات مسكونية حول العلاقات المسيحية الإسلامية.

٢ ـ (الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى):

كتب القس «ويسلي أرياراجا» دراسة في: «الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى»، تناولت موضوع الحوار وإشكالاته، إجابة لطلب الاتحاد العالمي للطلاب المسيحيين في منطقة البسفيك ـ الآسيوية (عما يساعد المسيحي العادي في تعاطيه مع جيرانٍ له ينتمون إلى أديان أخرى. كيف يمكن مسيحييّ اليوم أن يعيشوا إلى جانب البوذيين والمسلمين والهنود وجماعات دينية أخرى، ويشهدوا لهم من خلال موقفهم الحواري؟ كيف يمكن المسيحي أن يقوم بذلك دون أن يتخلى عن إيمانه، بل دون أن يخفي إيمانه؟ وهل بإمكانه أن يدخل في حوار ويستمر في قناعاته المسيحية)[(١)].

وقد قدم للدراسة رويدي ويبر، وقرظه قائلاً: (إنني لا أعرف بحثاً آخر تناول هذا الموضوع بمثل الوضوح والاختصار والعمق الذي تحلت

---

(١) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى: القس: ويسلي أرياراجا. تعريب: الخوري بولس الصياح. المكتبة البولسية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (١١).

به دراسة ويسلي أرياراجا)[١]. وأشار إلى استفادته من سلسلة دراسات جمعت تقاريرها في كتاب بعنوان: «الكتاب المقدس: سلطته وشرحه في الحركة المسكونية» من إصدار مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٨٠م.

وقد قام الاتحاد العالمي للطلاب المسيحيين في منطقة البسفيك - الآسيوية ومجلس الكنائس العالمي بالتعاون في نشر هذا الكتاب.

ونظراً لهذا الإطراء والاهتمام فإن هذا الكتاب يصلح عيّنة للتعرف على موقف غير الكاثوليك من قضية الحوار.

لقد أسس الكاتب دراسته للرد على منتقدي الحوار من المنطلق التالي:

(الكثير من الانتقادات الموجهة إلى الحوار تزعم أنها ترتكز إلى الكتاب المقدس، هذا ما قاله لي أحد أصدقائي. ففيه أن «يسوع هو الطريق والحق والحياة» ولكي يتابع المسيحي الحوار، عليه أن يتنكر لقول الكتاب المقدس في يسوع وفي السبب الذي من أجله أرسله الآب إلى العالم.

ما مدى صحة هذا القول؟ وهل الكتاب المقدس ينكر على المسيحي إمكانية الحوار مع المؤمنين المنتمين إلى تقاليد دينية أخرى؟ هل فيه تعليم في المسيح ومعنى مجيئه يتنافى ونوايا الحوار الصادق؟)[٢].

ونحن لا نريد أن نمضي مع الكاتب في مجادلاته مع أبناء ملته حول مشروعية «الحوار» إلا بالقدر الذي يكشف عن حقيقته في نظر مؤيديه.

---

(١) مقدمة الكتاب السابق، (٩).

(٢) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (١٢).

يعمد المؤلف إلى إثبات صحة مبدأ الحوار ومشروعيته، وضرورة الانفتاح على أتباع الديانات الأخرى وقبولهم، من خلال عدة محاور، أهمها:

١ ـ التقاط الشواهد الحوارية لأنبياء العهد القديم في دعوتهم لأقوامهم، ومقاطع تتحدث عن الشعوب الأخرى «الأمميين»، ومواقف المسيح ﷺ وتلامذته، التبشيرية ذات الطابع الحواري، مع الوثنيين، لإبراز منزلة الحوار في الكتب المقدسة[1].

٢ ـ الدعوة إلى تنحية الكلام في امتلاك النصرانية للحقيقة المطلقة دون غيرها، وعدم مجابهة الآخرين بالادعاءات الحصرية. (إن التشبث بالحقيقة الموضوعية المطلقة إنما هو وليد تقليد حضاري وفلسفي لا علاقة له بالكتاب المقدس. لأن ما نجده في الكتاب المقدس ليس محاولات لتقديم حقائق موضوعية، إنما هناك صراعٌ في سبيل الفهم والشهادة والإعلان... إن مثل هذا الفهم للشهادة من خلال الكتاب المقدس «لا سيما لتلك الفقرات التي تبدو وكأنها حصرية، والتي غالباً ما اعتبرت وكأنها حقائق مطلقة، واستعملت كمرتكزٍ لرفض إيمان الآخرين» سوف يحررنا كمؤمنين، فنتمكن من الدخول في حوار مع مؤمنين من أديان أخرى. فالحقيقة عندما تفهم على هذا النحو تصبح قابلة للمشاركة. فلا يشعر المرء آنذاك أن عليه أن يدافع عن شيء ما أو يفرض ذلك على الآخرين أو يقنعهم به. فمن المرجح أن يترك الإنسان المتواضع المنفتح على المشاركة في الجهاد الروحي والشهادة أثراً أعمق في نفوس مؤمني الأديان الأخرى، من ذاك الذي يدعي أنه يملك الحقيقة المطلقة، وأن ليس به حاجةٌ إلى النقاش أو الحوار...

إنه غاية في الأهمية إذاً أن يعي المسيحيون طبيعة الإيمان الذي

---

(١) انظر الفصلين الأول والثاني في المرجع السابق.

من الكتاب المقدس، وطريقة التعبير عنه، فيتعاملوا مع الآخرين مقتنعين بأن لدى الآخرين شهادةً يقدمونها. فالادعاءات «الحصرية» التي نشعر وكأنها حقائق مطلقة إنما تقودنا إلى الانعزال. فهي ليست «حجر العثار» إنما هي «حواجز» رفعت في وجه الناس تحول دون تعرفهم إلى المسيح الذي تميزت حياته بالتضحية والعطاء الذاتي.

لا يدعو الكتاب المقدس المسيحيين في الحقيقة إلى إطلاق الادعاءات، إنما إلى الالتزام بالانفتاح على الآخرين. وللآخرين التزاماتهم أيضاً. فالحوار إذاً لقاءٌ بين التزامين. وفي مثل هذا اللقاء يمكن لكل من المحاورين أن يصغي إلى شهادة الآخر ويراها)[1].

إن هذا النص يكشف لنا بوضوح عن الحوار في نظر المؤلف. إنه وسيلة مؤثرة لتحقيق «الجهاد الروحي» و«الشهادة» النصرانية في نفوس مؤمني الأديان الأخرى. إن الكاتب لا يدعو إلى التنصل من عقيدة امتلاك الحقيقة المطلقة، أو التبرؤ من الادعاءات الحصرية التي دأبت الكنيسة على تلقينها لأتباعها، بل غاية ما في الأمر أنه يدعو إلى ترك المجاهرة بهذه الدعاوى، واستفزاز الآخرين بها، لما يترتب على ذلك من الآثار العكسية، وعلى حد تعبيره: (سيأتي أناسٌ يطلقون ادعاءاتٍ مماثلة ترتكز إلى أقوال كُتّابٍ يتخذونهم مراجع لهم. فادعاء المرء بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة من شأنه أن يؤول إلى العجرفة والتعصب، ومن ثم إلى الحكم على كل التطلعات الإيمانية للآخرين)[2].

إذاً فالنص عبارة عن معالجة نفسية، وتوجيه «رعوي» لأولئك الذين يرون في «الحوار» خيانةً لرسالة المسيح، لكونه، من منطلق

---

(١) المرجع السابق، (٤٢ ـ ٤٣).

(٢) المرجع السابق، (٤١).

إخلاصهم لمعتقدهم، يتضمن «حجباً» لبعض حقائق الإيمان. بينما الكاتب يهمس في آذانهم أن: لا داعي لكشف الأوراق دفعةً واحدة، فالتدرج في البشارة، ومراعاة قناعات الآخرين لا بد منه. لا سيما إذا نظرنا إلى الفقرة الثانية هذه في ضوء الفقرة الأولى ومكانة الحوار في الكتب المقدسة.

إن اللاهوت البروتستانتي لم يستطع أن يتقدم خطوة حقيقية في نظرته إلى الآخرين، كتلك التي أعلنها المجمع الفاتيكاني «الكاثوليكي» الثاني بتوسيع مفهوم الخلاص. حتى هذا الكاتب الذي يعد من المتحررين، المنادين بالحوار يتحدث عن قضية «الخلاص» لغير النصارى على استحياء، ومن جانب السلب لا الإيجاب: (فالاعتقاد بأن مؤمني الأديان الأخرى هم خارج عمل الله الخلاصي هو كلام لا يبلغ الناس فقط، بل الله أيضاً. فإله الكتاب المقدس، الإله الذي دعاه المسيح أباً، هو سيد الجميع، وهو في صميمنا، وكل شيء فيه كائن.

ما أريد أن أقول، بعبارة أخرى، هو إن رسالة الكتاب المقدس حوارية في صلبها. ومؤسف أن نبني الكثير من مواقفنا تجاه مؤمني الأديان الأخرى على قراءتنا لفقرات «استثنائية» من الكتاب المقدس، وليس على رسالته الأساسية. نحن في حوار لأن إلهنا هو الإله الذي بشرنا به يسوع المسيح، ولأننا نؤمن بعمق بحب الله الذي يشمل البشرية بأسرها. فالله حريتنا، وهو يهبنا الحرية والانفتاح فنتمكن من لقاء جيراننا أو نحكم عليهم فقط، لأن قبولهم وتفهمهم هما حجر الزاوية في رسالة الإنجيل)[١].

إن الكاتب المتحرر المنفتح لا يجرؤ أن يقول: (بيد أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق... ثم إن الله نفسه

---

(١) المرجع السابق: (٤٩).

ليس ببعيد عن الذين يتلمسون من خلال الظلال والصور إلهاً مجهولاً... فهؤلاء يمكنهم أن ينالوا الخلاص الأبدي...)[١] كما قاله أساقفة الكاثوليك، بل يكتفي بالنعي على من يعتقدون أن مؤمني الأديان الأخرى خارج عمل الله الخلاصي، بمعنى أنهم يرفضون الإصغاء إليهم والدخول معهم في حوار، حتى مع عدم وجود شرطٍ مسبق أن الخلاص لا يمكن أن يشملهم. فمرةً أخرى لا يلحظ الكاتب في قضية «الحوار» سوى الجانب التبشيري، من جهة أن قبول المدعو وتفهمه هما حجر الزاوية في رسالة الإنجيل، وليس من جهة أن الطرف المقابل يمتلك ـ على الأقل ـ جزءاً من الحقيقة، أو أن الحوار معه يثري محاوره ويقود إلى مزيدٍ من المعرفة والفهم.

أما العلاقة بين «الحوار» و«البشارة» في نظر القس البروتستانتي فواضحة غير معقدة، ولا تحتاج إلى هندسة فلسفية كتلك التي أجهدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها في تفسيرها، إن الحوار يعني ببساطة إعلان الشهادة للإيمان المسيحي في المحافل العامة، وهو يقول ذلك دون مواربة، ويستند إلى وثائق مجلس الكنائس العالمي: (هذا لا يعني أن الحوار نهج جديد للشهادة أو أننا نتخذ من الحوار مجالاً للتحايل على الآخرين. بل هو يعني بكل بساطة أنه يمكن المرء أن يشهد من خلال الحوار، وأنه في الحقيقة لكذلك. وقد تحدث مجلس الكنائس العالمي عن هذا الأمر في «توجهات في الحوار» بالعبارات التالية:

«نحن لا نخال أن بين الحوار والشهادة تناقضاً. وما من شك أنه عندما يدخل المسيحي في الحوار وهو ملتزم بيسوع المسيح، غالباً ما يكون الحوار مجالاً لشهادة حقيقية، لذا... يمكننا بكل صدقٍ أن نحسب الحوار كإحدى الوسائل التي من خلالها تتم الشهادة ليسوع

---

(١) انظر: «المجمع الفاتيكاني الثاني» (٥٢).

المسيح في أيامنا، ويمكننا في الوقت نفسه، وبمقدار الصدق نفسه أن نؤكد لمحاورينا أننا نأتي إليهم، ليس كمن يحاول بمكرٍ اجتذابهم، إنما كرفقاء في مسيرةٍ واحدة، لنتحدث معاً في ما نرى أن الله قد حقق في يسوع المسيح الذي سبقنا، والذي نحاول معاً أن نبحث عنه من خلال الحوار»)[1].

هل يرى القارئ فرقاً بين ما قبل جملة «ويمكننا في الوقت نفسه» وما بعدها؟ إنها الشهادة النصرانية في الحالين.

٣ ـ الدعوة إلى إجراء تطوير لاهوتي «بروتستانتي»: لقد أدرك الكاتب أن آفة الحوار تكمن في صميم المعتقد النصراني نفسه، ولذلك أعلن بجرأة أنه: (... قد حان الوقت لكي تجهد الكنائس في سبيل وضع قاعدة لاهوتية جديدة تنير سبيلها في علاقتها مع مؤمني الأديان الأخرى. ومن شأن تلك القاعدة أن تخول المسيحي أن يلتزم بالمسيح ويبقى في الوقت نفسه منفتحاً على شهادة الآخرين...)[2].

ووضع يده على مكمن الداء، حين قال: (لقد ارتفعت أصواتٌ متعددة منتقدة اللاهوت البروتستانتي في تركيزه على المسيح بشكل يكاد يكون كاملاً. وقد قيل إن هذا التوجه مسؤول أساساً عن عجز البروتستانتية في التعاطي مع التعددية الدينية. لقد جاهر الرسل[3] بإيمانهم بأن الله قد أظهر نفسه للعالم بشكل خاص في يسوع المسيح. فتسلم بعض اللاهوتيين هذا الإيمان، واتخذوا لهم من بعض النصوص

---

(١) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (٧٠ ـ ٧١).

(٢) المرجع السابق، (٨٣).

(٣) الرسل في الاصطلاح الكنسي هم تلامذة المسيح وحواريوه، الذين بشروا بالنصرانية. والعبارة تنطبق على «بولس» فقط الذي أفسد النصرانية وزعم ألوهية المسيح رغم أنه لم يكن من حوارييه، ولا تلاميذه، بل لم يلقه قط. راجع التمهيد.

الكتابية حجةً ليطوروه إلى ادعاء بأن يسوع المسيح هو الوحي الإلهي «الكامل» و«النهائي» و«المطلق» و«الحاسم». وفي مواقف تبشيرية غالباً ما يكون الادعاء بأنه ما من وحي «حقيقي» لله سواه، وإذا ما حصل ذلك، فيكون الوحي جزئياً إلى حدٍ يجعل من يسوع المسيح المصدر الوحيد لمعرفة «حقيقة» الله...

فالعودة إلى لاهوتٍ يتمحور حول الله، يتيح المجال للمسيحيين أن يقفوا إلى جانب مؤمني الأديان الأخرى كأبناء الله الواحد، من دون أن يتنكروا لشهادتهم ليسوع المسيح.

وحدة المفهوم اللاهوتي «المتمحور حول الله» يخولنا احترام إيمان إبراهيم وانصياع موسى لإرادة الله... علينا أن نقر بأن هذا التوجه لا يشكل ابتعاداً عن الرسالة الأساسية للكتاب المقدس، إنما هو تصويب يسهِّل على المسيحي العيش في عالم متعدد الأديان من دون أن يتنكر لدعوته الخاصة، كما يمكِّنه من إعطاء حياة جيرانه وخبرتهم معنىً لاهوتياً)[١].

إن الكاتب هاهنا يحاول أن «يخرج من جلد» اللاهوت البروتستانتي، بل قارب، ولمَّا يبلغ، الأساس اللاهوتي الكاثوليكي لتسويغ الحوار، ولكن مع الهاجس الذي لا يفارقه؛ تحقيق رسالة الكتاب المقدس، بالاستعانة ببعض «التصويبات» الفنية التي تمكنه من إعطاء حياة الآخرين وخبرتهم معنىً لاهوتياً.

٣ ـ (تحديات العلاقات بين الأديان الكبرى):

ألقى «جورج ليونارد كاري» رئيس أساقفة كانتربري، رئيس الكنيسة الإنجليكانية في بريطانيا، محاضرة بعنوان «تحديات العلاقات بين الأديان الكبرى»[٢] في جامعة الأزهر عام ١٩٩٥م. ونظراً للمنزلة

---

(١) المرجع السابق، (٨٤ ـ ٨٥).

(٢) انظر النص الكامل للمحاضرة في مجلة الاجتهاد ٣٠ (٢٠٥ ـ ٢١٥).

الكبيرة التي يتبوأها في العالم غير الكاثوليكي، ولحداثة هذه المحاضرة، فإنها تصلح نموذجاً لاستقراء ما آلت إليه النظرة النصرانية، غير الكاثوليكية، تجاه العلاقة بالمسلمين.

نوَّه المحاضر بأهمية الدين عموماً، والمسيحية والإسلام خصوصاً بوصفهما (أكبر ديانات العالم، وما زالت كلتاهما محتفظة بكامل عنفوانها)[١].

وخلص إلى ترديد ما أكده الرائد اللاهوتي الألماني البرفسور هانز كونج عام ١٩٩٤م أنه: (بدون سلامٍ بين الأديان ستكون هناك حرب بين الحضارات. لا سلام بين الأديانَ بدون حوار بينها، ولا حوار بين الأديان بدون البحث في الأسس)[٢].

ثم حدد المحاضر أربعة أسس لبناء علاقة جديدة بين الديانتين:

(١ ـ الصداقة لا العداء: ... الصداقة هي الإطار الذي يحتوي كل الاختلافات في تواصل، والذي يحتضن المعتقدات المخالفة في حب بدون الانزلاق إلى العداوة والبغضاء...

٢ ـ التفهم لا الجهل: إن جهلنا بعضنا بالبعض الآخر هو أمر مريع. فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة، وهو ينبع من الخوف وسوء الفهم والتعصب...

سوف يكون بإمكاننا انتزاع التطرف الذي يجنح إلى العنف من جذوره إذا ما وقَّرنا عقائد بعضنا البعض، وأدركنا حقيقة أن الإسلام والمسيحية كلاهما باقٍ بقاء قوة الدين على التفرقة بين الخير والشر...

٣ ـ الانفتاح لا الانغلاق: وإذا كان للحوار أن يستمر من خلال

(١) المرجع السابق، (٢٠٥).
(٢) المرجع السابق، (٢٠٧).

الصداقة فلا مناص من أن نتناول مسألة الانفتاح التي تطرح نفسها بإلحاح. فإذا كنا ننشد السلام والتآلف على ظهر هذا الكوكب المزدحم، فيجب أن تكون روح الصداقة والاحترام متبادلة بيننا وبين هؤلاء الذين يخالفوننا في العقيدة. ولكي ننجح في هذا، فإنه علينا أن نواجه المشكلة الأساسية التي تقف عثرة في طريق هذا الانفتاح.

والواقع أن الإسلام والمسيحية ديانتان لهما رسالة يؤديانها. فكلاهما تطرح فرضيات مطلقة، وكلانا لديه الرغبة القوية في نشر دينه. وهذا جزء لا يتجزأ من دياناتنا وهي حقيقة لا تتطلب الاعتذار عنها أو إنكارها، فقد أمر القرآن الكريم المسلمين بهذا في الآية: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ تماماً كما أمر الكتاب المقدس المسيحيين قائلاً: «اذهبوا إلى جميع الأمم وبشروهم بكلمة الله».

ويطرح التساؤل بين الحين والآخر: «هل يمكن للذين يخلصون الإيمان بقلوبهم، ويؤمنون بأن دينهم هو عقيدة ذات رسالة تدعو للحقيقة والقداسة أن يدخلوا في حوار؟» وأجيب: نعم، من الممكن طالما لدينا الاستعداد لسماع الآخرين، وطالما نحن ملتزمون بالسلام والرغبة في الفهم. وكما يعلم الكثيرون في هذا المقام فإنني متمسك لأقصى الحدود بمعتقداتي كمسيحي، ولكن لا يقلل هذا من استعدادي للسماع والتعلم والتزود، ولكن من الضروري بالنسبة لنا أن ندرك أن الطريقة التي نتعصب بها لها انعكاساتها على عقائد الآخرين. فأي من دياناتنا لا يأمرنا بنشر دعوتنا عن طريق الكبر والخداع واللامسؤولية. ولكن هل لدى دياناتنا الاستعداد الصادق لتنمية هذا الانفتاح؟ هل نسعى نحو منح عقائد الآخرين نفس الحقوق التي نمنحها لعقيدتنا؟...

٤ ـ التعاون لا المجابهة: ... نحن لا نستطيع أن نستحمل الانزلاق إلى العداء والمجابهة فنحن في حاجة إلى رسم طرقٍ جديدة للتعاون والسلام المبنيين على الفهم والنوايا الصادقة. فقد ذكرت حتى

الآن الاختلافات بين الأديان. فهذه الاختلافات حقيقة ولا يجب إنكارها كما لا يجب أيضاً أن يفهم منها أنه ليس هناك شيء مشترك بينها. فهناك تفاهم واتفاق أكبر مما نعتقد في بعض الأحيان أو مما تعلمناه. . .

تفتح هذه الاتفاقات الأخلاقية والدينية الباب واسعاً لمزيد من التقدم بين المسلمين والمسيحيين في محاربة قوى الشر الكبرى التي تهدد العائلة الإنسانية. اسمحوا لي أن ألخص الطرق التي يمكن من خلالها تقوية أواصر التعاون:

١ ـ التعاون في محاربة الفقر والشقاء الإنساني. . .

٢ ـ السلام والتآلف بين الشعوب. . .

٣ ـ التسامح والتفهم. . .

لقد تكلمت كداعية مسيحي مخلص تمام الإخلاص لدعوة السيد المسيح، ولكني تكلمت أيضاً كإنسان تعلم على مدار السنين أن يقدر ويشعر بالإكبار نحو الكثير من معتقدات وتقاليد المجتمعات الدينية المخالفة له في العقيدة. . . نحن مطالبون بوضع أسس الحوار بين الأديان والعمل المشترك من أجل الأجيال التي لم تولد بعد، لكي تعيش يوماً ما في عالمٍ يسوده السلام. . .)[1].

إن الطرح الذي تقدم به رئيس الكنيسة الإنجليكانية أمام رئيس جامعة الأزهر، يحمل توجهاً معدلاً للغة الخطاب المطروحة في السبعينيات. إن مشروعه يستبعد أحلام «التقارب الروحي» و«الشهادة المشتركة» وغيرها من الشعارات السائدة في العقود الماضية. إنه ينهج منهجاً «واقعياً» نحو التعايش والسلام والتعاون. ويؤكد على ذات

---

(١) باختصار من المرجع السابق (٢٠٨ ـ ٢١٥).

المعاني الأربعة التي كان يُنادى بها سابقاً، ويُحذِّر من أضدادها، كما كان يُحذِّر منها سابقاً، لكن في هذه المرة، من زاوية الآثار الواقعية، المنافية للتعايش السلمي في كوكبٍ مزدحم، كنبذ العنف والتعصب. وحتى حين يقول: (نعم) للحوار فإن ذلك يأتي في سياق المطالبة بالحريات الدينية. وحين يدعو إلى مشاريع تعاونية مشتركة نجدها مفرغةً من أي مضمونٍ دعوي، مقتصرة على الشعارات الإنسانية المجملة.

لعل هذا العرض لمقالة أحد أركان النصرانية غير الكاثوليكية يفصح عن القناعة التي توصل إليها مجلس الكنائس العالمي أخيراً، من إخراج الحوار من أطره الدينية إلى «مفاوضات» في أسلوب العيش المشترك، كما يتحاور سائر البشر على قضايا حياتية مشتركة، إذ لا جدوى من الحوار اللاهوتي - حسب تعبيرهم - بين ديانتين كل منهما (تطرح فرضيات مطلقة)، وتمتلكان (الرغبة القوية في نشر دينها).

ولعل هذه القناعة هي التي آلت بمجلس الكنائس العالمي إلى إلغاء اللجنة الخاصة بالحوار مؤخراً، وجعل اللقاء بالمسلمين يندرج في إطار العلاقات الدولية[1]. وهو إصلاح إداري يتناسب مع القناعة المشار إليها.

بقي أن نشير إلى أن هذه المحاضرة المفعمة بعبارات الصداقة والسلام والتعاون والتفهم والانفتاح، ألقيت في الوقت الذي كان التعصب الصليبي الحاقد يحصد أرواح المسلمين العزل في بلاد البوسنة والهرسك، ويدك المآذن والمنازل على رؤوس المصلين والسكان الأبرياء. هذا لون، ولون آخر يتمثل في ضراوة النشاط التنصيري الذي تمارسه الإرساليات النصرانية على اختلاف طوائفها في أوساط المسلمين المشردين، مستغلين ضعفهم وبؤسهم وحاجتهم، «لتعميدهم»

---

(١) جان باسيّه: (تصورات بروتستانتية حول الإسلام) مجلة الاجتهاد (٣١/ ٦١).

باسم الآب والابن والروح القدس. فأين النزاهة والاحترام وحماية الحريات الدينية يا ترى؟

أم أن لغة المحافل والمؤتمرات تختلف عن لغة الميدان والواقع؟

وصدق الله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة].

تلك لغة دعاة الحوار ومؤيدوه، أما أعداؤه ومعارضوه من القوم، فلا يستهان بهم كثرةً وحجةً ومنطقاً داخل الدوائر الكنسية، مما ينبغي أن يحمل المتهافتين على موائد الحوار من الإسلاميين على التريث، وعدم التوغل في درب يقال لهم فيه بعد حين: ارجعوا أدراجكم، لا حاجة لنا بكم.

يقول أحد مناوئي الحوار: (ليس بإمكاننا أن نكون مجرد مراقبين للأديان الأخرى. فإنجيل يسوع المسيح يصدر حكماً مسبقاً عليها، إنه يمكّننا من الحكم عليها قبل درسها. هؤلاء يعطون للحياة معنى خارج ذاك الذي أعطاه الله في قصة الكتاب المقدس، الذي تتوجت بيسوع المسيح، وينظمون حياتهم بمعزلٍ عن العهد الذي بيسوع المسيح. فبما أن تلك الأديان تفتقر إلى معرفة الله وقدرته، فهي ليست أعجز من أن تقبل بالناس إلى الناس، بل إنها تقودهم بعيداً عنه، وتبقي عليهم محبوسين في غربتهم. فهذا الحكم الصريح والنهائي... لم يأت نتيجة لدراسة تلك الديانات، إنما هو في صلب مضمون الإنجيل نفسه)[1]. لقد اختصر المسافة، وأصّل القضية، وأصدر الحكم الصريح والنهائي قائلاً: دعونا من العبث.

ولئن اكتفى هذا بمجرد الإعراض والصد عن الديانات الأخرى

---

(١) عن: الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى. (٤٦) The Gospel In Dispute . Edmond. Perry. P. 83

بحجة أن القضية محسومة مسبقاً بالإنجيل، فإن غيره يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول:

(... لقد اقتصر الموقف من الديانات الأخرى على النظر إليها كمجرد كيانات وثنية، غريبة ومنغلقة على عمل الله في التاريخ. إنها مؤسسات مذاهب تناقض المسيحية وليس فيها علامات فداء. الأشخاص فيها فقط مخلّصون، أما هي فلا. فالواجب إذاً أن نواجهها بمواقف إنجيلية من شأنها أن تؤول إلى هدمها كلياً. وبينما نحكم الحصار عليها وندك أسوارها، نحاول أن نخرج من نستطيع ممن هم في داخلها، فننظّفهم، ونعمدهم، ونستعملهم كرأس حربة في عملية الحصار هذه)[1].

بل في أروقة مجلس الكنائس العالمي، نفسه، وأثناء المداولات الداخلية يقول أحد المشاركين: (إن مفهوم «الشهادة المتبادلة» هو من ابتكارات قسم الحوار في مجلس الكنائس العالمي. إنه مفهوم غير كتابي، ولا علاقة له بمفهوم العهد الجديد للشهادة المسيحية)[2]. وهذه النبرة الإنجيلية الأصولية ترتفع تدريجياً.

خلاصة وتحليل:

لقد لفتت مبادرات مجلس الكنائس العالمي للتقريب بين الأديان الأنظار في أواخر الستينيات، وطوال السبعينيات الميلادية، بتتابعها، وانتشارها في أصقاع متنوعة من قارات العالم القديم. فقد عقد المجلس أكثر من خمسة عشر لقاءً دولياً أو إقليمياً خلال عشر سنوات، موزعة في أوروبا وآسيا وأفريقيا[3]. ولكن هذا النشاط الدائب لم يكن

---

(١) المرجع السابق، (٥٠). عن: Sharing Jesus In The Two Thirds World P. 132.

(٢) المرجع السابق، (٥٧).

(٣) سيأتي تفصيل لهذه المبادرات في فصل «المحاولات الجماعية للتقريب بين الأديان» من الباب الثاني.

يخفي وراءه وضوحاً في الرؤية، ومضاءً في العزيمة. بل كان سلسلةً من التجارب المشبعة بروح المغامرة، والرصد لانعكاسات التقارب على الحركة المسكونية.

لقد واجه المجلس بكنائسه البالغة ثلاثمائة وست عشرة كنيسة معضلة العلاقة بين «الحوار» و«البشارة»، وبعبارة أدق: بين «التقارب» و«التنصير»، بصورة أعنف مما واجهته الكنيسة الكاثوليكية. ومرد ذلك إلى أمرين:

١ ـ أن قوام الحركة البروتستانتية والكنائس المتأثرة بها، هو العمل التبشيري، بشقيه العقدي والاجتماعي، ومن ثَمَّ فالحديث عن الحوار، والاقتراب من العقائد الأخرى طعن بأخص خصوصيات الحركة الذي قامت على أساسه، وخيانة لمبادئها. بينما حُلَّت هذه العقدة بالنسبة للكاثوليك بتوسيع قاعدة «الخلاص» وإنْ بصورة جزئية، وربما مؤقتة.

٢ ـ أن مجلس الكنائس العالمي لا يتمتع بالمركزية في صنع «القرار»، كما المجامع الكاثوليكية، فكنائسه المتعددة والمتباينة حرةٌ في اتخاذ ما تراه مناسباً، وليس للمجلس صفة الإلزام. بخلاف الصبغة الكهنوتية لمجامع الأساقفة الكاثوليك، الذي يعتقد الكاثوليك أنفسهم أنها موجهةٌ وملهمة من الروح القدس[١]. ومن ثم فقراراتهم معصومة مقدسة. وبالتالي فالمعارضة داخل الأسرة الكاثوليكية تتعثر بالحرج الديني من جهة، والخوف من النبذ والفصل من سلك الكهنوت، حيث إن «سر السيامة» أصلاً من اختصاص الأساقفة[٢]. ومن ثم يحتاج الأمر

---

(١) راجع التمهيد. مبحث «الكتب المقدسة عند النصارى» (٧١ ـ ٧٧).

(٢) راجع التمهيد. مبحث «الطقوس البدعية الكهنوتية عند النصارى». «الأسرار السبعة» (١٠١ ـ ١٠٢).

إلى درجة عالية من الذكاء، والحيل اللفظية، للالتفاف على القرارات المجمعية. بينما يتمكن البروتستانت والإنجليكان والكالفينيون من الصدع بآرائهم، مستندين إلى سلطة الكتاب المقدس مباشرة، دون وسائط كهنوتية.

لقد تبلور داخل أروقة مجلس الكنائس العالمي ثلاثة تيارات:

(١ ـ التيار الحصري الضيق: وهو الأكثر قوة وسيطرة. إذ أنّه يستند إلى القناعة الثابتة بأن يسوع المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص...

٢ ـ الاتجاه الاشتمالي الاحتوائي: ... وقد قال أتباع هذا التيار.. بتأكيد الوجود والنشاط الخلاصي لله في جميع الأديان. وفي نفس الوقت بالتجلي أو التجسد الكامل والنهائي لله في يسوع المسيح وحده... والمسيحية... فريدة ونهائية، ولكن هذا لا يعني أن أعضاءها وحدهم يستطيعون أو يستحقون الخلاص. إنها الطريق العادية نحو الخلاص، مع وجود طرقٍ «غير عادية» ظاهرة في العالم، وناجمة عن القوة الخلاصية ليسوع المبثوثة في التاريخ البشري.

٣ ـ تيار التعددية: أتباع هذا التيار لا يرون في المسيحية الطريق الوحيد للخلاص، ولا يعتبرون أنها تشتمل وتحتوي وتكمل بقية الديانات. بل يؤمنون بتعدد طرق الخلاص)[1].

وبين قطبي رحى الحصرية Exclusivisme، والاحتوائية Inclusivisme تطاحنت مختلف التيارات. وطوال نصف قرنٍ منذ تأسيس المجلس عام ١٩٤٧م، حتى الآن لم يصدر عن جمعيته العمومية، أو لجنته المركزية،

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٦٤ ـ ١٦٧). وانظر: الحوار المسيحي ـ الإسلامي في الواقع والرؤية. د. طارق متري. في كتاب: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة (١٨٠ ـ ١٨٢).

أو الوحدة التي أنشأها للحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية، قرار ذو صفةٍ عقدية يؤيد التقارب أو ينفيه، وذلك بسبب التجاذبات المختلفة بين أجنحة المجلس ومنظريه. وإنما ظهر تنوع المواقف حيال قضية الحوار، بصرف النظر عن وجود مسوغٍ عقدي له. ويمكن أن نميز ثلاث مراحل:

١ - **المرحلة الأولى**: مرحلة الدراسة، وقد ابتدأت في وقتٍ مبكر إثر انعقاد المجلس عام ١٩٥٥م، حيث شكل مشروعاً دراسياً بعنوان: «كلمة الله والأديان الحية للبشر»، استمر حتى مطلع السبعينيات. وكانت حصيلته الدعوة إلى الانفتاح والحوار مع الإسلام، ومجاراة ما كان سائداً في النصف الثاني من الستينيات إثر المجمع الفاتيكاني الثاني. وكانت ذروة هذه المرحلة مؤتمر «كارتيني» عام ١٩٦٩م، الذي رأىٰ ضرورة الحوار لحمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل وتعزيز التفاهم. وفي ذات العام أنشئت وحدة الحوار.

٢ - **المرحلة الثانية**: مرحلة التجربة العملية: وقد استهلت بإصدار الإرشادات لشرح سياسة وحدة الحوار مع معتنقي الأديان والمثل الحية عام ١٩٧١م وفيها يوصف الحوار بأنه اضطراري ومستعجل ومملؤ بالفرص، ومع ذلك يعترف المجلس أنه لا يوجد لديه رأي موحد، وأن ممارسة المجلس للحوار مغامرة.

وقد استغرقت هذه المرحلة عقد السبعينيات تقريباً، فقد نشط المجلس في تفعيل قضية الحوار على مستويات عالمية وإقليمية، وطرح موضوعاتٍ متنوعة تمس الاعتقاد والعبادة، والدعوة والتبشير، واهتم بتأهيل وتدريب متخصصين في الحوار.

وفي ذات الوقت كان المجلس يقوّم بشكل مستمر تجاربه في كل مؤتمر يضم كنائسه المتعددة، في أديس أبابا عام ١٩٧١م، ونيروبي عام ١٩٧٥م، وشيانغ ماي عام ١٩٧٧م.

٣ ـ **المرحلة الثالثة:** مرحلة حوار البشارة: تبتدئ هذه المرحلة عام ١٩٧٩م، إثر صدور إرشاداتٍ بشأن الحوار في اجتماع اللجنة العامة للمجلس في جامايكا. فقد عُرِّف الحوار بأنه ليس مجرد نشاط اجتماعات ومؤتمرات بل أسلوب حياة للإيمان النصراني، مرتبط بالجيران، يؤدي فيها المحاور الشهادة، ويتذرع بجميع الوسائل الحديثة للوصول إلى مستمعيه.

ومن ثم فقد انحسر عدد المؤتمرات التي يرعاها المجلس بين الأديان بصورة ملحوظة إلى حد إلغاء وحدة الحوار، وإدراجها ضمن إطار العلاقات الدولية للمجلس، فقد استفرغ المجلس وسعه، في السعي لاستغلال الحوار ـ من حيث هو حوار ـ للتنصير، فلم يأت بطائلٍ يرضي طموحه، فاستبقى الاسم ستاراً لمشاريعه، وفرَّغه من المضمون.



المبحث الثالث

حقيقة التقريب بين الأديان عند النصارى العرب

كان بعض الأفراد والقبائل العربية يدين بالنصرانية قبل بعثة النبي ﷺ. ورغم أن معظمهم قد اعتنق الإسلام عبر القرون، إلا أنه قد بقي بقية أصرَّت على عقائدها السابقة إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى أعراقٍ أخرى «استعربت» إبان الفتح الإسلامي المحمول باللسان العربي، كالقبط، والأنباط، والبربر، والأكراد، وغيرهم فصاروا جزءاً من المجتمع العربي رغم تمسك بعضهم بدياناتهم، واعتبروا «أهل ذمة» على نحو ما أوضحنا في «التمهيد» من الناحيتين الفقهية والتاريخية.

يقول السيد محمود شكري الألوسي[1] رحمه الله في «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»: (وصنفٌ منهم على دين النصارى، فقد كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة، وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم. فقد كان العرب يكثرون التردد إلى بلادهم للتجارة. وقد اجتمع على النصرانية في الحيرة قبائل شتى من العرب يقال لهم «العِباد» بكسر العين وتخفيف الباء... وكان بنو تغلب أيضاً من نصارى العرب،

---

(١) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي (١٢٧٣ - ١٣٤٢هـ): مؤرخ عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في رصافة بغداد. وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام، برسائل، فعاداه كثيرون وسعوا به لدى والي بغداد... توفي في بغداد. وله اثنان وخمسون مؤلفاً منها: أخبار بغداد، وتاريخ نجد، وغاية الأماني في الرد على النبهاني. انظر: الأعلام (٧/ ١٧٢ - ١٧٣).

وكانت لهم شوكة وقوة يد. وقد صالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١] في أيام خلافته على ألا يغمسوا أحداً من أولادهم في النصرانية... وكان أهل نجران أيضاً من نصارى العرب)[٢].

وقبل الحديث عن حقيقة التقريب بين الأديان لدى النصارى العرب القاطنين بين ظهراني المسلمين العرب، نلقي نظرة سريعة على ما آل إليه حالهم في العصر الحديث:

لقد كان «الرابح الأول» من المتغيرات السياسية مطلع القرن العشرين الميلادي، هم النصارى العرب، فقد شهد اضمحلال الدولة العثمانية الممثلة للرابطة الدينية الإسلامية، التي تعتبر اليهود والنصارى المقيمين تحت ولايتها «أهل ذمة»، على ما اعترى هذه القضية من مساومات وتنازلات في العقود الأخيرة من العهد العثماني. كما أن النصراني العربي كان «الربيب المدلل» للدول الغربية الكبرى التي تبحث عن موطئ قدم في أراضي الإمبراطورية العثمانية الشاسعة، تمهيداً لتقاسمها بعد وفاة الرجل المريض. فحظيت الطوائف النصرانية المختلفة بحماية وعناية الأسياد، الذين قاموا بتعليم أبناء تلك الطوائف العلوم العصرية، وتأهيلهم للأدوار القيادية في المنطقة. وكان لا بد من ملء الفراغ الفكري الذي خلّفه سقوط الخلافة العثمانية بفكرة جديدة مناسبة، فلا غرو أن كان رواد فكرة القومية العربية من النصارى العرب.

ولا ريب أن النصارى العرب في القرن العشرين قد تبوءوا منزلةً

---

(١) هكذا في الأصل. ولعل صواب العبارة: (وقد صالحهم....) أو (وقد صالحوا...).

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألوسي. شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجة الأثري. المكتبة الأهلية ـ مصر. الطبعة الثانية (١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م). (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

ونفوذاً لا يتناسب قطعاً مع تمثيلهم السكاني، الذي أخذ في الازدياد بفعل تمكين الاستعمار الغربي لهم في المنطقة.

(... وتستفيد الديموغرافيا[١] المسيحية من هذا الوضع الملائم، ويصل ثقلها إلى أوج لم تعرفه قط منذ زمن الحملات الصليبية: ٢٦,٤٪ من سكان الشرق الأدنى «سوريا ولبنان وفلسطين في عام ١٩١٤» و٨,٠٪ في مصر، ولكن مجرد ٢,٢٪ في العراق...)[٢]. كان ذلك في مطلع القرن العشرين حيث نعم النصارى بالمزايا السياسية والاقتصادية والصحية التي قدمها الانتداب الفرنسي والإنجليزي لهم، في مقابل التدهور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والصحي الذي عاناه المسلمون في تلك الحقبة، كما تكشف عنه جداول وفيات الأطفال المقارنة إذ ذاك[٣].

ولكن السنن الإلهية في الكون سرعان ما تعيد الأمور إلى نصابها، أو قريباً منه، فتنحسر الجماعات النصرانية و(تهبط نسبتها: ١٠,١٪ في مجمل الشرق الأدنى «لبنان، سوريا، إسرائيل [فلسطين المحتلة]، الأردن» في عام ١٩٩٠، ٥,٨٪ في مصر. ولم يكن ذلك نتيجةً لأي عنف بل نتيجةً للتفاعل الحر للقوى الديموغرافية)[٤].

ويصور الأمير الحسن بن طلال في كتابه الصادر عام ١٩٩٥م بعنوان «المسيحية في العالم العربي» وضع المسيحيين في العالم العربي المعاصر بقوله: (لا يزال للمسيحية، بمختلف طوائفها وجود ملحوظ في العالم العربي اليوم، في مصر والعراق، كما في الأردن ولبنان

---

(١) الديموغرافيا Demography: (الدراسة الإحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج.. إلخ) المورد (٢٦٠).

(٢) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٣٦٢).

(٣) انظر: المرجع السابق، الجداول (٥، ٦، ٧، ٨) الملحقة بالفصل الثامن.

(٤) المرجع السابق، (٢٦٢).

وسورية، إضافة إلى العرب المسيحيين في فلسطين، وإسرائيل. ولا يوجد مسيحيون محليون في الجزيرة العربية، ولا في البلاد الأفريقية إلى الغرب من مصر، إذ أن جميع المسيحيين في المناطق المذكورة هم من المغتربين العرب أو الأجانب. وتوجد فئة كبيرة من المسيحيين المحليين في السودان، لكنها ليست من أصلٍ عربي، بل إفريقي، وهي محصورة في أغلبيتها في الأجزاء الجنوبية من البلاد.

والإحصاءات المتاحة لأعداد المسيحيين في العالم العربي المعاصر تتفاوت بين رقمٍ مبالغ فيه، وعددٍ متحفظٍ إلى حد إطلاق النذير بقرب زوال المسيحية من بين العرب. ولعل الرقم التقديري المعقول لمجموع المسيحيين في البلاد العربية هو عشرة ملايين، يتوزعون على الأقطار المختلفة على النحو الآتي «متبوعاً بالنسبة المئوية التقديرية لمجموع السكان في كل قطرٍ بين قوسين»:

١ ـ في مصر، ستة ملايين (١٢,٥ بالمئة)[1].

٢ ـ في لبنان، مليونان (٤٠ بالمئة حسب التقدير الرسمي).

٣ ـ في سورية، نصف مليون تقريباً (ربما ستة بالمئة).

٤ ـ في العراق، نصف مليون (حوالي ٣ بالمئة).

٥ ـ في الأردن وبين عرب فلسطين وإسرائيل نصف مليون مقسم بالتساوي تقريباً بين أردنيين وفلسطينيين (٦ بالمئة في كلا الحالين).

هذه الأعداد الضئيلة نسبياً للمسيحيين في العالم العربي المعاصر لا تعادل إطلاقاً الأهمية التي يتميز بها حضورهم الاجتماعي

---

(١) يلاحظ الفرق الكبير في تقدير نسبة الأقباط مع الإحصاءات التي أوردها فيليب فارج ويوسف كرباج لعام ١٩٨٦م حيث بلغ عددهم ٢،٨٢٩،٣٤ أي بنسبة ٥,٨٧٪ من مجموع السكان!

والاقتصادي والثقافي، وحضورهم السياسي في بعض الحالات، في الأقطار التي ينتمون إليها، بل وفي المجتمع العربي قاطبة)[1].

ومع تراجع الفكر القومي العربي، وتنامي الصحوة الإسلامية في الثلث الأخير من القرن العشرين، وتفعيل قضية الحوار الإسلامي النصراني مع العالم الغربي تعود حالة الشعور بالقلق تجاه المستقبل، ومحاولة البحث عن سياق إلى الجماعة النصرانية العربية. لقد كانت «القومية العربية» توفر لهم الإطار المناسب الذي ينضوون تحته دون أن يلحقهم تمييز بسبب مخالفتهم دين الأغلبية. ولكن أعلام القومية نكست منذ هزيمة القوميين العرب أمام إسرائيل، هزيمة نكراء عام ١٩٦٧م. وسرى في عروق الأمة روح العودة إلى الإسلام، واستنهاض العقيدة الإسلامية، وتنامت الصحوة الإسلامية في الأوساط الشعبية بشكل أثار مخاوف أعداء الإسلام في الداخل والخارج.

وفي نفس الوقت نشطت حركة التقريب بين الأديان عموماً، وبين دين الإسلام والنصرانية خصوصاً، على المستوى الرسمي والأهلي مع الغرب النصراني.

فما هو موقف النصارى العرب من هذه القضية تحديداً؟

سنحاول تبين ذلك من خلال بعض الكتابات الصادرة عن الزعامات الدينية لطائفتي الأرثذوكس والكاثوليك العرب في بلاد الشام، وطائفة القبط في مصر، ثم نختم ببيان حقيقة التقريب لدى بعض الجدليين من النصارى العرب.

❁ ❁ ❁

---

(١) المسيحية في العالم العربي (١٢٩ ـ ١٣٠).

أولاً: الأرثذوكس العرب:

ويعرفون بـ «الروم الأرثذوكس»، ويبلغ مجموعهم في البلاد العربية مليوني نسمة تقريباً، معظمهم في سورية. وهم ثاني أكبر طائفة نصرانية عربية بعد الأقباط في مصر[١].

يقول المطران جورج خضر، رئيس أساقفة جبل لبنان للروم الأرثذوكس: (أنا أفهم بسبب من ظلم التاريخ، أن تتجه أنظار المسلمين إلى مسيحيي الغرب إذا أرادوا مخاطبة المسيحية. فعند أهل الغرب القرار السياسي، وعندهم الثروة التي تستثمر ثروات الشعوب المستضعفة. ولكن الحوار لا يكتمل ما لم يجر مع مسيحيي الشرق الذين ذاقوا القهر إلى جانب المسلمين. ويمتاز حوارهم في أنه غير مرتهن للقوة، وفي أنهم ساهموا إسهاماً فريداً كبيراً بنهضة الشعوب العربية منذ القرن الأخير، واعتبروا الإسلام جزءاً من تراثهم القومي، ولم يكتفوا بتذوق حضارته، ولكنهم أحسوا أنهم منها. إن الإنسان إن لم يكن في موقع القوة، قد يكون أكثر صفاءً إن هو حاور. وما من ريبٍ أن المسيحيين العرب يتحسسون الشدائد الواقعة على المسلمين لأنها واقعة على الناس جميعاً. إن انخراط المسيحيين في القضية العربية بالصدق والزخم اللذين عَرَفنا، عاد بالخير العميم على المسلمين لكونهم غالبية العرب.

المسيحيون العرب يحسون بتهميش، إذا انحصر الحوار المسيحي ـ الإسلامي بالتلاقي بين المسلمين وأهل الغرب)[٢].

---

(١) المسيحية في العالم العربي (١٣٠).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية قراءة في الراهن والمستقبل من كتاب العلاقات الإسلامية ـ المسيحية. قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل: مجموعة من المفكرين. المشرف على المشروع: سمير سليمان. مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٤م. (٢١٠ ـ ٢١١).

إن المطران خضر يعرب هنا عن أسفه وعتبه أن يولي المحاورون المسلمون وجوههم شطر الغرب النصراني، غير آبهين بمواطنيهم من النصارى العرب، ويرى أن الحوار بهذه الصيغة لا يكتمل. أما المسوغات التي يمتاز بها المحاور النصراني الشرقي (العربي) - من وجهة نظره - فهي كالتالي:

١ - أنه لا يحاور من موقع القوة، أي قوة القرار السياسي الغربي، وبالتالي فالحوار أكثر صفاءً لكونه غير مرتهن.

٢ - الاشتراك في الملمات والشدائد التي حاقت بالمنطقة وألمت بمسلميها ونصرانييها.

٣ - الدور المتميز للنصارى العرب في نهضة مواطنيهم المسلمين في هذا القرن.

٤ - اعتبار النصارى العرب الإسلام جزءاً من تراثهم القومي، وتفاعلهم معه.

٥ - وأخيراً تبنيهم القضية العربية - وأحسبه يقصد قضية فلسطين خاصة - بصدق.

وهذه الدعاوى متعقبة بما يلي:

أولاً: أن الطرف النصراني العربي طالما اتخذ من موقعه الضعيف مدعاة لتدخل النصراني الغربي في أرض الإسلام قديماً وحديثاً، وتواطأ مع الأجنبي من أبناء ملته ضد مواطنيه المسلمين، بل وحوّل الحوار الذي يصفه المطران جورج خضر بالصفاء وعدم الارتهان إلى ورقة ضغط يلوح بها الأجنبي بإيعاز من حليفه الداخلي.

يقول الدكتور طارق متري - وهو أرثذوكسي أيضاً - واصفاً موقف بعض النصارى العرب: (.. يأخذ بعض المسيحيين العرب على الحوار «مثاليته»، وابتعاده المفترض عن قضاياهم الحياتية الحرجة. وقد ذهب

نفر منهم، لبناني خصوصاً، إلى حد الامتعاض من النظر إلى بلادهم بوصفها مختبراً للعلاقات المسيحية الإسلامية. غير أنهم، فيما ينتقدون الحوار، يعملون على الإفادة منه، وعلى طريقتهم. فيتوسلون الاهتمام المسيحي العالمي بمحاورة المسلمين ليذكروه بواجبه التضامني مع إخوانهم في الدين. وخير مثل نضربه على ذلك، دعوة توجه إلى المسيحيين الغربيين لكي يصروا، لدى المسلمين على مبدأ المعاملة بالمثل حين يتعلق الأمر بأوضاع الأقليات الدينية)[1].

ثانياً: أما دعوى الشراكة في القهر والشدائد الواقعة على الناس جميعاً، فغير مسلَّمة بإطلاق، لا في تاريخ الحروب الصليبية، ولا الاستعمار الحديث.

ثالثاً: ونختلف مع المطران جورج خضر في مفهوم «النهضة» التي نسبها إلى نصارى العرب في هذا القرن. فإنا نعتقد أن الدور الذي قاموا به كان تغييباً للأمة الإسلامية عن دورها وهويتها ورسالتها التي جاء بها نبيها الكريم ﷺ. وأن القوم كانوا جسراً للغزو الفكري الغربي، وبث الأفكار العلمانية والإلحادية في جميع المرافق التعليمية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا تزال الأمة تتجرع غصّات ذلك الأثر السيء، وتجتر عواقبه الوخيمة.

رابعاً: وكثيراً ما يتملق بعض النصارى العرب، المسلمين باعتبار الإسلام تاريخهم الثقافي وحضارتهم، وإن لم يكونوا مسلمين، وربما أعجبت هذه المقولات بعض المسلمين فرددها واستشهد بها، ولعمر الله إنها تحمل في ثناياها من الطعن والإزراء بدين الإسلام، ما يتضاءل ما يبدو إلى جوارها من ثناء وإطراء ظاهري، إذ ما دام الأمر كذلك فما الصارف لهم عن اعتناق الإسلام وقبوله؟ أم هو لحن قولٍ من جنس

---

(١) المسيحية والإسلام: مرايا متقابلة (١٧٧).

قول أسلافهم من أهل الكتاب: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران].

وخامساً: أي منّة يُدِلُّ بها النصارى العرب بانخراطهم في القضية العربية حتى عادت بالخير العميم على المسلمين، على حد تعبير المطران خضر؟.

أي فتح مبين، أو نصر مؤزر جلبه هؤلاء إلى الأمة الإسلامية، بتصريحات قومية صحفية في بعض المحافل والمنتديات يدلي بها بعضهم، حتى إذا ما ادلهمَّ الخطب، كما في الحرب الأهلية اللبنانية تنكروا للمبادئ، وحالفوا اليهود وأعداء الأمة العربية ـ كما كانوا يعبرون ـ وركنوا إلى أبناء ملتهم ضاربين عرض الحائط بالشعارات المصلحية الوقتية. فما الذي جنته شعوب المنطقة الإسلامية بتظاهر هؤلاء بنصرة القضية سوى اختلاط الرايات العمية، في قضية إسلامية صِرفة، وعزل الأمة العربية عن عمقها الإسلامي، وتغذية النعرات القومية الإقليمية، وحل الرابطة الإسلامية، ومن ثم عدم توفر أسباب النصر، وتلاحق الهزائم.

تلك مناقشة لدعوى الدور المتميز لنصارى العرب في قضية الحوار الإسلامي النصراني، كما صوَّره المطران الأرثذوكسي جورج خضر، فماذا عن الحوار نفسه والعلاقة بين الديانتين كما يراها هو أيضاً؟.

كتب المطران خضر في جريدة النهار البيروتية، يوم الأربعاء ١٢ تموز ١٩٧٢م، بمناسبة انعقاد مؤتمر «برمَّانا» للحوار الإسلامي النصراني ما نصه:

(كل حديث عن وحدة الديانتين كما نعرفهما حقاً إنما هو حديث

مجاملة، ولا يقول به رصين. فالله الواحد الذي نعبده نختلف في صفاته اختلافاً بيناً، ولا الإنسان، موصوفاً هنا وهناك واحد. ولا العلاقة بين الله والإنسان واحدة. ولا مفهوم الوحي يجمع. وأهم ما في الأمر أن المسيحية التي يصفها القرآن لا يعرفها المسيحيون على أنها دينهم، وعندهم أن الرسالة الإنجيلية نهائية، وأنها جوهرياً قائمة في الكنيسة. فلا الصلب ولا بنوة المسيح لله مقبولة عند المسلم في حال.

ولا ريب أن ما يغري المسيحيين في الإسلام جانبه الروحي، ولا سيما تراث الصوفية، ولكن بعامة لا تنقاد إليها جمهرة المسلمين، ويأباها علماؤهم. زد على ذلك كله أن منهج النقد الأدبي والنقد التاريخي الذي يستعمله اللاهوتيون المسيحيون في دراسة الكتاب المقدس، يرفض علماء الإسلام تطبيقه على القرآن)[١].

بهذا الوضوح يدرك المطران جورج خضر، الذي (ولد بطرابلس الشام، وترعرع فيها بين المسلمين، واكتسب من هذه النشأة، ومن دراساته معرفة حميمة بالإسلام والمسلمين)[٢] يدرك الفرق الجذري بين أصول الديانتين، وأن الحديث عن وحدة الديانتين ضربٌ من المجاملة، ولا يقول به رصين. بل إنه يحرص في كتاباته على إبراز الفروق العقدية بين المسلمين والنصارى، ويتفنن في العرض لكي يمحص بين ما يمكن أن يتناوله الحوار وما لا يقبل الحوار، فيقول:

(.. إن المسيحي يؤمن بأن المسيح في قوله على الصليب: «قد تم» أبان أنه خاتم النبيين جميعاً، من حيث أنه حقق في ذاته، وفي

---

(١) مواقف أحد. (٧٤). إصدار: دار النهار للنشر.

(٢) جورج خضر والحوار الإسلامي ـ المسيحي: مقاربة لاهوتية. جورج مسوح. مجلة الاجتهاد ٣١، ٣٢/٢١٧.

كمال محبته وعودَ الله كافة، وكشف عمق العلاقة القائمة بين الله والإنسان، فلا مكانة لمستزيد أو تنقيح أو توضيح أو رسالة جديدة. والمسيحي يؤمن أننا مع السيد بتنا في «ملء الزمان» (غلاطية ٤: ٤)، وأنه لا ينتظر إلا حضور المسيح ثانية في اليوم الأخير. وإن امتد بين الحضور الأول في تجسد الكلمة، والحضور الثاني حياة إلهية في الكلية فهي حضرة الباراقليط المعزي «المنبثق من الأب» (يوحنا ١٦: ١٥)، الذي لا يحتمل الإنجيل في ما يصفه به أن يكون بشراً، لكونه روح الله نفسه. فإذا كانت الرسالة الإنجيلية نهائية، كاملة المضمون فلم الحوار؟.

ما لا يمكن المسلم تجاوزه هو أن محمداً خاتمة النبيين. بمعنى أنه صاحب رسالة جديدة، تقيم الإنجيل وتعتبر نفسها مؤيدة له، ولكنها تأتي بأحكامٍ جديدة وتقول: إن «لكل أمة رسول»، تنقح المسيحية القائمة، ولا تنقح الإنجيل الذي أنزل على عيسى، بل تريد المسيحيين أن يعودوا إليه، والقرآن عودة إليه وهو فحواه الحق، ذلك أن عيسى كان مسلماً حنيفاً كما كان إبراهيم، وهو عبد الله ورسوله، ومخلوق كما خلق آدم. وتنكر إلهية عيسى، وتالياً تنكر التجسد كما تنكر الصلب الذي هو محور المسيحية المعروفة، ولعله مضمونها كلها بما كان التعبير عن المحبة الإلهية، وبما آل إليه من قيامة المخلص. «وإن كان المسيح لم يقم، فتبشيرنا باطل، وإيمانكم أيضاً باطل». (١كورنثوس ١٥: ١٤).

فكيف التوفيق، وكل توفيق يبدو هنا تلفيقاً. والحوار بادئ ذي بدء، مرفوض بسبب من أصالة المسيحية وأصالة الإسلام؟ فنحن أمام منظومتين، ليست واحدة منهما قابلة للاختراق أو للتكامل. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فإذا كانت الرسالة أكملت بآخر التنزيل القرآني يكون هذا مناقضاً

لقول السيد على الجلجلة «قد تم» يوحنا (١٩ : ٣٠)[١].

لقد أفصح المطران خضر عن حقيقة التباين والتقابل بين العقيدة الإسلامية، واللاهوت النصراني المحرف، الذي عليه نصارى اليوم، وكان محقاً في أن أي محاولة للتوفيق لا تعدو أن تكون تلفيقاً. فما هي حقيقة الحوار الذي يدعو إليه المطران بصفته الشخصية، ويحضر مؤتمراته بصفته الكهنوتية؟ إنه يصوغ السؤال ويجيب عليه قائلاً: (غير أن السؤال الذي يفرض نفسه هو كيف يمكن للمؤمن أن يتقبل المسألة في أهم ما عنده في الوجود؟ بعض من جواب عن هذا هو أن ثمة تمييزاً بين دينيّ من جهة وتاريخيّ من جهة أخرى. فالتاريخ مليء بالخطايا ومليء بالظلم. وأنا أتباعد عن تاريخ ديانتي بقدر ما كان قهاراً. أنا تجاه المسلم في حالة استغفار، لأن المسيحيين هدروا دمه واضطهدوه، ويقمعونه هنا وثمة، في احتلال بلاده، وكل احتلال إذلال. وأتمنى إن أنا تواضعت أمامه أن يمتحن هو قلبه ليرى ما إذا فعل مثل هذا. هو يسوق نفسه إلى محاكمة تاريخه)[٢].

هذا ـ بحد ذاته ـ هدف واضح لتسويغ الحوار والتقارب رغم الاختلاف التام في الاعتقاد. إنها دعوة إلى مصالحة تاريخية، واعتذارٌ عن مظالم الماضي فقط دون المساس بالعقائد الخاصة. وهذا مفهوم، غير أن المطران خضر يتمادى فيخلط بين ما هو «تاريخي» بما هو «ديني»، فيقول: (بعضٌ آخر من الجواب أن ثمة بوناً بين الوحي وتفسيره. فالمفسرون كلهم بشر، وبينهم تباين. واللاهوتيون وعلماء

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة في الراهن والمستقبل. من: العلاقات الإسلامية المسيحية قراءة مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢١٣). والجلجلة: اسم تلة صغيرة قرب أسوار بيت المقدس، جرى عليها الصلب في زعمهم. انظر: العهد الجديد (٣٥٤).

(٢) المرجع السابق، (٢١٢).

الكلام والفقهاء بشر. ما جانب الإلهية في ما أتوا به، وما جانب الناسوتية المعرض للزلل؟)[١].

لقد حام المطران حول الحمى ثم وقع فيه حين قال: (الحوار ليس اختراق الأنظومتين الإسلام والمسيحية، ولكنه اختراق ميراثين تاريخيين بما يتضمنان ما حُسب خلافاً، وما كان بخلاف. فهل صحيح مثلاً أن الإنجيل محرف؟... من هم هؤلاء النصارى الذين يذكرهم القرآن وينسب إليهم ما ينسب من عقائد؟ هل كانوا أسلاف المسيحيين المعروفين اليوم؟... إذا صحت نظريتنا يكون مسيحيو اليوم غير معنيين بما يقوله القرآن عن النصارى إلا بما كان مشتركاً بينهما... ليس هذا مفهوم بنوة المسيح لله عند المسيحيين... الثالوث الذي يرفضه القرآن هو غير الثالوث الذي تقول به الكنيسة، ونرى أنفسنا بالتالي في حربٍ لا مسوغ لها...

لقد أتيت مستفيضاً على كل ذلك ليس مناظراً للمسلمين، ولكن استدلالاً على أن البحث التفسيري في القرآن ممكن وروده على غير الطرق المألوفة دون تخطئة القرآن. ولعل المسلمين مدعوون للحديث عن المسيحية كما تتحدث هي عن نفسها، وقد أخذت تعي كتبها من منظار نقدي تاريخي منذ ثلاثة قرون، غير خارجة بذا عن تاريخ آبائها الذين قاربوها هم أيضاً من منظار تاريخي فيه الكثير من النقد التاريخي والحضاري. ولعل المسلمين مدعوون أيضاً أن يبحثوا في القرآن من هذا المنظار، بعد أن تعلموا منهج العلوم النقدية وطبقوها على الكتاب المقدس. فإذا ما سوغوا لأنفسهم البحث في العهدين القديم والجديد، كما يبحث في ذلك الألمان ومن اتبعهم من أهل الغرب والشرق فلماذا

(١) المرجع السابق، (٢١٢).

لا يسوغون لأنفسهم استعمال الأسلوب نفسه في الأبحاث القرآنية دون أن ينكروا الوحي القرآني؟)[١].

● وعلى هذه الدعاوى السابقة التعقيبات التالية:

أولاً: لقد وقع المطران خضر في تناقض فاضح. فبينما يقرر مراراً أن (كل حديث عن وحدة الديانتين كما نعرفهما حقاً، إنما هو حديث مجاملة ولا يقول به رصين)[٢]، ويتساءل بصدق: (كيف التوفيق وكل توفيق يبدو هنا تلفيقاً. والحوار بادئ ذي بدء مرفوض بسبب من أصالة المسيحية وأصالة الإسلام؟ فنحن أمام منظومتين ليست واحدة منهما قابلة للاختراق أو قابلة للتكامل)[٣]. نجد أن المطران الرصين قد شرع في محاولة الاختراق لأمهات القضايا التي نصبها بنفسه أمثلةً للتقابل والمناعة، وهي إنكار القرآن لعقائد التثليث والبنوة والصلب وختم النبوة بالمسيح.

ثانياً: حاول المطران خضر أن يسلخ المعتقدات الإسلامية الآنفة الذكر من أصولها القرآنية، ويلبسها ثوب التراث التاريخي الذي شَكَّلَهُ في زعمه المفسرون والفقهاء، ببساطة متناهية، وتأويلات متهافتة[٤]، ولكنه لم يلتفت للتراث التاريخي الذي خلفه اللاهوتيون وآباء الكنيسة، ولم يشرع في اختراقه ـ على الأقل، من باب المعاملة بالمثل ـ وقصارى الأمر أن اكتفى بالاعتذار عن المظالم التاريخية فقط، وتمنى أن يعامل بالمثل.

ثالثاً: كيف يطالب المطران خضر المسلمين ـ وحاشاهم ـ بإخضاع

---

(١) المرجع السابق، (٢١٢ ـ ٢١٨).
(٢) مواقف أحد (٧٤). تقدم النص كاملاً (٤٣٤).
(٣) العلاقات الإسلامية المسيحية. (٢١٣) تقدم النص كاملاً (٤٣٦).
(٤) المرجع السابق، (٢١٥).

القرآن الكريم لمعاول النقد التاريخي التي أهوى بها المستشرقون والملحدون والزنادقة على كتاب الله العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت]. بل ويعتبر ذلك من مقتضيات الحوار فيقول في مقالة نشرتها جريدة النهار البيروتية في ١١/ ١/ ١٩٩٢م، تحت عنوان «هل من حوار إسلامي مسيحي؟»: (الحوار يقتضي منهجاً أكاديمياً صارماً، ولست أرى أسلوباً له سوى النقد التاريخي الذي يقرأ كل كتاب ـ بما في ذلك الكتب المقدسة ـ على الخلفية التي ظهر منها)(١).

ولئن ارتضى نصارى اليوم، ومنهم أسقف جبل لبنان للروم الأرثذوكس نقد ما يزعمونه كتباً مقدسة إلهية عندهم، لإدراكهم التام أن أيدي العبث والتحريف نالت منها، ولا أدل على ذلك من تباين نسخها وتعددها بل واضطرابها وتناقضها(٢)، لئن سوغوا لأنفسهم ذلك فإن المسلمين ـ بحمد الله ـ لم ولن تهتز ثقتهم وإيمانهم بسلامة القرآن من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، لما تحقق له من أسباب السلامة والصيانة والحفظ التي يستحيل معها وقوع تغيير أو تحريف تحقيقاً لوعد الله القاطع بحفظ الذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

والمطران خضر يدرك هذه الحقيقة جيداً، فقد قطع الله طمع كل مغرضٍ يطمح إلى التشكيك في سلامة النص القرآني. ولكنه يحتال على ذلك بدعوى البحث التفسيري على غير الطرق المألوفة دون تخطئة القرآن، على حد تعبيره، ولا يخفى على مسلم يقرأ القرآن أن المسائل التي ينازع فيها المطران خضر قد وردت في القرآن في عدة مواضع

---

(١) عن مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٢٢١).

(٢) راجع مبحث الكتب المقدسة عند اليهود (٣٦ ـ ٤٤)، والكتب المقدسة عند النصارى (٧١ ـ ٨١).

صريحة واضحة لا تحتاج إلى تفسير مفسر أو تفصيل فقيه. كما أن من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم]. قد أكد ما جاء به القرآن في سنته القولية والعملية[١].

وحسب المطران خضر وأمثاله من نصارى العرب، المنادين بالحوار أن يكتفوا بالدعوة إلى الاعتذار عن مظالم التاريخ، وأن لا يستزلهم الشيطان ـ وقد فعل ـ إلى المساس بالعقيدة الإسلامية المتينة. وخير لهم أن يمعنوا بإخلاص في نقد كتبهم المقدسة علَّه يتبين لهم ما داخلها من وثنية الرومان واليونان، ويعودوا إلى التوحيد الحق الخالص الذي كان عليه عيسى عليه السلام، وجاء به عبد الله ورسوله محمد ﷺ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

تلك نظرات كبير من أساقفة الأرثذوكس العرب، المطران جورج خضر، في قضية الحوار والتقارب، وهو يتمتع بحضور قوي في المنتديات الدينية والسياسية والثقافية، ويعلن آراءه في الصحف السيارة وغيرها من القنوات الإعلامية، وهو يؤسس مشروعه في التقريب بين النصرانية والإسلام على دعوى التمييز بين ما هو ديني وما هو تاريخي، بحسبان أن الاختلافات العقدية الكبرى بين الإسلام والنصرانية مردها إلى خطأ المفسرين في فهم موجبات تكفير النصارى، وفي تنزيلهم تلك الموجبات على من يسميهم «المسيحيين».

أولاً: التثليث:

يزعم المطران جورج خضر أن التثليث المذموم في القرآن غير التثليث الذي يقول به النصارى!.

فيقول: (الثالوث المنسوب إلى المسيحيين تسوده الآية الـ١١٦ من

---

(١) راجع مبحث أهل الكتاب في التمهيد.

المائدة. وهذا ما فهمه تفسير الجلالين بوضوح. فعندما يورد: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١] يوضح أن الثالوث هو الله وعيسى وأمه. ويورد في تفسير سورة المائدة الآية الـ(٧٣): ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ إن الثلاثة هي آلهة أي «أحدها الله، والآخر[1] عيسى وأمه، وهم فرقة من النصارى». وزعم الإمام البيضاوي أن النصارى عبدوا عيسى وأمه إلهين يتوصلون بها إلى عبادة الله، ويكون هذا شركاً. ومن الواضح أنه اختلط عليه قضية شفاعة مريم أو توسلها إلى الله، وهذا ليس فيه عبادة أو تأليه. وفسر الإمام الرازي الآية بقوله إن النصارى يقولون إن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم، هو عيسى عليه السلام ومريم، والله تعالى ما خلقهما[2]، وبالتالي يكون عيسى وأمه إلهين، ومن الواضح أن هذا ينافي كل ما ورد عند المسيحيين، فالمسيح ما كان ينسب إلى ناسوته قدرة عمل مستقلة عن الله: «أنا لا أستطيع أن أعمل من نفسي شيئاً» يوحنا ٣٠: ٥. ومن الواضح أن الكنيسة لا تنسب إلى مريم، أو أولياء الله قدرة قائمة فيهم. «إلهين من دون الله» تبقى مصطلحاً من الشرك العربي، أطلق على الثالوث المسيحي.

نحن لا نعرف إلا فرقة ذكرها القديس أبيفانيوس القبرصي في القرن الرابع، كانت تقدم قرابين لمريم، ونشتم بكثير من الغموض عند هذه الفرقة تأليهها لمريم. ولكن بعد ذلك لم يوثق استمرار هذه الفرقة في الجزيرة. ومهما يكن من أمر، فالكنيسة الرسمية لم تعرف شيئاً من هذا. فيكون إن الثالوث الذي يرفضه القرآن هو غير الثالوث الذي تقول

(١) هكذا. والذي في الجلالين: (والآخران).

(٢) هكذا. والذي في التفسير الكبير: (ماخلقها).

به الكنيسة، ونرى أنفسنا بالتالي في حربٍ لا مسوغ لها)[١].

ويبدو للوهلة الأولى أن الخلاف غير مؤثر على النتيجة، فظاهر السياق يشعر أن المطران خضر ينازع في تعيين أحد أركان الثالوث أهو مريم أم الروح القدس؟ ـ بصرف النظر عما تضمنه النقل من ملاحظات أخرى ـ إلا إنا نجده يؤسس دفاعه على فكرة غريبة مفادها أن العرب: (كانوا يؤلهون القمر ويزوجونه الشمس فتنتج الزهرة من هذه المجانسة. إنها العقيدة الوثنية المعروفة بالثالوث الكوكبي. هذا هو الشرك الذي على خلفيته يفهم العرب أن مقولة «ابن الله» مقولة جنسية: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. والشرك في أن العرب القدامى جعلوا لله بنات. النحل (٥٧) والقرآن يرفض هذا النوع من البنوة)[٢].

ونجيب قائلين إن القرآن أبطل جميع أنواع الشرك سواءً ما كان منها مؤسساً على فكرة جنسية وثنية، أو ما كان سوى ذلك. وهذا إن دل على شيء: فإنما يدل على تأثر النصرانية المحرفة بالوثنية. كما أن هذا التخريج الذي زعمه المطران لا يغير من أصل الحقيقة شيئاً، سواءً كان الأقنوم الثالث مريم فتتبادر فكرة الزيجة ـ تعالى الله عن ذلك ـ أو كان الروح القدس، فالكل شرك.

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية ـ قراءة مرجعية في التاريخ الحاضر والمستقبل (٢١٦ ـ ٢١٧).
وليس أمر اعتبار مريم أحد أركان الثالوث عند النصارى بهذه الدرجة من التجاهل التي يبديها المطران جورج خضر، يقول روجيه جارودي: عندما نُبذت... فكرة أن مريم هي الشخص الثالث في الثالوث لدى المسيحيين، فإن إدانة هذه العبادة «عبادة مريم» كان لها على وجه الدقة تاريخها، كان أوريجين قد هاجم هذه البدعة لدى الكوليريديين، ولدى شعب الأورفيت، الذي كان لا يميز مريم العذراء من روح القدس) الإسلام (١١٢).

(٢) مقالة: «هل من حوار إسلامي مسيحي؟» جريدة النهار ١١/١/١٩٩٢م.

بقي أن نستدرك على المطران خضر ما استدركه على الإمام البيضاوي ﵀ حين رماه بالخلط بين قضية طلب الشفاعة من مريم، ودعائها، والتوسط بها إلى الله، وبين العبادة، حيث لا يرى المطران في ذلك عبادةً وتأليهاً. لكن المسلمين الموحدين يعتقدون أن الدعاء حق خالصٌ لله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن]. وأن الشفاعة لله جميعاً، كما قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فالشفاعة تطلب من الله تعالى. وهو سبحانه يهبها من شاء من عباده، فمن صرف الدعاء والشفاعة لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن التوحيد. وبالتالي فاتخاذ النصارى مريم ﵍ إلهاً، حاصل عملياً وإن لم يعتبروها أقنوماً كما شدد على ذلك المطران خضر، واعتبره قولاً شاذاً لفرقة مندثرة.

ثانياً: بنوة المسيح:

يجهد المطران جورج خضر نفسه ـ مرة أخرى ـ في صرف دلالة القرآن عن معتقد نصارى اليوم، وما يتبع ذلك من لوازم التكفير والتضليل. فيقول: (فإذا قرأنا: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ٨٨﴾ [مريم] ومثيلاتها من الآيات، وكان لنا شيءٌ من قراءة التاريخ الكنسي، لا نستطيع أن نرى هذه الآيات طاعنة بالمسيحية كما نعرفها، فهي ترفض هذا الاتخاذ، أي رفع مخلوقٍ إلى مصاف الألوهية. ولكن الاتخاذ كان بدعة معروفة بالتبنوية، وقالت بها الغنوصية التي ذهبت إلى أن الله جعل المسيح ابنه عند اصطباغه في نهر الأردن. المسيحيون ليسوا معنيين بهذا التكفير. وإذا قالت سورة الإخلاص عن الله إنه لم يلد ولم يولد، فالمسيحية تقول: إن الله من حيث هو جوهر إلهي لا يتجزأ، ولم يلد ولا يولد من سواه. وإذا أخذنا الولادة أفلا ينفيها القرآن صراحة عن الملائكة، ويكفر القائلين بأنهم بنات الله، ويكون هذا رداً على الجاهلية.

ينزه القرآن الله عن أن يكون له ولد. ذلك لأن هذه المفردة «ولد» ذات معنى حسي ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. ليس هذا مفهوم بنوة المسيح لله عند المسيحيين الذين ينزهون الإله غير الحسي أن يكون ذا صلة بمريم حسية. إنه مفهوم العلاقة الأزلية بين الله والكلمة. قبل اتخاذه صورة بشرية. وهذا في زعمي غير مكفر في القرآن لمجرد غيابه عنه)[١].

غير خافٍ من السياق أن المطران خضر في سبيل رفع وصمة التكفير يحاول التفريق بين مادة «الولادة» ومادة «البنوة»، في حين إن اللغة لا تفرق بينهما. قال الفيروزآبادي[٢]: (الابن: الولد... وألحقوا ابناً الهاء فقالوا: ابنة)[٣]. وجعل الله الأولاد شاملاً للبنين والبنات، فقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. ها هو ذا المطران خضر في كلامه السابق يثبت نفي القرآن للولادة بنفي مقالة القائلين الملائكة بنات الله. فكذلك نقول نحن فيمن قال عيسى ابن الله. ثم إن القرآن لم يقتصر على النكير على من زعم اتخاذ الله للولد، بل عبر صراحة بلفظ «الابن» الذي يلتزمه سائر النصارى فقال:

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢١٦).

(٢) الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، أبو طاهر، مجد الدين الفيروزآبادي، إمام اللغة والأدب، ولد سنة ٧٢٩هـ، بشيراز، وتنقل في البلدان حتى ذاع صيته، وتوفي في زبيد سنة ٨١٧هـ، أشهر كتبه «القاموس المحيط»، «المفاهيم المطابة في معالم طابة»، وينسب إليه «تنوير المقباس في تفسير ابن عباس»، «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز».
الأعلام (٧/ ١٤٦)، البدر الطالع (٢/ ٢٨٠)، الضوء اللامع (١٠/ ٧٩)، التاج (٤/ ٦٧)، العقود اللؤلؤية (٢/ ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٩٧)، أزهار الرياض (٣/ ٣٨).

(٣) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م). (٤/ ٤٤٢).

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

وهكذا لا نرى فرقاً بين نصارى الأمس ومسيحيي اليوم ـ كما يسمون أنفسهم ـ في هذه القضية أيضاً.

ثالثاً: الوهية المسيح وعقيدة «التجسد»:

يقول المطران جورج خضر: (أليس التجسد شبيهاً بالقرآن، «لوحاً محفوظاً»، كلاماً غير مخلوق، اتخذ شكل كلمات قابلة للإعراب، ومتصلة بتاريخ العرب وحضارتهم، ولها أسباب نزول متعلقة بحياة الرسول، ومنها بعض كلمات أعجمية متصلة بحضارة الفرس. نحن نقول عن المسيح ما يقوله المسلمون عن القرآن، المسيح هو قرآننا... لو اتخذنا بشراً اسمه «عيسى»، وأقمناه في الألوهية لكنا مشركين، ولكنا نتخذ كلمة الله «وإلهاً كان الكلمة» يوحنا: ١٠١، ونقيمه في البشر «والكلمة صار جسداً» يوحنا ١٤:١. هذا التوضيح ضروري لكي يصحح المسلمون نظرتهم إلى الأحداث التاريخية وتسلسلها في ما يخص حياة يسوع المسيح. فالمسلمون يعتقدون، مستندين في ذلك على الآيتين القرآنيتين: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم]، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم] وغيرهما من الآيات، أن المسيحيين قد رفعوا ولداً إلى مرتبة الألوهية. وهذا خطأ، لأنهم يؤمنون أن كلمة الله الذي هو إله منذ الأزل، قد صار إنساناً في التاريخ، من دون أن يتخلى عن ألوهيته)[1]. ويقول أيضاً: (إن القائلين بأن كلام الله غير مخلوق كانوا على حق. السؤال المطروح هو معرفة ما إذا كان عند الله كلام أو كلمة واحدة تنحدر منه الكلمات، كل الكلمات التي

---

(١) هل من حوار إسلامي مسيحي. جريدة النهار. ١١/١/١٩٩٢م.

كانت قبله أو جاءت بعده؛ وهل هذه الكلمة المعيار الوحيد لحقيقة الكلمات؟ بعد هذا ليس من صعوبةٍ أن يسكن الكلمة جسداً، أن يظهر بشراً، لماذا يعقل أن يلبس الله لباس كلمات في كتاب، ولا يعقل أن يلبس جسداً؟ أليست الألفاظ واللغة والكتب جسداً؟ أن نقول إن كلام الله في هذا الكتاب أو ذاك، غير مخلوق، وأن نقول إن الكلمة الذي حل فينا غير مخلوق، قولان في معقولية واحدة)[1].

إن المطران يستشفع لعقيدة الحلول الوثنية بفهم خاطئ لعقيدة أهل السنة والجماعة في كون القرآن غير مخلوق. لقد توهم أن دلالة هذه الجملة: أن كلام الله الذي هو صفة من صفاته استحال ألفاظاً وألواحاً وكتباً مخلوقة، أو سكن أو تلبس أو تجسد فيها، ليسلم له بالتالي أن تكون كلمة الله حلت جسد المسيح وتلبست به وسكنته فصار إلهاً بالكلمة.

إن المسلمين المتبعين للكتاب والسنة، لا يعتقدون مطلقاً أن صفة من صفات الله حلت في مخلوق كالمداد والأوراق، أو تلبست بالأصوات والأدوات، أو سكنت في الألسن أو الآذان. ولهذا يفرقون بين القراءة والمقروء، والكتابة والمكتوب. فالصوت صوت القارئ والكلام كلام البارئ. والكتابة خط الكاتب، والمكتوب كلام الخالق سبحانه. قال الإمام البخاري رحمه الله: (سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة. قال أبو عبد الله: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم مخلوقة. فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف، المسطور، المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق. قال الله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وقال

---

(١) الكلمة والجسد. عن مجلة الاجتهاد. العددان (٣١، ٣٢) (٢٢٢).

إسحاق بن إبراهيم: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها؟ قال الله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج] فذكر أنه يحفظ ويسطر، قال: «وما يسطرون»)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكر اضطراب الناس في مسألة اللفظ: (.. إذا رجع أحدهم إلى فطرته، وجد الفرق بين أن يشير إلى الكلام المسموع، فيقال: هذا كلام زيد، وبين أن يقول: هذا صوت زيد. ويجد فطرته تصدق بالأول وتكذب بالثاني. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال النبي ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»، وكل أحد يعلم بفطرته ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري...)[٢]. ثم ذكر بدعة «اللفظية المثبتة» فقال: (وكذلك أنكر بدعة «اللفظية المثبتة» ـ الذين يقولون: إن لفظ العباد، أو صوت العباد به غير مخلوق، أو يقولون: إن التلاوة التي هي في فعل العبد وصوته غير مخلوقة ـ الأئمةُ الذين بلغتهم هذه البدعة مثل الإمام أحمد بن حنبل، وأبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح ـ وسرد بعدهما اثنين وعشرين إماماً ثم قال: ـ ومن شاء الله تعالى من أئمة أهل السنة وأهل الحديث، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم، ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن، أو صوته به، أو غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن غير مخلوقة. ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره)[٣].

---

(١) خلق أفعال العباد: البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد السعيد بسيوني. مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة. (٣٤). رقم (٩٧) وقال: إسناده صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٤٢١ ـ ٤٢٢).

إن محاولة المطران خضر تأنيس القول بألوهية المسيح، وتجسد الكلمة، للمسلمين بقياس ذلك على كون كلام الله «القرآن» غير مخلوق محاولة فاشلة، وقياس فاسد مرفوض، قد تنبه لمثله الأئمة من قبل فأنكروه. ومن ثم فليس المسلمون بحاجة لأن يصححوا نظرتهم، فما نطق به القرآن قبل أربعة عشر قرناً عن عقائد النصارى، وما يعتقده نصارى اليوم سواء.

ثانياً: الكاثوليك العرب:

في شهر أغسطس من عام ١٩٩١م تأسس «مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك». وهو مكون من الكنائس الشرقية التي اتحدت مع الكنيسة الكاثوليكية، في روما وخضعت لها، مع محافظتها على طقوسها الخاصة. وعرفت باسم الكنائس الكاثوليكية الاتحادية. وأقدمها اتحاداً وتبعية لكرسي روما الكنيسة المارونية في لبنان (ق١٢م)، ثم الكنيسة الآشورية «الكلدانية» (ق١٦م) في العراق، وأخيراً كنائس «الروم الكاثوليك»، و«الأرمن الكاثوليك»، و«السريان الكاثوليك» (ق١٧م) في بلاد الشام، بالإضافة إلى الكنائس اللاتينية التي أنشأها المبشرون الكاثوليك في المنطقة، واجتذبت بعض السكان المحليين[(١)].

وقد أصدر المجلس الذي يضم بطاركة هذه الكنائس[(٢)] بضع رسائل إلى رعاياهم، ومعظمهم من النصارى العرب، لبيان مواقف كنائسهم الموحدة من الأحداث الراهنة، وتوجيههم. ولا يعزب عن

---

(١) انظر: الفصل التاسع من: (المسيحية في العالم العربي). (١٠٧ ـ ١١٥).

(٢) وهم: (بطريرك الإسكندرية للأقباط الكاثوليك. ٢ ـ بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والإسكندرية وأورشليم للروم الملكيين الكاثوليك. ٣ ـ بطريرك أنطاكية للسريان الكاثوليك. ٤ ـ بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للموارنة. ٥ ـ بطريرك بابل للكلدان. ٦ ـ البطريرك الأورشليمي للاتين. ٧ ـ بطريرك الأرمن الكاثوليك.

البال أن إنشاء هذا المجلس جاء في أعقاب الحرب الأهلية اللبنانية ذات الطابع «العقدي» و«الطائفي»، التي استمرت زهاء خمسة عشر عاماً (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠م)، وأثارت المخاوف الكبيرة حول مستقبل النصارى في المشرق العربي[١]. كما أن هاجس «الصحوة الإسلامية» المتنامية في المنطقة العربية، والعالم بأسره كان ماثلاً.

جاء في رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك، الأولى، الصادرة عام ١٩٩١م ما نصه: (إن عيشنا المشترك الذي يمتد على قرون طويلة يشكل، بالرغم من كل الصعوبات، الأرضية الصلبة التي نبني عليها عملنا المشترك حاضراً ومستقبلاً، في سبيل مجتمع متساو ومتكافئ لا يشعر فيه أحد، أياً كان، أنه غريب أو منبوذ. إننا ننهل من تراثٍ حضاري واحد نتقاسمه، وقد أسهم كل منا في صياغته انطلاقاً من عبقريته الخاصة. إن قرابتنا الحضارية هي إرثنا التاريخي الذي نصر على المحافظة عليه، وتطويره، وتجذيره، وتفعيله كي يكون أساس عيشنا المشترك وتعاوننا الأخوي. إن المسيحيين في الشرق هم جزء لا ينفصل عن الهوية الحضارية للمسلمين، كما أن المسلمين في الشرق هم جزء لا ينفصل عن الهوية الحضارية للمسيحيين. ومن هذا المنطلق فنحن مسؤولون بعضنا عن بعض أمام الله والتاريخ. ولذا يتحتم علينا أن نبحث، بشكل مستمر، عن صيغة، لا للتعايش فحسب، بل للتواصل الخلاق والمثمر الذي يضمن الاستقرار والأمان لكل مؤمن بالله في أوطاننا، بعيداً عن آلية الحقد والتعصب والفئوية ورفض الآخر)[٢].

وفي السنة التالية ١٩٩٢م أصدر المجلس الرسالة الثانية بعنوان:

---

(١) انظر على سبيل المثال مقدمة كتاب: (حياة مسيحيي الشرق وموتهم. من البدايات حتى أيامنا) للفرنسي المتعصب: جان ـ بيار فالونيو.
(٢) رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك الأولى.

(الحضور المسيحي في الشرق: شهادة ورسالة. رسالة راعوية مشتركة يوجهها بطاركة الشرق الكاثوليك إلى مؤمنيهم في شتى أماكن وجودهم). خصص الفصل السادس منها للحديث عن «حضور الحوار» جاء فيه: (.. الحوار موقف روحي قبل كل شيء، يقف فيه المرء أمام ربه محاوراً، فتسمو نفسه، ويطهر قلبه ووجدانه، فينعكس ذلك على حواره مع نفسه وعلى حواره مع الآخرين، أفراداً وجماعات...

ويعني الحوار مع الآخر معرفته والتعرف عليه والاعتراف به، معرفته كما يعرف هو نفسه، والتعرف عليه بكامل شخصيته، والاعتراف به كمكمل لنا أكثر منه خصماً أو منافساً أو عدواً. وذلك بعيداً عن الأفكار المسبقة من أي نوعٍ كانت، والمصالح والأنانيات. في مثل هذه الأجواء يتحول الحوار إلى غنى متبادل من غير أن يتنازل أي من الطرفين عن ذاته أو عن تراثه أو عن شخصيته أو عن كيانه. ولا ريب أن التعصب بكافة أشكاله ـ باسم الله أو الدين أو القومية أو الطائفة أو الأرض أو العرق أو اللغة أو باسم الانتماء الحضاريّ أو الثقافي أو الاجتماعي ـ هو عدو الحوار الأول)[1].

ثم يتوجه الحديث إلى الحوار مع المسلمين خاصة، فتقول الرسالة: (إن حوارنا هو حوار مع إخوتنا المسلمين قبل كل شيء. إن العيش المشترك بيننا على مدى قرونٍ طويلة، يشكل خبرة أساسية لا عودة فيها، وجزءاً من مشيئة الله علينا وعليهم. وفي الوقت الذي فيه تبحث المسيحية والإسلام معاً في عالمنا عن صيغة للتواصل والحوار والتلاقي، يجدر أن تستجوب خبرة كنائسنا في هذا المضمار، علماً بأن هذه الكنائس تود أن تكوّن جسراً من الحوار بين الشرق والغرب، بين

(١) الحضور المسيحي في الشرق. شهادة ورسالة: مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك. المطبعة البولسية. الطبعة الثانية ١٩٩٥م. (٤٢، ٤٣).

المسيحية والإسلام، لما لنا من قرابة إيمانية مع الغرب المسيحي، وما لنا من قرابة حضارية مع الشرق المسلم)[1].

ثم تفصح الرسالة عن الهم الدائم لدى نصارى الشرق، فتقول تحت عنوان مسؤولية متبادلة: (في زمن المخاض الحالي الذي يجتاح عالمنا العربي، يبقى أن إحدى المشاكل الكبرى التي يواجهها، هي علاقته مع مختلف الفئات الوطنية على اختلاف معتقداتها. إن المسيحيين والمسلمين تشاركوا في «العيش والملح» قروناً طويلة. وهذا ما يلقي على الطرفين مسؤولية متبادلة. فالإسلام يتحمل مسؤولية كبرى في هذا المجال، إذ أنه مدعوٌ إلى تطمين المؤمنين المسيحيين الذين يعيشون معه في الوطن الواحد. إن المسلم في الشرق لا يستطيع أن يطور أيَّ مشروعٍ لنظامٍ اجتماعيٍ وسياسيٍ من غير أن يأخذ بالحسبان الجماعة المسيحية بشكلٍ يعطيها الثقة، لا بأن حقوقها الدينية محفوظة فحسب، بل أيضاً بأنها جزءٌ لا ينفصل عن حياة المجتمع، وكاملة العضوية في الجماعة الوطنية، بما فيها من حقوقٍ وواجبات. والمسيحيون من جانبهم يتحملون مسؤولية مماثلة تدعوهم إلى التخلص من العقد الاجتماعية والنفسية، التي خلفها لهم التاريخ... وحبذا لو تشكلت منابر أو مؤسسات حوارية، فيها نلتقي بشكل دوري كي نبلور ونطور معاً نمط تواصل وتبادل وتعاون يعود بالخير على الجميع)[2].

أما مخلفات التاريخ التي تدعو الرسالة إلى التخلص من آثارها الاجتماعية والنفسية فيكشف عنها النص التالي: (إن الظروف التاريخية التي عاشتها المنطقة والمسيحيون في بلادنا، منذ أكثر من قرن من

---

(١) الحضور المسيحي في الشرق شهادة ورسالة (٤٣).

(٢) المرجع السابق، (٤٥، ٤٦). وقد وجه المجلس رسالة مماثلة إلى اليهود (٤٦، ٤٧).

الزمان[١]، أعطت الانطباع بأن المسيحيين يتطلعون إلى الغير طالبين منهم ضمان وجودهم وحمايتهم. أضف إلى ذلك الرغبة الأجنبية في الهيمنة على الشرق، مما حمل إلى الظن أن الرهان المسيحي هو الطريق السهل في بعض الأحيان للوصول إلى هذه الغاية. وهذا ما أدى إلى الاعتقاد السائد أن المسيحيين في الشرق فئة غريبة عن المنطقة، مع العلم بما قامت به شخصيات مسيحية، رائدة وفريدة وشجاعة، من نضال في سبيل التحرر القومي، والاستقلال الوطني، والتطور الثقافي. مهما يكن من أمر، فإن كنائسنا ترفض أي تغريب ثقافي أو سياسي، وتؤكد تضامنها واندماجها الملتزم بمجتمعاتها، من منطلق إيمانها وهويتها ودعوتها ورسالتها، في هذا المنعطف الخطير من تاريخ المنطقة)[٢]. وفي الوقت نفسه يعلن البطاركة قائلين: (وفي هذه المناسبة نود أن نعلن ما يربط كنائسنا الكاثوليكية في الشرق من شركة الإيمان والمحبة مع كرسي روما)[٣].

وفي عام ١٩٩٤م أصدر مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك رسالته الثالثة المعنونة بالعبارة التالية: (معاً أمام الله. في سبيل الإنسان والمجتمع. «العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي»)، جاء في مقدمتها: (نود في هذه الرسالة الجديدة أن نخص العلاقة الأخوية والبنّاءة، التي يجب أن تربط بين المسيحيين والمسلمين؛ بمزيد من التعمق والتفكير، علماً بأن هذه العلاقة كانت موضع مداولات مطولة بيننا في اجتماعات الدورة الثالثة لمجلسنا، التي

---

(١) المراد بذلك: الاستعمار الأوربي الذي تقاسم ولايات الدولة العثمانية، واتخذ من دعوى حماية الأقليات النصرانية ستاراً له. انظر المرحلة الخامسة في نبذة تاريخية من التمهيد.

(٢) المرجع السابق، (٥١).

(٣) المرجع السابق، (٥٥).

عقدت في عمّان في أيار (مايو) سنة ١٩٩٣)[١]. وعظم المجتمعون شأن هذه العلاقة فقالوا: (لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن العيش المشترك بين البشر في الألف الثالث من تاريخنا، يقرره التلاقي الإيجابي والبناء بين أبناء الديانات المختلفة على وجه العموم، وبين أبناء الديانتين المسيحية والإسلامية على وجه الخصوص)[٢].

لقد خصصت هذه الرسالة لقضية «العيش المشترك» تحت غطاء من الشعارات العاطفية من أمثال: «الحوار والتلاقي»، «العيش والملح المشترك»... إلخ.

ولكنها جاءت كعريضة مطالب للطائفة النصرانية، لتحسين وضعها في المجتمعات الإسلامية، يتضح ذلك في الفقرات التالية من الرسالة:

• تحت عنوان: «المشاركة في الحياة العامة»: (.. من حق كل فئة وطنية أن تسهم في بناء المجتمع بجميع مجالات الحياة الوطنية فيه «أجهزة الدولة والمؤسسات العامة والخاصة والوظائف والمصالح الاقتصادية وغيرها»، وهذا يعني ألا يهمش أحد لسبب انتمائه الديني، أو لأي سبب من الأسباب، بل تتاح الفرص لكل مواطن، أياً كان، ومهما كانت عقيدته، لكي يجد موقعه في الحياة بعيداً عن الحدود والحساسيات الطائفية)[٣].

• وتحت عنوان: «الأسرة»: (والمجال الثاني هو الأسرة وكل ما يتصل بها، ولا سيما الزيجات المختلطة بين المسلمين والمسيحيين والتي قد تحدث المآسي في البيت والمجتمع.. وقد يحصل أحياناً أن

---

(١) معاً أمام الله. في سبيل الإنسان والمجتمع: مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك. نشر الأمانة العامة - بكركي - لبنان. طبعة ١٩٩٥م. (٧، ٨).
(٢) المرجع السابق، (٩).
(٣) معاً أمام الله. (٢٢).

بعض المسيحيين أنفسهم لافتقارهم إلى العمق الديني، يستغلون حماية القوانين الدينية الإسلامية، ليتهربوا من واجباتهم الزوجية والأسرية. ومهما كانت القوانين الدينية في الإسلام والمسيحية مختلفة، ومهما كان من الصعب التوفيق بينها، فإن هذا لا يعفي المسؤولين وأولي الأمر في كلا الديانتين من تنظيم الأمور، وتلافي ما يعكر صفو المجتمع الواحد. ومن الملاحظ أيضاً أن المتهربين من واجباتهم الزوجية، واللاجئين إلى قوانين الدين الإسلامي[1]، قد لا يهمهم غالباً أمر الدين في شيء، وإنما هم فقط مستغلون للدين، وأصحاب أغراض أنانية)[2].

• وتحت عنوان: «التربية الدينية» تقول الرسالة: (يظل الطالب المسيحي في المدارس الحكومية موضع قلقٍ لنا في بعض البلدان العربية، حيث لا تُوَفَّر له، بخلاف زملائه المسلمين، التربية اللازمة في مدرسته الحكومية نفسها. وفي بعض البلدان لا يتاح له ذلك حتى في المدرسة المسيحية الخاصة...

ويشمل هذا المجال أيضاً الكتب المدرسية التي لا تأخذ بعين الاعتبار الطالب المسيحي وواقع تعدد الأديان والثقافات في وطننا العربي. وهذا ما يسبب لدى الطالب المسيحي اضطراباً في عقيدته، فيصبح في تردد بين العقيدة المسيحية التي يؤمن بها ويتشربها في الأسرة والكنيسة، وبين ما عليه استيعابه منذ نعومة أظفاره في المدرسة من خلال الكتب المقررة)[3].

---

(١) في هذا الكلام طعن في الشريعة الإسلامية بأنها ملاذ للمتلاعبين المضيعين للواجبات الزوجية، وكأن البطاركة يتوجعون من ترافع بعض أبناء طوائفهم إلى المحاكم الشرعية في قضايا الطلاق والنفقات والعشرة، حيث لم يجدوا في شرائعهم المحرفة حلاً لمشاكلهم الأسرية.

(٢) المرجع السابق، (٢٢، ٢٣).

(٣) المرجع السابق، (٢٣، ٢٤).

وفي القسم الثاني من الرسالة يتساءل بطاركة الشرق الكاثوليك: «كيف نبني المستقبل؟» وتأتي الإجابات دائرة حول نبذ الطائفية والتعصب الديني، والتحرر من الأفكار المسبقة، وقبول التعددية والتنوع، وتطوير الخطاب الديني بإحلال الاحترام المتبادل محل التشويه والجدل، ونحو ذلك من الشعارات التي لا تخدم في الحقيقة سوى الطرف الأضعف، الذي يعاني من عقدة «الأقلية». وتطالب الرسالة المراجع التربوية ممثلةً بالبيت والمدرسة والجامع والكنيسة والمؤسسات الفكرية والإعلامية، بترسيخ المبادئ السابقة في نفوس الناشئة والناس[1].

وفي القسم الثالث الذي يحمل عنوان: ـ (من أجل مجتمع عربي متكافئ» يتحدث البطاركة عن المجتمع والمواطنة والمشاركة المتكافئة في مختلف المناشط، ثم يصلون إلى «بيت القصيد»، وهي قضية الدين والسياسة، في وقتٍ تتعالى فيه مطالبات المسلمين بالعودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية. فيقولون: (... يعلمنا تاريخ المجتمعات البشرية المختلفة أن خلط الدين والسياسة ما يلبث أن ينتج عنه ضرر عميق على الدين والسياسة معاً. فعندما يتحول الدين إلى أيديولوجية سياسية، فإنه يبتعد عن هدفه الأساسي، ويصبح أداة وصول إلى السلطة، وأحياناً أداة قمع وتسلط. وإذا تحولت السياسة إلى أيديولوجية دينية، فإنها تستغل الدين وتوظفه كوسيلة لتثبيت مصالحها الخاصة. وفي كلتا الحالتين تفسد السياسة، ويشوه المعنى الحقيقي للدين. والتاريخ شاهد على هذا الفساد وهذا التشويه شرقاً وغرباً.

إن ربط الدين بالسياسة يثير الكثير من الأسئلة الملحة: كيف يستطيع الدين أن يؤثر في الحياة العامة تأثيراً حقيقياً، مع الحفاظ على

---

(١) انظر: «معاً أمام الله» من (٢٧ ـ ٣٧).

استقلاليته واستقلاليتها؟ كيف يمكن التمييز بين المؤسسات السياسية والدينية دون الفصل بينهما، فلا يسخر الدين للسياسة، ولا تكون السياسة استغلالاً للدين؟ كيف يمكن أن يظل الدين عامل وحدة وتقريب بين جميع فئات المجتمع من غير تمييز أو تهميش أو استثناء؟ الأسئلة كثيرة والموضوع شديد الحساسية، ويستحق أن يستمر النقاش حوله والحوار بشأنه بين التيارات المختلفة، للوصول إلى صيغة يطمئن إليها الجميع)(١).

وتكرر الرسالة الثالثة ما جاء في سابقتيها عن الدور المميز للنصارى العرب كجسر للتواصل بين الإسلام والغرب المسيحي(٢).

استناداً إلى الرسائل الثلاث التي وجهها بطاركة الشرق الكاثوليك «إلى مؤمنيهم في شتى أماكن وجودهم»، نحدد أبعاد قضية «التقريب» و«الحوار» في نظر النصارى الكاثوليك العرب، مع استدعاء بعض الإيضاحات التي لا تقدمها البيانات الرسمية المحترزة، من أحد أساقفتهم المعروفين، وهو المطران كيرلس سليم بسترس، رئيس أساقفة بعلبك للروم الملكيين الكاثوليك.

أولاً: الحوار الذي ينادي به الكاثوليك العرب مع الآخر يعني: (معرفته والتعرف عليه والاعتراف به، معرفته كما يعرف هو نفسه، والتعرف عليه بكامل شخصيته والاعتراف به كمكمل لنا أكثر منه خصماً أو منافساً أو عدواً... بعيداً عن الأفكار المسبقة)(٣). هذا هو حَدُّ الحوار وتعريفه لديهم، فعلام ينطوي هذا الكلام. يقول المطران كيرلس: (إن العلاقات بين المسيحية والإسلام، لا يمكن أن تبنى اليوم

---

(١) المرجع السابق، (٤٣ ـ ٤٤).
(٢) انظر: المرجع السابق، (٥٢ ـ ٥٣).
(٣) تقدم.

وفي المستقبل على أساس ما ورد في القرآن. فالمسيحية اليوم ليست النصرانية التي التقاها القرآن، والمسيحيون اليوم ليسوا «أهل الكتاب» وحسب، كما يرد ذكرهم في مختلف سور القرآن، وتعاليمهم ليست التعاليم التي يكفرها القرآن. هذا ما يجب تأكيده بكل جرأة وصراحة، وذلك ليس من باب المساومة بل من باب الأمانة للحقيقة. فإني أنا اللاهوتي المسيحي عندما أقرأ ما يقوله القرآن عن التثليث، وعن ألوهية السيد المسيح، أخلص إلى أن هذه الأوصاف لا تعبر عن إيماني المسيحي بالتثليث وبألوهية السيد المسيح، وبالتالي فإن تكفيرها لا يطالني. وهذا في رأيي هو الحل الوحيد للخروج من المأزق الذي يقع فيه المسيحيون والمسلمون على السواء.

فالمسيحيون يتساءلون كيف يدخلون في حوار مع مسلمين يعتبرونهم كفرة؟.

والمسلمون يؤمنون من جهة بأن القرآن كلام الله، ويريدون من جهة أخرى الدخول في حوار ديني مع المسيحيين، ولا يعرفون السبيل إلى ذلك. الطريق الوحيد لتخطي هذه المشكلة هو الإقرار بأن ما ورد في القرآن حول إيمان «أهل الكتاب النصارى» لا يعتبر التعبير الصحيح عن الإيمان المسيحي الذي يعتنقه المسيحيون اليوم.

انطلاقاً من هذه المقولة التمهيدية يمكن المسيحية والإسلام الدخول في حوار ديني يبنون عليه علاقاتهم في الحياة والعيش المشترك)[1].

بهذه البساطة المتناهية حسم المطران المشكلة وأخرج الطرفين من

---

(١) العلاقات المسيحية ـ الإسلامية تاريخاً وحاضراً ورؤية مستقبلية. من كتاب العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل. (٢٢٥).

المأزق! إنه باختصار يطالب المسلمين برفع الأحكام الربانية، والمعتقدات القرآنية المعلومة بالضرورة من دين الإسلام عن نصارى اليوم، دون أن يتزحزح هو وملته قيد أنملة عن موقفه العقدي، وبذلك يكون الطرفان مهيئَين للحوار، وتحل المشكلة! وهو يردد في هذا ذات المقولة التي قالها المطران جورج خضر من أن نصارى اليوم ليسوا نصارى الأمس الذين واجههم القرآن، ويزيد عليها تخريجاً متهافتاً لفرية التثليث، فيقول: (وهنا لا بد لنا من التأكيد أن إيماننا هذا بالله الواحد، لا يناقض إيماننا بالتثليث. ذلك أن الآب وكلمته وروحه ليست في اعتقادنا ثلاثة آلهة منفصلة أحدها عن الآخر. بل إله نميز فيه ثلاثة أقانيم، أي صفات ذاتية غير منفصلة أحدها عن الآخر. فكما نميز بين الإنسان وعقله وروحه دون أن نفصل بين هذه الثلاثة، كذلك، وإن ميزنا في الله الواحد بين الله وعقله وكلمته وروحه، إلا إننا لا نفصل بين الثلاثة. لذلك نعلن في صلاتنا إيماننا «بالثالوث الواحد في الجوهر وغير المنفصل».

لذلك نؤكد أن المسيحية ديانة توحيدية، وقولها بالتثليث هو تعمق في سر الله، وتفسير لتجلي الله في عالم البشر. فلا تكتفي بالقول أن الله أرسل إلينا أنبياءه، بل إنه أتى إلينا في شخص كلمته يسوع المسيح، وفي روحه القدس. فكلمة الله وروحه حضرا في ما بيننا. أما التثليث الذي يكفره القرآن فهو عبادة كائنين من دون الله أي لا علاقة لهما بالله. وهذا التثليث نحن منه براء، لأن كلمة الله وروح الله ليسا كائنين من دون الله، إنما هما صفات ذاتية في الله الواحد نفسه)[1].

وقبل أن نحلل ما قاله المطران، نستدعي بداهة العقل والفطرة

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢٣٢).

حيال نص القرآن: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

ترى! هل قال القرآن عن النصارى سوى ما يقوله النصارى اليوم عن أنفسهم؟ هل ظلمهم القرآن، أو لنقل ـ تنزلاً ـ مفسرو القرآن؟ أم إنها حقيقة واحدة، ومقالة واحدة، رغم حركات الالتفاف اللفظية؟.

إنها عقدة النصارى الأبدية؛ محاولة التوفيق القسري بين التوحيد والتثليث، وأنى لهم. إن مدار خطاب المطران كيرلس حول اعتبار الكلمة، وروح القدس بمثابة الصفات الذاتية للآب، وبالتالي فالله وصفاته الذاتية شيءٌ واحد.

والجواب عن ذلك ببساطة، أن صفات الله الذاتية ملازمة لذاته سبحانه، غير منفصلة عنه بحالٍ من الأحوال، كحياته، وسمعه، وبصره، وعلمه. . . إلخ أما ما أضيف إليه سبحانه مما يستقل بنفسه فهو من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وقد يكون في بعض الأحوال إضافة تشريف لذلك المخلوق، كوصفه تعالى لعيسى عليه السلام بأنه رسول الله، وكلمته، وروح منه. و«من» هنا ليست للتبعيض قطعاً. إذ لا يعقل ولا يمكن أن يكون «بعض» من الله منفصل عنه. سبحانه وبحمده.

ولنا أن نلزم المطران كيرلس من منطلق هذه الدعوى باعتبار الكلمة والروح صفات ذاتية تكمل مع الآب «الثالوث الأقدس»، لنا أن نقول: فاجعلوا الأقانيم أربعة بل خمسة بل أكثر بقدر ما نعلمه من صفاته الذاتية سبحانه. أو لستم تقولون صبحاً ومساءً في صلاتكم: «أؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل ما

يرى وما لا يرى» فلم لا تجعلون ـ طرداً للقاعدة ـ الخالق، الضابط، من الأقانيم فيكون اعتقادكم بـ «خاموس» لا «ثالوث»؟!.

والعجب كيف يزعم المطران المذكور عدم اعتقاد القوم بآلهة منفصلة، وهو يؤكد في نفس السياق: (إنه أتى إلينا في شخص كلمته يسوع المسيح، وفي روحه القدوس) إذاً فثم آتٍ هو الله ـ في زعمهم ـ وثم شخص يمشي على وجه الأرض وهو يسوع، وثم روح القدس.

وأخيراً فلنا وقفة مع قول المطران: (أما التثليث الذي يكفره القرآن فهو عبادة كائنين «من دون الله» أي لا علاقة لهما بالله، وهذا التثليث نحن منه براء، لأن كلمة الله وروح الله ليسا كائنين من دون الله) فينبغي أن يعلم أن تكفير القرآن لأهل التثليث هو من جهة شركهم في الربوبية، قبل أن يكون شركاً في العبادة. إنكم معشر النصارى لم تحرروا توحيد الربوبية فضلاً عن أن تخلصوا توحيد الألوهية[(١)].

بقي أن نجيب على تساؤل المطران كيرلس سليم بسترس: (فالمسيحيون يتساءلون: كيف يدخلون في حوار ديني مع مسلمين يعتبرونهم كفرة؟)[(٢)].

والجواب: تماماً كما يدخل النصارى مع مسلمين يعتبرهم النصارى كفرة. إن الكنائس النصرانية لم تزل تصدر قرارات الحرمان والكفران والهرطقة ضد مخالفيها من الكنائس الأخرى والأفراد. فكيف بمن هم خارج دائرتهم أصلاً. وحتى هذا اليوم ورغم بيانات المجاملة من بعض الدوائر الكنسية تجاه المسلمين لم ترتق لغة الخطاب إلى الاعتراف بنبوة نبينا محمد ﷺ، فكيف يطالبون محاوريهم من المسلمين

---

(١) انظر: العقائد النصرانية في التمهيد (٨١ ـ ٩٥).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية ـ قراءة مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢٢٥).

بالاعتراف بإيمان النصارى، ورفع صفة الكفر التي حققها القرآن عليهم في مواضع متعددة!.

لقد سبق بيان تهافت هذه الدعوى، وبيان أن لا فرق بين الأولين والآخرين[١]. ولكن رئيس أساقفة بعلبك للروم الملكيين الكاثوليك، يتخطى هذا القدر حين يشارط المسلمين قبل الدخول في حوار أن يرفعوا وصف الكفر والشرك الذي وضعه القرآن على رقاب عباد الصليب، ولا يكلف نفسه أن يفترض سؤالاً مقابلاً يمكن أن يطرحه المسلمون الموافقون على مشروع الحوار: كيف ندخل في حوارٍ ديني مع نصارىٰ ينكرون نبوة محمد ﷺ، وأن القرآن كلام الله، وأن الدين عند الله الإسلام؟ وحسبك من حوارٍ هذه عتبة بابه! فماذا في ثنايا الدار؟.

إن الحقيقة تضيع وسط حشدٍ من العبارات العاطفية السلمية التي يطلقها هؤلاء المماحكون، من جنس قوله: (الهدف من الحوار العقائدي هو إزالة الالتباسات والأفكار الخاطئة لدى كل من الطرفين حول عقائد الطرف الآخر. وذلك بغية التوصل إلى تعايش أخوي واحترام متبادل)[٢]. وقد تبين نوع الالتباسات والأفكار الخاطئة التي يهدف المحاور النصراني إلى إزالتها من جانبٍ واحد.

ثانياً: والحوار لدى الكاثوليك العرب فرصة للتخلص من العقد الاجتماعية والنفسية التي خلّفها التاريخ القديم والحديث لهم. فهم يعانون من عقدة الشعور بالذنب والخيانة والتواطؤ مع الغزاة والمستعمرين من أبناء طائفتهم، الصليبيين الغربيين، وهذا يورثهم الشعور بعقدة «النبذ» و«الغربة» و«الأقلية»، في الوسط الذي يعيشون

---

(١) انظر ما سبق في الرد على المطران جورج خضر.

(٢) المرجع السابق، (٢٢٧).

فيه، وبالتالي يكثرون الحديث عن الإرث الحضاري المشترك، ودور نصارى الشرق في بناء الحضارة الإسلامية، رغم اختلاف المعتقد، ورفع العقيرة بالانتماء إلى الوطن إلخ، مع التأكيد المستمر على الارتباط بكرسي روما.

وها هنا ملحظ لافت للانتباه في مجال المقارنة بين الأرثذوكس والكاثوليك في نظرتهم إلى الحملات الصليبية، فالأولون يشجبونها لكونهم كانوا إلى حدٍ ما من ضحاياها، كما يردد ذلك المطران جورج خضر كثيراً، ويعتذرون للمسلمين عما تسبب به أبناء ديانتهم المخالفين لهم في المعتقد. أما الكاثوليك فلا يزيدون عما أطره لهم بيان المجمع الفاتيكاني الثاني من الدعوة إلى نسيان الماضي فقط، دون أن يتضمن اعترافاً صريحاً بالمظالم التي أوقعوها بالمسلمين.

والمقصود أن الحوار والتقارب مركب يمتطيه هؤلاء للوصول إلى مصالح خاصة، هم المستفيد الأول والأخير فيه، فيعلنون براءتهم من وصمة الخيانة والتواطوء مع الأجنبي، والتأكيد على الأصالة والتجذر في المنطقة الإسلامية مهما ضؤل تمثيلهم العددي.

ثالثاً: أن الحوار في نظرهم ـ كما هو الحال لدى الأرثذوكس العرب ـ بديلٌ مناسب يملأ الفراغ الذي أحدثه تراجع فكرة القومية العربية، ويعطيهم دوراً مميزاً في المنطقة، بوصفهم «وسطاء» مناسبين للحوار بين الشرق المسلم والغرب النصراني. ويلح هؤلاء على فكرة «خبرة الكنائس الشرقية» ودورها في إقامة الجسور بين الحضارتين الإسلامية والنصرانية.

رابعاً: وأخطر وأهم الأمور في مناداتهم بالحوار والتقارب والتواصل، قضية «العيش المشترك» الذي يحمل بؤس الماضي، ومعاناة الحاضر، وهم المستقبل، في زعمهم.

إن الحوار بالنسبة لنصارى العرب منبرٌ للمطالبة بتحقيق مكاسب جديدة، فضلاً عن المكاسب التي تحققت بانتقالهم من حال «أهل ذمة» إلى «مواطنين» من الدرجة الأولى. فهم يريدون استئصال جميع صور التمييز ورواسبه في العقل المسلم، والكتاب المدرسي، والإنتاج الفكري، والخطاب الإعلامي، بل وحتى الخطاب الديني الذي يشير أو يذكِّر بالوضعية الخاصة لأهل الكتاب في المجتمع المسلم. وينبغي أن نتذكر أن كل هذه المطالبات لحساب طرفٍ على طرف، دون أن يكسب الطرف الآخر شيئاً، وذلك خلاف العدل والإنصاف، لو كان ذلك الطرف نداً مساوياً للآخر في مشروع الحوار، والقوم أقلية ضئيلة؟.

والطامة الكبرى لدى هؤلاء النصارى، هي الخوف من «تطوير أي مشروع لنظام اجتماعي وسياسي من غير أن يأخذ بالحسبان الجماعة المسيحية» كما تقدم، والمطالبة بإقصاء الدين عن السياسة، وبعبارة أخرى فالقوم يريدون «علمنة المجتمع الإسلامي». ويشرح المطران كيرلس سليم هذه الجملة بعباراتٍ أصرح وأجرأ من الرسائل السابقة فيقول: (إن الكلام على «دولة إسلامية ـ أو «دولة مسيحية» نعتبره نحن المسيحيين من مخلفات العصور الوسطى...

نسمع اليوم بعض المسلمين يقولون بسذاجة: المسيحية ليس لها نظامٌ سياسي واقتصادي خاص. فالإنجيل يكتفي بمبادئ عامة في الأخلاق والحياة الاجتماعية، ويطلب من المسيحيين الخضوع للسلطات المنصَّبة. أما الإسلام فله نظام سياسي واقتصادي واجتماعي يشمل جميع مرافق الحياة. فليقبل المسيحيون هذا النظام الإسلامي الذي هو نظام إنساني عام وتحل المشكلة.

نحن المسيحيين نعجب من طرحٍ كهذا، ونرفضه جملةً وتفصيلاً...

فكيف يطلب منا بعض المسلمين أن نقبل دولة إسلامية، ونظاماً إسلامياً نعتبرهما من مخلفات العصور الوسطى؟.

إن وجود المسيحيين والمسلمين في دولةٍ واحدة، لا يمكن أن يثبت في سلام إلا إذا كان الجميع متساوين في نقطة الانطلاق. فلا يمكن أن يكون تعايش في دولةٍ واحدة بين مسيحيةٍ تحمل في ذاتها إمكانية التطور في الأنظمة السياسية والاقتصادية، وإسلام يحمل في عقيدته نظاماً جامداً يعتبره منزلاً من الله، وفي نيته أن يفرضه على المسيحيين عاجلاً أم آجلاً)(١). الأمر جد واضحٌ. فالحوار الذي يغلفه هؤلاء بأغلفة التفاهم، واكتشاف الآخر، والتعاون... إلخ محسوم النتائج سلفاً، وقضاياه غير قابلة للنقاش أصلاً. إن من يقف على هذا الكلام ولديه أدنى ذرة من إدراك طبيعة الدين الإسلامي ورسالته إلى البشرية، يعلم يقيناً أن القوم يدعون محاوريهم المسلمين إلى الانسلاخ من دينهم، ونقلهم إلى الفهم الكنسي الضيق لمهمة الدين في الحياة، التي لا تختلف عن الطقوس الوثنية التي ورثوها عن اليونان والرومان. أما الشرع الإسلامي المطهر فإنه رباني المصدر صالح لكل زمانٍ ومكانٍ وأمة، والفقه الإسلامي ـ كما يشهد التاريخ والواقع ـ يتسع لجميع الوقائع والنوازل، ولا يضيق بها ذرعاً كما ضاقت بها الكنيسة في العصور الوسطى التي يدندن المطران حولها. وقد أوجد الفقه الإسلامي مكاناً «لأهل الذمة» يحفظ حقوقهم، ويحميهم، في إطار المجتمع المسلم، لم تصل إليه أي أقلية على مدار التاريخ. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق، (٢٤٣ ـ ٢٤٤).

ثالثاً: القبط:

يمثل الأقباط أكبر طائفة نصرانية في العالم العربي، من الناحية العددية، وتتراوح نسبتهم التقديرية إلى مجموع السكان في مصر ما بين ٥,٨٧٪ إلى ضعف هذه النسبة. ويتبعون كنيسة الإسكندرية التي انفصلت عن سائر الكنائس إبان الانشطارات المبكرة في تاريخ الديانة النصرانية، وعلى وجه التحديد إثر مجمع «خلقيدونية» المنعقد سنة ٤٥١م لمناقشة معضلة «طبيعة المسيح» عندهم. وقد كان بطريرك الإسكندرية يتبنى مذهب «الطبيعة الواحدة»، ولكن المجمع المذكور أسفر عن انتصار القائلين بالطبيعتين، وتبع ذلك حوادث شغب واضطهاد أدت إلى انفصال الكنيسة المصرية انفصالاً تاماً عن الكنيسة الغربية[(١)]. وهناك شبه إجماع بين المؤرخين على أن الأقباط استقبلوا الفتح الإسلامي بالترحاب، وربما بالمساعدة[(٢)]. ولعل مرد ذلك إلى سوء المعاملة، والاضطهاد الذي كانوا يرزحون تحت وطأته من قبل النصارى الرومان الذين يخالفونهم في المعتقد. كما أن المؤرخين يسجلون ظاهرةً تاريخية ملفتة، وهي سرعة انقياد الأقباط للدخول في الإسلام في العقود الأولى من الفتوح الإسلامية. يقول الكاتبان فيليب فارج، ويوسف كرباج تحت عنوان: الانتشار السريع للإسلام في مصر: (كان مصير مصر فريداً. فهذا البلد الذي تم فتحه بسهولة منذ الساعة الأولى، يبدو أنه كان موعوداً بأسلمة سريعة وتامة. لكن هذا البلد الأقل تمرداً والأقرب، خلافاً للمغرب، سوف يكون مع ذلك البلد الوحيد في أفريقيا الذي لا

---

(١) انظر: في هذا: تاريخ الكنيسة المسيحية. أفغراف سميرنوف (٢٦٢ ـ ٢٧٠)، محاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة (١٣٧ ـ ١٤١) المسيحية في العالم العربي. الحسن بن طلال (٥٧ ـ ٦٩).

(٢) انظر: الأقباط في مصر في العصر العثماني: د. محمد عفيفي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ـ مصر. طبعة ١٩٩٢م. (١٩ ـ ٢٠).

يفقد أبداً جميع مسيحييه... إن أكثر من نصف الأقباط سوف يتحولون إلى اعتناق الإسلام في أقل من أربعين سنة؛ ٢٦٪ بين عام ٦٤٤، ٦٦١، ثم ٣٣٪ في عهد معاوية وحده بين عام ٦٦١، ٦٨٠)[١]. ولم تخل الأمور بطبيعة الحال من استثناءات، فقد وقع العديد من حركات التمرد والانتقاض لأسباب متعددة، ويرى المقريزي[٢] ﷺ إن خاتمتها كانت في عهد الخليفة العباسي المأمون سنة ٢١٦هـ. قال: (ومن حينئذٍ أذل الله القبط في جميع أرض مصر، وخذل شوكتهم، فلم يقدر أحدٌ منهم على الخروج ولا القيام على السلطان، وغلب المسلمون على القرى، فعاد القبط من بعد ذلك إلى كيد الإسلام وأهله بأعمال الحيلة واستعمال المكر، وتمكنوا من النكاية بوضع أيديهم في كتاب الخراج. وكان للمسلمين فيهم وقائع...)[٣] وقد تقدم في النبذة التاريخية إلماحات إلى بعض الأحداث التي جرت أثناء الحملات الصليبية، ثم إبان الاستعمار الأوربي الحديث[٤].

أخذ النفوذ القبطي بالظهور مجدداً منذ عهد «محمد علي وخلفائه»، وألغيت الجزية عنهم عام ١٨٥٥م، ونالوا عدداً من المناصب الإدارية والقضائية، كما امتلكوا مساحات كبيرة من الأطيان الزراعية، وصار عددٌ منهم من كبار الملاك. وفي عهد الاحتلال البريطاني عين

---

(١) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٣٢).

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية. ولد ونشأ في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، من تأليفه: كتاب «المواعظ»، «السلوك في معرفة دول الملوك»، «تاريخ الأقباط» وغيرها. وقد زادت مؤلفاته على مائتي مجلد كبار. مات سنة ٨٤٥هـ.
الأعلام (١/ ١٧٧)، خطط مبارك (٩/ ٦٩)، آداب اللغة (٣/ ١٧٥)، البدر الطالع (١/ ٧٩)، مجلة الكتاب (١/ ٨٨٦)، المجمع العراقي (١٣/ ٣٠١).

(٣) الخطط المقريزية (١/ ١٤٣).

(٤) انظر: (١٩٨) من التمهيد.

«بطرس غالي باشا»[1] رئيساً للوزراء عام ١٩٠٨م. وقد قاوم الأقباط الحركة الوطنية ذات الطابع الإسلامي العام الممثلة في «الحزب الوطني» بقيادة مصطفى كامل[2]، لتعاطفها مع الخلافة العثمانية ومناوأتها للاستعمار الإنجليزي فأنشأوا «حزب مصر» عام ١٩٠٨م.

وبعد اغتيال بطرس غالي باشا عام ١٩١٠م بلغ الخلاف والتوتر بين المسلمين والأقباط ذروته. وعقد الأقباط مؤتمراً كبيراً في مركز ثقلهم بمدينة أسيوط بصعيد مصر عام ١٩١١م، ضمنوه مطالبهم الاجتماعية والسياسية والدينية. وقد قابلهم المسلمون بعقد مؤتمر إسلامي أسموه «المؤتمر المصري» لمناقشة المسألة القبطية، تمخض عن رفض بعض المطالب القبطية، وأذكى روح الانتماء الإسلامي للمجتمع المصري. ثم ألقىٰ الأقباط بكامل ثقلهم في ثورة عام ١٩١٩م التي تزعمها سعد زغلول[3]، ورفعت شعاراتٍ وطنية مثل «وحدة الهلال

---

(١) بطرس «باشا» ابن غالي نيروز (١٢٦٢ ـ ١٣٢٨هـ) ـ (١٨٤٦ ـ ١٩١٠م): وزير مصري من الأقباط الأرثذوكس. . . ولد بالميمون «من قرى بني سويف»، وتعلم بمصر وأوربا، وحذق بضع لغات. وتقلب في المناصب. وولي نظارة المالية فالخارجية فرئاسة مجلس النظار. ونقم عليه الوطنيون المصريون إمضاء اتفاقية السودان، وترؤسه محكمة دنشواي، وإعادته قانون المطبوعات، ومقاومته الجمعية العمومية، ورضاه بمشروع قناة السويس. فانبرى له «إبراهيم ناصف الورداني» «شاب من أقباط مصر» فقتله وقتل به. الأعلام (٢/ ٥٩).

(٢) مصطفى كامل (١٢٩١ ـ ١٣٢٦هـ): مصطفى كامل باشا، ابن علي محمد، أحد مؤسسي الوطنية المصرية. نال شهادة الحقوق من فرنسا. كان فصيحاً، بليغ اللسان. قاوم الاحتلال الإنجليزي بقلمه ولسانه. أنشأ جريدة «اللواء» بالعربية والإنجليزية والفرنسية لنشر دعوته. ودعا إلىٰ إنشاء «الحزب الوطني»، وانتخب رئيساً له مدىٰ الحياة سنة ١٩٠٧م توفي شاباً، فرثاه شعراء مصر وكتّابها. من مؤلفاته: المسألة الشرقية، مصر والاحتلال الإنجليزي، دفاع مصري عن بلاده. انظر: الأعلام (٧/ ٢٣٨).

(٣) سعد زغلول (١٢٧٣ ـ ١٣٤٦هـ): سعد باشا بن إبراهيم زغلول. زعيم وطني=

والصليب» و«الدين لله والوطن للجميع». ومع تنامي حركة «الإخوان المسلمون» وانتشار مبادئها الداعية لأسلمة المجتمع المصري تنامى القلق القبطي من المستقبل، ووقفوا منها موقفاً عدائياً. ورغم حل الجماعة رسمياً سنة ١٩٥٤م، فقد ظلت روح العداء الشعبي لدى الفريقين في ازدياد، وأسفرت عن مواجهات دامية، وفتن متلاحقة، وظهور متطرفين من الجانبين، لا سيما في عقدي السبعينيات والثمانينيات الميلادية. ومن الطبيعي في هذه الأحوال المتقلبة أن تظهر معالجات متنوعة لطبيعة العلاقات الإسلامية ـ النصرانية في المجتمع المصري، تتراوح بين الرفض والتنديد بالآخر، والمجاملة والوفاق الظاهري على الأقل. ونحاول أدناه استطلاع الموقف القبطي من قضية التقريب والحوار من زوايا رصدٍ متنوعة.

١ ـ الكنيسة القبطية:

ظلت الكنيسة القبطية «كنيسة الإسكندرية» تمارس مهامها الدينية التقليدية بين رعاياها في مصر والسودان والحبشة وغيرها منذ تأسيسها، وتنأى بنفسها وأتباعها عن الدخول في صدامات سياسية أو اجتماعية، أو تحالفات خارجية صريحة مع الغزاة والمستعمرين، محافظة على وضع الأقلية النصرانية في وسط إسلامي عريقٍ وكثيف. وظل هذا التوجه سائداً حتى انقضاء ولاية البابا «كيرلس السادس» بطريرك

= مصري. تعلم في الأزهر أربع سنين. واتصل بجمال الدين الأفغاني، ولازمه. اشترك في الثورة العرابية سنة ١٢٩٨هـ ـ ١٨٨١م، وقبض عليه وسجن سنة ١٢٩٩هـ بتهمة الاشتراك في جمعية سرية تسعىٰ لقلب نظام الحكم، بضعة أشهر. تزعّم حزب الوفد المصري المطالب بالاستقلال، فنفاه الإنجليز إلىٰ مالطة سنة ١٩١٩م، ثم عاد، ثم نفوه إلىٰ جزيرة سيشل سنة ١٩٢٢م، وتولىٰ رئاسة مجلس الوزراء ومجلس النواب. وتوفي بالقاهرة. انظر: الأعلام (٣/ ٨٣).

الإسكندرية والكرازة المرقسية ١٩٥٩ ـ ١٩٧١م، فـ (قد كانت فترة رئاسته للكنيسة المصرية فترة استقرار حميم للعلاقات بين الدولة والكنيسة)[١]. ورغم توافق الكنيسة مع مواقف الحكومات المتعاقبة على مصر من الأحداث السياسية في المنطقة، وصدور بيانات رسمية مؤيدة من قبل الكنيسة القبطية على الدوام، ورغم المجاملات المتبادلة بين رجال الدين النصارى، ومشيخة الأزهر في المناسبات الدينية للفريقين، إلا إن المتتبع لا يلاحظ تطوير أي مشروع للتقارب والحوار الديني ـ باعتباره دينياً ـ على النحو السائد في لبنان والغرب النصراني، الذي شرع في تفعيل قضية «التقريب» في مطالع الستينيات. وقد حضر وفدٌ من الكنيسة القبطية ـ بصفة مراقب ـ إلى المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٣م، برئاسة القمص بأخوم عطا الله المحرقي (الأنبا غريغريوس فيما بعد) وأعلن أن: (نقط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية أعظم من نقط الالتقاء بين اليهودية والمسيحية)[٢]. كما أصدرت الكنيسة القبطية منفردة، ومتحدة مع كنيسة أنطاكية وثيقة، بإدانة مشروع تبرئة اليهود والاعتذار إليهم، من قبل المؤتمر الثالث لمجلس الكنائس العالمي المنعقد في نيودلهي عام ١٩٦١م، والمجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٤م[٣]. وكان لها موقف مماثل من دولة إسرائيل والصهيونية العالمية.

ولعل عدم حماس الكنيسة القبطية لقضايا الحوار الإسلامي النصراني في هذه الفترة الهادئة نسبياً راجعٌ إلى أمرين:

---

(١) الأقباط في وطنٍ متغير: د. غالي شكري. دار الشروق. القاهرة ـ مصر. طبعة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م). (٢٠).

(٢) عن: المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية: طارق البشري. دار الشروق ـ القاهرة. الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م). (٦٩٤).

(٣) انظر: نص الوثيقة «الأقباط في وطن متغير» د. غالي شكري (٦٤ ـ ٦٦).

أحدهما: الطبيعة الانعزالية التاريخية للكنيسة تجاه الكنائس الأخرى، وعدم تجاوبها مع خطط التطوير والتحديث التي تبنتها الكاثوليكية الرومانية، ومجلس الكنائس العالمي ذو الأغلبية البروتستانتية، مما قد يشكل اختراقاً فكرياً للوضعية العقدية والنمطية التي سارت عليها الكنيسة القبطية طوال القرون السالفة.

الثاني: الإدراك الأفضل لطبيعة الدين الإسلامي بحكم المعايشة التاريخية على أرضٍ واحدة، والاختلاط المستمر الذي أورث الكنيسة القبطية خبرة بأصول الدين الإسلامي، تفتقدها الكنائس الغربية القائمة خارج دار الإسلام، أو حتى بعض الكنائس الشرقية التي يتكتل أبناؤها في تجمعات خاصة، ويرتبطون إدارياً بالكنائس الغربية. أما الأقباط فهم منتشرون بين ظهراني المسلمين في مصر، وليس لهم مناطق خاصة أو ارتباطاتٍ خارجية. وبالتالي فليس ثمَّ جديد يسوغ مبادرتهم إلى الحوار الديني بعد هذه العشرة الطويلة سوى التعرض للتهمة.

وقد لا يكون هذان السببان كافيين لتعليل هذه الملاحظة، لكن السبب الذي جاء لاحقاً منذ أن تقلد البابا شنودة[1] الثالث منصب بابا الاسكندرية عام ١٩٧١م قطع الطريق على جميع الفرص الممكنة لطرح فكرة التقريب. ذلك أن فترة السبعينيات وما تلاها، تميزت بتصعيد قبطي خطير تجاه الطروحات ذات الصبغة الإسلامية، مثل إضافة عبارة «والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي من مصادر التشريع» إلى المادة الثانية من دستور ١٩٧١م «الإسلام دين الدولة»، ثم عدلت عام ١٩٧٩م لتصبح «والشريعة المصدر الرئيسي للتشريع»، ثم شروع لجان من الأزهر

---

(١) البابا شنودة الثالث: بطريرك الأقباط الأرثذوكس، المائة وسبعة عشر واسمه: نظير جيّد. ولد في مركز (أسيوط) ١٩٢٣م. تخرج من الكلية الأكليريكية عام ١٩٤٩م ثم درس فيها. ترهب في دير السريان عام ١٩٥٤م. أسقف التعليم الكنسي ١٩٥٤م. بطريرك عام ١٩٧١م. انظر: المنجد في الأعلام (٣٩٣).

بإعداد قوانين الحدود، ومنها قانون حد الشرب، وقانون حد الردة، والنص في اعتبار الشهادات على المسلم دون غيره.. وغير ذلك[١]. وقد قابلت الكنيسة القبطية هذه التوجهات بالاعتراض. وعقد المؤتمر القبطي بالإسكندرية في مطلع عام ١٩٧٧م. ومما جاء في مذكرةٍ قدمها «المجمع المقدس» للأقباط إلى مجلس الشعب حول مشروع قانون الردة: (إننا لن نستطيع أن نقبل مشروع هذا القانون، ولن نخضع له إذا نفذ. وبحكم ضمائرنا سنسعى وراء كل مسيحي ترك مسيحيته لكي نرده من جديد، مهما حكمت مواد هذا القانون بالقتل على هذا التحريض، ومستعدون أن ندخل في عصر استشهاد جديد من أجل ديننا والثبات فيه)[٢]. وقد رد الأزهر على المؤتمر القبطي بالدعوة إلى (مؤتمر الهيئات والجماعات الإسلامية) في نفس العام، جاء في توصياته:

* (إن كل تشريع أو حكم مخالف لما جاء به الإسلام باطل. ويجب على المسلمين رده، والاحتكام إلى شريعة الله التي لا يتحقق إيمانهم إلا بالاحتكام إليها.

* الأمر بتطبيق الشريعة الإسلامية. فليس لأحد أن يبدي رأياً في وجوب ذلك، ولا تقبل مشورة بالتمهل أو التدرج. وإن التسويف في إقرار القوانين الإسلامية معصية لله ورسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين...)[٣]. وتمادى البابا شنودة في تصلبه، وجعل من الكنيسة القبطية منبراً سياسياً، خلافاً لعادة أسلافه، وصدرت منه (تصريحات وتعليمات لأبناء طائفته تتضمن زيادة نسلهم، انطلاقاً من أن مصر أساساً دولة قبطية استعمرها المسلمون، وناشدهم بالاهتمام بالتبشير

---

(١) انظر: الأقباط والقومية العربية: أبو سيف يوسف. مركز دراسات الوحدة العربية. (١٧٠ ـ ١٧٥).

(٢) عن: الأقباط والقومية العربية (١٧٥).

(٣) عن: الأقباط والقومية العربية (١٧٥).

بالدين المسيحي، وتعبئة الرأي العام المسيحي بالخارج ضد السلطات والنظام في مصر للتدخل والضغط على المسؤولين لمنع تطبيق الشريعة الإسلامية... واتخاذه (شنودة) قراراً بإعلان الصوم الانقطاعي تعبيراً عن رفض أبناء الطائفة لمشروع قانون الردة، وتشكيل لجنة للرد على نشاط لجنة المطبوعات الإسلامية، ونقدها لبعض المعتقدات المسيحية، وإيعازه بعقد مؤتمر عام لمناقشة موضوع تعديل المادة الثانية من الدستور للضغط على المسؤولين، وإشعارهم برفض الشعب المسيحي ذلك التعديل معترضاً على تطبيق الشريعة الإسلامية، وتهديده بأنه في حالة عدم موافقة المسؤولين على الضمانات التي طلب إدخالها على تعديل المادة الثانية من الدستور: سيجعلها دماً للركب من الإسكندرية إلى أسوان)[1].

في مثل هذه الأجواء المحمومة، وإفرازاتها الميدانية تتلاشى فكرة الحوار والتقارب المؤطر بشعارات التواصل والتعاون، والقيم المشتركة، والشراكة الإيمانية الإبراهيمية، التي يدندن حولها الآخرون خارج مصر. وفي محاولة للتعرف على الخطاب القبطي حشد د. غالي شكري كماً من الأسئلة المتنوعة، ألقاها على البابا شنودة الثالث في حوار طويل استغرق عدة أيام عام ١٩٨٨م، وضم أجوبته بين دفتي كتاب في قرابة مائتين وخمسين صفحة أسماه: (الأقباط في وطنٍ متغير). ومع ذلك لا يجد القارئ إشارة إلى أدنى توجه لتبني قضية الحوار والتقريب الديني مع المسلمين، كما تطرح في مواقع أخرى من العالم. وفي ثنايا الكتاب يجد الحديث عن الحوار مع المذاهب الأخرى في أخطر القضايا التي تفصل بين الكنيسة القبطية والكنائس الغربية، وهي مسألة

---

(١) العلاقات الاجتماعية الدينية في المجتمع المصري المعاصر: د. عبد الوهاب إبراهيم. مكتبة نهضة الشرق. جامعة القاهرة - القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٨٧م. (٤١).

«طبيعة المسيح». وهو حوار بدأه البابا شنوده الثالث مع بابا روما حينما زاره عام ١٩٧٣م[(١)]. ونخلص من هذا العرض إلى أن الكنيسة القبطية لم ترفع شعار التقريب بين الأديان للأسباب الثلاثة الآنفة الذكر.

٢ ـ أقباط المهجر:

إثر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التي قام بها مجموعة أطلقت على نفسها لقب «الضباط الأحرار»، اتجهت الإصلاحات الاقتصادية والزراعية نحو «التأميم» للشركات الكبرى والأراضي الزراعية، وقد تضرر من هذه الإجراءات كبار ملاك الأراضي من الأقباط، فحدث في أواخر الخمسينيات وطوال الستينيات موجات من الهجرة القبطية نحو العالم الغربي؛ أوربا وأمريكا، وكندا وكذلك إستراليا، واستقرت هناك[(٢)]. وقد حقق هؤلاء قدراً من النجاح المهني، وأتاحت لهم أجواء الحرية الغربية التعبير عن مكنونات صدورهم، ورصد ما يجري داخل مصر لطائفتهم، وكونوا هيئاتٍ سياسية في المهجر لهذا الغرض، لعل أبرزها: «الهيئة القبطية الأمريكية».

يعرفها أبو سيف يوسف بأنها (حركة سياسية انعزالية في صفوف أقباط المهجر... تأسست عام ١٩٧٤م، في نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية، ولها مجلة ناطقة باسمها هي «الأقباط»، وتصدر باللغتين الإنكليزية والعربية. وأهداف الهيئة المعلنة هي: خلق مجتمع دولي قبطي متحد، والمساهمة في دعم كيان الأقباط بمصر، والمطالبة برفع الظلم الواقع عليهم، وإشعار المجتمع الدولي بقوة الفكر القبطي، والتراث المصري، وتأسيس معهد للدراسات القبطية.

---

(١) الأقباط في وطن متغير (١٨٠).

(٢) انظر: الأقباط والقومية العربية ص١٥٣ ـ ١٥٤ ومقالة: الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث. ميلاد حنا. مجلة الاجتهاد ٣٠ ـ ١٤٢.

وتنطلق كتابات المجلة ـ وعلى الأخص تلك التي تعبر عن قيادات «الهيئة» من منطلقات رئيسة تُحكِم رؤيتها لمجمل الأوضاع الراهنة لقبط مصر، ولعلاقاتهم بالمسلمين، ولتاريخ مصر تحت الحكم العربي الإسلامي، ومؤدى ما تذهب إليه هو أن هناك مخططاً يستهدف إبادة المسيحيين في مصر. وهذه المؤامرة جزء من مؤامرة أكبر. فالحكومات المتعاقبة الإسلامية في الشرق الأدنى تستهدف تحطيم المسيحيين اجتماعياً وسياسياً وتعليمياً وتحويلهم إلى الإسلام. وتتوسع المجلة دائماً في عرض اعتداءات الجماعات الإسلامية على أرواح القبط وحرق الكنائس، ومحاولة فرض الشريعة على غير المسلمين...

وعندهم أن العرب لم يقيموا في مصر حضارة، فقد زحفت عليها قبائل من البدو المتخلفين لم يكن لهم همّ سوى نهب البلاد. وأنهم قوضوا الحضارة المصرية فضاعت المدنية والمعرفة...)[(١)] فأمر هذه العيّنة القبطية من قضايا التقارب والحوار واضح لا يحتاج إلى تعليق.

٣ ـ الوطنيون الأقباط:

لم تكن الكنيسة القبطية في جميع الأدوار هي الصوت الأعلى لأبناء الطائفة. ولم يكن «البابا» الإسكندراني هو «الرمز» الذي يلتفون حوله عند كل أزمة. بل ربما كان هذا هو الاستثناء، والأصل خلافه. يقول الكاتب القبطي ميلاد حنا[(٢)]: (طوال تاريخ الأقباط كان التمثيل يتركز في طبقتي الباشوات الإقطاعيين والأفندية، وكان رجال الدين في كنفهم، فكنا نرى العمدة أو الصراف أو الرجل الثري في القرية، ثم القسيس الذي يتبعه ويحصل منه على مرتب وبعض المكاييل من الغلة كل عام)[(٣)].

---

(١) الأقباط والقومية العربية. (١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) محام وأستاذ مصري... له مقالات في أوضاع الأقباط المصريين في العصر الحديث. مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٢٩٠).

(٣) الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث. ميلاد حنا. مجلة الاجتهاد (٣٠/ ١٤٠).

هكذا كان الأمر في القرن التاسع عشر وحتى السبعينيات من القرن العشرين. كان ممثلو الأقباط من الوجهاء وأصحاب الأموال، أما رجال الدين (الإكليروس) فكانوا منكفئين على أنفسهم في أديرتهم. وربما نشأ صراع بين «المجلس الملّي» ذي الصبغة الوطنية، و«الإكليروس» الديني المحافظ[١]. فما الذي حدث، وعكس الأمر في الثلث الأخير من هذا القرن الميلادي؟ وما آثاره؟ يجيب عن هذا التساؤل الكاتب القبطي «رفيق حبيب» في كتابه الاحتجاج الديني في مصر قائلاً: (مع وصول البابا شنودة الثالث إلى الكرسي البابوي في عام ١٩٧١م، وصل العديد من الرهبان إلى مناصب الأساقفة، ومعظمهم من جيل البابا شنودة، الأمر الذي أتاح أحد أهم الأهداف التي أرادها هذا الجيل، لجهة إنهاء عصر القيادات التقليدية الكنسية، والاهتمام بالقضايا السياسية التي فتحت باب الصراع السياسي بين الدولة والكنيسة، من خلال الكشف عن مضمون الموقف السياسي للكنيسة. ورغم أن الصراع بينهما لم يكن مقصوداً بحد ذاته، فإن اعتلاء البابا شنودة الثالث الكرسي البابوي، وهو مقتنع بأن هذه المكانة القيادية هي الطريق لتحقيق آمال الطبقة الوسطى، والمطالبة بحقوق الشعب القبطي، جعل النبرة السياسية أعلى من النبرة الاجتماعية، وأصبح الصراع حتمياً. وقد اتخذت قيادات الكنيسة طريقاً خاصاً بها في هذا المجال كان أقرب إلى أساليب الاحتجاج والاعتراض، هذه الأساليب التي كانت ترمي لعدة أهداف:

١ ـ قيام الكنيسة بدور الممثل للشعب القبطي، بدلاً من الصفوة القبطية.

٢ ـ فرض سلطة الكنيسة على الصفوة القبطية.

---

(١) انظر: الأقباط في إطار الجماعة الوطنية.

٣ ـ تحقيق آمال الطبقة الوسطى القبطية التي تسعى لتحقيق مكانة مقبولة في المجتمع والحياة.

٤ ـ كسر حالة السلبية التي ميزت الكنيسة والأقباط لفترات طويلة.

ولكن مواقف الكنيسة لم تستطع تحقيق كل هذه الأهداف، وكان الصدام بين الدولة والكنيسة عاملاً مهماً في إحباط هذه الأهداف. هذا الصدام كان نتيجة لاستخدام أساليب الاحتجاج، والتي تمثلت في البيان القبطي لعام ١٩٧٧م، والامتناع عن إقامة شعائر العيد في عام ١٩٨٠م وسواها. والتي كانت سبباً في خلق العديد من المشكلات التي جعلت المجتمع القبطي يعيش في عزلةٍ إعلامية؛ اختيارية أحياناً، وإجبارية أحياناً أخرى، حيث إن الشعب المصري لا يعرف الكثير عن الكنيسة واتجاهها، ولا يستطيع بسهولة معرفة أهدافها، وهذا الأمر يبرز مأزق النجاح عند البابا شنوده وجيله الذين استطاعوا الوصول إلى الكنيسة، لكنهم لم يستطيعوا تحقيق أحلامهم وأهدافهم التي نشدوها)[1].

إن نبرة التململ في صفوف المثقفين من الأقباط آخذة في التصاعد حيال مواقف الكنيسة، أو على التحديد مواقف البابا المجازفة، مما حمل أحدهم، ميلاد حنا، أن يتساءل: (إلى أين تتجه الكنيسة القبطية؟ خصوصاً أن البابا قد تجاوز السبعين، ويشكو بعض المتاعب الصحية)[2].

وينتظم في الاتجاه الوطني عامة المثقفين الأقباط، باعتباره الخيار الأصلح للطائفة، كما أنه الأسلوب المتعقل لمواجهة الفتن الطائفية. ويركز هؤلاء على شعارات الوطنية والتآخي بين مكوني المجتمع

---

(١) عن عرض للكتاب المذكور لـ: ياسر زغيب في مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث. مجلة الاجتهاد (٣٠/ ١٤٧).

المصري؛ المسلمين والأقباط، بل والحديث عن «القومية المصرية» أكثر من «القومية العربية»، ونبذ التعصب من الجانبين، وإبراز الرموز الوطنية. ومن أبرز هؤلاء الكتاب: وليم سليمان قلادة. فقد كتب فصلاً مطولاً في الكتاب الذي أصدره مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بعنوان: «العلاقات الإسلامية ـ المسيحية في الواقع المصري: المفهوم الأساسي في الماضي والحاضر والمستقبل» من (ص٢٤٩ إلى ص٣٦٧) عرض فيه مجمل العلاقات التاريخية والراهنة بلغة تصالحية ودية، استعمل فيه مصطلح «الحوار العلائقي الإسلامي المسيحي»، وقسمه إلى عشرة مراحل، تتراوح بين الجدال إلى اللقاء إلى الردة حسب الرؤية الوطنية البحتة. وفي المرحلة السابعة التي أسماها «الحوار العلائقي» لا يجد الكاتب ما يستشهد به سوى سياق قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني، وجهود مجلس الكنائس العالمي فقط، ولا شيء من الشواهد المحلية، ويكتفي بالتعقيب قائلاً: (هذان الموقعان ـ نسيان الماضي، والاعتراف بالذنب[1] لا محل لهما في الحوار الإسلامي المسيحي على الأرض العربية، خصوصاً في «اللقاء» الذي يجري في مصر. فالعدوان على الأرض العربية من مختلف مراحل التاريخ لم يكن على الإسلام والمسلمين وحسب. ثم إن مقاومة هذه الهجمات اشتركت فيها جميع مكونات الجماعة العربية ـ خصوصاً المصرية. بل إن الخاصية المميزة للِّقاء هنا، هي الاشتراك في الحركة الوطنية والدستورية في مختلف مراحلها، ثم إن «الماضي» في اللقاء العربي، خصوصاً المصري، معطى يتعين التمسك به وتذكره، لا نسيانه، فمن خلال هذا الماضي قامت العلاقة الحميمة بين المسيحيين والمسلمين المصريين. إنه الركيزة المأمونة التي يجري الاستناد إليها لصياغة مفهوم نظري لهذا

---

(١) الإشارة إلى ما تضمنه بيان المجمع الفاتيكاني الثاني من الدعوة إلى نسيان الماضي والاعتراف بالمظالم.

«اللقاء»، وممارسته، والتقدم به إلى آفاق أوسع وأكثر فاعلية)[١].

وهكذا لم يجد الكاتب في تتبعه لمراحل العلاقات بين المسلمين والأقباط في المجتمع المصري مادة يساهم بها في قضية «التقارب» و«الحوار» الذي نشط منذ أوائل الستينيات الميلادية، سوى حواشٍ واستدراكات على متن مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني، تصب في الفكرة الوطنية التي يتبناها الكاتب، مما يدل على خلو الساحة المصرية من أي أثر لمشروع حوار أو تقارب من هذا النمط. وقد ألف الكاتب في صميم الموضوع كتاب (الحوار بين الأديان) عام ١٩٧٦م وضع فيه أربع قواعد للحوار هي:

(**القاعدة الأولى:** فهم الآخر كما يريد أن يكون مفهوماً: الحوار هو اللقاء مع الآخر الحقيقي الحي وليس مع فكرتي عنه. الحوار هو منهج الحياة في المجتمع التعددي وهو يفترض الخلاف بين أطرافه. وهو لا يهدف إلى أن يحتوي الطرف الآخر وعقيدته.

القاعدة الثانية: عن عقيدة الشخص: الحوار دعوة لأن يزداد الشخص تفهماً لدينه، كي يستطيع عرضه للآخر بأسلوبٍ مقبول ومقنع، فليس الهدف من الحوار الوصول إلى موقف وسط بين العقائد.

القاعدة الثالثة: عن المطلق: إن ارتباط الإنسان بالمطلق في المسيحية والإسلام واليهودية أيضاً يجعله موضوعاً نموذجياً للحوار بين الأديان.

القاعدة الرابعة: عن الممارسة: لأن هدف الدين ليس مجرد المعرفة. ولكن الممارسة والحوار الناجح هو الذي يؤدي إلى اتخاذ

---

(١) العلاقات الإسلامية ـ المسيحية في الواقع المصري. من: العلاقات الإسلامية ـ المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل. (ص٣٤٥ ـ ٣٤٦).

الطرفين موقفاً عملياً. لأن الحوار النظري هو وسيلة للهروب وللمهادنة. والحوار عملية متطورة، تراكمية، والتزام الممارسة يؤثر في الطرفين ويقارب في اتجاهاتهما الفكرية)[١]. ولكن هذا الكتاب ليس نتاج حوار ديني محلي، بل هو باعتراف مؤلفه: (متابعة للندوات التي عقدت بين المفكرين المنتمين إلى مختلف أديان العالم ـ ومن بينها ندوات الحوار المسيحي ـ الإسلامي)[٢]. ولذلك لا يجد القارئ فرقاً بين هذه القواعد وما كتبه موريس بورمانس وغيره من الكتاب الغربيين.

● **خلاصة وتحليل**: تبين مما سبق أن الأقلية النصرانية في مصر ـ وعامتها من الطائفة القبطية ـ لم تَتَبَنَّ قضية التقريب والحوار بالصيغة السائدة عالمياً في النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي. وهي في أحسن الأحوال تلوذ بعباءة الوطنية لإيجاد موقعٍ لها في نسيج المجتمع المصري الحديث. وهي بذلك توافق الأقلية المسيحية في بلاد الشام حين تعبر عن ذلك بمصطلح «العيش المشترك»، وتفارقها من جهة أن نصارى الشام عروبيون، يرفعون شعار القومية العربية بقوةٍ وحماسة، كرمز للرابطة البديلة عن الإسلام. ولكن «العروبة» وصف لا يسوغ أن يلجأ إليه نصارى مصر، حيث أنهم عرقياً سلالة أجنبية تماماً عن العرق العربي.

ومن جهة أخرى يقدم نصارى الشام من أرثذوكس وكاثوليك أنفسهم كوسيط حواري بين الإسلام والغرب النصراني، بينما لا يدعي ذلك أقباط مصر، ولا يُدِلُّون به، نظراً للشروخ العميقة التي تفصلهم عن النصرانية الرومانية والبروتستانتية، التي تحتاج إلى وقتٍ طويل لترميمها.

---

(١) الحوار بين الأديان. نقلاً عن مقالة «الحوار المسيحي الإسلامي» لعفيف عثمان. مجلة الاجتهاد عدد (٣١ ـ ٣٢/١١٨).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية في الواقع المصري. من: العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٣٥٢).

ولا ريب أن للأحداث الطائفية، والتعصب من الجانبين الذي تستفزه طبيعة التغلغل الاجتماعي، والضغوط المعيشية، دورٌ كبير في إقصاء فكرة التقريب بالحوار، والاستعاضة عنها بعرائض الشكاوى والمطالبات باسم الوطنية. فهل تفلح الوطنية لتكون عروةً يستمسك بها أقباط مصر في مزدحم المحيط الإسلامي؟ أم تكون قشةً يتعلق بها الغريق ولا تغني عنه شيئاً؟ كالقومية العربية لنصارى الشام، الذين سرعان ما شرعوا في البحث عن بديل مناسب عنها كالحوار والتقريب. يقدم الكاتب محمد عفيفي، المعني بشؤون الأقباط إجابة تقريبية على هذا السؤال فيقول: (.. جاءت المحاولات في القرن التاسع عشر لتقديم الوطنية كصيغة بديلة للعلاقة بين المسلمين والأقباط، وإنهاء عهد الذمة. ولكن في رأينا ـ للأسف[1] لم يرس القرن التاسع عشر ولا القرن العشرين أسساً متينة لمفهوم «المواطنية»، ولم يترجم هذا المفهوم بصورة واقعية ملموسة. وبقي مفهوم الوطنية مفهوماً هلامياً إلى حد كبير، يردده البعض دون محاولة الاقتراب منه ووضعه في صيغة عملية. ولا يأتي كلامنا هذا جزافاً، ولكن نتيجة لمحاولتنا في قراءة التاريخ المصري الحديث. فنحن نزعم أن مفهوم الوطنية مفهوم من مستحدثات القرن التاسع عشر، وهو مفهوم غربي حدّت منه إلى حدٍ كبير الرابطة الدينية، والجامعة الإسلامية، ثم بعد ذلك «القومية»، وما زالت مصر تبحث عن الطريق منذ دعوة «مصر للمصريين» في الثورة العرابية، وتعريفات لطفي السيد[2] للوطنية المصرية في مطلع القرن العشرين،

---

(١) كان الأجدر بالكاتب المسلم أن يتأسف على انفراط عقد الذمة الذي جاء به الشرع الحنيف، وليس على عدم تحقيق مكاسب للأقلية النصرانية على حساب الأصول العقدية والتشريعية للمجتمع المسلم، الذي يحفظ حق الذميين ويصونهم من العدوان على أنفسهم وأموالهم.

(٢) أحمد لطفي السيد (١٢٨٨ ـ ١٣٨٢هـ) (١٨٧٠ ـ ١٩٦٣م): رئيس مجمع اللغة=

وتيار الوعي الوطني الذي أحدثته ثورة ١٩١٩م، ودعاوى طه حسين[١] ولويس عوض[٢] بإحياء مصر القديمة ذات العلاقات المتوسطية، ودعاوى الفرعونية؛ أو التيار الإسلامي، والجامعة الإسلامية على يد مصطفى كامل، ثم الأممية الإسلامية على يد الإخوان المسلمين في أربعينيات هذا القرن، ثم الجماعات الإسلامية في السبعينيات، أو التيار القومي العربي لا سيما في الحقبة الناصرية. فأين الأقباط من كل ذلك؟)[٣].

= العربية بالقاهرة، ينعت بأستاذ الجيل، عمل في المحاماة وشارك في تأسيس حزب الأمة سنة ١٩٠٨م، وكان من أعضاء الحزب الوطني القدماء، ومن أعضاء حزب الوفد، وتحول إلىٰ حزب الأحرار الدستوريين. عُيّن مديراً لدار الكتب المصرية، فمديراً للجامعة عدة مرات، فوزيراً للمعارف والداخلية والخارجية. تأثر بالأفغاني، وتأثر به طه حسين. وكان ذو توجه تغريبي في الفكر والاجتماع والسياسة. من آثاره: علم الطبيعة، السياسة، الكون والفساد. انظر: الأعلام (١/ ٢٠٠).

(١) طه حسين (١٣٠٧ ـ ١٣٩٣هـ): طه بن حسين بن علي بن سلامة. دكتور في الأدب. أصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. درس في الأزهر، ثم بالجامعة المصرية القديمة. سافر في بعثة إلىٰ باريس، فتخرج بالسوربون، وعاد إلىٰ مصر عام ١٩١٨م، فعين محاضراً في كلية الآداب، ثم عميداً لها، فوزيراً للمعارف. تأثر بالمستشرقين، وضمن كتبه بعض آرائهم الضالة. ترك مؤلفات عديدة، منها: في الشعر الجاهلي، الأيام، قادة الفكر. انظر: الأعلام (٣/ ٢٣١).

(٢) لويس عوض (١٣٣٣ ـ ١٤١٠هـ): لويس بن حنا عوض. كاتب مصري. وقف من الحضارة العربية وإسهاماتها موقفاً معادياً، لا يراها شيئاً، وأن دورها قد انتهىٰ. والعرب عنده إما جهلة أو ناقلون. تخرّج بجامعة القاهرة عام ١٩٣٧م، وأوفده أساتذته الإنكليز إلىٰ جامعة كمبردج البريطانية فعاد بالماجستير، ثم إلىٰ جامعة برنستون بأمريكا ونال الدكتوراه. وعمل أستاذاً في جامعة القاهرة، وتولىٰ تحرير صحيفة الأدب والفن، ومن دعاة إحلال اللغة العامية محل الفصحى وكسر عمود الشعر. نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٨٨، وقد سامه سوء العذاب شيخ العربية محمود محمد شاكر في كتابه الدامغ: أباطيل وأسمار. انظر: ذيل الأعلام ١٦٠.

(٣) الأقباط بين عهد الذمة والوطنية. محمد عفيفي. مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٩٨).

إنها إجابة مختومة بسؤال يوحي بالإجابة. لقد ضاع الأقباط بين دعاوى القوميين، ولم يفلح الوطنيون في إرساء مبادئهم في الخضم الإسلامي المتجدد.

رابعاً: حقيقة التقريب عند بعض الجدليين من النصارى العرب:

لم يزل السجال العقدي، ومجادلة أهل الكتاب ظاهرة متصلةً بين المسلمين الذين أمرهم ربهم بمجادلة مخالفيهم بالتي هي أحسن: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وعدم مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن؛ إلا من ظلم: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾[1] [العنكبوت: ٤٦]، وبين خصومهم من اليهود والنصارى الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ [البقرة: ١٠٩].

كما لم تزل حجة الله بالغة، ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: ١٦]، والقرآن يعلو ولا يعلى عليه، وقد تكفل الله بإظهار دينه، وإعلاء كلمته: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩]. ولم يكن يجرؤ عباد الصليب ممن عاشوا بين ظهراني المسلمين، وخبروا متانة دينهم، على محاجة أهل الإسلام علناً، طوال القرون الخالية حتى دب إليهم إخوانهم من نصارى الغرب في فترة ضعفٍ وانحلال، وغلبة هوىً وجهل، في القرنين الأخيرين من تاريخ الإسلام، فأوحوا إليهم بعض الشبهات ليجادلوا المسلمين. ومن أقدم شبهات المستشرقين، من يهودٍ ونصارى، دعوى أن الإسلام خليطٌ ملفق من الثقافات اليهودية والنصرانية، تمت إعادة كتابتها بلسانٍ عربي، على يد رجلٍ ذكي ألمعي موهوب، وليس

---

(١) انظر فصل: المنهج الشرعي في دعوة أهل الكتاب، من الباب الثالث.

نبياً يوحى إليه من الله، هو محمد ﷺ، ضمها بين دفتي كتابٍ، هو «القرآن»(١).

وقد اقتات نفرٌ من النصارى العرب على هذا الفتات، واجترّوه برهة من الدهر، حتى ملَّه عقلاؤهم واستهجنوه. ولسنا بصدد نقض هذه الشبهة البائدة، وإنما نلفت النظر إلى أن بعض هؤلاء النصارى نقلها من ميدان الطعن المجرد، إلى ساحة الحوار الإسلامي النصراني، في محاولةِ «احتوائية» للإسلام، باسم التقريب بين الأديان.

ولعل أول من سبق إلى هذا الاستدراج المفضوح، الماروني اللبناني الأب «خليل إدّة» بكتابين صدرا عام ١٩٣٩م بعنوان: «المسيحية في الإسلام». فقد أراد أن يتخذ من أوجه التشابه العامة بين الإسلام والنصرانية ـ في نظره ـ ذريعة للقول: إن الإسلام مسيحية مقنعة. وهو حين يدعي ذلك، لا يفعله لأغراضٍ جدالية، بل سعياً للتقارب مع المسلمين، عن طريق اكتشاف أرضية مشتركة(٢).

وقد طُويت فكرة الأب إدة، باعتبارها نوعاً من محاولة الالتقاء

---

(١) ممن زعم ذلك من المستشرقين اليهود: جايجر، وهوروفيتز، وتري، وكاتشر. ومن النصارى: مير، وزويمر، وورودلف، ولامنس، وأندريه، وستاركي. انظر مقالة: جدال مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية (٣) د.رضوان السيد. وقد حكى الله هذه الفرية عن مشركي العرب، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

(٢) يقول د. رضوان السيد: (أما المحاولة التي تحولت إلى نهج أفاد منه سائر المجادلين المسيحيين العرب في مواجهتهم للإسلام؛ فهي المغامرة الحياتية للأستاذ يوسف درة الحداد، التي تعتبر من وجهة نظري أهم الجدليات الحديثة ضد الإسلام، بعد كتاب «ميزان الحق» للقس البروتستانتي Pfander. ويرجح أن تكون صدرت مؤلفاته بين عامي (١٩٥٦ ـ ١٩٧٠م). جدال مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية (٣).

في منتصف الطريق ـ على الأقل ـ في ظل مناخٍ اجتماعي وسياسي معين. تلقّف هذه الفكرة البسيطة الأب الكاثوليكي «يوسف درة الحداد (١٩١٣ ـ ١٩٧٩م)»، فشرَّق بها وغرب، وغاص وحلَّق، وجعل منها مشروع العمر، فسوّد آلاف الصفحات في تقريرها، والاستشهاد بما قرب وبعد من الأخبار والأشعار والقصص والأساطير المتصلة بوجود النصارى في بلاد العرب، فنظم سلك هذا المتناثر في عقدٍ خيالي مبهرج. ساعده في ذلك قلم سيال، لا يكل ولا يمل من تكرار الفكرة الواحدة في عشرات المواضع من الكتاب الواحد. وكأنما يلقّن قارئه كما يلقن معلم الصبيان. وقد سلّط فكره الضال على آي الكتاب العزيز فصار يهرف بما لا يعرف، ويفسر القرآن بهواه وما يتفق مع أسطورته التاريخية[(١)].

فأصدر مجموعةً من الكتب تحت مسمى: «في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي» تضمنت:

١ ـ مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

٢ ـ القرآن دعوة «نصرانية».

٣ ـ القرآن والمسيحية.

وقد أتى بالعجب العجاب الذي لا يتفق مع لغة العصر، بل شحنها بمقدمات مرفوضة نصاً وروحاً لدى أدنى مسلم، بل لدى أدنى عاقل منصف، استظهر فيها شبهات المستشرقين البائدة في القرآن ونبي الإسلام ﷺ، وصاغها في نظرية موغلة في الغرابة تبعث على السخرية والاستهجان. ولولا أنه قدم هذه الأفكار بوصفها أساساً للحوار الإسلامي النصراني في نظره، وإلا لما استحقت الإشارة والمناقشة، وكان موضعها الصحيح في حقل التصنيف مع شبهات النصارى والمستشرقين المتهافتة أمام الدين الحق.

---

(١) المرجع السابق.

ويظهر لي أيضاً أن تلك الأفكار المغربة موجودة لدى المؤلف سلفاً، وليس الباعث لها مشروع حوار طارئ. فقد قرر المؤلف هذه الدعاوى ورددها في مجموعة أخرى من كتبه أسماها «دروس قرآنية»! تضمنت ثلاثة كتب أيضاً، هي:

١ ـ الإنجيل في القرآن.

٢ ـ القرآن والكتاب، في جزئين: بيئة القرآن الكتابية وأطوار الدعوة القرآنية.

٣ ـ نظم القرآن والكتاب، في جزئين: إعجاز القرآن، ومعجزة القرآن.

ثم وجد المؤلف بغيته في قضية «الحوار»، فصنع لها إطاراً ضم تلك الأفكار المسبقة، وسماه «مدخلاً»، وختم بها باعتبارها محور ذلك الحوار. وبين المدخل والخاتمة يجتر الكاتب دعاويه المزيفة التي سوّد بها مئات الصفحات، وحشد فيها مئات الشبهات التي تحتاج لدحضها وبيان عوارها لمؤلفات موازية في ضخامتها للأصل الفاسد المراد نقضه[1]، مما يخرج بنا عن خصوصية البحث، ونكتفي بإشارات جامعة للافتراءات التي يدندن حولها المؤلف مقدماً إياها أساساً للحوار الصحيح ـ في نظره ـ بين الإسلام والنصرانية.

يؤسس الأب يوسف الحداد مشروعه التقاربي بين الإسلام والنصرانية على دعوى مفادها أن الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه القرآن ما هو إلا ثمرة جهود طائفة النصارى، وهم الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام من بني إسرائيل بوصفه بشراً يوحى إليه لا إلهاً، وبقوا مستمسكين بالتوراة والإنجيل معاً، بخلاف أتباع بولس الذين هم عامة النصارى اليوم.

---

(١) ألف المحامي أحمد عمران عام ١٩٩٥م كتاباً ضخماً بعنوان «القرآن والمسيحية في الميزان»، نقض فيه دعاوى الحداد في كتابه: «القرآن والمسيحية».

ويحلو للأب الحداد أن يُنظِّر افتراق القوم على النحو التالي: (هذا السلوك المختلف في الجماعة الواحدة، شق المسيحية منذ تأسيسها إلى سنة وشيعة: سنة المسيحيين الذي يتبعون شرعة الرسل في مجمع أورشليم[١]؛ وشيعة النصارى اليهود الذين ظلوا يقيمون التوراة والإنجيل معاً بزعامة آل بيت المسيح أسقف أورشليم)[٢].

وقد احتدم النزاع العقدي بين الفريقين وآل إلى اعتبار «النصارى» مبتدعة وهراطقة ومرتدين. (فالردة «النصرانية» موضوعها: الكفر بإلهية المسيح، والكفر بالفداء في صلبه. وينتج عن ذلك الكفر بالتثليث، والكفر بالتجسد. هذه هي عقيدة «النصارى» في المسيح. وسيقومون عليها طوال عهد الفترة ما بين الإنجيل والقرآن»[٣].

ونصل مع المؤلف إلى مبتغاه من إبراز هذا الانقسام وما تلاه من أحداثٍ تاريخية أدت إلى نمو المسيحيين أتباع بولس وضمور النصارى، فيقول:

(بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة عند الروم، هاجر اليهود إلى دولة الفرس يعتصمون بها، ويعملون لها بين العرب. ووقع النصارى من بني إسرائيل بين نارين، نار بني قومهم اليهود، ونار بني دينهم المسيحيين؛ فلم يبق لهم من ملجأٍ سوى الحجاز الذي تحميه صحاريه من استعمار الدولتين)[٤].

وهنا يحلق الأب الحداد في أجواز الخيال، فيضخم دور النصارى، الذي يجمع مؤرخو النصرانية على انقراضهم، فيجعل منهم

---

(١) راجع التمهيد: المبحث الثاني.
(٢) القرآن دعوة نصرانية: الأب: يوسف درة الحداد. (٥٦).
(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٦٦).
(٤) القرآن دعوة نصرانية. (٢٢٩).

(أساس النهضة الجاهلية في السياسة والتجارة والثقافة والديانة. ومن القرائن القرآنية نرى أن النصارى من بني إسرائيل أطلقوا في مكة والحجاز لنشر دعوتهم ثلاثة حركات:

أولاً: الحركة الحنيفية: . . . وربطوها باسم إبراهيم، جد إسرائيل وإسماعيل، وأسموها «ملة إبراهيم». . . وزعيمها «ورقة بن نوفل» قس مكة. . .

ثانياً: الحركة الإسلامية: ثم سمى النصارى من بني إسرائيل دعوتهم «الإسلام» وذلك قبل القرآن. . . وذلك في محاولة منهم لتعريب «النصرانية» باسم الإسلام، وتأليف العرب إليها بحجة أنها ليست اليهودية ولا المسيحية؛ فلا يتعرضون فيها لغضب الفرس مع اليهود، ولا لغضب الروم مع المسيحيين. فالحنيفية والإسلام صيغتان «للنصرانية».

ثالثاً: الدعوة القرآنية: . . . الدعوة القرآنية هي دعوة النصارى من بني إسرائيل، ومن «تنصر» معهم من العرب؛ فهم أُوْلُوا ﴿ٱلْعِلْمِ قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] الذين يشهدون مع الله وملائكته ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. والدعوة القرآنية «تأييد» للطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، على ﴿عَدُوِّهِمْ﴾، الطائفة اليهودية التي كفرت به: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤][(١)].

وبعد هذا التحليق الشاهق يهبط الكاتب ليرسم التفاصيل، ويضع النقاط على الحروف، فيعقد بحثاً بعنوان: «محمد على درب «النصرانية» من وحي السيرة، يتفنن فيه بكل ما أوتي من حيلة، وسيولة قلم، في جمع متناثر الأخبار، فيلوي أعناقها، ويخطم آنافها، ليثبت أن محمداً ﷺ ربيب النصرانية، وابن بجدتها ـ حاشاه ـ. (فيكون جد

---

(١) القرآن دعوة نصرانية. (٢٣٠ ـ ٣٢١).

محمد، عبد المطلب، أول من «تنصر» من قريش... ويكون محمد قد ولد في بيت «نصراني» في زعامة الدين والدنيا) بل إن كرمه يسع أبوي نبينا محمد ﷺ، وعمه أبا طالب، فيمنحهم صكاً باعتناق النصرانية، (وكان أول عمل للكفيل الكبير، أنه ختن حفيده في اليوم الثامن على عادة النصارى من بني إسرائيل... كان العمل الثاني أنه وجد له حاضنةً نصرانية اسمها «بركة الحبشية»... فكان محمد طفلاً في حضانة مسيحية... فجاءت الحاضنة المسيحية بمحمد الصبي إلى ورقة بن نوفل، قس مكة، وهو بمعبده ومنسكه في حراء، فعمده بماء زمزم. وهذا معنى أسطورة «شق الصدر»)[١].

أما قصة (بحيرا) الواهية سنداً ومتناً عند المحققين[٢]، فليست أسطورة عند الأب الحداد، بل هي (برهان على انتساب أبي طالب ومحمد إلى مذهب بحيرى «النصراني»، واعتماد الإمام الأكبر في «علم النصرانية» الذي ينتهي إليه - كأنه بابا تلك الأيام، في الفاتيكان «على كتاب يتوارثونه كابراً عن كابر»، هو إشارة واضحة إلى «إنجيل النصارى»... فزيارة محمد الفتى له كانت حجاً إلى الإمام الأكبر «للنصرانية»؛ وفي هذه الحجة تقرر مصير محمد، في قول بحيرى عنه: «سيكون نبي هذه الأمة»... وسترى بعد اثنتي عشرة سنة أخرى قس مكة يقول لابنة عمه خديجة التي تستفتيه في زواجها من محمد، أن افعلي لأنه: «سيكون نبي هذه الأمة»، فذهبت كلمة السر في مصير محمد)[٣].

---

(١) القرآن دعوة نصرانية. (٢٩٨ - ٣٠٢). وحادثة شق الصدر في صحيح مسلم (١/١٤٧). وليس فيها على تنوع سياقاتها ذكر لورقة بن نوفل.

(٢) انظر: دراسة الدكتور أكرم ضياء العمري للقصة في كتابه: السيرة النبوية الصحيحة (١/١٠٦ - ١١١).

(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٣٠٤ - ٣٠٦). والكاتب يستقي خيالاته من روايات=

وخديجة ﵂، في زعم الكاتب، كانت على النصرانية، وزواجها من محمد ﷺ كان بمشورة ورقة بن نوفل لاطلاعه على كلمة السر[١] من مرجعه الأعلى بحيرا. ولهذا (أقام محمد خمسة عشر عاماً في بيت خديجة، يتمتع بالجمال والمال والسيطرة التجارية على قريش والجزيرة، ويتدرب في كنف القس ورقة على الرسالة «النصرانية» بين العرب، ويَحْضُر ترجمة ورقة لإنجيل النصارى من العبرانية إلى العربية؛ ويتعلم «المِثل» القرآني)[٢] (الأحقاف: ١٠) الذي فيه «علم الكتاب» (الرعد: ٤٥)؛ ويستعد لأن يكون «أول المسلمين» (الأنعام: ١٦٣)، (الزمر: ١٢) متى دقت ساعة الله.

وحبب إليه الخلاء فكان يختلي مع قس مكة شهراً من السنة، شهر رمضان، في الصيام والنسك والتعبد، على طريقة الرهبان، يتأمل

= نصرانية شرقية حكيت حول شخصية الراهب «بحيرا»، طورت، وجمعت في كتابٍ عرف باسم «سفر بحيرا» (وهو كتاب مسيحي من المحتمل أن يكون قد وضع في صورته الحالية في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر... يتألف من ثلاثة أجزاء... وقد ورد في الجزء الثاني، الذي يكوِّن أسطورة بحيرا المنحولة كيف لقَّن سرجيوس محمداً ﷺ عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن. وذلك بقصد أن يجعل العرب يعترفون بإلهٍ واحد، ومن الواضح أن هذا الجزء من الكتاب يراد به إظهار محمد أنه نبي كاذب تلقى وحيه من راهب منشق هرطقي). انظر حاشية مترجم الإسلام والمسيحية. (٧٢). وهكذا انتهت سلسلة الكذب بالأب يوسف الحداد.

(١) لعله يقصد «سر السيامة» ـ أحد الأسرار السبعة ـ الذي يزعم النصارى أنه يحصل به انتقال السلطة الروحية من المسيح إلى الرسل الأساقفة. انظر مبحث النصرانية في التمهيد.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ والآية تدل على عكس مراده، فالإسرائيلي المؤمن في الآية شاهد على صدق ما جاء به النبي ﷺ وليس معلماً له.

في الوجود، ويستذكر ما تعلمه من أستاذه القس، وهو مجاور بجواره)[١].

هكذا يعبث الأب الحداد بالتاريخ، وينسج خيوط روايته الوهمية، بلا مستند أو أثارة من علم.

وماذا بعد نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ، هل انتهت فترة الحضانة النصرانية للدين الوليد؟ يقول القاصّ: (توسم زعماء «النصرانية» بمكة، في ابن قرابتهم محمد بن عبد الله، الكفاءة لخلافة أئمتهم في الدعوة إلى «النصرانية» وفرضها بالدعوة، وبالجهاد إذا اقتضى الأمر، على مكة والحجاز والجزيرة، «أمة وسطاً» بين اليهودية والمسيحية، ودولة وسطاً بين الفرس والروم. فكان لهم بعد خمسة عشر عاماً من الاستعداد الديني والنفسي والفكري، في تلك «الليلة المباركة»، «ليلة القدر» من شهر رمضان، بتلك ـ «الرؤيا الصالحة»[٢]، الصادقة. وكان الله نفسه من وراء قصدهم، و﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤])[٣].

ولكن إلام يقودنا الأب الحداد في هذه الرحلة المضنية المليئة بالأكاذيب والمغالطات، وما علاقة هذا الهراء بقضية «الحوار الإسلامي المسيحي» وكيف كان مدخلاً له؟.

(١) القرآن دعوة نصرانية (٣٤٢).

(٢) يعرّض الكاتب بإنكار الوحي، وأن ما حصل للنبي ﷺ في غار حراء كان مجرد رؤيا. ويعمي على القارئ المسلم بالاستشهاد بالآية الدالة على الرسالة، ومن المعلوم أن الرسالة عند النصارى وظيفة كبار الدعاة وليست وصفاً لأنبياء الله، ولهذا يقولون: الرسول بطرس، وبولس... ولا يقولون الرسول عيسى. كما أنهم يثبتون نزول الروح القدس على الرسل، بل وغير الرسل، دون أن يكون ذلك مستلزماً للنبوة. راجع التمهيد. مبحث النصرانية.

(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٣٤٣).

على القارئ أن يحبس أنفاسه، لأن الأب الحداد سيعلن مفاجأةً تاريخية في ختام كتابه: (سأفاجئ المسلمين والمسيحيين، في هذا الكتاب، بأنهم إخوة على دين واحد، وهم لا يشعرون، وإن افترقوا إلى سنة وشيعة، ما بين مسيحية وإسلام.

لا أقصد فقط وحدة التوحيد بينهم، وهي على حرفٍ واحد في التوراة والإنجيل والقرآن: «قل هو الله أحد». إنما أقصد الوحدة المصدرية التي تجمع الإسلام والمسيحية في الإيمان بالإنجيل، ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ... وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ من العرب [المائدة: ٤٩]؛ وفي الإيمان بالمسيح، ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]؛ في جامع واحد مشترك هو «النصرانية» القرآنية.

أبدأ بتبديد وهم شائع، يقع فيه الجميع حتى اليوم، وهو أن النصرانية والمسيحية شيء واحد؛ فهما في الرأي العام الموهوم اسمان لعقيدة واحدة. مع أن الحقيقة والواقع غير ذلك.

وهذا الوهم المتواتر يستند إلى واقعٍ قرآني. فالقرآن لا يذكر اسم «مسيحيين» على الإطلاق، بل يشملهم باسم «نصارى» مما يخلق تعارضاً في تصاريحه، تزيله القرائن..، وتلك الظاهرة القرآنية الكبرى ليست مسألة لغة فحسب، إنما هي مسألة عقيدة. والخلط بين اللغة والعقيدة كانت سبب تواتر الفهم الخاطئ للقرآن والإسلام. وهذا الفهم المشبوه كان سبب سوء التفاهم المتواتر ما بين الإسلام والمسيحية، ومصدر الصراع الأليم الأثيم فيما بينهما عبر التاريخ.

وقد آن لنا أن نعرف الحقيقة القرآنية التي تجمع بين الإسلام والمسيحية في أصلٍ واحد هو «نصرانية» محمد والقرآن، لتقييم المفاهيم، وتحسين الصلات الأخوية لفتح حوار أخوي جديد ما بين الإسلام والمسيحية، طليعة عهد جديد من الإخاء الأصيل، والولاء النبيل، لأمد طويل)[1].

---

(١) القرآن دعوة نصرانية. (٦٧١ ـ ٦٧٢).

هكذا أسس الأب الحداد بنيان مشروعه الحواري على شفا جرفين هاريين:

أحدهما: اعتبار الدين الإسلامي ونبيه وكتابه مرحلةً من المراحل التاريخية للنصرانية المنشقة - في نظره - عن المسيحية القويمة. كما انشقت الشيعة عن أهل السنة في الإسلام. وبناءً عليه فحوار الإسلام مع المسيحية - حسب اصطلاحه - هو حوار الفرع مع الأصل. فالإسلام كله نسخة عربية من «النصرانية»، والقرآن «دعوة نصرانية» بحروفٍ عربية تم استنساخها من نصارى مكة، الذين مهدوا لظهور الإسلام، وربوا نبيه وعلموه عقيدتهم. (فهذه «النصرانية» الشيعة، هي التي هاجرت من دولة الروم، لما أعلنت المسيحية فيها دين الدولة، إلى مكة والحجاز. وهذه «النصرانية» هي التي تبناها القرآن باسم الإسلام في دعوته. فكان القرآن دعوة نصرانية. وبما أن الإسلام القرآني هو «النصرانية» عينها، فالإسلام في نسبه الشيعة إلى المسيحية السنة: فهما فرعان لأصل واحد. وهذا ما يجهله أو يتجاهله المسلمون والمسيحيون)[1].

فالمطلوب إذاً أن يرجع الفرع إلى الأصل، وينضوي الإسلام تحت المسيحية ليتحقق الحوار والوئام في نظر الأب الحداد، الذي يُذكِّر أهل ملته قائلاً: (فلا ينس أهل الإنجيل قول السيد المسيح: «ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة؛ فهي أيضاً ينبغي لي أن أجيء بها، وستسمع صوتي، فيكون القطيع واحداً، والراعي واحداً» «يوحنا ١٠:١٦». فالمسلمون هم أيضاً مثال المسيحيين، خراف المسيح، لإيمانهم به على هذه الشهادة ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء])[2].

---

(١) القرآن دعوة نصرانية. (٦٧١ - ٦٧٢).

(٢) القرآن دعوة نصرانية (٧٨٣). ونحن نعكس الأمر على الحداد وندعوه وأهل=

الثاني: التفريق بين «النصرانية المذمومة في القرآن» و«المسيحية التي يتسمى بها نصارى اليوم». يقول الكاتب:

(.. يجب التميز بين النصارى من بني إسرائيل، والمسيحيين من الأمميين. ومن الظلم والخيانة للقرآن إطلاق اسم «نصارى» الوارد في القرآن، على المسيحيين المنتشرين في العالم. لم يتعرض القرآن للمسيحية الرسمية على الإطلاق، ولم يتصل النبي العربي إلا بوفد نجران[1]، وقد وزعوا حوار القرآن معهم على السور المدنية. وإجماع المفسرين أن وفد نجران كان من أهل البدعة اليعقوبية في المسيحية: فمن الظلم والخيانة للقرآن إطلاق أحكام القرآن في بدعة مسيحية، على المسيحية جمعاء. فالقرآن دعوة «نصرانية» في «أمة وسط» بين اليهودية والمسيحية. و«نصرانية» القرآن هي صلة الوصل بين الإسلام والمسيحية، وسبيل الحوار الصحيح بينهما، متى زالت الأوهام وبانت الحقائق في الدعوة القرآنية)[2].

= ملته ممن يسميهم مسيحيين وهم في الحقيقة بولسيون، إلى الرجوع إلى نصرانية أتباع المسيح ﷺ وحوارييه الذين قالوا: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، ونصرانية من سار على نهجهم من الذين قالوا إنا نصارى وكانوا أقرب الناس مودة للذين آمنوا، فحينئذٍ يحصل الاتحاد بقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة].

(١) يتعامى الكاتب عن كتاب رسول الله ﷺ لهرقل عظيم الروم، سدنة الكنيسة النصرانية الرسمية.

(٢) القرآن دعوة نصرانية. (٧١١)، وقد تشبث بهذه الدعوى؛ دعوى أن نصارى اليوم غير معنيين بتكفير القرآن وذمه، دعاة الحوار من نصارى العرب من أمثال جورج خضر، وكيرلس سليم بسترس وأضرابهم. فضلاً عن الجداليين العدوانيين من أمثال الأب الدكتور جوزيف القزي، المتستر بلقب أبي موسى الحريري في كتابه «قس ونبي»، وإلياس المر في كتابه «الإسلام بدعة نصرانية». انظر بحث الدكتور رضوان السيد: جدال مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية.

ويقرر الأب الحداد ـ بكل جرأة ـ ضابطاً في فهم القرآن فيقول:

(كل تأييد أو استشهاد بأهل الكتاب أو ببني إسرائيل هو للنصارى من بني إسرائيل. وكل تكفير لأهل الكتاب أو لبني إسرائيل هو لليهود. أما المسيحيون فليسوا من بني إسرائيل، وهم أهل «الغلو» في شأن المسيح بلغة القرآن، وإن سماهم أيضاً أهل الكتاب)[١].

لقد أخرج الكاتب المسيحية التي ينتمي إليها من حلبة الصراع، وبرأها من جميع صور النقد والتخطئة والتكفير التي صرح بها القرآن، ووجه هذه الحملة على «اليهودية» فقط. وفي الحالات التي لا يسعفه المقام بليّ أعناق النصوص بما يتفق ونظرته التي فاجأ بها العالمين، يحمل تلك النصوص على من يسميهم «بعض جهال نصارى الحجاز»، أو بعض البدع المسيحية، الخارجة عن المسيحية الرسمية كاليعاقبة والنساطرة[٢]. ثم يختم بحثه بصياغة شهادة جامعة بين أهل الإنجيل وأهل القرآن نصها: (أشهد أن لا إلا الله، وأن المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)[٣].

بعد هذا نتساءل: هل يظن الأب الحداد ـ في نفسه ـ أنه يسعى في طريق الحوار فعلاً؟ أم هي محاولة للتغرير بالبسطاء والسذج من المنتسبين إلى الإسلام؟ لا إخال مسلماً لديه أدنى مسكة من دينه يرضى أن يقال له إن دين الإسلام هو النصرانية عينها. وهذا ما أدى بالكاتب تركي علي الربيعو أن يستنتج العكس، وأن المراد إلغاء الحوار، فيقول معلقاً على كتاب «القرآن دعوة نصرانية»: (إن هذا النوع من الخطابات، والمسكون بها جنس الصياغة التبشيرية بدين المسيح كما تعبر عنه

---

(١) القرآن دعوة نصرانية. (١٠٣).

(٢) انظر: القرآن دعوة نصرانية. (٢٨٥ ـ ٢٨٨).

(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٤٥٧).

ألفاظه وتراكيبه، والذي يقوم على احتقار الآخر ورده إلى باب الخراف الضالة، والمسكون بشبح الدراسات الاستشراقية لا يهدف فعلاً إلى إقامة الحوار بل إلى إلغائه. لأن الحوار يحميه الاختلاف، وتعززه الخصوصية، في حين أن الضم بالقسر والإلحاق والتبعية تقوم على إلغائه، وتقود إلى فوضى وعشوائية يزخر بها الكتاب)[١].

ويرى الربيعو أن هذا اللون من الخطاب «المستتر» في الحوار الإسلامي المسيحي يعكس «المأزق البنيوي» للأقلية المسيحية في الأكثرية المسلمة، لكون (الحوار المسيحي ـ الإسلامي، هو حوار متعدي بمعنى أنه مضمر بما هو سياسي. فالبعد السياسي في الحوار هو الحاضر/ الغائب دائماً، والغائب/ الحاضر ابتداءً...

البعد السياسي للحوار المسيحي ـ الإسلامي يدفع بالمؤرخ أو الفيلسوف أو الهاوي للتاريخ، أو رجل الدين المؤرخ إلى تغليب أحد أبعاد الزمان على الأخرى، إنه البعد المستقبلي. وفي هذه الحالة يندفع إلى الوقوع في الاحتمالية، يبني احتمالاً على احتمال، فينتهي إلى تغليب الظن والوقوع في العشوائية... ليس هذا فحسب، بل إنه سرعان ما ينزلق إلى ساحة الأدلوجة[٢]، لينتهي إلى تضخيم تاريخ الأقلية على حساب الأكثرية، وإظهارها على أنها المبدأ والمعاد، والفرع الذي يريد أن يكون أصلاً. بهذا تصبح كل قراءة لتاريخ العلاقة الإسلامية المسيحية قفزاً جديداً على التاريخ، وهروباً إلى الأمام، وقفزاً فوق مستوى الحوار، بهدف إلغائه وتأجيله إلى أجل غير مسمى)[٣].

---

(١) الخطاب المستتر في الحوار المسيحي الإسلامي. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ١٣٩).

(٢) الأدلوجة: يعدها بعض الكتاب تعريباً لكلمة «أيدلوجي» Ideology أي فكري.

(٣) الخطاب المستتر في الحوار المسيحي الإسلامي. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

وأياً كان هدف الأب الحداد في قرارة نفسه؛ إقامة الحوار أم إلغاؤه، وأياً كانت البواعث وراء هذه الصياغة المُغرِبة، فإن النتيجة النهائية لفكرته أنه لم يأت بجديد في مجال الحوار. ذلك أننا لو سلمنا جدلاً بوجود تطابق كامل بين العقيدة القرآنية، وعقيدة النصارى، شيعة المسيح، حسب اصطلاح المؤلف، الذين انشقوا على المسيحيين، فغاية ما في الأمر أننا أعدنا الأمر جذعاً ونصبنا الخلاف على قواعده الأولى، التي أفرزت قرارات الحجب والحرمان، والوصم بالكفر والبدعة والهرطقة للمخالف. فأي ثمرة يجنيها الأب الحداد «في سبيل الحوار الإسلامي ـ المسيحي» مؤسسةٍ على نبش أحقاد الماضي، وبعث معضلات عقدية عميقة فشلت الكنائس في تجاوزها طوال القرون.

كما أن فكرة التفريق بين «المسيحية» والانحرافات «النصرانية» المذكورة في القرآن، بهدف تبرئة «المسيحية» من «الكفر» و«الغلو» لم تأت بجديدٍ أيضاً، ولم تحل إشكالاً أصلاً. فالكاتب مع براعته في التلفيق وتحريف الكلم عن مواضعه، حين يصل هذه المباحث يعترف أنه خلافٌ أكبر فيقول: (إن الخلاف الأكبر، في الحوار بين الإسلام والمسيحية يقوم على صلة التثليث المسيحي بالتوحيد الإسلامي)[(١)]. ثم يُعمل الحيلة لإثبات أن التثليث الذي يكفره القرآن ليس بالتثليث الذي يؤمن به المسيحيون! في الوقت الذي يردد فيه قانون الإيمان النصراني: (أومن بالله الواحد الآب... والرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد،... وبالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الأب، (بالابن)، الذي هو مع الأب والابن معبود ومحمود..)[(٢)].

عجباً لهاتيك العقول المغيَّبة في عماء التعصب والتقليد، كيف تسمي

---

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي: الأب يوسف درة الحداد. (٢١٧).
(٢) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي. (٣٠٥ ـ ٣٠٦).

هذا التثليث الشركي «توحيداً». لقد جمع قانون إيمانهم شِركَيْ الربوبية والألوهية، فكان مشركو الأمم من الوثنيين أحسن حالاً منهم لوقوعهم في شرك الألوهية دون الربوبية.

وتذهب محاولات الأب الحداد سدى وهو يحاول أن «يفلسف» القضية ويجمع النقيضين؛ التوحيد والتثليث، فيقول: (فالتثليث المسيحي هو الله وكلمته وروحه، في وحدة الكيان الإلهي. إنه تثليث في التوحيد الخالص)(١).

فليقض القارئ عجباً من «وحدة الكيان الإلهي»، والتوحيد الخالص، وهو يقرأ في نص قانون الإيمان النيقاوي الذي يردده النصارى في جميع الأرض: (.. وبالرب الواحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، النور من النور، الإله الحقيقي من الإله الحقيقي، مولود غير مخلوق، في جوهر واحد مع الأب. وهو الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وتأنس وصلب لأجلنا على عهد بنطيوس بيلاطس، وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب. وارتفع إلى السماء وجلس على يمين الأب)(٢).

إله مولود من إله، نزل، وتجسد، وتأنس، وصلب، وتألم، وقبر، وقام، وارتفع، وجلس على يمين الإله الأول! ومع ذلك فهما إله واحد!!

إن الأب الحداد ينعي على المسلمين جهلهم بهذا التوحيد الخالص، ويدعوهم إلى حوار قاعدته الأساسية (صحة التوحيد الخالص

---

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي (٣٠٨).
(٢) المرجع السابق، (٣٠٥).

المنزل ما بين الإنجيل ـ الذي يعتقده ـ والقرآن)[١].

هل داعية الحوار المسيحي يتعامل بوجهين، فيقول لمحاوريه من المسلمين ما يوهم التوحيد، فإذا خلا إلى بني ملته أبحر في التثليث؟.

إننا نجده في كتابه الحواري يقول متنصلاً من مقالة لـ «اليعقوبية»: (إن مقالة اليعقوبية قد كفرتها المسيحية قبل القرآن والإسلام. والمليار من المسيحيين يكفرونها اليوم. فمن الجهل والظلم المتاجرة بها في الحوار الإسلامي المسيحي)[٢]، ثم يعلق في الحاشية مستدركاً قائلاً: (نعتذر إلى الإخوان الذين يسميهم التاريخ الإسلامي «يعاقبة». ونحن على يقين بأن خلافهم مع جميع المسيحيين شكلي: إنه خلاف في التعبير، لا في العقيدة والتفكير)[٣]! مع أن السبب الذي حمل المجمع المسكوني الرابع عام ٤٥١م على تكفير اليعاقبة ـ وتمثلهم إذ ذاك كنيسة الإسكندرية ـ هو قولهم أن المسيح إله اتحد فيه اللاهوت والناسوت وصارا طبيعة واحدة، بينما يقول المجمع المذكور أنه إله بطبيعتين[٤]. أما السبب الذي لأجله كفرهم القرآن فهو القول بألوهية عيسى ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة].

وهو قول تشترك فيه سائر طوائف النصارى المعاصرين، مهما تحذلقت في التعبير عنه، على نحو قول الأب الحداد: (فالمسيح في عقيدة المسيحيين إلهٌ من حيث هو «كلمته ألقاها إلى مريم»، وكلمة الله ليس الله على الإطلاق، لأن الله هو الآب والكلمة والروح في وحدة

(١) المرجع السابق، (٢٨٦).
(٢) مدخل إلى الحوار الإسلامي (٢٨٨).
(٣) المرجع السابق، (٢٨٨).
(٤) انظر: محاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة (١٣٧)، المسيحية في العالم العربي (٥٧ ـ ٦٩).

الطبيعة الإلهية، فتكفير القرآن لا يطال المسيحية مطلقاً)[١].

ونرى أن لا فرق في الحقيقة بين مقالة اليعقوبية، ومقالة الملكانية «النصرانية الرسمية» من حيث إثبات كلٍ منهما ألوهية المسيح كما في النص أعلاه، وإنما اختلفوا في تفاصيل الباطل[٢]. ولنا في هذا المقام قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (فإن الشبهة التي عرضت لمن اتخذه إلهاً، شبهة باطلة، فلو كان لها وجه صحيح، لكان آدم أحق منه، فإنه خلق من دون أمٍ ولا أب، ومع ذلك، فاتفق البشر كلهم على أنه عبدٌ من عباد الله. فدعوى إلهية عيسى بكونه خلق من أمٍ بلا أب دعوى من أبطل الدعاوى[٣]...

وأنه «كلمته ألقاها إلى مريم» أي تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها. وهذا من إضافة التشريف والتكريم. وكذلك قوله: «وروح منه» أي من الأرواح التي خلقها، وكملها بالصفات الفاضلة، والأخلاق الكاملة)[٤].

لقد كانت محاولة الأب يوسف درة الحداد في مجال التقريب بين الإسلام والنصرانية ضرباً من الاحتواء المكشوف الذي تأباه لغة العصر، فضلاً عن الحقائق الثابتة.

---

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي. (٣٠٢).

(٢) يقول الأب الحداد، نفسه: (كل الفرق المسيحية في مطلع القرن السابع م، كانت مسيحية لا نصرانية، فالملكية، واليعقوبية، والنسطورية كلها تؤمن بإلهية المسيح من حيث هو كلمة الله ألقاها إلى مريم، مهما اختلفت في التفكير والتعبير على صيغة تلك العقيدة) القرآن دعوة نصرانية (١٠٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٨٧).

(٤) المرجع السابق: (٢/ ٢٢٥).

يقول الدكتور رضوان السيد[1]: (أراد الأستاذ الحداد من المسلمين الاقتناع بأنهم نصارى/ مسيحيون في الأصل. وبالتالي فلا حاجة للاستقلالية الدينية، «فالاجتماعية والسياسية». إذ أن هذه الاستقلالية الموهومة بالذات هي علة النزاع بينهم وبين المسيحيين)[2].

وتلك صفاقة ما بعدها صفاقة! وهو لا يقتصر على نفث مكنون صدره من الحسد متخفياً خلف صفحات الكتب، غاضاً صوته تحت هدير المطابع، بل يبلغ به النزق أن يرتجل خطاباً في دار «الفتوى اللبنانية» ببيروت، أمام الشيخ حسن خالد[3] مفتي الجمهورية، في

---

(١) د. رضوان السيد: حصل على الدكتوراه في الفلسفة (قسم الإسلاميات) من جامعة توبنغن بألمانيا الغربية عام (١٩٧٧م)، أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية، ومدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية في بيروت منذ ١/ ١١/ ١٩٩٤م، درس في جامعات هارفارد وشيكاغو بالولايات المتحدة الأميريكية، أستاذ زائر لعددٍ من الجامعات ومراكز البحوث، له حضور قوي في المؤتمرات والندوات الفكرية، يشغل منصب رئيس تحرير مجلة «الاجتهاد» منذ عام ١٩٨٨م. من مؤلفاته: «الأمة والجماعة والسلطة»، «دراسات في الفكر السياسي العربي والإسلامي ١٩٨٤م»، «مفاهيم الجماعات في الإسلام ١٩٨٥م»، «الإسلام المعاصر ١٩٨٧» وغيرها بالإضافة إلى تحقيق بعض كتب التراث. انظر ملاحق مجلة الاجتهاد (٢٩ ـ ٣٢)، وكتيب: «حركات الإسلام السياسي والمستقبل» (٣١).

(٢) جدالٌ مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية (٧).

(٣) حسن خالد (١٣٤٠ ـ ١٤٠٩هـ): مفتي لبنان. ولد في بيروت وتعلم في مدارس المقاصد الإسلامية بها. ثم انتقل إلىٰ مصر، وتخرّج في كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٤٦م. وتقلّد مناصب عديدة في القضاء، حتى عُيّن مفتياً للجمهورية اللبنانية عام ١٩٦٦م. له حضور سياسي وعلمي، كان عضواً في رابطة العالم الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر. توفي إثر انفجار سيارة ملغومة، إبّان الحرب الأهلية اللبنانية. من مؤلفاته: آراء ومواقف، الإسلام والتكامل المادي في المجتمع، المسلمون في لبنان والحرب الأهلية. انظر: تتمة الأعلام (١/ ١٣٠).

أواخر الستينيات الميلادية، حين جاء مرافقاً البطريرك مكسيموس حكيم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والإسكندرية وأورشليم للروم الملكيين الكاثوليك ـ في إطار زيارات المجاملة والتهاني بين الجانبين ـ ويؤكد فيه على الوحدة الدينية الجذرية، وينادي في محفل الخزي والعار متكلماً بلسان الجميع: (أيها الحفل الكريم، تسمحون لي بهذه الشهادة الجامعة، وهي عنوان إيماننا جميعاً بالسيد المسيح: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فحرف إيماننا جميعاً بالسيد المسيح واحد: إنه لكلمة الله، ولكن قد نختلف في تأويله. ومهما اختلفنا في تأويل هذا الاسم الكريم، فلا يصح أن نفسر «كلمة الله» بمعزلٍ عن «روح منه». إنهما مترادفان يفسر بعضهما بعضاً. فليس «كلمة الله» مجرد كلام الله، أو أمر الله؛ إنما هو «روح منه» تعالى: فهو ذات قائمة «منه» و«فيه» قبل إلقائه إلى مريم. فنحن على وحدة لنا جذرية في إيماننا نفسه بالسيد المسيح. وهذا محور إيماننا، وحوارنا بالحسنى والحكمة، في «أمةٍ واحدة»)[١].

ولم يحفظ أن أحداً في ذلك المقام، في دار الفتوى، موئل علماء المسلمين في ذلك البلد، رد عليه كفره وشركه وتحريفه لشهادة المسلمين بإسقاط شهادة أن محمداً رسول الله بل إنه ليفتخر بشهادته هذه قائلاً: (وقد أعلناها على رؤوس الأشهاد، بحضور أئمة رجال الدين، من المسيحيين والمسلمين، في دار الإفتاء ببيروت، وسط عاصفة مدوِّية من التصفيق)[٢].

ولم تستطع هذه التلفيقات والمداهنات أن تبنيَ وحدةً وطنية،

---

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي (٤٦٣).
(٢) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي (٤٥٧).

فضلاً عن وحدةٍ دينية كما طرق الحداد، وأطرق له مستمعوه، وتحولت عاصفة التصفيق الفاجر بعد سنيَّات معدودة، إلى فرقعة قنابل، ودويّ انفجارات، وإطلاق مدافع، واستبدلت زيارات التهاني بالمناصب الدينية، إلى اغتيالات أثيمة، كان من بين ضحاياها الشيخ حسن خالد ـ رحمه الله وعفا عنه ـ وصدق الله إذ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].



المبحث الرابع
حقيقة التقريب بين الأديان عند اليهود

إن موقف اليهود من التقارب بين الأديان، بل وبين أهل الأديان، مرتبط ارتباطاً وثيقاً باعتقادهم أنهم شعب الله المختار. إذ يعتقد «اليهود» على اختلاف طوائفهم واتجاهاتهم القديمة والحديثة أنهم عنصر متميز، وشعب مختار يفوق سائر الأعراق والأجناس البشرية. وليس هذا الاعتقاد لوناً من الأدبيات القومية التي تنشؤها الأقليات بغرض تعزيز تماسكها الداخلي، خوفاً من الذوبان في المجتمعات المغايرة، ولكنه عقيدة راسخة تمثل جزءاً من الدين اليهودي. فنصوص التوراة، بل الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام تتضمن أصول هذا الاعتقاد، مثل:

• ما جاء في سفر التكوين في عهد الله لإبراهيم عليه السلام: (سأجعل عهدي بيني وبينك... فاحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم (١٧/ ٢، ٩))[١].

• وما جاء في سفر الخروج: (وأتخذكم لي شعباً. وأكون لكم إلهاً (٦/ ٧))[٢].

• وفي سفر التثنية: (لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اختار الرب إلهك، لتكون له شعب خاصته من جميع الشعوب التي على وجه الأرض، لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب تعلق الرب

(١) العهد القديم (٩١).
(٢) العهد القديم (١٦١).

بحبكم واختاركم، فأنتم أقل من جميع الشعوب، بل لمحبة الرب لكم ومحافظته على القسم الذي أقسم به لآبائكم)[١] (٧/٦ ـ ٨).

ولا نبادر بدوافع عاطفية أو عصبية برد هذه الخصيصة لذرية إبراهيم، وأصحاب موسى ﷺ، مجاراة للشعارات العالمية السائدة التي تنكر أصل التفضيل والاصطفاء الإلهي، ولكننا نضع هذه المعاني في موضعها الصحيح كما قررها القرآن الكريم بعدل وحكمة:

فالاصطفاء والاختيار حاصل ولا ريب بمشيئة الله وحكمته: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص]. وقد نص الله على اصطفاء أشخاصٍ وبيوتٍ كريمة متميزة فقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣﴾ [آل عمران].

وخلافاً لنص سفر التكوين السابق المتضمن طلاقة العهد لذرية إبراهيم، يثبت القرآن ذلك العهد ويقيده بالقيود الإيمانية، لا الاعتبارات الوراثية العرقية: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ﷺ: (أي لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرَّها وحط قدرها لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين. ونتيجته أن يكون صاحبه على جانبٍ عظيم من الإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة. فأين الظلم وهذا المقام؟

---

(١) العهد القديم (٣٧٠).

ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها)[١].

وقد أثبت الله في كتابه، وعلى لسان عبده ونبيه موسى عليه السلام هذا التفضيل لبني إسرائيل في مواضع متعددة، في سبيل تذكيرهم بنعمه، وإقامة الحجة عليهم، ومطالبتهم بالوفاء بالعهود والمواثيق المفروضة عليهم، فمن ذلك: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الجاثية]، ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة]. فلا ريب إذاً (أنهم ـ في ذلك الزمان ـ خيرة الخلق، وأكرمهم على الله)[٢].

ولكن القوم تنكبوا الطريق، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار. فبدر منهم الكفر وسوء الأدب مع الله، والتطاول على أنبيائه بالقتل وصنوف الأذى، ونقض العهود والمواثيق، ما أوجب أن يرفع الله به عنهم هذه المزية والفضل، ويبدلهم بها خزي الدنيا وعذاب الآخرة. فصاروا مذمة للخلق يسومونهم سوء العذاب، وغلظت طباعهم، وساءت أخلاقهم، وفرقهم الله في الأرض شذر مذر، ومزقهم شر ممزق[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٧٣).

(٣) يعرف ذلك في التاريخ اليهودي باسم «الشتات» أو «الدياسبورا». ويرجع ابتداؤه إلى سنة ٧٠م حين دمر القائد الروماني «تيتوس» بيت المقدس فتفرقوا في أنحاء الأرض. وإثر ثورة فاشلة قام بها اليهود ضد الرومان سنة ١٣٥م أمر الامبراطور الروماني «هدريان» بعدم السماح لأي يهودي في الإقامة في=

كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء]. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾ [المائدة: ١٣] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران].

فماذا بقي لشذاذ الآفاق، وقتلة الأنبياء من دعوى الاصطفاء والاختيار، بعد أن أحلَّ الله عليهم غضبه ولعنته، وأوقع بهم المثلات؟

موقف الحركات اليهودية من «الأغيار»:

١ ـ الحركة الأرثذوكسية (المحافظون):

يصر عامة اليهود على أنهم «شعب الله المختار»، ويحاولون تفسير هذه الدعوى بشتى التفسيرات (ولكن أكثر التفسيرات تواتراً... هو أن الاختيار غير مشروط ولا سبب له، فهو من إرادة الله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، فهو قد اختار الشعب ووعده بالأرض، وليس لأي إنسان أن يتدخل في هذا.

ويبدو أن الاختيار لا علاقة له بالخير والشر، ولا بالطاعة أو المعصية، فهو لا يَسْقُط عن الشعب اليهودي حتى ولو أتى هذا الشعب بالمعصية، إذ أن حب الله للشعب المختار يغلب على عدالته، ولذلك لن يرفض الله شعبه كلية في أي وقتٍ من الأوقات، مهما بلغت شرور هذا الشعب، بل إن أحد المفسرين يدعي أن الله هو الذي اختار «الشعب اليهودي»، فالاختيار ملزمٌ له وحده[1] وليس ملزماً للشعب.

= فلسطين. انظر: الشخصية الإسرائيلية: د. حسن ظاظا. دار القلم ـ دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (٦٨ ـ ٦٩).

(١) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وليس هذا التقول البذيء غريباً على أمة=

هذا على عكس المفهوم الإسلامي للاختيار، حيث جعل الاختيار مشروطاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]، كما أنه ليس اختياراً عنصرياً أو عرقياً بل هو اختيار أخلاقي، غير مقصور على أمة بالذات بالمعنى العرقي للكلمة)[٢].

والوجه الآخر للمشكلة يكمن في أن الشعور بالفوقية يستلزم بطبيعة الحال نظرة دونية تجاه «الأغيار»، أي من ليسوا من اليهود. وقد طفح التراث اليهودي الذي كتبه الحاخامات عبر القرون بأبشع عبارات الحط والترذيل والاحتقار لمن سوى اليهود، وهم «الأغيار»، وتعني (بالعبرية «غوييم»، وهي صيغة للكلمة العبرية «جوى» والتي تعني «شعب» أو «توم». وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية دون سواها... وقد اكتسبت الكلمة فيما بعد إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها «الغريب» والأغيار درجات أدناها الأكوام، أو عبدة الأوثان والأصنام، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان)[٣].

على أن نصوص العهد القديم[٤] لا تسعف اليهود في رسم الصورة المنحطة الوضيعة للأغيار، ولا تمدهم بالأحكام المتعسفة الجائرة في التعامل معهم بالدرجة التي يمنحها لهم «التلمود». فقد لعب «التلمود» دوراً خطيراً طوال القرون في تشكيل العقلية اليهودية في

= قالت: «يد الله مغلولة» و«إن الله فقير ونحن أغنياء» و«إن الله استراح يوم السبت» إلخ.

(١) والإيمان بالله كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٢) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. غازي السعدي (٩٩).

(٣) المرجع السابق، (٣٤).

(٤) راجع مبحث الكتب المقدسة عند اليهود في التمهيد.

نظرتها تجاه ذاتها، وفي نظرتها تجاه الآخرين، ونصوصه تنضح بالكراهة والنبذ للآخرين. وقد قام الدكتور «روهلنج» عضو هيئة التدريس بجامعة «براغ» بتشيكلوسوفاكيا بجمع معتقدات اليهود من التلمود في مؤلف باللغة الفرنسية أسماه «اليهودي حسب التلمود»، نقتطف بعض ما ورد فيه حسب ترجمة الدكتور يوسف نصر الله لكشف خبيئة الضمير اليهودي تجاه الآخرين:

• (الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب «أمِّي» إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية).

• (إذا ضرب أمِّي إسرائيلياً فالأمِّي يستحق الموت... وأنه لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب).

• (النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان).

• (مسموح غش الأمي، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش. لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه).

• (إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود. وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب).

• (إن لحم الأميين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة. أما اليهود فإنهم تطهروا على طور سيناء. والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي).

• (إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر)[1].

---

(١) انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود. (٧٣ ـ ١١٢)، وانظر: المسيح=

بهذه الروح العدائية الإجرامية ربى أحبار السوء من الحاخامات أتباعهم عبر القرون زاعمين قداسة هذه التعاليم، محرفين للكلم عن مواضعه، ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن جراء هذه التعاليم عاش اليهود في تجمعات خاصة مغلقة، منعزلين عن سائر البشر في جميع مناطق العالم التي تشردوا فيها. فالتلمود، كما يقول غازي السعدي: (تعبير عن محاولة اليهودية الحاخامية التلمودية للسيطرة على جماهير اليهود وعزلهم عن بقية الشعوب)[١]. ويصف إسرائيل شاحاك[٢] مبلغ هذه السيطرة على الفرد اليهودي: (.. العقلية الدينية كانت تحكم تفاصيل السلوك اليهودي اليومي في كل مناحي الحياة، سواءً كان ذلك بين اليهود أنفسهم أو في ما يتعلق بعلاقتهم مع غير اليهود. ولذلك كان صحيحاً تماماً، أن

= المنتظر وتعاليم التلمود لمحمد علي البار وانظر على سبيل التفصيل والربط بالواقع التشريعي لدولة إسرائيل حسب تعاليم التلمود الفصل الخامس «القوانين ضد غير اليهود» من كتاب إسرائيل شاحاك (١١٩ ـ ١٥٠).

(١) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (٤١).

(٢) إسرائيل شاحاك: كاتب يهودي متحرر، ولد في «وارسو» عام ١٩٣٣م، وقضى طفولته في معتقل بيلسين. وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٤٥م، وأمضى صباه في مستوطنة للمتدينين اليهود. وخدم في الجيش، ويتمتع بثقافة موسوعية عميقة بالديانة والتاريخ اليهودي، وقد اطلع على مصادر عبرية محدودة التداول لغير اليهود، رغم أن مهنته «أستاذ كيمياء». ويهاجم شاحاك التقاليد الحاخامية المستمدة من التلمود، وينتقد سياسات إسرائيل العنصرية، مما يجعل كتاباته محل استنكار المؤسستين الدينية والحكومية في إسرائيل.
انظر تقديم «غور فيدال» لكتابه: التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة (٧). مقدمة حسن خضر الذي ترجم الكتاب بعنوان: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود (٨). وانظر أيضاً: تحليل «باروخ كيم لينج» للكتاب في مجلة الدراسات الفلسطينية (٣١/ ١٨٥ ـ ١٨٨).

اليهودي لا يستطيع أن يشرب حتى كوب ماء في بيت غير يهودي. وقواعد السلوك الأساسية تجاه غير اليهود كانت مطبقة من اليمن حتى نيويورك)[١].

ونتيجة لهذه المعادلة الصعبة. أعني الرفض الداخلي للآخرين في الضمير اليهودي، واضطرارهم للعيش بين ظهرانيهم، عانى اليهود الذلة والمسكنة والاضطهاد في المجتمعات الأوروبية والروسية، سيما بعد أن اكتشف الأخيرون وعامتهم من النصارى ما تحفل به الكتب الدينية اليهودية من بذاءة تجاه المسيح ﷺ وأتباعه[٢]، فكانوا لقمة سائغة لأعمال الهياج الشعبي في عموم أوروبا وروسيا القيصرية[٣]. وهكذا بقي اليهود بين شقي رحى طاحنين؛ القبضة الحديدية للحاخامات وقوانينهم الصارمة، والمجتمعات والحكومات المتربصة بهم. وهو جزء من العقوبة الإلهية التي تأذن الله بها لبني إسرائيل.

والآن ونحن في سياق معرفة الموقف اليهودي من «الأمميين» عقيدة وتاريخاً، لنصل من بعده إلى معرفة موقفهم من قضية التقريب بين الأديان المطروحة حالياً، نتساءل عن موقفهم من الديانتين «النصرانية» و«الإسلامية» تحديداً. يلخص إسرائيل شاحاك هذا الموقف بما يلي:

(اليهودية تكن كراهية عميقة للمسيحية مقرونةً بجهلها. وهذا الموقف تعزز بالاضطهاد المسيحي لليهود، ولكنه مستقل عنه إلى حدٍ بعيد. فالحقيقة هي أنه يعود إلى الوقت الذي كانت فيه المسيحية ضعيفة ومضطهدة «من قِبَل اليهود في الأقل»...، وقد شارك فيه اليهود الذين لم يضطهدهم المسيحيون... ويقوم هذا الموقف السلبي المتشدد على عنصرين أساسيين:

(١) التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية. وطأة ثلاثة آلاف سنة. (٢٧).
(٢) انظر المرجع السابق (٢٨ ـ ٤٠). وانظر ما تقدم في التمهيد.
(٣) انظر الكنز المرصود (١٠٣ ـ ١٠٧).

الأول: الكراهية والافتراء البشع ضد المسيح... وفق ما ورد في التلمود، فقد أعدم المسيح تنفيذاً لحكم محكمة دينية سليمة، بتهمة الوثنية وتحريض اليهود على عبادة الأوثان(١)، واحتقار السلطات الحاخامية. وكل المصادر اليهودية الكلاسيكية التي تذكر إعدامه، سعيدة تماماً بتحمل مسؤولية ذلك، وفي القصص التلمودية لا يرد ذكر الرومان أبداً(٢)...

الثاني: ولأسباب لاهوتية تجد جذورها في الجهل، تعتبر المسيحية، في رأي التعليم الديني، ديانة وثنية. وهذا يقوم على أساس التفسير الساذج للعقيدة المسيحية حول الثالوث والتجسد(٣)...

موقف اليهودية تجاه الإسلام، هو على العكس، ألطف نسبياً. ورغم أن النعت التقليدي الذي يطلق على محمد هو «مجنون»، فلم يكن له الوقع السيئ الذي يبدو أنه يوقعه اليوم، وهو في أي حال يشحب حيال الألقاب الشنيعة التي تطلق على المسيح. وبالمثل، فالقرآن ليس محكوماً بالحرق كالعهد الجديد، ولكنه ليس مكرماً كما تكرم الشريعة الإسلامية المخطوطات المسيحية المقدسة(٤). بل يعامل

---

(١) قد أكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة] قاتلهم الله أنى يؤفكون.

(٢) يريد الكاتب أن اليهود يتشرفون بمسؤولية قتل المسيح ـ بزعمهم ـ منفردين، دون الإشارة إلى «بيلاطس» الحاكم الروماني الذي وجه بصلبه بإغراء اليهود.

(٣) الواقع أن عقيدة التثليث والتجسد لون من الشرك والوثنية المنافي للتوحيد الخالص تسربت إلى النصارى من وثنية الإغريق والرومان حين اعتنقوا النصرانية. راجع العقائد النصرانية في التمهيد.

(٤) الإسلام يكرم «الإنجيل» من حيث هو كتاب الله، ويجعل الإيمان به وسائر كتب الله أحد أركان الإيمان الستة. أما الأناجيل المزعومة وأعمال الرسل=

ككتاب عادي. ومعظم المراجع الدينية توافق على أن الإسلام ليس وثنياً... ولذلك تأمر الهالاخاه[١] بوجوب عدم معاملة المسلمين بطريقة أسوأ من معاملة غير اليهود «العاديين»، ولكن ليس بأفضل منها كذلك)[٢].

تلك وجهة نظر كاتب يهودي، ذي ثقافة موسوعية، لا ينتمي إلى المؤسسة الدينية الحاخامية، بل إنها تناصبه العداء. أما الموقف الحقيقي لليهود من الإسلام فقد سبق بسطه في التمهيد لهذا البحث بما أغنى عن إعادته هنا[٣].

ولا نتفق مع شاحاك في تقديره لموقف اليهودية من الإسلام بأنه «ألطف» نسبياً من موقفها من المسيحية، إذ أن مجرد الفارق الكمي في حجم السباب والتهم البذيئة التي تسك المسامع، وتقذي العيون في الكتب اليهودية بين المسيح ومحمد ﷺ، مرده إلى أنها دونت غالباً قبل ظهور الإسلام. كما أن اليهود نعموا بالإقامة المطمئنة بين ظهراني المسلمين في المشرق الإسلامي والأندلس، بوصفهم أهل ذمة، في حين قاسوا الأمرين، وعانوا الاضطهاد في المجتمعات النصرانية في: أوروبا وروسيا، فلا عجب أن تحفل الأدبيات اليهودية بهذا اللون من

= ورسائل بولس وغيره التي يضمها ما يسمونه «العهد الجديد» فقد دخلها التحريف والكفر والشرك، فليست محل تكريم، بل محل ذم.

(١) الهالاخاه «Halakhah» كلمة من أصل آرامي، معناها الحرفي هو «الطريق القويم» ويعرفها المؤلف: (النظام القانوني لليهودية الكلاسيكية، كما مارسه كل اليهود تقريباً منذ القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثامن عشر، وكما يحافظ عليه حتى اليوم بشكل «اليهودية الأرثوذكسية») (١١٩) فهي تشير إلى (الجانب التشريعي لليهودية) المستمد من التلمود. انظر أيضاً الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (٩١).

(٢) التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة. (١٤٨ ـ ١٥٠).

(٣) راجع مبحث «موقف أهل الكتاب من الإسلام» في التمهيد.

«التنفيس». والحقيقة القرآنية الثابتة أن عاطفة اليهود والنصارى تجاه بعضهم، بعضاً مقدمة عند المشاحة، على عاطفة أي منهم تجاه المسلمين. قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

وأكبر شاهد ماثل على ذلك في العصر الحديث، قيام دولة إسرائيل بإعدادٍ وإمدادٍ من الأمم النصرانية. ولو كانوا «ألطف» ـ كما زعم شاحاك ـ ما اتخذوهم وغيرهم من أمم الكفر الوثنية أولياء، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة]. ومما يدل على أن موقف اليهودية من الإسلام «أغلظ» من موقفها من المسيحية، أن الاتفاق بين الدينين في أصل الإيمان بالله الواحد ـ خلافاً لتثليث النصارى ـ، والاتفاق في كثير من الجوانب التشريعية[1]، لم يحملهم على قبول الإسلام والفرح به، بل على العكس كما قال الله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

٢ ـ الحركة اليهودية الإصلاحية:

والسؤال الآن: كيف تحرر اليهود في القرنين الأخيرين (١٩، ٢٠م) من ربقة الانعزال الاجتماعي والثقافي، وانخرطوا في المجتمع العالمي؟ وهل كان ذلك نابعاً عن تغيير عقدي في نظرتهم لأنفسهم وللآخرين؟

---

(١) تبدي الكاتبة اليهودية هافا لازاروس عجبها من (التشابه المذهل بين هذين الدينين الموحدين، واللذين يعبران عن ذاتيهما عن طريق نصوص وشرع مكتوب وقانون شفوي «هالاخا والشريعة») وتسوق أمثلة متعددة لأوجه الشبه في مقالتها: الفكر الإسلامي والفكر اليهودي. مجلة الاجتهاد (٢٨/ ١٧٩ ـ ٢٠٩).

يرى شاحاك أن ذلك تم عبر مسارين متوازيين: أحدهما نشوء فكرة الدولة المدنية الحديثة وظهورها في أوروبا على أنقاض إمبراطوريات العصور الوسطى، والثاني تدمير السلطة القانونية للجاليات اليهودية، التي يمارسها الحاخامات بصرامة على أتباعهم، ثم يتابع قائلاً: (ما أن برزت الدولة الحديثة إلى الوجود، حتى فقدت الجالية اليهودية سلطة معاقبة أو تخويف اليهودي الفرد. وهكذا انهارت روابط مجتمع محكم الانغلاق، أحد أكثر المجتمعات شمولية في التاريخ البشري. فعل التحرير جاء في الغالب من الخارج، ورغم وجود بعض اليهود الذين ساعدوا عليه من الداخل، فقد كانوا في البداية قلائل جداً...

ولكن النتائج الاجتماعية لمسار التحرر هذا تمثلت في أن اليهودي، ولأول مرة منذ حوالي ٢٠٠م، أصبح حراً يفعل ما يشاء ضمن حدود القانون المدني للدولة، من دون أن يتحول إلى ديانة أخرى ثمناً لهذا التحرر. حرية التعليم وقراءة الكتب باللغات الحديثة، وتأليف وقراءة الكتب العبرية غير المجازة من الحاخامات، «وكان هذا شرطاً لأي كتابٍ بالعبرية أو اليديش»، حرية أكل الطعام غير المعد حسب طقوس الشريعة اليهودية «Kosher non»، حرية تجاهل المحرمات السخيفة العديدة المتعلق بالحياة الجنسية، وحتى حرية التفكير ـ لأن الأفكار الممنوعة من الآثام الخطيرة ـ كل ذلك منحته أنظمة الحكم المطلق في أوروبا رغم قساوتها ولاساميتها[1]، لليهود في أوروبا)[2].

---

(١) اللاسامية: ترجمة غير دقيقة للكلمة الأوروبية Antisemitisme التي تعني حرفياً: المذهب المعادي للسامية. أما من حيث المقصود الفعلي منها فهو «معاداة اليهود» أو «نبذ اليهود من المجتمع» أو مناهضة اليهود»، لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في أوروبا. انظر: الشخصية الإسرائيلية. د. حسن ظاظا (٧٧ ـ ٨٣).

(٢) التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية. وطأة ثلاثة آلاف سنة. ص٢٧ ـ ٣٠.

والقلائل الذين ساعدوا على «التحرر» من داخل الأمة اليهودية هم رواد «الحركة اليهودية الإصلاحية»، الذين تمردوا على «اليهودية الكلاسيكية المحافظة» التي ظلت متحكمة في حياة اليهود حتى القرن التاسع عشر تقريباً. و(يمكن اعتبار مذهب اليهودية الإصلاحية ثمرة مباشرة لحركة الاستنارة اليهودية، ولفكر «مندلسون» على وجه الخصوص. فقد حاول مؤسسو هذا المذهب أن يصلوا إلى صيغة معاصرة لليهودية تلائم العصر، وتتخلص من آثار المطلقات التاريخية التي كانت تدور في فلكها هذه الديانة... وقد جاء في قرارات مؤتمر بتسبرج الإصلاحي ١٨٨٥م: أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله، بل هو وثيقة من صنع الإنسان. أي أنه نتاج وعي الإنسان التاريخي، وليس مطلقاً خالصاً، لا علاقة له بالتاريخ، وينوء الإنسان بحمله... وعلى المستوى الفكري أعاد الإصلاحيون تفسير اليهودية على أساس عقلي، وأعادوا دراسة «العهد القديم» على أسس علمية، ونادوا بأن الدين اليهودي أو العقيدة الموسوية، وهي التسمية الأثيرة لديهم، تستند إلى قيم أخلاقية تشابه قيم الأديان الأخرى، كما ركز الإصلاحيون على الجوهر الأخلاقي للتلمود، مهملين التحريمات المختلفة التي ينص عليها القانون اليهودي، وخاصة القوانين الخاصة بالطعام. وقد عدل الإصلاحيون بعض الأفكار الرئيسية في الديانة اليهودية، فنادى «جايجر» بحذف جميع الإشارات إلى خصوصية «الشعب اليهودي» من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وأدبه. أي أنه طالب بالتخلي عن فكرة الشعب المختار كلية. وقد حاول بعض الإصلاحيين الإبقاء على هذه الفكرة مع إعطائها دلالة أخلاقية عالمية جديدة، فجعلوا الشعب شعباً مختاراً يحمل رسالته الأخلاقية لينشرها في العالم، ويمكن لمن يشاء أن يمنى بها. كما يؤكد الإصلاحيون أيضاً أن اليهود إنما شردوا ليحققوا رسالتهم بين البشر، وأن النفي هو وسيلة لتقريبهم من الآخرين وليس لعزلهم عنهم.

وأضفى الإصلاحيون على فكرة العودة والمسيح طابعاً إنسانياً. إذ رفض ممثلوهم في «بتسبرج» فكرة العودة الشخصية للمسيح المخلص، وأحلوا محلها فكرة العصر الماسيحاني[١]، أي عصر يحل فيه السلام والكمال. هذا العصر سيأتي من خلال التقدم العلمي والحضاري، سيؤدي إلى خلاص كل الجنس البشري، وإلى انتشار العمران والإصلاح... ويصل البرنامج الإصلاحي بتقديمه وتاريخيته وإنسانيته الذروة في المبدأ الخامس الذي أعلنه مؤتمر بتسبرج: نحن في العصر الحديث، عصر حضارة العقل والقلب الجامعة، اقتراباً لتحقيق أمل إسرائيل «الماسيحاني» العظيم، لأجل إقامة مملكة الحقيقة والعدالة والسلام بين جميع البشر. نحن لا نعتبر أنفسنا أمة بعد اليوم، بل جماعة دينية، ولذا فنحن لا نتوقع عودة إلى فلسطين، أو عبادة قربانية في ظل أبناء هارون، ولا استرجاعاً لأي من القوانين المتعلقة بالدولة اليهودية)[٢].

واضحٌ أن الاتجاه الإصلاحي التحرري يعني التخلي عن الثوابت العقدية، والسمات التاريخية، للشخصية اليهودية، بدءاً من تحطيم أسطورة «شعب الله المختار» بالمعنى التلمودي، وانتهاءً بتأويل «باطني»

---

(١) المسيحانية: Messianisme، أصلٌ من أصول العقيدة اليهودية، تقوم على فكرة بعثة مسيح مخلص من اليهود يؤتى الملك والبركة والمعجزات، يكون بمبعثه ارتفاع غضب الرب على اليهود، وتجديد العهد معهم، وسيادتهم على جميع الشعوب، وأن عصره الماسيحاني عصر اضمحلال العداوات والبغضاء بين بني إسرائيل، وبين الذئب والحمل، والنمر والجدي، والإنسان والثعبان... إلخ. انظر: الفكر الديني اليهودي. أطواره ومذاهبه: د. حسن ظاظا. دار القلم ـ دمشق، دار العلوم والثقافة ـ بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). (٩٥ ـ ١٢٨). والمسيح المنتظر وتعاليم اليهود. د. محمد علي البار.

(٢) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود (١١٢ ـ ١١٦).

لعقيدة المسيح المخلص، التي داعبت مخيلة اليهود طوال قرون الشتات، وما يستتبع ذلك من مشاريع «الدولة اليهودية»، وحلم العودة إلى أرض الميعاد «فلسطين».

٣ ـ الحركة الصهيونية العنصرية:

وأياً كانت مبررات ظهور هذا الاتجاه، فقد خفت صوته أمام النبرة العالية لحركة قومية دينية عنصرية مضادة، عرفت باسم الحركة الصهيونية، سعت سعياً حثيثاً على المستويين السياسي والشعبي لإنشاء وطن قومي لليهود فوق أرض فلسطين، وعقدت أول مؤتمرٍ لها في «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م. وأمام النجاحات التي حققتها «الحركة الصهيونية» المدعومة من الأصولية اليهودية من جهة، والدول الاستعمارية الغربية من جهة أخرى، قلص ظل اليهودية الإصلاحية بأفكارها الليبرالية[١] الطارئة على الحس اليهودي، واضطرت إلى إجراء تعديلات توفيقية بين الاتجاهين القومي والإنساني[٢].

قطفت الحركة الصهيونية الثمرة بإعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م. وكان أول وصف لها، كما تعرف نفسها، أنها «دولة يهودية». يقول شاحاك: (كان مبدأ كون إسرائيل «دولة يهودية» ذا أهمية فائقة لدى السياسيين الإسرائيليين منذ قيام الدولة، وقد غرس في أذهان السكان اليهود بكل الوسائل التي يمكن تصورها. وعندما ظهرت، أوائل الثمانينيات، أقلية يهودية تعارض هذا المفهوم، صدر قانون دستوري «قانون له الأولوية على أحكام القوانين الأخرى، ولا يمكن

---

(١) الليبرالية: Liberalism و«ليبرالي» Liberal. متحرر من التزام السنن والأشكال التقليدية إلخ. وتستعمل في الفكر والسياسة والاقتصاد والدين النصراني. «ليبرالية بروتستانتية». انظر: المورد (٥٢٥).

(٢) انظر المرجع السابق، (١١٥ ـ ١١٦).

إلغاؤه إلا وفق أصول خاصة» عام ١٩٨٥م، أقرته أغلبية كبيرة في الكنيست، وبموجب هذا القانون لا يجوز لأي حزب يعارض برنامجه مبدأ «الدولة اليهودية»، أو يعلن عن عزمه على تغيير هذا المبدأ بالوسائل الديموقراطية، أن يشارك في انتخابات الكنيست)(١).

ويمضي الكاتب اليهودي بعرض الممارسات القانونية للدولة اليهودية ضد غير اليهود(٢)، كقانون «حق المساواة أمام القانون»، وقانون الهجرة ومنح الجنسية... إلخ(٣).

والأخطر من ذلك ونحن نرصد موقف اليهود من «الأغيار» وبالتالي من قضايا «التقريب» و«الحوار»، هو السماح للحركات الدينية المتطرفة بالنمو والتنفيس عن أحقادها التلمودية في حدودٍ قومية آمنة، بعد أن عانت مرارة «الحرمان» من ممارسة هذه المتعة الخبيثة طوال قرون الشتات.

٤ ـ الحركة الأصولية الدينية:

ومن أبرز هذه الحركات الأصولية اليهودية حركة: «غوش إيمونيم Gush Emunim»، أي جماعة المؤمنين. فبالرغم من انتشار جماعات

---

(١) التاريخ اليهودي، والديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة (١١).

(٢) (وفق القانون الإسرائيلي، يعتبر الشخص يهودياً إذا كانت أمه يهودية أو جدته لأمه، أو جدة أمه يهودية، أو إذا تحول الشخص إلى اليهودية بأسلوبٍ ترضى عنه السلطات الإسرائيلية، وبشرط أن لا يكون هذا الشخص قد تحول عن اليهودية إلى أية ديانة أخرى... ويعترف التلمود والقانون الديني اللاحق للتلمود بتحول غير اليهودي إلى اليهودية... شريطة أن يتم التحول على يد رجال دين مفوضين بذلك وبالأسلوب الصحيح) المرجع السابق، (١٣، ١٤). وانظر أيضاً: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود (١٠١ ـ ١٠٩).

(٣) انظر المرجع السابق، (١٤ ـ ١٦)، (١٣٩ ـ ١٤٨). وانظر أيضاً: أبحاث في الفكر اليهودي: د. حسن ظاظا. دار القلم ـ دمشق، دارة العلوم والثقافة ـ بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). (١١٥ ـ ١١٦).

«الحريديم»[١] في المجتمع الإسرائيلي وعنايتهم بإقامة الصلوات والطقوس الدينية، وتمسكهم الشديد بتعاليم «الهالاخا»، إلا أنهم لا يمثلون قوة سياسية منظمة ذات أهداف استراتيجية، ولا ينخرطون في العمل السياسي الديموقراطي.

لكن الحركات الدينية الأصولية[٢] ـ وعلى رأسها غوش إيمونيم، تفارق سائر المتدينين بتوظيف الجوانب العقدية، التوراتية والتلمودية، لصالح مشروعها السياسي. وفي الدراسة الجادة التي كتبها إيان لوستك[٣] بعنوان: «الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب»[٤]، يعتبر الكاتب «غوش إيمونيم» نواة الأصولية اليهودية المنظمة، ويعرفها قائلاً: (.. إن التعبير الأوضح والأقوى عن الميول الأصولية في المجتمع الإسرائيلي يتركز في «غوش إيمونيم». وهي منظمة تنطوي على خليطٍ من العناصر وتضم ١٠,٠٠٠ ـ ٢٠,٠٠٠ داعية. أما شعارها فهو: «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بحسب توراة إسرائيل». وتعتبر هذه المنظمة، بلا شك، أنجح حركة غير برلمانية نشأت في إسرائيل منذ تأسيس الدولة سنة ١٩٤٨م. يعزى قدر كبير من نجاحها إلى علاقة التكافل الحيوي التي أقامتها مع «الليكود»، أكبر أحزاب اليمين السياسية في إسرائيل...

---

(١) الحريديم: هم غلاة اليهود، وهي كلمة عبرية تعني «الأتقياء».

(٢) يعتبر إيان لوستك الأصولية (نمطاً من العمل السياسي يتم بعلاقة وثيقة جداً بين عقائد المرء الأساسية وبين السلوك السياسي المصمم على تحقيق تغير جذري في المجتمع). الأصولية في إسرائيل (١٠).

(٣) باحث أمريكي متخصص بشؤون إسرائيل والشرق الأوسط.

(٤) صدر هذا الكتاب سنة ١٩٨٨م باللغة الإنجليزية بعنوان:

Jewish Fundamentalism in Israel For the Land and the Lord

وترجمه إلى العربية حسني زينة سنة ١٩٩١م عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

ويجب ألا يستهان أيضاً بأهمية التفاني الذي أظهره أعضاء الحركة الأصولية عند تقويم عوامل نجاحها. فرجال غوش إيمونيم ونساؤها قد آلوا على أنفسهم أن ينفقوا حياتهم من أجل ضمان ضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين إلى دولة إسرائيل بصورة نهائية... وهدفهم العملاني، استعجال الوتيرة التي يتمم الشعب اليهودي فيها قدره. وهذا يشتمل، في نظر معظم هؤلاء الدعاة، على بسط السيادة اليهودية على أرض إسرائيل الكاملة، وفق ما جاء وصفها في التوراة، والاستعاضة من أشكال الحكم الليبرالية الديموقراطية الغربية النمط، بأشكال «يهودية أصيلة» وإعادة بناء الهيكل في القدس تنفيذاً للخلاص المسيحاني الذي قضاه الله، وإن جاء هذا التنفيذ بعد تأخير طويل. وهم يشددون على أن العمل السياسي هو الوسيلة لتحقيق التغيير السريع في المجتمع الإسرائيلي بحسب مقتضيات يهودية أصيلة إلهية المنشأ، وغير قابلةٍ للمساومة)[١]. ويرجع تأسيس هذه الحركة إلى (مدرسة دينية يترأسها صهيوني متحمس، وهي مدرسة «مركاز هراب» في القدس، وهي المدرسة التي تخرج منها زعماء حركة غوش إيمونيم... وكانت المدرسة برئاسة الحاخام «تسفي يهودا كوك» النجل الأوحد للحاخام الرئيسي السابق[٢]... إن أوائل أصحاب «القبعات الدينية المنسوجة» من خريجي مدارس «بني عكيبا»[٣] الذين أنهوا خدمتهم العسكرية في

---

(١) الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الرب والأرض: إيان لوستك. ترجمة: حسني زينة. مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩١م. (١٤ ـ ١٥).

(٢) إبراهام يتسحاق كوك ـ (أول كبير حاخامي فلسطين «١٩٢١ ـ ١٩٣٥» أول من قدم نظريات الصهيونية الدينية التي تشكل الأساس الأيديولوجي للأصولية اليهودية العصرية) الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٣) بني عكيفا أو عكيبا: حركة شبابية تابعة للحزب الديني القومي، اعتنت ببناء المدارس الدينية.

منتصف سنوات الخمسين، قد بحثوا عن مدرسة دينية ليتمكنوا فيها من مواصلة دراستهم العليا، وكانت مدرسة «مركاز هراب» هي المكان الذي يناسب خلفيتهم الثقافية والسياسية... لقد نشأت علاقة عميقة وفريدة من نوعها بين الحاخام تسفي يهودا كوك والشبيبة الدينية الوطنية)[١].

إن هذا الحاخام يعتبر بحق (زعيم دعاة غوش إيمونيم، ومرشدهم الروحي، ذو الجاذبية الشخصية؛ مدير مركاز هاراب حتى وفاته في سنة ١٩٨٢)[٢].

وقد غرس في نفوس أتباعه فكرة التعصب الأعمى لأرض إسرائيل الكاملة.

ومع احتدام الجدل حول مصير الأراضي العربية المحتلة إثر حرب الأيام الستة في حزيران ١٩٦٧ «قطاع غزة، والضفة الغربية وهضبة الجولان»، أطلق الحاخام تسفي يهودا كوك بياناً صدره بالعبارة التالية «لن تقيموا»، جاء فيه: (إن هذه البلاد لنا، ولا توجد هنا أية مناطق عربية وأراضٍ عربية، بل أراضي إسرائيل تراث الآباء الخالد، وهي في جميع حدودها الواردة في التوراة تابعة للحكم الإسرائيلي)[٣].

وقد قام الكاتب الأميركي «إيان لوستك»، في دراسته المشار إليها آنفاً، بتحليل «النظرة الأصولية اليهودية إلى العالم» من خلال تأمل أفكار الحاخام تسفي يهودا كوك واثنين من كبار تلامذته في قيادة «غوش

(١) غوش أمونيم: الوجه الحقيقي للصهيونية: تأليف داني روبنشتاين. ترجمة غازي السعدي دار الجليل. ط١٩٨٣ (١٣).

(٢) الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٣) انظر: «غوش أمونيم، الوجه الحقيقي للصهيونية» (١٨).

إيمونيم» وهما: الحاخام مناحم كاشر[١]، وهارولد فيش[٢]، وخلص إلى أن الفكر الأصولي اليهودي يقوم على عقائد سبع أساسية، تدور حول المسائل التالية:

أولاً: خروج الشعب اليهودي عن المألوف: خلافاً للحركة الصهيونية التي رأت أن حل المشكلة اليهودية، يستند إلى القناعة الجريئة بأن العداء لليهود يمكن أن يزال نهائياً إذا ما منح اليهود فرصةً لأن يكونوا شعباً سوياً»... عبر «فيش» بعبارات فريدة في صراحتها عن قلب غوش إيمونيم هذه المسلمات الصهيونية الأساسية رأساً على عقب. فيقول: إن فكرة (أن الأمة اليهودية أمة سوية، وأنه ينبغي لما يسمى بالمجتمع الدولي أن يعاملها من حيث هي كذلك... هي الوهم الأصلي الذي توهمته الصهيونية العلمانية).

فاليهود ليسوا شعباً سوياً، ولا يمكن أن يكونوا كذلك، بل إنهم في الحقيقة شعبٌ غير سوي بصورة لا رجعة عنها. وإن فرادة اليهود الأبدية، ناتجة عن العهد الذي أقامه الله معهم في جبل سيناء...

فالأصوليون يتبنون فكرة أن اليهود «عم سغولا» شعب مختار، أو شعب عزيز... ويترتب على كونهم مختارين أن المقتضيات المتعالية التي يجب على اليهود الاستجابة لها تلغي القوانين الخلقية التي تقيد سلوك الأمم السوية... يقول شلومو أفينر[٣]: (لقد كنا على خطأ، من

---

(١) حاخام، عالم في الدين. مؤلف The Great Period «الحقبة العظمى»، معروف في دوائر الأصوليين بتحليله للحقبة المعاصرة، واعتبارها حقبة الخلاص. الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٢) مؤلف، رئيس جامعة بار ـ إيلان سابقاً ـ الجامعة الدينية الوحيدة في إسرائيل الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٣) حاخام مستعمرة بيت إيل في جوار رام الله؛ محرر دورية «أتوري كاهانيم» التي تصدرها يشيفا تاج الكهنة في مدينة القدس القديمة. الأصولية اليهودية (٢٠٣).

وجهة نظر الأخلاق الإنسانية، في «انتزاعنا الأرض» من الكنعانيين[١]. إن هناك سراً واحداً فقط. لقد أمرتنا مشيئة الله أن نكون شعب أرض إسرائيل). هكذا، إذاً ترفض الأصولية اليهودية نهائياً الصورة التقليدية التي روجتها الصهيونية عن اليهود كشعب سوي يتقيد ويكافأ بحسب القوانين، ومبادئ تقرير المصير القومي عينها المطبقة على الأمم الأخرى.

ثانياً: معنى المقاومة العربية لإسرائيل: إن صورة الفلسطينيين من حيث هم هالكون في مقاومتهم الانتحارية للحكم اليهودي في أرض إسرائيل، تقابل تصنيفاً أعمق جذوراً لهم. فحاخامو غوش إيمونيم ومنظروها ينظرون إلى المواطنين العرب عادة باعتبارهم «كنعانيين» أو «بني إسماعيل»، ويسترجعون الشروط التي عرضها «يشوع بن نون»[٢] على الكنعانيين قبل غزوه بلادهم، أو الأوضاع التي دعت إبراهيم إلى طرد إسماعيل[٣]، عندما يفكرون في تقرير السياسة الملائمة للأوضاع الحالية. فمن ذلك أن الحاخام تسفي يهودا استشهد بابن ميمون[٤] على

---

(١) يعبر اليهود عن الفلسطينيين بـ«الكنعانيين» أو «أولاد إسماعيل».

(٢) أول أنبياء بني إسرائيل بعد موسى ﷺ. تولى قيادة بني إسرائيل، وحصلت على يديه الفتوحات والملاحم القتالية. ويعرف في المصادر العربية باسم «يوشع»، انظر أخباره في العهد القديم، سفر يشوع (٤١٧ ـ ٤٦٢).

(٣) يزعم اليهود في العهد القديم أن إبراهيم طرد هاجر وابنها بناءً على رغبة سارة. والنص القرآني يدل على عكس ذلك، وأن إبراهيم ﷺ استجابة لأمر الله أسكن هذا الفرع من ذريته مكة تكريماً له: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ۝٣٧﴾ [إبراهيم].

(٤) موسى بن ميمون: القرطبي (٥٢٩ ـ ٦٠١هـ ـ ١١٣٥ ـ ١٢٠٤م) طبيب، فيلسوف يهودي رحل إلى مصر إبان حكم الأيوبيين، وكان رئيساً لليهود، وطبيباً لصلاح الدين. ويعد من عظماء علماء اليهود. وله مؤلفات كثيرة في الملة اليهودية. انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٩/٧ ـ ٣٣٠).

أن الكنعانيين خيروا بين ثلاثة: الفرار، أو القبول بالحكم اليهودي، أو القتال. وهذه هي الخيارات التي يقترح أن يختار منها اليهود في اتخاذ موقفهم من العرب الفلسطينيين. لقد أدى اختيار معظم الكنعانيين القتال طبعاً، إلى القضاء عليهم. والمصير نفسه ينتظر السكان غير اليهود الذين يختارون الوقوف في وجه إقامة السيادة اليهودية على الأرض كلها...

ثالثاً: عزلة إسرائيل الدولية كدليل على اختصاص الشعب اليهودي بكونه مختاراً:

إن الوصف التوراتي لعلاقة الشعب اليهودي بشعوب الأمم، والذي يستشهد أنصار غوش إيمونيم به في معظم الأحيان، هو ذاك الوارد في العهد القديم في سفر العدد «الإصحاح ٢٣:٩»: «هو ذا شعب يسكن وحده، وبين الشعوب لا يحسب». وهذا يعبر عن اعتقاد راسخ بأن التمييز، الوحيد تقريباً، الذي يستحق الذكر بين الجماعات البشرية هو ذاك القائم بين اليهود والأمم. ولذلك يؤول الأصوليون ما ترمي جماعة أمم الأرض به دولة إسرائيل من ازدراء متهور، بأنه بيّنة إضافية على مصير الشعب اليهودي الإلهي الخاص ـ وهذه في مذهب فيش «علامة لاهوتية على انتقائه»... إن مفهوم التضاد الجوهري بين اليهود والأمم يحتل مركز الصدارة في الفكر الأصولي. يقول أفينر: (لقد خبرنا معارضة الغوييم لدولة إسرائيل حتى من قبل قيامها. والعداء الذي تبديه شعوب الأرض للشعب اليهودي لم يزل موجوداً على مدى التاريخ. ومثل هذا العداء لم يبد إزاء أي شعبٍ آخر... وأصل هذا النوع من العداء هو، في التحليل الأخير، أن قيمنا الخلقية تتعارض والأساس الذي تبني شعوب الأرض حيواتها عليه. فنحن في جوهرنا ننفي مُثُلَها. ولئن كنا على حق فهذا يعني أن أسس حيواتها قد قوضت. نحن لا نية لنا في إيذائها، إلا أننا ننفي طرائق حيواتها، وهذا ما يحملها على معاداتنا)...

بينما كانت الصهيونية الكلاسيكية ترى أن معاداة السامية ستتلاشى شيئاً فشيئاً مع إنشاء دولة سوية لأمة يهودية سوية، تجد أن الأصولية اليهودية تتوقع أن يستمر اضطهاد اليهود والدولة اليهودية استمراراً لا يقبله العقل، حتى بلوغ عملية الخلاص ذروتها.

رابعاً: استحالة التوصل إلى السلام بالمفاوضات: ... ثمة نوعان من السلام ممكنان في هذا المنظور: الأول: سلامٌ عابر يستند إلى إدراك العرب والعالم قوة إسرائيل. وهذا النوع من السلام لا يستطيع أن يدوم إلى الأبد لأنه لا يعني أن العرب قد تخلوا عن تدمير إسرائيل، إلا أنه يمكن أن يصان من دون مفاوضات تنطوي على تنازلات إقليمية أو سياسية... أما النوع الثاني من السلام، «السلام الحقيقي»، فهو الذي سيصاحب إتمام إسرائيل وراثة أرضها بالكامل، ويسبق مجيء المسيح ليسود شعبُ إسرائيل المجتمعُ شملُه. ومن جملة عملية الخلاص هذه أن الأمم كلها «ستعترف، اعترافاً عجائبياً بالحقيقة التي تقع على إسرائيل مهمة نشرها في العالم، رسالة العدل والسلام التي يكون الجبل المقدس[١] رمزها الظاهر» كما يقول فيش...

خامساً: الأهمية الأساسية لأرض إسرائيل: إن شعار غوش إيمونيم شبه الرسمي هو: «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بحسب توراة إسرائيل»... فالعهد بين الله واليهود، فيما يرى فيش هو عهد بين أطرافٍ ثلاثة: «والعهد قائم على علاقات ثلاثية: الله والأرض والشعب. فالأرض مقدسة لأن الله اختارها مقاماً له، واختار أن نقيم معه عليها»... لذلك يعلق منتقدو غوش إيمونيم من اليهود الأرثوذكس[٢] غالباً على نزوع الأصوليين إلى «الوثنية» في اعتبارهم

(١) الجبل المقدس أو جبل الهيكل، يريدون به موقع المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.

(٢) اليهودية الأرثوذكسية: (من أهم المذاهب اليهودية في العصر الحديث، وهي=

إرتس يسرائيل «أرض إسرائيل» القيمة الأسمى في الحياة اليهودية.

سادساً: التاريخ الحاضر من حيث هو تحقيق لعملية الخلاص: التاريخ عند الأصوليين اليهود، هو وسيلة اتصال الله بشعبه. والحوادث والاتجاهات السياسية تنطوي على رسائل تمدهم بالتعليمات والتأنيبات والثوابات. . .

وتتجلى هذه المقاربة العامة للعلاقات التي تربط التاريخ والعمل السياسي بالفهم المتميز المتاح للنخبة الأصولية تجلياً واضحاً في المغازي التي يستبينونها من ثلاثة حوادث أساسية: المجزرة الجماعية، وحرب الأيام الستة، وحرب يوم الغفران.

يصف هارولد فيش المجزرة التي لقي ستة ملايين يهودي فيها حتفهم، على أيدي النظام النازي في ألمانيا، في إبان الحرب العالمية الثانية[1] بأنها تأديب من الله ـ «أمر كتب بالدم على تراب أوروبا»، وقد

= تعد رد فعل للتيارات الاستنارية والإصلاحية بين اليهود. وتزعم هذه الحركة الحاخام «سمسون هيرش» الذي انتقد اليهودية الإصلاحية لأنها تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية في مبادئ مستعارة من غير اليهود تطبقها على الإنسان وحريته. . . وتدافع اليهودية الأرثوذكسية عن كل المقولات اليهودية التقليدية والأساطير القديمة بكل بساطتها ومجافاتها لحقائق التاريخ والواقع. . .
وتسيطر اليهودية الأرثوذكسية على الحياة الدينية في إسرائيل؛ فهي تسيطر على دار الحاخامية الرئيسية، وعلى وزارة الشؤون الدينية، وأيضاً على الأحزاب الدينية).
نقلاً عن: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (١١١ ـ ١١٢).

(١) تعرف هذه الحادثة باسم «الهولوكوست» وتعني الإبادة الجماعية أي ـ حسب قاموس لاروس: «الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها». وقد دأب اليهود على النياح والتباكي على ضحايا هذه الحادثة، واستدرار عطف الرأي العام العالمي تجاه اليهود في المحافل الدولية. ويعتبر الكاتب الفرنسي=

علم الله بها شعبه أن التحرر الذي علّق كثيرون من اليهود عليه آمالهم بمستقبل من المساواة في أحضان أوروبا الديموقراطية الليبرالية، لا يمكن أن ينيح لهم مهرباً من أعباء العهد المأخوذ عليهم... ولهذا ينظر إلى المجزرة على أنها طريقة الله لإكراه شعبه المختار على العودة إلى أرض الميعاد...

ويدمج كاشر التفسيرات المتطورة للمصادر التوراتية والتلمودية في التأويلات المفصّلة لحروب إسرائيل، سعياً لتحديد المرحلة التي بلغتها عملية الخلاص تحديداً دقيقاً. فهو يميز بين المسيح ابن يوسف الذي سوف يستوطن الأرض ويحقق الانتصارات، ثم يخفق في سعيه للخلاص، إذ يهزم بحرب يأجوج ومأجوج، وبين المسيح بن داود الذي سوف يقود من بعده إسرائيل والعالم، وبصورة معجزة، إلى الخلاص الكامل[1]. لذلك كان كاشر، ومثله معظم الأصوليين، ينظرون إلى الحروب العربية ـ الإسرائيلية جزءاً من فترة المسيح ابن يوسف التي «تتبرقع المعجزات فيها ببرقع الحوادث الطبيعية» كما يقول كاشر... وقد كان كاشر يأمل بأن تكون خسائر اليهود من الأرواح في حروب

= «روجيه جارودي» هذه الدعوة أسطورة كاذبة أو مبالغاً فيها نسجتها خيالات اليهود دون أدلة حقيقية، مما أدى به إلى المثول أمام القضاء الفرنسي بسبب آرائه الجريئة هذه، بتهمة معاداة السامية. انظر كتابه: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية (١٣٩ ـ ١٥١).

(١) الحقيقة التي دلت عليها الأحاديث النبوية في الفتن والملاحم آخر الزمان أن اليهود يتبعون ـ المسيح الدجال ـ الذي يأتي بالخوارق، ويكون هلاكه، على يد المسيح عيسى ﷺ الذي ينزل في آخر الزمان، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ولا يقبل إلا دين الإسلام. وفي عهده أيضاً يكون هلاك يأجوج ومأجوج. انظر الأحاديث في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة من ٢٢٤٧ إلى ٢٢٦٨. وانظر: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. د. محمد علي البار (١٠٣ ـ ١٥٢).

١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٧٣ كافية من أجل اعتبار حرب يوم الغفران، الحرب الثالثة والأخيرة من حروب يأجوج ومأجوج، وإلا فإنها ستكون، فيما زعم، أولى الحروب الثلاث، وعليه فقد توقع أن تنشب حروبٌ أشد هولاً قبل ظهور المسيح ابن داود...

وأياً تكن دلالة حرب الأيام الستة وحرب الغفران بالنسبة إلى جدول الخلاص، فالمسلمة الغالبة هي أن الحوادث كلها تنم عن إرادة الله، وأن مركز اهتمامه في العالم هو تدبير خلاص إسرائيل أرضاً وشعباً، وتحقيق ذلك الخلاص...

سابعاً: إيمان اليهود وتفانيهم، كعامِلَين حاسِمَين: ليس الأصوليون اليهود قدريين[١]، على الرغم من الدور الغالب الذي يبدو أن الله يقوم به في تشكيل التاريخ البشري، فدعوتهم إلى التعبئة السياسية المتواصلة تستند إلى نظرة تعدُّ الشعب اليهودي عوناً لله[٢] في عملية «تكون عُولام» «إصلاح العالم». وهي عملية ستبلغ ذروتها في الخلاص التام، وإقامة المملكة المسيحانية...

إن من شأن «الصهيونية الأوفى، تلك التي تنطوي على سر القداسة وحلم الخلاص»، أن توفر ليهود إسرائيل ما يحتاجون إليه من قوة للبقاء في وجه عالمٍ معادٍ وغير مخلَّص. ويستلزم تجديد هذا

---

(١) قدريين هنا بمعنى جبريين، خلافاً للاستعمال الاصطلاحي الأشهر في إطلاق لفظ «قدرية» على نفاة القدر. على أنه يستعمل بقلة لدى الإسلاميين في غلاة المثبتة «الجبرية» كما استعملها الكاتب هنا، نافياً هذا الوصف عن الأصوليين اليهود.

(٢) يكثر استعمال مثل هذه التعبيرات النابية في حقه سبحانه وتعالى في كتابات اليهود والنصارى. ولا غرابة فإن القوم ما قدروا الله حق قدره. ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ].

الإيمان خروج يهود إسرائيل العلمانيين من «الأزمة الروحية المعقدة» التي ما زالت تلم بهم، وعودتهم إلى فهم لاهوتي ملهم لمهمة الصهيونية، هذا إن لم يعودوا إلى اليهودية الأرثوذكسية. ولا بد من النأي عن الحسابات السياسية ذات العمق التحليلي الزائف، والإقبال على إيمانٍ أنقى وأبسط، بما قُدِّر للشعب اليهودي من قَدَر السيادة على أرض إسرائيل كلها، والوفاء، عبر ذلك، بشروط عهده مع الله. وهذا يستلزم التخلي عن «التشبه الرخيص بثقافة الغرب»، وتجاهل «الرأي العام العالمي». وما من زعيم أصولي يهودي كان أوضح من الحاخام تسفي يهودا في التشديد على أهمية العمل والإيمان اليهوديين، وعلى ضرورة التصدي لأي نفوذ أو تأثير أجنبي من قبل الأمم في صوغ السياسة القومية اليهودية أو تطبيقها...

وهكذا فإن دعوات الأصوليين اليهود إلى بذل المزيد من الجهود والتضحيات تختتم، في معظمها، بالتذكير بأن تحقيق كلمة الله «أو مقتضيات القدر اليهودي» بنجاح هو «تالوي بَنُو» «متوقف علينا».

إن هذا الربط الوثيق، كما بينا في البداية، بين ما يُعدُّ من المقتضيات المتعالية، وبين ما يدرك على أنه من الواجبات السياسية الشخصية، هو الإمارة المميزة للنظرة السياسية الأصولية)[1].

تلك نتائج دراسة جادة، وليست تغطية صحفية، لباحث أكاديمي أمريكي، وليس لمؤلف عربي مسلم يمكن أن يوصف بالتحامل، استغرقت عدة أعوام، وليست وصفاً مستعجلاً، مبنية على معاينة على أرض الواقع المعاصر، وليست دعاوى يحلو لبعض الناس اعتبارها «تهويلات» خيالية من صنع اليهود، وأخيراً فـ(هذا الكتاب أصلاً دراسة

---

(١) الأصولية اليهودية في إسرائيل. الفصل الرابع (٨٥ ـ ١٠٤). باختصار وتصرف يسير.

أعدَّت، بموجب عقد، لبرنامج دعم البحث الأكاديمي في مجال الدفاع التابع لوزارة الدفاع في الولايات المتحدة)[١] كما جاء في مقدمته، فهو قد كتب لجهة مسؤولة تعتمد الدقة والتحري في رصد الاتجاهات المختلفة.

والذي دعانا لهذا الاستطراد هو الرغبة في استكمال جوانب الموقف الأصولي اليهودي المتنامي في المجتمع الإسرائيلي، وجذوره أو فروعه في بلدان الشتات «الدياسبورا». وهو يمنحنا تصوراً جازماً عن رفض هذا الضرب من اليهود مجرد التفكير في دعوة التقريب بين الأديان، سواءً من الإسلام أو من النصرانية. فاليهود يملكون «الحق المطلق»، في نظرهم، والآخرون من الأمميين لا يملكون حتى الحق النسبي، لأن القضية عند هؤلاء الأصوليين مبنية على الاختيار الإلهي لشعب إسرائيل، موثق بعهدٍ أزلي وأبدي لهذا الشعب الفريد، غير السوي، وخصومه يسيرون نحو الفناء، ولا مجال للمفاوضات السلمية لتحقيق السلام، بل هي ضربٌ من العبث ومصادمة القدر الواعد بمجيء المسيح المخلص ومملكته التي تنشر السلام الحقيقي، حيث تعترف الأمم كلها اعترافاً عجائبياً بمكانة إسرائيل. والتاريخ بأكمله ومجرياته المتنوعة والمتضادة، هو ستار لعلاقة إله إسرائيل بشعب إسرائيل. وسائر شعوب الأرض لا تعدوا أن تكون أدوات مجردة، أو هوامش وتعليقات على النص اليهودي التاريخي. وهذه النظرات يجب أن تثمر في ضمير الفرد اليهودي المزيد من الإيمان والتفاني، وعدم الاكتراث بآراء الأغيار ومصالحهم، في سبيل التهيؤ للمخاض المنتظر الذي سيجلب المسيح المخلص.

إن هذا النمط من التفكير الأهوج، ينفي ويستبعد أدنى خاطرة

---

(١) المرجع السابق، (٢).

للحوار مع المخالف في المسائل العقدية، أو محاولة البحث عن القيم المشتركة كما تصنع النصرانية المعاصرة. بل إن الأمر يتجاوز ذلك عند هؤلاء المتزمتين إلى إجراءات عملية تمثلت في:

١ ـ إقامة مستوطنات في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان، دون موافقة السلطات الرسمية. وقد تجاوز عددها حتى مطلع التسعينيات مائة وثلاثين مستعمرة[١].

٢ ـ القيام بأعمال إرهابية لترويع السكان المسلمين بهدف تهجيرهم. ففي الفترة من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٨٤ على سبيل المثال (أوردت الصحف الإسرائيلية في تلك الفترة أنباء ٣٨٠ اعتداء على الأفراد قتل فيها ٢٣، وأصيب ١٩١ إصابات بليغة، وخطف ٣٨. وقد شنت مئات الاعتداءات الأخرى على الممتلكات ـ سيارات ومنازل ومتاجر ـ كما أحصي واحد وأربعون اعتداء على المؤسسات الإسلامية والمسيحية)[٢].

هذا فضلاً عن التهديدات العلنية التي يطلقها هؤلاء المتعصبون بطرد العرب واحتقارهم، من جنس: «العربي الجيد هو العربي الميت»، «لا ثقة بالعرب حتى بعد موتهم بمائة عام»، ووصفهم بأنهم كلاب وقتلة ومحتلين... إلخ[٣].

٣ ـ المحاولات المتكررة لنسف المسجد الأقصى بالمتفجرات: في: مايو ١٩٨٠، مارس ١٩٨٣، يناير ١٩٨٤. وأخطر هذه المحاولات المؤامرة التي أعدتها جماعة من دعاة غوش إيمونيم بين سنتي ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢م[٤].

---

(١) الأصولية اليهودية: (١٥).
(٢) الأصولية اليهودية: (٧٨).
(٣) غوش إمونيم: الوجه الحقيقي للصهيونية (٤٩ ـ ٥١).
(٤) انظر تفاصيل ذلك في الأصولية اليهودية (٧٩ ـ ٨٢).

٥ ـ الحركة اليهودية التقاربية:

أما على الجانب الآخر، جانب الداعين إلى الحوار والتقارب من اليهود، فلا نكاد نعثر على شيءٍ يذكر، خلافاً للنصارى، سوى كتابٍ مهم نشره اتحاد الجمعيات اليهودية (UAHC) بنيويورك، في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣ عنوانه:

(شالوم/ السلام أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية):

(SHALOM = SALAAM A Resource For Jewish - Muslim Dialogue).

قام على إخراجه كل من: الحاخام جاري م. بريتون ـ جرانيتور، مدير قسم شؤون ما بين الأديان، ومدير مشارك لجنة العمل الاجتماعي لليهودية الإصلاحية باتحاد الجمعيات الأمريكية اليهودية UAHC، والحاخام أندريال. ويس في القسم المذكور. والكتاب يتكون من قسمين:

أحدهما: قاعدة نظرية في قضية الحوار، تضم سبع مقالات، خمسة منها ليهود، والباقيين لمسلم ونصراني.

الثاني: برامج عملية ثمانية مقترحة لتطبيق عملية الحوار، من خلال لقاءات أفرادٍ من الطائفتين.

ففي مقدمة الكتاب تحدد الأهداف، وتشرح طريقة التنفيذ:

أ ـ الأهداف: يقرب هذا الكتاب العلاقات بين اليهود والمسلمين، من ناحيتين: التربية والمشاركة. والمقالات تمثل تمهيداً للحوار بين اليهود والمسلمين وتوضح جذور العلاقات اليهودية المسلمة... وأما البرامج، فالمقصود منها تحقيق عدة أهدافٍ أساسية، ألا وهي تلقين المشتركين معلومات حول الإسلام وحول الديانة اليهودية، وإقامة علاقات بينهم على المستوى الفردي والجماعي.

ويستهدف شكل مستوى البرنامج إنجاز هذه الأهداف بإتاحة الفرص العديدة للمشتركين كي يتبادلوا معرفة الأعراف الدينية لكلٍ منهم، كي يسهل عليهم أن يشارك بعضهم بعضاً في المصاعب، وفي الأعياد الخاصة بحياتهم الدينية... ويرسي كل برنامج الاحترام والثقة والصداقة، ويحقق فهماً أوسع، وإحساساً أعمق لما ينطوي عليه معنى أن يكون الإنسان أمريكياً مسلماً، أو أمريكياً يهودياً.

ب ـ الانطلاق: الخطوة الأولى من أجل إقامة الحوار، واضحة كل الوضوح؛ ألا وهي تجميع فريقٍ من المهتمين بالحوار من المسلمين واليهود. بالإضافة إلى الاتصال بالمنظمات الدينية المواتية في منطقتكم...

ولقد حرصنا عند وضع هذا الدليل أن يجري الحوار بأيسر الطرق الممكنة. فلا يتحتم أن يكون اليهودي أو المسلم عالماً من علماء الدين لكي يعمل بالبرامج. ولا أن يكون البحث المطلوب على نطاقٍ يتجاوز الحدود. وإنما يكفي لإنجاز البرامج أن يكون مستوى إعداد المسلم واليهودي معتدلاً.

وعلى المسؤولين قبل الحلقة الأولى أن يحددوا تواريخ اللقاءات، وأن يعدوا عدة جداول توضح تاريخ وموضوع ومكان كل حلقة، «لتوزيعها في أول لقاء»، وإن أمكن أن يكون مكان اللقاءات متبادلاً بين المعبد والمسجد.

وينبغي قبل البرنامج الأول أن يحصل المشتركون على نسخٍ من هذا الكتاب، وأن يقرءوا المقالات الأربعة[1] الأولى لكي تساعد في إعداد المشتركين للحوار. (بينما تدخل المقالات الأخرى في البرامج الأخيرة)[2] ثم أشار إلى أن البرنامج الثاني يتطلب عرض شريط فيديو

(١) هكذا في الأصل. والصواب: «الأربع».

(٢) مقدمة شالوم/السلام. أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات=

بعنوان «إبراهيم وذريته»، من إنتاج جهة يهودية بنيويورك.

نحن أمام مشروع حواري يتسم بالفاعلية والبساطة، يخاطب الطبقة المتوسطة من المنتمين للديانتين، وهي الطبقة الأكثر عدداً، في الولايات المتحدة الأمريكية، فليس حوار النخب المتخصصة، ولا الجهات الدينية ذات الصفة المرجعية. والوصف المشترك بين الجانبين أنهم مواطنون أمريكيون. أما الجهة المشرفة على المشروع فهي يهودية صرفة: (اتحاد الجمعيات الأمريكية اليهودية) UAHC Union Of American Hebrew Congregation.

ويمثل خطةً قابلة للتنفيذ في أي موقع، مما يكفل له الانتشار عند توفر المتحمسين للفكرة من الطرفين.

ولما كان هدفه المعلن تقريب العلاقات بين اليهود والمسلمين، في التربية والمشاركة، جاءت برامجه العملية طافحة بصور المجاملات والمشاركات وإبراز أوجه التماثل كما سنعرض لاحقاً. وفي سبيل التعرف على الأهداف الحقيقية غير المعلنة سنقوم بتحليل المقالات اليهودية في هذا الكتاب.

١ ـ «الحاجة إلى حوار بين المسلمين واليهود»: عنوان مقالة الحاخام جاري م. بريتون ـ جراناتور، أحد معدي الكتاب، ومدير قسم شؤون ما بين الأديان في اتحاد الجمعيات الأمريكية اليهودية. وقد استهله بالاعتراف بعيش الطائفة اليهودية زمناً طويلاً جداً، ١٣٠٠ عام، في ظل مفاهيم خاطئة، ومعلومات غير صحيحة، عن طائفة المسلمين.

= المتحدة الأمريكية: الحاخام: جاري م. بريتون جرانتور، والحاخام أندريا ل. ويس. ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تعليق: أحمد علي الكردي، تقديم: فتحي محمد حجازي. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع. الاسكندرية ـ مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٤٨ ـ ٤٩).

بالإضافة إلى نسيان ما بينهما من تاريخ مليء بالمشاركة الإيجابية والعميقة[١].

ومن بين صور الجهل والخطأ، كما مثل الكاتب «أننا نسمع كثيراً عبارة «مسلم» وعبارة «عربي» ونستخدمها بمعنى واحد، إلا إنه من الجدير بالذكر أن العرب لا يمثلون سوى عشرين في المائة من العالم الإسلامي. وبالفعل كم نعرف نحن اليهود عن العالم الإسلامي؟ إننا نسمع كلمات مثل «الجهاد» و«رمضان»، ولكنِ هل نعرف معناها الحقيقي؟ وإلى أي مدى تقتحم المناورات السياسية الخاصة بالشرق الأوسط علاقات كان في الإمكان أن تتوثق وأن تثمر؟ هذه هي المفاهيم الخاطئة التي ينبغي أن نبدأ اليوم في تبديدها. إن هذا النقص في المعرفة هو الذي يتعين علينا أن نستكمله بالتربية والحوار. هنا، واليوم، يجب إزالة القضايا السياسية التي تقف عقبةً في طريق علاقاتٍ جديدة مع إخوتنا المسلمين والمسلمات. إنه يجب أن نلزم أنفسنا بالمضي معاً في هذا الطريق. ألسنا كلنا ذرية أبٍ واحد لإلهٍ واحد؟»[٢]. ويعنى الكاتب بإبراز صور التشابه بين الديانتين على أنها لون من التأثير المتبادل، في العقيدة والشريعة، لا على أنها دليلٌ على وحدة المصدر. وبالتالي فالدين المتأخر زمناً لا بد أن يكون نصيبه من التأثر ـ لا سيما في الأصول ـ أعظم من نصيبه في التأثير ـ وسيكون بطبيعة الحال في الفروع ـ وهو ما يجنح إليه الحاخام.

والحق الذي لا مرية فيه أن ما يوجد من نقاط تشابه أو تطابق مرده إلى أن القرآن نزل مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) انظر شالوم ـ السلام، (٥٠).
(٢) المرجع السابق، (٥٠، ٥١).

ويختم مدير قسم شؤون ما بين الأديان في اتحاد الجمعيات اليهودية الأمريكية مقالته بالقول: (إن خطوتنا الأولى من أبسط ما يكون، هي أن نفتح أبوابنا، وأن نمد أيدينا، وأن نستقبل إخوتنا المسلمين والمسلمات بالترحاب. وعندئذٍ علينا أن نتعلم ما يتعلق بالعالم الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، وأن ندخلها إلى تراثنا الغني. ومعنى هذا أن نتعلم أعيادهم وتقويمهم وتعاليمهم الأولية وآمالهم الدينية، وأن نطلعهم كيف نمارس عقيدتنا وأعيادنا وتقويمنا وتراثنا. وكلما تفحصنا أوجه التشابه، وأدركنا وقدرنا أوجه الخلاف، كلما وجدنا اهتماماتنا المشتركة، وتعرفنا على ما يؤذي به بعضنا البعض. وبعد أن تكون هذه المهام قد وضعتنا بكل معناها على الطريق فعندئذٍ فقط يمكننا أن ندخل المسائل السياسية في الحوار. إذ بدون هذا الشرط الأساسي ـ ألا وهو الفهم المتبادل لتراث كلٍ منا ـ فإن المناقشات السياسية قد تنتهي إلى كلامٍ منمق وغوغائية.

يحدونا الأمل أن يؤدي استخدام هذا الكتاب إلى قيام الحوار بين الأمريكان المسلمين والأمريكان اليهود. ونصلي من أجل أن يقرب هذا المشروع بيننا وبين إخوتنا المسلمين والمسلمات، وبالتالي يؤدي إلى إيجاد عالم أكثر سلاماً وانسجاماً، وهو العالم الذي أمرنا الله الواحد بأن نحققه)[1].

ونظراً للصفة الدينية التي يمثلها الحاخام جاري م. بريتون ـ جرانتور نبادر باستخلاص النتائج التالية التي ربما تكون أساساً لتوجه معين لدى بعض الاتجاهات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية ودول الشتات:

١ ـ اللغة التي يتحدث بها لغة مسالمة، ذات أبعاد إنسانية تختلف

(١) المرجع السابق، (٥٤).

تماماً عن لغة الأصوليين السياسيين في إسرائيل، والأصوليين الأرثذوكس المتعصبين لتعاليم التلمود. ويمكن تصنيف هذا الطرح ضمن المدرسة اليهودية الإصلاحية ذات الأصول التنويرية، التي سبق الحديث عنها.

٢ ـ الاستعداد للحوار الديني وفق الأطر التي أرساها النصارى بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، وتحت شعارات اكتشاف الآخر، والتعرف على تراثه، بل ومشاركته فيه، والتخلص من أحقاد الماضي وأخطائه، والسعي نحو السلام... إلخ.

٣ ـ هيمنة الهاجس السياسي المتعلق بإقامة دولة إسرائيل، على مشروع الحوار، فرغم المحاولات الذكية بالحيدة عنه، والتعبير عنه بـ«القضايا السياسية في الشرق الأوسط»، واعتبارها عقبة في طريق بناء العلاقات مع المسلمين، إلا إنّ الحاخام يعجبه أن يكتشف أن العرب لا يمثلون سوى عشرين في المائة من العالم الإسلامي. ومع أنه في بادئ الأمر يرغب في تنحية هذه العقبة وتجاهلها لكنه بعد أن يتأهل الجانبان بالفهم المتبادل، وبعد أن تكون هذه المهام قد وضعتهما على الطريق ـ على حد تعبيره ـ يستدعي المسائل السياسية إلى الحوار حينذاك.

٢ ـ أما الحاخام أندريا. ل. ويس المشارك في قسم شؤون ما بين الأديان في اتحاد الجمعيات اليهودية الأمريكية، والمشارك في مشروع الكتاب أيضاً، فقد كتب مقالة بعنوان: «من المرض إلى الحوار ـ مدخل إلى الحوار بين اليهود والمسلمين»، وكان أكثر صراحة وواقعية من سابقه، وركز على خصوصية الوجود الإسلامي واليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومدلولات ذلك الواقعية والمستقبلية.
ويبتدئُ بذكر العقبات فيقول: (إن قائمة العقبات الكامنة قائمة طويلة منها العقبات السياسية والعقائدية والتاريخية، والخوف من غيرها، ومن

غير المعلوم منها. وكثير من العقبات يمكن أن يكون مصدر مواجهة ودمار محتملين.

العقبة الأولى: طاعون عالم السياسة. فطبقاً لما يقرره الدكتور عظيم ننجي من جامعة فلوريدا، فإن القضايا المحلية بالشرق الأوسط قد أصبحت عالمية. ونتيجة لذلك، فإن يهود ومسلمي البلاد البعيدة عن الشرق الأوسط يتقابلون «وفوق رؤوسهم سحابة سياسية تهدد بتعتيم كل المظاهر الأخرى للعلاقات». ورغم أن العرب يمثلون فقط عشرين في المائة من الشعوب الإسلامية، فإن هذه السحابة الرمادية المشؤومة تظلم رؤيتنا، وتجعل الكثيرين يعتقدون أن الشرق الأوسط هو كل ما يمكننا أن نتحدث فيه، وأن الحوار بين اليهود والمسلمين، والنزاع العربي الإسرائيلي هما شيءٌ واحد، ونفس الشيء. ولذلك فإن الذين حاولوا بناء الجسور بين المسلمين الأمريكيين، واليهود الأمريكيين كادوا أن يجمعوا على أن الحوار لا يمكن أن يبدأ بالسياسات العالمية. وإذا أردنا لجهودنا أن تكلل بالنجاح فما علينا إلا أن نوجه أنظارنا إلى الغرب لا إلى الشرق الأوسط.

والعقبة التالية: هي عقبة طاعون سوء التفاهم. فالبعض يظن أن المسلمين كلهم إرهابيون أو أصوليون. والبعض الآخر يعتقد أن الإسلام عتيق وغير متغير. ويقولون: «إنهم سوف لا يتكلمون معنا»، «إنهم لا يستطيعون أن يفهمونا»، «إنهم ببساطة لا يهتمون»)[1].

إن الحاخام «ويس» يدرك تماماً عمق المشكلة المترتبة على اقتطاع أرض فلسطين من قبل اليهود، واستيلائهم على المقدسات الإسلامية، وأثر ذلك على مشروع الحوار. ومن ثم فهو يطمح إلى حصر المشكلة بالمسلمين العرب الذين لا يمثلون سوى عشرين في المائة فقط من

---

(١) المرجع السابق، (٥٦، ٥٧).

المسلمين، لكونهم طرفاً مباشراً في النزاع. ويحاول تجنيب بقية المسلمين وتنحيتهم عن القضية باعتبارها نزاعاً عربياً ـ إسرائيلياً ذي صفة سياسية وحسب. وبالتالي فأمام هؤلاء المسلمين المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من القضايا الأخرى ليتحدثوا فيها مع مواطنيهم اليهود الأمريكان، بعد أن تنقشع السحابة السياسية عن رؤوسهم. كما يأمل!

والعجب من هؤلاء اليهود الأفاكين كيف يقلبون الحقائق، فالحاخام «ويس» يحكي ظنون بعض بني ملته الذين يتهمون المسلمين بالإرهاب والأصولية والانغلاق واللامبالاة، ويصمون دين الإسلام بالجمود، ويتعامون عن جرائمهم الإرهابية الفظيعة في حق المسلمين! ألم يحتلوا أرضاً إسلامية ويهجِّروا فريقاً من أهلها، ويقتلون فريقاً؟ ومن بقي من أهلها ساموه سوء العذاب، ألم يستولوا على مقدسات المسلمين، ويحيكوا المؤامرات لنسف المسجد الأقصى بالمتفجرات؟ ألم يصل «أصوليوهم» إلى درجة الاحتراق في الغلو والتعصب وازدراء الآخرين من أبناء الأمم «الجوييم»؟

ولكن هذه الأساليب الملتوية غير مستنكرة على إخوان القردة والخنازير الذين ينقضون عهد الله وميثاقه، ويفترون على الله الكذب، ويقتلون النبيين بغير الحق.

ثم يفصح الحاخام أندريا. ل. ويس عن حقيقة البواعث، أو المخاوف، التي ألجأت أمثاله من اليهود إلى الرضوخ للأمر الواقع وفتح باب الحوار مع المسلمين، فيقول: (يجب أولاً أن نعترف أننا كأمريكيين، فإننا نعيش ببعض الأساطير عن أنفسنا. فحتى في عصر تعدد الثقافات، يتحدث المشرعون وزعماء الطوائف عن القيم اليهودية المسيحية التي قادت بلادنا. ويعلن الساسة ورجال الدين أن الولايات المتحدة وطنٌ ثلاثي الأطراف. أي مجتمع يشتمل على البروتستانت

والكاثوليك واليهود. إننا نقسم فطيرة التفاح المنزلية إلى ثلاث قطع متساوية، زاعمين أن الأديان الثلاثة تتمتع كل منها بنفس النفوذ والتمثيل، ومدعين أن تراث عقيدتنا وحده هو الذي صنع الفطيرة. والحقيقة أنه إذا قدرنا عدد البروتستانت بحوالي ثمانين مليوناً، وعدد الكاثوليك الرومان بخمسةٍ وخمسين مليوناً، وعدد اليهود بستة ملايين، فإنه يوجد الآن أربعة ونصف مليون مسلم بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد تضاعف عدد المساجد والمراكز الإسلامية في هذه البلاد أربعة مرات[1] خلال العشر سنوات الأخيرة. وأنه حتى عام ٢٠١٥ أي بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يقدر الخبراء أن عدد المسلمين سوف يتجاوز عدد اليهود، وسوف يمارس تأثيراً متزايداً على الفكر الأمريكي. إن الإسلام اليوم هو ثاني أكثر الأديان انتشاراً بالولايات المتحدة. إن علم الحساب وحده يلزمنا بأن نعيد تقدير كيفية تقسيم الفطيرة. وتطالبنا الإحصائيات بأن نتساءل كيف ستتغير أولوياتنا وهويتنا في ظل تشكيل العالم الجديد. وما معنى أن لا نعد نرى أنفسنا أقلية منعزلة وموزعة داخل مجتمع مسيحي؟ وبدلاً من ذلك أن نكون جزءاً من أصغر الأجزاء الكثيرة التي تتكون منها الحياة الدينية الأمريكية؟ وهل سيتعرض وضع اليهود السياسي والنفسي للهبوط؟ طالما أن صورة الوطن ذي الهيمنة اليهودية المسيحية سوف تنزوي تدريجياً ـ أم سوف يزداد اليهود قوةً في الشعور الانتمائي، وفي النفوذ؟

إن المسح السكاني، والتنبؤات الديموغرافية تجبرنا على أن نطرح أسئلةً صعبة، وأن نواجه الخوف وقابلية الجراح التي تصاحب التغيير في الغالب. إلا أنها أيضاً تذكرنا أننا كأقلية دينية في أمريكا لسنا وحدنا. إنه في عام ١٩٩٣ وليس عام ٢٠١٥ يجب علينا أن نتحرى

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب: أربع مرات.

ماذا يعني لنا نحن اليهود تزايد نمو الإسلام. إنه اليوم وليس بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يجب أن نبدأ رحلة الحوار والالتحام)[١].

ولعل الحاخام ويس شعر أنه كان صريحاً أكثر مما يجب في الكشف عن دوافع الحوار فأراد أن يستدرك، ويبدد ما سبق إلى الأذهان من استنتاجات، فقال: (وعلى أحسن الفروض فإن الحوار بين الأديان هو إثراء للحياة، وهو فرصة للتطور والتسامي الذاتي. ولتحقيق هذه الأهداف فعلى أطراف الحوار أن يتصلوا ببعض، لا بسبب الخوف من الدراسات الديموغرافية، ولكن من أجل أهمية التربية والتفاهم، وفوائد الاتصال والترابط، وما يمكن أن تحققه العلاقات الطيبة من وعود)[٢] وهو استدراك يزيد التهمة تأكيداً.

٣ ـ ويقدم جوناثان د. سرنا في مقالته المعنونة بـ«الهوية اليهودية في العالم المتغير للديانة بأمريكا» سبراً تاريخياً مفصلاً لفكرة الوطن ثلاثي الأطراف، أو النموذج البروتستانتي الكاثوليكي اليهودي في النظام الديني بأمريكا. فحتى عام ١٨٨٢ كانت المحكمة العليا تقرر: (إن هذا الوطن وطن نصراني)[٣]. وقد قوبلت هذه المقولة بمعارضة اليهود، وتمكنوا من فرض أنفسهم في المعادلة الدينية، رغم قلة عددهم بالنسبة للمحيط المسيحي الذي يعيشون فيه، واستبدلت الفكرة السابقة بفكرة أن أمريكا وطن يهودي نصراني. يقول جوناثان د. سرنا: (إن الاستخدام المعاصر لهذا اللفظ كان عام ١٩٣٠)[٤]. وبلغ الأمر ذروته في منتصف هذا القرن الميلادي، حتى صار الحديث عن «الميراث اليهودي المسيحي» و«مفهوم اليهودية المسيحية» و«الثالوث العائلي للبروتستانت

---

(١) شالوم ـ السلام، (٥٨ ـ ٥٩).
(٢) المرجع السابق، (٦٠).
(٣) المرجع السابق، (٧٦).
(٤) المرجع السابق، (٧٦).

والكاثوليك واليهود» و«قدرة الانصهار الثلاثية» ونحوها من الشعارات، على ألسنة الساسة والمفكرين والقادة الدينيين[١].

وقد أدى تأسيس «المؤتمر الوطني لليهود والنصارى (NCCJ)، ومزار كنيسة القساوسة الأربعة[٢]، وبرنامج Equal Time الإذاعي، أي الوقت المتساوي لكل طائفة، وتأليف الكتب في هذا الشأن، إلى تعميق فكرة الجماعات الثقافية المتساوية حتى قال أحد الكتاب عام ١٩٥٥: (إذا لم يكن الشخص بروتستانتياً أو كاثوليكياً أو يهودياً، فإنه بطريقة أو بأخرى لا يكون أمريكياً)[٣].

لقد حقق اليهود هذه المكاسب رغم أن عددهم كان لا يزيد عن خمسة ملايين من بين مجموع الشعب الأمريكي البالغ عدده إذ ذاك مائة وستين مليوناً. ومرد ذلك إلى العمل الدؤوب، والتغلغل المدروس في البنى السياسية والاجتماعية، الذي يتقن اليهود أداءه في كل عصر ومصر بالأساليب الملتوية وشراء الذمم. ولكنهم أمام ضغط الواقع على الأرض، ووهج الحقيقة شعروا بخطر الفضيحة وآثارها المستقبلية، فأعدوا موقفاً جديداً يكافئ المتغيرات الجديدة على أرض الواقع. ويعبر جوناثان د. سرنا عن الشعور بقوله: (.. كان مكمن الخطر الذي أظن أننا بدأنا ندركه، هو أن هناك تفرقة واسعة وحقيقية ومتزايدة بين الأسطورة والحقيقة. فلا التراث اليهودي المسيحي، ولا قدرة الانصهار الثلاثية، قد عبرا على نحو مناسب وصحيح عن المدى الكامل لتعددية الحياة الدينية الأمريكية في كامل مظاهرها المركبة. ولقد عاش الأمريكان زمناً طويلاً في ظل هذه التفرقة، وبرغم هذا التنافر في

(١) انظر المرجع السابق، (٧٦ ـ ٧٨).
(٢) أنشئ إحياء لذكرى وفاة أربعة قساوسة غرقاً ـ كاثوليكي ويهودي وبروتستانتيين ـ عام ١٩٤٣.
(٣) شالوم ـ السلام، (٧٨).

المعارف وجد اليهود وضعهم المبالغ فيه مناسباً جداً. كما اعتقد عدد ساحق من الأمريكان أن اليهود يمثل تعدادهم نسبة أكثر بكثير من التعداد الشعبي على غير الحقيقة، وتعاملوا مع اليهود تبعاً لذلك. ولكن هذه الأساطير قد تبددت. ومن الأوفق لنا أن نعرف لماذا تبددت، وما هي متطلبات الهوية اليهودية في السنوات القادمة. . .

اليوم يواجه الطابع الأمريكي اليهودي المسيحي، والبنية البروتستانتية الكاثوليكية اليهودية مشكلة أشد خطراً، ألا وهي النمو السريع للديانات الأمريكية التي لا تنتمي إلى البروتستانتية أو الكاثوليكية أو اليهودية، وإنما هي خارج نطاق كل من اليهودية والمسيحية تماماً. وأقصد بصفة خاصة الإسلام من بين أسرع الديانات نمواً في الولايات المتحدة. . .

ومن وجهة نظر اليهود الأمريكان، يستحق نمو الإسلام في أمريكا عنايةً خاصة، ولا سيما العداوة التي تكنها الطائفة المسلمة المنظمة تجاه إسرائيل)[١].

ثم يقدم إيجازاً تاريخياً للوجود الإسلامي في أمريكا، ونموه المطرد لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة[٢]. وينقل خلاصة دراسة وضعت لهذا الشأن تقول: (نظراً لارتفاع معدلات المواليد، وتزايد عدد معتنقي الإسلام الجدد، واستمرار تدفق المهاجرين، فإنه من المحتمل أن نتنبأ أنه مع بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، سيكون الإسلام ثاني أكبر الأديان بالولايات المتحدة)[٣] مما حمل بعض

---

(١) شالوم ـ السلام، (٧٩ ـ ٨١).

(٢) حتى ما يقرب من عام ١٩٦٠ كان عدد المسلمين أكثر قليلاً من ١٠٠ ألف نسمة فقط. (٨٢).

(٣) شالوم ـ السلام، (٨٣).

المسلمين الأمريكان على القول: (إننا نود أن يبدأ الشعب فيفكر في أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع يهودي مسيحي مسلم. وقال مسلم آخر للباحثين: إنه يتطلع إلى اليوم حين يقول الجميع: كاثوليك وبروتستانت ويهود ومسلمون. وبينما هذا التغيير لن يلبي القدر الكافي لرغبات هؤلاء المسلمين، الذين هدفهم الأخير هو إيجاد ولاية إسلامية في أمريكا)[١].

هذه هي المعطيات التي أيقظت «أجهزة الإنذار المبكر» لدى يهود أمريكا، وحملت بعضهم على التنازل عن كبريائه وغروره، والاضطرار لمحاورة المسلمين، كما عبر جوناثان د. سرنا: (إن الصورة الحالية للديانة الأمريكية سوف يتحتم أن تتغير لكي تنسجم ـ أكثر مما هي عليه الآن ـ مع الحقائق الإحصائية. وبناءً عليه يمكن أن يجد اليهود أنفسهم موضوعين على قدم المساواة لا مع البروتستانت والكاثوليك، ولكن بسخرية مع المسلمين)[٢]. ومن ثم جاءت تنبؤاته متشائمة بشأن مستقبل اليهود في أمريكا، ومستقبل الدعم الأمريكي لإسرائيل، بل ومستقبل الحوار بين الأديان، ويقصد الحوار مع المسلمين على وجه الخصوص: (سوف يظل الحوار بين العقائد المختلفة محفوفاً بالصعوبات المتزايدة. وفي الماضي أرسى زعماء اليهود والبروتستانت والكاثوليك بعض قواعد آداب المجتمع، أتاحت لهم العمل المشترك المتبادل... غير أن العقائد التي سبق في الماضي أن استبعدت من التيار الديني السائد لا تؤيد بالضرورة قواعد الآداب هذه، ويمكنها في بعض الحالات أن تهون من شأنها صراحة. والشاهد على ذلك النزعة البلاغية المفرطة لبعض الوعاظ المتزمتين، أو لزعماء السود المسلمين... وما لم يأت،

---

(١) المرجع السابق، (٨٣).
(٢) المرجع السابق، (٨٤). ونقول لهم: ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

أو إلى أن يأتي جيل جديد من الزعماء الدينيين من نطاق عقيدةٍ أكثر رحابةً، لهم القدرة على الدخول في دقائق الحوار الديني، فسوف يكون من الصعوبة بمكان إحراز أي تقدم. كما أن المناقشة سوف تثبت ما إذا كانت عاجزةً عن أن يكون لها معنى أو هدف، أو أنها سوف تتسم بالقسوة إلى درجة العجز عن تحقيق النفع والمصلحة)[1].

هل يدعي جوناثان د. سرنا أن عقيدة التلمود المحترقة في أتون التعصب والنبذ للأغيار من الأمميين أكثر رحابةً من عقيدة الإسلام السمحة التي فيها: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت]. أم أن الرجل عرف أن قومه هم المستثنون في الآية؟

وبعد، فما الذي يريده اليهود من وراء الحوار مع المسلمين؟

ثَمَّ لونان من الإجابة على هذا السؤال يبديها المشاركون في تأليف كتاب شالوم/ السلام؛ أحدهما يتناول أوجه التعاون في الحياة الاجتماعية الأمريكية، والثاني يتسامى في محاولة للوصول إلى تقارب موضوعي في العقائد.

فنظراً لوجود الجانب التشريعي التطبيقي في الديانة اليهودية بشكل مفصل، وربما معقد، يجد اليهود عناءً في العيش في الأوساط النصرانية، المتحررة من قديم الدهر من ضوابط الشريعة[2]، ويخشون

---

(١) المرجع السابق، (٨٧).

(٢) كان ذلك بسبب إفساد «بولس» وأشياعه لدين المسيح ﷺ. فالمسيح لم يأت مبطلاً لما تضمنته التوراة من أحكام، بل مصدقاً، ومخففاً. ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران]. راجع: الشريعة عند النصارى، (٩٨).

من الذوبان في مجتمع الأكثرية. ومن ثم يتحسس اليهود أكثر من غيرهم هذه المعاناة التي يجدها المسلمون حين يعيشون أقليات في مجتمعات متحررة من الدين، كما في الولايات المتحدة الأمريكية. ويعتبر دعاة الحوار والتقارب منهم مواجهة هذه المعاناة المشتركة في سبيل الحفاظ على الشخصية الدينية هدفاً جامعاً من أهداف الحوار. يقول الحاخام أندريا ل. ويس: (إننا في ظل رابطة وصحبة مشجعة، نتذكر أنفسنا ونشعر أننا لسنا وحدنا في معركة للمحافظة على هويتنا الدينية والعرقية وسط عالم فيه الغالبية غير المتدينة. إننا نبحث في معامل المعبد أو المسجد، في معسكر الصيف، أو في المركز الطائفي، عن الصيغة السحرية التي تمكننا من المحافظة على التراث الثقافي من تحول القيم والممارسات الدينية، ومن حماية أنفسنا من إغراء التماثل مع المجتمع.

ورغم أننا لا نستطيع أن ننسى أو نتجاهل الفروق التي تفرق بين الأمريكي المسلم والأمريكي اليهودي، فإن المشاركة في المعارف والملاحظات يمكن أن تحقق نتائج طيبة. وطالما أن بعضنا يعلم البعض الآخر ممارستنا واهتماماتنا الدينية، فإن الحوار سوف يؤدي إلى سبل كثيرة لإمكانات إسداء العون والترابط)[١].

ثم ضرب أمثلة للتعاون المشترك في القضايا الغذائية المتعلقة بالامتناع عن لحم الخنزير والزيوت الحيوانية المشتقة منه، ويتابع قائلاً: (وفضلاً عن القضايا الغذائية، فإن قوائم المسائل المشتركة، ومجالات إمكانات التعاون، سوف تستمر في الزيادة بنمو العلاقات، من الصلاة في المدارس والعمل، من أجل استعادة الحرية الدينية Religion Freedom Restoration Act، إلى قضايا تتعلق بالأسرة والعدالة

---

(١) شالوم ـ السلام، (٦٢ ـ ٦٣).

الاجتماعية. وكلما زادت معرفتنا حول بعضنا بعضاً، كان وضعنا أفضل في بناء الجسور والعمل المشترك من أجل الخير للجميع)(١).

هذا لونٌ من التعاون لا غبار عليه ـ في نظري ـ ما لم يتعد إلى مجالات واستدراجاتٍ أخرى. فهو بحد ذاته يحقق للمسلمين المقيمين في بلاد الكفار بعض المطالب الشرعية، بضم أصواتهم إلى أصوات اليهود، أو العكس. ولكن الخطورة تكمن في اللون الآخر من الحوار الذي يُزَجُّ فيه من لا عِلم له ولا بصيرة من أبناء الجاليات المسلمة، أو المتمسلمين الذين يمنحون أنفسهم تفويضاً بالحديث عن الإسلام عن جهلٍ وهوى وضعف، وهو ما يتصل بالجوانب العقدية ـ خصوصاً ـ:

٤ ـ كتب «روفن فايرستون» مقالته بعنوان: (إبراهيم: أهو اليهودي الأول أم المسلم الأول؟ نصٌ وتراثٌ وحقيقة في الحوار والأديان). أراد من خلال عرض الموقفين المتعارضين الوصول إلى أن المناظرة المؤسسة على التراث الديني لكلٍ من الديانتين لا يمكن أن توصل إلى وفاق، بل (إنها لا تشجع على الحوار والتفاهم، وإنما تدعو إلى الجدل والنزاع. وعلى زعماء الدين تجاوزها، وسرعة إثناء أتباعهم وأنفسهم عن الاقتناع بأنهم وحدهم الذين لديهم الحقيقة المطلقة الفريدة، وأن يتحركوا قدماً إلى قضايا أخرى)(٢).

هذا هو مفتاح الحوار في مجال العقائد كما يراه «فايرستون»؛ التنازل عن فكرة الحقيقة المطلقة في العقيدة الدينية، وتمييع ذلك في خضم دعاوى أخلاقية فضفاضة من جنس ما يعبر به نظراؤه من النصارى: (علينا أن نسلم بأن الدعوة إلى الاقتراب من تراث نظام ديني آخر وادعاءاته، مع توافر الاحترام العميق والانفتاح الرحب هي دعوة

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق، (١٠٩).

مثيرة للخوف. إذ أن الشخص إذا كان على استعدادٍ لقبول شرعية ديانة أخرى، ألا يحتمل ذلك أن يضع الأسس الجوهرية في عقيدته موضع الشك آخر الأمر؟ هذا ممكن... غير أن المشكلة تبدو خطيرةً تماماً إذا قبل هذا الشخص تعريفاً لحقيقة دينية على أنها مطلقة وثابتة وتنتمي إلى تراثٍ ديني واحد...

وقضية أي من ابني إبراهيم هو الذي يجب أن ننظر إليه على أنه وحده الذي تلقى بركات الله العظمى، هذه القضية لا يمكن أن نجد لها حلاً بمعرفتنا. والسؤال الأكثر فائدة هو: هل يمكننا التسليم بحقيقة أن لدينا ادعاءات وعقائد مختلفة، وأننا ما زلنا نعيش معاً؟ عبارة «الاحترام المتبادل» هي المفتاح في عالم الحوار. وليست عبارة «حق» أو «باطل». ومع أخذ ذلك في اعتبارنا، فإننا جميعاً أبناء إسماعيل وأبناء إسرائيل ـ كلنا أبناء إبراهيم. فهل في مقدورنا أن نعمل معاً هنا، وفي خارج البلاد على أمل بناء مستقبل أكثر فائدةٍ لنا جميعاً)[1].

إن مثل هذه المقدمات المؤطرة بأطرٍ براقة من عبارات الود والاحترام والانفتاح يمكن أن تؤدي إلى طور من الانسلاخ والشك وهز الثوابت، وقد تؤول إلى «كفر الإعراض» الذي يحمل صاحبه على تجويز الشيء ونقيضه حين لا يعود ذلك الشيء ـ مهما كان عظيماً وخطيراً ـ يعنيه ويهمه. وفي الوقت الذي تضعف قناعة المرء بدينه وعقيدته تحت مطارق هذه الشعارات الخادعة، تقوى نظرته وإعجابه بالطرف المقابل والعياذ بالله. وحين يصاحب ترويج هذه الأفكار برنامج عملي مدروس بعناية، ومخطط له من قبل أصحاب المشروع من اليهود، ويغرق المسلم الغِر بأمواج المجاملات والمداهنة وعرض الأفلام اليهودية، والإحالة على مراجع كتبها يهود فقط، كما هو واضحٌ

(١) المرجع السابق، (١١٠، ١١٢).

في آخر الكتاب[١]، يدرك الناظر المزلق الخطير الذي يجر إليه المسلمون الطارئون على الحياة الأمريكية، من قبل دهاقنة الدهاء والخديعة والمكر والحِيل، أصحاب السبت، إخوان القردة والخنازير.

خلاصة وتحليل:

تبين من خلال ما سبق أن لليهود في العصر الحديث موقفين متضادين من قضية التقريب والحوار بين الأديان:

أحدهما: موقف الرفض، والنبذ للآخرين المتمثل في اليهودية الأرثوذكسية بشقيها: التقليدي، كطائفة «الحريديم»، والأصولي السياسي، مثل «غوش إيمونيم»، وحزب كاخ.. وغيرهما ممن يستظهر تعاليم «التلمود» عقدياً، ويفسر الأحداث السياسية المعاصرة وفق «النبوءات» التي تضمنها العهد القديم. وهذا الاتجاه ينشط في دولة إسرائيل محط آماله، وأرض ميعاده الموهوم. وهو آخذ في النمو والانتشار وزيادة النفوذ، كما تشهد بذلك موازين القوى السياسية في إسرائيل، برجحان كفة الأحزاب الدينية المتعصبة التي قادت حزب «الليكود» إلى السلطة في العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي.

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن هذا الخط العقدي المتعصب سيظل في تنامٍ مستمر حتى يتمحض اليهود ليهوديتهم، والمسلمون لإسلامهم، وتقَع الملحمة التي يترنم بها اليهود، والنصارى الإنجيليون[٢]،

---

(١) انظر مسرد البرامج العملية، (١٤٥) وما بعدها.

(٢) الإنجيليون النصارى: حركة أصولية تنصيرية، تعتقد بعصمة العهدين القديم والجديد، والإيمان برجعة المسيح. وهي تؤيد وتدعم دولة إسرائيل لكون ظهورها يصدق النبوءات التي تضمنها العهد القديم. انظر: الأصولية الإنجيلية، صالح الهذلول؛ الصهيونية المسيحية، محمد السماك؛ المنظمات الصهيونية المسيحية. أحمد تهامي سلطان.

ويسمونها «هرمجدون»[١]، ويتطلع لها المسلمون، لبشارة النبي ﷺ بها، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)[٢].

الثاني: موقف القبول، وربما المبادرة الذي تتبناه اتجاهات ذات أصولٍ مرتبطة بالحركة اليهودية الإصلاحية. وتنشط هذه الاتجاهات بين يهود الشتات «الدياسبورا»، بغرض تحقيق بعض المكاسب المحلية، واستغلال الأقليات الأخرى للوصول إلى بعض المطالب الاجتماعية، دون أن تبدي أدنى تنازلٍ عن الأصول العقدية المتزمتة التي تؤمن بها الطائفة. وبواعثها مصلحية صرفة.

والموقف الأول لا يمكن أن يعيش خارج دولة إسرائيل لما يحمله من مبادئ عنصرية يرفضها المجتمع الدولي، ذو الفكر الإنساني الليبرالي. كما أن الموقف الثاني يضعف داخل المجتمع الإسرائيلي المتمحور على رابطة الدين، والذي يعاني العداء من المحيط الإسلامي حوله. وهذا ما يفسر دعوة أصحاب مشروع شالوم/السلام إلى تجنب الحديث عن قضايا الشرق الأوسط، ومحاولتهم التركيز على أن العرب لا يمثلون سوى ٢٠٪ من العالم الإسلامي، وتصوير قضية فلسطين على أنها مشكلة إسرائيلية ـ عربية، لا يهودية ـ إسلامية. ومن ثم الالتفاف على الأكثرية المسلمة غير العربية الوافدة للولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من دول العالم.

---

(١) انظر: العهد القديم. سفر حزقيال ٣٨، (١٨٣٢). في النبوءات القديمة للمعركة، والأصولية الإنجيلية. صالح بن عبد الله الهذلول، (٥٩). في التفسير الحديث لها.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٣٩).

ومع ذلك فإن محاولات إسرائيل لتطبيع العلاقات مع جيرانها لم تقتصر على الجانب السياسي، بل امتدت إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية. ولعل من أبرزها على الصعيد الديني زيارة الحاخام الأكبر لليهود الأشكيناز[1] «إسرائيل لاو» لشيخ الأزهر في ١٥ ديسمبر ١٩٩٧م، ولم يسفر اللقاء عن بيانٍ مشترك.

كما أوردت هيئة الإذاعة البريطانية ـ BBC ـ القسم العربي في نشراتها الإخبارية ليلة الخميس الموافق ٢١/١١/١٩٩٨ الخبر التالي:

(قال الحاخام اليهودي مناحيم كرومان أنه حصل على تأشيرة دخول لإيران التي سيزورها الشهر القادم في إطار بعثة لتعزيز التفاهم بين اليهود والمسلمين...

وأنه يأمل في الاجتماع بقادة إيران ورجال الدين فيها سعياً إلى تغيير الانطباع الإيراني عن إسرائيل بأنها دولة كافرة).

وفي مطلع عام ١٩٩٨ شارك اليهود في ندوة الحوار بين الأديان المنعقدة في الرباط، يمثلهم الحاخام الأكبر لليهود السفارديم بإسرائيل «إلياهو باكشي». وقد أجرت معه جريدة الشرق الأوسط حواراً صحفياً قال فيه رداً على سؤالٍ عن النتائج التي يمكن أن تتحقق من حوار الأديان:

(**أولاً:** أعتقد أن انعقاد ندوة الرباط التي جمعت ممثلي الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والإسلامية والمسيحية، في بلدٍ إسلامي كالمغرب يعتبر كسباً في حد ذاته.

---

(١) الأشكيناز هم أساساً يهود شرق أوروبا... وقد اتسعت دلالته بحيث أصبح يتضمن كل يهود الغرب بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في مقابل «السفارديم» أي اليهود الشرقيين. ويشكل الأشكناز غالبية يهود العالم حوالي ١٤ مليوناً أي ٨٨,١٪ من يهود العالم. انظر: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (٣٢ ـ ٣٤)، (٥٦ ـ ٥٧).

وثانياً: استبعاد بعض الأفكار الخاطئة مثل: الصراع بين الأديان. ويتعين تجنيب الأديان الصراعات أو النزاعات التي يمكن أن تقع بين الدول لاعتبارات سياسية، لأن الدين هو رمز التفاهم والتوحد، وهو فوق الاختلافات. وفي رأيي فإن أهم رسالة في ندوة حوار الأديان هي الدعوة للصبر والتعايش والسلام، وأن يتمسك السياسيون بمنطق السلام، وأبعد من ذلك فإن السلام ينبغي أن يكون بين الشعوب وليس بين الدول وحسب. ويمكن لرجال الدين أن يلعبوا دوراً أساسياً في إرساء السلام لأن رجال الدين لهم مكانة خاصة لدى شعوبهم)[1].

إن هذا اللون من التصريحات الوقتية، غير مستنكر على الشخصية اليهودية المخادعة المتلونة حسب مقتضيات المصلحة الراهنة على نمط ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]، وأسلوب ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران]، وإلا فإنه غير خافٍ على أحد أن دولة «إسرائيل» إنما ولدت وترعرعت باسم «الدين»، على ما يعتقدونه «أرض الميعاد». وأحبار السوء الذين يتشدقون اليوم بعبارات السلام والتعايش والتفاهم هم الذين غذوا بالأمس، ويغذون اليوم، وسيغذون غداً روح التعصب للشعب المختار، واحتقار الأمميين من غير اليهود، حتى هجّروا شعباً مسلماً عن أراضيه، ووضعوا أيديهم القذرة على مقدساته، ويتحينون الفرصة التاريخية المناسبة لنسف المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان. وفي الوقت نفسه يلبسون مسوح الرهبان، ويطلقون مثل هذه التصاريح ذراً للرماد على العيون، للوصول إلى أهدافٍ مصلحية آنية. وقد كشف الحاخام السالف الذكر عن طرفٍ من هذه الأهداف قائلاً: (قمنا منذ مدة، وبطريقة سرية باتصالات مع قضاة، وشخصياتٍ دينيةٍ مسلمة

---

(١) جريدة الشرق الأوسط. عدد (٧٠٢٣) في ١٩/٢/١٩٩٨م.

ومسيحية، وكان ذلك برعاية الحكومة السويدية. وقد بدأت الاتصالات في مستوى أكاديمي، وبدأت تتعمق لتشمل رجال الدين، وتهدف للتقارب بين ممثلي الديانات الثلاث. وشخصياً أسعى للالتقاء قريباً وبصفة مباشرة مع المفتي الأكبر في سورية، كما أسعى من خلال اتصالات مع أوساطٍ دينية إيرانية لترتيب وضعية حاخام أكبر بإيران، لأن الجالية اليهودية هناك ليس لديها حاخام أكبر...)[1].



(١) جريدة الشرق الأوسط. عدد (٧٠٢٣) في ١٩/ ٢/ ١٩٩٨م.

المبحث الخامس

حقيقة التقريب بين الأديان عند الإسلاميين العصرانيين

تولى كِبْر الدعوة إلى التقريب بين الأديان في العصر الحديث من جانب المسلمين طائفة من المنسوبين إلى العلم والفكر والدعوة، اصطلح على تسميتهم بالعصريين أو «العصرانيين». ولعل مصدر هذه التسمية راجع إلى التشابه بينهم وبين الحركة العصرانية في الديانة المسيحية (Modernism)، وهي:

(حركة دينية كاثوليكية، تطورت في أواخر القرن التاسع عشر... وكانت غايتها تحديث الفكر الديني، والتوفيق بين التراث والآراء العصرية في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع والعلم)[١]. ففي نفس الفترة ظهر في نواح من العالم الإسلامي الذي كان يرزح تحت وطأة الاستعمار الأوروبي دعاة مشبوهون، حملوا لواء «التحريف» باسم «التجديد»، ورفعوا مبادئ «التغريب باسم «الاستنارة»، وخلعوا على أنفسهم لقب «أصحاب الفكر الديني المستنير»[٢]، وسمى تلاميذهم عصرهم ذاك بـ «عصر النهضة»[٣]، وطريقتهم بـ «المدرسة الإصلاحية».

وقد استحيا رواد هذه المدرسة رفات الفكر الاعتزالي الذي اندرس أو كاد[٤]، يضاهئون به الاتجاهات العقلانية المنتصرة في أوروبا

---

(١) الموسوعة الفلسفية. د. عبد المنعم الحفني (٢٨٢).

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب. محمد حامد الناصر (١٧٥).

(٣) انظر: سلسلة موسوعة عصر النهضة. سمير أبو حمدان.

(٤) الواقع أن الفكر الاعتزالي اختفى اسمه، وبقي مضمونه لدى بعض الفرق والطوائف كالإمامية والزيدية.

على الكنيسة حينذاك، ويخيل إليهم ـ على أحسن المحامل ـ أنهم يجددون أمر الدين، ويصلحون فساد المجتمعات الإسلامية المنحطة في دركات الجهل والهزيمة والتخلف.

ومن أبرز معالم تأثرهم بالمعتزلة ما يلي:

أ ـ الغلو في تقديس العقل، وتقديمه على النقل مطلقاً عند التعارض الظاهري[1]. فإن كان المنقول ظني الثبوت عندهم ـ وهي أحاديث الآحاد ـ ردوه وأبطلوه. وإن كان قطعي الثبوت ـ وهو القرآن الكريم والسنة المتواترة ـ تأولوه بما يوافق معقولهم، ولو بتكلف أو تعسف. فمنهجهم في النظر والاستدلال هو «العقل»، وآلته «المنطق» و«علم الكلام».

ومن فروع هذا الأصل الفاسد:

١ ـ محاولة تأويل الغيبيات والمعجزات تأويلاً عقلياً حسياً، مجاراة للفكر السائد في أوروبا الذي يقوم على الإيمان بالماديات، وإنكار الغيبيات. كتأويل بعضهم للملائكة والجن والطير الأبابيل ونحو ذلك.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح. ولكن كثيراً من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول... وكذلك «العقليات الصريحة» إذا كانت مقدماتها وترتيبها صحيحاً، لم تكن إلا حقاً، لا تناقض شيئاً مما قاله الرسول) مجموع الفتاوى (١٢/ ٨٠ ـ ٨١).
وقال أيضاً: (إن الرسول لا يجوز عليه أن يخالف شيئاً من الحق، ولا يخبر بما تحيله العقول وتنفيه، لكن يخبر بما تعجز العقول عن معرفته. فيخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٩٧).

٢ ـ رد النصوص الثابتة التي تخالف في نظرهم معطيات العلم الحديث، كحديث الذباب[1].

٣ ـ القول على الله بغير علم في حمل بعض نصوص القرآن على ما استجد من كشوفٍ علمية، أو حتى ما كان في طور النظرية.

ب ـ النيل من مكانة السنة النبوية إما بإنكار حجيتها، أو بإبطال الاستدلال بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد، والطعن في منهج المحدثين، والتشكيك في سلامة مقاييسهم، ومدوناتهم التي تلقتها الأمة بالقبول، كالصحيحين، والقدح في عدالة بعض الصحابة والرواة الأثبات.

ج ـ تمجيد أئمة الاعتزال والمبتدعة، بل وبعض الفلاسفة المارقين من الدين، أحياناً، وتصويرهم بصورة المتحررين والشجعان والشهداء، في مقابل الحط من بعض أئمة السنة، ونبزهم بألقاب السوء، كما صنع المعتزلة.

كما استظهر هؤلاء العصرانيون بعض أفكار المستشرقين ودعاة التغريب، وركنوا إليهم، وحجُّوا العواصم الأوربية، وأووا إلى كنف المستعمرين، واستظلوا بظلهم، فأورثهم ذلك رقة في الدين، وجرأة على التلاعب بأحكامه، والخروج على إجماع الأمة، باسم «الاجتهاد» و«التجديد» و«التطوير»، ولكن دونما ضوابط ولا أهلية، وإنما أرادوا تطويع المجتمعات الإسلامية لمقتضيات الحياة الغربية العلمانية.

---

(١) وهو ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داءً، وفي الآخر شفاءً». أخرجه البخاري: (٦/ ٣٥٩)، وزاد أبو داود: (وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء) رقم (٣٨٤٤).

ومن مفردات هذه الأفكار والدعوات، في مجال التطبيق والسلوك ما يلي:

١ ـ الدعوة إلى إلغاء الجهاد في سبيل الله.

٢ ـ مهاجمة «الحكومة الدينية»، والاستعاضة عنها بالحكومة المدنية العلمانية.

٣ ـ التشكيك في ثبوت بعض الحدود الشرعية كحد الردة، وحد الرجم للزاني المحصن.

٤ ـ إلغاء أحكام أهل الذمة، واستبدالها بقيم «المواطنة» و«القومية».

٥ ـ الدعوة لتحرير المرأة على النمط الغربي، والمناداة بإلغاء الطلاق، وتعدد الزوجات، والمساواة في الميراث.

٦ ـ تأنيس الربا، والتوسع في المعاملات المحرمة.

٧ ـ موادة أهل الكتاب، وتوليهم، والدعوة إلى تقارب الأديان.

وقد حظي هؤلاء بعطف المستعمرين ودعمهم، فمكنوا لهم في الأرض ينشرون فكرهم المنحرف، وفتاويهم الشاذة تحت ستار التجديد والاجتهاد.

ويعرّف الأستاذ يوسف كمال هذا الاتجاه بقوله: (مذهبٌ جديد بدأ في مطلع هذا القرن، قرن الهزيمة والضياع، وهو في جوهره إحياءٌ لآراء الخوارج والمعتزلة. تولى أمره رجالٌ أريد لهم الصدارة في المكان والرواج في الفكر. يندر أن تعرف أحدهم دون أن تحس منه بشعور من يظن أنه مجدد، وأنه لم يسبق إلى فكره»[1].

وكل فقرة من مفردات فكر هؤلاء العصرانيين، إن في منهج النظر

---

(١) العصريون، معتزلة اليوم: يوسف كمال. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ـ مصر. الطبعة الثانية (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م). (٧).

والاستدلال، أو في مجال التطبيق والسلوك تحتاج إلى بحثٍ مستقل لا تتسع له صفحات هذا المبحث المتخصص[1]، وحسبنا أن نعنى بموقفهم من «قضية التقريب بين الأديان»، وإماطة اللثام عن أبعاده العقدية والعملية عندهم.

وبين يدي هذا العرض لمقولات العصرانيين واتجاهاتهم، نلفت الانتباه إلى أن أفراد هذه المدرسة والمتأثرين بها ليسوا على درجة واحدة من الانحراف الفكري، ففيهم الفقيه الذي طغت عليه ثقلة المتغيرات الحديثة، وأخذته حمى دفع الشبهات عن الإسلام، ودُفِع به أمام أجهزة الإعلام المختلفة فزلت به قدم في قضية أو قضيتين أو أكثر، باسم «مصلحة الدعوة».

وفيهم الصحفي الذي يفتقر إلى العلوم الشرعية، ويقتات على الموائد الفكرية المتاحة، فلا يستنير بنور الله، ولا ينهل من منبع الكتاب والسنة، بل محض الآراء والأذواق، ويتحدث باسم الإسلام، ويُعرَّف بوصفه «كاتب إسلامي» لدى عامة القراء.

وفيهم العقلاني المغرق في عقلانيته، الذي لا يرى في الكتاب والسنة مرجعية عند الاختلاف، بل يحكم فكره وتصوره اتجاهات المدارس الغربية الحديثة.

---

(١) انظر في ذلك: الإسلام والحضارة الغربية، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. كلاهما للدكتور محمد محمد حسين، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب. محمد حامد الناصر، العصريون معتزلة اليوم. يوسف كمال، المعتزلة بين القديم والحديث. الفصل الرابع (١٢٩ ـ ١٣٩). محمد العبدة، طارق عبد الحليم، الفكر الإسلامي المعاصر. دراسة وتقويم: غازي التوبة. دار القلم. بيروت ـ لبنان. الطبعة الثانية ١٩٧٧م، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث. جمال سلطان، مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين. د. محمود الطحان.

وقد أشار إلى هذا التنوع أحدهم ـ وصاحب الدار أدرى بما فيها ـ فقال:

(... فريقٌ يفهم «العصرية» على أنها التحاق كامل بالموقف الغربي في مختلف القيم الدينية والاجتماعية السائدة. وفريق ثانٍ يرى فيها تحديثاً للأحكام الفقهية بحيث تصبح أكثر ملائمة لروح العصر، مع التزام بالأصول والكليات في الرسالة الإلهية. وطرف ثالث يفهمها باعتبارها «تجديداً» في الدين ذاته، يحتمل الانخلاع من الأصول ـ بعضها أو كلها ـ ولا يمانع من أن ينتقي من الخطاب الإلهي ما يوافق تصوره للمصلحة، متبيناً بعض النصوص والمواقف، ومعارضاً أو متحفظاً تجاه نصوص ومواقف أخرى»[(١)].

وبالتالي فإن هؤلاء العصرانيين يقفون على درجات متفاوتة في سلم الانحراف.

وتتفاوت مقالاتهم ما بين «البدعة» و«الكفر»، بصرف النظر عن قائليها، فذلك لا يعنينا هاهنا، وإنما يعنينا كشف خطر هذه المقالات على عقيدة الأمة.

كما أن قول بعضهم ليس بملزمٍ للآخرين. يقول الأستاذ محمد حامد الناصر في بحثه القيم «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب»: (والحقيقة أن العصرانيين يمثلون تياراً عاماً لم تكتمل ملامحه بعد، ولم تكن اجتهادات رجاله واحدة، وإنما يشتركون في ملامح عامة، وخصائص مشتركة عموماً. والعصرانيون ليسوا سواء في منطلقاتهم وأهدافهم، وقد يلتقي معهم في بعض المسائل من ليس منهم، ولا يوافقهم على كثيرٍ من غلوهم وجموحهم)[(٢)].

---

(١) التدين المنقوص. فهمي هويدي. مقالة: «ليبراليون وسلفيون» (٢٥٩).
(٢) مقدمة: العصرانيون بين مزاعم التجديد، وميادين الغريب (٧).

وقد تقدم في مبحث «الأصول التاريخية لدعوة التقريب»، أن أول من نادى بالتقريب بين الأديان في أوساط المسلمين بصورته الأخيرة جمال الدين الأفغاني، ثم تلميذه محمد عبده. ولم يزل دعاة التقريب من العصرانيين يمجدونهما، ويشيدون بمآثرهما في هذا المضمار، وينسجون على منوالهما.

وسوف نعرض «حقيقة التقريب» عند هؤلاء الإسلاميين العصرانيين من خلال ثلاثة محاور:

الأول: الشبهات العقدية لدعوة التقريب.

الثاني: التطبيقات العملية في معاملة أهل الكتاب.

الثالث: مفهوم التقريب ومنهجيته عندهم.

أولاً: الشبهات العقدية لدعوة التقريب عند الإسلاميين العصرانيين:

كان لا بد لدعاة التقريب بين الأديان، بله التوحيد، من مقدماتٍ عقدية يسوِّغون بها مشروعهم البدعي، تماماً كما احتاجت الكنيسة الكاثوليكية في المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م) إلى استحداث فكرة تعدد سبل الخلاص لأتباع الديانات الأخرى لتمرير مشروع التقارب، والخروج من أسر الإطلاقية الدينية: «لا خلاص خارج الكنيسة»[(١)].

ولكن الأمر يختلف بالنسبة للإسلام، فعقيدته محفوظة مصونة، وحدوده بيِّنة واضحة، لا مجال فيها لتلاعب المتلاعبين، وتحريف المحرفين. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، بخلاف دين النصارى الذي اتخذه أهله هزواً ولعباً، منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حتى مجمع الفاتيكان الثاني المذكور آنفاً. قال شيخ الإسلام ابن

---

(١) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل.

تيمية كَلَلهُ: (وكل عاقل يعلم أن النصارى أعظم الملل جهلاً وضلالة، وأبعدهم عن معرفة المعقول والمنقول، وأكثر اشتغالاً بالملاهي، وتعبداً بها»[(١)].

ومن ثم صُدِم هؤلاء العصرانيون بصراحة النصوص القرآنية، وخطف أبصارهم ضوؤها، فحيل بينهم وبين ما يشتهون، فلجأوا إلى باب التحريف الذي سموه «تأويلاً»، كما فعل أشياعهم من قبل، من المعتزلة وغيرهم، بل قد سلكوا مسلكاً أبشع منهم، وأكثر جرأة وعدواناً على النصوص القرآنية، حيث مالئوا كفرة أهل الكتاب على فكرة إخضاع النص القرآني لمعاول النقد التاريخي، واعتضدوا في سبيل بلوغ هذا الهدف الخبيث بالدعوة إلى إحياء عقيدة القول بخلق القرآن عند المعتزلة، لينزعوا عن الكتاب العزيز صفة القداسة والعصمة الإلهية، بوصفه مخلوقاً، ثم يشرعوا بإعمال مباضعهم في تجريح النصوص، وفق أهوائهم. فبئس الهدف، وبئست الوسيلة. يقول أحدهم، طريف الخالدي: (أرى من بين تلك المشكلات التي يجب الخوض فيها من جديد مسألة «خلق القرآن». فالقول بخلق القرآن يعني أن القرآن تاريخي. وهذا أمرٌ هامٌ جداً يتيح لنا أن ننظر من خلاله إلى الإسلام كظاهرة تاريخية، لا كنظام أزلي. كنصٍ ينبغي أن نعيد فهمه باستمرار على ضوء آخر ما استجد من العلوم البشرية، وآخر ما وصلنا إليه من فهم لتاريخ الحضارة الإسلامية»[(٢)].

وقبل أن يفيق المؤمن من هول هذه الكلمات الفجة الجريئة، يعاجله الكاتب بالنتائج التي يرجوها من تطبيق هذا المبدأ الخطير،

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٧).

(٢) اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الإسلامي. طريف الخالدي. من: المسيحيون العرب. دراسات ومناقشات: تحرير: إلياس الخوري. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ـ لبنان. (١٤٥).

فيقول متابعاً: (وهنا نعود فنلتقي مع اللاهوت المسيحي لنؤكد ونشهد: إذا كان الإسلام بالفعل خاتم الأديان، فهو لا يختتم حقاً إلا بالمسيحية، أي أن كماله مشتق من كمالها، كما تجلى ذلك في تاريخ الحضارة العربية.

وإذا ألقينا نحن المسلمين نظراً على اللاهوت المسيحي لنرى ماذا يفرقنا عن بعضنا البعض، نرى أن التثليث، على عكس ما قد يتصوره البعض، هو أهون العوائق بيننا. أما أصعب العوائق فيما بيننا فهو على عكس ما قد يظنه البعض، مسألة صلب المسيح، فالصليب طريق الخلاص في المسيحية جمعاء، عربية كانت أم غربية. ونفي الصلب واضحٌ وصريحٌ في القرآن، ولكني أرى أن حتى هذا العائق لا يشكل في الواقع عائقاً حقيقياً. فالمسلم أيضاً يحمل معه «صليبه» الذي يؤدي به إلى الخلاص كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ [الإسراء](1)).

هذا ما تثمره منهجية «النقد التاريخي» التي يطالب بها هؤلاء المداهنون لأهل الكتاب، فينكرون ختم الرسالات الإلهية بدين الإسلام، فهو كما زعم الكاتب (لا يختتم حقاً إلا بالمسيحية، أي أن كماله مشتق من كمالها). ويخلط التاريخي بالعقدي تمويهاً وتلبيساً. فأين هو من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]؟!

مقاييس النقد عنده توصله إلى أن (التثليث... هو أهون العوائق)!

كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. فأين الذي

---

(١) المرجع السابق.

يستهل مقالته الفاجرة بقوله (نحن المسلمين) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

وحتى ما يراه أصعب العوائق، مسألة صلب المسيح، لا يراه في الواقع عائقاً حقيقياً، ولا يكرثه أن يؤوله تأويلاً باطنياً بأسهل ما يكون.

ألا يكف هؤلاء عن الاستشهاد بآيات الكتاب، ويعلنوها صريحة: أن قرآنهم: عقولُهم الفاسدة وآراؤهم الشاذة، إلا فيما وافق أهواءهم.

وما يقوله هذا العصراني المتحرر ببجاحة، يردده بعض أصحاب العمائم السود على استحياء. يقول داعية التقريب الملقب بـ (آية الله) محمد حسين فضل الله[(١)]: (ويتساءلون[(٢)] ـ بعد ذلك ـ هل يمكن أن نطبق النقد التاريخي على القرآن الكريم كما نطبقه على الكتاب المقدس ليكون الحوار حراً في الدائرة العلمية الدقيقة؟.

---

(١) محمد حسين فضل الله: ولد في النجف سنة (١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٣م)، ودرس فيها على كبار علماء الشيعة إذ ذاك. هاجر إلى لبنان سنة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م)، أسس في بيروت «المعهد الشرعي الإسلامي»، وهو حوزة شيعية خرجت العديد من علماء الشيعة في لبنان، وقف مع الثورة الإيرانية بقيادة الخميني، وانخرط في دوامة الحرب الأهلية في لبنان، ويعد المرجع الروحي لحزب الله في لبنان. من مؤلفاته: «أسلوب الدعوة في القرآن»، «قضايا على ضوء الإسلام»، «الحوار في القرآن»، «الإسلام ومنطق القوة»، «في خطى كربلاء». انظر كتاب: آية الله السيد محمد حسين فضل الله. داعية حوار... أم ذمية. عماد شمعون (١٥ ـ ٢٥).

(٢) يريد: علماء النصارى.

نلاحظ في ذلك أن علماء المسلمين دخلوا في مناقشاتٍ علمية في مفاهيم القرآن، أكثر حدةً وقساوة على الإيمان من المناقشة في الجانب التاريخي فيه. وذلك في المسائل المتعلقة بالإيمان، كالتجسيم والجبر ونحو ذلك، فانطلقوا في خط التأويل للظواهر في المسائل التي تختلف مع العقل القطعي، أو الحجة الفكرية، مما يجعل مناقشة التاريخ القرآني ممكنةً في المنهج العقلي الإسلامي، الذي يعمد إلى التأويل المنسجم مع السياق المجازي للقرآن، على أساس القواعد العربية البلاغية العامة)[1].

فلننظر إذاً إلى أي مدى تمتد إمكانية مناقشة التاريخ القرآني في نظر الكاتب، وإلى أي حدٍ يتسع التأويل المنسجم مع السياق المجازي للقرآن ـ بزعمه ـ ليكون الحوار حراً في الدائرة العلمية الدقيقة، وعلى أساس القواعد العربية البلاغية العامة، كما شرط. يقول آية الله!: (إن الحوار لا بد أن يرتكز على مواجهة العقيدة المعاصرة للإسلام والمسيحية، وباعتبار أن الكثير من مفاهيم العقيدة لكلٍ منهما ربما تجاوزها الواقع الفكري لهذا أو ذاك، مما يجعل الدخول في مناقشتها حركة في الفراغ. كما نلاحظه في بعض الأفكار التي يثيرها القرآن عن التفكير النصراني في عصر النزول، مثل «الإبنية المتجسدة» أو «التثليث المادي المتعدد»، أو نحو ذلك مما يقول بعض المسيحيين عنه بأنه لا يمثل العقيدة المعاصرة لهم، بل يمثل لوناً من ألوان التفكير البائد لبعض فرقهم التي يرفضون خطها العقيدي، كما يرفضه المسلمون، فلا يجوز لهم أن يلزموهم به، كما لو كان يمثل

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي: آية الله السيد محمد حسين فضل الله. دار الملاك ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م) (١٠٩) أو: العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٥٠ ـ ٥١).

الحقيقة الإيمانية للمسيحية في بعدها الفكري العقيدي)[١].

ونسائل الكاتب **أولاً:** هل في الإسلام عقيدة معاصرة وعقيدة بائدة تجاوزها الواقع؟ لئن كان ذلك موجوداً في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام التي تعتمد «التقية» والظهور بوجهين مختلفين، فإن ذلك لا وجود له البتة في الإسلام الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الصادقون الطاهرون، رضوان الله عليهم.

ونسائله **ثانياً:** من قيَّد (الإبنية) التي أنكرها القرآن على اليهود والنصارى والمشركين بقيد (المتجسدة)؟ ومن قيّد (التثليث) الذي شنع الله به على النصارى بقيد (المادي المتعدد)؟

هلَّا أتيتنا بكتابٍ من قبل هذا أو أثارة من علمٍ إن كنت من الصادقين؟

وكيف تساق هذه الشبهات سوقاً بارداً على خبر الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويُعتزى بمراوغات ومغالطات (بعض النصارى) المبهمين، من أمثال الأب يوسف درة الحداد، والمطران جورج خضر، والمطران كيرلس سليم بسترس[٢]، وأمثالهم من بلديّيه، فيروج الكاتب آراءهم ومزاعمهم، ويدع شهادة القرآن والواقع متذرعاً بمنهج التأويل المزعوم، الذي يرفع عن نصارى اليوم القول بالتثليث وبنوة المسيح، مع أنهم لم يقولوه، ولكن لتمرير مشروع التقريب، يتمحل لهم الأعذار باسم منهج النقد التاريخي للقرآن.

بقي أن نقول إن المعتزلة رغم قولهم بخلق القرآن، لم يقصدوا بذلك ما قصده هؤلاء العصرانيون من إنكار عصمته، وإمكانية نقده،

---

(١) في الآفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة (٣).

(٢) انظر: مناقشة شبهات هؤلاء في مبحث «النصارى العرب» (٤٣١ ـ ٤٤٨)، (٤٥٦ ـ ٤٦٠)، (٤٧٨ ـ ٤٩٥).

على ما وقعوا فيه من تحريف، بل إنهم يعدونه أعظم الدلائل على صدق نبوة محمد ﷺ لكونه معجزاً للعالمين[1]، ولم ينحطوا إلى ما انحط إليه هؤلاء مداهنةً وتملقاً لأعداء الله.

هذان المثالان السابقان يكشفان عن منهج القوم تجاه التعامل مع النصوص القرآنية المتعلقة بأهل الكتاب، فإذا ما دلفنا إلى تفاصيل مسعاهم إلى «التقريب» و«التوحيد» بين الأديان، نجده يتجه إلى محاولة إثبات إيمان اليهود والنصارى اليوم، وأنهم ناجون يوم القيامة. وقد سلكوا في سبيل هذه الغاية مسالك شتى يتداخل بعضها مع بعض، نحاول تمييزها فيما يلي:

أولاً: التلبيس بأن أهل الكتاب اليوم مشمولون بـ «الإسلام» بمعناه العام:

مما لا شك فيه أن الإسلام بمعناه العام، يعني الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك. وهو بهذا المعنى دين الله للأولين والآخرين، لا تختلف هذه المعاني في أي رسالة من رسالات الله، بل هي أصلها الذي تدور عليه[2]. كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا كان رأس الإسلام «شهادة أن لا إله إلا الله»، وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه. وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى

---

(١) انظر: على سبيل المثال: «المختصر في أصول الدين» للقاضي عبد الجبار المعتزلي من مجموعة رسائل العدل والتوحيد. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة (١/ ٢٦٦). وانظر: في الرد على محاولات نقد النص القرآني: «هجمة علمانية جديدة ومحاكمة النص القرآني» د. كامل سعفان.

(٢) راجع مبحث: «دين الإسلام» في التمهيد.

ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران])[1]. ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]

فهل بقي هذا الوصف مستحقاً لهاتين الطائفتين، أم زال عنهما؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كَلَلهُ: (فابتدعت اليهود والنصارى ما ابتدعوه مما خرج بهم عن دين الله الذي أمروا به، وهو الإسلام العام. ولهذا أمرنا أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوبٌ عليهم والنصارى ضالون»[2]. وكل من هاتين الأمتين خرجت عن الإسلام وغلب عليها أحد ضديه، فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقل فيهم الشرك. والنصارى يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر)[3].

وعلى هذا فكل ما جاء في القرآن من الثناء على مؤمني الأديان السابقة، اليهود والنصارى وغيرهم، فإنما يراد به من اتصف بوصف الإسلام العام، وربما أضيف إلى ذلك وصف الإيمان باليوم الآخر، ووصف العمل الصالح، ممن لم يدرك رسالة نبينا محمد ﷺ، أو

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥). قال الطبري كَلَلهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: (إن الطاعة التي هي الطاعة عنده: الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى. وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية) جامع البيان (٣/ ٢١٢).

(٢) رواه الترمذي (١١/ ٧٣ ـ ٧٥)، وأحمد (٤/ ٣٧٨). وغيرهما. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش. وهو ثقة) (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٢٤).

أدركها وآمن به. وكل ما جاء من الذم والوعيد في شأن اليهود والنصارى، فالمراد به من خالف ذلك وحرّف وابتدع.

وهذا أمرٌ معلومٌ بالضرورة من دين الإسلام، ولله الحمد. ولكن دعاة التقريب أرادوا التلبيس على العامة، بحمل نصوص الإسلام العام على أهل التثليث والكِبر من كفرة أهل الكتاب، وإيهام الناس بأنهم مشمولون بذلك الوصف الحميد، الذي رتب عليه الجزاء الأخروي بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وإليك أيها القارئ أمثلة من مغالطات القوم في هذا الباب.

١ ـ محمود أبو رية:

قال: «إن النجاة من الخوف والفزع، ونيل المثوبة والأجر، أمران منعقدان بأن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر، وأن يأتي من الأعمال ما هو لصلاح الدنيا والآخرة. فمن فعل هذا فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليه ولا حزن. لا فرق في ذلك بين من كانوا على ملة إبراهيم، ومن كانوا على دين غيره من الأنبياء كموسى وعيسى، بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشيء من تلك الأديان»[١].

فهذا الكاتب الذي اشتهر بالتجني على السنة النبوية، وعلى شخص الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ[٢]، قد تجنى على الكتاب

---

(١) دين الله واحد: محمود أبو رية. عالم الكتب. (٥٢).

(٢) انظر كتابه: أضواء على السنة المحمدية. وكتابه: شيخ المضيرة أبو هريرة. وقد ألّف في الرد عليه أكثر من خمسة عشر كتاباً، منها: ظلمات أبي رية أمام أضواء السنّة النبوية، للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، وكتاب: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء السنّة من الزلل والتضليل والمجازفة. للعلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، وكتاب: السنّة ومكانتها من التشريع. للدكتور مصطفىٰ السباعي. وغيرها. ويكفيه رداً ما رواه أبو هريرة ﷺ نفسه، أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللهم حبّب عبيدك هذا وأمه إلىٰ=

العزيز، في تأويل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة]، فحمله على إيمانٍ مطلق، وعمل مطلق، دون مراعاة دين الله وشرعه في زمان معين[1]. وهو لا يكتفي بالخلط والتلبيس، وعدم التمييز بين مؤمني أهل الكتاب قبل بعثة النبي ﷺ، ومشركيهم الذين أبوا واستكبروا عن قبول ما جاء به محمد ﷺ، بل يحشد معهم من لم يدن بشيء من الأديان، ويفرق بين ملة إبراهيم ودين موسى وعيسى، وهم جميعاً على ملة إبراهيم، التي وصاهم الله بها جميعاً كما في قوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى].

وقد حكى عنه فهمي هويدي حكاية تكشف عن مقاييسه الطائشة في أحكام الآخرة، من أنه حضر مجلساً لبعض المشايخ، وسألهم عن «أديسون» مخترع المصباح الكهربائي، فأخبروه أنه حيث لم ينطق بالشهادتين فهو من أهل النار، فخاطبهم قائلاً: (إذا كان مثل هذا الرجل العظيم، وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم، لا يمكن ـ حسب فهمكم ـ أن يدخلوا الجنة شرعاً، لأنهم لا ينطقون بالشهادتين، أفلا يمكن أن يدخلوها عقلاً بفضل الله ورحمته، ما داموا يؤمنون بخالق السموات والأرض)[2].

= عبادك المؤمنين، وحبّب إليهم المؤمنين». قال: فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبّني. رواه مسلم (١٩٣٩/٤).

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد لبيان معنى الآية الكريمة.

(٢) مجلة العربي الكويتية عدد (٢٦٧) (٥٠) ربيع الأول ١٤٠١هـ. فبراير (١٩٨١م).

ألم يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف] بل وأكثر مما ذكر، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون]. وهذه إقرارات لمشركي العرب أعظم مما أثبته أبو رية مؤهلاً لأديسون وأمثاله لاستحقاق الجنة، ومع ذلك لم ينفعهم ـ مشركي العرب ـ إقرارهم بتوحيد الربوبية دون إقرارهم بتوحيد الألوهية وتصديق محمد ﷺ.

أما إن كان يرى استحقاقهم الجنة بما قدموا من أعمال نافعة للبشرية فتلك ظلمات بعضها فوق بعض، فقد قال الله عن المشركين الذي يطعمون الحجيج، ويفكون العاني ونحو ذلك من صور الإحسان: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]. والخلق إما كافرٌ وإما مؤمن: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، فمن لم نعلم اعتناقه لدين الإسلام بعد بعثة محمدٍ ﷺ حكمنا بكفره في الدنيا. والحكم بالنار على كل كافر هو صريح الكتاب والسنّة، وأما استحقاق معين للنار فمتوقف على ثبوت شروط، وانتفاء موانع، كقيام الحجة الرسالية، ونحو ذلك.

٢ ـ محمد سعيد عشماوي:

قال: (المقصود بالآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، ومن يبتغ غير دين الإسلام الذي دعا إليه كل الأنبياء والرسل، والذي اعتنقه أتباعه، والقرآن الكريم يفرق بين المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالله ولا بالرسل، ولا يعملون صالحاً، وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

من هؤلاء مَنْ يؤمن بالله ويعمل الصالحات. وهو المقصود بالآية الكريمة التي تبشر بألا خوفٌ عليهم ولا حزن)(١).

إن هذا السياق المجمل الذي لا يراعي التفريق بين من سبق بعثة النبي محمد ﷺ ومن أدركها من أهل الكتاب، ويجري الحكم فيهم مجرى واحداً، يوقع في اللبس والإيهام، وتصحيح ما عليه عامة اليهود والنصارى اليوم. وحتى مع القول أن الآية السابقة تعني الإسلام بمعناه العام، فهل اليهود والنصارى مؤمنون حقاً بالله، وبرسله، ويعملون الصالحات؟! هل التثليث وادعاء بنوة المسيح وعزير لله إيمان؟ وهل التفريق بين رسل الله، والكفر برسالة النبي محمد ﷺ إيمان بالرسل؟ وهل ما أحدثه اليهود والنصارى من البدع والشركيات يعد من العمل الصالح؟ سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

٣ ـ عبد اللطيف غزالي:

قال: (الإسلام الذي لا يقبل غيَره الله هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن. وأي امرئ كان هذا حاله، فإنه مسلم سواءً كان مؤمناً بمحمدٍ، أو كان من اليهود أو النصارى، أو الصابئين، وإذن فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون... والركوع والسجود وما إليهما في الصلاة، وصيام نهار رمضان، وشعائر الحج إلى بيت الله في مكة، ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد بذاتها إسلام)(٢).

ماذا يصنع هذا القائل بقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»(٣)، وفي حديث جبريل: «يا

---

(١) جريدة الأخبار (٩/ ١٢/ ١٩٧٩م) عن: العصريون معتزلة اليوم. يوسف كمال (٣٢).

(٢) نظرات في الدين. عبد اللطيف غزالي (١٦).

(٣) رواه البخاري (١/ ٨)، ومسلم (١/ ٤٥).

محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت»(١).

وقد سمى الله ﷻ الصلاة بحد ذاتها إيماناً، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم.

فإذا كانت أركان الإسلام، ومبانيه العظام، كما عدها وحدها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وصدّقه عليها أفضل الملائكة الكرام ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد الإسلام، فماذا يكون الإسلام إذاً؟! لم يبق سوى الزندقة والتأويلات الباطنية التي لا ترى الإيمان بمحمدٍ ﷺ شرطاً في الإيمان، ليسهل تلاقي إخوان الصفا وخلان الوفا من كفرة أهل الكتاب والمنتسبين إلى الإسلام.

٤ ـ محمد عمارة(٢):

حشا الكاتب كتيبه «الإسلام والوحدة القومية» بهذه الدعاوى الزائفة، ورددها بصورة مملة، نقتطف منها ما يلي: (الفوز بأجر الله

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٧).

(٢) محمد عمارة مصطفى عمارة: ولد بريف مصر سنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م)، وتعلم في المدارس والمعاهد الأزهرية، تخرج من كلية «دار العلوم» ونال درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإنسانية، اشتغل بدراسة الأعمال الكاملة لعددٍ من أعلام المعاصرين مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ورفاعة الطهطاوي وغيرهم. حصل على الماجستير سنة ١٩٧٠م بأطروحة عن «المعتزلة مشكلة الحرية الإنسانية»، والدكتوراه سنة ١٩٧٥م عن «الإسلام وفلسفة الحكم». يكتب في العديد من الدوريات الفكرية والمجلات، ويشارك في العديد من المؤتمرات والندوات، وعضوية المؤسسات والمجالس العلمية. مؤلفاته تربو على المائة منها: «معالم المنهج الإسلامي»، «الإسلام والسياسية»، «الإسلام والتعددية». انظر كتيب: التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية (٥٣) سيرة ذاتية.

سبحانه وثوابه، والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآن في وعيده الذي توعد به العصاة، والسعادة الإلهية التي تنفي الحزن... كل ذلك حقٌّ وعد به الله سبحانه، لا المسلمين المؤمنين بالشريعة المحمدية فقط، وإنما مطلق المتدينين بالدين الإلهي، الذين جمعوا إلى إيمانهم بالألوهية، الإيمان بالجزاء والحساب، وعملوا لذلك عملاً صالحاً... جميع هؤلاء قد صدق الله لهم الوعد بالنجاة والسعادة والأمن، سواءٌ منهم الذين آمنوا بشريعة محمد أو موسى، أو عيسى، وكذلك الصابئة «ولعلهم الحنفاء»)[١]. ثم يستدل بآيتي البقرة (٦٢)، والمائدة (٦٩) كمن سلف. ثم لا يدعنا الكاتب نحاول حمل كلامه في «المتدينين بالدين الإلهي» على من سبق بعثة نبينا محمد ﷺ بل يتتبع مسارب الأفكار، ووجوه الاحتمالات، فيبادر بنفيها، وتأكيد العكس فيقول: (ولقد يحسب البعض ـ وتلك قضية هامة ـ أن هؤلاء المبشَّرين بالنجاة، من أتباع الشرائع السماوية غير المحمدية، هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية، أما من أدرك هذه البعثة، أو جاء بعدها فلن ينجيه الإيمان بالله والآخرة والعمل الصالح، إلا إذا هو آمن بشريعة محمد، عليه الصلاة والسلام، قد يحسب البعض هذا، ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية، لن يحول بين فرقائها الذين توزعتهم، وبين النجاة...)[٢].

ثم شرع في عرض قطعياته الدالة بزعمه على أن الإصرار على شريعة سوى الإسلام بعد بعثة محمدٍ ﷺ لن يحول بينهم وبين النجاة.

فيستدل أولاً بثناء الله تعالى على طائفة من النصارى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ

---

(١) الإسلام والوحدة القومية: د. محمد عمارة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ـ لبنان. الطبعة الثانية ١٩٧٩م. (١٤١).
(٢) المرجع السابق (١٤٢).

أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة].

ويُعلِق قائلاً: (فالحديث عن طائفة نصرانية، ظلوا على نصرانيتهم، كانوا، أو كان فيها قسيسون ورهبان، آمنوا بالله وبشريعة عيسى التي جاءتهم - ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ - وانطبعت علاقاتهم بالمسلمين بطابع المودة والموالاة، وكانوا لذلك كله، وفي مقدمته تدينهم بشريعة سماوية، من أهل المثوبة بالخلود في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار)[1].

لقد وقع الكاتب في سبيل تأييد باطله في تحريف الكلم عن مواضعه، والقول على الله بغير علم، حيث زعم أن هؤلاء المؤمنين (ظلوا على نصرانيتهم)، وتعامى عن قول الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة]. فأي عبارة أصرح من هذه العبارة على إيمانهم بالرسول ﷺ وما جاء به من عند الله؟! وأي وصفٍ أدل من هذا الوصف القولي والفعلي على قبول هذه الطائفة دين الإسلام؟! ولكن الهوى يعمي ويصم ويحجب نور الهدى عن صاحبه، نعوذ بالله من الخذلان.

وهكذا فهم سلف الأمة هذه الآيات وأمثالها، فقد حكى إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله قولين في المراد بهذه الطائفة فقال: (قيل إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفرٍ قدموا على

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (١٤٣).

رسول الله ﷺ من نصارى الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا، واتبعوا رسول الله ﷺ وقيل: إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحابٌ له أسلموا معه. ثم ساق الروايات في ذكر من قال ذلك، ثم قال:

وقال آخرون: بل هذه صفة قومٍ كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله تعالى ذكره نَبيه محمداً ﷺ آمنوا به)[1]. وذكر من قال ذلك.

هذه تفاسير السلف المعتبرة، لا تخرج عن إثبات إيمان هؤلاء النصارى برسالة محمدٍ ﷺ والدخول في دين الإسلام، إما حضورياً بالهجرة كما القول الأول، وإما غيابياً كما القول الثاني. أما القول الذي تقوّله محمد عمارة فيندرج في التفسير بالرأي والهوى.

والعجب أن يفسر أيضاً قولهم ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بالإيمان بشريعة عيسى عليه السلام، وإن كان الإيمان بها يقتضي الإيمان برسالة محمدٍ ﷺ واتباعه لبشارته به، ولكن المقام والسياق يقتضيان أن «الحق» ها هنا هو «الحق» المذكور آنفاً بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فلذلك قالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: (هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى رسوله محمد ﷺ من كتابه آمنوا به وصدّقوا كتاب الله، وقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾، يقول: لا نقر بوحدانية الله، ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. يقول: وما جاءنا من عند الله من كتابه وآي تنزيله)[2].

وأي مناسبة لحمل «الحق» على شريعة عيسى، والمقام مقام فرحٍ

---

(١) جامع البيان (٧/١ ـ ٣).

(٢) جامع البيان (٧/٧).

بما أنزل على محمد؟ وحتى على هذا المحمل البعيد فإن الآية لا تسعف الكاتب على ما أراده من تقرير صحة التدين لله بأي شريعة سابقة، فإن ما جاء به عيسى عليه السلام وغيره من أنبياء الله يقتضي أمرين: وجوب الإيمان بالنبي الخاتم ﷺ، ووجوب اتباعه أيضاً. وليس الأول فقط كما يزعم الكاتب وأمثاله، ومع ذلك لم يسلِّم لهم الأول ولا الثاني من يداهنون من اليهود والنصارى. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران] فإذا كان هذا حال الأنبياء مع نبينا محمد ﷺ، فأتباعهم من باب أولى. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف] وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

ثم كيف يقبل عقلٌ أن يكون قومٌ فيهم العلم «قسيسين»، والعبادة «رهباناً»، والتواضع «لا يستكبرون»، ويخشون لسماع الحق ويفرحون به حتى تذرف دموعهم تصديقاً وفرحاً وعرفاناً، وتلهج ألسنتهم بالشهادة بالإيمان، وامتناع رد الحق الذي جاء من عند الله مُنزلاً على رسول الله، أنهم «ظلوا على نصرانيتهم»!!

تلك ثمار العقلانية الضالة، العصرانية الهوجاء، التي تحطم

العقائد، وتُحرِّف الكلم عن مواضعه، في سبيل «الوحدة القومية» و«الإخاء الديني»(١).

وقد عجم الكاتب أعواد شبهاته فكانت هذه أصلبها، وشحذ سلاح رأيه وعقله فكانت أمضاها وأذكاها، فإذا هي كما قيل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

وما استدل به بعد ذلك من الآيات فمن هذا الباب(٢)، فلا نصرف الجهد بإعادة رده، ونكتفي بقول ابن كثير رحمه الله إثر تفسير الآيات السابقة: (وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران]، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص].

ويتسع كرم الكاتب لغير أهل الكتاب، فيستضيف «المجوس» في مشروعه الإنساني، فيقول: (... هذا هو موقف الإسلام كدين: دين الله واحد، وشرائعه متعددة. والنجاة ليست وقفاً على أبناء شريعة واحدة،

---

(١) يقول محمد عمارة معلقاً على كلمة إمامه جمال الدين الأفغاني: «لقد لاح لي بارق أمل كبير: أن تتحد أهل الأديان الثلاثة... إلخ»: (فإذا عزَّت «وحدة» أبناء الأديان المختلفة... فليس بالمستحيل أن يتحقق بينهم الإخاء والوفاق والاتفاق) الإسلام والوحدة القومية (١١).

(٢) انظر: الإسلام والوحدة القومية (١٤٣ ـ ١٥٠).

وإنما هي جزاء من آمن بالله الواحد، وباليوم الآخر وعمل صالحاً، يستوي في ذلك المسلمون والنصارى والصابئة واليهود... بل والمجوس)[(١)].

مع أن «المجوس» لم يذكروا موصوفين بالصفات الثلاث التي يكتفي بها الكاتب دون الإيمان برسالة محمد ﷺ، وهي الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات. وإنما ذكروا هم والمشركين مقرونين بباقي الطوائف في مقام آخر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج].

فكيف صاروا مشمولين أيضاً بوصف الإسلام؟! أم هي نفحة عصرانية؟ وهل ننتظر أن تغمر الرحمات العصرانية، والتسامح الديني «الذين أشركوا»؟ أم أن الوقت لا يزال مبكراً على هذه الخطوة؟

٥ ـ فهمي هويدي:

يسهم في هذا التلبيس، فَتَحْتَ عنوانٍ فَجٍّ: «الله ليس منحازاً لأحد» يقول: (... ثمة آيات قرآنية أخرى من رب الناس، تطل على كل الناس، من منظور أكثر اتساعاً وشمولاً، وتعطي قيمة العدل عند الله سبحانه، أبعاداً وآفاقاً بغير حدود. والآيات الثلاث هي:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة].

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (١٧٩).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج].

والآيتان الأوليان تُسويان بين الجميع أمام الله سبحانه، وتشترطان فقط الإيمان بالله والعمل الصالح ليثاب الخيِّرون عما فعلوا، وليطمئن الجميع إلى عدالة الله «ولموازين القسط» يوم القيامة... وفي الآية الثالثة إضافة للمجوس والمشركين، وتذكير بأن حسابهم على الله يوم القيامة، وليس على أحدٍ من الناس في هذه الدنيا)[1].

ونناقش الكاتب الذي طرح أفكاره في باب «للمناقشة» في مجلة العربي، واكتفى بتوفر هذه الشروط الثلاثة، بل الشرطين؛ الإيمان بالله والعمل الصالح - ولا أدري لِمَ أسقط شرط الإيمان باليوم الآخر - ليصل إلى أن الإيمان بمحمدٍ ﷺ ليس شرطاً للنجاة في الآخرة، فنسائله:

أرأيت لو أن شخصاً في الأولين أو الآخرين لم يؤمن برسالة إبراهيم أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام أفلا يكون مؤمناً على شرطك وحدك؟ تماماً كما يكشف «منظورك الأكثر اتساعاً وشمولاً» إمكان ذلك مع كفر اليهود والنصارى بمحمدٍ ﷺ، أم يختلف الحكم حينئذٍ؟

وهل يكون إيمان بالله تعالى دون إيمان بأنبيائه جميعاً دون تفريق بين أحدٍ منهم؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

---

(١) مجلة العربي الكويتية. العدد (٢٥٩) رجب (١٤٠٠هـ). يونيو (١٩٨٠م) (٣٦ ـ ٣٧).

ثم ينصب الكاتب خلافاً بين المفسرين في شأن نسخ هذه الآيات بآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] فيقول: (ومن المفسرين من يخالف هذا الرأي، ويرى أن هذه الآية منسوخة بقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] من هؤلاء الطبري وابن كثير وسيد قطب الذي يشير في «الظلال» إلى أن «العبرة بحقيقة العقيدة، لا بعصبية جنسٍ أو قوم، وذلك طبعاً قبل البعثة المحمدية، أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير». غير أن محمد عبده ورشيد رضا والشيخ دراز مثلاً، يرون أن الإسلام المقصود في الآية، والذي لا يقبل الله سبحانه سواه هو «الإيمان بالله، وإسلام القلوب له، والإيمان بالآخرة، والعمل الصالح، مع الإخلاص» بتعبير الإمام محمد عبده)[1].

وعند الرجوع إلى تفاسير الطبري وابن كثير وسيد قطب ـ رحمهم الله ـ لا نجد ذكراً للنسخ عند كلامهم على الآية المذكورة[2]. وذلك لأن القضية من الوضوح بمكان. والأخبار لا يدخلها النسخ أصلاً، فمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً، وقد أتى بمقتضيات الإيمان، ومنها الإيمان بالرسول الذي بعثه الله في ذلك الزمان واتباعه، فهو موعود بالفوز والنجاة. ورسالة محمدٍ ﷺ للناس كافة، فآية آل عمران لا تعارض آيتي البقرة والمائدة، بل تبينهما وحسب. ولكن فهمي هويدي يمنع النسخ لغرضٍ آخر توهمه وأوهمه، وهو شرعية تعدد الأديان وصوابها، واعتبارها طرقاً موصلة إلى الله، ويستشفع لذلك بكل قولٍ مجمل، وزلة عالم أو مبتدع، ويرصف هذه التقوّلات ليقول هو

(١) المرجع السابق (٣٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٣/ ٣٣٩)، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٠)، وظلال القرآن (٣/ ٤٢٣).

بعد ذلك: (وقيمة هذه الإشارات أنها تعكس مدى الحذر الذي ينبغي أن يتحلى به الدعاة، وهم يستخدمون كلمات الشرك والكفر والإيمان. كما أنها تعكس مدى سماحة التصور الإسلامي الحق في التعامل مع الآخرين. وقبل هذا وذلك فإن هذه الإشارة تعبر بوضوح عن مدى رحابة أبواب السماء، واتساعها لكل بادرة خير، وتلّمس الأعذار للآخرين، ليس فقط من أصحاب الأديان الأخرى، بل أيضاً من الذين يبقون على شركهم لأن رسالة الإسلام لم تبلغهم على الإطلاق، أو بلغتهم على غير وجهها الصحيح، أو حتى بلغتهم على وجهها الصحيح «ولم يكونوا من أهل النظر»)[١].

ونحن ندعو الكاتب إلى الحذر من القول على الله بغير علم بهذا اللون من الأسلوب الخطابي العاطفي، وضرورة تحرير المقالات وفق الضوابط الشرعية، فإن الذي أطلق وصف الكفر، وحكم بالخلود بالنار على مشركي أهل الكتاب، منكري نبوة محمد ﷺ نصوص الوحيين، وليس الدعاة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢] وقال ﷺ: «والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[٢].

كما أن على الكاتب أن يفرق بين إطلاق الحكم الدنيوي من ألفاظ الدين والإيمان على فئةٍ أو طائفة أو ملة، وبين الحكم على معينٍ بجنة أو نار، وتحرير مسألة «العذر بالجهل» وفق الأدلة والضوابط الشرعية، مما لا يتسع المجال لبسطها[٣]. أما تمييع حدود الدين،

---

(١) مجلة العربي: العدد (٢٥٩) رجب (١٤٠٠) يونيو (١٩٨٠م) (٣٩).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٣٤).

(٣) انظر: في هذه المسألة الكتب التالية:

=

فخلاف العدل الإلهي الذي يدندن حوله الكاتب. قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [القلم].

٦ ـ محمد الطالبي[(١)]:

يكشف دعاة التقريب عن سر تلهفهم على إدراج أهل الكتاب اليوم في قائمة المؤمنين، والحكم لهم بالنجاة في الآخرة، خلافاً للنصوص المحكمة، والإجماع المستقر المنضبط، من أن المقصود هو التأهيل والإعداد لمشروع الحوار التقريب كما تقدم في أول هذا المبحث، فيقول محمد الطالبي: (ولكن موقفاً كهذا[(٢)]، لكي يكون مبنياً

= * ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة. عبد الله بن محمد القرني.
* حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة. إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ.
* نواقض الإيمان القولية والعملية. د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف.
* نواقض الإيمان الاعتقادية. د. محمد بن عبد الله الوهيبي.
* منهج ابن تيمية في مسألة التكفير. د. عبد المجيد بن سالم المشبعي.

(١) محمد الطالبي: ولد في تونس عام ١٩٢١م. عمل أستاذ كرسي اللغة العربية باريس عام ١٩٥٢م، تخصص في الدراسات اللغوية والأدبية، ونال شهادة الدكتوراه في أطروحته عن الإمارة الأغلبية (١٨٤ ـ ٢٩٦هـ ـ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م) من جامعة السربون عام ١٩٦٨م، شغل منصب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تونس (١٩٦٦ ـ ١٩٧٠م)، عضو مجلس الثقافة العالي في تونس، ورئيس المجلس (١٩٨٣م ـ ١٩٩٣م)، وحصل على جائزة الاستحقاق المدني من أسبانية عام ١٩٦٩م. كتب مؤلفات عديدة ومقالات حول تاريخ أسبانيا المسلمة والعلوم الإسلامية، وحول الحوار الإسلامي المسيحي عام ١٩٧٣م. انظر: من أنا في قولكم أنتم. المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة. تنظيم كريسلام (١٠١)، انظر وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٤٣).

(٢) يريد موقف «الحوار» بدلاً من الجدل أو الجهاد.

على أسس متينة، يجعل لزاماً علينا أن نقبل شرعية تعدد الطرق المؤدية إلى الخلاص...

إذ كيف يتسنى الحوار في جوٍ من التفتح والثقة المتبادلة، إذا شدّ كل من الطرفين صاحبه مسبقاً ومنذ البداية إلى عمودٍ من أعمدة جهنم، دون أن يسمح له بأمل الخروج منها، وما ذلك إلا لأجل معتقداته الخاصة)[١] ثم ذكر قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني بشأن المسلمين، ودعوتهم إلى الحوار، ونسيان الماضي[٢].

وصدق الله: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧][٣]. إن الكاتب مبهورٌ بقررات المجامع الكنسية، متشربٌ تعبيراتها واصطلاحاتها الخاصة، حتى إنه يستعمل ذات الكلمات، كقوله: تعدد الطرق المؤدية إلى الخلاص Salvation، وهو تعبير كنسي عتيق. ويظن أن العقائد الإيمانية في الإسلام شأنها شأن العقائد النصرانية الخاضعة لقوانين العرض والطلب، واختلاف المكان والزمان، وأهواء القسس والبابوات، وأكثرية الأصوات... إلخ مما صاحب مجامعهم من قديم الزمان. ولهذا يستكثر الكاتب أن يتخذ المرء موقفاً مخالفاً (لأجل معتقداته الخاصة). ألا تستأهل العقيدة ذلك؟!

إن العقيدة الإسلامية ليست من صنع البشر ونتاج أفكارهم، بل هي من لدن حكيمٍ خبير. وليس المسلم هو الذي يزج بالناس في النار، أو يشدهم إلى أعمدة جهنم، بل الحكم بين العباد خالص حق الله ومقتضى عدله.

---

(١) الإسلام والحوار. أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. مقالة ضمن: «وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين» (٥٦).

(٢) انظر: مبحث الكنيسة الكاثوليكية من هذا الفصل.

(٣) قال ابن كثير ﷺ: (أي مطيعون لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٦٠).

وكيف يتغنى الكاتب بالحوار وجو التفتح، وهو يضع شروطاً مسبقة لها صفة الإلزام؟ وما الذي يمنع عقلاً ـ فضلاً عن شرعاً ـ أن يجادل المسلمون أهل الكتاب، وكل من الطرفين يختزن معتقداته الخاصة، كما جادل رسول الله ﷺ نصارى نجران؟

ولكن الكاتب يذلل الصعاب، فبعد أن يستشهد بأقوال أمثاله من دعاة التقريب، يخلص إلى القول: (فليس إذن من المستحيل على الإسلام، ولا على الدين المسيحي، ولا على بقية الأديان الكبيرة الأخرى بلا شك أن تستخلص بالاعتماد على النصوص المقدسة، وحتى بالاعتماد على بعض السنن الدينية القديمة، علم لاهوت يوفر المجال لإمكانية تعدد سبل الخلاص)[1].

أو بعبارة أخرى: القضية محسوسة، فعلى كل دين أن يبحث له عن صيغة مناسبة بالاعتماد على أي شيء؛ نصوص مقدسة، أو سنن دينية قديمة. بقي أن يقول: حتى بالاعتماد على علم الجيولوجيا والهندسة لشق طرق الخلاص.

ويقدم توجيهاً عجيباً للتخلص من لوازم آية ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] فيقول:

(إنها تتضح كذلك بالآيات التابعة لها. فالإسلام يصرِّح في غير لبس بأن سبيله إلى الخلاص هي السبيل التي ينبغي لكل الناس اتباعها. وهو لذلك يدعو إليه كل الناس. فمن آمن إيماناً راسخاً بصحة الرسالة «وابتغى غير الإسلام ديناً» فتقمص الأديان كلها في آن واحدٍ، أو بالتداول وذلك لأسبابٍ مختلفة ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾. وكيف يمكن أن لا نكذّب صدق إيمانهم إذا ما ﴿كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

---

(١) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٧ ـ ٥٨).

ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران]، أولئك الذين لا يخلصون لمبادئهم، والذين عرفوا بتنكرهم المتكرر لأديانٍ اعتنقوها، فكشفوا بذلك عن سطحية معتقداتهم وضعف إيمانهم، وانعدام الصدق فيهم انعداماً كاملاً، هؤلاء ليس لهم تعلق حقيقي لا بمعتقداتهم القديمة، والكتب المنزلة سابقاً، ولا بالإسلام، وبإيجاز ليس لهم أي عقيدة وليس لهم من شغل شاغل سوى مصلحتهم القريبة. أما الذين لم يكتشفوا طريق الإسلام، مع صدقهم وحسن نواياهم، فاتبعوا سبلاً أخرى للخلاص، هؤلاء يجزون رغم ذلك حسب اجتهاداتهم ـ انظر (سورة البقرة: ٦٢)[١] ـ فليس هناك إذن من تناقض بين الآية (٦٢) من سورة البقرة، والآية (٨٥) من سورة آل عمران إذا وضعناهما في سياقهما، وفي إطار الدعوة الإسلامية العام. وحصيلة القول: أنه لا يضل سبيله إلا من لم يسع إلى الله كما ينبغي)[٢].

ونحن نعلم قطعاً أنه ليس بين آيات القرآن تناقض. وإنما اصطنع التناقض المزعوم مَنْ حملوا آياته على غير وجهها، ثم شرعوا يتحذلقون في توجيهها وفق ما يشتهون. والأمر واضحٌ جداً، فآية البقرة تتعلق بالإيمان بالمعنى العام الذي يتناول جميع أفراده على اختلاف الشرائع المتعاقبة، وآية آل عمران تتعلق بالإسلام الخاص الذي هو الصورة الأخيرة والخاتمة التي لا يقبل الله ديناً وإيماناً سواها[٣].

والكاتب في هذا التوجيه العجيب لآية آل عمران يحاصر الدعوة

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة].

(٢) المرجع السابق. (٧٢) «حاشية».

(٣) راجع مبحث: أهل الكتاب في التمهيد في بيان معاني هذه الآيات. (٢٥ ـ ٢٨).

الإسلامية، فيلتفع بمرط من الصدق والنزاهة، ويلمز أولئك الذين لا يخلصون لمبادئهم القديمة وكتبهم السابقة! ويربت على أكتاف الذين لم يكتشفوا طريق الإسلام واتبعوا سبلاً أخرى إلى الخلاص ـ كما يقول ـ ويبشرهم بالجزاء الموعود في آية البقرة.

فكيف يعتنق الناس الإسلام؟ أم أن ذلك لا يعنيه بسبب تعدد طرق «الخلاص»!؟

وهذا مَعْلَمٌ بارز عند دعاة التقريب، وهو الزهد في الدعوة إلى دين الإسلام، في سبيل صنم «الحوار» كما يتضح من المثال التالي:

٧ ـ سعد غراب[(١)]:

قال: (ولئن كان كل حوار مخلص ينزع في الأساس إلى إقناع الغير وجلبه إلى الصف، فإن ذلك لا يجب أن يمثل الهدف الأساسي لحوار معاصر. إن هدف الحوار في عصرنا هذا، يجب أن يكون معرفياً صرفاً، يعترف بإمكانية تعدد سبل الخلاص إذا ما توفرت النية الصادقة، والسعي الحقيقي إلى معرفة الخالق). ثم استشهد كأسلافه بآية البقرة.

ونختم هذه الدعاوي المتهافتة بتعدد طرق الخلاص، بهذا الرد المحكم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (وقول القائل: المعبود واحد، وإن كانت الطرق مختلفة، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية أو اليهودية المبدلين المنسوخين موصلة إلى الله، وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله، أو

---

(١) سعد غراب: ولد في «غمراسان» من أعمال تونس عام ١٩٤٠م. نال إجازة في الأدب من جامعة تونس عام ١٩٦٥م، وأطروحة دولة عام ١٩٨٤م في باريس. عمل عميداً بكلية الآداب في جامعة تونس. عضو ناشط في حقل الأبحاث والحوار الإسلامي المسيحي. انظر: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٥).

التدين بذلك، أو غير ذلك مما هو كفر بالله ورسوله وبالقرآن وبالإسلام، بلا خلافٍ بين الأمة. وأصل ذلك المشابهة والمشاركة)[١].

ثانياً: التهوين من شأن الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ:

لما تذرع العصرانيون بدعوى الإسلام العام، ليحشدوا تحت شعاره كل مشرك وكافر، كان من لازم ذلك ومقتضاه محاولة التهوين من شأن الإسلام الخاص الذي جاء به محمد ﷺ، وعدم اشتراط الإيمان برسالته لاستحقاق وصف «الإيمان» في الدنيا، و«النجاة» في الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (إن الإسلام الخاص الذي بعث به محمداً ﷺ، المتضمن لشريعة القرآن: ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ. والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا)[٢].

وقال: (ومن حين بعث الله محمداً ﷺ، ما يقبل من أحدٍ بلغته الدعوة إلا الدين الذي بعثه به؛ فإن دعوته عامة لجميع الخلائق، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ﷺ: «لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»)[٣].

وقال: (فكل من لم يعبد الله بعد مبعث محمد ﷺ بما شرعه الله من واجب ومستحب فليس بمسلم)[٤]. وقال أيضاً: (والإيمان بالرسل، هو «الأصل الثاني» من أصلي الإسلام، فمن لم يؤمن بأن محمداً رسول الله إلى جميع العالمين، وأنه يجب على جميع الخلق متابعته،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٩٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) والحديث رواه مسلم، تقدم.

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ١٩٠).

وأن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله، فهو كافر: مثل هؤلاء المنافقين ونحوهم ممن يجوز الخروج عن دينه وشرعته وطاعته؛ إما عموماً وإما خصوصاً. ويجوز إعانة الكفار والفجار على إفساد دينه وشرعه)[١].

هذا منطق أهل الإسلام في قديم الدهر وحديثه، عليه ينشأ الصبيان، ويهرم الشيوخ، ولا يخالج مسلماً شك في هذه العقيدة الراسخة. فلنستمع الآن إلى «لحن القول» من دعاة التقريب بين الأديان:

١ ـ محمد عبده:

قال: (إن الكتابية ليس بينها وبين المؤمن كبير مباينة. فإنها تؤمن بالله وتعبده، وتؤمن بالأنبياء، وبالحياة الأخرى، وما فيها من الجزاء، وتدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر. والفرق الجوهري العظيم بينهما هو الإيمان بنبوة محمد ﷺ، ومزاياها في التوحيد والتعبد والتهذيب. والذي يؤمن بالنبوة العامة لا يمنعه من الإيمان بنبوة خاتم النبيين إلا الجهل بما جاء به، وكونه قد جاء بمثل ما جاء به النبيون، وزيادة اقتضتها حال الزمان في ترقيه واستعداده، لأكثر مما هو فيه، أو المعاندة والجحود في الظاهر، مع الاعتقاد في الباطن، وهذا قليل، والكثيرُ الأول.

فإذا كان الفرق بيننا وبين أهل الكتاب يشبه الفرق بين الموحدين المخلصين العاملين بالكتاب والسنة، وبين المبتدعة الذين انحرفوا عنهما، فكيف يكون أهل الكتاب كالمشركين في حكمه تعالى؟)[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٢).
(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. نقلاً عن: الإسلام والوحدة القومية (٦٥).

هكذا يؤول «الفرق الجوهري العظيم» بين المؤمن الحنيف، والكتابية المثلثة إلى ما يشبه الفرق بين الموحد المخلص العامل بالكتاب والسنة، والمبتدع الذي تجمعه مع الموحد دائرة الدين الواحد!! ويقال لمن جحد نبوة محمد ﷺ ما أنت إلا مبتدع معذور بالجهل، أو الجحود الظاهري مع سلامة اعتقادك الباطني، كما يصور «الأستاذ الإمام».

٢ ـ محمد حسين فضل الله:

قال: (إن كل المفردات المسيحية اليهودية ـ مع التحفظ في بعض التفاصيل ـ هي مفردات إسلامية، مع الفارق في مسألة الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ. إذاً في مثل هذه الدوائر ليس هناك مشكلة كبيرة إلا في تفاصيل الإيمان بالله الواحد، ومسألة الرسالة، وهذا أمرٌ قابلٌ للحوار)(١).

كل هذا وليس ثم مشكلة كبيرة! إذا كان الفارق هو في مسألة الإيمان بالله ونبوة محمد ﷺ فماذا أبقيت؟ وإذا كان هذان الأصلان محلاً للحوار والتنازلات والمساومات مع أهل التثليث ومنكري النبوة، فما الذي لا يقبل الحوار، ولا يطاله النقاش عندك يا ترى؟ لعلها عقيدة الإمامة، أو الرجعة، أو صاحب السرداب، أو نصوص الرقاع!

٣ ـ محمد عمارة:

قال: «إذا ما وقف أهل الكتاب، من أتباع شرائع الرسل الذين سبقوا محمداً ﷺ عند التصديق برسالة رسلهم، وأبوا التصديق برسالة محمد ونبوته ـ مع توحيدهم وعملهم الطاعات ـ فإن ذلك الوقوف، وهذا التوقف لا يخرجهم من إطار الدين الواحد، ولا حظيرة التدين

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٤٤).

بالإسلام فموقفهم هذا هو انحراف. والفرق بين من يؤمن بمحمد، وبكل الرسل، وبين الذين يجحدون نبوة محمدٍ ورسالته ـ مع توحيدهم وطاعتهم ـ كمثل الفرق بين إيمان المؤمن الخالي من «البدع» وبين إيمان من تشوب «البدع» إيمانه)[١].

تلك أصداء دعوة محمد عبده، يرددها تلاميذه من بعده في سابقة ليس لها مثيل في تاريخ العقيدة الإسلامية. فإنكار الشق الثاني من الشهادتين لا يعدو في نظر الكاتب «انحرافاً بدعياً» يشوب الإيمان الأصيل فقط!

وهل سلم لكفرة أهل الكتاب الشق الأول «شهادة أن لا إله إلا الله» حتى يماكس محمد عمارة في إسقاط الشق الثاني عنهم؟ بل إن شق الشهادة الأول لا يتم ولا يتحقق إلا بشقها الثاني. أين من يقول الأب والابن وروح القدس إله واحد من حقيقة التوحيد؟ وأي طاعات شركية بدعية تصح لهم، حتى يلوّح الكاتب بالتوحيد والطاعة كلما رام الغض من «شهادة أن محمداً رسول الله».

ثالثاً: التلاعب بألفاظ الدين والإيمان:

خاض دعاة التقريب من أتباع المدرسة العصرانية في إطلاق أسماء الدين والإيمان بغير نور من الله ولا برهان، وتقحموا في هذه المسالك الوعرة بحسب ما زينته لهم الأهواء، مع خطورة هذه الإطلاقات سلباً وإيجاباً، وإن كانوا ينزعون بطبيعة الحال إلى الإرجاء والتهاون وتمييع الحدود بين الكفر والإيمان وهو أمرٌ لا يقل خطورة عن التكفير، ونزع وصف الإيمان عن مستحقه نسأل الله العصمة، ونعوذ به من الزلل. قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (٦٤).

رحمهما الله ـ: (... يجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلمٍ وبرهانٍ من الله، وليحذر من إخراج رجلٍ من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين، وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفةٍ فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفّروا من حكم الكتاب والسنة والإجماع بأنه مسلم)[١].

وابتدع هؤلاء العصريون أسماءً وألقاباً وتقسيمات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قال بها أحدٌ من أهل الإسلام، كما فعل أشياعهم من قبل أهل الاعتزال حين ابتدعوا لقب «المنزلة بين المنزلتين»[٢] ومن أمثلة ذلك:

١ ـ محمد عمارة:

قال: «(... من يؤمن، كأتباع محمد، بكل ما نزّل الله، قرآناً فما سبقه، وبكل الرسل، منذ بدأت الرسالة فهو «المهتدي». ومن يترك الإيمان بشيءٍ مما سوى التوحيد والطاعة فهو في شقاق. وهو «كافر» أي «جاحد» بهذا الذي لم يؤمن به، ولكنه غير «مشرك» لأنه متدين وموحد، بل ومسلم)[٣].

---

(١) الدرر السنية (٨/ ٢١٧).

(٢) المقصود بها أن صاحب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، بل صار في منزلةٍ بين منزلتين. وأول من أطلقها على مرتكب الكبيرة مؤسس نحلتهم «واصل بن عطاء» حين سأل سائل الحسن البصري رحمه الله عن حال أصحاب الكبائر، فابتدر واصل بن عطاء الجواب وقال: (أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر). الملل والنحل (١/ ٤٨).

(٣) الإسلام والوحدة القومية (٦٣).

تُرى ما ثمرة هذا التفريق بين «الكافر» و«المشرك» في حكم الله في الدنيا والآخرة؟ وهل الشرك إلا ضربٌ من ضروب الكفر؟

لكن الكاتب، بناءً على أصله الفاسد في عدم اشتراط الإيمان بنبوة محمد ﷺ يجعل كفر اليهود كفراً مقيداً بهذا الذي لم يؤمنوا به على حد تعبيره، ولا يجسر على إطلاق ما أطلقه الله من تكفيرهم مراعاة للوحدة القومية، ويخلع عليهم جزافاً ثلاثة ألقاب: «متدين» و«موحد» بل و«مسلم». والله تعالى قد كفّر النصارى في ثلاثة مواضع صريحة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٢٧]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وهي آخر ما نزل من سور القرآن.

٢ ـ محمد حسين فضل الله:

قال: (إن كلمة الكفر لا تنطلق من نفي إيمان المسيحيين بالله، لأن القرآن يؤكد هذا الإيمان عندما يتحدث عن «الكلمة السواء»، وعن توحيد الله في مضمون هذه الكلمة، بل تنطلق من الكفر بالرسول محمد، باعتبار أن المسيحيين لا يؤمنون به كرسول من قبل الله. مع ملاحظة أن الكفر بالرسول يجعل الإنسان كافراً من هذه الناحية، لأن الكفر والإيمان عنوانان نسبيان فهناك كفر وإيمان يتنوع حسب تنوع موارده. فقد يكون الإنسان كافراً بالنسبة إلى شيء، ومؤمناً بالنسبة إلى شيء آخر. فنحن نؤمن بالله ونكفر بالطاغوت...

إن القرآن ينفي عنهم الشرك بالصراحة من حيث يثبت لهم الكفر بالرسالة والرسول وذلك هو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة][1].

إن مما يلفت الانتباه تطابق رأي الكاتبيْن في نفي الشرك عن أهل

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (١٠٠ ـ ١٠١).

الكتاب، والإقرار بإطلاق لفظ «كفر» مقيد أو نسبي عليهم، من جهة إنكارهم نبوة محمدٍ ﷺ رغم اختلاف انتماء الكاتبيْن لمدرسة الاعتزال ومدرسة الرفض، وما ذاك إلا أنهما تلميذان نجيبان لسلفيْهما مؤسسيْ جمعية التقريب بين الأديان، محمد عبده، وميرزا باقر. تشابهت قلوبهم.

ويقول أيضاً: (إن القرآن الكريم يؤكد في الكثير من آياته على ضرورة الوقوف مع أهل الكتاب على «الكلمة السواء» وهي كلمة التوحيد، لأنه يعتبرهم «موحدين». كما وأن القرآن الكريم لا يعتبر اليهود، كما لا يعتبر النصارى مشركين؛ بل يعتبر المشركين فريقاً آخر غير أهل الكتاب، وهذا ما عبّر الله ﷻ عنه في سورة البينة عندما قال: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ①﴾ فكلا الفريقين كافريْن، لأن المشرك يكفر بالتوحيد، بينما يكفر أهل الكتاب بالرسالة. فهم لا يكفرون بالله، ولكنهم يكفرون برسالة رسول الله ﷺ. ومع أن إنكار الرسالة كفر، لكن المسألة التي لا بد من استيعابها أن الإسلام لا يعتبر أهل الكتاب مشركين، وإنما يعتبرهم «موحدين»)[1].

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً! فليس في القرآن العظيم كلمة تصف «أهل الكتاب» المنكرين لنبوة محمدٍ ﷺ بالتوحيد والإيمان، فضلاً أن تؤكده، بل القرآن مليء ببيان كفرهم وشركهم بالله العظيم كما تقدم، وكيف يوصف بالتوحيد من فرق بين جملتي شهادة التوحيد اللتين جعلهما ﷺ ركناً واحداً؟ وأما دعوتهم إلى «الكلمة السواء»: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٥٩ ـ ٦٠).

ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران] فلأنهم كانوا مفارقين لهذه الخصال الثلاث المذكورة في الآية، لا لاتصافهم بها كما أوهم الكاتب، ولو كان كما زعم، لما احتاج الأمر إلى دعوتهم إلى ما هم عليه ولما ختم الآية بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران]. فلا يقوم احتمال التولي مع الموافقة، وإنما مع المخالفة. وهذا أمر بيِّنٌ ولله الحمد. وقد دمغهم الله بهذا الكفر والشرك في غير ما موضع كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

ألا تكفي هذه الآية المحكمة لوصف اليهود والنصارى بالكفر والشرك معاً، وتبرئة «التوحيد» و«الإيمان» منهم؟

ثم أي ثمرة يجنيها الكاتب وأمثاله من الرضا بوصف أهل الكتاب بالكفر دون الشرك[1]، مستدلين في كل مناسبة بصدر سورة البينة؟ هلا

---

(١) وقد ذكر فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ـ حفظه الله ـ في معجم المناهي اللفظية جملة: (المشرك لا تشمل الكتابي) وقال: (هذا غلطٌ قبيح. وقد دعت إليه في عصرنا «منظمة مجمع الأديان السماوية» ـ رد الله كيدهم عليهم ـ والأدلة على شركهم وكفرهم، أكثر من أن تُحصر، منها: (قوله ﷺ: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...» الحديث: دلالة على إطلاق لفظ «المشرك» على أهل الكتاب فإنهم هم المعنيون بهذا الحديث). ثم نقل عن شيخه العلامة المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي فتوى محررة جاء فيها: (ما ذكرتم من أن القرآن فرَّق بين المشركين وبين أهل الكتاب واستشهدتم لذلك بآية المائدة: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة] فهو كما ذكرتم؛ لأن العطف يقتضي بظاهره الفرق بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد تكرر في القرآن عطف بعضهم على بعض كالآية التي تفضلتم=

= بذكرها، وكقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة: ١]. وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، إلى غير ذلك من الآيات. وظاهر العطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين، لأن عطف الشيء على نفسه يحتاج إلى دليل خاص يجب الرجوع إليه، مع بيان المسوغ لذلك كما هو معلوم في محله، وما تفضلتم بذكره من أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أمر بإلحاق أهل الكتاب بالمشركين في عدم دخول المسجد الحرام فمستنده المسوغ له: أن الله جلا وعلا صرَّح في سورة التوبة أن أهل الكتاب من يهود ونصارى من جملة المشركين، وإذا جاء التصريح في القرآن العظيم بأنهم من المشركين، فدخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] لا إشكال فيه، وآية التوبة التي بين الله فيها أنهم من جملة المشركين هي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]. فتأمل قوله تعالى في اليهود والنصارى ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يظهر لك صدق اسم الشرك عليهم فيتضح إدخالهم في عموم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾. ووجه الفرق بينهم بعطف بعضهم على بعض: هو أنهم جميعاً مشركون، والمغايرة التي سوغت عطف بعض المشركين على بعض هي اختلافهم في نوع الشرك، فشرك المشركين غير أهل الكتاب كان شركاً في العبادة لأنهم يعبدون الأوثان، وأهل الكتاب لا يعبدون الأوثان، فلا يشركون هذا النوع من الشرك، ولكنهم يشركون شرك ربوبية كما أشار له تعالى بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ومن اتخذ أرباباً من دون الله فهو مشرك به في ربوبيته، وادعاء أن عزيراً ابن الله والمسيح ابن الله: من الشرك في الربوبية، ولما كان الشرك في الربوبية يستلزم الشرك في العبادة قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة] انتهى. (معجم المناهي اللفظية (٥٠٩ ـ ٥١١).

أتم قراءتها ليجد في أثناءها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة].

ونجده في موضعٍ آخر لا يكاد يثبت على وصفهم بالكفر، فيقول: (هناك انطباع لدى بعض المسلمين أن النصارى كافرون أو مشركون...)[1]، فهل تحولت عقائد القرآن إلى مجرد «انطباعات»؟! ولكن القوم هان عليهم دينهم فهانوا لعدوهم، فطفقوا يعبثون بهذه المعاني الجليلة، ويتلاعبون بها كما يلعب أحدهم بأحجار رقعة الشطرنج. وفي المثال التالي شاهدٌ جلي على هذه الممارسات العبثية في أسماء الدين والإيمان:

٣ ـ عبد اللطيف غزالي:

قال: (أما اليوم فلم يعد هناك شركٌ ولا وثنية ولقد أصبح الدين لله وحده في وعي الدينين، ولا شك أن إله المسلمين وإله المسيحيين وإله الناس جميعاً هو إله واحد...

إن حرية العقيدة السائدة في العالم المتحضر، والتي تنص عليها مواثيق الدول هذه الحرية هي المرادة الآن للتوحيد. أما العداء بين الأديان فهو... الذي يعتبر شركاً. لأن كل فريقٍ من المتعادين يعتقد أنه وحده على الحق، وأن له وحده على الله حق النصر. ومؤدى هذا بالضرورة أن يكون مفهوم كل فريقٍ عن الله مختلفاً مع مفهوم الآخر، أو بعبارة موجزة: أن آلهة عدة يختص كل منهم فريقاً من الناس بعقابه دون الآخر. وهذا هو الشرك الحديث)[2]. وهذا غثاءٌ لا يستحق التعليق.

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٣٤).

(٢) نظرات في الدين (٣٦) عن العصريون معتزلة اليوم (٣٣).

رابعاً: الاعتذار عن كفر «أهل الكتاب» بالتأويلات الباطلة:

لقد حكم الله سبحانه وتعالى بكفر أهل الكتاب كفراً عقدياً بسبب وقوعهم في شرك الربوبية، وشرك العبادة، من بعد ما جاءهم العلم. ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية]، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة].

فقطع الله معاذيرهم، وأقام عليهم الحجة، وكان من آخر البينات التي أظهرها الله لهم بعثة محمدٍ ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف] وهي أوصاف منطبقة غاية الانطباق على نبينا محمد ﷺ، فمن سبقت له من الله الحسنى آمن به وعزره ونصره واتبع النور الذي أنزل معه، ومن ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس].

وكان من جملة ما أكفرهم الله به بالإضافة إلى جحودهم وتكذيبهم نبيه الخاتم ﷺ ـ النصارى خاصة ـ ثلاث مسائل: ادعاء ألوهية المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وقولهم إن الله ثالث ثلاثة، ودعوى بنوة المسيح لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ولم يزل أهل الإسلام يصيحون بهم من كل جانب، وفي كل جيل وقبيل،

يسفهون عقولهم، ويفضحون باطلهم بالمناظرات والتأليف، والمجادلة بالتي هي أحسن دون عدوانٍ أو إكراه، حتى هدى الله منهم خلقاً كثيراً. ولم يخامر أهل الإسلام الشك في أن ما أخبر الله به هو عين ما عليه القوم اعتقاداً وعملاً، حتى انبرى في هذه الأزمنة الأخيرة رجال من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ينافحون عنهم، ويعتذرون لهم، ويركبون الصعب والذلول للدفاع عنهم، يلوون أعناق النصوص التي تستهدفهم، ويتكلفون، بل يتعسفون تأويلها تأويلاً مستكرهاً مذموماً في سبيل صون ما استباحت النصوص من بيضتهم. وهم في ذلك يرددون كالببغاوات، مقالات نفرٍ من النصارى مردوا على الجدال والمغالطة، وتزويق الكلام دون حيدة عما هم عليه قيد أنملة.

١ ـ عبد العزيز كامل:

قال: (ونحن في منطقة الشرق الأوسط نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى. وأقولها واضحة: يستوي في هذا الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختم بإلهٍ واحد. هذه منطقة توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف. حتى في مصر القديمة مع التعدد الظاهري كان للآلهة كبير هو أوزير)[١].

سبحان الله! ألم يكن قانون الإيمان النيقاوي هو الإيمان الرسمي السائد لجمهور النصارى وقت تنزل القرآن، ومع ذلك قيلت لهم واضحة: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٧١].

---

(١) الإسلام والعصر (١٩٤). عن: العصريون معتزلة اليوم (٣١).

٢ ـ د. يوسف الحسن[1]:

قال: (عاش المسلمون والمسيحيون العرب فهماً مشتركاً للمبادئ الإيمانية السماوية، وإسلام النفس لله، فكانوا جميعاً أبناء حضارة واحدة، معتمدين العقل ووحدة العيش، وشراكة المصير، ورابطة الثقافة والفكرة الوطنية سبيلاً للتفاهم والتقارب في شؤون الدين والدنيا على حدٍ سواء)[2].

٣ ـ محمد حسين فضل الله:

ممن تولى كبر الاعتذار لكفريات أهل الكتاب في العصر الحديث داعية التقريب بين الأديان، محمد حسين فضل الله، فنسوق جُملاً من تأويلاته:

(... إن القرآن الكريم قد تحدث عن ربوبية السيد المسيح على أساس نظرية «التجسد» أو «التجلي» أو نحو ذلك، بحيث يختزن الإنسان في وعيه صورة الله في صورة السيد المسيح، واعتبر ذلك كفراً، لأنه يخالف الحقيقة التوحيدية، من وجه المفهوم القرآني الذي ينكر التجسد الإلهي، أو التجلي في بعض خلقه. وبذلك فإن هذه

---

(١) يوسف الحسن: ماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأميركية في واشنطن، دكتوراه في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة. يعمل في السلك الدبلوماسي في دولة الإمارات العربية المتحدة منذ عام ١٩٧٢م. له مؤلفات منها: البعد الديني في السياسة الأميركية، تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني، دراسات في الإدارة والحكم المحلي. انظر: التعريف به في كتابه(البعد الديني في السياسة الأميركية) إصدار: مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي ـ الفرص والتحديات: د. يوسف الحسن. المجمع الثقافي ـ أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الأولى ١٩٩٧م. (٢٠).

العقيدة تخالف بساطة المفهوم العقيدي للتوحيد، مما يجعله كفراً فلسفياً في التفاصيل بلحاظ الصفات. تماماً كما هو الرأي الكلامي أو الفقهي الذي يرى المجسمة في الدائرة الإسلامية كافرين بالمعنى العميق. وهذا هو ما تحرك فيه الجدل الكلامي بين القائلين بخلق القرآن، والقائلين بقدمه، وأنه غير مخلوق، إذ استند القائلون بالحدوث إلى أن القدم يستلزم تعدد القدماء من خلال طبيعة الاثنينية مما يتنافى مع الحدوث. وفي ضوء ذلك فإن الكفر لا يتصل بالمبدأ. تماماً كما هي نسبة الصفة للكافرين بالله المنكرين وجوده، ولكنه كفر فلسفي أو نسبي بالمعنى الذي يفقد الإيمان بالمعنى التوحيدي في حقيقته بحسب المفهوم القرآني. وهذا هو ما توحي به كلمة الشرك في ضوء التعددية في تثليث الأقانيم على أساس لوازمها الخفية بالمعنى الفلسفي، لا بالمعنى المباشر في الطبيعة الإيمانية)[١].

(... نحن نلاحظ مثلاً في الوجدان المسيحي الشعبي، في قضية السيد المسيح أنها تختلف عن الجانب الفلسفي الذي يتحدث عن علاقة الأب بالابن فيما هي المسألة الفكرية التي تجعل الابن سر الكلمة الإلهية تماماً، كما هو الكلام في صفات الله لدى الذين يقولون بقدم القرآن، من دون أن يكون ذلك أساساً في التعددية التي تنفصل عن الوحدة)[٢].

(... المسألة التي لا بد من استيعابها: أن الإسلام لا يعتبر أهل الكتاب مشركين، وإنما يعتبرهم موحدين. وإن كانوا يفهمون التوحيد بطريقة أو بأخرى... إذ يوحدون الله، ولكنهم يعتبرون أن عيسى عليه السلام

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، قراءة في الراهن والمستقبل. من العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (١٤٣ - ١٤٤) أو: آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (١٠٠ - ١٠١).

(٢) أحد المرجعين السابقين (٣٠٥) أو (٩١) حسب الترتيب السابق.

تجسيدٌ لله. بمعنى أن عيسى ليس شيئاً منفصلاً عن الله، بل الله أراد أن يتجسد في عيسى ليتحمل آلام البشرية)[١].

(... إن الحوار لا بد أن يرتكز على مواجهة العقيدة المعاصرة للإسلام والمسيحية، وباعتبار أن الكثير من مفاهيم العقيدة لكلٍ منهما ربما تجاوزها الواقع الفكري لهذا أو ذاك، مما يجعل الدخول في مناقشتها حركة في الفراغ. كما نلاحظه في بعض الأفكار التي يثيرها القرآن في عصر النزول في مثل: «الابنية المتجسدة» أو «التثليث المادي المتعدد» أو نحو ذلك مما يقول بعض المسيحيين عنه أنه لا يمثل العقيدة المعاصرة لهم، بل يمثل لوناً من ألوان التفكير البائد لبعض فرقهم التي يرفضون خطها العقيدي، كما يرفضه المسلمون، فلا يجوز لهم أن يلزموهم به كما لو كان يمثل الحقيقة الإيمانية للمسيحية في بعدها الفكري العقدي)[٢].

إن الكاتب ينطلق في الاعتذار عن كفر النصارى من منطلقات، يقوم هو بنفيها في مواضع أخرى في تناقضٍ صريح:

أولاً: يصور الكاتب أن الأساس القرآني لتكفير النصارى هو نظرية التجسد أو التجلي الإلهي في شخص المسيح، الذي لا يمثل الحقيقة الإيمانية النصرانية، وبالتالي فلا يجوز إلزامهم بما لا يلتزمونه، بل ويرفضونه.

وفي جملة أخرى يقول: (ولكنهم - أي المسيحيين - يعتبرون أن عيسى تجسيد لله، بمعنى أن عيسى ليس شيئاً منفصلاً عن الله، بل الله أراد أن يتجسد في عيسى لتحمل آلام البشرية). ما الفرق بين ما أثبته وما نفاه يا ترى؟!

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٦٠).

(٢) في آفاق الحوار الإسلامي - مقدمة. وقد تقدم الاستشهاد بهذا النص في أول هذا المبحث لبيان تطبيق منهج النقد التاريخي الذي ينادي به دعاة التقريب.

ثانياً: ينادي الكاتب بأن يرتكز الحوار على مواجهة العقيدة المعاصرة للنصرانية دون ما تجاوزه الواقع الفكري لها، ويمثل لذلك بـ (الأفكار التي يثيرها القرآن عن التفكير النصراني في عصر النزول في مثل: «الابنية المتجسدة» أو «التثليث المادي المتعدد». ثم يعترف في موضعٍ آخر أن الوجدان الشعبي للنصارى في قضية ألوهية المسيح يختلفُ عن الجانب الفلسفي.

فأيهما يعتمد في المواجهة باعتباره عقيدة معاصرة؛ الوجدان الشعبي أو الفكر الفلسفي؟

ثالثاً: حاول الكاتب تلطيف شرك النصارى القائلين بألوهية المسيح، وأن الله ثالث ثلاثة، بتنظيره بمذهب أهل السنة القائلين بإثبات الصفات، وخصوصاً كون القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن ذلك لا يقتضي التعددية المنافية للتوحيد فيجعل (المسألة الفكرية التي تجعل الابن سر الكلمة الإلهية تماماً كما هو الكلام في صفات الله لدى الذين يقولون بقدم القرآن، ومن دون أن يكون ذلك أساساً في التعددية التي تنفصل عن الوحدة) ليعود في موضعٍ آخر متدرعاً بمذهب المعتزلة، نفاة الصفات لتأكيد ما نفاه أو حاول تخفيفه، فيقول: (وهذا هو ما تحرك فيه الجدل الكلامي بين القائلين بخلق القرآن، والقائلين بقدمه، وأنه غير مخلوق، إذ استند القائلون بالحدوث إلى أن القدم يستلزم تعدد القدماء، من خلال طبيعة الاثنينية، مما يتنافى مع الحدوث).

ثم يعتضد برأي مفسر رافضي معتزلي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] فيقول: (وهذا هو ما جاء في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي(١)،

---

(١) محمد حسين الطباطبائي الحسني، التبريزي. هاجر إلى النجف، وتوفي في تبريز عام ١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م. له: الميزان في تفسير القرآن. انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٢٤٦).

حيث قال في تفسير الآية ما لفظه: «ثالث ثلاثة» أي: أحد الثلاثة: الأب والابن والروح القدس، أي هو ينطبق على كل واحدٍ من الثلاثة وهذا لازم قولهم: إن الأب إله، والابن إله، والروح إله، وهو ثلاثة، وهو واحد، يضاهئون بذلك نظير قولنا: إن زيداً بن عمرو إنسان. وهناك أمرٌ واحدٌ وهو المنعوت بهذه النعوت. وقد غفلوا عن أن هذه الكثرة إن كانت حقيقية غير اعتبارية، أوجبت الكثرة في المنعوت حقيقة، وأن المنعوت إن كان واحداً حقيقة أوجب ذلك أن تكون الكثرة اعتبارية غير حقيقية. فالجمع بين هذه الكثرة العددية والوحدة العددية، في زيدٍ المنعوت بحسب الحقيقة، مما يستنكف العقل عن تعقله)[1].

وقد تناقض محمد حسين فضل الله أولاً، وأخطأ ثانياً؛ تناقض حين نفى أن تكون البنوة والتثليث (أساساً في التعددية التي تنفصل عن الوحدة)، ثم ينتصر في موضع آخر للقائلين بـ (أن القدم يستلزم تعدد القدماء، من خلال الطبيعة الاثنينية، مما يتنافى مع الحدوث)، وأن ذلك (مما يستنكف العقل عن تعقله) كما قرر علَّامته الطباطبائي.

وأخطأ كما أخطأ سلفه المعتزلي في إطلاق القول أن إثبات القدم يستلزم تعدد القدماء. وهذه المقالة أصل من أصول أهل الاعتزال، التي يلبسون بها على الناس. وفيها إجمال يحتاج إلى تفصيل:

■ فإن كان الموصوف بالقدم قائماً بنفسه، مستقلاً بذاته عما أضيف إليه فهذا ممتنع، لأنه ليس ثم متصف بذلك إلا الله ﷻ، لأنه «الأول» الذي ليس قبله شيء.

■ وإن كان الموصوف بالقدم لا يقوم بنفسه، ولا يتصور انفكاكه عمن أضيف إليه فهو صفته، والصفة تابعة للموصوف، فليس في إثبات

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة في الراهن والمستقبل. من: العلاقات الإسلامية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٤٣).

قدمها إثباتٌ لقديمٍ آخر كما توهم المعتزلة، بل إثباتُ قديمٍ وصفتِهِ[(١)] أو صفاتِه.

وعليه فالقرآن كلامه ﷻ، وكلامه صفة من صفاته، فلا اثنينية هنا، بل صفة قائمة بموصوف. فإذا قيل محمد متكلم، فإن ذلك يتضمن إثبات أمرين: ذات محمد، وكلامه، ولا يقول عاقل أنه دل على إثبات ذاتين منفصلتين. ولكن الأمر يختلف تماماً في دعوى ألوهية المسيح. فالمسيح عليه السلام ذات مستقلة، قائم بنفسه، ليس عرضاً ولا صفة، فمهما فلسف القوم ألوهيته فلا مفر لهم من القول بالحلول أو التعدد. وكذلك الحال في عقيدة التثليث، أو ما يسمونه بالأقانيم الثلاثة، لا يمكن تنظيرها بحال على إثبات الصفات الإلهية كالسمع والبصر والعلم وغيرها، فليس ثم إلا التعدد الشركي، الذي أكفرهم الله به، ويحاول هؤلاء العصرانيون تبرئتهم منه.

وبناءً على هذا الأصل الفاسد فقد شهر محمد حسين فضل الله، ومن قبله الطباطبائي، ومن قبله سائر أهل الاعتزال، سيفاً مفلولاً على النصارى لا ينكأ ولا يقتل ـ فلا نسلم للطباطبائي أن معنى «ثالث ثلاثة» (أي هو ينطبق على كل واحدٍ من الثلاثة) فإن الله تعالى قال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [التوبة: ٤٠] وليس معناه أنه ﷺ ينطبق على

---

(١) جرى التعبير بلفظ «القديم» و«القدم» تنزلاً مع هؤلاء المتكلمين في اصطلاحاتهم، وإلا فليس «القديم» من أسماء الله الحسنى، ولا القدم من صفاته إذ لا يعطي لفظ «القديم» دلالة اسم الله «الأول» الذي ليس قبله شيء، فكل قديم فله ابتداء. ولكن مقام المناظرة والمجادلة أوسع من مقام التقرير. وربما ورد «القديم» بمعنى الأزلي، كما في حديث دعاء دخول المسجد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم). رواه أبو داود (١/٣١٨)، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير (٤/٢١٧).

كل واحدٍ من الاثنين، بل هو أحدهما. فقول النصارى: «إن الله ثالث ثلاثة» يريدون به الأب، والاثنان الباقيان شريكان له، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ولا نسلم له أن قولهم: (الأب والابن وروح القدس إله واحد) نظير قول القائل (إن زيداً بن عمرو إنسان) لا مبنىً ولا معنى. فالمعنيُّ في الجملة الأخيرة بالاسم والبدل والصفة ذات واحدة، عبّر عنها تارة بالاسم العلم، وأخرى بالكنية، وثالثة بالوصف، وكل من هذه الاستعمالات الثلاثة منطبق على ذات زيد.

أما الأقانيم الثلاثة فكل واحدٍ منها ذات مستقلة، بائنة عن الأخرى يوجب اجتماعها كثرة حقيقة تمنع الوحدة. وليت أهل الاعتزال اكتفوا بطريقة القرآن الموافقة للعقل والفطرة، وأراحوا العباد من تكلفهم، فضلاً عن أن يناظروا به الخصوم.

ثانياً: التطبيقات العملية في معاملة أهل الكتاب عند الإسلاميين العصرانيين:

ظهرت الانحرافات العقدية السابقة في مرحلة الانحطاط التي منيت بها الأمة الإسلامية في أواخر القرن الهجري الثالث عشر، وخضوع الممالك الإسلامية المختلفة للغزاة النصارى المصاحب لانفراط عقد الخلافة الإسلامية العثمانية.

فلا عجب أن نجد رواد المدرسة العصرانية في شبه القارة الهندية، والبلاد العربية، ذوي ولاءات صريحة أو مشبوهة مع المستعمر النصراني، يروجون ما يروق له من أفكار، ويحظون من قِبله بالدعم والتمكين، كما يتضح ذلك من السيرة الذاتية لكلٍ من السيد أحمد خان[١]، وجمال الدين

(١) السيد أحمد خان: ولد في دهلي (الهند) أثناء الاستعمار الإنجليزي لشبه القارة الهندية، ودعا مسلميها إلى تعلم العلوم الحديثة باللغة الإنجليزية، وأسس في بلدة «عليكرة» عام ١٨٧٥م نواة جامعة إسلامية تنشر الثقافة الغربية=

الأفغاني، ومحمد عبده[1].

وقد انعكست آثار هذه الشذوذات العقدية على الواقع الميداني، والتطبيق العملي في معاملة أهل الكتاب للوصول إلى صيغة فكرية واجتماعية مغايرةٍ تماماً لما درج عليه المسلمون منذ عهد النبوة، تتماشى في نظرهم مع متطلبات المرحلة.

والفقه الإسلامي، والسياسة الشرعية يتسعان لمواجهة الأوضاع المختلفة لحال الأمة الإسلامية ضعفاً وقوة، دون المساس بالأصول العقدية، ومحاولة تكييفها أو تحريفها لتسويغ وضع ما، فالعجز مانع من موانع التكليف على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، وعذر شرعي لتخلف القيام ببعض الواجبات والشعائر الظاهرة. وتاريخ الأمة الإسلامية في العهد المكي ثم المدني، وما تلاه من العهود المتقلبة، حافل بألوان الاجتهادات والممارسات العملية التي اقتضتها طبيعة المرحلة. وفرقٌ بين تأجيل واجب معين لحين توفر الأسباب اللازمة له مع اعتقاد وجوبه، وتعطيل ذلك الواجب وهجره بتأويلاتٍ باطلة، وتحريفٍ للكلم عن مواضعه. وهذا مكمن الخطر في فكر المدرسة العصرانية فهي لا تقدم اجتهادات «مرحلية» لمعالجة أزمة طارئة، أو وضعٍ مؤقت مع إحلال الحلال وتحريم الحرام، بل تسعى لاجتثاث بعض الثوابت العقدية والتشريعية المعلومة من الدين بالضرورة وفق

= بين المسلمين. وقد عورض من علماء المسلمين في الهند، ووصمت حركته، بلقب «النيتشرية» نسبة إلى كلمة Nature أي الطبيعة، وكان موالياً للإنجليز، وتعرض للاغتيال ولكنه نجا. من مؤلفاته: «تفسير القرآن العظيم»، «عن طريق العلم والعقل وآثار الصناديد»، «في تاريخ دهلي وأسباب سقوط الحكم الإسلامي». انظر: المنجد في الأعلام (٢٥).

(١) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب (٣٤٣ ـ ٣٦٥)، والفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم. (٣٣ ـ ٤٥).

أسس مصلحية عقلانية، وإحلال تصورات وتطبيقات جديدة باسم «الاجتهاد»، و«التنوير»، و«الإصلاح»، و«التجديد»، وما شابه ذلك من اصطلاحات مزوقة. كما سنرى في الصفحات التالية:

أولاً: موادة أهل الكتاب وموالاتهم:

١ ـ محمد عبده:

تبلغ الجرأة بمحمد عبده في كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» الذي سرد فيه أصول الإسلام ـ كما يراها ـ أن يرسم العنوان التالي:

(الأصل السابع للإسلام: مودة المخالفين في العقيدة)[1] هكذا!

سبحانك هذا بهتان عظيم! كيف وقد قال الله تعالى:

- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

- ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

---

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده. مطبعة المنار. القاهرة ـ مصر. (٧٣).

والآيات والأحاديث الصحيحة في هذا المعنى كثيرة وفيرة(١). أما هذا الأصل الفاسد الذي أصّله محمد عبده، ونسبه إلى الإسلام، والإسلام منه براء، فلم يجد ما يستدل له سوى مسألة «حل نكاح الكتابية». فقد نفخ في صورتها وأطال أذيالها بعباراتٍ عاطفية، وحمّل الأمر ما لا يحتمل من جنس قوله: (أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج، وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر؟ وما أجلى ما يظهر ذلك بين الأولاد وأخوالهم، وذوي القربى لوالدتهم، أيغيب عنك ما يستحكم من ربط الإلفة بين المسلم وغير المسلم...)(٢).

وهو حشوٌ لا يغني من الحق شيئاً. وغاية ما في الأمر من شبهة يتذرع بها، هو ما يحصل بين الزوجين من محبة وانجذاب. والجواب عن ذلك أن تلكم المحبة محبة غريزية طبعية، كمحبة الإنسان للطعام والشراب، وليس الوصف المؤثر فيها هو «المخالفة في العقيدة»، كما صور محمد عبده بقوله: «مودة المخالفين في العقيدة»، فضلاً عن أن توجب تلك المودة الآثار العملية من الموالاة والمناصرة كما زعم. فهو يخلط بين المحبة الطبيعية الجِبِلِّيَّة، كمحبة الزوجة والوالد والولد، والمحبة الإيمانية التي هي من أوثق عرى الإيمان، ولا يميز بينهما. ويخلط أيضاً بين العدل والإحسان اللذين هما من صميم الأخلاق

---

(١) انظر في هذا: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومن الكتب الحديثة: الولاء والبراء في الإسلام لـ محمد سعيد القحطاني.
وانظر: مبحث (حكم بغض الكافرين) من كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه: د. علي بن نفيع العلياني. دار طيبة. الرياض ـ السعودية. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). (٣٥٠ ـ ٣٦١).

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والدين (٧٤).

الإسلامية في معاملة البشر، كل البشر ـ سوى الحربيين ـ والموالاة والمناصرة الخاصتين بالمؤمنين ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة] ويجعلهما من بابٍ واحد. ونتيجة لهذا اللبس والتخليط لم تتضح له آي الكتاب، كطريقة أهل البدع الذين يُعمِلون جزءاً من النصوص، ويهملون جزءاً آخر، ولا يهتدون سبيلاً، ويرون من أعمل ما أهملوه ضالاً منحرفاً. ولهذا يقول محمد عبده معلقاً على آيات الولاء:

(إن بعض الجهلة المتشدقين ربما تعرض لهم الشبهة في فهم هذه الآيات... على أنه لا شبهة فيها لهؤلاء الجهلة تسوغ لهم تفسيق إخوانهم أو تكفيرهم بعد ما جاء في الآية المحكمة من قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]، وبعد ما جاء في القصص الذي قصه الله علينا لتكون لنا فيهم أسوة، إذ قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان] وبعد ما أباح الله لنا في آخر ما أنزل على نبيه ﷺ نكاح الكتابيات، ولا يكون نكاح قوم حتى تكون فيهم قرابة المصاهرة، ولا تكون تلك القرابة حتى تكون المودة. وحقيقة ما جاء في الآيات الدالة على النهي عن موالاة غير المؤمنين، أو موادة الفاسقين والمحادين لله تعالى أنه نهى عن الموالاة في الدين ونصرة غير المؤمن على المؤمن فيما هو من دينه، وإمداد الفاسق بالمعونة على فسقه، وعن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين، يكون من صفتها أن تبذل وسعها في خذلانهم وإيصال الضرر إليهم. أما إذا

أمن الضرر وغلب الظن بالمنفعة، ولم يكن في المودة معونة على تعدي حدود الله ومخالفة شرعه، فلا خطر في الاستعانة بمن لم يكن من المسلمين، أو لم يكن من الموفقين الصالحين ممن يسمونهم: أهل الأهواء، فإن طالب الخير يباح له، بل ينبغي له أن يتوسل إليه بأي وسيلة توصل إليه ما لم يخالطها ضررٌ للدين والدنيا)[١]. وقد تقدم من كلام الإمام القرافي المالكي في الجمع بين آيات النهي عن موالاة اليهود والنصارى وآيتي المجادلة ما أغنى عن إعادته هنا[٢].

إن محمد عبده يقصر صور موالاة أهل الكتاب على صورة واحدة، هي نصرة غير المؤمن على المؤمن فيما هو من دينه، ويقيد البطانة المنهي عن اتخاذها من دون المؤمنين فيما كان من شأنها الخذلان وإيصال الضرر، وما لا فلا. وما كان سوى ذلك فهم «إخوان» للمسلمين، لا يجوز تفسيقهم أو تكفيرهم. ومن فعل ذلك فهو من الجهلة المتشدقين!

هذا فهم أصحاب المدرسة الإصلاحية التجديدية، فلننظر في فهم سلف الأمة:

يقول إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران]، يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم، لا تتخذوا بطانةً من دونكم، يقول: لاتتخذوا أولياء وأصدقاء

---

(١) الأعمال الكاملة (٧٠٨ ـ ٧١٤) عن: الإسلام والوحدة القومية (١٢٧ ـ ١٢٩).

(٢) راجع مبحث: «حكم الإسلام في أهل الكتاب» من التمهيد.

لأنفسكم من دونكم، يقول من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين... فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به، أخلاء وأصفياء، ثم عرَّفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة، وبغيهم إياهم الغوائل، فحذرهم بذلك منهم عن مخالَّتهم...)[١]، ثم بيّن مَن المراد تحديداً بهؤلاء، فقال: (إن الذين نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لأنفسهم بطانةً دونهم، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به، فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون، ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله ﷺ وأصحابه من أهل الكتاب، لأنهم لو كانوا المنافقين لكان الأمر فيهم على ما قد بيّنا[٢]، ولو كان الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب، لم يكن المؤمنون متخذيهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم، وافتراق أمصارهم، ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب، أيام رسول الله ﷺ ممن كان له من رسول الله ﷺ عهد وعقد من يهود بني إسرائيل)[٣].

هذا فهم السلف وذاك فهم الخلف، وما بين محمد بن جرير الطبري، ومحمد عبده يتضح الفرق بين المنهجين:

---

(١) جامع البيان (٤/ ٦٠).

(٢) قال ﷺ قبل ذلك في رد من عنى بهذه الآية أهل النفاق: (وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة لا معنى له... فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته إلا بعد تعريفهم إياهم، إما بأعيانهم وأسمائهم، وإما بصفاتٍ قد عرفوهم بها، وإذ كان ذلك كذلك، وكان إبداء المنافقين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم، مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم لهم، والتودد إليهم...)، ثم ساق الكلام أعلاه. جامع البيان (٤/ ٦٣).

(٣) جامع البيان (٤/ ٦٣ ـ ٦٤).

■ فهم السلف: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دون أهل دينكم وملتكم، ولا توادُّوهم.

■ وفهم الخلف: لا تتخذوا مَن ناصَرَ غير المؤمنين على المؤمنين أولياء. فقط، وما سوى ذلك فإخوانكم لا يجوز تكفيرهم ولا تفسيقهم، بل إن مودتهم من أصول الإسلام.

■ فهم السلف: الأصل في غير المؤمنين أنهم منطوون على الغش والخيانة، وبغي الغوائل للمؤمنين، فلذا حذرهم الله من اتخاذهم بطانة.

■ وفهم الخلف: الأصل سلامتهم من ذلك، وجواز اتخاذهم بطانة، إلا أن يثبت في حقهم بذل الوسع في خذلان المؤمنين، وإيصال الضرر إليهم.

■ فهم السلف: المعنيون بذلك التحذير، والمتصفون بتلك الأوصاف الثابتة هم أهل الكتاب الذين لهم ذمة وعهد، أي يعيشون مع المؤمنين، أما من سواهم من الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب، فلم يكن المؤمنون ليتخذونهم بطانةً، بداهة.

■ وفهم الخلف: المعنيون بذلك هم من صدر منهم فعلاً خذلان المؤمنين وإيصال الضرر إليهم، وأما قبل ذلك فأصفياء وأخلاء، لا يتوجه إليهم الحذر والريبة.

هذا منهج القوم من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فالأمر أوسع بكثير، والقدر الذي يسلمون به من دلالة آيات النهي عن الموالاة واتخاذ البطانة يتلاشى ويضمحل. فهذا محمد عبده يركن إلى المستعمر الإنكليزي في مصر، ويعيش في كنف اللورد كرومر[1]، المندوب

---

(١) كرومر، أفلين بارينغ، ولد عام ١٨٤١م، لورد إنكليزي، شغل منصب المندوب السامي في مصر من عام ١٨٨٣م إلى ١٩٠٧م، وتوفي عام ١٩١٧م. انظر: المنجد في اللغة والأعلام (٥٨٨).

السامي لبريطانيا في مصر، ويواليه ضد الخديوي عباس الثاني[1] الذي كان يحاول التحرر من سلطة المحتل. وتبلغ المصافاة بين محمد عبده واللورد كرومر، أن كانت تلتقط له الصور الشمسية مع الليدي كرومر وبعض نساء الإفرنج[2]، وحتى يقول اللورد كرومر للخديوي عباس: (إنه ما دام لبريطانية العظمى نفوذٌ في مصر، فإن الشيخ محمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت)[3].

كما قامت السفارة الإنكليزية في الآستانة بحمايته من السلطان أثناء زيارته لها، لما سعى البعض في حبسه وإيذائه، كما صرح رشيد رضا في تاريخ أستاذه[4].

ويتساءل الأستاذ غازي التوبة متعجباً من تقديم محمد عبده لائحة إلى اللورد كرومر، فيقول: (كيف يتوجه محمد عبده بهذه اللائحة إلى الثعلب الإنجليزي اللورد كرومر؟! كيف يرجو منه نصرة الدين؟! كيف يأمل منه إصلاح أمر المسلمين؟! كيف يرشده إلى مداخل هذا الشعب؟! كيف يتمنى على المسلمين أن يكونوا آلة صالحة في يده؟! كيف يقترح الثناء على الوضع الحالي، ومقارنته بالوضع الماضي في البرامج الدراسية؟!

نحن لن نحاسب محمد عبده... بحقيقة عصرنا التي أبانت حقد الإنجليز الصميم على الإسلام، وتخريبهم الدقيق لعقلية المسلمين،

---

(١) الخديوي عباس حلمي بن توفيق بن إسماعيل، حفيد محمد علي، ولد في القاهرة عام ١٢٩١هـ، وتولى الخديوية عام ١٣٠٩هـ، كان فيه دهاءٌ وذكاء ينقصه الحزم والكتمان. توفي في سويسرا عام ١٣٦٣هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٨٥٨).

(٣) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٥٠١، ٥٦٤).

(٤) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٥٩٦، ٨٦٠).

وتمزيقهم الحاد لبلادهم. لن نحاسبه بحقيقة عصرنا التي كشفت خطط الإنجليز البعيدة في إنفاذ السم إلى كل أبعاد المجتمع الإسلامي، وخطواتهم المنظمة التي ساروا عليها لتحقيق هدفهم ذاك. لن نحاسبه بهذه الحقائق، لكننا سنحاسبه بحقيقة الإسلام التي تحذر من الاطمئنان إلى أهل الكتاب، وعدم التسليم لهم بنصوصٍ قاطعة...)[1] ثم ساق آيات النهي عن موالاة اليهود والنصارى.

ونقول للأستاذ غازي التوبة إن تعجب فعجبٌ قول محمد عبده: (الأصل الثاني للإسلام: تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض)[2] فما تراه ـ رحمك الله ـ من نصوصٍ قاطعة، يراها العصريون بمنظار العقل والهوى، فلا عجب أن ينتج هذا التأصيل تحريف النصوص إلى الحد الذي يصبح (الأصل السابع للإسلام: مودة المخالفين في العقيدة)[3].

وعلى هذا المنوال نسج خريجو هذه المدرسة:

٢ ـ محمد عمارة:

□ فقد أسس محمد عمارة كتابه «الإسلام والوحدة القومية» على شفا هذا الجرف الهاري، متأثراً بالأحداث الطائفية التى عصفت بمصر في أواخر السبعينيات، فحمل جميع النصوص الواردة في تحريم موالاة اليهود والنصارى على محملٍ واحد، وهو أن يكونوا أعداء محاربين، ولعمر الله إن العدو المحارب فعلاً، لا يحتاج عاقلٌ أن يقال له: لا تتخذه ولياً.

فيقول عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة] (... المنهي عنه هو نصرة الأعداء في حالة

(١) الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم غازي التوبة (٢٦ ـ ٢٧).
(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٥٦).
(٣) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٧٣).

الحرب. ولا علاقة لهذا المعنى المراد بما قام ويقوم بين أبناء الأمة الواحدة، والقومية الواحدة، من أواصر وروابط، وهم جميعٌ على من عداهم وعاداهم... فنحن إذاً أمام آية كريمةٍ تنهى عن الخيانة الوطنية، والخيانة الوطنية في حالة الحرب... وليس فيها ما يتصل من قريبٍ أو من بعيد، بالدعوة إلى حجب النصرة والموالاة عن المخالفين لنا في الشريعة، وخاصة إذا كانوا إخوة لنا في القومية والوطن)[1].

إن هؤلاء يُحِلُّون الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية جهاراً ونهاراً، وينقضون أوثق عرى الإيمان؛ الحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

٣ ـ عبده سلاّم[2]:

■ ويقول د. عبده سلاّم، رئيس جمعية الإخاء الديني[3] في القاهرة في محاضرة ألقاها في روما أمام جمع من النصارى عام ١٩٨١م في معرض بيان ما يريده كرجل مسلم من الإخوة المسيحيين ـ

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (١٣١).

(٢) عبده سلاّم: ولد في المنصورة عام ١٩١٦م. (مصر). حاز شهادة الدكتوراه في الطب من القاهرة، ثم من ليفربول (إنكلترا)، انتخب نائباً عام ١٩٥٠م، ثم عين وزيراً للصحة (١٩٦٨م ـ ١٩٧٢م)، أسهم في تأسيس جمعية «الإخاء الديني» التي تضم مسيحيين ومسلمين، مصريين ورأسها عدة سنوات. انظر: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٤٧).

(٣) جماعة الإخاء الديني: حركة حوارية أسسها في القاهرة المستشرق الشهير «لويس ماسينيون» والأب «جورج قنواتي» عام ١٩٤١م، تدعو إلى التقريب بين الأديان. انظر التعريف بها في الباب الثاني.

على حد تعبيره ـ ومن الآباء المسيحيين ومن الكنيسة: (. . . أن يتوقفوا عن اعتبار الإسلام والمسلمين قوة مضادة أو منافسة. بل يجب أن ينظروا إلى الإسلام والمسلمين بصفتهم قوة حليفة تحارب مع المسيحية من أجل الإيمان بالله، وضد نفس الأعداء، أي ضد الإلحاد، وضد المادية، وضد كل «الدنيويات» التي يعبدها الناس في هذه الحياة)[١].

وتلك رتبة أحط مما طالب بها سلفه. ومن عجيب فقهه واستنباطه قوله معلقاً على حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

(لم يقل لأخيه في الإسلام فقط... ولكن قال لأخيه... أي لأخيه عموماً... أي لأخيه في الإنسانية... أياً كان جنسه أو دينه)[٢].

٤ ـ يوسف القرضاوي:

ومما يؤسف له أن ينجر الدكتور يوسف القرضاوي خلف هذه الشعارات، فيقول تحت عنوان: «نصوصٌ فهمت على غير وجهها» بعد أن ساق جملةً من الآيات القرآنية التي تنهى عن موالاة اليهود والنصارى وموادتهم:

(فهم بعض الناس من هذه الآيات وأمثالها أنها تدعو إلى الجفوة والقطيعة والكراهية لغير المسلمين، وإن كانوا من أهل دار الإسلام، والموالين للمسلمين المخلصين لجماعتهم. والحق أن الذي يتأمل الآيات المذكورة تأملاً فاحصاً، ويدرس تواريخ نزولها، وأسبابه، وملابساته، يتبين ما يأتي:

---

(١) الإسلام دين السلام. من: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٥٩).

(٢) المرجع السابق (١٥٦).

أولاً: أن النبي إنما نهى عن اتخاذ المخالفين أولياء بوصفهم جماعة متميزة بدياناتها وعقائدها وأفكارها وشعائرها، أي بوصفهم يهوداً أو نصارى أو مجوساً، أو نحو ذلك، لا بوصفهم جيراناً أو زملاء أو مواطنين. والمفروض أن يكون ولاء المسلم للأمة المسلمة وحدها. ومن هنا جاء التحذير في عددٍ من الآيات من اتخاذهم أولياء «من دون المؤمنين»، أي يتودد إليهم ويتقرب على حساب جماعته... ولو كان سلماً للمسلمين وذمةً لهم. إنما هي موادة من آذى المسلمين وحاد الله ورسوله. ومما يدل لذلك:

أ ـ قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ومحادة الله ورسوله ليس مجرد الكفر بهما، بل محاربته دعوتهما، والوقوف في وجهها، وإيذاء أهلها.

ب ـ قوله تعالى في مستهل سورة الممتحنة: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] فالآية تعلل تحريم الموالاة أو الإلقاء بالمودة إلى المشركين بأمرين مجتمعين: كفرهم بالإسلام، وإخراجهم للرسول والمؤمنين من ديارهم بغير حق.

ج ـ قوله تعالى في نفس السورة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]، فقسم المخالفين إلى فريقين: فريق كان سلماً للمسلمين لم يقاتلهم في الدين ولم يخرجهم من ديارهم، فهؤلاء لهم حق البر والإقساط إليهم، وفريق اتخذ موقف العداوة والمحادة للمسلمين بالقتال أو الإخراج من الديار أو المظاهرة والمعاونة على ذلك، فهؤلاء يحرم

موالاتهم مثل مشركي مكة الذين ذاق المسلمون على أيديهم الويلات. ومفهوم هذا النص أن الفريق الآخر لا تحرم موالاته)[١].

إن الدكتور يوسف القرضاوي لا يعتبر علة النهي عن موادة أهل الكتاب وتحريم موالاتهم هي الكفر بالله العظيم، وإنما محاربة المسلمين وإيذائهم فقط. فما داموا مسالمين ساكنين فهم أهل للمودة والولاء. وبعبارة أخرى يفرق بين «أهل الذمة» المقيمين في «دار الإسلام»، وسائر أهل الكتاب المحاربين.

ولا ريب أن بينهما فرقاً في المعاملة الظاهرة، فالأولون لهم ذمة المسلمين وعهدهم بحمايتهم، وعدم إكراههم في الدين، وعدم أذيتهم، وحفظهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم ما وفوا للمسلمين، وعليهم الخضوع لإمام المسلمين، وبذل الجزية، وعدم مواطأة أعداء الإسلام عليهم ظاهراً أو باطناً[٢]. وأما الحربيون فأمرهم ظاهر.

لكن الأمر الذي نستدركه على الدكتور يوسف القرضاوي، أنه فرق بين الصنفين في مسألة الموادة والموالاة، فكلاهما كافرٌ بالله تعالى، والكفر يستلزم العداوة والبغضاء كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى في شأن الموالاة: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]. والدكتور يوسف القرضاوي لا ينازع ـ وحاشاه ـ في كفر اليهود والنصارى[٣]، فمن أين جاء بهذا التفريق بين المتماثِلَين، من كتاب الله

---

(١) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (٦٥ ـ ٦٨).

(٢) راجع مبحث «حكم الإسلام في أهل الكتاب» من التمهيد.

(٣) قال د. يوسف القرضاوي في محاضرة بعنوان: «الحوار الإسلامي المسيحي»=

أو سنة رسوله ﷺ في مسألة الموادة والموالاة؟! وهل كون أحدهم أو بعضهم جيراناً أو زملاء أو مواطنين يرفع عنهم وصف «اليهودية» أو «النصرانية»، وهل كونهم (جماعة متميزة بديانتها وعقائدها وأفكارها وشعائرها) يضيف شيئاً في قضية الكفر يميزهم عن أمثالهم من أهل الذمة؟

وما استدل به القرضاوي من الآيات لا يسعفه فيما ذهب إليه؛

فقوله في آية المجادلة: (ومحادة الله ورسوله ليس مجرد الكفر بهما، بل محاربته دعوتهما، والوقوف في وجهها، وإيذاء أهلها). زلة لا تليق به، فأي محادة لله ورسوله أعظم من الكفر بهما؟! حتى أن ابن عمر رضي الله عنهما كان (لا يرى التزويج بالنصرانية، ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول: إن ربها عيسى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١][(١)].

والمقصود أن الكفر بذاته هو موجب نفرة المؤمنين من غير المؤمنين. وهل محاربة الدعوة والوقوف في وجهها وإيذاء أهلها إلا أثر من آثار الكفر؟

ولم يجعل الله ولا رسوله ﷺ الحرب والإيذاء شرطاً في عدم الموالاة وحصول البغضاء، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وأما قول الدكتور القرضاوي في آية

= في نوفمبر ١٩٩٥م: (ويسأل بعض الناس: هل النصارى كفار؟ وهل اليهود كفار؟ ونحن نقولها صريحة: إنه من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر) مجلة المسلم المعاصر (٨٦/ ١٤)، ونضيف ما أكفرهم الله به في كتابه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢).

الممتحنة الأولى: (فالآية تعلل تحريم الموالاة أو الإلقاء بالمودة إلى المشركين بأمرين مجتمعين: كفرهم بالإسلام، وإخراجهم للرسول والمؤمنين من ديارهم بغير حق) فهل تَخَلُّف إحدى العلتين موجبٌ لانتفاء الحكم؟ قال أهل الأصول إذا تعددت العلل الشرعية لم يلزم من ضرورة انتفاء البعض انتفاء الحكم، بل عند انتفاء جميعها[1]. أيَرى الدكتور القرضاوي أنهم لو كفروا بالإسلام، ولم يخرجوا الرسول ﷺ والمؤمنين من مكة أنه تجوز موادتهم وموالاتهم، لعدم اجتماع العلتين؟! وأين هذه العلة في قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة]. ولو كان مجرد الإقامة في دار الإسلام، وموالاة المسلمين، والإخلاص لجماعتهم، من قبل أهل الكتاب كافياً لمبادلتهم الولاء بولاء والمودة بمودة ـ كما صور الكاتب ـ لما كان لفرض الجزية عليهم معنى. وقبل أن يصبح أهل الكتاب أهل ذمة قيل في حقهم: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة]. وكلها تعليلات متصلة بقضية العقيدة لا بمحاربة الدعوة وإيذاء أهلها.

---

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر «لابن قدامة»، من كتاب ابن قدامة وآثاره الأصولية، إعداد د. عبد العزيز السعيد (٢/ ٣٣٤).

وأما استدلاله بمفهوم المخالفة في آية الممتحنة الأخرى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]، حيث يقول: (ومفهوم هذا النص أن الفريق الآخر لا تحرم موالاته). فبصرف النظر عن اختلاف الأصوليين في الاحتجاج بمفهوم المخالفة[1]، فإن هذا المفهوم المتوهم مردود بمنطوق الآية المتعلق بالفريق الآخر، الذي قال الله فيه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة]، فعين الله سبحانه المأذون فيه لهؤلاء وهو برهم والإقساط إليهم، ولم يقل (أن تولوهم) كما أوهم القرضاوي ـ عفا الله عنه ـ ومن أحسن من الله حديثاً. ولا يلزم من البر والإقساط مودة وموالاة، فالبر والقسط متعلقان بالأخلاق، والمودة والموالاة متعلقان بالاعتقاد.

قال ابن الجوزي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾: (قال المفسرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم، وإن كانت الموالاة منقطعة بينهم)[2].

ومن المواقف الإيمانية المبكرة التي تجلي هذه المعادلة الدقيقة بين بغض الكفار ـ ولو كانوا أهل عهدٍ وذمة، ومعاملتهم بالعدل والإنصاف ـ ما نقل ابن كثيرٍ رحمه الله عن الحافظ البيهقي[3] في قصة طويلة

(١) انظر: علم أصول الفقه. عبد الوهاب خلاف (١٥٦ ـ ١٥٧).
(٢) زاد المسير (٨/ ٢٣٧).
(٣) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي الشافعي. ولد سنة ٣٨٤هـ. من أئمة الحديث قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي فإن له المنة والفضل على الشافعي، لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه، وبسط موجزه، وتأييد آرائه ا.هـ من مصنفاته: «السنن الكبرى»، و«الصغرى»، و«الأسماء والصفات»، و«دلائل النبوة»، و«مناقب الإمام=

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في فتح خيبر، وفيها: (وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عامٍ فيخرجها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على ألا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض)[١].

ونقلها الحافظ الذهبي[٢] رحمه الله من حديث الزهري[٣] عن سليمان بن يسار[٤] أن النبي ﷺ كان يبعث ابن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود. فجمعوا حلياً من نسائهم، فقالوا: هذا لك، وخفف عنا. قال:

= الشافعي»، وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: الأعلام (١/ ١١٦)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٤)، طبقات الشافعية (٣/ ٣)، اللباب (١/ ١٦٥)، دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٤٢٩)، معجم البلدان (٢/ ٣٤٦).

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٩٩).

(٢) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، حافظ مؤرخ، علّامة محقق، ولد سنة ٦٧٣هـ بدمشق، ورحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها: «تاريخ الإسلام الكبير»، و«سير أعلام النبلاء» و«ميزان الاعتدال» و«تذكرة الحفاظ» واختصر كثيراً من الكتب، توفي سنة ٧٤٨هـ. الأعلام (٥/ ٣٢٦)، فوات الوفيات (٢/ ١٨٣)، طبقات السبكي (٥/ ٢١٦)، الشذرات (٦/ ١٥٣)، غاية النهاية (٢/ ٧١)، الدرر الكامنة (٣/ ٣٣٦).

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر، إمام حافظ حجة ثقة ثبت، ولد سنة ٥٨هـ، وتوفي سنة ١٢٤هـ. الأعلام (٧/ ٩٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٢)، وفيات الأعيان (١/ ٤٥١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٣٦).

(٤) سليمان بن يسار: سليمان بن يسار الهلالي، المدني، مولىٰ ميمون، وقيل أم سلمة، ثقة فاضل، أحد الفقهاء السبعة. مات بعد المائة، وقيل قبلها. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٣٣١).

يا معشر يهود، والله إنكم أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي أن أحيف عليكم، والرشوة سحت. فقالوا بهذا قامت السماء والأرض)[١].

ثانياً: التنصل من أحكام أهل الذمة والاعتذار عنها:

فإذا ما انتقلنا إلى الفقه العصراني التشريعي في معاملة أهل الكتاب، وعلى وجه الخصوص القاطنين اليوم بين ظهراني المسلمين، نجد محاولاتٍ تحريفية للأصول الشرعية المستقرة طوال القرون، بغرض إلغائها نظرياً - وإن كانت قد ألغيت عملياً منذ عقودٍ بعيدة بسبب الضعف الذي لحق بالمسلمين - وإحلال صيغ مبتدعة محلها. يتضح ذلك عند حديثهم عن الجزية:

١ - محمد حسين فضل الله:

قال: (ربما تحفّظ بعض المفسرين في هذه الآية[٢] على أساس شمولها أهل الكتاب جميعاً. لأن الصفات المذكورة في الآية لا تنطبق عليهم جميعاً، وهي عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله، وعدم التزامهم بالدين الحق. فقد لاحظ البعض أن الكثيرين من أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويحرمون الحرام الوارد في شرائعهم مما جاء تحريمه من الله ورسوله «إذا كان المراد من الرسول رسولهم الذي يلتزمون رسالته، لا النبي محمد ﷺ» فقد يكون المراد بها طائفة معينة منهم، من الذين أتوا الكتاب فانتسبوا إليها اسماً، ولكنهم لم يلتزموا به إيماناً وشريعة ومنهجاً للحياة. وبالتالي فهو لا يشمل من خلال وجهة النظر هذه الذين يلتزمون الإيمان والشريعة

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/٢٣٧).

(٢) قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

الواردة عليهم. وهكذا يمنح الإسلام المنتسبين لأهل الكتاب هذا الامتياز حتى لو لم يلتزموا به عملياً)[١].

وهكذا يمنح محمد حسين فضل الله كفرة أهل الكتاب عفواً عاماً، ويسقط عنهم الجزية ـ وإن نظرياً ـ باعتبارهم كما لاحظ الكثيرون بزعمه، يؤمنون بالله واليوم الآخر، رغم عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح وبنوته، ويحرمون الحرام الوارد في شرائعهم، وليس في شريعة محمد ﷺ، لأن الرسول ـ كما شبَّه ولبَّس ـ ليس جزماً هو خاتم النبيين محمد ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف]، فلم يبق سوى طائفة مجهولة تنتسب إلى أهل الكتاب اسماً، ولا تلتزم الشروط السابقة المتوافرة في عامة أهل الكتاب فإلى هذه الطائفة الخفية النكرة يتوجه السياق، ومع ذلك، ورغم تفريطهم يمنحهم الكاتب امتيازاً خاصاً ـ كما أسماه في تفسير «الجزية» قائلاً: (المقصود بها الضريبة التي يؤدونها في مقابل حماية الدولة أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ودينهم، من دون أن يتكلفوا حرباً، أو يدفعوا لها زكاة، الأمر الذي يجعل لهم امتيازاً ضرائبياً، وحقاً خاصاً على بقية المواطنين من المسلمين)[٢].

وإذا شققنا طريقنا خلال هذه الغابة من المُعميات والأسماء المبهمة؛ (بعض المفسرين)، (لاحظ البعض)، وتجاوزنا ذلك فإنا نسائل الكاتب:

أليس يعلم، ويعلم الناس، أن الفاتحين المسلمين من الصحابة

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٤٩).

(٢) المرجع السابق (٤٨). قال ابن القيم ﷺ: (وسر المسألة أن الجزية من باب العقوبات، لا أنها كرامةٌ لأهل الكتاب، فلا يستحقها سواهم) أحكام أهل الذمة (١/١٧).

والتابعين ومن بعدهم، حتى الفتوحات العثمانية في أوروبا، كانوا يعرضون على أهل الكتاب إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو السيف، كما أمر بذلك نبي الإسلام ﷺ؟ وهل يزعم محمد حسين فضل الله أن المسلمين كانوا يميزون بين فريقين من أهل الكتاب، أحدهما مؤمن مصر على يهوديته أو نصرانيته فيعرضوا عنه، وآخر منتسب بالاسم فقط فيضعوا عليه الجزية؟ أم يزعم أن المسلمين الفاتحين كانوا يجاهدون أهل الكتاب ليلتزموا شرع رسولهم السابق، دون الدخول في الإسلام، وقبول ما جاء به محمد ﷺ؟

٢ ـ محمد عمارة:

ومرة أخرى نلحظ اتفاق المشرب بين دعاة التقريب العصرانيين، رغم اختلاف الانتماء الطائفي العام، فنجد محمد عمارة يردد عبارات محمد حسين فضل الله، أو هو العكس، فيقول معلقاً على آية الجزية:

(عندما نتأمل هذه الآية نجدها تتحدث عن قوم جمعوا مجموعة من الصفات... فهم لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخير والشر، والحلال والحرام، ولا يتدينون بالدين الحق، أي بدين التوحيد، وفي ذات الوقت هم من «أهل الكتاب». فهم طائفة من أهل الكتاب، وليسوا هم صنف أهل الكتاب وجنسهم. وهم قد اجتمعت فيهم كل هذه الصفات التي عطفت بحرف العطف «الواو»، ولا نعتقد أن جنس أهل الكتاب الذين جمعوا إلى التوحيد في الألوهية، الطاعة والإسلام لله، تنطبق عليهم جميع هذه الصفات التي ذكرها القرآن لمن تجب عليهم الجزية)[1] سبحان الله! تشابهت قلوبهم، وإن كان هذا الأخير أحذق في صنعة التحريف، حيث اشترط اجتماع الأوصاف.

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (١٠٤ ـ ١٠٥).

هذا لونٌ من التلاعب بالنصوص المحكمة، وثم لونٌ آخر في هذه القضية:

يقول محمد عمارة: (لم تكن الجزية إذاً ضريبة «دينية»، علة وجوبها هي «المخالفة في الدين»، بل كانت بدلاً من الجندية عندما اقتضت ضرورات الأمن قصر الجندية على المسلمين، فلما زالت هذه الضرورة، وكلما تخلفت سقطت هذه الضريبة، وقامت المساواة الحقة والحقيقية بين المواطنين على اختلاف الشرائع والمذاهب و«الأديان».
واليوم... وبعد التطور الذي بلغته الأمة، والذي ساوى بين أبنائها جميعاً في شرف الجندية وتأدية ضريبة الدم، والذود عن الوطن، هل هناك مبررٌ لبقايا فكرٍ أو حديث ـ مجرد فكر أو حديث ـ عن هذه الجزية تظل معشعشة في عقولٍ متخلفة، ظانة أو زاعمة أن سقوط هذه الضريبة هو تعطيل لحكم من أحكام الله؟!...

فهي إذاً سياسة وحرب وجندية واقتصاد، وليست ديناً ولا شريعة دينية. فما بال البعض يتوهمونها حكماً إلهياً ثابتاً لا تبديل فيه؟!... وما بال البعض يتعلق بثباتها سبيلاً للشقاق الديني وتمزيق وحدة الأمة تحت ستار زائف من الدين؟!)[1].

ونحن بدورنا نتساءل: ما بال بعض العلمانيين يرتدون «عباءة» علماء الأزهر، ويقَدمون بصفة «الكاتب الإسلامي»، وهم يفصلون بين السياسة والحرب والجندية والاقتصاد من جهة، والدين والشريعة من جهة أخرى؟ لم لا يُسقطون الأقنعة المصطنعة، ويعلنونها علمانية صريحة، تنحي شعار الدين ورسومه، وتشهر أعلام الوطنية وأصنامها.

ألا يحترم الكاتب عقول قرائه وهو ينفي عن «الجزية» الصفة الدينية، والكل يقرأ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة]. فمتى تُكتَسَب الصفة الدينية يا ترى إن لم تكتسب من القرآن؟!

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (٩٥ ـ ٩٦).

وكيف يلمز الكاتب «الإسلامي» الشريعة الإسلامية الربانية بالظلم، وبعبارته هو «عدم المساواة الحقة والحقيقية» بسبب هذه الجزية؟!

وهلا أتانا ـ هو وغيره[(١)] ممن يعتذرون للإسلام من وصمة الجزية ـ بآية محكمة، أو سنة صحيحة، أو قول صاحب، أن الجزية «بدل الجندية»؟

وأين هذه الدعوى العريضة من نص الآية وروحها: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ١٩].

إن القرآن العظيم أعز وأمنع من أن تناله تحريفات الغالين، وتأويلات الجاهلين، والإسلام أكرم وأجل من أن يعتذر له عن شيء من شرائعه المحكمة إن بحسن نية أو سوء طوية. ومن نماذج ذلك أيضاً:

٣ ـ سعود المولى[(٢)]:

قال: (إن ما يسمى أحكام الذمة، والمستأمنين، والمعاهدين، كما وردت في النصوص الفقهية، فهي أحكامٌ تدبيرية اقتضاها الواقع التنظيمي الإسلامي والدولي حين كانت الدولة الإسلامية دولة جامعة.

---

(١) ممن يعلل الجزية بأنها «بدل جندية» د. يوسف القرضاوي، ولم يذكر دليلاً واحداً أو أثراً يؤيد ما ذهب إليه. انظر: غير المسلمين في المجتمع المسلم (٣٢ ـ ٣٤).

(٢) سعود نعمة المولى: ولد في بيروت سنة ١٩٥٣م، حصل على درجة الدكتوراه في علم «الاجتماع السياسي للبلدان العربية» من جامعة السربون ـ فرنسا ـ عام ١٩٨٤م، يعمل أستاذاً في معهد العلوم الاجتماعية ـ الجامعة اللبنانية منذ ١٩٨٦م، رئيس تحرير مجلة الغدير الصادرة عن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، بالإضافة إلى المشاركة في تحرير العديد من المجلات. شارك في العديد من مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي محلياً ودولياً. عضو في لجان حوار لبنانية وعربية. انظر ذيل كتابه: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة.

وكان هناك تطابقٌ بين مشروع الدولة وواقع الأمة... ومصطلح «أهل الذمة» أنتجه مناخ فقهي كان سائداً في تلك المرحلة، وهو كان نتيجة لعرفٍ سائدٍ في العالم، فليس في القرآن ولا في السنة مصطلح أهل الذمة، بما هم جماعة سياسية تنظيمية منفصلة عن موجبات الالتزام التنظيمي في المجتمع)[1].

٤ ـ فهمي هويدي:

قال متحدثاً عن «أهل الذمة» تحت عنوانٍ من عناوينه الفَجَّة: (هم أصحاب حق. ولسنا أصحاب فضل!) ما يلي: (كل هذه الآراء، سواء منها ما يتعلق بتصنيف الخلق، أو قسمة الأرض والديار، لا تستند إلى نصوصٍ شرعية من كتابٍ أو سنة، وإنما هي اجتهاداتٌ طرحها الفقهاء والباحثون في ضوء قراءاتهم للواقع الذي عايشوه)[2].

هذه مرحلة ما بعد إسقاط الجزية، مرحلة إسقاط جملة أحكام «أهل الذمة»، ونزع الصفة الشرعية الدينية عنها. فقد دأب كثيرٌ من المستشرقين وتلاميذهم على تحميل الفقهاء «وزر» أحكام أهل الذمة باعتبارها نتاج «مناخ فقهي» أو «اجتهادات فقهاء» ونحو ذلك[3].

ولفظ «الذمة» ليس موجوداً في القرآن، ولكن أحكام الذمة موجودة قطعاً. وأما السنة، فيقول ابن الأثير[4] رحمه الله: (قد تكرر في

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي ـ ضرورة المغامرة (١٩٨).

(٢) مجلة العربي الكويتية عدد (١٦٩) جمادي الأولى ١٤٠١هـ أبريل ١٩٨١م (٤١).

(٣) انظر: الجزية والإسلام ـ دانييل دينيت. ترجمة د. فوزي فهيم جاد الله، أهل الذمة في الإسلام د.ا.س.ترتون. ترجمة د. حسن حبشي، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ـ جان موريس فييه. ترجمة حسني زيني، (انظر: عرضاً له في مجلة الاجتهاد (٢٨/٢١٣ ـ ٢٣٠) مراجعة: عائدة مازح.

(٤) ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد بن محمد الجزري، أبو السعادات، =

الحديث ذكر «الذمة» و«الذِّمام» وهما بمعنى العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق. وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم)[١]. ومن شواهد ذلك:

■ ما رواه البخاري عن أبي هريرة في قصة اليهودي الذي فضل موسى عليه السلام على محمدٍ ﷺ، فلطمه أنصاري فاشتكى إلى رسول الله ﷺ قائلاً: «يا أبا القاسم: إن لي ذمةً وعهداً»[٢].

■ وما رواه مسلم والترمذي[٣] وابن ماجه[٤] وأحمد والدارمي[٥]

= مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي، ولد سنة ٥٤٤هـ، من كتبه: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، و«جامع الأصول في أحاديث الرسول»، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ، وابن الأثير الكاتب، مات سنة ٦٠٦هـ. الأعلام (٥/ ٢٧٢)، وفيات الأعيان (١/ ٤٤١)، الكامل (١٢/ ١١٣)، إرشاد الأريب (٦/ ٢٣٨)، طبقات الشافعية (٥/ ١٥٣)، دار الكتب (١/ ١٢٤).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٦٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٣٣).

(٣) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى، إمام حافظ متقن، ولد سنة ٢٠٩هـ، له «الجامع الكبير» وهو سنن الترمذي و«الشمائل النبوية» و«العلل»، توفي سنة ٢٧٩هـ. انظر: الأعلام (٦/ ٣٢٢)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٨٧)، نكت الهميان (٢٦٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ١١٧)، اللباب (١/ ١٧٤).

(٤) ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه، حافظ متقن، ولد سنة ٢٠٩هـ، له: «السنن» و«التفسير» و«تاريخ قزوين» توفي سنة ٢٧٣هـ. الأعلام (٧/ ١٤٤)، وفيات الأعيان (١/ ٤٨٤)، تهذيب التهذيب (٩/ ٥٣٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٨٩)، المنتظم (٥/ ٩٠)، كشف الظنون (٣٠٠).

(٥) الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي، أبو محمد التميمي، الدارمي، الحافظ. صاحب المسند. ولد سنة ١٨١هـ. رحل في طلب العلم إلى مصر والشام والعراق والحرمين. ثقة، فاضل، متقن، مات سنة ٢٥٥هـ رحمه الله. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٤٢٩)، ومقدمة سنن الدارمي.

في وصية رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيشٍ أو سرية، وفيه: «وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله...»(١).

■ وما رواه البخاري وأحمد من وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد طعنه: «أوصيكم بذمة الله، فإنهم ذمة نبيكم»(٢).

فأصول أحكام أهل الذمة، وتصنيفهم، ثابتة بالكتاب والسنة، وهدي الخلفاء الراشدين المهديين، لا سيما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي اتسعت في عهده الفتوحات، ولذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاته: «أن من سأل عن مواضع الفيء، فهو ما حكم فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فرآه المؤمنون عدلاً موافقاً لقول النبي ﷺ، جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه. فرض الأعطية للمسلمين، وعقد لأهل الأديان ذمةً بما فرض عليهم من الجزية، لم يضرب فيها بخمسٍ ولا مغنم»(٣).

وإنما يقع الاجتهاد من الفقهاء والولاة بحسب ما يقتضيه المقام والحال والسياسة الشرعية للدولة الإسلامية، في حدود الأصول الشرعية، لا الأعراف الدولية، كما زعم سعود المولى، ولا طروحات الفقهاء والباحثين، كما زعم فهمي هويدي. وقد يتعذر تطبيق أحكام أهل الذمة ـ كما في زمننا هذا ـ لكن هذا لا يعود على أصلها بالإبطال، كما يحاول أهل العصرنة.

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٣٧٥ ـ ١٣٥٨).
(٢) صحيح البخاري (٤/ ٦٤).
(٣) سنن أبي داود (٣/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥).

إن ضغط الواقع المتخلف للمسلمين، وشراسة الحملة ضدهم، لا يسوغان بحال لأي فقيه اليوم أن يقدم تنازلات، لأن الدين لله، والحكم له سبحانه، كما أن هذا الواقع المر لا يجوّز للفقيه أن يتملق الكفار، بدعوى سماحة الإسلام ويسره، كما في النص التالي:

(لم يفرض الإسلام على غير المسلم، مَن يعيش في داره، أن يحرّم الخنزير الذي يحرّمه الإسلام، أو يحرم الخمر الذي يحرمه الإسلام، ما دام دينه يبيح له أن يأكل الخنزير، ويشرب الخمر. قال له: كل الخنزير، واشرب الخمر، ورَبِ الخنزير، واعصر الخمر، بشرط ألا تروّج ذلك بين المسلمين في مناطقهم الخاصة... إلى هذا الحد احترم الإسلام ثقافات الآخرين، كما احترم دياناتهم وعقائدهم، وترك كنائسهم وعباداتهم، فالإسلام يحترم الثقافات المتعددة)[1].

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخضوع في القول، والتجاوز في التعبير إلى درجة الإسفاف. ففرقٌ بين أن يقرهم الإسلام على ما يعتقدون حله، وبين أن يقال: إن الإسلام قال له ـ لغير المسلم ـ كل الخنزير وربه، واعصر الخمر واشربه!

وتأمل الشرط والقيد في قوله: (بشرط ألا تروج ذلك بين المسلمين في مناطقهم الخاصة)! فالممنوع إذاً هو «الترويج» الذي يعني التسويق والتداول والنشر، لا مجرد إظهاره. والمحظور أن يقع في مناطق مسلمة خاصة، فللنصارى إذاً في أحيائهم السكنية في بلاد المسلمين فتح البارات والخمارات!

أهذه هي الثقافة التي زعم الكاتب أن الإسلام يحترمها؛ ثقافة الخمر والخنزير؟!

---

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي. حسن علي دبا (٢٢).

ثالثاً: المناداة بـ«الرابطة الوطنية» و«الحرية الدينية»، وإنكار تميز المسلمين:

لكن دعاة العصرانية، والتقريب، وإزالة الفوارق بين المؤمنين والكافرين، لا يكتفون بهذا الخضوع والتساهل، إنهم يريدونها خليطاً ممتزجاً، (بعضهم من بعض) لا (بعضهم أولياء بعض). ولذلك يجاهرون بكل قحة بالمساواة بين المسلم وغير المسلم، وإنكار تميز المؤمنين وخيريتهم، كما في النقول التالية:

١ ـ د. عبده سلاّم:

قال: في مستهل محاضرة له أمام حشد من النصارى في روما: (والمحاضر يعترف بالقرآن والسنة، وبتأثره بقدوة الخلفاء الراشدين، وبأن هذه المصادر تنادي بالمساواة بين المسلم وغير المسلم)[١].

٢ ـ فهمي هويدي:

قال: (ليس صحيحاً أن المسلمين في هذه الدنيا صنفٌ متميز ومتفوق من البشر لمجرد كونهم مسلمين. وليس صحيحاً أن الإسلام يعطي أفضلية للمسلمين، ويخص الآخرين بالدونية. وليس صحيحاً أن ما كتبه أكثر الفقهاء في هذا الصدد هو دينٌ ملزم، وحجج لا ترد، إنما هو اجتهاد يصيب ويخطئ.

إن دعاوى التميز على الآخرين، وتكريس هذا التميز من جانب أكثر الفقهاء، إنما تستخدم لغةً ليست مقبولة ديناً، فضلاً عن أنها لغة باتت محل إدانة هذا العصر... إن خصومته مع الآخرين، بسبب من توهم التميز أو الفوقية، فهو ما لا يمكن فهمه ولا قبوله بأي حالٍ ولا بأي معيار)[٢].

---

(١) الإسلام والسلام. من وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٤٧).

(٢) المسلمون والآخرون. أشواك وعقد على الطريق. مجلة العربي عدد (٢٦٧) ربيع الأول ١٤٠١هـ فبراير ١٩٨١م (٤٩).

إن الكاتب لا ينعى على بعض المغرورين بالألقاب والأسماء ـ دون تصديقٍ من عمل ـ ولو كان كذلك لوافقناه، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء]. ولكنه ينقض أصلاً عقدياً عاماً في خيرية هذه الأمة، وتميزها على سائر الأمم، بجراءة منقطعة النظير، وقذائف متوالية، تحمل عبارة (ليس صحيحاً)! ونقول لهذا المتجرئ: دعك من الفقهاء ـ رحمهم الله ـ فقد أوسعتهم شتماً وتنقصاً في كثير من كتاباتك، فما تصنع بقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران]، وقوله ﷺ فيما رواه مسلم: (إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»[1].

ألا يكفي «الإيمان» الصحيح، و«العقيدة» النقية معياراً للتميز؟!!

ويجيب الكاتب بما يكشف عن معيار التميز والتفوق في نظره، ونظر أمثاله، من خلال القصة المتكلفة التالية: «لقد سمعت واحداً من خطباء الجمعة، اعتلى المنبر ليحدثنا في أن المسلمين «خير أمة أخرجت للناس». وذهب به الحماس حداً دفعه إلى أن يسفه غير المسلمين جميعاً، ويتهمهم بمختلف النواقص والمثالب، ثم يدعو الله في الختام ـ وحوله مئات من المصلين يؤمنون ـ أن يدك بيوتهم، ويزلزل عروشهم، ويفرق شملهم، ويهلك نسلهم وحرثهم!

كنت جالساً في الصف الأول، في مسجدٍ فرش بسجادٍ مصنوعٍ في ألمانيا الغربية، وترطب حراراته مكيفات أمريكية، وتضيئه لمبات

---

(١) صحيح مسلم (١/٢٠١).

«تونجسرام» الهنغارية، بينما كلمات الخطيب تجلجل في المكان عبر مكبر للصوت هولندي الصنع. وعندما هبط شيخنا ليؤمنا في الصلاة، تفرست في طلعته جيداً، لأجد أن عباءته من القماش الإنجليزي، وجلبابه من الحرير الياباني، وساعته «زودياك» السويسرية، وقد وضع إلى جوار المنبر حذاءً إيطالياً لامع السواد»(١).

هذا هو معيار الخيرية والتفاضل بين الأمم عند هؤلاء العصرانيين، المعيار المادي الدنيوي، وليس الإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما أخبر الله تعالى.

وحين ابتعث الله نبيه ﷺ، وأخرج أمته للناس، لم يكونوا هم أرباب الصناعات والاختراعات، بل كانت بأيدي أمم الأعاجم الذين يشدو الكاتب بمآثرهم. وليت الكاتب ترك العلم والرأي والفتيا لأهلها، وتخصص فيما برع فيه من معرفة السلع والبضائع من أول نظرة، وتخلى عن لقب «كاتب إسلامي»، ليصبح «مدير مبيعات»، إذاً لأراح واستراح.

٣ ـ سعود المولى:

قال: (... إن «الأغيار» في العقيدة، غير المسلمين، لهم مكانهم الطبيعي، وليس مكانهم المقرون بالمنة... فليس في الاجتماع السياسي الإسلامي مواطنون درجة أولى، ومواطنون درجة ثانية. المواطنون درجة واحدة وانتسابهم إلى الدولة انتسابٌ واحد)(٢).

ونجيب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ

---

(١) المسلمون والآخرون. أشواك وعقد على الطريق. مجلة العربي عدد (٢٦٧) (٤٩).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة (٢٠٠).

﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾ [الأنفال].

إن هذا المسلك الذي يسلكه إسلاميون عصريون، باسم تجديد الدين، أشد خطورة على الأمة من مسلك بعض الكتاب الليبراليين ـ المتحررين ـ الذين يهاجمون الدين صراحة، وينتقدون بعض جوانبه علناً، من جهة أن الاغترار بالصنف الأول أكبر، لما يمارسه من تلبيس وحجب للحقائق على العامة، تلطفاً في الوصول إلى مقاصده، في حين يبدو الليبراليون المتحررون من الضوابط والاعتبارات، أكثر مصداقية مع أنفسهم وأشد وضوحاً، فحينئذٍ يهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حي عن بيّنة.

وثمَّ مثالٌ لهذا النوع، يعالج فيه كاتبٌ ليبرالي وضعية أهل الذمة بطريقة تختلف عن السابقين.

٤ ـ د. رضوان السيد:

قال تحت عنوان: «الفكر الإسلامي والحريات الدينية»: (إن النصوص القرآنية في المرحلة المدنية الوسطى ثم الأخيرة تؤكد ضرورة تمايز المسلمين في جماعة خاصة بهم، وعدم إقامة علاقات موالاة أو مباطنة مع أهل الكتاب: أفلا يؤسس ذلك لإصرار الدولة الإسلامية اللاحق على التمايز في اللباس والمركوب؟ وألا يؤسس ذلك للجدل حول استعمال أهل الذمة في دواوين الدولة؟ فإذا أضفنا لذلك عدم قبول الشهادة، والخلاف حول قتل المسلم بالذمي، ومنع التزاوج، يكون معنى المساواة في القيمة الإنسانية الوارد في القرآن قد انتفى، كما ينتفي معنى العبارة المأثورة الواردة في كل المصادر: «فإن أدوا الجزية فلهم مالنا وعليهم ما علينا». ويكون هذا كله دونما حاجة لنقاشٍ كثير، حول ما إذا كان العهد المنسوب لعمر بن الخطاب

صحيحاً أو منحولاً[١]، فحتى لو كان ذلك العهد منحولاً ـ وهو الراجح نصيًّا ـ فالواقع أن هناك تأسيساً نصيًّا وتاريخياً مبكراً لتمايز المسلمين عن أتباع الديانات الكتابية)[٢].

والواقع أن ما انتهى إليه الكاتب قضية بدهية، حاول الفريق الآخر من أمثال محمد عمارة طمسها، والتشويش عليها. وأما انتفاء المساواة في القيمة الإنسانية فمرده إلى حط غير المسلم نفسه بالكفر بالله، مع أن الأصل فيه البراءة الأصلية، وسلامة الفطرة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين]، وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس]. وحين يقوِّم د. رضوان السيد ما يسمى بـ «الحرية الدينية» لا ينزلق إلى المغالاة التي يتملق بها الفريق الآخر من العصرانيين أهل الكتاب، من أن الإسلام كرَّمهم، ومنحهم امتيازات خاصة، أو قال لهم، اشربوا الخمر، وكلوا الخنزير... إلخ مما تقدم ذكر نماذج منه، بل يكون تقويمه أكثر دقة من حيث الجملة، فيقول: (الآخرون موجودون، ومعترف بهم كمجموعاتٍ دينية. لكن المعترف به من الدين هو الجانب الشعائري، وليس العقائدي أو الاجتماعي/ السياسي. ولذا فقد كانت المشكلات تظهر عندما يبدو المسيحي خارج الكنيسة في دواوين الدولة، أو في الشارع، أو في الحياة العامة: فهل القول إن المسيحي مسموحٌ له أن يوجد كمسيحي، بشرط أن لا يلحظ اجتماعياً، أو سياسياً أو رمزياً ـ هل يعتبر ذلك حرية دينية؟! وبخاصة أنه ملاحق بالوصم بالكفر والشرك، واتباع الآية الممحوة؟!)[٣].

---

(١) انظر الكلام على «العهدة العمرية» في مبحث حكم الإسلام في أهل الكتاب.

(٢) مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٤٠).

(٣) مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٤٤ ـ ٤٥).

وهي أسئلة ملزمة محرجة للذين يحاولون إمساك العصا من منتصفها. أما بالنسبة للتصور الإسلامي الأصيل للقضية فلا إشكال البتة.

فأهل الذمة في المجتمع الإسلامي ليس لهم حق التحزب السياسي، أو التكتل الاجتماعي، أو التظاهر العقائدي في دار الإسلام. بل هم مشمولون بالمظلة العامة لإمام المسلمين، مكفولون من النواحي الاجتماعية بما يحفظ لهم الخدمات الحيوية كسائر المسلمين، ممكنون من العمل والاتجار والتنقل حيث شاءوا من دار الإسلام ـ باستثناء مكة ومناطق أخرى مختلفٌ فيها[1] ـ محميون من العدوان الداخلي والخارجي بضمانات دينية عليا ـ ذمة الله وذمة نبيه ﷺ ـ وليست ضمانات مدنية أو خلقية فحسب. ومع ذلك كله فهم في نظر أهل الإسلام كفار مشركون.

ولا غرابة فهم يعتقدون أن المسلمين كذلك، ولولا ذلك لاتبعوهم، فممَّ الجزع؟

إننا ابتداءً لا نسلم بهذا التعبير «الحرية الدينية»، ولا نعده مصطلحاً شرعياً، بل هو تعبير وافد من بلاد الغرب له مدلولاته ومقتضياته الخاصة. والقاعدة الشرعية المقابلة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ولكن هذا المصطلح العصري «الحرية الدينية» أوهم بعض الناس أن الإسلام يبيح سائر أنواع الممارسات الدينية التي تروق لصاحبها، وحرية التنقل بين الأديان كيفما شاء، ولم يقل بذلك أحدٌ من علماء الإسلام، ومن ثم استشكلوا حد الردة ورأوا فيه مصادمة للحرية الدينية، وحرية الضمير كما يعبرون. يقول د. رضوان السيد منبئاً عن هذا اللبس الحاصل بين دلالة «الحرية الدينية»، ودلالة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: (. . . الغريب أنه لا أحد بين الفقهاء القدامى خطر

---

(١) انظر: مبحث «حكم الإسلام في أهل الكتاب» من التمهيد.

باله أن يسأل نفسه عن كيفية التوفيق بين قتل من يَدَع الإسلام، وقول القرآن الكريم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يقال لمن ترك الإسلام: إما أن تعود إليه أو تقتل: أليس هذا هو الإكراه؟

يجيب الفقهاء المُحدَثون: بل الإكراه هو أن ترغم إنساناً على الإسلام بداية. أما وقد اعتنق الإسلام باختياره، فإن إعراضه عنه ليس تحدياً لله عز وجل فحسب، بل وللجماعة الاجتماعية/ السياسية التي تلحق بها أضرار فادحة إذا فشا فيها ذلك... لكن أياً كان الأمر، فإن باب الردة في الحقيقة عطل الآية القرآنية التي تصر على مبدأ الاختيار في الإيمان)[١].

واستغراب د. رضوان السيد ليس في مكانه، إذ أنه مؤسسٌ على فهم خاطئ لمعنى الآية، حيث ظن أنها تفيد العموم، وهو ما لم يقل به أحدٌ من العلماء. فقد ذكر القرطبي[٢] رحمه الله في معناها ستة أقوال لأهل العلم ليس فيها قولٌ بالعموم[٣]. وقال ابن كثير رحمه الله: (وقد ذهب طائفة كثيرةٌ من العلماء أن هذه الآية محمولة على أهل الكتاب، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية. وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، فإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول

---

(١) مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٢) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة، ورحل إلى المشرق واستقر بمصر وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ، من كتبه: «الجامع لأحكام القرآن»، و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» و«التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» وغيرها. الأعلام (٥/ ٣٢٢)، نفح الطيب (١/ ٤٢٨)، الديباج (٣١٧)،

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

في الدين الحنيف، دين الإسلام، فإن أبى أحدٌ منهم الدخول فيه ولم ينقد له، ويبذل الجزية، قوتل حتى يقتل. وهذا معنى الإكراه. قال تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة]. وفي الصحيح: «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل»[1] يعني: الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثاق والأغلال والقيود والأكبال، ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم، فيكونون من أهل الجنة)[2]. وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري: (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاصٍ من الناس، وقال: عني بقوله تعالى ذكره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أهل الكتابين والمجوس، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق، وأخذ الجزية منه، وأنكروا أن يكون شيءٌ منها منسوخاً... ـ ثم وجه ترجيحه ـ:

إن الناسخ غير كائنٍ ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ، فلم يجز اجتماعهما. فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي، وباطنه الخصوص، فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل، وإذا كان ذلك كذلك، وكان غير مستحيل أن يقال: لا إكراه لأحدٍ ممن أخذت منه الجزية في الدين، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً،

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٨٣).

فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه، دين الحق إلى الكفر، ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه، وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين، ومن أشبههم، كان بيناً بذلك أن معنى قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ إنما هو لا إكراه في الدين لأحدٍ ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية، ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالإذن بالمحاربة)[1].

فتبين أن معنى الآية لا يتناول المرتد أصلاً، وأن الصورة التى ذكرها د. رضوان السيد غير داخلة في دلالة الآية، فلا حاجة إلى تكلف الإجابة في استثناء المرتد لاعتبارات معينة، مع صواب تلك الاعتبارات من حيث هي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شأن من ارتد من الناس عند قدوم التتار سنة تسعٍ وتسعين وستمائة إلى حلب: (وهؤلاء أعظم جرماً عند الله، وعند رسوله والمؤمنين من الكافر الأصلي من وجوهٍ كثيرة. فإن هؤلاء يجب قتلهم حتماً ما لم يرجعوا إلى ما خرجوا عنه، لا يجوز أن يعقد لهم ذمة، ولا هدنة، ولا أمان، ولا يطلق أسيرهم، ولا يفادى بمالٍ ولا رجال، ولا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، ولا يسترقون: مع بقائهم على الردة، بالاتفاق. ويقتل من قاتل منهم، ومن لم يقاتل؛ كالشيخ الهرم، والأعمى، والزمن، باتفاق العلماء. وكذا نساؤهم عن الجمهور.

والكافر الأصلي يجوز أن يعقد له أمانٌ وهدنة، ويجوز المن عليه، والمفاداة به إذا كان أسيراً عند الجمهور. ويجوز إذا كان كتابياً أن يعقد له ذمة، ويؤكل طعامهم وتنكح نساؤهم، ولا تقتل نساؤهم إلا

(١) جامع البيان (٣/١٧).

أن يقاتلن بقولٍ أو عمل، باتفاق العلماء، وكذلك لا يقتل منهم إلا من كان من أهل القتال عند جمهور العلماء، كما دلت عليه السنة.

فالكافر المرتد أسوأ حالاً في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره(١).

وأياً كان الأمر فإن باب الردة في الحقيقة لم يعطل آية: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ خلافاً لما توهمه د. رضوان السيد.

والمقصود أن ما يسمونه بالحرية الدينية مثار قلق أصحاب الاتجاه العصراني على اختلاف طبقاتهم، لأنها تمثل جبهة صِدَام صريحة بين قواعد الشريعة الثابتة بنصوص الوحيين، ومستلزمات التقارب والاندماج، وإلا بتنا (محل إدانة العصر) كما يعبر فهمي هويدي.

إن دين الله بيِّن، ودين الله متين لا يسهل اختراقه بالشبهات والإثارات العاطفية، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه. فإن كان كبُر عليكم أيها العصرانيون مقام التذكير بآيات الله، فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، واختاروا إحدى سبيلين لا ثالث لهما: إما دين الله كما يريد الله، أو الهوى، ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص].

ثالثاً: مفهوم «التقريب» ومنهجيته عند الإسلاميين العصرانيين:

إن ما مضى من بيان الموقف العقدي للعصرانيين تجاه أهل الكتاب، وما تلاه من بيان الموقف العملي التطبيقي، في حسبانهم والمسلمين على حدٍ سواء، واستهجانهم الأحكام الشرعية المتعلقة بأهل الذمة، ينبئُ عن تطلعات هؤلاء، وما تستشرفه نفوسهم من وراء قضية التقريب، والحوار بين الأديان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤١٣ ـ ٤١٤).

ونلحظ بادئ ذي بدء، أن القوم يهجرون المصطلح الشرعي للقرآن في شأن دعوة أهل الكتاب، كما ورد في الآية: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ويستعيضون عن لفظ «المجادلة بالتي هي أحسن» بألفاظٍ واصطلاحات مولدة مثل: «التقريب» و«الحوار».

وكما هجروا المصطلح الشرعي، هجروا المنهج الشرعي الذي سارت عليه الأمة من لدن نبيها ﷺ حين جادل يهود المدينة، ونصارى نجران، وملوك الأرض، القائم على الدعوة الصريحة لتوحيد الله تعالى، والدخول في دينه والبراءة من الشرك، واتخاذ الأرباب من دون الله، كما في الآية العمدة في دعوة أهل الكتاب: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران].

وسنكشف عن مفهوم التقريب ومنهجيته في نظر هؤلاء العصرانيين من خلال معالجتهم لهذه القضية، فندرك إلى أين تهوي أفئدة القوم، وإن كان بعض من يجري في هذا المضمار، لا يبلغ منتهاه.

أولاً: الغلو في تمجيد الحوار:

لا يكاد يكتب أحدٌ في قضايا الحوار الإسلامي النصراني، أو الحوار بين الأديان بشكلٍ عام، إلا ويغدق عليه من ألفاظ التمجيد، وبهرج القول، ما يحمل القارئ المنصف على التساؤل: أين الأمة في ماضيها المتطاول عن هذه المحمدة العظيمة التي تقصر دونها سائر الأمجاد والفضائل؟ وثم بعض الشواهد:

١ ـ د. يوسف الحسن:

قال: في كتابه «الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات»، المطبوع عام ١٩٩٧م: (الحوار هو جوهر حياة البشر،

... وهو أحد مقاصد الشرع الكبرى، والله ﷻ هو أعظم المتحاورين، والديانات السماوية هي التعبير الأكمل عن هذا الحوار...

وكانت رسالة الأديان موجهة للخلاص الجماعي الذي يتم به عمران الدنيا، ونماء ثمراتها بإبداعٍ للعقول، وعمل جادٍ للسواعد، واكتشافٍ للمجهول، عبر مسيرة إنسانيّة من القيم الحافظة لجوهر الخير، والتعاون في علاقات الناس بالناس، وفي حوار الإنسان مع أخيه الإنسان. وهذا جوهر الهداية التي بعث بها الرسل، ونزلت لإعلانها وتثبيتها الكتب السماوية)[١].

هكذا، وبهذا الزخم الهائل من الألفاظ الفضفاضة ينفخ في صورة الحوار. ويبين الهدف من تأليف الكتاب:

(ولا شك أن من بين غايات هذا الكتاب التأكيد على ضرورة هذا الحوار... وبلورة مفاهيم فكرية وروحية كفيلة بتوسيع دائرة المؤمنين بهذا الحوار، وبدوره المنتظر في تعميم ثقافة القيم العليا، وتصحيح صورة الآخر، والتعاون على البر والتقوى، ومقاومة الفساد والقبح والطغيان والظلم، وإشاعة المودة وروح المسالمة بين المسلمين والمسيحيين، وإثراء ثقافة حوار الكلمة السواء، وإبراز الجوامع المشتركة وقيم الاعتدال، والتعددية، وتعميق المصالح المشتركة بين دائرتي الحضارتين الإسلامية والمسيحية)[٢].

وهذه لغة تستبعد الدور المتميز للإسلام، وتنفيه، ولا تتصوره إلا شريكاً في مشروع، لا يستقل بنفسه ولا يجزئ بمفرده. ولا ريب أنه خطابٌ دخيل على الحس الإيماني الأصيل، الذي يرى الخير والشر والصلاح والفساد من زاوية رصدٍ واحدة، وهي النظرة الإسلامية فقط.

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (١١، ١٢).
(٢) المرجع السابق (٦).

٢ ـ محمد الطالبي:

ينعى على الإسلام المعاصر تأخره في اعتناق الحوار، في حين يرمق بإعجاب «النصرانية» على انتهاج هذا السبيل، فيقول: (إن الحوار بالنسبة للإسلام إذن هو مبدئياً ومسبَّقاً، اتصال بالعالم من جديد، اتصالٌ ضروري وحيوي. والإسلام في حاجةٍ إليه آكد، والنفع الذي يعود عليه منه أكبر من بقية الديانات الأخرى، كالدين المسيحي مثلاً، الذي لم يقطع قط هذا الاتصال قطعاً حقيقياً، فيكون له بذلك مكانة ممتازة نسبياً)[1].

وحين يقدم «الحوار» بديلاً عن الدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن، يلتبس الأمر، وتوظف النصوص الشرعية، الواردة في شأن الدعوة والمناظرة وإقامة الحجة لخدمة هدفٍ غير واضح المعالم.

٣ ـ د. يوسف القرضاوي:

قال: (. . . إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه كتاب حوار من الطراز الأول. وقد حاور الأنبياء أقوامهم ـ وذكر أمثلة ـ ومن أعجب الحوارات في القرآن الكريم، حوار الله تعالى مع بعض خلقه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وحوار الله تعالى مع أعدى أعدائه، وأبغض خلقه، وهو الشيطان الذي لعنه الله.

لذلك لا عجب في أن نقتدي بالقرآن الكريم، في أن نتحاور مع من خالفنا)[2].

---

(١) الإسلام والحوار. أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. من وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين. (٤٤).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي، محاضرة منشورة في مجلة المسلم المعاصر عدد ٨٦. (١٤٤).

ولا شك أنه ـ كما قيل: (لا مشاحة في الاصطلاح) إلا في الألفاظ الشرعية فإنها ذات دلالات خاصة، وحتى إذا عدل عنها إلى غيرها فيجب أن تكون مقرونةً بما يعين المراد، ويقطع اللبس. فلو ساغ لنا أن نعبر بالحوار، فيجب أن نضمنه معنى الدعوة وإقامة الحجة، وقطع الشبهة، وأن لا نطلق أعِنَّة الكلام تجري في مسارح الأفكار المتباينة، والمفاهيم المختلفة.

والنتيجة الحاصلة لهذا اللون من التمجيد لمشروع «الحوار» أن تحول «الحوار» إلى غاية بحد ذاته، وليس وسيلة إلى غاية، كما وصفه د. يوسف الحسن ـ آنفاً ـ بأنه (أحد مقاصد الشرع الكبرى).

كما أن هذا المديح المطلق للحوار، من حيث هو حوار، يجعله «طُعماً» لاصطياد ذوي النوايا الحسنة، والحماس العاطفي، ويستدرجهم للولوج في هذا الدهليز المضيء أوله، المظلم آخره.

ثانياً: تضخيم أهمية (معرفة الآخر):

هذه خطوة تالية مستفادة من الجانب النصراني، على نحو ما يكتب الأب موريس بورمانس وأمثاله، من أهمية معرفة الآخر، واكتشاف ما لديه من خبراتٍ دينية. . . إلخ[1].

والحق: أن معرفة المسلمين بالنصارى واليهود وعقائدهم وتاريخهم أفضل وأدق من معرفة أولئك بالمسلمين[2]، ذلك أن القرآن الكريم، والسنّة النبوية قد ضما قاعدة عريضة من المعلومات العقدية والتاريخية القطعية، بخلاف أهل الكتاب الذين، حتى عهدٍ قريب، لا

(١) انظر في مبحث الكنيسة الكاثوليكية (٣٥٤ ـ ٣٦٤).

(٢) يقول: د. رضوان السيد: (والملاحظ أن معرفة الجدليين المسلمين بالمسيحية كانت أفضل بكثير من معرفة جداليي المسيحية بالإسلام. مجلة الاجتهاد (١٢/٢٨). ونضيف: وكذلك معرفة عوام المسلمين بالنصرانية.

يعرفون عن الإسلام ونبيه وكتابه إلا الخرافات والأكاذيب السمجة التي افترتها الكنيسة لتضليل رعيتها[١].

وقد دأب دعاة التقارب من العصريين على الطرق على هذا الوتر. باعتبار أن «المعرفة» قيمة محترمة، ولا يجرؤ أحدٌ على رفضها، فرددوا كلمات دعاة التقارب من النصارى بالتعرف على الآخر كما هو وكما يريد أن يعرف، ومن شواهد ذلك:

١ ـ د. مصطفى عثمان إسماعيل[٢]:

قال: (إخوة الإيمان... إن هذا اللقاء يسعى لتأسيس حوار حقيقي بين الإسلام والمسيحية، يبدأه الطرفان، وكل منهما مقتنع ومستعد أن يتعلم شيئاً من الآخر، ليس فقط حديث عن التسامح، وتبادل مهذب لوجهات النظر، وهذا بالضرورة يدعو كلاً منا لمعرفة ديانة الآخر)[٣].

٢ ـ سعد غراب:

قال: (إن هدف الحوار في عصرنا هذا يجب أن يكون معرفياً صرفاً)[٤].

---

(١) انظر: كتاب: «المسيحية والإسلام» للباحث الروسي إليكسي جورافسكي ترجمة د. خلف الجراد، الفصل الأول والثالث والرابع.

(٢) الأمين العام لمجلس الصداقة الشعبية العالمية، ورئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر حوار الأديان، المنعقد في الخرطوم في أكتوبر عام ١٩٩٤م، ووزير الخارجية لاحقاً.

(٣) من كلمة اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار بين الأديان: د. مصطفى عثمان إسماعيل. المنعقد في الخرطوم عام ١٩٩٤م.

(٤) الإسلام والنصرانية من الصدام إلى الحوار من: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٢٥).

٣ ـ محمد حسين فضل الله:

قال: (علينا الاعتراف بوجود غربة فكرية للمسلمين عن ماهية المسيحية، وغربة فكرية للمسيحيين عن ماهية الإسلام. هناك قضايا عالقة تتصل بطبيعة اللاهوت، لا بد من بحثها في النطاق العلمي الفكري الموضوعي بين علماء الفريقين، لأنها تتصل بنظرة المسلم إلى المسيحي:

هل هو مؤمن؟... كافر؟... مشرك... وما إلى ذلك من كلمات...

ما هي الرابطة بين توحيد المسيحيين في طقوسهم الدينية، والتثليث الذي يضعونه إلى جانب التوحيد ذاته؟... إن مثل هذه التساؤلات ربما أوجدت حالة من القلق الفكري النفسي في نظرة المسلمين إلى المسيحيين، أو في نظرة المسيحيين إلى المسألة التوحيدية)[1]، وبالتالي فالكاتب من خلال تعريف المسلمين بالنصرانية يسعى لطمأنتهم وإزالة القلق الفكري النفسي في قلوبهم تجاه النصارى. ولكنه لم يطرح القضايا التي تثير حالة من القلق في نفوس النصارى تجاه المسلمين، ليزيح عنهم كابوس الشبهات التي تحول بينهم وبين اعتناق الإسلام. أم أنه هدفٌ معرفي أحادي الجانب؟ ويقول أيضاً: (وقد يكون من الضروري في هذا الاتجاه، أن ينشأ في الدائرة الثقافية الإسلامية أو المسيحية برنامجٌ علميٌ فكري للدراسات المشتركة التي تمنح كل فريق معرفة أصول فكر الفريق الآخر وفروعه. وذلك من خلال المصادر التي يرتضيها حتى يحتفظ للفكرة بنقائها، وبأصالتها في الجانب الآخر... وباعتبار أن الناس قد يتصورون مفاهيمهم بطريقة مختلفة عن التصور الفكري للمفردات المرتبطة بالمضمون الانتمائي له)[2].

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٢٤).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة إسلامية في الراهن والمستقبل. من: العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ الحاضر والمستقبل. (٣٤).

هل المسلمون في شكٍ من معرفة أصول فكر الفريق الآخر وفروعه، بعد أن جلاها القرآن الكريم والسنة الصحيحة؟

وهل من شرط نقاء الفكرة وأصالتها أن يتلقاها المسلمون من المصادر التي يرتضيها النصارى[١]؟ وهل سيقبل النصارى بالمصادر التي يرتضيها المسلمون لدينهم؟

ويقول أيضاً: (إننا نعتقد أن من الضروري العمل على إدارة الحوار في المسألة اللاهوتية على مستوى دراسة كل المفردات التي يختلف فيها أحدهما عن الآخر، ومحاولة كل منهما التعمق فيما لديهما من المصادر الثقافية الأصيلة، من الكتب المقدسة، والتراث الفكري، للدخول في عملية مقارنة فيما يلتقيان فيه، وحوار فيما يختلفان فيه)[٢].

إن الحوار بهذا المضمون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس من علوم أهل الإسلام، ولا من مناهجهم في إبلاغ دين الله، بل هو ضربٌ من الزندقة والتلفيق، وإقرار الكافر على كفره، دون دعوته والإنكار عليه.

٤ ـ د. يوسف الحسن:

قال: (إن الحوار بين الإسلام والمسيحية هو سعي يتوخى معرفة الآخرين الصادقة، ويتفهم المغايرة الدينية، وما تمثله من قربٍ أو بعد، ويتفاعل بشكل مباشر أو غير مباشر في مجالات الفكر الإنساني المتنوعة، ويتعاون في سياق العيش المشترك معتمداً العقل سبيلاً للتفاهم والتقارب في شؤون الدين والدنيا على حدٍ سواء.

---

(١) راجع في مبحث «حكم الإسلام في أهل الكتاب»: (الحذر من كتبهم ومروياتهم).

(٢) من مقدمة كتابه: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. «غير مرقمة بأعداد أو حروف».

إذاً الحوار الذي نعنيه في هذا البحث هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر، بطريقة موضوعية تبين ما قد يكون بينهما من تلاقٍ أو اختلاف، مع احتفاظ كل طرفٍ بمعتقداته، في جوٍ من الاحترام المتبادل، والمعاملة بالتي هي أحسن...

والحوار لا بد أن ينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الأخرى، وتجنب إصدار أحكام مسبقة عليها، والاتفاق على إعادة صياغة صورة الآخر، في إطار من التفهم والتسامح والرغبة المشتركة في بلورة قيم إنسانية لإحداث التفاعل الحضاري)[(١)].

إن المتأمل في هذا النص يستخرج من بين عباراته الخطابية الرنانة معاني خطيرة، ويثير أسئلة حادة:

١ ـ ثمَّ معرفة صادقة للآخر النصراني، وأخرى غير صادقة. فأين موقع العقيدة الإسلامية من هذا التصنيف المريب؟!

٢ ـ المغايرة الدينية، قضية مُتفهمة، ماذا يعني هذا التفهم أهو الإقرار أم الإنكار؟

٣ ـ تبادل الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات بين طرفي الحوار، أهو في المجال الدنيوي أم في المجال العقدي؟

٤ ـ احتفاظ كل طرفٍ بمعتقداته، يعني استبعاد قضية الدعوة ابتداءاً.

٥ ـ تجنب إصدار أحكام مسبقة، يعني التنصل ـ والعياذ بالله ـ من أحكام الله المسبقة في أهل الكتاب.

٦ ـ إعادة صياغة صورة الآخر، تعني أن الصورة المرسومة بنصوص الكتاب والسنة خاطئة ـ والعياذ بالله ـ وإلا فَلِمَ تعاد صياغتها؟

---

(١) الحوار الإسلامي المسحي. الفرص والتحديات (١٢ ـ ١٥).

تلك هي مفردات مفهوم الحوار المغلفة بالغلاف المعرفي البراق، المنطوية على التحلل من العقائد الإيمانية

ثالثاً: تحريف معنى الدعوة إلى «كلمة سواء» عن مدلولها العقدي إلى مضامين أخرى:

إن الأصل في باب مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، هو آية آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]. قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: (قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل: تعالوا: هلموا إلى كلمة سواء، يعني إلى كلمة عدلٍ بيننا وبينكم، والكلمة العدل: هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبودٍ سواه، فلا نشرك به شيئاً... ولا يدين بعضنا لبعضٍ بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه)[1].

وهو معنىً واضح بيِّن بحمد الله، بل هو تفسير القرآن بالقرآن، حيث فسر الكلمة السواء بما بعدها. ولكن الذين في قلوبهم زيغ يحرفون الكلم عن مواضعه، ويخرجون النص عن مقاصده، ويزعمون معاني مدعاة ليست مراد الله في هذه الآية. فقد عطلوا النص أولاً عن دلالته الصحيحة، وحرفوه ثانياً إلى دلالات مزعومة.

وأولى صور التحريف لمعنى الآية المحكمة: الإيهام أن الكلمة السواء هي القدر الجامع المشترك، المتحقق وجوده فعلاً، لا أنه يُطلب الالتقاء عليه، كما هو صريح النداء والدعوة في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، فيفسرون «سواء» أي نحن وإياكم متساوون في هذه القضايا، لا فرق بيننا وبينكم! ومن شواهد ذلك:

(١) جامع البيان (٣/٣٠١ ـ ٣٠٢).

١ ـ محمد حسين فضل الله:

قال: (وقد نلاحظ أن هناك أكثر من قضية مشتركة يلتقي فيها المسلمون والمسيحيون في كل الساحات، وهي الكلمة السواء في التوحيد ورفض الشرك، ووحدة الإنسانية، ورفض الاستكبار والاستعباد الإنساني، وهو الذي طرحه القرآن الكريم على أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]. فيتحرك الجميع لمواجهة المادية الملحدة، والشرك العبادي، والاستكبار العالمي، لينطلق الإيمان بالدين بشكلٍ عام قوياً في ساحة الفكر، ويتحرك المستضعفون في مواقع القوة في مواجهة المستكبرين؛ الأمر الذي قد يتيح للشعوب المستضعفة أن تكتشف في الدين الحركي معنى الحرية والعدالة، فتلتقي بالإيمان به من خلال جهاده السياسي في خط المواجهة للظلم العالمي كله، ليقف المسلم ضد المستكبر حتى لو كان مسلماً، ويقف المسيحي ضده حتى لو كان مسيحياً)[1].

وفي موضع آخر يقول: (... إن القرآن الكريم عندما أطلق الجو الحواري مع أهل الكتاب، تمسك بالكلمة السواء التي تنفتح على خطين لا يبتعدان عن حركة الواقع:

الخط الأول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]. أن نوحد الله تعالى، ولا نعبد كل القوى الظالمة والمستكبرة والطاغية، لتكون في موقع الشريك لله تعالى.

الخط الثاني: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة.

﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران] الرفض القاطع لأن يكون الإنسان مستعلياً ومستكبراً على أخيه الإنسان، فيكون في موضع الرب لهذا الإنسان)[1].

إن من يقارن هذا التفسير الحادث لمعنى الكلمة السواء، بالتفسير القرآني الأثري الذي ذكره الطبري، يدرك بعد الشقة، وطول النقلة التي يتجشمها هؤلاء العصرانيون في تعطيل آي الكتاب عما نزلت فيه، وحملها على محامل متعسفة مستكرهة. فإذا بالنداء التوحيدي الصريح الذي يدعو القوم إلى نبذ عقيدة التثليث، ودعوى ربوبية المسيح، واتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، يتحول إلى خطاب ثوري مسكونٍ بشعارات سياسية خاصة، ويُفَرَّغ من محتواه العقدي الأصيل، ليُضَمَّن دعواتٍ إنسانية عامة يتشدق بها كل أحد، ولا يتميز بها أحدٌ عن أحد.

٢ ـ د. يوسف الحسن:

قال: (وهدف الحوار مع المسيحية هو الوصول إلى «كلمة سواء» لعمل الصالحات والنافعات للبشرية، ولمواجهة الطغيان، وتحقيق معرفة كل طرفٍ بالآخر، وإزالة سوء الفهم، والتعاون على البر والتقوى.

وتنادي الرؤية الإسلامية، بضرورة الجهر بالحق في المسائل التي تهم الناس، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة... وتحرص على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر، والتسليم بمبدأ الاختلاف، ومبدأ حرية الاختيار، «لكم دينكم ولي دين»)[2].

إن المرء ليعجب أشد العجب من تخوّض هؤلاء الكتاب في

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٤٦ ـ ٤٧).
(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات. (٤٣ ـ ٤٤).

آيات الله دون رادع من تقوى، أو حياء من الله أو من الناس، أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، بل ما يعلم أدنى من له معرفة باللغة أنه خلاف مراد الله. فمضمون الكلمة السواء مضمون عقدي خالص؛ عبادة الله وحده، ونبذ الشرك، وعدم اتخاذ الأرباب من دون الله، ثم يزعم الكاتب أن الرؤية الإسلامية تحرص على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد!! ليس هذا فقط، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر والتسليم بمبدأ الاختيار، وكأن ذلك معنى ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] أو معنى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون].

إن في هذا الطرح استهتاراً بعقول القراء، وتغييباً للأمة عن الحقيقة الجلية واستدراجها إلى سبيل غير سبيل المؤمنين.

٣ ـ د. يوسف القرضاوي:

ومن صور حجب الحقيقة الكاملة في تفسير ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ ما فسر به د. يوسف القرضاوي آية آل عمران السابقة بقوله: (لست رباً لي، ولست عبداً لك، كلنا عبيد لربٍ واحد، وينبغي أن نوحد الله ولا نشرك به، فهذه الجوامع التي يدعو الإسلام إلى أن تكون هي ملاك الحوار، وأساس الحوار بين الأطراف المختلفة)[(١)].

ونبادر فنطمئن الكاتب أن النصارى لن يرفضوا هذه الجوامع، بل إنهم يزعمون أنهم أصحاب ديانةٍ توحيدية. والمطلوب أن نواجههم بما واجههم الله به بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١] وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢].

وهل يظن الكاتب أن نصارى نجران الذين نكصوا عن المباهلة،

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي (١٦، ١٧).

ورضخوا للجزية كانوا رافضين للجمل العامة التي فسر بها الكاتب «الكلمة السواء»؟ أم كانوا رافضين لما تستلزمه هذه الآية بداهةً من إنكار التثليث، ودعوى ألوهية المسيح، وبنوته، واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله؟

يجب أن تذكر الحقيقة كاملة صريحة واضحة دون غمغمة أو تلجلج، مقرونة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة. فلا يحل للعلماء ولا للدعاة أن يحجبوا أو يجتزئوا دلالة النصوص لأي اعتبار من الاعتبارات، أو مصلحةٍ مظنونة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران]. فالحذر الحذر من هذا المزلق، فالدين دين الله، والهدي هدي رسول الله ﷺ.

٤ ـ محمد عمارة:

ومن صور التحريف الخطيرة لمعنى ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ ما انتهى إليه محمد عمارة بعد ركضه المتواصل في مضمار قلب الحقائق، وإنكار المعلوم من الدين بالضرورة، في كتيبه «الإسلام والوحدة القومية» حيث يقدم في صفحاته الأخيرة عرضاً فاجراً أسماه «كلمة سواء» يستجدي به أهل الكتاب، ويسخط به رب الأرباب، ننقله بطوله لخطورته:

(ولقد كان الفكر الشائع لدى مختلف الفرقاء، وهو ما كانوا يحذرونه جميعاً، هو أن المسلمين إذا اعترفوا بنجاة غيرهم، وهم على شرائعهم، فإن ذلك يعني التخلي عن ضرورة الاعتراف بنبوة محمد ورسالته، الأمر الذي يقدح في صدقه وصدق رسالته... وأيضاً فإن اعتراف غير المسلمين بنبوة محمدٍ ورسالته يستوجب ترك الشرائع غير الإسلامية، والدخول في شريعة المسلمين.

وهذا الفكر الشائع هو الذي يقف ـ إذا نحن تأملنا واقع الاعتقادات الدينية لدى الجميع ـ خلف إنكار المسلمين النجاة على من لا يؤمن بمحمد، ورفض غيرهم التصديق بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام. لكن... الآن... وبعد هذا العرض الذي قدّمته صفحات هذا الكتاب لقضية «وحدة الدين الإلهي وتعدد شرائعه». هل يستطيع جميع الفرقاء أن يتفقوا على كلمة سواء:

أن يتخذ أبناء كل شريعة شريعتهم طريقاً ونهجاً خاصاً لتدينهم بالعقائد الأصلية للدين الإلهي الواحد، وأن يعترف الجميع بصدق النبوة والرسالة، وألوهية الشريعة كما هي لدى الآخرين، وأن تكون للشرائع المختلفة، ولأنبيائها الاحترام والقدسية اللائقان بتراث الإنسانية، من الفكر الديني ووحي السماء إلى الإنسان؟

فكما أن اعتراف المسلم بشريعة عيسى أو موسى، وبرسالتيهما، لا يلزم منه ترك شريعة محمد، واتخاذ العيسوية أو الموسوية طريقاً للتدين بالدين الإلهي الواحد، فكذلك الحال مع اعتراف المسيحي واليهودي بشريعة محمد ورسالته، لا يستلزم منه أن يدع شريعته ويستبدلها بشريعة الإسلام.

فليحتفظ كل بشريعته... وليعترف الجميع بكل الشرائع وجميع الأنبياء... ولكن التنافس في سلوك كل فريقٍ طريقه ونهجه للاقتراب أكثر فأكثر من الإيمان الحق بالأصول الحقة للدين الإلهي الواحد. تلك هي القضية التي نطرحها منطلقاً للإخاء الديني الذي يمثل بالنسبة لأمتنا ما هو أكثر من «بندٍ في برنامجٍ مرحلي» أو قضية «تسامح واستنارة فكرية للصفوة»)[1].

بعد اللهاث الطويل في تحريف النصوص والقول على الله بغير

(١) الإسلام والوحدة القومية. (٢١٧ ـ ٢١٨).

علم، يقدم محمد عمارة العقيدة الإسلامية التي سماها فكراً شائعاً، قرباناً على مذبح الإخاء الديني لصنم الوحدة القومية والوطنية. وصاغ البيان الختامي الذي أُعِد من قِبَل طرفٍ واحد، بل فردٍ واحد هو: هو، دون أن يمنحه أحدٌ من أهل الأديان حق التمثيل، وطفق يعبث بعقيدة الأمة ويفاوض عليها، وكأنه يفاوض إحدى دور النشر على صفقة طباعة أحد كتبه، ثم «يرتجل» إعلان فقرات «كلمة سواء»:

• يتخذ أبناء كل شريعة شريعتهم طريقاً، ونهجاً خاصاً، والإسلام ليس ملزماً لليهود والنصارى.

• يعترف الجميع بصدق النبوة والرسالة، وألوهية الشريعة، كما هي لدى الآخرين.

ويحبس الكاتب أنفاسه، فلا يكاد يطلب من اليهود والنصارى الإيمان بالنبي محمد ﷺ طلباً صريحاً جازماً، لقاءَ ما قدم لهم من تنازلاتٍ ضخمة، بل تأتي عبارة متدسسة تمشي على استحياء، حتى لا تخدش مشاعر القوم، وتجرح عقيدتهم: «مع اعتراف المسيحي واليهودي بشريعة محمد ورسالته». فلينتظر محمد عمارة أن يتزاحم اليهود والنصارى على بابه لتقديم الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، بعد أن مرغ عقيدته في الرغام مداهنةً لهم، وطلباً لرضاهم، ولن يفعلوا. فصار المسكين كالشاة العائرة بين قطيعين.

ومن صور التحريف لمعنى: ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ تهويناً، واعتبارها «تحصيل حاصل».

٥ ـ كامل الشريف:

قال: (إن الحوار يقنع باللقاء على الحد الأدنى، بافتراض أن الاتفاق مهما كان صغيراً في البداية إلا أنه يخلق «ديناميكية»[١] خاصة

(١) ديناميكي Dynamic، وديناميكا Dynamism: القوة الفعالة، المتحركة، النشيطة.

ترتاد به آفاقاً جديدة في طريق الوفاق. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤][١].

إن الكلمة السواء في نظره «حد أدنى»، و«اتفاق صغير»، ومجرد معبر «ديناميكي» لارتياد آفاقٍ جديدة. ترى أين يريد أن يذهب، سوى مذهب التوحيد والإيمان الخالص ونبذ الشرك؟!

إن المرء ليأسف أشد الأسف حين يرى هرقل، ونصارى نجران، أعلم بمراد الله من بعض المسلمين. فتعظم الكلمة السواء في نفوس أئمة الكفر، ويستنكفون عن الإذعان لها وقبولها، حتى تحيص بطارقة هرقل وعظماء الروم حيصة حمر الوحش[٢]، وتبلغ المحاجة من نصارى نجران إلى حد الوصول إلى المباهلة، وبعض المسلمين لا يرفع بها رأساً.

٦ ـ د. حسن الترابي[٣]:

وفي خطوة متقدمة، يتقدم د. حسن بن عبد الله الترابي بمشروع علمي لم تتفتق عنه أفكار الأولين، مؤسسٍ على تحريفٍ جديد لمعنى «الكلمة السواء» فيقول:

---

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي. بحث مقدم للندوة العامة للحوار الإسلامي المسيحي. عن مجلة أرض الإسراء عدد ١١٥ رجب ١٤٠٨ آذار (١٩٨٨م) (٣٣).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٧).

(٣) ولد في كسلا شرقي السودان عام ١٩٣٢م. تخرج من كلية الحقوق بجامعة الخرطوم عام ١٩٥٥م، نال شهادة الماجستير في القانون في لندن عام ١٩٥٧م، والدكتوراه من السربون عام ١٩٦٤م. انخرط في العمل السياسي منذ نهايةِ الستينيات. وشغل منصب النائب العام من (١٩٧٩ ـ ١٩٨٢م)، ثم عين مستشاراً رئاسياً حتى ١٩٨٥م. ثم سجن في آخر عهد النميري. أسس الجبهة الإسلامية القومية التي حكمت السودان. تولىٰ منصب الأمين العام للمؤتمر الشعبي العربي الإسلامي. من مؤلفاته: «المرأة في الإسلام»، «الصلاة»، «الحركة الإسلامية في السودان ١٩٨٩م». انظر: حوارات في الإسلام الديموقراطية، الدولة، الغرب (١٩) بقلم بشير نافع.

(... هذه هي دعوتنا اليوم: أن نقيم جبهة «أهل الكتاب». والكتاب عندما يطلق في القرآن يقصد به كل كتابٍ جاء من عند الله. وميثاق هذه الجبهة: ألا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله[١]. ونفهم من ذلك: ألا نقبل أي فكرٍ وضعي ينقض الهدي الإلهي، وأن لا نقبل الدعوات اللادينية التي ترمي إلى هدم المثل والأخلاق الدينية...

ونحن اليوم مواجهون بتحدي الدفاع عن أصل التدين في الأرض. وهذا التحديث ينبغي أن يدفعنا نحو تجاوز الشكوك والتوجسات، لنتعاون على البر المشترك بين الأديان، ولنبدأ صفحة جديدة من الحوار الذي يحيى مثالاً دينياً في كيفية التعامل مع الآخر بالبر والحسنى. فقد ظلت الأمراض ملازمة لحركة المتدينين، تعيبهم بالعجز عن الحوار مع الآخر، والعجز عن التعايش مع الآخر)[٢].

- **ونعقب على هذا الكلام بما يلي:**

١ ـ لأول مرةٍ في تاريخ المسلمين يُحشر المسلمون مع اليهود والنصارى تحت مسمى أهل الكتاب. وقد علم القاصي والداني، والصغير والكبير، أن مصطلح أهل الكتاب يستعمل في الكتاب والسنة باطراد، ويراد به اليهود والنصارى[٣]، بل كان ذلك مستقراً حتى عند المشركين كما قال تعالى عنهم: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۝١٥٦﴾ [الأنعام]، وليس كما أوهم الترابي، أن الكتاب عندما يطلق في القرآن يقصد به كل كتابٍ جاء من

---

(١) لا أدري لم أسقط الجملة القرآنية ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ من سياق الآية هل كان ذلك سهواً، أم أنها لا تتفق وميثاق جبهة أهل الكتاب المقترح؟

(٢) الحوار بين الأديان، التحديات والآفاق (٥).

(٣) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.

عند الله، إذ الحديث عن مصطلح «أهل الكتاب» وليس عن كلمة «الكتاب»[١]. وإنما يخاطب الله أتباع نبيه محمد ﷺ بقوله: (يا أيها الذين آمنوا)، ولا يشك أحد أن قوله: (يا أهل الكتاب) لا يتناول المسلمين.

فماذا يريد الترابي بهذه البدعة الجديدة التي خرج بها على الأمة باسم «جبهة أهل الكتاب» التي تضم اليهود والنصارى والمسلمين، وربما غيرهم.

وأين رسول الله ﷺ، وحاشاه، عن تكوين هذه الجبهة؟

لقد كتب إلى هرقل، ملك الروم، وأسقف النصرانية، يقول له: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[٢]. أليس لك أيها الترابي في رسول الله أسوة حسنة؟!

٢ ـ حول مفهوم «التدين» الذي يتمسح به الدكتور الترابي، ويراه جامعاً مشتركاً لجبهة أهل الكتاب، هل يعتقد أن أهل الكتاب على دينٍ حق، وأن ما يمارسون من شركيات تديُّن لله رب العالمين؟

نعلم أن أهل الكتاب خيرٌ من سائر أصناف الوثنيين، ولكن هذا

---

(١) على أن كلمة «كتاب» ترد في القرآن باستعمالات شتى مثل: القَدَر، واللوح المحفوظ، والأجل... إلخ، انظر: مادة (كتاب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٥٩٢ ـ ٥٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٦/١).

لا ينقلهم أيضاً إلى دائرة المؤمنين، ولا يدفعنا ـ كما قال الترابي ـ: (نحو تجاوز الشكوك والتوجسات لنتعاون على البر المشترك بين الأديان)، كيف وقد قال الله تعالى:

﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

ألا يوجب ذلك ما هو أعظم من الشك والتوجس؟

٣ ـ يتطبب الدكتور الترابي، ويشخص أمراض المتدينين، فيجد من بينها العجز عن الحوار مع الآخر والتعايش مع الآخر. وهي كلمات مجملة تثير التساؤلات، فهل يدخل في هؤلاء «المرضى» رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وسلف هذه الأمة؟ أم هو عموم أريد به الخصوص؟ نرجو ذلك.

وماذا يعني «الحوار» و«التعايش» الذي عيب أولئك المتدينون بالعجز عنه؟

أهو من قبيل: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم] وإلغاء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا. فهنيئاً لهم ما عيبوا به.

إن العقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، تملكان من فرص التواصل مع البشرية، وآفاق التعاون ما لا تملكه أيديولوجية أخرى، ولكن وفق معاييرهما لا معايير الآخرين. إن الإسلام انفتاح واتصال وحركة دؤوب، وهو أبعد ما يكون عن الانغلاق والانكفاء والعنصرية. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران]، ولكن لنأت البيوت من أبوابها، ولنفتح القلوب بمفاتيحها.

٧ ـ سعود المولى:

ويتجاوب مع دعوة الترابي لقيام «جبهة أهل الكتاب» كاتبٌ ذو انتماء طائفي مغاير، بالدعوة إلى قيام «حلفٍ إبراهيمي» جديد، لإحياء ما اندثر من ملة إبراهيم ولكن لمواجهة الفقر والجوع... إلخ، يقول سعود المولى: (في مواجهة النظام العالمي الجديد القائم على القوة المادية المستلطة (كذا) والعمياء، وفي مواجهة الفقر والجوع والتخلف والانهيارات الكبرى، المادية والمعنوية، في الدول والأمم، وفي الشعوب والأجناس والأعراق، لا بد من قيام حلفٍ جديد، ككتلة تاريخية صاعدة، جبهة إيمانية مشتركة، تضم المؤمنين، على قواعد وأصول التوحيد الإبراهيمي، وفي سعي مشترك لبناء عالمٍ أفضل تسوده قيم الحق والعدل والكرامة)[1].

وهذا الحلف المقترح ليس له من المضمون الديني سوى الانتماء الاسمي فقط، ولا يمت لإبراهيم عليه السلام بصلة سوى دعوى جميع الفرقاء أنهم منه، أو أنه منهم، وقد حسم القرآن هذا الخلاف بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي ـ ضرورة المغامرة (٤١ ـ ٤٢).

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران].

ولكن دعاة التقريب بين الأديان يصرون في مشروعهم البدعي على تنحية أخص أوصاف أطراف الحوار، وهو «الصفة الدينية» فيكاد ينعقد إجماعهم على تنحية «الحوار الديني» وإحلال البدائل المعاشية الدنيوية محله، وتلك ـ لعمر الله ـ ليست سبيل المؤمنين. ومن شواهد ذلك:

١ ـ محمد مهدي شمس الدين:

قال: (إن الحوار تارة يراد منه أن يتناول العقائد، وهذا أمرٌ نراه فاشلاً، يعني لا قيمة له، لأنه نعتقد أن حواراً من هذا القبيل نهايته الفشل... الحقل المنتج والناجع للحوار الإسلامي المسيحي هو حقل المفاهيم الأخرى الحياتية خارج العقائد. الموقف من قضايا الحرية، الموقف من قضايا الاقتصاد الدولي، الموقف من قضايا القمع السياسي، الموقف من الأزمة الأخلاقية للبشر، الموقف من المواد المضرة مثل قضايا المخدرات، الموقف من قضايا البيئة، هذه الأمور التي يمكن أن نجد فيها قواسم مشتركة. أما في المسألة الاعتقادية يوجد قاسم مشترك موجود، وهو الحقائق الكبرى الثلاث للإيمان الإبراهيمي؛ وهي التوحيد، والنبوة العامة، والإيمان باليوم الآخر، وهذه أمور لا تحتاج إلى حوار لأنها متفق عليها)[1].

لقد اتسع حقل الحوار المنتج الناجع لمناقشة جميع القضايا ـ لدى دعاة التقريب ـ وضاق عن العقيدة، فالحوار فيها محكوم عليه بالفشل مسبقاً، أو هو متفقٌ عليه ـ بزعمه ـ لا مبرر له. اللهم إنا نبرأ إليك من موافقة كفرة أهل الكتاب في قضايا التوحيد والنبوة والمعاد.

---

(١) مجلة المعارج البيروتية. مقابلة. العددان (٦، ٧) ذو القعدة، وذو الحجة ١٤١١هـ حزيران، تموز ١٩٩١.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى].

٢ ـ سعود المولى:

وهكذا يتجه تلميذه سعود المولى حين يشرح فكرة مشروع الحلف الإبراهيمي ـ المذكور آنفاً ـ ويبين موقع «النظرية الدينية» و«الحوار الديني» في ذلك المشروع قائلاً: (إن الانطلاق من النظرية الدينية، ومن الأصول الكبرى للتوحيد الإبراهيمي لصوغ مشروع حضاري جديد، هو الذي يسمح للحوار أن يكون ولوداً خلاقاً، فيستنطق الخبرات والتجارب، ويضع التفكير الديني في سياقٍ مجتمعي تعددي. ويعيد اكتشاف القيم والمبادئ الروحية والأخلاقية المشتركة، داخل خبرة وتراث الجميع، ومن أجل الجميع...

إن الدين وقيمه ومبادئه يصبح منطلقاً للحوار، لا موضوعاً له)(١).

وفي موضعٍ آخر: (إن المطلوب من الحوار هو توليد قيمة جديدة نابعة من الإيمان الديني الإبراهيمي، واكتشاف المساحات المشتركة التي توحد بين الدينين في قضايا الإنسان والمجتمع. فيكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية المشتركة منطلقاً للحوار، لا موضوعاً له، ويكون الحوار هادفاً لاستنباط صيغٍ جديدة في الإدارة والتنظيم السياسي والمجتمعي، ووسائل جديدةٍ في الثقافة والاقتصاد والإنتاج، تجعل

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي ـ ضرورة المغامرة (٤٥).

الإنسان يحتفظ برقيه المادي، ويستعيد في الوقت نفسه ذاته وإنسانيته)[١].

إن دور الدين في مشروعهم دورٌ صوري، وهو ليس مادة للحوار ولا موضوعاً له، بل مجرد لافتة فارغة تمارس باسمها المناشط الحياتية المادية في الإدارة والتنظيم والاقتصاد والإنتاج. أما «التفكير الديني» فسيحشر في سياق مجتمعي تعددي.

لِمَ لا يمارس هؤلاء ما تصبو إليه نفوسهم وتطلعاتهم المادية بعيداً عن مظلة التقريب بين الأديان، حيث كل شيءٍ يناقش ويبحث، سوى الدين ذاته؟!

٣ ـ د. حسن الترابي:

قال: (لا بد من تكثيف الحوار وتأسيس المنابر المشتركة لا لمناقشة القضايا اللاهوتية، ولكن لمناقشة ما يمكن أن نفعله سوياً لإشاعة المثل والقيم الدينية في عالمٍ ينزلق يوماً بعد الآخر في مستنقع الجاهلية الآسن)[٢].

إن استبعاد الحوار العقدي هاجس حاضر لدى دعاة التقريب، مع أن المسلمين هم أسعد الأطراف بنتائجه، فأي ديانة تستطيع أن تصمد اليوم أمام صلابة وعمق وشمول وتوازن العقيدة الإسلامية، وكل ما سواها فخليطٌ من المتناقضات والخرافات والفلسفات الباهتة. ودعاة التقريب من العصرانيين ـ أو بعضهم ـ يدركون هذا، ولكنهم لا يريدون نقل الحوار إلى هذه الأصعدة مداهنة لأهل الكتاب الذين يرونهم يمسكون بزمام الحضارة المادية اليوم.

---

(١) المرجع السابق (٢١١).

(٢) الحوار بين الأديان: التحديات والآفاق (٦).

فمما يؤسف له أن يصدر هذا الاحتراز، استبعاد الحوار العقدي، من الدوائر الإسلامية، أو التي تدعي تمثيل الإسلام، ولا يصدر مثله أو قريباً منه من الطرف الآخر. إن هذا يحمل في طياته مغمزاً لهذا الدين ـ وحاشاه ـ الذي يحرص دعاة التقريب من المنتسبين إليه على مواراة هذا الجانب العظيم منه.

٤ ـ الفضل شلق[(١)]:

يفسر عدم صلاحية الدين «مادة للحوار» بما يلي:

(تعود جذور هذه المشكلة إلى الطبيعة الإطلاقية لأديان التوحيد، بحيث يفقد أحدها مبرر وجوده إذا تخلى عن رؤيته في فهم الحقيقة والوصول إليها. ففي عالمٍ تحكمه المطلقات لا يمكن التراجع وتستحيل التسوية...

إن النتيجة المنطقية لذلك هي أن الدين لا يصلح كي يكون مادة للحوار. رغم ذلك يصر البعض على استخدام مصطلح الحوار بين المسيحية والإسلام. والواقع هو أنه حوارٌ بين مسيحيين ومسلمين حول مواضيع لا تتعلق مباشرة بالحقيقة الدينية الإلهية لدى كلٍ من الدينين، ورجال الدين الذين يشاركون في هذه الحوارات يفعلون ذلك لا بوصفهم رجال دين مهمتهم نشر المعرفة الدينية المتمحورة حول الحقيقة المطلقة للدين، بل بوصفهم أشخاصاً على درجةٍ عالية من المعرفة الدينية. وبالتالي فإنهم يعرفون كيف يبقون الحوار بعيداً عن الأمور الجوهرية التي تمس الحقيقة الدينية التي يعتقدونها.

---

(١) الفضل شلق: وزير البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية في لبنان، ورئيس مجلس الإنماء والإعمار سابقاً، رئيس تحرير مشارك لمجلة «الاجتهاد». من مؤلفاته: «الطائفية والحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٧م»، «إشكاليات التوحد والانقسام. ودراسات في الوعي التاريخي العربي ١٩٨٦م»، «الأمة والدولة: جدليات الجماعة والسلطة في المجال العربي الإسلامي ١٩٩٣م». انظر تعريفاً مقتضباً في مجلة الاجتهاد في ملحق الأعداد (٢٩ ـ ٣٢).

لكي يكون الحوار جدياً يفترض أن ينحصر الأمر بالشؤون التي تعتبر معرفتها نسبية، وهي مجمل المعرفة البشرية، ما عدا المبني منها على المطلقات الدينية، أي الوحي الإلهي. وهذا لا يعني أن الحوار يبقى معزولاً عن المسائل الدينية جميعها، فهناك كثير من المسائل التي يعالجها الدين، لكن تعتبر مسائل دنيوية يصح فيها تعدد الآراء، وبالتالي يمكن تقديم تنازلات بشأنها)[١].

ومن هذا العرض يتكشف مفهوم الحوار لدى العصرانيين؛ هدفه، ومهمة المتحاورين، ومادة الحوار:

■ فالحوار أولاً ليس وسيلة للدعوة إلى الدين الحق، وكشف الشبهات، وإقامة الحجة؛ لأن الطبيعة الإطلاقية للأديان الثلاثة تحول دون ذلك، في نظر الكاتب.

لكن سؤالاً يفرض نفسه ها هنا: كيف اعتنق فئام من الناس، وشعوبٌ بأكملها دين الإسلام، وقد كانوا يهوداً أو نصارى، كما يشهد التاريخ والواقع؟

إن الطبيعة الإطلاقية للأديان الثلاثة، وربما وجدت في غيرها، لا تمنع قبول الحق والانقياد له. وبالتالي فثم خلل في هدف حوار التقريب ومنهجيته.

■ أما مهمة المتحاورين فليست (نشر المعرفة الدينية المتمحورة حول الحقيقة المطلقة للدين)، بل قد أحضروا لكي (يبقون الحوار بعيداً عن الأمور الجوهرية التي تمس الحقيقة الدينية التي يعتقدونها). يا للسخرية! أن تكون مهمة صاحب الاختصاص ليست الإفادة من اختصاصه، بل (الإنذار المبكر) عند الاقتراب من مجال الاختصاص.

---

(١) الحوار الذي لم يبدأ. مجلة الاجتهاد (٣١، ٧/٣٢ ـ ٨).

وثَمَّ مهمة أخرى أشد دناءة، وهي القدرة على تقديم تنازلات، بحكم تخصصهم.

■ أما مادة الحوار الجدي فتنحصر بالشؤون التي تعتبر معرفتها نسبية، وهي مجمل المعرفة البشرية، سوى الحقائق الدينية.

تُرى لم يُدعى «رجال الدين» ـ على حد تعبيره ـ إذاً، والدين كله مستبعد من الحوار؟! إن دعاة التقريب يرون في الحقيقة الدينية الصادقة، المؤسسة على التوحيد الخالص، والاتباع المحض الذي لا تشوبه شائبة البدع، يرون في ذلك «عائقاً» أمام طروحاتهم الليبرالية المتحللة، و«سداً منيعاً» في وجه إذابة التميز الحقيقي للأمة أمام تيارات التغريب والمسخ العلماني. فمن ثم يؤطرون مشاريعهم الاندماجية مع الأعداء الدائمين للأمة الإسلامية بإطار الدين، مدركين بعمق أن الحقيقة الدينية عميقةٌ لا يمكن اجتثاثها، شاهقة لا يمكن القفز من فوقها، صلبة لا يمكن اختراقها.

وهم يعترفون بهذا الحضور الديني، ويصطدمون به، ويضطرون إلى أخذه بعين الاعتبار.

٥ ـ كامل الشريف:

قال: (بالرغم من اقتناعنا أن الحوار يجب أن ينأى عن الجدل الديني كلما أمكن ذلك، وأن يكتفي في هذه المرحلة بارتياد حقول التعاون في الأمور العامة التي تؤثر في حياة الأفراد والجماعات... إلا إننا رأينا مع استمرار هذا البحث أن الفكر الديني لم يقف عند الحيز النظري، وإنما فرض نفسه على الواقع السياسي والاجتماعي أيضاً، كما أن من الصعوبة أن نتجاهل الأثر الذي يحدثه هذا الفكر في نظرة كل فريقٍ للآخر)[١].

---

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي على ضوء التجارب السابقة. عن مجلة أرض الإسراء عدد ١١٥ رجب ١٤٠٨هـ آذار ١٩٨٨م.

إن حقائق الفطرة لا يمكن طمسها، ولا تجاوزها بشعارات عاطفية، وحملاتٍ إعلامية، وخير للمشتغلين بقضايا التقارب والحوار من الإسلاميين أن يتجهوا بصدقٍ وإخلاص إلى دراسة المنهج الحق القويم، والاسترشاد بنور الله حتى يضعوا خطاهم على الطريق القاصد المستقيم.

ولا يغني عن ذلك أن تكون قضية العقيدة والتوحيد لجنة فرعية، أو دائرة ثقافية محدودة، ملحقة بمشروع الحوار والتقارب، من قبيل «الترضية»، أو مجرد «الترف الذهني»، كما يحاول سعود المولى أن يقنِّنه على النحو التالي:

(هناك تحفظٌ إسلامي عن حوار اللاهوت وعلم الكلام. إن هذا الحوار مرغوبٌ ومطلوب، لكن مجاله هو العلماء والمحافل العلمية، وليس الصحف والمجلات والمنتديات العامة. والحاجة ماسة اليوم إلى حوار الحياة، والعيش المشترك، حوار قضايا المجتمع والإنسان لاستنطاق قيم الأديان، واستنباط صيغٍ مجتمعية، ومواجهة ظروف وتعقيدات عالم اليوم)[1].

لقد أثبت تاريخ الدعوة الإسلامية أن خطاب العامة والجمهور، أجدى من خطاب النخب من ذوي الرياسات والمقامات الدينية، لحرص الأخيرين على دنياهم ونفوذهم. وليس لدى أهل الإسلام ما يخفونه، أو يستحون من نشره في الصحف والمجلات والمنتديات العامة، إلى جانب المحافل العلمية المتخصصة، وهم أوثق الملل في صدق ما هم عليه، وأنه من عند الله حقاً. وقد كان رسول الله ﷺ يغشى المجالس، ويدخل على اليهود في محل عبادتهم، وفي يوم مدراسهم، وفي بيوتهم، ويجادل النصارى، ويكاتب ملوك الأرض منهم. فمن رغب عن سنته فليس منه.

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٤١).

ويلتحق بهذا الباب أيضاً، قصر الحديث على مواضع الاتفاق في القيم والأخلاق، وإرجاء الحديث عن مسائل الاعتقاد، وهو ملحظٌ بارز في منهجية دعاة التقريب، يخالف المنهج القرآني المنصوص عليه في آية آل عمران. ومن شواهد ذلك:

١ ـ د. يوسف القرضاوي:

قال: (نرى القرآن... يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الاختلاف... ولذلك في حوار أهل الكتاب قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت]. وفي الآية الأخرى: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ۝١٣٩﴾ [البقرة: ١٣٩]. يذكر الأشياء المتفق عليها، وهذا مبدأ مهم جداً: إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه ليكون ذلك سبيلاً إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين. لا نأتي إلى الشيء المختلف فيه، ونقول به، فلا يمكن أن نلتقي... نقول: نبحث ماذا يجمع بيننا؟

نحن معاً نؤمن بالله، ولو إيماناً إجمالياً، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي، نؤمن بعبادة الله، وبالقيم الأخلاقية، وبثبات هذه القيم، نؤمن بوحدة الإنسانية، وبأن الإنسان مخلوقٌ مكرم، نؤمن... نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين. فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليها، يمكن أن نقرِّب بين المختلفين بعضهم بعضاً. من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب. والمهم أيضاً أن يكون عند الآخرين مثل هذه الروح... فيعاملوننا بمثل ما نعاملهم به، ويقتربون منا بقدر ما نقترب منهم)[١].

---

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي (١٥ ـ ١٧).

• **ونسجل على هذا النص الملاحظات التالية:**

١ ـ قوله عن القرآن أنه (يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الاختلاف) غير مُسَلَّم البتة. فكل من يقرأ القرآن، ولو كان عامياً، يدرك بوضوح كثرة الآيات التي تنكر على أهل الكتاب ما وقعوا فيه من انحرافاتٍ عقدية وعبادية وخلقية، وهذا من مقاصد القرآن أصلاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة]، والسور الكريمة: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، ملأى بشواهد ذلك.

أما ما أسماه الدكتور القرضاوي مواضع اتفاق، فالواقع أنه اتفاقٌ من طرفٍ واحد، فالمسلمون يقولون ما أمرهم الله به: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]. ونسائل الدكتور القرضاوي الآن: هل جرى اتفاق أم ظلوا في شقاق؟ قال تعالى مبيناً حال بعضنا وحالهم: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

فلا يَغُرنَّ المسلمين ما يبديه لهم دعاة التقريب من النصارى من البشاشة والترحيب، والتظاهر بالموضوعية، وحب الحوار، في المؤتمرات التي يدعون إليها ويُصَدِّرون فيها بعض المسلمين، فما هو إلا فخ لاصطيادهم واستنطاقهم واستدراجهم إلى مواقف وتصريحات

يرضونهم بها، ويسخطون بها ربهم، دون أن يقابلوا المسلمين طوال القرون بالإيمان بنبيِّهم وكتابه، أو التزحزح قيد أنملة عن شركهم وضلالهم. فالحذر الحذر من مكائدهم فقد نبأنا الله من أخبارهم.

٢ ـ قوله: (إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه، ليكون ذلك سبيلاً إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين. ولا نأتي إلى الشيء المختلف فيه فنقول به، فلا يمكن أن نلتقي... إلخ).

إن هذا الكلام يوحي بأن يقتصر المحاور المسلم على القدر المتفق عليه في البداية، ولا يتعرض للقدر المختلف فيه. ولم يحدد الكاتب مدىً زمنياً لهذه المرحلة. فهل هذا منهج شرعي؟

إن المتأمل في النصوص القرآنية لا يجد أثراً للفصل بين ذكر المتفق عليه والمختلف فيه ـ إن صح أن يوصف بالمتفق عليه ـ بل يجد النوعين في سياقٍ واحد، ومقامٍ واحد.

وشاهد ذلك ما استدل به القرضاوي نفسه:

ففي آية العنكبوت، نجد أن الله تعالى أتبعها بخمس آيات بينات في إثبات تنزيل القرآن على عبده ونبيه محمد ﷺ، والإنكار على الجاحدين لذلك، كما أن آية البقرة جاءت وسط حشد من الآيات المتعلقة بالرد على أهل الكتاب. ولم يكن النبي ﷺ يسلك هذا المسلك الذي يقرره الدكتور القرضاوي، ويصفه بأنه «مبدأ مهم جداً»، بل يبادؤهم بالدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك، حتى بلغ الأمر مع وفد نصارى نجران إلى «المباهلة»، ولم يرَ النبي ﷺ ما يراه المتأخرون من تأجيل البحث في مسائل الخلاف. بل الواقع يشهد بكثرة الحديث والتأليف فيما يسمونه بـ «المساحات المشتركة» بين الأديان، وعدم التعرض لمسائل الاعتقاد الكبرى[1].

---

(١) انظر: على سبيل المثال إصدارات مركز الأبحاث في الحوار المسيحي=

يقول كامل الشريف: (بالرغم من اقتناعي بوجوب الابتعاد عن الجدل الديني، وخصوصاً في اللقاءات المعلنة في هذه المرحلة، إلا إنني أرى تشجيع حركة الكتابة والتأليف التي تتجه للبحث في القواعد المشتركة للديانتين، أو تعمل على تحقيق الاعتراف المتبادل بينهما، وتبني نشر ما يصدر عنها من إنتاج)[(١)].

إن هذا المنهج ليس منهجاً شرعياً، ولا يندرج تحت مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، لأنه لا يستهدف أصلاً دعوتهم إلى الإسلام، بل يستهدف مجرد التقريب، وإقرار الغير على كفره وباطله، وعدم النكير عليه، بل الاعتراف به، وتبني ما يصدر من إنتاجه، فأين هذا من منهج القرآن، وهدي نبي الإسلام ﷺ؟!

بل إن هذا المنهج لا يتفق وفلسفة الحوار التي يتغنون بأنها تقوم على عنصر التنوع والاختلاف، وإلا لما كان للحوار مسوغٌ أصلاً. فتصبح تلك المداولات التي تلهث في إبراز نقاط التشابه، وطمس نقاط الخلاف مجرد صدى، ورجع الصدى فحسب.

يقول د. محمد هلال: (... يغدو من الواضح أن التركيز على إبراز نواحي الالتقاء والتشابه، وإغفال نواحي الاختلاف بين الأديان، أمرٌ مخالفٌ للمقصود من الحوار وهو: فهم المخالِف من حيث هو مخالِف. كما أن من الغباء محاولة التظاهر بمسح الاختلافات بين نظريات أصبحت معروفة، ولا يمكن بحال طمس معالمها من الفكر

= الإسلامي في حريصا ـ لبنان، مثل: العدل في المسيحية والإسلام؛ الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام؛ السلام، الإصغاء إلى كلمة الله في المسيحية والإسلام؛ من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون. المكتبة البولسية. جونية ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي على ضوء التجارب السابقة (٤٠). العدد (١١٥) رجب (١٤٠٨هـ) آذار (١٩٨٨م).

والتاريخ البشري. فالإسلام والمسيحية ـ كما تُعرض وتُعَلَّم اليوم ـ يختلفان في أساسهما العقيدي، ونظرية كل منهما أصبحت واضحة معروفة. ومحاولة مزجهما، أو الخلط بينهما على هذا المستوى، تعني الخوض في عملٍ بلا طائل)[(١)].

وحتى لو قَبله المحاور المسلم لمسوغاتٍ مصلحية موهومة، فإن المحاور النصراني يستنكف عن قبوله، ويعده ضرباً من خيانة الضمير، وخرقاً لشرط الحوار الجاد.

رابعاً: الدعوة إلى إيقاف الدعوة إلى الله تعالى:

إن من لازم حرف مسار العلاقة بأهل الكتاب عن الجانب العقدي، وإشغالها بأمور جانبية، ومسائل ثانوية، الزهد بأمر الدعوة إلى الله، بل السعي نحو إيقافها وتجميدها، باعتبارها لا تتفق ونزاهة الحوار. وقد صرح بإبطال هذا الأصل العظيم بعض دعاة الحوار والتقريب:

يقول د. يوسف الحسن:

(إن الحوار الذي نفهم ليس دعوة مبطنةً. فمن التزم الحوار وقبله نهجاً، يكف عن الدعوة والتبشير في الوقت الذي فيه يحاور. فالحوار الذي نقصد، له مصالح أخرى مشتركة، لا يدخل التبشير أو الدعوة ضمنها)[(٢)].

بمثل هذه الصراحة المخزية ينحط دعاة التقريب المفتونون بالحوار إلى هذه الدركات، ويهدرون مقاصد الشرع، ومنهج الأنبياء في سبيل مصالح موهومة. فما هي تلك المصالح التي تفوق مصلحة

---

(١) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٧٩ ـ ٨٠).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (١٢).

تعبيد الناس لرب العالمين، وغاية سعي الأنبياء والعلماء والدعاة والمجاهدين، وسر خيرية هذه الأمة؟ لا شك أنها كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

٢ ـ د. حسن إسماعيل عبيد:

قال: (إن الحوار يرفض مبدأ أي توجه إحلالي يسعى إلى نسخ الديانات القائمة، وتمثلها، واستيعابها في دينٍ ما، بحسبان أنه الأقوم أو الأفضل أو الأحسن. إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة باختلاف منطلقاتها العقائدية، ورؤيتها للكون والإنسان وللحياة)[١].

لقد استزل الشيطان هؤلاء المفتونين بطاغوت الحوار حتى أنكروا ما هو معلومٌ من الدين بالضرورة، وهو نسخ دين الإسلام لجميع الأديان، وأنه الأقوم والأفضل والأحسن، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء]، وقال ممتناً على عباده في ختام حياة نبيه ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [آل عمران:٣]. والكاتب يرفض أي توجه إحلالي، الذي هو حقيقة الدعوة إلى الله، والطامة الكبرى إنكاره أن الإسلام هو الأقوم والأفضل والأحسن، أي من الأديان الأخرى، وتلك لعمر الله قاصمة الظهر، ومن شك في كفر اليهود والنصارى فهو كافر[٢].

(١) سوسيولوجيا الأديان. بحث مقدم لمؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم عام ١٩٩٤م (١٠).

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٦٨).

٣ ـ صبحي الصالح[١]:

أعلن في محاضرة بعنوان «المسيحية والإسلام في لبنان أضواءٌ وتأملات» عام ١٩٦٥م، أعلن فيها أمام الملأ من النصارى والمسلمين أن (الإسلام قد أقر مبدأ الحوار مع الأديان منذ زمنٍ بعيد، وما دام قد خص المسيحية والمسيحيين بالمودة والحنان، فلا ريب أنّا ـ باسم هذا الدين ـ نرحب بكل تقاربٍ إسلامي ـ مسيحي، ولا سيما إذا أيدته الأوساط الكنسية الرسمية في مجامعها المسكونية)[٢]، ويقول مطمئناً مستمعيه: (إنّا لا نطمع ـ في الشرق العربي ـ بزيادة عددية تنشأ عن النشاط في الدعوة إلى اعتناق الإسلام، بل الذي نصبوا إليه في حوارنا ليكون مجدياً مفيداً ـ أن يحترم بعضنا بعضاً، وأن يفهم أحدنا الآخر، وأن يطلع كل منا على تعاليم أخيه، وأن نتناسى مآسي الماضي، وما افتعل فيه من ظروف سيئة لتوهين روابطنا، وأن نبني تعاوننا على أساس كرامة الإنسان بوصفه إنساناً...)[٣].

---

(١) صبحي الصالح: (١٣٤٥ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٢٦ ـ ١٩٨٦م) ولد في طرابلس، وتعلم فيها. حصل على الشهادة العالية (الإجازة) من كلية أصول الدين عام ١٩٤٧م، كما نال الشهادة العالمية عام ١٩٤٩م، ثم شهادة دكتوراه الدولة في الآداب من فرنسا عام ١٩٥٤م. عمل أستاذاً للإسلاميات وفقه اللغة في الجامعة اللبنانية، وتولى عدة مناصب شرعية منها: نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، والأمين العام لرابطة علماء لبنان، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة. أغتيل في السابع من أكتوبر في بيروت. من مؤلفاته: «الإسلام والمجتمع العصري»، «النظم الإسلامية»، «علوم الحديث ومصطلحاته». انظر: تتمة الأعلام (٢٤١/١ ـ ٢٤٢) ذيل الأعلام (١٠٣).

(٢) عهد (الندوة اللبنانية) خمسون سنة من المحاضرة: دار النهار ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٧م. (٤٩٠).

(٣) المرجع السابق (٤٩٣).

فلا تخطئ العين، ولا يعزب عن البال التلازم الوثيق بين الدعوة إلى التقارب، والزهد في الدعوة إلى الله. وما أبشع ذلك حين يعلن دعاة التقريب تلك الفرية (باسم الإسلام).

٤ ـ محمد الطالبي:

ويتدسس كاتب رابع، مغرقٌ في الإعجاب بالنصارى، بكلماتٍ مفضوحة مرتدياً لبوس الرهبان، ليهدم جانب الدين فيقول: (أن لفظة «الجهاد» في مدلولها اللغوي ومضمونها الأساسي لا تفيد الحرب مهما كانت قداسة هذه الحروب... فلا يفيد الجهاد الحرب، وهو إذن غير ذلك. إنه أصلاً وأساساً ـ مجهود أعظم وأكمل يبذله الإنسان في سبيل الله. ويدقق الحديث النبوي الشريف أن أصفى أنواع الجهاد وأعسره وأخصبه، في آنٍ واحد، هو الجهاد الأكبر، الذي يقع داخل ميادين النفس البشرية. وهذا يعني أن أحسن أشكال الدعوة إلى الإيمان هو شهادة نفسٍ فازت في معركة الكمال الأخلاقي. فالدعوة بواسطة مثل هذه الشهادة هي أخصب دعوة، وهي بالإضافة إلى ذلك الدعوة الوحيدة التي تتماشى مع عصرنا، ويمكن لها أن تكون في غنىً عن الدعاية الدينية. ألم يذكِّر الله رسوله نفسه في القرآن أنه لا يستطيع أن يهدي إلى سبيل الله ما شاء من الناس، وأن الله في نهاية الأمر هو الذي يهدي إلى سبيله من أراد: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص].

فواجب الدعوة إذاً يتمثل لدينا في تقديم شهادة، ولله أن يدخل في دينه من يشاء.

ونجد في القرآن أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. لذلك ليس من المستحيل أن نكوّن نظرية إسلامية للدعوة تتماشى واحترام الغير احتراماً

كاملاً. ومن البديهي أن يكون ذلك ممكناً بالنسبة للدين المسيحي، وهو دين الشهادة بعذاب الموت. وهو ممكن أيضاً بالنسبة للديانات الأخرى)[١].

هنيئاً للمستشرقين والمنصرين بأمثال هؤلاء «السمَّاعِين» لهم، المرددين بوعي، أو غير وعي، شبهاتهم، اللاهثين في تنفيذ مخططاتهم، وخدمة مصالحهم.

فالكاتب يؤول فريضة «الجهاد» تأويلاً باطنياً بارداً، بقصرها على الجهاد الصوفي الذي يفصل بين جهاد النفس وجهاد الأعداء. ويتبجح بالجزم بأن لفظة «الجهاد» لا تفيد الحرب مهما كانت قداسة الحرب. فأين قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال]، وقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، لم يختلف في دلالة «الجهاد» على القتال وحرب الكفار اثنان من المسلمين، حتى نبغ ربائب المستعمرين في البلاد الإسلامية في هذ العقود المتأخرة. وكان ينبغي أن يقول: إن لفظة الجهاد في مدلولها اللغوي أعم من الحرب، فتشمل الجهاد بالنفس والمال والعلم والبيان.

ويلوح الكاتب في تخشع وتنسك، بحديثٍ ضعيفٍ لا تقوم به حجة، رواه الخطيب البغدادي[٢]، والبيهقي وضعفه عن جابرٍ مرفوعاً:

---

(١) الإسلام والحوار. أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. عن: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٤).

(٢) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ولد سنة ٣٩٢هـ، وقيل سنة ٣٩١هـ، واشتهر وذاع صيته في حياته، توفي سنة ٤٦٣هـ، من تصانيفه وهي كثيرة=

«قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه»[1]. وهو ضعيف السند، منكر المتن. فلو كان القعود عن الجهاد القتالي، خيراً من النفرة في سبيل الله لاختاره النبي ﷺ لأمته، ولما جشمهم عنت القتال، فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم. والحق أنه لا انفصال بين الجهادين، ولكن البطالين والمخذلين يحلو لهم ترديده، والاستدلال به على تهوين ما عظمه الله ورسوله ﷺ من أمر الجهاد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أما الحديث الذي يرويه بعضهم، أنه قال في غزوة تبوك «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله. وجهاد الكفار من أعظم الأعمال؛ بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان»[2]، ثم ساق النصوص في ذلك.

ولكن الكاتب لا يكتفي بإبطال الجهاد، بل يتجارى به الهوى كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فيدعو إلى إيقاف الدعوة إلى الإسلام، والاكتفاء بالقدوة الشخصية. فكما حَجَّر الجهاد في مجاهدة الهوى، حجَّر الدعوة إلى الله، التي هي عنوان خيرية الأمة، ليحصرها في الالتزام الخلقي الشخصي.

ويخرج الله ما يكتمون، فإذا به يعلل دعواه لوقف الدعوة بما يلي:

= وغزيرة: «تاريخ بغداد»، و«الكفاية في علم الرواية»، و«تقييد العلم»، و«الفقيه والمتفقه»، وغيرها. الأعلام (١/ ١٧٢)، معجم الأدباء (١/ ٢٤٨)، طبقات الشافعية (٣/ ١٢)، النجوم الزاهرة (٥/ ٨٧)، وفيات الأعيان (١/ ٢٧).

(١) انظر: الجامع الصغير (٢/ ٢١١) رقم (٦١٠٧) ورمز له بالضعف، وضعيف الجامع (٤/ ١١٨) وانظر: ما كتبه الدكتور محمد أمين المصري رحمه الله في كتابه القيم: المسؤولية (٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٩٧).

١ ـ أنها لا تتماشى مع عصرنا

٢ ـ الحاجة إلى الدعاية الدينية.

٣ ـ أن الهداية بيد الله.

٤ ـ أنها لا تتماشى مع احترام الغير احتراماً كاملاً.

وبالتالي فإن نظريته الإسلامية للدعوة بالاكتفاء بـ «تقديم شهادة»، يقضي على كل تلك السلبيات.

أفلا يلتفت هذا المفتون إلى أوليائه من النصارى الذين يصف دينهم بأنه «دين الشهادة بعذاب الموت» لينظر ما يصنعون، وما يبذلون في سبيل الدعاية الدينية في أوساط المسلمين، وغير المسلمين، الفقيرة والمضطرة، من أعمال التنصير، وسرقة الأطفال، والتهديد بالحرمان... إلخ من صور الممارسات المنحطة لعبَّاد الصليب، ثم لا يرى هذا المغيَّب وأمثاله في ذلك عدم احترامٍ للغير، أو عدم تماشٍ مع عصرنا. وفوق هذا يستدل على صده عن سبيل الله بآية من كتاب الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص].

ولا أحسب الكاتب يفقه الفرق بين هداية التوفيق والإلهام، التي هي من خصائص الله ﷻ، ولا يستطيعها مخلوق، كما دلت هذه الآية، وهداية الدلالة والإرشاد، التي هي وظيفة الرسل وأتباعهم من العلماء والدعاة، كما دل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى]. وإنما يفقه جيداً التعبيرات الكنسية، ويهجر دلالاتها الإسلامية، كما يتضح في استعماله لفظ «الشهادة».

وهذه اللوثة العقدية، الاحتجاج بالقدر على الشرع، يروجها كثير من دعاة الحوار والتقريب بين الأديان، لتهوين أمر الدعوة إلى الله

تعالى، وكبح جماح المتحمسين لنشر الإسلام، مما لا يتماشى وأدبيات الحوار في نظرهم، فيحيلون على نصوص القدر في سبق مشيئة الله، بتنوع البشر إلى أديان وطوائف، ويواجهون بها الدعاة.

وهي حجة المشركين قديماً، كما حكى الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام]. فلا يجوز إسقاط الواجبات الشرعية بالاحتجاج بالقدر. فالقدر علم الرب سبحانه وكتابته ومشيئته وخلقه، والشرع وظيفة العبد، ما دام من أهل التكليف.

وإليك أيها القارئ مسرداً بمقولات بعض دعاة التقريب في تقرير هذه الشبهة:

١ ـ محمد عمارة:

قال: (إن توهم إمكان توحد أهل الأديان السماوية، أو بالأحرى أهل الشرائع السماوية على شريعةٍ واحدةٍ، وملةٍ واحدةٍ، وتحولهم من أممٍ مؤمنةٍ ومتعددة، إلى أمةٍ مؤمنةٍ واحدة، إن توهم إمكانية ذلك، ومن ثمَّ السعي إلى تحقيقه، خصوصاً إذا كان هذا السعي بغير المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة، هو معاندة لإرادة الله سبحانه. وسعي ضد سننه التي لا سبيل إلى تبديلها أو تغييرها... فإرادة الله وسنته، مع تعدد الأمم والملل والشرائع، وما نسميه تجاوزاً «الأديان» وليس مع وحدتها وتوحيدها... إنها مع التعدد والاختلاف لا مع الوحدة والاتحاد!...)[1].

لقد اضطرب ميزان الشرع والقدر عند هؤلاء، فصاروا إلى مذهب الجبرية، مع إطراء الكاتب لمذهب المعتزلة، وخدمته تراثهم، وهم على

---

(١) الإسلام والوحدة القومية. (٧٠).

النقيض في هذا الباب ـ باب أفعال الله ـ مع الجبرية. لكن حيث اقتضت مصلحة التقارب مع أهل الكتاب الاحتجاج بالقدر، فالكاتب يسمح لنفسه أن يتخلى عن أصوله الاعتزالية، ويضحي بها لخدمة الهدف الراهن.

ونسأل الكاتب العقلاني: إذا كان السعي لتوحيد أهل الأديان، بل وغير أهل الأديان تحت راية الإسلام معاندة لإرادة الله سبحانه، وسعي ضد سننه التي لا سبيل إلى تبديلها أو تغييرها فَلِم إذاً: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف]، ولم كانت هـــذه الأمـــة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢ ـ جمال البنا:

قال: (قد أصبح الدين من مقومات الشخصية، ومن وراثات الأبناء عن الآباء، وأصبح لكل دينٍ سدنة يدافعون عنه ويتشبثون به.. إلخ مما اقتضى وجود عددٍ من الأديان جنباً إلى جنب. وهو وضعٌ أقره الإسلام تماماً، ليس فحسب على أساس الضرورة، ولكن على أساس الأصول والسنة التي وضعها الله للمجتمع الإنساني، فالتعدد والتفاوت... إلخ يثري القضية، ويفيد في إبراز أبعادها، ويكفل لها نوعاً من الفعالية فهو خيرٌ لا شر...

ومن هنا فإن القرآن يكثر من إبراز هذه القضية، ويحث على تقبلها، ويوضح للرسول في أكثر من مرة أن هذه الظاهرة هي إرادة الله)[1].

لم يكتف الكاتب بتقرير الاختلاف بوصفه قدراً من أقدار الله، لا

---

(١) الحساسية الدينية: جمال البنا. الزهراء للإعلام العربي. (٦٥، ٦٦).

تنبغي مقاومته، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فطفق يبرز مزايا الاختلاف وفوائده ليصل بعد ذلك إلى أنه خيرٌ لا شر. إن الخلاف والاختلاف لا يأتي في القرآن الكريم إلا في مقام الذم والتحذير، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام].

٣ ـ د. يوسف القرضاوي:

قال: (جرت سنة الله أن الناس لا يمكن أن يلتقوا على ثقافةٍ واحدة، لأنهم لا يمكن أن يلتقوا على دينٍ واحد، هذا سنةٌ من سنن الله. وقد ذكر القرآن هذا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس]. فلا يمكن أن يجتمع الناس على دينٍ واحد. إنما اختلاف الناس هذا واقعٌ بمشيئة الله، ومشيئته معبرةٌ عن حكمته... وهذا من أسباب التسامح الذي جاء به الإسلام؛ أنه اعتبر اختلاف الناس ناشئاً عن مشيئةٍ إلهية من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا الاختلاف، الحساب عليه إن كان هدىً أو ضلالة، صواباً أو خطأ، ليس في هذه الدار، إنما في الدار الآخرة. ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الحج]. وهذا مما يخفف مسألة الاختلاف بين الناس، إن اختلافنا واقعٌ بمشيئة الله)[1].

هذا خلطٌ خطير بين الموقف الشرعي والموقف القدري. إن تسليمنا بهذه السنة الإلهية قَدَراً لا يسوغ ترك الواجب وفعل المحرم، وليس من ثمرة الإيمان بالقدر حصول «التسامح» كما عبر القرضاوي.

---

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي (٢٣ ـ ٢٤).

ألم يقل الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ [التحريم]، وقال آمراً أولياءه المؤمنين: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة].

وهل يزعم الدكتور القرضاوي ـ عفا الله عنه ـ أن من مقتضى كون الحساب على الله تعالى في الدار الآخرة إبطال الأحكام الشرعية في هذه الدار؟! يكرر القرضاوي ذكر آرائه هذه فيقول في ندوةٍ عام ١٩٩٥م: (المبدأ الثاني: أن المسلم ليس مسؤولاً عن معاقبة الكافر على كفره، أو الضال على ضلاله. فعقاب الكافر لا يعود إلى المسلم وإنما هو أمرٌ يتولاه الله ـ ليس في الدار الدنيا، ولكن في دار الجزاء والحساب؛ لذلك يقول تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩﴾ [الحج]، ولعل ما يطفئ جذوة الغضب والكراهية بين المختلفين، أن الحساب ليس في هذه الدنيا، وإنما هو في الآخرة، وأن الله هو الذي يحاسب الجميع يوم القيامة)[1].

٤ ـ سعد غراب:

قال: (الله هو الذي له الحق وحده في نهاية المطاف في الحكم على مخلوقاته، وليس للبشر تعويضه في هذه المهمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص]. يجب الاعتراف بأن الكثير من المسائل «الماورائية» لا يمكن للعقل الإنساني أن يبت فيها، ولعل النصوص المقدسة أبقتها في شيءٍ من

(١) مجلة المسلم المعاصر. العدد (٨٦) رجب، شعبان ـ رمضان ١٤١٨هـ (١٤٩).

الغموض عمداً، حتى يسعى الفكر البشري إلى حلها، ولكن ليس من الحتمي أن نصل إلى نفس الحلول، ولعل الله أراد لنا أن نختلف في ذلك إذ قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة](١).

ونطمئن الكاتب أن الله سبحانه لم يبق شيئاً مما يحتاجه عباده غامضاً، بل أوضحه على لسان خاتم رسله غاية البيان. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل].

٥ ـ د. يوسف الحسن:

قال: (في إطار المنطلق الإسلامي إلى هذا الحوار، نجد من الضروري توضيح مدى ما توفره العقيدة الإسلامية من أساسٍ قوي للحوار مع الأديان، حيث تعتبر «أن الاختلاف بين الناس هو إحدى سنن الله في خلقه، وهو واقعٌ بمشيئته سبحانه»(٢).

إن هذه النصوص وأمثالها التي تؤكد على مشيئة الله، وسابق قدره في خلقه، تساق لا في مقام تلمس الحكمة الإلهية من تنوع البشرية، واختلاف مشاربها، واستجلاء آثار معاني أسماء الله وصفاته وأفعاله في خلقه، حين يتأملها المؤمن بعين القدر، ولكنها تأتي في سياق تأنيس الحوار، وتلطيف بشاعة التقريب بين الأديان، ثم تُشهر سيفاً مصلتاً في وجه الدعوة إلى الله تعالى، والسعي لنشر دينه، واستنقاذ الخلق من الظلمات إلى النور، حتى أصبحت هذه النزعة معلماً من معالم الفكر العصراني في قضية التقريب بين الأديان.

---

(١) الإسلام والنصرانية من الصدام إلى الحوار. من: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٢٥).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٤٢).

خامساً: الدعوة إلى الانخراط في العالم الغربي، والأخذ بثقافته:

هذه نهاية الدهليز المظلم، وربما قصر بعض دعاة التقارب والحوار دونها. ولكن طائفة من المفكرين الليبراليين، درجوا على الافتتان بالحضارة الغربية المعاصرة، ونتاجها الفكري والعلمي يعلنونها صريحة مدوية، أن الحل هناك. فَوَلوا وجوههم شطر مغيب الشمس، ودعوا الأمة إلى اللحاق بهم، والانخلاع من جذورهم، بكل جرأة. فلنستمع إذاً:

١ ـ الفضل شَلَق:

قال: (لكي يدخل العرب والمسلمون في حوار مع الغرب المسيحي، يتوجب عليهم أن يأخذوا بخياراتٍ ثقافية ومصيرية غير تلك المطروحة راهناً، أو التي طرحوها على أنفسهم خلال العقود الماضية من السنين. إن الخيار الأساسي المطروح الآن على يد حركات الإسلام السياسي المتطرف والمعتدل، وعلى يد التيارات القومية واليسارية قبل ذلك، هو خيار مواجهة الغرب، ورفض ثقافته، وأساليب عمله، وصولاً إلى الانعزال عنه بحجة الحفاظ على الهوية حيناً، أو إحقاق الحق في فلسطين وغيرها، أو لمجرد الرفض لثقافة الغرب وسياسته اللاأخلاقية حيناً آخر.

وقد كانت نتائج هذا الخيار مدمرة بالنسبة لنا. إذ لم يقتصر الأمر على وصولنا إلى حالةٍ من «حوار الطرشان» مع الغرب، بل فشلنا في مواجهة الغرب، وتراكمت هزائمنا، مما أدى إلى أعمالٍ يصفها العالم بالإرهاب؛ وهي في الحقيقة نوعٌ من أنواع تدمير الذات...

نقول مرة أخرى: إن علينا أن نعترف بالأمر الواقع، ونعمل كي نتجاوزه. ولن يكون هذا التجاوز ممكناً دون الأخذ بثقافة الغرب،

والانخراط بالعالم، والعمل في الوقت نفسه لتجاوز هذه الثقافة، ولتجاوز ثقافتنا الموروثة، كي نصل إلى ثقافةٍ جديدة لعالمٍ جديد، يكون الإنسان محوره وهدفه ومبتغاه. وهذا يعني تجديد مشروعنا التاريخي دون تكراره، ودمج العالم في ذاتنا، مقلعين عن تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب، إلى ذاتٍ وآخر.

إن دمج العالم في ذاتنا، هو الوجه الآخر لانخراطنا في العالم، واندماجنا فيه دون الخوف من ضياع الهوية أو التراث. وعندما يكون مشروعنا إنتاج عالمٍ جديد، يصبح ممكناً أن نجدد أنفسنا، وأن نجدد المشروع، الأمر الذي لن يتم بالمنهجية الانتقائية أو التلفيقية. الحوار إذاً شأن ثقافي يجانب المسائل الدينية الصرفة، لأنها تتعلق بفرضياتٍ ومواقف إيمانية، يعتبرها أصحابها مسلماتٍ مطلقة... ومن غير الممكن الدخول في حوار مثمر يصل إلى نتائج إيجابية إلا إذا أبدى كلٌّ من الطرفين المسيحي والإسلامي، الغربي والشرقي، الاستعداد لبعض التنازلات)[1].

وفي موضعٍ آخر يقول: (إن الشرط الأساسي لكل حوار، هو الاستعداد الدائم لدى الأطراف المتحاورة للتنازل عن جزءٍ من مطالب كل منهما، كي تتمكن، في النهاية من الالتقاء حول تسوية من نوعٍ ما. دون ذلك ينقلب الحوار إلى محاولةٍ لاستيعاب الطرف، أو الأطراف الأخرى عن طريق التبشير أو القسر)[2].

٢ ـ د. رضوان السيد:

● ويقول رصيفه في رئاسة تحرير مجلة الاجتهاد البيروتية د. رضوان السيد:

---

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ١٠ ـ ١١).

(٢) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٧).

(نواجه نحن المسلمين في فكر فئات من شبابنا وسلوكهم انكماشاً وتوتراً، أطلق عليه الدارسون اسم «الأصولية الإسلامية». وهناك هذا الانكماش في المسيحية العربية الذي يتسم، مثل أصولياتنا، بالخوف على الهوية والعدوانية. وهذا الانكماش المتوتر ـ الذي يشكل الطرف الإسلامي فيه الجانب الأخطر في المدى البعيد ـ لا يعالج إلا بالانفتاح المشترك والمتبادل في الداخل، والانفتاح على الخارج العالمي المسيحي والكوني...

ما نحتاج إليه ليس التكنولوجيا وحسب كما يُظن، ذلك أن أصوليينا المسلمين والمسيحيين هم في مقدمة متقنيها ومستخدميها. بل ما نحتاج إليه جميعاً: الانخراط في العالم المعاصر، والتعلم منه في مجالات القيم الإنسانية الرحبة، ونمو الذات في الآخر، والتعرف عليها فيه، ومشاركة العالم في آفاقه تأثراً وتأثيراً)[1].

وفي مقدمة العددين (٣١، ٣٢)، وتحت عنوان: الحوار الإسلامي المسيحي، والعلاقات الإسلامية المسيحية، بقلم (التحرير) تُقرِّر نفس الفكرة: (لا سبيل للخروج من المأزق بالمعنى التاريخي إلا بالانخراط في هذا العالم توصلاً لإزالة انكماشنا الحضاري والثقافي، والمضي في التحول إلى جهات فاعلة في ثقافة العالم ومصائره)[2].

هذه نهاية المطاف في دعوة التقريب والحوار... تكشف عن تقريب باتجاهٍ واحد. إنه تقريب المسلمين إلى النصارى ليصبحوا ذيلاً لهم، منخرطين في ثقافتهم، مقتنعين أنه لا سبيل للخروج من مأزقهم إلا بتسليم قيادهم لهم. إننا أمام فكرٍ موحش غريب، فكرٍ لا يرعى إلَّا

---

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٣٣).
(٢) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٥).

ولا ذمة، ولا يتورع عن تحطيم الثوابت العقدية والحضارية للأمة الإسلامية، ويزفها أسيرة ذليلة لعلوج الروم.

لقد انطلق الكاتبان من حالة الدمار والضياع التي منيت بها الأمة العربية والإسلامية أمام الغرب المتنامي القوي، فأورثت حالة الهزيمة والإحباط هذه مزيداً من الارتماء في حضن المنتصر، وفراراً إليه. وفات الكاتبين أن التجارب التي خاضتها الأمة، سواءً على يد التيارات القومية واليسارية السائدة في الخمسينيات والستينيات، أو حركات الإسلام السياسي السائدة بعد ذلك، كانت تفتقر إلى النضج والترشيد، وتعتمد في كلا الحالين على الشعارات العاطفية، والبهرجة الإعلامية. دون رصيدٍ حقيقي من البناء الداخلي للأمة. هذا من حيث التشخيص.

أما من حيث العلاج فيبدو مشروع الكاتبين ضرباً في التيه، وقفزاً في العماء، عبر الحواجز التالية:

١ ـ الأخذ بثقافة الغرب، والانخراط في العالم!

٢ ـ تجاوز ثقافة الغرب، وتجاوز ثقافتنا الموروثة!

٣ ـ الوصول إلى ثقافة جديدة لعالمٍ جديد، يكون الإنسان محوره وهدفه ومبتغاه.

إنها مضامين مبهمة، لا تقل خطورة عن النماذج التي انتقدها من قبل. إنها مسخٌ للأمة، وتضييع تام لهويتها وعقيدتها، وإلقاءٌ بها إلى الضياع السرمدي. ويتساءل المرء ما هو موقع الإسلام في مشروع هؤلاء الليبراليين؟ وكيف يخصصون خمسة أعداد من مجلتهم لملف العلاقات الإسلامية النصرانية، والحوار الإسلامي النصراني، والإسلام ذاته خارج مجال رؤيتهمْ المستقبلية؟!

٣ ـ محمد أركون[1]:

ونختم بثالثة الأثافي، ليعلم المنخدعون بشعارات الحوار إلى أين يتجه بهم رواد الطريق من أصحاب الفكر العصراني، بهذه المقولة العجيبة للكاتب العقلاني المتحرر «محمد أركون»، تحت عنوان: «مطلبٌ يتقدم به مسلمٌ إلى المسيحيين»:

(يمكن للمسيحيين في مثل هذه الحالة، أن يقطعوا شوطاً في طريق الحوار. بأن يأخذوا على عاتقهم مستقبل الدين الإسلامي، فيخدموه بنفس العزيمة وكامل الالتزام، وقوة الاقتناع التي يخدمون بها الدين المسيحي. وهي أحسن طريقة حسب ما يبدو لنا لإعداد حوار مقبل. إذ من يعمل لتحرير غيره، يحرر بذلك نفسه)[2].

وهو كلام يثير الاشمئزاز والغثيان، ولكنها النتيجة الحتمية للركون إلى أعداء الله وموالاتهم، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف]. إن هذه الفئة العصرانية تمثل خطراً مضاعفاً على المسلمين، لكونها تقدم نفسها للأمة باعتبارها إسلامية التوجه، وأنها تمارس الإصلاح والتجديد من الداخل، في الوقت الذي تنشر أفكار

---

(١) محمد أركون: ولد في «توريات ميموم» ـ الجزائر ـ عام ١٩٢٨م. درس في وهران، وفي باريس، دكتوراه في الآداب، أستاذ ملحق للغة العربية، ورئيس قسم العلوم الإنسانية في جامعات باريس. نشر من بين مؤلفات أخرى: «مقالة حول الفكر الإسلامي»، «الفكر العربي ط ١٩٧٥، ١٩٧٩»، الإسلام؛ الأمس والغد ط ١٩٨٢»، «الإسلام دين ومجتمع ط ١٩٨٢»، قراءات القرآن ط ١٩٨٢»، «في سبيل نقدٍ للعقل الإسلامي ط ١٩٨٤»، «الإسلام أخلاقياته وسياساته ط ١٩٨٦»، انظر: «العقيدة للأمام» (٢٩).

(٢) نقلاً عن: الإسلام والحوار. أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. محمد الطالبي. وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٠). وانظر كتاب محمد أركون: العلمنة والدين. (٣٩ ـ ٤٠) ط دار الساقي.

التغريب، وشبهات المستشرقين، فلا عجب أن صارت محل رضا دعاة التقريب من النصارى وثنائهم، ومحط آمالهم، من بين فئات الأمة المختلفة. ونثبت أدناه وصفاً دقيقاً لهذه الفئة على لسان أحد كبار دعاة التقريب الكاثوليك، وهو الأب الفرنسي «موريس بورمانس»، حين أراد تصنيف المسلمين اليوم من زاوية موقفهم من الحوار الإسلامي النصراني، فقال:

(المسلمون العصريون ذوو الثقافتين: هناك كثير من المسلمين الذين حملتهم أسبابٌ سياسية واقتصادية أو تقنية أن يضيفوا إلى ثقافتهم الوطنية وعلمهم الإسلامي ثقافة أخرى تمكنوا منها «سواءٌ أكانت أوربية أم أمريكية، شرقية أم غربية»، ورأوا أن بإمكانهم تبني قيمها وأساليبها وتعابيرها، دون أن يؤدي ذلك إلى إنكار أصالتهم القومية أو الإسلامية، هؤلاء الآخذون بالعلمنة على غير تعصب، أو المتشددون فيها، أو الماركسيون، العقلانيون أحياناً، أو اللاأدريون، قد يظهرون بمظهر «المتجردين من الإسلام»، على كونهم لا يزالون يبدون «حساً إسلامياً» رهيفاً جداً. إنهم يؤيدون بقوة وجود حرية واسعة في مجال الاجتهاد، ويعززون المفهوم العصري لحقوق الرجل والمرأة، ويحملهم ذلك على تحويل الرسالة القرآنية إلى مبادئ عامة. وليس التراث الإسلامي عندهم بأكثر من عاداتٍ ينبغي تجديد تطبيقها، والتعبير عنها، تبعاً للعصور والظروف. وهم سواء أكانوا رجال دولةٍ أم مثقفين أم تقنيين، يرون أنفسهم مرغمين على المزاوجة بين القيم الموروثة، والقيم الحديثة، فيختارون هذه أو تلك بحسب خبرتهم الشخصية، والإيديولوجية القومية، وإمكانات شعبهم الحقيقية.

إنهم يعلمون أن لهم ضميراً عليهم مراعاته، ومجتمعاً عليهم تغييره، فيشعرون أكثر من الجميع شعوراً مأساوياً بالتفاوت الثقافي بين التعبير الموروث عن الإيمان وشعائر العبادة، ومتطلبات العالم

الحديث. وهم لا يحجمون عن إجراء بعض الفصل بين ما هو زمني وما هو روحي، ويتجرأون على القيام بإصلاحاتٍ كثيرة، حتى في شرع الأسرة، ولو سمحت لهم الظروف لتوجهوا بارتياح شطر التعددية المذهبية، والشخصانية الديموقراطية. وهذا يعني أنهم يفضلون الحكم على الإيمان، بالأعمال، وتقويم الدين بحسب القيم التي يعلّمها ويعرضها على المؤمنين من الجماهير الشعبية.

هؤلاء المسلمين «العصريون»، الآخذون بالنهج الإنساني على طريقتهم، مدعوّن أكثر من غيرهم إلى ملاقاة المسيحيين، وجميع الناس ذوي النية الصادقة على صعيد التزاماتهم الواحدة، حيال المجتمع الدنيوي في ما يتعلق بحقوق الأشخاص، وحرية الفكر والإيمان والتعبير، وتنظيم النسل، ودعم الأسرة، ومحاربة التخلف، والسعي إلى التقدم التقني. . . إنهم يشهدون على طريقتهم، بأن الإسلام هو أيضاً عمل وعطاء وبذلٌ للذات بلا كلال، كما هو إقامة مدنية أكثر عدالة، وأشد تضامناً)[١].

وقد نقلنا هذا النص بطوله، رغم ما فيه من لمزٍ وتخبيب، لدقة توصيفه منطلقات هؤلاء العصريين، وأساليبهم وطموحاتهم، ولا غرو فهم ربائبهم الذين في حجورهم، ويعرفونهم كما يعرفون أبناءهم. وربما انطبق كلام موريس بورمانس انطباقاً تاماً على طائفة ممن تقدم ذكرهم، وبقيت طوائف أخرى على مراحل متفاوتة من الطريق، ولكن خطرهم - جميعاً - بحسب مواقعهم يكمن في الخلط والتلبيس الناشئ من دعواهم تجديد الدين.

فإما أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثي من سميني
وإما فاطّرحني واتخذني ... عدواً أتقيك وتتقيني

(١) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين. (٣٨، ٣٩).

الفصل الرابع

بواعث الدعوة إلى التقريب بين الأديان

تضمن الحديث عن مفهوم التقريب لدى دعاته من سائر الأديان بعض الإشارات إلى الأهداف المعلنة، والبواعث الخفية المتصلة بدعوة التقريب. ذلك أن الوحدة الموضوعية لقضية ما تأبى فصل حقيقة الشيء عن هدفه وباعثه. إلا إننا نسعى في هذا الفصل إلى محاولة تحديد البواعث الحقيقية، والدوافع المحركة المستترة خلف الأهداف المعلنة من قبل أطراف التقارب.

ونظراً لوجود تمايزٍ في تلك البواعث فسنلجأ - أيضاً - إلى تقسيمها إلى عدة مباحث:

١ - المبحث الأول: بواعث التقريب لدى النصارى الغربيين.

٢ - المبحث الثاني: بواعث التقريب لدى النصارى العرب.

٣ - المبحث الثالث: بواعث التقريب لدى اليهود.

٤ - المبحث الرابع: بواعث التقريب لدى الإسلاميين العصرانيين.

المبحث الأول
بواعث التقريب لدى النصارى الغربيين

في مقام الحديث عن البواعث لا تظهر الحاجة إلى التمييز بين الكنيسة الكاثوليكية من جهة، والكنائس البروتستانتية والإنجليكانية، التي تمثل أغلبية مجلس الكنائس العالمي، والقسم النشط في الحركة المسكونية، من جهة أخرى، بخلاف الحال عند الحديث عن المفهوم والأساس اللاهوتي للتقارب والحوار، لاختلاف المنطلقات العقدية بين الجهتين.

والجامع المشترك المميز للكنائس الغربية عن الكنائس الشرقية، والعربية على وجه الخصوص، هو انتماؤها إلى مجتمعات ودول متقدمة ومتفوقة من حيث القوة المادية، والآلة العسكرية، وفن الإدارة والتخطيط، مما يؤثر تأثيراً عميقاً على توجهات الحوار، رغم ما تبذله أساليب الحنكة والدهاء الغربي من ممارساتٍ شكلية في سبيل الظهور بمظهر «المساواة»، و«تكافؤ الفرص» عند صياغة البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب.

ويمكن أن نميز البواعث التالية الكامنة خلف دعوة التقريب في العصر الحديث لدى النصارى الغربيين:

١ ـ الباعث العالمي:

ونقصد به الوضع العالمي المتغير، الذي اتسم بالانفتاح بين أمم الأرض، واحتكاك الأديان والثقافات المتنوعة، وسيادة الأفكار العلمانية والتحررية العقلانية، التي وضعت الكنائس النصرانية التقليدية في وضعٍ

محرج، غير قادر على مواكبة التطورات الفلسفية والاجتماعية المتسارعة. ويتضح حجم هذا التحدي في انعكاساته على الكنيسة الكاثوليكية بالدرجة الأولى، بوصفها مؤسسة ذات تنظيم هرمي عريقٍ ودقيق، فقد ألجأها هذا الضغط العالمي إلى عقد المجمع الفاتيكاني الثاني.

يقول الأب غابي هاشم البولسي: (لم يعقد المجمع الفاتيكاني الثاني لمعالجة هرطقةٍ أو أمرٍ شديد الخطورة، وهو المجمع الذي واجهت الكنيسة فيه حقيقتها في العمق أكثر من أي مجمعٍ آخر...

شهد العالم في خلال قرنٍ واحد تغييرات عجزت عن تغييرها عشرات القرون السالفة، ولا سيما في مجالي العلم والتقنية. ولم يخف على أحدٍ ما خلفته هذه الثورة العلمية في نفوس الأشخاص على أكثر من صعيد، والتساؤلات التي طرحتها على أكثر من مستوى. فكان لا بد أن تخرج الكنيسة من عزلتها، وتستجيب لانتظار الكثيرين الذين راحوا يتطلعون إليها، علّها تمدهم بالحل الشافي)[١].

لقد كانت الكنيسة تضرب عزلةً على مخالفيها، وتصدر قرارات الحجب والحرمان على مناوئيها، وتمد ذراعها الطولى لقمع الملوك والأباطرة الأوروبيين في العصور الميلادية الوسطى، فإذا بها تجد نفسها في النصف الأول من القرن العشرين منكمشة معزولة مهجورة، بفعل الانفجارات الثقافية والاجتماعية التي عصفت بأوروبا، وجعلت الكنيسة وتعاليمها موضع السخرية والتندر.

(... هذا العالم طرح على الكنيسة قبل المجمع مجموعة من الأسئلة، أبت هي الاعتراف بها وإحاطتها بالأهمية، فوجدت نفسها أمام عالمٍ مختلف، وحقيقةٍ جديدة: لقد تطور العالم وفق أنظمة وقوانين

---

(١) من مقدمة المجمع الفاتيكاني الثاني (٩، ١٠).

تتخطى تخطياً قصياً إمكانات الكنيسة وتتفوق عليها، مما يعني خروجه من فلكها الذي دار فيه أثناء القرون الوسطى، حتى إنه استولى على المؤسسات التي انفردت طويلاً بحيازتها كالمستشفيات، ودور التعليم والتربية، وبيوت العجزة والمياتم...

استقل العالم من الكنيسة في جوٍ من التصادم والنفور، وذلك بتأثير الإلحاد وانعكاساته، فكان لا بد من خلق الحوار بينهما لإزالة التباعد، وإحلال التعاون البناء)[١].

لقد أرادت الكنيسة من خلال المجمع الفاتيكاني الثاني إعادة تأهيل نفسها للحفاظ على موقعها العالمي، ولو على حساب معتقداتها العتيدة البالية، التي كانت تعدها «وحياً» و«نصوصاً مقدسة». بل لقد اضطرت إلى تقديم الاعتذار عن بعض مواقفها التاريخية المشينة، ملصقةً التهمة بتصرفات بعض أعضائها، فقد جاء في الدستور الرابع من دساتير المجمع المعنون بـ «الكنيسة في عالم اليوم» ما نصه: (... فهي - أي الكنيسة - تعلم كل العلم أن صفوف أعضائها من إكليريكيين وعلمانيين، في سلسلة تاريخها الطويلة لا تخلو من أناسٍ كفروا بروح الله، وفي هذه الأيام أيضاً لا يفوت الكنيسة ما هنالك من بونٍ شاسع بين البشارة التي تحملها والضعف البشري الذي ينتاب من أوكل إليهم هذا الإنجيل. وأياً كان حكم التاريخ على هذه الهفوات فلا بد لنا من التنبه لها، ومن مقاومتها بشدة لئلا تكون عقبةً في طريق انتشار الإنجيل)[٢].

وقد تبدَّى رضوخ الكنيسة أمام ضغط المتغيرات العالمية في دستور عقدي أساسي، هو «الكنيسة»، ودستور راعوي، هو «الكنيسة في

---

(١) المرجع السابق (١٩٧).

(٢) الكنيسة في عالم اليوم. المرجع السابق (٢٤٩).

عالم اليوم»، وبيانين مجمعيين، هما: «الحرية الدينية» و«علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»، رفعت فيها الشعارات الإنسانية السائدة في تلك الحقبة، ولا تزال، من المناداة بحقوق الإنسان، والسلام العالمي، والحرية، والتعايش السلمي، والتعاون الدولي. وهي مصطلحات غريبة على القاموس الكنسي التاريخي.

لقد أرادت الكنيسة أن تجد لها موطئ قدم في كل بقعة من بقاع العالم المفتوح، الذي تحول بفعل وسائل الاتصال الآخذة في النمو ذلك الوقت، إلى «قرية كونية». وكان لا بد لتَقَبُّل الكنيسة، وتمكينها، أن تنسلخ من جلد القرون الوسطى، وتلبس حلة براقة تلائم أصول الضيافة والاستضافة في عالمٍ تسوده شعارات الحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

ففي دستور (الكنيسة)، أول وأهم دساتير المجمع الفاتيكاني الثاني: (بيد أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد، الرحمن الرحيم، الذي يدين الناس في اليوم الآخر)[١].

وفي ختام دستور «الكنيسة في عالم اليوم» يطلق المجمع هذا النداء:

(... إننا نتوجه بالفكر أيضاً إلى جميع الذين يعرفون الله، ويحافظون في تقاليدهم على عناصر دينية وإنسانية ثمينة، آملين أن يقودنا جميعاً حوار جلي إلى تقبل صريح لنداءات الروح وإلى تلبيتها في اندفاع)[٢].

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني (٥٢).
(٢) المرجع السابق (٣١٣).

كما تمخض المجمع عن ولادة متعسرة لمشروع بيان «الحرية الدينية»، إذ (لم يسبق لمجمع مسكوني أن تطرق إلى شأن «الحرية»، أو سعى إلى إرساء الأسس العقدية للحرية الدينية. لكن هذه الوثيقة ارتدت في تاريخ المجمع الفاتيكاني الثاني أهمية بالغة، وأصبحت رمزاً لسبيل الحوار والانفتاح الشامل الذي انتهجه المجمع منذ افتتاحه، وتثبيتاً لدعائمه. فالحرية شرطٌ أساسي لكل حوار متوازن...)[1]. وقد جاء في البيان:

(أصبح الناس، في عصرنا هذا، يعون أكثر فأكثر ما للشخص البشري من كرامة. وإنه ليزداد عدد الذين يطالبون بأن يتمتع الناس بحرية القرار والمسؤولية، وبأن يتمكنوا من العمل بهما، لا يحركهم عامل الإكراه بل ضمير الواجب...

يعلن هذا المجمع الفاتيكاني أن الحرية الدينية حق للشخص الإنساني، وهذه الحرية تقوم بأن يكون جميع الناس بمعزلٍ عن الضغط سواء أتى من الأفراد أو من الهيئات الاجتماعية، أو أتى من أي سلطةٍ بشرية، وهكذا ففي أمور الدين، لا يجوز لأحدٍ أن يكره على عمل يخالف ضميره، ولا أن يمنع من العمل في نطاق المعقول وفاقاً لضميره. سواء كان عمله في السر أو العلانية، وسواء كان فردياً أو جماعياً)[2].

إن القوم يلبسون لكل زمانٍ لبوسه لتبقى لهم كراسيهم البابوية، وسلطاتهم الراعوية ـ كما يعبرون ـ، وإلا فأين هذا الكلام المنمق من ممارسات محاكم التفتيش الكاثوليكية، وما فعلته بالمسلمين في الأندلس، بل وما يفعلونه حالياً بضحايا الكوارث والحروب والمجاعات

---

(١) من مقدمة البيان للأب غابي هاشم البولسي. المجمع الفاتيكاني (٦٠٥).

(٢) بيان «الحرية الدينية» من المرج السابق (٦٠٨).

من أبناء المسلمين وغيرهم من الإكراه المنظم، والإلجاء «المهذب»، على اعتناق النصرانية، لدفع غائلة الفقر والمرض والموت. والمقصود أن لغة الكنيسة ـ بصرف النظر عن ممارستها ـ تحولت تحت الضغط العالمي ـ إلى ما يشبه لغة الإعلان العام لحقوق الإنسان الصادر من هيئة الأمم المتحدة.

وهكذا جاء بيان «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية» (نتيجةً حتمية لروح الانفتاح الشامل الذي نادى به المجمع)[1]. وفيه:

(والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حق ومقدس... ومن أجل ذلك تحرض أبناءها على الاعتراف بالقيم الروحية والأدبية والاجتماعية والثقافية التي توجد عند أتباع الديانات الأخرى، والمحافظة عليها وإنمائها، وذلك بطريق الحوار والتعاون معهم...

وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم، الرحمان القدير، الذي خلق السماء والأرض، وكلم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده، كما سلم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه...

ولئن كان قد وقع في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية)[2].

---

(١) من مقدمة البيان للأب غابي هاشم البولسي. المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٥).

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٨ ـ ٦٢٩).

وفي مقارنة بين هذا المجمع، والمجمع التريدنيتني (١٥٤٥ ـ ١٥٦٣) والمجمع الفاتيكاني الأول (١٨٦٩ ـ ١٨٧٠)، في هذه القضية بالذات يسجل المطران كيرلس سليم بسترس في تحليله لقرارات المجمع الفاتيكاني الثاني الملاحظة التالية:

(بالنسبة إلى علاقة الكنيسة بسائر المسيحيين وبالعالم، فقد وقف المجمعان السابقان وقفة حذر من الكنائس المسيحية الأخرى، ومن التيارات اللاهوتية والفكرية والثقافية المعاصرة. تميز موقع المجمع الفاتيكاني الثاني بانفتاح على مختلف الثقافات المعاصرة، وعلى تاريخ البشر بمجمله)[١].

ولم تكن الكنائس الغربية الأخرى بمعزلٍ عن التأثير العالمي السائد، بل ربما كانت أشد شعوراً بضرورة إيجاد صيغة توفيقية مناسبة، بحكم انخراط الكنائس البروتستانتية والانجليكانية في الحركة المسكونية الناشطة في التنصير في أماكن متعددة في العالم، وبين شعوبٍ ذات ديانات وتقاليد شتى. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يتوافق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مع تأسيس مجلس الكنائس العالمي سنة ١٩٤٨م، حتى قال روبرت نلسون: (يستنتج فوراً قارئ إعلان ٤٨ أنها وثيقة بروتستانتية)[٢] إشارة إلى وحدة الأفكار والصيغ والتعابير بينهما.

وقد ظهر الأثر الناجم عن الانفتاح العالمي على البيانات المشتركة لمؤتمرات الحوار الإسلامي النصراني التي رعاها مجلس الكنائس العالمي؛ فقد جاء في أول لقاءٍ من نوعه عام ١٩٦٨م، عقد في كرتييني قرب جنيف، حيث مقر المجلس، أن من ضرورات الحوار: (الوضع الناجم عن اختلاط السكان، فهو يضطرهم إلى تلاقٍ

---

(١) من مقدمة «المجمع الفاتيكاني الثاني» (٢٢)
(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي: ضرورة المغامرة (١٥٨ ـ ١٦٠).

متنامٍ يزيد في مسؤوليات الديانتين لجهة الحياة المشتركة المثمرة)[١].

وفي ندوة «برمانا» في لبنان التي عقدت عام ١٩٧٢م برعاية المجلس جاء في دوافع اللقاء: (يمكن القول إننا اجتمعنا لأن ماضينا التاريخي، وأوضاعنا الحالية أسهما في عقد اللقاء في مناسبات عدة، وبمناطق مختلفة من العالم. إننا نعمل معاً في حقل التنمية على الصعيد الدولي والوطني، ونعيش معاً في التجمعات السكانية ذاتها، وفي العائلات ذاتها. فإن كنا في السابق قد تجابهنا في صراعاتٍ عدائية، ولم نكن أمناء تجاه مبادئنا حول الحرية الدينية، إلا أن شعورنا الحالي بالصلات المتداخلة في ما بيننا يدفعنا إلى السعي بإلحاح لإيجاد سبل جديدة للحوار)[٢]. وعند الحديث عن الجماعة العالمية يقول البيان: (المسلمون والمسيحيون مدعوون لتكوين نظرة أوسع عن الجماعة على صعيد التلاقي العنصري والثقافي والدولي. وهذا يجب أولاً أن يُجرَّب وأن يُنَفَّذ على الصعيد المحلي، حيث التعددية الدينية تشكل عالماً مصغراً يجسد التنوع العالمي. وإن جودة الانفتاح والتعاون في مثل هذه الحالات على الصعيد المحلي تشكل مساهمة حيوية لنشر التناغم الروحي والعدالة العالمية)[٣]. ويقول اللاهوتي الألماني هانس كونج: (لن يكون هناك سلامٌ بين الأمم ما لم يكن هناك سلامٌ بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان، ما لم يكن هناك حوار بين الأديان)[٤].

إن ضغط العالم المعاصر بشقيه، الفكري والاجتماعي، قد حفز الكنائس الغربية، المنتمية إلى دول العالم الأول، المتقدمة مادياً، إلى

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٣٧).
(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٤٧).
(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٥٠).
(٤) عن مقدمة «الإسلام والمسيحية» (٨).

الأخذ بزمام المبادرة ومباداة الطرف المقابل، ودعوته للحوار، كما هو الواقع في جميع ـ أو معظم ـ اللقاءات المعقودة، فيقوم الطرف النصراني بالتخطيط لها، وتحديد موادها، واختيار المشاركين من الطرف الإسلامي، ثم إدارة الحوار، ورسم برنامج العمل.

إنهم يفعلون ذلك استجابةً لروح العصر وقيمه السائدة، كما عبر عن ذلك الكاتب الروسي المعاصر «أليكسي جورافسكي» في كتابه المهم: «الإسلام والمسيحية» الصادر في ١٩٩٠م، حيث يقول: (إن عولمة الحياة الاجتماعية تدحض في واقع الأمر أي تصورات وهمية حول الثقافة «الخاصة» المضادة «لثقافة الآخرين». ففي عصرٍ تتعاظم فيه أكثر فأكثر التفاعلات الاقتصادية، والاجتماعية، والمعلوماتية بين الشعوب، فإن مسألة وحدة الإنسانية في تلاوينها المختلفة، وأشكالها المتعددة، وبكل خبراتها الثقافية ـ التاريخية، تتطلب ليس حلولاً نظرية فحسب، بل حلولاً عملية ـ واقعية أيضاً. والحضارة الكونية «العالمية» الناشئة في عصرنا الحاضر، والتي تتميز خصوصاً بالتعددية العقائدية «دينياً وسياسياً وفكرياً وفلسفياً... إلخ»، تضع الناس أمام حقيقة ساطعة، تتمثل في ضرورة البحث عن مؤسسات وهيئات جديدة، من أجل التقارب والاتفاق والتفاهم المتبادل... فالمجتمع البشري أصبح في هذا العصر «مسكناً واحداً»، ولهذا فإن الحوار، كما يعتقد الآن كثير من اللاهوتيين، وممثلي الجماعات الدينية المختلفة، أصبح ضرورياً للغاية، إضافة إلى أنه أكثر ملائمة وتوافقاً مع روح العصر، التي تتسم بالتسامح والتعايش بين الأديان)[1].

إن الباعث العالمي يحس به الجانب الأقوى ـ ولو مادياً فقط ـ

---

(١) الإسلام والمسيحية. أليكسي جورافسكي. ترجمة د. خلف محمد الجراد (٢٠ ـ ٢١).

لأنه يملك «خطة»، و«فريق عمل»، و«إمكانات ضخمة»، لبلوغ أهدافه واهتبال الفرص، بينما الجانب الضعيف غارقٌ في مشاكله العقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتداعياتها المختلفة. ومن ثم يكون دوره في لقاءات الحوار ينحصر في «الحضور»، و«المجاملات»، ثم «التوقيع» على البيانات الختامية، وذلك آخر عهده بالأمر!لأنه لا يملك مشروعاً يفرض عليه إيجاد دراسات متنوعة، ورسم خطط، ومفاوضات متكافئة. أما الجانب القوي فإنه يواصل البحث والتحليل إثر كل لقاء ليرسم «استراتيجية» قادمة على ضوء المعطيات الجديدة. وهذا ما يفسر للمراقب كون المبادرة تأتي غالباً من الطرف النصراني الذي يعي طبيعة المرحلة، ويحاول كسبها إلى أقصى درجة ممكنة. وهكذا كان الحال حين كان الإسلام في أوج قوته العقدية في عهد النبوة، فقد كان الباعث العالمي الذي يخاطب الناس كافة ماثلاً لا يغيب؛ في دعوة ملوك الأرض، واستقبال وفودهم، وأخذ زمام المبادرة قبل غيره.

٢ ـ الباعث التنصيري:

لا ريب أن التنصير، أو «البشارة» كما يسمونه يحتل موقعاً مميزاً في الديانة النصرانية، ولطالما رددوا في مواعظهم وتعاليمهم عبارة ينسبونها إلى المسيح ﷺ بعد قيامته من موته إثر صلبه ـ كما يزعمون ـ: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) متى (٢٨/ ١٩)[١].

ولقد بذل المنصرون جهوداً مضنية، وطوَّفوا الأرض ينشرون دينهم المحرف، وأنفقوا أموالاً طائلة لاجتذاب الناس وتعميدهم باسم الأب والابن والروح القدس. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن

(١) العهد الجديد (١١٩).

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأنفال].

ويرددون كلمة بولس في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس: (إذا بشرتُ فليس في ذلك لي مفخرة. لأنها فريضة لا بد لي منها. والويل لي إن لم أبشر)[1] (٩/١٦)، فيقول البابا يوحنا بولس الثاني: (أشعر بشدة، بواجب تكرار نداء القديس بولس، باسم الكنيسة كلها. منذ بداية حبريتي، اخترت السفر إلى أقاصي الأرض لأظهر هذه الغيرة الرسولية، وبالتحديد بعد احتكاكي المباشر مع الشعوب التي تجهل المسيح، زادت لدي القناعة بالحاجة الماسة إلى النشاط الرسولي)[2].

إن مهمة التنصير لم تكن يوماً من الأيام مهمة ثانوية لدى النصارى، فضلاً عن أن تكون محل مساومة في سوق الحوار، أو مقايضة في مقابل الدعوة الإسلامية.

وحين تبنت الكنائس الغربية على تنوعها خيار الحوار والتقارب، قَفَّت شعور بعض المتحمسين منهم، واصفين الحوار بأنه خيانة للكنيسة ورسالتها التبشيرية، فطفق دهاتهم يطمئنونهم أن الحوار ما هو إلا «شهادة عصرية للمسيح»، تُنتحل تحت ظروفٍ معينة للقيام بواجب البشارة. وهكذا حين وسعت الكنيسة الكاثوليكية، وبعض الاتجاهات البروتستانتية مفهوم الخلاص، أعقبتها بالاحتراز الأكيد أن الخلاص الحقيقي لا يتم إلا بالإيمان بيسوع المخلص، وكان هذا واضحاً منذ البداية.

---

(١) العهد الجديد (٥٢٣ ـ ٥٢٤).

(٢) رسالة الفادي يوحنا بولس الثاني (٥)، وجدير بالذكر أن رحلات البابا يوحنا بولس الثاني تجاوزت مائتين وعشر رحلات في الدعوة إلى النصرانية، وتدعيم وجودها في مختلف أقطار العالم.

انظر هذا في مجلة المجلة عدد ٩٤٠ في ٢١/٢/١٩٩٨م تحت عنوان: «لماذا البابا في كوبا، وشيخ الأزهر ليس في الجزائر» لفهمي هويدي.

ففي البيان المجمعي: «الحرية الدينية» ورد ما يلي:

(المجمع المقدس يعلن أولاً أن الله نفسه بيّن للجنس البشري الطريق التي إذا سلكها الناس في خدمته تعالى، يتمكنون من الخلاص والسعادة في المسيح يسوع. ونحن نؤمن أن الديانة الحقيقية الوحيدة قائمةٌ في الكنيسة الكاثوليكية والرسولية التي وكل إليها السيد المسيح أمر نشرها بين جميع الناس، عندما قال للرسل: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (متى ٢٨: ١٩ ـ ٢٠). فعلى جميع الناس إذن أن يطلبوا الحقيقة، ولا سيما في ما يتعلق بالله وكنيسته، حتى إذا ما عرفوها اعتنقوها، وكانوا عليها محافظين)[١].

وفي الدستور الرعوي: «الكنيسة في عالم اليوم»:

(تبدو الكنيسة رمز هذه الأخوة التي تنتج الحوار الصادق وتشجعه، وذلك بفعل رسالتها التي تهدف إلى إنارة المسكونة كلها بنور البشارة الإنجيلية، وجمع جميع البشر في الروح الواحد، إلى أي أمةٍ وعرقٍ أو ثقافة انتموا)[٢].

وفي البيان المجمعي: «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»:

(والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حقٌّ ومقدس... غير أنها تبشر، ويجب أن تبشر بلا انقطاع، بالمسيح الذي هو «الصراط والحقيقة والحياة» (يوحنا ١٤: ٦)، وفيه يجب على الناس أن يجدوا ملء الحياة الدينية، وبه صالح الله مع نفسه جميع الأشياء)[٣].

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٠٧ ـ ٦٠٨).
(٢) المرجع السابق (٣١٢).
(٣) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٨).

هذه منزلة التبشير في كل مقامٍ آنس بعض الناس فيه انفتاحاً من الكنيسة، وتغيراً في مواقفها. فالخلاص الممنوح للآخرين بنسبةٍ معينة لا يسقط هذه الفريضة عندهم، والحوار المفتوح مع الجميع لا يعفي منها. بل إن التنصير باعث أصيل من بواعث الدعوة إلى التقارب، ونحن لا نفشي بذلك سراً، أو نوجه تهمة، ولكنه اعتراف القوم بأنفسهم وفي بياناتهم ووثائقهم المعتمدة، وعلى لسان حبرهم الأعظم، بابا الكنيسة الكاثوليكية كما يتضح ذلك بجلاء من خلال النصوص التالية:

جاء في وثيقة «حوار وبشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل»، الصادرة عن المجلس البابوي للحوار بين الأديان عام ١٩٩١م ما يلي:

(إن المسيحيين وهم يعتمدون الحوار بروح منفتح مع أتباع التقاليد الدينية الأخرى، يستطيعون أن يحثوهم سلمياً على التفكير في محتوى معتقدهم)[١].

(نظراً إلى هذا الهدف، أي قيام الجميع بارتداد أعمق إلى الله يكون للحوار بين الأديان قيمته الخاصة. وفي أثناء هذا الارتداد، «قد يولد القرار بالتخلي عن موقفٍ روحي أو ديني سابق لاعتناق آخر» موقف الكنيسة ٣٧)[٢].

هذان النصان يدلان على أن خطاب المحاور النصراني مسكون بروح التبشير، وأنه لا ينفك عنه أبداً، وأن الحوار أسلوب محدث من أساليب التبشير، وليس مشروعاً مستقلاً يهدف إلى البحث عن الحقيقة، بل هو مشمول بالمشروع الأساسي والدائم للكنيسة، وهو التنصير. كما

---

(١) حوار وبشارة (٢٥).
(٢) حوار وبشارة (٣٠).

أنه في ظروفٍ معينة يمثل «أضعف الإيمان» حين لا يتمكن المنصرون من الجهر بالحقيقة كاملة. تقول الوثيقة آنفة الذكر:

(من البديهي إذن أن تكون الكنيسة لأسبابٍ سياسية أو غير سياسية في أوضاعٍ يستحيل فيها عملياً إعلان البشرى، فتقوم برسالتها التبشيرية ليس فقط بحضورها وشهادتها، بل بنشاطاتها، كالالتزام بالإنماء البشري وبالحوار نفسه، وأما في الأوضاع التي تتوافر فيها للناس الاستعدادات لسماع رسالة الإنجيل، والإمكانات للاستجابة لها، فينبغي للكنيسة أن تبادر إلى تطلعات هؤلاء الناس وتحقيق آمالهم)[١].

(جميع المسيحيين مدعوون شخصياً ليكونوا شركاء بهاتين الطريقتين لإتمام هذه الرسالة الوحيدة للكنيسة، أي إعلان البشرى والحوار. أما شكل مشاركتهم فيرتبط بالظروف، وبدرجة إعدادهم لها. ولكن عليهم أن يتذكروا بأن الحوار كما قيل في السابق لا يكوّن كل رسالة للكنيسة، وهو لا يستطيع أن يحل مكان إعلان البشرى، إلا أنه يبقى متجهاً نحو إعلانها)[٢].

وفي «رسالة الفادي» للبابا يوحنا بولس الثاني، الممهورة بختمه في السابع من ديسمبر عام ١٩٩٠م، وتحت عنوان: «الحوار مع الإخوة والأخوات من ديانات أخرى» يقول:

(إن الحوار بين الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية... تريد الكنيسة من خلال الحوار أن تكتشف «بذور الكلمة»، وأشعة الحقيقة التي تنير الناس أجمعين)[٣].

لقد استفادت الكنيسة من منابر الحوار ومنتدياته في نشر

---

(١) حوار وبشارة (٦٤).
(٢) حوار وبشارة (٧٣).
(٣) رسالة الفادي (٨٦، ٨٨).

النصرانية، فلا عجب أن يتفاءل البابا في ختام رسالته السابقة قائلاً: (لم تحظ الكنيسة، بمناسبة، كما تحظى به اليوم، لإبلاغ الإنجيل بالشهادة والكلمة إلى البشر كافة، والشعوب قاطبة، وإنني أرى انبلاج فجرٍ لعصر رسالة جديد... وفي عشية الألف الثالث، الكنيسة كلها مدعوة إلى أن تعزز عيشها سر المسيح، بإسهامها بفعل النعمة في عمل الخلاص)[١].

أما مجلس الكنائس العالمي الذي تأسس أصلاً لتوحيد العمل التنصيري للكنائس غير الكاثوليكية في العالم، فقد حمل بذور الخلاف حول قضية «الحوار» والعلاقة مع الديانات غير المسيحية في بنيته الأساسية. وتقاذفت حركة المد والجزر فكرة الحوار في مؤتمراته المتعاقبة[٢]. وحتى لدى أولئك الأكثر انفتاحاً وحماساً للحوار، أمثال القس ويسلي أريا راجا[٣]، فإن الحوار إطارٌ جديد للشهادة. وفي كتاب «توجيهات في الحوار» الصادر عن مجلس الكنائس العالمي جاء ما يلي:

(نحن لا نخال أن بين الحوار والشهادة تناقضاً. وما من شك أنه عندما يدخل المسيحي في الحوار، وهو ملتزم بيسوع المسيح، غالباً ما يكون الحوار مجالاً لشهادة حقيقية، لذا... يمكننا بكل صدق أن نحسب الحوار كإحدى الوسائل التي من خلالها تتم الشهادة ليسوع المسيح في أيامنا)[٤].

---

(١) رسالة الفادي (١٤٠).

(٢) انظر: مبحث مجلس الكنائس العالمي (٤٦٣).

(٣) انظر عرضاً لكتابه: (الكتاب المقدس، ومؤمنو الأديان الأخرىٰ) في مبحث حقيقة التقريب عند مجلس الكنائس العالمي، في الفصل الثالث من هذا الباب.

(٤) انظر الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (٧٠).

وقد عقد المنصرون البروتستانت في أمريكا الشمالية مؤتمراً عالمياً لتنصير المسلمين في مدينة «جلين آيري» بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م، وُصف بكونه (واحداً من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ. ويرجع السبب في نجاح هذا المؤتمر إلى أن الـ «١٥٠» مُؤتمِراً الذين وفدوا من شتى أنحاء المعمورة، والذين يمثلون العديد من الشعوب والتقاليد الكنسية المختلفة، والتجارب الواسعة، قد اجتمعوا على صعيدٍ واحد، يربطهم هدفٌ واحد، وهو البحث عن أنجع السبل لتنصير الـ «٧٢٠» مليون مسلم... فالعالم الإسلامي يمر اليوم بحالة من التمزق الاجتماعي والسياسي، ولذلك يوجد لدى المسلمين استعداد قلبي وعقلي لتقبل رسالة المسيح)[١].

ومن بين أربعين بحثاً قدمت في المؤتمر، كتب دانيل آر بروستر بحثاً بعنوان: (الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير) ناقش فيه الأسلوب الذي استخدمه مجلس الكنائس العالمي في حوار المسلمين، وذكر تحفظاتهم على هذا الأسلوب، وتساؤلاتهم عما (إذا كان الحوار حسب ما استخدمه مجلس الكنائس العالمي قد تغير فعلاً، أو أن نظرتهم للمحاورة «كأسلوب مفيد للتنصير» في مؤتمر نيودلهي[٢] كانت ببساطة غير ملائمة من البداية)[٣]. وقد كشفت المقالة، وتعقيبات

---

(١) من تصدير كتاب «الإنجيل والإسلام» The Gospel and Islam المترجم للعربية بعنوان: التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي: ترجمة كتاب: الإنجيل والإسلام. إعداد: دون ماكري. نشر دار مارك MARC الطبعة الأولى ١٩٧٨م. وقد رد الله كيدهم في نحورهم، فبعد هذا المؤتمر الذي علقوا عليه الآمال العريضة، عمت الصحوة الإسلامية أرجاء العالم الإسلامي.

(٢) عقد عام ١٩٦١م، واعتبر الحوار وسيلة مفيدة للتنصير.

(٣) المرجع السابق (٧٧٠).

المشاركين في المؤتمر من المنصرين عن انقسام وتردد في جدوى أسلوب الحوار بغرض التنصير، مما حدا بالكاتب إلى تطبيق «مقياس إينكل»[(١)] على القضية، وخلص إلى القول: (استناداً إلى المقياس السابق، فسوف يتضح أن الحوار قد يكون مفيداً في جعل الناس يدركون مبادئ الكتاب المقدس الأساسية. وفي جعل الرجال والنساء يفهمون التضمينات الشخصية، وحتى في جعل الناس يدركون الحاجة الشخصية. ولكن بما أن مصطلح حوار يعني الأخذ والعطاء معاً، فهل يمكن أن يتم التحدي الحقيقي للشخص ليقبل المسيح في المحيط الذي نسميه الآن «الحوار»، أو أنه يجب أن يتم في محيطٍ يتبعه؟ هل يمكن أن يكون الحوار بديلاً عن الإعلان والدعوة المباشرة الصريحة، أو أن فائدته مقصورة على فترة «ما قبل التنصير»، أي أنه أداة لتحريك الناس ليكونوا أقرب إلى النقطة التي تكون فيها النصرانية هي الخيار الحقيقي... ومن جانب آخر إذا شعرنا بأن شكلاً ما من أشكال الحوار يمكن أن يكون مفيداً لكسب المسلمين فعندئذٍ يكون مهماً أن نبدأ الآن في تخطيط كيفية القيام بذلك)[(٢)].

هذه خبيئة نفوس النصارى تجاه مؤتمرات التقارب والحوار، أما مواقفهم المعلنة في البيانات الختامية فإنها تندرج في باب المجاملات أو المراوغات للوصول إلى أهدافٍ مبيتة.

وقد حكى الكاتب عن أحد المعقبين على طرحه، قوله: (إن أعضاء مجلس الكنائس العالمي غير ملتزمين بالتقيد بهذه البيانات. وأن الاشتراك في الحوار لا يعني على الإطلاق إيقاف المرامي التنصيرية)[(٣)].

---

(١) هو جملة من الأسئلة المجردة يستخلص من الإجابات عليها اتخاذ قرار ما، بحساب نقاطٍ إيجابية وأخرى سلبية، ثم حساب المحصلة النهائية.

(٢) المرجع السابق (٧٧٥ ـ ٥٧٧).

(٣) المرجع السابق (٧٨٣).

٣ ـ باعث الصد عن سبيل الله:

لقد راع الكنائس الغربية في العصر الحديث انفتاح شعوبها على الدين الإسلامي، واعتناق ألوفٍ منهم إياه، حين أتيح لهم بصورة أفضل من ذي قبل سماع كلمة الحق، والانعتاق من التشويه الكنسي لدين الإسلام عبر القرون، عقيدته، ونبيه، وكتابه، وتاريخه.

لقد مارست الكنائس النصرانية تأثيراً كبيراً على رعاياها في صرفهم عن النظر إلى دعوة الحق، واعتمدت أساليب منحطة قائمة على الكذب والتزوير في تنفير الفرد النصراني من لفظة «الإسلام»، و«محمد» ﷺ، ينشأ عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير.

وحين انعتقت أوروبا من نير الكنيسة، وساد الفكر الإنساني، واتصلت الشعوب بعضها ببعض عبر قنواتٍ عدة، تحسس الناس حجم التضليل والتشويه الذي كان يقع عليهم، فمنهم من تحسنت صورة الإسلام لديه نسبياً، ومنهم من شرح الله صدره للإسلام[١].

لقد خطف بريق الإسلام أبصار الغربيين الذين اعتمدوا منهج التفكير المنطقي الموضوعي، فلم تعد تسيرهم التعاليم الكنسية العقيمة، وآلمهم الخواء الروحي، فلم تعد مواعظ الأحد تسد جوعتهم، وتروي ظمأهم، فصوبوا أنظارهم نحو النور الذي يلوح في الأفق الشرقي، وتنقشع أمام سناه سحب ضبابٍ تراكمت عبر القرون. فرأت مراكز القوى النصرانية أن الأسلوب القديم القائم على المجابهة والتشويه الإعلامي، والشحن النفسي، غير مجدٍ في «الصد» في عالمٍ ذابت فيه الحواجز والحدود، وبات كل شيءٍ قابلاً للنقاش. ويصف القس أريا

(١) تراجع في ذلك قصص المهتدين من الأروبيين وغيرهم. مثل سلسلة رجال ونساء أسلموا. لعرفات كامل العشي. وحوارات مع مسلمين أوربيين لعبد الله أحمد قادر الأهدل.

راجا هذا الوضع الجديد بقوله: (تواجه الكنيسة اليوم واقعاً يتسم بالجدّة. ففي الماضي كانت العلاقات بالأديان الأخرى تساعد الكنيسة على إغناء ذاتها وتطوير إيمانها[١]...

أما اليوم فقد تبدلت الأوضاع تماماً، ومن المهم أن نشير إلى بعض خصائص هذه الحقبة من تاريخ البشرية:

أولاً: لقد تحررت الأديان الأخرى من وطأة الاستعمار، وهي تطرح نفسها اليوم كبديل عن الإيمان المسيحي له شموليته. ولقد حدث في تلك الأديان ما يشبه النهضة خلال السنوات الأخيرة[٢]، فظهرت فيه حيوية جديدة، واندفاع رسولي جديد...

ثانياً: لقد توغلت تلك الديانات إلى حدٍ بعيد، حتى في الغرب المسيحي، مما جعل من التعددية الدينية واقعاً في كل المجتمعات تقريباً. فعدد المسلمين في فرنسا يفوق عدد المسيحيين المصلَحين، ومسلمو بريطانيا أكثر من «الميتوديين»[٣] فيها. فالأديان الأخرى لم تعد متواجدة في البلدان البعيدة فقط. والأقليات التي تعيش بين الأديان الأخرى تجد نفسها مرغمةً على إعادة النظر في مواقفها من تلك الأديان، وعلاقاتها مع جيرانها...

---

(١) يريد أن الكنيسة كانت تعتمد على العلاقات العدائية مع الديانات الأخرى في تعزيز موقفها السياسي العقدي والاجتماعي. بينما أفرزت حالة الوفاق الدولي وشيوع الفكر الإنساني التصالحي نضوب هذا المصدر.

(٢) لم تشر الترجمة العربية للكتاب إلى تاريخ تأليفه، ويظهر من خلال التمهيد والمقدمة والإحالة على بعض المراجع المؤرخة إلى أنه ألف في أواسط الثمانينيات ١٩٨٥م تقريباً أما الطبعة العربية الأولىٰ ففي عام ١٩٩٥م.

(٣) الميتوديين أو الميتوديست: فرقة متفرعة عن الكنيسة الإنكليكانية، ظهرت في النصف الأول من القرن الثامن عشر، على يد جون فيسلي ت ١٧٩١م في أكسفورد، بغرض الإصلاح في حياة الكنيسة دون المساس بعقائدها الإيمانية، بإدخال مبادئ تَقَوية صارمة جداً من التعبد والتكلف في الزهد. وظلت تنتشر في عموم بريطانيا وشمال أمريكا. انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية (٦٦٠).

ثالثاً: وربما كان هذا هو الأهم، هنالك وعي متزايد لغنى الأديان الأخرى... كان المسلمون في الماضي يحسبون منافسين، أما اليوم فنشهد اهتماماً متزايداً في مفهوم الإسلام للجماعة وللصلاة... وبعبارة أخرى، فإنه لا العدائية اللاهوتية، ولا اللامبالاة تجاه الأديان الأخرى مسموح بهما بعد اليوم. فالطرق التي انتهجها المسيحيون قديماً في تعاملهم مع الأديان الأخرى لم تعد تكفي)[١].

إنه وصف دقيق، وتحليل بارع للوضع الذي آلت إليه النصرانية في مقابل الإسلام. لقد انتهى عصر الوصاية على العقول، والحجر على التفكير. والنصرانية المهلهلة لا تملك أن تصمد أمام زحف الإسلام الكاسح، وعقيدته المتينة الموافقة للعقل والفطرة. ومن ثم فقد تفتقت عقول القوم عن فكرة التقريب والحوار بين الأديان للظهور أمام مواطنيهم ورعاياهم بمظهر التآلف لا الندية، والوفاق لا المجابهة، والحوار لا القطيعة. وبذلك يطفئون نار التشوق والترقب التي تضطرم في قلوب رعاياهم بحثاً عن الأمل المنشود، والأمن المفقود، حين يرون ما يأملون يعانق ما يألمون، ويسمعون عبارات المداهنة والاعتراف تصدر مِمن كانوا يظنونهم رسل هدى، وحملة حقيقة.

وقد عبر الدكتور علي بن نفيع العلياني عن هذا الباعث الخفي بقوله: (الدعوة إلى زمالة الأديان في هذا العصر دعوة خبيثة تظهر أحياناً بهذا الاسم، وأحياناً باسم التقريب بين الأديان، وأحياناً باسم جمعيات الصداقة بين الأديان ونحو هذه المسميات. وجوهرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافاً من المسلمين بصحة دينهم. وهذا له دورٌ كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام. وذلك لأن كثيراً من النصارى وبعض اليهود

---

(١) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (٨١ ـ ٨٢).

متعطشون إلى دينٍ شامل كامل كالإسلام. وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية التي هي من صنع الأحبار والرهبان، وليستا الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى ﷺ. فإذا سمع هؤلاء تلك الشنشنة التي تصدر من أشخاصٍ يطلق عليهم ألقابٌ علمية ودينية كبيرة، المتضمنة لاعترافهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين، وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود، والبحث عن مزاملته بأي ثمن، ومحاولة تقريبه من الإسلام، خاب ظنهم وقالوا: لماذا ننتقل إلى الإسلام وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسة، بل إن ديننا أفضل منه بدلالة حرص أصحابه على تقريبنا إليهم ليكسبوا بذلك شرفاً وعزاً)[١].

ومن أعظم الصد عن سبيل الله، وأشنع صوره التي تقشعر منها الأبدان، ويفتن بها فئام من الناس عن الإيمان، ما استحدثه دعاة التقريب من عبّاد الصلبان، واستزلوا به بعض المنتسبين إلى الإسلام، من «الصلاة المشتركة» والعياذ بالله، التي دعا إليها البابا يوحنا بولس الثاني في ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦م في بلدة أسيزي الإيطالية، وقدم نفسه للعالم بوصفه القائد الروحي للأديان جميعاً، وأنه حامل رسالة السلام للبشر، ولبى الدعوة عددٌ من المسلمين[٢].

فيا له من موقف خزي وعار، ومسبة وشنار، أن يصطف أهل «لا إله إلا الله» خاضعين ذليلين يؤمهم كبير أهل التثليث ويدعو بهم.

---

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه (٤٤٩).

(٢) انظر سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. رقم (١٥/ ٨٧) في ٥/ ٨/ ١٩٨٧م. وانظر الباب الثاني فصل المحاولات الجماعية «جمعية سانت إيجديو» في بيان اللقاءات المتتابعة لهذه الصلاة المزعومة، وموضوعات تلك الملتقيات.

ويا لها من فتنة عظيمة لكل من حدّثته نفسه باعتناق الإسلام، وهو يرى ممثليه ـ حسب علمه ـ ينضوون تحت عباءة البابا، وفي ظل صليبه.

وهذا التأثير السيء في الصد عن سبيل الله، يحصل بمجرد اللقاء ومراسم الاستقبال والوداع، وما يصاحب ذلك من تغطية إعلامية موجهة.

أما ما يحصل من صدٍ عن سبيل الله فيما يعلن في البيانات الختامية، وبحوث المؤتمرات فأعم وأطم.

٤ ـ الباعث السياسي:

لقد ولدت دعوة التقريب في العصر الحديث، وولدت معها تهمة الباعث السياسي، وذلك حينما دعت جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط في بادرة هي الأولى من نوعها، في العصر الحديث، إلى لقاء بين المسلمين والنصارى، فانعقد المؤتمر الإسلامي المسيحي في «بحمدون» في لبنان عام ١٩٥٤م تحت شعار «القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية». وقد كان العالم في تلك الفترة يشهد مداً شيوعياً، وكانت منطقة الشرق الأوسط العربية الإسلامية ساحة خالية أمام ذلك المد، ساعد ذلك مساندة العالم الغربي الرأسمالي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية، لقيام دولة إسرائيل وحمايتها، من جهة، ومن جهة أخرى غياب الإسلام الصحيح عن الساحة، فسرعان ما صوبت أصابع الاتهام إلى النوايا السياسية المبيتة لتلك الجمعية، وافتضح أمرها، بل كان بعض أقطابها يصرحون بذلك الباعث السياسي، كما قال أحدهم حينذاك: (إن العالم الحر اليوم، أكثر من أي زمنٍ آخر، يحسب الحساب للتطورات العالمية، وازدياد خطر الشيوعية، وإن الولايات المتحدة الأمريكية تنظر بعين القلق إلى

التطورات والأحداث الجارية في الشرق الأوسط، وترى من واجبها أن تقوم بكل ما في وسعها، كقائدة للدول الخارجة عن الستار الحديدي الشيوعي، للقضاء على الشيوعية التي أخذت تتفشى في الشرق الأوسط خصوصاً، بشكل مريع.

وإن أمثال هذا المؤتمر هي من الضرورة بمكان لتوطيد العلاقات بين دول الشرق الأوسط والولايات المتحدة، وللحؤول دون نجاح الحركات الشيوعية في هذه البقعة الحساسة من العالم التي يعتبرها العالم الحر قطعة يجب أنه تظل في جوٍ مليء بالاستقرار)[١].

وقد تناولته مختلف الاتجاهات في المنطقة من قومية، ويسارية، وإسلامية بالنقد والاتهام[٢]. وصار هذا الهاجس مصاحباً لأمثاله من المؤتمرات اللاحقة، حيث تفسر تفسيراً سياسياً بحتاً.

والحق أن «الباعث السياسي» هو أحد البواعث الكامنة خلف عملية التقريب. وتتفاوت حصته قلةً وكثرة بحسب الظروف المحلية، والأحداث العالمية المصاحبة أو السابقة لعقد مؤتمر ما. ومقتضى العدل والإنصاف أن نوافق الكاتب الروسي «أليكسي جورافسكي» إذ يقول: (في عدد من المؤلفات في «ميدان علم الأديان» غير المكرسة لإشكالية الحوار الديني، نجد أن هذه المسألة تناقش كظاهرة سياسية وحسب، مثل الدعوة إلى إقامة جبهة المؤمنين في العالم ضد الوثنيين والملاحدة. صحيح أن الدوافع السياسية... الأيديولوجية من المحركات المهمة لهذه الظاهرة، ولكن أن يعزى إليها مضمون الحوار

---

(١) انظر: هرطقات فِريّسية... تأليف د. جورج حنا عام ١٩٥٤م، وقد نقل النص السابق عن مقابلة مع مدير الأبحاث والنشر في جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط مع مجلة الإصلاح عدد (٢٤) نيسان ١٩٥٤م.

(٢) المرجع السابق. حيث ساق تصريحات مناهضة للمؤتمر من قبل زعامات دينية واجتماعية.

كله فهذا يظل أمراً غير موضوعي، ولا يكشف الحقائق كاملة)[١].

والكنائس الغربية لا تألو جهداً في استثمار لقاءات التقارب لتحقيق بعض المكاسب السياسية المتعلقة بالأقليات النصرانية في البلاد الإسلامية، وقضايا «الحريات الدينية»، ومفهوم «الدين والدولة» ونحوها. ويراد من ورائها تعزيز النفوذ السياسي والاجتماعي لتلك الأقليات، وتمكينها من بناء المزيد من الكنائس والمؤسسات الخاصة. ومهاجمة «حد الردة»، وحرية تغيير الدين، ومشروع الدولة الإسلامية[٢].

وفي الوقت نفسه تتم عمليات الإبادة والتطهير العرقي، والتهجير الجماعي، والإلجاء إلى اعتناق النصرانية، في مواقع متعددة من العالم، وتكتفي البيانات بعبارات عامة تعرب عن أسفٍ مطلق لما يجري هنا أو هناك.

---

(١) الإسلام والمسيحية (١٧).

(٢) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية: جمع جوليت حداد:
حول الحرية الدينية: (٢/١٣)، (٧/١٣، ١٤)، (٨/١٥، ١٩)، (٩/٤)، (١/٦، ٨، ١٣، ١٨، ٢٥، ٢٦، ٢٨)، (١٣/١٨، ٢٢)، (١٤/٢ ـ ٥، ٨)، (١٥/٥، ٧)، (١٨/١٦، ١٩)، (٢١/٢٤، ٢٦، ٢٧)، (٢٤/٨)، (٢٥/٩)، (٢٧/٨، ٩، ١١)، (٢٨/٦).
وحول الردة عن الدين: (٥/٥)، (٧/١٣، ٣٠)، (٨/١٥، ١٦، ١٨)، (١١/٨، ١٩، ٢٢)، (١٣/٢٧)، (١٤/٦)، (١٥/٥، ٢٠، ٢٤)، (١٦/٢)، (١٨/٧، ٨)، (٢١/٢، ٢١)، (٢٦/١٣)، (٢٨/٦).
حول الأقليات الدينية: (٥/٥)، (٧/١٣، ١٦)، (٨/٦، ١٢)، (١٠/٢١)، (١١/٥)، (١٥/٢٦)، (١٢/١)، (١٣/١٨)، (١٤/٢، ٤)، (١٥/٨، ١٠، ١٤، ٢١)، (٢١/٢، ٧، ٢٢ ـ ٢٨)، (٢٤/٨)، (٢٦/٣، ٣١)، (٢٧/٩).

المبحث الثاني

بواعث التقريب لدى النصارى العرب

لم تبد الكنائس الشرقية على وجه العموم، والعربية منها على وجه الخصوص حماساً أو مبادرة في الدعوة إلى التقريب والحوار مع الإسلام إلا في السنوات الأخيرة التي أعقبت الحرب الأهلية اللبنانية، أي بعد المبادرات الغربية بحوالي أربعين سنة، من مؤتمر «بحمدون» المنعقد عام ١٩٥٤م. كما أنها نأت عن الحوار العقدي، واتجهت نحو حوار التعايش.

والقدر الذي عني بالجوانب العقدية كان مبادراتٍ شخصية شاذة، لا تمثل توجهاً عاماً، كتلك التي صدرت من الأب يوسف درة الحداد، واكتست ثوباً من التزييف والإفك الذي يبعد الآخر ولا يقربه، ولا يهدف فعلاً إلى إقامة الحوار بل إلى إلغائه[١].

ويتساءل الدكتور محمد الشاهد عن تفسير هذه الظاهرة ويجيب: (لماذا تأتي الدعوة إلى الحوار من جانب الكنائس والمؤسسات الدينية النصرانية التي تعيش في أوروبا، بينما لا نجد حماساً شديداً في الدعوة إلى مثل هذا الحوار من جانب الكنائس الشرقية، التي كان ينتظر أن تكون أكثر اهتماماً بالحوار مع المسلمين الذين يحيطون بهم من كل جانب، ويشكلون الأغلبية الساحقة في المجتمعات التي يعيشون فيها؟

لعل السبب في هذه الظاهرة أن الكنائس الشرقية أعلم من غيرها

---

(١) انظر: حقيقة التقريب لدى النصارى العرب. مبحث (الجدليين من النصارى العرب).

بأحوال المسلمين، وبتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية، وعدم جدوى هذه الوسيلة لتنصيرهم. وإن كان لهذا التفسير ما يبرره، إلا أن هناك تفسيراً آخر لعله أقوى وأقرب إلى الصحة، وهو أن الكنائس التي تعيش بين المسلمين، ويتكلم تابعوها العربية التي هي لغتهم الأم، يقرأون مؤلفات المسلمين، ويعرفون حججهم القوية في الدفاع عن دينهم الإسلامي، الحجج المثبتة لصحة الدين الإسلامي، وكذلك الحجج المثبتة لتحريف الأناجيل التي بني دينهم عليها، هذا من شأنه أن يجعل نتيجة الحوار في غير صالحهم، ولعلها تؤدي إلى عكس ما ينتظرونه. ولعل وجود النصارى في المجتمع الإسلامي، كأقلية ضعيفة الشأن في مقابل أغلبية ساحقة من المسلمين لا يكون مناسباً، أو مساعداً على ظهورهم بمظهر الواثق من نفسه، ومن قوة حجته، هذا على عكس الكنائس الغربية التي تدعو إلى الحوار على أرضها، حيث تكون الأغلبية الساحقة لأتباعهم، ولا تشكل المجموعة الإسلامية سوى أقلية ضعيفة الشأن. وثمة سبب آخر يمكن أن يكون تفسيراً لعدم حماس الكنائس الشرقية للدعوة إلى الحوار مع المسلمين، وهو تخوفهم من احتمال أن يسبب دفاعهم عن عقيدتهم، وإبداء حججهم، إثارة فتنة طائفية في المجتمع الذي يعيشون فيه، تكون نتيجتها في غير صالحهم، وغير صالح المجتمع ككل. تلك احتمالات واجتهادات لعل فيها أو في بعضها يكمن شيءٌ من الحقيقة)[1] وخلاصتها كما يلي:

١ ـ إدراك الكنائس الشرقية لتمسك المسلمين بعقيدتهم.

٢ ـ إدراكهم واطلاعهم على قوة الحجة الإسلامية، لمعرفتهم باللغة العربية.

---

(١) التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: د. محمد الشاهد. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م). (٦).

٣ ـ عقدة «الأقلية» المنتجة للشعور بالضعف، وعدم التكافؤ.

٤ ـ الخوف من عواقب الحوار، كإثارة الطائفية.

ونضيف سبباً خامساً مهماً يفسر تأخر النصارى العرب عن ركب الحوار والتقارب وهو انخراطهم في الاتجاهات القومية والوطنية التي كانت مزدهرة في الفترة الماضية(١).

١ ـ الباعث القومي والوطني:

وهو مركب امتطاه النصارىٰ العرب بغرض إقصاء فكرة «الجامعة الإسلامية» و«الحكومة الدينية»، والاستعاضة عنها بـ«الرابطة القومية» أو «الوطنية»، وإقامة «الحكومة المدنية العلمانية»، حيث يتساوىٰ جميع أفراد المجتمع على أساس «القومية» و«الوطنية». فلأجل هذا جرت أقلام كثير من كتابهم وأدبائهم بهذه الدعوات الجاهلية، والتقليل من شأن الفروق الدينية، ولو أدىٰ ذلك إلىٰ التحلل من سمت الأديان، ونقض عرىٰ الإيمان. ومن شواهد ذلك لدىٰ أدبائهم:

* قال الشاعر القروي، رشيد سليم الخوري(٢)، بمناسبة عيد الفطر:

هبوا ليَ عيداً يجعل العرب أمةً ... وسيروا بجثماني على دين برهم
فقد مزقت هذي المذاهب شملنا ... وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

---

(١) انظر: مبحث «النصارى العرب» من هذا البحث (٥٠٠).

(٢) رشيد سليم الخوري (١٣٠٥ ـ ١٤٠٤هـ): أديب وشاعر مهجري. ولد في قرية البربارة بلبنان، وهاجر إلىٰ البرازيل. لقب بشاعر القومية العربية، كما لقب في البرازيل بشاعر الجبل، ثم اشتهر بلقب الشاعر القروي. من آثاره: ديوان شعر يحمل لقبه، الأعاصير، أدب اللامبالاة: أدب الشماتة والعقوق. انظر: تتمة الأعلام (١/ ١٧٩).

* وقال إسكندر الخوري[(١)]:

قبل المسيح وأحمد كنا وما زلنا عرب
كانت وما زالت لنا أوطاننا أماً وأب
لا دين يجمعنا سوىٰ دين لمجد والنسب

* وقال حليم دموس[(٢)]:

لك دين وله دين ولي آخر والكل دين محترم
فاحسبوا أدياننا واحدة واجعلوا قبلتكم هذا العلم

* وقال ميشال المغربي[(٣)]:

صنو المسيحية الإسلام في نظري كلاهما مُوجِدُ الأديان مُوجِدُه
فكيف أولِّيه ظهري حين أبصره أخٌ لِي دربُه مثلي ومصعدُه
ماذا يضيرك ما كانت عقيدته ما زال يعبد رباً أنت تعبدُه

---

(١) إسكندر الخوري (١٣٠٧ ـ ١٣٩٣هـ): إسكندر ابن الخوري جريس يعقوب، البيتجالي، أديب، كاهن أرثوذكسي، فلسطيني من بيت جالا. تتلمذ على الشيخ عبد الله البستاني وشغف بالأدب. من آثاره: «الزفرات»، «دقات قلب»، «مشاهد الحياة». انظر: الأعلام (١/ ٣٠٣).

(٢) حليم دَمُّوس (١٣٠٥ ـ ١٣٧٧هـ): حليم بن إبراهيم بن جرجس دموس، من طائفة الروم الأرثوذكس، متأدب، له نظم كثير، في بعضه إجادة. ولد ونشأ في «زحلة» بلبنان، وسافر إلى البرازيل وعاد إلى بلده، ثم دمشق، وتوفي في بيروت. له ديوان باسمه و«المثالث والمثاني» و«يقظة الروح». انظر: الأعلام (٢/ ٢٧٠).

(٣) ميشال المغربي (١٣١٩ ـ ١٣٩٧هـ) (١٩٠١ ـ ١٩٧٧م): ولد في الإسكندرية من عائلة سورية، ثم عاد إلى حمص سنة ١٩١١م. هاجر إلىٰ «تشيلي» عام ١٩٢٣م، ثم البرازيل للتجارة فربح وأثرىٰ. كان شغوفاً بالأدب والشعر، فنظم قصائده في المهجر. ذو نزعة وطنية. عاد إلىٰ وطنه سوريا عام ١٩٥٦م بعد غيبة ٣٣ سنة. وهو من أواخر شعراء المهجر. له ديوان «أمواج وصخور». انظر: تتمة الأعلام (٢/ ١٩٥).

وكان ينطق ضاداً أنت تنطقها   وما تردد من شعر يردده[١]

٢ ـ الباعث الأمني:

يعيش نصارى العرب حالة من الخوف والقلق من المستقبل. ويرى بعضهم أن النصرانية المشرقية في طريقها إلى الاندثار والاضمحلال والذوبان، في خضم البحر المتلاطم من الكثافة السكانية الإسلامية المتنامية. وقد غذّى هذا الشعور في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي وقائع الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠)، وتداعياتها السياسية والاجتماعية، التي زلزلت عرش الاستقرار والنفوذ النصراني في معقله في لبنان. كما يغذيه أيضاً «نذير الشؤم» الذي تقرعه أجراس الكنائس الغربية، وينعق به متعصبوها. فقد كتب أحد الدبلوماسيين الفرنسيين المتعصبين: جان بيار فالونيه كتاباً في قرابة ألف صفحة تنضح بالحقد على الإسلام والمسلمين، ينعى فيه الوجود النصراني في المشرق، وسماه: «حياة مسيحيي المشرق وموتهم من البدايات حتى أيامنا» باريس ١٩٩٤م.

ولحداثة الكتاب، واحتفاء بعض نصارى العرب به، نقتطع بعض عبارات التأبين التي تلاها الكاتب الفرنسي على «جثمان» النصرانية المشرقية، لما تنشره من هلع وحذر في نفوس النصارى العرب فتزيد حيرتهم في البحث عن مخرج:

(... إن مسيحيي المشرق هم في صدد الاندثار...

■ هل إن الاستئصال النهائي للمسيحيين سيتخذ شكل مأساة مكمّلة؟ كثيرة السوابق الأليمة التي تمنعنا من استبعاد ذلك. بالرغم من هذا، إن ما هو أقرب إلى الاحتمال أنها ستندثر دون ضجيج، بنزيفٍ مستور وقاسٍ...

---

(١) انظر في هذه الاختيارات: محمد عمارة في ميزان أهل السنّة والجماعة. سليمان الخراشي (٣٦٠ ـ ٣٦٢).

■ إن العودة بالقوة لإسلامٍ متعصب، يعيد إلى الواجهة في المجتمعات الشرق أوسطية معاييرَ التفريق الطائفية، وكل ألوان التمييز التي تتضمنها...

■ عندما تصبح القوى الديموغرافية غير مواتية إلى هذا الحد، بأي شكلٍ يمكن التصدي لفريق الأغلبية المطلقة الذي يود أن تكون هويته هوية البلاد بأجمعها؟ أليس من الفطنة بالأحرى أن يتوقف المسيحي عن التزامه كمسيحي، ويتقيد بالخط العربي الإسلامي المهيمن؟ هكذا عدة آلافٍ من الأقباط ينتقلون بهدوءٍ كل سنةٍ إلى الإسلام، بينما أكثرية من المسيحيين السوريين أو الفلسطينيين ينادون بإصرار مؤثر بالقومية العربية...

■ إن تدهور المسيحيين الشرقيين يبين عجز المجتمع المسلم في احتواء ما لا يماثله...

■ كيف لا نتساءل عن الأسس الدينية التي حددت، منذ أكثر من ألف سنة، الأنظمة الاجتماعية والسياسية للشرق العربي؟ لهي أنظمة ستكون عما قريب إزاء التطور الجاري في سائر أنحاء العالم، الأكثر تخلفاً، والأكثر جموداً على سطح الكرة الأرضية. لأن آسيا وأمريكا اللاتينية وحتى أفريقيا باشرت تحولاً عميقاً. عما قريب، وحده العالم الإسلامي سيظل مغلقاً أذنيه عن روح العصر، ووحدها الدول العربية وإيران ستبقى المربَّع الأخير للدكتاتوريات...

■ إن الجهاد يمارس أيضاً في أرض الإسلام ملحقاً الأذى بالشعوب اللاإسلامية. بعض هذه الشعوب التى لا ترتبط بالتقليد الإبراهيمي، لا تجد بديلاً سوى الارتداد أو الموت. أما الآخرون، المسيحيون، واليهود، فيجدون أنفسهم في منتصف الطريق بين الإيمان والكفر، وعليهم من هذا المنطلق، أن يصانوا بسبب مشاركتهم في الحقيقة، وأن يعاقبوا بسبب مشاركتهم في الضلال. من هنا الجهاد

الداخلي الذي يجب فيه على المسلمين أن يقيموا، وأن يجددوا عند الاقتضاء قانون الخضوع للأقليات غير المسلمة. لقد عرف هذا القانون تحت اسم «الذمة» والكلمتان اللتان تحكمانه هما: الانفصال والإذلال. انفصال، لأنه ينبغي أن يصان المؤمنون من عدوى الضلال. إذلال، لأن الضلال يجب أن يفضح بشكلٍ بارز كي يحث على الارتداد، ويشهد انتصار الحقيقة...»[1].

■ غروب الحضارة العربية الإسلامية سار في خطٍ متواز مع خنق المجتمع المسيحي، عندما رفض العالم الإسلامي إعطاء المسيحيين مكانهم الصحيح، قضى على نفسه بالعقم والذبول...

■ في الحقيقة، إن دستور الدول الذي اقتبس من النماذج السياسية الغربية، حمل إلى المسيحيين قدراً ضئيلاً من المساواة، إذ لم يعد وضع الأفراد والجماعات محدداً رسمياً وفقاً لاعتباراتٍ دينية. بيد أن ما كسبوه كمواطنين، خسروه كأقليات إثنية[2] وثقافية...

---

(١) في قلب العالم الحر خارج مربع الدكتاتوريات، كما يصفه هذا الفرنسي، وفي مدينة «جلين آيري» بولاية كولورادو الأمريكية، وفي عام ١٩٧٨م وليس في العصور الوسطى يشهد شاهد من أهله في مؤتمر «تنصير العالم الإسلامي» فيقول: (بينما يوافق المنصرون على أن التحول لدينٍ آخر لا يجب، ولا يمكن أن يتم بالقوة، فإنهم ما زالوا يشعرون أيضاً بأننا ينبغي أن «نجبرهم على الدخول». وسوف يجادل المنصرون بأن العالم الذي نعيش فيه بحر كبير من الإقناع المضاد، وهذا أمرٌ أكثر شرعية وأكبر فائدة للجنس البشري). من بحث «الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير» دانييل آر بروستر. التنصير (٧٧٠).

(٢) الإثنية: جماعة عرقية: إثنوس («الجماعة الإثنية» كما تعرف في العلوم الاجتماعية، هي التي تعتنق ثقافة تقليدية مشتركة، وشعوراً بالذات المستقلة، وتعد جماعة فرعية من المجتمع العام، ويختلف أعضاء الجماعة السلالية «الإثنية» عن باقي أعضاء المجتمع فيما يتعلق ببعض الخواص الثقافية، وقد=

■ لقد أثيرت مبادئ العلمنة على حساب المسيحيين وحدهم. بغية إجبارهم على تفكيك تنظيمهم الجماعي، بينما الإسلام ينجو من العلمنة متذرعاً بتداخله مع الدولة...

■ إن الأصولية الإسلامية... تمثل بالنسبة إلى المسيحيين تهديداً نوعياً. لقد أغفلت كل الاختبارات، وهي تنوي أن تعيد الأقليات الدينية إلى حرفية نظام اللامساواة الذي توجد أسسه في القرآن، لكنه حُدِّد في القرون الوسطى كأنه توضيح لعلاقات القوة التي أنشأها الغزو الإسلامي...

■ هل سيحتفظ القرن العشرين أيضاً للمسيحيين بمأساة أكبر؟ في الواقع، لقد جرت هذه المأساة تحت أنظارنا دون أن ندركها على حقيقتها، على مدى ستة عشر عاماً، عرض واقع الحال لائحة طويلة من نكبات لبنان... بالنسبة إلى جميع مسيحيي الشرق، وجود بلدٍ عربي حيث الجميع يتمكنون من أن يسيروا مرفوعي الرؤوس، ويعلنوا هويتهم وانتسابهم، ويعيشوا، دون عراقيل، معطيات العصر، كان يؤلف ضماناً وملاذاً.

أما الآن، وقد تلف النسيج الاجتماعي للبنان المسيحي مع استئصال السكان، ورحيل النخبة، وهبوط المستوى الدراسي، وخسارة مصداقية المؤسسات التمثيلية، وضعف المعنويات عامة، فأي مسيحي يمكنه أن يأمل بمستقبل مضمون في الشرق[1]...

= يكون لأفراد هذه الجماعة لغتهم الخاصة، وديانتهم، وبعض العادات المميزة، والأهم من ذلك شعورهم بالاختلاف عن محيطهم من ناحية، وبتوحدهم كجماعة تقليدية من ناحية أخرى. «المترجم») الإسلام والمسيحية. (١٩٩).

(١) ترى هل سيسمح هذا الفرنسي المتعصب، المتباكي على حال النصارى في لبنان ـ ولو نظرياً ـ أن يستقل المسلمون في فرنسا، الذين يبلغ تعدادهم قرابة=

■ في كل مكان، جو من العدوانية يحيط بالمسيحيين عندما لا يتفجر العنف دون إنذار على إثر حادثٍ تافه. إلى ذلك، إن الطوائف المسيحية مرتهنة منذ الآن لعلمية نزوح متزايد، وأن هروب النخبة من شأنه أن يقلل وضع الباقين دافعاً إياهم إلى الرحيل بدورهم.

هلا سيبقى بعدُ مسيحيون في الشرق في الألف الثالث؟ إذا لم نكن متأكدين من اضمحلالهم التام «البعض يبقون مع ذلك عن اقتناع، بالرغم من تيقنهم من حياة أفضل في الغرب» نعتقد أنهم يقتصرون على مجموعة من أفراد يعيشون مجهولين في المدن غير قادرين على مزاولة الحياة الجماعية التي لا بد منها للمحافظة على هويتهم. نظراً لعددهم الضئيل جداً، المعدوم الأهمية، لن يستطيعوا قط إلا أن يتقولبوا وفقاً للقيم المهيمنة، وأن يمتنعوا عن التمرس، بعملهم علانية، كمسيحيين)[1].

إن الغرض من سياق هذه المقتطفات ليس تفنيد مزاعم نصراني حاقد، بل الكشف عن طبيعة المؤثرات الخارجية، والحملات الاستثارية التي يصدِّرها نصارى الغرب لإخوانهم في الشرق، ليجعلوهم في همٍ دائم، وقلق مستمر، وتطلع إلى نصرة الأجنبي وحمايته، فيتخذوا بذلك موطئ قدم، إذا واتتهم فرصة للانقضاض. وهم بذلك يؤكدون ويعمِّقون «الانفصال» و«التقوقع» الذي يعيشه نصارى العرب بين

= أربعة ملايين نسمة بمقاطعة خاصة، (يتمكنون من أن يسيروا مرفوعي الرؤوس، ويعلنوا هويتهم وانتسابهم ويعيشوا دون عراقيل...)؟! لقد قامت الدنيا ولم تقعد في فرنسا حين أصرت طالبتان مسلمتان على ارتداء غطاء الرأس ـ وليس الوجه ـ في إحدى المدارس. فلم الكيل بمكيالين؟

(١) عن: المسيحيون في لبنان والمشرق (رؤى مستقبلية): الأباتي: بولس نعمان، د. كمال الصليبي، د. فريد الخازن. دير سيدة النصر. نسيبة ـ غوسطا ـ لبنان، طبعة ١٩٩٦م. (٦١ ـ ٨٥).

المسلمين، ولا يعالجونه، في الوقت الذي يزعمون فيه أنه من آثار تطبيق النظام الإسلامي. لقد خدع الغربيون نصارى الشرق إبان الحروب الصليبية فاستمالوهم إلى جانبهم، فلما تمكنوا أذلُّوهم، ولما دالت دولتهم في المشرق فروا وتركوهم يواجهون تهمة الخيانة والتواطؤ مع العدو. وهم بمثل هذه الكتابات يستزلونهم إلى مواقف مشابهة.

إن الخوف من المستقبل الذي تنتجه شحنات التشاؤم هذه، حملت نصارى العرب على التفكير الجاد، بل والشروع عملياً بالدخول في حوار مع المسلمين، بدلاً من القطيعة والركون الكلي إلى النصارى الغربيين، في محاولة لتهدئة المخاوف، وتحقيق المزيد من المكاسب التي تحققت لهم في هذا القرن.

ففي محاضرة للدكتور كمال الصليبي، أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، ورئيس المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمَّان، ألقاها في دير سيّدة النصر عام ١٩٩٦م في لبنان بعنوان «دعوة المسيحيين في الشرق إلى الانفتاح على الإسلام الحضاري»، يعرب فيها عن مشاعر النصارى العرب، وبواعث تلك المشاعر فيقول:

(المسيحيون في لبنان والبلاد العربية عموماً خائفون ـ أو على الأقل غير مرتاحين ـ بالنسبة إلى ما قد يخبئه لهم المستقبل، وذلك أكثر ما يكون للأسباب الآتية:

١ ـ أعداد المسيحيين في هذه البلاد ـ مطلقاً ونسبياً ـ هي في تضاؤل مستمر. وهذا التقلص في الوجود المسيحي في المنطقة مرشحٌ لأن يزداد حجماً وسرعة مع الوقت.

٢ ـ الدور المسيحي في القرار العربي ـ سياسياً واقتصادياً وحضارياً وفكرياً ـ هو أيضاً في تقلص مستمر، ومرشح لمزيدٍ من التضاؤل، مطلقاً ونسبياً. وفي لبنان الذي بقي حتى الأمس القريب آخر

موقعٍ للقرار المسيحي السياسي في العالم العربي، لم يعد المسيحيون قادرون على الاحتفاظ بالدور القيادي الذي كان لهم من قبل، إلى الحد الذي يريدون ويطمئنون إليه.

٣ ـ صوت العصبية والتطرف في الإسلام ـ وهو الذي يُدويّ حالياً، لسببٍ ما، على حساب الصوت الخافت للإسلام الحضاري المتعقل ـ لا يعطي الوجود المسيحي في العالم العربي ما يطمئن إليه هذا الوجود من الاعتبار، بل هو يبدو أحياناً، وكأنه يهدد استمرار هذا الوجود. . .

٤ ـ العلاقات والمصالح التي تربط بين العالم العربي والعالم الخارجي، لم تعد محصورة على الوسيط المسيحي المحلي إلى الحد الذي كانت عليه سابقاً.

٥ ـ اهتمام العالم الخارجي بمصير المسيحية والمسيحيين في الشرق لم يعد ملحوظاً وفعالاً إلى الحد الذي كان عليه في الماضي. . .

٦ ـ مراكز القرار المسيحي في العالم تبدو مهتمة بمحاورة الإسلام واليهودية لضمان المصلحة المسيحية العامة، تاركة للمسيحيين في الشرق الاهتمام بمصلحتهم الخاصة وحل مشاكلهم مع محيطهم الإسلامي إلى حدٍ كبير بأنفسهم)[1].

ثم يتساءل الدكتور الصليبي عما إذا كان ذلك يعني أن المسيحية في هذه المنطقة في طريقها إلى الزوال، وعن العمل المطلوب، ويستعرض عدداً من الحلول المطروحة ويقوم بتفنيدها، كالهجرة، والانعزال الجغرافي، وغيرها، ويخلص إلى رسم العنوان التالي: (حلٌ مستقبلي لا بد منه: يبقى حلٌ واحد لم يجرب بعد، وهو تغيير الخطاب

(١) المسيحيون في لبنان والشرق. «رؤية مستقبلية» (٣٧ ـ ٣٨).

المسيحي، والجهة التي يوجه إليها هذا الخطاب تماشياً مع التغيرات التي حصلت وتحصل في المنطقة وفي العالم...

المخرج على هذا الصعيد هو تنمية انتماء اجتماعي بديلٍ للانتماء الديني، يجمع بين الفريقين، ويلغي أو يقلل من التنافر في العصبية بينهما. ومن مصلحة الفريق الأضعف في المعادلة أن يكون هو المبادر في تنمية الانتماء المدني البديل...

لا بأس أن يحاول العرب المسيحيون عموماً، واللبنانيون منهم خصوصاً توجيه خطابهم السياسي والحضاري إلى محيطهم العربي الإسلامي الذي يشتركون معه في المصير. والذي لهم فيه أصدقاء وحلفاء طبيعيون، وأن يحصروا خطابهم على الشأن الديني في علاقاتهم مع العالم المسيحي الخارج. علماً بأن الخطاب السياسي مع العالم الخارجي لم يعد يلقى ما كان يلقاه سابقاً من آذانٍ صاغية. وإن الاستمرار في مثل هذا الخطاب هو في الواقع مضر في مصلحة المسيحيين في الشرق، لأنه يثير شكوك المسلمين ـ وعن حق ـ بشأن نواياهم)[1].

إن الكابوس المخيف الذي يجثم على صدور النصارى العرب هو ما يسمونه «الإسلام السياسي»، أو «الحركات الإسلامية الأصولية»، التي تسعى إلى تطوير نظام اجتماعي سياسي مستمد من الكتاب والسنة، يعيد وضعهم في «قالب» أهل الذمة. لذلك يشنون الحملات الضارية ضد هذا اللون من الاتجاهات ويتعاونون مع الإعلام العالمي في تشويه صورته وإبراز أخطائه.

ففي كتابٍ ألفه وزير لبناني سابق هو الدكتور ألبير منصور، بعنوان: «قدر المسيحيين العرب وخيارهم»، يعلن صراحة هذا العداء

(١) المسيحيون في لبنان والمشرق. رؤية مستقبلية (٣٩ ـ ٤١).

المستحكم قائلاً: (الإسلام السياسي تحدٍ مشترك يواجه جميع المسيحيين العرب، لأنه يعمل على قيام دولة دينية إسلامية، مصير المسيحي فيها إلى مصير الغربة. من موقع الضيافة، ضيفٌ عزيز في يوم الرخاء، ومتسامح معه في اليوم السواء، ومشبوه مذموم في يوم الشدة. ضيفٌ غريب في بيته ووطنه، لأن الدولة الدينية الإسلامية تصادر الوطن وتلغيه)[1].

ولذلك يفرق الدكتور كمال الصليبي بين «صوت العصبية والتطرف في الإسلام» الصادر من «دعاة العصبية والتطرف»، وما يسميه «الإسلام الحضاري المتعقل» الذي ينبغي أن يتوجه إليه خطاب الحوار. فيقول: (المسيحيون في جميع هذه البلاد، من هذه الناحية يواجهون الخطر ذاته الذي يواجهه الإسلام الحضاري المتعقل، الذي هو إسلام الأكثرية... وفي ذلك ما يجعل من العرب المسيحيين الحلفاء الطبيعيين للإسلام الحضاري، في مواجهة قوى التخلف في البلاد العربية)[2].

ونحن لا نعلم المدلولات الدقيقة لمصطلح «التعصب والتطرف» من جهة، و«التحضر والتعقل» من جهة أخرى، لدى الكاتب، ولكننا نعلم قطعاً بوجود «إسلامٍ واحد» محفوظٍ من التغيير والتبديل، هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. فإن كان الدكتور كمال الصليبي يقصد بالتعصب والتطرف قتل الآمنين النصارى القاطنين في بلاد الإسلام، أو العابرين أو المقيمين وفق عهد أو عقد، فنحن نتفق معه على ذلك الوصف، إذ ليس في الإسلام غدرٌ ولا غيلة ولا ظلمٌ ولا عدوان. وإن

---

(١) قدر المسيحيين العرب وخيارهم (٢٣٦). وانظر: مراجعة تركي علي الربيعو وتحليله العميق للكاتب والكتاب في مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٢٦٣ ـ ٢٦٧) وما ذكره ألبير منصور من وصف الذم والشبهة في يوم الشدة لأهل ملته لم يقع في التاريخ الإسلامي إلا لوجود براهين وأدلة مادية على حصول تواطؤ وتآمر مع المستعمر والمعتدي. راجع نبذة تاريخية من التمهيد.

(٢) المسيحيون في لبنان والشرق «رؤية مستقبلية» (٤٠).

كان يقصد بذلك استجابة المؤمنين لما يحييهم، من إحياء ما اندرس من معالم الإسلام وشريعته، والعيش وفق تعاليمه السمحة العادلة، ويرى في المناداة بذلك تطرفاً وعصبية فلا، ولا كرامة. ولا يسع أهل الإسلام إقصاء دينهم، وتعطيل شريعتهم، إرضاءً لشرذمة طبع الله على قلوبهم، فأصروا على اتباع الباطل، وبطر الحق. وإننا ندعو أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية أن يراجع التاريخ بصدقٍ وإنصاف، وسوف يجد من شهادات بني دينه ما ينصف المسلمين أو يكاد، من جنس قول المستشرق الإنكليزي أرنولد: ت. ويلسون[(١)] (من الحق أن نقول أن غير المسلمين نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد معادلاً لها في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة)[(٢)]. وقول غوبينو: (لا دين يضارع الإسلام في التسامح)[(٣)].

٣ ـ الباعث الاجتماعي:

عاش النصارى طوال القرون الإسلامية المتعاقبة «ذميين» داخل إطار المجتمع المسلم. لهم حقوق، وعليهم واجبات. ولا ريب أن الإسلام؛ عقيدة، وشريعة، وثقافة، وتاريخاً، ينظر إليهم نظرة دونية، ولا يضعهم على قدم المساواة مع سائر المسلمين. ولكنه في الوقت نفسه يحمي أشخاصهم وأعراضهم وأموالهم، ويفسح لهم مزاولة عباداتهم الخاصة، ولا يكرههم على الدين، كما تقدم[(٤)].

---

(١) سير أرنولد تالبوت ويلسون (١٨٨٤ ـ ١٩٤٠م) بدأ حياته عسكرياً، والتحق بجيش بريطانية في الهند. ثم عمل في القسم السياسي. وكان مستشاراً سياسياً في الخليج العربي. انظر: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي. د. مازن المطبقاني (٤٥).

(٢) انظر: تعدد الأديان وأنظمة الحكم. جورج قرم (٢٣٧).

(٣) انظر: تعدد الأديان وأنظمة الحكم. جورج قرم (٢٣٨).

(٤) انظر مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب من التمهيد.

والنصارى العرب يشيرون إلى تلك الحقبة إشاراتٍ بغيضة، ويعدون الرجوع إليها ضرباً من الإذلال والامتهان، دونه خرط القتاد، ذلك أنها تميّزهم اجتماعياً بأنماطٍ من المعاملة والسلوك في الملبس والمركب والعمل، (فلا زالت الشروط العمرية تخيف الذميين إلى اليوم)[1].

لذلك يعمدون في حوارهم مع المسلمين إلى الحديث باستفاضة عن الجانب الاجتماعي وحقوق المواطنة، والمساواة في كل شيء، وهو ما لا نجده بطبيعة الحال في الحوار الإسلامي ـ النصراني الغربي. إن النصارى العرب الذين وجدوا أنفسهم في عدة حالات ورقة في سوق المقايضات الدولية، يُساوم عليهم من جميع الأطراف، حتى من بني ملتهم، آلوا إلى شبه قناعة بأن الحل الأمثل والأجدى أن يسعوا جاهدين إلى إعادة ترتيب أوضاعهم الداخلية، ومحاورة جيرانهم المسلمين، الذين يعيشون بين ظهرانيهم، لضمان ما يرونه حقوقاً لهم، ودفعاً لما قد يتوقعونه غير ملائم لهم مستقبلاً. وهذا ما عبرت عنه رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك حين تناولت موضوع الحوار مع المسلمين، وجاء فيها: (في زمن المخاض الحالي الذي يجتاح عالمنا، يبقى أن إحدى المشاكل الكبرى التي يواجهها هي علاقته مع مختلف الفئات الوطنية على اختلاف معتقداتها. إن المسيحيين والمسلمين تشاركوا في «العيش والملح» قروناً طويلة. وهذا ما يلقي على الطرفين مسؤولية متبادلة. فالإسلام يتحمل مسؤولية كبرى في هذا المجال إذ أنه مدعوٌّ إلى تطمين المؤمنين المسيحيين الذين يعيشون معه في الوطن الواحد. إن المسلم في الشرق لا يستطيع أن يطور أي مشروع لنظام اجتماعي وسياسي من غير أن يأخذ بالحساب الجماعة المسيحية بشكل

---

(١) سعاد أبو الروس. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ١٢١).

يعطيها الثقة، لا بأن حقوقها الدينية محفوظة فحسب، بل أيضاً بأنها جزءٌ لا ينفصل عن حياة المجتمع، وكامل العضوية في الجماعة الوطنية، بما فيها من حقوقٍ وواجبات. من جانبهم، يتحملون مسؤولية مماثلة تدعوهم إلى التخلص من العقد الاجتماعية والنفسية التي خلفها لهم التاريخ)[١].

وتأسيساً على ذلك، فقد خصصوا رسالتهم التالية: «معاً أمام الله. في سبيل الإنسان، والمجتمع» للحديث عن «العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي» جاء فيها: (من حق كل فئة وطنية أن تسهم في بناء المجتمع بجميع مجالات الحياة الوطنية فيه: «أجهزة الدولة والمؤسسات العامة والخاصة والوظائف والمصالح الاقتصادية وغيرها». وهذا يعني ألا يهمش أحد لسبب انتمائه الديني، أو لأي سبب من الأسباب، بل تتاح الفرص لكل مواطن، أياً كان، ومهما كانت عقيدته، لكي يجد موقعه في الحياة العامة بعيداً عن الحدود والحساسيات الطائفية)[٢].

ثم لم تكتف الرسالة بهذه الخطوط العامة بل شرعت في وضع النقاط على الحروف، وتطبيق القاعدة على المثال، في مجال الأسرة، والتربية الدينية في المدارس الحكومية، وصياغة الكتب المدرسية، والمؤسسات الفكرية والإعلامية، لترسيخ مفاهيم الأمن الاجتماعي لطوائف النصارى العرب، والأهم من ذلك كله التحذير من خلط الدين بالسياسة[٣].

إن الباعث الاجتماعي للحوار مع المسلمين لدى النصارى العرب

---

(١) الحضور المسيحي في الشرق. شهادة ورسالة (٤٥).

(٢) معاً أمام الله (٢٢).

(٣) انظر تفصيل ذلك في مبحث النصارى العرب (٥٠٠ ـ ٥٠٧).

باعثٌ أصيل، وهمٌ ماثل دائم، وإن كان في الحقيقة يمثل جزءاً من الباعث الأمني الأكبر؛ وهو الخوف من الاضمحلال البطيء.

ولذلك فهو ليس اجتماعياً صرفاً، بل هو اجتماعي مسيَّس؛ بمعنى أنه لا يكتفي بالمطالبة بالعيش المشترك، والمساواة الاجتماعية فقط، بل لا بد من أن تحميه قوانين الأنظمة الديمقراطية للحكم. يقول تركي الربيعو في مراجعته وتحليله لكتاب «قدر المسيحيين العرب وخيارهم» للوزير اللبناني السابق ألبير منصور: (منذ الصفحات الأولى للكتاب، يصر المؤلف على استبعاد مفهوم العيش الاجتماعي المشترك، فهذا جربناه كما يقول المؤلف، والذاكرة والتاريخ يختزنان الكثير من المآسي في هذا المجال... ما يصر عليه الباحث ومنذ البدء والبداية هو التعايش المشترك السياسي، والذي يقوم على قاعدة المساواة التامة والمطلقة: «المساواة المطلقة كينونةً وشرعاً، لا بالأمان ولا بالرحمة ولا بالضيافة ولا بالذمة ولا بالعهد» ص١١)[١].

٤ ـ باعث القيام بدور الوسيط في الحوار الإسلامي النصراني:

وهو دورٌ ما فتئ نصارى العرب يلوّحون به، ويتباهون بخصوصيتهم وتميزهم في إدارة دفته ـ سوى الأقباط لانفصالهم التاريخي والعقدي العميق عن العالم الغربي ـ فيقول بطاركة الشرق الكاثوليك: (إن المسيحيين في العالم العربي يتطلعون إلى أن يكونوا جسور حوار وتفاهم بين هذين العالمين المتقابلين. فالقرابة الحضارية التي تجمعهم، تؤهلهم أحسن تأهيل ليقوموا بهذا الدور الحضاري)[٢].

بل إن المطران جورج خضر ـ رئيس أساقفة جبل لبنان للروم الأرثذوكس ـ يبدي العتب حين يتجاوز الحوار الإسلامي المسيحي

(١) مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٢٦٤).

(٢) معاً أمام الله في سبيل الإنسان والمجتمع (٥٣).

حاجز النصارى العرب أو يقفز عليه فيقول: (الحوار لا يكتمل ما لم يجرِ مع مسيحيي الشرق... المسيحيون العرب يحسون بتهميش إذا انحصر الحوار المسيحي ـ الإسلامي بالتلاقي بين المسلمين وأهل الغرب)[١].

وربما كان هذا الدور مطلوباً منهم من قبل المسيحية العالمية، كما أفصح عن ذلك الدكتور كمال الصليبي إذ يقول: (المسيحية العالمية اليوم تجد نفسها مضطرة إلى محاورة الإسلام، لأن الإسلام أصبح له وجود كثيف داخل ديارها، في أوروبا وأمريكا وأستراليا. ونظراً لذلك، فمن الطبيعي أن تشدد المسيحية العالمية على ضرورة قيام حوار مماثل بين المسيحية الشرقية والإسلام. والأجدى بالمسيحية الشرقية أن تكون هي صاحبة الدور الأول في محاورة الإسلام، لكونها هي المسيحية التي رافقت الإسلام تاريخياً، وخَبِرَته عن قرب. ولعل المسيحية العالمية تتوقع من المسيحيين العرب لعب هذا الدور)[٢].

وسواء كان هذا الدور بإيعاز خارجي، أم بقناعة داخلية، أم بهما معاً، فإن النصارى العرب يجدون في ذلك مهمة مميزة تعوضهم عما فقدوه من جراء تراجع الدعوات القومية والوطنية التي كانوا يأوون إلى كنفها.

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، قراءة في الراهن والمستقبل من: العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢١٠ ـ ٢١١)، وانظر: مبحث النصارى العرب: «الأرثوذكس العرب» (٤٣١).

(٢) المسيحيون في لبنان والشرق (٤١).

المبحث الثالث

بواعث التقريب لدى اليهود

سبق الحديث عن مفهوم «التقريب» لدى اليهود بما أغنى عن إعادته هنا. ويمكن أن نميز البواعث التالية في دعوة بعضهم إلى الحوار والتقارب:

١ ـ الباعث السياسي:

ويتمثل لدى يهود الشتات في تحسسهم للنمو الإسلامي المطرد في البلدان الغربية، وآثار ذلك المستقبلية على نفوذ الأقليات اليهودية. يقول الحاخام أندريا ل. ويس: (إنه يوجد الآن أربعة مليون ونصف مليون مسلم بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد تضاعف عدد المساجد والمراكز الإسلامية في هذه البلاد أربعة مرات ـ كذا في الأصل ـ خلال العشر سنوات الأخيرة. وأنه حتى عام ٢٠١٥م أي بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن يقدر الخبراء أن عدد المسلمين سوف يتجاوز عدد اليهود، وسوف يمارس تأثيراً متزايداً على الفكر الأمريكي. إن الإسلام اليوم هو ثاني أكثر الأديان انتشاراً على مستوى العالم وعن قريب، سيصبح ثاني أكثر الأديان انتشاراً بالولايات المتحدة...

هل سيتعرض وضع اليهود السياسي والنفسي للهبوط؟...

إنه في عام ١٩٩٣م وليس عام ٢٠١٥م يجب علينا أن نتحرى ماذا يعني لنا نحن اليهود تزايد نمو الإسلام. إنه اليوم وليس بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يجب أن نبدأ رحلة الحوار والالتحام)[١].

---

(١) شالوم ـ السلام (٥٨ ـ ٥٩).

ويحدد جوناثان د. سرنا الآثار المترتبة على تغير الهوية الدينية الأمريكية من جراء زيادة نسبة المسلمين على حساب اليهود بالنقاط التالية:

■ سوف يقل كثيراً عن الآن ما يتمتع به اليهود الأمريكان من الاعتبار في المنزلة ومن جانب الإعلام...

■ وقد يتعرض كذلك النفوذ السياسي لليهود إلى الهبوط في السنوات القادمة...

■ وقد يقع على إسرائيل الجانب الأكبر من المعاناة من جراء هذه التغيرات. إذ أن انحدار منزلة اليهود الأمريكان، مقترناً بصعود الإسلام بأمريكا، وبنمو الرشد السياسي لطائفة المسلمين الأمريكان، سوف يجعل من الصعب في الأيام القادمة الظفر بموافقة الكونجرس الأمريكي على منح إسرائيل المساعدات الضخمة. وبالفعل تتبع «لجنة العمل السياسي المسلم» سياسات مؤيدة للفلسطينيين. كما تعلم المسلمون الأمريكان من كثرة مراقبة كيفية عمل يهود اللوبي السياسي. ولذلك فهم يعتزمون مضاعفة نشاطاتهم السياسية في الانتخابات القادمة، ويأملون في انتخاب عضوٍ مسلم بالكنجرس الأمريكي بقدوم عام ١٩٩٢م)[١].

هذه بعض المخاوف التي صار يتوقعها اليهود على مستقبلهم السياسي منذ مطلع التسعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم في إسرائيل، من جراء النمو السكاني المبعثر للمسلمين، في أكبر معاقلهم خارج إسرائيل. ومع يقيننا التام بما نبأنا الله من أخبار يهود وصفاتهم؛ أنهم لن يألوا جهداً في الكيد للإسلام وأهله في كل مكان، كما هو ظاهرٌ جلي في التشويه الإعلامي المركز

(١) شالوم ـ السلام (٨٥ ـ ٨٦).

ضد الإسلام والمسلمين، إلا أنهم من إفكهم ليقولون: مرحى للحوار والتقارب مع المسلمين، فيخلص جوناثان د. سرنا إلى القول:

(وعلى الجانب المشرق الآخر، فإن بزوغ الإسلام، واتساع الثوابت في نسيج الديانة الأمريكية يمكن على المدى البعيد أن يوثق العلاقات بين المسلمين واليهود... فضلاً عن أن البيئة الأمريكية المحايدة سوف تساعد على إتاحة مستوى من التعامل الديني المشترك بين اليهود والمسلمين قد لا يتصور حدوثه في أي من البلاد العربية أو في إسرائيل)[(١)]

هذا نمطٌ من البواعث السياسية تجاه الحوار يحفز يهود الشتات إلى التقارب مع المسلمين. أما في إسرائيل ذاتها حيث يهيمن الفكر الأصولي العنصري فليس ثمَّ مجال لمثل هذه الطروحات، لكن على المستوى الرسمي، وتمشياً مع سياسة التطبيع التي تلف المنطقة، تسعى الدولة العبرية إلى ممارسة نمطٍ من التقارب مع الدول العربية والإسلامية بغية تحقيق أهدافٍ سياسية. فقد زار الحاخام الأكبر لليهود الأشكيناز «إسرائيل لاو» شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في مكتبة الأزهر في ديسمبر عام ١٩٩٧م. كما شارك الحاخام الأكبر لليهود السفارديم «إلياهو باكشي» في ندوة للحوار بين الأديان، انعقدت في الرباط في مطلع عام ١٩٩٨م، وتلاها تصريحٌ للحاخام اليهودي مناحيم كرومان في فبراير من نفس العام بحصوله على تأشيرة دخول لإيران لتعزيز التفاهم بين اليهود والمسلمين، وتعيين حاخام أكبر لليهود في إيران.

---

(١) المرجع السابق (٨٧ ـ ٨٨).

٢ ـ الباعث الاجتماعي:

وهو باعث يجده اليهود حيث كانوا أقلية في المجتمعات النصرانية. (وقد لعبت الطائفة اليهودية عبر التاريخ دوراً هاماً جداً كزعيمة وناطقة بلسان الأقليات الدينية بأمريكا)[١] كما يقول جوناثان د. سرنا.

ونظراً لكون اليهود يعيشون أوضاعاً مشابهةً من بعض الوجوه للمسلمين في الجوانب الاجتماعية المعيشية، من حيث الالتزام بأحكام فقهية في العبادات والطهارات والملبس والمأكل ونحو ذلك، فإنهم يجدون في الاعتضاد بالمسلمين مصلحة لتحقيق بعض مطالبهم. وقد مثل لها الحاخام أندريا ل. ويس بـ:

- القضايا الغذائية، المطالبة بالصلاة في المدارس والعمل، وقضايا الأسرة والعدالة الاجتماعية[٢]. وذلك أن القوانين المدنية الغربية لا تضع اعتباراً لمثل هذه المطالب، مما يحفز اليهود على التقارب مع المسلمين لنصرة مشروع قانون اجتماعي معين.

٣ ـ باعث الصد عن سبيل الله:

ولليهود في هذا البال تفنن عجيب، وإفك قديم، يوجب للمؤمن أن يقف منهم موقف الحذر التام، وظن السوء. كيف لا، وهم الذين حكى الله عنهم ما يلي: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

---

(١) شالوم ـ السلام (٨٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (٦٢، ٦٣).

ومن شواهد ذلك في قضية التقارب والحوار بين الأديان أن يتوصلوا إلى تحسين صورتهم، واستدراج المسلمين إلى تعطيل النصوص الواردة في ذمهم ـ كما صنعوا مع النصارى ـ ففي حصة التعليم اليهودية التي يعرضها التلفاز الفرنسي صباح كل أحد، تحدث الحاخام «جوزي آيزنبرغ» يوم ٤/ ٢/ ١٤٠٥هـ الموافق ٢٨/ ١٠/ ١٩٨٤م عن الحوار بين اليهودية والإسلام، وكان مما قال وهو يعدد محاسن الحوار: (إن ثمة افتراءات على اليهود في كتب النصارى، وقد ساعد الحوار الطائفتين على التحقق من هذه الافتراءات ورفعها من كتب النصارى... ولعل الحوار مع المسلمين يؤدي إلى حذف الافتراءات المقولة في كتبهم مع اليهود)[1].

ومن ذلك ما سبق عرضه من مقالة اليهودي «روفن فايرستون»: «إبراهيم أهو اليهودي الأول أم المسلم الأول؟» التي أراد من خلالها هز قناعة المسلمين (بأنهم وحدهم الذين لديهم الحقيقة المطلقة الفريدة)[2] كشرطٍ للمضي قدماً في الحوار.

إن اليهود بما أوتوا من خبث ودهاء، وبما يملكون من تأثيرٍ إعلامي واسع يمكن أن يستغلوا قضية التقريب بين الأديان والحوار مع المسلمين خاصة استغلالاً بشعاً للوصول إلى بعض مقاصدهم الشريرة في الصد عن سبيل الله، وطمس معالم الحق.

وبالجملة فإن المبادرات والمشاركات اليهودية في برامج الحوار تختلف من حيث المنطلقات ـ المعلنة على الأقل ـ عن تلك التي تصدر عن النصارى. فبينما يزف النصارى مشاريعهم التقاربية وسط كوكبة من

---

(١) من تقرير لمكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس مؤرخ في ١٢/ ٢/ ١٤٠٥هـ.

(٢) شالوم ـ السلام (١٠٩)، وانظر: مبحث حقيقة التقريب عند اليهود.

شعارات المودة والانسجام، والرغبة في التعرف على الآخر، والتعاون على إرساء القيم الإيمانية والخلقية ونحو ذلك. فإن المعتقدات اليهودية العنصرية تأبى إطلاق هذه الشعارات، ويلمس الباحث بشكل جلي الباعث المصلحي المكشوف. وقد لمس النصارى هذا الباعث في حواراتهم الخاصة مع اليهود، رغم ما يربط الفريقين من خصوصيات وولاءات مشتركة. يقول د. طارق متري ـ مسؤول العلاقات مع المسلمين في مجلس الكنائس العالمي ـ «اليهود يطلقون، ويشاركون في حواراتٍ كثيرة. لكن الذي يتابع الحوارات اليهودية مع المسيحيين، يلاحظ أنها:

- يغلب عليها الحساب السياسي.
- موظفة لخدمة المشروع الصهيوني.
- ابتزاز للمسيحيين.
- ليس فيها حوار حقيقي. فاليهود ـ أنفسهم ـ الذين يعنون بالحوار مع المسيحيين يقولون: إن الهدف من الحوار مع المسيحيين:

أولاً: أن يعترف المسيحيون بالجرائم التي ارتكبوها تاريخياً، وإلى حد الآن.

ثانياً: أن يطهر المسيحيون كتبهم الدينية، ونصوص صلواتهم من كل الإيحاءات المعادية لليهود والسامية.

ثالثاً: أن يعترف المسيحيون أن بين الشعب اليهودي ودولة إسرائيل علاقة خاصة، أي أن الحوار عندهم، لا علاقة له بما يتحدث فيه المسيحيون والمسلمون عن التعارف والتعاون»[1].

---

(١) من مقابلة مسجلة صوتياً، أجراها الباحث معه، في بيروت يوم الاثنين ٨/ ٤/ ١٤١٨هـ ـ ١١/٨/١٩٩٧م.

المبحث الرابع

بواعث التقريب لدى الإسلاميين العصرانيين

تنوعت بواعث التقريب لدى دعاته من الإسلاميين العصرانيين تبعاً للمتغيرات العالمية، واختلال ميزان القوى في غير صالح المسلمين من جهة، وبسبب الجهل وفقدان التأصيل الشرعي من جهة أخرى. حيث يحكم الهوى والمصلحة الموهومة، ويغلب إعجاب كل ذي رأيٍ برأيه. وهم في كثير من الحالات يجارون الطرف المقابل ويمالئونه على غير هدى من الله وبرهان، سيما والدعوة إلى التقريب غربية المولد والمنشأ والتوجيه، ولم تصدر عن اجتهادات علمية إسلامية موثوقة. ومن هذه البواعث:

١ ـ الباعث العالمي:

ويتمثل في الدعوة إلى التقارب مع العالم النصراني الغربي ـ باعتباره الممسك بمقاليد الحضارة المادية المعاصرة ـ والانخراط فيه، وتحقيق التجانس الذي تفرضه حال العالم اليوم من انفتاح بعضه على بعض. كما يصرح الدكتور رضوان السيد تحت عنوان: «الحوار الإسلامي المسيحي والعلاقات المسيحية» قائلاً: (ما نحتاج إليه جميعاً الانخراط في العالم المعاصر، والتعلم منه في مجالات القيم الإنسانية الرحبة، ونمو الذات في الآخر، والتعرف عليها فيه، ومشاركة العالم في آفاقه تأثراً وتأثيراً)[١].

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٣٣).

وكما يقول الفضل شلق تحت عنوان: «الحوار الذي لم يبدأ»: (إن علينا أن نعترف بالأمر الواقع، ونعمل كي نتجاوزه. ولن يكون هذا التجاوز ممكناً دون الأخذ بثقافة الغرب والانخراط بالعالم...)[١]. ولعل الحوار والتقارب خير وسيلة لنقل القيم والثقافات عن طريق النّخَب «المثقفة» لتكوين أرضية مشتركة.

ومن القيم الإنسانية الرحبة في عالم اليوم، كما يراها هؤلاء «القبول بالتعددية». ومن شرطه الدخول في حوار مع الأطراف الأخرى. يقول سعود المولى: (إذا نظرنا إلى المستقبل القريب في عالمنا العربي والإسلامي فإننا نرى أن هذا العالم يسير باتجاه القبول بالتعددية الدينية، وباتجاه البحث عن سبيل حفظ هذا التنوع وحفظ العيش المشترك، وتطوير الصيغة السياسية الملائمة له... إن هذا السير الحتمي باتجاه المستقبل التعددي، والتعايشي، يحتم علينا أن نبدأ منذ الآن في تنكب طريق الحوار، وخوض غماره)[٢].

ومن الشعارات العالمية السائدة إعلامياً، المهتوكة عملياً، الدعوة إلى «السلم العالمي» ونبذ «الحروب». وقد حفلت بعض البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب والحوار بهذه الدعوة[٣]. وردد أصداءها بعض الإسلاميين العصريين كباعث من بواعث الحوار. يقول د. يوسف الحسن: (لا شك أن السعي نحو السلام بين المسيحية والإسلام هو أحد أصعب المهام التي تواجه الإنسانية. وإنه بدون سلام بين الأديان

---

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١١).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٨).

(٣) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية: (٢/٥، ١٠)، (٤/١)، (٥/٣)، (٦/٥)، (٧/٢٩)، (٩/٤)، (١٠/٩، ٢١)، (١١/٢٠، ٢٨)، (١٣/١٩)، (١٦/٢، ٤، ١١، ١٢)، (٢١/٢٩)، (٢٤/٨)، (٢٥/١، ٢، ٩، ١٣)، (٢٦/٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٤، ٣١)، (٢٧، ٩)، (٢٨/٨، ٩).

ستكون هناك حروب تملأ الكرة الأرضية وتأكل روح الإنسان. ولا سلام بين الأديان بدون حوار صادق ومخلص. إن هذا الحوار ضروري ونافع وممكن)[١].

ومن استزلال شياطين الجن والإنس لبعض الإسلاميين العصريين، التنصل من مقتضيات الإيمان؛ من الحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، ومجاراة أهل الكتاب على القول بأن ما وقع في التاريخ من مجابهات مجرد «عداوات»، وليس نابعاً عن عقيدة إيمانية، سواء في حال الجهاد أو الدفاع، والاعتذار عما سلف، وكأنه جريمة أو عدوان، كل ذلك تأثراً بالشعارات العالمية المطروحة للاستهلاك الشعبي. فالدكتور يوسف القرضاوي يعد من أهداف الحوار الديني بين الإسلام والمسيحية: (تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلفتها الحروب الصليبية قديماً، والاستعمارية حديثاً، وإشاعة معاني الإخاء والإنسانية والمرحمة، وفتح صفحة جديدة لعلاقات أنقى وأصفى)[٢].

وهو كلام يحمل في طياته تخطئة سلف الأمة الذين بذلوا مهجهم في سبيل الدفاع عن دين الله، وعن بلاد المسلمين، كما أنه خيانة لهم أن نَصِمَ جهودهم، بترسيب الروح العدائية، وكأن الحديث عن حرب البسوس. كما يأسف المسلم أن يَنجَرَّ من ينسب إلى العلم والدعوة إلى استعمال المصطلحات المجملة التي لا تحمل نفحة الإيمان، وشعار الإسلام، بل هي إلى الشعارات الماسونية، أو التعبيرات الصحفية أقرب. ونحو ذلك حين يدافع الدكتور يوسف القرضاوي عن «روجيه

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٣٨).

(٢) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة: د. يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة. القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م). (١٧٦).

جارودي»[١] قائلاً: (إن الرجل ما زال على خطه الأول الذي يعبر عن الإسلام الصحيح، الذي يدين الحضارة الغربية، ويؤيد الشعوب المستضعفة، ويقف في صف الفقراء ضد الطواغيت المستكبرين في الأرض. فالرجل ضد الظلم والطغيان، ومع العدل والإحسان والرحمة، وهي أخلاقيات من جوهر الإسلام الذي هو رسالة أخلاقية بالدرجة الأولى)[٢].

إن هذه التعبيرات الغريبة على اللغة الشرعية المألوفة مثل: «الشعوب المستضعفة»، و«صف الفقراء ضد الطواغيت المستكبرين»، والتعبيرات القيمية المجردة من مضامينها الإسلامية المميزة، لتكشف عن تأثر الإسلاميين العصريين بالبواعث العالمية السائدة، وركوبهم عجلتها شعروا بذلك أم لم يشعروا.

وبالجملة فالقوم مسوقون نحو الحوار والتقارب، محكومون بالقانون العالمي السائد، ويرون في الخروج عن قيمه وأدبياته أمراً مستحيلاً، ومصادمة للأمر الواقع. وقد عد الدكتور الترابي من دواعي الحوار ومبرراته أنه (ضرورة عملية يفرضها الواقع العالمي، القائم على الاتصال، والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات والحركات، مما يوجب علينا فهم الآخرين، وتفهم واقعهم، ومعرفة الحقائق للتعامل معها)[٣].

٢ ـ الباعث القومي والوطني:

وهو باعث يرمي إلىٰ إحلال «الرابطة القومية» و«الوطنية» محل «الجامعة الإسلامية» و«الرابطة الدينية». وقد ولد في أجواء الفتن الداخلية في حقبة الاستعمار الأوربي النصراني لممالك المسلمين، في

---

(١) انظر (محاولات روجيه جارودي للتقريب بين الأديان) في الباب الثاني.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٢٣٣) وانظر: مجلة البيان اللندنية، الأعداد (١١٢، ١١٧، ١٢٤).

(٣) شؤون الأوسط. عدد (٣٦) كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٩٤م. (٩١).

مصر والشام، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. فقد تنمرت بعض طوائف النصارى العرب، وطالبت ـ رغم كونها أقلية ـ بصلاحيات واسعة، تجعلها على قدم المساواة والندية مع الأكثرية الساحقة من المسلمين، واستغلت في ذلك أسلوباً عنيفاً، محتمية بالاستعمار الأوربي، من أهل ملتها، كما جرىٰ في مصر سنة ١٩١١م بين المسلمين والأقباط، منذراً بعواقب وخيمة.

وفي تلك الأجواء نشأت دعوات تجاوز الأطر العامة للوحدة الوطنية بين عناصر الأمة، إلىٰ المناداة بوحدة الأديان، مدركة أن الولاء الديني هو سر التميز، وأساس الانتماء، فأرادت أن توهن عراه، وتحل رابطته، في سبيل صنم «الوطنية». وانبرىٰ من الفريقين كتّاب، وشعراء، وأدباء، رفعوا لواء «القومية»، و«الوطنية»، وخفضوا شأن الدين والاعتقاد، بدعوىٰ أن لا فرق بينها، وأنها متفقة المبدأ والغاية. ومن شواهد ذلك لدىٰ الإسلاميين العصرانيين:

* قال علي الغاياتي[1] مخاطباً:

وما أمة القرآن في مصر أمةً ... ترىٰ أمةَ الإنجيل أبغض جيلا
فإنا وأنتم إخوة في بلادنا ... أقمنا على دين السلام طويلا[2]

* وقال إسماعيل صبري[3] مخاطباً القبط، إثر اغتيال زعيمهم بطرس غالي:

---

(١) لم أجد له ترجمة.
(٢) ديوان «وطنيتي». علي الغاياتي (١١٣).
(٣) إسماعيل صبري (١٢٧٠ ـ ١٣٤١هـ): إسماعيل صبري باشا، من شعراء الطبقة الأولىٰ في عصره. من شيوخ الإدارة والقضاء في الديار المصرية. تعلم بالقاهرة، ودرس الحقوق بفرنسا. له ديوان بأسمه.

دين عيسىٰ فيكم، ودين أخيه «أحمدٌ» يأمراننا بالإخاء
لا يكن بعضنا لبعض عدوًّا لعن الله مستبيحي العداء[(١)]

* وقال أحمد شوقي[(٢)]:

أعهدتنا والقبطَ إلا أمةً للأرض واحدةً تروم مراما
نعلي تعاليم المسيح لأجلهم ويوقرون لأجلنا الإسلاما
الدين للديَّان جل جلاله لو شاء ربك وحَّد الأقواما[(٣)]

* وقال أحمد محرَّم[(٤)]:

تفرقنا الأديان والله واحد وكل بني الدنيا إلىٰ آدم انتمىٰ
وساوس ظل الشرق فيها مصفداً فما يملك الشرقي أن يتقدما
بني الشرق لا يصرعكم الدين إنني أرىٰ الغرب لولا الجد والعلم ما سما[(٥)]

---

(١) ديوان إسماعيل صبري (١٨٠).
(٢) أحمد شوقي (١٢٨٥ ـ ١٣٥١هـ): أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي. أشهر شعراء العصر الأخير. يلقب بأمير الشعراء. أصله كردي، نشأ وأسرته في ظل الخديوي، بعث للدراسة في فرنسا، فدرس الحقوق، واطلع على الأدب الفرنسي. نظم الشعر في معظم أغراضه مديحاً وغزلاً ورثاءً ووصفاً، في الشؤون السياسية والاجتماعية والمدرسية، حتى صار على كل لسان، وعاش منعماً ثرياً. من آثاره: «الشوقيات» و«دول العرب» و«مصرع كليوباترة». وفي شعره غلو وكفريات. انظر: الأعلام (١/ ١٣٦).
(٣) الشوقيات (٣/ ١٤٤). وهذا ليس بمستغربٍ عليه، وهو القائل:
وجه الكنانة ليس يغضب ربكم أنْ تجعلوه كوجهه معبوداً
ولّوا إليه في الدروس وجوهكم وإذا فرغتم واعبدوه هجوداً
الشوقيات (١/ ١١١).
(٤) أحمد مُحرَّم (١٢٩٤ ـ ١٣٦٤هـ): أحمد محرم بن حسن عبد الله، شاعر مصري، حسن الوصف. تركي الأصل أو شركسي. ولد في شهر محرَّم فسمي به. عاش يتكسب بالنشر والكتابة. من آثاره: «ديوان محرّم»، «ديوان الإسلام». انظر: الأعلام (١/ ٢٠٢).
(٥) ديوان أحمد محرّم (٢/ ٩٤).

* وقال حافظ إبراهيم[١]:

متىٰ أرىٰ الشرق أدناه وأبعده ... عن مطمع الغرب فيه غير وسنان
لا فرق ما بين بوذي يعيش به ... ومسلم ويهودي ونصراني

* وقال معروف الرصافي[٢]:

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة ... لسان وأوطان وبالله إيمان
فأي اعتقاد مانع من أخوة ... بها قال إنجيل كما قال قرآن

وظلت هذه النعرات الجاهلية تجوس خلال الديار، تحاول إخفاء الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والتسوية بين توحيد أهل الإيمان، وتثليث عباد الصلبان، حتىٰ صارت بذوراً لدعوة التقريب بين الأديان بصورتها الوافدة من الغرب النصراني في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وصارت هذه «الأدبيات» شواهد يرفع بها دعاة التقريب عقائرهم في كل محفل، ليتوصلوا بها إلىٰ تصحيح ما عليه النصارى، والحكم لهم بالإيمان في الدنيا، والنجاة في الآخرة. فليس كثيراً ولا كبيراً حينئذٍ أن يحفز صنم القومية والوطنية بعض متألهيه

---

(١) حافظ إبراهيم (١٢٨٧ ـ ١٣٥١هـ): محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، شاعر مصر القومي. يلقب بشاعر النيل نشأ يتيماً، اشتغل بالمحاماة، ثم بالعسكرية، فألف مع بعض الضباط المصريين جمعية سرية وطنية، أثناء الحملة على السودان، فأعتقله الإنجليز. فلجأ إلىٰ الشيخ محمد عبده، فأعيد إلىٰ الخدمة. ثم تفرغ للكتابة نظماً وشعراً. له ديوان بأسمه، و«ليالي سطيح»، و«التربية الأولية». وفي شعره إبداع. انظر: الأعلام (٦/٧٦).

(٢) معروف الرصافي (١٢٩٤ ـ ١٣٦٤هـ): معروف بن عبد الغني الرصافي، البغدادي. شاعر العراق في عصره. ولد ببغداد، وتتلمذ لمحمود شكري الألوسي في علوم العربية وغيرها. من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. كان جزل الألفاظ في أكثر شعره وفيه مجون وتحلل. له ديوان مطبوع، وكتب منها: «دفع الهجنة»، و«نفح الطيب في الخطابة والخطيب»، و«الأناشيد المدرسية». انظر: الأعلام (٧/٢٦٨).

للتقارب مع النصارى العرب، وتمييزهم على سائر بني ملتهم، بوصفهم عرباً أو مواطنين، وإشراكهم في مشروع الحوار الإسلامي النصراني، ووحدة الأديان.

وهذا ما يطالب به دعاة التقريب من الإسلاميين المعاصرين، الذين بعثهم باعث الرحم، للتوجه إلى نصارى العرب بالحوار. يقول سعود المولى: (إن المطلوب في هذا السياق بلورة الوعي المسيحي العربي بأنه شريك في الحوار، وليس ملحقاً بالكنائس العالمية، وبأنه شريك في المشروع النهضوي الحضاري، وبأن المسيحية العربية هي إسلامٌ حضاري وتاريخي، وهي ضحية الغرب الاستعماري، كما هي ضحية النظام العالمي وإفرازاته)[١].

وقد توج هذا التوجه تشكيل «فريق العمل العربي للحوار الإسلامي المسيحي» المكون من أعضاء مسلمين ونصارى من لبنان ومصر. وقد عقد عدة مؤتمرات وندوات منها: «المؤتمر العالمي الإسلامي المسيحي حول القدس» في القاهرة في مايو ـ أيار ١٩٩٦م ثم مؤتمر «مسلمون ومسيحيون من أجل القدس» في بيروت في يونيه ١٩٩٦م[٢].

والكاتب ينتقد مخالفيه من الإسلاميين، وينفخ في صورة النصرانية العربية ويخلع عليها من الألقاب ما لا تستحق، ويعلق عليها من الآمال في مجال الحوار ما هي أقل وأذل من أن تبلغه: (إن الإسلاميين الحركيين لم يشعروا بخطورة ترسيخ الفرقة بين أهل الأديان. بل انغمسوا في هذا الأمر بحساباتٍ تكتيكية انتهازية ضيقة

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢٢٥).
(٢) انظر في الباب الثاني «المحاولات الجماعية» التعريف بهذا الفريق ومحاولاته.

الأفق... ومن هنا الدور المركزي والكبير للمسيحية العربية، بالمشاركة مع المسلمين في إطلاق هذا الحوار على أسسٍ جديدة، دون المرور عبر الوسيط الغربي)[١].

(إن الأفق المفتوح أمام الحوار الإسلامي المسيحي على المستوى العربي، وهو أفق البحث عن مشروع حضاري عربي إسلامي نهضوي جديد، يطلق الطاقات المجتمعة من عقالها، ويفتح المجال أمام القوى الخلاقة والحية في العالم العربي)[٢].

٣ ـ باعث التصدي للإلحاد والانحلال الخلقي والمادية:

يكاد يكون الحديث عن هذا الأمر فقرة دائمة في البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب[٣]، لكونه قدراً مشتركاً بين الأديان. والمدافعون عن فكرة التقريب والحوار يدفعون بهذا الباعث إلى الواجهة الأمامية لتسويغ شرعية هذه الدعوة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في مستهل تعداده لأهداف الحوار الديني بين الإسلام والنصرانية: (الوقوف في وجه تيار الإلحاد والمادية، الذي يعادي كل الرسالات السماوية، ويسخر من الإيمان بالغيب، ولا يؤمن بألوهية، ولا نبوة، ولا جزاء، ولا قيمٍ روحية. وكذلك تيار الإباحية والانحلال الخلقي، الذي يكاد يدمر خصائص الإنسانية وفضائلها التي كسبتها من هداية النبوات)[٤]. ويقول أيضاً: (لا مانع في الإسلام من أن يقف أتباع الديانات السماوية الذين يتبعون إبراهيم الخليل ﷺ في خندقٍ واحد، وقد يختلفون في بعض الأمور،

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٧ ـ ١٧٩).
(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢١٠).
(٣) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية جمع جولييت حداد.
(٤) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (١٧٥ ـ ١٧٦).

لكن بينهم من الأصول المشتركة ما يجمعهم ضد الذين ينادون بوحدانية الدولار، ووحدة السوق، ويعتبرون أن لا إله إلا المادة)[١].

إن حفاوة دعاة التقريب والحوار من الإسلاميين العصرانيين به، في مقام الحديث عن مثالب الحضارة المادية الحديثة تقدمه وكأنه البديل الكفؤ عن الدعوة إلى الله وهداية البشرية، وكأن الإسلام لا يستقل بكبح جماح السعار المادي، والانفراط الخلقي حتى ترفده النصرانية، ويدخل معها في حوار. يقول محمد مهدي شمس الدين: (يمثل هذا الحوار أولوية كبرى عندنا على مستوى العالم الإسلامي كله وعلى مستوى العالم، في مواجهة انحرافات الحضارة المادية التي تهدد إنسانية الإنسان، ويهدد أسلوبها الافتراسي الاستهلاكي كينونة الإنسان على الأرض...)[٢].

٤ ـ الباعث الدعوي:

يرى بعض الإسلاميين في «الحوار» وسيلة إلى الدعوة، أو دفع الشبهات عن الإسلام. وبصرف النظر عما إذا تم ذلك فعلاً، وعن أسلوب أداء تلك الدعوة وترتيب أولوياتها، فإنا نثبت أدناه تنظيرهم لهذه القضية باعتبارها أحد بواعث الحوار.

فالدكتور حسن الترابي يضع هذا الباعث في أعلى قائمة دواعي

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد (١٢٣٣). وانظر: مجلة البيان الأعداد: (١١٢، ١١٧، ١٢٤). ومن الجدير بالذكر أن مصطلحات «وحدانية الدولار ووحدة السوق» من إنتاج روجيه جارودي. انظر كتابه: نحو حرب دينية.

كما أن اليهود والنصارىٰ ليسوا أتباعاً لدين سماوي، ولا لإبراهيم الخليل ﷺ، كما أوهم الدكتور القرضاوي، بل قد رغبوا عن ملة إبراهيم، كما أن إبراهيم ﷺ ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾.

(٢) تأملات في صيغة الحوار الإسلامي المسيحي. مقدمة كتاب: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢٢).

الحوار ومبرراته قائلاً: (إنه ضرورة شرعية لتبليغ الرسالة، وحمل أمانة الدعوة. فالأصل هو التفاعل التبليغي، وعدم جواز السكون)[١]. وهو في بداية الأمر مقابلة لمحاولات النصارى تبليغ دينهم: (بالطبع بدأت الكنيسة بالفعل السعي لهذا الحوار معنا من حيث تراه هي من تبليغها لرسالة النصرانية إلى المسلمين، ذلك أن مبادرة الفاتيكان بالاعتراف بالإسلام[٢]، هي محاولة لخلق قاعدة للحوار يقترب بها من المسلمين. كما أن دعوات مجلس الكنائس العالمي للمسلمين أن يأتوا إلى الحوارات أدت إلى حيرة من جانب المسيحيين، لأن لهم كنيسة منظمة تستطيع إدارة الدعوة، لكن ليس من جهة رسمية تمثل الإسلام حتى يدعوها لبرنامج هم واضعوه. إن ذلك يوجب علينا نحن الإسلاميون المنفعلون ـ كذا بالأصل ـ بهذه القضية، سواء كنا حركات أو أفراداً، اتباع إجراءات منظومة تبادر إلى وضع برنامج لهذا الحوار حتى يؤتي ثمرته في تبليغ أمر الدين. وكيفما قام علينا الآخر يريد أن يبلغنا رسالته، بينما نريده أن يسمع لنا، ونبلغه رسالتنا، ينبغي علينا أن نكون من المبادرين، لأننا أصحاب رسالة تجديد النصرانية. وعيسى عليه السلام نفسه كان عليه أن يجدد الدين الموسوي، ويحمي بواطنه بعدما انتهى إلى ظواهر فحسب. وكذلك يقع علينا عبء تجديد المسيحية بالحوار، والرأي، وصياغة المناهج، وتأسيس النظم النموذجية الإسلامية)[٣].

---

(١) شؤون الأوسط. عدد (٣٦) كانون الأول/ديسمبر (١٩٩٤م) (٩١).

(٢) الواقع أن الفاتيكان لم يعترف بـ«الإسلام» بوصفه ديانةً من عند الله، كما أوهم الترابي أو توهم، بل جرت الإشارة إلى «المسلمين» وتحاشت دساتير المجمع الفاتيكاني الثاني وقراراته وبياناته عن قصد وإرادة مدروسة التعبير بلفظ «الإسلام» احترازاً منهم أن يحمل ذلك صفة الاعتراف. راجع حقيقة التقريب عند الكنيسة الكاثوليكية، المبحث الأول من الفصل الثالث من هذا الباب.

(٣) المرجع السابق (٨١).

ثم يتقدم الباعث الدعوي خطوة جديدة: (نحن مطمئنون الآن إلى أن العالم الغربي يتقدم إلى مرحلةٍ تحيط به فيها الحيرة في حياته. فقد كان بالأمس منشغلاً بقضايا المنهج الاقتصادي، وبالصراع الحربي والعصبي والقومي والطبقي، وبقضايا الصراع العسكري والأيديولوجي، وكيفية تأسيسه للسياسات العالمية، إلا إن ذلك انتهى الآن أو كاد، وبدأ الغرب نفسه مشغولاً بقضايا الحياة الجنسية، والجريمة، ومتاع اللهو المسكر، يحاول أن يضيع نفسه فيها. إن هناك قطاعات كثيرة جداً تعيش الآن ذلك الخواء الذي يجعلها تستشعر حاجة الإنسان إلى الإيمان والمعنى، وإدراك المعنى والغاية للحياة. إذا استشعر الغرب الحيرة في حياته فهو بذلك يكون أكثر استعداداً لأن يتلقى من الآخرين أن يهدوا إليه رسالة جديدة تشعر أهله بمعنى الحياة وغاياتها. لذلك ينبغي أن نخطط لحوار شامل يأخذ به كل مجتمعنا الإسلامي ليخاطب كل طبقات مجتمعاتهم، وبذلك نكون قد تمكنا من المخاطبة والحوار والتفاعل مع المجتمع كافة. ودخلنا عليهم الثغور والمداخل العلمية والثقافية والأمنية والدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والفنية كافة)[1].

ولعمر الله إنها لمسوغات صحيحة لغاية مشروعة؛ ألا وهي الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ دينه، ولكن: أي إسلام يريد هؤلاء العصرانيون عرضه من خلال مؤتمرات الحوار وندواته؟ أهو الإسلام السلفي النقي القائم على توحيد الله واتباع نبيه ﷺ، الذي لا إسلام بحقٍ سواه؟ أم إسلام مهجن أعيد إنتاجه في معامل التكرير العصرانية فجاء خداجاً مشوهاً ملفقاً، لا يرى فيه الغربي إلا تقرباً إلى النصرانية التي ملَّها ومجها، ولم تعد تهديه في حيرته؟

ويلتحق بالباعث الدعوي، الرغبة في تحسين صورة الإسلام في

---

(١) شؤون الأوسط. عدد (٣٦) كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٩٤ (٩٤).

نظر الغربيين. يقول د. يوسف الحسن: (هناك حاجة ماسة لوضع أسسٍ صحيحة من أجل حوار حقيقي. لأن الإسلام في المرحلة الراهنة، هو موضع حملةٍ ضارية في الغرب، دأبت على خلط الأوراق بين الإرهاب من ناحية، والإيمان والدين من ناحية أخرى. وبالتالي فإن الحوار يجب أن يكون متوازياً، بمعنى أن يساهم الغرب نفسه في إعطاء مساحةٍ من المكان والزمان لعرض الوجه الحقيقي للإسلام)(١).

٥ ـ باعث الرغبة في الحصول على اعتراف من أهل الكتاب:

ويستند هذا الباعث على فكرة مُسِفَّة يرددها بعض رواد الحوار من العصرانيين، مفادها أن الإسلام بحاجة إلى اعترافٍ من أهل الكتاب بانتمائه إلى الأصل الإبراهيمي. ومردها إلى مركب النقص، وفقدان الشعور بالعزة الإيمانية.

- **يقول الدكتور رضوان السيد:**

▪ (فهم الإسلام نفسه من اللحظة الأولى باعتباره دعوة عالمية تشكل استمراراً لليهودية والمسيحية اللتين أراد منهما الاعتراف به، أو أنه أراد مزاملتهما على قدم المساواة في نطاق الميراث الإبراهيمي لدعوة الله، ودين الله)(٢).

▪ (وبدا من ناحية أخرى توق المسلمين الشديد ليعترف بهم المسيحيون ديناً مستقلاً، كما اعترف بهم الإسلام باعتبارهم أهل الكتاب)(٣).

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٢٣). وسيأتي في الباب الثالث مناقشة لشبهات دعاة التقريب. انظر تحديداً (١٣٥٣ ـ ١٣٥٦).

(٢) مجلة الاجتهاد (٢٨/ ٥).

(٣) مجلة الاجتهاد (٢٨/ ١٠).

■ (الإسلام كان يواجه تحدياتٍ ضخمة في بدايات عهده. وأهم تلك التحديات محاولته وضع نفسه في سياق التقليد الإبراهيمي، وسياق التقليد الكتابي، وحاجته في المسألتين إلى اعترافٍ من اليهود والمسيحيين)(١).

■ (عرف الإسلام وعرف المسلمون... كل أنواع المسيحية: السريانية والأرثوذكسية وفرقهما وفروعهما، وعرف أخيراً المسيحيتين المسيطرتين اليوم: الكاثوليكية والبروتستانتية لكن الفرق بين الأوليين والحاضرين بالنسبة إليه، أنه عرف الأوليين وهو في مكانة المسيطر والمتحكم والسَّان والشارع بالمعاني كلها؛ وعرف الحاضرين وهو في أطوار الصراع والاستضعاف. ولكلا الطورين التاريخيين قوانينهما ومقتضياتهما. ففي الطور الأول امتزجت في مواقفه عناصر الدولة والسطوة والثقافة المسيطرة المطمئنة، وفي الطور الثاني تقاطعت في مواقفه عناصر الاكتفاء والتردد والضيق واليأس والغربة. لكن في الطورين كليهما ظل أمرٌ واحد قوي الحضور فيهما: الحاجة إلى الاعتراف؛ طلب ذلك في الطور الأول، واستجداه في الطور الثاني؛ لكنه ما استغنى عنه في الحالتين)(٢).

وهذا كلام يندى له الجبين، ويبعث على الاشمئزاز، ولا يصدر من مسلم فقه دين الله، وامتلأ قلبه بنعمته التي امتن بها على عباده المؤمنين إذ يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣] فمن يشعر بنقصٍ ما، أو حاجةٍ ما، لأمر يطلبه أو يستجديه، لم يكن مؤمناً بهذه الآية العظيمة، ولا فرحاً بها. وثم فرق بيّن واضح بين أن يطالب الإسلام والمسلمون أهل الكتاب

(١) مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٤٢).
(٢) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ١٨).

بالإيمان بدين الحق ورسوله خاتم النبيين، والإقرار بأنه من عند الله فيلزمهم حينئذٍ اتباعه، والانخلاع مما هم عليه مما يخالف دين الإسلام، وبين أن يُصَّور ذلك الطلب بصورة الحاجة إلى اعتراف، أو محاولة استصدار شهادة تزكية، وحسن سيرة وسلوك. إن الكاتب بهذه الصياغة المتكررة يهين دينه حين يصفه بـ «محاولة وضع نفسه في سياق التقليد الإبراهيمي»، و«حاجته إلى الاعتراف من اليهود والمسيحيين»، و«إرادة مزاملتهم على قدم المساواة في نطاق الميراث الإبراهيمي»، و«توق» و«طلب» و«استجداء» المسلمين ذلك!!. وقد أغنى الله عباده المؤمنين عن شهادة المغضوب عليهم والضالين بصدق الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام، وشهد بذلك بنفسه لرسوله والمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران]، وذلك بعد أن أكذبهم الله تعالى بانتحال إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

والمقصود أن بعض دعاة الحوار يرى أن في الدخول في الحوار مع أهل الكتاب اعترافاً ضمنياً منهم بانتماء الإسلام إلى سلسلة الديانات الإبراهيمية[١]. وربما طمع في الظفر بفقرة في البيان الختامي تنص صراحة على تصديق نبوة محمد ﷺ، وكلا الأملين خابا، فأهل الكتاب يحاورون الهندوس والبوذيين وسائر الأمم من الوثنيين والملاحدة، فمجرد الاشتراك في الحوار لا يحمل أي دلالة من قبيل ما

(١) وقد صرح الكاتب المذكور بهذا الهدف أثناء زيارتي إياه في مكتبه بمقر مجلة الاجتهاد في بيروت يومي الجمعة والسبت ٢٩، ١٤١٧/٥/٣٠هـ الموافقين ١١، ١٢/ ١٩٩٦/١٠م. وضرب لذلك مثالاً بمن يريد أن يركب سيارة سبقه غيره إلى ركوبها، ويرى أنه يستحق مقعداً فيها، ويحاول إقناع الركاب السابقين بأحقيته.

أراد هؤلاء. كما أن أهل الكتاب على مدى العقود الأربعة السابقة التي حاوروا فيها المسلمين لم يتزحزحوا قيد أنملة عن إنكار نبوة محمد ﷺ. فلم الخنوع لهم واللهاث خلفهم من قبل هؤلاء العصرانيين؟ ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

٦ ـ باعث التحالف مع النصارى لمجابهة اليهود:

يعلق بعض الإسلاميين آمالاً على الحوار الإسلامي النصراني لتحقيق مكاسب سياسية ضد اليهود بعد أن استولوا على فلسطين، وصاروا على رأس قائمة أعداء الأمة الإسلامية. ويتجلى ذلك في بعض فقرات البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب[1] نختار منها أوضحها، وهو ما جاء في بيان قرطبة الصادر عن المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول في شعبان عام ١٣٩٤هـ الموافق أيلول/ سبتمبر عام ١٩٧٤م، ونصه:

(٢٢ ـ تأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني، مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب. وتأكيد عروبة القدس، ورفض مشروعات التهويد، والتقسيم والتدويل، وإدانة الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الشعوب، والمقدسات الإسلامية والمسيحية، وبخاصة المسجد الأقصى، والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين، لا سيما رجال الدين الإسلامي والمسيحي. وتأييد النضال للشعب الفلسطيني والمطالبة بتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة)[2].

---

(١) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية. جمع جولييت حداد، ذات الأرقام: (١/ ٥،٦)، (١٨/٧ ، ٣٢)، (٩/٥)، (٢٢/١٠)، (٣٠/١٣ ، ٣١)، (٢٨/١٨)، (٤/٢١)، (٢٦/٢٦).

(٢) المرجع السابق (٧١).

وقد يصور بعض دعاة التقريب اليهودية خصماً مقابلاً للإسلام والنصرانية، غافلاً عما أثبته القرآن العظيم من موالاةٍ بين الملتين ضد الإسلام كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

• **يقول محمد حسين فضل الله:**

(وقد نلاحظ... أن اليهودية في عصرها الجديد، في حركتها الدينية أو السياسية، بدأت تتحرك للتخطيط لإسقاط الدينين معاً، والسيطرة على مواقعهما، وإفراغ مضمونهما من كل معنىً حي يتصل بالقضايا الكبرى المنفتحة على الله والإنسان والحياة كلها، وللعمل على إثارة المشاكل داخل كلٍ منهما بالوسائل المخابراتية والسياسية والثقافية والاقتصادية، في كل ما يمثل الخطر على مصالحها المستقبلية التي تتحرك من أجل السيطرة على العالم)(١).

وقد يفرط بعضهم في الأماني فيتمنى أن يندد النصارى باليهود، أو على الأقل أن يتراجعوا عن بعض ما صدر منهم من بيانات إيجابية في حقهم. يقول صبحي الصالح مخاطباً منتدىً يضم بعض المسلمين والنصارى في لبنان: (ألا ليتنا إذاً نسعى جميعاً ـ يداً واحدة ـ على أن يجرد المجمع المسكوني تصريحاته المتكررة المتعلقة باليهود من كل لفظ أو مدلولٍ يمكن أن يستغله الصهاينة لأغراضهم السياسية)(٢).

لقد تمنى صبحي الصالح على المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني أن يخلي تصريحاته من أي جملةٍ في صالح اليهود، وكان نداؤه هذا في الثالث من حزيران يونيو من عام ١٩٦٥م، آخر أعوام انعقاد المجمع،

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة.
(٢) عهد الندوة اللبنانية (٤٩٢).

وبعده بأقل من خمسة أشهر كان البابا بولس السادس يمهر بيان «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»، تليه توقيعات آباء الكنائس في الثامن والعشرين من تشرين الأول اكتوبر من السنة ذاتها، وفيه يشيد البيان باليهود، ويمنحهم الخلاص، ويبرؤهم مما تعاقب النصارى عليه طوال القرون من تحميل اليهود خطيئة صلب المسيح، ويقدم لهم الاعتذار الحار، والاستنكار البالغ عما لحقهم من آلام واضطهاد، ويدعوهم إلى التلاقي على التراث الروحي المشترك بينهما، والتعاون والتقدير والحوار الأخوي[(١)].

وبعد ذلك بحوالي ثلاثين عاماً، وعلى مرمى حجر من مقر الندوة اللبنانية التي أطلق فيها الشيخ صبحي الصالح أمانيه، ينسج بطاركة الشرق الكاثوليك ـ وعامتهم من النصارى العرب ـ على منوال المجمع الفاتيكاني الثاني، فيصدرون رسالة إلى رعاياهم عام ١٩٩١م تتضمن نداءً إلى اليهود: (نتوجه إليكم أنتم إخواننا اليهود)، ويكررون ذلك في الرسائل التالية[(٢)].

ومن حلقات الموالاة بين طائفتي أهل الكتاب، والاعتذار عن الماضي أن الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية اعتذرت لليهود عن سكوتها عما تعرض له اليهود أثناء الحكم النازي لفرنسا، حيث لم يصدر عنها إدانة رسمية. والمعروف أن الكنيسة المذكورة نصحت أتباعها بالتعاون مع الحكومة التي يدعمها الألمان[(٣)] وذهبت نداءات دعاة التقريب صيحة في واد، ونفخة في رماد.

---

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩ ـ ٦٣١).

(٢) انظر: الحضور المسيحي في الشرق: شهادة ورسالة (٤٦).

(٣) برنامج «عالم بلا حدود» هيئة الإذاعة البريطانية. ليلة الخميس الموافق (١/٦/١٤١٨هـ ـ ٢/١٠/١٩٩٧م).




الباب الثاني

محاولات التقريب بين الأديان
في
العصر الحديث ونقدها

ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: المحاولات الفردية ونقدها.

الفصل الثاني: المحاولات الجماعية ونقدها.






الفصل الأول

المحاولات الفردية للتقريب بين الأديان في العصر الحديث ونقدها

إن دعوة التقريب بين الأديان، التي ظلت فكرة منبوذة في معظم أطوارها التاريخية، لم تكن لتبلغ ما بلغت في العصر الحديث من الظهور والاستعلان إلا بجهودٍ حثيثة، ومساعٍ متواصلة على كافة الأصعدة، النظرية والعملية، حتى استحالت إلىٰ هدفٍ إنساني، وغاية حميدة، لدى كثيرٍ من الناس. ولم يعد دعاتها يستحون من الجهر بها، أو يرعوون عن السعي في سبيلها.

وقد استشرفها في العصر الحديث أفرادٌ من المفكرين والمنظرين، فوسعوا قاعدتها، وفصلوا مجملها، ورسموا لها خططاً، وناقشوا عوائقها، وحاولوا بما أوتوا من قوىً علمية وعملية الدفع بها، وإقرارها بين المجتمعات الدينية المختلفة، على اختلاف نسبي بينهم في المقاصد والغايات، فألفوا ونشروا، وحاضروا وناظروا، وارتحلوا وظعنوا، وأسسوا المراكز، وعقدوا المنتديات بمبادرات فردية، وقناعات شخصية، ميزت جهودهم عن سائر الجهود الجماعية التي تتبناها جمعيات أو حكومات أو هيئات عامة، يغلب فيها الجانب العملي على التنظير الفكري. ومن بين كثيرٍ من المحاولات الفردية الصادرة في العصر الحديث، بل العقود الأخيرة، تم اختيار بضع محاولات جمع أصحابها بين:

١ ـ الإنتاج الفكري في تقرير وتسويغ الدعوة لتقارب الأديان.

٢ ـ الجهد العملي في نشر هذه الدعوة. وهي كما يلي:

١ ـ محاولات المفكر الفرنسي «روجيه جارودي».

٢ ـ محاولات الأب الأسباني «إيميليو غاليندو».

٣ ـ محاولات الكوري صن مون.

٤ ـ محاولات الشيخ أحمد كفتارو.

وتم استبعاد ما اقتصر على أحد الوصفين، دون الآخر، مثل جداليات الأب يوسف درة الحداد، التي أسماها «في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي»(١)، وما جمع الوصفين لكن غلب عليه التمثيل الرسمي لجهة من الجهات، مثل محاولات البابا يوحنا بولس الثاني(٢) ضمن محاولات الكنيسة الكاثوليكية.

---

(١) راجع الباب الأول مبحث حقيقة التقريب لدى الجدليين من النصارى العرب.

(٢) انظر: الفصل الثاني من هذا الباب.

المبحث الأول

محاولات روجيه جارودي للتقريب بين الأديان

تمثل محاولات الفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي Roger Garaudy واحدة من أخطر المحاولات الفردية في العصر الحديث، وتحديداً في العقدين الأخيرين، للتقريب بين الأديان. وتكمن خطورتها في كونها تتجاوز المحاولات التقليدية السائدة التي تدعو إلى فهم الآخر، واحترامه، والبحث عن نقاط الاتفاق والقيم المشتركة، إلى محاولة القضاء على مدلول «الإسلام الخاص» الذي جاء به محمد ﷺ، في سبيل بعث فكرة «الإسلام العام» أو «الإبراهيمية» التي تجمع - بزعمه - الإسلام والنصرانية واليهودية، بل ما هو أبعد من ذلك، بالانغمار في بحر الحكمة الذي يشمل الديانات الوثنية الأخرى؛ من هندوسية وبوذية وكونفوشية، وسائر ما أوحت به شياطين الإنس والجن، بدعوى أنها آثار نبوة سالفة، وبقايا وحي قديم، كما سنعرض لاحقاً.

ومما زاد الأمر خطورة أن صاحب هذه المحاولات عمل من خلال الانتماء للإسلام ودعوى اعتناقه، لا من موقعٍ مقابل، يقتضي الحذر الفطري. وكان لما يتمتع به من مكانة عالمية في الفكر والفلسفة، وثقافة موسوعية، وتجارب فكرية مع مختلف الأيديولوجيات، أثرٌ كبير في تسويق آرائه الكفرية، واعتلائه أعلى المنابر الإسلامية، والاحتفاء به في سائر البلدان الإسلامية، بدوافع عاطفية، أو مصلحية فاسدة، افتقرت إلى التروي والأناة، والفحص والتدقيق.

وقد تقدم روجيه جارودي منذ أشيع نبأ إسلامه عام ١٩٨٢م

بمشروع واضح المعالم ضمنه كتاباته الأولى في مجال «الإسلام»، وظل أميناً له لم يحد عنه حتى هذه اللحظة، كما تنطق بذلك أخريات كتبه، من أجل تشكيل «إسلامٍ معاصر» مؤهل للذوبان في بحر الوحدة العالمية التي يبشر بها روجيه جارودي النصراني، الماركسي، الصوفي، الوجودي... إلى ما شاء الباحث من ألقاب يتسع لها فكر هذا الفيلسوف.

وحينما زكمت رائحة زندقته الأنوف، ولم يستطع من كانوا يسترون سوأته عن الأمة بأنواع التأويلات والمماحكات اللفظية، طمعاً في مصالح مزعومة موهومة، قيل إنه «ارتد» عن الإسلام! لكن الراسخون في العلم قالوا غير ذلك، وصدقوا، قالوا: (لا يحكم عليه بأنه «مرتد» عن دين الإسلام، كما توهمه بعضهم، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام)(١).

وسوف نتناول دراسة هذه المحاولة الخطيرة، وصاحبها من خلال:

١ ـ تعريف موجز، وسيرة ذاتية لروجيه جارودي، وأطوار حياته، وما صاحب ذلك من إنتاج فكري وعملي.

٢ ـ دراسة مشروع روجيه جارودي الفكري للتقريب بين الأديان، والحضارات.

٣ ـ محاولات روجيه جارودي العملية للتقريب بين الأديان والحضارات.

---

(١) من بيان لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في مجلة الدعوة عدد ١٥٨٣ الخميس ١ ذي الحجة عام ١٤١٦هـ الموافق ١٨ أبريل عام ١٩٩٦م (١٤ ـ ١٥).

أولاً: السيرة الذاتية لروجيه جارودي:

■ ولد روجيه جان شارل جارودي في السابع عشر من شهر يوليو عام ١٩١٣م في مدينة مرسيليا الفرنسية، لأسرة عاملة لا تنتمي إلى دين، ثم اعتنق البروتستانتية وانضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي في سنة واحدة ١٩٣٣م، دون أن يرى في ذلك تناقضاً. يقول واصفاً تلك المرحلة: (... لم أكن في يومٍ من الأيام ملحداً حتى عندما كنت عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في عام ١٩٣٣م، لقد كنت في الوقت نفسه رئيس الشبان المسيحيين البروتستانت، وانتسبت للحزب الشيوعي كمسيحي، هذا اتفاق مع النظرية التي تقول: إن الشيوعية إنجاز نصراني لمعالجة القضية الاقتصادية، وفي الحقيقة لم أكن مسيحياً بالميلاد، لأن أبواي لم يكونا كذلك، لقد كانا ملحدين، ليس بسبب ارتباطهما بالشيوعية أو أي مذهبٍ آخر، ولكنهما كانا من الأجيال التقليدية...

في عام ١٩٣٣م عانت أوربا من أزمة كبيرة، استمرت حتى عام ١٩٣٩م، وهي الفترة نفسها التي شهدت صعود هتلر إلى السلطة، وشهدت اختياري الأول ـ وكنت في هذه المرحلة لا أزال طالباً ـ ويرجع السبب في اختياري النصرانية إلى رغبتي في أن أعطي لحياتي معنى في وقتٍ كنا نعتقد ـ لشدة الأزمة ـ أننا نعيش نهاية العالم.

أما الشيوعية، فقد كانت الاختيار الوحيد الذي يطرح بديلاً للخروج من أزمة الرأسمالية، كما أنه أفضل جبهة تقاوم هتلر والنازية في هذه الفترة)[١].

■ وفي عام ١٩٣٦م حصل على إجازة «الفلسفة» بعد دراسة في

(١) من مقابلة مع مجلة الأمة. العدد ٢٩ جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ، فبراير عام ١٩٨٣م.

كلية الآداب بأكس، ثم ستراسبورغ، فعين مدرساً للفلسفة في مدرسة «إلبي».

■ وفي عام ١٩٣٧م انتخب عضواً في فيدرالية تارن الشيوعية.

وحين عصفت رياح الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، واحتلت ألمانيا الهتلرية فرنسا، وأقامت حكومة موالية لها، كان جارودي جندياً في الجزائر التي كانت مستعمرة فرنسية، فاعتقل بسبب نشاطه الثوري المعادي للهتلرية، ونفي إلى معتقل في منطقة «جلفا» في الصحراء الجزائرية، وذلك عام ١٩٤٠م، فكان أول اتصالٍ له بالإسلام. ويصف جارودي حدثاً رسخ في ذاكرته تلك الفترة، وظل يردده في كتبه ومقابلاته، فيقول: (بقيت رهن الاعتقال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في معسكر بمنطقة جلفا بالصحراء الجزائرية. وهناك وقع حادث عجيب فعلاً، فقد تزعمت تمرداً في معسكر الاعتقال، وأجرى الكوماندور الفرنسي، قائد المعسكر، محاكمة سريعة، وأصدر حكماً بإعدامي رمياً بالرصاص، وأصدر أوامره بتنفيذ ذلك إلى الجنود الجزائريين المسلمين، وكانت المفاجأة عندما رفض هؤلاء تنفيذ إطلاق النار، ولم أفهم السبب لأول وهلة، لأنني لا أعرف اللغة العربية، وبعد ذلك علمت من «مساعد» جزائري بالجيش الفرنسي كان يعمل في المعسكر أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسانٍ أعزل... وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث الهام في حياتي. وقد علمني أكثر من دراسة عشر سنوات في السوربون.

وعندما أطلق سراحي، بقيت في الجزائر مدة عام، وخلاله التقيت برجلٍ عظيم، كان له أكبر الأثر في نفسي، هو الزعيم الإسلامي الشيخ البشير الإبراهيمي[1] ـ رئيس رابطة العلماء المسلمين الجزائريين...

---

(١) البشير الإبراهيمي: ولد عام ١٨٨٩م في قرية «سيدي عبد الله» من نواحي=

وفي مقر الشيخ الإبراهيمي لاحظت صورة كبيرة لرجلٍ مهيب، ولأول مرة أتعرف على صاحبها، عندما شرح لي الشيخ البشير جوانب من حياة الأمير عبد القادر الجزائري[(١)] ـ عدو فرنسا ـ كبطلٍ محارب، وعابدٍ ناسك، بل واحدٍ من أعظم أبطال القرن التاسع عشر...

ويعتبر هذا الدرس ـ من الشيخ الإبراهيمي بالنسبة لي ـ المرة الثانية التي ألتقي فيها بالإسلام)[(٢)].

وقد اختتم جارودي هذا اللقاء بالإسلام بتأليف كتابٍ، لعله أقدم

= «سطيف»، التابعة لمدينة قسنطينة في الجزائر. وتلقى تعليمه الأولي على والده وعمه فحفظ القرآن، ودرس بعض متون الفقه واللغة. وتابع تعليمه في المدينة النبوية عام ١٩١١م، وتعرف فيها على الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما زار المدينة عام ١٩١٣م. وارتحل إلى دمشق عام ١٩١٦م للتدريس، وشارك في تأسيس المجمع العلمي، وعاد إلى الجزائر عام ١٩٢٠م، وأسس مع ابن باديس جمعية العلماء عام ١٩٢٤م، وصار نائباً لرئيسها، واشتغل بالدعوة، ونشر العلم الشرعي، ومنابذة البدع، والاستعمار الفرنسي، حتى نفته فرنسا عام ١٩٣٩م إلى بلدة «أفلو» الصحراوية، ولم يفرج عنه إلا عام ١٩٤٣م. وانتخب رئيساً للجمعية بعد وفاة ابن باديس عام ١٩٤٠م وهو في المنفى. وقد اعتقل ثانية عام ١٩٤٥م، وأفرج عنه بعد سنة. أصدر مجلة «البصائر» نقد فيها فرنسا وعملاءها. توفي كَلَّلهُ عام ١٩٦٥م انظر: مجلة البيان عدد ١٣ ذي الحجة ١٤٠٨هـ (١٣ ـ ١٥).

(١) عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسيني الجزائري (١٢٢٢ - ١٣٠٠هـ)، أمير مجاهد من العلماء الشعراء البسلاء. قاتل الفرنسيين بعد احتلالهم الجزائر عام (١٢٤٦هـ ـ ١٨٤٣م) خمسة عشر عاماً، حتى استسلم سنة (١٢٦٣هـ ـ ١٨٤٧م) بعد مهادنة سلطان المغرب إياهم، فنفي إلى طولون ثم إلى أنبواز في فرنسا، وأطلقه نابليون الثالث على أن لا يعود إلى الجزائر، فاستقر في دمشق، وتوفي فيها، من آثاره: ذكرى العاقل، ديوان شعر، والمواقف في التصوف. انظر: الأعلام (٤/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) المرجع السابق.

كتبه على الإطلاق، عنوانه «الإسهام التاريخي للحضارة العربية الإسلامية»، بعد إطلاق سراحه عام ١٩٤٣م، وأثناء عمله في مدرسة «دولاكروا»، وإدارته لمجلة «الحرية» في الجزائر، وقد طبع لاحقاً عام ١٩٤٦م. ثم طوى ذكر «الإسلام» وعاد إلى موطنه عام ١٩٤٤م.

وهكذا وُضعت بذور الاتجاهات الثلاثة المتغايرة؛ الماركسية، والنصرانية، والإسلام، في عقل هذا المفكر في العقود الثلاثة الأولى من عمره (١٩١٣ ـ ١٩٤٣م) لتنمو وتظهر في فترات لاحقة، تخلل بعضها «بيات شتوي» ربما كان عفوياً، وربما كان مبيتاً.

■ أما المرحلة التالية، فقد امتدت من عام ١٩٤٤م إلى عام ١٩٧٠م، وهي الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وشهدت سباقاً محموماً بين المعسكرين الشرقي، بقيادة الاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية «حلف وارسو»، والمعسكر الغربي، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوربا «حلف الأطلسي»، أو ما عرف بالحرب الباردة، وعلى الصعيد الفكري: الصراع بين الفكر الشيوعي والرأسمالي، فكان روجيه جارودي من أقطاب الفكر الشيوعي ومنظريه خلال هذه الفترة، فتفرغ لخدمة الحزب الشيوعي الفرنسي بعد عودته من الجزائر، على مستويين:

• **فعلى مستوى العمل الحزبي**: انتخب نائباً في البرلمان عن منطقة تارن للفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٦٢م، وعضواً في مجلس الشيوخ كممثل لمنطقة السين عام ١٩٥٩م لمدة ثلاثة سنوات.

كما طاف معظم دول أمريكا اللاتينية عام ١٩٤٩م، واتصل بالحركات الثورية هناك، وأمضى عاماً في الاتحاد السوفيتي كمراسل لجريدة «هيومانيتيه» ١٩٥١م. وزار كوبا الشيوعية عام ١٩٥٤م، ثم الولايات المتحدة عام ١٩٥٥م.

كما أسس في مطلع الستينيات «مركز الدراسات والبحوث الماركسية» التابع للحزب الشيوعي الفرنسي وأداره عشر سنين.

• **وعلى المستوى الفكري:** أعد رسالتي دكتوراه، إحداهما في جامعة السوربون الفرنسية بعنوان «النظرية المادية في المعرفة» عام ١٩٥٣م، والثانية في معهد الفلسفة في أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي بعنوان «الحرية» عام ١٩٥٤م.

كما أصدر أكثر من عشرين كتاباً في الفكر الماركسي، والاشتراكية الفرنسية، على مدى عشرين سنة، ينافح فيها عن الشيوعية ويمجد رموزها. إلا إن بيان الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي الرئيس خروتشوف، في المؤتمر العشرين للحزب عام ١٩٥٦م، سبب له صدمة عنيفة بسبب ما كشف من جرائم ستالين، وممارسات الحزب الوحشية، فاتسمت مؤلفاته الأخيرة بروح النقد والاحتجاج، مثل:

«هل يمكن للمرء أن يكون شيوعياً في يومنا هذا؟» عام١٩٦٨م، «منعطف الاشتراكية الكبير» عام ١٩٦٩م، فيما عرف بتجديد الفكر الماركسي، مما أدى إلى تفاقم خلافاته مع الحزب الشيوعي الفرنسي، فوضع حداً لذلك بتأليف كتابه «الحقيقة كلها» عام ١٩٧٠م، وتم فصله من الحزب. وقد كان وقع ذلك شديداً عليه إلى الحد الذي جعله يفكر في الانتحار[١].

أما المرحلة التالية التي أعقبت تحرره من الأسار الحزبي، فكانت بداية مشروعه الوحدوي العالمي لتوحيد الأديان والثقافات والفلسفات المختلفة، الذي نحن بصدد مناقشته، فأكب على دراسة الكتب المقدسة

---

(١) انظر: روجيه جارودي، والمشكلة الدينية. محسن الميلي. تقديم: روجيه جارودي. دار قتيبة. بيروت ـ دمشق. الطبعة الأولى عام (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م). (٣٢).

لدى مختلف الطوائف، وعمل على إحياء التراث الروحي للثقافات غير الأوربية من كونفوشية وطاوية وهندوسية وبوذية بالإضافة إلى اليهودية والإسلام. وأصدر في تلك الفترة التي شغلت عقد السبعينيات عدة كتب في هذا الاتجاه: «البديل» عام ١٩٧٢م، ويتضمن تحليلاً لدور الدين في التغيير، كما يحتوي بعض إرهاصات مشروعه المستقبلي المتمثل في «حوار الحضارات»، و«مشروع الأمل» عام ١٩٧٦م، و«في سبيل حوار بين الحضارات» عام ١٩٧٧م، و«نداء إلى الأحياء» عام ١٩٧٩م. وخلال هذه الفترة أسس روجيه جارودي «المعهد الدولي للحوار بين الحضارات» في جنيف عام ١٩٧٤م، ويصف فكرته قائلاً: (قمت بالتعاون مع مسؤول منظمة اليونسكو بتأسيس «المعهد الدولي لحوار الحضارات» بهدف إبراز دور البلاد غير الغربية، وإسهامها في الثقافة العالمية، حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب، أو «المونولوج» الذي يقوم على وهم عقدة تفوق الإنسان الغربي. وقمت بنشر عدة كتب في هذا المجال تبرهن أن الحضارة الغربية التي تمجد الفردية، وتبتر من الإنسان أبعاده الإنسانية، وتفصله عن السمو الروحي، وتغتال الفكرة الجماعية، وتضع حاجزاً بين العلم والتقنية من ناحية، وبين الحكمة من ناحية أخرى، هذه الحضارة قد استنفدت أغراضها، ولم تعد لها ضرورة)[1].

وقد ظل جارودي يردد هذه المعاني دون انقطاع، ووجد في الحضارة الإسلامية التي ألفت بين العلم والعقيدة ضالته، فطفق يشيد بها، ودخل من بوابة الأندلس إلى عالم الإسلام الرحيب، معجباً بمآثره الحضارية؛ الثقافية والاجتماعية والمعمارية والروحية، وقدرة هذا الدين على استيعاب الآخرين وإدماجهم في مجتمعه، ورأى ـ بصورة انتقائية ـ

(١) من مقابلة مع مجلة الأمة عدد ٢٩ جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ فبراير عام ١٩٨٣م.

في بعض أصوله، وتراث بعض أتباعه والمنتسبين إليه، ما يمثل إطاراً للحلم الذي ظل يداعب مخيلته الشمولية في وحدة العالم.

وبذلك يكون جارودي قد تهيأ لولوج مرحلة جديدة في نظر الآخرين، وهي المرحلة الإسلامية، وإن كان لا يراها هو بنفس المنظار كما سيتبين.

■ في مطلع الثمانينيات، وبعد اطلاع واسع على التراث الروحي والحضاري لمختلف الأمم والشعوب التي تقطن أركان الأرض، من خلال مشروع «الحوار بين الحضارات» أصدر جارودي كتابين عن «الإسلام»:

أحدهما: «ما يعد به الإسلام» أو «وعود الإسلام» عام ١٩٨١م.

والثاني: «الإسلام دين المستقبل» أو «الإسلام يسكن مستقبلنا» عام ١٩٨٢م، ينتقد فيهما النظرة الغربية الإقصائية والتشويهية للإسلام، ويكشف عن قدرته على حل مشاكل العالم الراهنة، ولكنهما حملا أيضاً انحرافاتٍ فكرية خطيرة ظلت تصاحب جارودي في كتاباته التالية، حتى أيامنا هذه. وإثر صدور هذين الكتابين أعلن نبأ اعتناق روجيه جارودي الإسلام عام (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). ولكنه دأب على إنكار أن يكون قد وقع له «تحول» Convertion بالمعنى المعهود، بل يدفع هذه الفكرة في العديد من كتبه ومقابلاته الصحفية، فعلى سبيل المثال: (يقول البعض عني اليوم بأنني اكتشفت الدين مؤخراً. ليس صحيحاً. الدين كان حاضراً في وعيي منذ البداية. الدين كإيمان جوهري، لا كنصوص حرفية وطقوسٍ محددة... لقد لازمني هذا الإيمان في أشد مراحل التزامي بالماركسية)(١). ويقول: (إن تحولي نحو الإسلام لم يكن محطة في طريق، بل كان الطريق كله)(٢). وهذا ملحظ ينبغي أن

---

(١) المرجع السابق (١٢٢).

(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف العربي. ديسمبر عام ١٩٨٧م.

يتفطن له من يذيع البشائر بإسلام جارودي بعبارات لا يرتضيها جارودي نفسه ولا يقرها.

وإثر إعلان نبأ إسلامه قام جارودي ببعض الخطوات «الإسلامية»:

■ تزوج السيدة «سلمى بنت نور الدين التاجي الفاروقي» في نهاية شهر رمضان من العام التالي لإسلامه ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م. وهي فلسطينية مقيمة في جنيف، التقت به في ندوة عامة، وحاورته في كثير من آرائه حول الحضارة الغربية والدين الإسلامي[١]. وكان لها دورٌ في إشهار إسلامه مع الدكتور مدحت شيخ الأرض في المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف. وقد رافقته في العديد من رحلاته إلى البلدان العربية، وقامت بدور المترجم في المؤتمرات والمقابلات واللقاءات التي أجراها. يقول عنها جارودي: (رأيت فيها صورة حية للإسلام وسط محيط أوربي. صحيح أنني زرت عدة بلاد إسلامية... ولكنني لم أكن أقترب كثيراً من العلاقات الحياتية للإنسان المسلم)[٢].

■ أدى مناسك العمرة عام ١٩٨٣م برفقة زوجته.

■ زار كلًّا من لبنان وسوريا في مارس عام ١٩٨٤م، والتقى الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا، وألقى بعض المحاضرات.

■ شارك في «المؤتمر الأول للمسلمين الأوربيين» في مدينة «إشبيلية»، في الفترة ١٩ ـ ٢١ يوليو عام ١٩٨٥م، وأصدر «ميثاق إشبيلية» الذي ضمنه بعض انحرافاته الفكرية تجاه الإسلام.

■ زار عدداً من دول الخليج العربي، والمملكة العربية السعودية حيث حضر:

---

(١) انظر: روجيه جارودي. من الإلحاد إلى الإيمان. (٣٩ ـ ٤٠).

(٢) من مقابلة مع مجلة الأمة. عدد (٢٩) جمادى الأولى ١٤٠٣هـ فبراير ١٩٨٣م.

١ ـ المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول «الأقليات المسلمة في العالم»، المنعقد في الرياض في الفترة ١٢ ـ ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ ـ ٢٧ يناير ١٩٨٦م، وشارك فيه بإلقاء محاضرة بعنوان: «دور الاستراتيجية الصهيونية في الصراع العقائدي في الغرب، وكيفية مواجهته»(١). مساء يوم ١٦/٥/١٤٠٦هـ.

٢ ـ احتفالات مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمناسبة عشرة أعوام على إنشائها، وتسليمه جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٦هـ، مناصفة مع الشيخ الداعية: «أحمد حسين ديدات» من جنوب أفريقيا. وقد جاء قرار الأمانة العامة للجائزة، مسوغاً منحه إياها بثلاثة أسباب:

(أ ـ إصداره الكتب التي تبرز صورة أمينة للإسلام. مثل «الإسلام يسكن مستقبلنا» و«وعود الإسلام»...

ب ـ دفاعه عن فلسطين وأهلها دفاعاً مجيداً في مواقفه المختلفة...

ج ـ مشاركته في العديد من المؤتمرات العالمية التي يوازن فيها بين الحضارات، وينوه بالمبادئ والأصول الإسلامية، ويؤكد أن التزامها كفيل بالوصول إلى الخلاص من الويلات التي تهدد العالم)(٢).

كما ألقى محاضرة بعنوان «كيف أسلمت» مساء اليوم الأول من رجب عام ١٤٠٦هـ.

■ زار مصر في أغسطس عام ١٩٨٦م، وحاور علماء الأزهر.

■ شارك في الملتقى الإسلامي في الجزائر حول الإسلام والعلوم

---

(١) انظر نص المحاضرة في المجلد الثالث لأعمال المؤتمر (١٣٧٤ ـ ١٣٥٩).
(٢) مجلة الفيصل. عدد (١٠٧) (١٤٠ ـ ١٤١).

الإنسانية، المنعقد في مدينة «سطيف» عام ١٩٨٦م، وطرح بعض أفكاره الشاذة، ونوقش من قبل بعض العلماء المشاركين(١).

■ أسس مركزاً للدراسات والبحوث الإسلامية، ومتحفاً في القلعة الحرة، الواقعة قريباً من جامع قرطبة، عام ١٩٨٦م.

■ وخلال هذه الفترة ألف عدداً من الكتب التي تحمل فهمه وتصوره عن الإسلام ومستقبله منها: «المسجد مرآة الإسلام» عام ١٩٨٤م، «الإسلام وأزمة الغرب» عام ١٩٨٥م، «من أجل إسلام القرن العشرين» أو «ميثاق إشبيلية» عام ١٩٨٥م، «الأصوليات المعاصرة» عام ١٩٩٠م، «هل نحن بحاجة إلى الله» عام ١٩٩٣م، «الإسلام» عام ١٩٩٦م، «نحو حرب دينية. جدل العصر» عام ١٩٩٦م. وإلى جانب هذه الكتب أصدر في مرحلته «الإسلامية» هذه جملة من الكتب المناهضة للصهيونية ودولة إسرائيل من أهمها:

١ ـ كتاب «ملف إسرائيل» أو «قضية إسرائيل والصهيونية السياسية» عام ١٩٨٢م. وقد امتنعت كثير من دور النشر الكبرى التي دأبت على التنافس على طبع كتبه، عن نشره. وأتبعه بالتوقيع على بيانٍ مشترك مع

---

(١) في (الملتقى الإسلامي العشرون) في مدينة سطيف في الجزائر أغسطس عام ١٩٨٦م عرض جارودي أمام علماء المسلمين خمس نقاط خطيرة:
١ ـ تطوير التشريع الإسلامي ليلائم العصر.
٢ ـ مهاجمة العصر الأموي والعباسي.
٣ ـ الإشادة بـ «سارتر» والفكر الوجودي، والدعوة للأخذ منه في بناء منهج إسلامي للعلوم الإنسانية. وكذلك ماركس وأفكاره.
٤ ـ تحسين التصوف، وتمجيد القائلين بالحلول ووحدة الوجود.
٥ ـ دعوته إلى الموسيقى.
وقد هزت هذه المحاضرة دوائر الملتقى، وطلب الرد عليه سبعة وثلاثون باحثاً، ونصح بعدم الخوض فيما لا يعرف، وأن يقتصر على فضح الحضارة الغربية، انظر: تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة (١٧٥ ـ ١٧٦).

الأب ميشال لولون، والقس إيتان ماتيو، نشر في جريدة «اللوموند» الفرنسية الواسعة الانتشار، بعنوان «معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان»، فقامت منظمة صهيونية برفع دعوى ضد موقعي البيان، ومدير الجريدة، بتهمة معاداة السامية، والتحريض على العنصرية. ودامت المحاكمة أشهراً، وحسمت لصالح جارودي ورفاقه بالحكم بأن: (انتقاد الصهيونية شيء لا علاقة له باللاسامية، ولا بمعاداة اليهود، لأن اليهودية دين سماوي، أما الصهيونية فهي حركة سياسية)[١].

٢ ـ كتاب: «فلسطين مهد الرسالات السماوية» ١٩٨٦م، وهو يمثل دراسة تاريخية موثقة لفلسطين تبطل المزاعم الصهيونية بـ «الحق التاريخي» لليهود في فلسطين. كما يحمل فكرة «الإبراهيمية» التي ظل يعمل من أجلها.

٣ ـ كتاب: «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» عام ١٩٩٦م يحتوي على ثلاثة فصول: الأساطير اللاهوتية، أساطير القرن العشرين، الاستخدام السياسي للأسطورة، مع مقدمة وخاتمة. هاجم فيها الأسس الدينية والتاريخية والمعاصرة التي قامت على أساسها دولة إسرائيل، وخرافات الإبادة الجماعية لليهود على يد النازية.

وكان اللوبي اليهودي في فرنسا قد نجح عام ١٩٩٠م في استصدار قانون، عرف بقانون «جيسو فايوش»، يعتبر أن «إعادة النظر في تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية»[٢]. وبالتالي قدم جارودي للقضاء إثر صدور هذا الكتاب، وقضت محكمة الجزاء الفرنسية في باريس يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٩٨م بتغريمه مبلغ ١٢٠ ألف فرنك فرنسي (٣٠ ألف

---

(١) انظر: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٣٠ ـ ٣٣ ١٠٥ ـ ١١٣).
(٢) انظر: مقدمة الطبعة العربية لكتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» للناشر حمدان جعفر. مدير عام دار الغد العربي (٨).

دولار)، بموجب ذلك القانون[(١)].

وبعد، فهذه معالم بارزة في شخصية هذا الفيلسوف المفكر الذي يصدق عليه الوصف «مالئ الدنيا وشاغل الناس»[(٢)]. وقد نيف عمره الآن على الخامسة والثمانين سنة، ولم يزل يثير الجدل والنقاش حول أمهات القضايا بقلمٍ سيّال، وفكر وثاب، حتى بلغ ما ألفه من الكتب أكثر من خمسة وخمسين كتاباً، سوى المقالات والمحاضرات. تُرجم بعضها إلى أكثر من اثنتين وعشرين لغةً عالمية، وسائرها إلى ثلاث لغاتٍ على الأقل، هذا مع المواقف العملية الملتزمة تجاه ما يعتقد، كما كُتب عنه أكثر من ثلاثين كتاباً[(٣)].

فهل أسلم روجيه جارودي حقاً؟ وهل وصل بعد «جولته وحيداً هذا القرن»[(٤)] إلى بر الأمان، وذاق حلاوة الإيمان، وبرد اليقين، كما

(١) انظر الصحف الصادرة في ٢٨ فبراير عام ١٩٩٨م، ومجلة «العالم» العدد، الأول صفر ١٤١٩هـ يونيو ١٩٩٨م (٢٤).

(٢) انظر في ترجمته وتحليل أبعاد شخصيته:

* غارودي ـ سلسلة أعلام الفكر العالمي. تأليف سيرج بيروتينو. ترجمة منى النجار «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» ١٩٨١م.

* روجيه جارودي والمشكلة الدينية. تأليف محسن الميلي. قتيبة ـ بيروت ١٤١٣هـ. وقد امتدح جارودي نفسه هذه الدراسة، وفضلها على تسع عشرة أطروحة عنه.

* مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية. المبحث العاشر (٣٤٢ ـ ٣٨٢). تأليف د. محمد بن عبد الله السحيم. دار الفرقان ـ الرياض ١٤١٧هـ وغيرها.

(٣) انظر مسرداً تفصيلياً بأعمال جارودي والدراسات التي تناولته في ذيل كتابيه الجديدين:

* الإسلام، نحو حرب دينية: جدل العصر. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٩٦م،. وكذلك في ذيل كتاب روجيه جارودي والمشكلة الدينية.

(٤) اسم كتاب لجارودي صدر عام ١٩٨٩م.

يعبر بعض الصحفيين المسلمين؟ وهل تخلى روجيه جارودي عن ماركسيته؟ وقبل ذلك هل تخلى عن نصرانيته؟

والجواب عن هذه الأسئلة: ندعه لجارودي نفسه، من خلال تصريحاته، وأجوبته على أسئلة الصحفيين. ومن شواهد ذلك:

■ قال في مقابلة مع جريدة «البعث» السورية في ٢٥/ ٣/ ١٩٨٤م:

(إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي، ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضاً أو مبتدعاً)[١].

■ قال في مقابلة مع جريدة تشرين السورية في ٢٥/ ٣/ ١٩٨٤م:

(أحب هنا أن أؤكد بأنني لم أدر ظهري للماركسية على الإطلاق، ولم أقل ذلك... إنني أشعر وأنا أعيش تجربتي، ومسيرة حياتي، ورحلتي منذ ١٩٣٣م حتى الآن، بأن إيماني بالإسلام هو إنجاز وليس انشقاقاً، في الوقت الذي لا أنكر فيه المسيح ولا ماركس[٢]، ولا قضية حياتي المركزية. وأنا سعيد الآن وأنا في السبعين من عمري لأنني بقيت مخلصاً لأفكاري)[٣].

أما ثناؤه على ماركس والماركسية فلم ينقطع، ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبه الأخيرة ومقابلاته، من جنس قوله: (... ماركس هو أحد كبار مفكري القرن التاسع عشر، وهو رجل عبقري كان يملك

---

(١) عن: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٢٠٠).

(٢) ماركس (كارل) (١٨١٧ ـ ١٨٨٣): ولد في تريف (ألمانيا)، من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية. حرر «البيان الشيوعي» بالتعاون مع «إنغلز»، وأسس «الدولية الأولى». له «رأس المال» وهو عرض لنظريته، أصبح فيما بعد دستور الماركسية والنظام الشيوعي. المنجد في الأعلام (٦٢٦).

(٣) المرجع السابق (١٨٩).

القدرة على التفكير والعمل... الماركسية أساساً هي منهجية الابتكار التاريخي، أي أنه في الوقت نفسه يجتمع العلم والفن لتحليل المتناقضات في مجتمع ما، وفي زمن محدد، وانطلاقاً من تحليل هذه المتناقضات يتم اكتشاف البرنامج والخطة الجديرة بتجاوز هذه المتناقضات، هذه هي روح الماركسية التي تمثل ما قدمه «ماركس» من إنتاج خالد)[١].

وظل جارودي يشيد بأفكار ماركس الاقتصادية، ويلقي باللائمة على الأتباع الذين أخطأوا التطبيق، وخانوا الماركسية، من السوفيات، وفي واحدٍ من أخريات كتبه قبل سنيات[٢].

لقد ظل جارودي أميناً لعقيدته ذات الوجهين (الماركسي ـ البروتستانتي) ولم يحد عنها، ففي كتابٍ من أحدث كتبه، صدر عام ١٩٩٦م يشير جارودي إلى إبرام اتفاقٍ ثنائي بينه وبين أحد كبار لاهوتيّ التحرر[٣] في أمريكا اللاتينية، فيقول: (إن اللقاء بين «دوم هلدر كامارا» وبيني يؤذن بمرحلة عظيمة من حياتي. ويعود هذا اللقاء بالضبط إلى ٢٩ أيار ١٩٦٧م. كنت حينئذٍ عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان هو رئيساً لأساقفة «ريسيف» في البرازيل. وكنا نشترك في جنيف في إحياء ذكرى الرسالة البابوية «السلام في الأرض». ومنذ هذا اللقاء الأول قامت بيننا وحدة أخوية ولم تزل...

---

(١) من مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م. عن روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) انظر: كتابه «نحو حرب دينية» (٥٤ ـ ٧٢).

(٣) «لاهوت التحرر» يطلق هذا المصطلح على الحركة الكنسية التي قام بها أساقفة أمريكا الجنوبية انطلاقاً من البرازيل في مطلع الستينيات حتى اجتاحت القارة كلها. وهي تنادي بتحرير الفقراء والوقوف مع المضطهدين، وانخراط الكنيسة في مجتمعات الفقراء الريفية الكادحة، مع حملة تعليمية ورعاية اجتماعية، كونت ما عرف بـ «جماعات الكنيسة القاعدية». انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. سعود المولى (٩٤ ـ ١١٤).

يروي «دوم هلدر» في كتابه «Les Conversions d'un eveque» كيف بدأت علاقاتنا بـ «اتفاق»: روجيه، ليتنا نعقد اتفاقاً؟ أما أنت، فأنا أكلفك شيئين... اعمل بحيث يكف الماركسيون عن الربط بالضرورة بين الدين والاستلاب[1]. هذه هي النقطة الأولى. ومن ناحية أخرى، أتظن أن هناك علاقة ضرورية بين الاشتراكية والمادية، أم أن من الممكن، كما أعتقد أنا؛ أن يكون المرء اشتراكياً حقاً دون الانتماء إلى المادية الجدلية؟

أنا أتعهد، من جانبي، أن أبذل وسعي، وبأن أوسط أشخاصاً آخرين أعظم نفوذاً مني، ليحصلوا من الكنيسة على قبول الاشتراكية...

لقد قبلت بالفعل، دون تحفظ، مطلَبَيْ «دوم هلدر»، وطلبت منه فقط ألا تستأنف عبارة البابا «بي الثاني عشر»: «الشيوعية فاسدة جوهرياً».

إن الرأسمالية بما فيها من مزاحمة الجميع، ضد الجميع، هي الفاسدة جوهرياً. والشيوعية والاشتراكية ليستا فاسدتين، إلا عندما يخونهما أنصارهما ذاتهم.

وهكذا أبرم الاتفاق، وما لبث أن وضع موضع التطبيق: ففي عام ١٩٧٠م، وبعد المؤتمر الأسقفي في «ميدلان» ١٩٦٨م، كتب دوم هلدر كامار أول كتابٍ حاسم «لولب العنف»...

في السنة نفسها التي ظهر فيها «الولب العنف» لدوم هلدر كامارا ١٩٧٠م، أُبعِدت من الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كنت أحد قادته ومنظّريه، لأنني قلت إن الاتحاد السوفيتي ليس بلداً اشتراكياً، كان ذلك

---

(١) «الاستلاب» بمعنى السلبية. أي كون الدين يثمر «السلبية» على حدة عبارة الشيوعيين «الدين أفيون الشعوب»، ويستعمل هذا المصطلح غالباً في مقابل «التحرر».

منذ أربعة وعشرين عاماً. لقد كنا نفي بالعهد الذي قطعناه على نفسَينا، رغم العقبات. ولم نزل.

من ناحيتي، أظهرت، أثناء الحوارات المسيحية الماركسية التي كنت المنظم لها منذ ١٩٦٠م[١]، وفي كل كتبي ومقالاتي حول الماركسية، أن الإلحاد لم يكن مكوناً ضرورياً من مكونات الاشتراكية ولم يقم ماركس قط بنقدٍ فلسفي للدين، بل قام بنقدٍ سياسي)[٢].

تلك هي اعترافات جارودي إثر إشهار إسلامه بقرابة اثني عشر عاماً، يسوقها دون أن يجد في ذلك تناقضاً مع إسلامه الذي حاكه وفق قناعاته العقلية التي يرتضيها، لا كما أنزل على رسوله محمد ﷺ، ودون أن يرى أنه يفشي بذلك سراً، فقد دأب على ترديد عبارات الاستمساك بماضيه طوال الفترة اللاحقة لإسلامه المزعوم، وفي عقر دار المسلمين.

فهل يبقى شك عند مسلم أن الرجل لم ينعتق من ماضيه، ولم يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، بل أسلم وجهه إلى عقله وهو مسيء، فاختار ما راق له من أصول الإسلام العظام، وأعرض عما لا يوافق مشروعه العقلي، تماماً كما صنع المتكلمون والفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام من قبله.

ومما يلفت النظر أن «شهادة إشهار إسلام» جارودي الصادرة عن المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف في ١٤٠٢/٩/١١هـ، الموافق ٢/

---

(١) لا يغيب عن فطنة القارئ أن هذا التاريخ يسبق تاريخ الاتفاق المشار إليه سابقاً بسبع سنين مما يدل على أن الفكرة كانت معتمدة لديه من قبل، ولا تفتقر إلى إبرام اتفاق.

(٢) نحو حرب دينية. جدل العصر. روجيه جارودي. مقدمة: ليوناردو بوف. ترجمة: صياح الجهيم. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع (٥١ ـ ٥٤).

٧/١٩٨٢م، خلت من توقيع صاحب الشأن، وحملت توقيع الشاهدين فقط[١]. وفي ظني أن جارودي لا يستسيغ مثل هذه الإجراءات النمطية الشكلية، وأنه لم ير ذلك النموذج، أو رآه واستنكف أن يوقع عليه، بدليل أن النموذج يشير إلى أن دينه السابق هو «الكاثوليكية» وذلك خطأ واضح، إذ أخبر عن نفسه كما تقدم أنه قد اعتنق «البروتستانتية» عام ١٩٣٣م، بعد أن لم يكن «مسيحياً بالميلاد» كما قال.

وهذه النصوص التي سقناها آنفاً من كلامه عن نفسه كفاحاً، كافية للحكم عليه، أما تفاصيل مشروعه التوحيدي بين الأديان والوثنيات، ومفهومه للإسلام فبابٌ من أبواب الكفر واسع، وهو ما نعرض له الآن.

ثانياً: مشروع روجيه جارودي الفكري للتقريب بين الأديان:

خلافاً لسائر المحاولات السائدة للتقريب بين الأديان التي تجري على حذر، وتتحاشى المساس بالمعتقدات الأساسية لدينٍ ما، أو تكتفي بمعالجة جانبية لموضوع من الموضوعات المشتركة بين ديانتين أو أكثر، تمثل محاولة المفكر الفرنسي روجيه جارودي مشروعاً فكرياً ذا صفة شمولية، واقتحامات جريئة لحدود الأديان، في سبيل تمييع تلك الحدود ضمن أطر قيمية، ومنظومة عالمية وحدوية تستوعب كافة الحضارات والديانات والتقاليد، متخذة من «الإسلام» الذي صاغه جارودي، المجرى الكبير الذي تصب فيه مختلف الروافد، وتمتزج به.

ويتضح ذلك عندما يتحدث جارودي عن بواعث اعتناقه للإسلام، فيقول: (إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية

---

(١) انظر: صورة من الشهادة في كتاب: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان ـ إعداد رامي كلاوي ـ دار قتيبة (٣٢).

في فكر ورأي النبي ﷺ[١]، كانت إقامة ما نسميه اليوم «وحدة فيدرالية» للطوائف الدينية. لكن حصل أن هذا الأمر لم يتحقق أبداً في التاريخ، لا في المسيحية، ولا في اليهودية أو في الإسلام. لكن أعتقد أن هذه المعادلة قابلة للعيش والاستمرار، أي أن تصل بنا إلى روابط الجماعة، وروابط الأرض، وروابط السوق المشترك، وحتى روابط الماضي والثقافة، وإقامة كل شيء على أساس المستقبل، أي على الإيمان المشترك بمعناه الأرحب والأوسع، وحتى الملحدين ممكن أن يكون لديهم إيمانٌ بالإنسان. وبإمكانهم إقامة طائفة دينية بالمعنى الذي قلناه فيما سبق لتعميق هذا الاحترام الأساسي للإنسان.

هكذا أعتقد ما هو ممكن. لكنني أعترف أن هذا أحد الأسباب التي جذبتني للإسلام. ذلك أن الإسلام هو أكثر الديانات جمعاً وتوحيداً للناس. وهو بمثابة «عصارة وزبدة الأديان»)[٢].

أما السبب الآخر الذي جذبه للإسلام، فيعبر عنه بقوله:

(إن ما كان يشغلني هو البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، أو الإبداع الفني والشعري بالعمل السياسي العقيدي. وقد مكنني الإسلام بحمد الله من بلوغ نقطة التوحيد بينهما... ويدعو القرآن الكريم إلى أن نكتشف في كل شيء وفي كل حدث إشارة للخالق ورمزاً لواقع يعلو النظام الفريد الذي يسوس الطبيعة والمجتمع

---

(١) ما جاء به نبينا محمد ﷺ ليس مجرد «فكر» أو «رأي» كما زعم جارودي، بل هو اتباع الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]. وقال: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠].

(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م. عن روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٨١ ـ ١٨٢).

الإنساني والنفس البشرية)[١].

لقد وجد جارودي في الإسلام ضالته، في اجتماع عناصر تفرقت في غيره. لقد اضطر قرابة أربعة عقود من عمره إلى الجمع بين النصرانية والماركسية، فيما بدا لغيره تناقضاً صارخاً، لكن في نظره أن أحدهما يمده بما لا يمده الآخر، مما لا غنى عنه، بينما يفتقر كل منهما على حده إلى ما في الآخر. فظل ممسكاً «بطرفي السلسلة»، على حد تعبيره. (في عام ١٩٣٣م عندما أصبحت في ذات الوقت مسيحياً وعضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي، كان ذلك يعني أنني ألتزم بكوني مسيحياً بالسنة الإبراهيمية العريقة، التي تعطي حياتي معانيها وغاياتها، وألتزم بكوني ماركسياً بالجانب الآخر من المسألة، أي بالمنهج العملي التاريخي، الذي يعطيني وسائل وإمكانيات تحقق غاياتي الحياتية. وهذا يبدو لي أساسياً في الماركسية. أما في الإسلام فقد كان النبي في ذات الوقت رجل دولة)[٢].

لم يجد جارودي في «النصرانية» ما يلبي طموحاته السياسية والاجتماعية، وإن وجد فيها أثارة من روحانية وأخلاق ومعنى، وهو ما لم يجده في الماركسية بتاتاً، وإن رأى فيها أحسن السيء من النظريات السياسية والاجتماعية السائدة في أوربا؛ من نازية عنصرية، ورأسمالية أنانية جشعة، وقوميات ضيقة. فلفق من هذين الكائنين الخداج «عكازين» يسير بهما في رحلة حياته المضنية، بحثاً عن حلٍ أمثل لأزمة الإنسان المعاصر، ومشكلات الحضارة.

---

(١) من مقابلة مع مجلة الأمة عدد (٢٩). جمادى الأولى ١٤٠٣هـ فبراير ١٩٨٣م.

(٢) جريدة «البعث» عدد ٢٥/٣/١٩٨٤م. عن: روجيه جارودي، من الإلحاد إلى الإيمان (٢٠٢ ـ ٢٠٣).

وحين أتيح له الاقتراب من التراث الإسلامي، بعد أن تحطمت آماله المعقودة على الاتحاد السوفيتي، وهوى صنم «ستالين» من مخيلته إثر خطاب خروتشوف الفاضح، وجد في الإسلام وأصوله ونظمه ما يشبع نهمته، ويروي غلته، ويطفئ لوعته، في تحقيق مشروع «مستقبل ذي وجه إنساني»[1]، ظل يرسم صورته، ويحدد أبعاده، في حقبة السبعينات من خلال «المعهد الدولي لحوار الحضارات»، وأصدر فيه بضعة كتب من مثل: «استعادة الأمل» عام ١٩٧١م، «مشروع الأمل» عام ١٩٧٦م، «نداءً إلى الأحياء» عام ١٩٧٩م، «ما يزال في الوقت متسع للعيش» عام ١٩٨٠م وغيرها.

ومن ثم فقد أقبل جارودي على الإسلام الذي وجد فيه العناصر الأساسية لمشروعه الوحدوي الإنساني، وقد بيت ما يريد، لم يعتنق الإسلام وهو مستعد للتلقي، فالقبول، فالتنفيذ، كما هو حال من يسلم وجهه لله، خالعاً على عتبة الإسلام كل ما كان من أمر الجاهلية، مطرحاً كل مقدمة، ووسيلة، ونتيجة، تخالف النص الإلهي والتوجيه النبوي. كلا، بل احتكم إلى عقله ورأيه وتجربته المتنوعة، فاعتقد ما يراه صواباً، ثم خاض في عالم الإسلام يصطفي، ويستبعد، ويقدم ويؤخر، ويعظم ويهون، وفق ما يناسب مشروعه في التقريب بين الأديان والثقافات.

وسنحاول في الصفحات التالية استبيان سبيل جارودي في توصيفه للإسلام الحي الذي «يسكن مستقبلنا»، و«ما يعد به الإسلام» الذي تخيله، بالإضافة إلى نقده التاريخي لمسيرة الإسلام وأهله، ورؤاه المستقبلية. وذلك من خلال أقدم كتاباته الإسلامية في منتصف

---

(١) هكذا كان يسمي جملة من أبحاثه في الفترة التي تلت فصله من الحزب الشيوعي.

الثمانينيات، وأحدثها في منتصف التسعينيات ليتضح جلياً ما سبق تقريره من أن جارودي دخل عالم الإسلام بمشروع مبيّت واضح المعالم والأبعاد، وظل مقيماً عليه حتى الآن، وأنه لم يطرأ عليه «ردة» بعد إسلام كما ظن بعض الناس، بل لم يصح إسلامه أصلاً، وإنما حجب هذه الحقيقة الواضحة رهج العواطف، وغبار العجلة.

أولاً: إرساء المدلول العام للإسلام، وإقصاء المدلول الخاص:

من المعلوم بداهة أن الإسلام دين الله الذي أوحى به إلى جميع أنبيائه، من حيث أصل الاعتقاد، وهو الاستسلام لله سبحانه بالعبودية المطلقة، والخلوص من الشرك، والانقياد له وحده بالطاعة؛ كما نطق بذلك جميع أنبياء الله ورسله، ودعوا أقوامهم قائلين: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ كما جاء على لسان نوحٍ وهودٍ وصالح وشعيب، [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، وسائر أنبياء الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]. هذا مع اختلاف تفاصيل شرائعهم، وخصوص رسالة كل منهم إلى قومٍ معينين، وعموم رسالة خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ، كما قال: «الأنبياء إخوة من علّات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[1]. ومن هنا وصفهم الله بالإسلام في مواضع كثيرة كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤][2].

وقد درج علماء الإسلام على تقرير هذا المعنى في مقام بيان أن التوحيد أول دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وفي سياق بيان منزلة نبينا محمد ﷺ العالية، وشرفه وفضله على سائر الأنبياء، بوصفه

---

(١) رواه مسلم (١٨٣٧/٤). أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى. والمراد أن أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة.

(٢) راجع مبحث: «دين الإسلام» في التمهيد.

خاتمهم وسيدهم، الذي أخذ الله ميثاق الأنبياء قبله على الإيمان به، وتعظيم شأنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾ [آل عمران].

ولكن جارودي حين يقرر هذا المعنى ينحى به منحى آخر، قد لا يتفطن له القارئ أول وهلة، وهو التهوين من خصوصية رسالة نبينا محمد ﷺ وفضله على سائر الأنبياء، ومزية دينه على سائر الأديان، بل إنه يشدد على الإسلام بالمعنى العام، ويغفل الإسلام الخاص الذي أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، ولا يشير إلى نسخه لبقية الأديان، ويثبت أن القرآن مصدق للتوراة والإنجيل ولا يقرر أنه مهيمن عليهما، وغاية ما يبلغه أن الجميع على قدم المساواة، وليس لأهل الإسلام «المسلمين» أن يتميزوا عمن سواهم بدعوى أن عقيدتهم هي الأفضل. وفوق ذلك يغمط نبينا محمد ﷺ فضله بكلامٍ فيه جفاء، أو مقتضٍ تفضيل عيسى عليه السلام عليه. وإليك البيان:

قال في وثيقة إشبيلية عام ١٩٨٥م:

١ - لا يمكن أن يكون إسلام القرن العشرين إلا الإسلام الأزلي. ذلك لأن الإسلام ليس ديناً ضمن سائر الأديان، ولكنه الدين الأصيل والأول منذ أن نفخ الله في الإنسان من روحه... ذلك هو الإسلام الذي سماه القرآن «سنة الله»... وأول واجب علينا هو أن نعلن عقيدتنا الإسلامية بأن نعيش الإسلام بكليته، دون انحياز إلى عصبية، أو أعرافٍ خاصة.

٢ - لم يزعم محمد ﷺ قط أنه جاء بدينٍ جديد... إننا نضعف عقيدتنا لو زعمنا بأننا أفضل الخلق، لمجرد تجاهلنا جميع من هم سوانا)[1].

---

(١) من أجل إسلام القرن العشرين «ميثاق إشبيلية» روجيه جارودي. (٦٥). قال=

وقال بعد عشر سنين في كتابه «الإسلام» عام ١٩٩٦م: (ليس الإسلام ديناً جديداً ولد مع نبوة النبي محمد ﷺ، ليس الله إلهاً خاصاً، وقفاً على المسلمين.

«الله» هو الترجمة الحرفية لكلمة تدل على الإله الواحد الأحد. والمسيحي العربي يقول في صلاته وشعائره: الله، ليتضرع إلى ربه. ويعني الإسلام: التوكل الإرادي والحر على الإله الواحد الأحد، وذلك هو القاسم المشترك بين الأديان المنزلة: يهودية ومسيحية وإسلام)(١).

وقال في كتابه: «نحو حرب دينية» عام ١٩٩٦م أيضاً: ؛... أترك الكلام للقرآن الكريم حيث يجري الكلام عن يسوع أفضل مما هو عن محمد ذاته. أولاً: لأنه يعترف له بالولادة الخارقة للطبيعة... ثمة ألقاب خاصة أطلقت في القرآن الكريم على يسوع المسيح ولم تطلق على غيره، حتى ولا على محمد ﷺ: لقد سُمي: المسيح، وكلمة الله وروح الله)(٢).

إن جارودي يرمي إلى أن لا يتطلع المسلمون إلى قصر مفهوم الإسلام على ما جاءهم به رسول الله ﷺ، بل أن يعدوا أنفسهم شركاء فقط في «الإيمان الإبراهيمي»، سواءً بسواء كاليهود والنصارى. ومن ثم فعليهم أن يكفوا عن محاولة طبع العالم بطابعهم التقليدي الخاص، أو ما يسميه أسطورة «الأسلمة».

= الدكتور سعد عبد المقصود في تعقبه لجارودي ووثيقة إشبيلية: (أليس إرجاع الشيء الفاسد إلى صحته، وتطهير الدين من رجس أصحاب الأديان وجلاؤه مما يعتبر جديداً؟ أليست العودة إلى الصحيح، ورد الاعتقاد الفاسد إلى مصدره الأصيل من الصحة جديداً؟) لا لجارودي ووثيقة إشبيلية (٤٥).

(١) الإسلام (١٧).

(٢) نحو حرب دينية (٢٢ ـ ٢٣). وغير خافٍ أن الفضل الخاص لا يقضي على الفضل العام، وإلا فإن خلق آدم عليه السلام بيدي الله، ونفخه فيه من روحه، أعظم من الولادة الخارقة للطبيعة.

ويُعد اعتقاد المسلمين بأن دينهم الخاتم هو الدين الكامل، والنعمة التامة، والحقيقة المطلقة، «تطرفاً» و«أصولية» فيقول: (التطرف الإسلامي مرض الإسلام، كما أن الأصولية مرض جميع الأديان. الأصولية هي ادعاء الأصولي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة وأنه يمتلك من ثم، لا الحق فحسب، بل والواجب أيضاً في فرض تلك الحقيقة على الجميع ولو بالحديد والنار...

والادعاء الغربي أنه «الثقافة»، وليس ثقافةً بين ثقافات أخرى، تعارضه حينئذٍ أسطورة «الأسلمة» التي تنسى الطابع الشامل للإسلام «التسليم لله»، وتطرح نفسها مالكةً دون غيرها للحقيقة المطلقة. وذلك بدلاً من تعميم شامل حقيقي للثقافة التي تحقق وحدة، لا وحدة الهيمنة الاستعمارية الامبراطورية، وإنما الوحدة السمفونية، بإسهام كل ثقافة في الثقافة الشاملة)[١].

إن هذا الأصل الفاسد هو الأساس الذي بنى عليه جارودي مسجد ضراره، فجاءت فروعه ظلمات بعضها فوق بعض، وشبهات بعضها يأخذ برقاب بعض، كما سيأتي.

ثانياً: التفسير التاريخي للإسلام، من منظور التقريب بين الأديان والحضارات:

في هذا السياق، سياق التأكيد على أن الإسلام هو الإسلام الأزلي، وليس الدين الخاتم، وأن محمداً ﷺ لم يأت بدين جديد، وإطلاق القول في ذلك دون تفصيل، في محاولة إقصائية لمدلول الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده، وأنزله على لسان رسوله ﷺ عقيدة وشريعة، فلا يقبل ديناً سواه، في سياق هذه المحاولات يتقدم جارودي بتفسير جديد للتاريخ الإسلامي، لا سيّما وهو حديث عهد بالتفسير

(١) نحو حرب دينية (٣٠ ـ ٣١).

المادي للتاريخ الذي جاءت به الفلسفة الشيوعية. لقد حاول جارودي التقليل من الدور المميز لهذه الأمة، وما خصها الله به من فضائل، وما أكرمها به من كرامات على سائر أمم الأرض، بسبب ما اضطلعت به من مهمة عظيمة في نشر دين الله في الأرض، وهداية الناس، كما خلّد الله لها هذه المنقبة بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران]. فأعظم خصائص هذه الأمة، وسر خيريتها، وأثرها في التاريخ الإنساني حملها رسالة الإسلام، خالصة نقية، لتعبيد الناس لرب العالمين علماً وعملاً، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

ولكن جارودي يحاول الغض من هذه الميزة الجلية، وصرف الأنظار إلى جوانب أخرى ثانوية، حصلت تبعاً وثمرة للوظيفة الأساسية، وهي نشر دين الله الحق الذي كانت البشرية بأمس الحاجة إليه كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة: ١ ـ ٣]. أراد جارودي التقليل من الأهمية التاريخية للإسلام بوصفه ديناً جديداً، جاء بعقيدة صافية نقية كاملة شاملة، تفارق سائر العقائد السائدة في الأرض حينذاك، وتعلو عليها، وشريعة عادلة حكيمة متضمنة لمصالح العباد الدينية والدنيوية، أراد تفريغ حركة الفتح الإسلامي الجهادي من هذا المحتوى، والهدف الأسمى، وتصويره مجرد «يقظة دينية» لمذهب «الأريوسية»[1]، الذي يصنف كواحدٍ من «الهرطقات» النصرانية المنقرضة، و«ثورة اجتماعية» تعيد تقسم الثروات بين الناس، و«تحولاً ثقافياً» يفسح المجال أمام نمو العلوم والحِكم

---

(١) راجع مبحث النصرانية في التمهيد (١٢٥).

والفلسفات والصناعات وعمارة الأرض، وهو في هذا الأخير، يسلط الأضواء على تراث الفلاسفة والمعتزلة والصوفية والباطنية، ويطمس التاريخ العلمي الحقيقي للأمة، المتمثل في نتاج علماء العقيدة والفقه والحديث.

ومن شواهد هذه «القراءة التاريخية» الجائرة لحركة الفتح الإسلامي، كما يتهجّاها جارودي بعنت ومشقة وتتعتع مفضوح، نقتطف ما يلي:

إن شعوباً كان الإيمان القديم قد كف عن أن يمنح حياتها ومؤسساتها روحاً ـ المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية، والمزدكية في الإمبراطورية الفارسية ـ هي التي استقبلته استقبالاً حماسياً. فالإسلام يكّون يقظة دينية تمنح روحانية هذه الشعوب حياة جديدة. . .

كانت الشعوب تحتفي بالمسلمين بوصفهم محررين، ورجال إيمان يحترمون إيمان الآخرين وينعشونه، في ضوء آخر الأنبياء)[١].

فهل يظن جارودي أن أولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ودخلوا في دين الله أفواجاً، قد بقوا ـ مثله ـ متمسكين بنصرانيتهم ومزدكيتهم؟ كما صنع هو بتمسكه بنصرانيته وماركسيته معاً، مع ادعاء الإسلام أيضاً، وأنهم اكتفوا بموعظة دينية أنعشت إيمانهم الفاتر فقط، على أيدي الفاتحين من أصحاب محمد ﷺ، ورضي عنهم؟!.

ثم يقدم مثالاً تاريخياً يكشف عما يعتمل في قلبه من حسدٍ للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وهو تعليل انتشار الإسلام في إسبانيا:

(إن الإسلام طعّم الأريوسية من الناحية الدينية، في شبه الجزيرة

(١) الإسلام (٢٧ ـ ٢٨).

الإيبيرية، فكانت أجمل فسيل من فسائله)[١]. ويشرح هذا الإجمال ببيان كيفية دخول الأريوسية إسبانيا، وتأصلها في الطبقات الشعبية، وما نتج من صراعات بين النيقاويين المثلثين، والأريوسيين الموحدين، الذين طلبوا دعم المسلمين، ويصف دخول الإسلام الزاهي للأندلس بهذه الصورة الباهتة: (كان شمال مراكش عندئذ مقاطعة من المملكة القوطية... ورست أفواج من جند البربر، بدعوة من الأريوسيين على الجزيرة بقيادة طارق، حاكم المنطقة من موريتانية الواقعة بموازاة الشاطئ، أو رئيس قبيلة بربرية تخضع لهذا الحاكم، وجرت معركة واحدة في وادي «الكة» قرب قادس، وانضم أسقف أشبيلية، عندما حمي وطيس المعركة إلى البربر، وتصرف التصرف نفسه أسقف طليطلة... وعبرت الجزيرة جيوش طارق بعد هزيمة رودريك، التي سرعان ما عززت اندفاعاتها جيوش موسى بن نصير «سليل كونت قوطي»، حتى البيرينيه دون أن تلاقي مقاومة، في أقل من أربع سنوات. وفتح اليهود الذين اضطهدهم القوطيون زمناً طويلاً، أبواب العديد من المدن)[٢].

وهكذا يجعل جارودي من قادة الفتح الإسلامي الأبطال عمالاً خاضعين أصلاً لحكم القوط، أو من سلالتهم، وكأنما يقول: «سمننا في دقيقنا» ولا فضل لأحد.

ويبلغ التجاهل والطمس لمضمون الفتح الإسلامي الجهادي ذروته، حين يزعم جارودي، أنه حتى بعد مرور مائة وأربعين سنة من فتح المسلمين للأندلس، لم يكن أياً من اللاهوتيين المسيحيين الناطقين باللاتينية من مدرسة قرطبة يعرفون اسم «محمد» ﷺ، ولا اسم القرآن الكريم!!

---

(١) الإسلام (٣٢).

(٢) الإسلام (٣٤ ـ ٣٥).

وهذه الدعوى الساقطة المتهافتة التى لا يسلم بها أدنى عاقل، فضلاً عن أن تصدر عن خبير بالحضارات، يعتصر جارودي مادتها بصعوبة بالغة من كتابات بعض الأساقفة الإسبان الموتورين، الذين لم يضمنوا كتاباتهم ذكراً أو نقداً لدين الفاتحين الجدد، يتجشم جارودي هذه السبل الوعرة ليشهر سؤالاً مصطنعاً: (كيف نشرح هذا الصمت الغريب أمام الإسلام حتى عام ٨٥٠م لدى هؤلاء المدافعين عن الاستقامة المسيحية، الشديدي اليقظة؟)[١]، وحيث يستبعد الاحتمال الأرجح وهو الخوف والجبن، يصل بعد رحلة مضنية إلى الجواب الذي يريد لتدعيم القاعدة النظرية لمشروعه التقاربي بين الأديان فيقول: (إن الإسلام الذي كان ينتشر على الشاطئ انتشاراً بطيئاً، وبخاصة في «ألميرة» حيث الاتصالات مع الشرق أكثر وثاقة، لم يعبر عن نفسه بوصفه تياراً جديداً في الداخل، وفي قرطبة على وجه الخصوص، إلا بدءاً من هذا العصر. وحتى هذا التاريخ كان بوسع الإسلام أن يختلط بالتيارات «الهرطقية» التي كان اللاهوتيون المسيحيون يجادلون ضدها...

وكان ممكناً للإسلام خلال قرن ونصف ألا يكون متميزاً، باستثناء مدن الشاطئ[٢]، من مختلف نسخ الهرطقة الأريوسية، التي كان المدافعون المسيحيون أنصار عقيدة نيقية يجادلون ضدها.

ونقول باختصار: إن الانتشار السريع للإسلام في إسبانيا لم يكن نصراً حربياً. إنه يمثل للأغلبية الواسعة من هذا الشعب:

١ - يقظة دينية: لم تكن، بالنسبة للجزء الأريوسي من السكان

---

(١) الإسلام (٣٨).

(٢) علق في الحاشية بقوله: (لأن في مدن الشاطئ يرسو فقهاء آتين من الشرق لا يعتبرون «مسلماً» إلا من كان بعد النبي محمد).

ـ الأكثر عدداً ـ متناقضة مع إيمانه، بل ذات استمرارية معه، وكانت قد حررته من الاضطهاد الذي كان ضحيته حتى ذلك الزمن بوصفه هرطقة.

٢ ـ تطوراً اجتماعياً: كان يقابل المفهوم الروماني للمُلكية، المعرَّفة في مدونة جوستينيان بأنها الحق الممنوح للمالك في أن «يستغل ويسرف في استغلاله»، بمبدأ قرآني مفاده أن «الملك لله وحده»، وليس الإنسان سوى وكيل مسؤول عن هذه الملكية التي يمكن أن تصادر منه إن لم يستثمرها لخدمة الله والناس.

٣ ـ تحولاً ثقافياً: إن روح الانفتاح لدى النبي محمد ﷺ كانت توصي، على عكس اللاتسامح لدى المحتلين القوطيين، بالمضي للبحث عن العلم «ولو في الصين»[(١)].

ذلك ما يسعى جارودي لإرسائه بشأن التاريخ الإسلامي:

١ ـ أنه لا يحمل ديناً جديداً مميزاً، بل مجرد يقظة دبت في أمم تختزن أدياناً سابقة، نبهتها من سباتها حركة بطيئة لم تعبر عن نفسها بوصفها تياراً جديداً، إلى الحد الذي يمضي قرن ونصف من الزمان دون أن يكتشف الناس، بل ولا رجال الدين المتخصصين، اسم نبي هذا الدين واسم كتابه!

وليت شعري ألم يكن بناء المساجد، ودوي المآذن في مدائن الأندلس بالشهادتين، ومنها جامع قرطبة الذي يتغنى جارودي بموسيقى حجارته ـ كما يعبر[(٢)] ـ كافياً لتقديم هذه المعلومة الأولية لآحاد الناس فضلاً عن الأساقفة الموتورين؟!

---

(١) الإسلام (٣٨ ـ ٣٩، ٤٣ ـ ٤٤).

(٢) انظر: الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر. روجيه جارودي. ترجمة: د. محمد مهدي الصدر. دار الهادي. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م). (٢٢٩ ـ ٢٣٠).

٢ ـ إنكار الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله. ذلك أن غاية الجهاد أن يكون الدين لله، بل كله لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وهذا ما لا يتفق ومشروع جارودي الوحدوي ذي الألف وجه، الذي يتيح لكافة الأديان المحرفة، والوثنيات المنحطة أن تنعم بلقب «الإسلام الأزلي».

يقول جارودي: (المثال النموذجي للإرادة في تخريب الإسلام ـ وذلك منذ قرون طويلة حتى أيامنا هذه ـ يكمن في ترجمة كلمة «جهاد» بـ «حرب مقدس»...

ويميز التقليد الإسلامي الأسمى، والأكثر أمانة، «الجهاد الأكبر» أي النضال ضد أنفسنا، ونزعاتنا الأنانية التي تدمر «الأمة»، من «الجهاد» الأصغر، وهو أيضاً «جهد» وتضحية يتجه شطر الخارج للدفاع عن الإيمان، ومقاومة كل ظلم يمارس على أولئك الذين يريدون أن يعملوا وفق هدى الله، وليس بهدف نشر الإيمان الذي لا يمكنه أن يكون بالقوة)[(١)].

ومن هنا يلح جارودي على أن الانتشار السريع للإسلام في أسبانيا لم يكن نصراً حربياً. ويصف أمجاد الفتح الإسلامي الجهادي في الأندلس بـ (خرافة الغزو العربي لأسبانيا)[(٢)].

إن مجمل حركة التاريخ الإسلامي باعثها الجهاد في سبيل الله، لنشر دين الله وإعلاء كلمته، لا لإكراه الناس على الدين، وإنما لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف]. وكذلك فعل رسوله ﷺ لإظهار دين ربه بالحجة والبيان، وبالسيف والسنان، فسيرته

(١) الإسلام (١٠٦ ـ ١٠٧).
(٢) الإسلام في الغرب (١٧).

حافلة بإنفاذ السرايا والبعوث والغزوات والفتوح. وعلى ذلك سار خلفاؤه وأصحابه رضوان الله عليهم كما وصفهم ربهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح]، وهي الصورة التي رسمها القرآن لأولياء الله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

وهكذا كُتب تاريخ الإسلام، وهكذا قرأه أجيال المسلمين.

أما جارودي فقد قرأه مغمضاً عينيه، متنكراً لأمانة المؤرخ، فسلب الأمة الإسلامية خيريتها، وغمطها حقها، زاعماً أن الإسلام الذي أنتج أعظم حضارة في التاريخ سرى سرياناً بطيئاً لا يكاد يتبينه أحد، ولم يحدث تحولاً جذرياً في حياة الناس وعقائدهم، بل نفض الغبار عن إيمانهم الراكد، لا عن طريق الجهاد بل عن طريق الفكر والفلسفة. وهو بذلك يوجه رسالة للأمة الإسلامية التي تحاول أن تنهض من رقدتها قائلاً للمسلمين: كُفُّوا عن الشعور بالعلو والخيرية، فلستم وحدكم المسلمين، وإياكم والتفكير بنشر دينكم الخاص، فليس لديكم مستند ديني ولا تاريخي يخولكم القيام بهذه المهمة المزعومة، وهيئوا أنفسكم للانخراط في موكب الوحدة الإنسانية العالمية.

ذلك فحوى معالجته التاريخية للإسلام، أما نص خطابه المستقبلي المؤسس على تلك المعالجة فهو ما يلي: (إن الأمر اليوم بالنسبة إلينا، بعد أن نبين كيف يمكن أن يعيش الإسلام، ويعبد الله في مجتمعاتنا، لا في الانعزال، والحلم بعودة الماضي، بل بالنضال مع كل المؤمنين الذين يعتقدون أن للعالم معنى، وأن العالم واحد... يناضل فيه

المسلمون والمسيحيون والبوذيون، لكي يعطوا كل إنسان مهما يكن لونه، وأصله ودينه، كل الوسائل التي تساعده على تفتيح كل الإمكانيات التي يحملها في داخله)[١].

وقد فاجأ جارودي علماء المسلمين المبتهجين بإسلامه بهذه الأفكار، فحكى الأستاذ أنور الجندي انطباعاته عن اللقاء ـ أو ربما الصدام ـ الذي جرى بين جارودي وبعض علماء المسلمين في ملتقى «سطيف» بالجزائر عام ١٩٨٦م قائلاً: (كان أول ما يفاجئ به جارودي سامعيه تلك الحملة الواسعة على تراث الإسلام وتاريخ الإسلام، وانتقاص عصر الأمويين والعباسيين على نحو يكشف عن غاية هي أكبر محاولة تجاوز تاريخ الإسلام وتراثه جميعاً من أجل التطلع إلى آفاقٍ عصرية يراها لا تحتاج أبداً إلى النظر إلى ذلك التراث، أو الاهتمام به، فجاء تناوله هذا يحمل طابع الاستخفاف والتجاهل. ويمكن أن يفهم هذا في ظل ما حاول أن يدعو المسلمين إليه من الانتفاع بميراث ماركس وسارتر[٢] حين حاول أن يحسنه ويدعو المسلمين إليه كمصدر من مصادر النهضة)[٣].

ثالثاً: تقويم الحضارة الإسلامية وتراثها، من منظور التقريب بين الأديان والحضارات:

في دراسته وعرضه للتراث العلمي والحضاري للأمة الإسلامية، سلك روجيه جارودي مسلكاً انتقائياً مجحفاً، يعتمد إبراز الاتجاهات المنحرفة، وتمجيد رموزها، والحط من سبيل المؤمنين، أهل السنة

---

(١) الإسلام (١١ ـ ١٢).

(٢) سارتر (جان بول)، فيلسوف وكاتب فرنسي، ولد في باريس ١٩٠٥م، من روّاد الوجودية المتشائمة. عرض أفكاره في محاولات وقصص ومسرحيات منها «الكائن والعدم»، «طرق الحرية»، «الجدار». المنجد في الأعلام (٣٤٤).

(٣) تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة (١٧٥).

والجماعة، والسواد الأعظم للأمة الإسلامية عبر القرون. ويتماشى هذا المسلك مع مشروعه التقاربي بين الأديان والحضارات، حيث التقط من مطاوي التاريخ كل زنديق، ومغموط في دينه، ومبتدع ينتسب إلى الإسلام، فحسَّن صورته، وعظَّم شأنه، وأشاد بأقواله، وقال للمسلمين هنيئاً لكم به. وتطاول على كل إمامٍ ثقة ناصح لله وكتابه ورسوله والمسلمين، بأقذع السباب؛ والنقد الجارح. فأصحابه أصحاب وحدة الوجود والقول بالحلول والاتحاد، من زنادقة الصوفية والباطنية، ومؤلهة العقل، من المعتزلة وأشباههم. وأعداؤه أئمة الحديث والسنة والفقه في الدين، من السلف الصالح. وبالتالي فإن الحضارة الإسلامية التي يشيد بها ويتغنى بأمجادها ليست ميراث النبوة الحقيقي والوحي الأمين، وإنما الفلسفة وعلم الكلام وشطحات الصوفية، مما تنزلت به الشياطين على كل أفَّاكٍ أثيم، ممن لا يرعون للدين حرمة، ولا يعرفون له حدوداً، ويشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

ذلك أن أهل الإسلام الذين حفظوا الوحيين، وضبطوا حدود الدين، يحولون بينه وبين ما يشتهي من «شيوعية» دينية، ووحدة عالمية كفرية. في حين أن أرباب الصوفية يوافقونه في قبول كل صورة من صور الكفر والإلحاد، ويقاربونه في نصرانيته ـ التي لا يزال مقيماً عليها ـ في فكرة حلول الإله بالإنسان ـ كما أنه اعتضد بمنهج المعتزلة العقلاني، وقولهم بخلق القرآن، وأنه ليس كلام الله حقيقة، يمهدون له الطريق للقول بتاريخية النص القرآني، وقابليته للنقد. أما الباطنية على اختلاف درجاتهم في التأويل الفاسد، فيتيحون له المجال للعبث بأحكام الشريعة، وصرفها عن ظواهرها إلى ما يراه مناسباً لـ «إسلام القرن العشرين».

ومن ثم جاءت كتاباته ومقابلاته طافحةً بذم الفقهاء والمحدثين

وتنقصهم، وتمجيد المتصوفة والمعتزلة وإبرازهم. ويربط جارودي ربطاً تاريخياً «مقلوباً» بين ظهور هؤلاء الزنادقة وامتداد الحضارة الإسلامية ونموها ـ في زعمه ـ من جهة، وتسلط الفقهاء وتمكنهم وانحسار الحضارة الإسلامية من جهة أخرى.

على أن «الامتداد» و«الانحسار» عنده ليسا كما يتبادر إلى ذهن كل مؤرخ منصف، من حيث كونهما معياراً لتقدم الفتوح الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجاً، ونشر أعلام السنة، بل لامتداد الفكر الباطني، وانحسار العلم الشرعي. فمن ثم يبتدع تقسيماً تاريخياً للحضارة الإسلامية، فيزعم حصول ثلاثة انحسارات للإسلام:

(**الانحسار الأول للإسلام**: مناسبة تاريخية ضائعة: مذهب المعتزلة الذي أدانه التعصب من الأشعري[1] إلى ابن حنبل[2]: التشويه الأول الذي أصاب الفكر الإسلامي بإدانة المعتزلة... وكان المعتزلة قد

---

(١) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد بالبصرة عام ٢٦٠هـ. وتلقى مذهب المعتزلة وبرز فيه ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ، ومن مصنفاته «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، «الإبانة عن أصول الديانة»، وغيرها، ولابن عساكر «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري».
الأعلام (٤/ ٢٦٣)، طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٥)، والمقريزي (٢/ ٣٥٩)، ابن خلكان (١٣/ ٣٢٦)، البداية والنهاية (١١/ ١٨٧)، اللباب (١/ ٥٢).

(٢) إن هذا الابتداء والانتهاء «من الأشعري إلى ابن حنبل» ليكشف عن القراءة العجول المتسرعة للتاريخ الإسلامي التي تقدم المتأخر، وتؤخر المتقدم. فالإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ـ ٢٤١هـ) ﷺ سابق للأشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ) زمناً ورتبةً وبلاءً حسناً، في نقض أصول المعتزلة وصد بدعتهم، واحتمال محنتهم في سبيل حفظ الدين والسنة. ومن شواهد هذا التخبط أنه عد الحسن البصري ﷺ مؤسساً لمذهب المعتزلة ـ انظر الإسلام (٦٦) ـ مع أنهم سموا بذلك لاعتزالهم إياه!

أتاحوا للمسلمين أن يبتكروا تأليفاً أصلياً كان قد وضعهم على رأس الثقافة العالمية. وهذا الفكر، فكر الانفتاح والبحث، لم يتح إزهاراً مذهلاً للعلوم والفنون اللتين لم تجعلا الإسلام موقظ الثقافة في أوربا، وأفريقية، والشرقين الأدنى والأوسط فحسب، بل جعلتا منه نمطاً من فكر «المعتزلة» النقدي والانفتاحي، الذي شجعه المنصور(١)، فكر منح أساسه الفلسفي هذا التقدم على مستويات الثقافة جميعها.

الانحسار الثاني للإسلام: بعد النهضة الصفوية في فارس، وحكم أكبر في الهند وإشعاع قرطبة... عندما حاول بعض الخلفاء القليلي الثقة بالقوة والإشعاع الحر للإيمان الإسلامي، أن يجعلوا سلطتهم أكثر مركزية وأكثر استبدادية، وضعوا نهايةً لهذه الحرية المبدعة...

وهذا الانطواء المرعب كان سيضغط على كل التاريخ اللاحق للإسلام، إذ يحكم عليه بسيادة التقليد القديم والانغلاق على الذات. وتَسِمُهُ استجابة «ابن حنبل»، فثمة تضخم في «الحديث» يبدل التقليد الخلَّاق لـ«سنة الله» ـ أعني استمرار مساهمات الرسل ـ وما يميز «الانحطاط الحنبلي» هو التالي:

- الميل إلى تقليص مبادئ الإسلام في تطبيقها الذي مورس في القرون الأولى: تطبيقها في مجتمع ضيق من الشرق الأدنى. فرسالة القرآن كانت كلية، في حين أن هذا التقليد كان قد أصبح ذا خصوصية. كان إنتاج الأحاديث يجري في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام وحمل بالطبع بصمتها التاريخية...

ومع تقطيع أوصال الملكيات المسماة «إسلامية» في الشرق...

---

(١) هذا أيضاً من شواهد قراءة جارودي السطحية للتاريخ الإسلامي، فالمعروف أن «المأمون» (١٩٨ ـ ٢١٨هـ) وليس «المنصور» (١٣٦ ـ ١٥٨هـ) هو الذي مكن المعتزلة واضطهد أهل السنة.

وفي الغرب... أفلت الفكر من الضغوط الخانقة لهذه المركزية السلطوية وعندئذٍ ازدهرت عبقرية الإسلام: من ابن سينا[1] إلى الرومي في الشرق، ومن أبي القاسم إلى ابن عربي في أسبانيا: ثمة انطلاقة جديدة في البحث العلمي والتقني، وانتشار جديد للثقافة والفنون.

وتنتصر الدوغماتية[2] مرة إضافية أخرى. والخوف من الاجتهاد وتواطؤ الأمراء المستبدين مع العلماء الخدم... ومات العلم الإسلامي بسبب هذه الدوغماتية، وهذا الرفض للروح النقدية ـ روح المعتزلة وإخوان الصفا فيما بعد، وروح كل المحاولات ليقظة الفكر المبدع، فكر الإسلام.

ويتجلى على المستوى الروحي هذا الإذلال للفكر الإسلامي، عندما قاد الجفاف الفقهي، والميل الرئيس إلى النظام، بعد قرنين، ابن تيمية إلى إدانة ابن عربي، أحد التعبيرات الأكثر سمواً لداخلية الإسلام وأبعادها في الحب، وإلى إدانة الشعراء الصوفيين الفارسيين...

ويظل ابن تيمية معاً، على الرغم من جهوده في إضفاء الداخلية على الإيمان، تلميذ ابن حنبل الذي كان، وقد أخرس المعتزلة، النصير الأنشط لـ «إغلاق الاجتهاد» ـ على عكس ابن تيمية الذي كان يقتصر

---

(١) الحسين بن عبد الله بن سينا. أبو علي، ولد في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ. اشتغل في الفلسفة والطب والمنطق. كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي. من تصانيفه: الشفاء والإشارات والقانون. توفي سنة ٤٢٨هـ.
انظر: الأعلام (٢/ ٢٤١)، وفيات الأعيان (١/ ١٥٢)، لسان الميزان (٢/ ٢٩١).

(٢) الدوغماتية Dogmatism من Dogma أي عقيدة أو مبدأ، وغالباً ما تستعمل كلمة دوغماتية للدلالة على العقائد القطعية التي تفرض بنوع غطرسة، ومن غير مبررات كافية. انظر: المورد (٢٨٧).

على جعله اختصاص القلة، وأستاذ عبد الوهاب المولود عام ١٦٩١م[1]، وهو، بوصفه كذلك، معلم المحافظين جميعهم وصنمهم[2]...

الانحسار الثالث للإسلام بعد جهد «بناءٍ جديد» للفكر الإسلامي من الأفغاني إلى إقبال: الإسلاموية مرض الإسلام، كما الأصولية مرض الأديان كلها. فالأصولية هي الادعاء بملكية الحقيقة المطلقة، وبالتالي وجوب فرضها على الجميع...

وتعود المنابع العميقة للحركة الحالية إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما ولدت حركة النهضة «النهضة الإسلامية» مع الأفغاني (١٨٣٦ ـ ١٨٩٧م).

فالأفغاني فتح الدرب لبحث سيستمر خلال قرن، وينتشر على محورين:

- كل نهضة للإسلام سياسية وروحية معاً، تقتضي قراءة جديدة للقرآن متحررة من التفسيرات الجافة والمجففة، تفسيرات «العلماء» الرسميين.
- مشكل الحداثة، لا ينبغي أن تكون مقاربته انطلاقاً من

---

(١) هذا خطأ تاريخي أيضاً، تلقاه روجيه جارودي عن أسلافه من المستشرقين والمنصرين مثل Huges في كتابه Dictionary of Islam (٦٥٩)، وولفرد في Apiligramage to Najd ملحق (١٢٥)، وزويمر في كتابه The Cradlo of Islam Arabic وغيرهم، وقد ذكروا ولادته سنة ١٦٩١م، وهو غلط فاحش. انظر: محمد بن عبد الوهاب. مصلح مظلوم ومفترى عليه. تأليف: الأستاذ: مسعود الندوي رحمه الله (٣٠) حاشية (١٦). والصحيح أن ولادة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كانت سنة ١١١٥هـ ـ ١٧٠٣م. انظر تاريخ ابن غنام (١/٥٧).

(٢) في المقطع الأخير هذا استدراكات، وجمل اعتراضية مزقت أوصاله، وفرقت معانيه. وجماعه: ويظل ابن تيمية معاً، تلميذ ابن حنبل وأستاذ عبد الوهاب.

أيديولوجية غربية تسمى «حديثة»، تستبعد مسألة «الغايات الأخيرة» «غايات الإنسان»، وتحيل العقل إلى بحثٍ عن الوسائل التقنية، وسائل القوة والثورة، مبدأ استعمارها الحربي والاقتصادي والثقافي.

ذلك هو الإلهام الأولي الذي سيعرف، خلال قرن، كثيراً من التغيرات، وضروب التحريف)(١).

ولقد وقع جارودي على أشباهه، وانحاز إلى فئته، وصوّب وخطّأ، ووالى وعادى، بناءً على أصله الفاسد في توحيد البشر، بإزالة الحواجز، وتعدي الحدود، باسم الاجتهاد والتحرر والانفتاح التي لا تعرف ضابطاً. لقد انتقى جارودي «مثل السوأ» من كل عصر ومصر، ممن لفظهم تاريخ الإسلام، ونبذتهم الأمة، فخلع عليهم أجل الأوصاف. ونظر شزراً إلى أئمة الهدى، وحفظة الشريعة ممن أفنوا أعمارهم في شد معاقد الدين، وصون بيضة الإسلام، وهم يدعونه إلى الهدى ائتنا، فأبى واستكبر، ونبزهم بألقاب السوء.

وعلى قراءته «المقلوبة» للتاريخ الإسلامي وانحساراته المزعومة، تعقبات:

أولاً: أن «الإنحسارات» الحقيقية والنكبات الكبرى التي منيت بها الأمة الإسلامية طوال تاريخها كانت مقترنة اقتران النتيجة بالمقدمة، والأثر بالمؤثر بظهور هذه الاتجاهات المنحرفة، من فلسفة وتصوف واعتزال وتشيع، كما يشهد بذلك التاريخ. قال ابن القيم ﷺ: (سلط النصارى على بلاد المغرب لما ظهرت فيها الفلسفة والمنطق، واشتغلوا بها، فاستولت النصارى على أكثر بلادهم، وأصاروهم رعية لهم)(٢).

---

(١) الإسلام (٦٣، ٧٢ ـ ٧٣، ٧٨ ـ ٨٠).

(٢) يريد بالمغرب بلاد الأندلس، وذلك حين سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م، وما أعقبها من تراجعات وانتكاسات، وهي الحقبة التي شهدت ظهور الفلاسفة المتصوفة الذين يمجدهم جارودي.

وكذلك لما ظهر ببلاد المشرق، سلط الله عليهم عساكر التتار، فأبادوا البلاد الشرقية واستولوا عليها.

وكذلك في أواخر المائة الثالثة وأول الرابعة، لما اشتغل أهل العراق بالفلسفة وعلوم أهل الإلحاد، سلط الله عليهم القرامطة الباطنية فكسروا عسكر الخليفة عدة مرات)[(١)].

ولعل هذا ما يريد جارودي ويشتهيه، وهو القضاء على السلطة المركزية، والخلافة الإسلامية، التي تعتصم بها الأمة بعد الله ﷻ، فتضيع معالمها وخصائصها. وقد نطق بذلك فيما نقلناه آنفاً حين قال: (ومع تقطيع أوصال الملكيات المسماة «إسلامية» في الشرق... وفي الغرب... أفلت الفكر من الضغوط الخانقة لهذه المركزية السلطوية، وعندئذٍ ازدهرت عبقرية الإسلام).

ثانياً: من المغالطات الصارخة أن ينبز جارودي علماء السنة بـ «العلماء الخدم»، والمتواطئين مع الأمراء المستبدين، ونحو هذه الألفاظ، ويضرب المثال بالإمامين الجليلين مالك بن أنس[(٢)]، وأحمد بن حنبل، ثم بشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهم الله ـ وقد علم القاصي والداني ما نالهم في ذات الله من أذى حكام زمانهم، من المعتزلة والأشاعرة. ويغض الطرف عن الإرهاب الفكري، والتسلط العنيف، الذي مارسه المعتزلة حين تمكنوا من الوصول إلى بعض الخلفاء العباسيين، وامتحنوا الأمة بالقول بخلق القرآن، بقوانين أشد جوراً وظلماً من قانون «جيسوفايوش» الذي أدان جارودي مؤخراً.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٣٨٣).

(٢) الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ. كان صلباً في دينه بعيداً عن الملوك، حافظاً ثبتاً ورعاً، توفي سنة ١٧٩هـ. الأعلام (٥/ ٢٥٧)، الوفيات (١/ ٤٣٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٥)، صفوة الصفوة (٢/ ٩٩)، اللباب (٣/ ٨٦)، حلية (٦/ ٣١٦).

ثالثاً: أن الغاية من هذا التقويم، ونقد الرجال هو سلخ الأمة من دينها الذي جاء به محمد ﷺ، بحسبانه «مواصفات» لفترة تاريخية معينة فقط.

فـ «الانحطاط الحنبلي» ـ على حد تعبيره ـ يساوي في تعريفه تطبيق الإسلام كما مورس في القرون الأولى. وبعبارة نبوية محكمة: (ما أنا عليه وأصحابي)[١] فهنيئاً للحنابلة بهذه المذمة من ناقص.

أما أداة السلخ، فمِدية ذات حدين: قراءة جديدة متحررة للقرآن، تؤوله على غير تأويله، ورفض للأحاديث التي جرى إنتاجها ـ في زعمه الكاذب ـ خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام، التي هي القرون الفاضلة. فماذا أبقى للإسلام إذاً؟!

والعجب من دَعِيٍّ للبحث عن الحقيقة، يستشهد بمخطوط في دير أسباني، أو أنشودة في معبدٍ بوذي، أو هلوسة لصوفي في حال اصطلام وفناء وجذب، ويهزأ بالسنة المطهرة التي حملها من كل خلفٍ عدوله، وأفنوا أعمارهم في ضبطها وتوثيقها وحفظها، فيصب عليهم جام غضبه، ويسلقهم بألسنة حداد.

أما أهل الزندقة والفلسفة ووحدة الأديان، فيسبح بحمدهم ويقدس. ومن نماذج ذلك:

- ابن مسرّة القرطبي[٢]:

يقول جارودي عن هذا الزنديق، بعد أن شرح تلقيه الفلسفة عن

---

(١) رواه الترمذي (١٠/١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) ابن مسرّة القرطبي (٢٦٩ ـ ٣١٩هـ ـ ٨٨٣ ـ ٩٣١م): محمد بن عبد الله. فيلسوف، صوفي، إسماعيلي. نسبت إليه مقالات كفرية، واتهم بالزندقة، وكان يحرف التأويل في كثير من القرآن، فر إلى المشرق. ورد عليه جماعة من أهل المشرق والمغرب، وحرقت كتبه. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٣).

الرازي (٨٦٤ ـ ٩٣٢هـ)، والاعتزال في البصرة، ووقوعه تحت تأثير «إخوان الصفا»، ثم التصوف في مصر على يد ذي النون المصري[١]: (لقد حقق ابن مسرّة في الغرب ـ في قرطبة ـ أول توليفة فلسفية للتقاليد الروحانية الأكثر علواً في آسيا وأفريقيا، وحسب نزعة الإسلام ذاته، في نسبة كل روائع العالم إلى الله. وقراءته الرمزية للقرآن، كقراءة فيلون[٢] اليهودي ـ سابقاً ـ للتوراة، وقراءة بريسيليان للأناجيل، منحت الروح للرسالة)[٣].

• الإمبراطور المغولي أكبر بن همايون (١٥٤٢ ـ ١٦٠٥م) أبو الفتح، جلال الدين محمد: يصفه جارودي بأنه: (وجه من أعظم وجوه التاريخ الكلي... يعبر أكبر عن هذا الفكر المنفتح ذي النزعة الكلية: إنه سيسحب من السنة امتيازاتها بوصفها الدين الرسمي، ويستقبل شيعة الفرس على قدم المساواة. وأصدر أمر تسامح لمصلحة دين الهندوس والسيخ الذين كانوا يعتبرون هذا الإمبراطور معلمهم الروحي، ولكنهم

---

(١) ذو النون المصري: ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو الفياض، أو أبو الفيض. أحد الزهّاد العباد المشهورين. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم في مصر في «ترتيب الأحوال، ومقامات أهل الولاية»، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فأستحضره إليه، وسمع كلامه، ثم أطلقه. فعاد إلىٰ مصر، وتوفي بجيزتها. انظر: الأعلام (٢/ ١٠٢).

(٢) فيلون (٢٠ق.م ـ ٥٤م) فيلسوف يهودي، ولد في الإسكندرية. حاول أن يشرح الدين بتعابير الفلسفة اليونانية. وأكثر استعمال الطريقة الرمزية. له تأثير على آباء الكنيسة الشرقية، وعلى فلاسفة العرب. انظر: المنجد في الأعلام (٥٣٧).

(٣) الإسلام في الغرب (٦٨). وقد رسم المترجم د. محمد مهدي الصدر اسمه هكذا: (ابن مصّارة) في جميع الفصل المتعلق به (٥٥ ـ ٧١)، لكونه تهجّاه من الأصل الفرنسي.

كانوا مضطهدين حتى ذلك الحين، يضطهدهم أباطرة المغول، تلقوا من الامبراطور أكبر معبد «أمريتسار»، الذي ظل حتى أيامنا هذه مركزهم الروحي.

وفي عام ١٥٧٥ بنى ضرباً من «بيت للدين»، يستقبل فيه على الرغم من معارضة الاستقامات الفارسية جميعها، براهمانيي الهندوس، وبوذيين، وجائنيين، ومزدكيي الهند، ومسيحيين - جزويت برتغاليين على جه العموم - وأطلق المتعصبون من كل فج، ولا سيما العلماء الطائفيون في كابول وأوزبكستان، فتوى الإدانة ضده)[١].

• ابن عربي[٢] (٥٦٠ - ٦٣٨هـ ١١٦٥ - ١٢٤٠م) محمد بن علي، الحاتمي، الطائي، الشيخ الأكبر لزنادقة الصوفية، وقدوة القائلين بوحدة الوجود، ووحدة الأديان، كما في أبياته الشهيرة التي يتغنى بها كل ملحد، ويطرب لها كل زنديق:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني

فلا عجب أن يهيم جارودي بحبه، ويفنى فيه، ويلهج بذكره في كل كتاب ويطريه، لموافقته إياه في هذا المنحى الخبيث. فمن ذلك قوله: (وذروة أعمال ابن عربي هي حين يؤكد استمرارية الرسالات السماوية في «فصوص الحكم»... وهو في هذا الكتاب حامل الرسالة

---

(١) الإسلام (٦٠ - ٦١)، وانظر التعريف بأكبر فيما تقدم في الباب الأول، الفصل الثاني.
(٢) تقدم الكلام عنه في الباب الأول (الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند المسلمين) من الفصل الثاني.

الأساسية للإسلام: الرسالة الإبراهيمية التي تعتبر أن الديانات اليهودية والمسيحية ليست سوى دينٍ واحد...

ويشير ابن عربي قائلاً: المسيحي هو الذي يؤمن بدينٍ سماويّ، ولا يغير دينه إذا اعتنق الإسلام. لقد كان ذلك الازدهار الأخير للإسلام في الغرب، قبل أن يضطر ابن عربي إلى الرحيل إلى دمشق لكي يلتحق بفلاسفة «الإشراق» الفرس، وقبل أن يَشيَ به في القاهرة فقيه كان يروم أن يحكم عليه بالموت.

بعد ابن عربي سيُحتضر الإسلام في الغرب...)[1].

هذه ثلاثة أمثلة لأفراد تشابهت قلوبهم وقلب جارودي، رغم اختلاف أعصارهم وأمصارهم. ومن يتناولهم جارودي بالجرح والتعديل وفق معاييره الفاسدة كثير. وليس كل من امتدحه جارودي يكون مبطلاً بكل حال، فربما امتدح بعض أرباب المهن والعلوم المباحة كالخوارزمي[2] في الجبر والرياضيات، والحسن بن الهيثم[3] في البصريات، والإدريسي[4] في

---

(١) الإسلام في الغرب (١٦٩، ١٧١ ـ ١٧٢).

(٢) الخوارزمي (٠٠٠ ـ بعد ٢٣٢هـ): محمد بن موسىٰ الخوارزمي، أبو عبد الله، رياضي، فلكي، مؤرخ، من أهل خوارزم ينعت بالأستاذ. أقامه المأمون العباسي قيِّماً على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية، وترجمتها. وله كتاب «الجبر والمقابلة» ترجم إلىٰ اللاتينية ثم إلىٰ الإنكليزية. عاش إلىٰ ما بعد وفاة الواثق بالله. انظر: الأعلام (١١٦/٧).

(٣) ابن الهيثم (٣٥٤ ـ ٤٣٠هـ): محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو علي، مهندس من أهل البصرة. يلقب بـ«بطليموس الثاني». له تصانيف في الهندسة. اتصل بالحاكم العبيدي، وتوفي بالقاهرة. وكتبه تزيد على السبعين. انظر: الأعلام (٨٣/٦، ٨٤).

(٤) الإدريسي (٤٩٣ ـ ٥٦٠هـ): محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي، الحسني، الطالبي، أبو عبد الله، مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية. من أدارسة المغرب الأقصىٰ. ولد في سبتة، ونشأ وتعلم بقرطبة. ورحل رحلةً=

الجغرافيا، وابن خلدون[١] في الاجتماع.

وربما امتدح بعض علماء الإسلام المعتبرين، لخصلة راقت له، وموقف منفرد أعجبه، أو فهمه، حسب منظور لا يلتزمه ذلك الفقيه، كما يصنع مع أبي حنيفة ﷺ حين يمجد اجتهاداته وآراءه التي عالج بها مشاكل اعترضت مجتمعاً يخالف مجتمع المدينة[٢]، ويفرع على ذلك فروعاً باطلة لا يقرها أبو حنيفة، وليست من مذهبه، أو يمتدحه لكونه لم يعتمد إلا سبعة عشر حديثاً فقط - في زعمه[٣] -.

وكما يمتدح «ابن باديس»[٤] و«الإبراهيمي» لمجابهتهم الاستعمار

= طويلة، انتهىٰ بها إلىٰ صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني...، ووضع له كتاباً سماه: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» أكمله سنة ٥٤٨هـ. الأعلام (٧/ ٢٤).

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، أبو زيد. ولي الدين الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة، ولد سنة ٧٣٢هـ، أصله من إشبيلية، وولد ونشأ بتونس، ورحل إلى الأندلس وفاس ثم إلى مصر، اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» وأوله «المقدمة» وهي تعد من أصول علم الاجتماع، وله أيضاً «شرح البردة» وغيرها. توفي سنة ٨٠٨هـ. الأعلام (٣/ ٣٣٠)، الضوء اللامع (٤/ ١٤٥)، دائرة المعارف الإسلامية (١/ ١٥٢)، نفح الطيب (٤/ ٤١٤)، العبر (٧/ ٣٧٩).

(٢) انظر: وثيقة إشبيلية (١٨)، الإسلام (٧٣)، روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٨٣). مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م، (٢١٦) مقابلة مع مجلة المستقبل مايو ١٩٨٥م... وغير ذلك.

(٣) انظر: الإسلام (٦٥).

(٤) ابن باديس: (١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ - ١٨٨٧ - ١٩٤٠م) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١م إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة «الشهاب»، علمية دينية أدبية. صدر منها في حياته نحو=

الغربي لبلادهم[١]. ولكنه يشيد - بشكل خاص - بطلائع العصرانيين لاقترابهم من منهجه في تقارب الأديان مثل «الأفغاني» و«محمد عبده»[٢].

أما الصوفية - على اختلاف مراتبهم - فعيبة نصحه، وأهل ثقته، ومستراح فؤاده[٣].

رابعاً: الفصل بين الشريعة والتشريع:

تأسيساً على الأصل الفاسد الذي أصله جارودي في الاقتصار على «الإسلام العام»، عمد إلى طمس الخصائص المميزة لدين الإسلام، المتمثلة في جوانبه التشريعية الشاملة لجميع مناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها، ومحاولة تزهيد المسلمين بالتراث الفقهي الضخم الذي خلفه الفقهاء عبر القرون، بدعوى «الاجتهاد» و«التجديد» و«نبذ الجمود»، إلى درجة التنكر التام للنظام الجزائي؛ من حدود، وعقوبات ثابتة بالآيات المحكمات، والأحاديث الصحاح، وإجماع المسلمين.

= ١٥ مجلداً. وكان شديد الحملات على الاستعمار. وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع، واضطهد، وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء المسلمين في عهد رياسته كثيراً من المدارس. وتوفي بقسنطينة في حياة والده. له «تفسير القرآن الكريم». انظر: الأعلام (٣/ ٢٨٩)، وانظر كتاب: عبد الحميد بن باديس. رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة. تأليف د. محمد فتحي عثمان. وانظر مجلة البيان عدد ١٣ ذي الحجة ١٤٠٨هـ (٨ - ١٣).

(١) انظر: الإسلام (٦٥).

(٢) انظر: أصول الأصوليات والتعصبات السلفية: روجيه جارودي. مكتبة الشروق. القاهرة. طبعة يناير ١٩٩٦م (٣١).

(٣) انظر: الإسلام (٧٨ - ٨٠).

لقد كان جارودي يغمغم بهذه المعاني، ويحوم حولها في منتصف الثمانينيات، كما ورد في «وثيقة إشبيلية» عام ١٩٨٥م، حين طرح سؤالاً: (كيف نعمل لإحياء الإسلام؟) وأجاب بجملته المتكررة في كتبه:

(... يجب ألا نقرأ القرآن والسنة بعيون الأموات...

أما الذين سمعوه وفسروه فهم بشر، رجال ذوو عقيدة وإيمان، وفقهاء ينتمون إلى عصر محدد في التاريخ، وخليقٌ بنا أن ندرس فقههم بما هو أهل له من احترام، دراسة خالصة صادرة من أعماقنا، ممزوجة بما يشغل بالنا من ضرورة حل مشاكلنا كما حلّوا مشاكلهم من قبل، ولا يتأتى ذلك بتكرار ما قرروه من أحكام، ولكنه يتأتى باستلهام الوسائل التي طبقوها حتى يعيشوا إسلامهم في نطاق إمبراطوريتهم العربية الجديدة، وبلفظٍ آخر في ظروفهم التاريخية التي اختلفت من جذورها عن ظروف مجتمع المدينة...

أما الوحي القرآني فإنه يعطينا أمثلة مادية لحلول ساقها في معرض مشكلة تاريخية محددة، ابتداءً من القيم المطلقة، والمبادئ الثابتة الخالدة التي احتوتها الرسالة...

إن كل آية قرآنية نزلت من الملأ الأعلى إلى التاريخ، فلا مجال لتطبيق نصوص آية تطبيقاً حرفياً بمعزل تام عن مضمونها التاريخي التي نزلت فيه، وعن مجمل الوحي الذي يستوعبها...

إن للفظ «الشرعة» الذي استعمله القرآن للدلالة على القانون الإلهي «أي الشريعة»، لمعنى خاصاً، ذلك لأن الشرعة هي الطريق المؤدي إلى المنبع...

يمكن أن يعبر عن مشكلة مستقبل المسلمين بتعبير غاية في البساطة والوضوح:

فإما أن نتقهقر، وقد سُمّرت عيوننا على الماضي، نستعيد ما كتبه السابقون من تعليقات، وتعليقات على التعليقات، حول المسائل الفقهية التي ثارت في عصور الأمويين والعباسيين، وإما أن يبدي المسلمون مقدرتهم على حل المشاكل المستحدثة حلاً لا يفضي بالعالم إلى الفناء، وبذلك يستأنف الإسلام تقدمه وظفره، كما علا زمن القرن الأول الهجري، حيث أوجد الحلول للمشاكل التي خلفها انحدار الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية)[١].

ثم أفصح عن هذا الإجمال في منتصف التسعينيات، ووضع النقاط على الحروف فقال في كتابه «الإسلام»، الصادر عام ١٩٩٦م، في معرض رده على الإسلاميين المنادين بتطبيق الشريعة الإسلامية: (ما يناسب تسميته «الإسلاموية» هو في أيامنا هذه: مرض الإسلام، لأن هذه الإسلاموية لا تميز «الشريعة» الدرب الأخلاقي الأبدي والكلي الذي فتحه كل الأنبياء باسم الله، من «التشريع» الذي يمكنها أن تُلهمه في كل عصر لحل مشكلات هذا العصر.

ويكمن هذا المرض، على سبيل المثال، في إرادة مفادها تطبيق القانون الجزائي السائد في القرن السابع، كاليد المقطوعة بسبب السرقة، أو الجلد، وبالسوط، بسبب الزنى.

• ويضيف إليها الفقهاء، ضد القرآن الكريم، وباسم «التقليد» الرجم حتى الموت[٢]، وفي إرادة مفادها تطبيق القانون المدني

---

(١) وثيقة إشبيلية (١٧ ـ ١٩، ٢١ ـ ٢٢).

(٢) عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خطب فقال: «إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها، ووعيناها، وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها، وإن الرجم حق في كتاب الله، على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، =

والأحوال الشخصية، اللذين كانا يتوافقان مع شروط القرن السابع التاريخية، على الزواج والطلاق والمواريث...

والخطأ الأسوأ المميت بالنسبة لمستقبل الإسلام يكمن في الخلط بين القانون الإلهي الأبدي «الشريعة»، وما كان عليه الفقه «التشريع» في القرن السابع...

ويعقد فصلاً في كتابه هذا بعنوان: (كيف يمكن أن يتوطن إسلامٌ في مستقبلنا؟ ماذا يعني تطبيق الشريعة؟) يقول فيه:

(الادعاء بتطبيق حرفي لحكم تشريعي بحجة أنه مكتوب في القرآن الكريم، إنما هو خلطٌ بين القانون الأبدي، قانون الله، «الشريعة» التي هي «ثابت» مطلق، مشترك بين الأديان كلها والحِكم كلها ـ وبين التشريع المخصص للشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي، تشريع كان تطبيقاً تاريخياً، خاصاً بهذه البلدان، وبهذا العصر، للقانون الأبدي...

والقانون الإلهي، الشريعة، يوحد المؤمنين كلهم، في حين أن الزعم بفرض تشريع القرن السابع الميلادي، وللجزيرة العربية، على الناس جميعهم في القرن العشرين، إنما هو عمل يعطي صورة مزيفة رافضة للقرآن الكريم. إنها جريمة ضد الإسلام، وليس لـ «تطبيق الشريعة» الحقيقي أي علاقة بهذه الحرفية الكسول»[1].

إذاً فقد كان يهدف من وراء دعوته إلى التجديد والاجتهاد ونبذ الجمود والتقليد، إلى سلخ الأمة عن العمل بكتاب ربها، وسنة

= إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»، رواه البخاري (٧/ ٢٦) ومسلم (٣/ ١٣١٧)، أما جارودي فينكر أيضاً ما يجد في كتاب الله مثل حد السرقة ـ كما سيأتي ـ.

(١) الإسلام (٨١، ١٠٤، ١٢٦).

نبيها ﷺ، بحسبان تلك الشرائع «وقتية»، وذات مناسبات تاريخية، ليست لها صفة الديمومة، بل ربما سماها «عادات» و«تقاليد» عربية، فنزعها حتى من أصلها الشرعي، كما قال في مقابلة مع مجلة المستقبل في ٤ مايو عام ١٩٨٥م: (إذا كان الإسلام يريد أن ينتشر ويتوسع، فعليه أن يتماشى مع حضارات الشعوب الأخرى. لكن إذا كنا نريد لانتشاره أن نفرض على كل مؤمنٍ جديد أن يصبح عربياً من القرن التاسع... فهذا يبدو غير معقول... كما أن العرب في تلك الأثناء كانوا عرب القرن التاسع، أي أنهم لم يطلبوا من أحدٍ أن يصبح عربياً، ويتقيد بعادات وتقاليد العرب، لكي يصبح مسلماً. كان يطلب منه فقط أن يؤمن بالعقيدة الإسلامية)[1].

وما هذه الدعوة إلى نبذ الشريعة، إلا حلقة في سلسلة متلاحقة الحلقات يقول الأستاذ أنور الجندي: (لقد توالت المراحل في التشكيك في الشريعة الإسلامية، وأصالتها وربانيتها، ثم خلقت الإشكالات لضرب الشريعة بالفقه، والفقه بالشريعة، ثم جرى الحديث حول مقولة باطلة هي الأنظمة الوضعية لا تختلف كثيراً. ثم توالت محاولات الخداع والتضليل فيه لإيقاف المد، حتى جاء من يطعن في تاريخ الإسلام، ويحاول أن يدعي أن الشريعة لم تطبق إلا فترة قليلة، ومنهم من أخذ يصور الخلفاء والأمراء المسلمين بصورة الظلم والعسف، ومنهم من حاول أن يراوغ في تفسير الآيات، ويدعي أن لكل عصرٍ ظروفه، حتى جاء الببغاء الزئبقي، فنقل كل ذلك على لسانه، بعد أن أعلن إسلامه ليكون لساناً لهم وزعيماً ـ يريد جارودي ونقل بعض كلامه ثم قال: ـ وهو بذلك ينكر خلود الوحي والشرع، وامتداده إلى كل العصور والبيئات، وتلك فكرة ما تزال من رواسب الفكر الغربي الذي ما زال يعيش في أعماقه)[2].

---

(١) عن: رجاء جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٢١٧ ـ ٢١٨).

(٢) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (١٧٩).

وقد أعوزه هذا السعي لطمس شريعة الإسلام، وهدم مبانيه العظام، إلى كفرٍ أعظم منه، لا يتم له مراده ـ لا تمم الله له ـ إلا به، فصار يقول بتبجح وجرأة فاجرة بـ «تاريخية القرآن»، ويستهزئ بالسنة المطهرة، بالرد والتكذيب، أو التحريف المتعسف، وسلوك سبيل سلفه من الباطنيين القائلين بـ «رمزية النصوص» ومن شواهد هذا الكفر والضلال ما يلي:

أولاً: دعوى تاريخية القرآن ورمزيته:

في عام ١٩٨٥م قال روجيه جارودي في وثيقة إشبيلية: (علينا أولاً أن نتعلم كيف نقرأ القرآن)[١]. وجاءت الإجابة المفصلة عام ١٩٩٦م في كتابه: «الإسلام» بما يلي: (أولاً: قراءة القرآن في التاريخ)[٢]. واتخذ من قضية النسخ التي هي من خالص حق الرب المشرِّع سبحانه، كتغيير القبلة، مدرجاً لمنح هذا الحق لمن هب ودب من الزنادقة أمثاله، كما تذرع باختفاء بعض المظاهر التي كانت سائدة طوال قرون مضت، وانحسرت في العقود القليلة الأخيرة كالرق، ووجود مواقع جغرافية يختلف فيها حسبان الليل والنهار في معرفة أوقات الصلوات والصيام وغير ذلك، مما تفطن له فقهاء المسلمين، تذرع بذلك إلى توسيع دائرة «التاريخية»، وأن الأحكام القرآنية مرتبطة بظروفٍ تاريخية معينة، وليست ملزمة ولا دائمة، فيقول:

(وليست هذه «التاريخية» تاريخية القرآن الكريم، أكثر وضوحاً في أي نص منها كما في النصوص الخاصة بالمرأة)[٣]. ثم يشرع في

(١) وثيقة إشبيلية (١٦).

(٢) الإسلام (٩٥) وما بعدها.

(٣) الإسلام (٩٩) وما بعدها.

اجترار شبهات المستشرقين حول «القوامة» و«شهادة المرأة» و«تعدد الزوجات» و«الطلاق» و«التمييز العنصري ضد المرأة» و«ولاية المرأة» و«حجاب المرأة» و«ميراث المرأة»، مخولاً نفسه حق الاعتذار عن الإسلام بأن (كل ذلك مرتبط بشروطٍ تاريخية معينة... وعلى عاتقنا تقع مسؤولية أن نجد الوسائل التاريخية في كل لحظة لتحقيق هذه الغايات المتعالية، كما يضرب لنا القرآن الكريم عليها مثلاً مجتمع المدينة. ويستبعد هذا التمييز القرآني الواضح كل حرفية، ويدعونا للتفكير في الأمثلة، ولا يدعونا لأن نطبق أحكاماً تشريعية تاريخية تطبيقاً أعمى على كل الأزمنة)[1]. ويمضي في ضرب الأمثلة على تاريخية القرآن ـ كما يزعم ـ: فيطبق ذلك على أحكام الحدود، كحد السرقة مثلاً، داعياً إلى تعطيل النصوص القرآنية المحكمة الصريحة في ذلك، بحجة تلك «التاريخية»[2] التي ابتدأ بها الإجابة على سؤاله «كيف نقرأ القرآن؟». ثم ثنَّى بـ (ثانياً: قراءة أمثال القرآن ورموزه)[3]، وفيها يهيم هذا الفيلسوف في أودية تحريفات المعتزلة، وإشارات الصوفية، وتخيلات الباطنية، زاعماً أن هذا التخبط هو مراد الله ـ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون ـ في ضرب الأمثال في القرآن، وأنه «رمزية» ناجمة عن تعالي الله[4]، وبالتالي فـ: (إنه لشرط ضروري للإفلات من انحرافات قراءة حرفية هَزُلت بفعل دوغماتية قرون عشرة من التفسيرات،

(١) الإسلام (١٠٣).

(٢) المرجع السابق (١٠٨ ـ ١١١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) من شواهد ذلك قوله: (عندما نقرأ: «يد الله فوق أيديهم» فهل نحتفظ في ذاكرتنا أن لله يدين؟ أم أنه غفور رحيم، وأننا نحس به كما نحس بحرارة يد من يحب ويعفو، وكما نحس أيضاً بحزم اليد التي تعيدنا إلى الصراط المستقيم).
انظر: الإسلام (١١٥).

أن تميّز ما هو مثل للدلالة على معنى، مما هو كلام تاريخي بوصفه جواباً مباشراً عن مسألة)[١].

وحيث أفلت جارودي فعلاً من هدي النص القرآني، وجدناه في تهويماته الرمزية يجمع بين الزمخشري[٢] المعتزلي، ومحمد عبده العصراني، ودانتي في كوميدياه الإلهية[٣]، وابن عربي في معراجه، على وقع ألحان الأناشيد الفيدية[٤]، في وحدة يهتف لها في مشروعه التقاربي[٥].

ثانياً: الطعن في السنة المطهرة:

لما كانت السنة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ الأصل الثاني من أصول الاستدلال، لكون صاحبها ﷺ معصوماً بقوله

---

(١) المرجع السابق (١١٣).

(٢) الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ). محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري. جار الله، أبو القاسم، كان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، وعلى أهل السنة. من مؤلفاته الكثيرة: الكشاف، في التفسير، أساس البلاغة. انظر: الأعلام (٧/١٧٨).

(٣) الكوميديا الإلهية La Divina Commedia ملحمة إيطالية، ألفها دانتي الياري (١٣٠٠ ـ ١٣١٨م)، وضمنها فلسفة العصور الوسيطة وعلومها. يصف فيها الشاعر رحلة وهمية مع عشيقته بياتريس، قام بها في العالم الآخر بقيادة فرجيليوس الشاعر. تتألف من ثلاثة أقسام: الجحيم، الطهر، الفردوس. المنجد في الأعلام (٦٠٠). وقد جعل هذا الأفاك نبينا محمداً ﷺ في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة من طبقات الجحيم. ورغم ذلك يمجد هذا العمل كثير من الأدباء المسلمين.

(٤) «الفيدا» أو «الويدا» أهم الكتب المقدسة عند الهندوس، (تُرى فيه مدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب، كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود). الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة (٥٣٢).

(٥) المرجع السابق (١١٣ ـ ١٢٢).

تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم]، والأمة مأمورة باتباعه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وذلك لأن (السنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه)[1]، عمد روجيه جارودي ـ كما فعل أشياعه من قبل ـ إلى محاولة الحط منها، وإقصائها، وزاد عليهم بالجراءة المتناهية والوقحة في رد الأحاديث الصحاح وتكذيبها، وتسفيه أهل الحديث، فيقول:

(لم يظهر في أي مكان من القرآن الكريم تعبير «سنة النبي»[2]. وهذا الغياب له ما يسوغه تماماً، لأن القرآن الكريم يوضح أن النبي، فيما عدا التنزيل، ليس سوى بشرٍ مثل بقية البشر... أي أنه غير معصوم، ويرتكب أخطاء. ويوصي القرآن إذن المؤمنين بطاعته... وبأن يروا فيه قدوة... وذلك لا ينطوي على الإطلاق أن المسألة مسألة تقليده تقليداً أعمى في كل شيء. فهل يعني أن «الأحاديث» ينبغي أن ترفض جملة؟ كلا. ولكن الواجب يقضي استخدامها بتعقل. فمنها مجرد تكرار للقرآن الكريم. فهي ليست إذاً ذات جدوى. ومنها ما يتناقض مع القرآن الكريم، وينبغي استبعادها. وثمة أحاديث أخرى تنصبّ على أمور تافهة، حتى لدى «علماء الحديث» ذوي الشهرة، مثل البخاري ـ ثم مثّل بأحاديث تتبع الدباء في القصعة، وآداب الانتعال، وتوفير اللحى وحف الشوارب، وتمشيط الشعر وقال ـ فأي علاقة لذلك بالإيمان والعلم الذي يوحى به؟

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٣٨).

(٢) عجباً لهذه الحرفية المغرقة التي كان ينتقدها في دعوته للرمزية، فكيف والآيات المحكمات ظاهرة الدلالة على المعنى المراد. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

والتحقق من صفة الشهود والنقل «المسمى علم الحديث» في مثل هذه الحالات ممارسة من الأفضل أن يخصص الزمن الذي يستغرقه فيها «علماء الحديث» الرسميون للتفكير في متضمنات القرآن الراهنة لحل المشكلات التي ترهقنا)[١].

ويمتدح «المعتزلة» لزهدهم بالحديث النبوي قائلاً: (ويميز المعتزلة تمييزاً واضحاً كلام الله، الكلام الذي أنزله في «شريعة» القرآن الكريم، من الكلام البشري غير المعصوم... ومن هنا منشأ حذرهم أمام «الأحاديث»، وهي أقوال منسوبة إلى محمد ﷺ تكاثرت بعد موته خلال القرون الثلاثة الأولى»[٢].

فلا عجب بعد هذا أن يلغ جارودي في حياض السنة النبوية الشريفة، يصحح ويضعف، ويقبل ويرد، وفق ما يمليه عقله وهواه، دون أدنى تحرجٍ وحياء، ومن أمثلة ذلك قوله: (منذ عهد الأمويين بدأ الاعتداء الأكثر إجرامية ضد الإسلام: الميل إلى أن يصنع منه إيديولوجية تبرير لسلطة الملوك المطلقة، ومدرسة خنوع بالنسبة للشعوب، أي ضرب من لاهوت السيطرة... يُقبل حديث في أوانه ليقول للمسلمين: «عليكم بتأدية الصلاة ولو وراء مرتكب الكبيرة أو معتد»[٣] في حين أن قيادة الصلاة، وصلاة الجمعة على وجه الخصوص كانت الوظيفة الأولى للخليفة. وسيستقبل الإمام مالك هذا الحديث بوصفه صحيحاً...

وصيغ حديث هدفه محاربة هذه التمردات، وإلى الأبد، حديث

---

(١) المرجع السابق (٦٨ ـ ٦٩).

(٢) المرجع السابق (٦٥).

(٣) لعله رواية بالمعنى للأحاديث الصحيحة الدالة على الصلاة خلف الأئمة أبراراً كانوا أم فجاراً كما هو معتقد أهل السنة والجماعة ومنهجهم. انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٢٩).

يقدس الحاضر والماضي فزُوِّر قول على لسان النبي ﷺ: «أفضل جيل جيلي، ثم الجيل الثاني على الأخص ذلك الذي يأتي بعده، ثم الجيل يخلفه»[١]. . .

ويبرهن نص القرآن على بطلان حديث مزعوم، يروي أن النبي ﷺ كان قد لام أحد أنصاره على أنه يقرأ التوراة[٢]. إنه نوع من الحديث المزيف، المتناقض على نحوٍ جذري مع القرآن الكريم، الذي يقود إلى إفقار الإسلام وإشراقته بوصفه تنزيلاً أخيراً، لا يلغي التنزيلين السابقين بل يؤكدهما)[٣].

وقد توهم هذا المتهوك أن كون القرآن العظيم مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، يقتضي صحة ما بأيدي اليهود والنصارى حينذاك، وتعامى عن الآيات الكثيرة الدالة على تحريفهم الكلم عن مواضعه، ومن بعد مواضعه، وكتابتهم الكتاب بأيديهم، ثم قولهم هذا

---

(١) يريد الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود ﷺ - مرفوعاً -: (خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)، وفي رواية عند مسلم عنه أيضاً: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٢ - ١٩٦٥).

(٢) يشير إلى ما رواه الدارمي في مقدمته من حديث جابر، أن عمر بن الخطاب ﷺ (أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ، فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله ﷺ، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، لو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني) المقدمة (١١٥).

(٣) الإسلام (٦٨ - ٦٩، ٨٧ - ٨٨).

من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. ولهذا لما ذكر الله تعالى التوراة والإنجيل في سورة المائدة، أردف بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أي أميناً عليها وحافظاً ورقيباً، يبين صدق أهل الكتاب من كذبهم[١].

خامساً: مضاهاة النصرانية[٢]:

سعى روجيه جارودي سعياً حثيثاً في مشروعه التقريبي بين الأديان إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية بشكلٍ خاص، وذلك بسبب نصرانيته المتجذرة في أعماق نفسه، التي لم ينفك أبداً عن إعلان تمسكه بها في جميع أطوار حياته، ومواقعه الفكرية المتنوعة، ولما يمثله أتباع هاتين الديانتين من ثقل كميّ ونوعي على وجه المعمورة. ومن ثمَّ فإن «إنجازاً» كهذا ظل يداعب مخيلة جارودي وأمثاله، ويصرح بهذا التقارب الخاص في واحدٍ من أواخر كتبه، فيقول: (إنهم كثيرون أولئك الذين يتطلعون في العالم المسيحي، كما في العالم المسلم، إلى توحيد قواهم، ليبنوا معاً القرن الواحد والعشرين بوجه إنساني أي بوجه إلهي، باسم إيمانٍ وحيد، بصورة أساسية عبر تنوع العبادات والطقوس)[٣].

وقد لا يجد جارودي صعوبةً في تأطير منظومته التقاربية بإطار «الإسلام الأزلي» للأديان الإبراهيمية، كما لا يجد حرجاً في تسويغ

---

(١) انظر جامع البيان «تفسير الطبري» (٦/٢٦٦ ـ ٢٦٨).

(٢) روى الإمام أحمد رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح بيت المقدس قال لكعب الأحبار: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ. المسند (١/٣٨).

(٣) الإسلام (١٤٢).

تنوع العبادات والطقوس، ولكن ما تراه فاعلاً في التناقضات الأساسية في أصول ذلك الإيمان «الوحيد» الذي ينشده بين الإسلام والنصرانية حول مسائل التوحيد، والتثليث، والعلو، والحلول، ونفي المثل، ودعوى البنوة، وغيرها من القضايا العقدية الماحقة لكل لونٍ من ألوان التقريب والدمج؟!

لقد سلك جارودي لتخطي هذه الحواجز الشاهقة مسلكين:

أحدهما: التهوين من شأنها بحسبانها خلافاً لفظياً حول حقيقة متفق عليها:

أ ـ التثليث:

انبرى جارودي، وهو الفيلسوف الذي سبر مختلف العقائد والنظريات ونقدها بعمق، للدفاع عن الوثنيات النصرانية المتهافتة، ليرفع عنها تلك الوصمة التي لا يقبلها قلب سليم، ولا عقل صحيح، زاعماً أنها لا تناقض ما جاء به الإسلام، مع نوع من المعاذير الباردة. فيقول:

(ليس من الجد في شيءٍ أن يتهم الإيمان المسيحي بالتثليث، بأنه إيمان بثلاثة آلهة، حتى لو كانت الصيغ الهيلينية عن الثالوث في مجمع «نيقية» تفسح المجال بغموضها، لجميع الالتباسات، وقد ولدت أكثر من هرطقة.

يعلن القرآن التوحيد بقوة: «الله أحد... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، ولا تقول المسيحية شيئاً آخر: إن مجمع لاتران ١٢١٥م... يقول بالنص: «إن الحقيقة العليا هي في آنٍ واحد آبٌ وابنٌ وروحٌ قدس. وهذه الحقيقة لا تلد ولا تولد ولا تنبثق من غير ذاتها». ليس هاهنا إذن تشكيك بالوحدة الإلهية، وإنما هاهنا مجرد تعقيدها الذي لا يمكن أن يرتد إلى مفاهيم على الطريقة اليونانية)[1].

---

(١) نحو حرب دينية. جدل العصر. (٢٣).

والواقع أن كلاً من مجمع لاتران ١٢١٥م، وروجيه جارودي ١٩٩٦م لم يضيفا جديداً، ولم يقولا شيئاً آخر غير ما قاله مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وهو التثليث الصريح الذي أنكره القرآن بكل الجِد، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

ويشحذ جارودي سلاحه العتيق «تاريخية القرآن»، لدفع هذه الوصمة عن أهل ملته، فيقول: (بوسع المرء أن يكثر الأمثلة على تاريخية القرآن الكريم هذه. فعندما نبذت، على سبيل المثال، فكرة أن مريم هي الشخص الثالث في الثالوث لدى المسيحيين، فإن إدانة هذه العبادة «عبادة مريم» كان لها على وجه الدقة تاريخها: كان «أوريجين»[1] قد هاجم هذه «البدعة» لدى الكوليريديين... ولدى شعب الأورفيت، الذي كان لا يميز مريم العذراء من روح القدس. فالجدال يقع إذن في فترة محددة من التاريخ، ولن يكون له أي سبب للوجود في أيامنا هذه. إنه جدال ذو علاقة بالمعرفة التي كانت لدى المسلمين في زمن محمد ﷺ معرفتهم المسيحية. والرسالة معبر عنها في لغتهم)[2].

وفي هذ الشهادة من جارودي، دليل على أن من قال من المفسرين المسلمين أن النصارى يعدون مريم أحد الثالوث لم يتقول عليهم ـ كما زعم بعض النصارى العرب، ليتخذ ذلك دليلاً على أن النصارى المكفَّرين في القرآن غير المعاصرين[3] ـ ولكن كون مريم ابنة عمران رضي الله عنها ليست أحد الأقانيم، في ثالوث المعاصرين ـ وعموم النيقاويين ـ لا يعني براءة هؤلاء من التثليث من جهة، إذ هو خلاف في

(١) أوريجين: تقدمت ترجمته (٤٤٢).
(٢) الإسلام (١١٢).
(٣) انظر ما تقدم في فصل «النصارى العرب» في الرد على الأب يوسف درة الحداد والمطران جورج خضر والمطران كيرلس سليم بسترس.

تعيين الأقنوم الثالث فقط، كما لا يعني براءتهم من عبادتها التي دل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فتأليهها قدر زائد على حسبانها أحد الأقانيم، وذلك بصرف الدعاء والرجاء والتضرع إليها، مما تطفح به الطقوس الكنسية، والأدب النصراني.

ومن ثم فتعطيل الآية عن دلالتها بدعوى التاريخية دعوى ساقطة، يتعلق بها النصارى الشرقيون والغربيون. فنصارى الأمس هم نصارى اليوم ـ عقدياً ـ سواءً بسواء.

لقد كان اللائق ـ على الأقل ـ بجارودي الذي يدعو إلى الإسلام الأزلي، وإيمان إبراهيم ﷺ، أن يدعو النصارى إلى إبطال هذه المقالة الكفرية، بدلاً من الاعتذار والمماحكة بالباطل.

ب ـ ألوهية المسيح وبنوته:

يقول جارودي: (والجدل الخاطئ الآخر يدور حول ألوهية المسيح، وهو ناشئ عن اللاهوتيين، لا عن الإنجيل ولا عن القرآن. يقول القرآن: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ٣ ـ ٥٩. يسوع إذن مخلوق الله، مثل آدم.

بولس نفسه يدعوه «آدم الجديد»... وهذا النص الذي يعود تاريخه إلى السنة العاشرة للهجرة جزءٌ من الجدل بين محمد ﷺ ونصارى نجران حول ألوهية المسيح الذي كانوا يعدونه «ابنَ الله»، والقرآن الكريم، كما رأينا لا يقول شيئاً آخر حين يجعل يسوع كلمة الله وروحه. لكن هل تقول الأناجيل شيئاً آخر؟ لا يقول يسوع في أي مكان: أنا الله. إنه الابن الخاضع كل الخضوع لله. والترجمة الممكنة الوحيدة للخاضع لله هي «المسلم» أمره لله، «فإنه قد قال أنا ابن الله» متى ٢٧/٤٣)[1].

---

(١) نحو حرب دينية. جلد العصر (٢٣ ـ ٢٤).

إن جارودي يزعم أنه يحسم الجدل القائم بين المسلمين والنصارى بالقول بأن التعبير القرآني في وصف عيسى عليه السلام بأنه كَلِمَتُهُ ﴿أَلْقَاهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] مطابق لوصف النصارى إياه: (ابن الله) وأنهم لم يؤلهوه. وقد غالط من وجوه:

■ أن معنى «كلمته ألقاها إلى مريم» (أي: إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: كن، فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم: أي خلقه بالكلمة. التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذن الله عز وجل، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم، والجميع مخلوق لله عز وجل. ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أرسل بها جبريل)[1].

أن جارودي فَرَّ من زاوية من الكفر إلى زاوية أخرى حين حمل دعوى «التأليه» على «البنوة»، فهل خفي عليه إنكار القرآن لهذا التعبير الكفري المقتضي لِلَّوازم الفاسدة، من المماثلة بوجه من الوجوه بين الخالق والمخلوق، والغلو بغير الحق، والإطراء المذموم. وقد عاب الله عليهم هذه المقالة، وعدَّها من مضاهاة مقالات الكفار الوثنيين، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة] فتبين كذب ما كتبوه بأيدهم على لسان عيسى عليه السلام «أنا ابن الله» وبرأه الله مما يقولون.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

■ زعْم جارودي أن البنوة تعني الخضوع، أو إيهامه بذلك، دعوى لا دليل عليها، ولا تتسع لها لغة، ولا يقول بها عامة النصارى. فإن كان هذا إنكار منه لفرية البنوة فليقلها صريحة، وليدع النصارى إلى التبرؤ من كل لفظٍ ينافي توحيد الله. وإن كان ذلك لون من التوفيق فهو ما يتعين دفعه ورده.

ثم إن حيدة جارودي عن تهمة «تأليه المسيح» إلى «دعوى البنوة»، بحسبانه جزءاً من الجدل بين محمد ﷺ ونصارى نجران، هل يعني تنصل النصارى من هذه المقالة البشعة التي أكفرهم الله بها في موضعين في سورة واحدة بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]؟ هذا ما لا يستطيع جارودي إثباته مهما تفنن في تشقيق الكلام، وتأويل اليقينيات.

نعم، صدق جارودي حين قال: (لا يقول يسوع في أي مكان: أنا الله) وحاشاه عليه السلام، وإنما قال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وإنما تقوّل ذلك عليه بولس وأتباعه، كما سيتضح من المسلك الثاني الذي سلكه للتقريب على الصعيد العقدي.

المسلك الثاني: التنظير بين عقائد النصارى، ومقالات أهل وحدة الوجود والحلول، المنسوبين إلى الإسلام.

نزعة جارودي نحو التصوف، وإعجابه بأربابه من مختلف الديانات نزعة قديمة سابقة لدعوى إسلامه[1]. إلا إنه وجد في غلاة الصوفية المنتسبين إلى الإسلام من أمثال ابن عربي، وجلال الدين الرومي، والحلاج، بغيته للتسلل إلى تقريب الإسلام إلى النصرانية من

---

(١) انظر: روجيه جارودي والمشكلة الدينية (٢٦٢).

باب التصوف، وعلى وجه الخصوص، مسألة «الحب»، بوصفها العامل المشترك الذي يهيم حوله الصوفية، ويلهج به النصارى، وإن برؤىً مختلفة نسبياً.

يقول جارودي: (إن تصور الحب هذا نابعٌ مما هو الفكرة الرئيسة في الرؤية الإسلامية: التوحيد، وعي الإنسان أنه لم يوجد إلا بأمر الله، ولا يفعل شيئاً إلا بأمره، وذلك يستتبع كما هي الحال في المسيحية، الانسلاخ من «الأنا الصغيرة»، كي ندع المكان كله فينا لله، للواحد، وللكل. وذلك هو أساس الوحدة العميقة بين التصوف المسيحي والصوفية الإسلامية، التي ستبلغ أوجها في الأخوة الروحية بين ابن عربي وسان جان دي لا كروا مع فرق ثلاثة قرون)[1]. ويقول: (الأنا في الإسلام بدت لي متحررة تماماً من البعد الحسابي، إنها الكون، ولقد فتنني كثيراً أولئك المتصوفة الذين أدركوا بعمق يثير الدهشة حقاً تلك المسافة اللاغية، أو لنقل ذلك الحضور الغائب بين الأنا الإلهية والأنا البشرية)[2].

ويقترب أكثر من عقيدة الحلول التي يشترك فيها النصارى وغلاة الصوفية حين يقول: (إن عيسى المسيح رمز وحدة الإنسان والله. كاشف الواحد والكل لدى الصوفيين. وكاشف الحب، أي التعبير عن وحدتها. والرسالة الأساسية لعيسى المسيح التي يجعلها الصوفيون رسالتهم، هي بالنسبة لهم الحب في صورته الأسمى: الحب النابع من الله، الحب الذي يرجع إليه، شأنه شأن كل واقع)[3].

ومن ثمَّ فإن جارودي لا يجد حرجاً ـ رغم ادعائه الإسلام ـ أن

---

(١) نحو حرب دينية. جدل العصر (٢٧).
(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف العربي. ديسمبر عام ١٩٨٧م.
(٣) الإسلام (١٩).

يقول في كتاب صدر عام ١٩٩٦م: (مع يسوع صار الإله إنساناً، وصار الإنسان إلهاً في برعمه... ما الذي يمكن أن يخشاه إنسان يعلم بطريق يسوع، أنه مسكون بالله؟)(١).

فما أسهل تقبل فكرة الحلول الإلهي بالمسيح الجثماني ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ لدى الفكر الصوفي الذي يوسع دائرة الحلول والاتحاد لتشمل جميع الكائنات. وذلك سر القربى والرحم بين جارودي والصوفية، فلا عجب أن يقول: (إن تجريم الصوفية هو جريمة ضد الإسلام... الصوفية هي باطنية الإسلام. فلعل إسلاماً بلا باطنية، إسلاماً مقتصراً على طقوسه، دون حب الله الذي يعطيها معنى، هو إسلامٌ ميت. وكل إحياء للفكر الديني للإسلام يمر عبر إعادة الاعتبار للتصوف)(٢).

سادساً: تمجيد ملل الكفر، ودعوة المسلمين إلى الانفتاح عليها والتلاقي معها:

ينعى جارودي على المسلمين انغلاقهم على ذواتهم، وجمودهم على نصوصهم الخاصة ـ في زعمه ـ ويدعوهم إلى الانخراط في العالم المعاصر بصفة مشارك يحترم تراث وثقافة الآخرين من سائر أمم الكفر والضلال:

فيقول في وثيقة إشبيلية عام ١٩٨٥م: (هناك مشكلتان داخليتان رئيسيتان تحجبان إشراقة الإسلام اليوم، وهما:

أ ـ الاستكفاء والجهل بالغير... والإسلام اليوم لن يستطيع أن يستأنف مسيرته إلا إذا وسع كل حكمة، وكل عقيدة، يمكن أن يتضمنها ويضمها إليه.

---

(١) نحو حرب دينية. جدل العصر (٥٨).

(٢) الإسلام في الغرب (١٦٦).

ب ـ زهو النصر: وهو الادعاء القائل بوجود إجابات مستكملة جاهزة صيغت منذ ألف سنة على يد الفقهاء وما خلفوه من تراث...)[(١)].

وقد تعقبه الدكتور سعد عبد المقصود، بقوله: (واتساع الإسلام لكل حكمة أمر على إطلاقه غير مفهوم. واتساعه لكل عقيدة أمر في غاية الخطر، لأنه يؤدي إلى انهيار قواعد الإسلام من أساسها، وضمها إليه فيه خطر الاتساع في العقيدة، وهما بتفسير بسيط يتمثلان في أن يتقدم الإسلام خطوة ويترك قواعده الصحيحة، وتتقدم الأديان الأخرى خطوة لتلتقي الأديان كلها في منتصف الطريق، وهذا ما يطمع فيه كل أصحاب الأديان والمذاهب الإلحادية، ويرون فيه ضالتهم المنشودة في القضاء على الإسلام وأهله. إذ أن ترك القواعد الصحيحة، والزحزحة عنها، وتركها، تؤدي كلها إلى عدم اليقين، وعدم الإيمان بأركان صحيحة، وشيئاً فشيئاً يبعد المسلمون عن مواطن ثباتهم، ويتزحزحون عن دينهم، بقدر ما يقربون من مذاهب التصقت ببشرية البشر، أو سيطر عليها الفكر البشري، وهذا ما يوده أهل الديانات الأخرى، كما أشار القرآن: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥][(٢)].

ثم ينهي الوثيقة بتوجيه هذا النداء العام:

(ندعو الناس كافة، على مختلف نحلهم وعقائدهم، يهوداً، أو

---

(١) وثيقة إشبيلية (١١ ـ ١٢).

(٢) لا لجارودي ووثيقة إشبيلية (٥١).

نصارى، هندوكيين، أو إنسانيين، من الذين يعون أن الإنسان لا يستغني بنفسه عما سواه، ندعوهم إلى أن نتعاون جميعاً لإنقاذ العالم من إفلاسه الأخلاقي، ومن الهلاك الذي ينتظره، وذلك أن نعيد للإنسان بعده القدسي. ويجب ألا تغمر الخصوصيات والتقاليد، هذه العالمية الإسلامية ولا رسالته التي تدعو الناس كافة من أهل كل ملةٍ وحكمة وعقيدة لينقذوا العالم من غوايات تجره إلى الهلاك)[1].

تُرى أي غواية أعظم من الكفر بالله وتكذيب رسوله، يستنجد جارودي باليهود والنصارى والهندوس، والملحدين الإنسانيين أن ينقذوا العالم منها؟ أما كان يتحتم على من زعم الإسلام، وتحدث باسم المسلمين الأوربيين في مؤتمر إشبيلية، أن يوجه الدعوة إلى الناس كافة على مختلف نحلهم وعقائدهم إلى عبادة الله وحده، واتباع رسوله ﷺ، بدلاً من دعوتهم إلى التعاون لإنقاذ العالم مما هم واقعون فيه؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

ويطرح الدكتور سعد عبد المقصود سلسلة من التساؤلات حول دعوة جارودي هذه فيقول: (كيف يجتمع أهل الملل والنحل مع الذين لا يؤمنون بملة ولا نحلة ولا بمذهب؟

وكيف يجمع المسلمون مع اليهود والنصارى؟ والإسلام قد ألغى هذه الديانات ولم يبق لها إلا وجودها التاريخي، إن اجتماع المسلمين باليهود والمسيحيين في مؤتمر ديني باسم الإسلام يعني اعتراف المسلمين باليهودية والمسيحية وهذا باطل.

وكيف يجتمع الهندوكيون، وهم لا يؤمنون بدين سماوي مع المسلمين واليهود والنصارى وهم يؤمنون بدين سماوي؟

ثم كيف يجتمع المؤمنون بدين سماوي مع الإنسانيين الذين

---

(١) وثيقة إشبيلية (٢٣).

فسرهم رجاء جارودي بأنهم الذين يؤمنون بالإنسان كفكرة مطلقة، ووجوب العمل لخيره...

ثم لم يبين كيف تتفاهم هذه الأمشاج الدينية، وتلك الأخلاط غير المتجانسة؟ وماذا يبحثون؟ وكيف؟ وما منهجهم؟ وما وسيلتهم لبعث ثقافة جديدة لا تفصل بين العلم والحكمة والعقيدة؟ كيف يصلون إلى هذا الغرض وهذه النتيجة؟...

ولا يمكن أن تأتي هذه الدعوة الخبيثة غير المسبوقة، بنتيجة إيجابية لصالح جماعة أو ملة، اللهم إلا إذا كانت يترتب على أساسها تنازل كل أصحاب ملة عن بعض معتقداتها، ليلتقي الجميع على رماد الانحراف. هل يكون القصد تدمير العقيدة الراسخة، التي يدعو إلى الوحدة بينها وبين العلم والحكمة؟

هل يكون قصده نسف فكرة التداني بالقرآن الكريم، والتمسك به والاعتصام بحبله؟

إن اجتماع الطوائف من أصحاب الملل والنحل وأصحاب الديانات الصحيحة وغير الصحيحة في ملتقى أو مركز دائم، أو جامعة، حسب ما رسم الأخ جارودي، يعني القصد المباشر إلى النيل من الإسلام وإرهاقه، تطبيقاً لقاعدة الصحة والسلامة، والوقاية خير من العلاج.

فالمرضى من أصحاب المعتقدات الباطلة، وأصحاب المعتقدات المنحرفة وأصحاب المذاهب البشرية، سوف ينقلون العدوى، وسوف تشيع الأوبئة، حتى لو تحصن الأصحاء، لأن الوباء إن لم يقتل فسوف يحدث أثره دون شك)[1].

---

(١) لا لجارودي ووثيقة إشبيلية (٨٤ ـ ٨٦).

إن هذا النداء ينم عن حقيقة إسلام هذا الرجل، وهوان الإسلام الحق عليه، والريبة التي اكتنفت دعوى إسلامه، وما يرمي من ورائه.

ثالثاً: محاولات روجيه جارودي العملية للتقريب بين الأديان والحضارات:

اتخذ روجيه جارودي جملة من الإجراءات العملية للتعبير عن تطلعاته الفكرية. فبحكم طبيعته «الحركية» لم يكتف بالنتاج المكتوب، بل كان له حضورٌ فاعل، وحركة دائبة، وسفر متصل إلى كثير من دول العالم كما تبين في سيرته.

وفي سعيه الحثيث لإرساء مشروعه في توحيد العالم، أو التقريب بين حضاراته المختلفة، تمكن جارودي من تأسيس وإنجاز بعض المشاريع العملية، إثر فك ارتباطاته بالحزب الشيوعي الفرنسي، وهي:

١ ـ المعهد الدولي للحوار بين الحضارات.

٢ ـ الملتقى الإبراهيمي في قرطبة عام ١٩٨٧م.

٣ ـ مؤسسة روجيه جارودي ـ المركز الثقافي في القلعة الحرة.

أ ـ المعهد الدولي للحوار بين الحضارات:

انبعثت فكرة هذا المعهد لدى جارودي في أواخر الستينيات، ويصف الانبعاث بقوله: (لقد سبق لي، بعد أن كنت طيلة اثنتي عشرة سنة من حياتي، كقائد شيوعي، المحرك في فرنسا، وفي أوربا، للمحاورات بين المسيحيين والماركسيين، أن عملت في عام ١٩٦٨م على لفت نظر المجمع المسكوني للكنائس، في جنيف، إلى أن هذا الحوار سوف يظل «إقليمياً» لأنه كان لا ينمو إلا بين أعضاء منطقة ثقافية واحدة: منطقة الغرب. وأنه من المهم بعد الآن ألّا نجعل من هذه المحاورات سوى إدارة لحوار أعم، هو «الحوار بين الحضارات» حيث يمكن أن يتم إخصاب متبادل في حوار يعرف كل واحدٍ فيه

الانفتاح على حقيقة الآخر، دون أن ينقص فيها حِكَمَها، وكذلك على ثورات آسيا والإسلام وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، على نفس منوال المحاورات في الغرب)[١].

إذاً فقد كانت البداية رغبة في تطوير وتوسيع دائرة الحوار النصراني الماركسي لتشمل بقية الثقافات العالمية.

ثم تمكن جارودي من تنفيذ فكرته، بالتعاون مع منظمة اليونسكو، فأسس «المعهد الدولي للحوار بين الحضارات» عام ١٩٧٤م في جنيف، وعمل مديراً له. ومكنه الدعم القوي للمنظمة، وجهاتٍ ودولٍ أخرى، من التجوال في العالم، وإقامة علاقات ثقافية مع أكبر المؤسسات الثقافية العالمية، وجمع مواد توثيقية عن مختلف الحضارات العالمية، ثم الانكباب على دراسة تلك الحضارات وقراءة تراثها بروحٍ شمولية[٢].

وقد توَّج هذه الدراسات الميدانية والتراثية بتأليف كتابه الشهير «من أجل حوار بين الحضارات» عام ١٩٧٧م، الذي أحدث ضجة ثقافية في العالم، وحاز مؤلفه على جائزة البحر المتوسط في إيطاليا.

وقد انطلق في مشروعه هذا من تحطيم فكرة «تفوق الغرب» وفرادة «الحضارة الغربية» بنقدٍ رصين، وضرورة وضعها في حجمها الطبيعي دون مغالاة، ليتم له بعد ذلك التحرر من أسارها وبهرجها، وإدراجها في مشروعه الكلي للحضارة الإنسانية المستقبلية، أو ما يعبر عنه بـ «ابتكار مستقبلٍ ذي وجهٍ إنساني».

---

(١) من أجل حوار بين الحضارات: روجيه جارودي. ترجمة: د. ذوقان قرقوط. دار النفائس ـ بيروت. الطبعة الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م). (٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) انظر مقدمة «من أجل حوار بين الحضارات» (١١ ـ ١٧)، ومقابلة في كتاب: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٥٧).

يقول في مقدمة كتابه: (الغرب عارض. تلك هي الحقيقة الأولى المسلم بها في كل ارتياد للمستقبل. فإن طريقة الغربيين في النظر للفرد، على أنه المركز والمقياس لكل شيء، في إنقاص واقع الشيء إلى المفهوم، أي رفع العلم والتقنيات إلى قيم مثلى، كوسيلةٍ لمعالجة الأمور والناس، هي استثناء صغير جداً في الملحمة البشرية التي يبلغ مداها ثلاثة ملايين سنة. فهذا الوجه المشؤوم للدور الذي يلعبه الرجل الأبيض في التاريخ هو ما أدعوه بـ «الشر الأبيض»...

على أن خلق مستقبل حقيقي يتطلب بأن تكون قد استردت جميع الأبعاد المتطورة للإنسان في الحضارات والثقافات غير الغربية بـ «حوار الحضارات». هذا فحسب يمكن أن ينشأ مشروع على مستوى الكوكب الأرضي كله، من أجل ابتداع المستقبل، من أجل ابتكار مستقبل الجميع، بمشاركة الجميع، ذلك أن التجارب الحالية لآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية... تتيح لنا أن نضع، منذ اليوم، خطوط هذا المشروع على مستوى الكوكب الأرضي للقرن الواحد والعشرين، مشروع الأمل)[١].

وبعد أن طوَّف في حضارات العالم؛ شعرها، ونثرها، معابدها، ومسارحها، عامرها وأطلالها، فلسفاتها، ودياناتها، عقد فصلاً أخيراً بعنوان «الحلف الثالث» أشار فيه إلى ثلاثة أحلاف: (كان الحلف الأول حلف يهوه مع الشعب اليهودي. وبدأ الحلف الثاني عندما أبان يسوع المسيح أنه من أجل السعي إلى الله فلا بد من الإقلاع عن دعوى الانتماء إلى الشعب المختار. ولكن من هنا ولدت كنيسة، ما إن وصلت إلى السلطة... وعلى نحو موارب جرت العودة، حتى مع أفضل النوايا التبشيرية في العالم، إلى الادعاء مرة أخرى بالشعب المختار. وكان الشعب المختار في هذه المرة هو الغرب...

---

(١) من أجل حوار بين الحضارات (١١ ـ ١٢).

لقد أزفت ساعة الحلف الثالث، الحلف الذي سيستأنف في مرحلة جديدة مسعى يسوع المسيح، متجاوزاً حدود الـ «شعب المختار»، ليتوجه إلى الجميع لا من أجل هدايتهم إلى معتقد، ولكن من أجل إيقاظهم على حياةٍ أكبر... فالحلف الثالث هو الإيمان الذي يعثر من جديد على جذوره في صميم الشعوب، وهو الشعوب المستمدة من إيمانها القوة والأمل في تغيير العالم والحياة)[١].

وجارودي في مشروعه هذا، كما انطلق من فكرة حوار بين الحضارات المختلفة، تكون النصرانية دوماً أحد طرفي ذلك الحوار. فقد ظلت تصاحبه رؤاها وأهدافها وتجديد مسعى يسوع عبر الحلف الثالث. ولم ينقض اعتناقه للإسلام عروة هذا الحلف، أو يغير وجهة المعهد الدولي لحوار الحضارات، وقد استمر جارودي بعد أن دخل عالم الإسلام يطوف بلاد المسلمين - وإمارات الخليج خاصة - ويبشر بأهدافه ويجمع له المساعدات، مع تطعيم تلك الأهداف بجرعة أكبر من معاداة الصهيونية وإسرائيل[٢].

وبعد عشر سنوات من صدور كتاب «من أجل حوار بين الحضارات» نظم المعهد الدولي للحوار بين الحضارات مؤتمراً بين المسلمين والنصارى واليهود باسم:

ب - «الملتقى الإبراهيمي»:

وقد عقد في مدينة «قرطبة» في إسبانيا في الفترة: ١٢ - ١٥ جمادى الآخرة عام ١٤٠٧هـ الموافق - أيضاً - ١٢ - ١٥ فبراير عام ١٩٨٧م، وضم خمسين مشاركاً.

---

(١) المرجع السابق (٢٢٠ - ٢٢١، ٢٢٦).

(٢) انظر مقابلات جارودي - بعد إعلان إسلامه - في جريدة البعث السورية ٢٥/ ٣/ ١٩٨٤م.

وقد أفصح جارودي عن طبيعة هذه التسمية التي تطلق لأول مرة في فضاء الحوار بين الأديان، فقال في مقابلةٍ صحفية مع مجلة (Cambio 16) في ٩/ ٢/ ١٩٨٧م ص(١٩) ـ أي قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام ـ:

(لقد عرفت «الإيمان الإبراهيمي عن طريق كير كجارد[١] Kier kegaard، واليوم أقوم بهذه المبادرة ـ الحوار الإبراهيمي ـ بالاشتراك مع أصدقائي اليهود والكاثوليك والبروتستانت، فإني أتابع المسير بقصد تجميع الإيمان الإبراهيمي. وما أجده اليوم في القرآن من أن إبراهيم هو أبو الأنبياء، قد وجدته منذ عشرين عاماً عند كيركجارد)[٢].

وقد حرص جارودي على تمثيل جميع الأديان، بل والطوائف الكبرى ـ وربما غير ذلك ـ من كل ديانة، في أعمال المؤتمر، كما حرص على استقطاب المشاهير، فجاءت على النحو التالي:

أ ـ اليهود:

١ ـ إلمر بيرجر: وهو حاخام يهودي من قدامى الداعين إلى تقارب الأديان، حيث (أنشأ «جماعة أصدقاء الشرق الأوسط». وأعلن أنه يهودي وليس صهيونياً، وأن هذه الدعوة بدأت في نفس الوقت الذي

---

(١) كيغارد Kier Kegaard (١٨١٣ ـ ١٨٥٥م): سورين كير كجارد «كيغارد» فيلسوف دنمركي. عد مراتب الوجود ثلاثاً: جمالية وخلقية ودينية. الجمالية مناطها اللذة، والخلقية مناطها الواجب، لكن الدينية أرفعها، لأن الأنا فيها يختار أن يوجد أمام الله، ويرتبط بالمتعالي. الموسوعة الفلسفية (٣٨٨). وقد تأثر به جارودي تأثراً بالغاً، وحمل عنه فكرة «الإبراهيمية». انظر: فلسطين أرض الرسالات الإلهية: روجيه جارودي. ترجمة وتعليق وتقديم: د. عبد الصبور شاهين. دار التراث. القاهرة. طبعة ١٩٨٦م. (٦٣٠).

(٢) عن سلسلة تقارير المعلومات: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. رقم المسلسل ١٤/ ٨٧ بتاريخ ٢١/ ٧/ ١٩٨٧م (٢).

قام فيه الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م)[١]، ولكنه اعتذر عن الحضور، واكتفى بإرسال دراسة بعنوان «الوعد»[٢].

٢ ـ يهودي مناحيم: وهو كاتب وعازف كمان مشهور. وقد اعتذر أيضاً وأرسل معزوفةً موسيقية مسجلة، سُمعت في المؤتمر[٣].

٣ ـ إميل معاطي: ممثل الجالية في فرنسا، إلا إنه حضر في اليوم الأخير، وأثار ضجة إعلامية بسبب تبنيه الأفكار الصهيونية بما لا يتفق وأفكار جارودي.

وأما الجهات اليهودية المدعوة فبعثت برسائل تأييد للمؤتمر، واعتذار عن الحضور. كما كانت إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي بعثت بعثة إعلامية كاملة لتغطية الملتقى[٤].

ب ـ النصارى:

١ ـ القس الألماني هانس كونج Hans Kung، وهو لاهوتي كاثوليكي مشهور، يعمل مديراً لمعهد أبحاث توحيد الكنائس، وأستاذاً بجامعة توبنجن.

٢ ـ الكاردينال دوم هيلدر كمارا: من أشهر أساقفة «لاهوت التحرر» البرازيليين الكاثوليك، وحائزٌ على جائزة نوبل للسلام. وهو

[illegible][٥] [illegible]

٣ ـ غوستافو غوتييريز: أبٌ كاثوليكي، مؤلف كتاب «لاهوت التحرر» عام ١٩٧١م، وهو من البيرو.

وهؤلاء الثلاثة ليسوا على وفاقٍ مع الكنيسة الكاثوليكية في روما.

٤ ـ الأب ميشيل لولونج: رئيس لجنة العلاقات المسيحية الإسلامية في الكنيسة الفرنسية، وعضوٌ سابق في الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين.

٥ ـ فرانسيس لامان: محام دولي، والرئيس التنفيذي للجنة «الإسلام والغرب». وقد كان أستاذاً بكلية القانون والشريعة بجامعة الكويت. وهو كاثوليكي أيضاً.

٦ ـ يورغن مولتمن: بروتستانتي. أستاذ اللاهوت في جامعة «توبنجن» الألمانية.

٧ ـ ليوبولد سنغور: الرئيس السابق لجمهورية السنغال المسلمة عام ١٩٦٠م.

٨ ـ جون تايلور: السكرتير العام للمؤتمر العالمي من أجل السلام WCRP.

ج ـ المسلمون، والمنتسبون إلى الإسلام:

١ ـ الأستاذ كامل الشريف، رئيس المكتب التنفيذي للمؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس. أردني.

٢ ـ الدكتور محمد أبو السعود. اقتصادي، صديق خاص لروجيه جارودي. مصري.

٣ ـ شيخ بو عمران، رئيس معهد الفلسفة في جامعة الجزائر، جزائري.

٤ ـ عبد الهادي بو طالب. المدير العام لمنظمة الإيسيسكو «المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة».

٥ ـ الدكتور مختار كريم أمبو. المدير العام لمنظمة اليونسكو، ومدير الملتقى.

٦ ـ أحمد جنتي، شيعي إيراني.

٧ ـ محمد علي التسخيري، شيعي إيراني.

٨ ـ الدكتور عبد السلام، قادياني، حائز على جائزة نوبل في الفيزياء.

٩ ـ صدر الدين أغا خان. إسماعيلي.

١٠ ـ روجيه جارودي[١].

لقد اختار جارودي ضيوفه بعناية بما يتفق وأبعاد مشروعه التقاربي.

فاختار من اليهود من يعلن رفض الصهيونية، وينحى نحو التقارب، باستثناء إميل معاطي الذي وصل بطريقة غير مقصودة، وبعد انتهاء أعمال الملتقى.

ومن النصارى من عرف بتحفظه أو معارضته لبعض ممارسات الكنيسة الكاثوليكية ومعتقداتها، كعصمة البابا، والتنظيمات المعقدة للرتب الكنسية وشكليتها، كهانس كونج وأساقفة أمريكا اللاتينية. ومن المسلمين مزيج من المنتسبين إلى السنة المعادين للصهيونية، وشيعة ليبراليين، وقادياني، وإسماعيلي يمثلون الباطنية التي يشيد بها جارودي ويسعى لإبرازها، وتمجيد رموزها. بالإضافة إلى المنظمات الثقافية العالمية.

---

(١) أخذت الأسماء من تقرير «تساؤل حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية» من سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن مركز المعلومات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت في ٥/ ٣/ ١٩٨٧م. ومقالة الأستاذ كامل الشريف في جريدة الدستور الأردنية (عائد من الندوة الإبراهيمة) عدد الأحد ١/ ٣/ ١٩٨٧م (٥).

وغاب عن المؤتمر الهيئات الإسلامية المشهورة، إما لكونها لم توجه إليها الدعوة أصلاً، وإما لتحفظها وحذرها من توجهات جارودي الداعية إلى إزالة الفوارق، وتمييع الحدود بين الأديان، سيما وقد شهدت مدينة «قرطبة» ثلاثة لقاءاتٍ إسلامية ـ نصرانية سابقة، كان آخرها قبل أقل من أربعة أشهر من عقد هذا المؤتمر، في أكتوبر عام ١٩٨٦م، وحظي بتمثيل واسع من الجهات والدول الإسلامية، لكونه لا يبلغ في طروحاته المستوى الخطير الذي ينادي به جارودي.

أما أبرز موضوعات الملتقى وبحوثه، فكانت على النحو التالي:

١ ـ (اللقاء الإبراهيمي) لروجيه جارودي: استهله بعرض القصة التي أوردها الراهب النصراني رامون لول ـ والذي يعده جارودي رائداً للحوار ـ في كتابه: (الظريف والحكماء الثلاثة)، حيث يقدم كل من هؤلاء الثلاثة يهودي، ونصراني، ومسلم دينه للملحد «الظريف» الذي اكتشف وحدة المعنى رغم اختلاف الطقوس... ثم انبهروا من نبل صلاته![١].

(والآن أصبح الثلاثة يحسون بأنهم متهمون، ولم يتقبلوا معرفة «أي من القوانين الثلاثة يمكن أن يختار»، لأنهم علموا بالوحدة الراسخة لإيمانهم، وكذا بالذنب المقترف في انقسامهم...

كل واحدٍ منهم يطلب من الآخرين العفو إذا ما قال شيئاً يمس بقانونهم، وكل واحدٍ منهم يسامح ويعفو... ولقد فرح الاثنان بهذا الاقتراح، بل ذهبا أبعد من ذلك حين اقترحا أن يمضيا للإشادة باسم الرب في كل بقاع الدنيا، منذ حين أن يصبحوا موحدين من نفس

---

(١) نص المحاضرة. وقد دأب جارودي على الاستشهاد بهذه القصة وكاتبها في العديد من كتبه. مثل الإسلام (١٣٦ ـ ١٣٨).

العقيدة. وكل واحدٍ منهم انزوى في بيته باقياً على عهده، وعلى ما وعد به)[١].

والحكاية لا تحتاج إلى تعليق، إذ هي أوضح من أي تعليق، وثمرتها ما ختم به محاضرته قائلاً: (هذا يعني بأننا نكافح، كل واحدٍ منا، على جبهة ضد الأصوليين الذين لا تخلو منهم أي مجموعة دينية. وأعني بالأصولية الاتجاه والنزعة في خلط ديننا وعقيدتنا بالشكل الذي أخذته في هاته أو تلك الحقبة من التاريخ.

إن رسالة القرآن عالمية، وتحويل هذه الرسالة إلى التقاليد الخاصة بحقبة من الزمن أو بشعبٍ ما يعتبر دفاعاً عن فلكلور وليس عن عقيدة... استرجاع رسالة إبراهيم التي هي مُوحِّدة، وذلك للإجابة والرد على التحديات في عصرنا هذا بعيداً عن تناقضاتنا)[٢].

هذا هو مضمون «الإبراهيمة» لدى جارودي:

■ تخلي كل أهل ديانة عن «شريعتهم» بل و«عقيدتهم» المميزة لهم عن سائر البشر، بحسبانها وقتية لزمنٍ معين، وشعب معين.

■ الوحدة في العالم بما يحمله من تنوع واختلاف وربما تضاد.

فليس مراد جارودي بـ «التوحيد» و«الأديان التوحيدية» توحيد الخالق بالعبادة، الذي جاء به إبراهيم ﷺ ومَن قبله مِن أنبياء الله، ومَن بعده من ذريته، وخيرهم وأبرهم وأفضلهم وأعظمهم توحيداً محمد ﷺ. بل مراده توحيد المحسوس والمعقول. توحيد العلم والحكمة. توحيد البشر رغم اختلاف معتقداتهم، مع اعتقاد الله واحداً.

---

(١) نص المحاضرة بالأصل الفرنسي، والترجمة العربية لدى الباحث. وقد سبقت الإشارة إليها وإلى مؤلفها في المبحث الثاني من فصل «الأصول التاريخية» من الباب الأول.

(٢) المرجع السابق.

يقول في تعريف التوحيد: (التوحيد، أي الاعتراف لا بوحدانية الله فحسب، بل بوحدانية كل واقع، بما فيه وحدانية الجماعة البشرية الشاملة)[١]، (تتصف الرؤية الإسلامية أنها موحّدة على نحوٍ أساسي. ومثال ذلك أن العالم المحسوس، عالم الطبيعة، غير مفصول أبداً عن المعقول، ولا عن الله: فظاهرات الطبيعة هي آيات الحضور الإلهي، لغة يتكلمها الله إلى الإنسان...

والمسألة الرئيسة في الثقافة الإسلامية، في كل مجالات اللاهوت والفلسفة حتى العلوم والفنون، هي فكرة الوحدة. هذه الوحدة الأساسية «توحيد»، لا تقتصر على التأكيد أن الله أحد. وليس «التوحيد» من مجال الوقائع بل من مجال الفعل. إنه لا يشيد فلسفة الوجود كفلسفة الإغريق، ولكنه يشيد فلسفة الفعل)[٢].

إن امرءاً يُدعى لحضور ملتقى باسم «إبراهيم» عليه السلام ليتبادر إلى ذهنه التوحيد الخالص الذي دعا الله إليه عبده وخليله إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة]. التوحيد الذي حمله على تحطيم الأصنام وجعلها جذاذاً، وهو بعدُ فتىً، وثبت في سبيله، وهم يضرمون له النار ثم يلقونه فيها، التوحيد الذي من أجله صمَّم على ذبح وحيده، وفلذة كبده إسماعيل، الذي جاءه بعد أن بلغ الكبر، وبلغ الغلام معه السعي حتى ﴿أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، التوحيد الذي حمله على التبرؤ من والده، وترك الاستغفار له لما ﴿تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ [التوبة: ١١٤]، لكن جارودي يتناول «التوحيد» على نحو مغاير.

---

(١) نحو حرب دينية. جدل العصر (٣٣).

(٢) الإسلام (٤٦ ـ ٤٧).

■ إنه في أحسن الأحوال اعتقاد أن الله واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، وهذا توحيد الربوبية المركوز في الفِطر، الذي أقر به عامة البشر، بما فيهم المشركون. وهو بذلك يوافق المتكلمين الذين يجعلونه الغاية في التوحيد، ويجهدون أنفسهم في إثباته[١].

وحين يفسر «الإسلام» بالخضوع المطلق لله، فإنه يشير إلى خضوعٍ ذهني لا وجود له في الخارج، ولا يلتزم بشريعة معينة، أو اتباع هَدي نبي معين.

■ والتوحيد المهم عند جارودي هو توحيد العالَم، أفراده، وأديانَه، وثقافاته، وفنونَه، وسائر مناشطه حول معنى، أياً كان ذلك المعنى. فليس مراده بتوحيد الفعل، توحيد الله بأفعال عباده التي شرعها لهم أنبياؤه، بل ما هو أوسع من ذلك.

يقول معرباً عن هدفه: (إن مهمتنا هي أن نجمع جميع الناس ذوي الإيمان ـ أيّاً كان إيمانهم ـ ضد العالم الحالي، عالم اللامعنى، وأن نخلق نَوَياتٍ[٢] لمقاومة اللامعنى، شاجبين ومقاتلين كل ما هو مناقضٌ لوحدة العالم السمفونية)[٣].

لقد حمل جارودي إلى عالم الإسلام فكرة مزدوجة، كعملة نقدية على أحد وجهيها صورة «كيركجارد»، الذي استقى منه حتى ارتوى في مستهل شبابه ملحمة الإيمان الإبراهيمي والتضحية، والبحث عن المعنى، فاعتنق النصرانية، وعلى الوجه الآخر صورة كارل ماركس الذي أشعل في قلبه الهم الاجتماعي، والعمل الفاعل لرفض الاستغلال والثورة على الظلم سعياً للكمال الإنساني[٤].

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥ ـ ٤٢).

(٢) نَوَيات: جمع نواة.

(٣) نحو حرب دينية. جدل العصر (٧٣).

(٤) انظر في بيان تأثره بهاتين الشخصيتين: روجيه جارودي والمشكلة الدينية (٣٩ ـ ٤١).

فحين أقبل على عالم الإسلام أسقط حِمله السابق عليه، فراق له المتصوفة بسبب نزعتهم إلى «التعالي»، والتحرر من الأشكال والطقوس، وتمازج الأديان عندهم، لكن لم يرق له فيهم عقيدة «الجبر»، وتفسيرهم «التوحيد» بوحدة الوجود التي تجعل من كل واقع، محبوباً لله لا ينبغي دفعه وتغييره. كما أعجبه في المعتزلة «قدريتهم»، وتأكيدهم الفعل الإنساني والمسؤولية، وغلوهم في ذلك، بينما يتجاهل تكفيرهم اليهود والنصارى. ولم يتح له أن يتبين منهج أهل السنة والجماعة بصورته الحقيقية، لا المنتحلة، ليرى كيف تجتمع المزايا والحسنات، وتقصى العيوب والسيئات، في نظام بديع متوازن مطرد، و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

٢ ـ (معاني اللقاء حول إبراهيم) للأستاذ كامل الشريف. وقد فهم من هدف الملتقى ما يلي: (إنها محاولة للعودة لأصل الأديان السماوية، والتأمل في مصدرها الأول قبل أن تتشعب إلى الأديان الثلاثة المعروفة... وأن يكون هذا التأمل وسيلة للتعرف على عناصر التشابه، وصور اللقاء، على أمل أن تشكل هذه العناصر قاعدة للتعاون بين المؤمنين الصادقين من أتباع الديانات السماوية، لنصرة الإيمان، ودعم الحق، ورفع المظالم، وإنقاذ الإنسانية من مهاوي الردى)(١).

وواضح أن هذا المستوى من الطرح، قد تجاوزه جارودي، ويندرج ضمن أدب المجاملات، أو بالأحرى المداهنة في دين الله. فأي «إيمان صادق» يثبته الأستاذ الشريف لليهود والنصارى، وقد أكفرهم الله وذمهم في كتابه، وأي نصرة للإيمان، ودعم للحق يرجوه من قوم قال الله فيهم: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟﴾ [آل عمران: ١١٩].

(١) جريدة الدستور الأردنية. الاثنين ١٦/ ٢/ ١٩٨٧م (٧).

والأستاذ كامل الشريف بحكم موقعه الرسمي في بلده تلك الفترة، ومنطلقاته الدينية والقومية ضد «دولة إسرائيل»، يهدف بالدرجة الأولىٰ إلىٰ استثمار الملتقىٰ للتنديد بالصهيونية الباغية، وفلسفتها القائمة على فكرة (وعد الله لإبراهيم بجعل نسله من سارة، شعبه المختار، ومنحهم أرض فلسطين) وقد أسرف ـ عفا الله عنه ـ في الاستشهاد بنصوص منسوبة إلى التوراة والإنجيل، وأقوال لقديسي النصارى وفلاسفة اليهود، في مقامٍ كان ينبغي ـ حيث صار إليه ـ أن يشهد لدين الله الحق.

٣ ـ (إبراهيم في التصور الإسلامي) للشيخ أحمد جنتي، استهلها بقوله: «تحية لكل الإبراهيميين الحقيقيين»، وضمنها سيرة إبراهيم عليه السلام من خلال القرآن الكريم، واستنتج بعض الدروس والفوائد، ودعا إلى إحياء سنة إبراهيم[1].

٤ ـ (سيدنا إبراهيم عليه السلام، نموذج الإنسان الحضاري الكامل) للشيخ: محمد علي تسخيري. ضمنها خصائص إبراهيم عليه السلام من خلال سياق نصوص القرآن الكريم، وختم محاضرته بالقول: (وبعد كل هذا، ألا يحق لنا أن نعبر عن إبراهيم بأنه النموذج الإنساني الحضاري الكامل. وأنه «الأمة» القائمة لوحدها. وأنه المحور الذي يجب أن تجتمع حوله الأديان جميعاً، وتسير في ظله محققة هدفه، وهدف الأنبياء جميعاً، وهو تعبيد الإنسانية لله، والصراع ضد الطاغوت والاستكبار)[2].

---

(١) نص المحاضرة لدى الباحث. ومما يحمد له أنه صرح دون مواربة، أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وأن أنبياء الله من بعد إبراهيم حجوا بيت الله الحرام.

(٢) نص المحاضرة لدى الباحث.

أليس رسول الله محمد ﷺ، وخاتم النبيين، المبعوث إلى الناس كافة أولى أن يقال عنه هذا الكلام، بدلاً من الانسياق خلف بدعة «الإبراهيمية»، مهما كانت الدوافع الخاصة، سواءً لنصرة القضية الفلسطينية ـ كما فعل الأستاذ كامل الشريف، أو لترويج شعارات الثورة الإيرانية كما سخرها التسخيري؟!

٥ ـ (الوعد) للدكتور إلمر بيرجر. وقد بعث بهذه الدراسة التي (تثبت زيف التفسير الصهيوني للعهد الإبراهيمي)، حسب إفادة الأستاذ كامل الشريف[١].

٦ ـ (هل يوجد دين واحدٌ صحيح أم أديان متعددة؟) للدكتور هانس كونج وهي دراسة مطولة في قرابة أربعين صفحة. وخلاصة الإجابة على هذا التساؤل، كما نقل الأستاذ الشريف: (أنه يعتقد ـ كرجل دينٍ مسيحي ـ أن المسيحية هي الدين الصحيح. إلا إنه يسلم أنها لا تملك كل الحقيقة، كما يعتقد أنَّ انفتاح الفاتيكان على الأديان الأخرى ليس كافياً، وأن التبشير المسيحي في العالم الثالث ليس أخلاقياً، لأنه يعتمد على القوة، أو استغلال الظروف الاجتماعية. ويرى أن التبشير بالأديان يجب أن يجري في مناخٍ متحرر من الضغوط، وهي أفكار تشكل في مجموعها خطواتٍ للأمام نحو ما يسميه «إنسانية الأديان»)[٢].

وليت واحداً من المسلمين قال: إن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ هو الدين الصحيح الذي لا يقبل الله ديناً سواه ـ كما فعل هذا القس ـ ولكن القوم ما بين باطني، إسماعيلي أو قادياني، أو شيعي، أو سني غلبت عليه المجاملة ومداهنة النصارى الذين لا يجاملون في دينهم أحداً، إلى الحد الذي لم يلبوا رغبة ضيوفهم

---

(١) جريدة الدستور الأردنية. الأحد ١/ ٣/ ١٩٨٧م (٥).

(٢) المرجع السابق.

المسلمين في أداء صلاة الجمعة في ركنٍ من جامع قرطبة السليب، كما حكى الأستاذ كامل الشريف نفسه[١].

أما جارودي، فيكفيه وإن لم يبلغ سائر المتحدثين مبلغه، ويعوا فكرته الموغلة في الزندقة، أن يتحقق هذا المظهر الجمعي للديانات الثلاث في قرطبة.

يقول الأستاذ أنور الجندي عن الإبراهيمية: (هي في أصلها محاولة لخداع المسلمين بما يسمى الرابطة التي تربطهم بالمسيحية واليهودية عن طريق إبراهيم ﷺ، أبي الأنبياء إسحاق وإسماعيل، دون أن يكشف المخدوعون كيف تغيرت خطة الأديان السابقة للإسلام، وخرجت عن الخط الحقيقي الذي رسم لها... وقد بدا أن الدعوة إلى إحياء الإبراهيمية هي بدل للماسونية، أو هي الماسونية بثوبها الجديد. فهي محاولة اقتحام ترمي إلى الحوار بين الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام... وهكذا يمكن أن تتحقق رغبة الصهيونية العالمية لأول مرة في الجلوس على موائد الحوار مع المسلمين، وخاصة وهي تبدأ من منطلق خطير هو «الإبراهيمية»)[٢].

• وبعدها بعشرين سنة، يقول جارودي عام ١٩٩٦م في وصف «الإسلام الحي»: (والإسلام الحي، ينبغي له أن يغتني بالتفكير النقدي في نمو العلوم لدى العظماء الغربيين من كانت[٣] إلى باشلار[٤].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (١٧١، ١٧٢).

(٣) كانت: عمانوئيل Kant (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) فيلسوف ألماني. استمر يدرس الفلسفة ٤٢ سنة، وشطر الفلسفة الحديثة شطرين، ما قبل كانت وما بعده. الموسوعة الفلسفية (٣٧٢ ـ ٣٧٧).

(٤) باشلار: غاستون Bachelard (١٨٨٤ ـ ١٩٦٤م) فيلسوف فرنسي، له مؤلفات في فلسفة العلوم والتحليل النفسي. المنجد في الأعلام (١١٣).

والإسلام الحي ينبغي له أن يغتني لدى كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلهية من «الأوبانيشاد»[١] في الهند إلى «طاوية»[٢] «تشوانغ تسو»[٣] ومن «كيغارد» إلى «دستويوفسكي»[٤]...

وستكون النظرية اللاهوتية الإسلامية أغنىٰ بقدر ما تدمج أعمق المسلحات في تفسير الكتابين المنزلين السابقين ولاهوتيهما...

فكيف يكون بوسع مسلم أن يحرم نفسه من التجربة الروحية الهندية والصينية، ويجهل تعليم أنبياء الشعوب كلها، في حين أن القرآن الكريم يأمره أن يصدقهم...

وإذ أرسل الله أنبياءه إلى الشعوب كلها، كما يقول القرآن الكريم، ليحملوا الرسالة نفسها في لغة كل شعب، ووفق مستواه وفهمه، فثمة بالتأكيد آثار لهذه الرسالة، على سبيل المثال، في النصوص الكبرى المقدسة بالهند في «الفيدا» و«باغافا داجينا»... وأعتقد على سبيل المثال أن تأملاً عميقاً ومخلصاً في «الأرفائيتا» الفيدية، دون أن نحجب الفروق الجذرية، أو نقلل من أهميتها، بين «الأرفائيتا» الهندوسية و«توحيد» المسلمين ـ والأب بانيكر فعل ذلك على نحوٍ رائع فيما يخص العلاقات بين الأرفائيتا الفيدية والتصور

---

(١) الأوبانيشاد: أحد كتب الهندوس. (وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٥٣٢).

(٢) الطاوية Taoism: المدرسة الثانية بعد الكونفوشية في الفكر الصيني القديم.. والتاو: هو المنهج أو السبيل، ويقصد به السير على منوال الطبيعة وفق قوانينها. الموسوعة الفلسفية (١٣٣).

(٣) تشوانغ تسو Chuang Tzu المولود في نحو ٣٦٨ ق.م، وقال إن التاو هو مبدأ الحياة، وأصل الوجود واللاوجود... الموسوعة الفلسفية (١٣٣).

(٤) دستويوفسكي: تيودور DostoyevsKy (١٨٢١ ـ ١٨٨١) روائي روسي من أبرز رواد الوجودية. الموسوعة الفلسفية (١٨٠).

المسيحي للإله ـ سيغني تصوري الوحدة لدى الجانبين، ويكشف عن التشابهات الواقعية، والفروق أيضاً، في عمل هندي حقيقي، ومسلم حقيقي، الناجمة عن التصور الخاص بكل من «الأرفائيتا» و«التوحيد».

إن مسلماً يعرف النصوص المقدسة في الهند والصين، نصوص زرادشت، والتوراة، والتقاليد الروحية الكبيرة في أفريقية، وأمريكة الهنود الحمر في الشمال، يمكنه ألا يفهم على نحو أفضل ماهية كلية التنزيل القرآني فحسب، وهو تنزيل فريد في ذاته ـ بدلاً من الاعتقاد أنه فريد بمجرد «الغرور» و«الزهو» الساذج، لأننا نجهل أو نحتقر إيمان الآخرين ـ بل يمكنه أن يباشر مع الناس القادمين من إيمان آخر حواراً سمحاً وجريئاً، حواراً آسراً)[1].

وأحسب أنَّ قصارى ما يبلغه ذلك المسلم المزعوم الذي يحلم به جارودي أن يصل إلى ما وصل إليه مؤسس «المعهد الدولي لحوار الحضارات» من زندقة وإلحاد، تعقد الموازنات الطائشة بين وحي الرحمن الرحيم، وما تنزلت به الشياطين على كل أفاكٍ أثيم، من أئمة الكفر والضلال في الشرق والغرب.

إن جارودي يهدف من خلال النفخ في صورة هذه الوثنيات التافهة، والأديان المحرفة، إلى الحط من عزة المؤمن الشعورية، باستعلاء إيمانه وعقيدته حتى في حال الهزيمة المادية، كما أمر الله عباده المؤمنين إثر هزيمتهم في أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]. لأن هذا الانحطاط شرط في مشروعه لصهر الأديان والوثنيات والفلسفات، في بوتقة الأممية العمياء التي ينشدها، ولا يتم له ذلك إلا بتخلي أهل الإيمان الحق عن شعورهم بعزة الإيمان، وكمال الدين، وتمام النعمة. ومن ثم

(١) الإسلام (٨٧، ٩١، ٩٣ ـ ٩٤).

يحاول أن يستزلهم بالأماني المعسولة، وزخرف القول، للانخراط في مشروعه الكفري كقوله: (ومستقبل الإسلام في أيامنا هذه منوط بالجهود التي تبذل لتبسط بسطاً جديداً كل أبعاده التي صنعت في أزمنة أخرى عظمته وألقه، أي في بعده ذي النزعة الكلية الذي لا يقتصر على هذا التقليد أو ذاك من تقاليد الشرق الأدنى وماضيه، بل ينفتح على الثقافات كلها، ويجدد التعايش الغني بين الشرق والغرب، بين الأديان المنزلة، المسيحية والإسلام واليهودية، وحِكَم الفرس والهند والصين في الماضي السحيق)[١]. وهيهات هيهات.

د ـ مؤسسة روجيه جارودي. المركز الثقافي في القلعة الحرة:

في خطوة عملية كبيرة لإرساء أفكاره التقاربية بين الإسلام والنصرانية واليهودية، أقدم روجيه جارودي في منتصف الثمانينيات على استئجار، ومن ثم استثمار، موقعٍ تاريخي قديم في مدينة «قرطبة»، يعرف باسم «القلعة الحرة»، ويلفظه الأسبان: كَالاَهُورا CALAHORRA، تحريفاً عن الأصل العربي.

وتقع هذه القلعة على الجانب المقابل لجامع قرطبة الشهير، ويفصلهما نهر قرطبة، المسمى الوادي الكبير، وتربطهما القنطرة التاريخية، قنطرة الوادي، أحد معالم قرطبة[٢].

وقد بشَّر جارودي بهذا المشروع الثقافي، وطوَّف عدداً من البلدان الإسلامية لجمع المساعدات لتجهيزه. ففي مقابلة له مع مجلة الصياد

---

(١) الإسلام (١٤٣).

(٢) مما قيل في قرطبة ومعالمها، ذكر د. حسين مؤنس أنه: (أبو محمد بن عطية) انظر مجلة العربي الكويتية عدد ٩٥ (٩١) جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ أكتوبر ١٩٦٦م.

بأربعٍ فاقت الأمصارَ قرطبةٌ ... منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتانِ ثنتان والزهراء ثالثها ... والعلم أعظم شيءٍ وهو رابعها

اللبنانية في ٩ مايو عام ١٩٨٦م عرف بالمشروع قائلاً: (إن بلدية قرطبة قد وضعت تحت تصرفنا.. برج قَلَهُرَّة الذي يعود إلى أيام الخلفاء المسلمين. وفي نيتنا أن يكون هذا البرج مقراً لمكاتب المركز، كما سنخصص جزءاً منه ليكون متحفاً للفنون والثقافة الإسلامية في الأندلس، وفي أسبانيا عامة. ومن أهدافنا، تعريف الغرب بالإسلام عن طريق الفن، لاعتقادي أنَّ الفن هو أقصر الطرق بين البشر. كما نهدف إلى التعريف بمساهمة المسلمين في حضارة الغرب، منذ أيام ابن مسرة وابن حزم وابن باجه(١) وابن طفيل(٢) وابن رشد(٣) وابن عربي، وإشعاع هذه الثقافة على جميع أنحاء أوربا. وسيضم المتحف معلومات ونسخاً عن المجالات والاختراعات التي كان المسلمون متفوقين فيها آنذاك، كجراحة العيون، والطب النسائي، والفلك، وسيعمل المركز كذلك على إحياء التأثير الذي أحدثه المفكرون المسلمون في المفكرين الغربيين)(٤).

---

(١) ابن باجَّهْ: محمد بن يحيى بن باجَّه، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي. فيلسوف ينسب إلى التعطيل والإلحاد. مات في فاس سنة ٥٣٣هـ. تسميه الإفرنج (Avenpace). شرح كثيراً من كتب أرسطو. من آثاره: «رسالة الوداع»، «كتاب النفيس»، تعليق على كتاب الفارابي في القياس. انظر: الأعلام (٧/ ١٣٧).

(٢) ابن الطُّفَيل (٤٩٤ ـ ٥٨١هـ): محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل، القيسي، الأندلسي، أبو بكر. فيلسوف، تعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها، ثم أصبح طبيباً للسلطان الموحدي، أبي يعقوب يوسف، سنة ٥٥٨هـ. من آثاره: «حي بن يقظان»، «رجز في الطب»، و«رسالة في النفس». توفي بمراكش. انظر: الأعلام (٦/ ٢٤٩).

(٣) ابن رشد ـ الحفيد ـ محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد، ولد سنة ٥٢٠هـ، الفيلسوف من أهل قرطبة. عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. وصنف نحو خمسين كتاباً. منها: «التحصيل»، و«الحيوان»، و«منهاج الأدلة». توفي سنة ٥٩٥هـ، انظر: الأعلام (٥/ ٣١٨)، شذرات الذهب (٤/ ٣٢٠)، آداب اللغة (٣/ ١٠٤).

(٤) عن مجموعة مقابلات في كتاب: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٢٣١ ـ ٢٣٢).

هذا ما تقدم به جارودي من تعريفٍ بمشروعه للمسلمين، وهو على ما فيه يوحي بأنه يهدف إلى تعريف الغرب بالإسلام والحضارة الإسلامية، فلا عجب أن يتمكن جارودي من جمع معظم تكاليف المشروع التي قدرها بسبعمائة ألف دولار من إحدى دول الخليج[١].

أما الهدف الحقيقي لهذا المشروع «المتحف»، فهو ذات الهدف الذي وقف عليه جارودي حياته بعد هجره الحزب الشيوعي، وهو توحيد الأديان والحِكم والحضارات. وقد صرح بذلك في محاضرته أثناء الملتقى الإبراهيمي حيث قال: (إن الهدف الأساسي للقائنا الإبراهيمي، وللمؤسسة التي افتتحناها في برج «كالاهورا» هو: إحياءٌ جديد للنظرة الكاملة للعقل الذي وصل ذروته في الأندلس. إنه العقل الذي لا يفرق أبداً بين العلوم التطبيقية والرياضية، والحكمة التي تفكر في هدف البحث العلمي، وفي الإيمان والعقيدة التي نستخلص منها وعي الحدود، والملتمسين لهذا العلم ولهذه الحكمة)[٢].

ولكن زيارةً لمتحف القلعة الحرة تكشف بوضوح هدف المشروع، وتضع النقاط على حروف البيانات المجملة. ونظراً لخطورة هذا المشروع من حيث المحتوى والأهداف، واتساع أثره، حيث يؤم المتحف مائة ألف زائر سنوياً، حسب إفادة بعض المقربين من جارودي، يجدون فيه عرضاً جذاباً باستخدام التقنيات الحديثة، فسوف نصِف ما يلقاه الزائر ويشاهده في القلعة الحرة[٣]:

---

(١) كما جاء في سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف بالكويت بتاريخ ٥/ ٣/ ١٩٨٧م.

(٢) نص المحاضرة.

(٣) قام الباحث بزيارة القلعة الحرة والوقوف على مقتنياتها، والاستماع للشروح المسجلة في أرجاء القلعة، واقتناء المطبوعات ذات العلاقة، وذلك يوم الجمعة الموافق ٧/ ٤/ ١٤١٧هـ.

حين يدلف الزائر من باب القلعة يجد نفسه في بهوٍ علقت فيه سجادة إيرانية، ووضع في زواياه بعض المشغولات اليدوية القديمة، والصناديق الخشبية المزخرفة. وعليه أن يضع طوق السمّاعات على أذنيه ليسمع الآتي بإحدى اللغات الثلاث: الإسبانية، الفرنسية، الإنجليزية: (مرحباً بك في برج القلعة الحرة. إنك لست في متحف، وإنما في برج القلعة الحرة الساحر، حيث التقنيات العصرية الحديثة استخدمت لتوصل لك رسالة سرمدية، ذات صلة موضوعية وثيقة، اليوم أكثر من ذي قبل.

العالم ليس بلا وعي. الحياة ذات معنى. إننا نلج داخل حقبة خاصة جداً من تاريخ العالم: من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر في قرطبة، حيث كان يعيش مليون نسمة من الناس في أكبر مدينة أوربية، ومركز الثقافة في ذلك العهد.

هناك تحقق عدم الفصل بين الدراسة العلمية الدقيقة، والحكمة والإيمان. لا شرق منفصل عن غرب، ولا مسلم عن يهودي أو مسيحي.

هنا بدأ عصر النهضة الحقيقية، حيث أزهر ونما).

وبعد هذه **القاعة الأولى** «المدخل»، ثَمَّ ثمان غرف متخصصة:

القاعة الثانية: وهي أهم ما في القلعة من الناحية الفكرية المتعلقة بمشروع جارودي، حيث اتخذ أربعة تماثيل مجسمة ـ بحجم الرجل العادي ـ تمثل:

١ ـ ابن رشد الفيلسوف (٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ = ١١٢٦ ـ ١١٩٨م) محمد بن أحمد القرطبي ويسميه الأوروبيون «Averroes».

٢ ـ الميموني، الفيلسوف اليهودي (٥٢٩ ـ ٦٠١هـ = ١١٣٥ ـ ١٢٠٤م) موسى بن ميمون القرطبي. ويسميه الأوروبيون Maimonides.

٣ ـ ابن عربي الصوفي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ = ١١٦٥ ـ ١٢٤١م) محمد بن علي الطائي.

٤ ـ ألفونسو العاشر (١٢٥٢ ـ ١٢٨٤م) ويلقب بـ «الوساج» أي «العاقل» أو «الحكيم».

وبينما تصطف الشخوص الأربعة المكسوة بملابس ذلك الزمان؛ النصراني واليهودي في هيئة الجالس، وبينهما ابن رشد وابن عربي قائمين!، يتناوب الأربعة في الحديث، والإعراب عن نظرتهم للحياة، كما صاغ ذلك جارودي من مقالاتهم:

• يقول ابن رشد: (إن فلسفتنا سوف لا تقدم شيئاً إذا لم تكن قادرة على الربط بين ثلاثة أشياء، تلك التي حاولت أن أجمع بينها في توفيقي بين العلم والدين[1].

• العلم، يحصل بالتجربة، والمنطق، لاكتشاف الأسباب.

• الحكمة، التي تعكس الغاية من كل بحث علمي، ولذلك تجهد لكي تجعل حياتنا أكثر جمالاً.

• الإيمان، من قرآننا، كما لو كان فقط من خلال الإيمان بأننا نعلم الغايات النهائية لحياتنا وتاريخنا). ثم يعقبه حوارٌ ومساءلة معه.

• ويقول الميموني: (في كتابي «دليل الحائرين» أعطيت القوانين للقراءة alegorical[2] للمخطوطات التي تأخذ التاريخ في حسابها.

إن مصاعبنا يجب أن تحل من منطلق الأصول السرمدية، ليس ثم تناقض بين المطلق والتاريخ. تعليل الإنسان مجرد مشاركة في التعليل الإلهي الذي يتخطانا بلا حدود، ويحقق نفسه فقط في النبوءة التوراتية.

---

(١) المراد كتابه: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) مطبوع.

(٢) لم أعثر على ترجمة هذه الكلمة alegorical.

إن دورة جديدة للتاريخ تبدأ، فقط عندما يتوجه نبي كموسى إلى الناس مقترحاً قانوناً جديداً لهم).

ثم تتلوه محاورة وتساؤلات، يجيب عليها الميموني.

• ثم يقول ألفونسو العاشر، ملك ميورقا: (ها هنا كان الأداء الأكثر تألقاً في فترة حكمي: أن نخلق في ميورقا، مع الفيلسوف المسلم محمد الريقوتي، أول مدرسة في العالم يعلم فيها النصارى واليهود والمسلمون معاً.

«يا يسوع/ يامن تقدر أن تُحييَ/ المسيحيين واليهود والمسلمين/ طالما إيمانهم/ يوجههم نحو الرب».

في ظل حكمي، شكراً لجهود الرجال الحكماء من الأديان الثلاثة، لقد استطاعت إسبانيا القرن الثالث عشر أن توقظ في جميع أوربا نهضة صحيحة، تجري ليس ضد الرب، ولكن مع الرب). ثم تعقيب كسابقيه.

• ويختم ابن عربي بالقول: (الرب وحدة. وحدة الحب والمحب والمحبوب. كل محبة فهي رغبة بالاتحاد. كل محبة فهي بوعي أو غير وعي محبة للرب.

تحمل الشهادة لحضور الرب في داخلك، لخلق الله الذي ينقطع. الفعل هو المظهر الخارجي للإيمان. الإسلام يعرّف جميع الأنبياء كرسل لذات الإله.

تعلم أن تكتشف في كل إنسان بذرة الرغبة إلى الله، حتى عندما يكون إيمانه لا يزال باهتاً، وأحياناً وثنياً. أعِنْ في هدايته باتجاه النور التام).

وتعقبه أسئلة «المريدين»، وإجابات الشيخ بما فيها أبياته في وحدة الأديان والأوثان.

القاعة الثالثة: وتتضمن صوراً ومجسمات وأدوات وآلات وخرائط تبين مساهمة علماء الأندلس في العلوم والتقنية، في مجال الطب والصيدلة والجغرافيا والري.

وتحتل هذه القاعات الثلاث مسطح الدور الأرضي للقلعة الحرة. وفي الدور الثاني:

القاعة الرابعة: وقد علق فيها صورة كبيرة لمجلس الخليفة عبد الرحمن الثالث الأموي في مدينة الزهراء، الذي تولى الخلافة عام ٣٠٠هـ ٩١٢م، وهو يستقبل وفداً من نصارى المشرق في سفارة من الإمبراطور البيزنطي، يحملون هدية، مصنف في علم النبات للإغريق.

ثم يجيء التعليق قائلاً: (رمز اللقاء بين الشرق المسيحي والغرب المسلم).

وثم صورة لمحراب جامع قرطبة، يغرق التعليق في تدبر زخرفته.

القاعة الخامسة: تحتوي مجسماً لقصر الحمراء في غرناطة، يصاحبه حديث مستفيض عن معمارها وفنونها، وما نسج حولها من أحلام الحب والغرام.

القاعة السادسة: خصصت للآلات الموسيقية الأندلسية. أما التعليق فيقول:

(في هذه الغرفة تستطيع أن تسمع الموسيقى العربية الأندلسية تحت قبة محراب الجامع. التسبيح النهائي لله في روعته).

القاعة السابعة: وتضم مجسماً «أنموذجاً» لجامع قرطبة الشهير، الذي حول إلى كاتدرائية. ويركز التعليق على موقف ألفونسو العاشر الحكيم الذي قال: (لا شيء في المسجد يزال أو يحطم) بعد سقوط قرطبة في أيدي النصارى.

القاعة الثامنة: أطّرت بأعمدة وأقواس على نمط جامع قرطبة،

وصفت تحتها تشكيلات صغيرة متنوعة تمثل صورة الحياة الاجتماعية والتجارية في بيوتات وأسواق ومساجد ومعابد وكنائس ومرافىء ومنتزهات الأندلس، تحت عنوان رحلة إلى الوراء.

القاعة التاسعة: قاعة عرض سينمائي لفيلم يعالج ذات القضية، ويتضمن التعليق الختامي التالي: (إن أول نهضة أوربية لم تبدأ في إيطاليا في القرن السادس عشر، بل في القرن الثالث عشر في إسبانيا.

منذ آلاف السنين كان جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، الأندلس، محل لقاء لمختلف ثقافات وروحانيات الشرق، وحوض البحر المتوسط. الشرق، أرض الرسالات الإلهية، جلب تقاليد أنبيائه من إبراهيم إلى موسى، من عيسى إلى محمد.

انتشر الإسلام بسلاسة عبر هذه الأرض، لأنها تحوي جميع تلك التمثيلات، وأيضاً لأنها كانت مفتوحة لكل أحد، لكونها تعترف بجميع الإيمانيات السابقة. لقد أغنت مرحلة انتقالية جديدة في حياة جنسنا البشري، هذه الفكرة المكتملة للعقل، التي لا تفصل العلم عن الحكمة أو الإيمان، كما ازدهرت في قرطبة.

لتفكير في الغايات والإيمان، يستجوب المشكلة ذات البعد الأخلاقي للطاقة النووية، وتسليح الفضاء، والعبث الجيني في علم الأحياء، كما التنمية الاقتصادية، يتحتم علينا أن ننسق قوانا الجديدة لغايات، تكون إنسانية، وبعبارة أخرى إلهية.

لنعيد تقديم هذين البُعدين في عالمنا اليوم، دون التخلي عن التصميم الحتمي لكل مجتمع:

• التعالي: وبعبارة أخرى تثبيت القيم المطلقة والكلية فوق وخلف اهتمامات الأفراد والمجموعات والقوميات.

• الجماعية: وبعبارة أخرى الدينونة داخل كل كائن إنساني أنه

مسؤولٌ عن مستقبل جميع الآخرين. بذلك فقط سنكون قادرين لبلوغ هدفٍ يكون مشتركاً للإنسانية المناضلة. لمنح كل الرجال والنساء والأطفال، وكل تقنية، واقتصاد، وسياسة، وثقافة، وسائل للتطور للمدى الكامل للكفاءات الإنسانية الموجودة فيهم.

لذا، لعل قرطبة تنجز رسالتها ذات الألف عام بين الشرق والغرب، لِتُروي كنهرٍ كبير جميع قوى الحياة على شاطئيه)[(١)].

إن هذا ما يريد جارودي، وليس بالبساطة والسذاجة التي تصورها بعض الناس المغرر بهم؛ أنه يريد تصحيح صورة الإسلام في أذهان الغربيين، ونشر مآثر الحضارة الإسلامية الحقة. لقد تجاهل جارودي جهود علماء المسلمين في نشر التوحيد والعقيدة الصحيحة، ودحض الشرك بأنواعه، وإبطال دين اليهود والنصارى، وحفظ السنة النبوية، وإثراء الفقه وأصوله، من قبل جهابذة الأئمة والحفاظ والزهاد والعبَّاد الذي فاضت بذكرهم العَطِر كتب التراجم والسير. وطفق يبحث عن كل زنديق ونحوِه، يؤلف منهم عصابة سوء، ورهط ضلالة، من يهودٍ ونصارى وفلاسفة وباطنية وصوفية، ويقول للناس: هذا هو الإسلام، وتلك نهضة الأندلس.

ويتعامى عن الحقائق الظاهرة، فيزعم أن الإسلام لم يدخل الأندلس باسم الجهاد، ولم يحقق نصراً حربياً مؤزراً، بل كان تجاوب السكان الأصليين ممن يعتنقون الأريوسية الموحّدة مع القادمين الجدد الذين لم يقصدوا ـ في زعمه ـ أن يبشروا بدينٍ جديد.

---

(١) تمت ترجمة جميع المقاطع السابقة من كتاب:
CORDOBA-CALAHORRA. bridge From East to West
قرطبة. القلعة الحرة. جسر من الشرق إلى الغرب p. 3, 6, 7, 12, 14, 16, 18, 24.
وانظر أيضاً: The Meaning of life in Andulusia.

إنه حين يتحدث عن «الإسلام»، ويقول عنه قولاً حسناً يطرب له أصحاب العواطف والنوايا الساذجة، فإنما يضمر في نفسه الإسلام الذي اصطنعه، ورسم صورته، وحدد أركانه، ليس إسلام محمد بن عبد الله ﷺ، عقيدة وشريعة، بل ولا إيمان إبراهيم عليه السلام عقيدة دون شريعة، ولكنه إسلامه الخاص الذي بناه على ركنين:

أحدهما: ركن (التعالي) الذي يعني وجود قيم مطلقة، أياً كانت تلك القيم، المهم أن يكون للحياة معنى. ونبيه في ذلك كير كجارد.

الثاني: ركن (الجماعية) الذي يعني شيوعية الثقافة والاجتماع والاقتصاد للإنسانية المناضلة، ونبيه في ذلك كارل ماركس.

فلا مكان «الشريعة مهيمنة»، بحسبانها تقاليد وفلكلور لشعبٍ معين في تاريخٍ معين. ولا إقرار بأمةٍ متميزة تكون «خير أمة أخرجت للناس»، فجميع الطرق تؤدي إلى الله ـ في زعمه ـ ما دامت الأفعال كلها محبة، وكل محبة فهي بوعي أو بغير وعي محبة للرب، كما قال سلفه ابن عربي.

كل هذا الكفر شيد بأموال المسلمين وتبرعاتهم، والأنكى من ذلك أن يُحمى بأقلام كتابهم، ومن ينسب إلى العلم منهم، ببواعث عاطفية عمياء، كالوقوف معه باسم الإسلام في صراعه مع الصهيونية. فحين حوكم في فرنسا مؤخراً، أقيم له مهرجان مناصرة في الدوحة و(استقبل استقبال الفاتحين، ولقي ترحيباً رسمياً وشعبياً منقطع النظير، بدأ منذ وصوله إلى مطار الدوحة، ثم أقيمت للضيف مهرجانات عدة، كان أنجحها مهرجان مركز شباب الدوحة، الذي احتشد فيه عدد من السفراء، والرسميين، ورجال الفكر والسياسة، كما كان الشيخ يوسف القرضاوي، على رأس الخطباء، حيث قال مرحباً بالضيف:

إننا في هذه الليلة نعيش وقتاً أعتبره من الأوقات المباركة النافعة

الإيجابية في زمن التجبر الإسرائيلي، والتفرد الأمريكي، والعجز العربي، والغياب الآسيوي. نرى هذه البادرة بصيصاً من النور، لتبين أن للحق أنصاراً يخرجون من حيث لا يحتسب الناس...

لقد قال هذا المفكر كلمة الحق، ولم يبال بعد ذلك.. أراد بعض الناس أن يجردوه من دينه، ومن عواطف المسلمين معه... لو لم يكن مسلماً لوقفنا معه أيضاً، لأننا مع الحق فكيف به وقد أضيفت إليه أخوة الإسلام؟! وقد قلت له في رمضان: نحن معك في قطر والخليج وبلاد الإسلام، ومعك أكثر من مليار مسلم...

سر في طريقك، واثبت على موقفك، وثق أن الله هو ناصرك، وأن الله هو الحق المبين)[1].

يا أسفى على يوسف!

إذا كان بعض علماء المسلمين في هذا الزمان لا يحتكمون إلى نصوص الكتاب والسنة، ولا يَزِنون الأقوال والأفعال بميزان الشريعة، فما بالك بالصحفيين، وأنصاف المثقفين، بلْه عامة الناس؟! فكيف إذا كان الأمر لم يبلغ درجة الاشتباه الذي يحتاج إلى تحرير الفقهاء، واجتهاد المجتهدين؟ إذا كان صاحب الشأن نفسه ـ أعني روجيه جارودي ـ يقول بملءِ فِيه، ويسطر ذلك بأنامله، لا يخاف لومة لائم: (دخلت الإسلام، وبإحدى يدي الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب «رأس المال» لماركس، ولست مستعداً للتخلي عن أيٍ منهما)[2] وذلك بعد إعلان إسلامه المزعوم بسبع سنين.

ويقول أيضاً: (إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا

(١) مجلة العالِم. العدد الأول. صفر ١٤١٦هـ يونيو ١٩٩٨م.
(٢) جولتي في القرن وحيداً (٣٣٧). طبع عام ١٩٨٩م.

متناقضاً أو مبتدعاً)[١] بعد إسلامه بسنتين. ويقول: (أحب أن أؤكد بأنني لم أدر ظهري للماركسية على الإطلاق)[٢].

فهل يبقى بعد هذا معنًى لقول القرضاوي: (أراد بعض الناس أن يجردوه من دينه)، فهل جرده أحدٌ أم أنه لم يلبسه أصلاً؟![٣].

في حُميًّا العواطف المشبوبة، والنظرة القصيرة، يغفل الدكتور يوسف القرضاوي عن سبب عداء جارودي للصهيونية ودولة إسرائيل المؤسسة على أسطورة «شعب الله المختار»، إن السبب باختصار أن هذه النظرة القومية لا تتفق ومشروع جارودي وأمله في إنسانية موحدة، لا على دين الله، ولكن على معنًى من المعاني، أياً كان ذلك المعنى، دون أن يدعي أحد أنه يمتلك «الحقيقة المطلقة»، ويشعر بالعلو والفوقية على بقية الناس.

إن السبب ذاته سوف يحمل جارودي على الانقضاض على المسلمين أنفسهم حين يعتقدون ما قال الله في كتابه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران] سواءً بسواء.

وهل يظن القرضاوي ـ عفا الله عنه ـ أن جارودي يرى فرقاً بين ادعاء اليهود أن فلسطين، أرض الميعاد، وهبة الله لبني إسرائيل، ودعوى المسلمين الصادقة ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

(١) جريدة «البعث السورية» عدد ٢٥/ ٣/ ١٩٨٤م.

(٢) جريدة «تشرين» السورية عدد ٢٥/ ٣/ ١٩٨٤م.

(٣) لقد خبر الدكتور يوسف القرضاوي جارودي وشطحاته في مؤتمر سطيف المعقود في الجزائر عام ١٩٨٦م، وناقشه في أفكاره. كما أفاد الأستاذ أنور الجندي في تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة (١٧٥ ـ ١٧٨).

إن ميزان جارودي في الباطل مطرد، وميزان هؤلاء في الحق مضطرب.

ونختم بهذين النصين الصارخين لجارودي.

(وليكن كلٌّ منا ما يكون، مسلماً أو مسيحياً، فإن ذلك لا يفصله عمن لا يشاركه دينه.. وسنلتقي جنباً إلى جنب مع كل أعضاء البشرية التي تحطم قيود الجزئي، وقيود الفردية والقومية التي تفتت العالم)[١].

(هذا النضال، هو نضال كل أصحاب العقيدة، أو المؤمنين بعقيدة، مهما يكن نوع إيمانهم، ولا يهمني ما يقوله الإنسان عن عقيدته؛ أنا مسلم، أو أنا مسيحي، أو أنا يهودي، أو أنا هندوسي)[٢].

ولنا قول الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص]، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

❁ ❁ ❁

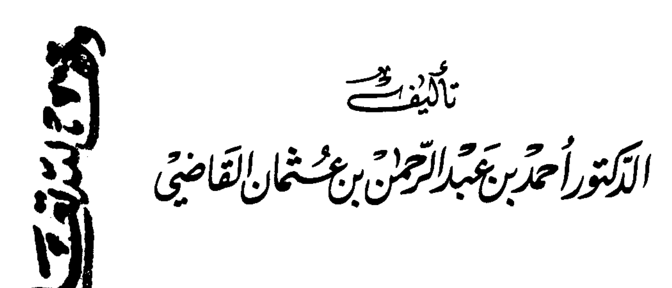
(١) جولتي وحيداً في القرن (٤٣٧). عن روجيه جارودي والمشكلة الدينية (٢٥٩).

(٢) الإسلام (١٢).

رسائل جامعية (٢٠)

دعوة التقريب بين الأديان

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية



تأليف
الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

المجلد الثالث

دار ابن الجوزي

المبحث الثاني

محاولات الأب: «إيميليو غاليندو آغيلار» للتقريب بين الأديان

تمثل محاولات الأب الإسباني «إيميليو غاليندو آغيلار» Emilio Galindo Aguilar للتقريب بين الأديان عموماً، والإسلام والنصرانية خصوصاً، لوناً مميزاً من المحاولات المبذولة في هذا السبيل، إذ تقوم على السعي لتجميع المفكرين المتحررين «المارقين» من كلاَ الديانتين في جبهة واحدة، ونشر أفكارهم وتعزيزها ضمن خطةٍ يرسمها مسبقاً، ووفق أهدافٍ ومنهجية يرتئيها، ويستكتب لها من يصطفيه من المفكرين من الجانبين. ثم يخرجها بصورة كتبٍ متلاحقة عاداً كل كتاب «مؤتمراً إسلامياً مسيحياً بالمراسلة عن بُعد».

ورغم أن هذه المحاولات تبدو إنتاجاً جماعياً يشترك فيه عدة كُتَّاب، إلا إن الطابع الشخصي، والجهد الفردي الموجِّه لهذه المحاولات، والعمل المؤسسي الذي ينتظمها تحت هيمنة وإدارة الأب «غاليندو»، حدت بالباحث إلى أن يدرج هذه المحاولة المميزة ضمن المحاولات الفردية.

وتبرز أهمية هذه المحاولة في الجوانب التالية:

أولاً: أنها أول مبادرة نصرانية جادة للحوار العقدي، وبحث النقاط الشائكة التي تتجنبها مؤتمرات الحوار الإسلامي ـ النصراني عادةً، أو تمسها مساً رقيقاً.

ثانياً: انعتاقها من الأطر الرسمية للدول والمؤسسات الدينية التي تتبنى مؤتمرات الحوار غالباً، وتحكمها أعرافٌ تاريخية ومحلية معينة.

ثالثاً: حشد عدد من الكتاب والمفكرين المعنيين بشأن الحوار، وعامتهم من رجال الدين النصارى المتمرسين بالتنصير والحوار، وندرة من الزائغين المنسوبين إلى الإسلام. وقد جرى إثبات تراجمهم في الحواشي بنوع من الاستفاضة ـ نسبياً ـ لإيقاف القارىء على طبيعة الجهود المبذولة علمياً وعملياً في سجلهم الديني[١].

رابعاً: أن هذه الأفكار المطروحة جاءت بعد أكثر من عقدين من الزمان من إطلاق المجمع الفاتيكاني الثاني دعوته التاريخية للحوار ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م، حيث ابتدأ المؤتمر الأول لهذه المحاولات عام ١٩٨٨ والثاني ١٩٩٤م، والثالث ١٩٩٧م، متضمنةً الرؤية النصرانية الحديثة للحوار.

خامساً: الأسلوب السهل في عقد هذه المؤتمرات؛ وذلك عن طريق المراسلة مما يشرع الطريق ـ ربما ـ لمحاولاتٍ مماثلة، تنتظم أعداداً أكبر من هؤلاء المارقين.

أولاً: سيرة ذاتية، وتعريف موجز:

• ولد إيميليو آغيلار بغرناطة «إسبانيا» في ١٧ أغسطس عام ١٩٢٧م، وتدرَّج في السلك الكنسي الكاثوليكي حتى رُسم كاهناً بجماعة الآباء البيض التي تزاول نشاطها التنصيري في أفريقيا، عام ١٩٥٣م. ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة من روما عام ١٩٥٦م، وفي الدراسات العربية الإسلامية من تونس عام ١٩٥٨م، حيث كان متعاوناً مع معهد الآداب العربية (IBLA) الكاثوليكي الفرنسي، لبضع سنوات. وفي مطلع السبعينيات أسس في «مدريد» مؤسسة فكرية تحت اسم «دارِك. نيومبا» DAREK.NUMBA. وقد ساهم مساهمة فعالة في

---

(١) تم اعتماد تراجمهم كما وردت في كتب غاليندو الثلاثة، مع اختصار يسير.

التحضير لمؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في قرطبة منذ عام ١٩٧٤م، وشغل منصب «الأمين العام» لها، وحيث لم ترضِ طموحه وتطلعاته الفكرية البعيدة فقد أسس جماعة «كريسلام» الآتي ذكرها، لتعبر عن آرائه وآراء أمثاله من المتحررين من القيود الرسمية.

وقد ألف «غاليندو» بضعة كتب كلها تتعلق بالإسلام الذي يمثل هاجساً دائماً بالنسبة له، منها: «الإسلام: أمس واليوم وغداً» مدريد ١٩٦٠م، «خلق أندلس جديدة» ١٩٨٢م، «الصوفيون: أولئك الرجال المقلقون للإسلام» مدريد ١٩٨٣م، «تجربة الإله في الإسلام» مدريد ١٩٨٥م.

كما يدير نشرة دورية تصدرها مؤسسته، عنوانها: «لقاء إسلامي مسيحي»[1]، كما أنه بصدد إصدار كتاب آخر عن «الصوفية»، لاعتقاده أنها الطريق إلى «توحيد الأديان»[2].

ثانياً: محاولات غاليندو العملية للتقريب بين الأديان:

ترجع محاولات غاليندو للتقريب بين الإسلام والنصرانية إلى حقبة السبعينيات، حين انعقد أول لقاءٍ إسلامي ـ نصراني في عاصمة الخلافة الأموية، قرطبة، سبتمبر عام ١٩٧٤م، وما تلاه من مؤتمرات[3]، كان يقوم فيها بدور الأمين العام. ويشير إلى تلك البدايات بعبارات فخمة: (بضع مئاتٍ من المسلمين ومن المسيحيين قد تنكبوا الطريق بأملٍ

---

(١) انظر ترجمته لنفسه في كتاب: «العقيدة للأمام» بالإسبانية FE ADELANTE (١٧٥). ويتضمن أعمال المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بالمراسلة عن بُعد.

(٢) كما أخبرني بذلك شخصياً أثناء زيارتي لمؤسسته، دارك ـ نيومبا في مدريد يوم الأربعاء ٥/٤/١٤١٩هـ.

(٣) انظر محاولات التقريب في إسبانيا في الفصل الثاني من هذا الباب.

عريض نحو مدينة الخلافة. جميعنا كان يريد نسيان الماضي، وبفضل الأجواء الجديدة للمجمع الفاتيكاني الثاني، التقينا مرة أخرى بعد عدة قرونٍ من الانفصال الأحمق وغير المفيد... كانت له أصداء عالمية، نظراً لما كانت تمثله قرطبة ولا تزال عند المسلمين والمسيحيين. إن تلك الصلاة التاريخية في تلك الجمعة، الموافقة ١٣ سبتمبر ١٩٧٤م، كانت بمثابة انفصام جديد لحجاب التاريخ، وصارت بمثابة مَعلم لبداية كيفية جديدة لرؤية بعضنا بعضاً، ولإقامة علاقات بيننا، نحن المسلمين والمسيحيين، وليس علينا سوى أن نذكر أنه منذ ١٢٣٦م لم تقم صلاة شعائرية إسلامية في الكنيسة ـ المسجد ـ الكاتدرائية)[١].

وقد أسس في مدريد مكتباً لمزاولة أنشطته المختلفة، وسماه دارك ـ نيومْبا عام ١٩٧٠م[٢]. وأراد بذلك الكلمة العربية «دارك» أي بيتك، وكذلك تعني كلمة نيومبا في بعض اللغات الإفريقية، وذلك لاجتذاب المهاجرين من أفريقيا، كما أفادني بذلك بعض من عملوا معه، ويقدم لهؤلاء الوافدين دروساً في اللغة الأسبانية، لا سيما وأنه يتحدث العربية بدرجة متوسطة.

أما الخطوة العملية الهامة التي أبرزت مشروعه للتقريب بين الإسلام والنصرانية، فكانت تأسيس مجموعة «كريسلام» عام ١٩٨٤م. وهو مصطلح نحته غاليندو من اسمي الديانتين: كريستيانيتي Christanity أي «النصرانية» والإسلام، وركبه تركيباً مزجياً، ليحمل الدلالة على ما تمثله هذه المجموعة. وقد صدر بيان بلغات متعددة، منها العربية عام ١٩٨٤م، يعرِّف بهذه المجموعة، نسوقه بتمامه:

---

(١) من مقدمته لكتاب «العقيدة إلى الأمام» (٧). وفي جملته الأخيرة يوهم غاليندو أن جامع قرطبة كان كنيسة قبل أن يكون مسجداً ثم آل إلى ما كان عليه.

(٢) يفيده «إهداء» في كتاب «إلى الجذر» الصادر عام ١٩٩٤م، موجه إلى دارك ـ نيومبا في عيدها الخامس والعشرين.

كريسلام
مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية

نحن جماعة نواتها المركزية محدودة العدد بدوافع الفاعلية. متوازنة من حيث عدد أعضائها من المسلمين والمسيحيين، ولا بنية لها سوى تلك القائمة على نشاطها المنبثق عن حياة الجماعة نفسها. وهي ليست مغلقة ولا تستثني أحداً من ميادين نشاطها.

تتألف من مسلمين ومسيحيين مشبعين بالأصول الدينية التي ننتمي إليها، تجتمع لإعادة قراءة تعاليمنا الدينية قراءة مشتركة تستهدف إبراز تطلعاتها الإنسانية، قراءةً ينبغي أن تقوم على التجربة الشخصية الحية والواعية، وعلى المعرفة العلمية لكل من الدينين والثقافتين.

جماعة من المثقفين ليس لهم من غرضٍ سوى تطبيق المنهج العلمي في عملهم: «موضوعية ترفض الأحكام المسبقة، وانفتاح لاستيعاب وجهات النظر الجديدة، وتحليل ناقد تجاه الاستنتاجات التي يتم التوصل إليها» مستبعدين في لقائهم هذا أي موقفٍ تقريظي، أو جدلي، أو تبعي، أو قائم على مجرد استظهار المقولات الدينية المعهودة التي تقف حائلاً دون اللقاء الأصيل.

جماعة من الأحرار المستقلين المنضمين إليها بصفتنا الشخصية المجردة، سواء في نواتها المركزية، أم في الأطر المساعدة. فنحن لا نمثل أي جهة، ونمارس حريتنا أيضاً تجاه الجماعة نفسها، وتجاه المواضيع التي نطرحها للبحث، يستلهم المسلمون منا، مبدأ الاجتهاد المعترف به لكل مسلم تجتمع شروطه، ويستلهم المسيحيون منا نص وروح المجمع الفاتيكاني الثاني.

جماعة ملتزمة بقضية الإنسان، بالفعل أكثر من القول، التزاماً إنسانياً، منطلقه المشاكل الملموسة لإنسان اليوم، مقدمةً لعلاجها القيم

الإنسانية التي تدعو إليها الديانتان، آخذة بعين الاعتبار النظريات المعاصرة في الدفاع عن الإنسان، وباذلةً جهودها في تعرية النظم التي تستلب المرء إنسانيته، لا سيما إذا وجدت هذه النظم اللاإنسانية ضمن مجتمع الديانتين)[١].

تلك هي الوثيقة الأولى التأسيسية لـ «كريسلام»، وهي غير مذيَّلة بأي توقيعات، في جميع النسخ الصادرة باللغات الأخرى. وتكتفي الوثيقة بالإشارة إلى أن الجمعية محدودة العدد في نواتها المركزية، مؤلفة من مسلمين ومسيحيين فقط، ثم تُطنب في النواحي الموضوعية. ولا يكاد يعثر الباحث في نتاج هذه الجمعية على اسم ذي صلة مباشرة بالنواة المركزية سوى اسم غاليندو، نفسه. كما لا يلمس الزائر لمقر «دارك ـ نيومبا» التي تصدر أعمال «كريسلام» وجود أي أعضاء في المكتب المتواضع سوى شخص غاليندو، وشخص أو شخصين يقومان بأعمال السكرتارية والخدمات. ومن بين عشرات المقالات التي تضمنتها إصدارات «كريسلام» الثلاثة ـ حتى الآن ـ لعشرات من المسلمين والنصارى الذين يتفقون مع أهداف «كريسلام»، لم تجر الإشارة إلى نوع ارتباط عملي بالجمعية أو بمؤسسة «دارك نيومبا» إلا في التعريف بالكاتبة: «سيغريد فون ثيميل» بوصفها: عضوة بمركز الأبحاث الإسباني العربي والإسلامي المسيحي ـ دارك ـ نيومبا[٢] ـ، وذلك ما يؤكد ما سلف من بروز الجانب الفردي لإيميليو غاليندو في هذا المشروع، وإن كان يحرص في كتاباته على صبغها بصبغة «الجماعية» و«الدولية».

(١) PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO - CHRISTIAN. P. 19.
«بالإسبانية» نشرة لقاء إسلامي مسيحي. عدد (٥) Crislam, nuevo estilo كريسلام. أسلوب جديد.

(٢) انظر: العقيدة إلى الأمام (١٣٩).

وقد أظهرت الوثيقة التأسيسية السالفة تعريفاً مقتضباً لجماعة «كريسلام» تشعر بأنهم جماعة متحررون من الأحكام المسبقة والمقولات الدينية المعهودة، وأنهم يعيدون قراءة التراث الديني بروح إنسانية معاصرة، بذريعة «الاجتهاد» من طرف المسلمين، ونص وروح المجمع الفاتيكاني الثاني[(١)] من طرف النصارى، مع التأكيد على الصفة الشخصية للأفراد، والاستقلال التام عن أي مؤسسة قائمة، بل والسعي لتعرية تلك المؤسسات والنظم ـ الدينية خاصة ـ التي تستلب الصفة الإنسانية، وتحول دون تلاقي الديانتين، وذلك في إشارة واضحة إلى التمرد على الهيئات الدينية التقليدية، التي يعلم غاليندو ورفاقه مسبقاً أنها ستعدهم مارقين.

وقد أُتبعت الوثيقة السالفة، ببيان إلحاقي يعيد التعريف بالجماعة، ويلقي الضوء على منهجها في العمل وموقفها من المؤسسات الدينية، ننقله بتمامه أيضاً:

كريسلام
مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية

كريسلام هي جماعة من المثقفين المسلمين والمسيحيين، أحرار، ومستقلون، ملتزمون عقائدياً مع قضية الإنسان، إسهاماً في حل المشاكل الحية الراهنة المنبثقة عن الرسالتين الدينيتين، وتعرية للبُنْيات التي تحرم الإنسان من إنسانيته، ولا سيما إذا كانت قائمةً في المجتمع الديني نفسه. وهي تعلن:

١ ـ أنها تستقي وعيها من الدينين معاً، وتعيد النظر في أنظمتها المذهبية، لصياغتها بشكل يعين على النمو الروحي لكل الناس نمواً أفضل.

---

(١) راجع التعريف به في الباب الأول مبحث (حقيقة التقريب لدى الكنيسة الكاثوليكية).

لذا تعلن اعتقادها بأن المؤسسات الدينية وأساليبها وسلطاتها ينبغي ألا ترغم الفرد وتضطهده، لأن هذا يعد خطأً أخلاقياً، وعدواناً على حريته، كأحد حقوقه الأساسية وخاصة إن كان باسم الله أو الدين.

وهي تصرح بموقفها النقدي إزاء التفسيرات الشبه دينية، والشبه إنسانية، التي تتظاهر بالدفاع عن الإنسان، بينما في الواقع تخدم مصالح خاصة سياسية أو اقتصادية.

٢ ـ على المؤسسات الدينية أن تجعل من مبدأ مساواة جميع الناس في حقوقهم الأصلية عنصراً من عناصر سلوكها.

لذا تعلن الجماعة اعتقادها بأن كل ما يخرق هذا المبدأ، سواءً في المحيط المذهبي الشخصي، أو بالنسبة للديانات الأخرى، يتناقض مع الرسالة الدينية الحقيقية التي تكرم الإنسان كعضوٍ في الأسرة البشرية الكبرى، بصرف النظر عن مميزاته الفردية. وتعلن موقفها النقدي بإزاء أية عنصرية تمارس ضد الأقليات الدينية أو الجنسية أو العرقية أو الثقافية، كمحاولة لرفض سماتها وخصوصيتها.

٣ ـ على المؤسسات الدينية أن تستهدف الدفاع عن حريات الإنسان كإحدى غاياتها الرئيسية؛ لذا تعلن الجماعة مساعدتها لكل عمل يرمي إلى تحقيق حرية الضمير، والتدين، وإعلان العقيدة، واختيار شريك الحياة في الزواج، وتربية الأبناء، والتعبير الأيديولوجي، وإبداء الرأي في الدين.

وإذاً، تعلن الجماعة موقفها النقدي تجاه المحاولات التي يمكن أن تمارس لأسبابٍ عقيدية على الأشخاص، سراً أو علانية، فردياً أو جماعياً. ويجب أن يكون الإقناع هو روح المؤسسات الدينية، بدون ضغطٍ مباشر أو غير مباشر. والواقع أن هذا هو عملها النبيل ومنهجيتها

الوحيدة المشروعة، فالسبل القسرية تولد التعصب والتطاحن والعقد النفسية المختلفة. كما أنها في النهاية تحط من قيمة الإنسان وتحرمه من الأخوة الحقيقية مع جميع البشر. وبالتالي، وبهدف جعل هذا البيان حيوياً، بل باعثاً على إرادة جديدة، والتزامٍ تضامني، ينشىء «كريسلام» هيئةً دائمة ذات غايتين:

■ تربوية تسعى لخلق عقلية جديدة، وإيجاد التفاهم والمصالحة والتعاون والأخوة بين كل الناس. ويتحقق هذا من خلال دراساتٍ جدية يقوم بها متخصصون ينتمون إلى الدينين معاً، الإسلامي والمسيحي، مستعينين بذوي النيات الحسنة، المستعدين لتقديم التعاون في مجال ما أسميناه «ميادين الأنشطة» في وثيقتنا الأولى التأسيسية. وستكون هذه الدراسات أيضاً مادة لازمة، ووسيلة لتحقيق عملنا الثاني:

■ تعرية كل الأعمال المذهبية والقانونية والاجتماعية والبنيوية التي تمارس أو تعلن أو تشجع لأسباب دينية، والتي تحرم الإنسان من إنسانيته في عالمنا الإسلامي والمسيحي الفسيح)[١].

وهذا البيان يكشف عن الموقف «المستوفز» لجماعة «كريسلام» تُجاه المؤسسات الدينية، إسلامية ونصرانية، التي تتوقع إدانتها لما ستتقدم به من أفكار ناسفةٍ للثوابت العقدية لدى الجانبين، ومن ثم تعيد ضخ مبادىء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باتجاه المؤسسات الدينية في خطوة وقائية. وتشفعه ببيان منهجها في تحقيق أهدافها تربوياً ـ أي فكرياً هنا ـ وعملياً.

ويدرك «غاليندو» أن مشروعه للحوار الإسلامي المسيحي المتحرر

---

(١) PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO - CHRISTIAN. P. 17. 18.
«بالإسبانية» نشرة لقاء إسلامي مسيحي. عدد (٥) Crislam, nuevo estilo كريسلام. أسلوب جديد.

من المرجعيات الدينية، المحتكم لغايات الانفتاح وتوحيد الأديان والتقاليد والثقافات، سوف يكون مرفوضاً من جميع الأطراف المؤسسية، ويعبر عن هذا الإدراك في مواضع عديدة من تقدماته لنصوص مؤتمرات الحوار عن بعد ـ بالمراسلة ـ نقتطف منها:

(.. هذا شيءٌ في يومنا هذا، لا تقبله بطبيعة الحال، أيٌّ من المؤسستين الدينيتين لأن ذلك يتطلب بالتبعية، عدم المناداة بداءة الأمر بثقافةٍ أو بدينٍ معين..

ولن يحدث وقوع الأديان بسبب ذلك في النسبية المتشكك فيها، كما يفسرها ويخشاها كل حراس الأرثوذكسيات)[١].

(.. إن المذاهب والمؤسسات بسبب طبيعتها الداخلية المنحازة، لا تستثني غيرها، لكونها في رأيها المالكة للحقيقة المطلقة، فضلاً عن الخوف الرهيب من المنافسة)[٢].

(ينبغي التخلص من وصاية المؤسسات الدينية، التي أثبتت أنها بدلاً من أن تكون بمثابة مساعدة، فهي عقبة إضافية)[٣].

وقد أفصح «غاليندو» في مواضع عدة عما يعني بالمؤسسات الدينية التي تمثل عقبة كأداء في طريق مشروعه التقريبي بين الإسلام والنصرانية، إذ يقول: (هناك قطاعان ممن دعوناهم، كانا عسيرين بصفة خاصة؛ فمن ناحية أولئك المثقفون المسلمون ـ وهم قليلون في يومنا هذا ـ أولئك الذين يراهنون على التشكك، والتقدم بأسئلة، ومن يفعل ذلك فهم منشغلون، ونطلب منهم عن طريق الدعوات الكثيرة أن يتقدموا بأسئلتهم، وتشككاتهم، ربما أيضاً لأن أمامهم، ما زال هناك طريقٌ

---

(١) (العقيدة للأمام) (١٢ ـ ١٣) ـ من مقدمة المؤتمر الأول بالمراسلة عن بعد.
(٢) (من تقولون أني هو) (١٣) ـ من مقدمة المؤتمر الثالث بالمراسلة عن بعد.
(٣) العقيدة للأمام (٨).

ينبغي أن يقطعوه، وهم يتعرضون لأخطار أكبر لعبور هذا الطريق، رغم تجربة أساتذة الشك.

ومن ناحية أخرى، السلطات الكاثوليكية، ونقصد بهم رجال المؤسسة الدينية الكاثوليكية الذين ينبغي عليهم أن يهتموا، ويلتفتوا أكثر وأكثر، بما هو مستقر عندهم، أكثر من البحث عن شيءٍ جديد)[١].

ولم يكشف «غاليندو» وجه العسر من جانب السلطات الكاثوليكية! لقد استدرك عليهم ـ فقط ـ عدم اهتمامهم أكثر وأكثر بما هو مستقر عندهم، من البحث عن شيءٍ جديد. فهل يعني بالاستقرار هنا «بلوغ الحقيقة» وفق العقيدة النصرانية لدى الكاثوليك ـ وهو أحدهم ـ فعلام يبحثوا عن شيء جديد؟ أم يعني بالاستقرار «كثرة الأتباع» فلا داعي لإضافة أتباع جدد، بل ينبغي الاهتمام بما لديهم؟ والأمر غامض مريب على كلا التقديرين، في حين أن نقده المرير واضح جداً بالنسبة للطرف الإسلامي، الذي لا يجد منه التجاوب الذي يريد من إعلان الشك والرفض والتمرد، ويحاول أن يفسره تارة بالانشغال، وأخرى بالخطر المضاعف. ويزيد النقد وضوحاً حين يقول: (... الحقيقة جعلتنا منذ بداية الأمر ندفع الثمن: دعوة عدد متماثل من الشخصيات المسيحية والإسلامية، وكانت هذه الأخيرة أقل تجاوباً بكثير.

وثمة معلومة أخرى أكثر إيضاحاً لهذه المشكلات ذات العمق تمنع إجراء حوار حقيقي إسلامي ـ مسيحي: إن الحوار مع المسلمين لا طائل من ورائه؛ ومن بين عقباتٍ أخرى يمكن أن نذكر المتحدثين المسلمين أنفسهم، فليست لديهم رغبةٌ في الحوار، كما أنهم غير مؤهلين للدخول في حوار حقيقي. لذا فمن النادر ما يأخذون المبادرة

---

(١) إلى الجذر (١٠ ـ ١١) من مقدمة المؤتمر الثاني بالمراسلة عن بعد.

بأنفسهم بدعوة المسيحيين، باستثناء لقاءات تونس المشرِّفة[١]. وعلى سبيل العموم يقتصر الأمر بالنسبة لهم على المجاملة رداً لدعوة الجانب المسيحي... فالمسلمون ليس فحسب تنقصهم المبادرة في مثل هذه الحوارات، بل إنهم يسبحون ضد التيار. وليست تنقصهم التعليلات لتبرير هذا، فخروجهم منذ وقتٍ قليل من ربقة الاستعمار الاستيطاني الذي أخضعهم له الغرب المسيحي، وعدم ثقتهم إزاء احتمال عملية تبشيرية، وعقدتهم بأنهم آخر دين، والدين النهائي، ونقص تطبيق العقل الناقد لمصادر الرسالة. وفي حوارنا الإسلامي المسيحي دائماً ينقصنا محاورٌ قدير على مستوىً رفيع كنظيره. أما القلة الذين هم هكذا فيوصمون بأنهم متغرِّبون، وخارجون عن الفكر الإسلامي الحقيقي)[٢].

إنَّ الرجل يتحسر بمرارة أن لا يجد من الجانب الإسلامي من يجاريه في مروقه وزندقته، فاللاهثون خلف سراب «الحوار الإسلامي ـ المسيحي» من المسلمين في هذه الأزمان لا يبلغون شرطَه المتناهي في التحرر والانفلات، ولا يطفئون غلَّته في التخوُّض في دين المسلمين، وهو يبحث عن «محاور قدير على مستوى رفيع كنظيره» يريد نفسه ورفاقه، وهو ما لَن يجده إلا في سراديب إخوان الصفا، وفتوحات ابن عربي الباطنية. ولكنه يعزي نفسه بمقولةٍ مارقة تفوَّه بها بعض المنتسبين للإسلام، فيتابع قائلاً: (لذلك، هنا، والآن، ينبغي لنا أن نتابع رجاء الدكتور أركون[٣]، الموجَّه إلى المسيحيين «كي لا يفقدوا الأمل أمام التكتلات التي تسد الطرق، وأمام الرفض وعدم التفهم، ونقص استعداد المسلمين)[٤]،

---

(١) يقصد المؤتمرات التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية. انظر الفصل الثاني من هذا الباب.
(٢) العقيدة إلى الأمام (١١).
(٣) محمد أركون: تقدمت ترجمته (٧٦٤). انظر مبحث: الإسلاميون العصرانيون.
(٤) العقيدة إلى الأمام (١١).

وسوف يبدي المبحث التالي سر عدم التجاوب من جانب المسلمين وطبيعة المطالب الحوارية التي يروج لها غاليندو من خلال كريسلام.

• من خلف مكتبه في غرفة صغيرة في شُقَّة بأحد شوارع مدريد، عقد إيميليو غاليندو ثلاثة مؤتمرات دولية! وذلك بالمراسلة ـ عن بعد ـ كما يسميها، إذ يطرح في كل مرة جملة من التساؤلات والتشككات على من ينتقيهم من الجانبين الإسلامي والنصراني، بالمراسلة البريدية، ثم يضم ما تلقاه من إجابات بين دفتي كتاب، بعد أن يضع له مقدمة، ويسهم بدوره في الإجابة على ما طلب بنفسه، ويؤطره بعنوانٍ ذي دلالة رمزية، ويسميه «مؤتمراً»، رغم أنه لم يجر لقاء أو نقاش بين المؤتمرين، ولم يظلهم سقفٌ واحد. (كريسلام أرادت فقط أن تحتضن وأن توسع مدى تفكيرهم، ومدى صيحاتهم في هذا العالم)[1].

وقد عدَّد غاليندو الأسباب التي دعته إلى انتهاج هذا الأسلوب المميز في الحوار بالمراسلة، بأربع نقاط، نوجزها كما يلي:

(١ ـ حينما يتفكر المرءُ في خلوته ووحده، يصير الأمر أمامه أسهل، للهروب من الرقابة الذاتية النفسية، ومن الضغوطات الخارجية، فمهما كانت الأفكار واضحةً أمام الشخص، أثبتت لنا التجارب، أنه حينما يختلط الصدق مع الهرطقة، يجنح الإنسان للظهور أمام جمهور الحوار بمظهر الاستقامة الدينية، والسير على الخط الموروث حتى لا تنزع عنه صفة التمسك بالدين.. ويعرف الجميع أن الاستقامة الدينية، والتشبث بالحذافير قد جرجرتنا إلى رفض التشكك.

٢ ـ لما كان هذا المؤتمر بغير تنظيم من أية هيئة أو مؤسسة دينية، ولا سياسية، فإمكانات استقلاليته باتت أكبر، فالمشاركون فيه كانوا يعلمون ما سيفعلونه بصفتهم الشخصية، منفصلين بأنفسهم عن

---

(١) من مقدمة «غاليندو» لأعمال المؤتمر الثاني بالمراسلة (١١).

بعض الوظائف الهامة التي كان من المحتمل أن يتبوؤها حتى في مؤسسة من المؤسسات، حينما لا يتحدثون كناطقين باسمها...

٣ ـ ... العنصر الاقتصادي. ونحن ـ بفضل الله ـ فقراء. وإنجاز مؤتمر هو أمرٌ مكلف. وكل من قام بترتيب مؤتمر دولي يعلم ميزانيته الباهظة: الرحلات والفنادق والقاعات والترجمة الفورية، والإداريون الخ الخ، وليس هناك من يعطي شيئاً بدون مقابل...

٤ ـ خطرٌ آخر مؤكد في المؤتمرات، خاصة حينما يتعلق الأمر بالموضوعات الدينية، وذاك هو: الغرق في اعتبارات نظرية وعلمية متفادياً الموضوعات الحقيقية والمحددة، والتي مع كونها حاضرةً في نفس الجميع، فإنها تطرح جانباً، فيستغرق الإنسان في مناقشاتٍ طويلة، لا تفتح باباً، وتؤدي في نهاية المطاف إلى الانغلاق بصورة أكبر)[١].

إن الباعث الحقيقي وراء هذه الأسباب ـ بما فيها الاقتصادي ـ هو رغبة غاليندو الجارفة للغوص في الجوانب العقدية الحاسمة التي تفصل بين المسلمين والنصارى، وتململه من الأداء الشكلي لمؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي التي تشتغل بالقشور، ولا تنفذ إلى اللب تحاشياً للخلاف الأكيد. وقد قوَّم المؤتمرات الرسمية وشبه الرسمية للحوار بقوله: (إن الشيء الوحيد الذي تم بوضوح في تاريخ الحوار الإسلامي المسيحي، كان الخبرة الواقعية في المداراة)[٢]. أما القضايا الأساسية العميقة فـ (لم يكن من أحدٍ يستطيع أو يجرؤ على أن يتطرق إليها بعمق أو أن ينكرها، خشية أن يقطع هذا الخيط الرقيق أو الرهيف في علاقاتنا، وبذلك فإننا نطفىء الومضة الضعيفة الواهنة للحوار)[٣].

---

(١) العقيدة للأمام (٩ ـ ١٠).
(٢) العقيدة للأمام (٨).
(٣) إلى الجذر (٧).

وقد صدق «غاليندو» في هذا، وأن تجارب الحوار الإسلامي المسيحي تتحاشى التطرق لأصول الاعتقاد خشية الافتراق، ولا نختلف وإياه، بل نحن ـ المسلمين ـ أشد حرصاً على الوضوح والعمق والقصد إلى أصول الخلاف بدلاً من الاشتغال بالمجاملات الباردة، وهواية جمع أوجه التشابه، ولكن إلى ماذا يرمي «غاليندو» من دعوته للحوار الحقيقي العميق؟ هذا ما سيكشفه المبحث التالي إن شاء الله.

ثالثاً: محاولات «غاليندو» الفكرية للتقريب بين الأديان:

على مدى عشر سنواتٍ ـ تقريباً ـ أنجز الأب غاليندو ثلاثة مؤتمرات بالمراسلة، كان فيها «العقل المدبر» في التخطيط والتنفيذ، وجمع مادتها في ثلاثة كتب، ويبدو أنها لن تكون الأخيرة، ذلك أن هذه المؤتمرات سلسلة مترابطة يحاول «غاليندو» أن يصل في نهاية المطاف إلى نظرية متماسكة في مشروعه التوحيدي بين الأديان.

وسوف نسير مع هذه المحاولات الثلاث لتبين معالم فكر غاليندو ورفاقه.

أ ـ المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة. تنظيم كريسلام: العقيدة للأمام. المشكلات الجوهرية أمام الحوار الإسلامي المسيحي عام ١٩٨٨م.

في مقدمته لأعمال هذا المؤتمر، الأول، أشار غاليندو بعباراتٍ مشرقة إلى مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في قرطبة، وكان آخرها الذي زامن عقد هذا المؤتمر، الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على تأسيس جامع قرطبة. وَعَدَّ غاليندو أعضاء «كريسلام» أفضل ورثة على ما اصطلح على تسميته «روح قرطبة» في المؤتمر الأول الذي عقد في عام ١٩٧٤م، ثم يقول: (جاء المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بالمراسلة، لا لتكرار ما تم حينذاك، بل لنطرح على أنفسنا بصدقٍ وموضوعية وشجاعة، الموقف الحالي للحوار الإسلامي

المسيحي، وبعد تشخيص ذلك الموقف، نفتح سبلاً للمستقبل)[١].

وتشخيصه للحوار أنه «يمر بأزمة عميقة»، وأنه كوّن «خبرة واقعية في المداراة»، وأن المتحاورين يلتقون «مقلدين النعامة» التي تدس رأسها هرباً من مواجهة الحقيقة.

وبعد حملة قوية في الدعوة للتشكك استعان فيها بمقولاتٍ لبعض أئمة المعتزلة والمتكلمين، طرح ثلاثة أسئلة، قد وجهت للمساهمين في هذا المؤتمر:

(١ ـ في رأيك: ما هي الموضوعات ذات العمق التي لا نتطرق إليها بتعمق، والتي ينبغي أن لا تصير بعد ذلك أمراً «لامساس به» حتى يتطور الحوار بيننا بصدق؟

٢ ـ ما هي، في رأيك، الأسباب المحددة التي تدفعك إلى الاعتقاد بأن تناول هذه أو تلك من الموضوعات أمرٌ أساسي من أجل حوار حقيقي؟

٣ ـ اقترح بإيجاز منهجية لتناول وتطوير هذه الموضوعات من أجل أن تكون مساعينا مثمرة فعلاً)[٢].

وقد نشر غاليندو في كتاب «العقيدة للأمام» خمسة عشر مقالة، سوى ما كتبه هو، ثلاثة منها فقط لكتابٍ يحملون أسماء إسلامية، والباقون نصارى، وصدَّر كل مقالة بنصوصٍ مختارة أراد إبرازها، لكونها تتفق مع أفكاره الخاصة. ونعرض أدناه مقتطفاتٍ من تلك النصوص:

---

(١) العقيدة للأمام (٧، ٩).

(٢) المرجع السابق (٩).

١ ـ المونسينور: هنري تِيسير[١] «Monsenor Henri Teissier»:

• (في الحقب القادمة ستكون العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واحدة من المكونات الرئيسية للسلام في العالم.

• الحوار الإسلامي المسيحي يرتكز من الجانب المسيحي على نصف قرن من الإعداد. ومن جانب المسلمين، فهم الآن يسبحون ضد التيار.

• المتحاورون المسيحيون والمسلمون لا تساندهم مجتمعاتهم بصورة متساوية.

• المسلمون الذين يبذلون جهودهم لحمل مجتمعاتهم للحوار مع الآخرين لا يتبعهم رجال الدين. وليس بإمكانهم إلزام جماعاتهم بتغييرات عقلية لها وزن.

• إن نقد مصادر التقليد الإسلامي ـ بالمعنى الحديث للكلمة[٢] ـ هو أمرٌ غير مقبول حتى الآن في المجتمعات الإسلامية.

---

(١) ولد في مدينة ليون «فرنسا» عام ١٩٢٩م. درس بفرنسا والمغرب والقاهرة والجزائر. حصل على الإجازة في اللاهوت، وعلى دبلوم في اللغات السامية من المعهد الكاثوليكي في باريس. حصل على الجنسية الجزائرية عام ١٩٦٩م، وشغل المناصب التالية:
مدير مركز اللغات والكهنوت في الجزائر من عام ١٩٦٧م ـ ١٩٧٢م.
أسقف وهران. عام ١٩٧٢م، كبير الأساقفة في الجزائر عام ١٩٨١م.
عضو الأمانة الفاتيكانية لغير المسيحيين منذ عام ١٩٧٣م، وعضو المجمع الكنسي منذ عام ١٩٨٣م.
من مؤلفاته: الكنيسة في الإسلام، تأملات حول الوجود المسيحي في الجزائر.

(٢) إن مصطلح «تقليد» ـ «Tradition» الذي يعبر به النصارى عن مجموعة النظم والآداب والأعراف الدينية لدى المجتمعات غير النصرانية، مرفوض من وجهة النظر الإسلامية. ذلك أن العبادات، أو نظم الحياة المختلفة في الإسلام ليست تقليداً ذا مصدر بشري، بل هي مقتضى الرسالة الإلهية، والوحي الذي نزل على محمدٍ ﷺ.

• إن التصريحات الرامية للمصالحة الصادرة عن اللقاءات الرسمية، لا تتطابق مع أي تغير حقيقي في السياسات الدينية، وبصفة خاصة مع الأقليات)[١].

إن هذه التقريرات من محاور نصراني ضليع، ذي منصب كنسي رفيع ـ أسقف الجزائر ـ لتكشف عن روح الإحباط، والتململ، واستبطاء النتائج والثمار المرجوة من الحوار، والشعور المؤلم بأن محاوريهم من المسلمين لا يمثلون وزناً في مجتمعاتهم الإسلامية، ولا تأثيراً على القيادات الدينية.

٢ ـ محمد أركون[٢]:

• (لا يزال هناك مجال للتقدم برجاءٍ للمسيحيين حتى لا ييأسوا أمام الانغلاقات والرفض، وعدم التفهم، ونقص الاستعداد، والتأهيل عند المسلمين.

• كذلك كي يأخذ المسيحيون أكثر على محمل الجد ضرورة إحداث ثورة اجتماعية، كشرطٍ مسبق لأي حوار إسلامي مسيحي يهودي، وهو حوار في نهاية المطاف سيعاش ويمارس على أساس أنه غزو لفكر ديني جديد.

• إنه في داخل منظور دلالي، مُختَلّ، مُعَمَّم، وغير منضبط، ينبغي التفكر حوله، ليس الآن حول الحوار الإسلامي المسيحي، وهو إطار ضيق إلى حدٍ كبير، وتعبير تخطيناه، بل حول رجل الدين الذي نتخيله.

• قبل الجلوس للتناقش حول عقائد الأديان، المنمطة والمفروضة من لدن لاهوتيين محدودين بثقافة زمانهم، من الضروري التعجيل

---

(١) العقيدة للأمام (١٥).

(٢) سبقت ترجمته (٧٦٤).

بالعمل حول كيفية عمل مجتمعاتنا ونظمنا السياسية وثقافاتنا)[١].

هذا اللون من الكتاب المتهالكين على الغرب النصراني هم بغية غاليندو، وعزاؤه، كي يكون طليعة للتبشير بالفكر الديني الجديد، وإعادة توصيف رجل الدين المطلوب للمرحلة.

٣ ـ رايموندو بانيكّار «Raimundo Panikar»[٢]:

• (إن القضية التي تطرحها آسيا وأفريقيا أو أمريكا هي إيضاح: إن كانت المسيحية تريد أن تظل ديانة توحيدية ذات صبغة إبراهيمية، أم أنها مستعدة للانفتاح على مَيْل واستعدادٍ لا ريب فيه، بدون أي ثقة أخرى، سوى الإيمان بالمسيح، وبدون أي ضمانةٍ أخرى، سوى وعد الروح.

• إن المحجر البشري للأسرة الدينية ـ الثقافية ـ الإبراهيمية التي تندرج فيها المسيحية والإسلام، ليست هي العرق ولا الثقافة الوحيدة، ولا أيضاً الطبقة الدينية الوحيدة في محجر الإنسانية.

• جميع الكتابات المقدسة، والصياغات جميعها يمكن أن يفهم من زاوية خاصة، فليس هنالك ولا يمكن أنه يوجد رؤية وحيدة إنسانية عالمية.

• يستلزم عقد لقاء ديني حقيقي، قبولاً حقيقياً، من الجانبين، بأن كتبهم الدينية وكذلك مفاهيمهم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية، إنما هي صحيحة ومفهومة في سياقٍ معين.

---

(١) العقيدة للأمام (٢٩).

(٢) ولد في برشلونه عام ١٩١٨م لأبٍ هندي وأم كاثوليكية. دكتور في الكيمياء والفلسفة واللاهوت رسم كاهناً عام ١٩٤٦م، أستاذ بعددٍ من الجامعات الأوروبية والأمريكية والهندية. من مؤلفاته: الهند: أهلها وثقافاتها ط ١٩٦٥م. الآلهة والرب. ط ١٩٦٧م، السر والتنزيل ط ١٩٧٠م الحوار بين الأديان. ط ١٩٨٥م. كتب حوالي ثلاثين كتاباً، وقرابة ألف مقالة. العقيدة للأمام (٣٧).

• إن الإيمان الحي يتخطى حدود كل إيمانٍ أرثذوكسي[١]، فيهرب من عبء التاريخ ومن ذكرياته الثقافية المكتوبة)[٢].

ولعل هذا الكاتب من أقرب هؤلاء لفكر غاليندو، في دعوته للانفتاح العالمي الذي يخلص «النصرانية» نفسها من الصبغة الإبراهيمية، وإشادته بالنسبية والتعددية، وهي المعاني التي يدندن حولها غاليندو، ومن ثم يكثر الاستشهاد بأقواله.

٤ ـ رفائيل إيستبان بيراستيغي[٣] Rafael Esteban Verastegui:

• (لقد تطورت لغة التعبير الديني عندنا، عبر العصور، ليس في مناخ لقاءٍ سلمي وبنَّاء مع المؤمنين من ديانات أخرى، ولكن بعكس ذلك في مناخٍ يسوده الترِيُّب والتعارض والخوف، ورغبة في غزو الآخر.

• نحن بحاجةٍ إلى لغة تواصلية مع أشخاصٍ من دياناتٍ ومعتقدات أخرى...

• الحوار لا يمكن أن يقوم به رجال اللاهوت، بل من قبل أشخاصٍ عبر أزمات جذرية وصلوا إلى ما وراء اللاهوت..

---

(١) مراده بـ «الأرثذوكسية» هنا العقيدة الرسمية المعترف بها لدى كل دين، وهي تعني من حيث الوضع اللغوي «الاستقامة العقدية». انظر: المورد (٦٣٩).

(٢) العقيدة للأمام (٣٧).

(٣) ولد في بيتوريا ـ إسبانيا ـ عام ١٩٣٩م، رسِّم كاهناً عام ١٩٦٤م، حصل على الدكتوراه في اللاهوت من روما عام ١٩٦٨. عين أستاذاً للاهوت في غانا على مدى ست سنين ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦م. كان مديراً لمركز المعلومات والتوثيق الإفريقي «CIDAF» سيداف، التابع للآباء البيض ومقره مدريد. حالياً هو أستاذ في الديانات الإفريقية والإسلام والتنمية الاقتصادية لبلدان العالم الثالث في معهد البعثات التبشيرية بلندن. من مؤلفاته: الديانات غير المسيحية على مدار التاريخ، «الخلاص» عام ١٩٦٩م، المغامرة المسيحية الرامية إلى التقاء الأديان ط عام ١٩٧٨م. العقيدة للأمام (٤٧).

• التاريخ جعلنا جميعاً أصوليين، فقد ألفنا استخدام قناعاتنا أو «حقائقنا» كسلاحٍ قاذف يمكن لنا به أن نهزم العدو.

• لا يمكن إقامة لقاءٍ بين الأديان، لأجل الله... اللقاء لا يمكن أن يتم إلا عند الاحتياج لله، إلى العطش إليه)[١]، ويلتقي مع غاليندو في فكرة اللغة الدينية الجديدة لتحقيق التواصل بين الأديان.

٥ ـ مونسينور: بيير كلافري[٢] Monsenor Piere Claverie:

• (الحوار ليس أمراً ثابتاً جامداً، بحيث يظل كل جانب متخندق في مواقفه، أو محاولاً جذب الآخر نحوه، بل إنه موجودٌ بداخل البحث عن الحقيقة الإلهية، التي لم يمتلكها أحدٌ بكاملها.

• من جانب المسلمين، فمن النادر أن تجد متحدثاً يكون من الناحية الفكرية والثقافية معاصراً لأقرانه المسيحيين. والعلوم الإسلامية مهما كان تطورها في إطار منطقيتها وعقلانيتها لم تخضع حتى الآن لتجربة «أساتذة التشكك» التي اعتورت الفكر الغربي.

• إن غياب الروح الناقدة شبه الكامل، وكذلك نقص التساؤلات يمنع التقدم في الفهم، ويقصر الحوار على التأكيدات القاطعة، والتي طبقاً لها فإن كل قضية تطرح تكون غير مقبولة، ويمكن أن تكون حتى تجديفية.

• أعتقد ضرورة العودة إلى الحاجة، وأيضاً التعجل في عقد

---

(١) العقيدة للأمام (٤٧).

(٢) ولد في الجزائر عام ١٩٣٨م. التحق برهبانية القديس دومينغو، حصل على الإجازة في اللغة العربية، نشر ترجمة لمصنف ابن رشد «تهافت التهافت». كان مديراً لمعهد الدراسات الأبرشية في الجزائر. وفي عام ١٩٨١م عيّن أسقفاً لطهران. من مؤلفاته: «حول تحول شخصٍ لدينٍ آخر». العقيدة للأمام (٥٧).

حوار في «الحقيقة». وهذا يترتب عليه أن نحترم بعضنا بعضاً بدرجة كافية تتيح لكلٍ منا أن يجد نفسه بحرية كاملة)[١].

إن هذا اللمز والطعن الذي ينبز به هؤلاء النصارى الضالون، المسلمين وعلومهم، في محاولة لاستدراجهم وإغرائهم بولوج غياهب الظلمات التي تخبط بها أسلافهم من أهل الشك والضلال ليذكرنا بموعظة الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]:

٦ ـ عبد الرحمن شريف شيرغي[٢]:

• (الحوار بين الأديان يصبغ الدين بصبغة لاهوتية، في حين أن الدين ينبغي أن يصطبغ بصبغة «إنسانية». وهو ينطلق من فرض نفسه، بينما الدين هو الحرية. ولدي انطباعٌ بأنه لن يكون هنالك حوار ما، إن انطلقنا من فرضيات لاهوتية مسبقة. على النقيض من ذلك فالله يوحّد بيننا، واللاهوت يفرقنا. فبدلاً من اللاهوت، فليكن عندنا الناسوت، فعلينا أن نعيد للإنسان وضعيته من الله وإليه، كمصدر للمحبة والأخوة والتحرر)[٣].

لو لم يصدَّر هذا النص بالاسم الإسلامي «عبد الرحمن»، لم يخامر القارىء شك بأن كاتبه نصراني متحرر، لم يشم رائحة الإسلام! والعبرة بالمعاني لا الأسماء.

---

(١) العقيدة للأمام (٥٧).

(٢) ولد في الناضور ـ المغرب ـ عام ١٩٣٩م. بعد إتمام دراسته الثانوية في المغرب شرع في دراسته العليا في مدريد، فحصل على الإجازة الجامعية في الفلسفة والآداب، قسم علوم التربية بجامعة مدريد المركزية. وحصل على العالمية في علم النفس من جامعة مدريد المستقلة، وعمل بها أستاذاً بقسم اللغة العربية. من مؤلفاته: الجانب الإنساني والجانبي الإلهي في الشريعة الإسلامية، المفهوم الذاتي عند ابن عربي. العقيدة للأمام (٦٧).

(٣) العقيدة للأمام (٦٧).

٧ ـ أنطونيو كاسترو ثافر[١] Antonio Castro Zafra:

• (إن الموضوع الأساسي الذي يسد سبل أي مشروع للحوار بين الأديان هو أن كل واحدةٍ من المجتمعات الدينية تجعل الحقيقة هي حقيقتها وحدها، والحقيقة الكاملة لها وحدها.

• إن مشكلة سلطة رجال الدين تبدو إن لم تكن أولى المشكلات، فإنها بالفعل إحدى القضايا الرئيسية أمام أي دين، أمام أي حوار مفيد بين الأديان.

• إن مجتمعاً دينياً بدون سلطة، أو بالأحرى وأكثر دقة، إن مجموعة من المجتمعات الدينية المتحاورة تنسلخ من السلطة، يمكن أن تحدث هزة عنيفة في مواقف كل مجتمع.

• حينما يكون أحد المجتمعات الدينية قد تنازل رسمياً، وبصراحة، عن العزلة الناجمة عن استثناء الآخرين، وعن القدح في الآخرين، أي في السلطة، فالخطوة التالية ينبغي أن تكون صبغ هذا المجتمع بالتسامح. . .)[٢].

هذا هو شرط الحوار كما يراه دهاقنة «كريسلام»: الانخلاع من الجذور، والحيدة عن الثوابت، وهز ثقة الأمة بعقيدتها، فيذروها كالمعلقة.

---

(١) ولد في «مالقة»، إسبانيا ـ عام ١٩٢٨م، وحصل على الإجازة في التاريخ الكنسي من جامعة غريغوريو في روما. حصل على الإجازة في القانون المدني من جامعة مدريد المركزية. صحفي. من مؤلفاته: روما والقسطنطينية، المجمع الفاتيكاني الثاني، سيرة يوحنا الثالث والعشرين، بيو الثاني عشر: هكذا صرت بابا. العقيدة للأمام (٧٩).

(٢) العقيدة للأمام (٧٩).

٨ ـ جورج قنواتي[١]:

• (مما لا غنى عنه، ضرورة انتقاء من نتحدث إليهم. لقد أثبتت التجربة أن التوجه إلى من يمثلون الإسلام رسمياً، «الأزهر وغيره من الهيئات الإسلامية»، هو بمثابة التعرض لحوار الصُّم. فهؤلاء الأشخاص ينتمون إلى قرون أخرى. والحوار معهم حوار عقيم وخَطِر.

• إن مفهوماً دينياً تقوم عليه الدولة يكون بالضرورة حكماً شمولياً، فهو يستحيل سياسياً واجتماعياً إلى حكم قهري)[٢].

• إن هذه الكلمات نفثات مصدور، أبلى شبابه في ترسيخ جمعية «الإخاء الديني»، و«الأيام الدومينيكانية» في «القاهرة»، منذ عام ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م، وحز في نفسه عدم مسارعة أهل الإسلام إلى فكرته، وإنكار علمائهم لها.

٩ ـ فيديريكو بيروني[٣] Federiceo Peirone:

• (لدي انطباع من جانب ومن آخر، أنّه تسود حالة خوف من

---

(١) جورج بن شحاتة قنواتي: مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينكان الكاثوليك في العباسية بالقاهرة. ولد سنة (١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م) في الإسكندرية، من أصل سوري، وتخرج مهندساً كيماوياً في جامعة ليون ـ وانضم إلى الرهبانية الدومينكانية عام (١٩٣٤م) وتخصص في الفلسفة واللاهوت، واشتغل بأعمال ابن سينا، وابن رشد. وكلف من قبل جامعة الدول العربية بالبحث عن مخطوطات ابن سينا في مكتبات العالم، ونشر نتائج بحثه عام (١٩٥٠م) في كتابه: «مؤلفات ابن سينا». توفي سنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

انظر: تتمة الأعلام. محمد خير رمضان يوسف (١/١١٨)، ذيل الأعلام. أحمد العلاونة (٦٠).

(٢) العقيدة للأمام (٨٩).

(٣) ولد في «تورين» ـ إيطاليا ـ دكتوراه من جامعة لشبونة عنوانها: «المسيح عيسى في القرآن» دبلوم في اللغة العربية من تونس. أستاذ لمادة «نظرية الإسلام» بكلية «ميلات»، وأستاذ مساعد للغة العربية وآدابها في جامعتي=

التطرق بعمق للموضوعات التي تفرق بيننا، خوف أنه يوجه أحدنا إهانة للآخر. لذا ينبغي علينا أن نتقبل بهدوء الانتقادات والملاحظات من جانب المسلمين. أقول: بهدوء. ولكن أيضاً نريد المقابل لذلك: أن يقبل الجانب الإسلامي وجهة نظرنا بهدوء.

• حتى الآن، فإن اللقاءات الإسلامية المسيحية للحوار، قد اقتصرت على عروضٍ تتسم بالنفاق بصورة أو بأخرى، «أو على الأقل متذبذبة»، حول ما يوحد بيننا في مجال «الأنثروبولوجيا» أو الحياة المنصرمة.

• إن التأكيد الذي يقول، إنه في نهاية المطاف، يوجد إلٰه واحد، متساو بالنسبة للجميع، ومن ثَمَّ فالمسلمون والمسيحيون هم في مكانهم الصحيح، إنما هو تأكيد لا يتجاوب والحقيقة. إن هذا مكانٌ مشاع وسطحي.

• حينما نتكلم مع مسلمين من غير المثقفين نأخذ انطباعاً بأن حواراتهم إنما تدور دائماً حول الفكرة الثابتة، والتي مؤداها: نفي ألوهية عيسى)[١].

وتلك نصوصٌ صريحة وخطيرة في تقويم تجربة الحوار الإسلامي ـ المسيحي المنصرمة، وطبيعة الحوار والمتحاورين، صادرة عن عضوٍ في اللجنة الدائمة للحوار في الفاتيكان، وإن بصفته الشخصية، كما أكد غاليندو.

= تورين، وبافيا. عضو ومستشار باللجنة الدائمة للحوار الإسلامي المسيحي. أهم أعماله ترجمة معاني القرآن بتعليق وملاحظات باللغة الإيطالية عام ١٩٧٩م، طبعت أكثر من خمس طبعات، «الحركة الإسلامية في ميلان» ط ١٩٨٣م، الروحانية الإسلامية. ط ١٩٨٣م، ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (٩٧).

(١) العقيدة للأمام (٩٧).

١٠ ـ عبد الوهاب بوحديبة[١]:

• (إن الجهل المتبادل لكل طرفٍ نحو الآخر، يبدو في رأيي هو أكبر عائق أمام الحوار. وعلى أساسه فإن كثيراً من المسلمين لا يشعرون على الإطلاق بأي نوع من الاهتمام بممارسة ذلك.

• هناك مشكلة ضخمة تُسَمِّم حوارنا: موقفنا تجاه اليهودية، ينقصنا أن نجابه ذلك وجهاً لوجه وبشجاعة.

• وحقيقة الأمر، فالذي يحدث هو كما لو كان الحوار الإسلامي ـ الإسلامي يُعَدُّ شيئاً أصعب، وبالتالي أكثر أهمية من الحوار الإسلامي ـ المسيحي. ولما كان ينقص المسلمين مؤسسة توحيدية وتنسيقية على شاكلة «الكنيسة» أو «مجمع الأساقفة» فإن المسلمين يتفرقون)[٢].

١١ ـ موريس بورمانس Maurice Bormans:

• (إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين، دائماً، منذ نشأة الإسلام الأولى كان أمراً صعباً.

• أوَ من الممكن أن نُخضع، على قدم المساواة، النصوص المقدسة، «الكتاب المقدس والقرآن» لنفس متطلبات النقد التاريخي.

---

(١) ولد في القيروان ـ تونس ـ عام ١٩٣٢م. حصل على دكتوراه الدولة من باريس عام ١٩٧٢م. عمل أستاذاً لعلم الاجتماع الإسلامي في جامعات تونس وكيبك ومنتريال ولييج ولوفانيا وأبيجان. خبير دائم بهيئة اليونسكو في الفترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢م. خبير بهيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان منذ عام ١٩٧١م. مدير مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بجامعة تونس منذ عام ١٩٧٢. عضو مؤسس ونائب رئيس الرابطة التونسية لحقوق الإنسان منذ ١٩٧٨م. رئيس اللجنة العربية الدائمة لحقوق الإنسان منذ عام ١٩٨٣م، من مؤلفاته: الجنس في الإسلام. ط ١٩٧٥م، الحوار والسياسة ط ١٩٧٩، سبب الوجود ط ١٩٨٠م. العقيدة للأمام (١٠٧).

(٢) العقيدة للأمام (١٠٧).

• يوجد خطر قصر الحوار على الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، متناسين البحث عن الله في العالم المعاصر.

• إن الرجال القائمين على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين فعليهم التزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر بحقه في القيام بمهمته الرسولية، بل وأيضاً واجب القيام بعمل تبشيري.

• قد يكون من قبيل اللعب على المكشوف قبول حرية أن يغير المرء دينه، حينما يكون ذلك بمحض الإرادة، بقرار نضج بعد وقتٍ طويل ولأسبابٍ جادة. المسيحيون تنازلوا عن تطبيق أي عقوبة في حالة الرد.

• توجد عقبة يبدو من الصعوبة بمكان إمكان تخطيها، تتعلق برسالتين عالميتين تتجابهان، وتتنافسان، وتتجاهل كل منهما الأخرى. وهناك صعوبة أخيرة يصعب إلى حدٍ كبير إعطاء تفسير مشترك لها، وتلك هي المتعلقة بحقوق الإنسان في يومنا هذا)[١].

١٢ ـ سيغريد فون ثيميل[٢] Sigride Von Thimmel:

• (إن ديانتين توحيديتين تتصارعان بسبب مفهومهما عن الإله إنما يبرهنان على أنهما ديانتان شركيتان.

• إن كان الإسلام هو ما يطرحه كتعريفٍ له ممثلوه الرسميون، فليس يستأهل أن نشغل أنفسنا به. فمن يهمه في عصرنا هذا، دين

---

(١) العقيدة للأمام (١١٧).

(٢) ولدت في برشلونة ـ إسبانيا ـ وحصلت على الإجازة الجامعية في تاريخ العصور الوسطى. عضوة بمركز الأبحاث الإسباني العربي والإسلامي المسيحي «دارك ـ نيومبا». من مؤلفاتها: غاية نحو المشرق، والخروج من ناحية الغرب. ط ١٩٧٧م، كتب المرحلة الثانوية والإسلام، مقالة في العدد ٦ من نشرة لقاء إسلامي مسيحي ط ١٩٨٣م، مزامير صوفية ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (١٣٩).

وكيفية حياة شديدة القسر والقهر[١] كذلك متعصبة، متحزبة؟

• فقط بسبب العقلية السائدة في الكتاب المقدس، يصبح من الممكن أن نفسر لماذا تنزعج الكنيسة المؤسساتية على الدوام، بمجرد أن ينبري أحدٌ للحديث عن إلهٍ يحب بالتساوي جميع البشر، ويحترم بالتساوي حرية كل فرد)[٢].

وصاحبة هذه الأفكار الجريئة الفجّة، عضوٌ في «دارك ـ نيومبا» التي يديرها غاليندو.

١٣ ـ جوسيت جيان غوينول[٣] Jeusset Jean Gwenole:

• (إن النقاط التي أشعر أنها تحاصر اللقاء بين جماعتينا، يمكن أن أوجزها في خمس: صعوبة قبول التعددية الدينية، الاتفاق المؤلم حول معنى الكلمات، الاعتراف عسير المنال بالآخر، مشكلة التحول لدين آخر، وعدم وجود مقابلة بالمثل للنقد الذاتي.

• في يومنا هذا فإن النقد الذاتي غير معترف به حتى الآن في الإسلام، كحاجة.

• يجد المسلمون أمراً عادياً تماماً أن يعترف المسيحيون لأخوتهم بحق الانتقال للإسلام، وأقران المسلمين الذي قد يرغبون في التحول للمسيحية، أليس بإمكانهم الحصول على نفس الحرية؟

---

(١) انظر في بيان هذا المفهوم النصراني الباطل للإسلام: توجهيات في سبيل الحوار. لموريس بورمانس (٩٩ ـ ١٠٠)، (١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) العقيدة للأمام (١٣٩).

(٣) ولد عام ١٩٣٥م في فرنسا. التحق بالآباء الفرنسيسكان عام ١٩٥٤م، ورسِّم كاهناً. رحل عام ١٩٦٨م إلى ساحل العاج، وتولى شؤون العلاقة بالمسلمين عام ١٩٦٩م. وفي نفس العام عين عضواً باللجنة الأسقفية للعلاقات مع المسلمين غرب أفريقيا، ثم رئيساً للجنة الدولية للفرنسيسكان للعلاقات مع المسلمين. من مؤلفاته: صديق الإله وصديقنا: الحاج أبو بكر ساخو. ط ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (١٤٩).

• في هذه الحياة نحن نعيش معاً متساوين. أهذا يكون أمراً متمشياً مع الإيمان الإسلامي؟ هذا السؤال الذي يفرضه المستقبل، والذي لا نفتأ نشير إليه)[١].

والجواب على هذه التساؤلات النابعة من روح الحسد والرغبة في استزلال المسلمين نحو الكفر قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم]، وقوله: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

١٤ ـ غبريال عبّود أوزون[٢]:

• (على أساسٍ من الثالوث: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمة، يرتكز هذا الاستئثار بين عناصر لها ـ حسب قولها ـ نفس إلهٍ واحد.

• إن «نرجسية»[٣] الأديان تحمي وتنمي الطفولية الأبدية لتابعيها، وتعوق الوصول لسن البلوغ في العقيدة.

• نحن جِدُّ أطفال، فنضع ونفرض على الله الكلمة الأخيرة، وحدوداً ضيقة لمحبته للبشر، وتنزيل تاريخي واحد وأوحد.

• نحن ننسى، بسبب نقص النقد الذاتي، أنه بسبب أن الأمر يتعلق بحدثٍ تاريخي، أنه ما من تنزيل مكتوب يمكنه أن يحتوي، ويحدد كلمة الله)[٤].

---

(١) العقيدة للأمام (١٤٩).

(٢) ولد في حلب ـ سوريا ـ عام ١٩٤٥م ـ حصل على الجنسية الإسبانية. ودرس الطب في بلنسية وغرناطة. تخصص في علم النفس بالمستشفى الإكلينيكي بمدريد.

(٣) النرجسية: حالة الشخص المستغرق في حب ذاته والإعجاب بها. نسبة إلى زهرة النرجس، كما في أسطورة يونانية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٨٢٩).

(٤) العقيدة للأمام (١٦١).

١٥ ـ بول خوري[١]:

• (إن التساؤل حول الدين، وأساسه هو الوسيلة الوحيدة لفك جمود الحوار بين الأديان، وإعطائه مضموناً.

• المسلمات العقدية ينبغي أن يحل مكانها موقف ناقد. ينبغي جعل الأشياء المطلقة أموراً نسبية.

• التسامح يفترض وجود علاقة تفوق وتَدَنٍّي؛ الحوار يفترض المساواة بين الأشخاص والجماعات.

• فقط نحتاج لشيءٍ ضروري: أن نعيش الإيمان: بمعنى أن يترك الإنسان نفسه يعمل حسب المعنى الذي يسكن بداخله. وفقط الإيمان هو الذي يقود إلى الله)[٢].

وبتحليل النصوص التي أبرزها «غاليندو» من إجابات المشاركين في مؤتمره الدولي بالمراسلة عن بعد، لمعالجة «المشكلات الجوهرية أمام الحوار الإسلامي المسيحي»، والإجابة على أسئلته الثلاثة حول الموضوعات العميقة التي يتحاشاها الحوار، وأسباب أهميتها ومنهجية تناولها، نجد أولاً إجماعاً على نقد مسيرة الحوار، وعدم نهوضه بالتطلعات التي يرجوها المشاركون على اختلاف انتماءاتهم الدينية والطائفية. فالحوار بين المسيحيين والمسلمين، دائماً، منذ نشأة الإسلام الأولى كان أمراً صعباً (بورمانس)، والآن، فإن اللقاءات قد اقتصرت على عروضٍ تتسم بالنفاق بصورة أو بأخرى، أو على الأقل متذبذبة

---

(١) ولد في لبنان عام ١٩٢٢م. كاهن يوناني ملكاني، دكتوراه في الآداب من جامعة ليدن بهولندا. أستاذ الفلسفة بجامعة الكسليك من مؤلفاته: الإسلام والمسيحية، حوار ديني وتحد معاصر. ط ١٩٧٣م، قراءة في الفكر العربي ط ١٩٨١م. العقيدة للأمام (١٩٣).

(٢) العقيدة للأمام (١٩٣).

(بيروني)، والتصريحات الرامية للمصالحة الصادرة عن اللقاءات الرسمية لا تتطابق مع أي تغير حقيقي في السياسات الدينية (تيسير).

ومن ثم فسنقوم بتلخيص أبرز العوائق التي تعترض «الحوار الحقيقي» في نظر الدائرين في فلك «كريسلام»، ثم نتبعها بالحلول والاقتراحات التي يستشرفونها للمستقبل.

أولاً: العوائق:

١ ـ المسلمون أنفسهم: لأنهم الآن يسبحون ضد التيار، ويرفضون نقد مصادرهم (تيسير)، (غوينول)، ويعانون من الانغلاقات والرفض، وعدم التفهم، ونقص الاستعداد، والتأهيل، (أركون). ومن النادر أن تجد من جانب المسلمين متحدثاً يكون من الناحية الفكرية والثقافية معاصراً لأقرانه المسيحيين (كلافري). فلقد أثبتت التجربة أن التوجه إلى من يمثلون الإسلام رسمياً «الأزهر وغيره من المؤسسات الإسلامية» هو بمثابة التعرض لحوار الصُّم، فهؤلاء الأشخاص ينتمون إلى قرونٍ أخرى (قنواتي)، وهم يدورون في حواراتهم دائماً حول فكرة ثابتة مؤداها نفي ألوهية عيسى (بيروني). ويجدون من العادي تماماً أن يعترف المسيحيون لإخوانهم بحق الانتقال إلى الإسلام دون أن يقابلوا ذلك بالمثل بمنح الحرية لمن قد يرغب من المسلمين في التحول للمسيحية (غوينول). ولا يتنازلون عن تطبيق عقوبة الردة كما فعل المسيحيون (بورمانس). لأن التساوي بين أتباع الديانات لا يتمشى مع الإيمان الإسلامي (غوينول).

والمثقفون منهم لا تساندهم مجتمعاتهم، ولا يتبعهم رجال الدين، ولا يملكون حمل جماعاتهم على تغييرات فكرية ذات وزن (تيسير)، فضلاً عن ندرتهم أصلاً (كلافري).

وأخيراً، فالمسلمون تنقصهم مؤسسة توحيدية وتنسيقية كالكنيسة

ومجمع الأساقفة، فمن ثم يتفرقون (بوحديبة)، ولهذا يعد الحوار الإسلامي ـ الإسلامي، أصعب من الحوار الإسلامي المسيحي (بوحديبة).

٢ ـ **ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة:** هو الموضوع الأساسي الذي يسد سبل أي مشروعٍ للحوار بين المجتمعات الدينية (كاسترو).

٣ ـ **غياب الروح الناقدة شبه الكامل** (كلافري)، حيث تسود حالة من الخوف من التطرق بعمق للموضوعات التي تفرق بيننا، خوف أن يوجه أحدنا إهانةً للآخر (بيروني). وفي يومنا هذا فإن النقد الذاتي غير معترفٍ به حتى الآن في الإسلام كحاجة (غوينول).

٤ ـ **سلطة رجال الدين:** إن لم تكن أولى المشكلات، فإنها بالفعل إحدى القضايا الرئيسية أمام أي حوار مفيد بين الأديان (كاسترو)، فالحوار لا يمكن أن يقوم به رجال اللاهوت (بيراستيغي)، فقبل الجلوس للتناقش حول عقائد الأديان المنمطة والمفروضة من لدن لاهوتيين محدودين بثقافة زمانهم، ينبغي التفكر حول رجل الدين الذي نتخيله (أركون). فإذا كان الإسلام هو ما يطرحه ممثلوه الرسميون فليس يستأهل أن نشغل أنفسنا به، كما أن الكنيسة المؤسساتية تنزعج على الدوام بمجرد الحديث عن إلهٍ يحب ويحترم حرية البشر (ثيميل).

٥ ـ **لغة التعبير الديني:** التي تطورت في مناخٍ يسوده التريُّب والتعارض والخوف والرغبة في غزو الآخر، حتى جعلَنا التاريخ جميعاً أصوليين (بيراستيغي)، فلن يكون هنالك حوار ما إن انطلقنا من فرضيات لاهوتية مسبقة (شيرغي) تؤدي إلى عدم اتفاق حول معاني الكلمات (غوينول).

٦ ـ **الجهل المتبادل من كل طرفٍ نحو الآخر** هو أكبر عائقٍ أمام الحوار (بوحديبة) بين رسالتين عالميتين تتجابهان، وتتنافسان، وتتجاهل كل منهما الأخرى (بورمانس).

٧ ـ **الانغلاق على نمطٍ إيماني معين،** كالمحجر البشري للأسرة

الدينية ـ الثقافية الإبراهيمية التي تندرج فيها المسيحية والإسلام (بانيكّار)، حيث نضع ونفرض على الله الكلمة الأخيرة، وحدوداً ضيقة لمحبته للبشر، وتنزيل تاريخي واحد أوحد (عبُّود)، مما يؤدي إلى صعوبة قبول التعددية الدينية (غوينول).

٨ ـ عدم وجود تفسير مشترك لحقوق الإنسان، والحريات الدينية، في تغيير المرء دينه والقيام بالعمل التبشيري (بورمانس)، (غوينول).

٩ ـ ثالوث الاستئثار: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، كنتم خير أمة. (عبُّود).

١٠ ـ الموقف من اليهودية مشكلة تسمم الحوار. (بوحديبة).

ثانياً: الحلول:

١ ـ إحداث فكرٍ ديني جديد: عن طريق ثورة اجتماعية، كشرطٍ مسبق لأي حوار ديني (أركون).

٢ ـ إيجاد لغة تواصلية مع أشخاصٍ من ديانات ومعتقداتٍ أخرى (بيراستيغي).

٣ ـ إخضاع الكتب المقدسة، الكتاب المقدس والقرآن لمتطلبات النقد التاريخي (بورمانس). فنقص التساؤلات يمنع التقدم في الفهم (كلافري)، والمسلمات العقدية ينبغي أن يحل محلها موقفٌ ناقد (خوري)، مع الاحترام المتبادل (كلافري)، وتقبل الانتقادات بهدوء (بيروني).

٤ ـ جعل الأشياء المطلقة نسبية (خوري). فجميع الكتابات المقدسة والصياغات اللاهوتية جميعها يمكن أن يفهم من زاوية خاصة، فليس هنالك ولا يمكن أن يوجد رؤية وحيدة إنسانية عالمية، ويستلزم لعقد لقاء ديني حقيقي القبول بأن الكتب الدينية والمفاهيم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية إنما هي صحيحة ومفهومة في سياقٍ معين (بانيكّار). فما من تنزيلٍ مكتوب يمكنه أن يحتوي كلمة الله (عبّود). والحقيقة الإلهية لم يمتلكها أحدٌ بكاملها. (كلافري).

٥ ـ قبول التعددية الدينية (غوينول)، فالإبراهيمية ليست هي العرق، ولا الثقافة الوحيدة، ولا أيضاً الطبقة الدينية الوحيدة في محجر الإنسانية، فلا بد من إيضاح إن كانت المسيحية ـ مثلاً ـ تريد أن تظل ديانة توحيدية ذات صبغة إبراهيمية، أم أنها مستعدة للانفتاح بدون أي ثقة أخرى سوى الإيمان بالمسيح (بانيكّار)، والرجال القائمون على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين فعليهم الالتزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر بحقه في القيام برسالته الرسولية، بل وأيضاً القيام بعمل تبشيري. (بورمانس). وقبول كل طرف بحرية تغيير الدين (غوينول) دونما عقوبة للردة (بورمانس).

٦ ـ **التخلي عن السلطة، والمساواة والتسامح**: فحينما تتنازل إحدى المجتمعات الدينية رسمياً وبصراحة عن استثناء الآخرين وقدحهم، وتنسلخ من السلطة تحدث هزة اجتماعية في مواقف كل مجتمع، وينصبغ بالتسامح (كاسترو). وليس المراد التسامح الذي يفترض علاقة تفوّق وتدنّي، بل حوار مساواة (خوري)، يقضي على ثالوث الاستئثار، ونرجسية الأديان (عبّود)، ومن ثم استبعاد أي مفهوم ديني تقوم عليه الدولة، لئلا يستحيل سياسياً واجتماعياً إلى حكمٍ قهري. (قنواتي).

٧ ـ **البحث عن «الحقيقة الإلهية»** والتعجل في عقد حوار في «الحقيقة» (كلافري)، أو «السِّر» Mistery (خوري)، إذ يوجد خطر قصر الحوار على الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، متناسين البحث عن الله في العالم المعاصر (بورمانس). فالتأكيد الذي يقول إنه في نهاية المطاف يوجد إلهٌ واحدٍ متساو بالنسبة للجميع، ومن ثمَّ فالمسلمون والمسيحيون هم في مكانهم الصحيح إنما هو تأكيد لا يتجاوب والحقيقة. إن هذا مكان مشاع وسطحي (بيروني). وثالوث الاستئثار: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمة، يرتكز بين عناصر لها ـ حسب زعمها ـ نفس إلهٍ واحد. (عبّود).

فلا بد من التساؤل حول الدين وأساسه، إذ هو الوسيلة لفك جمود الحوار بين الأديان، وإعطائه مضموناً (خوري). والإيمان الحي يتخطى حدود كل إيمانٍ أرثذوكسي، فيهرب من عبء التاريخ، ومن ذكرياته التاريخية المكتوبة (بانيكار). فقط نحتاج لشيءٍ ضروري أن نعيش الإيمان، بمعنى أن يترك الإنسان نفسه يعمل حسب المعنى الذي يسكن بداخله، وفقط الإيمان هو الذي يقود إلى الله. (خوري).

وقد جمع «غاليندو» هذه المعاني الرامية إلى الخروج بصيغة عالمية لتوحيد الأديان، عن طرق إزالة الحدود، وطمس الخصوصيات، والبحث عن «الحقيقة الإلهية» فيما وراء لغة العقائد «اللاهوت» المعهودة، للوصول إلى «السر» أو «الجذر» كما يسميه، فيقول في مقدمته لأعمال هذا المؤتمر الأول:

(يتعلق الأمر بمطلب ثلاثي، ولا يمكن الاستعاضة عنه:

الانفتاح على ما هو عالمي،

الانطلاق من «النواة» الدينية والتركيز عليها.

الاعتراف بالتعددية.

وضرورة وجود فكرٍ ديني مصحوب بإعداد عتادٍ لغوي جديد، يجعلنا قادرين على إجراء حوار بدون حرمان ولا استثناءات. إن خطورة كل حوار بين الأديان ـ مثلما حدث مع الحوار الإسلامي المسيحي، هو أن لا يتحول إلى حوار ديني داخلي. وعلى الدوام يجري الحوار انطلاقاً من الأديان باعتبارها شيئاً مطلقاً، وليس انطلاقاً من البؤرة الدينية الأولى، التي تجعل الديانات شيئاً نسبياً. فحوار ديني يرمي أن يكون مناسباً يتخطى الحدود الضيقة للإسلام والمسيحية... وهذا شيء، في يومنا هذا لا تقبله بطبيعة الحال أي من المؤسستين الدينيتين، لأن ذلك يتطلب بالتبعية عدم المناداة بداءة الأمر بثقافةٍ أو بدينٍ معين... وهذا يستلزم فحسب تعددية ثقافية ولاهوتية.. ويستلزم

هذا بالضرورة أن ينتقل كل دينٍ من مظهره المؤسساتي إلى طابعه السري الأكثر عمقاً، للاتصال بهذا الجذر العالمي، مع هذه البؤرة الديناميكية... إنه بقدر قليل من وضوح الرؤية يمكن أن نفهم أن هذا هو الطريق الوحيد البشري الذي يوجد أمامنا كي نتقرب أكثر فأكثر بمرور الوقت من «المطلق»، وهذا هو أصل وسبب أي حوار حقيقي، وبدون هذا الطرح العالمي والجذري... فإن المشكلات ذات العمق التي يشار إليها هنا سوف تظل عقبات لا يمكن تخطيها، وستحبط أي محاولةٍ للحوار.

وليس ما نقدمه شيئاً بالسهل التحقيق، ببساطة، لأن بالنسبة للأديان ورجالها يصعب عليهم التحاور حقيقةً، وبصدق، وبدون نوايا خلفية. إن التحاور بصدق هو أن نجعل المطلقات الزائفة ذات طابع نسبي، وأن نكسر الأصنام الضخمة العقائدية والمذهبية، وأن نجعل من أنفسنا فقراء مجردين من كل احتكارات لـ «حقيقة الله». أن نظل ليلاً ونهاراً بأسماعنا وقلوبنا منتبهين للكلمة التي لا يتوقف الله عن نطقها في كل لحظة، في كل طريقٍ يمشي فيه الإنسان، أن يكون لنا روحُ طالب، كي يعلمنا الروح الذي يتكلم حيثما شاء وأينما أراد، وبألف طريقة، أن نسير في الحياة أحراراً من الأديان، وأسرى لله، بدون كساءٍ ولا ضماناتٍ بشرية في عراء «السر»... والأمر يتعلق بكليته، وحسب بهذا الأمر: الذهاب صوب السِّر وأن ننخنق فيه، وأن نرى أنفسنا فيه وأن نستحيل فيه...)[1].

وقد ذيل هذه المقدمة بالتوقيع التالي:

كريسلام
الأب إيميليو غاليندو آغيلار
قرطبة، ٢ فبراير ١٩٨٨م، من محراب المسجد ـ الكاتدرائية

---

(١) العقيدة للأمام (١٢، ١٣، ١٤).

وفي مداخلته ضمن بحوث المؤتمر أبرز النقاط التالية:

■ (الأديان ليست سوى طرق عن طريقها فتح «السر» طريقه في ضمير البشرية.

■ وسوسة الأديان، ورجالها الأكثر دهاءً هي أن تجعل الله غير متناسق.

■ التناسق فقط هو الشيء الذي يتيح لنا أن نكتشف عبادة الأصنام التي تغزونا دون أن ندرك ذلك، وأن نقضي على أصنامنا بواسطة جعل كثير من الأشياء المطلقة، العقدية والقانونية والمؤسسية أمراً نسبياً، وهذا حقيقة الأمر، يمثل المشكلات الجذرية التي تعوق حواراً حقيقياً بين الأديان.

■ إن كل حوار ديني لا ينطلق من تجربة الإله، إنما يكون كلمة مشركة، أقوالٌ في أقوالٍ دبلوماسية، مخططات، استعراض ديني ذو مغزىً مزدوج، ولكن ليس هذا بالحوار بين المؤمنين.

■ إن معيار الحقيقة الإلهية لدين ما، يكمن في الاحترام المقدس عنده لحرية الأشخاص)[١].

إننا أمام محاولة باطنية ترسل خيوطها العنكبوتية في أرجاء متفرقة من فضاء العالَمين الإسلامي والنصراني، ويقبع في كل ركنٍ من أركانها زنديقٌ من زنادقة «كريسلام» ينسج خيوطه الخاصة، ثم تجتمع تلك الخيوط في «البؤرة» حيث العنكبوت الأكبر «غاليندو»، الذي اجتمع فيه ما تفرق في غيره.

قد لا يكون بعض من ساهم في مؤتمره هذا، وعامتهم من دولٍ كاثوليكية عريقة، إيطاليا، وإسبانيا وفرنسا، وممن أفنوا أعمارهم في

---

(١) العقيدة للأمام (١٧٥).

العمل التنصيري مع الآباء البيض في أفريقيا، وممن يتبوأون مناصب كنسية رفيعة، يسلمون بجميع أفكار «غاليندو»، ولكنهم يلتقون معه قطعاً فيما يتصل بالإسلام، سيما وكثيرٌ منهم من أرباب الحوار - الإسلامي النصراني، ورواده الأوائل، وممن خبروا المسلمين عن كثب في بلدانهم، وعرفوا عمق انتمائهم لدينهم، وشعورهم بالعلو والفوقية العقدية، رغم التخلف المادي الذي يحيق بمجتمعاتهم في هذه الحقبة من التاريخ.

إن «غاليندو» يحاول شيئاً! ولكنه في الخطوة الأولى يسعى إلى إقرار بعض النظرات العامة في تقويم تجربة الحوار الإسلامي - النصراني، وهي نظرات على خطورتها؛ كالنسبية العقدية، والاعتراف بالتعددية، وتحطيم المؤسسات الدينية والقائمين عليها، والدعوة إلى فكرٍ ديني جديد تحمله لغةٌ جديدة غير مثقلة بدلالات الماضي والعهد الذهني... الخ إنما تمهد الطريق لفكرة مبيتة يتدسس غاليندو عبر خيوطه وشبكته العنكبوتية للإيقاع بفرائسه وامتصاص دمائهم. وهو في هذه الإرهاصات يومض بإشاراتٍ وتعبيرات مريبة كما يفعل إخوان الصفا، وزنادقة الصوفية الباطنية، ومن الجدير بالذكر أنه يعمد إلى إبراز بعض الكلمات بالخط الأسود العريض، كلما تكرر ذكرها مثل: (السِّر)، (البؤرة)، (الجذر)، (النواة) (الكلمة)، (الروح).

وسنحاول إماطة اللثام عن مقاصده، قبل أن «ينخنق» غاليندو في مضيه صوب السِّر.

ب - المؤتمر الدولي الثاني بالمراسلة - تنظيم كريسلام: إلى الجذر «البحث عن لغةٍ مشتركة من أجل حوارٍ مشترك بين الأديان» عام ١٩٩٤م.

بعد الجولة الأولى بست سنين (١٩٨٨ - ١٩٩٤م)، جاء هذا المؤتمر الثاني ليحقق نقلةً جديدة، كما يقول غاليندو: (أن نترك القشرة، قشرة الكلمات والخطب، لندخل في اللب، ونذهب إلى

الجذر... وكان ذلك بالتحديد هو المهمة التي فرضها هذا المؤتمر الثاني، وكل منا سيحاول أن يرد على السؤال التالي: ما هو الأصل العميق، «الجذر» الضارب في الأرض الذي يمسك ويغذي ويفسر ويستلزم القضايا العميقة التي أشير إليها في المؤتمر الأول؟)[١].

وبعد توطئة مسهبة حول عالمية الديانات ولغاتها، ونسبية حقائقها، واضطرارها إلى قبول التعددية الثقافية في عالمنا المعاصر، طرح غاليندو سيلاً من التساؤلات في سبيل (إيجاد بعض الخطوط ولغةٍ مشتركة تتيح لنا حواراً حقيقياً بين الأديان..

أولاً: هل يمكن للمرء أن يكون مسيحياً دون أن يكون من الناحية الدينية من أصلٍ سامي، ولا من الناحية الثقافية إغريقياً؟ وهل يمكن أن يكون المرء مسلماً دون أن يكون من الناحية الروحية ساميَّ الأصل، أو من الناحية الثقافية عربياً أو إغريقياً[٢]؟

ثانياً: إن لم يكن من الممكن... فإنه تنطرح أمامنا هذه الأسئلة التالية التي لا مفر منها:

١ ـ هل يمكن لهاتين الديانتين ذواتي التطلعات العالمية أن تتنازلا عن هذه الصفة، وهذه الرغبة في العالمية، بحيث تنحصرا في أن تكونا ديانتين ذواتي طابع غربي بملامح شرقية...؟

٢ ـ إن لم تتنازلا... فكيف يمكن أن تبررا أو تعبرا عن نفسيهما أمام الثقافات وصور الفكر الأخرى؟ أو يكون ذلك عن طريق المثاقفة، أو تثقيف الطرف الآخر وصبغه بالصبغة الثقافية الذاتية، أو يكون ذلك عن طريق الاستعمار الثقافي الاستيطاني، أو يكون ذلك عن طريق تدمير

---

(١) إلى الجذر (٧).

(٢) يبدو أن غاليندو ينظر إلى الحضارة الإسلامية من خلال فكر المعتزلة والمتكلمين المتأثرين بالفلسفة والمنطق.

الثقافات الأخرى؟ وإن لم نشأ أن ندمر الثقافات الأخرى، فما هي البؤرة الدينية الإسلامية أو المسيحية التي يمكن نقلها واستيعابها من جانب أتباع الثقافات الأخرى، مع المحافظة في الوقت ذاته على هوية تلك الثقافات الأخرى، وعلى هوية الرسالة التي ننقلها إليهم؟

ثالثاً: إن كان بعكس ذلك... تنطرح أمامنا أسئلة أخرى لا مفر منها:

١ ـ ماذا سيحدث مع العهد القديم أو الكتاب المقدس، ومع القرآن، وهما من الناحية الروحية من أصل ساميّ، وهما من الناحية الثقافية من أصلٍ إغريقي؟ أوَ سَيبقيان، أو سيصيران إلى أن يكونا مجرد لغات تنزيل؟ أو كيف يمكن أن يُعتبرا أساساً كتنزيل؟

٢ ـ ومن جديد، ما هو بؤرة ما هو إسلامي وما هو مسيحي، التي تكون قادرة على أن يكون لها هوية خاصة مستقلة بها بالاستغناء عن الناحية الروحية ذات الأصل الساميّ، والناحية الثقافية الإغريقية والعربية؟ وما هو وكيف سيكون فحوى ما أعطي لنا حقيقة، وما هو الشيء المبني فيما بعد على ما أعطي لنا في الإسلام وفي المسيحية؟ على أساس أن نفهم من كلمة ما أعطي لنا ما هو أصلي، وما هو لا غنى عنه، وما هو صالح بصفة دائمة، وعلى أن نفهم من كلمة ما هو مبني، بقية الأشياء.

رابعاً: في إطار إجابتكم، ما هو معنى ومغزى وفائدة هذه المشكلة وحلها لحوار حقيقي بين الأديان بصفة العموم، وبين الإسلام والمسيحية على وجه الخصوص؟)[1].

إن غاليندو يحاول من خلال أسئلته غير العفوية أن يستنطق كُتَّابه الذين يختارهم بعناية ليفصحوا عما يريد قوله هو، ويظهر الجواب كما

---

(١) إلى الجذر (٧ ـ ٩).

لو كان إرادة تعتمل في صدور الكثيرين من أبناء الديانتين. فجليٌّ من مسرد هذه التساؤلات المتلاحقة أن غاليندو يسعى إلى سلخ الديانتين من ملَّة إبراهيم، وإن كانت النصرانية لم يبق لها من الانتساب إلى إبراهيم سوى مجرد الدعوى[١]، تمهيداً «لتدويلهما» بإسقاط لغة التنزيل الخاصة، والاقتصار على «البؤرة الدينية» المعطاة، عَرِيَّة عن كل ما بني عليها بعد ذلك، بزعمه. ولكنه لم يفصح بعد عن تلك «البؤرة» التي يمكن نقلها واستيعابها عالمياً، بحيث تكون بديلاً عن التطلعات العالمية الخاصة لديانة معينة، وذلك ما نحاول تبيّنه ها هنا، فقد عرض في كتابه المتضمن لأعمال هذا المؤتمر الثاني بالمراسلة، ثنتي عشرة مقالة لتسعة من النصارى ـ اثنان مشترِكان في مقالةٍ واحدة، والبقية لبعض المنتسبين أو المنسوبين إلى الإسلام. وسوف نعرض أبرز أفكار تلك المقالات، مع التعليق على ما تدعو إليه الحاجة.

١ ـ أ. تورنس كوبيلُّو[٢] A. Tornos Cubillo:

• (تقول لي خبرتي وتجربتي: إنه بالفعل يمكن أن يكون المرء مسيحياً، ومسيحياً جيداً جداً، دون أن يكون من الناحية الروحية من أصلٍ سامي، ومن الناحية الثقافية من أصلٍ إغريقي.

• إن كسر طوق اللغات انفتاح على مجالاتٍ أخرى لم يكن يشار إليها البتة.

---

(١) راجع «النصرانية» في مبحث أهل الكتاب من التمهيد.

(٢) ولد في مدريد عام ١٩٢٧م. حصل على الدكتوراه في اللاهوت من النمسا عام ١٩٥٩م، دكتوراه في الفلسفة من «ميونيخ» عام ١٩٦٠م، دبلوم في علم النفس السريري «الإكلينكي» في مدريد عام ١٩٦٤م. ومنذ عام ١٩٧٣م يدرس اللاهوت بجامعة كوميسي. عضو بمعهد الإيمان ورجال الدين غير المرسمين. كان أستاذاً زائراً في الأرجنتين وبيرو وتشيلي وزائير. من مؤلفاته: المجتمع واللاهوت. ط عام ١٩٧١م، وقت البحث. ط عام ١٩٧٧م، خدمة الإيمان في ثقافة اليوم ط عام ١٩٨٨م، موقف المتدينين والتبشير بالثقافة ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٣).

• طبقاً لما يقوله أحد رجال الدين الكاثوليك الصينيين: سيأتي اليوم الذي تكون فيه كتابات «كونفوشيوس»... معترفاً بها مثل «العهد القديم».

• علينا أن نأخذ مأخذ الجد الفكرة القائلة بأن الديانات يمكن أن تتغير. فالمسيحية على سبيل المثال ينبغي أن تتغير. وقد تغيرت حينما انصبغت بالصبغة الرومانية «وليس فقط بالصبغة الهيلينية، أي الإغريقية»، وحينما انضمت إليها الشعوب الجرمانية، وحينما أيضاً حاولت وسعت إلى استيعاب عصر التنوير والأفكار المثالية والاشتراكية)[١].

ومما جاء في مقالته المعنونة بـ «الدخول في الحدود» ما يلي:

(لماذا نحن المسيحيين ـ بصفتنا الشعب المختار ـ لا تتعلم الكنيسة من الشعوب الأخرى، والثقافات الأخرى؟ الآن وفقط الآن وصلنا إلى أن نفهم أنه كان ينبغي علينا أن نذهب إلى شعوبٍ أخرى، ونسألها: ماذا كان قد قال الله لكم في القدم، وماذا تستشفون من وراء ذلك؟ وماذا تعرفون عن الإله وعن الحياة؟ كان هذا ما ينبغي علينا أن نفعله بدلاً من هدم المعابد، وحرق الكتب، كتب الوثنيين في روما وفي قرطاج، في أثينا وفي الإسكندرية، وحيثما كان...

إن عملية التبشير بالمسيحية، ودخول هذه الأقوام في الدين المسيحي، لم يكن بصورة حقيقية على أساسٍ ديني حقيقي.. كانت مزيفة، ويشوبها كثير من الممارسات والعقائد التي هي عبارة عن شعوذة. وبالتالي يمكن القول إنهم صاروا مسيحيين، ولكن ليسوا حقيقيين.

أعتقد أنه بالنسبة للمسيحيين، أن ما أعطي أساساً هو عيسى، الإنجيل الحي، والذي تشير إليه بصورة تقريبية، وليس بصورةٍ كاملة،

---

(١) إلى الجذر (١٣).

كل الأقاصيص والحكايات الأساسية الموجودة في الكتابات المقدسة)[١]. الكاتب حين يعترف بأخطاء الماضي في أسلوب التنصير، يريد أن يعيد النصارى الكرَّة بانفتاح أكثر، دون التفريط بعقيدتهم في المسيح، واعتمادها أساساً للحوار.

٢ ـ أنسلمو تيتيان سانون[٢] **A.T. Sanon:**

• (إن كنا نريد القرن القادم قرناً إنسانياً، بمعنى: قرناً تسوده الإنسانية والتعددية في آنٍ واحد، قرناً جديراً بالإنسان وتطلعاته، فسيكون قرن اللقاء الثقافي والديني.

• لا يمكن لأحدٍ أن ينسب لنفسه شخص المسيح. ورسالته وتقليده الروحي قد انتقل عبر كثير من الكيفيات والوسائط الثقافية والروحية)[٣].

٣ ـ روجيه جارودي Roger Garaudy:

سبق عرض مشروعه الفكري والعملي للتقريب بين الأديان[٤]، ونظراً لأهمية النصوص الواردة في مقالته نثبتها هنا:

---

(١) إلى الجذر (١٥ ـ ٢٥)

(٢) ولد عام ١٩٣٧م في مدينة «سيا» ـ بوركينا فاسو ـ، وعُمِّد كاثوليكياً عام ١٩٤٨م، ورسم كاهناً عام ١٩٦٢م، ودرس المرحلة الجامعية في روما من ١٩٦٣م حتى ١٩٦٧م، ودرس اللاهوت، وفي باريس أكمل دراسته العليا فحصل على الدكتوراه من المعهد الكاثوليكي في باريس عام ١٩٧٠م. أستاذ للاهوت ورئيس قسم الدراسات في مدينة «كومي». عُين أسقفاً في بلدة «بوبوديولاسو» عام ١٩٧٥م. رئيس المؤتمر الأسقفي في بوركينا والنيجر من عام ١٩٨٢م ـ حتى عام ١٩٨٦م. عضو في المجلس البابوي للحوار بين الأديان عام ١٩٣٣م. من مؤلفاته: الكنيسة أمي. التحول من جماعة الفيني إلى المسيح ط عام ١٩٧٧م، جذور الإنجيل والتقليد الإفريقي، والتربية العقدية ط عام ١٩٨٢م. إلى الجذر (٣١).

(٣) إلى الجذر (٣١).

(٤) انظر المبحث الأول من هذا الفصل.

• (تعبير «تطبيق الشريعة»، وعملية «التبشير بالإنجيل» الجديدة والتلقين المسيحي كما في المفهوم الفاتيكاني، التي صدرت عام ١٩٩٢م... هما حالياً أكبر عقبتين أمام الحوار.

• لا ينبغي أن نطلب من مسيحي أن يكون بوذياً، ولا من مسلم أن يعود إلى المسيحية. بل بالأحرى أن نساعد البوذي بأن يكون بوذياً بصورة أفضل، وأن يكون هناك مسيحي بصورة أفضل، وأن يكون هناك مسلم بصورة أفضل.

• ينبغي أن ننشر الإنجيل بين بعضنا بعضاً، ونصبغ أنفسنا بالصبغة الإنجيلية، لأن الأمر لا يتعلق بتصديقٍ من طرفٍ واحد، لعقيدة معينة، بل للقاء مع الشيء الإلهي الذي هو أثرى وأغنى، لأننا نشترك فيه، وتقع فيه عملية التخصيب المتبادلة للثقافات من جميع القارات، وتجارب الجميع في العصر الإلهي)[1]. وهذا الكلام الأخير يفسر ماذا يريد جارودي بأن يكون البوذي أو النصراني أو المسلم باقٍ على دينه ولكن بصورة أفضل.

٤ ـ **ميغيل كروث إيرناندث**[2] M. Gruz Hernanadez:

• (كل الأديان ولدت داخل حدودٍ معينة؛ جغرافية وتاريخية

---

(١) إلى الجذر (٤٣).

(٢) ولد في «مَلَقا» ـ جنوب إسبانيا ـ عام ١٩٢٠م، حصل على الدكتوراه في الفلسفة والآداب عام ١٩٤١م. أستاذ في جامعة غرناطة، وأستاذ كرسي في جامعتي سلمنكا، ومدريد المستقلة من مؤلفاته العديدة: الميتافيزيقية «ما وراء الطبيعة» عند ابن سينا ط عام ١٩٤٩م، الفلسفة الإسبانية الإسلامية ط عام ١٩٥٧م، فكر رامون لول ط عام ١٩٧٧م، تاريخ الفكر في العالم الإسلامي ط ١٩٨١م، ابن رشد: حياته وأعماله ومؤلفاته وتأثيراته ط عام ١٩٨٦م، الإسلام في الأندلس: تاريخه وبنيته وحقيقته الاجتماعية ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (٦١).

واجتماعية، «ثقافية وعرقية ولغوية». وبالنسبة للمتدين هذه البيئة ليست نتيجة أو ثمرة ثقافية، بل إنها طريقٌ للمنشأ الإلهي، بواسطتها يمكن أن نحقق الاتحاد في الإله.

• فيما يعتقد المسلمون بأن هناك تناغماً تاماً، وملائمة تامة حتى في التعبير اللغوي بين القرآن والكلمة الإلهية[(١)]، فنحن المسيحيين نعتبر أن هذه الملائمة تقتصر على الأجزاء الرئيسية، وأن التعبير اللغوي هو شيءٌ عرضي، ويرجع إلى الظروف التاريخية والثقافية، وإلى شخصية محرري وجامعي الكتابات المقدسة، والعرف الثقافي.

• ينبغي أن يتوفر جو من الحرية الكاملة كي يفهم بعضنا بعضاً، وفي عملية استخدام اللغات الملائمة، ومن أجل المساواة بين المشاركين من العلماء... فلا يمكن أن يكون هناك لقاءٌ يكون فيه على سبيل المثال من جانب المسلمين علماء وفقهاء فقط، من مراكز محددة معينة، ومن جانب المسيحيين قساوسة مرسمون ومعينون، فقط.

• إذا كان الرب سيستغني عما يفصل بيننا حينما يوحد بيننا في الحياة الأبدية[(٢)]، إذاً أفلا يمكن لنا أن نتنازل شيئاً فشيئاً عن بعض الاختلافات غير الجوهرية التي تفصلنا؟)[(٣)].

---

(١) بل إن القرآن هو كلام الله حقيقة، وليس تعبيراً عن الكلمة الإلهية كما وصف إيرناندث. فقد تكلم الله به ابتداءً، ونزل به الروح الأمين «جبريل ﷺ» على قلب محمدٍ ﷺ بلسانٍ عربي مبين. أما الأناجيل التي بأيدي النصارى منذ قرون فهي روايات لسيرة المسيح ﷺ وأقواله، اعتراها التحريف والتناقض، وتعددت نسخها، وهي تعبير بشري كما قال إرناندث يخضع لشخصية محرريها. راجع النصرانية في التمهيد.

(٢) قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم]. وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

(٣) إلى الجذر (٦١).

ويعترف هذا الكاتب المشتغل بالدراسات الإسلامية ـ كما يتضح من ترجمته ـ بأن: (النص القرآني هو الأكثر أمناً وضماناً... من بين الكتب الثلاثة المقدسة)(١)، وأن القرآن تنزيل إلهي، كما التوراة والإنجيل(٢)، ولكنه يرى أن تلك النصوص المقدسة بصفتها تلك: (مناسبة للحظة اجتماعية محددة، لكن المضمون الأساسي على الرغم من اختلاف وسائل النقل، صالحٌ لكل مؤمنٍ في يومنا هذا، مثلما حدث بالأمس، ومثلما سيحدث إلى الأبد... ومهما يكن من أمر فإن المؤمنين المستنيرين، والجماعات المؤمنة يتعين عليها أن تشرح للجميع كل العناصر التي لا يمكن فهمها مباشرة من وجهة نظر الصيغ الاجتماعية والثقافية الحالية)(٣). وهو يعترف أن (المبادىء الجوهرية للدين المسيحي قد تمت هيكلتها ووضع بنيتها في العالم الإغريقي. وفكرها اللاهوتي، حتى بالنسبة لموضوع أسس العقيدة التي صيغت صياغة لاهوتية «نيقيا، القسطنطينية»، فإنها تبعت الأصول والخطوط العريضة القادمة من الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، وفيما يتعلق بالديانة الإسلامية فإن فكرها اللاهوتي المتكون، أيضاً، التزم بتلك الخطوط العريضة للفلسفة الأفلاطونية الجديدة)(٤). وكسائر الغربيين فإنه يعتقد بداهة أن ثم عوامل أخرى صاغت العقيدة والشريعة الإسلامية تارة باسم السنة النبوية، وتارة من مصادر ثقافية خارجية، وذلك لمواكبة التوسعات السريعة في حركة الفتح الإسلامي)(٥).

ويختم مقالته بالدعوة إلى: (أن نقترب من بعضنا بعضاً، وأن

---

(١) المرجع السابق (٦٥).
(٢) المرجع السابق (٧٨).
(٣) المرجع السابق (٧٩).
(٤) المرجع السابق (٧٤).
(٥) المرجع السابق (٧٣).

نقترب بصورة أحسن من الإله حتى نخدمه ونحبه بصورة أفضل، وأن يعرف بعضنا بعضاً بصورة أحسن، وأن نكسر جميع القوالب والأشياء المعهودة، وأن نغفل، ولا نذكر التقاليد والعرف غير الجوهري والأساسي، وأن نتلاقى في مبدأ حول العقيدة المشتركة التي هي الإله الواحد)[١].

٥ ـ رايموندو بانيكار[٢] Raimundo Panikkar:

• (لا شعوب أفريقيا، ولا حتى ـ بصفة خاصة ـ الشعوب الآسيوية تتحدث أي تفهم وتتأثر، وتعبر عن نفسها بلغة مسيحية، بل تعيش في عوالم أخرى. إن قضيتنا تتمثل في أن نسأل: إن كان العرق الإبراهيمي يقدم اللغة الوحيدة الممكنة للمسيحية كما يحدث حتى الآن.

• لا يمكن في عالم اليوم، أن يكون هناك لاهوت مسيحي مقنع. وبالمثل لا يمكن أن يوجد أي تفكير فلسفي بشأن أي دين من الأديان، إن لم يأخذ في الحسبان التعدد الواسع لمختلف التقاليد الدينية التي توجد عند البشر.

• إن المعضلة ينبغي أن نجابهها بكل حدتها ومقاطعها: فإما أن يحدث عملية ختان للعقل وفق تصنيفات الكتاب المقدس، أو أن نطلق الحدث اليسوعي على شكل صورة عقلية، وبالتالي لصيغة مذهبية محددة)[٣].

إن هذا الكاتب المولود لأبٍ هندي وأمٍ كاثوليكية، يعيش عقدة «الإبراهيمية» التي تدعيها الكاثوليكية، بلغتها اللاهوتية، وترفضها الشعوب الأخرى في الهند وغيرها لكونها غير مقنعة. ومن ثم ينادي

---

(١) المرجع السابق (٨٠).
(٢) سبقت ترجمته في المؤتمر الأول رقم (٣).
(٣) إلى الجذر (٨١).

دوماً ـ كما مر في أعمال المؤتمر الأول ـ بالانفلات من المحجر الإبراهيمي، وإبقاء الإيمان بالمسيح فقط، وبوعد الروح فقط(١)، وإطلاق الحدث اليسوعي، وإلا حدث «ختان للعقل» على حد تعبيره الذي أراد أن يلمز بها السنة الإبراهيمية الفطرية «الختان». وغاب عن هذا الكاتب أن «ملة إبراهيم» على حقيقتها، لما حملتها رسالة محمد ﷺ قبلتها شعوب أفريقيا، والشعوب الآسيوية بصفة خاصة، حيث مركز ثقل العالم الإسلامي من حيث التعداد، وتحدثت بها وفهمتها وتأثرت بها وعبرت عن نفسها بلغة إسلامية مقنعة دونما أي عائق. أما اللاهوت النصراني فهو إغريقي ليس من ملة إبراهيم في شيء.

وغاليندو يتجاوب مع أفكار هذا الكاتب الذي يتحدث من موقعٍ نصراني، ويحاول أن يعمم فكرته على جميع الأديان ـ والإسلام خاصة ـ للتحلل من ملة إبراهيم للاندماج بمختلف تقاليده الوثنية. ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٣٠﴾ [البقرة].

٦ ـ شريف عبد الرحمن جاه(٢):

● (كي يكون المرء مسيحياً أو مسلماً ليس من الضروري أن يكون من الناحية الروحية ساميًّا، ولا من الناحية الثقافية إغريقياً أو عربياً.

---

(١) انظر مقالته السابقة (٨٣٢).

(٢) ولد في الجديدة ـ المغرب ـ عام ١٩٣٤م، وحصل على الدكتوراه في القانون، وتخصص في العلوم الإسلامية والإنسانيات. رئيس مؤسسة الثقافة الإسلامية والمعهد الغربي للثقافة الإسلامية. وهو مدير مجموعة العمل والبحث المتعلق بتأثير الثقافة الإسلامية في الثقافة الأوروبية، الذي وافقت عليه الجمعية البرلمانية للمجلس الأوربي عام ١٩٩١م. كتب العديد من المنشورات حول الفكر وموضوعات تتعلق بالأندلس، وألقى العديد من المحاضرات في المؤتمرات والجامعات الأوربية والعربية. إلى الجذر (١٠٥).

• الرسالة لا يمكن أن تقتصر على النطاق الضيق لثقافةٍ واحدة، سواء كانت تلك إغريقية أو عربية أو فارسية، فإنها في هذه الحالة تفقد طابعها العالمي والإلهي، وتنحصر في تيار فلسفي محض، وتكون فكراً أو أيديولوجية من بين أيديولوجيات أخرى.

• الإسلام لديه رسالة عالمية تذهب إلى ما وراء الصفات والمميزات الثقافية. إن معنى أن يكون شيءٌ عالمياً هو أنه لا يمكن أن يخضع لنماذج ضيقة لثقافات ومميزات شرقية أو غربية.

• لا نحتاج إلى عملية مثاقفة، أن يثقف كلاً منا الآخر، ويعلمه، ولا أن نستعمر ونستوطن أراضي الغير، ولا أن ندمر ثقافته، لأن كل واحدةٍ من هذه الثقافات همزة وصلٍ في صفة العالمية التي يشتمل عليها الإسلام.

• إن اللاهوتيين ورجال الدين، قبل أي بشر آخر، هم الذين عليهم تقع مسؤولية نقل التوازن الذي يوجد في كلمة الإله...

• إن محاولة تطبيق المضمون الرسمي بصورة مماثلة في يومنا هذا، كما طبق في قرون خَلت، إنما هو تفسير غير ملائم، ويمكن أن يفسح المجال لمواقف متشددة، غير مرنة ويمكن أن تكون بعيدة عن الرسالة القرآنية الحقيقية)[١].

لقد غالى شريف جاه في إظهار الموافقة لـ «غاليندو» إلى حدٍ بدت فيه مقالته مجرد إجابات سطحية ومباشرة بنعم أو لا، تبعاً لما يرضي السائل، أو كما قيل: «كان يُلَقَّن فيتلقن». حتى بلغ به التدني إلى نزع خصائص الإسلام العقدية والثقافية والتشريعية والاجتماعية لإبقاء وصف «العالمية» التي يهيم بها غاليندو ورفاقه، ويردد في بلاهة

---

(١) إلى الجذر (١٠٥).

ما يطربهم حين يقول: (وبقدر ما يكون (ما أعطي)[١] هو متشابه بين الديانتين كلتيهما، المسيحية والإسلام، وإن تعمقتا في جذورهما يكون الحوار فيما بينهما ممكناً. لأنه سيكون حواراً أخوياً، ومن أجل التقارب، إن فهمنا بكلمة «حوار أنها تبادل الكلمة بين كائنين.. فإنه في حقيقة الأمر لا يكون هناك حوار، بل إنه يستحيل إلى كلامٍ من طرفٍ واحد إلى شخصين)[٢].

٧ ـ خيسوس آبلينو دي لاَبيندا[٣] J.A. De La Pienda:

• (إن التوحيد الذي يستثني أي شيءٍ غيره، والذي يسيطر على التقليد الإبراهيمي بحذافيره شيءٌ لا يقوم بذاته، ولا يمكن أن يستمر من وجهة النظر التحليلية. وهذا التوحيد الذي يستثني كل ما سواه هو جوهر «عقدة التفوق» التي تجرجرها أديان هذا التقليد. فينبغي على كل هذه الديانات الإبراهيمية أن تمتحن نفسها، وتمحص نفسها بنفسها ذاتياً من هذه الرذيلة التي ترتكبها ضد ديانات أخرى، وأن تتنازل عن احتكارها الذي تزعمه.

• إن البعثات التبشيرية قد قامت على أساس من عقيدة تفوق الثقافة والدين التي تنتمي إليه على الثقافات والديانات الأخرى. فكنا

---

(١) يشير إلى ما تقدم في أسئلة غاليندو: ثالثاً: ٢. (٦٢).

(٢) إلى الجذر (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٣) ولد في «اشتورياس» ـ شمال غرب إسبانيا ـ عام ١٩٣٩م. حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة مدريد المركزية، وحصل على الإجازة في اللاهوت من الجامعة الغريغورية في روما. وهو حالياً أستاذ كرسي الفلسفة في جامعة «أفييدوا»، ومدير مجلة «ماخيستير». من مؤلفاته: «الأنثروبولوجيا اللاهوتية عند K.Rahner عام ١٩٨٢م»، «الشيء الخارق للعادة عند المسيحيين عام ١٩٨٥م»، «دين واحد، وديانات كثيرة عام ١٩٩١م». إلى الجذر (١١١).

نقول: الله الحقيقي، الدين الحقيقي، ونقول: الشعب المختار.. الخ وهذه العقائد لا تزال قائمة مستمرة في الديانتين المسيحية والإسلامية الأرثذوكسيتين، أي الملتزمة بالنص والتقليد. وينبغي علينا بصفة عاجلة أن نراجعها بعمق على ضوء التعددية الثقافية والدينية)[١].

إن هذا الكاتب الناقم على «التوحيد الإبراهيمي»، الذي ورثه بحق المسلمون، ويدعيه اليهود والنصارى، ورغبت عنه الوثنيات الأخرى التي ينافح عنها هذا الكاتب، يعد استبعادها وإدانتها رذيلة تجرجرها الأديان المنتسبة إلى إبراهيم. ومن ثم فقد تجاوز مرحلة التقارب الإسلامي - النصراني إلى مرحلة التقارب العالمي بمختلف صوره وأشكاله، إذ يقول: (إن المسلمين والمسيحيين لديهم تقليد فلسفي ولاهوتي ديني مشترك في غاية الأهمية، يحمل معه في طياته بُنىً مشتركة من الفكر الجوهري.. وعلى مستوى التقليد الصوفي يمكن أن يكون هناك لقاءٌ يشع بضوئه وعنوانه على الآخرين.

ولكن، وبالتحديد، في هذا التقليد المشترك توجد هناك عقبات كبيرة أمام الحوار، بينهما وبين الأديان الأخرى، فينبغي علينا إذاً أن نتفحص بصورة مشتركة هذه العقائد الكبرى التي توحد والتي تفصل بين الديانتين، وأن نفكر دائماً في دياناتٍ ثالثة... إن أسس الحوار ينبغي أن تخدم كل الديانات... وعلينا أن نرى أيضاً إن كانت تلك الأمور التي توحد بيننا لا تعوق الحوار مع ديانات أخرى.. وبهذه الكيفية يمكننا أن نذهب شيئاً فشيئاً في تحديد البؤرة)[٢].

وهذا ما ينشده «غاليندو»، ومِن ورائه «كريسلام».

---

(١) إلى الجذر (١١١).

(٢) إلى الجذر (١١٣).

٨ ـ ماريًا تسكانو[١] وخورمان أنكوتشيا[٢] M. Toscano & G. Ancochea :

• (الأديان ليست إلا صوراً تعبر عن الكيفية التي تلقاها البشر عن الله، وعن صورته التي كونها البشر عنه في مختلف الثقافات.

• إن التجربة الصحيحة التي اكتسبناها بشأن «السر» تصلح لكل البشر. فإن كل تجربة حقيقية للسر هي في آنٍ واحد عالمية وجزئية أيضاً.

• إن التحول من دينٍ إلى دين، إذا فهمناه كتحول القلب إلى الله الحي، يكون ممكناً في كل دين، وبالتالي فإننا نؤكد أن المؤمن لا يحتاج أن يخرج من دينه، ولا من ثقافته كي يلج هذه التجربة.

• الحوار يمكن أن يحدث فقط بين طرفين متساويين. إن الحوار بين الأديان سيكون حقيقياً فحسب على أساسٍ من التجربة، بحيث، وبدون أن نتنازل عن تجربتنا الشخصية الخاصة، يمكننا أن نعترف بتجربة الآخر، كصاحب تجربة صحيحة بالمثل، كتجربتنا. وكلما كانت التجربة أعمق، فإن الحوار أيضاً سيكون أكثر صمتاً، حتى يتحول إلى تأملٍ مشترك. الكل مع الواحد)[٣].

لقد بلغ هذان الزوجان مرتبة «ابن عربي» الذي صار قلبه قابلاً كل صورة. فلذا يريان الأديان جميعاً تجارب صحيحة، عالمية وجزئية في آنٍ واحد، ومن ثم فالتنقل دخولاً وخروجاً بينها إنما هو جولة في دينٍ

---

(١) ولدت في مدريد عام ١٩٤٧م، حصلت على الإجازة في الفلسفة. أستاذ كرسي في الدراسات الثانوية، وأستاذة ملحقة في جامعة كوميسي ـ أهلية كنسية ـ بكلية اللاهوت في مدريد. إلى الجذر (١٣١).

(٢) ولد في مدريد عام ١٩٤٤م. حصل على الإجازة في العلوم الاقتصادية. وألف عدة كتب في التحليل الاقتصادي. وهما زوجان. وقد اشتركا في تأليف كتابٍ بعنوان: «رمزية العدد» ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٣١).

(٣) إلى الجذر (١٣١).

واحد، والحوار هو تأمل الكل مع الواحد. وهكذا تتداخل عقيدة وحدة الوجود مع عقيدة وحدة الأديان.

٩ ـ سميح محمود دغيم[(١)]:

• (إن التنزيل في حد ذاته عمل إبداعيٌ إلٰهي، كان هدفه المحدد هم الأنبياء.

• الهدف الرئيسي من التنزيل الإسلامي، وهو القرآن، والتنزيل المسيحي، وهو ألوهية عيسى، ينبع من التقارب بين هذين الكيانين؛ أي القرآن وألوهية عيسى، وبين أصحاب محمد وتلاميذ عيسى.

• إن المشكلة الرئيسية ليست في النصوص الإسلامية والمسيحية المنزلة، بل في قراءة وتفسير تلك النصوص وغيرها من النصوص الدينية. وفي يومنا هذا لا توجد منهجية لقراءة النصوص القرآنية.

• إن العودة نحو الجذور، وعدم التأثر بالروح هو شيءٌ على ما يبدو لا يشغل بال الإنسان العقلاني اليوم)[(٢)].

لقد عالج هذا الكاتب موضوع المؤتمر معالجة خطيرة أكثر مما تشي به هذه النصوص التي اختارها «غاليندو» بين يدي مقالته المعنونة بـ «مشكلة تكمن في قراءة النصوص المنزَّلة». فبعد مقدمة مسهبة عن نشأة الإسلام وحضارته وفتوحاته ضمنها ما دأب المستشرقون على

---

(١) ولد في «الرهام» ـ لبنان ـ عام ١٩٤٨م. حصل على الإجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية عام ١٩٧٢م، والدكتوراه في الفلسفة من جامعة القديس يوسف عام ١٩٨٦م. أستاذ اللاهوت والتصوف الإسلامي في الجامعة اللبنانية من عام ١٩٨٢م حتى عام ١٩٨٦م. ومن ذلك العام وهو أستاذ في الجامعة نفسها للأفكار السياسية والاجتماعية وفلسفة العلوم. ومن مؤلفاته: موجز لأفكار الأقدمين، والمحدثين. ط عام ١٩٩٢م، تحقيق لكتاب الغزالي: المنقذ من الضلال. ط ١٩٩٢م، فلسفة القدر. إلى الجذر (١٣٩).

(٢) إلى الجذر (١٣٩).

ترداده من استمداد الإسلام من اليهودية والنصرانية وما سواهما، وشدد على أن التنزيل القرآني ينبغي أن يفهم في سياق الظروف التاريخية المصاحبة، وبالتالي فالموقف من أهل الكتاب ومن الجهاد المقدس أملته ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية معينة، لا ثوابت عقدية، ومن ثم فلا علاقة لذلك الفتح بتقبل الشعوب للإسلام وانتشاره، وكذلك الحال مع النصرانية، خلص إلى نتيجة مفادها:

(إن فرض الإسلام والمسيحية في العالم، وقبولها من جانب الشعوب التي كانت لا تعرفهما، يحملنا على البحث عن محور قد مكنهما من التعبير عن نفسيهما كرسالتين دينيتين أمام مجتمعاتٍ بشرية كانت لديها طبائعها الخاصة بها من الناحية الروحية والثقافية.

هذا المحور يمكننا أن نجده في «العلي القدير» الذي كشف عن نفسه أمام محمد بواسطة الكلمة. إن هذا «العلي القدير» قد استحال فيما بعد إلى ما يعرف بالنص القرآني، وهذا العلي الذي تجسد في المسيح، كلمة الله كما يؤكد المسلمون، وابن الله كما يقول المسيحيون. وعلينا أن نترك جانباً من هذا الجدل والنقاش، وعلينا أن نعترف أن الإيمان بالله العلي إنما يشمل كل البشر الذين يكتسبون معنًى حينما يرتبطون بفكرة الخلق. إن هذا الشيء ذاتي موجود في كل دينٍ منزل. فكرة كانت موجودة بين الشعوب التي كانت لا تعرف وجود الأديان المنزلة)[١].

إن «دغيماً» يحاول أن يدغم الحقائق، ويخلط الأوراق حين يصور العقيدة الإسلامية، «القرآن كلام الله»، ببساطتها ووضوحها تصويراً فلسفياً على غرار كفر النصارى بالقول بالحلول الإلهي في جسد المسيح. إن أياً من المسلمين لا يخطر بباله أن الله العلي القدير

(١) إلى الجذر (١٥٦).

ـ سبحانه وتعالى عما يقول الضالون ـ قد استحال نصاً قرآنياً كما لا يخطر بباله أن كون عيسى بن مريم عليه السلام كلمة الله، أن الله العلي القدير حَلَّ فيه، بل هو مخلوقٌ بكلمته «كن» فكان، كما آدم عليه السلام، فحسب.

ولكن دغيماً يحاول جر العقائد الإسلامية الصافية الواضحة إلى ظلمات الضلالات النصرانية لتحقيق «التقريب» المنشود، أي تقريب الإسلام إلى النصرانية المحرَّفة. فقد شرع في سرد العقائد النصرانية البائدة المتضمنة صلب المسيح لأجل الفداء، وتأليهه دون أدنى نقد أو تمحيص، ليصل إلى «الجوهر» أو «البؤرة الدينية» التي يبحث عنها «غاليندو» ويسعى إلى اعتمادها أساساً لوحدة الأديان. فيقول دغيم: (عن طريق التعميد(١)... الإنسان يشارك في الحياة الإلهية، لأنه بدوره يشارك في بشرية المسيح عيسى الذي بعث بعد موته، وإن روح القدس الذي ينقل إليهم هذه الهِمم من جانب الإله، وينقل إليهم بنوته الإلهية هي الجوهر الذي منه تنطلق وصوبه ينبغي أن توجه علاقتها مع الآخرين ـ ثم يتساءل ـ ماذا يعني كل هذا؟.

إن القرآن هذا هو الكلمة المنزلة، والتي مُيز بها محمد... وبالنسبة للمسيحيين فإن الكلمة المنزلة هي تجسده في عيسى ابن الله. إن التنزيل بمعنى أن جوهر الإله كان مخفياً في الطبيعة البشرية لعيسى. وهذه أكدت استمرارية الجانب الإلهي عند البشر «الكلمة المنزلة» لأنه عبر التعميد، فإن هذا يجعلهم يشاركون في الحياة الإلهية، بفضل الطبيعة البشرية لعيسى المسيح...

مما لا شك فيه أن النبي ليس لديه طبيعة مختلفة عن بقية البشر، لكن الله ميّزه بكيفية الاتصال به، بينما المسيح يتميز لأنه عاش فيه الروح القدس(٢)...

---

(١) راجع مبحث «النصرانية» في التمهيد.

(٢) يريد الكاتب أن يبين مزية عيسى عليه السلام ـ في زعمه ـ على نبينا محمد ﷺ =

إن فكرة الإله الأعلى تمثل الجوهر، وإن كانت تختلف في كيفية الإفصاح عنها الكتب المقدسة؛ القرآن والأناجيل... إن جعل التنزيل الإسلامي القرآن، والمسيحي: ألوهية عيسى، إنما ينشآن في القرب الذي كان لصحابة النبي ولتلاميذ عيسى من هذين الجانبين... من الضروري بمكان أن نتفاهم فيما بيننا بصورة متبادلة فيما يتعلق بالصياغة، صياغة ما عند كل واحدٍ منا، وأن نعرف في الوقت نفسه أن هذه الصياغة، وهذا التقنين النمطي المستمر، يمكن أن يقربنا من الحقيقة الأصلية. بمعنى أن المفاهيم الأصلية حول التنزيل ليست منفصلةً تمام الانفصال عن تطورها التاريخي... ولكن من أجل حوار إسلامي مسيحي فمن الضروري، ولا غِنى عنه، أن نخلع ونفكك هذه الآليات التي صاغت هذه التقنينات بوعي خاص وعميق للظروف التاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي جعلت منها شيئاً ممكناً)[1].

إنا نتفق مع سميح محمود دغيم على ضرورة إخضاع الصياغات والتقنينات النصرانية التالفة، مثل الصلب والفداء والتثليث والبنوة والتأليه والتعميد... الخ لمطارق النقد التاريخي والعقلي وتفكيكها، والرجوع إلى دعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقبول بشارته: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦]، والاغتباط بالقرآن العظيم كلام الله، الذي جاء لينتشلهم من جدلهم وضلالهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل]، بدلاً من محاولة جر المسلمين لمعمعة ضلالهم حول «الكلمة» بدعوى تقارب الأديان، وهم

= فمحمد ﷺ بشر أوحي إليه ـ وهذا حق ـ وعيسى حل فيه عنصر إلهي، تعالى الله عما يقولون.

(١) إلى الجذر (١٥٨ ـ ١٦٣).

إنما ضلوا فيها وتفرقوا بسببها على مدار القرون الخالية. فأنى لغاليندو ودغيم وأمثالهما من الكريسلاميين أن يوحدوا البشر على أساسها المهترىء؟

١٠ ـ أندروس توريس كِروُجا[1] A. Torres Oueiruga:

• (من الممكن أن الإله الذي يظهر في الكتاب المقدس يكشف عن نفسه في كتبٍ أخرى وديانات أخرى، وحين نستغرب هذا، فإن هذا يكون بمثابة ثورة حقيقية، وحتى الآن فلسنا قادرين ولا واعين بها.

• لذلك فإن جميع الديانات تعتبر نفسها ديانات ذات كتابٍ منزل، وهي حقيقة كذلك. ولأجل ذلك فإنها جميعاً تكون ديانات حقيقية، ولكن ليس كامل ما يوجد فيها ويقال ويعتقد يكون دائماً شيئاً صواباً، أو أنه لا توجد فيها تحويراتٌ وتبديلات، بل وأيضاً أمور شاذة غير لائقة في لحظةٍ من لحظات تاريخها، وإنما فيما يتعلق بما تتألف منه من الحقيقة الأساسية... وهي أن العنصر الديني أمرٌ جوهري يتعلق بالخواص...

وهذه الحقيقة جزئية وجانبية في كل دين، ويمكن أن نتفهم بذلك صورة الإثراء المتبادل، والمساعدة والتصحيح)[2].

يبقى بعد ذلك سؤال: من الذي يتولى التقاط الحقائق الأساسية وتحديدها من كل دين، ثم نظمها في عقد جديد، واستبعاد الشاذ غير اللائق؟ وما هو المعيار الذي سيحتكم إليه ذلك الملتقط؟ أهو الإسلام

---

(١) ولد في لكورنيا ـ شمال إسبانيا ـ عام ١٩٤٠م. دكتوراه في اللاهوت من روما سنة ١٩٧٣م، وفي الفلسفة من سَنتياقِب ـ إسبانيا ـ عام ١٩٨٨م. أستاذ فلسفة الدين في جامعة «سَنتياقِب» من مؤلفاته: استعادة الخلاص ط ١٩٨٥م، الحوار بين الأديان ط ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٦٧).

(٢) إلى الجذر (١٦٧).

أم النصرانية أم الهوى؟ كما قال تعالى حاكياً عن أسلافهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١].

١١ ـ عبد الرحمن شريف شيرغي[١]:

• (إن أكبر خطر في الحوار الإسلامي المسيحي، أن نحاول الحوار من وجهة تاريخية فقط. وعلى هذا الأساس فإن هذا الحوار باديء ذي بدء سيكون حربياً. إن الرذيلة التاريخية الثقافية لديها نتيجة نفسية مباشرة: الولع بإقناع الآخر بحججنا وتعليلاتنا.

• إن الحوار بين الأديان ينبغي أن ينتقل عبر هذا المنخل؛ رحلة صوب أحشاء الإنسان، كي نخمد جذوة الشيطان، شيطان المركزية و«الأنا»، وتهدئة هذه «الأنا» القوية السلمية الموجودة في داخل كل منا، بطريقة سرية غير معروفة. هذه «الأنا» التي نتخذها دائماً حارساً ومدافعاً عن أنفسنا ضد الآخرين، وضد أنفسنا أيضاً.

• إني أحلم، وهذا من أحلامي الحميمة، أن يأتي يوم نتقارب فيه بعضنا من بعض، ونقدم لأنفسنا، ونبحث معاً، ونزرع معاً المحبة، وليس الكراهية، وأن نحمل في أكفنا حمامة السلام، ولا نحمل خنجراً نخفيه بين ثنايا ملابسنا)[٢].

إن أحلام شيرغي لن تتحقق إلا بالتنصل من التاريخ، والتنصل من الذات والضمير الديني، ليبقى بعد ذلك مجتثاً من أصوله ما له من قرار. إن المحبة والسلام من مقاصد الإسلام الاجتماعية والدولية، ولكن لا باعتبارهما معنيين مجردين، بل ضمن العقيدة والشريعة التي جاءت من عند الله.

---

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (٦) (٩٦٠).
(٢) إلى الجذر (١٨٣).

١٢ ـ خيسوس رامون إتشفاري[١] Jesus Ramon Echeverria:

• (أعتقد أن الرياح التي تشجع نَفَس هذا العالم الذي نحن فيه ستجعل أنغام الديانات الهندية والمكسيكية... وليس فقط السامية والأروبية والعربية، تصدح موسيقاها، وسوف تستمر في صبغها، حتى بعد زمننا هذا، لكل الإنسانية التي عانت من التسوس والتشقق.

وهذه الديانات إن صمتت واختفت واندمجت في غيرها من جديد في هذا العالم الذي ظهرت فيه، فهي لم تمت. فإن الأنغام السامية والأزتكية[٢] والأوربية والفنتوية والهندوكية والعربية ستكون أجمل من أي وقت مضى.

• إن الرمز أكثر من كونه يلتقط الحقيقة ويحبسها، فإنه يكشف مغزاها، ويجعلنا نحن أيضاً ننخرط فيه إن استطاع أن يحركنا ويثير فينا الشفقة، تماماً كما تفعل الحقيقة الرمزية نفسها. وهذا ما ينبغي أن يحدث لأنه بصورة أو بأخرى يشترك في حقيقة ما يمثله.

■ إن كان المصريون والسود والنساء في عالمنا هذا اليوم قادرين على أن يشعروا أنهم جزءٌ متكامل مع التقليد والعرف اليهودي والمسيحي الممتد لآلاف السنين، والذي اعتورته تغييرات جد جذرية، وقعت أو ينبغي أن تقع، إذاً فلا شيء هناك يمكن أن يعوق في بداية الأمر، أن يكون أناس غير ساميين وغير أوربيين، أن يشعروا، وبكل

---

(١) ولد عام ١٩٤٥م ودرس في إيطاليا وبريطانيا وفرنسا. كاهن من رهبانية الآباء البيض منذ عام ١٩٦٥م. اشتغل خمس عشرة سنة في إفريقيا الغربية. مدير مركز الإعلام والتوثيق الإفريقي «سيداف» في مدريد، لمدة ست سنوات، ويعمل في تونس. وله اهتمام بتفسير وشرح تقليد وتاريخ الكتاب المقدس. إلى الجذر (١٩٧).

(٢) نسبة إلى شعب الأزتيك، الذي سكن المكسيك منذ القرن الثامن الميلادي، وساد حتى قضى عليه الإسبان. المنجد في الأعلام (٣٨).

سرور وفرح بمثل هذا التقليد والعرف. وبطبيعة الحال في شكلهم الجديد؛ غير السامي، وغير الأوربي)[١].

إن الكاتب يتفق مع الداعين إلى كسر القوالب ذات الصبغة الإبراهيمية، ويدعو إلى تمثل بقية الوثنيات التي تعج بها أرجاء الأرض لتكوين مزيج من دين، أو تدين جديد، يرقص على أنغامه كل «مجذوب» استهوته الشياطين، ويهيم في رموزه كل باطني زنديق لا يعرف حداً ولا رسماً. وهذا ما يريده «غاليندو» في هذه الجولة الثانية من مؤتمراته بالمراسلة «البحث عن لغةٍ مشتركة من أجل حوار بين الأديان»، لغةٍ تَنفك من إسار الإرث الإبراهيمي، ذي الأصل التوحيدي، وتنطلق متمردة لتستوعب ملل الكفر والوثنية تقرباً لصنم التقريب الديني.

المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة ـ تنظيم كريسلام:

«من أنا في قولكم أنتم؟» إنجيل متى (١٦، ١٦) عام ١٩٩٧م

وردت هذه الجملة الاستفهامية التي وسم بها غاليندو مؤتمره الثالث بالمراسلة في إنجيل متى، منسوبةً إلى عيسى ﷺ، ضمن القصة التالية: (ولما وصل يسوع إلى نواحي قيصرية فِيلُبُّس، سأل تلاميذه: من ابن الإنسان في قول الناس؟ فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان، وبعضهم الآخر يقول: هو إيليَّا، وغيرهم يقول: هو إرميا أو أحد الأنبياء. فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله الحي. فأجابه يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا. فليس اللحم والدم كشفا لك هذا، بل أبي الذي في السموات) متى (١٦/ ١٣ ـ ١٨)[٢]، قال غاليندو:

---

(١) إلى الجذر (١٩٧).

(٢) العهد الجديد (٨٢ ـ ٨٣).

(الموضوع الذي اخترناه لهذا المؤتمر... هو شخصية (عيسى الناصري). هذه الشخصية التي تفصل بيننا، وفي الوقت ذاته هي شخصيةً متعارف عليها، ومشتركة بيننا نحن المسلمين والمسيحيين.. هناك أمرٌ لا يختلف عليه اثنان، وهو أنه منذ قرون يوجد موضوعٌ معلق بين المسلمين والمسيحيين: إنه «عيسى ابن الله». وهو الأمر الذي يعقّد باعتبار كيفية طرحه حتى الآن، العلاقات الطيبة الإسلامية والمسيحية. وهو من ناحية ثانية يطرح علينا سؤالاً لا يمكن التغاضي عنه، وينبغي علينا أن نجيب عليه: «من أنا في قولكم أنتم؟»... وهذا السؤال محور هذا المؤتمر الدولي الثالث: ماذا تريدون أن تقولوا حينما تقولون إن عيسى هو ابن الله، أو ليس هو ابن الله؟)[١].

هذا بيت القصيد. وهذا ما أمضى غاليندو فيه قرابة عشر سنين يُمهد له، ويخطط لبلوغه، من خلال أعمال المؤتمرين السابقين الهادفين لإرساء أسسٍ متحررة للحوار، واصطناع لغة له، وقد حان الوقت للانتقال من التجهيزات الفنية إلى المضامين الموضوعية. والكاهن الأسباني الكاثوليكي، المنتمي إلى الجماعة التنصيرية الشهيرة «الآباء البيض»، إيميليو غاليندو آغيلار، لم يخامره شك، رغم دعوته الملحة للتشكك، في نصرانيته، وضرورة صيرورة الناس إليها، فها هو يقول مستبقاً أعمال المؤتمر، وبعد طرح سؤاله السابق، وقبل سماع إجابة المشاركين: (وهكذا فإن ما كان ينبغي أن يكون بالنسبة لنا جميعاً الطريق والحقيقة والحياة، صار آية يناهضها الناس، وعلماً تتضارب أقوالهم حوله). يريد بذلك المسيح عليه السلام.

وجرياً على عادته في توجيه أسئلةٍ محددة للمشاركين في مؤتمراته «الموجَّهة»، فقد فصل السؤال السابق في ثلاثة أسئلة:

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (٧، ٨).

١ ـ ماذا نقصد نحن معشر المسيحيين حينما نقول: إن عيسى هو ابن الله؟

وماذا نقصد نحن معشر المسلمين حينما نقول: إن عيسى ليس هو ابن الله؟

٢ ـ هل تلمح بصيصاً أو بداية إجابة، مع الوفاء للمعتقدات الموروثة، لا تجعلك تقع في تناقضٍ تام بين الديانتين؟

٣ ـ ما النتائج التي تستخلصها من ردك على السؤالين السابقين لإثراء الحوار الإسلامي المسيحي إثراءً متعمقاً بصفة الخصوص، وللحوار بين الأديان بصفة العموم)[١].

وقد استكتب في جولته الثالثة هذه ثلاثة عشر كاتباً عامتهم من أتباع ملته الكاثوليك، وما غبر: ما بين صوفي محترق، ومدع للإسلام، ومستغرب يحمل اسماً إسلامياً.

وسنعرض لبعض المقتطفات التي أبرزها غاليندو من مقالاتهم، ثم نعود لما كتبه هو في مقدمة الكتاب لاستخلاص النتائج.

١ ـ خيسوس سالَس مارتينيث[٢] Jesus Salas Martinez:

● (نريد أن نشير إلى أن مجموع ما قيل لنا يستشف منه أنه في

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٢).

(٢) ولد في «سوفلي» المريَّة ـ إسبانيا ـ عام ١٩٣٥م. قام بدراسة الفلسفة اللاهوتية في بلجيكا، وفي مدينة «قرطاجنة» «تونس». وهو قسيس من الآباء البيض منذ عام ١٩٦٠م. حصل على الدكتوراه في اللاهوت عام ١٩٦٣م، وعمل أستاذاً للاهوت في بلجيكا عام ١٩٦٤م. ذهب في بعثة تنصيرية إلى زائير سنة ١٩٦٨م. كان المسؤول عن الآباء البيض في إسبانيا عام ١٩٧٠م، وكان المساعد العام للآباء البيض في روما سنة ١٧٤م. وعاد إلى زائير عام ١٩٧٦م حيث كان المسؤول عن تكوين المعلمين الدينيين، والذين كان قد أعد لهم سلسلةً من المنشورات باللغة السواحلية. من أنا في قولكم أنتم (١٠٥).

عيسى ومن أجله قد قام تلاميذه بتجربةٍ بأقصى حدودها، وبصورة فريدة بالاقتراب من «السر» الذي لا غبار عليه لحياة الإله الذي ظهر أمامهم في صورة الطيبة والترحيب والعفو والتحرير والأمن والبساطة والكمال. وهذا بالنسبة لي هو مغزى ومضمون تعبير أن «عيسى ابن الله».

● هذه التجربة ذات الحد الأقصى التي قاموا بها في عيسى هي التي حملتهم بصورة لا مناص منها أن يقولوا شيئاً بخصوص عيسى نفسه. وبسبب ذلك استخدموا الرتب والتعبيرات التي كانت في حوزتهم، والتي كانت موجودة أساساً في الثقافة والتاريخ اليهوديين، والتي أضافوا إليها غيرها من أصلٍ إغريقي روماني. ومن تلك التعريفات الكثيرة كان يوجد تعبير «ابن الله». وفي بداية الأمر ربما يكونون قد استخدموا هذا التعبير كغيره، حيث رأوا أنها تعبيرات قادرة على التعريف بشيءٍ يريدون أن يعبروا عنه.

● إذاً، يقع في خطإٍ عميق بالتالي، من يريد أن يستخدم هذه الصياغات أو التعبيرات المتنوعة التي يستخدمها أولئك الكتّاب، كما لو كانت التعبيرات الوحيدة الممكنة، أو كما لو كانت تشتمل على تعبير محدد ليس بمتغير، وصالحٍ على الإطلاق طبقاً لما يعنيه حرفياً)[1].

إننا نبرىء حواريي المسيح ﷺ، ورضي عنهم من مقالة الكفر الفاجرة التي ابتدعها من بعدَهم من الخلوف، حتى أن العبارة المنسوبة إلى بطرس: «أنت المسيح ابن الله الحي» متى (١٦/ ١٧)، لم ترد إلا في إنجيل متى فقط، دون سائر الأناجيل[2]، مما يكشف عن درجة الدس والعبث في أخطر مسائل الاعتقاد.

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٥٠).
(٢) انظر طبعة الرهبانية اليسوعية لـ «الكتاب المقدس. العهد الجديد» (٨٢) حاشية (٧).

والكاتب يحاول تبسيط القضية بتصويرها صياغةً لفظية أملتها الثقافة المحيطة. والأمر ليس مجرد تجوّز في الألفاظ فإن النصارى ـ بما فيهم الكاتب ـ يخلعون على المسيح عيسى ابن مريم صفات الله وأفعاله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً عظيماً ـ ويزعمون أن الله ظهر أمامهم في صورة المسيح.

فما الجديد الذي جاء به هؤلاء النصارى الجدد في غمرة نقدهم للتأثير الإغريقي على النصرانية؟

٢ ـ **سيريل سليم بطرس**(١) Cyrille Salim Bustras:

• (إن المجادلات بين المسيحيين والمسلمين على مدى قرون خلت لم تكن قائمةً على أساس من النصوص الإنجيلية، بل بالأحرى على مسمياتٍ لاهوتية منقولة حرفياً عن الفلسفة الإغريقية، واعتمدتها المجامع المسكونية ضد المارقين الذين كانوا يستخدمون المفاهيم الفلسفية الإغريقية.

• إن إنسان اليوم، كما كان اليهود زمن الكنيسة الوليدة يتساءل: ما معنى أن عيسى ابن الله؟ وتكمن الإجابة في شخص عيسى نفسه: الرب ظهر بشخصه وكماله في عيسى، في كلماته وأعماله وموته وبعثه.

---

(١) ولد في بعلبك ـ لبنان ـ عام ١٩٣٩م. درس الإنسانيات والفلسفة المدرسية في «حريصا» بلبنان (١٩٤٧ ـ ١٩٥٧م). بدأ مسيرته اللاهوتية في صفوف المبشرين التابعين لجماعة القديس بولس مع الآباء البيض بمدينة «كاب» بفرنسا (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م). ودرس اللاهوت في دورة القديسة أنا بالقدس (١٩٥٨ ـ ١٩٦٢م). رسم كاهناً عام ١٩٦٢م. دكتوراه في اللاهوت من الجامعة الكاثوليكية ببلجيكا (١٩٧٤ ـ ١٩٧٦م). أستاذ اللاهوت في «حريصا». إسقف إغريقي كاثوليكي في بعلبك ١٩٨٨م. مقرر لجنة سنودس الأساقفة في لبنان عام ١٩٩٥م. من منشوراته: الاشتراكية، المسيحية، وتحرير الإنسان في فكر روجيه جارودي ط عام ١٩٨١م، اللاهوت المسيحي ورجل هذا العصر. من أنا في قولكم أنتم (٣٥).

• إن المصطلحات اللاهوتية تعبير بشري عن الحقيقة الإلهية التي كُشف عنها في تاريخ الفداء. ولما كان الأمر هكذا فالتعبير لا يمكن أن يكون تعبيراً لا حركة فيه. فالعرف والتقليد الذي ورثته الكنيسة هو شيءٌ حي يحتاج إلى صياغة بشكل مستمر حتى يكون مفهوماً مع انصرام القرون.

• إن الحوار الإسلامي المسيحي لا يسعى إلى القضاء على الخلافات في العقيدة، ولا على فروقات التعبير بين دينٍ وآخر، بل إن ما يسعى إليه هو قشع الأخطاء، مع التركيز على ما يوحد بين الأديان بخصوص العقائد فيما يتعلق بشخص عيسى، بالنظر إلى تدخل الإله في تاريخ البشر)[1].

وهذا مثلٌ آخر لكاثوليكي عربي يُحيل على الوساطة الثقافية الإغريقية في التسبب في وقوع الجدل الإسلامي النصراني عبر القرون، ويبرىء النصوص الإنجيلية من تبعة تلك التعبيرات التي أنشأتها حاجة ذلك الزمان وثقافته، ثم لا نجد أثراً لهذا التفسير، بل نجد مزيداً من التأكيد على المضامين الكفرية لتلك الصياغات اللغوية حين يقول بصراحة: الرب ظهر بشخصه وكماله في عيسى. فماذا ينتظر إذاً من دعوته إلى صياغة مستمرة لموروث الكنيسة يكون مفهوماً للبشر؟![2].

إن العقيدة الحقة لا بد أن تكون واضحة حاسمة في ألفاظها ومعانيها، بل لا بد أن تكون الألفاظ والتعبيرات التي يوصف بها الحق سبحانه «توقيفية»، لا يتدخل البشر في صياغتها، ثم ترميمها، أو إعادة تشكيلها، كلما جرت الرياح بما لا تشتهي السفن.

---

(١) من أنا في قولم أنتم (٣٥).
(٢) انظر ما يعده كيرلس «سيريل» سليم بطرس أخطاءً يسعى إلى قشعها، عند الحديث عنه في مبحث «النصارى العرب» من الباب الأول.

٣ ـ روجيه جارودي[1]:

سبق عرض مشروعه الفكري والعملي للتقريب بين الأديان، ونظراً لأهمية النصوص الواردة في مقالته في المؤتمر نثبتها هنا:

• (البعض كان يعتمد على قراءة حرفية بحذافيرها، بدون نقد ولا مفهوم تاريخي للقرآن، فصارت كل كلمة فيه متحجرة بفعل العرف والتقليد، لا مساس به. والآخرون يكررون بالمثل عقائد لا مساس بها بلغةٍ لم يكونوا يعرفونها «الإغريقية، غير القادرة على ترجمة تجربة عيسى التي لا سابق لها».

• المسلمون أعطوا للمسيحيين مفهوماً للثالوث، لم يكن هؤلاء يعتقدونه أبداً من قبل. لأننا قرأنا القرآن بصورة حرفية، بدون أن نأخذ في الحسبان على الإطلاق، السياق التاريخي. كانوا يكررون صيغة مؤداها أن العذراء مريم هي الأقنوم الثالث في الثالوث: «اتخذوني وأمي إلهين من دون الله».

• حقيقي أيضاً أن الصياغات الإغريقية لمفهوم اللاهوت بمجمع نيقية (٣٢٥م) كانت غير قادرة على تفسير وترجمة تجربة عيسى المستحدثة، والتي كانت غريبة تماماً على الثقافة واللغة الإغريقيتين. فعلى سبيل المثال: حين نقول إن عيسى من نفس مادة الإله فهذا ليس له معنىً إلا عند الإغريق الذين لا تعني كلمة «مادة» بالنسبة لهم سوى الشيء الذي يكون خلف المظهر. وذلك لا يعبر بحالٍ من الأحوال عن الحقيقة الحية لعيسى.

• الحقيقة العلمية بالنسبة للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين هي أنه لا يمكن أن يكون هناك حوارٌ حقيقي بين مذهبين، ولا تقارب

---

(١) انظر: ترجمته، ودراسة محاولته للتقريب بين الأديان في المبحث الأول من هذا الفصل.

لاهوتي، إن كان كل طرفٍ يحمل في داخل دينه الحوار العقدي، ويضعه نصب عينيه)[١].

يزعم هذا الدَّعي للإسلام، أن المسلمين هم الذين ألصقوا مفهوم الثالوث بالنصارى! إن الذي وصمهم بذلك رب العالمين، عالم السر والجهر، الذي لا يظلم مثقال ذرة، في كتابه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء] لم تتقاذفه اللغات والعُجمات والترجمات المختلفة التي يعلن جارودي ها هنا تأثيرها العميق على المجامع المسكونية النصرانية التي صاغت عقيدة التثليث، وغيرها من العقائد الوثنية. ومن ثم يدرك جارودي استحالة التقارب بينها وبين التوحيد الخالص الذي جاء به محمد ﷺ.

٤ ـ خوسيه إغناثيو غونثاليث فاوس[٢] Jose Ignacio Gonzalez Faus:

- (إن الهوية المسيحية لا تتألف فقط من القول أو التصريح بأن

---

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (٣٥) واستدلال جارودي بآية: «اتخذوني وأمي إلهين من دون الله» مغالطة، حيث حذف صدرها: «أأنت قلت للناس»، وفسر «من دون الله» بـ مع الله ليتحصل له ثلاثة. ولم يفرق بين اتخاذ النصارى لهما إلهين وزعم مريم أقنوماً. ومع ذلك فقد اعترف بنفسه أن بعض النصارى كان يعد «مريم» أحد الثالوث.

(٢) ولد في بلنسية ـ إسبانيا ـ عام ١٩٣٩م. نصِّب في جمعية يسوع عام ١٩٦٣م. أستاذ اللاهوت النظامي بكلية اللاهوت ببرشلونة. دورات دراسية متفرقة في المكسيك والسلفادور ونيكارغوا وبورتوريكو... الخ من (١٩٦٩ ـ ١٩٧٧م) مدير «مختارات اللاهوت»، مسؤول الدراسات اللاهوتية بمركز الدراسات اللاهوتية والعدالة. من مؤلفاته: البشرية الجديدة. مقالات حول الظاهرة اليسوعية ط ٧. عام ١٩٨٧م، المدخل إلى عيسى ط ٦. عام ١٩٨٧، اختيارات تفسيرية لألوهية عيسى ـ مع آخرين ـ ط عام ١٩٨٣م. من أنا في قولكم أنتم (٦٧).

عيسى هو ابن الله، بل يتعلق الأمر بالعيش فيه. ومن المحتمل أن لا يكون عيسى نفسه قد أعلن أبداً أنه إله، بل إنه قد عاش هذا الإلهية بصورة وجد الناس فيها حياته بشكل أقل دينية من كلماته. ويقول إنجيل يوحنا إنه ذات مرة كانوا يريدون القبض عليه ليس لأنه كان يقول أنه ابن الله، بل لأنه كان يفعل كالإله.

• حينما نشرح ديننا نحن المسيحيين الغربيين فسيكون علينا أن نوضح أيضاً أننا أبناء إرث تاريخي محدد يفعل فعله فينا بصورة سلبية ضدنا. وأشير بذلك إلى دخول المسيحية، وعدم مثاقفتها للعالم وللثقافة الإغريقية مثاقفة مقنعة تمام الإقناع. لأن العقل الإنساني يمكن أن يصل حتى العقل النهائي للأشياء.

• إن ألوهية عيسى ليست إلا، ولا شيء آخر، الأساس الحاسم لأخوة البشر. فبين جميع الناس تجبرنا ألوهية عيسى نحن المسيحيين على الأخوة، معطين أنفسنا أساساً جوهرياً مطلقاً لها)[1].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

لقد تجاوز هذا الكاتب قضية المؤتمر «هل عيسى ابن الله» إلى تقرير عقيدة أن عيسى هو الله. وصدق الله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ [المائدة: ١٧]، وفوق ذلك يريد هؤلاء الكريسلاميون أن يتخذوا من ألوهية عيسى المزعومة أساساً حاسماً وحيداً لأخوَّة البشر. إن مبلغ تحرر هؤلاء من إرثهم الكنسي المثقل بغموض الفلسفة الإغريقية، وتعقيدات المجامع المسكونية أن يتحسروا لا على تسلل الشرك والوثنية إلى عقائدهم، بل على عدم قدرة الثقافة واللغة الإغريقيتين على توضيح ألوهية المسيح وبنوته، اللتين ليستا محلاً للنقاش، وإنما النقاش في كيفية «تسويقهما» بلغة جديدة، واعتمادهما أساساً لوحدة الأديان.

---

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (٦٧).

٥ ـ خيسوس آبيلينو دِلابيندا[١] Jesus Avelino de la Pienda:

• (أن يقول المرء: إن عيسى هو ابن الله، لا يمثل مشكلاتٍ كبرى للوهلة الأولى. كذلك نقول: «نحن جميعاً أبناء الله». وفي كثيرٍ من الأديان الأخرى، يكون للآلهة أبناء. فمفهوم البنوة له معانٍ مختلفة. وأهمية هذا المفهوم أو ذاك تتوقف على المحيط الثقافي.

• إن البنوة الإلهية لعيسى تتعقد حينما يتعلق الأمر بشرح لماذا هي وحيدة نوعها. وهنا إنما يكون الجهاز المفهومي للرؤية الإغريقية للعالم يدخل بأكمله ليقرر رأيه في القضية...

• هذه التأملات لا تبحث عن أن يتنازل المسيحي عن كيفية تصوره وشرحه «سرّ عيسى»، بل إنها تحاول المساعدة في تكوين وعي بالأصل الثقافي لهذه التصورات، ولقصورها بالتالي. وهي ترمي إلى تفادي أن يقتصر سر عيسى على مثل هذه التصورات، فإن قصرناها على مفهوم عيسى في الثقافة الإغريقية، فمن الصعوبة بمكان أن نجعله مفهوماً عند أعراف دينية أخرى.

• إن كنا واعين للنسبية الثقافية لهذا الحدث، فسوف نكون أقل تشدداً حينما يستلزم الحوار بين الأديان منا مرونة، وسوف نكون أكثر تسامحاً مع صور أخرى لفهم وتفسير السر اليسوعي، وسنكون أكثر احتراماً للأنبياء الآخرين، ومع أبناء آخرين للإله مع تجسداتٍ أخرى للكلمة الإلهية)[٢].

لقد حاول الكاتب التقليل من بشاعة إطلاق القول بأن عيسى ابن الله بتنظيره باستعمالات أخرى ـ تفتقر بدورها إلى الصحة ـ كمقالة اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، ولكنه ينحى منحى

---

(١) تقدمت ترجمته في المؤتمر الثاني رقم (٧).
(٢) من أنا في قولكم أنتم؟ (٩١).

المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م) الذي وسَّع مفهوم الخلاص لغير شعب الكنيسة، انطلاقاً من مسوغاتٍ مدارها على أن «سر الروح القدس» يعمل بصورة خفية في تلك الديانات والتقاليد يثمر ما هو خير وصواب في أديانهم، ولكنه لا يكتمل إلا بالتوجه الكامل نحو الإيمان بالمسيح[١]. فهذا ما يبرر المرونة والتسامح اللذين يستلزمهما الحوار بين الأديان للمساعدة في بلوغ الرشد المطلوب في زعمهم.

٦ ـ محمد طالبي[٢]:

• (بالنسبة للإسلام، عيسى ليس هو المسيح الذي وصل للمسيحيين، والذي ينتظره اليهود، إنما عيسى ببساطة هو الممسوح، الذي تلقى مسحة مقدسة خاصة بالأنبياء، وأيضاً بقساوسة إسرائيل، دون إشارة ما إلى الملكوت، ولا إلى العصور المسيحية.

• القرآن يتحدث عنه بما يلي: «إن عيسى هو كلمةٌ تخرج، تنبعث من الإله (٣/ ٤٥) «كلمته وجهها إلى مريم وروح ينبعث منه» (٤/ ١٧١)، «جزيء من الروح بثه في مريم» (١٢/ ٦٦)، «يؤيده روح القدس» (٢/ ٨٧، ٢٥٣، ٥/ ١١٠) وقد بشر به يوحنا المعمدان على أساس كونه «كلمة تنبعث من الإله، وهو سيد وحصور ونبي من الصالحين» (٣/ ٣٩).

• ومن هذه النصوص لا يستشف المسلمون، ولا يستخلصون نتيجة مؤداها أن عيسى يصير من طبيعة خاصة، لأن من المستحيل أن يتخيل المرء هذا الشيء في السياق القرآني، فعيسى يظل بالتمام وحسب، إنساناً.

---

(١) انظر موقف الكنيسة الكاثوليكية في الباب الأول.
(٢) تقدمت ترجمته في الباب الأول (٦٥٧).

• أن لا يعترف المسيحيون ـ أو أنهم صاروا لا يعترفون ـ بالعقائد التي يدينها القرآن، لا تنتج سوى إسعاد المسلمين، وتقدم إمكانات أكبر لتقارب متبادل. لكن هذا سيكون بمثابة التعرض لإحباطات مريرة حين نفكر في أن سر الثالوث مهما كانت رقة اللغة المستخدمة ورهافتها في التعبير، والتقدم المحرز في صياغة ذلك عقلياً، يمكن أن لا يتصالح مع التوحيد كما يؤمن به المسلمون»[١].

في أحسن المحامل لهذا الكاتب الذي يتحدث باسم الإسلام، يمكن القول أنه أساء التعبير؛ إذ كان ينبغي أن يقول إن صفات الألوهية التي يطري بها النصارى المسيح ﷺ لا تنطبق على عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم الذي أرسله إلى بني إسرائيل. كما أنه أساء في ترجمة معاني الآيات القرآنية في شأن عيسى ﷺ بما يوقع في النفس معنى الحلول والتجسد الذي يقول به النصارى، كترجمته لقوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] بـ «جزيء من الروح»، وقوله: «تنبعث من الإله»، دون أن يبين بجلاء أن «من» ليست التبعيضية، وأن «الروح» التي خلق منها عيسى هي روح مخلوقة، وأن إضافة «الكلمة» إلى الله إضافة تشريف وتكريم، أي كلمة تكلم الله بها، فكان بها عيسى، ولم يكن هو تلك الكلمة.

وكل هذا لا يسلم به النصارى اليوم، ولم يتراجعوا عن العقائد التي يدينها القرآن فما مصدر سعادة الكاتب إذاً؟[٢].

٧ ـ أنطونيو بينيروساينث[٣] Antonio Pinero Saenz:

---

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (١٠١).

(٢) انظر عرض بعض آرائه في فصل: الإسلاميون العصرانيون.

(٣) أستاذ كرسي فقه لغات العهد الجديد المعاصرة بجامعة مدريد المركزية. حصل على الإجازة في الفلسفة المحضة، وفي فقه اللغات الكلاسيكية، وفي فقه لغات العهد القديم الثلاثة. دكتوراه في فقه اللغات الكلاسيكية عن=

• (هل يمكن لأحدٍ أن يؤكد أن عيسى التاريخي يمكن أن يكون الابن الإلهي، من نفس الذات، كما تعلمه الآن العقيدة؟ هذا السؤال، رغم ذلك، مع كل ما يحتويه من خطورة وأهمية، لا يجد أدنى إجابة واضحة..

• هناك من يتحدث بألف مواربة ومواربة وظُرف حول ظاهرة اليسوعية المضمرة، وعن نوعٍ ما من ضمير تقاربي بين عيسى والأب، وعن علاقة ديناميكية، وعن استنضاح تام لكل ما هو ألوهي الخ...، لكنهم لا يجيبون بوضوحٍ، وجلاء مطلقين على القضية. سبعة هي فحسب نصوص العهد الجديد التي تؤكد بوضوح وربما بشكل محتمل جداً إلى أن عيسى هو الله... ولكن لا يوجد من بينها نصٌّ يتكلم فيها عيسى بنفسه عن نفسه ولا عن طبيعته، بل آخرون هم الذين يعطون تأكيدات حول هاتين النقطتين.

• طبقاً للانتقادات الموجودة، بما في ذلك الكاثوليكية، لا يوجد في أي من نصوص الأناجيل الثلاثة الأولى تأكيد مباشر وغير مباشر أن عيسى هو الله، لكن هذا إنما ينجم بكل تأكيد عن شخصية عيسى التاريخية.

• وكنتيجة ختامية: فمن ألفٍ وثلاثمائة وخمس عشرة مرة ترد فيها كلمة Dios أي الإله، في العهد الجديد، لا يوجد موضع واحد يقول: «إن عيسى هو الله»؛ وليس يوجد بالمثل أي عبارة يتفق حولها الناقدون تكون قد نَمَّت عن شفتي عيسى التاريخي)[١].

= أطروحة بعنوان: المسيحية خلال القرنين الأولين، حصل بها على جائزة لويس بيبس، التي يمنحها المجلس الأعلى للبحوث العلمية في أسبانيا عام ١٩٧٦م، ألف ما يزيد عن ثلاثين مقالاً علمياً، ونشر سلسلة، الأناجيل الزائفة للعهد القديم، ٥ أجزاء. ويقوم حالياً بإعداد عمل بعنوان: الأعمال المنسوبة زيفاً للقديسين. من أنا في قولكم أنتم (١٢١).

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٢١).

الحق أن هذه الاعترافات الخطيرة من كاتبٍ يتبوأ منزلةً عالية في فقه اللغات الدينية، والدراسات النصرانية تنسف أصول اللاهوت النصراني، وتبدو ـ ها هنا ـ نشازاً بين جملة النقولات السابقة واللاحقة التي انتخبها غاليندو. والعنصر الوحيد الذي يتماشى مع ما ينادي به غاليندو هو عنصر التشكيك وحسب، وليت تشككهم يجري في هذا المضمار، علة أن يقودهم إلى الهدى.

٨ ـ سمير خوري[١]:

• (الكلمات حتى وإن صارت متطابقة صوتياً واشتقاقياً، إلا إن معناها مع ذلك، مختلف في القرآن وفي الكتاب المقدس... فلا عيسى المذكور في الأناجيل هو عيسى القرآن، ولا المسيحيين هم النصارى. وتحديد هذه المعاني هو أمرٌ سابق لأي حوار.

• وبسبب كينونته وكلمته وعمله، فعيسى هو الكاشف عن الأب، وعن تعبيره الكامل.. لقد أخبر البشر بمعرفة حياة الإله الداخلية.

• إن إله عيسى هو الأب، إنه ليس الآن ذلك الكائن الرهيب، المشرِّع، القاضي، رئيس الجيوش، الأكبر، السلطان المطلق، السر الرهيب... إنه المحبة، والحنان، والوجْد، والترحيب، والهبة والعفو، السر الفاتن.

---

(١) ولد في جبيل «ببيلوس» ـ لبنان ـ عام ١٩٤٢م. ماروني لبناني. حصل على الإجازة في الفلسفة من جامعة الروح القدس «الكسليك» في جونية، وإجازة في اللاهوت من جامعة القديس يوسف التابعة لليسوعيين ببيروت. حصل على الدكتوراه من جامعة السربون بباريس. عمل أستاذاً في U.S.E.K.، ومنذ عام ١٩٧٧م يعمل كأستاذ كرسي بالجامعة اللبنانية. من مؤلفاته: تعاسة شعب. ط ١٩٧٩م، المتدينون في لبنان: شخصيتهم ومهمتم ط ١٩٩٥م. الموقف اليسوعي عند شعوب المشرق ط ١٩٨٣م، من هم أولئك الموحدون الذين يتحدث عنهم القرآن؟ ط ١٩٨٧م. شارك في العديد من المؤتمرت الوطنية والعالمية. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٣٧).

• بالنسبة للإسلام، الله هو كيان إلهي، لكنه ليس شخصاً أو أقنوماً إلهياً. فهو ليس إذاً علاقة بالنسبة لشخص آخر يكون مساوياً له بالتطابق، ولا يخلق على شاكلته، فطبقاً لهذه التوحيدية، فالله لديه وظيفة هي الخلق، تقود إلى تبعية مطلقة له. لكن ليس لديه علاقات بالأشخاص، ولا عواطف، الله ليس له تاريخ. أتباعه موحدون»[1].

إن هذا الكاتب النصراني يحاول ستر سوأة المعتقد النصراني، بألوهية المسيح وبنوته، أمام نصاعة التوحيد الإسلامي، بعقد مقارنات جائرة، يفرق فيها بين عيسى القرآن وعيسى الإنجيل، والنصارى والمسيحيين، وإله المسلمين وإله عيسى، بعبارات تفتقر إلى التهذيب وتعظيم جنب الله. فهو يصف إله عيسى ـ الذي يتجسد في عيسى في نفس الوقت وفق معتقد النصارى الفاسد ـ بمعانٍ محببة، في مقابل صفات القوة والسلطان وما يقتضي الخوف والرهبة فقط، ومن ثم فاه بنفي العواطف عن الله، يريد نفي المحبة والرحمة والعفو ونحوها، موهماً أن ذلك هو اعتقاد المسلمين في ربهم سبحانه وتعالى! وكذب هذا الخوري، فالله سبحانه وتعالى موصوف في القرآن والسنة بصفات الكمال والجمال، كما هو موصوف بصفات العظمة والجلال، وعلاقته بأوليائه المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. فله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا يقاس بخلقه، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً. وقد سبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات].

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٣٧).

٩ ـ سميح محمود دغيم[١]:

• (إن المجهود المبذول في إخضاع النص القرآني لمتطلبات ومعايير منهجية حديثة، يصطدم مع التبجيل الذي يعطى للقرآن ولِلُغتِه. ويحدث الشيء عينه في المسيحية، وإن كانت هذه تظهر بصور أكثر مرونة، نظراً لأن إخضاع الأناجيل للدراسة لا يعني بالنسبة للمسيحيين إخضاعاً للتنزيل، حيث إن هذا الوحي المذكور آنفاً، أمرٌ متواصل عبر الروح القدس. لذا فإن الحوار يصبح غير متوازن، لأن المسيحيين، بهذا الاعتبار، ليسوا أهل كتاب.

• في لغة الإيمان، أليس من قبيل الحكمة الإلهية أن يتكلم الله من جديد للبشر بخطابٍ مناسب لكل حقبة؟ ولكن هذا لا يعني أن الله يمكن أن يتحدث لنا الآن أيضاً، بل يعني أن لنا الحق في أن نفهم ما يعرض علينا بصورة ملائمة لظروف عصرنا.

• ونحن في خواتيم القرن العشرين، من الملائم للجميع أن نتطرق ونواجه موضوع الدين من وجهات نظرٍ أخرى)[٢].

إن الفارق بين القرآن العظيم، والأناجيل التي بأيدي النصارى، ليست فقط لكون النصارى لا يعدون نقدها إخضاعاً للتنزيل، وإنما لأن القرآن باقٍ على أصله الرباني، كلام الله الذي تكفل بحفظه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

وها هي ذي الأناجيل التي أخضعت لمتطلبات ومعايير المنهجية الحديثة، قد تكشفت عن تناقضات ومعارضات للعقل والفطرة، تؤكد امتداد أيدي العبث والتحريف إليها، ومع ذلك لا يزال النصارى على معتقداتهم الشركية العتيقة. ولو كان هؤلاء المتطاولون يجدون منفذاً

---

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الثاني رقم (٩) (٩٩١).
(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٥٥).

صالحاً للطعن في القرآن العظيم، لما انتظروا أن يؤذن لهم، ولكنَّ سهامهم تتكسر أمام منعة القرآن وعزته، وصلاحيته لكل زمان ومكان وأمة.

وأخيراً فما حاجة هؤلاء إلى الإلحاح على المطالبة بالنقد، وهم يمنحون أنفسهم الحق في فهم ما يشتهون بصورة ملائمة لظروف العصر كما يزعمون؟

١٠ ـ خابيير بيكازا إيروندو[١] Javier Pikaza Ibarrondo:

• (بالنسبة لمحمد، فإن عيسى هو الإنسان الذي وصل إلى الغاية ونهاية الشيء. الإنسان الذي فيه يجري التعبير عن كلمة الله وروحه، لكن في حياته، فإن من يتكلم هو الإله الذي يحقق المعجزات. فعيسى إذاً ليس إلا إنساناً لا غير.

• بالتأكيد، فإن عيسى بالنسبة لمحمد يمثل حدثاً غير عادي، لحظة جوهرية لتواجد الإله في العالم، على نحوٍ يمكن لنا معه أن نأخذه على محمل وجود بشري للروح الإلهية..

• هنالك فقط حيث رسالة العدالة النبوية لمحمد، مع ظهور جماعة من المؤمنين «الخاضعين أو المسلمين لله»، تأتي موازية لخطبة الجبل التي ألقاها عيسى، بحيث يُخصِّب كلاهما الآخر في احترام أكيد. وهنا يمكن أن يوجد بهذا المعنى حوار ديني توحيدي... واليوم يمكن أن يحدث الشيء نفسه: هنالك فقط حيث نجد المشروع اليسوعي

---

(١) ولد في أوروسكو من بلاد الباسك ـ إسبانيا ـ عام ١٩٤١م، ودرس اللاهوت في مقاطعة سلمنقة، والفلسفة والكتابات المقدسة في روما. وعلى مدى اثني عشر عاماً درس في جامعة اللاهوت في سلمنقة، كأستاذ كرسي لتاريخ الأديان ونظرية العدالة الإلهية. ويتولى حالياً تكوين الطلاب التابعين لجمعية الرحمة في سلمنقة. ومن مؤلفاته: التجربة الدينية المسيحية ط ١٩٨١م، كلمة المحبة ط ١٩٨٢م، سر الإله ط ١٩٩٠م. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٦٩).

غير العنيف «المحبة المجانية المُحَوِلة» لعيسى ، يعود ليحتل مكانه في مركز الحوار. وبذلك يمكن أن يكون هناك لقاءٌ أو افتراق بين المسيحيين والمسلمين.

• بالنسبة لمحمد، فإن عيسى قبل أي شيء هو «عبد الله»... ومن المؤكد أنه نبي ورسول الله... بل وأكثر من ذلك، فاستناداً على عناصر من العُرف المسيحي، قَدَّم محمدٌ عيسى على أساس أنه «كلمة» و«روح»، تأتيان من جانب الله...)[1].

إن مكمن الخطر في هذا الضرب من النصارى الذين يُبدون التعاطف والموضوعية مع المسلمين، هو تسريب عقائدهم في خضم صياغتهم لمفهوم العقيدة الإسلامية، ضمن المشروع اليسوعي غير العنيف، فقد تقوّل هذا الكاتب على نبينا ﷺ ما لم يقله، بل ما جاء بنفيه ومنعه، من دعوى ألوهية المسيح، كما في الفقرة الثانية.

١١ ـ جواد نوربخش[2]:

• (في رأينا، «ابن الله» تعني أن عيسى هو الابن الروحي للإله، على النحو نفسه الذي يكون كل «المحبين» لله هم أبناؤه الروحيون.

• في رأينا، قد يكون من الأفضل أن تترك الديانات المختلفة الشعوذات جانباً، وبعد أن تحطم أصنامها المعبودة، تقبل أن الإله هو «الوجود المطلق»، وأنه لا يوجد كائن ما سواه.

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٦٩).

(٢) ولد في كرمان ـ إيران ـ طبيب نفساني. أستاذ ومدير قسم علم النفس بجامعة طهران حالياً. هو قطب للجماعة الصوفية «نعمة الله» منذ عام ١٩٥٣م. وقد تأسست هذه الجمعية في إيران في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي على يد الشاة نعمة الله والي، ومن معلمي الصوفية. من مؤلفاته: في فردوس المتصوفين؛ في الحانة، سبع مقالات حول الصوفية، عيسى في نظر المتصوفة، منتخبات من نصوص صوفية حول عيسى، علم النفس الصوفي. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٩١).

• للأسف، الناس عابدو أصنام، والموجهون الدينيون يستخدمون عبادة الأصنام هذه عند الناس بغية بلوغ طموحاتهم، ورغباتهم، ومناصب، وتحسين ظروف معاشهم.

لذا فإنه في الصوفية، كلما كان الإنسان متواضعاً، وبدون أل «أنا»، زادت صوفيته. لذا فإن معلمي الصوفية كانوا يشيرون إلى أنفسهم بـ «النكرة، ابن النكرة».

• ينبغي أن تتركز كل محاولة للزعماء الدينيين على التربية، وترسيخ قوة المحبة والشفقة عند مريديهم)[١].

لم تزل الصوفية محضِناً لوحدة الأديان، يجد دعاتها فيها ملجئاً ومغاراتٍ ومدَّخلاً لكفرياتهم منذ قديم الزمان. وها هو هذا الصوفي الوجودي المحترق، يجاهر بمذهب أهل الاتحاد والفلاسفة الدهرية، أتباع أرسطو والفارابي[٢] وابن سينا، من فلاسفة الإغريق والعجم، القائلين إن الله (هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق)[٣] وزنادقة الصوفية من أهل وحدة الوجود الذين لا يثبتون وجوداً سواه[٤]. ولهم في المسيح عليه السلام غلو وإطراء يضاهئون به قول النصارى. بل كفرهم أعظم من كفر النصارى. لأن النصارى قالوا بالحلول الخاص وهؤلاء عموا به جميع المخلوقات.

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٩١).

(٢) محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر، الفارابي. ولد في «فاراب» سنة ٢٦٠هـ. وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، ورحل إلى الشام ومصر. واشتهر بالفلسفة حتى سمي: «المعلم الثاني». من كتبه: الفصوص، وإحصاء العلوم، وغيرها. توفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ. انظر: الأعلام (٧/ ٢٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٧٦)، البداية والنهاية (١١/ ٢٢٤).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٣).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٥١٦ ـ ٥٤٦).

١٢ ـ نور الدين ريسوني[١]:

• (إن الفقرات القرآنية التي تتحدث عن عيسى، أو التي تشير إليه، ليست نافيةً بل هي مؤكدة. فالرفض يتطلب نفي حقيقة ما. والقرآن لا يرفض أي حقيقة. بل على العكس فإنه يعرض صفات هذه الحقيقة المتعلقة بعيسى. فالقرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله، بل يعلن ويشهد أن عيسى إنسان، وابن امرأة، ونبي، ورسول من الله.

• نعتقد أنه حتى اللحظة الحالية، أننا لم نصل ولا حتى إلى البدء في حوار إسلامي مسيحي حقيقي وصادق. ذلك لأن جميع النقاط المطروحة للتناقش تدور حول أمور تقلق المسيحيين بل بالأحرى، المسيحيين المعتقدين في الثالوث وحسب. على أن هذا لا يمنع التعاون في مشروعات محددة ومعينة، من أجل رفع مكانة الإنسان بين المسلمين والمسيحيين. وهذه مهمة تبدو لا غنًى عنها، بل وإلزامية وعاجلة)[٢].

إن مسلماً يعي إسلامه لا يمكن أن تصدر عنه هذه الجملة: «القرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله»، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهو القائل سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ٢]. وأكفر اليهود والنصارى بدعوى البنوة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة]. فإذا كان الحوار الإسلامي المسيحي الحقيقي والصادق، كما ينشد الكاتب،

---

(١) ولد في تطوان ـ المغرب ـ عام ١٩٣٦م. حصل على الإجازة في العلوم الاقتصادية، مشارك في مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٩٧)

(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٩٧).

يستلزم عدم إقلاق النصارى، بل إرضاءهم، بأن القرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ فليبحث له عن اسمٍ آخر، لا يكون الإسلام طرفاً فيه.

١٣ ـ مونسينور بيير كلافري[١]:

أشار غاليندو إلى أن أسقف وهران ـ الجزائر، المذكور، كان قد وافق على المشاركة في أعمال هذا المؤتمر، قائلاً: (ببالغ السرور أقبل المشاركة في هذا المؤتمر الثالث بالمراسلة. سأحاول أن آخذ على عاتقي هذا التحدي الذي تضعونه أمامي، من أجل صالحنا، وكذلك من أجل تفهم أفضل متبادل:. ويتابع غاليندو: (لكن ليس الجميع في الجزائر يعمل من أجل هذا التفهم الأفضل. ففي الأول من أغسطس ١٩٩٦م حصد اغتيال أثيم حياته. لقد قرروا بصورة وحشية إسكات صوته. لكن رسالته من أجل الحب حتى آخر رمق في سبيل شعبه، رسالته من أجل احترام الاختلافات والتضحية، كي يتعارف البشر كإخوة، فوق كل السياسات والثقافات والأديان، لا تزال حية)[٢].

وقد استعاض غاليندو عن ذلك، بناءً على مشورة المونسينور هنري تِيسير، كبير أساقفة الجزائر[٣]، ببيان حرره كلافري وسائر أساقفة المغرب ـ شمال إفريقيا ـ.

خلاصة وتحليل:

لقد كانت الجولة الأولى من محاولات، أو بالأحرى، مناورات، غاليندو تهدف إلى نقد تجربة الحوار الإسلامي النصراني، بصفتها السائدة حتى نهاية الثمانينيات الميلادية، لإغراقها في الشكليات

---

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (٥) (٩٥٩).
(٢) من أنا في قولكم أنتم (٢٠٩).
(٣) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (١) (٩٥٥).

والمجاملات التي لم تثمر سوى خبرةً في المداراة، وتحاشت الموضوعات الأساسية والعميقة التي تفصل بين الراغبين في التقارب خشية أن ينقطع الخيط الرقيق الممدود بين الجانبين، ومن ثم انصبت أعمال المؤتمر الأول على ذكر العقبات الحقيقية، وتوصيف الشروط الضرورية من الناحية الفنية فحسب، لإجراء حوار حقيقي. ودعا غاليندو إلى مطلبه الثلاثي: الانفتاح على ما هو عالمي، والانطلاق من النواة، والاعتراف بالتعددية. وكان من لوازم ذلك مواجهة المؤسسات الدينية التقليدية التي تحاول قمع التحرر، والتخلص من المطلقات، وإعطائها صفة نسبية.

وجاء المؤتمر الثاني تحت ستار البحث عن لغةٍ مشتركة، كخطوة أولى لترك القشرة، والدخول إلى اللب، أو الذهاب إلى الجذر. وكان هدفه الانعتاق من الإرث الإبراهيمي الذي تنتسب إليه الأديان الثلاثة، عن طريق الإجابة بالإيجاب أنه يمكن للمرء أن يكون مسلماً أو نصرانياً دون أن يكون من الناحية الدينية من أصلٍ ساميّ، أي على ملة إبراهيم، ويمكن أن يكون كذلك أيضاً دون أن يكون من الناحية الثقافية عربياً أو أغريقياً، أي يعبر عن إيمانه بلغة تينك الثقافتين. وثمرة هذا الإنجاز أن تتسع دائرة الدين لتشمل سائر الوثنيات الآسيوية والأفريقية. فبالتخلص من «الإبراهيمية»، يتم التحرر من أسار «التوحيد»، وبالاستغناء عن الثقافة بالإغريقية والعربية، يتم التحلل من مدلولات الألفاظ والاصطلاحات العقدية التوفيقية المقننة، واستبدالها بعتادٍ لغوي جديد، يصبح لغةً عالمية تستوعب مختلف المقاصد.

وإلى هذا الحد يقف كثيرٌ من دعاة وحدة الأديان من أمثال جارودي. فقصارى ما يتمنون تصويب جميع الأوضاع الدينية والتقاليد والحِكَم ـ كما يسمونها ـ شريطة ألا تتضمن دعاوى الفوقية، ونزعة بسط السيطرة، والتشبث بأوضاع تاريخية وفقهية خاصة. ولكن غاليندو يذهب إلى أبعد من ذلك. فأين يريد؟!

إنه يسعى إلى وحدة دينية، على أساس ألوهية المسيح، وبنوته لله تعالى، لكن بصياغة جديدة، وطرحٍ جديد! وهذه مقتطفات من سعيه:

(نعتقد أن جانباً كبيراً من المشكلة إنما ينشأ من ظاهرة محددة، وهي الانتقال بصورة لا يمكن تجنبها تاريخياً، بالتعبير المسيحي لمفهوم العقيدة، انطلاقاً من عقلية وثقافة ساميتين إلى عقلية وثقافة إغريقية لاتينية، وهي في نفس الوقت بعيدة كل البعد عن الفكر الإسلامي. وهو الأمر الذي اعتدنا تسميته: «ثمن الوساطة الثقافية»... واليوم، كالأمس علينا أن ندفع ثمن الوساطة الثقافية للحضارة التقنية، ذات الأبعاد العالمية، التي تدعونا نحن وهم لاحترام التعددية في الآراء تجاه شخصية عيسى الناصري... إن ضرورة تنفيذ هذه الوساطة الثقافية في عالمنا المعاصر بالنظر لعيسى الناصري، ابن الله، هو ما تريد كريسلام أن تثيره في هذا المؤتمر الثالث... كان بداخل هؤلاء المفكرين والمؤمنين رغبة سرية، وغير مفصح عنها لإجراء طرحٍ جديدٍ لعيسى ابن الإله. ويقول ذلك بكل دقةٍ وإصابة غونثاليث فاوس: «... إن صيغ العقيدة بشأن ظاهرة يسوع قد جرى التعبير عنها بأمور صارت صلاحيتها في عالم اليوم أمراً مشكوكاً فيه)... نلمس رغبةً عميقة في إطلاق النفس والتحرر، ليس من الأرثذوكسية الضرورية، بل من عبادة صنم الأرثذوكسية التي تلهب ظهورنا، عن طريق دراسة جادة ومتجددة تجعلنا نربط بين سر عيسى، ودرجات العقل التي تسود ثقافاتنا المعاصرة، نظراً لأن التوازن الثقافي والروحي لظاهرة اليسوعية الناجمة عن القوالب الإغريقية، وعن الثقافة الغربية العتيقة، قد انفصمت عراها بفضل الحضارة التقنية المنتشرة في جميع أنحاء العالم... يقول فرايخور: «كل حقبة تحتاج بصورة ملحة أن تقول لنفسها من هو عيسى بالنسبة إليها. فليس يكفي أن نكرر الصياغات العقدية التي اعتدناها في قرون خلت»... وهذا ما يفعله المسيحيون، فإنهم لا يرفضون ماضي

المجامع المسكونية واللاهوتية، بل إنهم يحاولون صياغة هذه العقيدة نفسها داخل تفهماتنا وثقافتنا المعاصرة)[١].

وصدق من سماهم «ضالين» فبينا يقول المرء قد رَجَعُوا ﴿إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء]، إذا بهم قد نكسوا على رؤوسهم، وعادوا لما نهوا عنه! لقد نزل غاليندو بثقله في مؤتمره الثالث، الذي جعل محوره ماهية عيسى عليه السلام ليغوص بحثاً عن «السر»، وتلفُّه دوّامة «البؤرة» ليقع فيها، ويَعَضَّ بأصل «الجذر»، وينخنق فيه، على حد تعبيراته الباطنية.

(هذه الصفحات ليست سوى أن تكون عملية تقريبيةً للتعريف بألوهية عيسى. وينبض تحت كثير من هذه السطور الصدى الحقيقي لما أقرَّ به ابن عربي، المعلم العالمي المولود بمرسية، والذي يوجز لنا أفضل إيجاز الهدف من وراء هذا المؤتمر: «من يقع مريضاً في عيسى لا يبرأ أبداً» الهدف، وكذلك المنهجية: فبدلاً من طريق العقيدة والمذهب، هناك طريق التجربة، وما تستلزمه الحياة... إن أولئك الذين دخلوا في تجربة ابن عربي نحو عيسى، يعرفون بنور واضحٍ كالنيران أن المطلق الوحيد هو الرب. وفي ظله الأُمَوِي ـ نسبة للأم ـ الذي نشعر به، ونقبله، كما نتعلم نحن البشر كيف نتفهم بعضنا بعضاً. إن الشيء الأمثل الذي يمكن لنا أن نفعله نحن معشر الباحثين عن الرب، لن يكون عن طريق التناقش فيما بيننا حول نظرياتٍ متحجرة وعقائدية، ولا عن طريق مقابلة عقائد هي جد فقيرة، وتكاد أن تكون خاوية حين يتعلق الأمر بالسر، بل أن نضع جنباً إلى جنب خبراتنا بالإله. وربما بعد ذلك لا يصير للكلمات معنى، وتنغرس فينا بعمق هذه الصرخة الحارقة لتجربتنا، كعلامة انتمائنا لنفس إلهٍ واحد)[٢].

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (٨ ـ ١٢).
(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٣).

هذه نهاية المطاف مع غاليندو نحو الجذر. إنه اعتقاد ألوهية المسيح وأنه ابن الله، والعيش في ذلك عن طريق التجربة، التي يسميها أولياؤه من أهل وحدة الوجود الذوق. فلا عجب أن تهوي قلوب بعضهم إلى بعض، فإن ما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف. وجدير بالذكر أن غاليندو أثبت أبيات ابن عربي المشهورة في وحدة الأديان[١] باللغة العربية على الغلاف الخلفي لكل واحدٍ من كتبه الثلاثة في الحوار الإسلامي ـ النصراني. وحين سألته عن سر ذلك قال:

(إنني أعتقد أن هذا النص هو أفتح وأوسع نصٍ في الإسلام يتقبل الآخرين. فقلت له: ماذا عن التقاليد الأخرى كالهندوسية والبوذية، وغيرهما. فأجاب: (على مقتضى الفهم الصوفي، الأمر يتسع للجميع. ونحن في كريسلام لم نرفض أحداً، ولكن الجهود القائمة حالياً بين المسلمين والمسيحيين.

قلت: وماذا عن اليهود؟ لم يرد لهم ذكر!

فأجاب: لقد أجلنا الحديث مع اليهود حتى يتبين موقفهم من القضية الفلسطينية[٢].

قلت: لكن هذا خلطٌ بين السياسي والفكري!

فأجاب: نحن لم نرفضهم، وهم لم يأتوا إلينا.

قلت: هل تقصدون الوصول إلى نوعٍ من الدين الموحد من الإسلام والنصرانية؟

---

(١) التي مطلعها: لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي... الخ وقد تقدم ذكرها.

(٢) ترى أي موقف ينتظره غاليندو لليهود من القضية الفلسطينية بعد نصف قرن من الاحتلال والإذلال والتشريد وتدنيس المقدسات.. الخ؟ أم هو الصلح المزعوم الذي احتضنته بلاده في ذكرى سقوط غرناطة؟

فأجاب: علينا أن نمضي في طرح الآراء والفهم المتبادل، ثم نصل إلى ما يقودنا إليه البحث[١].

والحق الذي لا مرية فيه، أن غاليندو قد حزم أمره، وبيّت النية، بعد أن وقع مريضاً في عيسى، وراح يستدرج أهل الإسلام إلى بيئته الموبوءة، ومؤتمراته المأفونة، وقد نهى ﷺ أن يُورَد المُمرِض على المُصِحّ[٢].

وصدق الله: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].



(١) جرت هذه المحاورة في مكتبه في (دارك ـ نيومبا) بمدريد يوم الأربعاء ٥/٤/١٤١٩هـ.

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٣١)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٤٣، ١٧٤٤).

المبحث الثالث

محاولات «صن مون» لتوحيد الأديان

تعصف بالعالم النصراني منذ بضعة عقود ظاهرة «المذاهب الدينية الجديدة»، خصوصاً في أمريكا وأوربا، في دلالة واضحة على حالة القلق والملل والفاقة التي تجثم على الضمير الإنساني من جراء الطغيان المادي، والفكر الإلحادي، الذي ساد في هذه الفترة، وعجز المؤسسات النصرانية الطبيعي عن سد تلك الفاقة، وإطفاء العطش الفطري نحو الإيمان الصحيح الذي تستريح إليه النفوس، وتطمئن به القلوب.

فمن ثم نشأت مذاهب شتى بعضها من داخل الفكر الديني النصراني، وبعضها وافدٌ مع «الطيور المهاجرة» من الشرق الوثني، حيث باضت وفرّخت وبنت أعشاشها في ذلك الخواء الروحي المتهيء لتلقف ما هبَّ ودبَّ من الأفكار التافهة، والعقائد المنحطة بغية العثور على غذاء الروح.

ويصف د. محمد هلال هذه الظاهرة وتوجهاتها العامة بقوله:

(تنتشر المذاهب الدينية الجديدة في أوربا وأمريكا بشكلٍ ملفتٍ للنظر، وهناك منها ما يناسب كل الأذواق والميول. وعلى سبيل المثال سيجد الشباب الحائر المتلهف للمطلق، مذاهب مثل: «أبناء الله»، أو «الثورة للمسيح». أما المتعطشون للخوارق فستغريهم المذاهب الشفائية مثل «القلوب الثلاثة المقدسة». ومريدو الإخفائية سيتوجهون نحو الروحانية والتنجيم والسحر. أما العقلانيون فستقنعهم المذاهب العلموية مثل «العلم المسيحي»، و«علم العلوم». والمغرمون بالشرق ستجتذبهم

المذاهب الباطنية مثل «التأمل المتسامي»، و«يقظة كرشنا»، و«الجورو مهراجي»، و«السوكاجاكي»، و«البوذية التأملية». بينما يتجه القلقون إلى المذاهب الألفية المبشرة بقرب عودة المسيح، مثل «المورمون»(١) و«الإدفنتست»(٢) و«شهود يهوه»(٣)(٤).

ومن بين هذا الركام من العقائد والنحل، وجدت «المونية» Moonism التي تنسب إلى مؤسسها الملياردير «صن مون»، لتلبي نزعةً تراود الكثير من أدعياء التدين، نحو توحيد الأديان.

إننا أمام محاولة متطرفة تسعى لا إلى تقارب الأديان، ولا إلى تعايش الأديان، بل نحو دمج الأديان وتوحيدها ضمن إطار فكري ساقط متهافت، توحي به شياطين الإنس والجن، وتسنده بلايين الدولارات.

---

(١) المورمون Mormons أو: كنيسة المسيح لليوم الأخير: فرقة دينية أسسها ١٨٣٠ جوزف سميث في نيويورك، بروتستانتية، ومركزها الرئيسي مدينة «سولت ليك». ترتكز معتقداتهم على الكتاب المقدس، وكتاب المرمون، ورؤى سميث، كما وردت في كتابي «العقائد والمواعيد» و«الدرة الثمينة». وتتشكل الكنيسة من اثني عشر رسولاً. وتتميز بأهمية الكشف، والتشديد على فصل الحياة الروحية عن الزمنية. وقد أباحت الطائفة في طور من أطوارها تعدد الزوجات. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٤٩١).

(٢) جماعة تضم طوائف دينية متقاربة. ترتكز عقيدتهم المميزة على الاعتقاد بمجيء المسيح الثاني. ويعتمد الإدفنتست على تعاليم وليم ميلر (١٧٨٢ ـ ١٨٤٩م)، الذي كان قد تنبأ بأن نهاية العالم ستكون في ١٨٤٣، ثم غير رأيه إلى ١٨٤٤م، ثم قرر أتباعه أن زمن رجوع المسيح غير محدد، عندما تحصل قيامة الأموات ويبدأ العصر الألفي! وهم يقدسون يوم السبت، ولهم نشاط تنصيري واسع النطاق. وقد انقسموا إلى عدة جماعات. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٠٠).

(٣) شهود يهوه: فرقة أسسها في الولايات المتحدة تشارلس روسل عام ١٨٧٤م. لا يؤمنون بالثالوث، ولا بالمسيح إلهاً، بل شاهداً أسمى ليهوه.

(٤) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٥٣ ـ ٥٤).

أولاً: السيرة الذاتية لـ «صن مون»:

■ ولد في كوريا الشمالية عام ١٩٢٠م لعائلة تنتمي إلى «المذهب الكالفني»[١] البروتستانتي. وكان اسمه حينذاك «يونغ ميونغ مون»، ثم تغير لاحقاً إلى: «صن ميونغ مون» وهو الذي اشتهر به. ثم سُبق بـ «ريفيراند» أخيراً.

■ درس «الهندسة الكهربائية» في اليابان، ورجع إلى بلاده عام ١٩٤٥م.

■ التحق عام ١٩٤٦م بمجموعة دينية في العاصمة «سيئول»، وأمضى معها ستة أشهر في «دير إسرائيل». كوَّن فيها أفكاره الأساسية.

■ اعتقله الشيوعيون في كوريا الشمالية بسبب الإخلال بالنظام العام، والقيام بممارساتٍ جنسية إباحية، وأطلقت سراحه قوات الأمم المتحدة عام ١٩٥٠م، واعتقل ثانية في كوريا الجنوبية بسبب «الزنا»، ثم اعتقل ثالثة عام ١٩٥٥م، بسبب ممارسة طقوس جنسية، وكان قد طلق زوجاته الأربع.

■ أسس في مطلع الخمسينيات «كنيسة توحيد النصرانية العالمية» في كوريا، ونشر كتابه «المبادىء الإلهية» عام ١٩٥٧م، ونال اعتراف السلطات الكورية الجنوبية بكنيسته عام ١٩٦٣م.

■ شرع منذ عام ١٩٦٥م في نشر دعوته عالمياً عن طريق المحاضرات، ولاقى نجاحاً في الولايات المتحدة الأمريكية، مع تنامي ثروته المالية الهائلة، ثم انتقل فعلياً إليها عام ١٩٧٣م، وعرف بموقفه

---

(١) نسبة إلى كالفن (يوحنا) Calvin (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م). «إصلاحي فرنسي». نشر في فرنسا وسويسرا مذهباً حمل اسمه. أنشأ في جنيف حكومة ثيوقراطية. له كتاب: «الأسس المسيحية». جُعل منه أكبر لاهوتي عرفه «الإصلاح». المنجد في الأعلام (٥٩٢).

المؤيد للرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» في فضيحة «ووترجيت» الشهيرة، ثم بدعم البرنامج السياسي للرئيس رونالد ريغان في أمريكا الوسطى.

■ في عام ١٩٧٥م تقدم بطلب انضمام كنيسته لمجلس كنائس مدينة نيويورك الذي يضم ١٧٠٠ كنيسة بروتستانتية وأرثذوكسية، فقوبل طلبه بالرفض.

وتعد المرة الأولى التي يرفض فيها المجلس طلب انضمام منذ تأسيسه قبل ثلاثٍ وثلاثين سنة.

■ سجن لمدة سنة ونصف في السجن الفدرالي في كنكتيكت Connecitcut عام ١٩٨٢م، حين قامت الهيئة الفدرالية لضريبة الدخل في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار الحركة المونية شركة تجارية، وليست منظمة دينية، بحيث ألغت حق الإعفاء من الضريبة الخاص بالحركة الدينية، وأدين «مون» بتهمة التهرب من دفع الضرائب البالغة ١٦٢ ألف دولار، للفترة من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٨٥م. ولكن مون وأتباعه استغلوا هذا الحدث بوصفه «اضطهاداً دينياً» يستدرون به عطف رجال الدين والمجتمع، فتظاهر ١٧٠٠من المعجبين به فيهم اثنا عشر قسيساً أمريكياً، للمطالبة بالإفراج عنه، فخفف الحكم بذريعة حسن السيرة والسلوك.

■ قام عام ١٩٨٣م بجولة أوربية لنشر دعوته، ولكنه لم يقابل بترحاب، ورفضت سلطات بون ـ ألمانيا الغربية ـ استقباله، بوصفه «شخص غير مرغوب فيه».

■ رفضت حكومة كوريا الجنوبية إقامة كنيسة لأتباع مون قرب البرلمان في سيئول، ووافقت على إقامتها على بعد ثلاثين ميلاً خارج العاصمة.

■ يملك مون ثروة هائلة من العقارات والشركات والمؤسسات في شتى أنحاء العالم منها: فندق New Yorker في «مانهاتن»، وشركة للنشر تسمى Paragon House، بالإضافة إلى أراضي ذات قيمة عالية في كوريا الجنوبية، وأمريكا الجنوبية، ومئات المطاعم ومحلات بيع المجوهرات، كما أسس جريدة «الواشنطن تايمز» التي يقرؤها خمسة وسبعون ألف قارىء. ويعيش مون حياة بذخ وثراء، رغم أنه يشيع عكس ذلك.

■ يقدر أتباع مون بحوالي مليونين إلى ثلاثة ملايين شخص، منتشرين في مائة وعشرين دولة؛ معظمهم في كوريا، واليابان، والولايات المتحدة، بينما لا يزيد عددهم في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا على ألف شخص.

ويقوم أتباعه بالعمل مجاناً، وبدون تأمين اجتماعي في مؤسساته الصناعية والتجارية[(١)].

ثانياً: مزاعم «صن مون» في سبيل «توحيد الأديان»:

لا يمكن أن نطلق على ما ادعاه «صن مون» من مزاعم «فكراً» يستحق المناقشة. فهو لا يعدو أن يكون دجلاً وزوراً من جنس ما يتقوَّله الأفاكون، والسحرة والمنجمون، والمتنبئون الكذابون، من دعاوى عريضة، ومخاريق مضحكة.

وسنقتصر فقط على ما له صلة بقضية «وحدة الأديان»، التي اتخذها «مون» عمدة لحركته ودعوته. فقد جاء في نص البيان الذي ألقاه مساعده، وأكبر معاونيه شانج هوان كواك، أمام ثلة من العلماء

---

(١) انظر: مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦٠ ـ ٦٧)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩١ ـ ٤٩٦)، جريدة المسلمون. الأعداد (٣٥ ـ ٣٨).

والمفكرين المسلمين في إسطنبول عام ١٩٨٥م ما يلي: (تلقى مون الوحي من المسيح سنة ١٩٣٦م، عندما كان في السادسة عشرة من عمره. وفي السنوات التالية تتبع التعاليم الروحانية المشتركة بين مؤسسي الأديان، ودرس عن الأنبياء والقادة الدينيين، أمثال: بوذا وموسى ومحمد وآخرين. ومن خلال هذه الخبرات التي اكتسبها تحقق من أن إرادة الله، والقيم الأساسية، هي التي تجمع بين الأديان والأمم، وتجعلها تعيش في سلام. إن البشرية قد خلقها إله واحد، عانى كثيراً حتى يوحد بجهوده بين الناس. وبطبيعة الحال لم يكن هذا التوحيد لا لون له. أنشأ الله الديانات عن طريق القادة الدينيين «القساوسة» و«الأنبياء»، هؤلاء من اختارهم وأمدهم بالحقيقة والحب. وتطورت الديانات في العالم، ومن خلال الرسل نشر الله أبناءه في كل مكان ليعكسوا بالطرق المختلفة، وبالكنايات، مثالياته الأساسية، ومصادر وأغراض الحياة البشرية، والاتجاهات التي توجه النفس البشرية)[١].

■ وفي كتابه «المبادىء الإلهية» الذي نشره عام ١٩٥٧م، يقدم روايته الخاصة لـ «بدء الخلق»، ليبرز دوره المميز في المسيرة الإنسانية، فيقول: (إن الملاك «لوسيفر»[٢] تحول إلى الشيطان بسبب حسده لآدم، وأغرى حواء حتى جامعته ثم أفسدت آدم. ومنذ ذلك الحين فإن الشيطان يقاوم محاولات الله لإعادة الإنسانية إلى وضعها الأول، أي ما قبل الخطيئة، وعليه يكون التاريخ الإنساني هو تاريخ إخفاقات الله التي سببها الشيطان بخداعه للإنسان. ولكن هذه الحالة من الأمور سوف

---

(١) عن جريدة المسلمون. عدد (٣٥) السبت ٢١ محرم عام ١٤٠٦هـ ١١ أكتوبر عام ١٩٨٥م (٩).

(٢) لوسيفر Lucifer في عرف النصارى رئيس الشياطين، الملاك الساقط. انظر: المنجد في الأعلام (٦١٦).

تنتهي في زمننا هذا «الأزمان الأخيرة»، وسوف تقوم مملكة الله من جديد قريباً.

وكان الله بجعل الشعب اليهودي كشعب مختار، قد قام بمحاولة لإعادة الإنسانية إلى وضعها الأول، ولكن اليهود خانوا العهد. ومع ذلك فقد نقلوا وعد الله والأمل في الخلاص، ولكنهم لم يعترفوا برسالة عيسى المسيحانية. من ناحية أخرى، فإن عيسى اكتفى بالدعوة إلى الخلاص الروحي، وحيث إنه لم يتزوج، فإنه لم يستطع تأسيس «شعب مختار» جديد، وهو الذي كان سيسمح بالوجود المتصل لله في التاريخ الإنساني.

وهكذا تعتبر مهمة عيسى قد فشلت بصلبه. وعليه فإن الخالق قد قام بعملية إحياء جديدة للإنسانية، حيث في نهاية الزمن أرسل رسوله ليحل المسائل الأساسية للحياة والكون، واسم هذا الرسول «صن ميونغ مون»[١].

■ وكسائر الدجالين والمشعوذين يقحم أموره الشخصية في منظومته الدينية، فيجعل من زواجه بزوجته الخامسة «هن هاك جا» عام ١٩٦٠م تأويلاً لعرس الحَمَل[٢]. ويلقب زوجته بـ «أم الكون» أو «الأم الحقيقية»، ونفسه بـ «أب الإنسانية الجديدة»، وأطفالهما بـ «الأطفال بلا دَنَس»، وعائلتهما النواة الأولى أو الخلية الأساسية للعائلة الموحدة[٣].

---

(١) عن مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦١ ـ ٦٢).

(٢) جاء في سفر رؤيا يوحنا من العهد الجديد: (لنفرح ونبتهج ولنمجد الله، فقد حان عرس الحَمَل. وعروسه قد تزينت، وخُولت أن تلبس كتاناً براقاً خالصاً. فإن الكتان الناعم هو أعمال البر التي يقوم بها القدِّيسون. وقال لي الملاك: اكتب: طوبى للمدعوين إلى وليمة عرس الحَمَل). رؤيا يوحنا (١٩/ ٧ ـ ٩).

(٣) انظر مفاهيم معاصرة (٦١، ٦٢، ٦٣).

■ جاء في القانون الأساسي لحركة «مون» المنقح سنة ١٩٨٤م ما نصه: (إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إلهٍ واحد، بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية والوطنية والقومية والاجتماعية)[١].

■ ومن مخاريق «مون» زعمه أن الله قد اصطفى شعباً مختاراً جديداً هو الشعب الكوري، وأرض ميعادٍ جديدة هي كوريا. (ولذلك جاءت حملة مون ضد الشيوعية، وبهدف التوحيد النهائي للكوريتين. وجاء تقدير «مون» لدور الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة العالمية)[٢].

■ اعتمد «صن مون» في تفعيل حركته على عنصري السياسة والاقتصاد. فأقام علاقاتٍ واسعة مع العناصر المؤثرة في المجالات السياسية والعسكرية في بعض دول آسيا وأمريكا الجنوبية، كما أسس مشاريع استثمارية عملاقة من التبرعات التي يبذلها مؤيدوه بسخاء، سيما حين كان يرفع شعار محاربة الشيوعية. وقال: (علينا أن نحتضن الوسط الديني بذراع، والوسط السياسي بالذراعِ الأخرى)[٣].

■يركز على أوساط الأكاديميين، ورجال الإعلام، ويستحوذ على الشباب بأساليب شبيهة بأساليب الباطنية[٤].

ثالثاً: المحاولات العملية لـ «صن مون» لتوحيد الأديان:

سلك مون أسلوب العمل المؤسسي المنظم لنشر دعوته. فأسس في وقتٍ مبكر في مطلع الخمسينيات «الكنيسة الموحدة العالمية» أو «الكنيسة التوحيدية». وقد تفرع عنها بعد انتقاله للولايات المتحدة:

---

(١) عن: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩٢).

(٢) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦٢).

(٣) المرجع السابق (٦٦).

(٤) انظر: جريدة المسلمون. عدد (٣٨) السبت ٢٢ صفر عام ١٤٠٦هـ (٢).

«المؤسسة العالمية المتحدة للأديان» «IRF»، والتي تشرف بدورها على «المجلس العالمي للأديان» الذي نيط به عقد المؤتمرات العالمية لتوحيد الأديان.

المجلس العالمي للأديان: Council For The World's Religions:

ويترأسه «صن مون»، ويشغل منصب مساعد رئيس المجلس شانج هوان كواك. ومن أبرز أعضائه: اليهودي فرانك كوفمان، والقس الكاثوليكي يوسف كلارك.

وقد جاء في مذكرة المجلس أن أهدافه تتلخص في:

- (المناداة بوحدة الإنسانية.
- منح الاحترام الواجب للتراث الإنساني المختلف.
- دعوة الناس من كل الأديان إلى نوعٍ من الوحدة الروحانية، واحترام خصوصيات كل دين.
- تشجيع الفهم المتبادل، والتعاون بين ومع المعتقدات الدينية في العالم.
- معاونة هؤلاء المتطلعين إلى إيجاد تناسقٍ وانسجام بين الأديان، والمساعدة في التعاون بين المنظمات الدينية.
- توسيع استخدام وجهات النظر الدينية في حل المشاكل الإنسانية العامة.
- الدفاع عن حقوق الإنسان، بما في ذلك حق حرية الاعتقاد الديني وممارسته.
- التأييد العلمي للطموحات الفردية الخاصة بالمعتقدات الدينية، عن طريق وضع برامج من شأنها تخفيف المعاناة، وتحسين حال البشرية)[١].

---

(١) انظر: جريدة المسلمون. عد (٣٥). السبت ٢١ محرم عام ١٤٠٦هـ ١١ أكتوبر عام ١٩٨٥م.

وهذه الأهداف الثمانية لا تحمل النص على نبوة «مون»، ورسالته المزعومة في توحيد الأديان، ولكنها تمهد الطريق للقيام بأنشطة متنوعة، ضمن أطرٍ مقبولة عالمياً، ومن خلالها يتم تمرير دعوته والوصول إلى مواقع يتعذر بلوغها بالصفة الصريحة المنبوذة.

وقد منحت المؤسسة العالمية المتحدة للأديان IRF المجلس العالمي للأديان إمكانات مالية واسعة، وتعيين ممثلين من مختلف أديان العالم.

وقد عقد المجلس عدة مؤتمرات عالمية في أنحاء متفرقة من العالم بهدف توحيد الديانات في ذاتها، تمهيداً لتوحيدها جميعاً تحت راية المونية. فمن ذلك:

١ ـ مؤتمر توحيد اليهود. في سويسرا.

٢ ـ مؤتمر اتحاد العالم المسيحي. في إيطاليا.

٣ ـ مؤتمر البوذيين. في اليابان.

٤ ـ مؤتمر الهندوكية. في سيريلانكا.

٥ ـ **مؤتمر: «اتحاد العالم الإسلامي»**: وقد عقد في إستانبول ـ تركيا ـ في الفترة: ١٩ ـ ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٥م، بالتعاون مع كلية «الإلهيات» بجامعة مرمرة، تحت شعار: (نحو فهم ووحدة العالم الإسلامي). وقد ضم هذا المؤتمر ثلاثة وعشرين مشاركاً؛ ستة عشر مسلماً، وخمسة مستشرقين، وممثلَين عن المَجْلس، هما:

١ ـ القس الكاثوليكي يوسف كلارك. ٢ ـ المسؤول المالي والإداري للمؤتمر: اليهودي فرانك كوفمان. ومن المستشرقين البروفسور: بارنت بيرس، أستاذ ورئيس قسم الإعلام بجامعة ماساتشوست، والدكتور: جون إسبوزيتو، الأستاذ بقسم الدراسات الدينية بكلية الصليب المقدس بجامعة وورستر بالولايات المتحدة،

ومدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي التابع لجامعة جورج تاون.

ومن أبرز من استدرج لهذه «المصيدة» من العلماء والمفكرين المسلمين ـ وللأسف ـ:

١ ـ الدكتور صلاح الدين المنجد. عضو المجمع العلمي في بغداد والهند، والأستاذ بعدة جامعات عربية وأجنبية.

٢ ـ الدكتور كمال الهلباوي. الخبير في مجلس التعليم العربي لدول الخليج.

٣ ـ الدكتور عبد الله جوب. مفتي البنجول في جامبيا.

٤ ـ الدكتور رفعت يوسالتين مفتي جمهورية قبرص وآخرون.

وقد أقيم المؤتمر في فندق طرابيا، أفخم فنادق البسفور، على مقربة من القسطنطينية القديمة عاصمة الخلافة العثمانية. وكانت المفاجأة المؤلمة أن ألقى شانج هوان كواك مساعد رئيس المجلس العالمي للأديان، صن مون، وأكبر معاونيه بياناً مطولاً في اليوم السابق لإعلان البيان الختامي، أعلن فيه على رؤوس الملأ أن صن مون يتلقى الوحي من المسيح، وأنه أصبح نبياً. ثم دُعي الحاضرون إلى مأدبة فاخرة على شرف كواك، ولم يمتنع عن الحضور سوى عالم مسلم واحد[1].

وبعد:

فهذه محاولة «فردية» من محاولات توحيد الأديان انتدب لها أفاك أثيم، نشأ في أحضان النصرانية البروتستانتية، واصطبغ بأحلامها المسيحانية، وراح يداعب مشاعر التائهين الضالين من بني آدم، يعدهم ويمنيهم، فتبعه الملايين، رغم تفاهة دعوته ودجلها البيّن، حتى إن القارىء يظن نفسه أمام أسطورة تاريخية لماني، أو مزدك، أو طُرقي

---

(١) المرجع السابق.

محترق في العصور المظلمة، وليس أمام حدثٍ في النصف الأخير من القرن العشرين، يستعمل أحدث وسائل التقنية والإدارة لتنفيذ مخططاته الشيطانية.

ومما يزيد الأمر سوءاً، أن نجد بعض المنسوبين إلى العلم والفكر من المسلمين يسارعون في مثل هذه المحاولات المشبوهة، بل المكشوفة المفضوحة، دون روية، أو رادع من عقل، أو وازع من دين، حتى يُعلن بين ظهرانيهم دعوى نبوة كاذبة، في موقف خزي ومذلة، وقد علم كل مسلم أن محمداً ﷺ ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].



المبحث الرابع

محاولات الشيخ أحمد كَفتارو للتقريب بين الأديان

لا يكاد الباحث ـ ولله الحمد والمنة ـ يجد من علماء المسلمين الذين تبوأوا المناصب الدينية الشرعية الكبرى، كالإفتاء والمشيخة ورئاسة دور العلم العريقة، من اشتهر بالدعوة إلى تقارب الأديان، والسعي في سبيلها، اللهم إلا أن تكون هِنات افتقرت إلى أناة، أو موقف ضعفٍ ومجاملة أملاه وضع رسمي، أو تأويل غير سائغ، أو رقة في الدين، والله على كل شيء وكيل.

وما ذاك إلا لأن العلم بـ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وأن محمداً ﷺ ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤]، من المعلوم من الدين بالضرورة. وأن ليس ثَمَّ في مجادلة أهل الكتاب بالتي أحسن، التي أرشد الله إليها بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] إلا ما دل عليه قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]، وما دل عليه هدي النبي ﷺ مع يهود المدينة، ونصارى نجران، ومكاتبة ملوك الأرض ودعوتهم إلى الإسلام. ثم ما سار عليه أصحابه وخلفاؤه، وأئمة المسلمين. وما سوى ذاك وسواس الشياطين، وسبيل الزنادقة الملحدين كإخوان الصفا، وأهل وحدة الوجود.

فكل ناشىء في الإسلام يعلم ذلك يقيناً، فكيف بمن آتاهم الله

الكتاب، وأخذ عليهم الميثاق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]،؟ وكيف بمن وَلي للمسلمين ولاية شرعية عامة «كمفتي الديار» ونحوها، ممن يصدر عنه العامة، ويرجع إليه الكافة، من حملة العلم الشرعي، الموسومين بزي الصالحين، المرسومين بالألقاب الدينية؟!

ولولا أن الشيخ أحمد كفتارو يجهر بالدعوة إلى هذا الأمر صراحةً، ويعده محمدة تحتذى، ويعلن أنه يسعى جاهداً في هذا السبيل منذ أكثر من خمسين سنة ويجوب أقطار العالم النصراني داعياً إلى التقارب[١]، لما أفردناه بالذكر والبحث، ولضربنا عن ذكره صفحاً، كآخرين ما بلغوا مبلغه.

أولاً: تعريفٌ موجز، وسيرة ذاتية:

هو الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد أمين ابن الشيخ موسى الشهير بـ «كَفتارو». ولد سنة (١٣٣٠هـ = ١٩١٢م)، وتلقى العلوم الشرعية، وعلوم الآلة على كبار علماء دمشق في زمانه. وسلك الطريقة «النقشبندية» الصوفية، فكان مريداً لشيخه ووالده، الذي أجازه بالوعظ والإرشاد العام، وما أجازه به شيوخه، زاعماً أن رسول الله ﷺ أمره أمراً صريحاً بذلك في رمضان عام ١٣٥٠هـ[٢]!

وقد زاول التدريس والوعظ في مسجد أسلافه «جامع أبي النور»، معتمداً التربية الصوفية، مع قدر من الانفتاح الاجتماعي، والنزعة الإصلاحية. فكان أن ألَّف جماعة باسم «جماعة الأنصار»، منذ عام ١٩٥١م ذات مقاصد اجتماعية وثقافية.

---

(١) وإنصافاً للشيخ سوف نعتمد على ما كتبه تلميذه د. محمد حسن الحمصي في عرض مواقفه ونقل كلامه.

(٢) زعم أحد مريديه (أنه وصل إلى حالٍ من السمو الروحي، كان يرى فيها النبي المصطفى ﷺ يقظة في كل وقت يتجه فيه بقوة روحه إلى روحانية النبي ﷺ). الدعاة والدعوة الإسلامية المنطلقة من مساجد دمشق (٢٠٦/١).

ويتمتع الشيخ بقدرة خطابية، وأسلوب عاطفي مؤثر، وحركةٍ دائبة. وقد أتاح له منصبه «مفتي سوريا» أن يطوف عشرات البلدان الإسلامية وغير الإسلامية[١].

ثانياً: محاولاته العلمية والعملية للتقريب بين الأديان:

أ ـ محاولاته على الصعيد المحلي:

بدأ الشيخ أحمد كفتارو رحلة «التقارب الديني»، وعلى وجه الخصوص التقريب بين الإسلام والنصرانية، في مستهل شبابه، وفي فترة مبكرة من تاريخ سوريا الحديث، إثر استقلالها عن الانتداب الفرنسي عام ١٩٤٥م، بدوافع وطنية، وبهدف توحيد صفوف الأمة. وذلك عن طريق المحاضرات العامة، والأحاديث الإذاعية والمتلفزة ـ لاحقاً ـ وتحرير المقالات في الصحف. ولعله أول من أحدث في الإسلام عبارة: «إخواننا المسيحيين»[٢]، مما أثار عليه سخط العامة والخاصة في تلك الفترة.

■ يقول تلميذه ومريده د. محمد حسن الحمصي: (اعتاد سماحته أن يلقي العديد من المحاضرات العامة ـ منذ أوائل عهد الاستقلال ـ ويطرح فيها مواضيع[٣] تعمل على التقريب بين أبناء الديانتين الإسلامية والمسيحية. من ذلك المحاضرات التي ألقاها في تلك الفترة في مسجد «يلبغا»... تحت عنوان: «التعاون الإسلامي المسيحي، وهل يمكن أن

---

(١) انظر ترجمته فيما كتبه تلميذه د. محمد حسن الحمصي، وغلا فيه، في كتاب: (الدعاة والدعوة المنطلقة من مساجد دمشق) (١/ ٢٢٣ ـ ٢٤٥)، (٢/ ٩٠٧ـ ٩١٧). ومعظم مادة هذين المجلدين تدور حوله.

(٢) انظر: مقالة (النصارى ليسوا إخواننا كما يقول بعضهم) للشيخ د. صالح الفوزان. مجلة الدعوة السعودية. عدد ١٦٩٣. عدد صفر ١٤٢٠هـ.

(٣) هكذا، والصواب «موضوعات».

يتغلب على الإلحاد»، وأخرى تحت عنوان «وحدة الأديان، والتآخي بين المسيحية والإسلام»، وغير ذلك من المواضيع التي تعمل على توحيد صفوف الأمة بمختلف طوائفها. .

■ ونقل عن «مكتب الدراسات العربية السورية» في مطبوعاته لسنة ١٩٥١م، أن المذكور: «أخذ على عاتقه مهمة التفاهم مع الإخوان المسيحيين، والتوفيق بينهم وبين المسلمين»، وأنه ألقى ـ في هذا الصدد ـ محاضرات قيمة، أسماها «مصافحة المسيحية والإسلام في ظلال القرآن». . . ومن هذا المنطلق المتعاون البناء، راح. . يعلن ـ خلال حديثه الإذاعي الديني ـ على رؤوس الأشهاد تهانيه للعالم المسيحي، في ذكرى ميلاد سيدنا عيسى[1] ذاكراً نبذةً من تعاليمه. . .

وعندما استعمل. . . ـ خلال أحاديثه التلفزيونية التي اجتذبت الجميع ـ عبارة فيها من التهذيب اللفظي ما يزيل الجفوة بين المسلم والمسيحي، فكان يقول عند الحديث عنهم: «إخواننا المسيحيين» ثارت ثائرة أولئك، وشنوا عليه هجوماً عنيفاً)[2]. ومن نماذج دعوته للتقريب

---

(١) قال ابن القيم ﷺ: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به، فحرامٌ بالاتفاق. مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل. فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة فقد تعرض لمقت الله وسخطه). أحكام أهل الذمة (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).
ومعلوم أن «عيد الميلاد» عند النصارى يجري فيه من إعلان الكفر العظيم من التثليث، وتأليه عيسى، والقول ببنوته، ما الله به عليم.

(٢) الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مسجد دمشق. (٢٣٧) حاشية (٤، ٥١٨، ٥٢٦). وعذر التلميذ أقبح من فعل الشيخ. فإن وصف الإخوة، =

بين الإسلام والنصرانية في محاضراته وأحاديثه ما يلي:

■ قال في محاضرة إذاعية ألقيت بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٣٨٠هـ الموافق ٧/ ٩/ ١٩٦٠م بمناسبة «المولد النبوي»: (... أجد تقارباً، بل اتحاداً ووحدة تتمثل بين أبناء سيدنا عيسى، وأبناء سيدنا محمد.. أجد تجاوباً وتعاوناً صادقاً يتحقق بين أبناء الإنجيل وأبناء القرآن... فَقَرَّ عيناً ـ يا ربيعنا الأول ـ بما ترى وتشهد من مناظر المحبة والائتلاف، ودفن الضغائن والاختلاف... لقد صار ـ يا ربيع ـ ميلاد الرسولين الكريمين عيداً مقدساً عند المسلمين والمسيحيين)[1].

فهل وجد كفتارو أحداً من النصارى يقدس بدعته؟

■ وكتب في جريدة «الأيام» بتاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٥٦م:

(الأديان كلها من مصدر واحد، وليتحابب أهل الأديان السماوية، ويناصر بعضهم بعضاً)[2].

= وصف شرعي، جعله الله رابطة إيمانية بين المسلمين كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة]، وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم... الحديث) متفق عليه. إلى غير ذلك من النصوص الصحيحة الصريحة.

واعتذار الحمصي بأن هذا التجوز ـ أو كما يسميه التهذيب اللفظي ـ مما يزيل الجفوة، ينم عن جهلٍ بأصول الإسلام. فإن المسلم لا يحل له أن يواد من حاد الله ورسوله، ولا يقع ذلك من مؤمن كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية [المجادلة] وأي محادة أعظم من ادعاء الولد لله، والإشراك في ربوبيته وألوهيته؟!

(١) المرجع السابق (١/ ٥٢٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٥٢٩).

إن وحدة مصدر الأديان تقتضي أن يقبل أتباعها برسالة النبي الخاتم، ويصدقوها ويعملوا بشريعتها، كما أخذ الله بذلك الميثاق على أنبيائهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾ [آل عمران] لا أن يستنكفوا عن اعتناق الإسلام ويستكبروا، فلا محبة إذاً ولا ولاية، وهذا من بدهيات الإسلام كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال في الولاية والمناصرة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وبالمقابل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)﴾ [الأنفال]. ونهى الله المؤمنين عن موالاة الكافرين في غير ما موضع: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المائدة]. فهل خفيت هذه النصوص على المفتي العام؟

هذه نماذج من أقواله، وهو بين ظهراني المسلمين، في أرض الشام المباركة، أما الأفعال، فضِغثٌ على إبَّالَة[1]، فلقاءات المجاملة والتهاني، والزيارات الودية المتبادلة مع بطاركة النصارى الشرقيين لا تنقطع، وعبارات الادّهان، وتحريف الكلم عن مواضعه، تطغى على

---

(١) قال الميداني: (الإبّالة: الحزمة من الحطب. والضغث قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس، ويروى: إيبالة. وبعضهم يقوله إبالة مخففاً. وأنشد:

لي كل يوم من ذؤالة ... ضغث يزيد على إبالة

ومعنى المثل: بلية على أخرى). مجمع الأمثال. (١/ ٤٣٢).

تلك المناسبات. ومن أمثلة ذلك قوله مخاطباً البطريرك «تيوديوس» أثناء حفل إفطار في رمضان، على مائدة رئيس الجمهورية الأسبق شكري القوتلي[١] (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨م): (متى نرى الوقت الذي يتم فيه التلاقي والتعاون؟؟ أما آن الوقت لكي ننبذ الخصام؟؟ أما آن الوقت لنتلاقى على كلمة سواء؟!

وما كان من البطريرك الذي سمع هذه الدعوة المخلصة إلا أن هب من مقعده يصيح، نعم لقد آن الأوان.. آن الأوان. ومد يده لتلاقي يد فضيلة الشيخ، ويتصافحا عن بعد، وتهز اليد اليد، وسط تصفيق الجميع، وإعجاب الجميع)[٢].

نعم لقد آن الأوان للالتقاء على كلمة سواء بين المفتي والبطريرك، ولكنها ليست ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وإضافةً إلى ذلك فقد تحول «جامع أبي النور» في دمشق إلى «مزار» يؤمه دعاة التقريب بين الأديان، وغير الأديان، من النصارى والبوذيين وأمثالهم. وإن كان الوضع السياسي للمنطقة لم يسمح بعد بوفود اليهود. وفي هذه الملتقيات التي تعقد في جامع أبي النور ـ ذي

---

(١) شكري القوتلي: (١٣٠٨ ـ ١٣٨٧هـ). شكري محمود عبد الغني القوتلي، أول زعيم وطني تولى رئاسة الجمهورية السورية. دمشقي المولد والأسرة. اشترك في جمعية «العربية الفتاة» السرية، لمقاومة جمعية «تركيا الفتاة»، واعتقل. وحكم عليه الفرنسيون إبان احتلالهم سوريا بالإعدام غيابياً. انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٤٣م. وفي عهده كان جلاء الفرنسيين عام ١٩٤٦م. دخل ببلاده في وحدة مع مصر عام ١٩٥٨م باسم «الجمهورية العربية المتحدة» متنازلاً باختياره عن الرئاسة. توفي في بيروت، ودفن في دمشق. له مجموعة خطب ومذكرات. انظر: الأعلام (٣/ ١٧٣).

(٢) المسجد المنتج. د. محمد حسن الحصمي (٧٩).

الطوابق الثلاثة ـ ومرافقه، يزجي الشيخ بضاعته ويدعو بملء فيه إلى تقارب الأديان. وممن شد الرحل إلى مسجد أبي النور من أعيان غير المسلمين:

• الكاردينال فرنسيس كوينج، رئيس أساقفة النمسا. مطلع عام ١٩٧٨م.

• الكاردينال فرانسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان، عدة مرات.

• الأب الأمريكي، الكاتب.. «بيكر» مؤسس منظمة «الجماعة الكنسية المسيحية» عام ١٩٨٧م.

• وفد اتحاد الكنائس العالمي، الذي ضم ممثلين للكنائس الروسية والألمانية والبريطانية عام ١٩٨٨م.

• البروفسور اللاهوتي في جامعة هومبولت بألمانيا الديموقراطية كارل هاينتس بيرنهارد. رئيس مؤتمر السلام المسيحي عام ١٩٨٦م.

• المستشرق الياباني «تيرو مينوزا» الأستاذ في جامعة طوكيو.

• المفكر الفرنسي «روجيه جارودي» عام ١٩٨٤م.

• الأسقف جورج كاري، رئيس أساقفة كنيسة كانتربري الإنكليكانية. عام ١٩٩٩م.

ب ـ محاولاته على الصعيد العالمي:

لعل أول «مشهد» يشهده الشيخ أحمد كفتارو على صعيد التقارب الإسلامي ـ النصراني العالمي، كان مؤتمر «القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية» المنعقد في ضاحية «بحمدون» في لبنان في شعبان ١٣٧٣هـ، الموافق إبريل ١٩٥٤م، وعاد علماء دمشق مثل الدكتور مصطفى السباعي، والشيخ محمد أمين الحسيني، مفتي فلسطين، بقناعة

تامة بعدم جدوى مثل هذه الملتقيات، وتبينوا الأغراض المبيتة من ورائها، وعاد الشيخ كفتارو بقناعة تامة في المضي في هذا السبيل، رغم الفشل الذريع الذي مُني به المؤتمر وملحقاته[١].

■ وفي عام ١٩٥٩م زار عدداً من بلدان أوربا الغربية وهي: سويسرا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا. (والتقى هناك بالعديد من المستشرقين والمهتمين بالدراسات الإسلامية، ورجال الدين المسيحي، وتبادل معهم وجهات النظر عن الإسلام)[٢].

وكانت هذه الجولة المبكرة، قبل أن ترتفع نبرة التقارب التي أعقبت المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م)، وبعده لبى الشيخ النداء، فتتالت سلسلة من رحلات التقارب إلى:

١ ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

زار الولايات المتحدة الأمريكية بناءً على دعوة من رابطة جامعة البحيرات الكبرى، حيث ألقى فيها ما يزيد على أربعٍ وأربعين محاضرة. كان من بينها: (تلاقي الأديان السماوية نحو هدفٍ واحد هو إيجاد الإنسان الفاضل السعيد)، (التعاون الإسلامي المسيحي)، (نداء النبي محمد للإخوان المسيحيين). كان «ضيف الشرف» في حفلة الاستقبال التي أقامتها تكريماً له، منظمة أصدقاء الشرق الأوسط»[٣]. وفي «النادي الدولي»، بواشنطن، نادى النصارى قائلاً: (أيها الإخوة: هلا ترون أن حماية العالم والحضارة الإنسانية ـ في هذه الظروف المنذرة بالأخطار ـ تقضي علينا بأن ندرس تلاقي وتعاون الإسلام والمسيحية، وتآخي أبنائهما)[٤].

---

(١) انظر: التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٠٨١).
(٢) الدعاة والدعوة (١/٥٤٦).
(٣) انظر: التعريف بها في الفصل الثاني من هذا الباب (١٠٧٩).
(٤) انظر: الدعوة والدعاة (١/٥٤٦، ٢/٦٤٩ ـ ٦٦٤).

وقد كان للشيخ عودة إلى أمريكا عام ١٩٩٠م للمشاركة في مؤتمر «مجمع الأديان العالمي» بمحاضرة بعنوان: (الإسلام والقرآن يمد يده لكل أبناء البشرية، وخصوصاً أهل الكتاب المقدس)، وأخرى بعنوان (الروحانية في القرن الواحد والعشرين) سوف نعرض لمضمونهما لاحقاً.

٢ ـ الاتحاد السوفيتي:

إثر زيارة رسمية قام بها الشيخ على رأس وفدٍ من علماء دمشق إلى الاتحاد السوفيتي، شملت بعض الجمهوريات الإسلامية الخاضعة للحكم الشيوعي إذ ذاك، والتقوا مع كبار المسؤولين السوفييت، جرى الاتفاق والتمهيد لعقد مؤتمر دولي ديني يرعاه الشيوعيون. فكان مؤتمر «زاغورسك»[١] قرب موسكو.

■ كما أقام علاقة متينة مع البطريرك الأرثذوكسي لموسكو، وعموم روسيا «بيمن». وعاد إلى موسكو عام ١٩٨١م، بدعوة من «معهد الاستشراق» لإلقاء محاضرة.

■ وفي العام التالي ١٩٨٢م، كان الشيخ كفتارو نائب رئيس «المؤتمر العالمي لرجال الأديان لتجنيب البشرية ويلات الحرب النووية»[٢]، وألقى محاضرة بعنوان: (المبادىء الدينية والروحية السلمية للأديان العالمية، وواجبات علماء ورجال الأديان في سبيل منع الكارثة النووية). ثم كان عضواً بارزاً في لجنة دائمة تمخضت عن هذا المؤتمر المسيَّس.

■ وفي أبريل عام ١٩٨٤م، شارك في مؤتمر «المائدة المستديرة من أجل السلام» المنعقد في موسكو، وألقى كلمة عن: «دور الأديان السماوية في تدعيم قضية السلام العالمي».

---

(١) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٣٠١).

(٢) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٣٠٢).

■ وفي يونيو من عام ١٩٨٦م، شارك في الاحتفال بمرور ألف سنة على وجود وإنشاء الكنيسة في روسيا!

■ وعلى مائدة الشيوعي ـ غروميكو ـ رئيس مجلس الدولة في الكرملين، في تلك المناسبة، قال كفتارو بمحضرٍ من جميع الوفود المشاركة: (منذ أربعين سنة وأنا أعمل على تلاقي الدينين الإسلامي والمسيحي، وإقامة جسور التعاون والتآخي بينهما.. وقد استطعت بجهدي الشخصي أن أقرب بين هذين الدينين، في مؤتمراتٍ عالمية عقدت لهذا الغرض... لقد استطعت خلال أربعين سنة ـ بالمحاضرات والمؤتمرات ـ أن أبني جسوراً للتعاون والتآخي بين أبناء الديانتين لم تكن موجودة من قبل. وها أنذا أطرح عليكم السؤال، حول إمكانية إنشاء حوار آخر، بين العلم والعقل وبين الإيمان، بين العلم والدين، لعلنا بذلك نستطيع أن نقيم بينهما حلفاً، ليقفا معاً في خندق واحد، يقف أمام دعاة الحروب والاستعمار، لا ليتحقق السلام العالمي فقط، بل لتتحقق الأخوة العالمية)[(١)].

أي شيء يخيل للشيخ كفتارو، ومريدوه، أنه يحققه للإسلام والمسلمين، وهو يطوف حول نصرانية محرفة، وشيوعية تُحتضر، ويسعى بين الكنيسة والكرملين؟!

وماذا حمل للبشرية الضالة، الشاردة عن عبادة ربها، من دعوة الإسلام سوى حجة الحضور الإسلامي، التي يستطيل النصارى والشيوعيون برسمها على مسلمي الجمهوريات الإسلامية المقهورين؟! وهل تغيرت مقاصد الإسلام، وحكمة الخلق من ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] إلى مجرد إقامة حلفٍ مع الشيوعيين لتحقيق الأخوة العالمية؟!

---

(١) الدعاة والدعوة (٢/ ٧٢٦).

■ ولكنها ظلمات بعضها فوق بعض، ففي مؤتمر: (المنبر العالمي حول: البيئة والتطور من أجل البقاء الإنساني) المنعقد في موسكو عام ١٩٩٠م برعاية الأمم المتحدة، اختير الشيخ أحمد كفتارو رئيساً مشاركاً عن الروحانيين، ممثلاً لجميع الأديان، ليقول بملأ فيه: (جوهر أديان السماء كلها، وما جاءت به من شرائع إبراهيم وموسى والمسيح ومحمد وبوذا وغيرهم من الأنبياء والحكماء، ما هو إلا نقل الإنسان وتطويره من السيء إلى الحسن، ثم إلى الأحسن، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الظلم إلى العدالة والتراحم والمحبة)(١).

٣ ـ أوربا:

بعد عشرين سنة من جولته الأولى في عددٍ من البلدان الأوربية عام ١٩٥٩م، عاود الشيخ أحمد كفتارو، بعد أن صار مفتياً عاماً لسوريا، زيارة بعض الدول الأروبية حاملاً دعوة التقريب بين الإسلام والنصرانية، مبشراً بها في كل منتدىً يحضره مع رجال الدين النصراني، وساسة البلدان المزورة.

■ وكانت أول محطة له «النمسا» في مايو عام ١٩٧٩م، استجابة لدعوةٍ من رئيس أساقفة النمسا، الكاردينال فرانسيس كوينج، المعروف بحماسه للتقريب بين الإسلام والنصرانية أيضاً، كما التقى بالقادة السياسيين، (وأكد في أحاديثه الصحفية على «الرغبة في التفاهم الديني، واللقاءات الأخوية بين المسلمين والمسيحيين»... كما بين «أن الوقت قد حان لتلاقي الإسلام والمسيحية»)(٢).

وقد ألقى محاضرة في جامعة فيينا بعنوان: «وحدة الأديان السماوية، واللقاء بين الإسلام والمسيحية»، ضمنها معالم دعوته

---

(١) المرجع السابق (٢/٧٢٨، ١٠٥٩).
(٢) الدعاة والدعوة (٢/٦٦٦ ـ ٦٦٧).

للتقريب بين الإسلام والنصرانية، فقال: (هذه فكرة وعقيدة، أعمل لها منذ خمسٍ وثلاثين سنة، ولا أزال، وأوصي وأبشر بها كل مؤمنٍ مخلص. لقد دفعني إلى هذه الدعوة ـ فضلاً عن أنها سبيل سعادة الناس، وجعلهم يعيشون في صفاء، لا حقد بينهم ولا بغضاء ـ دفعني إليها آياتٌ من القرآن والإنجيل الكريمين، تثبت كلها وحدة الأديان السماوية في أصولها العقائدية، وأهدافها الإنسانية)[١].

ثم راح الشيخ ينتزع من القرآن كل آيةٍ دلت على الثناء على صالحي النصارى ومؤمنيهم، وتكريم عيسى عليه السلام وأمه، وتعداد أوجه التشابه بين الديانتين في القيم والأخلاق بل وحتى في التوحيد، حيث خلص إلى القول: (هذا، بالإضافة إلى الكثير من الآيات القرآنية والإنجيلية المتلاقية والمتفقة حول هذا الموضوع، وغيره من الأصول، والتي تجعل الديانتين تتفقان في عبادة الإله الواحد الخالق العظيم)[٢].

ولما كان الخلاف أمراً واقعاً، وحقيقةٌ لا تطمسها العبارات الخطابية العاطفية، فالإسلام هو الإسلام، والنصرانية هي النصرانية، بسَّط الشيخ أمره، وهوَّن من شأنه، قائلاً: (وأما ما قد يبدو من وجود خلاف في بعض التفسير والتأويل، فإن اختلاف الرأي والفكر موجود بين أبناء كل دينٍ، ومع ذلك فهذا التباين لا يحول دون اتحاد القلوب، وصفاء النفوس، والتعاون لمصلحة السلام، والإيمان، والإنسان. ويكون مثله مثل الزهور المتنوعة الألوان، التي إذا اجتمعت في باقة متناسقة بهرت العيون، وهزت الشعور)[٣].

ونقول: إن كان التباين في أمر الاعتقاد بالله ووحدانيته في ربوبيته

(١) المرجع السابق (٢/ ٦٧٠).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٦٧٠).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٦٧١).

وألوهيته وأسمائه وصفاته، لا يحول دون اتحاد القلوب، وصفاء النفوس، فأي أمر يحول دون ذلك، تتحقق به ولاية الله ورسوله والمؤمنين، وعداوة أعداء الله ورسوله والمؤمنين؟!

وماذا يُعمِل الشيخ من قول الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة] وأمثالها من الآيات. وهل المسألة مجرد اختلاف رأي وفكر بين أبناء كل دين، على حد تعبيره، وقد أعظم القرآن على هؤلاء النصارى النكير وذمهم، وسفههم، وكفَّرهم في غير ما آية، ودعاهم إلى أن ينتهوا عما يقولون من التثليث والغلو، فكيف يخاطبهم «المفتي» بهذه اللغة الخاضعة؟!

ألم يكن له في رسول الله أسوة حسنة، حين جمع بين أدب الخطاب، وصراحة الدعوة إلى الحق، والبداءة بأهم المطالب، مستجيباً لأمر ربه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

ولكن الشيخ يخاطب القوم، كما لو كان يخاطب «الحواريين»، ويخطب ودَّهم كما لو كانوا مؤمني سورة المائدة الذين وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة]، فتراه يستعطفهم ويتملقهم في ختام محاضرته قائلاً: (لقد عرفناكم من خلال قرآننا، وأوامر نبينا، فاعرفونا.. وصافحناكم بأمرٍ من نبينا وقرآننا، فصافحونا.. وعانقناكم فعانقونا.. ودرسناكم دراسة أخوة وحب، من خلال ديننا وفقهنا فادرسونا.. وقدسنا المسيح وإنجيله السماوي وأمه

العذراء، فردوا التحيه بأحسن منها أو بمثلها[١]. وإن مثل ابتعاد بعضنا عن بعض، كمثلِ أخوين ضاع أحدهما عن الآخر سنواتٍ عدة؛ وفي يومٍ من الأيام، وبينما كان أحد الأخوين يمشي في فلاة من الأرض، شهِد عن بعد جسماً يتحرك ظنه وحشاً، فهيأ سلاحه لقتله، ولما اقترب أكثر، وصار على مقربة أمتار منه، إذا به وجهاً لوجه مع أخيه الذي ضاع عنه لسنوات، فتعانقا، وانهمرت دموع الفرح والسعادة بلقائهما بعد غيبة طويلة.

ولا ينقصنا إلا أن نقترب ونقترب، وعندها لا بد أن نرى أنفسنا إخوةً متعانقين متفاهمين. هذا اللقاء سيكون قريباً بإذن الله، وبجهد المؤمنين والمخلصين من أبناء كل دينٍ سماوي)[٢].

ترى أين رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون، وسلف هذه الأمة المهديون، عن تلك المعرفة، والمصافحة، والمعانقة، والدرس، والتقديس؟! وكيف طالت بهم الغيبة، والضياع حتى تم اللقاء والعناق المصحوب بدموع الفرح والسعادة في نَوبة الشيخ كَفتارو؟!

ما أغنى الإسلام والمسلمين عن هذا الكلام، وما أحوج النصارى أن يسمعوا غيره.

وقد زار الشيخ فيينا مرة أخرى، مشاركاً في المؤتمر الإسلامي المسيحي[٣] الذي نظمه معهد لاهوت الأديان بكلية القديس جبرائيل عام ١٩٩٣م، وخاطب أعضاء المؤتمر في حفل الافتتاح قائلاً: (إنني أشكر الله الذي أتاح لنا فرصة هذا اللقاء مع إخوةٍ لنا في الإيمان

---

(١) مقتضى السياق أن يقول: «فآمنوا برسولنا وقرآننا»، ولكن الشيخ لم يقوَ على ذلك، لئلا يخدش مشاعرهم.

(٢) المرجع السابق (٢/ ٦٧١).

(٣) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٢٧٢).

أحبناهم منذ قرونٍ عديدة). ثم يكتشف القارىء القاعدة المشتركة التي سوَّغ الشيخ لنفسه أن يخاطب النصارى المؤلهين للمسيح بوصف الأخوة الإيمانية، فيقول مبيناً وجه الربط بين العقيدة الإسلامية في كون عيسى عليه السلام كلمة الله ألقاها إلى مريم، وفرية النصارى في تأليه المسيح: (حكمة الله وكلماته حسب الإسلام، هي علوم الله التي تجلى بها على عباده المؤمنين فنطقوا بها، وتصرفوا بأمره، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، وما عيسى عليه السلام إلا كلمة لله، أي أنه رجل ينطق بعلم الله وقدرته.

ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرآة الصافية نور الشمس. قال الشاعر العربي:

إذا سكن الغدير على صفاءٍ	وجنب أن يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلا امتراءٍ	كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي	يرى في صفوها الله العظيم[1]

وهكذا بالحوار الجميل نصل إلى نقاطٍ كثيرة للالتقاء، فينتفي الجهل والبعد والجفوة، ويحل محلها المودة والمحبة والتعاون والسلام)[2].

أين الآيات البينات في سورة آل عمران والنساء والمائدة، في محاجة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، عن حوار الشيخ الجميل، المستمد من آيات أرباب التجلي؟!

---

(١) سلام للبشر (٥٧ ـ ٥٨).

(٢) من محاضرته في حفل الافتتاح تحت عنوان: (إخوة تحت راية الإيمان، راية محمد والمسيح) (٥٧ ـ ٥٨).

وكيف تطيب نفس مسلمٍ أن يسوِّغ لأهل الكفر كفرهم الذي أكفرهم الله به بنص كتابه، لا بحكم مجتهدٍ أو فقيه، ويخرجه عن صورته الحقيقية البشعة إلى صورة كاذبة خاطئة مبهرجة، تملقاً لهم وادِّهاناً؟!

ولكنها القاعدة المشتركة، والدرب الخفي الذي يجمع النصارى بالصوفية.

■ وفي عام ١٩٨٠م، زار الشيخ أحمد كفتارو «ألمانيا الديموقراطية»، ألمانيا الشرقية، قبل الوحدة، وكانت تابعة للمعسكر الشيوعي حينذاك، بدعوةٍ من نائب رئيس الدولة، والتقى بالشخصيات السياسية والدينية، وألقى عدة محاضرات في كنائس برلين، بالإضافة إلى المقابلات الإذاعية والتلفزيونية، دعا فيها إلى التقارب بين الديانتين[١] واستشهد ببيتين من الشعر:

لعمرك ما الأديان إلا نوافذ　　ترى الله منها مقلة المتعبد

فألمس في القرآن عيسى بن مريم　　وألمح في الإنجيل روح محمد[٢]

كما عقد الوفدان السوري برئاسة كفتارو، والألماني برئاسة الأسقف «البريشت شونهير» رئيس اتحاد الكنائس البروتستانتية في ألمانيا حواراً عقدياً، صدر عنه بيان مشترك بتاريخ ٢٦ أبريل عام ١٩٨٠م، الموافق ١١ جمادى الثانية عام ١٤٠٠هـ، موقعٌ من الشيخ كفتارو، ورئيس مؤتمر السلام المسيحي البروفسور كارل هاينتز بيرنهارد، وليس من الأسقف شونهير! تضمن وصف النبي ﷺ بالنبوة، والاعتراف المتبادل، جاء فيه: (إن اللقاء تم بروح من الاحترام والاعتراف

(١) الدعاة والدعوة المنطلقة من مساجد دمشق (٢/ ٧٣٣).
(٢) انظر: ملحق رقم (٢٦) من المرجع السابق (٢/ ١٠١٩ ـ ١٠٢١) نص المحاضرة. والبيتان للشاعر اللبناني حليم دموس «نصراني».

بالرسالتين السماويتين اللتين نزلتا على عيسى رسول الله، ومحمد نبي الله، واللتين تهدفان إلى سعادة الإنسان وسلامته. لقد خدم هذا اللقاء التعارف المتبادل للمؤمنين من الدينين، كما ساعد على إزالة سوء التفاهم، وحقق إمكان تعاون مستقبلي مشترك. إن ما تم إبرازه على وجه الخصوص في هذه المباحثات هو إجماع الديانتين الإسلامية والمسيحية على الإيمان بالله الخالق الواحد الأحد، الذي أرسل عيسى ومحمداً رحمة للناس، وعملاً على إسعادهم)[١].

والإنصاف يقتضي الاعتراف بأن هذا البيان المشترك يمثل تقدماً نسبياً من جانبٍ نصراني، تجاوباً مع دعوة الشيخ كفتارو للتقارب، ولكننا نسجل ملاحظتين:

الأولى: أن البيان لم تتبناه جهة كنسية، بل مؤتمر السلام المسيحي، ولم يوقعه مرجع كنسي، كما كان مفترضاً أن يوقعه الأسقف ألبريشت شونهير، رئيس اتحاد الكنائس البروتستانتي، وإنما وقعه البروفسور: كارل هاينتز بيرنهارد. رئيس المؤتمر المذكور. وهذه قضية لا تغيب عن فطنة النصارى ودهائهم، وبالتالي يفقد الاعتراف أهميته، سيما وقد صدر في دولة محسوبة على الكتلة الشيوعية.

الثانية: وهي الأهم، أنه اعترافٌ قاصر لا تترتب عليه مقتضياته من القبول بكل ما جاء به محمد ﷺ واتباعه، والانخلاع عن كل ما خالف الحق الذي جاء به. وغاية ما فيه أنه اعترافٌ لفظي بوصف «النبوة» أو «الرسالة» على نحو مطلق، كما يعترف النصارى برسالة موسى أو إبراهيم على أحسن تقدير.

ولهذا لم يكن لهذا البيان تأثيرٌ في الأوساط النصرانية في أوربا والعالم، بل ولا في ألمانيا نفسها، وإنما صفق له أتباع الشيخ أحمد

---

(١) انظر نص البيان. الملحق رقم (٣٢) من المرجع السابق. (٢/ ١٠٤٤).

كفتارو ومريدوه، وعدوه فتحاً مبيناً، ونصراً عزيزاً. والواقع أن ما تنازل عنه الشيخ أضعاف ما ناله بحساب الربح والخسارة، فكيف إذا كان ليس مخولاً، ولا غيره، بالتنازل عن شيءٍ من عقائد الإسلام؟!

وقد توثقت أواصر الصداقة بين رجال الدين الألمان والشيخ، فوجه له وزير الأديان الألماني «كلاس كيزي» دعوة عام ١٩٨٥م، فلبَّاها وألقى محاضراتٍ في نفس الاتجاه في الجامعات والكنائس.

■ في عام ١٩٨٦م قام الشيخ أحمد كفتارو بزيارة إلى إيطاليا والفاتيكان على رأس وفدٍ من علماء سوريين، استجابة لدعوة من نائب رئيس الحزب المسيحي الديموقراطي، والكاردينال فرانسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان، اللذين زارا الشيخ في دمشق. وقد حاضر الشيخ في عددٍ من الكنائس والجامعات والمعاهد والجمعيات، في كلٍ من روما وفلورنسا وميلانو، وأطلق العديد من التصريحات الصحفية التي تحمل فكرته في التقارب الديني، وختم زيارته بلقاءٍ مطول مع البابا يوحنا بولس الثاني. ونقتطف من مقولاته في تلك الرحلة ما يلي:

■ (نحن المسلمين، عندما آمنا بالمسيح وإنجيله، من خلال عقيدتنا، لم يؤثر ذلك علينا، وبقينا مسلمين، وأنتم - كمسيحيين - إذا عرفتم ما هو الإسلام، فستبقى لكم مسيحيتكم).

■ (لا بد من الإسراع بالتعاون والتنسيق، والتقارب واللقاء بيننا. ليبقَ كل واحدٍ منا على دينه، مسلماً أو مسيحياً.. لكن ليتعرف كل منا على ما عند أخيه، من خبرة وتجربة، نتعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما يُختلف فيه من فروع. وفي هذا ما فيه من خيرٍ يعود على الجميع).

■ إن العلاج، هو في الدعوة الصادقة إلى تلاقي الديانتين

السماويتين الكبيرتين في العالم، الإسلام والمسيحية، وإلى وضع الإخاء والحب في ظل إيمانٍ عقلاني، يتعاون فيه الجميع بصدقٍ وإخلاصٍ، مع إبعاد كل ما هو دخيل على الدين، لا يرضى به العقل، ولا الفكر الإنساني اليوم).

وقد دأب الشيخ في جميع محاضراته أمام النصارى أن يبين منزلة المسيح وأمه في القرآن، ويطنب في ذلك، وهذا أمرٌ حسن، ولكن دون أن يتطرق إلى المساس بعقائد النصارى الشركية الوثنية، أو يجبههم صراحة بالدعوة إلى الإيمان برسول الله محمد ﷺ إيمان تصديق واتباع، وقصارى ما قاله في إيطاليا:

(إزاء هذا الموقف الإسلامي - والذي هو عقيدة المسلمين - فهل للمسيحيين أن يقابلوا هذا التقدير بتقديرٍ مثله، وهذا الاعتراف باعترافٍ مثله؟!)[1].

ورغم طمأنته إياهم - كما سبق - أنه لا يدعوهم إلى ترك نصرانيتهم، بل يأمرهم بالبقاء عليها، ورغم عبارات الود والولاء والملاطفة، ورغم ساعةٍ كاملة أمضاها الشيخ مع البابا في ختام زيارته، فلم يقابل النصارى تقديره بتقديرٍ مثله، ولا اعترافه باعترافٍ مثله.

■ وفي عام ١٩٨٦م ترأس الشيخ أحمد كفتارو مؤتمر السلام العالمي، بمشاركة صديقه البرفسور كارل هاينتز بيرنهارد، رئيس مؤتمر السلام المسيحي، في العاصمة التشيكية «براغ»، وصدر عن المؤتمر بيان مشترك تضمن الإشارة إلى قضية التوحيد، وإلى نبوة محمد ﷺ بعبارات حمَّالة أوجه، مثل: (نحن المشتركين في هذا اللقاء المنتمين إلى دينين سماويين نتفق في الإيمان بالله الواحد الأحد، خالق الأرض والسموات، كما نتفق بأنه لا إله إلا هو، ونشهد، كأناس تابعين للسيد

---

(١) النقول السابقة: انظر الدعاة والدعوة (٢/ ٦٧٨ - ٧٠٠).

المسيح رسول الله، وللنبي محمد رسول الله بإيماننا بالله، وبالرسائل المرسلة من قبل الله...)[١]، (جميع المشاركين في المناقشات أكدوا في كلماتهم على النقاط المحددة في المحاضرتين، بأن الإيمان بالله وبرسالتي عيسى ومحمد السماويتين من جهة، والعمل الشامل من أجل السلام، شيئان متلازمان)[٢].

فمن جهة التوحيد فإن وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالتثليث لا يعارض التوحيد بزعمهم، كما في نص الإيمان النيقاوي: ((١) أومن بإله واحدٍ قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى ولا يرى (٢) وبربٍ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب... (٣) وأومن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن، المسجود له والممجد مع الآب والابن..)[٣]. ولكن المستغفلين من المريدين يحسبون أن الشيخ أفلح في إقناع النصارى بالتوحيد، ونبوة محمدٍ ﷺ، فيقول الحمصي: (هل هناك... من نتيجةٍ أعظم من أن يتوصل المتحاورون المسلمون والمسيحيون، في «براغ» إلى الإقرار بالله الواحد الأحد، خالق السموات والأرض، والإيمان بالرسالات المرسلة من عند الله، بعد الإشارة إلى أن النبي محمداً رسول الله، وأن عيسى رسول الله؟! لقد كان هذا الأمر الخطير من ثمار الحوار الإسلامي المسيحي)[٤].

فإن كان الحمصي يريد «توحيد الربوبية» فليعلم أن المشركين عبدة الأوثان قد أقروا به، وهؤلاء النصارى يشركون في الربوبية. وإن كان

---

(١) انظر نص البيان المشترك في الملحق رقم (٣٣) من المرجع السابق (٢/ ١٠٤٥ ـ ١٠٥١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) راجع العقائد النصرانية في التمهيد.

(٤) الدعاة والدعوة (١/ ٥٦٤).

يتوهم أنهم أقروا بـ «توحيد الألوهية» فقد أبعد النجعة، فلا يزال النصارى يتخذون عيسى وأمه إلهين من دون الله، ويعبدون الروح القدس وله يسجدون.

وأما الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ فلا يتخرج إلا على «التفسير الإشاري الصوفي» الذي لحظه الأستاذ الحمصي، هداه الله.

■ وفي عام ١٩٨٦م شارك في «مؤتمر الحوار الدولي الإسلامي المسيحي» المنعقد في العاصمة البولونية «وارسو»، وألقى محاضرة عن (الإسلام، ودوره القديم في الاعتراف بالمسيح وأمه). وكانت الكلمة الوحيدة ـ من بين كلمات المشاركين ـ التي أذاعها التلفزيون البولوني[١]، وشارك في صياغة مقررات المؤتمر. ووصف تلميذه الحمصي دوره في المؤتمر بقوله: (جاهد فيه جهاد الأبطال، حتى توصل المؤتمرون من رجال الكنيسة إلى الاتفاق على وحدانية الله، وعلى أن محمداً رسول الله)، (تلك العملية التي أخذت منه جهوداً أكبر مما بذله في أي مؤتمر آخر، وذلك بسبب تعصب رجالات إحدى الكنائس المشاركة، حتى إن المؤتمر كاد ـ نتيجة لذلك ـ أن ينفرط عقده عدة مرات، ولكن الله سلَّم، وخرج المجتمعون ببيانٍ، مشترك، يقرر فيه الجميع ـ مسلمين ومسيحيين[٢] ـ بأنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)[٣].

ونقول: قاتل الله الهوى، كم يُعمي ويُصم، ويقلب الحق، ويضل الخلق! إن امرءاً يقرأ هذا الكلام يخيل إليه أن أوربا أسلمت. وها نحن بعد ما يقرب من خمسة عشر عاماً من المؤتمر المذكور، لا نرى إلا مزيداً من الكفر والصد عن دين الله.

---

(١) الدعاة والدعوة (١/ ٥٥٢)، (٢/ ٧٤٠ ـ ٧٤٦).
(٢) كذا في الأصل. والصواب مسلمون ومسيحيون.
(٣) المرجع السابق.

■ كما كان للشيخ أحمد كفتارو زيارات لبلغاريا الخاضعة للحكم الشيوعي، التي يتعرض المسلمون فيها لاضطهادٍ مستمر، وانتهاكٍ لحقوقهم الدينية والمدنية. ومنها زيارته لها في أغسطس عام ١٩٨٦م. وقد ألقى في أكاديمية العلوم البلغارية محاضرة مرتجلة بعنوان: «الإسلام والسلام العالمي» ختمها بالقول:

(. . . إنني لمفعم بالأمل والثقة بأن هذه الفكرة ستتحقق، وأعتقد أنها ستشرق من العالم الاشتراكي متعاوناً مع العالم الإسلامي. وقد أجرينا حواراً في الشهر الثاني من هذه السنة في براغ، حواراً إسلامياً ـ مسيحياً، وخرجنا متفقين، وقدمنا أطيب النتائج وأحسنها. وقد حدث هذا لأول مرةٍ في تاريخ الدينين العالميين. وأرجو أن تتاح الفرصة لحوار إيماني ـ اشتراكي، لأن الإمبريالية تتهم الاشتراكية بالكفر. وأنا من وجهة نظري ـ أعتقد أنه لا يوجد كافرٌ واحد على وجه الأرض، لكن من يسمى كافراً هو من عُرض عليه الإيمان بشكلٍ مشوه)[1].

إن هذه مقالة كفرية، وتكذيب للنصوص القرآنية، وما هو معلوم من الدين بالضرورة! فكيف يتجرأ على القول والاعتقاد أنه لا يوجد كافر واحد على وجه الأرض؟ والله تعالىٰ يقول في محكم التنزيل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة].

فهل يرى كفتارو أن نذارة النبي ﷺ لهؤلاء المشركين عرضت بشكل مشوّه؟

وهكذا يُجر الإسلام على الصعب والوعر؛ فحيثما تسود

(١) نص المحاضرة في الملحق رقم (٣٤) من المرجع السابق (٢/ ١٠٥٢ ـ ١٠٥٧).

الديموقراطية فالتقارب إسلامي ـ نصراني، وحيثما تهيمن الشيوعية والاشتراكية فالحوار إسلامي ـ اشتراكي، أو إيماني ـ عقلاني، والأمر في ذلك واسع جداً ما دام الشيخ يعتقد أنه لا يوجد كافرٌ على وجه الأرض!! ومن ثم يتسع لهم عذره فيقول: (نجد بعض المسلمين وبعض المسيحيين وبعض اليهود، ابتعدوا عن الدين ولم يقبلوه، وأنا من جهتي أعذرهم كل العذر)[1]. ومدلول هذا الكلام التسويغ الضمني لليهودية والنصرانية، وحسبانهما دينين صحيحين، ويصبح المرء مؤمناً بقبوله أياً منها، ولكنه لا يكون «كافراً» بابتعاده عن أيٍ منها أيضاً. وليس للإسلام خصوصية ولا مزية. ومثل هذا الكلام لا يتخرج إلا على أصول أهل وحدة الوجود من غلاة الصوفية، حيث اليهود والنصارى، بل والشيوعيون ليسوا كفاراً كما قال كبيرهم الذي علمهم الإلحاد، ابن عربي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائفٍ ... وألواح توراةٍ ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني

ومن ورد ماءً صدر عنه.

٤ ـ اليابان وكوريا:

امتدت دعوة التقارب لدى الشيخ أحمد كفتارو لتشمل الأمم الوثنية، إذ أنه يدرج اسم «بوذا» ـ كما تقدم النقل عنه ـ مع أنبياء الله من أولي العزم من الرسل.

- ففي نوفمبر عام ١٩٩٠م شارك في مؤتمر المنبر العالمي من أجل البقاء الإنساني، المنعقد في طوكيو ممثلاً للروحانيين في العالم.

---

(١) المرجع السابق.

وهو تعبير ينم عن سائر الأديان والوثنيات المقابلة للمادية المعاصرة.

• ثم انتدبه «المنبر العالمي» لتمثيله في المؤتمر العام الذي عقده رجال الدين في اليابان، «الشنتو»[١] عام ١٩٩٠م، فشارك فيه، وحاور طائفة الـ «أوموتو» المنبثقة عن ديانة «الشنتو».

• رشح ليكون رئيساً لمؤتمر عالمي يعقد في مدينة «كيوتو» اليابانية عام ١٩٩٣م، يضم ممثلين عن الروحانيين والبرلمانيين في العالم.

• وكانت ثالثة الأثافي التقاؤه بـ «مون» مؤسس الكنيسة التوحيدية الكورية، إجابة لدعوة من «رابطة رجال الدين الكورية» في سيؤل[٢].

ثالثاً: المعالم الفكرية والمنهجية لمحاولاته للتقريب بين الأديان:

إن دعوة التقريب بين الأديان، بالنسبة للشيخ أحمد كفتارو «مشروع عُمْر»، و«هدف حياة». ولم يزل يلهج بهذا الأمر، ويفتخر به في المقابلات الخاصة، والمنتديات العامة، فيقول للكاتب الأمريكي الأب بيكر: إنه بدأ هذا العمل منذ أربعين عاماً، في مقابلةٍ أجراها معه بتاريخ ٣١/٥/١٩٨٧م[٣]. وكذلك على مائدة رئيس مجلس الدولة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٦م، بمسمع من الوفود العالمية يقول: (منذ أربعين سنة وأنا أعمل على تلاقي الدينين: الإسلامي والمسيحي)[٤]،

---

(١) الشنتوية أو الشنتية Shintoisme: مذهب ديني بدائي. ينتشر في اليابان، ويعتمد على عبادة الطبيعة المتمثلة بمختلف المظاهر، وعلى عبادة الإمبراطور «ابن الشمس» والأجداد. المنجد في الأعلام (٣٩٢).

(٢) انظر: الدعاة والدعوة (١/ ٥٥٣، ٢/ ٦٩٨ ـ ٦٩٩).

(٣) الدعاة والدعوة (١/ ٥٤٥). حاشية رقم (١).

(٤) الدعاة والدعوة (٢/ ٧٢٦).

وقبل ذلك في جامعة فينا عام ١٩٧٩م، يقول: (هذه فكرة وعقيدة أعمل لها منذ خمس وثلاثين سنة)[١].

فمنذ أكثر من خمسين سنة والشيخ يدعو إلى التقارب بل والاتحاد، ولم يثنه عن ذلك انتقادات أهل الإسلام في الداخل، ولا مراوغة أعداء الإسلام في الخارج.

فما هي البواعث التي حملت الشيخ كفتارو على تجشم الصعاب، ومخالفة ما هو معلوم من الدين بالضرورة؟ وما هي الأسس التي بنى عليها أركان دعوته؟

وفهم البواعث ضروري لإدراك معالم دعوته.

أما البواعث، فيعرب عنها قائلاً:

(يدفعني إلى ذلك شيئان: **أولهما**: عقيدتي الإسلامية. لأن كل من يقرأ القرآن يجد فيه خلاصة عن كل ما أتى به السيد المسيح، وعن كل ما أتى به نبي الله موسى. فنحن ـ كمسيحيين[٢] ـ نعتقد بأن القرآن ثلاثة أقسام: قسم لأنبياء التوراة، وقسم لحياة سيدنا المسيح، وقسم أتى متمماً لما جاء به أنبياء الكتاب المقدس المنزل من عند الله. لذلك فإنني أجد أن من عقيدتي الإسلامية، ومن واجبي الديني أن أعمل على التقاء العالمين الإسلامي والمسيحي؛ لأننا دينياً ملتقون.

وثاني ذينك الأمرين، هو مصلحة السلام العالمي.. إذ أن الإنسان أصبح الآن على شفا جرفٍ من الانهيار)[٣].

وفعلاً، فإن المتتبع لأحاديث الشيخ ومحاضراته في المحافل

---

(١) الدعاة والدعوة (٢/ ٦٧٠).

(٢) كذا في الدعاة والدعوة، ولا شك أنها هفوة قلم، أو خطأ مطبعي والمراد ـ كمسلمين ـ.

(٣) الدعاة والدعوة (١/ ٥٤٥) حاشية.

العالمية يلحظ بشكل متكرر أنه يدندن حول هذين المعنيين، ويبدىء فيهما ويعيد.

وأما منهجه وتصوره لتحقيق تقارب الأديان، فيلخصه في ثلاث نقاط، حيث يقول في ورقة عمل قدمها إلى مؤتمر منبر الأديان العالمي المنعقد في سان فرانسيسكو في أغسطس عام ١٩٩٠م تحت عنوان: (الإسلام والقرآن يمد يده لكل أبناء البشرية، وخصوصاً أهل الكتاب المقدس):

(بين أيدينا اليوم أكثر من طريق للقاء الأديان. منها:

١ ـ أن نرجع إلى كتبها الأصلية الأولى، فنجمع منها ما اتفقت عليه الأديان، من وحدانية الله العظيم، خالق كل شيءٍ على أبدع نظام، وأن الإنسان أخو الإنسان.

٢ ـ أن ننظر إلى الوصايا الأخلاقية، التي تجعل العالم سعيداً موحداً إذا عمل بها، بعد اتفاق رجال الأديان عليها، ثم تعميم التعليم والإعلام بها بمختلف الوسائل الحديثة، الأمر الذي لا يوصل العالم إلى السلام فحسب، بل يجعل من العالم كله أسرة واحدة متآخية متحابة، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

٣ ـ أن ننظر ـ وبكل شجاعةٍ وصدقٍ وإخلاص ـ إلى أن مرور الزمن، وكثرة الترجمات، ووجود أصحاب المطامع والأهواء، قد أثر على بعض أصول الدين الداعية إلى المحبة والتعان، وفسح المجال لبذور التعصب والحقد بين عباد الرب الواحد.. الأمر الذي يجب مراقبته وتصحيحه.. وإعادة النظر في التأويلات المعاكسة للقاء الأديان، مستعينين بالعقول النيرة، والأبحاث العلمية الصحيحة.. ولا بد لهذه الوسائل وما يشبهها، من مؤتمرات حوار حر، يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة، واللقاء الحقيقي بين الأديان السماوية)[1].

---

(١) الدعاة والدعوة (٢/ ١٠٧٢).

من خلال ما سبق تتبين معالم محاولات الشيخ أحمد كفتارو للتقريب بين الأديان؛ من حيث الأساس، والهدف، والمنهج، والثمرة:

أولاً: أن الأساس الذي بنى عليه دعوته هو اعتقاد إيمان أهل الكتاب، وأن الإسلام بصورته التي جاء بها محمدٌ ﷺ غير ملزمٍ لجميع الناس، بل يسع اليهود والنصارى أن يبقوا على دينهم.

فالشيخ يصدر دعواه بوحدة الأديان بذكر الآيات والأحاديث الدالة على أن رسالة الأنبياء واحدة، وأنهم كما جاء في الحديث الصحيح: «إخوة من علاّت، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[1]. وهذا حق لا مرية فيه، ولكنه يقطع الحديث عن بيان نسخ شريعة محمدٍ ﷺ للأديان السابقة، وضرورة الإيمان به واتباعه، وكفر من لم يحقق ذلك، وأنه من أهل النار، كما جاء في الحديث الصحيح: (والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[2]، وهذا أمر معلومٌ بالضرورة من دين الإسلام، إذ هو شق الشهادة الثاني، الذي لا يتحقق شقها الأول إلا به. هذا لو سلمنا أن نصارى اليوم على دين الحواريين، فكيف وقد أكفرهم الله بتأليه عيسى، وادعاء بُنوته، وقولهم ثالث ثلاثة؟

ولكن الشيخ يخاطبهم بوصف الإيمان، والأخوة الإيمانية، قبل أكثر من نصف قرن، ويقدس إنجيلهم، الذي أخبرنا ربنا أنهم حرَّفوه عن مواضعه، ويهون من شأن الخلاف العقدي معهم، عادًّا إياه نوعاً من اختلاف الرأي والفكر في مسائل فرعية، كما يختلف أصحاب الدين الواحد في الفروع الفقهية، بسبب خلافٍ في التفسير والتأويل - على

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨٣٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٣٤).

حد تعبيره ـ وأن هذا التنوع العقدي، مثله مثل الزهور المتنوعة الألوان، إذا جمعت في باقةٍ متناسقة بهرت العيون، وهزت الشعور[١].

فلما كان الأمر كذلك في نظر الشيخ، لم يعد مستغرباً أن يسعى لجمع أفواف الزهور في باقة وحدة الإيمان.

ولكن مفهوم الإيمان يتسع أكثر فأكثر لدى سماحته، فيستعيض عنه بمصطلح «الروحانيات»، ليجد الوثنيون من عبدة بوذا والأبقار والطواطم مكاناً تحت عبارته الفضفاضة، في مقابل «الماديات» الكافرة، ويتسنم الشيخ منصب ممثل الروحانيين في المؤتمرات العالمية، ويضم «بوذا» إلى قائمة أنبياء الله الكرام لاتفاقهم في جوهر الدين، ويستشهد بأحواله بعد استشهاده بمواقف أنبياء الله، إبراهيم، ويوسف، وموسى، وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم، فيقول: (ووجد بوذا السعادة في رفض المادة بالالتجاء إلى الروح)[٢]، ثم يتبعه بذكر نبينا محمد ﷺ شرَّفه الله وكرمه، وإخوانه، عن مقارنة الكافرين.

وتتسع الدائرة لتحيط بالشيوعيين الملحدين، فيعرض على أندريه غروميكو حلفاً مشتركاً ضد دعاة الحرب والاستعمار، لتحقيق الأخوة العالمية[٣]!!

من بقي يا ترى لم تشمله سماحته؟

بقي، قطعاً للريبة، ودفعاً للشك، أن يعلن في «بلغاريا» وغيرها اعتقاده الصميم: (أنه لا يوجد كافرٌ واحد على وجه الأرض)[٤].

---

(١) الدعاة والدعوة (٢/ ٦٧١).

(٢) من محاضرته: (الروحانية في القرن العشرين) ملحق رقم (٣٧) من المرجع السابق (١٠٨١).

(٣) انظر: الدعاة والدعوة (٢/ ٧٢٦).

(٤) من محاضرته في أكاديمية العلوم البلغارية. الدعاة والدعوة (٢/ ١٠٥٧).

إن هذا لهو حجر الأساس في مشروع الشيخ أحمد كفتارو للتقريب بين الأديان، وغيره من دعاة التقارب، ولو كانوا يميزون بين حزب الله وحزب الشيطان، وأولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما سلكوا هذا المسلك، بل لسان حالهم كما قال أولهم: لقد صار قلبي قابلاً كل صورة.

وقد ذم ربنا عز وجل بني إسرائيل على موالاة أعدائه فقال: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة].

ثانياً: هدف التقارب الذي يسعى إليه الشيخ ليس اجتذاب أهل الكتاب إلى الإسلام، فليس ذلك مطلباً في حد ذاته، بل يدعوهم إلى البقاء على نصرانيتهم، مستشهداً لذلك بمقالة ينسبها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه تارة، وإلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه تارة أخرى: (لا ننهاك عن النصرانية ولكن نأمرك بها)(١)، فيقول في إيطاليا: (إذا عرفتم ما هو الإسلام فستبقى لكم مسيحيتكم)، (ليبقَ كل واحدٍ منا على دينه مسلماً أو مسيحياً، لكن ليتعرف كل منا على ما عند أخيه)(٢).

وغاية ما تصبوا إليه مساعي الشيخ الدؤوب هو طلب الاعتراف بالإسلام، والإقرار بأن نبينا محمداً ﷺ نبي بإطلاق! لا الإقرار بأنه مرسلٌ إلى الناس كافة، وأنه خاتم النبيين، وشريعته ناسخة للشرائع السابقة.

فهل مجرد المعرفة هو مقصود الشيخ؟ إن من يعتقد أن الإيمان

---

(١) انظر: الدعاة والدعوة (١/٥٢٦، ٢/٦٨٢).

(٢) الدعاة والدعوة (٢/٦٨١ ـ ٦٨٢).

هو مجرد المعرفة دون تصديق القلب، أو قول اللسان، أو عمل الجوارح، هم غلاة المرجئة من الجهمية. أما القرآن فيقول غير ذلك: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

فهل علم الشيخ أن أصدقاءه في برلين وبراغ، كالبرفسور اللاهوتي كارل هاينتز بيرنهارد، أو ممثلي «اتحاد الكنائس العالمي» الذين خطبوا المسلمين في جامع أبي النور[١] قد أتوا بمقتضى الآية السابقة؟ أم أن هذا لون وذاك لون آخر؟

إن الشيخ يهدف إلى «التقارب» من حيث هو «تقارب» بصرف النظر عن الأصول العقدية والضوابط الشرعية، فالمهم عنده أن نقترب، لا كيف نقترب، فمن ثم وسعت دعوته الاشتراكيين والشيوعيين والبوذيين وأتباع مون.

وها هو ذا يستجدي النصارى في «المؤتمر المسيحي الإسلامي الدولي»[٢] المنعقد في كلية القديس جبرائيل، معهد لاهوت الأديان، في النمسا ـ فيينا ـ عام ١٩٩٣م، بعبارات استخذاء مذلة فيقول: (ولعل سائلاً يسأل ما هو المطلوب من المسيحيين اليوم تجاه الإسلام والمسلمين؟ وفي الجواب أقول: كانت المسيحية طوائف ومذاهب شتى، فتنادت في النصف الثاني من هذا القرن إلى جمع الكلمة، والاتفاق فيما بينها، رغم خلافاتها العقائدية الكبيرة. فلم لا تضم الإسلام إليها في حركتها التوفيقية، وتعتبره طرفاً جديداً جديراً أن تمد

---

(١) انظر ما رافق تلك الزيارة من بهرج العمل، وزخرف القول في: «الدعاة والدعوة» (٢/ ٧٥٤ ـ ٧٥٥).

(٢) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٢٧٢).

يدها إليه، طالما أنه يؤمن بالمسيح وأمه ويقدسها ويحترم تعاليم المسيح. . . ولقد اتخذ الفاتيكان قبل فترة خطوةً جبارة في هذا الصدد، قدّره وشكره عليها كل العالم الإسلامي، ألا وهو اعترافه بأن الإسلام دين سماوي. وحبَّذا لو تبعها خطواتٌ أخرى تمتن أواصر الإيمان)[1].

إن دين الله عزيز، ولا يغض منه أن يتخذه بعض المنتسبين إليه سلعةً أو سلّماً، إلى هذا الحد المسِف الذي يحاول الشيخ كفتارو إلصاقه بطوائف النصرانية الضالة، ولو بوصفه هرطقة من الهرطقات كما زعم بعض النصارى. ونستعير في هذا المقام بيتين للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني[2] رحمه الله في عزة نفس العالم بالعلم، فكيف بأصل الدين:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوس لَعُظِّما
ولكن أهانوه فهانَ ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

ثالثاً: منهجية التقارب عند الشيخ تقوم على:

١ ـ استخلاص المتفق عليه بين الأديان حول ربوبية الله.

٢ ـ استخلاص المتفق عليه بين الأديان حول الوصايا الأخلاقية.

٣ ـ إعادة النظر في التأويلات المعاكسة للقاء الأديان.

---

(١) من كلمته في افتتاح المؤتمر المذكور تحت عنوان: (إخوة تحت راية الإيمان. راية محمد والمسيح في كتاب: سلامٌ للبشر، من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم (٣). أندراوس بشته، وعادل تيودور خوري، وآخرون. مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي. المكتبة البولسية. جونية ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م. (ص ٥٧ ـ ٥٨).

(٢) علي بن عبد العزيز الجرجاني: (٠٠٠ ـ ٣٩٢هـ) أبو الحسن، قاض من العلماء بالأدب. كثير الرحلات. له شعر حسن. ولد بجرجان وولي قضاءها. من آثاره: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تفسير القرآن، تهذيب التاريخ. انظر: الأعلام (٤/ ٣٠٠).

٤ ـ العمل ضمن قاعدة: (نتعاون على ما نشترك فيه، ونتسامح فيما يختلف فيه من فروع)[١].

أما الوسائل والأدوات لتحقيق هذه المقاصد، فيقترح:

١ ـ (هيئة أمم عالمية روحية، متعاونة، ترعاها السماء)[٢]!

٢ ـ (تعميم التعليم والإعلام بها بمختلف الوسائل الحديثة)[٣].

٣ ـ المصافحة والمعانقة والتآخي والمحبة وتبادل التهاني في الأعياد، وتبادل المزايدات الكلامية من جنس روايته التالية: (قال لي قداسة البابا «يوحنا بولس الثاني» في أحد لقاءاتي الحوارية معه: إنني أقرأ القرآن كل يوم، فكان جوابي له: وأنا أحفظ الإنجيل)[٤]. وغير خافٍ أن هذا المنهج ووسائله ليس من دين الله في شيء، ولا من سبيل المؤمنين.

رابعاً: ثمرة التقارب الذي ينشده الشيخ أحمد كفتارو هو تحقيق السلام العالمي، فيقول: (وأما ثمرها فهو تحقيق الأسرة العالمية، وأخوة الإنسان للإنسان، حتى نعيش على فردوسنا الأرضي، فنحوله من جحيم القنابل التي تتهدد البشرية، إلى فردوس الحب الإيماني)[٥].

إن شعارات «السلام» و«العالمية» و«الأخوة الإنسانية» المجردة وما شابهها، ليست إلا مبادىء الماسونية، والاتجاهات الأرضية غير الدينية، وليست سوى جُملاً عامة لم تأتِ بها الشريعة، ولا هي بحد ذاتها من مقاصد الإسلام.

---

(١) الدعاة والدعوة (١/ ٥٦٠).

(٢) الدعاة والدعوة (١/ ٥٦٠). ولاحظ التعبير الكنسي بـ «السماء» عوضاً عن «الله».

(٣) الدعاة والدعوة (٢/ ١٠٧٢).

(٤) الدعاة والدعوة (٢/ ١٠٧٥).

(٥) الدعاة والدعوة (١/ ٥٧٣).

فالمقصود الأعظم لكل مؤمن وداعية يسير في ركب الأنبياء تحقيق عبودية الله، لا العالمية، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، والدخول في السلم، لا مطلق السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، والجهاد في سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، لا السعي وراء سراب السلام العالمي الذي يتظاهر به الفتَّانون: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وطلب الفردوس الأخروي، لا الفردوس الأرضي على أنقاض الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨﴾ [التوبة].

وأخيراً، تحقيق «الحب الإيماني» الموصوف أهله بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، [المائدة]، وليس «الحب المطلق» بلا خطام ولا زمام الذي يدين به شيخهم الأكبر «ابن عربي» حين يعلن:

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

وبذلك تتبين الأسس التي تجمع دعاة التقريب بين الأديان في القديم والحديث، فلا عجب إذاً أن يطري روجيه جارودي الشيخ أحمد كفتارو بقوله: (عرف العالم الوجه الحقيقي للإسلام بوجه سماحة المفتي)[1].

---

(١) من كلمته في جامع أبي النور في ٢٣/ ٣/ ١٩٨٤م. انظر: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان.

الفصل الثاني

المحاولات الجماعية للتقريب بين الأديان ونقدها

يجد الباحث نفسه أمام حشد هائل من المحاولات الرامية إلى التقريب بين الأديان في العصر الحديث. فثم عشرات المؤسسات الدينية والشعبية في العالم تعنى بهذه القضية وتتفرغ لها. وثم مئات المؤتمرات المعقودة في هذا الصدد جرت في أركان الأرض الأربعة، حتى أصبحت هذه الظاهرة سمة بارزة من سمات عصرنا في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري حتى وقتنا هذا، النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، فتتابعت هذه المحاولات كعقدٍ انفرط نظامه.

وقد كانت الدعوة، مجرد فكرة يتمتم بها الزنادقة على وجل في مطاوي التاريخ، أو تتبناها جمعياتٌ سرية في دهاليز مظلمة، أو ينبري لها أفرادٌ انسلخوا من معتقداتهم، ونبذتهم مجتمعاتهم، تنتهي بانتهائهم[(١)].

ولكن الأمور في هذا العصر انقلبت، فصار المنكر معروفاً، والبعيد قريباً، فحظيت هذه الدعوة بانتشار واسع، وقبولٍ عريض، وتأييدٍ دولي. فأخليت لها القاعات، وسلطت عليها الأضواء، وبشرت بها وسائل الإعلام. ونهدف في هذا الفصل إلى الوقوف على حجم هذه الظاهرة العالمية الخطيرة، وإيجاد ثبتٍ تاريخي يستوعب مختلف المحاولات الجماعية المبذولة للتقريب بين الأديان في العصر الحديث. وتشمل هذه الدراسة مدىً زمنياً يمتد لأكثر من ستين سنة (١٩٣٥ ـ ١٩٩٩م)، ورقعة جغرافية تمثل معظم المعمورة.

---

(١) راجع فصل: الأصول التاريخية. الباب الأول..

وقد تم حصر أكثر من ثلاثمائة مؤتمر من مؤتمرات التقارب، رعتها أكثر من مائة هيئة دينية أو مدنية، أو مركز متخصص أنشىء لهذا الغرض، تمت الإشارة إليها والتعريف بها في هذا الفصل.

وتتنوع هذه المؤتمرات تنوعاً شديداً يصعب معه تصنيفها، فبعضها ثنائي الأطراف (مسلمون، نصارى)، وبعضها ثلاثي (مسلمون، نصارى، يهود)، وبعضها متعدد يشمل العقائد الوثنية المحضة (بوذيين، وهندوس)، بالإضافة إلى الثلاثة السابقة. ومن تلك المؤتمرات ما هو عالمي، ومنها ما هو إقليمي، أو محلي.

وعامتها لا ترعاها الحكومات والدول، وقليل منها حكومي. أما موضوعاتها فأشد تنوعاً، فبعضها ينزع نحو العموميات، وبعضها يعالج مسائل خاصة.

وفي سبيل عرض هذا الركام عرضاً واضحاً، يبدو أن مراعاة الترتيب الزمني لتاريخ انعقادها يؤثر سلباً على الجانب الموضوعي، حيث لا رابط بين فقرات التسلسل الزمني لهذه المؤتمرات التي تنبع من جهات متعددة، وفي مواقع مختلفة من العالم، ولغايات شتى. ويمكن تدارك الفائدة التي يمنحها الترتيب الزمني بالنظر إلى الجداول المثبتة في قسم الملاحق في آخر البحث، حيث تم سرد هذه المؤتمرات حسب وقوعها الزمني(١).

وبعد الفحص والتأمل لمجمل هذه المحاولات ـ باستثناء المحاولات المبكرة ـ بدا أن من الأوفق تصنيفها بناءً على اعتبارين: أحدهما: الجهة المنظمة المعروفة بأخذ زمام المبادرة في هذه المحاولات. الثاني: الموقع الجغرافي الذي تجمعه خصائص مشتركة.

فتمخض ذلك عن التقسيمات التالية:

---

(١) انظر: جدول رقم (١) في ذيل الرسالة.

١ ـ المحاولات المبكرة، قبل المجمع الفاتيكاني الثاني.

٢ ـ محاولات الكنيسة الكاثوليكية.

٣ ـ محاولات مجلس الكنائس العالمي.

٤ ـ محاولات التقريب في أوروبا الغربية.

٥ ـ محاولات التقريب في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي ـ سابقاً ـ.

٦ ـ محاولات التقريب في الولايات المتحدة الأميركية.

٧ ـ محاولات التقريب في قارة آسيا.

٨ ـ محاولات التقريب في العالم العربي.

٩ ـ محاولات عالمية متفرقة.

وتتفاوت هذه المؤتمرات أيضاً من حيث أهميتها، ومن حيث توفر المعلومات عنها لدى الباحث، لا سيما وأن عامتها تمت في أماكن بعيدة ولغاتٍ شتى، ومن ثم نقتصر في بعضها على عرضٍ وصفي للمعلومات الأولية المتضمنة:

اسم المؤتمر، مكان انعقاده، وتاريخ انعقاده، والجهة المنظمة، وعدد ونوعية المشاركين فيه. أما حين توفر معلوماتٍ عن الموضوعات التي جرى بحثها، والمحاضرات التي جرى إلقاؤها، وما صدر عنها من بياناتٍ ختامية مشتركة وتوصيات، وهو ما يحصل غالباً في المؤتمرات المهمة، فإنا نتناوله بالنقد والتحليل والتعليق[1].

ولا يعزب عن البال أن مداولات هذه المؤتمرات وبياناتها وتوصياتها كتبت ـ بطبيعة الحال ـ بأقلام اليهود والنصارى، وبعض المتحررين من الإسلاميين، فلا عجب أن تتضمن تعبيراتٍ كفرية،

---

(١) بعض هذه المؤتمرات تجمع أعماله بين دفتي كتابٍ حافل، وبعضها يتم التقاط مادته من إشاراتٍ عابرة في الصحف والمجلات والكتب.

وصياغاتٍ يأباها الدين الإسلامي[1]، وإنما ترد بين أقواس التنصيص، لكن المقام اقتضى نقلها لبيان الحال، ثم كشف ما تضمنته من باطل ونقده.



(١) مثل حكاية عقائد النصارى، من القول ببنوة المسيح ونحوها. ومما يكثر في هذه المؤتمرات وصف «النصارى» بالمسيحيين، وأن أديان أهل الكتاب «سماوية»، ونحو ذلك مما سبق بيانه في التمهيد. ولكن الأمانة العلمية تقتضي النقل دون تصرف. وقد حكى الله تعالى في كتابه مقالات اليهود والنصارى والمشركين لقصد إبطالها.

المبحث الأول

المحاولات المبكرة للتقريب بين الأديان قبل المجمع الفاتيكاني الثاني

ظهرت إثر الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م)، والثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) محاولات للتواصل الديني بين معتنقي الديانات المختلفة، كرد فعل للتغيرات الكبرى التي اجتاحت العالم من الناحية الفكرية العقدية، المتمثلة بالنظريات الإلحادية التي اكتسحت العالم الغربي، كالشيوعية، ومن الناحية الإنسانية التي منيت بالدمار الشامل، والهلاك المروع لملايين البشر، فغدا السلام حلماً ينشده الجميع، ويتذرعون إليه بشتى الوسائل، ومن ذلك الدعوة إلى تقارب الأديان. وساعد على ذلك انفتاح شعوب العالم بعضها على بعض، طوعاً وكرهاً، بالتجارة والهجرة، وبالاستعمار والتهجير.

وبعض تلك المحاولات المبكرة كان ذا صبغة علمية بحثية، وبعضها ذا دوافع سياسية، وبعضها ذا غايات تنصيرية، إلا أنها كانت جميعاً إرهاصاتٍ لما تمخض عنه المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م) من إطلاق العنان للمحاولات الواسعة المكثفة للتقريب بين الأديان.

ومن هذه المحاولات المبكرة ما يلي:

مؤتمر: «تاريخ الأديان الدولي ـ عام ١٩٣٥م»

عقد هذا المؤتمر في مدينة «بروكسل» عاصمة بلجيكا في الفترة ١٦ ـ ٢٠ سبتمبر عام ١٩٣٥، الموافق ١٣٥٤هـ. وقد وجهت الدعوة

إلى الأزهر لحضوره، فأوفد شيخ الأزهر إذ ذاك محمد مصطفى المراغي[١] كلاً من الأستاذين مصطفى عبد الرازق، وأمين الخولي، وقد قدم هذا الأخير بحثاً إلى المؤتمر بعنوان:

«صلة الإسلام بإصلاح المسيحية»، تناول فيه:

١ ـ الاتصال المادي بين الإسلام والمسيحية في أوروبا، أي تاريخ المواجهة الحربية.

٢ ـ الاتصال المعنوي بين الإسلام والمسيحية في أوروبا، من حيث اللغة والفلسفة.

٣ ـ آثار ذلك الاتصال في نشأة أفكار الإصلاح المسيحي «البروتستانتي»، وآراء دعاته، في العلاقة مع الكنيسة الكاثوليكية، بوصفه أحد عناصر التأثير[٢].

المؤتمر: «العالمي للأديان ـ عام ١٩٣٦م»:

عقد هذا المؤتمر في «لندن» في الفترة (٣ ـ ١٨ يوليو عام ١٩٣٦م)، أي بعد تسعة أشهر من مؤتمر بروكسل، بمبادرة من المجلس العالمي للأديان. وقد وجهت الدعوة لشيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، فاعتذر عن الحضور، ووجه كلمة إلى المؤتمر ألقاها نيابة عنه أخوه عبد العزيز. ومما جاء فيها: (إن أهل الأديان يحشدون جنودهم،

---

(١) محمد بن مصطفى بن محمد المراغي. ولد سنة (١٢٩٨هـ ـ ١٨٨١م)، باحث مصري من دعاة التجديد. ولد بالمراغة، وتعلم بالقاهرة، وتتلمذ لمحمد عبده. عين قاضي قضاة السودان (١٩٠٨ ـ ١٩١٩م)، وعين شيخاً للأزهر سنة (١٩٢٨م) فمكث عاماً، وأعيد سنة (١٩٣٥م) فاستمر إلى أن توفي في الإسكندرية سنة (١٣٦٤هـ ١٩٤٥م). له رسائل في التفسير. انظر: الأعلام (١٠٣/٧).

(٢) انظر: «صلة الإسلام بإصلاح المسيحية» أمين الخولي. من سلسلة الأعمال الكاملة رقم (٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م. (٩).

ويعدون لمقاتلة بعضهم بعضاً، مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك، وسلكوا طرقاً في التناحر مخالفة لأوضح قواعد المنطق. فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم إلى القوة المادية للدول، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جادٌ في إنزالهم من مكانهم اللائق بهم، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية، وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام النظم الإلهية.

وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة، وهذه الإباحية التي يئن منها العقلاء، وهذه المادية المستحكمة التي تجر الويلات على الآمنين، بين حينٍ وآخر، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية. ولكن ما الذي ينتظر غير هذا، وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان، كما تعمل في غيرهم، وتغريهم الحياة الدنيا كما تغري غيرهم، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم، ويفتري بعضهم على بعض في الدين كما يفتري غيرهم[1]).

إن هذ النص يمثل موقفاً رسمياً مبكراً، يحمل في ثناياه البذور الأولى للموقف المعاصر من التقارب بحوافزه ومثبطاته، التي ظل المحاورون المسلمون يرددونها في المؤتمرات اللاحقة.

فشيخ الأزهر يرجو من تقارب الأديان أن يؤدي إلى تكوين جبهة

---

(١) عن «الحوار الإسلامي المسيحي» تأليف بسام داود عجك (٢٤٠). وقد نشرت الكلمة في مجلة الأزهر ج٥، مج ٧، جمادى الأولى عام (١٣٥٥هـ) (٣٠١).

موحدة ضد أعداء الأديان من الملحدين والإباحيين والماديين، ويأسف لعوامل التفريق فيهم. وكأن الأصل فيهم أن يكونوا يداً واحدة، يجمعهم إيمان واحد، يتعاونون على درء الخطر عنه!!

ومن جانبٍ آخر ينعى على أهل الأديان استعمال الإكراه، والإغراء بالمال وغيره، والركون إلى القوة المادية للدول، في إشارةٍ واضحة إلى التنصير المدعوم من الاستعمار الأوروبي في تلك الحقبة.

ونحن بعد أكثر من ستين عاماً من كلمة شيخ الأزهر التي تجاذبها الألم والأمل، والخوف والرجاء، نلمس بشكل جلي إمعان أوروبا النصرانية في الإباحية والمادية واللادينية، وازدياد النشاط التنصيري خارج أوروبا، وفي أواسط المسلمين خاصة.

فأي خيرٍ كان يرتجى، وأي شرٍ كان يتَّقى؟!

المؤتمر: «العالمي للأديان ـ عام ١٩٣٧م»:

عقد هذا المؤتمر بمبادرة من المجلس العالمي للأديان أيضاً، في جامعة السربون في باريس عام ١٩٣٧م، وانتدب شيخ الأزهر نيابة عنه الشيخ عبد الله دراز[(١)].

(جمعية الإخاء الديني):

وهي من أقدم جمعيات التقارب بين الأديان، إذ يرجع تأسيسها إلى عام (١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م). وقد أنشأها في القاهرة المستشرق الفرنسي المشهور «لويس ماسينيون»[(٢)]، والأب الكاثوليكي المصري «جورج قنواتي»[(٣)]، وتضم في عضويتها بعض علماء الأزهر وبعض آباء الكنيسة، وشخصيات اجتماعية من المسلمين والنصارى. وقد اتخذت

---

(١) المرجع السابق (٢٤١).

(٢) تقدمت ترجمته (٣٧٥).

(٣) انظر ترجمته (٩٦٢).

من المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة مركزاً لممارسة نشاطاتها الحوارية(١).

وقد تفرع عن الجمعية ندوات حوارية عرفت باسم «دار السلام» عام ١٩٤٤ وما بعده، انعقدت بصورة دورية منتظمة في القاهرة، في حقبة الخمسينيات بتوجيهٍ من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية «الفاتيكان»(٢).

كما تمكن الأب جورج قنواتي من نقل فكرة «الأيام الرومانية J R»(٣) المنفذة في الفاتيكان إلى القاهرة، فأسس عن طريق دير الآباء الدومينكان في العباسية بالقاهرة، ومعهد الدراسات الشرقية الدومينكاني «IDEO» ما عرف باسم «الأيام الدومينكانية»(٤).

وكانت هذه الأيام الدومينكانية تنعقد كل أربع سنوات، ولم تكن تعنى بالقضايا الإقليمية، بقدر ما كانت تسعى لاكتشاف الطرق التي يتمكن بها النصارى الذين يتبعون القديس دومينيك من تأسيس حوار وتعاونٍ مع المسلمين(٥).

كانت جمعية الإخاء الديني محاولة مبكرة للتقريب بين الإسلام والنصرانية قُيِّض لها كاثوليكي جلْد معمَّر، فظلت باقية إلى أيامنا هذه في قلب العالم الإسلامي.

---

(١) انظر: الإخاء الديني، ومجمع الأديان وموقف الإسلام. د. محمد البهى (٥، ٢١، ٢٢).

(٢) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims 1/15.

(٣) انظر تعريفاً بهذا اللون من النشاط الكنسي الكاثوليكي في مبحث «محاولات الكنيسة الكاثوليكية» من هذا الباب..

(٤) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة. (١٤٠).

(٥) انظر: Recognize the Spritual Bonds Which Unite Us.... p. (83).

(جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط):

هي جمعية ذات دوافع سياسية، أسسها يهودي أمريكي يدعى «الـمير برجر» في حدود سنة ١٩٤٨م، وهي سنة إعلان قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين. وقد (نشأت واتخذت مقراً لها في الولايات المتحدة الأميركية. وترأس هذه الجمعية السيدة طومسون الأميركية، ونائب رئيسها غارلند إيفانز هوبكنز الأميركي أيضاً، وأعضاؤها نفرٌ من أبناء الولايات المتحدة...

كان بعض المتحمسين لها من العرب يقولون... إن هذه الجمعية أخذت على عاتقها تغيير اتجاه السياسة الأميركية، وإفهام الساسة الأميركان حقيقة الوضع في العالم العربي، لكي يقلعوا عن سياسة الكيد للعرب، ومظاهرة إسرائيل عليهم.

كانت رئيسة هذه الجمعية كلما قدمت إلى ديارنا، تقام لها الحفلات، ويغدق عليها المديح والإطراء أطناناً فوق أطنان. كانت بعض الصحف العربية تصورها بطلة الدفاع عن العرب وقضاياهم، وتسميها سفيرة العرب في الولايات المتحدة)[1].

ويبدو أن هذه السمعة الإعلامية كانت طُعماً لاصطياد هؤلاء المعجبين بما يخدم الأهداف الصهيونية والغربية في المنطقة العربية التي كانت تشهد في تلك الحقبة هجمة إلحادية مدفوعة من المعسكر الشيوعي الشرقي، واغتصاباً سافراً من اليهود لأرض فلسطين، مدعوماً من المعسكر الرأسمالي الغربي[2].

---

(١) هرطقات... فِريسية...: د. جورج حنا. دار العلم للملايين. بيروت - لبنان. طبعة ١٩٥٤م..

(٢) وقد كشف الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، ﷺ، أن نائب رئيس الجمعية غارلند إيفانز هوبكنز (قسيس بروتستانتي، معاد للإسلام، وكان من جملة الوفد المشارك في محادثات جنيف عام ١٩٤٩م، المتعلقة بقضية=

ومن ثم فقد تبنت هذه الجمعية المشبوهة عقد أول مؤتمر تقارب إسلامي مسيحي في المنطقة في بحمدون عام ١٩٥٤م، تمخض عن تكوين لجنة دائمة للتعاون، عقدت لقاءين اثنين فقط؛ أحدهما في الإسكندرية عام ١٩٥٥م، والثاني في بحمدون عام ١٩٥٦م.

كما أوفدت اللجنة بعض أعضائها في أغسطس ١٩٥٤م إلى الولايات المتحدة الأمريكية لحضور الجمعية العمومية لمجلس الكنائس العالمي، المنعقد في إيفانستون من أجل (التعبير عن اقتناعهم بضرورة التعاون بين المسلمين والمسيحيين، إذ يؤمنون جميعهم بإلهٍ واحد، ومن أجل الدفاع عن العالم ضد التيارات الهدامة، تيارات المادية والإلحاد)[1].

ولعل القائمين على الجمعية شعروا بالحاجة إلى تدعيم موقفهم ببعض القيادات والزعامات العلمية، فاستدرجوا الشيخ محمد بهجة البيطار[2] ﷺ، وسوَّغوا له المشاركة، حتى قبل بمنصب نائب رئيس

= فلسطين ليحث العرب على الاعتراف بما يسمى دولة إسرائيل، وقضية التقسيم آنذاك). مجلة لواء الإسلام عدد ١٢ عام ١٩٥٥م، عن الحوار الإسلامي المسيحي. بسام داود عجك (٢٤٤).

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٨).

(٢) محمد بهجة بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني البيطار، ولد في دمشق عام (١٣١١هـ - ١٨٩٤م)، وتتلمذ على جمال الدين القاسمي، وبدر الدين الحسني. وخطب وأمَّ ودرس في جامع القاعة وغيره. استبقاه الملك عبد العزيز آل سعود إثر مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي عام ١٣٥٤هـ المعقود في مكة المكرمة ليشرف على المعهد العلمي السعودي، ثم دار التوحيد بالطائف، ثم عاد إلى دمشق ليدرس في جامعتها، وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بدمشق. وكان سلفي المعتقد ألف: «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»، و«السنة والشيعة»، و«الكوثري وتعليقاته» وغيرها. توفي عام (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ﷺ. انظر: ذيل الأعلام (١٦٧ - ١٦٨).

الجمعية، وسافر إلى الولايات المتحدة الأميركية، بهذه الصفة، بدعوة من الجمعية، واشترط لذلك أن يصطحب ترجماناً من بلاد الشام يثق بأمانته، وأن يعقد له في كل ولاية يزورها لقاء مع رجال الدين النصارى. فألقى العديد من المحاضرات، وأجرى بعض المناظرات، ولكنه اكتشف أن منصبه ذاك ليس ذا معنى، ولم يحقق فيه شيئاً للإسلام كما كان يؤمل. وقال لاحقاً: (كنت أدعو إلى هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين، وكذا في اجتماعنا في لبنان من قبل، وفي الإسكندرية من بعد)[١].

مؤتمر: «القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية» بحمدون ١٩٥٤م

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في بلدة «بحمدون» في لبنان في الفترة: (١٩ ـ ٢٦ شعبان عام ١٣٧٣هـ، الموافق ٢٢ ـ ٢٩ إبريل عام ١٩٥٤م) بمبادرة من جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط، وشارك فيه أربعة وسبعون مسلماً ونصرانياً من أقطار شتى. وقد حددت الجمعية المذكورة الهدف المعلن من عقد المؤتمر في نص دعوتها التي وجهتها إلى المدعوين للمشاركة. وهو: (بحث النواحي الروحية، والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدين، مبينة عقم الفلسفة المادية الفانية.. إظهار وتحقيق أهداف الديانتين الواحدة، ومقاومة الشيوعية، ومكافحة مغرياتها الدنيوية وأغراضها المادية)[٢]، كما صرح مدير الأبحاث والنشر بالجمعية «إريك ولدمار»: (إن غاية المؤتمر واضحة جلية، وهي محاربة الإلحاد، والعمل على التقارب بين المسيحيين والمسلمين، وتوحيد القوى ضد التيارات التي تحاول النيل من عقائد هاتين الديانتين)[٣]. وقال أحد أعضاء المؤتمر من الأمريكان: (إن

---

(١) انظر في هذا: الدعاة والدعوة المنطلقة من مساجد دمشق. د. محمد حسن الحمصي (١/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦، ٢/ ٦٤٩).
(٢) هرطقات فريسية (٨).
(٣) المرجع السابق (٨).

الولايات المتحدة الأميركية تنظر بعين القلق إلى التطورات والأحداث الجارية في الشرق الأوسط، وترى من واجبها أن تقوم بكل ما في وسعها كقائدة للدول الخارجة عن الستار الحديدي الشيوعي، للقضاء على الشيوعية التي أخذت تتفشى في الشرق الأوسط خصوصاً، بشكلٍ مريع)[١].

وبالمقابل فحين سُئل مدير الأبحاث والنشر في جمعية أصدقاء الشرق الأوسط عن مشكلة الشرق الأوسط المتمثلة في قيام دولة إسرائيل، وتشريد الفلسطينيين قال: (إننا هنا نبحث أموراً علمية، ولن نتدخل في الأمور السياسية)[٢].

ومن ثم فقد قوبل المؤتمر برفضٍ واسع النطاق من قبل قيادات إسلامية شرعية، واجتماعية، وصحفية، في العالم العربي[٣]، وصمت من قبل النصارى المحليين.

وقد تناولت بحوث المؤتمر الحديث عن القيم الروحية الاجتماعية والعائلية، والعمل الاجتماعي في الإسلام والمسيحية، وجواب الإسلام والمسيحية على الشيوعية، ثم كيفية نقل الإسلام والمسيحية تعاليمهما الروحية للأجيال الصاعدة، بل وكيفية تعاون الديانتين لنقل هذه القيم.

وصدر عن المؤتمر بيان مشترك تضمن خلاصات هذه البحوث، ومنها:

(... في هذه المناسبة نعتقد نحن المؤمنين بالله تعالى وبوصاياه أنه أصبح لزاماً علينا مجابهة تيارات الإلحاد والمادية التي تتسرب إلى الجماعات والأمم...

---

(١) المرجع السابق (٩).

(٢) المرجع السابق (٨).

(٣) انظر بعض الردود في هرطقات فريسية (١٠ ـ ١٨) والملاحظ أنه رفض مبني على موقف سياسي، لا على أساسٍ عقدي موضوعي.

على الذين يؤمنون به أن يعيشوا إخواناً، وأن يعملوا معاً للوصول إلى أهداف الإنسانية التي أبرزها لنا سبحانه وتعالى، وأهمها احترام الإنسان حقوق أخيه التي لا يمكن تغييرها، والابتعاد عن استغلاله وانتهاك حرمته...

نحن المؤتمرين... جعلنا من أنفسنا لجنة دائمة للتعاون الإسلامي المسيحي، ونعلن برعاية الله، أننا سنعمل بلا هوادة في جو من الثقة والاحترام المتبادلين لحقوق الآخرين على تدعيم التفاهم والأخوة بين المؤمنين بالديانتين الإسلامية والمسيحية)[1].

ومن عجبٍ أن الفتنة الطائفية اندلعت في لبنان بعد هذا المؤتمر بأربع سنواتٍ تقريباً، عام ١٩٥٨م، ثم خبا أوارها بضع سنين، وفي خلل الرماد وميض نار اضطرمت كأشد ما تكون عام ١٩٧٥م، ودامت خمس عشرة سنة تقريباً.

ودفعاً للتهمة الموجهة نحو المؤتمر والجهة التي خلفه، من حيث تجاهل قضية فلسطين، ألحق المؤتمر بيانه الختامي بما أسماه «وصية»، تعاطف فيها مع اللاجئين العرب المطرودين من بيوتهم، المحرومين من ميراث آبائهم وأجدادهم. وتحاشى بشكل سافر تسمية من طردهم وحرمهم، واكتفى باستنكار العدوان والاضطراب اللذين يمزقان الأرض المقدسة. ثم قال: (... بعد كل هذه السنين العديدة، لا يزالون يؤمنون بأن بعض العدل والمنطق سيتحققان عن طريق الأمم المتحدة. وإننا ندرك الأسباب التي جعلت بعضهم ينادون بالابتعاد عن الله، وكيف يشعر بعضهم أن إخوانهم بالإيمان قد خذلوهم، والبعض الآخر قد أصبح يستهزىء بعدالة الدول الكبرى، والأمم المتحدة نفسها.. ونحن الذين شاهدنا نكبتهم نعاهدهم أننا لن ننساهم، وأننا عند رجوعنا

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٥).

إلى أوطاننا سنرفع أصواتنا منتصرين لهم، وسنحث حكوماتنا على اتخاذ إجراءات سريعة لعودتهم إلى وطنهم، وتعويض الذين لم يعودوا)[١].

ونحن بدورنا بعد كل هذه السنين العديدة، ندرك خطة الاستدراج، التي كان ينتهجها اليهود والنصارى لتضليل ذلك الجيل عن أسباب النصر والخذلان الحقيقية.

(مؤتمر لجنة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي):

عقدت اللجنة الدائمة المنبثقة عن مؤتمر بحمدون مؤتمراً في الإسكندرية في الفترة (١٦ ـ ٢١ جمادى الثانية عام ١٣٧٤هـ، الموافق ٩ ـ ١٤ فبراير عام ١٩٥٥م) شارك فيه ثمانية وعشرون مندوباً، وأصدروا بياناً مطولاً رددوا في ثناياه ما جاء في بيان بحمدون، وأضافوا بعض المعاني الجديدة، نقتطف منه ما يلي:

(لما كانت الاختلافات بيننا معروفة لدى الجميع، فليس ثمة من داع للتوسع في شرحها هنا[٢]. وإننا لنأمل من اليوم فصاعداً محاولة إيجاد جوٍ تسوده روح التفاهم الديني، والتسامح وحسن السيرة والتآزر...

إننا متحدون في الاعتقاد الثابت بالله الخالق الحافظ لهذه الدنيا، وبأن وجود الإنسان على هذه الأرض لم يكن مصادفة، بل هو مخلوق بإرادة الله لغرضٍ معلوم... وكمؤمنين بإله واحد، يجب علينا أن نسعى لربط العالم برباط الأخوة لاستئصال أسباب الحقد وسوء التفاهم، والتقريب بين أهل الأرض في سلامٍ وحرية...

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٦).

(٢) ظلت المؤتمرات اللاحقة على كافة الأصعدة ترجىء البحث في مسائل الاختلاف الكبرى بين الإسلام والنصرانية التي هي أساس دعوة القرآن لمحاورة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، حتى يومنا هذا كما سيتضح من عرض مقررات المؤتمرات اللاحقة في العقود الأربعة التالية.

وقد ظهر من خطب الخطباء في هذا الاجتماع أن بين الفريقين أوجه اتفاق عديدة. وجلي أنه لا يكفي في يومنا هذا أن نبني اتحادنا على مبادىء أساسية كبيرة فحسب، بل يجب علينا أن نعمل أيضاً على دعمها، والدفاع عنها، وإزالة العقبات في سبيل تحقيقها. وإننا لنعاهد أنفسنا بذل أقصى جهدنا لإنماء روح الصداقة بين أبناء ديانتينا، واستئصال التعصب وسوء الفهم، وخلق جو الأخوة وحسن التفاهم بينهما، بكل الوسائل الممكنة)[١].

هذا بالإضافة على التأكيد على قضايا حقوق الإنسان، وحماية الحريات، ودعم نظام الأسرة والزواج، والعدالة الاجتماعية، والسلام، والقيم الخلقية والروحية وهي معانٍ ظلت المؤتمرات اللاحقة تدور في فلكها، وتكررها دون أن تخرج إلى آفاقٍ حوار حقيقي ينشد الحقيقة ويزيل أسباب القطيعة الثابتة، بل تتحاشى الاقتراب منها.

مؤتمر: «لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي» بحمدون ١٩٥٦م:

كانت الأجواء المشحونة بالتوتر بين المسلمين والنصارى في العالم العربي والإسلامي قد ألقت بظلالها، وأثارت الريبة والحذر تجاه هذه المبادرة الغربية التي تدعو للمحبة والسلام، في حين يمارس الغربيون صنوف الاضطهاد للمسلمين في الجزائر التي كانت ترزح تحت الاستعمار الفرنسي، وفي قبرص التي يهيمن نصاراها على مسلميها، ويسلبونهم حقوقهم، فضلاً عن مساندة الدول الغربية لإسرائيل. ومن أجل ذلك لم تتمكن اللجنة المتولدة عن جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأميركان من الحصول على ترخيص من الأردن بعقد اجتماعها هذا في القدس. فانعقد مرة أخرى في بحمدون في الفترة (٦ ـ ٩ ذي القعدة عام ١٣٧٥هـ، الموافق ١٥ ـ ١٨ يونيو ١٩٥٦م). وصدر عن المؤتمر

---

(١) المرجع السابق (١٨ ـ ٢٢).

بيانٌ مقتضب يندد بشكل عام، دون تسمية، بالظلم والعدوان، وسفك الدماء، واغتصاب الأوطان، وكبت الحريات، والتمييز الجنسي والعنصري والديني، وبراءة الديانتين من ذلك. وبُعث بنسخ منه إلى البابا، ورئيس كنيسة فرنسا، ورئيس أساقفة كانتربري الإنجليكانية.

هذا وقد كان من المفترض أن يعرض على المؤتمر الأخير هذا، الدستور المقترح الذي أعدته لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي في مؤتمر الإسكندرية السابق، للحصول على الموافقة النهائية. وذاك الدستور الذي لم يرَ النور يمثل ذروة سلم التقارب الإسلامي المسيحي في تلك الحقبة السابقة لانعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، نختار من بنوده المادتين الأوليين:

(**المادة الأولى**: - **الاسم**: الفقرة الأولى - تسمى هذه المنظمة «الرابطة العالمية للمسلمين والمسيحيين» ويطلق عليها فيما يلي «الرابطة».

المادة الثانية: - **الأهداف**: إن أهداف الرابطة هي:

فقرة (١) - الإفصاح بطريقة علنية بأن الإسلام والمسيحية يشتركان في كثير من المعتقدات والأهداف.

فقرة (٢) - تهيئة وتشجيع السبل التي تعمل على اطراد حسن التفاهم، والتعاون التام بين المسلمين والمسيحيين.

فقرة (٣) - التعاون على العمل لصالح العقيدتين.

فقرة (٤) - تشجيع دراسة القرآن والإنجيل، وعرض النتائج والتفسيرات بطريقة عادلة خالية من التحيز.

فقرة (٥) - تشجيع الأخوة والنصائح المتبادلة في كل ما يتعلق بالحياة الروحية.

فقرة (٦) - تكوين علاقات استشارية مع الهيئات الإسلامية والمسيحية المختلفة.

فقرة (٧) ـ إيجاد الأخوة والتعاون مع الجماعات الأخرى التي يهمها التعاون المسيحي الإسلامي)[١].

لقد كانت أهداف هذه الرابطة خطيرة، ومراميها بعيدة، تجلت فيها فكرة التقريب بين الأديان كأوضح ما تكون، حيث يجري إبراز جوانب الاتفاق العامة، وتنحية وإغفال جوانب الافتراق الهامة، وإلغاء حدود الولاء والبراء، وطمس الحمية الدينية بدعوى التفاهم والتعاون، وذلك فَخٌّ كان يستدرج له أهل الإسلام، ولكن الله سلَّم، فأجهض المشروع واللجنة والجمعية، وكفى الله المؤمنين القتال.

مؤتمر: «الإسلام والحضارة الغربية ـ عام ١٩٥٥م»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة البندقية «فينيسيا» في إيطاليا، في الفترة (١ ـ ٦ صفر عام ١٣٧٥هـ، الموافق ١٩ ـ ٢٤ سبتمبر عام ١٩٥٥م) بمبادرة من مؤسسة «جوفياني ستي»، وشارك فيه خمسة عشر مسلماً ونصرانياً من ستة بلدان، ولم يصدر عنه بيان مشترك[٢]. إلا إن عنوانه يكشف عن الشعور المبكر لدى الدوائر النصرانية عما يحمله الإسلام من تأثير مستقبلي على الحضارة الغربية إثر حقبة الاستعمار الأوروبي لبلاد المسلمين والمواجهة المباشرة بين حضارتين؛ إحداهما مادية تفتقر إلى الأساس الديني الصحيح، والأخرى دينية تفتقر إلى أسباب القوة المادية، وتتخبط في ظلمات الجهل والفقر والمرض والتشرذم، ولكنها تؤوي إلى دين صحيح، وتنتسب إلى حضارة تاريخية راقية.

لقد كان هذا المؤتمر وأمثاله يعكس ما كان يعتمل في صدور النصارى في تلك الفترة السابقة لانعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، من الحاجة إلى بلورة موقفٍ جديد لمواجهة الإسلام.

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي (٤٧٨).

(٢) انظر اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية ـ الإسلامية. تسلسل رقم (٥).

المبحث الثاني

محاولات الكنيسة الكاثوليكية

يعد المجمع الفاتيكاني الثاني لأساقفة الكنيسة الكاثوليكية (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م) منعطفاً هاماً في تاريخ العلاقة بين الأديان، ومعلماً بارزاً في محاولات التقريب بينها. ولم يقف الأمر بمجرد إصدار الدساتير والقرارات والبيانات المجمعية، بل تبعته محاولات عملية لجعل مضامينها موضع التنفيذ، واتخذت الكنيسة الكاثوليكية خطوات عملية، ومبادرات متنوعة الأساليب، لتحقيق التقارب الديني.

ورغم أن الكنيسة الكاثوليكية قد سُبقت من قبل جهات كنسية وسياسية في إجراء بعض المحاولات، إلا إن الثقل الديني والتاريخي الذي تتمتع به الكنيسة في العالم النصراني، إضافة إلى التجديد اللاهوتي لمفهوم الخلاص الذي جاء به المجمع المشار إليه، يجعلها في المرتبة الأولى في سياق المحاولات المبذولة.

وثم عامل ثالث مهم يتعلق باستمرارية وتفعيل تلك المحاولات، وهو أن الكنيسة مؤسسة إدارية ذات هياكل وفروع تنظيمية راسخة الجذور، بخلاف الجهات الأخرى التي تفتقر إلى المرجعية الثابتة، وتبدو محاولاتها طارئة متفرقة، لا ينتظمها تصور مستقر، وهدف واضح.

وقد تنوعت وسائل التقريب وأدواته في الكنيسة الكاثوليكية. وسوف نحاول التعرف على الجهود المبذولة للتقريب بين الأديان لديها من خلال الحديث عن الجوانب التالية:

أولاً: أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، «المجمع البابوي للحوار بين الأديان ـ لاحقاً».

ثانياً: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية.

ثالثاً: الرحلات البابوية.

رابعاً: المؤتمرات والندوات.

أولاً: أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين:

Secretariat For none Christians

أنشأ البابا بولس السادس هذه الأمانة «السكرتارية» في الفترة الواقعة بين الدورتين الثانية والثالثة من دورات المجمع الفاتيكاني الثاني، في الرابع عشر من شهر مايو من عام ١٩٦٤م، بعد أربعة أشهر من الزيارة التي قام بها في مطلع ذلك العام إلى فلسطين والأردن ولبنان.

مهام أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين:

(كانت المهمة المعطاة لأمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين من قبل البابا ثلاثية:

أولاً: أن تشجع وتنقل صوت الدراسات الجادة الموضوعية والعلمية للأديان الأخرى، حتى يمكن للمسيحيين أن يتوصلوا إلى فهم أوضح لمضامين وممارسات المعتقدات الأخرى.

ثانياً: أن تحث المجتمعات المسيحية حول العالم لرؤية أهمية الحوار، وفهم واجب الإيمان المسيحي، وتنشيطه، على الرغم من العقبات، والتحفظات المسبقة لإرساء علاقات جيدة وودية مع مؤمني الأديان الأخرى.

وأخيراً، في أحوالٍ معينة، أن تشارك مباشرة في حوار مع أتباع الأديان الأخرى)[١].

رؤساء الأمانة:

تعاقب على أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين عددٌ من كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية، معظمهم برتبة «كاردينال»، وهم على التوالي:

- الكاردينال: باولو ماريللّا: Cardinal: Paolo Marella

وهو أول رئيس للأمانة، وقد شغلها لفترةٍ طويلة تمتد من عام ١٩٦٤م حتى عام ١٩٧٣م. وخلال فترة رئاسته تحققت المهمة الأولى الملقاة على عاتق الأمانة فتم إعداد ونشر دراسات عن الأديان الأخرى[٢].

- الكاردينال: سيرجيو بينيدولي: Cardinal: Sergio Pignedoli

وقد شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٧٣م حتى وفاته عام ١٩٨٠م. وتميزت فترة رئاسته بحركة دائبة، ونشاط ظاهر من الاتصالات والزيارات والاستضافات، مع المسلمين والبوذيين والهندوس، حتى وُصف عمل الأمانة في عهده بأنه (جهد لإيجاد جوٍ من التفهم و ـ إن أمكن ـ الصداقة، واهتمامٍ خاص بُذِلَ للشبيبة)[٣].

(وقد زار الرئيس والأمين المونسينور ـ الذي صار أسقفاً فيما بعد ـ بيترو روسانو عدداً من البلدان، والتقى قادة المسلمين في أفغانستان، والجزائر، وأستراليا، وبنغلاديش، والكمرون، ومصر، والهند، وأندونيسيا، وإيران والعراق، وساحل العاج، وليبيا، وماليزيا، ومالي،

---

(١) Recognize The Spiritual Bonds Which Unite Us. P. 48-49.

(٢) انظر المرجع السابق (٤٩).

(٣) Twenty-Five Years Of Dialogue. Michael Fitzgerald. P.2.

وموزمبيق، والنيجر، واليمن الشمالي، والباكستان، والعربية السعودية، والسنغال، وسنغافورة، وأسبانيا، وسيرلانكا، وتونس، وتركيا، ويوغندا، وفولتا العليا.

وبدورهم، زار الفاتيكان وفود رسمية من قادة المسلمين وعلمائهم، من مصر، وإيران، وإندونيسيا، وليبيا، والعربية السعودية، والسنغال، واليمن)[١].

وقد ترأس المكتب الخاص بالحوار مع المسلمين في أمانة السر الأب السوري «فرانسوا أبو مخ»، وشارك الرئيس والأمين في العديد من رحلاتهما.

وعلى الصعيد الداخلي دأبت أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين من خلال لجنتها المختصة بالحوار مع المسلمين تقويم مسيرتها، وتفحص نتائج مناشطها. ففي لقائها المنعقد عام ١٩٧٥م قررت ضرورة مراجعة «توجيهات في سبيل الحوار مع المسلمين»، الذي طبع لأول مرة عام ١٩٦٩م، واقترحت القيام بدراسة عن الوضع اللاهوتي للإسلام.

كما قامت الأمانة بالاتصال بنظيرتها في مجلس الكنائس العالمي، وإشراك بعض الشخصيات البروتستانتية والأرثوذكسية من المتخصصين والخبراء في شؤون الحوار مع المسلمين في اجتماعها الهام المنعقد عام ١٩٧٩م، لتبادل الخبرات ورسم الخطط المستقبلية. وقد نص المونسينور روسانو في تقريره الافتتاحي على أن (الحوار مع المسلمين سيكون بالتأكيد واحداً من المهام الأساسية للكنيسة في المستقبل)[٢].

---

(١) Recognize The Spritual Bonds. P.49-50.

(٢) Twenty-Five Years Of Dialogue. P. 4.

● رئيس الأساقفة جان جادوت Archbishop: Jean Jadot:

وقد شغل المنصب منذ وفاة سلفه عام ١٩٨٠م، حتى استقالته عام ١٩٨٤م. وقد نحا بأمانة السر منحىً سلبياً، حيث رأى أن الحوار الحيوي هو الذي يتم بين المسيحيين في الكنائس المحلية، والمسلمين في ذات البلد، وتكون وظيفة الأمانة مساعدة تلك الكنائس المحلية، على بناء حوار إسلامي مسيحي على المستوى القومي، والقيام بدور الظهير في المشاركة والمعلومات[١].

وقد أدى هذا النهج إلى انحسار مبادرات الأمانة، والاكتفاء بالمشاركة في مؤتمرات الحوار التي تنظمها جهات أخرى. وفي المقابل تشجيع اللقاءات الأسقفية المحلية في آسيا وأفريقيا وأوربا، التي تعنى بالعلاقة مع المسلمين مثل: مؤتمر أساقفة شمال أفريقيا، والمداولة حول الوجود المسيحي بين المسلمين في آسيا، المنظم من قبل اتحاد أساقفة آسيا، ومؤتمر الكنائس الأوربية ونحوها[٢].

● الكاردينال: فرانسيس آرينزي Cardinal Francis Arinze

كان يشغل رئيس أساقفة نيجيريا، وكان حديث العهد بعضوية أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، حين عينه البابا يوحنا بولس الثاني في منصب الرئيس عام ١٩٨٤م خلفاً للمونسينور جادوت، الذي لم يرضِ طموح البابا على ما يبدو. وقد أبدى الكاردينال الأفريقي نشاطاً منقطع النظير في إقامة العلاقات مع المسلمين وغيرهم، وإبراز الاتفاقيات مع المؤسسات الدينية والعلمية العريقة في العالم الإسلامي، عبر سلسلة من الرحلات والاستضافات المتتابعة، مع تفعيل الكنائس المحلية في البلدان الإسلامية أيضاً في قضية الحوار. كما كان له

---

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P. 50.

(٢) انظر: Twenty-Five Years Of Dialogue. P.7.

حضور قوي في محافل الحوار الدولية، الثنائية والمتعددة، فضلاً عن الكنيسة. كما يتضح من مسرد المؤتمرات المعقودة في الثمانينيات(١).

ومن المعالم البارزة في عهده، طرح إشكالية «الحوار والبشارة»، داخل البيت النصراني، وتبلور الهدف التنصيري من وراء ستار الحوار(٢).

وقد أدت هذه الحركة النشطة في أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين إلى حمل الإدارة البابوية في الأول من مارس عام ١٩٨٩م على اعتماد تغيير اسم الأمانة إلى «المجمع البابوي للحوار بين الأديان» The Pontifical Council For Inter-Religious Dialogue PCID، مما يشعر بالأهمية المتزايدة لهذا المرفق الفاتيكاني، والدور الذي يقوم به، وعلى حد تعبير الكاردينال أرينزي نفسه أنه: (جاء ليبقى، ولا ينبغي أن يعد مكتباً تجريبياً مؤقتاً)(٣).

هذا وينشر المجمع البابوي، أمانة السر سابقاً، نشرة فصلية بعنوان «Bulletin» أي النشرة أو البلاغ، باللغتين الإنجليزية والفرنسية. (تنشر دراسات لاهوتية في الحوار الديني بكل جوانبه، وتعكس أخبار اللقاءات، وتُصدي للكتب والمجلات التي تعالج موضوع الحوار)(٤). بالإضافة إلى بعض الدراسات في مجال الحوار مثل: توجيهات في سبيل الحوار ١٩٦٩، ١٩٨٠ و: حوار وبشارة ١٩٩١م.

وقد دأب المجمع البابوي للحوار بين الأديان، ومن قبله أمانة

---

(١) انظر: Twenty-Five Years Of Dialogue. P. 8-12.

(٢) انظر موقف الكنيسة الكاثوليكية من دعوة التقريب، في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٣) Bulletin. 69 (1988) p. 185.

(٤) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٦٢ ـ ١٦٣).

السر، منذ حوالي ثلاثين عاماً على توجيه رسائل تهنئة مفتوحة للمسلمين بمناسبة عيد الفطر المبارك، تنشر بلغاتٍ متعددة، على أنها لا تقتصر على عبارات التهنئة العادية، بل تتضمن حديثاً عن موضوع معين. ومن هذه الموضوعات المدرجة في تلك الرسائل:

(تزامن عيد الميلاد، وعيد الفطر: تقارب روحي) عام ١٩٦٧م.

- (المسؤولية المشتركة تجاه السلام والتنمية الاقتصادية) عام ١٩٦٩م.
- (الصداقة بين النصارى والمسلمين) عام ١٩٧٢م.
- (الرجال والنساء خلفاء الله في الأرض) عام ١٩٧٧م.
- (صيانة الأبعاد الروحية للحياة الإنسانية) عام ١٩٨٤م.
- (التقرب إلى الله معاً في روح الصلاة) عام ١٩٨٧م.
- (مريم أم المسيح) عام ١٩٨٨م.
- (التضامن مع جميع من يعانون) عام ١٩٩٠م.
- (تقليل التوتر في المجتمعات التعددية) عام ١٩٩٣م.
- (التعاون المسيحي الإسلامي لتعزيز نمط الأسرة) عام ١٩٩٤م.

وجميع هذه التهاني موقعة من قبل رئيس الأمانة، أو المجمع، سوى تهنئة عام ١٩٩١م، فقد وجهها البابا يوحنا بولس الثاني إلى المسلمين، بسبب أحداث حرب الخليج[١].

بقي أن نشير إلى حقيقة غريبة؛ وهي أن الحوار مع اليهود لا يندرج في اختصاصات أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، حتى بعد تحولها إلى المجمع البابوي للحوار بين الأديان! ولكن العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود تتبع مفوضية خاصة تحمل اسم: المجمع البابوي لتشجيع الوحدة المسيحية.

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds.. P. 52-54.

ثانياً: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية P.I.S.A.I:

Pontifical Institute For Arabic and Islamic Studies

يعد هذا المعهد من أبرز المؤسسات الكاثوليكية، العلمية، المعنية بالحوار مع المسلمين، إن لم يكن أبرزها فعلاً[١]. ويهدف هذا المعهد إلى إعداد النصارى وتأهيلهم للحوار مع المسلمين كما ينص عليه نظامه الأساسي، كما أنه من جهة أخرى ملتقى للنصارى والمسلمين.

ويرجع تاريخ هذا المعهد إلى فترة مبكرة في هذا القرن. ففي عام ١٩٢٦م عمدت الإرساليات الكاثوليكية التنصيرية في أفريقيا، المعروفة باسم «الآباء البيض»[٢] إلى تأسيس مركز في تونس للنصارى الذين يعيشون أو يعملون في أوساط مسلمة، بغية الحفاظ على هويتهم وانتمائهم. وفي عام ١٩٣١م حمل المركز الاسم الفرنسي (IBIA) Institut des Belles Arabes كمركز ثقافي، لا يزال موجوداً في تونس. ثم جرى فصل الجانب التعليمي عن المركز الثقافي، إثر الحرب العالمية الثانية، وسمي المعهد البابوي عام ١٩٦٠م، ثم نقل من تونس إلى روما عام ١٩٦٤م، وسمي باسمه الراهن: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية، المعروف اختصاراً (P.I.S.A.I)[٣].

ومن أبرز مناشطه العلمية إصدار نشرة شهرية منذ عام ١٩٧٤م، اسمها «Encounter» أي «اللقاء». كما يصدر المعهد مجلة عريقة منذ عام ١٩٦١م اسمها «دراسات عربية»، ومجلة سنوية شهيرة منذ عام ١٩٧٥م اسمها: «Islamochristiana» أي: دراسات إسلامية مسيحية.

ويمنح المعهد درجتي الليسانس والدكتوراه في الحقول العربية

---

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة (١٥٣).

(٢) نسبة إلى الجلابيب البيض التي تميزوا بارتدائها.

(٣) انظر: Recognize The Spirtual Bonds. P. 49-50.

والإسلامية والبابوية، ويضم طلاباً من مختلف الطوائف النصرانية، بل والمسلمين. ويشارك في التدريس فيه أيضاً أساتذة مسلمون، ويضم واحدة من أكبر المكتبات المتخصصة في الثقافة الإسلامية في روما.

وإلى جانب النشاط العلمي العادي لتأهيل النصارى للحوار مع المسلمين، يشرف المعهد على نمطٍ عجيب من الدورات المكثفة، والحلقات الدراسية التي تعرف باسم: «الأيام الرومانية» «Journees Romaines» أو (JR) اختصاراً. وهي سلسلة من الأيام الدراسية التي تنتظم في الأصل عشرات النصارى الملتزمين الذين يعيشون بين المسلمين، بغرض تعميق فهمهم ووعيهم النصراني تجاه ما يمكن توقعه في علاقاتهم بالمسلمين. وكان المشاركون في بادىء الأمر، جميعهم ممن يعيشون أو يعملون في البلاد العربية، ثم اتسع المجال، واتخذ طابعاً شمولياً. وقد عقد أول لقاءٍ في روما عام ١٩٥٦م. ومنذ عام ١٩٨١م صار يدعى أحد المسلمين كمتحدث رئيسي ثم يمضي بقية اليوم مع المشاركين للمناقشة.

ويتخلل برنامج الأيام الرومانية زيارة للبابا، والمواقع النصرانية المختلفة من كنائس وآثار. وقد نسجت بعض الكنائس الكاثوليكية على منوالها في مناطق أخرى من العالم فوجدت: الأيام الآسيوية، الأيام المشرقية، الأيام الدومينكانية، . . .

- ومن الموضوعات التي تم بحثها في هذه المناسبات:

■ (نحو خطة عامة للمجتمع) عام ١٩٨٩م.

■ (من هو عيسى بالنسبة للمسيحيين الذين يعيشون بين المسلمين) عام ١٩٩١م.

■ (الأسرة المتغيرة، والحوار المسيحي الإسلامي) عام ١٩٩٣م.

- وقد استضاف المعهد عدداً من مؤتمرات الحوار منها:

■ **مؤتمر: «القداسة في الإسلام والمسيحية ـ عام ١٩٨٥م»[1].**

ثالثاً: الرحلات البابوية:

منذ انعقاد الدورة الأولى للمجمع الفاتيكاني الثاني في ديسمبر عام ١٩٦٢م حتى أيامنا هذه، تعاقب على كرسي البابوية الرومانية أربعة بابوات:

الأول: البابا يوحنا الثالث والعشرون، الذي أعلن عن انعقاد المجمع عام ١٩٥٩م، واتخذ التدابير الإجرائية لأعماله، ثم توفي بعد الدورة الأولى عام ١٩٦٣م، دون أن يتضح له موقف معين من قضية التقريب بين الأديان.

الثاني: البابا بولس السادس، الذي وقَّع سائر دساتير المجمع وقراراته وبياناته المتضمنة للفقرات الجديدة والجريئة بشأن العلاقة مع الأديان الأخرى، وخاصة الإسلام، ثم أتبع ذلك بإنشاء أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين.

الثالث: البابا يوحنا بولس الأول، خلف سلفه الذي توفي في أغسطس ١٩٧٨، ولم تدم فترة بابويته سوى ثلاثة وثلاثين يوماً فقط، بسبب موته المفاجىء.

الرابع: البابا يوحنا بولس الثاني، الذي رُسم في منصبه في أكتوبر عام ١٩٧٨م. ولا يزال على قيد الحياة، وشهد عهده نشاطاً مكثفاً على كافة المستويات.

وسوف نسلط الضوء على المبادرات التي قام بها الثاني والرابع من هؤلاء، في مجال الدعوة إلى التقريب بين الأديان، وعلى الخصوص بين النصرانية والإسلام.

---

(١) سيأتي التعريف به (١١٢٩).

أولاً: البابا بولس السادس:

■ في ديسمبر عام ١٩٦٣م أعرب عبر رسالته الإذاعية بمناسبة عيد ميلاد المسيح عن مشاعر الاحترام والمحبة تجاه المسلمين واليهود، وتمنى لهم السعادة والسلام.

■ في يناير عام ١٩٦٤م، قام بزيارة هي الأولى من نوعها يقوم بها بابا الكنيسة الكاثوليكية طوال التاريخ، إلى القدس، واجتمع بمفتي القدس، كما زار الأردن ولبنان. وفي رسالته الموجهة إلى العالم من بيت لحم في ٦/١/١٩٦٤م خص بالتحية والتقدير: (.. أولئك الذي يعلنون التوحيد، ويتوجهون.. معنا ـ بعباداتهم الدينية إلى الإله الواحد الحق، الأعلى الحي، إله إبراهيم)[١].

■ في يوليو عام ١٩٦٧م قام بزيارة إلى تركيا، والتقى مفتي إستانبول، وممثلي المسلمين، وخاطبهم قائلاً: (نود أن نبدي تقديرنا السامي للمسلمين، الذين يعبدون الله الواحد الحي الباقي الرحمان الرحيم، خالق السماء والأرض، الذي كلم الناس، كما أوضح تماماً في المجمع الأخير الذي حثنا على أن نعزز معاً، على طول الخط، العدالة الاجتماعية، والقيم الخلقية، والسلام والحرية. كل أولئك الذين يعبدون الإله الواحد الفرد، مدعوون لتأسيس منهج للعدالة والسلام على الأرض)[٢].

■ في أغسطس عام ١٩٦٩م زار يوغندا، والتقى لأول مرة جماهير من المسلمين في كمبالا، وخاطبهم معرباً عن تقديره واحترامه لهم وأمله (أن يتوحد المسيحيون والمسلمون دوماً، باقتراب أكثر في التآخي الحقيقي)[٣].

---

(١) Inter-religious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963-1995) p. 119.

(٢) المرجع السابق (١٤٩ ـ ١٥٠).

(٣) المرجع السابق (١٦٤).

■ في سبتمبر عام ١٩٦٩م وجه رسالة إلى المؤتمر الإسلامي لزعماء الدول الإسلامية المنعقد في المغرب «الرباط»، دعا فيها إلى نبذ العنف، وإحلال السلام في أرض فلسطين، وأعرب عن اعتقاده أن تمثيل الأديان التوحيدية الثلاث في الأراضي المقدسة، وخصوصاً القدس، يمكن أن يكون بداية التوحيد والانسجام والسلام. وأبدى أسفه لمحاولة إحراق المسجد الأقصى، وأهمية الحفاظ على خصائص المدينة المقدسة[١].

■ في نوفمبر عام ١٩٧٠م التقى في مانيللا في الفلبين بأتباع الأديان المختلفة، وكذلك فعل في ديسمبر من العام نفسه في سيدني في أستراليا، وخاطب الجميع معلناً عن رغبة الكنيسة الكاثوليكية في الانفتاح والاتصال بجميع الناس، والدخول معهم في حوار ودي، على أساس من الحد الأدنى من المبادىء المشتركة[٢].

وكرر نفس المعاني في الشهر ذاته في جاكرتا، في أندونسيا، ذات الأغلبية المسلمة، مع استدعاء فقرات من بيانات المجمع الفاتيكاني الثاني المتعلقة بالمسلمين. كما نوّه بالبوذية والهندوسية والكونفوشسية، ودفع التهمة الموجهة إلى الكنيسة الكاثوليكية بأنها تنظيم أوربي متشدد، مؤكداً عالميتها[٣].

هذا على صعيد الرحلات والزيارات، أما الاستضافات، فقد شهد الفاتيكان استقبال البابا بولس السادس لعددٍ من الوفود الإسلامية من أبرزها:

■ في شوال عام ١٣٨٥هـ، فبراير عام ١٩٦٦ استقبل الدكتور

(١) انظر: المرجع السابق (١٦٩).
(٢) انظر نص الخطابين في المرجع الوثائقي السابق (١٧٢، ١٧٥).
(٣) انظر المرجع السابق (١٧٦).

مهدي الروحاني، ممثل الطائفة الشيعية في أوروبا، وبحث معه أبعاد التصريح الفاتيكاني.

■ في شوال ١٣٩٠هـ، ديسمبر عام ١٩٧٠م زار حاضرة الفاتيكان وفدٌ من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة.

■ في شوال عام ١٣٩٤هـ، أكتوبر ١٩٧٤م التقى البابا بولس السادس وفداً من علماء المملكة العربية السعودية المشاركين في ندوة حول «حقوق الإنسان في الإسلام والمسيحية» في روما.

■ في ذي الحجة ١٣٩٧هـ نوفمبر ١٩٧٧م، زار شيخ الطائفة الشيعية، الخالصي[1]، البابا بولس السادس.

وعلى الصعيد الديبلوماسي جرى خلال عشر سنواتٍ فقط في عهده إقامة علاقات ديبلوماسية بين دولة الفاتيكان وسبعة عشر دولة إسلامية، أو ذات كثافة إسلامية، هي على حسب ترتيب إقامة علاقاتها الزمني كما يلي:

■ العراق «أغسطس ١٩٦٦م»، الكمرون «أغسطس ١٩٦٦»، يوغندا «سبتمبر ١٩٦٦م»، جمهورية أفريقيا الوسطى «أكتوبر ١٩٦٧م»، الكويت «أكتوبر ١٩٦٨م»، يوغسلافيا «أكتوبر ١٩٧٠م»، ساحل العاج «أكتوبر ١٩٧٠م»، بنين «يناير ١٩٧١م»، النيجر «يوليو ١٩٧١»، الجزائر «مارس ١٩٧٢»، تونس «مارس ١٩٧٢»، بنجلاديش «سبتمبر ١٩٧٢»، قبرص «يناير ١٩٧٣»، بوركينا فاسو «يناير ١٩٧٣م»، غانا «نوفمبر ١٩٧٥م»، نيجيريا «نوفمبر ١٩٧٥»، المغرب «يناير ١٩٧٦م»[2].

---

(١) انظر: Recognize The Spirtual Bonds. P. 49-50.

(٢) الخالصي (١٣٠٧ ـ ١٣٨٣هـ) محمد بن محمد مهدي الخالصي. من كبار فقهاء الإمامية وباحثيهم. من أهل الكاظمية. طبع له في حياته نحو سبعين كتاباً. منها: إحياء الشريعة في مذهب الشيعة. انظر: الأعلام (٧/ ٨٦).

علماً أنه قد جرى في وقت مبكر إقامة علاقات ديبلوماسية مع لبنان «مارس ١٩٤٧م»، ومصر «مايو ١٩٤٧م».

وقد قام البابا بولس السادس بإيفاد بعض كبار رجالات الكنيسة الكاثوليكية إلى بعض زعماء العالم الإسلامي، ومن أبرز تلك الوفادات:

■ زيارة الكاردينال دي فرستنبرغ لشيخ الأزهر في القاهرة، في محرم ١٣٨٨هـ أبريل ١٩٦٨م.

■ زيارة النائب البابوي جون روب، لشيخ الطائفة الشيعية في الكاظمية بالعراق، في جمادى الأولى عام ١٣٩٢هـ يوليو ١٩٧٢م.

■ زيارة رئيس الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين الكاردينال بينيدولي للملك فيصل بن عبد العزيز، في جدة في ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ، أبريل ١٩٧٤م.

■ زيارة الكاردينال روسانو، أمين سر الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين لشيخ الأزهر، في جمادى الثانية ١٣٩٨هـ - أبريل ١٩٧٨م في القاهرة، قبل موت البابا بولس السادس بأربعة أشهر تقريباً.

ثانياً: البابا يوحنا بولس الثاني:

اتضح موقف البابا يوحنا بولس الثاني من قضية الحوار بين الأديان بصفة رسمية، من خلال الخطاب الذي وجهه إلى أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين بعد ستة أشهر فقط من تنصيبه، وذلك في اجتماعها المنعقد بجميع أعضائه، بالإضافة إلى خبراء ومتخصصين في شؤون الحوار من كنائس أخرى، في أبريل عام ١٩٧٩م. ومما جاء في خطابه: (إن العالم غير المسيحي، في الحقيقة، أمام عيني الكنيسة والبابا دوماً.. إن أمانة السر هي الرمز والتعبير للكنائس التي ترغب في الدخول في اتصال مع كل شخص، وعلى وجه الخصوص مع الجماهير من التقاليد الدينية غير المسيحية، التي تبحث

عن معنى وهداية في حياتها.. إن أملي ورغبتي أن يتعزز الالتزام بحوار الخلاص من خلال الكنيسة)[١].

وفي اجتماع الأمانة المنعقد في مارس ١٩٨٤م، أكد مجدداً ضرورة الحوار وطرائقه ودواعيه وأشكاله، وأنه جزء من رسالة الكنيسة، حيث كان محور ذلك الاجتماع بحث العلاقة بين الحوار والبشارة[٢].

وفي اجتماع الأمانة المنعقد في أبريل عام ١٩٨٧م، وصف البابا يوحنا بولس الثاني أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين بأنها إحدى الثمار الثابتة والمتماسكة للمجمع. وأن الحوار مع الآخرين فريضة على المسيحيين، وأنه لا تعارض بين الإعلان المسيحي والحوار، بل الحوار مشمول بالبشارة، واستشهد بحواراته الشخصية مع الآخرين[٣].

وبعد أن تحولت الأمانة إلى المجمع البابوي للحوار بين الأديان، خاطب البابا المجمع في دورته المنعقدة في إبريل عام ١٩٩٠، زاعماً أن الروح القدس يقود الكنيسة في الحوار. ثم أوضح العوامل التي تشجع الحوار، والعلاقة بين الحوار والأوساط الجماهيرية، لكي يصل ذراع الكنيسة إلى جميع المؤمنين[٤].

وفي دورة المجمع المنعقدة في نوفبمر عام ١٩٩٢م، كرر القول بأن الحوار حوار خلاص، وبالتالي فلا تعارض بين الحوار والإعلان «البشارة»، وذكر فوائد الحوار، ودعا إلى إعداد قادة للحوار وتأهيلهم عن طريق جامعات الكنيسة وكلياتها[٥].

---

(١) Inter-religious Dialogue. The Official Teaching of the Catholice Church (1963-1995) p. 216, 217.

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٦٨ ـ ٢٧١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٧٣ ـ ٣٧٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (٤٢٩ ـ ٤٣٢).

(٥) انظر: المرجع السابق (٤٩٨ ـ ٥٠١).

وفي نوفمبر عام ١٩٩٥م، على رأس ثلاثين سنة تقريباً من انتهاء أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني، انعقد المجمع البابوي للحوار بين الأديان في دورته المكتملة الأعضاء تحت عنوان: «حوار الروح، وروح الحوار» وخاطبهم البابا بعبارات التحية والتقدير مردداً نفس المضامين السابقة، لافتاً النظر إلى أنه في الوقت الذي تسعى فيه جميع الكنائس للإعداد ليوبيل عام ٢٠٠٠م، فإن الأديان الأخرى تبدي مزيداً من الاهتمام بقضية الحوار، معتبراً ذلك علامة من علامات الرجاء في نهاية هذا القرن(١).

لقد كانت المتابعة الشخصية، والاهتمام الخاص الذي يبديه البابا يوحنا بولس الثاني بأمانة السر، المجمع البابوي لاحقاً، للحوار بين الأديان، معلماً بارزاً في سياسته البابوية لتحقيق رسالة الكنيسة وأهدافها(٢).

أما رحلات البابا يوحنا بولس الثاني فلم يشهد التاريخ البابوي لها مثيلاً كثرة وتخطيطاً وتنوع مقاصد. فقد طوَّف الدنيا، وتجاوز عدد رحلاته مائتين وعشر رحلات. ومع أن غالبها يستهدف حضور اجتماعٍ لأساقفة بلدٍ معين، أو جملة بلدان إلا إنه يصاحب ذلك لقاءات متعددة مع أتباع الأديان الأخرى، بهدف التقريب وتعزيز حوار الخلاص ـ كما يسميه ـ وحماية مصالح الجماعة النصرانية.

وفيما يلي مسرد بلقاءات البابا يوحنا بولس الثاني بممثلي المسلمين في مناطق متعددة من العالم، حتى عام ١٩٩٥م:

- في ٧/ ٥/ ١٩٨٠م التقى قادة المسلمين في كينيا ـ في نيروبي.

---

(١) انظر المرجع السابق (٥٥٨ ـ ٥٦٠).
(٢) راجع موقف الباب يوحنا بولس الثاني من دعوة التقريب في الفصل الثالث من الباب الأول.

- في ٨/ ٥/ ١٩٨٠م التقى قادة المسلمين الغانيين في أكرا ـ غانا ـ.
- في ٣١/ ٥/ ١٩٨٠م التقى ممثلي الجالية الإسلامية في فرنسا، في باريس.
- في ١٧/ ١١/ ١٩٨٠م التقى العمال المسلمين في ألمانيا، في ماينز.
- في ١٦/ ٢/ ١٩٨١م خاطب الجمهور الباكستاني في كراتشي.
- في ٢٠/ ٢/ ١٩٨١م التقى ممثلي المسلمين الفلبينيين في دافاو.
- في ١٤/ ٢/ ١٩٨٢م خاطب السكان المسلمين في ولاية كادونا في نيجيريا.
- في ١٧/ ٢/ ١٩٨٢م خاطب جمهور دولة بنين في كوتونو.
- في ١١/ ٥/ ١٩٨٤م خاطب شعب تايلند في بانكوك.
- في ١٩/ ٥/ ١٩٨٥م التقى ممثلي المسلمين في بلجيكا، في بروكسل.
- في ٩/ ٨/ ١٩٨٥م التقى أتباع مختلف الديانات في توجو، في توجوفيل.
- في ١٢/ ٨/ ١٩٨٥م التقى ممثلي المسلمين في الكمرون، في ياوندي.
- في ١٨/ ٨/ ١٩٨٥م التقى ممثلي المسلمين والهندوس في كينيا، في نيروبي.
- في ١٩/ ٨/ ١٩٨٥م التقى الشبيبة المسلمة المغاربة في كازابلانكا «الدار البيضاء».
- في ١/ ٢/ ١٩٨٦م خاطب الشعب الهندي، في نيودلهي.
- في ٢/ ٢/ ١٩٨٦م خاطب أتباع الديانات المختلفة في الهند، في نيودلهي.

- في ٢٥/٢/١٩٨٦م التقى ممثلي الديانات المختلفة في الهند، في مدراس.
- في ٢٧/١٠/١٩٨٦م التقى ممثلي مختلف الديانات بمناسبة اليوم العالمي للصلاة من أجل السلام في أسيزي «إيطاليا».
- في ١٩/١١/١٩٨٦م خاطب شعب بنجلاديش، في دكا.
- في ١١/٤/١٩٨٧م التقى ممثلي المسلمين في الأرجنتين، في بوينس آيرس.
- في ١٦/٩/١٩٨٧م خاطب أتباع الأديان المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية، في لوس أنجلوس.
- في ٥/٥/١٩٨٩م التقى ممثلي الديانات المختلفة في ملاوي، في بلانتيري.
- في ١٠/١٠/١٩٨٩م التقى ممثلي الديانات المختلفة في أندونيسيا، في جاكرتا.
- في ٢٨/١/١٩٩٠م خاطب «المؤمنين» في مالي، في باماكو.
- في ٢٧/٥/١٩٩٠م التقى ممثلي المالطيين المسلمين، في مدينا.
- في ٢/٩/١٩٩٠م التقى ممثلي الديانات المختلفة في تنزانيا، في دار السلام.
- في ٦/٩/١٩٩٠م التقى ممثلي الديانات المختلفة في بوروندي، في بجنبورا.
- في ٩/٩/١٩٩٠م التقى ممثلي الديانات المختلفة في رواندا، في كيغالي.
- في ٢٠/٢/١٩٩٢م التقى ممثلي المسلمين والديانات الأخرى في السنغال، وخاطب القادة المسلمين في داكار في ٢٢/٢/١٩٩٢م.

- في ٢٣/ ٢/ ١٩٩٢م خاطب شعب جامبيا، في بنجول.
- في ٢٥/ ٢/ ١٩٩٢م التقى مسلمي غينيا، في كوناكري.
- في ٩/ ١/ ١٩٩٣م التقى ممثلي مختلف الديانات بمناسبة الصلاة من أجل السلام في أوروبا، في أسيزي «إيطاليا»، ثم خص الجاليات المسلمة في أوروبا بلقاءٍ مستقل في اليوم التالي.
- في ٤/ ٢/ ١٩٩٣م التقى ممثلي مسلمي بنين في باراكوا.
- في ١٠/ ٢/ ١٩٩٣م التقى قادة مختلف الديانات في السودان، في الخرطوم.
- في ٢٥/ ٤/ ١٩٩٣م وجه رسالة في تيرانا إلى الأمة الألبانية.
- في أغسطس ١٩٩٣م التقى أتباع الأديان المختلفة في دنفر ـ كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية.
- في ٢٠/ ١/ ١٩٩٥م خاطب شعب سيرلانكا، في كولومبو، وفي اليوم التالي التقى قادة الأديان فيها.
- في ١٦/ ٩/ ١٩٩٥م وجه خطاباً إلى «مؤمني» جنوب أفريقيا، في جوهانسبرج.

تلك فقط الرحلات البابوية التي تضمنت نوع اتصالٍ بالمسلمين، وأما سائر رحلاته فأضعاف ذلك. وفي خطاباته لممثلي المسلمين أو جماهيرهم في البلدان المزورة، يزجي عبارات التقارب والسلام والتعاون والتعايش، ويدعو إلى الحوار، في الوقت الذي يمارس مهمة «الشهادة» و«البشارة» الكنسية دون مواربة.

وفي حديثه المستفيض لأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين في دورة مجلسها المنعقد في إبريل عام ١٩٨٧م، أوضح

البابا يوحنا بولس الثاني عن هدفه المزدوج الذي يستصحبه في رحلاته العالمية فقال:

(خلال مدة حبريتي، ظل حرصي الدائم أن أحقق المهمة الحوارية والراعوية للحوار والإعلان معاً. في زيارتي الأخيرة لأفريقيا، التقيت قادة التقاليد الدينية الأفريقية، وشهدت وعيهم لقرب الإله، وتقديرهم للقيم الخلقية للشخص الرباني. في المغرب استقبلت بحرارة من المسلمين، وحدثتهم عن متطلبات قيادة حياة الإيمان اليوم. في الهند، رأيت دليل التقاليد الروحية القديمة لذلك البلد الذي ظل قوة للنور، والحكمة، والقوة، وسط مشاكل الحياة العصرية. أكتوبر الماضي دعوت ممثلي جميع أديان العالم إلى أسيزي، موطن القديس فرانسيس، ذلك الرجل المقدس ذي الحوار العميق، والإعلان الذي لا يكل، ليأتوا جميعاً للصلاة من أجل السلام في العالم. كما أني أكدت كذلك في مناسباتٍ أخرى أهمية إعلان البشارة، والتنصر، وأقمت الكنائس المحلية، ومراسم التعميد الإيمانية المناسبة)(١).

أما لقاءات البابا للمسلمين في حاضرة الفاتيكان فلا يتسع لها حصر، فقد التقى وفوداً متعددة من مختلف القارات، ووجه رسائل إذاعية وشخصية لعموم المسلمين، وقادتهم.

رابعاً: المؤتمرات والندوات:

نقتصر في هذا الموضع على عرض المؤتمرات والندوات التي أخذت فيها الكنيسة الكاثوليكية بزمام المبادرة والدعوة إلى انعقادها، أو كانت شريكاً أساسياً في ذلك. أما المشاركات العامة في مؤتمرات التقارب بين الأديان، فلا يكاد يخلو منها مقعد للفاتيكان، وسيتم التعريف بها عند ذكر مناشط أصحاب تلك المبادرات.

---

(١) Inter- religious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963 - 1995) p. 119.

الفاتيكان ومصر «الأزهر.. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية»:

١ ـ لقاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة بأمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين:

جرى هذا اللقاء في الفاتيكان في الفترة من ١٧ إلى ٢١ شوال عام ١٣٩٠هـ، الموافق ١٦ إلى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٧٠م. وقد ترأس الوفد المصري السيد محمد توفيق عويضة، الأمين العام للمجلس، وترأس الجانب الفاتيكاني الكاردينال بول مريللا، رئيس أمانة السر. وقد صدر عن اللقاء بيان مشترك من الطرفين، جاء فيه:

(.. أن يبذلا كل الجهود لتعزيز العلاقات الجيدة بين المسيحيين والمسلمين، فتقوى هذه الأخوة القائمة بين مؤمنين يشتركون في احترام كل القيم الدينية والإيمان بالله. أن يقوما بعمل دؤوب في سبيل العدالة والسلام في العالم. وبهذا الصدد فإنهما يشجبان باسم الإيمان الخاص بكل منهما جميع أنواع التفرقة، ويتمنيان بحرارة لأن تتضافر كل الجهود لإعادة السلام في الشرق الأدنى، على أساس العدالة والكرامة)[1].

وحيث تعهد الطرفان بالاتصال المستمر والتشاور بصورة منتظمة، ووجهت الدعوة لرئيس أمانة السر الفاتيكانية لزيارة القاهرة، فقد كان اللقاء التالي:

٢ ـ لقاء أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة.

جرى هذا اللقاء في القاهرة في الفترة من ٢٢ ـ ٢٩ شعبان عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٩ ـ ١٦ سبتمبر ١٩٧٤م، وقد قاد الوفد الفاتيكاني الكاردينال بنييدولي، رئيس الأمانة، وصدر عن اللقاء بيان مشترك جاء فيه:

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٤٣).

(١ ـ يجب بذل جهود جدية في حقول الأسرة والمدرسة والجامعة، والشؤون الاجتماعية، من أجل مجابهة الأخطار التي تهدم القيم الدينية كالشك والتمرد والارتيابية.

٢ ـ يجب تكثيف الاهتمام إلى أقصى حدٍ بالشبيبة، عماد المستقبل، وذلك بالتعبير عن الإيمان بطريقة تتوافق ومتطلبات العقلية العصرية.

٣ ـ يجب السهر على تغذية الفرد والأسرة والمجتمع بالقيم الدينية، لكي تتأصل فيهم فتصونهم، من أن يصبحوا ضحايا النظريات المادية في الحياة اليومية.

٤ ـ يجب توعية الجميع حول المصلحة الكبرى لدى الديانتين، الإسلامية والمسيحية في توطيد السلام، ضمن عالم أنهكته الحروب، وجرحته العدائية، كما يجب إبراز الدعوة التي لا تنفك الديانتان تطلقهما من أجل المحبة والتسامح والغيرية «هكذا»، والخير والحق، والعدالة، ولا سيما تجاه الفقراء والمحرومين.

٥ ـ إن الأمانة العامة الفاتيكانية للعلاقة مع غير المسيحيين، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، كان في رأس اهتمامها عند صياغة هذا البيان، السلام المنشود لمدينة القدس المحبوبة، وهما يأملان أن هذا السلام سيتحقق في أقرب وقت)[1].

٣ ـ مؤتمر: «اتحاد المؤمنين لمجابهة الإلحاد»:

عقد هذا المؤتمر في باريس في شهر ربيع الثاني عام ١٣٩٢هـ، الموافق يونيو ١٩٧٢م، بمشاركة الأزهر والفاتيكان وجامع باريس.

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٦٥).

٤ ـ مؤتمر: «من أجل تفاهم أعمق»:

عقد هذا المؤتمر في القاهرة في الفترة من ٣ إلى ٦ جمادى الأولى عام ١٣٩٨هـ، الموافق ١١ إلى ١٤ أبريل عام ١٩٧٨م بين وفدٍ كبير «٢٣ عضواً» من أمانة السر الفاتيكانية للعلاقة بغير المسيحيين بقيادة الكاردينال روسانو، وإدارة جامعة الأزهر. وهي المرة الأولى التي يقع فيها اتصال بين الكنيسة الكاثوليكية والأزهر يتمخص عن بيانٍ مشترك، جاء في مقرراته:

■ الإيمان بجميع أنبياء الله[1] والتيقن من أن الله اختارهم من أجل توجيه الناس وتطوير الإنسانية.

■ السلام في الإسلام: خلق الله الناس لكي يتعارفوا ويتعاونوا في الخير والعدل، للتوصل إلى السلام. قضية السلام هاجس في المسيحية: وبهذه الروحية ساند قداسة البابا مبادرة الرئيس السادات لإحلال السلام في الشرق الأوسط.

■ التعاون والتساعد، وخلو الإسلام من التعصب: إن الأخطار التي يتعرض لها الإسلام والمسيحية تتمثل في التيارات المادية التي تنكر وجود الخالق، والبعث يوم الدين.

■ يتلخص الجو اللاهوتي في الكنيسة الكاثوليكية تجاه الإسلام بالنقاط الثلاث التالية:

• يرغب العالم المسيحي في أن تتحسن معرفته بالإسلام، وأن تتحسن معرفة المسلمين بالمسيحية.

• يرغب المسيحيون في أن يعملوا مع إخوتهم في البشرية جمعاء، من أجل العدل وسعادة الجميع.

---

(١) لا يخفى أن هذه الجملة لا تمثل اعترافاً بنبوة نبينا محمد ﷺ من الجانب النصراني، وغاية ما فيها بالنسبة لهم الإيمان بنبوة من ثبتت نبوته عندهم فقط، فهي تحصيل حاصل.

• ثمة قيم مشتركة بين المسيحين والمسلمين قادرة أن تحمي المجتمع من الانحراف والإلحاد.

▪ كما أجمع رأيهم على ضرورة تحرير الإنسان من كل عبودية، عدا عبوديته تجاه الله، وعلى ضرورة قيام الرؤساء الدينيين بجميع الجهود من أجل تحرير المجتمع من مختلف أشكال الصراعات والتباينات التي تهدر طاقاته، وتمنعه من بلوغ أهدافه.

▪ واعتبر المشتركون أن لقاء البشر على طريق الطاعة لله وحده، وهو عامل يساهم في حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

▪ واعتبر المشتركون على صعيد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، أن تعلقهم المخلص بقيمهم الدينية الصحيحة يقرب تلقائياً بينهم، على طرق المحبة والتعاون...)[(١)].

يبدو أن ثَمَّ عوامل عدة أثرت على مسيرة الحوار النصراني ـ الإسلامي مع مصر. فقد تأخر بدء الاتصالات بين الفاتيكان والمؤسسات الدينية في مصر إلى حقبة السبعينيات لأسبابٍ سياسية وفكرية. فقد كانت معظم البلاد العربية في الستينيات، وخاصة مصر، غارقة في بحر الأفكار الشيوعية الإلحادية، وما تفرع عنها من توجهات تقصي النزعات الدينية بشكل عام وتجافيها، كما أن الموقف السياسي الظاهري في الفترة الناصرية، عهد الرئيس جمال عبد الناصر (١٩٥٤ ـ ١٩٧٠م) كان مفعماً بروح العداء للغرب، المساند لدولة إسرائيل في الصراع العربي الإسرائيلي، والكنيسة تمثل بلا ريب، أساساً عميق الجذور في الثقافة الغربية. وكانت روح التهمة تجاه محاولات التقارب الديني سائدة في المنطقة العربية والإسلامية، كما حدث في مؤتمر بحمدون عام ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية المشتركة (١٢١ ـ ١٢٣).

وحين ولت مصر وجهها شطر الغرب في مطلع السبعينيات، ظهرت بواكير الاتصال بين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وليس الأزهر - وأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين عامي (٣٩٠هـ، ١٣٩٤هـ)، (١٩٧٠م، ١٩٧٤م) ولم يصدر عن اللقائين سوى بيانات مقتضبة تركز على محاربة الإلحاد، وتعميق القيم الدينية، والدعوة إلى السلام، مع مسٍ رقيق لبعض القضايا السياسية في المنطقة. جاء ذلك في وقتٍ كانت مصر تطوي فيه بساط الأفكار اليسارية الملحدة، وتضيق الخناق على فلول الشيوعيين.

كما أن شيوخ الأزهر لم يبدوا ارتياحاً للمساعي المبذولة للحوار الإسلامي المسيحي، سيما الشيخ عبد الحليم محمود[1] ﷺ الذي شغل مشيخة الأزهر في أواسط السبعينيات (١٩٧٣م - ١٩٧٤م)، وأبدى تحفظاتٍ عدة تجاه المشاركة في مؤتمرات التقريب بين الإسلام والمسيحية، كما في خطابه الجوابي الموجه للدكتور ميجيل إيبالثا، سكرتير عام جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا[2]، عام ١٩٧٨م.

---

(١) عبد الحليم محمود (١٣٢٨ - ١٣٩٨هـ) شيخ الأزهر، وأحد علماء مصر المكثرين من التصنيف، ذو نزعة صوفية، ولد في محافظة الشرقية، وحفظ القرآن صغيراً، وتخرج في الأزهر، ثم سافر إلى فرنسا سنة ١٩٣٢م لدراسة الدكتوراه فنالها سنة ١٩٤٠م، في التصوف. ودرس في جامعة السربون علم النفس والاجتماع والأديان. وعين مدرساً بالأزهر، ثم عميداً لكلية أصول الدين، فأميناً لمجمع البحوث الإسلامية، فوكيلاً للأزهر عام ١٩٦٨م، فوزيراً للأوقاف عام ١٩٧١م. وانتهى به المطاف شيخاً للأزهر عام ١٩٧٣م. حتى وفاته. من مؤلفاته: القرآن والنبي، الإسلام والعقل، التفكير الفلسفي في الإسلام، وغيرها بالإضافة إلى تحقيقات لتراث الصوفية، وتراجم لأعلامهم. انظر: ذيل الأعلام (١١٥)، وتتمة الأعلام (١/ ٢٧٠).

(٢) انظر: نص الرسالة في ملحق رقم (٤).

وفي آخر عهد الشيخ عبد الحليم محمود طلب الفاتيكان إجراء حوار مباشر مع الأزهر، (وكره الشيخ عبد الحليم محمود، عليه رحمة الله، هذا اللقاء، وتردد كثيراً في الأمر، وأخذت الاتصالات بالأزهر تترى من جهات عديدة، واضطر الشيخ عبد الحليم أن يستقبل مونسنيور جادو والوفد المرافق له، وأن يعقد الأزهر مع هذا الوفد حواراً في يومين، على أربع جلساتٍ)(١).

والمتأمل في مقررات لقاء الأزهر بالفاتيكان عام (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) يلمس فيه - خلافاً لسابقَيه - أثر محاولاتٍ إسلامية لتحقيق مكاسب عقدية، تقترب من النداء القرآني الصريح في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيـــة [آل عمران: ٦٤]، فقد وردت الجمل التالية في البيان المشترك: (ضرورة تحرير الإنسان من كل عبودية، عدا عبوديته تجاه الله)، (الإيمان بجميع أنبياء الله)، ولكنها لم ترتق إلى المستوى المطلوب صراحةً ووضوحاً.

وقد توفي الشيخ عبد الحليم محمود في نفس العام، (وحين توفي تحدثت عنه بعض الصحف الأوروبية، وعدته متعصباً ضد المسيحية، لأنه أبى أن يشترك في ندوات تدعوا إلى تعاون المسيحية والإسلام)(٢).

يقول فهمي هويدي في تحليله لموقف علماء الأزهر من الحوار الإسلامي النصراني: (ومن الوقائع اللافتة للنظر في هذه النقطة، أن أول دعوة للحوار الإسلامي المسيحي لم توجه إلى الأزهر، وإنما أرسلت من الفاتيكان إلى الرئيس السادات، الذي كان حريصاً بدوره

---

(١) رسالة إلى البابا والفاتيكان ذي الألف وجه: د. عبد الودود شلبي. المختار الإسلامي. القاهرة. (١٥).

(٢) تتمة الأعلام للزركلي. محمد خير رمضان يوسف (١/ ٢٧١).

على توسيع نطاق «الانفتاح» على الغرب. فكان هو الذي ضغط على الأزهر كي يدخل في حوار مع الفاتيكان. وأدت هذه الضغوط إلى عقد اجتماعٍ في عام ١٩٧٧م بين الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر آنذاك، والكاردينال بينيدولي المسؤول عن أمانة سر شؤون غير المسيحيين في الفاتيكان. وهو أول اجتماع يعقد بين الجانبين لبحث موضوع الحوار...

بعدما بدا للفاتيكان أن الأزهر متحفظ في فتح الحوار، فإنه لم يكرر محاولة الاتصال المباشر. لكن عواصم أوروبية وآسيوية عدة، نشطت في الاتجاه عينه بصورة ملحوظة، وأصبحت القاهرة تتلقى دعواتٍ باسم الحوار الإسلامي ـ المسيحي موجهة من لندن ومدريد وفينا وباريس وأثينا وطوكيو. ولم يقاطع الأزهر تلك الدعوات، ولكنه كان يوفد بعض أساتذة جامعته للمشاركة فيها ومتابعة أعمالها)[1].

ندوة: «حقوق الإنسان في الإسلام والمسيحية»

عقدت هذه الندوة التاريخية في حاضرة الفاتيكان في التاسع من شهر شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافق الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٤م، أثناء الزيارة التي قام بها تسعة من علماء المملكة العربية السعودية، على رأسهم وزير العدل حينذاك الشيخ محمد الحركان[2] رحمه الله، استجابة لدعوة من الفاتيكان لعقد هذه الندوة فيه.

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٨٢ ـ ٨٣).

(٢) محمد بن علي الحركان (١٣٣٣ ـ ١٤٠٣هـ) أمين عام رابطة العالم الإسلامي. ولد في المدينة النبوية. حفظ القرآن الكريم وعمره سبع سنوات بمدرسة العلوم الشرعية، ودرس العلوم الشرعية في المسجد النبوي على أيدي كبار العلماء، ثم درَّس فيه. وتقلب في مناصب قضائية حتى صار وزيراً للعدل عام ١٣٩٠هـ حتى عام ١٣٩٦هـ، حيث انتخب أميناً عاماً للرابطة. من=

والواقع أن هذه الندوة حلقة من سلسلة ندوات تمت بين فريقٍ من علماء المملكة، وآخرين من كبار رجال الفكر والقانون الأوروبيين، بمبادرة ومسعى من جمعية الصداقة الفرنسية السعودية، في باريس، بغية تعميق مفاهيمهم فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام، والوقوف على النظام القضائي الإسلامي المعمول به في المملكة العربية السعودية، في الشؤون المدنية والجزائية والأحوال الشخصية، المبنية على القرآن الكريم، وكيفية ملاءمتها للعصر الحديث)[١].

وقد عقدت الندوة الأولى في «الرياض» في السابع من شهر صفر عام ١٣٩٢هـ، الموافق الثاني والعشرين من مارس عام ١٩٧٢م. وقد أعرب الوفد الحقوقي الأوروبي، عن إعجابه ودهشته لما سمع من حقائق عن الشريعة الإسلامية، وللأجوبة الصريحة التي أجاب بها العلماء عن بعض الشبهات التي أبداها الوفد بغرض الاستيضاح، حتى طالب رئيس الوفد الأوروبي سين ماك برايد[٢] (العلماء المسلمين أن يعلنوا هذه الحقائق المجهولة عند الرأي العام العالمي، والتي كان الجهل بها سبباً لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين والحكم الإسلامي)[٣].

وبناءً على هذا الاقتراح، وجهت الدعوة للوفد السعودي لإقامة أمثالها في عددٍ من البلدان الأوروبية كانت على التوالي:

= مؤلفاته: أحكام الجنائز في الإسلام، تعليم الصلاة (للبنين)، (للبنات)، انظر: تتمة الأعلام (٢/ ١٢).

(١) انظر: ندوات علمية «حقوق الإنسان في الإسلام» في التعريف بهذه الندوات والمشاركين فيها من الجانبين (٥ ـ ٩).

(٢) شغل المذكور مناصب هامة منها: وزير خارجية إيرلندة، ورئيس اتحاد المجلس الأوروبي، وسكرتير اللجنة التشريعية الدولية، بالإضافة إلى كونه أستاذاً في جامعة دبلن.

(٣) ندوات علمية (٢٦).

١ ـ ندوة باريس في ٧ شوال ١٣٩٤هـ ـ ٢٣ أكتوبر ١٩٧٤م.

٢ ـ ندوة الفاتيكان في ٩ شوال ١٣٩٤هـ ـ ٢٥ أكتوبر ١٩٧٤م.

٣ ـ ندوة جنيف ١٤ شوال عام ١٣٩٤هـ ـ ٣٠ أكتوبر عام ١٩٧٤م.

٤ ـ ندوة باريس الثانية في ١٧ شوال عام ١٣٩٤هـ ـ ٢ نوفمبر عام ١٩٧٤م.

٥ ـ ندوة ستراسبورغ في ١٩ شوال عام ١٣٩٤هـ ـ ٤ نوفمبر عام ١٩٧٤م.

ففي هذا السياق جاءت ندوة الفاتيكان، وقد تحدث العلماء عن «حقوق الإنسان الثقافية في الإسلام»، وقدم الجانب الفاتيكاني ثلاثة موضوعات[(١)]، ولم يصدر عن أي من هذه الندوات قرارات أو توصيات، إذ كانت أقرب إلى الطرح العلمي منها إلى الحوار الإسلامي النصراني، على النحو المتبع في مؤتمرات التقارب. ومع ذلك فقد كان لندوة الفاتيكان ـ خاصة ـ أصداء واسعة النطاق، واحتفاء بالغ من الجانب النصراني، فقد التقى البابا بولس السادس وفد العلماء في مقابلة مميزة، ورحب بهم وشكرهم على زيارتهم وقال لهم: (إن الزيارة تظهر في الحقيقة أن المسلمين والمسيحيين مقبلون على معرفة أفضل لبعضهم بعضاً، ومحبة متبادلة أكثر. يمكننا فقط أن نبتهج لذلك. إن هذا إلى حدٍ كبير ثمرة للمجمع الفاتيكاني الثاني، الذي نحن سعداء من تمكننا من قطفها، والتمتع بها.

إننا نفكر أيضاً في اللقاءات الإسلامية المسيحية في السنوات الراهنة، بينما نتحاشى دوماً التلفيق المرفوض بين العقائد، فإن هذه الزيارات والندوات شيئاً فشيئاً، تجعل قوانا الروحية تتلاقى)[(٢)].

---

(١) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/26).

(٢) Recognize The Spiritual Bonds. P.11.

وقد رد رئيس وفد العلماء بالتنويه بتتويج ضيافة البابا للوفد بهذا اللقاء المميز، ثم أردف قائلاً: (كما أكد قداستكم على تشجيع التطور المنجز في العلاقات بين العالَمين المسيحي والإسلامي، تبعاً للمجمع الفاتيكاني الثاني، فإنه على حدٍ سواء، محل اتفاق بالنسبة لنا أن نحيل بدورنا على الوقائع التاريخية التي سنتكلم عنها في حديثنا اليوم. إنه بهذه الوقائع شرع الإسلام بفاعلية ينشيء علاقاتٍ على أساس من الأفكار النبيلة من الاحترام للمسيحية والمسيحيين.

إنه ذات الرباط الذي قادنا للعمل سوياً بنشاط لصيانة تلك القيم، وعلى الخصوص القيم التي تتعلق برفعة الإنسان. إن الإسلام، بالطبع، يعتبر أن تلك القيم تكون جزءاً متمماً لعقيدته، لإيمانه، لمبادئه الإنسانية. إننا نمتلك الإدانة الراسخة من أن جميع المخاطر التي تهدد حقوق وكرامة الإنسان تأتي من نقص الإيمان بالله. هذا النقص الناتج من اللامبالاة تجاه وصف التعاليم المقدسة التي تؤكد أن جميع البشرية تكون عائلة واحدة، حيث الإله يحكم، والإنسان هو الأكرم عند الله الواحد، الذي جعل نفسه الأعظم براً بهذه العائلة)[١].

ولا تزال المطبوعات الفاتيكانية تشيد بذلك اللقاء المثير، وتشير إلى إدراك الصحافة في أوروبا والعالم العربي وأمريكا الشمالية أهمية ذلك الحدث الرمزي للقاء البابا بالعلماء السعوديين في العلاقات بين المجتَمعين[٢].

مؤتمر: «زامبوا نغا ستي» «Zamboanga City»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة زامبوا نغا في الفلبين، في شعبان عام ١٣٩٤هـ، سبتمبر عام ١٩٧٤م بمبادرة من أمانة السر الفاتيكانية

---

(١) المرجع السابق (١٢).

(٢) المرجع السابق (١٢).

للعلاقات بغير المسيحيين، بغرض التمهيد لمؤتمر دولي يعقد في العام التالي:

وقد شارك في هذا المؤتمر التحضيري ستة مسلمين، وسبعة نصارى. وهو مؤتمر ذو طابع إقليمي، معنيٌّ بالعلاقات الإسلامية النصرانية في جنوب شرقي آسيا.

ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة الكاثوليكية قد أنشأت في السنوات التالية للمجمع الفاتيكاني الثاني بعض التنظيمات المبكرة لتعزيز الحوار في آسيا. وقد تم تنسيق هذه التنظيمات وبلورتها عام ١٩٧٢م في منظمتين:

إحداهما: مؤتمر اتحاد أساقفة آسيا (FABC)

والثانية: مكتب القضايا المسكونية بين الأديان (OEIA)

وقد أسسا معاً معاهد الأساقفة لقضايا ما بين الأديان (BIRAs) بغرض تأهيل الأساقفة الكاثوليك في المنطقة للحوار من الناحيتين العلمية والتطبيقية)[١].

الفاتيكان وليبيا «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية»:

١ ـ ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ـ طرابلس.

تعد هذه الندوة التاريخية من كبريات الندوات المعقودة في مجال الحوار الإسلامي النصراني، من حيث عدد المشاركين، ونوعيتهم، وحجم البيان الختامي، وتعدد جوانبه، ثم الآثار الفكرية والإعلامية التي احتفت بها وتلتها.

وقد انعقدت فعاليات هذه الندوة في طرابلس الليبية، في الفترة الممتدة من ثاني صفر حتى السادس منه لعام ١٣٩٦هـ، الموافق أول

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P. 111.

فبراير حتى الخامس منه لعام ١٩٧٦م، وذلك بمبادرة مشتركة من دولتين:

١ ـ الجمهورية العربية الليبية (الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي) برئاسة الدكتور: محمد أحمد الشريف، وزير التربية والتعليم.

٢ ـ دولة الفاتيكان (الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين) برئاسة الكاردينال سيرجيو بينيدولي، رئيس الأمانة الفاتيكانية.

وقد حضر الندوة أربعمائة وخمسة وثمانون مشاركاً من اثنتين وسبعين دولة[1] من علماء الدين الإسلامي، ورجال الدين النصراني؛ من الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس، ومن رجال الفكر والسياسة والصحافة والإعلام. وتضمنت الندوة في أيامها الخمسة أربعة بحوث، هي:

١ ـ هل يمكن للدين أن يكون أيديولوجية للحياة؟

٢ ـ العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.

٣ ـ الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات، ومواطن اللقاء في ميادين الحياة.

٤ ـ كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة، وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا؟

وكل موضوع من هذه الموضوعات يتناوله باحثان؛ أحدهما مسلم والآخر نصراني، ويعرضه من وجهة نظره الدينية. ثم تعقبه مداخلات المشاركين وتعليقاتهم.

---

(١) انظر مسرداً بأسماء المشاركين وبلدانهم في الكتاب الوثائقي الصادر عن المكتب الشعبي للاتصال الخارجي في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية بعنوان: «بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي» (٢١ ـ ٤٨).

وقد صدر عن الندوة بيان مشتركٌ مطول، نقتطف من بنوده الفقرات التالية:

(١ - يؤكد الجانبان إيمانهما بالله الواحد الأحد، ويوصيان بالعمل الدائب صفاً واحداً، وجبهة واحدة، من أجل تعميق القيم الدينية والأخلاقية في النفوس.

٢ - يكرم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها، ويستنكران التعرض بالمساءة لهم، والتجرؤ على مقامهم، لأن في ذلك اعتراضاً على إرادة الله الذي أرسلهم...

٨ - يؤكد الجانبان وجوب حرية الاعتقاد الديني، وإقامة الشعائر الدينية، وحق الأسرة في تنشئة أبنائها تنشئة دينية...

١٢ - إن كلا الجانبين يشجع على ترجمة الكتب السماوية إلى جميع اللغات، ويدين كل محاولة ترمي إلى مصادرة تلك الكتب، أو منع تناولها في أي جزءٍ من أجزاء العالم.

١٣ - يتمنى الجانب المسيحي على الجانب الإسلامي أن يواصل الأبحاث التاريخية والتفسيرية الرصينة المتعلقة «بتقييم» الكتاب المقدس «تقييماً» علمياً صحيحاً.

١٤ - يرغب الجانب الإسلامي إلى الجانب المسيحي أن يبذل كل المساعي والجهود المؤدية إلى فصل الكنيسة عن مسجد قرطبة، والعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة ممكنة.

١٥ - يوصي الطرفان بضرورة العمل المشترك لتتبع ما ورد من أغلاط ومفتريات في المناهج والكتب الدراسية، وفي كتب بعض المستشرقين والعلماء حول معتقدات كل طرف، وذلك بغية تصحيحها وفق معتقدات أصحابها. وقد تقبل الجانب الإسلامي بالتقدير مبادرة الجانب المسيحي بالوعد باستشارة العلماء المسلمين في كل ما يكتب عن الإسلام في المدارس التابعة له....

١٧ ـ وفي سبيل التعاون الحقيقي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، يوصي الفريقان بالكف عن المحاولات الرامية إلى صرف المسلمين عن معتقداتهم من قبل المسيحيين أو صرف المسيحيين عن معتقداتهم من قبل المسلمين)[١].

تلك أبرز التوصيات المتعلقة بالجانب العقدي، من الناحيتين النظرية والعملية. وعند الفحص والتأمل نستنتج ما يلي:

أولاً: اتسمت صياغة البندين الأول والثاني بالعموم، ونأت عن المساس بجوانب الاختلاف العقدي الرئيسية. فالإيمان بالله الواحد الأوحد لا يتعارض في المفهوم النصراني مع عقيدة التثليث: «الأب والابن وروح القدس إله واحد»! وليست بصراحة كلمة التوحيد الإسلامية: «لا إله إلا الله»، المتضمنة إثبات الألوهية لله ونفي الشريك عنه. ومن ثَمَّ فالجملة المقرَّة في البيان يفسرها كل طرف حسب معتقده الخاص، كما أن الجملة المتعلقة بالأنبياء في البند الثاني: (يكرم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها) لا ترتقي إلى درجة الاعتراف الصريح بنبوة محمد ﷺ من قبل الجانب النصراني، وإن كان بعض النصارى يعتبره (مرحلة متقدمة ومدهشة في العلاقات الإسلامية ـ المسيحية)[٢]. وغاية ما فيها تكريم كل جانب لمن يعتقده الجانب الآخر نبياً أو رسولاً فحسب، وهو أمر مفروغ منه بالنسبة للمسلمين، إذ يكرمون جميع أنبياء الله ورسله بوصفهم أنبياء ورسل في اعتقادهم الخاص، بل هو ركن من أركان إيمانهم، بينما يظهر الجانب

---

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ـ طرابلس: إعداد ونشر: المكتب الشعبي للاتصال الخارجي في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. تنفيذ: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع. طرابلس ـ ليبيا. (١٤٦ ـ ١٤٨).

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٩٤).

النصراني إكرامهم، دون النص على نبينا محمد ﷺ، مع أنه محل الخلاف الوحيد في هذه المسألة، بوصفه نبياً في اعتقاد الجانب الإسلامي فقط. وأي إكرام يا ترى يتصور صدوره ممن كذَّب نبوته، واتهمه ضمناً بالتقول على رب العالمين.

وقد تعرض الوفد النصراني لضغوط عدة من قبل المسلمين لحمله على الاعتراف الصريح بنبوة نبينا محمد ﷺ، سيما في كلمة رئيس الجمهورية، ومداخلته في النقاش يوم ٣ صفر، ٢ فبراير من أيام الندوة، حيث حمل عليهم حملة صريحة لعدم اعترافهم بنبوة محمد ﷺ، مع وجود البشارة به في كتبهم، وأن الأناجيل حُرفت، وشَطَبت ـ على حد تعبيره ـ الآيات الدالة على اسمه ونبوته وأنه خاتم النبيين، وخلص إلى القول: (نقول لأهل الكتاب: هل يستمر نكران نبوة محمد، وطبعاً هذا خطأ في حق الله سبحانه وتعالى، وجهل كبير من قبل الناكرين لنبوة محمد)[١].

ورغم أنه تملقهم ببعض التنازلات العقدية الخطيرة، كادعاء أن القرآن لا يعد اليهود والنصارى كفاراً، وأن القرآن لا يقر جهاد أهل الكتاب، إلا إن القوم لم يقبلوا الرشوة، ولم يحيدوا عن معتقدهم قيد أنملة، ولم يستجيبوا أيضاً لدعوة رئيس الوفد الإسلامي في جلسة الافتتاح إلى (تَعَرُّف المسيحيين على حقيقة نبوة محمد ﷺ، الذي بشر المسيح برسالته، ضماناً فعالاً لانطلاق حقيقي في التعاون الإسلامي المسيحي)[٢]، في الوقت الذي سطر الجانب النصراني في مقررات الندوة أمنيتهم على الجانب الإسلامي بمواصلة الأبحاث التاريخية والتفسيرية «الرصينة»، وتقويم الأناجيل تقويماً «علمياً» و«صحيحاً»، كما في البند رقم (١٣)، في لمزٍ لدعاوى المسلمين تحريف الأناجيل.

---

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (٧٤).
(٢) المرجع السابق (٥٤).

وفي مجال الحريات الدينية في الاعتقاد وممارسة الشعائر، كما في البندين ٨ و١٢، سرعان ما يقطف النصارى ثمرة هذا البيان المشترك، ففي ديسمبر من العام التالي ١٩٧٧م افتتح المونسنيور روسانو والأب أبو مخ كنيسة كاثوليكية في مدينة بنغازي الليبية، بينما ذهبت أماني الجانب الإسلامي على الجانب النصراني في فصل الكنيسة الكاثوليكية عن مسجد قرطبة، أدراج الرياح، على الرغم من أن الكنيسة قد أقيمت داخل مبنى المسجد المغتصب[1].

وفي حين تطالب الجهات الكنسية البلاد الإسلامية بفسح كتب التنصير وتداولها تحت ستار الحرية الدينية، في حين يقع على الأقليات الإسلامية ضيم أو اضطهاد أو عدم تمكين من إقامة العبادات الإسلامية في بلاد الغرب، تتعللّ الكنيسة بأنها ليست سلطة زمنية. وأن ذلك من اختصاص الحكومات العلمانية. وأما وعد النصارى باستشارة العلماء المسلمين في ما يكتب عن الإسلام في المدارس التابعة له، فوعد مطلق لم يقيد ببرنامج زمني، ولم يحدد من هم العلماء المستشارون، ولا جهتهم.

وقد تضمن البيان الختامي بندين تحفَّظ عليهما الوفد النصراني، رغم تلاوة البيان النهائي، وانتهاء الجلسة الختامية. ثم صدر بيان مشترك أعلن في روما وطرابلس يوم ٨ صفر ١٣٩٦هـ، ٧ فبراير ١٩٧٦م ـ أي بعد انتهاء الندوة بيومين ـ هذا نصه: (يؤكد الجانبان اغتباطهما بالطابع الإيجابي لنتائج هذا الحوار التاريخي المعبر عنهما في البيان

---

(١) رأى كاتب هذه السطور بنفسه كيف امتدت يد العدوان والتعصب إلى جامع قرطبة العريق فحولته إلى كاتدرائية، وشوَّهت جدرانه بالصلبان والتماثيل، وأقامت فيه الشعائر النصرانية. وتقوم السلطات المهيمنة على الجامع بمنع أي مسلم تحدثه نفسه بصلاة ركعتين فيه، كما وقفت على ذلك في زيارتي إياه يوم الجمعة الموافق ٧/٤/١٤١٩هـ.

النهائي المشترك. أما في ما يتعلق بالبندين: (٢٠، ٢١) من البيان المشترك، فإن البعثة المسيحية ستنقل مضمونهما إلى سلطات الكرسي الرسولي المؤهلة وحدها في بت مسائل من هذا النوع)[١]. والبندان المشار إليهما هما:

(٢٠ ـ إن الجانبين ينظران إلى الأديان السماوية نظرة احترام. وعلى هذا فإنهما يفرقان بين اليهودية والصهيونية، باعتبار الصهيونية حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين، وعن كل منطقة الشرق.

٢١ ـ إن التزام الحق والعدل، والحرص على السلام، والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها، يحمل كلا الجانبين على تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وحقه في العودة إلى دياره، وعلى تأكيد عروبة مدينة القدس، ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل، واستنكار كل مساس بحرمة الأماكن المقدسة. ويطالب الجانبان بإطلاق سراح جميع المعتقلين في فلسطين المحتلة، وفي طليعتهم علماء المسلمين، ورجال الدين المسيحي، كما يطالبان بتحرير جميع الأراضي المحتلة، ويدعوان إلى تشكيل لجنةٍ دائمة للتحقيق في محاولات تغيير معالم الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وكشف ذلك أمام الرأي العام العالمي)[٢].

ورغم أن المطالب المذكورة في البندين مطالب عادلة، بل أقل من مقتضى العدل، ورغم أن قرارات الأمم المتحدة تنص عليها، وتحظى بتأييدٍ عالمي في تلك الحقبة، إلا إن (سلطات الكرسي الرسولي امتنعت عن التصديق على هذين البندين)[٣]! لتضمنها إشارات

---

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (١٥١) «الحاشية».
(٢) المرجع السابق (١٤٩ ـ ١٥٠).
(٣) المرجع السابق (١٥١) «حاشية».

سلبية إلى الصهيونية، ومن ثم فلم يعتبر الفاتيكان اللقاء ناجحاً تماما[١].

واستناداً إلى البند (٢٣) من توصيات البيان المشترك القاضي بتشكيل لجنة متابعة دائمة مشتركة تكون مهمتها تنفيذ المقررات والتوصيات، صدر «بروتوكول روما» في ١٨مارس ١٩٧٦م. كما تم عقد ست ندوات للتعريف والتذكير بندوة طرابلس في مواقع متعددة كانت على النحو التالي:

- ندوة مالطا الأولى عام ١٩٧٦م.
- ندوة كاتانيا في صقلية نوفمبر ١٩٧٦م.
- ندوة بالرمو في صقلية نوفمبر ١٩٧٦م.
- ندوة معهد الدراسات السياسية في باريس.
- ندوة اليونسكو في باريس مارس ١٩٧٩م.
- ندوة مالطا الثانية يناير ١٩٨٠م.

وبعد هذه الجولة، انقطعت العلاقات بين الجانبين لمدة عشر سنواتٍ تقريباً. ويبدو أن هذه الندوة الحافلة وضعت الكنيسة الكاثوليكية في تجربة حقيقية صعبة، تجاوزت حدود المجاملات، ودخلت ـ دون تقدير دقيق ـ في مواجهة صريحة مع تراث ديني متين متماسك، يختلف عن ذاك الذي تفعله مع البوذيين والهندوس وغيرهم، فعكفت تدرس التجربة. يقول ميشيل فيتز جيرالد، أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان في دراسته المعنونة بـ (خمس وعشرون سنة من الحوار) معلقاً على ندوة طرابلس: (لعل من المثير أن نلاحظ الاستنتاج الذي خرجت به أمانة السر من هذا اللقاء، في تقرير أنشطتها السنوي:

---

(١) انظر: Recognize The Spirtual Bonds. p.10.

الضرورة الملحة للحوار لتقدير الإصغاء والقبول المتبادل، في سبيل إزالة العداء والأحكام المسبقة. صعوبة الحوار مع المسلمين مردها إلى الاختلافات الثقافية، والفجوة التاريخية، والانطباع المكوِن لشيءٍ من الأهمية لدى الوفد الكاثوليكي، رغم الحادثة الأخيرة، إدراك أن المبادلات بين الأفراد أعظم ثمرة)[١].

ولم تعد المياه إلى مجاريها بين الجانبين إلا في شعبان ١٤٠٩هـ، مارس ١٩٨٩م، حين قام الكاردينال آرينزي بزيارة مختصرة لليبيا، ومقابلة الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأعضائها. وقد أثمرت تلك الزيارة استئناف العلاقة بسلسلة من اللقاءات، كانت على التوالي:

٢ ـ مؤتمر: «الرسالة والدعوة» Mission and Da'wah:

عقد هذا المؤتمر في روما في الفترة: ١٨ ـ ١٩ رجب عام ١٤١٠هـ، الموافق ١٤ ـ ١٥ فبراير عام ١٩٩٠م. وقد أفصح كل جانب عن فهمه لمدلول العنوان؛ كيف يفهم النصارى البشارة برسالة الكنيسة، وكيف يفهم المسلمون معنى الدعوة. ثم ناقش الجانبان أساليب الدعاية لدينهما بحيث لا ينتقص أحدهما الآخر. أما الموضوع الأخير فقد ركز على الحالة الواقعية التي يتم الإعلان بها فعلاً من جانب كل فئة والصعوبات التي تواجهها. وقد التقى المشاركون في المؤتمر بالبابا يوحنا بولس الثاني[٢].

٣ ـ مؤتمر «التعايش بين الأديان: الواقع والآفاق»:

عقد هذا المؤتمر في الفترة من ٤ ـ ٥ جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ٢٢ ـ ٢٣ نوفمبر ١٩٩٠م في المركز الثقافي الإسلامي في مدينة

---

(١) Twenty-Five Years of Dialogue p.3.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p.76، ومجلة «العروة الوثقى» الصادرة في جنيف. العدد الأول من السنة العاشرة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

«لافلتّا» بجزيرة مالطة. وقد استهل الاجتماع بفحص الفهم المتبادل بين الديانتين الإسلامية والنصرانية. وعلى هذا الأساس بحث المشاركون في كيفية تصور الفريقين لمفهوم التسامح، وأخيراً بحثا الكيفية الفعلية لتطبيق روح التسامح في علاقاتهما المتبادلة[١].

٤ ـ مؤتمر: «وسائل الإعلام وعرض الدين»:

عقد هذا المؤتمر في طرابلس «ليبيا» في شهر أكتوبر عام ١٩٩٣م، حيث التقى أساتذة مسلمون ونصارى من بلدان متعددة، وبحثوا الدور الإيجابي الذي يمكن أن يؤديه الإعلام في تشكيل الكائن الإنساني، وأيضاً الطرق التي يمكن أن تستخدم الإعلام كذلك في تشويه وتحقير معتقدات الآخرين. وأخيراً بحثوا دور المؤسسات الدينية في تشجيع الاستعمال الإيجابي لوسائل الإعلام، وتفادي سلبياتها.

وقد اقترح الجانبان تكوين لجنة ارتباط إسلامية نصرانية تتوفر على مراقبة الإعلام، سواءً بلفت الانتباه أو بتشجيع الجهود لإيجاد احترام فيما بين الأديان عبر استخدام الإعلام، وفي نفس الوقت تلاحظ التشهير والهجوم على المعتقدات الدينية في الإعلام. وكخطوة أولى في تكوين تلك اللجنة دعي صحافيون مسلمون ونصارى للمشاركة بملاحظاتهم واقتراحاتهم في مداولة غير رسمية تجري في فيينا لاحقاً في عام ١٩٩٤م[٢].

٥ ـ مؤتمر: «الدعوة الإسلامية، والرسالة المسيحية في القرن القادم»:

وهذا المؤتمر من أحدث المؤتمرات بين الجانبين، فقد انعقد في عام ١٩٩٧م في روما، وأصدر المجمع البابوي للحوار بين الأديان البيان التالي:

---

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P. 76.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 76.

(استمراراً للتعاون القائم بينهما، نظمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية «طرابلس، ليبيا»، والمجلس البابوي للحوار بين الأديان «الفاتيكان»، ندوة حول «الدعوة الإسلامية والرسالة المسيحية في القرن القادم». عقد اللقاء في روما من ٢٧ ـ ٣٠ نيسان أبريل ١٩٩٧م. حضر اللقاء عشرة ممثلين عن كل جانب. نظمت جلسة مفتوحة في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية يوم الثلاثاء ٢٩ نيسان لتتاح لحضور أوسع فرصة الإصغاء إلى إيجاز عن النقاش الذي دار، والمشاركة في الحوار.

الموضوعات التي عرضها أخصائيون مسلمون ومسيحيون وناقشها المشاركون كانت هي «مفهوم الدعوة والرسالة»، «ممارسة الدعوة والرسالة في القرن المنصرم»، «آفاق الدعوة والرسالة في القرن القادم».

أبرز عرض الموضوعات والنقاش اللاحق مرة أخرى نقاط التلاقي والاختلاف حول موضوع رئيسي في كلتا الديانتين. فالرسالة بحسب التعريف المسيحي هي نشاط الكنيسة لتأدية الشهادة أمام جميع الشعوب بالخلاص الذي أجراه الله على يد ابنه يسوع المسيح، وإعلان هذه البشرى. والدعوة في المفهوم الإسلامي هي دعوة البشر إلى سبيل الله الواحد، القادر على كل شيء، خالق الكون، كما وعظ بها كل الأنبياء، وكما أوحيت إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

وكان اللقاء فرصة للتقييم والنقد الذاتي حول الطريقة التي قام بها المسيحيون والمسلمون بممارسة الرسالة والدعوة. وبالنظر إلى المستقبل، فقد شدد المشاركون على ضرورة احترام كرامة الإنسان لدى عيشهم إيمانهم والشهادة له ونشره. ويتطلب هذا احترام ديانة الآخر لدى الكلام عنها أو الكتابة عنها؛ ويقتضي هذا الحرية الدينية التي تتضمن حرية الضمير.

تتفق المسيحية والإسلام على أن لا يمارس أي ضغط على

الأشخاص والمجتمعات باسم الدين. كما يجب أن لا تستغل ظروف الضيق الاقتصادي لممارسة تأثير غير مشروع. وعلى العكس من ذلك يقع على عاتق المسلمين والمسيحيين معاً، وعلى ذوي الإرادة الحسنة، واجب محاربة الظلم والاستغلال. وبدل أن يقوموا بالدعوة والرسالة في القرن القادم بروح التنافس ـ كما حدث أحياناً في الماضي ـ عليهم أن يمارسوها بروحٍ من التعاون، وكخدمةٍ للبشرية.

واتفق المجلس البابوي للحوار بين الأديان، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، على ممارسة التعاون بينهما، وعلى حث آخرين على الانضمام إليهما لدعم تفاهم أفضل بين المسيحيين والمسلمين من أجل خير الجميع. روما. ٣ نيسان/ أبريل ١٩٩٧م)[١].

هذا وقد أعلن قبل المؤتمر بشهر، عن إقامة علاقات ديبلوماسية بين الفاتيكان والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، وذلك في ١٠مارس ١٩٩٧م، لتكون بذلك الدولة المئة والخامسة والستين التي تقيم علاقة ديبلوماسية مع الفاتيكان. رغم أنه لا يوجد نصارى ليبيون، وإنما يوجد قرابة عشرة آلاف كاثوليكي من العاملين الأجانب، معظمهم فليبينيون، وقلة من البولنديين والكوريين والهنود والباكستانيين والمالطيين والإيطاليين والأفارقة والنصارى العرب. كما لا يوجد سوى كنيسة واحدة[٢].

مؤتمر: «القداسة في الإسلام والمسيحية»:

عقد هذا المؤتمر في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية، في روما، في الفترة: ١٥ ـ ١٦ شعبان ١٤٠٥هـ، الموافق

(١) نقلاً عن مجلة (٣٠ يوماً) التي تصدر في روما، عدد ٣ ـ ١٩٩٧م (١٥).
(٢) المرجع السابق، مقابلة مع النائب الرسولي في بنغازي المطران سيلفستر كارمل ماغرو.(٢٢ ـ ٢٣).

٦ ـ ٧ مايو ١٩٨٥م، بمشاركة أساتذة من الهند وباكستان وبنغلاديش ولبنان، أمضوا عشرة أيام في مجتمعات الرهبان والمتدينين، أو مع عائلات، وتجولوا برفقة نصارى ملتزمين في بعض المواقع التاريخية الدينية. وكانت محاور هذا المؤتمر كالتالي:

١ ـ فكرة القداسة في الإسلام والمسيحية.

٢ ـ نماذج للقديسين النصارى والمسلمين.

٣ ـ نقد كلٍ من المسلمين والنصارى لفكرة الآخر عن القداسة.

وفي نهاية أعمال المؤتمر التقى المشاركون بالبابا يوحنا بولس الثاني[١].

الفاتيكان وتركيا «جامعة أنقرة»

بعد اثنتي عشرة سنة من زيارة البابا بولس السادس لتركيا «يوليو ١٩٦٧م»، قام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة مماثلة بعد أكثر من سنة من سيامته بابا للكنيسة الكاثوليكية، وذلك في نوفمبر ١٩٧٩م. وهي أول بلدٍ إسلامي يزوره البابا الحالي، إلا أنها لم تكن زيارة مشجعة في الواقع (حين أحاط الرأي العام بانفصال كلي إقامته، وحين كان بإمكان متطرف أن يوصل إلى الصحف رسالة مفتوحة عنيفة ضد «قائد الصليبيين» الآتي من الفاتيكان[٢].

وظلت العلاقات فاترة، حتى قام الكاردينال فرانسيس آرينزي بزيارة لتركيا في مايو ١٩٨٧م، والتقى ببعض الزعامات الإسلامية، وألقى محاضرة في جامعة أنقرة. وقد أدى ذلك إلى توقيع اتفاقية «أكاديمية» بين جامعة أنقرة، والجامعة الجريجورية الفاتيكانية عام ١٩٨٨م، يتم بموجبها تبادل الأساتذة والطلاب، وتنظيم ملتقيات علمية بين الجانبين، كان من أبرزها:

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 71-72.

(٢) مجلة (٣٠ يوماً) عدد ٢ ـ ١٩٧٧م للكاتب: ماركو بوليتي (١٤).

١ ـ مؤتمر: «إيصال القيم الدينية إلى شباب اليوم»:

انعقدت هذه الحلقة الدراسية في روما عام ١٩٨٩م، بمشاركة اثني عشر أستاذاً «بروفسور» تركياً، من ثماني كليات «لاهوتية» في تركيا، بحثوا مع نظرائهم من الكليات والمعاهد اللاهوتية الكاثوليكية في روما هذا الموضوع. ثم التقوا بالبابا[١].

٢ ـ مؤتمر: «الأديان، والثقافات، والتسامح»:

انعقدت هذه الحلقة الدراسية في جامعة أنقرة عام ١٩٩٠م، وتضمنت العناصر التالية: فكرة التسامح في الإسلام والنصرانية، العلاقة بين الدين والثقافة، دور التربية في تكوين قيم التسامح والقبول، الطريقة التي تم بها بناء التسامح تاريخياً في كلا الديانتين، وضرورة التسامح داخل متغيرات المجتمعات العصرية[٢].

٣ ـ مؤتمر: «يونس إمره: تجربة روحية وثقافية»:

بناءً على الاتفاقية الأكاديمية بين جامعة أنقرة والجامعة الجريجورية عقدت هذه الحلقة في بلدان متعددة، منها روما، في الجامعة الجريجورية البابوية عام ١٩٩١م، إحياءً للذكرى السنوية لميلاد الشاعر الصوفي التركي: يونس إمره[٣]، ولفت الانتباه لمكانة دور التجربة الصوفية في التقاليد الإسلامية والنصرانية[٤]. وفضلاً عن ذلك

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 118.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 118.

(٣) يونس إمره: هو أحد شعراء الطريقة «البكتاشية»، فرقة صوفية، باطنية، اثني عشرية. ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي في تركيا.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة. مادة «الأدب التركي» (٧٦ ـ ٧٧). ط١ عام ١٩٦٥.

(٤) لا يخفى أن «التصوف» بدعة محدثة تبلغ في بعض درجاتها الكفر الصراح. **وليس في الإسلام «تقاليد صوفية» وإنما هو السنة والاتباع لما جاء به محمد ﷺ.**

قامت فرقة موسيقية تركية كبيرة بتقديم موشحاتها أمام البابا يوحنا بولس الثاني، منشدة أشعار يونس إمره الصوفية، في القصر البابوي[(١)].

٤ ـ مؤتمر: «العدالة الاجتماعية»:

وهو عبارة عن حلق دراسية عقدت في أنقرة وإستانبول لوفد فاتيكاني برئاسة الكاردينال «اتشيغاري»، رئيس المجلس البابوي للعدالة والسلام، ومشاركة أساتذة الجامعات التركية، عام ١٩٩١م. سبروا تطور التعاليم الاجتماعية في القرن المنصرم، وذلك إحياءً للذكرى المئوية لمبادرة البابا ليو الثالث عشر في هذا المجال[(٢)].

وبالإضافة إلى هذه المؤتمرات جرى تبادل أساتذة جامعيين بين الجانبين[(٣)].

الفاتيكان والأردن «مؤسسة آل البيت»:

تأخرت الاتصالات الثنائية بين الفاتيكان والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن «مؤسسة آل البيت»[(٤)] إلى أواخر الثمانينيات. ولكنها بدأت بداية نشطة بسلسلةٍ متتابعة من اللقاءات ذات الموضوعات المتخصصة، تعقد بالتناوب بين روما وعمّان، وهي:

١ ـ مؤتمر: «التربية الدينية في المجتمع المعاصر»:

انعقد هذا المؤتمر في روما في الفترة: ٧ ـ ٩ جمادى الأولى عام ١٤١٠هـ، الموافق ٦ ـ ٨ ديسمبر عام ١٩٨٩م، بحضور ثلاثة وثلاثين أستاذاً من ثمانية عشر بلداً إسلامياً ونصرانياً ـ بالتساوي ـ وكانت محاور البحث كالتالي:

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 121 - 122.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 120-121.

(٣) انظر: Twenty - Five Years of Dialogue p. 10.

(٤) يأتي التعريف بالمجمع في موضعه من هذا الباب.

١ ـ التربية الدينية في عالم تعددي.

٢ ـ العلم والإيمان والاهتمام بالشبيبة.

٣ ـ التربية الدينية في الكليات والجامعات. واختتم المؤتمر بلقاء خاص مع البابا[١].

٢ ـ مؤتمر: «حقوق الطفل وتربيته في الإسلام والمسيحية»:

انعقد هذا المؤتمر في عمّان في الفترة ٢٦ ـ ٢٨ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ، الموافق ١٣ ـ ١٥ ديسمبر عام ١٩٩٠م، وافتتحه الأمير الحسن بن طلال، والكاردينال فرانسيس آرينزي، وكانت محاور البحث كالتالي:

١ ـ حقوق الطفل الجنين.

٢ ـ طفل ما قبل المدرسة: حقوق، وتربية.

٣ ـ حقوق وتربية أطفال المدارس[٢].

٣ ـ مؤتمر: «دور المرأة في المجتمع حسب الإسلام والمسيحية»:

انعقدت هذه الجولة الثالثة في روما في الفترة: ٢٤ ـ ٢٦ ذي الحجة عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٤ ـ ٢٦ يونيو عام ١٩٩٢م. وقد ناقش المشاركون الذين يمثلون سبعة عشر شعباً هذه القضية من وجهتي النظر الإسلامية والنصرانية، على ثلاث مراحل:

١ ـ مكانة المرأة بحسب الإسلام والنصرانية.

٢ ـ المشاكل والتحديات المعاصرة.

٣ ـ الفرص المستقبلية والمتوقعة بالنسبة للمرأة[٣].

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 73.

(٢) انظر: المرجع السابق (٧٣ ـ ٧٤).

(٣) المرجع السابق (٧٤).

وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي تضمن تأكيد الجانبين على مساواة الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية، وأهمية الأسرة واستقرارها، ودور المرأة الأساسي في رعاية الأسرة وحقها في العمل بما تسمح به إمكاناتها، في نطاق القواعد الدينية المرعية. وانتقد البيان الممارسات الخاطئة الموروثة من العادات والتقاليد التي تحط من قدر المرأة، وبالمقابل ما أفرزته الحضارة المادية من استغلال للمرأة في ميادين الترفيه والإعلان. كما انتقد البيان التشريعات السائدة التي تهضم حق المرأة العاملة في شروط العمل والأجور والتدريب، ومراعاة واجبات الأمومة. وختم البيان بالتأكيد على أهمية دور الدين في صياغة النفس الإنسانية، وتحقيق كرامتها[١].

وقد التقى المشاركون في ختام مؤتمرهم البابا يوحنا بولس الثاني.

٤ ـ مؤتمر: «القومية اليوم: مشاكل وتحديات»:

عقد هذا المؤتمر في عمّان في مطلع عام ١٩٩٤م، ونوقشت فيه الموضوعات التالية:

١ ـ وجهة نظر تاريخية في القومية.

٢ ـ مشاكل مطروحة من القوميات اليوم.

٣ ـ دور المؤمنين في التعامل مع تساؤلات القومية[٢].

مؤتمرات إقليمية:

عمد المجمع البابوي للحوار بين الأديان إلى تنظيم لقاءاتٍ إقليمية للحوار بين المسلمين والنصارى في مناطق معينة من العالم تجمعها خصائص مشتركة، وحتى يصبح المشاركون نواة فرقة لتفعيل الحوار في بلدانهم فمن ذلك:

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٨٥ ـ ١٨٦).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 74-75.

مؤتمر: «مؤمنون يسيرون ويعملون معاً» لمنطقة شمال إفريقيا:

عقد هذا المؤتمر في بلدة أسيزي الإيطالية في أكتوبر عام ١٩٨٨م، وضم وفوداً من ست دولٍ من شمال أفريقيا، كلها عربية، وهي: موريتانيا، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر. ثم التقوا البابا يوحنا بولس الثاني، الذي دعاهم إلى إشاعة السلام والتعاون بين المسلمين والنصارى في بلدانهم[(١)].

مؤتمر: «التعاون في التنمية الإنسانية» لمنطقة غرب إفريقيا:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «إبادان» النيجيرية في الفترة من ٢٤ ـ ٢٨ محرم ١٤١٢هـ، الموافق ٤ ـ ٨ إبريل ١٩٩١م بمبادرة من المجمع البابوي للحوار بين الأديان، وشارك فيها أربعة وعشرون إفريقياً من المسلمين والنصارى قدموا من بعض دول غرب إفريقيا، هي: نيجيريا، وغانا، وغامبيا، وسيراليون.

وقد تضمن البيان الختامي توصية بـ (توعية المسيحيين والمسلمين كي لا يعتبروا مؤمني الديانة الأخرى كأنهم كفار، بل يعاملونهم بكل احترام)[(٢)].

أما التوصيات الخاصة فنقتطف منها ما يلي:

• (حقول التعاون، وهي: التربية والصحة والعمل الاجتماعي. ويجب أيضاً أن يوجّه المسيحيون والمسلمون بخاصة نحو مجابهة مشاكل معينة كمكافحة المخدرات، والدفاع عن القيم العائلية، والتوعية من أجل الحد من النفقات الباهظة والنافلة...

• عندما تنشأ خلافات بين المسلمين والمسيحيين يجب أن يتم تحليلها بكل دقة، لكي يجري تجنبها في المستقبل، ويلفت النظر خاصة إلى الحقول التالية:

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 51.

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٧٧).

■ أجور الموظفين وترقيتهم.

■ تخصيص أراضٍ لتأمين العبادة.

■ التمكن من استخدام وسائل الإعلام.

• نظراً إلى أن الزواجات المختلطة تعاني من صعوبةٍ إضافية في تحقيق الانسجام بين الزوجين، يوصي بتوعية كل شابٍ وشابة في كلا الجماعتين على هذا الأمر...

• يشجع المسيحيون والمسلمون على أن يستعملوا وسائل الإعلام لتنمية التفاهم والانسجام، ويؤمل منهم ألا يفعلوا هذا من خلال وسائلهم الخاصة فحسب، بل من خلال وسائل الإعلام العادية التي تبلغ إلى جمهور أوسع)[١].

ويلاحظ المتأمل في هذه التوصيات النزعة الواقعية التي تسعى نحو تهدئة التوترات في مناطق يتصارع عليها المسلمون والنصارى. وينشأ عن هذا الصراع والتنافس حاجة لتحقيق «التعايش» و«الانسجام»، وتقِل التوصيات المثالية التي تتخذ عادة في أجواء بعيدة عن المواجهة الحتمية بين الأديان.

مؤتمر: «الانسجام بين المؤمنين من مختلف العقائد» لمنطقة جنوب شرقي آسيا:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «باتايا» في تايلند، في أغسطس عام ١٩٩٤م شارك فيه وفودٌ من: إندونيسيا، والفلبين، وبروني، وماليزيا، وسنغفوره، وتايلند[٢].

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds which unite us. p. 52-117.

نقد وتحليل:

لقد مرت محاولات الكنيسة للتقريب بين الأديان بمراحل موازية لتلك المراحل التي اعترت نظرتها إلى فلسفة التقريب وحقيقته، التي سبق الكشف عنها في الباب الأول، فكانت المحاولات العملية انعكاساً صادقاً للأسس النظرية:

١ ـ **المرحلة الأولى**: التي امتدت من نهاية أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥م، حتى وفاة البابا بولس السادس عام ١٩٧٨م، وإلى حدٍ ما، حتى وفاة شريكه في فكره ومنهجه، الكاردينال سيرجيو بينيدولي عام ١٩٨٠م. وقد اتسمت محاولات هذه المرحلة بالانفتاح الواسع على العالم الإسلامي وقياداته السياسية والدينية، وتبادل الزيارات بين الفاتيكان، وبعض حواضر العالم الإسلامي، وإقامة علاقات ديبلوماسية مع قرابة عشرين دولة في فترة لا تتعدى عشر سنوات كما تقدم.

ومن الناحية الموضوعية، كانت الشعارات المعلنة في تلك الحقبة: الدعوة إلى تعاون العالمين الإسلامي والنصراني على محاربة الإلحاد «الشيوعية الغازية»، والتحلل الخلقي، بالإضافة إلى المناداة بالتعرف على الآخر، ونبذ الأحكام المسبقة، والتخلص من عبء التاريخ، والمصالحة، ونحو هذه المعاني التي تمخض عنها المجمع الفاتيكاني الثاني.

ولم تشهد هذه المرحلة عقد مؤتمرات كثيرة ـ مقارنة بمحاولات مجلس الكنائس العالمي في تلك المرحلة ـ بل اقتصرت المحاولات الكاثوليكية على الاتصال بالجهات الرسمية الحكومية، والهيئات الدينية شبه الرسمية، كالأزهر، وشيخ الكاظمية، دون الأفراد من العلماء والمفكرين. وأبرز مؤتمر جرى في تلك الفترة مؤتمر طرابلس عام ١٩٧٦م، الذي تعلمت منه الكنيسة الكاثوليكية درساً مهماً، وعته في

جميع المحاولات والمشاركات اللاحقة: تجنب البحث في المسائل العقدية والسياسية.

٢ ـ **المرحلة الثانية**: المواكبة لرئاسة رئيس الأساقفة جان جادوت أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين في الفترة (١٩٨٠ ـ ١٩٨٤م). وقد اتسمت بتراجع المحاولات والمبادرات الفاتيكانية تجاه عملية التقريب، مكتفيةً حسب رأي جادوت بتعزيز المحاولات المحلية والإقليمية، دون أن يظهر الفاتيكان طرفاً في الحوار.

والواقع أن هذا الفتور يخفي ما كان يعتمل في تلك الفترة من صراع وخلافٍ بين أجنحة الكنيسة تجاه قضية التقارب والحوار، وتنامي الاتجاه المضاد إثر وفاة البابا بولس السادس.

٣ ـ **المرحلة الثالثة**: وتقترن بتنصيب البابا يوحنا بولس الثاني كاردينالاً من أصلٍ أفريقي ـ نيجيري ـ هو الكاردينال فرانسيس آرينزي عام ١٩٨٤م، إثر جولته في بلدان إسلامية في أفريقيا (كينيا، غانا عام ١٩٨٠م)، ولقائه بالجالية الإسلامية المتنامية في أوروبا (فرنسا، ألمانيا عام ١٩٨٠م)، ثم بمسلمي آسيا (الباكستان، الفلبين ١٩٨١م)، ثم في جولته الثانية في أفريقيا (نيجيريا، بنين ١٩٨٢م). فلمس البابا بنفسه بوادر الصحوة الإسلامية التي ظهرت في مطلع الثمانينيات الميلادية، رأس القرن الهجري، وتوجس أن تتيح نصوص المجمع الفاتيكاني الثاني دعماً لانتشار الصحوة الإسلامية في أوساطٍ نصرانية، على حساب التنصير.

وقد اتسمت محاولات الكنيسة من الناحية العملية في هذه المرحلة بما يلي:

١ ـ الرحلات البابوية المتتابعة إلى مختلف مناطق العالم، والتقاء أتباع الديانات المختلفة ـ وخاصةً المسلمين ـ في تجمعات جماهيرية

حاشدة، والحديث إليهم عن العقيدة النصرانية التي يمثلها البابا، تحت ستار الحوار، وتآخي الأديان.

٢ ـ دعوة القيادات الدينية في العالم إلى إيطاليا، باسم الصلاة من أجل السلام، التي انطلقت عام ١٩٨٦م من أسيزي، فتظهر الكنيسة الكاثوليكية بصورة الديانة الأم، ويظهر البابا في محافلها «واسطة العقد»، ويقوم بمراسم الدعاء، وطقوس الصلاة المبتدعة، التي تنضوي تحتها جميع الأديان والملل.

٣ ـ الحضور الفاعل في الأحداث الدولية ذات الصلة، من خلال جمعيات وسيطة «جمعية سانت إيجيديو» بما يرفع الحرج عن الكنيسة، ويبقي لها دوراً مؤثراً في مناطق التوتر، بما يحقق لها مكاسب تنصيرية، أو يحمي مواقع سابقة.

٤ ـ عقد مؤتمرات حوار ثنائية مع مؤسسات في العالم العربي، وإقامة مؤتمراتٍ إقليمية في كلٍ من أفريقيا وآسيا.

أما من الناحية الموضوعية، فبالإضافة إلى الجمل الثابتة التي دأبت الكنيسة على تردادها، برزت اهتمامات أخرى مثل:

- التأكيد على الحريات الدينية، والعدالة الاجتماعية.
- قضية «الرسالة التبشيرية» و«الدعوة الإسلامية».
- التعايش بين الأديان، ونشر روح التسامح والسلام.
- العناية بالمسائل الاجتماعية كالمرأة، والطفل، والنزعة القومية.
- إبراز الجوانب الصوفية لدى الجانبين، من خلال الأولياء والقديسين.

كما شهدت حقبة التسعينيات تقارباً مع «إسرائيل»، واعترافاً بها، وحديثاً عن «القدس» بصورةٍ أكثر وضوحاً من ذي قبل، حول أحقية الجميع بها، خلافاً لما سبق في السبعينيات حين كان يكتفى بتمني حلول السلام على المدينة المقدسة.

المبحث الثالث

محاولات مجلس الكنائس العالمي

تكاد تنحصر محاولات مجلس الكنائس العالمي للتقريب بين الأديان بعقد المؤتمرات المتتابعة في مناطق عدة من العالم. وقد أنشأ المجلس لهذا الغرض وحدة فرعية تحمل اسم: «**لجنة الحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية**» عام ١٩٦٩م، وترتبط ببرنامج الوحدة الأولى في المجلس المعروفة باسم: «الإيمان والشهادة».

وسوف نسوق فيما يلي مسرداً بالمؤتمرات التي تبنى المجلس الدعوة إليها، أو كان شريكاً أساسياً في ذلك، مع التعريف بكل مؤتمر، والتقاط بعض الفقرات الهامة الواردة في البيانات الختامية لتلك المؤتمرات.

مؤتمر: «نداء للتعاون الإسلامي ـ المسيحي»:

عقد هذا المؤتمر المبكر في مدينة «إيفانستون» بولاية «إيلينوي» بالولايات المتحدة الأمريكية، في شهر ذي الحجة عام ١٣٧٣هـ، الموافق أغسطس عام ١٩٥٤م. أي قبل انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني للكاثوليك بثمان سنوات. وقد حضره مندوبان من اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي ـ المسيحي المنبثقة عن مؤتمر «بحمدون» المنعقد في شعبان ـ أبريل من نفس العام[١].

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية ـ الإسلامية. رقم تسلسل (٣).

«لقاء تحضيري»:

عقد هذا اللقاء التحضيري في «جنيف ـ سويسرا»، مقر مجلس الكنائس العالمي في الفترة من ٤ إلى ٧ مارس عام ١٩٦٨م بمشاركة ثلاثة من المسلمين من مصر ولبنان والباكستان، بغرض الإعداد لمؤتمراتٍ قادمة. وقد قدم فيه ثلاث أوراق تتعلق بموضوع الحوار الإسلامي ـ المسيحي(١).

المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الاستشاري»:

عقد هذا المؤتمر في كارتيني «جنيف ـ سويسرا) في الفترة من ١٢ إلى ١٦ ذي الحجة ١٣٨٨هـ، الموافق ٢ ـ ٦ مارس عام ١٩٦٩م. شارك فيه اثنان وعشرون شخصاً من الجانبين، قدمت فيه ثلاثة بحوث:

١ ـ كلمة الله والكتب المقدسة .

٢ ـ الدين في العالم التقني.

٣ ـ وجهات النظر حول الحوار المسيحي الإسلامي، وتحديد الحاجة إلى الحوار ومهامه(٢).

وقد صدر عن اللقاء بيان مشترك، بَرَّر ضرورة الحوار والتوسع فيه، وهدفه، ومهامه. ومما جاء فيه ما يلي:

■ (غاية الحوار الأولى هي حمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل، وتعزيز التفاهم... والغاية الأخرى هي طرح مشترك للأسئلة التي تؤدي إلى التجدد والتعمق الروحي... هدف الحوار ليس التوصل إلى اتفاق مصطنع، بل يجب أن لا ينحرف نحو التوفيقية والنسبية. على الحوار أن يتيح للديانتين أن تلتقيا لا في ما يقرّب بينهما وحسب، بل

---

(١) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/21).

(٢) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/21).

أيضاً فيما يميزهما، فيحثهما على طرح الأسئلة الصحيحة)[١].

ولتحقيق الغاية الأولى يقرر البيان الواجبات التالية:

(أ ـ أن يسعى كل جانب ليفهم الآخر كما يفهم ذاته.

ب ـ أن تؤدي الشهادة للحقيقة في جو احترام الآخر وحريته.

ج ـ أن يتجنب الحوار كل تشويه لديانة الآخر، ويحاربه.

د ـ أن يتم النقاش بطريقة يساهم فيها كل جانب بالتعلم من الآخر، على الصعيدين الفكري والروحي)[٢].

ولتحقيق الغاية الثانية يضرب البيان أمثلة لأسئلة التجدد، والتعمق الروحي:

(أ ـ كيف تعرِّف اليوم الكتب المدرسية والنصوص الدينية الإسلام والمسيحية؟ وكيف تنظم الدروس اللاهوتية؟

ب ـ ما المشاكل الناتجة عن تمازج الجماعات المتزايد، وما هي الحلول؟

ج ـ كيف يمكننا تصور التبشير والدعوة ومحاولة اجتذاب الآخرين؟

د ـ هل بالإمكان القيام بصلاة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين؟

هـ ـ ما هي مسؤولية الإسلام والمسيحية تجاه مشاكل عصرنا الإنسانية والاجتماعية، لا سيما مفهوم الدولة ودورها، تحرر المرأة، العلاقات بين البلدان الغنية والفقيرة)[٣].

وبعد إطلاق هذه التساؤلات العَرِيَّة عن الإجابة أشار البيان إلى إمكان بحث هذه الموضوعات في مؤتمراتٍ عالمية لاحقة.

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٣٧).

(٢) المرجع السابق (٣٨).

(٣) المرجع السابق (٣٨).

إن هذين المؤتمرين التحضيريين اللذين يشترك فيهما مسلمون، إضافة إلى المؤتمرات الخاصة بالمجلس دون إشراك مسلمين، لينمَّان عن الحذر البالغ، والتحري الدقيق الذي هيمن على المبادرات الأولية للتقارب مع الأديان من قبل الحركة المسكونية. فخلافاً لأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسلمين، نجد الوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية (تحاول أن تشرك المسلمين في مرحلة التخطيط للوقائع المستقبلية. وفي حالات كهذه يكون قد وضع قرارات حول طبيعة الحوار، في سبيل ضمان كون الاهتمام الإسلامي مسموعاً منذ البداية المبكرة)[١].

لقد تلاقى هذا المؤتمر مع التوجه السائد لدى الكنيسة الكاثوليكية في مفهوم الحوار وأهدافه في تلك الحقبة، أنه لا يرمي إلى «التوفيقية» بل يشدد على التغاير، ويدعو إلى الفهم المتبادل والاحترام المتبادل.

ونتيجة للحذر، بل والتحرج من خيانة رسالة الكنيسة التي تمثل عمدة الحركة، يكتفي البيان بإطلاق أسئلة كبرى، وتعليقها دون إجابة، ليتسنى وقت كافٍ لاختمار الإجابة من جميع الأطراف، دون أن يبت بها اجتماع استشاري كهذا.

مؤتمر: «حوار بين متبعي الديانات الحية»:

عقد هذا المؤتمر المتعدد الأديان في ضاحية «عجلتون» قرب بيروت «لبنان»، في الفترة: ٤ ـ ٧ محرم عام ١٣٩٠هـ، الموافق ١٢ ـ ١٥مارس عام ١٩٧٠م. وقد ضم ثمانية وثلاثين مشاركاً من أربعة أديان، ثمانية وعشرين نصرانياً، وثلاثة مسلمين، وأربعة بوذيين، وثلاثة هندوس، قدموا من خمسة عشر بلداً. وقد عرض في المؤتمر موضوع عن تجربة الحوار الإسلامي المسيحي في أندونيسيا ومشاكله[٢]. ولم يصدر بياناً مشتركاً.

---

(١) Dialogue Between christians and Muslims (1/14).

(٢) Dialogue Between christians and Muslims (1/22).

مؤتمر: «تحقيق التفاهم والتعاون الإنساني»:

انعقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في «برُمانا» قرب بيروت «لبنان»، في الفترة: ٣٠ جمادى الأولى ـ ٦ جمادى الثانية عام ١٣٩٢هـ، الموافق: ١٢ ـ ١٨ يوليو عام ١٩٧٢م. وقد بلغ عدد المشاركين ثمانية وأربعين؛ خمسةً وعشرين نصرانياً، وثلاثة وعشرين مسلماً. وقد قُدم من الجانبين أوراق تتعلق بالموضوعات التالية:

- الأمم ذات الأديان، والبحث عن مجتمع عالمي.
- الحقيقة والوحي والطاعة.
- العلاقات الاجتماعية بين النصارى والمسلمين.
- الصلاة والعبادة[(١)]

وقد صدر عن المؤتمر بيان مشترك مطول، في ثلاثة وثلاثين بنداً، تناولت جوانب متعددة في العلاقة بين الديانتين، ومفهوم الحوار ومبادئه، وبعض التعريفات والاقتراحات العملية، نقتطف منه ما يلي:

• (لقد التقينا باسمنا الشخصي من دون أي صفة تمثيلية...

هذه المذكرة ليست بياناً رسمياً يلزم جميع المشتركين، فقد نوقشت خلال الاجتماعات ولكنها لم تطرح على التصويت...

• بعضنا يرغب أيضاً في وجود بنية لاهوتية، وإن أمكن إطار حميم لأجل الاعتراف المتبادل...

• لقد قبلنا ألا يسعى حوارنا إلى إلغاء اختلافاتنا، بل بالأحرى يحصيها في جو من المصارحة والنقد، وأن نقارنها بما يأتينا من الديانة الأخرى. فبدلاً من أن نكتفي بجامع مشترك صغير، واجهنا مشادّات موجعة أحياناً. إلا أننا لا نجرؤ أن نَأمل بالتوصل إلى بعض التلاقي،

---

(١) Dialogue Between christians and Muslims (1/23).

لا في توافقية مشوهة وعجولة، بل في انفتاح على الله الذي يقودنا إلى الأمام. . .

• أمِلنا بإمكانية التوصل إلى التخلص من كل تشويه متبادل بشأن مواقف اجتماعية ولاهوتية. . .

• يجب علينا أن نحافظ بكل حرصٍ على الحرية الدينية، وهذا لا يتضمن احترام حقوق كل أقلية دينية وحسب، بل احترام كل فرد. ومع إقرارنا بأن للديانتين دعوة رسولية، علينا أن نتجنب كل جذبٍ واقتناص، أكان ذلك بضغط من الأكثرية على الأقلية، أم من قبل الأقلية بواسطة الامتيازات الاقتصادية والثقافية التي تُرفع إلى مستوى أعلى. والأسوأ في هذا المجال هو استغلال ضعف الأميين والمرضى والشبيبة. . .

• في تحاورنا بكل صراحة واحترامٍ متبادل، وبسبب رغبتنا في تأمين كل الشروط لقيام حرية دينية كاملة، واحترام الضمائر، تطرقنا إلى عدة موضوعات هامة في اللاهوت. . .

وإننا نرجىء هذه النقاط إلى دروسٍ لاحقة. والأفضل هو أن نتعهد القيام بها معاً في إطار مسيحي، وفريقٍ مسلم، أو على الصعيد الفردي. ونعتقد أن التجديدين اللاهوتي والروحي يمكنهما أن يهيئا لتجديد اجتماعي. . .

• من خلال تفكيرنا ومباحثاتنا الدينية نستطيع أن نجد تأويلاتٍ للوحي، بعضها متشابه والآخر متمايز. القرآن عند المسلم هو كلمة الله، وعند المسيحي الكتب المقدسة هي شاهدة على تجلِّي يسوع المسيح. وحوارنا حول هذه المسائل يمكنه أن يساعدنا لنكون أمناء تجاه تراثنا الخاص، وبالوقت ذاته أن نقدر الآخرين فيزداد انسجامنا معهم. .

• لا يتم الحوار خارجاً عن إطار سياسي، واجتماعي ـ اقتصادي

معين. لقد تجنبنا عن قصد أن نشدد على مشروع دولةٍ علمانية أو دولة دينية، كشرطٍ ملائم للنمو نحو الجماعة العالمية، والطاعة تجاه الوحي الإلهي...

• حيث يلتقي مسلمون ومسيحيون لا يحدث فقط إصغاء متبادل، بل يتم الإصغاء لله. لهذا وفي بعض الأحيان، يتمكن المسلمون والمسيحيون، فردياً أو جماعياً من التعبير عن تفاهمهم وثقتهم المتبادلة، وذلك بكشفهم بعضهم للآخر، عن لغة صلاتهم الخاصة، لا سيما من خلال الدعاء والابتهال والتأمل. مع وعينا للاختلافات الحقيقية أو المتوهمة في ترافقنا الروحي هذا، أكان مباشرةً أو من خلال بديل، ومع حرصنا على تجنب كل غش، شعر بعضنا أن من الممكن محاولة مثل هذا التداخل للقبول المتبادل والتلبية لله...

• يمكن للمسيحيين والمسلمين أن يتعاونوا، وهم يتعاونون فعلاً، مع سائر مواطنيهم، على صعيد العمل والصلاة، في بناء الوطن، وتطوير الحقوق الإنسانية والدينية، وفي معركة العدالة والسلام. يستطيعون أن يعملوا كزملاء في فرقٍ ملتزمة الإنماء الريفي، أو حملات مكافحة الأمية، أو العيادات الصحية، يمكنهم معاً التصدي لمشاكل الشبيبة الضائعة..

• العمل على إزالة أحكامنا المسبقة، وعلى إشاعة تقدير متبادل أكثر عمقاً. نؤكد ثانية وبإلحاح ضرورة تجنب كل جدل... وقد أسفنا للتنافس في بناء أمكنة العبادة..)[1].

ومن قراءة النصوص السابقة تبرز الاستنتاجات التالية:

١ ـ التأكيد على الصفة الشخصية للمشاركين في اللقاء، والتنصل من الصفة التمثيلية والرسمية، وعدم التزام جميع المشاركين بمضامين

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٤٧ ـ ٥٣).

البيان. وهذا الاتجاه يعبر بوضوح عن روح الحذر والتردد الذي يساور محاولات مجلس الكنائس العالمي تجاه الحوار والتقارب، وذلك لتأمين خطة الرجعة. كما يظهر القلق في صياغة البيان بتكرار بعض الكلمات والجمل الفضفاضة مثل: (بعضنا يرغب)، (شعر بعضنا)، (لا نجرؤ أن نأمل)... ونحوها كثير في النص الكامل للبيان.

وحفاظاً على هذا الاتجاه فضلت الوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية الحوار مع الأفراد المسلمين، وغيرهم، بصفتهم الشخصية، ونأت عن محاورة الجهات الدينية الرسمية ذات الصفة المرجعية حتى لا تجد نفسها مسوقة لتوقيع اتفاقية ثابتة، أو إعلانٍ يتضمن التزاماً أدبياً، قد لا يقع موقع القبول من فسيفساء الكنائس المكونة للمجلس العالمي في جنيف، خلافاً لأسلوب أمانة السر الفاتيكانية التي تتعامل غالباً مع الهيئات الدينية، وتبرم الاتفاقيات والبيانات بثقة.

٢ ـ ينبىء البيان عن وقوع حوار ساخن وصريح في المسائل العقدية العميقة، في سبيل السعي لإيجاد (بنية لاهوتية، وإن أمكن إطار حميم لأجل الاعتراف المتبادل) وعدم الاكتفاء (بجامع مشترك صغير). ولكن ذلك اصطدم دون ريب بالاختلافات العقدية العميقة وأدى إلى (مشادات موجعة أحياناً).

وسر ذلك ـ في نظري ـ أن الحركة المسكونية أصدق لهجة، وأقل مجاملة من الكنيسة الكاثوليكية، وتحاول أن تقفز بسرعة فوق جدران الحوار للوصول إلى البشارة والشهادة النصرانية. ولكنها اكتشفت الصعوبات الحقيقية فلجأت إلى إرجاء (هذه النقاط إلى دروس لاحقة)، ووصَّفت أسلوب الأداء: (في إطار مسيحي، وفريقٍ مسلم، أو على الصعيد الفردي)!

وقبل الوصول إلى تلك الغاية، ردد البيان ما كان سائداً عند

الحديث عن العقيدة أو اللاهوت، مثل: (ألا يسعى حوارنا إلى إلغاء اختلافاتنا)، ونبذ (التوافقية المشوهة والعجولة)، وعلى الأقل: (التخلص من كل تشويه متبادل).

٣ ـ أجاب بيان «بُرمانا» عن تساؤلات مؤتمر «كارتيني» التشاوري الخمسة[١].

أ ـ فدعا إلى (إزالة أحكامنا المسبقة... وضرورة توفير كتب، وتدريب معلمين ووضع برامج لندوات، يجب استخلاصها بواسطة تشاور بعضنا مع الآخر)[٢].

ب ـ وأكد وشدد على «الحرية الدينية» للأقليات والأفراد، والسعي نحو جماعة عالمية دون الحديث عن مشروع دولة علمانية أو دينية، وألح على ضرورة تجنب الجدل، وأسف للتنافس في بناء أمكنة العبادة.

ج ـ أقر البيان بالصفة «الرسولية» للديانتين، لكنه ندد بمحاولات الجذب والاقتناص بأسلوب الضغط أو استغلال الضعف.

د ـ سوّغ البيان بحذر بالغ، واحترازات متكررة، إمكانية القيام بصلاة مشتركة.

هـ ـ شرع البيان بعض سبل القيام بالمسؤولية تجاه مشاكل العصر الإنسانية والاجتماعية، مثل: (تطوير الحقوق الإنسانية والدينية، وفي معركة العدالة والسلام... الإنماء الريفي، أو حملات مكافحة الأمية، أو العيادات الصحية.. مشاكل الشبيبة الضائعة).

إن هذا المؤتمر محطة مهمة في فهم موقف مجلس الكنائس العالمي من قضية التقريب[٣].

---

(١) تقدم الكلام على هذا المؤتمر (١١٤١).

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٥٦ ـ ٥٧).

(٣) انظر حقيقة التقريب عند مجلس الكنائس العالمي في الفصل الثالث من الباب الأول.

مؤتمر: «نحو جماعة عالمية: الوسائل والمسؤوليات للعيش معاً»:

انعقد هذا اللقاء متعدد الأطراف في مدينة «كولومبو» عاصمة سيريلانكا، في الفترة من ٢٤ ربيع الأول إلى ٣ ربيع الثاني عام ١٣٩٣هـ، الموافق ١٧ ـ ٢٦ أبريل عام ١٩٧٤م، بمشاركة عشرة مسلمين وأربعة وعشرين نصرانياً، وثمانية هندوس، ومثلهم بوذيين، وأربعة يهود، قدموا من عشرين بلداً.

وقد قدمت بحوث تتعلق بالإسلام والمجتمع العالمي، والتعاون وتحريك الموارد[١].

مؤتمر: «وحدانية الله، والجماعة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين الأفارقة على صعيد العمل والشهادة»:

انعقد هذا اللقاء الإسلامي النصراني في مدينة «لاغون» في غانا، في الفترة من ٢٦ جمادى الثانية إلى ١ رجب عام ١٣٩٤هـ، الموافق ١٧ ـ ٢١ يوليو ١٩٧٤م، بمشاركة قسم الأبحاث الدينية في جامعة غانا، و«المشروع الإسلامي في أفريقيا» التابع لكنائس أفريقيا الإنجيلية. وتكون المؤتمر من تسعة مسلمين، وأحد عشر نصرانياً، قدموا من ثمانية بلدان أفريقية، بالإضافة إلى حضور من بلدانٍ أفريقية وغير أفريقية[٢].

وقد وصف البيان المشترك هذا اللقاء بأنه (الأول من نوعه. إذ تم على مستوى منطقة أفريقيا العام)[٣]. كما رافقه بعض الممارسات الغريبة التي تعد سابقة في تاريخ العلاقة بين أتباع الديانتين منها:

- مشاركة النصارى المسلمين في صلاة الجمعة!
- حضور المسلمين صلاة الأحد مع النصارى!

---

(١) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims. p. (1/23)

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٥٦ ـ ٥٧).

(٣) المرجع السابق (٥٧).

كما حدد البيان الأسس المشتركة بين الديانتين، المسوغة للتلاقي والتعاون بقوله: (. . . كلا المجموعتين، من خلال اعتقادهما بإلهٍ واحدٍ، وعبادتهما له تشاركان في «التقليد التوحيدي». وهما تعترفان بعدة نقاط متلاقية في اللاهوت والروحانية، بما فيها احترام يسوع «عيسى». ولذلك فالمنتمون إلى الديانتين لديهم أسباب وأسس للاعتراف والاحترام المتبادل والتعاون. وهم متحدون في تقديرهم للقيم الدينية والأخلاقية. . .)[١].

وقد ركز البيان على معالجة الأوضاع الواقعية، وتقديم الاقتراحات العلمية لمواجهة وقائع راهنة، لا افتراضية، وهو نفس الملحظ الذي لمسناه عند تحليل توصيات مؤتمر «التعاون في التنمية الإنسانية» في «إبادان» «نيجيريا»، الذي نظمته الكنيسة الكاثوليكية في نفس المنطقة «غرب أفريقيا»[٢]. ويتضح هذا الملحظ بالشواهد التالية من البيان الختامي:

● (على المسيحيين أن يتقاسموا مع جيرانهم المسلمين الإمكانات والتسهيلات التي يستطيعون الاضطلاع بها في حقول التربية والاجتماع والتنمية الاقتصادية، والمفترض[٣] أن يبادلهم المسلمون المبادرة ذاتها. هذه الإمكانات يجب ألا تعتبر كسلطة، يحاول أحد الجانبين أن يستغلها ليفرض تسلطه بواسطتها على الجانب الآخر. .

● علينا أن ننمي روح الضيافة، فانطلاقاً من البعد الشامل لدى الديانتين، عليهما أن يظهرا انتباهاً خاصاً تجاه «الغرباء».

---

(١) المرجع السابق (٥٧ ـ ٥٨).
(٢) تقدم (١١٣٥).
(٣) وجه الافتراض هنا مرده إلى عدم وجود الإمكانات والتسهيلات لدى المسلمين في أفريقيا فعلاً.

هذا التصرف يمكن اعتباره تعاوناً عملياً، ولا سيما في ما يخص الشبيبة، مثلاً في نيما Nima ـ أكرا ـ حيث هناك فريقٌ من الطلاب «الغانيين» المسيحيين بالتعاون مع طلاب مسلمين، يعملون مع السكان المسيحيين، وعدد أكبر من المسلمين من أجل تحسين أوضاع المعيشة لدى أبناء الشعب. فالمسلمون في هذه الحالة هم المستضيفون. في حين أنه في مكانٍ آخر حيث للكنيسة وجود أفعل، اتفق المسيحيون مع المسلمين على المطالبة بالمساواة في الوضع القانوني والمعيشي. وفي مكان ثالث ثمة مدرسة ثانوية تابعة للمسلمين، وذات تمويل مؤمَّن، وفَّرت للطلاب والأساتذة المسيحيين التسهيلات الدينية. وهناك أمكنة أخرى حيث الأغلبية مسلمة، تعهدت المدارس المسيحية، بالرغم من رفض طلابها المسلمين أن يمارسوا إيمانهم...

■ كل هذا يجعل المسلمين والمسيحيين يتخطون الانطواء على جماعتهم ومصالحهم، ليلتقوا بروحية المشاركة والتعاون. وانطلاقاً من ذلك يمكن أن يخطوا معاً خطواتٍ عملية متعددة:

الخطوة الأولى: يمكن إقامة صلوات مشتركة من أجل تطور المجتمع ككل.

الخطوة الثانية: يمكن تبادل التهاني لمناسبة الأعياد الدينية كرمضان، وعيدي الفطر والأضحى، وأعياد الميلاد والفصح والعنصرة، يعبَّر فيها عن معاني هذه الأعياد.

الخطوة الثالثة: يمكن تبادل الأخبار المهمة كي تُنَمَّى الثقة والصداقة المتبادلة. كما يمكن إنشاء مؤسسات أبحاث حول إمكانات التعاون، ومراكز للحوار، وتبادل المعلومات، والقيام بأعمالٍ مشتركة في خدمة المجتمع. وأخيراً، تنشيط الوسائل التي تكثف الحوار وتعممه على عامة الشعب، لئلا يأتي محصوراً في فئةٍ خاصة.

■ إن التعليم الديني في المدارس يجب ألا يقتصر على ديانةٍ واحدة، بل أن يشمل الديانتين. . .

■ حتى إذا كانت المدرسة لا تضم إلا تلاميذ من ديانة واحدة، يجب أن يثقف هؤلاء التلاميذ حول الديانة الأخرى. . .

■ الزواج المختلط يعاني من ضغط العائلة الكبرى في اختيار ديانة دون الأخرى. فالمطلوب هو احترام متبادل عميق كي يتبين كل واحد المعتقد الذي يمليه عليه ضميره. . .

■ المريض الذي يحتاج إلى عناية خاصة، كثيراً ما يعتبر سانحة لكسبه على الصعيد الديني. وقد يضطر المريض إلى الخضوع لممارساتٍ دينية غريبة عن معتقده الشخصي، وذلك كثمن للعلاج الطبي. مثل هذا الاستغلال لضعف الآخرين يناقض روح الخدمة المجانية التي يقتضيها منا إيماننا)[١].

إن الجانب الاجتماعي يطغى على توصيات البيان، حيث تمليه المواجهات اليومية، والتنافس بين الدعوة والتنصير. وكأن هاجس المحاور المسلم في هذا المؤتمر إدانة عمليات التنصير التي كانت تجري على قدم وساق في تلك الحقبة، مستغلةً التخلف الاجتماعي في المجالات التربوية التعليمية والصحية والسياسية لدى المسلمين. وكأن هاجس المحاور النصراني محاولة إزالة الشعور بالنبذ والغربة، والسعي لتحقيق الندية في مجتمعات غالبية سكانها من المسلمين، ليتمكن من تنفيذ برامجه المختلفة، وتأنيس وجوده، إلى درجة المطالبة بتدريس ديانته في المدارس التي لا تضم سوى تلاميذ مسلمين كما هو الغالب، والعكس نادر.

وحيث الميزان العددي ليس في صالح مساعي الكنيسة، يحاول

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٥٨ ـ ٦١).

البيان التمييز بين الحوار والاجتذاب، فيقرر: (الحوار.. يختلف عن محاولة هداية الآخرين، ويقف موقف النقد منها، إذا ما اعتبرت عملية لكسب عددٍ أكبر في عضوية كل ديانة. هذه الممارسة التي تعتبر هداية الآخرين عملية حسابية وانتصاراً، هي مثل سيارة للاستعراض الافتخاري، وهي مناقضة لروح الحوار)[١]. ترى هل يعتمد مجلس الكنائس العالمي في إرسالياته هذه الروح؟

ندوة: «نظرة الأديان السماوية إلى الإنسان وإلى تطلعه نحو السلام»:

انعقدت هذه الندوة في جنيف «سويسرا» في الفترة ١٣ ـ ١٤ شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٣٠ ـ ٣١ أكتوبر ١٩٧٤م. وهي حلقة من سلسلة الندوات التي أقامها وفدٌ من علماء المملكة العربية السعودية في عددٍ من المدن الأوروبية[٢]. وكانت هذه الجولة مع فريقٍ من مجلس الكنائس العالمي. وقد تضمنت كلمة العلماء المباحث التالية:

- نظرة الإسلام الكلية حول: الله والكون والإنسان.
- نظرة الإسلام في استخلاف الله للإنسان على الأرض.
- خصائص خلافة الإنسان في الأرض في شريعة الإسلام.
- مبدأ السلام في الإسلام في العقيدة، في الحياة الخاصة، في الصلات بين الناس، في النظام العام، في الحكم.

مؤتمر: «الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو»:

انعقد هذا المؤتمر في قرطاج والحمامات والقيروان في تونس، في الفترة: ٢٥ شوال ـ ٢ ذي القعدة عام ١٣٩٤هـ، الموافق ١١ ـ ١٧

---

(١) المرجع السابق (٦١).

(٢) انظر أصل هذه الندوات ودواعيها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

نوفمبر ١٩٧٤م، برعاية مجلس الكنائس العالمي، ومركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية، وشارك في المؤتمر ثمانية وعشرون مسلماً، وأحد عشر نصرانياً. وقد غلب على لقاءات المؤتمر وبحوثه الطابع العلمي «الأكاديمي». ومن البحوث المقدمة:

رسالة الأديان في العصر الحديث، المشكل الديموغرافي والتطور الاقتصادي، مواقف القرآن بين المذاهب الاقتصادية المعاصرة، الإسلام والعنف، النتائج والتوقعات في دراسة الكتاب المقدس، النتائج والتوقعات في الدراسات القرآنية.

ولم يصدر عن المؤتمر بيان أو توصيات. وقد قام مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بطباعة محاضرات الملتقى باللغتين العربية والفرنسية[١].

مؤتمر «المسلمون والمسيحيون في المجتمع: لأجل الإرادة الحسنة، والتشاور والعمل معاً في جنوب شرق آسيا»:

انعقد هذا المؤتمر الثنائي في «هونغ كونغ»، في الفترة: ٢٠ ـ ٢٦ ذي الحجة ١٣٩٤هـ، الموافق ٤ ـ ١٠، يناير ١٩٧٥م، برعاية مجلس الكنائس العالمي، ولجنة الحوار الإسلامي المسيحي لجنوب شرق آسيا، والمؤتمر المسيحي في آسيا. وقد ضم اللقاء ثلاثة عشر مسلماً، وثلاثة وعشرين نصرانياً، وفدوا من دول جنوب شرق آسيا: أندونيسيا، وماليزيا، وسنغفورة، والفلبين[٢].

---

(١) انظر: الملتقى الإسلامي المسيحي (الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو): الجامعة التونسية. مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية. سلسلة الدراسات الإسلامية ٥ (١٩٧٦م).
المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية..
وانظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/26).

(٢) Dialogue Between christians and Muslims (1/27).

وهذا اللقاء الإقليمي لمنطقة جنوب شرق آسيا، جاء بعد قرابة خمسة أشهر من اللقاء الإقليمي لمنطقة غرب أفريقيا المعقود في غانا[1]، كما أنه يعكس ذات الاهتمامات والمشاكل في منطقة آسيوية يحتدم فيها الصراع والتنافس بين أتباع الديانتين، كما في غرب أفريقيا.

ومرة أخرى يصدر البيان المشترك بالتأكيد على أنه لا (يتكلم باسم أي منظمة أو جماعة دينية). وهو ملحظ يتكرر في المناشط التي يرعاها مجلس الكنائس العالمي.

وربما كان هذا البيان أطول بيان مشترك صدر عن مؤتمرات التقارب، فقد تجاوز عشر صفحات، وتطرق لجوانب متعددة في العلاقة بين الديانتين وأتباعهما من النواحي العقدية والتاريخية والاجتماعية، وقدم بعض الاقتراحات العملية.

فبحثاً عن أسس عقدية مشتركة يقول البيان:

(الأساس الدافع لعلاقة المحبة هذه يتجذر في الإله الواحد الأحد ذاته، الذي خلق جميع الكائنات البشرية أخوة وأخوات. فالمسلمون يشددون على أن الله الرحمن الودود يأمر المؤمنين به أن يكونوا رحماء، رؤوفين، محبين، في تعاملهم مع جميع الناس[2]. ولذلك فهم قادرون على أن يكونوا على هذه الصفات. والقرآن يعبر عن هذا الأمر، ويفصل الطرق التي تجعل المؤمنين يمارسونه في مختلف ظروف الحياة. والمسيحيون من جهتهم يشددون على أن محبة الله، التي

---

(١) تقدم قريباً (١١٤٩).

(٢) بل قد قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

ظهرت في عطاء ذاته من خلال شخص يسوع المسيح توجه المؤمنين به، وتؤهلهم أن يكونوا علاقة محبة مع كل البشرية. هكذا ومع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف المفاهيم، فإن كلا الديانتين الإسلامية والمسيحية تجدان رسالتهما نابعة من الله الرحيم الذي يُحِب ويُحَب...

المسيحية والإسلام، وكذلك اليهودية، هم في علاقة خاصة. إننا ننتمي جميعنا إلى أسرة إبراهيم الروحية «النبي إبراهيم»، ونحاول أن نكون أمناء ومطيعين لوصايا الله، بالتجاوب مع نعمته وفضله. لدينا على الصعيد اللاهوتي والأخلاقي عدة نقاط تقارب وشبه)[١].

لقد انتقى البيان من أوجه التقارب والشبه العقدي والخلقي، ما يناسب هدف اللقاء الذي (لا يعتبر الصراع وحده مأساة، بل التعايش السلمي ذاته عنصراً غير ملائمْ للحاجات الملحة... لا الصراع ومجرد التعايش فحسب، بل الإرادة الحسنة، والاستعداد للتداول معاً، والحماسة للتعاون في كل اتجاهٍ ممكن)[٢].

ومن ثم يندد البيان في مواضع متعددة بسوء استعمال القدرة أو السلطة من أجل اجتذاب الناس من معتقدٍ إلى آخر، ويدعو إلى التوافق السياسي، وإعادة النظر في القيم، لاستيعاب التغيرات الواسعة في مجتمعات سريعة النمو، وإبراز قيم معينة مثل: كرامة البشرية، وحقوق الأفراد الأساسية، والعدالة الاجتماعية، والحرية الدينية... الخ.

وينتقد البيان بعض صور المنافسات والامتيازات الخاصة، كما يشيد ببعض التجارب التعاونية، في أندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة، التي تمارس النفع العام، والخدمات الاجتماعية، دون تمييز على أساس ديني أو عرقي أو لغوي.

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٧٦، ٧٧).

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٧٥، ٧٦).

ويقف عند «التربية الدينية» للناشئة والشبيبة الذين ينتمون إلى مدارس يقوم عليها مخالفون في الدين، اتخذوا منها وسيلة لنشر إيمانهم، ليقرر أن عليها توفير معلمين من نفس الديانة، وإلا كان ذلك نوعاً من «الإكراه في الدين».

وتضمن البيان المستفيض توصيات متعددة منها:

المحافظة على سلطة القانون، المدافعة عن الصحافة الحرة والمسؤولة، المشاركة العادلة، والتمثيل الجيد في القيادة، التشارك في مواجهة الأخطار الأيديولوجية، تحقيق السلام في الوحدة الوطنية، التعاون معاً لإحياء القيم الدينية والخلقية، التعاون في برامج الإنماء والمحافظة على البيئة[١].

إنها صورة مكررة ـ رغم اختلاف المواقع وتباعدها ـ مع قرارات مؤتمر غانا، فاتفاق المعطيات يسلم إلى اتفاق النتائج. فالموقعان تقطنه أغلبية مسلمة متخلفة في الجوانب المدنية، وأقلية نصرانية متنفذة تتمتع بالإمكانات والتسهيلات التي تَرِدها من الغرب النصراني. الأولى تحاول صد الفتنة عن الدين بالإكراه المغري، والثانية تبحث عن الأمن المستقبلي الذي يمكنها من متابعة رسالتها التنصيرية، والبيان يعكس تطلعات الفريقين.

وقد أعقب مؤتمر هونغ كونغ هذا، مؤتمران تعزيزيان هما:

مؤتمر: «أصداء لقاء هونغ كونغ»:

عقد هذا المؤتمر في «مانيلا» عاصمة الفلبين، في الرابع من صفر عام ١٣٩٥هـ، الموافق السادس عشر من فبراير عام ١٩٧٥م، وحضره ستون مشاركاً[٢].

---

(١) انظر نص البيان كاملاً في البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٧٥ ـ ٨٥).

(٢) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية ـ الإسلامية تسلسل (٦٤).

مؤتمر: «الحوار الإسلامي ـ المسيحي»:

عقد في مدينة «مراوي» الفلبينية، في الفترة: ١٣ ـ ١٧محرم عام ١٣٩٦هـ، الموافق ١٥ ـ ١٩ يناير ١٩٧٦م، وحضره عشرون مشاركاً[(١)].

ولم يصدر عن المؤتمرين تصريح أو بيان مشترك.

مؤتمر: «التبشير، والدعوة الإسلامية»:

عقد هذا المؤتمر في «شامبيزي» في سويسرا، بمشاركة ثلاث جهات:

١ ـ مجلس الكنائس العالمي «لجنة الرسالة والبشارة».

٢ ـ المؤسسة الإسلامية في «ليستر» بريطانيا.

٣ ـ مركز الدراسات الإسلامية، والعلاقات الإسلامية المسيحية في جامعة سلي أوك ـ برمنجهام ـ في الفترة من ٢٨ جمادى الثانية إلى ٤ رجب عام ١٣٩٦هـ، الموافق ٢٦ يونيو إلى ١ يوليو عام ١٩٧٦م[(٢)].
وقد شارك في هذا المؤتمر أربعة من المسلمين المقيمين في بلاد الغرب، وتسعة نصارى. وقدمت بحوث في المواضيع التالية:

■ مفهوم ممارسة التبشير النصراني.

■ طبيعة الدعوة الإسلامية.

■ التجربة المسيحية عن الدعوة الإسلامية.

■ التبشير المسيحي في العالم الإسلامي، في إندونيسيا وشرق أفريقيا[(٣)].

وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي جاء فيه:

---

(١) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية ـ الإسلامية تسلسل (٧٢).

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٠٤ ـ ١٠٥).

(٣) Dialogue Between christians and Muslims (1/29).

(استناداً إلى واقع أن الرسالة والدعوة من الواجبات الدينية الأساسية في المسيحية والإسلام، جرى لقاءٌ حول «الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية»... وبعد تدارس مفهومي «الرسالة» و«الدعوة»، والتوقف على اختبار كل جماعة دينية نشاط الجماعة الأخرى على صعيد الرسالة والدعوة، وضع المشتركون في اللقاء كهدفٍ لهم تطوير التفاهم المتبادل بين المسلمين والمسيحيين، والبحث عن شروط التعايش التي تضمن خير الجميع الروحي)[١].

وكانت قضية «الحريات الدينية» محور الاتفاق بين الطرفين. ونتيجة لذلك قدم كل طرف «اعترافاً وأسفاً» للطرف الآخر؛ فمن الجانب الإسلامي:

(عبر المشتركون في اللقاء عن الأسف، عند اطلاعهم على حالة المسيحيين في بعض البلدان الإسلامية، حيث ثمة حدود لحريتهم الدينية، إذ منعوا من حق تشييد أمكنة عبادتهم: فالمسلمون المشاركون في اللقاء يعتبرون أن ذلك مناقض للشريعة الإسلامية، ولمبدأ الحرية الدينية)[٢].

بهذه السهولة استلَّ النصارى هذا الحكم الجائر الجريء من محاوريهم المسلمين، الذين يجهلون أو يتجاهلون أحكام معاملة أهل الكتاب في الشريعة الإسلامية، التي تمنع إحداث كنائس لهم، وخصوصية بعض البقاع الإسلامية، كجزيرة العرب عموماً، والحرمين خصوصاً، كما هو مبين في كتب الفقه والأحكام السلطانية[٣]، ودون أن يكشفوا مثل هذه المحظورات وأشد منها في بعض بلاد النصارى.

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٠٥).
(٢) المرجع السابق (١٠٥ ـ ١٠٦).
(٣) انظر مبحث (حكم الإسلام في أهل الكتاب) في التمهيد.

وبالمقابل سجل النصارى في هذا المؤتمر اعترافاً تاريخياً هذا نصه:

(عبّر المشتركون المسيحيون تجاه إخوانهم المسلمين عن عاطفتهم وأسفهم لجميع المساوىء التي عانها العالم الإسلامي من قبل المستعمرين القدامى والجدد والمتواطئين معهم)[1]، ثم طفق البيان يعدد أسباب تردد المسلمين في تطوير العلاقات مع النصارى وريبتهم في نواياهم، فمنها:

■ خدمة الإرساليات النصرانية مصالح الاستعمار في القرن المنصرم.

■ استغلال النصارى للخدمات المقدمة في حقول التربية والصحة والثقافة والشؤون الاجتماعية، والأزمات السياسية، والتبعية الاقتصادية لدى المسلمين، لأغراض التنصير.

وقد أعلن النصارى شجبهم، وتبرؤهم من «الدياكونيا» أي الاستغلال الخِدمي لأغراضٍ أخرى، فجاء في البيان:

(والمشتركون المسيحيون، باسم المسيحية، يتبرؤون من كل خدمة تشوهت في استهدافها غاية غير المحبة «محبة الله والقريب»، ويعلنون أن كل «دياكونيا» لها دوافع أخرى هي أداة دعاية لا تعبير عن المحبة. وهم مستعدون أن يمارسوا كل إمكانات التأثير التي يملكونها من أجل تكثيف الوعي لهذا الواقع لدى الكنائس والتنظيمات المسيحية.

● انطلاقاً من الوعي المؤلم لدى المشتركين في اللقاء لما آلت إليه مواقف المسلمين تجاه الرسالة المسيحية، بسبب سوء استعمال «الدياكونيا» فإنهم يدعون بكل قوتهم الكنائس والتنظيمات المسيحية لكي

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٠٦).

تضع حداً للنشاطات «الدياكونية» المنحرفة في العالم الإسلامي. وإن إجراءً جذرياً كهذا لضروري من أجل تصحيح جو العلاقات الإسلامية المسيحية، وتوجيهها نحو الاعتراف المتبادل، التعاون اللائق بين الديانتين الكبيرتين)[١].

وقد يبدو هذا الاعتراف، وذلك الأسف، والشجب، والتنديد، والتعهد من الجانب النصراني، نصراً مؤزراً، وفتحاً مبيناً، تم على أيدي المحاورين المسلمين، إلا إنه في الحقيقة اعتراف ضمني بشرعية التنصير، وحصر للخطأ والانحراف في صورة فرعية، وهي استغلال الخدمات لغرض التنصير. أما التنصير نفسه أو ما يسميه البيان «الرسالة المسيحية» فلا غبار عليها، وتستحق نظرةً جديدة.

وتتضح خطورة هذا «الكمين» وفداحة الثمن بالتوصية التالية:

(يوصي المشتركون في اللقاء بعد تطبيق الإجراءات المذكورة... بأن يدعى المسيحيون والمسلمون للاشتراك في «جمعية تمثيلية» للديانتين، من أجل تدارس الطرق المعتمدة في الرسالة والدعوة، والأنظمة المتبعة في كل ديانة، والتباحث في الأساليب التي تسمح لكل ديانة أن تمارس الرسالة أو الدعوة وفقاً لإيمانها الخاص بها.

ويعترف المشتركون في اللقاء بأن الرسالة والدعوة هما من الواجبات الدينية الأساسية في المسيحية والإسلام)[٢]. فهل ظن أولئك النفر من المسلمين الفكريين[٣] أنهم إذا سوغوا للنصارى دعوة التثليث، وتأليه المسيح، أنهم سيهجرون «الدياكونيا»؟ لقد أثبتت السنوات اللاحقة بطلان أمانيهم.

---

(١) المرجع السابق (١٠٦ ـ ١٠٧).

(٢) المرجع السابق (١٠٧).

(٣) منهم: إسماعيل الفاروقي، وخورشيد أحمد.

مؤتمر: «التخطيط للحوار الإسلامي المسيحي: الأشكال الراهنة والمستقبلة»:

عقد هذا اللقاء التخطيطي في «كارتيني» في سويسرا، في الفترة: ٢٥ ـ ٢٨ شوال عام ١٣٩٦هـ، الموافق ١٩ ـ ٢٢ أكتوبر عام ١٩٧٦م. وقد شارك فيه بصفة مراقب اثنا عشر مسلماً، واثنا عشر نصرانياً، مع الفريق الإداري لمجلس الكنائس العالمي (من أجل وضع مخططٍ مشترك للخطوات القادمة في الحوار المسيحي ـ الإسلامي)[١].

وقد سجل المشاركون في مستهل البيان الختامي الملاحظة التالية:

(.. بالرغم من تزايد المبادرات من قبل الجانبين الإسلامي والمسيحي على الصعيد العالمي والإقليمي والمحلي، لا تزال المشكلة قائمة عند الكثيرين من المسلمين والمسيحيين الذين يتخوفون من فكرة الحوار..

يستطيع بيان الأهداف هذا أن يبدد التخوفات والشعور بالغبن والحرمان، وأن يقدم أمثلة عن مختلف الاختبارات والتطلعات لدى الرفاق في الحوار الإسلامي ـ المسيحي)[٢].

ومن ثم فقد جاء هذا المؤتمر في مذكرته الختامية تلخيصاً لمقررات مؤتمرات حوار سبقته، وتخطيطاً مشتركاً ـ بقصد رفع الريبة ودفع التهمة ـ لمرحلة تتبعه.

فكرر القول بالاحترام المتبادل، ورفض التوفيقية والاجتذاب، وترجمة هذه المبادىء إلى ممارساتٍ عملية في حقل التربية والتعليم، والحياة العائلية، ثم في العبادات والصلاة، مع التنويه، لأول مرة، بالتمييز بين «الصلاة» و«الدعاء» عند المسلمين، ورغم ذلك دعا البيان المشترك قائلاً:

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١١١).

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١١١).

(إننا نشجع المشاركة المناسبة في الاحتفالات الدينية، بعضنا لدى البعض الآخر. ورغب بعضنا في أن يُسمح له بالوجود الصامت في أوقات عبادة الجانب الآخر. كما أن بعضنا شارك في الصلوات والأدعية والتأملات، وصلى على نية بعضنا الآخر، ما دمنا نصلي للإله الواحد الأحد، ونؤمن أنه موجود داخل حوارنا. بالرغم من التردد والصعوبات، يجب أن نكون منفتحين لنتعلم، بعضنا من بعضنا الآخر، كيف نضع إيماننا تحت هداية الله)(١).

كل ما سبق يندرج تحت بندي: «التهيئة للحوار» و«العيش في حوار» مما سبق تناوله في مؤتمراتٍ سابقة. ويبدو أن الحرب الأهلية اللبنانية التي اضطرمت نارها بين المسلمين والنصارىٰ قبل عامٍ تقريباً من عقد هذا المؤتمر، قد لفحت وجوه المؤتمرين، فجاء البند الثالث موجِهاً للحوار في الموضوعات الاجتماعية السياسية على صيغة تساؤلات حول تنظيم المجتمع، والحقوق المتساوية، وتكافؤ الفرص. بل يأتي السؤال هكذا: (عندما يعيش مسيحيون ضمن أكثرية إسلامية، يجب أن يتساءلوا كيف يرون دورهم كمواطنين؟) دون أن يعكس السؤال بالنسبة للأقليات المسلمة المضطهدة، وربما الأكثريات، في مناطق متعددة من العالم.

ثم ينص البيان على قضية «الإيمان والسياسة» في لبنان، ودور النصارىٰ العرب، ويقترح تنظيم مؤتمر مصالحة وسلام، وتنظيم وفودٍ مشتركة لزيارة بقية مناطق التوتر بين المسلمين والنصارى في العالم، بعد إشارة إلى وضع المسلمين في أوربا.

أما البند الرابع فقد عني بموضوع «اللاهوت والحوار». وهو جانب لم تزل المؤتمرات التي يرعاها مجلس الكنائس العالمي ـ خلافاً

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١١٣).

للفاتيكان ـ تتطرق إليها. وقد عالج المؤتمر أربع مسائل: الوحي، المواقف الدينية المتبادلة، الإيمان والعلم والتكنولوجيا، والرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية. ولكنه لا يضيف جديداً، بل يثير تساؤلات، ويقترح عناوين أبحاثٍ مستقبلية، ومؤتمرات لفقرات معينة، فقط.

وبالفعل فقد تمخض عن مقترحات كارتييني عقد مؤتمرين هما:

مؤتمر: «في سبيل المصالحة والسلام والعدالة في لبنان»:

وقد انعقد بالتعاون بين مجلس الكنائس العالمي و«سودباكس» SODEPAX، في جنيف ـ سويسرا، في جمادى الثانية عام ١٣٩٧هـ، الموافق يونيو ١٩٧٧م، ضم اثني عشر مسلماً، واثني عشر نصرانياً، وبعض الدروز[١].

مؤتمر: «الإيمان، والعلم، والتقنية، ومستقبل الإنسانية»:

وقد انعقد هذا المؤتمر في بيروت، والحرب الأهلية على أشدها، في الفترة ٢ ـ ٦ ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ، الموافق ١٤ ـ ١٨ نوفمبر عام ١٩٧٧م، تحت رعاية المجلس فقط، وشارك فيه ستة مسلمون، وأحد عشر نصرانياً. وطرحت فيه موضوعات حول الإيمان والعلم والمستقبل، والمفاهيم البيئية والاجتماعية والسياسية[٢].

ويعد هذا اللقاء تحضيراً لملتقىً عالمي كان يزمع عقده في يوليو عام ١٩٧٩م يحمل نفس العنوان.

مؤتمر: «التعايش الإسلامي ـ المسيحي»:

عقد هذا اللقاء التخطيطي بين الجانبين في «شامبيزي» ـ سويسرا، في الفترة: ١٣ ـ ١٥ ربيع الثاني عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٢ ـ ١٤مارس

---

(١) انظر: البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١١٥) «حاشية».

(٢) Dialogue Between christians and Muslims (1/32).

عام ١٩٧٩م، وشارك فيه خمسة من المسلمين، وعشرة من النصارى، وكانت أجواء العلاقات الإسلامية النصرانية لا تزال مشحونةً بالتوتر والمصادمات في مواقع كثيرة من العالم كلبنان والفليبين وإرتريا وغيرها، مما دعا المؤتمرين إلى التنويه بذلك في مستهل بيانهم الختامي، وتأثيره السلبي على الحوار: (علينا أن ننتبه إلى الاختلاف في الأوضاع التي يعيشها المسلمون والمسيحيون. فليس هناك نموذج واحد للعلاقات بين المسيحيين والمسلمين في مختلف أنحاء العالم. فننتظر منهم في كل موضعٍ، أن يتفقوا على الخطوات، ويختاروا النهج في التزامهم المشترك على صعيد الحوار أو العمل. لكننا ندرك مدى المشاركة في التاريخ الماضي، ونعي إمكانية نموها في المستقبل المشترك. . .

علينا أن نعي مواقف الريبة، التي لا تزال تحيط بالحوار عند بعض المسيحيين والمسلمين. .)[1].

وقد أضاف هذا المؤتمر ثلاثة أمور جديدة مقارنةً بالمؤتمرات السابقة:

١ ـ الدعوة إلى التقليل من النشاط الدعوي والتنصيري.

(إن نشاطات الرسالة المنظمة تحدث علاقات توتر بين المسيحيين والمسلمين، وتخلق اهتماماً متزايداً. ففي سبيل تعزيز الثقة والأمل، ومن أجل إنشاء علاقاتٍ أفضل في المستقبل، يجب تخفيف مثل هذه النشاطات. على كل، يجب توفير التعليم والمواقف الإيجابية، ليتعرف بعضنا إلى إيمان بعضنا الآخر)[2].

٢ ـ الاستدراك والتوضيح على ما سبقت الدعوة إليه في كارتيني ١٩٧٦م، ولاغون ١٩٧٤م، وبرمّانا ١٩٧٢م، من «الصلاة المشتركة»:

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٣١).

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٣٢).

(نرغب في أن نتجنب الوقوع في أي التباس أو خلطٍ عقائدي قد ينتج من محاولات الصلاة المشتركة. يمكننا ولا شك أن نطلب بركة الله على كل ما نقوم به معاً. وأن يصغي كل جانبٍ منا إلى تعاليم كتبه المقدسة)[1].

٣ ـ اقتراح برامج عملية على مدى سنتين أو ثلاث، تحت مسمى «التعايش المسيحي ـ الإسلامي»، تتضمن مكاتبات وتقارير وزيارات ولقاءات، للتهيئة داخل الجماعة كمرحلة أولى عام ١٩٧٩م، يعقبها مرحلة ثانية (١٩٧٩م ـ ١٩٨١م) تتضمن برامج ومشاريع مشتركة، في مؤتمراتٍ ثنائية، تشرف على كل مؤتمر منظمة إسلامية أو نصرانية، وقد سمى البيان المشترك جملةً من الموضوعات المقترحة، وبعض الجهات المرشحة لعقدها وتنظيمها مثل:

▪ الدولة الإسلامية والأخوة البشرية. إشراف: منظمة إسلامية.

▪ المسلمون والمسيحيون العرب العائشون معاً. إشراف: مجلس كنائس الشرق الأوسط.

▪ هاجس التربية الدينية. إشراف: هيئات إسلامية ومسيحية.

▪ قيم الحياة العائلية في توجه ثقافي. إشراف: منظمة المؤتمر الإسلامي.

▪ القدس وتطلعات المسيحيين والمسلمين. إشراف: منظمة المؤتمر الإسلامي.

▪ لقاءات تعليمية عن الإسلام والمسيحية. إشراف: مركز الدراسات الإسلامية والعلاقات المسيحية الإسلامية في جامعة «سلي أوك» برمنجهام.

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٣٢).

■ اهتمامات مشتركة حول حقوق الإنسان. إشراف: «برنامج الإسلام والغرب».

■ الإيمان والروحيات في العالم المعاصر. مؤتمر موجه للشبيبة بإشرافٍ مشترك.

■ الأخلاقيات وممارسات برامج المساعدة الاقتصادية والإسعاف الإنساني. إشراف: منظمة علمانية تنموية.

■ تشاركٌ في خبرات وتطلعات أخلاقية بهدف تجديد الأساليب المصرفية.

■ متابعة مؤتمر: «الإيمان والعلم والمستقبل» العالمي الذي سيعقد في عام ١٩٧٩م. بإشراف مشترك.

أما المرحلة الثالثة من هذه الخطة (١٩٨٠م ـ ١٩٨١م) فتتوج بعقد مؤتمر عالمي حول التعايش الإسلامي ـ المسيحي، بإشراف منظمات مشتركة، قد يكون جزءاً من احتفالات بدء القرن الخامس عشر الهجري ـ على حد تعبير البيان[1] ـ.

ورغم الحماس المنظم الذي رافق أعمال المؤتمر بغية تفعيل التقارب والتعايش بين الجانبين، وشموله مرافق شتى، ومحاولة زرع الثقة، إلا إن المفاجأة للمتتبع مناشط مجلس الكنائس العالمي يلحظ فترة خمود وتوقف، أعقبت طفرة المؤتمرات التي تتابعت في السبعينيات، واستمرت الفترة مدة سبع سنوات، لم يتخللها سوى مؤتمر واحد عقد في كولومبو عام ١٩٨٢م. ولعل جهود المجلس انصبت على الانهماك في العمل الاجتماعي، بعد أن اختمرت فكرة الحوار، وعلاقته بالبشارة لدى قادة الحركة المسكونية، كما تعبر عنه بدقة

---

(١) انظر: البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٣٣ ـ ١٣٤).

توصيات اللجنة العامة للمجلس، المنعقدة في «جامايكا» مطلع عام ١٩٧٩م. وفيها: (إن الحوار ليس مجرد نشاط اجتماعات ومؤتمراتٍ في عالمٍ للنصارى فيه جيران كثيرون. إنه أسلوب حياةٍ لإيماننا النصراني، مرتبطين ومختلطين بأولئك الجيران الذين نشاركهم في المدن والشعوب والأرض بمجموعها. الحوار أسلوب حياة مرتبطة بالجيران. وهذا لا يحل محل، ولا يحدد، واجبنا في الشهادة..

يجب متابعة الحوار بالمساهمة في الأعمال العامة في المجتمع: النشاطات العامة، والخبرات هي أكثر الأمور مناسبة للحوار حول قضايا: الإيمان والنظريات والسلوك، ومن خلال البحث عن مجتمع عادل للبشر جميعاً)[١]

مؤتمر: «المسيحيون والمسلمون العائشون العاملون معاً: المبادىء الأخلاقية والممارسات في حقل البرامج الإنسانية والتنموية»:

انعقد هذا المؤتمر الثنائي في كولومبو ـ سيرلانكا ـ في الفترة ٣ ـ ٥ جمادى الثانية عام ١٤٠٢هـ، الموافق: ٣٠ مارس ـ ١ أبريل عام ١٩٨٢م، وشارك فيه ثلاثة وثلاثون مسلماً، وثلاثون نصرانياً. وخلافاً للمحاولات السابقة لمجلس الكنائس العالمي في محاورة أفرادٍ مسلمين ليس لهم صفة رسمية تمثيلية، جاء هذا المؤتمر منظماً مع: «المؤتمر الإسلامي العالمي» في كراتشي. كما أرسل إلى المؤتمر مراقبون وبرقيات من: «الأمانة العامة للعلاقات مع غير المسيحيين ـ الفاتيكان» و«منظمة المؤتمر الإسلامي» ـ جدة ـ واليونسكو ـ باريس[٢].

---

(١) إرشادات توصي بها الكنائس للدراسة والتطبيق (٢٦، ٢٩).
وانظر: فصل حقيقة التقريب عند مجلس الكنائس العالمي في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٤٤).

وقد استهل البيان الختامي بفقرات تشي بفشل المحاولات السابقة لتحقيق التقارب، وتتحدث بصراحة عن الدوافع العميقة التي تحرك الجانبين لطلب الحوار: (اعترف الجميع أن عوائق كثيرة لا تزال تعترض الطريق من دون تعاونٍ أدنى بين المسلمين والمسيحيين، وجرت مناقشات صريحة حول مواقف الحذر والريبة التي تحدثها معاكسات الحقوق الثقافية والدينية، أكان ذلك ضمن الأكثريات أو الأقليات. كما تحدث الجانبان عن هاجس سوء استعمال بعض الخدمات الإنسانية، إذ يحاول مقدموها بالإقناع الغاصب أو الخاطىء أن يغيروا ديانة الآخرين. . .

ويشعر المسيحيون في بعض الأمكنة أنهم غير مقبولين، كمواطنين كاملي الحقوق، من قبل المسلمين، في حين اعترف المسيحيون في أمكنة أخرى أنهم مسؤولون عن إثارة الشعور ذاته لدى المسلمين. أما الهاجس الأكبر الذي أبداه المسيحيون فكان إرادتهم أن لا تؤثر المخاوف والتشويهات الماضية في الحاضر والمستقبل لذلك كان عليهم أن يبذلوا جهوداً ملحوظة من أجل تفاهم أوثق وتعاون أكثر فاعلية مع المسلمين)[١].

وهكذا بعد قرابة عشرين عاماً من المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م)، وقرابة ثلاثين عاماً من أول نداء أطلقه مجلس الكنائس العالمي للتعاون الإسلامي المسيحي في «إيفانستون» عام ١٩٥٤م، تظل مشاعر الريبة والحذر والتهمة تساور الطرفين ـ باعترافهما الرسمي في البيانات المتعاقبة ـ ويلتقيان ليندد أحدهما بالتنصير المعتمد على الإغراءات، ويشكو الآخر من النبذ ووصمة العار التاريخية.

وقد دعا البيان الختامي إلى: (ضرورة تحقيق ما يلي:

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٤٥ ـ ١٤٦).

إصدار إدانة صريحة للاعتداء على الشعب الفلسطيني الذي هجِّر من أرضه، وعانى الظلم والاضطهاد، وإدانة أخرى لاجتياح أفغانستان، ولاضطهاد المسلمين في مختلف أنحاء العالم، لا سيما في جنوبي الفليبين)[١].

ورغم أن البيان تحاشى ذكر الجهات المعتدية إلا أنه يعد موقفاً متقدماً إذا ما قورن بموقف الفاتيكان من مقررات مؤتمر طرابلس عام ١٩٧٦م[٢].

ثم اتخذ البيان المشترك توصيات على ثلاثة أصعدة:

أولاً: حول التعاون المسيحي ـ الإسلامي، وتعزيز الحوار، وأن يطلب من ممثلي الجانبين: «المؤتمر الإسلامي العالمي»، و«مجلس الكنائس العالمي» تأليف لجنة مشتركة مهمتها توضيح الأهداف والطرق والوسائل، واكتشاف العوائق والصعوبات في الحوار.

ثانياً: مشكلة المهجَّرين الذين يمثل المسلمون ثلاثة أرباعهم.

ثالثاً: مشكلة الأقليات، وتأمين الحرية الدينية لكل أقلية[٣].

مؤتمر: «الدين والمسؤولية»:

عقد هذا المؤتمر بمبادرة من مجلس الكنائس العالمي بعد سبع سنوات عجاف، في «بورتو نوفو» عاصمة دولة «بنين» في الغرب الإفريقي، في الفترة: ٢٠ ـ ٢٤ جمادى الثانية عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٣ ـ ٧ مارس عام ١٩٨٦م. وهو مؤتمر إقليمي خاص بالدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية. وقد شارك فيه سبعة وثلاثون أفريقياً؛ ستة عشر

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٤٥ ـ ١٤٦).
(٢) راجع محاولات الكنيسة الكاثوليكية، المبحث الثاني من هذا الفصل.
(٣) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٤٦ ـ ١٤٩).

مسلماً، وواحد وعشرون نصرانياً، وصدر عنه بيان غامضٌ مقتضب جداً يحمل نزعة إقليمية[١].

مؤتمر: «الدين والدولة، الدين والتربية»:

عقد هذا المؤتمر الثنائي في «ذيانابورا» في جزيرة «بالي» بأندونيسيا، بمبادرة مشتركة من مجلس الكنائس العالمي، ومنظمة «إيمان وشعوب حية»، وحضره أربعون مشاركاً[٢]، في الفترة: ٤ ـ ٩ ربيع الآخر عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٦ ـ ١١ ديسمبر عام ١٩٨٦م.

مؤتمر: «الدين والمجتمع»:

عقد هذا المؤتمر في «كلمباري» في جزيرة «كريت»، في الفترة: ٣ ـ ٧ صفر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٧ سبتمبر ـ ١ أكتوبر عام ١٩٨٧م، بمشاركة اثنين وثلاثين مسلماً ونصرانياً بالتساوي[٣].

مؤتمر: «التعددية الدينية»:

عقد في نيودلهي في الهند، في الفترة: ٣٠ ربيع الأول ـ ٦ ربيع الآخر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٢ ـ ٢٨ نوفمبر عام ١٩٨٧م. وقد حضره ممثلون لأديان عدة[٤].

مؤتمر: «الدين والشريعة والمجتمع»:

عقد هذا المؤتمر الثنائي في جنيف ـ سويسرا، في الفترة ١٤ ـ ١٨ جمادى الثانية عام ١٤١٣هـ، الموافق ٩ ـ ١٣ ديسمبر عام

---

(١) انظر: البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٥٧).

(٢) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية ـ الإسلامية. رقم التسلسل (١٨١)، (١٩٤) على التوالي.

(٣) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية ـ الإسلامية. رقم التسلسل (١٨١)، (١٩٤) على التوالي.

(٤) اللوحة السابقة، تسلسل: (١٩٨)، (٢٥١) على التوالي.

١٩٩٢م، وحضره ثمانية عشر مشاركاً من الجانبين[١].

نقد وتحليل:

كانت محاولات مجلس الكنائس العالمي للتقريب بين الأديان صدىً لما يتردد في ردهاته من منازعاتٍ حول مشروعية التقارب وجدواه. فقد واكبت هذه المحاولات المراحل التي سبقت الإشارة إليها في الباب الأول.

١ ـ ففي مرحلة الدراسة: تم استطلاع موقف بعض النصارى من خلال ثلاثة ملتقيات: جنيف ١٩٦٨م، كارتيني ١٩٦٩م، عجلتون ١٩٧٠م، وأطلقت فيها عدة تساؤلات دون إجابة.

٢ ـ وفي مرحلة التجربة، جرب المجلس من خلال مؤتمراته المتتابعة كل شيء:

- الحوار في مسائل الاعتقاد.
- المشاركة في حضور الصلوات لدى الطرف الآخر.
- المشاركة في الأنشطة الاجتماعية.
- النقاش في الممارسات التنصيرية.

لقد أدرك المجلس أنه أمام دين لا يمكن اختراقه أو احتواؤه. فمن ثم أقلع عن المضي في الحديث عن الحوار الذي طبع معظم لقاءات السبعينيات.

ومن الناحية الموضوعية تردد في البيانات المشتركة لمؤتمرات هذه الحقبة: التحذير من التلفيقية، وذكر العقائد المميزة لكل جانب، إدانة استغلال الخدمات الإنسانية لأغراض الاجتذاب الديني، الحرية الدينية،

---

(١) اللوحة السابقة، تسلسل: (١٩٨)، (٢٥١) على التوالي.

التعاون في مجالات التنمية والخدمة الاجتماعية، والاعتراف المستمر بوجود رواسب الريبة والحذر لدى الجانبين.

ويلاحظ على محاولات المجلس في هذه المرحلة من الناحية التنظيمية أنه ينأى عن الجهات الحكومية، والهيئات الرسمية، ويختار محاوريه من الجانب الإسلامي بصفتهم الشخصية، ويشركهم أحياناً في التخطيط.

٣ ـ أما المرحلة الثالثة: فقد كف المجلس عن عقد المؤتمرات العلائقية، واتجه نحو موضوعاتٍ محددة خلال الثمانينيات والتسعينيات من جنس: الدين والمجتمع والتعددية، الدين والدولة، الدين والتربية، التعايش.



المبحث الرابع

محاولات التقريب بين الأديان في أوروبا الغربية

إلى جانب المحاولات العالمية للتقريب بين الأديان الصادرة من الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي، وكلاهما أوروبي المنشأ، ثَمَّ محاولات أوروبية متعددة بعضها ذات صفة عالمية أيضاً، وكثير منها ذات صفة إقليمية، برزت في العقود التالية لانعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي فتح الطريق أمامها للحوار مع غير النصارى. ولكن السبب الرئيسي وراء هذه الظاهرة، هو حركة الهجرة الواسعة التي اجتاحت أوروبا الغربية، سيما دول الشمال، من قبل العمالة الوافدة، وكثيرٌ منهم من أبناء البلدان الإسلامية.

وقد تمت الموجة الأولى في الهجرات في الفترة من ١٩٦٢م، حتى ١٩٧٤م، ثم فترت بسبب بعض الركود الاقتصادي بضع سنوات، وعادت إلى الظهور والنمو، حتى بلغت ذروتها في أواخر السبعينيات، وزادت أعداد المسلمين بسبب انضمام أسرهم إليهم، وباتوا يشكلون تجمعات ملفتة في عددٍ من الدول الأوربية. هذا فضلاً عن المهاجرين القدامى من شبه القارة الهندية في المملكة المتحدة، أو المسلمين الأوروبيين من سكان أوروبا الشرقية، أو القلة الذين اعتنقوا الإسلام من الأوربيين الغربيين لاتصالهم بالمسلمين إبان الاستعمار الأوروبي.

هذا الواقع الاجتماعي الجديد حمل مؤسسات دينية وأهلية وحكومية، في أوروبا، على الاهتمام بالقادمين الجدد الذين يحملون معهم خصائص عقدية وثقافية واجتماعية مغايرة للوسط المحيط، فضلاً

عن أنهم، رغم اضطرارهم ولجوئهم إلى الهجرة والعمل، وأحياناً في أعمال دنيئة، يحملون معهم شعوراً بالتفوق الروحي، والانتماء الديني، الذي حملهم على محاولة تكييف أوضاعهم الاجتماعية لإقامة شعائر دينهم، وإنشاء المساجد، والمدارس الخاصة، خشية الذوبان في المجتمع الجديد.

كما أن «الجيل الثاني» من أبناء المهاجرين، الذين ولدوا وتعلموا في المدارس الأوروبية باتوا يشكلون معضلةً اجتماعية، للازدواجية التي يعانونها من جراء التجاذبات بين أخلاق أسرهم وبيوتهم المحافظة، وثقافة وممارسات المجتمع الأوروبي المتحرر.

وأخيراً فإن حركة الإسلام العالمية، والأحداث السياسية الكبرى في العالم، وتصرفات بعض المسلمين الصائبة أو الخاطئة، تلقي بظلالها على الوجود الإسلامي في أوروبا، وتبعث المزيد من الاهتمام بالإسلام، سواءً على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي، في الأوساط الدينية والعلمانية الأوروبية.

وبالنسبة للكنائس الأوروبية المحلية، كانت أعداد المهاجرين المتزايدة تجلب معها عدداً من الإشكالات حول كيفية التعامل مع القادمين الجدد من النواحي الاجتماعية، والروابط، والأخلاق، كالانتماء، واللباس، وأماكن العبادة، والزواج، والتغيب عن العمل في الأعياد، ومواجهة الأفكار المسبقة، والاستغلال، والتمييز العنصري... الخ[١].

ومن جانب آخر وهو الأهم، بل هو الباعث الحقيقي على اهتمام الكنائس بأمر الإسلام في أوروبا، التأثر المعاكس، أي تأثر الأوروبيين أنفسهم بالإسلام واعتناقهم إياه من جراء مخالطة المسلمين، والوقوف

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 38 - 39.

عن كثب على حياتهم الإيمانية والاجتماعية والخلقية المتميزة، مما أثار فزعاً حقيقياً لدى مختلف الطوائف النصرانية في أوروبا، من الإقبال على اعتناق الإسلام بشكل مطرد، من الأوروبيين الأصليين أنفسهم، في الوقت الذي لا تستطيع فيه النصرانية مواجهة الإسلام من الناحية العقدية، ولا الناحية القانونية، حيث تسود أوروبا بصفة عامة مبادىء الحرية والديموقراطية وتكافؤ الفرص.

وكان أول لقاء نصراني لتدارس وضع المسلمين في أوروبا قد انعقد بمبادرة من الفاتيكان، الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين، في «اللوكسمبورغ»، في مارس عام ١٩٧٤م. ثم تبعه لقاء في «مودلنغ» في النمسا، في نوفمبر عام ١٩٧٦م. وقد دعي إليه المسلم النمساوي ـ من أصل بوسني ـ الدكتور إسماعيل باليك، ليجيب في محاضرته عن السؤال التالي: (ماذا يتوقع المسلمون في أوروبا من الكنيسة؟).

وفي فبراير عام ١٩٨٧م، خصص مجلس الكنائس الأوروبي (C.E.C)[١] أولى مشاوراته في مدينة «سالزبورغ» للحديث عن: «الكنيسة والمسلمون في أوروبا». وفي السنة التالية، في الاجتماع المعقود في «كريت» عام ١٩٧٩م أنشأ مجلس الكنائس الأوروبي لجنة استشارية للإسلام في أوروبا (C.C.I.E)[٢]. ونظراً لكون الكنيسة الكاثوليكية غير ممثلة في مجلس الكنائس الأوروبي، فقد برزت الحاجة إلى تكوين لجنة أوسع تمثيلاً، فكانت:

---

(١) هو تنظيم كنسي مسكوني، يضم مائة وعشرين كنيسة في عضويته، أما الكنائس الكاثوليكية فرغم أنها ليست عضواً فيه، إلا إنها لعبت دوراً كبيراً في جميع مناشطه.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 39.

(لجنة «الإسلام في أوروبا») Islam in Europe Committee

تألفت هذه اللجنة الأوروبية الموحدة عام ١٩٨٦م من مجلس المؤتمرات الأسقفية الأوروبية (C.C.E.E)، والفيدرالية الأوروبية لمؤتمرات رؤساء الأساقفة الكاثوليك، ومجلس الكنائس الأوروبي، تحت مسمى «لجنة الإسلام في أوروبا»، بواقع عشرة أعضاء من الفيدرالية، وأربعة عشر عضواً من مجلس الكنائس الأوروبي. كما منح كلاً من الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، والوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب المثل والعقائد الحية التابعة لمجلس الكنائس العالمي، صفة مراقب، وبذلك مثلت جميع الكنائس الأوروبية الشرقية، والغربية في مجلسٍ واحد، بما يتزامن والاتجاه السائر إثر أحداث أوروبا الشرقية وتفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩م، نحو «أوروبا الموحدة».

اقتصرت اللجنة على مهمة أساسية، وهي إدخال الدراسات الإسلامية، والعلاقات الإسلامية المسيحية، بصورة أكثر فاعلية في برامج الدراسات للكليات اللاهوتية، ومراكز التدريب، والحلق الدراسية النصرانية. وعقدت في هذا الصدد أربعة مؤتمرات استشارية عالمية في كل من هولندا وإيطاليا وروسيا وبريطانيا، ثم جمعت حصيلة هذه اللقاءات عام ١٩٩١م، وقدمت في تقرير إلى الكنائس في أوروبا، ترجم إلى ست لغات، بعنوان: «وجود المسلمين في أوروبا، والتوجه اللاهوتي للعاملين الراعويين» جاء فيه:

(إنهم ـ أي المسلمين في أوروبا ـ منظمون جيداً في جميع البلدان الأوروبية، لديهم مساجد، وقاعات صلاة، ومدارس خاصة، مراكز للدراسات القرآنية، جرائد ونشرات ومعلومات، وأئمتهم ومفكروهم. كل هذا يسمح لهم، بالرغم من حياتهم الأقلية، أن يسيروا الحياة براحة، بتقاليدهم، كما يحملوا الشهادة لمعتقداتهم الدينية.

هذا التطور أيضاً له نتائج على المجتمع العلماني. إن جميع الدول الأوروبية قد بنيت على تقاليد متأثرة بقوة بالمسيحية، ومنذ الثورة الفرنسية بالقوانين التي تكفل تساوي جميع الأفراد، وبالنظام الديموقراطي. وبهذا الاعتبار كونت الدول الأوروبية تكاملاً دينياً وسياسياً حضارياً...

إن الأفكار والواقع لـ: «الأمة»، «الدولة»، «الدين» عريقة جداً في أوروبا، بينما المهاجرون المسلمون يقدمون من مناطق تميزت بفكرة مغايرة للدولة والمجتمع، ودون ممارسة لذات التطور الثقافي «مثلاً، التنوير» الذي عرفه المجتمع في البلدان المضيفة)[١].

وهذا النص من التقرير يلمح إلى حجم الإشكالات المستقبلية التي تتوقعها الكنائس الأوروبية من جراء تنامي الوجود الإسلامي في أوروبا، ولذا فقد وجهت الفيدرالية الأسقفية الكاثوليكية (C.C.E.E)، ومجلس الكنائس الأوروبي (C.E.C) في لقائهما المنعقد في مايو ١٩٩٣م اللجنة لتوسيع جهودها لتشمل:

١ ـ تكيف الزيجات بين المسيحيين والمسلمين.

٢ ـ العلاقة بين الدين والسياسة.

٣ ـ توجيهات للحوار المسيحي الإسلامي في كل بلد.

٤ ـ تصنيف شبكة عمل أوروبية للمسيحيين المهتمين بالحوار مع المسلمين[٢].

وهي مباحث تكشف مدى الاهتمام الأوروبي الكنسي بالإسلام في أوروبا.

---

(١) Recognize The Spiritual Bonds. p. 40.

(٢) المرجع السابق (٤٠).

إن «لجنة الإسلام في أوروبا» تمثل تنظيماً رسمياً لموقف النصارى من القضية، وبإزاء هذا التنظيم تنظيم غير رسمي مؤلفٌ من بعض الأفراد والدارسين ينسج على منوال ما سبق التعريف به في محاولات الكنيسة الكاثوليكية، «الأيام الرومانية»[1]. فقد ظهرت محاولة كبيرة عرفت باسم:

(الأيام الآراسية) Journees d'Arras

نسبة إلى منطقة الآراس الواقعة شمال فرنسا. فقد دعا رئيس أساقفتها المونسنيور «جيرارد هيوج» عام ١٩٨٠م مجموعة صغيرة من المهتمين إلى الالتقاء في أسقفيته للتباحث في العلاقات الإسلامية المسيحية في أوروبا، وظلت تنعقد بصفة سنوية على مدى خمس سنوات. وإثر تقاعده تنقل مكان اللقاء في مواقع مختلفة في أوروبا الغربية: ١٩٨٦م بلجيكا «تورينا»، ١٩٨٨ ـ ١٩٩٠م فرنسا «مرسيليا»، ١٩٩١م ألمانيا «ترايز»، ١٩٩٢م بلجيكا «ركسنسارت»، ١٩٩٤م النمسا «أنسبورك»، مع احتفاظها باسمها الأصلي.

وقد اتسمت مناشط «الأيام الآراسية» بمشاركة جميع الكنائس، وعقد حلقات وندوات دراسية، في مسائل العلاقات الإسلامية في أوروبا، كان أبرزها في السنوات الأخيرة ما يلي:

- عام ١٩٨٧م: توجيه العاملين الراعويين، باعتبار الإسلام.
- عام ١٩٨٨م: المرأة المسلمة المولودة والمترعرعة في أوروبا.
- عام ١٩٨٩م: التنظيمات الإسلامية في أوروبا.
- عام ١٩٩٠م: المشاركون في الحوار الإسلامي، بالنسبة للمسيحيين في أوروبا.

---

(١) انظر محاولات الكنيسة الكاثوليكية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

■ عام ١٩٩٣م: الزواج بين المسلمين والمسيحيين.

■ عام ١٩٩٤م: المسيحيون والمسلمون يواجهون حقوق الإنسان[١].

هذان أبرز تنظيمين نصرانيين أوربيين توفرا على رصد أوضاع المسلمين، وحركة الإسلام في أوروبا. وسنتناول فيما يلي تفصيلاً للمحاولات الجارية للتقريب بين الأديان في عددٍ من بلدان أوربا الغربية:

١ ـ إسبانيا والبرتغال:

تمثل دولتا إسبانيا والبرتغال الحيز الجغرافي لشبه الجزيرة الآيبيرية، التي كانت منذ القرن الهجري الأول (٩٢هـ)، السابع الميلادي، مسرحاً للفتوحات الإسلامية المظفرة، حتى تم إخضاع جميع أقاليمها في غضون ثلاث سنوات. ولم يكن الوجود الإسلامي عابراً في الأندلس بل دام ثمانية قرون، وتجذر في المنطقة، وخلف آثاراً شاهدة على ما كان للمسلمين من حضارة ومآثر، ولم تستطع حرب الاستعادة الإسبانية[٢] الصليبية اجتثاث الوجود الإسلامي السياسي إلا بعد أكثر من سبعة قرون من المناوشات حتى تسليم غرناطة عام ٨٩٧هـ ـ ١٤٩٢م، وظل الوجود الفعلي لبقايا المسلمين الملقبين بـ «الموريسكيين» حتى آخر عمليات التهجير والنفي عام ١٠٢٣هـ ـ ١٦١٤م.

ورغم أن الإسلام محي تماماً من إسبانيا، إلا أن آثارهم وتاريخهم ظل رمزاً باقياً، ومعلماً لافتاً، يجتذب دعاة التقريب بين الأديان، وعلى الخصوص بين الإسلام والنصرانية، لتكون تلك الأرض

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 81 - 83.

(٢) هكذا تعرف في التاريخ الأوروبي (Reconquista). والواقع أنها حرب ردة ونكسة على إسبانيا وأوربا.

منطلقاً يزخر بالمعاني، ويختزن الذكريات التي تستدعي مشاعر التقريب والتواصل، حيث جرى على ثراها في ظل الدول الإسلامية المتعاقبة تعايش مدني آمن، وذمة مصونة، وتنسَّم اليهود والنصارى فيها عبق الحرية، وشاركوا في الحياة العامة دون إكراهٍ في الدين.

ومن المحاولات للتقريب بين المسلمين والنصارى على المستوى العالمي التي اتخذت من إسبانيا مقراً لها:

«جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا»

أنشئت هذه الجمعية سنة ١٩٦٦م، في مدريد، من قبل خمسة عشر من المثقفين المهتمين بالقضايا العربية والإسلامية، من أبرزهم الدكتور: سلفادور نوجالس، رئيس الجمعية، والدكتور ميخائيل إيبالسا، الأستاذ بكلية اللاهوت والفلسفة بجامعة مدريد(١). وقد عقدت الجمعية بالتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية، وبلدية قرطبة ثلاثة مؤتمرات كبرى، في مدينة قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس. ثم انحلت الجمعية بموت مؤسسها الدكتور نوجالس في مطلع الثمانينيات.
أما المؤتمرات فكانت على النحو التالي:

«المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الدولي الأول»:

عقد هذا المؤتمر في الفترة: ٢٣ ـ ٢٨ شعبان عام ١٣٩٤هـ، الموافق ١٠ ـ ١٥ سبتمبر عام ١٩٧٤م، وشارك فيه وفودٌ رسمية، وشخصيات عربية وإسلامية ونصرانية، قدموا من ثلاثة وعشرين بلداً.
وقد تخلل المؤتمر (حفل رمزي، ألا وهو إعادة فتح الجامع ـ الكاتدرائية في قرطبة، حيث أقيمت صلاة الجمعة، وفي اليوم التالي القداس الإلهي)(٢).

---

(١) انظر: مجلة «العربي» العدد (٢٢٣). يونيو ١٩٧٧م.
(٢) البيانات المسيحية الإسلامية (٦٨). والواقع أن السلطات الإسبانية لم تعد افتتاح الجامع للمسلمين، بل قصارى الأمر أن سمحت بإقامة صلاة الجمعة=

وكان موضوع المؤتمر الرئيسي: «الضمير الإسلامي والمسيحي أمام مشاكل التطور». كما قدمت فيه بحوث تناولت الموضوعات التالية:

١ ـ عرض إسلامي للمسيحية بأسلوب يعترف به المسيحي.

٢ ـ عرض مسيحي للإسلام بأسلوبٍ يعترف به المسلم.

٣ ـ المعاني المتبادلة للتوسع السياسي في الإسلام والمسيحية.

٤ ـ أزمة الإيمان الديني، وتجارب التربية الدينية في الإسلام والمسيحية.

٥ ـ المساحات المشتركة التي يمكن أن يتعاون فيها المسلمون والمسيحيون[١].

ثم صدر عن المؤتمر بيان مشترك، جاء في توصياته:

■ (إقامة تعاونٍ إسلامي مسيحي، لتأكيد الإيمان بالله، وتعميق القيم الدينية، والإنسانية، وقصر دراسة الخلافات العقائدية على مجالات المتخصصين، مع الاحترام المتبادل بين الجانبين.

■ الدعوة إلى تأليف في حقل العقيدة، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان...

■ تنقية المناهج والكتب الدراسية في العالمين المسيحي والإسلامي، من الأخطاء التي تسيء إلى أي من الدينين...

= للمشاركين المسلمين أثناء انعقاد المؤتمر ثم أغلقته. وهذه هي المرة الثانية التي تقام فيه الصلاة بعد سقوط قرطبة بأيدي النصارى عام ٦٣٣هـ ـ ١٢٣٦م، وأما الأولى فحدثت أثناء زيارة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ﷾ لأسبانيا عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م. وأما الطقوس الكهنوتية النصرانية فإنها لم تنقطع منذ اغتصابهم الجامع العريق حتى يومنا هذا.

(١) انظر: Dialogue Between christians and Muslims (1/21).

■ مناشدة المسلمين والمسيحيين بأن يعنى كل منهم بنشر عقائده بين أتباعه، والإهابة بالهيئات الدينية الإسلامية والمسيحية، أن ترعى الوسائل الإعلامية والتعليمية الثقافية الفنية، حتى لا يتسرب منها إلى المجموعتين ما يفسد خططها وأهدافها، من تعميق الروح الديني وتمكينه.

■ التعاون بين المسلمين والمسيحيين على منع ما تلاقيه الأقليات الدينية في أي جزءٍ من العالم من اعتداءٍ واضطهاد، والعمل على وضع حدٍ حاسم لذلك، إقراراً للعدل والسلام.

■ تأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني، مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب. وتأكيد عروبة القدس، ورفض مشروعات التهويد، والتقسيم، والتدويل، وإدانة الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الشعوب والمقدسات الإسلامية والمسيحية، وبخاصة المسجد الأقصى، والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين، لا سيما رجال الدين الإسلامي والمسيحي. وتأييد النضال العادل للشعب الفلسطيني، والمطالبة بتحرير الأراضي العربية المحتلة)[١].

هذا بالإضافة إلى توصيات تتعلق بتبادل المخطوطات والوثائق، والحفاظ على الآثار، ودعم التواصل بين الجانبين، وتأليف لجنة مشتركة دائمة لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر.

ويتضح من بيان قرطبة أن المشاركين أحالوا البحث في المسائل العقدية الكبرى المأمور بها في مجادلة أهل الكتاب إلى متخصصين، دون تسمية لجنة معينة، ودون أن يظهر لهذه التوصية أثرٌ في الأعوام التالية. واكتفوا بالدعوة إلى مفهوم عائم للإيمان والتأليف فيه، ولعله الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وحسب.

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية المشتركة (٧٠ ـ ٧١).

كما يؤخذ على الجانب الإسلامي إقراره لتوصيتين مخالفتين للشريعة الإسلامية:

إحداهما: ما عبر عنه بتنقية المناهج والكتب الدراسية مما يسيء إلى الجانب الآخر. ومعلوم قطعاً بالضرورة من دين الإسلام ذم القائلين بالتثليث، وألوهية المسيح، وبنوَّته، وتكفير من يزعم ذلك في صريح القرآن وصحيح السنة، كما تقدم في التمهيد[1].

الثانية: التسليم بالتوصية الداعية إلى قصر الدعوة، ونشر العقيدة بين الأتباع فقط. ومن المعلوم أيضاً بالضرورة من دين الإسلام أن رسالة محمد ﷺ للناس كافة، وأولاهم بالدعوة أهل الكتاب الذين ينتسبون إلى أنبياء الله وكتبه السابقة.

ومع ذلك فإن النصارى ما فتئوا يدعون إلى دينهم، ويسعون لنشر عقائدهم، وينفقون الأموال الطائلة في سبيل ذلك، دون أن تثنيهم توصيات مؤتمر هنا أو هناك.

■ كما يلاحظ نجاح الجانب الإسلامي في المؤتمر من إقرار التوصية المتعلقة بالفلسطينيين والقدس وغيرها، مما كان سائداً في تلك الحقبة من المطالب العربية. وهي ذات المطالب التي رفض الفاتيكان التصديق عليها في مؤتمر طرابلس المنعقد بعد مؤتمر قرطبة بسنتين. كما أن رئيس الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين، الكاردينال بينيودولي لم يحضر هذا المؤتمر، واكتفى بإرسال برقية.

مؤتمر: «الصداقة الإسلامي المسيحي الثاني»:

انعقد هذا المؤتمر في قرطبة أيضاً بدعوةٍ من جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا، في الفترة ٣٠ ربيع الأول ـ ٦ ربيع الثاني عام ١٣٩٧هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٧ مارس عام ١٩٧٧م. وقد

---

(١) انظر مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب، من الناحية الاعتقادية.

حضره قرابة مائتي شخص، قدموا من عشرين بلداً. وكان الموضوع الرئيسي للملتقى بعنوان: «التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى في المسيحية والإسلام»، وقدم فيه ستة عشر بحثاً.

ويبين الدكتور ميخائيل إيبالسا، الأمين العام للجمعية صلة هذا المؤتمر بسابقه فيقول: (بعد النجاح الذي حققناه، قررنا أن نخطو خطوة أخرى، وأن نقترب من نقطة اللبس الحقيقية عند العالم المسيحي وهي: شخصية النبي محمد. ولكي تكتمل الصورة في الأذهان، فتحنا الباب أيضاً لتقييم شخصية المسيح، لأن هناك لبساً من نوعٍ آخر يحيط بهذه الشخصية عند جماهير المسلمين)[١].

فلننظر كيف عالج المؤتمر اللبس المزعوم في شخصيتي النبيين الكريمين.

أولاً: نبينا محمد ﷺ:

■ قال الدكتور إيبالسا: (إن شخصية النبي محمد مقدمة إلى العالم المسيحي بصورة مشوهةٍ إلى حدٍ كبير، حولها نسجت العديد من الافتراءات والأكاذيب والخرافات، التي نشأت كلها من الفكر المتعصب الذي ساد الغرب منذ بدأ الإسلام يدخل أوروبا. وكانت مثل هذه الافتراءات إحدى وسائل تعبئة الجماهير ضد المد الإسلامي.

كان لا بد أن نزيح هذا الركام، إذا أردنا أن نفتح الطريق لتعاونٍ إسلامي مسيحي).

■ قال الدكتور ميخائيل «ميجيل» كروت إيرناندث، أحد كبار اللاهوتيين الأسبان، في بحثه المعنون: «الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي محمد»: (ربما لا يوجد

---

(١) مجلة العربي. عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م. تحرير: فهمي هويدي (٤٢).

صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلماً على مدى التاريخ مثل محمد. كذلك لا نجد اتهاماً أساسه السياسة ـ لا الدين ـ مثل تلك الاتهامات التي وجهت للإسلام.

إن المسار الطبيعي لانتشار الإسلام من الجزيرة العربية كان يمر قسراً عبر أثمن الأماكن المسيحية، وهي الأرض التي ولد وعاش ومات فيها عيسى الناصري، الذي هو بالنسبة للمسيحيين ابن الإله الحي. ذلك أن الإسلام انتشر أولاً في آسيا الصغرى، وشمال أفريقيا، وقد كانت مهد الكنائس الأولية والكبرى للمسيحية مثل القدس، والإسكندرية.

لهذا السبب سرعان ما ألصقت اتهامات بغير حصر بالنبي محمد، تشهر به وتطعن في نبوته، حتى وصف عند المسيحيين بأنه «أمير الظلام»، خاصة بعد ما كاد الإسلام يقضي على المسيحية في إسبانيا، بعد ما فتح كل الجزيرة الإيبيرية...

وقد استمرت الخرافات وحملات التجريح تحيط بالإسلام والمسلمين ونبيهم، حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي. وفي مطلع القرن الثالث عشر بدأت تتقلص الخرافات، دون أن تتغير صورة النبي محمد في أذهان المسيحيين، الذي ظل يوصف بأنه مزيف وكاذب. وفي القرن التاسع عشر اختفت تماماً صورة الكاذب عن محمد، عندما درست شخصيته دراسة علمية. ولكن صورته «نبياً مزيفاً» ما تزال سائدة حتى أيامنا هذه)[١].

ويكاد يجمع المتحدثون النصارى على هذه القضية الواضحة، قضية التشويه التاريخي الآثم لصورة الإسلام ونبيه ﷺ. ولكن هل بلغ الأمر إلى حد الإقرار بنبوته ﷺ؟ لقد تفاوتت عبارات القوم، وهم يتكلمون بصفتهم الشخصية، لا الكَنَسية الرسمية طبعاً:

---

(١) المرجع السابق (٤٦ ـ ٤٧).

■ فقال الدكتور سلفادور نوجالس، رئيس الجمعية: (من وجهة النظر الكنسية ليست هناك عقبات كبيرة في وصف محمد بالنبوة. ولا بد من اعترافنا بأنه إلى جانب معطيات النبوة التي توفرت له، فهناك أيضاً الكمال الشخصي، والقدرة الفائقة على التبشير بالرسالة)[١].

■ وقال الدكتور إيرناندث، إثر بحثه التاريخي عن الصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عنه ﷺ: (إن نصوص التوراة والأناجيل لا تشير إلى أن طريق النبوة قد أغلق بنبوة يعقوب ولا بنبوة عيسى. إن بعض العبرانيين كان يرفضون عملياً مجيء أنبياء جدد بعد يعقوب، وليذكر الجميع أن عيسى الناصري اتهم وحوكم باعتبار أنه كافر، وليس باعتباره نبياً... إن كل الدلائل التاريخية والاجتماعية، بل وحتى من وجهة النظر الدينية المسيحية، فإن محمداً يعد نبياً حقيقياً)[٢]، ثم شرع في تعداد بعض فضائله ﷺ.

هذا الموقف لبعض اللاهوتيين النصارى يعد، كما وصفه الأمين العام للجمعية ومقرر المؤتمر الدكتور إيبالسا: (نقطة تحول كبيرة في الفكر المسيحي، والنظرة المسيحية إلى النبي محمد، يكفي أن يقف رجال اللاهوت بكل ما يمثلونه من وزنٍ ديني وفكري ليعترفوا بنبوة محمد، وبدوره الهائل في تاريخ الإنسان)[٣].

ومع ذلك فإنا لا نرى أن هذا الاعتراف الصريح بنبوته ﷺ يتجاوز المستوى النظري، إلى ما يقتضيه من التصديق والطاعة والانقياد التام، حيث لم يعلم أن أحداً من هؤلاء أشهر إسلامه. ودون هذا الموقف مواقف أخرى:

---

(١) المرجع السابق (٤٩).
(٢) المرجع السابق (٤٧).
(٣) المرجع السابق (٤٢).

• فقد خلص الدكتور جريجور رويث، الأستاذ بجامعة كومباس «مدريد»، في بحثه إلى: (إنه طبقاً لمقاييس التوراة، وأنبياء العهد القديم، فإن محمداً يعتبر نبياً من وجهة النظر المسيحية)[١] ويلاحظ أنه لا يعده كذلك طبقاً لمقاييس الإنجيل.

• أما الأب جيوليو باسيتي ساني فقد قرر في بحثه المعنون: «محمد نبياً»: (إنني أرى التاريخ الإنساني برمته، وبصفة خاصة تاريخ الإنسانية الديني، قد اتخذ من المسيح محوراً ـ ثم استعرض الأدلة التي تؤكد صدق نبوة محمد ﷺ في التوراة وفي التاريخ، وانتهى إلى أنه يُعد: نبياً حقيقياً في إطار تاريخ السلام، الذي يتخذ من يسوع المسيح محوراً)[٢].

• أما الموقف الحقيقي الرسمي لعامة النصارى فقد نقله الأب جي هارتيه، في بحثه المعنون: «مواقف معاصرة من نبوة محمد» عن الأب جاك جوينيه، حيث يقول بصراحة وإدراك تام لمقتضيات الاعتراف بنبوته ﷺ: (إنه لا يمكن اعتبار محمد نبياً، لأن ذلك يعني بالنسبة للمسيحيين الاعتراف بإنجيل جديد يحل محل إنجيل المسيح. وإن الاعتراف بمحمد نبياً يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن، وبالتالي بأن محمداً خاتم المرسلين، وخاتم الأديان. وهذا لا يعتبر سوى إلغاء لإنجيل المسيح)[٣]. والحق أنه إلغاء للتحريف الذي أدخل على الإنجيل الذي جاء نبينا محمد ﷺ مصدقاً له، ومهيمناً عليه.

وهذا النص الأخير يفسر بجلاء سر امتناع الفاتيكان عن المشاركة

---

(١) المرجع السابق (٤٨). وقد أشار المحرر أن هذا البحث أثار ضجة شديدة في جلسة المؤتمر، لاعتراض بعض المسلمين على ما ورد فيه.
(٢) المرجع السابق (٤٨).
(٣) المرجع السابق (٤٤).

في هذا المؤتمر، مما حمل رئيس الجمعية الدكتور سلفادور نوجالس على توجيه خطاب احتجاج إلى أمانة الفاتيكان، قال فيه إن موقفهم من المؤتمر يتعارض مع قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني الذي يدعو إلى احترام عقيدة المسلمين، الأمر الذي لا يمكن أن ينفصل بأي حال عن احترام نبي المسلمين)[١].

لقد تفاوتت عبارات الجانب النصراني حول قضية الإيمان بنبوة محمد ﷺ ما بين اعتباره نبياً بالمعنى النظري المجرد، كاعترافهم بنبوة أنبياء بني إسرائيل السابقين، حيث لا يترتب على تلك المعرفة أثر عملي، وهذه أحسن الأحوال، وحسبانه نبي سلام يدور في فلك يسوع، محور التاريخ الإنساني والديني، أو إنكار نبوته بالكلية فراراً من التبعات واللوازم المترتبة على ذلك.

ولم يضف هؤلاء شيئاً صحيحاً وحقاً، سوى ما تجلى للقاصي والداني من بطلان وزيف الخرافات والأساطير التي نسجتها عناكب القرون الوسطى.

ثانياً: عيسى ابن مريم عليه السلام:

ليس لدى المسلمين ـ بحمد الله ـ لبسٌ حول شخصية عيسى عليه السلام كما زعم الدكتور ميخائيل إيبالسا. فقد أوضح القرآن العظيم قصة مولده، وطبيعته البشرية، ونبوته، أيما إيضاح في سورة مريم وغيرها، ثم عقب على ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

(١) المرجع السابق (٤٣). كما يلاحظ أن هذا المؤتمر جاء بعد عام واحد من مؤتمر طرابلس الذي واجه فيه الفاتيكان ضغطاً قوياً من الجانب الإسلامي بغية انتزاع اعتراف بنبوة محمد ﷺ فاستوعبوا الدرس جيداً، وقاطعوا مؤتمر قرطبة.

كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[1] [مريم]، فأنى لهؤلاء الضالين المختلفين أن يزيلوا لبساً مزعوماً عند المسلمين، وهم أنفسهم يتخبطون في شخص المسيح ﷺ وطبيعته طوال القرون السالفة، ويلعن بعضهم بعضاً. ولعلهم أرادوا في هذا المؤتمر الذي أسموه «التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى» عليهما الصلاة والسلام، وهم يعلمون قطعاً تقدير المسلمين وإيمانهم بكلا النبيين، لعلهم أرادوا استزلال المسلمين إلى مقالتهم الفاسدة في المسيح عيسى ابن مريم، عبد الله ورسوله.

ويتضح هذا الهدف بطروحات ذوي الصفة الكنسية الرسمية المشاركين في المؤتمر. فقد قال الكاردينال الكاثوليكي أنريكي ترانكون، رئيس أساقفة إسبانيا في كلمته في المؤتمر، ما نصه: (يجب أن نعترف بأن العقيدة المسيحية ترى في المسيح أكثر مما يراه المسلمون. وإننا على أي حال نحسه بطريقة مختلفة. ذلك ما نريد أن نبديه لكم، دون أن نثير من جديد جدلاً لاهوتياً تقليدياً بيننا. والحق أنه من الصعب عرض العقيدة المسيحية التي تنسج لغتها داخل الجماعة المؤمنة، كي تفهم هذه العقيدة أمة غير مسيحية. إن ذلك يستلزم عملياً تغيير اللغة، ويستلزم على الخصوص الثقة في أن ينير الله القلوب لمعرفة الحق.

إن شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الإيمان بوحدة الله «آمنا بالله وحده»، هذا ما نعلنه بكل قوةٍ مع إخواننا المسلمين. وكأتباع المسيح نؤمن بالله الأحد، المنزَّه خالق السماء والأرض، المثيب الغفار، الرحيم، الخ. وفي استطاعتنا أن نتبنى كل أسماء الله الحسنى التي

---

(١) انظر المبحث الثاني من التمهيد: أهل الكتاب ـ النصرانية.

يطلقها المسلمون على الله الواحد، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين. إن عقيدتنا في التثليث لا تنقض شيئاً من ذلك التأكيد القاطع المطلق من ذلك الإيمان الذي ينبغي لإخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به. فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم، ولا نرضى أن نتهم بأنا نشرك مع الله آلهة أخرى...

بجانب ذلك نؤمن بأن لعيسى صبغة إلهية. وهذا سر مسيحي عميق جداً، يشغل بحق بال المسلمين. لكن يجب أن نعترف لإخواننا المسلمين بأن صبغة المسيح الإلهية، تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الإنسان، هي بالنسبة لنا أيضاً سر لا يدرك، واستناداً إلى نصوصنا وتقليدنا العقيدي، نعبر عن الوحدة الإلهية بالتثليث، غير أننا لا نستطيع إدراكه. وكذلك تظل غامضةً في نصوص القرآن الكريم تلك الصلة بين الله وروحه القدس الذي أوحى به إلى مريم، وعيسى كلمة الله التي ولدت منها. فالعلاقة بين الله وروحه وكلمته تطرح لكم مشكلاتٍ أيضاً، إذ يقول القرآن نفسه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[1] [الإسراء].

وبصرف النظر عما يحمله هذا الكلام من تناقض وغموض وتهافت، ظلت تردده الكنيسة منذ قرون، فإن الملفت للنظر جرأة كاردينال الكنيسة الإسبانية الكاثوليكية المتعصبة على الصدع به فوق رؤوس شركاء الحوار المسلمين، الذين أمرهم الله تعالى أن يقولوا بكل صراحة وجراءة ووضوح: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]، لقد فاه الكاردينال بشركه وكفره وطعنه في القرآن، مع اعترافه بالغموض والعجز عن البيان، والإحالة على عالم الأسرار التي تجمع المتناقضات.

---

(١) المرجع السابق (٤٦).

فهل تصدى له مؤمنٌ مخلص موحد، مستنير بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، فكشف زيف تثليثه، وبشاعة تأليهه لعبد الله ورسوله عيسى ابن مريم، ممتثلاً أمر الله، غير عابىء بلوم اللائمين، ومداهنة المداهنين؟

تالله إنه لموقف خزي في الدنيا، وحسرة في الآخرة، أن يعلو صوت الشرك والوثنية، وفي الساحة مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، فلا يمنعه من رد الباطل، ونصرة الحق، إلا خشية التشويش، وخدش مشاعر القوم، الذين اعتدوا على مقام الألوهية، وجنوا على عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه.

وقد أنطقه الله تعالى بالاعتراف المخزي بالعجز عن تعقل سر الوحدة في التثليث، التي يعدونها أعظم أصولهم العقدية في قانون الإيمان النيقاوي، مع أن باب العقائد يشترط فيه الجزم والقطع والعلم الضروري. وقد حاول الكاردينال الكاثوليكي بمرأى ومسمع من مشاهديه ومستمعيه المسلمين تنظير هذه الخرافة بالعقيدة القرآنية في المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، والمغالطة بإشكالية العلاقة بين الله وروحه وكلمته، زاعماً أنها غامضة حتى عند المسلمين. ولكن هيهات هيهات، وقد عافانا الله مما ابتلاهم به، فقال جل من قائل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٧١] أي: غاية المسيح ﷺ ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال، أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة، التي هي أعلى الدرجات، وأجل المكرمات. وأنه كَلِمَتُهُ ﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ أي: كلمة تكلم بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم. وكذلك قوله: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ أي: من الأرواح التي خلقها، وكملها بالصفات الفاضلة، والأخلاق الكاملة.

أرسل الله روحه، جبريل عليه السلام، فنفخ في فرج مريم عليها السلام فحملت بإذن الله بعيسى عليه السلام. فلما بين حقيقة عيسى عليه السلام أمر أهل الكتاب بالإيمان به، وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة[(١)]... ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

وأما السؤال عن «الروح» في الآية التي لوَّح بها الكاردينال ظانّاً أنها تدل على مراده، فهو سؤالٌ عن حقيقة الروح وكيفيتها، وذلك من جملة الأمور الغيبية التي هي محارات العقول، لا محالات العقول. أما الوحدة في التثليث فإنها من محالات العقول أصلاً.

فهل يا ترى تلا أحدٌ من المسلمين آية النساء، أو آية آل عمران في وجه الكاردينال الزاعم أنه لا يريد أن يثير جدلاً لاهوتياً تقليدياً، ثم يعلن الكفر الصراح، الذي لا تبرؤ ذمة من سمعه إلا برده وإنكاره ومجادلته بالتي هي أحسن، فإن لم يستجب صاح قائلاً: «اشهدوا بأنا مسلمون».

والمثال الثاني للموقف الكنسي الرسمي، جون تايلور، ممثل مجلس الكنائس العالمي، الذي قال في المؤتمر: (إنني ألح على ضرورة الدراسة التاريخية من الجانبين، المسيحيون الذين ينبغي أن يعترفوا بنفوس تائبة بما ارتكب في حق النبي محمد من أخطاءٍ لوثت التاريخ الروحي والثقافي المسيحي. والمسلمون الذين قليلون منهم فقط درسوا بروحٍ متفتحة تاريخ ورمزية الكتابات المسيحية، وعقائد وتراث الكنيسة)[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٨).

ونحن ـ المسلمين ـ نقبل إقرار القوم على أنفسهم، وندعوهم إلى التوبة والندم والإقلاع عما ارتكبوه ليس في حق نبينا محمد ﷺ وحسب، بل وفي حق الله تعالى من دعوى التثليث، وإثبات الولد، وفي حق عيسى عليه السلام من الغلو فيه وتأليهه.

وأما الدراسة التاريخية من جانب المسلمين لعقائد النصارى وتراث الكنيسة، فقد زخرت به كتب العقيدة الإسلامية، بروح متفتحة تنطلق من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل].

لقد كان النصارى في مؤتمر قرطبة يختارون ألفاظهم بعناية، ويتحاشون في غمرة البهرج الإعلامي، وأجواء المجاملات الحميمة أن يفرط منهم ـ سيما ذوي الصفة الدينية ـ كلمة تحمل الاعتراف الصريح بنبوة محمد ﷺ في الوقت الذي يزجون فيه عبارات التبرئة التاريخية، التي تجاوزها الزمن، عما ألصق ظلماً وبغياً وحسداً بشخص نبينا الكريم ﷺ، فيطير بها الصحفيون المسلمون، واصفين تصريحات هؤلاء النصارى، ومؤتمرهم بعبارات فضفاضة، موهمة، مضلّلة ـ وإنْ بغير قصد ـ للجمهور المسلم من جنس قولهم:

□ (علماء اللاهوت يدافعون عن محمد، ويعترفون بنبوته)[١].

□ (ما حدث في قرطبة كان بمثابة إعلان لفض الاشتباك بين المسيحية والإسلام، وتوقيع لاهوتي بالأحرف الأولى على نبوة محمد، يحدث لأول مرة منذ قرون)[٢].

□ (إن العالم المسيحي، والفكر المسيحي، يبدو من خلال هذا

---

(١) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧ (٤٠) فهمي هويدي.
(٢) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٠) فهمي هويدي.

الحوار وكأنه يقدم اعتذاراً إلى العالم الإسلامي عن سوء الفهم الذي ظل يحمله له عدة قرون)[١].

وإلى جانب التوصيات الواردة في البيان الختامي، وعلى ألسنة المتحدثين من الجانبين بالدعوة إلى التقارب والاحترام بين الديانتين، (وتجسيداً لهذا الاحترام المتبادل، الذي كانت صورته الواقعية ـ خارج قاعات المؤتمر ـ تتمثل في إقامة المسلمين لشعائر صلاة الجمعة داخل مسجد قرطبة التاريخي الشهير، ثم في إقامة المسيحيين لقداس الأحد في الكاتدرائية التي تشغل جزءاً من ساحة هذا المسجد الكبير، وحرص المسلمون والمسيحيون على أن يشاركوا في الموقفين معاً، تأكيداً لروح قرطبة وتجسيداً لها)[٢].

ندوة: «تعريف الإسلام بطريقة أفضل في كتب التعليم الديني»:

عقدت هذه الندوة الفكرية في مدريد يوم ١٤ رجب عام ١٣٩٨هـ، الموافق ٢٠ يونيو عام ١٩٧٨م، بمشاركة من جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا، ومكتب الإعلام التابع لجامعة الدول العربية، وحضور أربعين شخصاً من الجانبين[٣]، (لمناقشة المشكلات المتعلقة بصياغة المعلومات الخاصة بتاريخ الإسلام، والثقافة العربية ـ الإسلامية في المناهج والكتب المدرسية الأوروبية، للحلقة المتوسطة «الإعدادية»)[٤]. وكان الدكتور ميخائيل إيبالسا، أمين عام جمعية الصداقة قد صرح أثناء انعقاد مؤتمر قرطبة الثاني عام

---

(١) مجلة الفيصل عدد (٥) ذو القعدة ١٣٩٧ هـ أكتوبر ١٩٧٧م (٣١) فاروق شوشة.

(٢) مجلة الفيصل عدد (٥) ذو القعدة ١٣٩٧ هـ أكتوبر ١٩٧٧م.

(٣) انظر: البيانات المسيحية ـ الإسلامية، اللوحة الملحقة بالكتاب. تسلسل رقم (٩٠).

(٤) الإسلام والمسيحية (١٥٧).

١٩٧٧م قائلاً: (... كلفنا فريقاً من الباحثين بدراسة ٢٥٠ كتاباً يتداوله التلاميذ في مختلف مراحل التعليم بإسبانيا، وطلبنا منهم حصر العبارات والوقائع التي تقدم الإسلام ونبيه بصورة مشوهة إلى التلميذ، تمهيداً لتصحيح تلك الوقائع، واستبعاد كل ما هو مختلق ومكذوب منها)(١).

وبعد الندوة بشهر، في ٢٠ يوليو، اجتمع عددٌ من الخبراء الإسبان والعرب في مقر المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، لإعادة النظر في ما تم تحقيقه لجهة تحسين عرض الإسلام في الكتب الثانوية في إسبانيا(٢).

مؤتمر: «الصداقة الإسلامي المسيحي الثالث»:

انعقد هذا المؤتمر في قرطبة في عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٩٧٩م وقد كان موضوع المؤتمر الرئيسي: «محمد وعيسى ملهمان للقيم الاجتماعية المعاصرة». وقصد بها على وجه الخصوص: الحرية، والعدالة والمساواة. وبالإضافة إلى إشراف جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا ورعايتها للمؤتمر، فقد أسند تنظيمه وإعداده إلى كلية اللاهوت بمدريد، والجامعة البابوية في روما من الجانب النصراني، وجامعات ومؤسسات وشخصيات مستقلة داخل إسبانيا وخارجها من الجانب الإسلامي، كما جاء في رسالة أمين عام الجمعية الدكتور ميخائيل إيبالسا الموجهة إلى شيخ الأزهر إذ ذاك عبد الحليم محمود(٣).

---

(١) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٣).

(٢) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية (٦٨). حاشية (١).

(٣) انظر: نص الرسالة في كتاب (أوربا والإسلام) لعبد الحليم محمود (١٨٢).

المؤتمر: «الإسلامي المسيحي بمناسبة الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على تأسيس جامع قرطبة»:

انعقد هذا المؤتمر في إطار الاحتفالات التذكارية بالمائة الثانية عشرة لتأسيس جامع قرطبة الشهير، وذلك في الفترة من ٦ ـ ٩ صفر عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١١ ـ ١٤ أكتوبر عام ١٩٨٦م. وذلك بدعوة من «اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى، والمركز الإسلامي في أسبانيا التابع لرابطة العالم الإسلامي». وألقيت فيه عشر محاضرات على مدى أربعة أيام تناولت الموضوعات التالية:

- أهمية الصلاة في حياة المؤمنين الروحية ضمن الديانتين.
- تطور علاقات المنتمين إلى الديانتين في السنوات العشرين المنصرمة.
- إمكانية التعاون بين الإسلام والمسيحية، وما يمكنهما أن يقدماه للثقافة، ولتقدم البشرية.
- ظاهرة الإلحاد الحالية، باعتبارها تحدٍ لكلا الديانتين.

وقد صدر عن الملتقى بيان ختامي يؤكد أهمية الحوار والتواصل بين المسلمين والكاثوليك، والتعارف الأفضل، والتعاون المشترك لتحقيق المقاصد الإنسانية[١]. ولم يأت بجديد يذكر.

مؤتمر: «الحوار بين الأديان والسلام في الشرق الأوسط»:

هو أول مؤتمرٍ من نوعه يضم مسلمين ونصارى ويهود يعقد في أسبانيا. وقد دعت إليه منظمة تطلق على نفسها اسم: (مجمع أديان المسكونة)، وعقدته في مدينة طليطلة «توليدا» في الفترة: ٢٦ ـ ٢٨ رجب ١٤٠٨هـ، الموافق ١٥ ـ ١٧ مارس عام ١٩٨٨م[٢].

---

(١) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية (١٦٠ ـ ١٦٢).

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية، تسلسل رقم (٢٠١).

وجلي الآن أنه كان إرهاصاً لمؤتمر مدريد التاريخي، الذي عقد عام ١٩٩٢م، لتحقيق تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي على أرض فلسطين الإسلامية. ففي نفس العام ١٩٨٨م اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل في الوجود.

مؤتمر: «المسلمون والمسيحيون أمام مشاكل العالم الحالية»:

انعقد هذا الملتقى في مقر المركز الثقافي الإسلامي في مدريد، في الفترة: ٤ ـ ٦ شوال عام ١٤١٣هـ، الموافق ٢٦ ـ ٢٨ مارس ١٩٩٣م، بمبادرة من المركز الثقافي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، واللجنة الكنسية للعلاقات بين الأديان المنبثقة عن المجلس الأسقفي الأسباني، حيث مثل كل جانب خمسةٌ من المتحدثين، وحضره جمعٌ كبير من المسلمين والنصارى، من داخل أسبانيا وخارجها.

وقد ألقيت فيه عشر محاضرات، تبعتها مناقشات مكثفة، تناولت الموضوعات التالية:

- المسلمون والمسيحيون أمام ظاهرة عدم التدين في الوقت الراهن.
- دور الأقليات الدينية في الحوار الإسلامي المسيحي.
- المسلمون والكاثوليك أمام مسألة حقوق الإنسان.
- الحرية الدينية ومعالجتها.
- التعاون المشترك لدعم السلام، ودور الدين في النظام العالمي.

وقد اتَّسم البيان المشترك بالعموميات، والتأكيد على قضايا سابقة لا تكاد تخلو منها مقررات مؤتمرات الحوار الإسلامي النصراني؛ من إعلان الإيمان بالله بصفات الربوبية، ومواجهة الإلحاد، والدعوة إلى

تعارف ديني أفضل، وثقة متبادلة، وحوار مستمر، والمناداة بالسلام العالمي، وحرية الأديان، وإدانة واستنكار انتهاكات حقوق الإنسان، وخص البيان (الممارسات القمعية، والتصفيات العرقية والدينية في كل مكان، وبخاصة في البوسنة والهرسك، التي تشكل وصمة عار في جبين الحضارة العالمية)[١].

وقد اتفق الطرفان على تشكيل أمانة عامة دائمة ومشتركة، للتنسيق والمتابعة، وعقد لقاءات دورية بين رابطة العالم الإسلامي، والفاتيكان، ومجلس كنائس إسبانيا ،مرة كل سنتين[٢].

٢ ـ المملكة المتحدة «بريطانيا»:

أدت الحقبة الاستعمارية لبريطانيا العظمى، التي كانت لا تغيب عن ممالكها الشمس، إلى هجرة أعدادٍ كبيرة من أبناء تلك المستعمرات إلى المقاطعات المكوِنة للمملكة المتحدة (إنجلترا، ويلز، سكوتلندا، شمال إيرلندا). وكان معظمهم من شعوب شبه القارة الهندية الذين يعتنقون الإسلام، أو الهندوسية، أو السيخية، أو البوذية. وقد أدى هذا التنوع إلى أن تتجه مسيرة الحوار نحو التعددية، ولا تقتصر على الحوار الإسلامي النصراني، وحتى على المستوى النصراني نفسه، فإن بريطانيا تضم خليطاً من الكنائس النصرانية المتباينة، وتختص بوجود الكنيسة الإنجليكانية، التي تمثل الكنيسة الرسمية للبلاد، منذ أن أسسها الملك الإنجليزي هنري الثامن (١٥٠٩ ـ ١٥٤٧م) إثر خصومته الشخصية مع البابا كليمنت السابع، وانفصاله عن الكنيسة الكاثوليكية، مع عدائه أيضاً للحركة البروتستانتية[٣]. ومع ذلك فقد ظلت هذه الطوائف النصرانية

---

(١) البيان المشترك ـ النسخة العربية.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي ـ المسيحي: ضرورة المغامرة (١٤٣).

(٣) انظر في هذا: تاريخ الكنيسة المسيحية. أفغراف سميرنوف. (٦٣٣ ـ ٦٣٦).

بالإضافة إلى كنائس أخرى صغيرة تتنافس في اجتذاب الأتباع. وقد أدت هذه الفسيفساء الدينية إلى تكوين **شبكة حوار ديني Inter Faith Network**، تهدف إلى تنظيم وتشجيع ودعم الاتصال والحوار بين مختلف المجتمعات الدينية في بريطانيا، وقد بلغ عدد أعضاء هذه الشبكة من المجموعات الدينية المحلية، ومراكز الدراسات، والتنظيمات المختلفة للحوار فيما بين الأديان، أكثر من ستين جهة.

ومن أبرز هذه الجهات المعنية بقضية التقارب في المملكة المتحدة:

«مجلس الكنائس البريطاني» British Council of Churches (BCC)

أنشأ هذا المجلس الذي يضم الكنائس البريطانية المختلفة، سوى الكاثوليكية، لجنة للعلاقات مع أتباع المعتقدات الأخرى عام ١٩٧٧م، جاعلاً مهمتها المعلنة: مساعدة المسيحيين، طوائف وجماعات، للتعلم من ذوي المعتقدات الأخرى، وتحمل الشهادة لاعتقادهم الخاص[١].

وفي عام ١٩٨١م أصدرت اللجنة إرشادات للحوار في بريطانيا، ظلت تراجع وتعاد طباعتها بصفة مستمرة.

وبدورها قامت الكنيسة الكاثوليكية في بريطانيا عام ١٩٨٤م بتكوين لجنتها الخاصة لذوي المعتقدات الأخرى بغرض: مساعدة الكاثوليك في تعميق إيمانهم الخاص، عن طريق حفز إدراك وفهم أكبر للمعتقدات الأخرى، من خلال الحوار والصلاة والممارسات التي تتم في ضوء تعاليم الكنيسة[٢].

وجليٌ أن اهتمام هذه المؤسسات الدينية العتيقة بموضوع الحوار نابعٌ عن خوف على الأتباع، الذين ما عاد يكفي لتحصينهم من

---

(١) انظر: .Recognize The Spiritual Bonds. p. 38

(٢) المرجع السابق (٣٨).

«العدوى» بالأفكار «الشريرة» تحريم قراءة كتب الآخرين، وسماع آرائهم، كما هو منطق الكنيسة في القرون الوسطى. بل الأمثل بدلاً من التواري عن الخصم القوي الحجة، التقدم إليه، والتعريف به لدى الأتباع في ضوء تعاليم الكنيسة، تمهيداً لاستيعابه وتخفيف الصدمة به، وإطفاء بريق النديّة الذي يجتذب الباحثين عن إيمان صحيح.

«برنامج وستمنستر للتلاقي الديني»:

منظمة حوارية منبثقة عن أسقفية وستمنستر الكاثوليكية في لندن، حيث يقطن أكثر من مليون نسمة من اليهود والمسلمين والبهائيين والهندوس والبوذيين والسيخ والزرادشتيين والجينيين وأتباع التقاليد الأفريقية، والحركات الدينية الحديثة إلى جوار النصارى التابعين للعديد من الكنائس.

وترمي مناشط البرنامج المتنوعة إلى هدفين معلنين:

أحدهما: جمع القادة الدينيين، والأتباع العاديين من مختلف المجموعات الدينية.

الثاني: تثقيف النصارى بشكل أفضل بطبيعة ومطالب المجتمعات متعددة الأعراق والأديان.

ومن أبرز تلك المناشط التي يقوم بها برنامج وستمنستر ما يلي:

١ ـ تنظيم فصول دراسية صيفية، قاعدتها الإدارية مكونة من ممثلين من مختلف المجتمعات، وموادها تدرس من قبل أساتذة يعلنون عقائدهم.

٢ ـ تنظيم زيارات متحضرة لبيوت العبادة لتشجيع الفهم من خلال التجربة.

٣ ـ إنتاج منشورات من مختلف الأنواع تشمل مواد تعليمية، ومساعدة للصلاة الدينية المشتركة والعبادة.

٤ ـ تنظيم ملاجىء، حلق دراسية، محاضرات، لقاءات غير رسمية في أوقات التوتر بين المجتمعات، وإعداد خدمات الصلوات.

٥ ـ التعاون مع منظمات الحوار بين الأديان خارج بريطانيا، لتكوين شبكة عالمية للحوار بين الأديان[(١)].

وتَم مؤتمران عالميان متعددا الأديان عقدهما برنامج وستمنستر للتلاقي الديني هما:

مؤتمر: «الإيمان في سبيل السلام وإنماء الإنسان»:

عقد في مدينة «سوتهول» في عام ١٤٠٦هـ، أكتوبر ١٩٨٥م وحضره ثلاثون مشاركاً[(٢)].

(مؤتمر التلاقي)

عقد في مدينة «نونسلو» في إنكلترا في ١٢ ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٤ نوفمبر عام ١٩٨٥م، وحضره مائتا مشارك[(٣)].

(كنيسة «وندسور» الإنجليكانية)

تكتسب هذه الكنيسة أهميتها لكونها كنيسة مدينة «وندسور» التي تنتمي إليها العائلة المالكة في بريطانيا، وتقيم في قلعتها التاريخية منذ عام ١٩١٧م، وقبل ذلك كانت مقراً لهنري الثامن مؤسس الكنيسة الإنجليكانية[(٤)].

وقد اقتصرت محاولات كنيسة وندسور في مجال التقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية على مشاركة مؤسسة آل البيت الأردنية في عقد بضع مؤتمرات ذات موضوعات محددة، كانت على التوالي:

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 91 - 92.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٥٦، ١٦٠).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: المنجد في الأعلام (٧٤٤، والموسوعة العربية الميسرة (١٩٦٨).

مؤتمر: «الحوار»:

عقد هذا المؤتمر بمبادرة من الأمير حسن بن طلال، ولي عهد الأردن - سابقاً - والمطران ميخائيل مان، رئيس كنيسة وندسور في الفترة ٢٠ - ٢٣ ربيع الأول عام ١٤٠٥هـ، الموافق ١٥ - ١٨ نوفمبر عام ١٩٨٤م في مدينة وندسور في إنكلترا، وحضره خمسة وثلاثون مشاركاً من المسلمين والنصارى واليهود[1]، فيهم الكاردينال آرينزي، وحاخامات من بريطانيا.

مؤتمر: «قيم الحياة العائلية في المجتمع الحالي»:

وقد انعقد هذا المؤتمر الثنائي، الإسلامي النصراني في عمّان بالأردن في الفترة: ١٣ - ١٥ محرم ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٨ - ٣٠ سبتمبر عام ١٩٨٥م، بمبادرة من الشخصيتين السابقتين، وحضور ثلاثة وعشرين مسلماً، وثمانية عشر نصرانياً، منهم الكاردينال آرينزي، بغرض دراسة المشكلات المشتركة التي تواجهها العائلات المسلمة والنصرانية في المجتمعات المعاصرة. وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي لم يقتصر على إعلان القيم العائلية المشتركة بين الديانتين، بل حاول أن يؤسسها على عقائد مشتركة لخصها بما يلي:

(١ - نحن نعيش في كونٍ يسوده الله.

٢ - هذا الإله واحدٌ أحد، شامل الوجود، كليّ الحكمة والقدرة، وهو الخالق الرحيم لنا جميعاً.

٣ - لقد أوحى هذا الإله للبشرية بشرائعه الأساسية التي تصلح لتوجيه سلوك الفرد، وقيادة المجتمع.

٤ - جميعنا مدعوون لنسلم ذواتنا لمشيئة الله.

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل (١٤٦).

٥ ـ جميعنا مسؤولون تجاه الله، وخاضعون لحكمه الإلهي.

٦ ـ جميعنا متساوون لدى الله. إذ هو إله العدالة.

٧ ـ جميعنا ننعم برحمة الله، الرحمن الرحيم[١].

وبصرف النظر عن الصياغة النصرانية التي تطغى غالباً على البيانات المشتركة، ويأباها التعبير الإسلامي العام، فضلاً عن الجمل الشرعية المأثورة التي يعتمدها أهل السنة، فقد نص المؤتمرون المقرون بهذه العقائد المشتركة على القول إنه: (يمكننا أن نعبر عنها بطرق مختلفة، وأن نفسرها أيضاً تفاسير متنوعة)[٢]، وهذا ما يفسر صدور دعوى التوحيد الواردة في فقرة (٢) من أهل التثليث، ولكنه لا يفسر التسليم بالمساواة الواردة في فقرة (٦) بين المسلمين والنصارى. وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية]، وأي جريمة وأي سيئة أعظم من الشرك بالله العظيم، ونسبة الولد له سبحانه؟!.

أما ما يتصل بموضوع المؤتمر نفسه، فقد حدد البيان الآفات المشتركة التي تعصف بالمجتمعات، مثل: تفشي الجريمة، وانحراف الشباب، والفقر، والمجاعة، والطلاق، وتفكك العائلات، والإباحية الجنسية، وتعاطي المخدرات، وإساءة معاملة النساء والأولاد. وهي آفات تنخر بالمجتمعات النصرانية المعاصرة بصورة مضاعفة، مقارنة بالمجتمعات الإسلامية، سوى الفقر والمجاعة.

ودعا البيان إلى ضرورة مراعاة الإنجازات المادية في مجالات

---

(١) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (١٥٣ ـ ١٥٤).

الهندسة المعمارية وتنظيم المدن، والخدمات الصحية والاجتماعية والاقتصادية، للعقائد الأساسية حول الإنسان والأخلاق. وأكد على «الزواج الإلهي»[١] ـ هكذا ـ في إشارة إلى نبذ ما يسمى بـ «بالزواج المدني»، والعشرة المحرمة، وأهمية العائلة لتنشئة الأطفال وتربيتهم، وحث الشبيبة على بناء عالم أكثر عدالة وانسجاماً)[٢].

مؤتمر: «الأخلاقيات وإدارة الأعمال»:

انعقد هذا المؤتمر الثلاثي في «وندسور» في الفترة: ٢٩ رمضان ـ ٢ شوال عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٢٩ ـ ٣١ مايو ١٩٨٧م، برعاية الجهتين السابقتين، وحضور ثلاثة عشر مسلماً، ومثلهم من النصارى، وثلاثة يهود بريطانيين[٣].

مؤتمر: «ممارسة البنوك وفقاً للإسلام والمسيحية»:

انعقد هذا المؤتمر الثنائي في بلدة «ماعين» الأردنية، في الفترة: ٥ ـ ٦ صفر عام ١٤٠٩هـ، الموافق ١٧ ـ ١٨ سبتمبر عام ١٩٨٨، برعاية كنيسة وندسور الإنجليكانية، ومنتدى الفكر العربي، الذي يرأسه الأمير حسن بن طلال أيضاً[٤].

مؤتمر: «الأخلاقيات وإدارة الأعمال الثاني»:

انعقد هذا المؤتمر في «وندسور»، في الفترة: ٩ ـ ١١ جمادى الثانية عام ١٤١٠هـ، الموافق ٨ ـ ١٠ ديسمبر ١٩٨٩م، برعاية كنيسة وندسور، ومنتدى الفكر العربي[٥].

---

(١) الزواج الإلهي: أحد الأسرار الكنسية السبعة المزعومة. راجع التمهيد ـ النصرانية.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر: اللوحة التابعة بكتاب البيانات الإسلامية المسيحية الإسلامية تسلسل: (١٨٩، ٢٠٥، ٢١٨).
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

ويلاحظ في هذه الجولات الإنجليكانية ـ الأردنية الخمس، أنها تنزع إلى مناقشة موضوعٍ محدد من جوانب الحوار، بل إلى موضوعات ذات طرافة وجدة، كأعمال البنوك، وأخلاقيات العمل، مما لم تسبق إليه.

كما تلاحظ ثلاثية الأطراف المشاركة في النوبة الإنجليكانية، وثنائيتها في النوبة الأردنية، وعدم دعوة اليهود، مراعاة للظروف الإقليمية السائدة في المنطقة.

وإلى جانب هذه المؤتمرات يقوم كبير أساقفة كانتبري، رئيس الكنيسة الإنجليكانية، جورج ليونارد كاري، بزيارات لمناطق من العالم الإسلامي كان من أبرزها:

١ ـ زيارته لمصر: في أكتوبر عام ١٩٩٥م، حيث ألقى محاضرة في جامعة الأزهر بعنوان: «تحديات العلاقات بين الديانات الكبرى»[1].

٢ ـ زيارته لسوريا في ١١ شوال عام ١٤١٩هـ، الموافق ٢٨ يناير عام ١٩٩٩م لمدة أربعة أيام، والتقى رئيس الجمهورية ورجال دين مسلمين ونصارى، وزار بعض المواقع الأثرية[2].

وقال إنه يريد أن يقف على تجربة التعايش الإسلامي المسيحي في هذا البلد، الذي دامت أكثر من ألف سنة[3].

---

(١) سبق عرض هذه المحاضرة في المبحث الثاني من الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) جريدة الحياة. العدد (١٣١١١). الجمعة ٢٩ يناير، ١٢ شوال عام ١٤١٩هـ.

(٣) هيئة الإدارة البريطانية BBC ـ الجمعة ٢٩ يناير ١٩٩٩م، ١٢ شوال ١٤١٩هـ.

«كليات سلّي أوك في برمنجهام»:

هي اتحاد بين كليات مستقلة في برمنجهام بإنكلترا، أقدمها كلية «وود بروك». ورغم أنها لا تنتمي إلى تنظيم كنسي معين، إلا إنها تعد من مراكز التنصير[١] التي تُعنى بـ (التربية وعمل الجماعات والدراسات الدينية والتدريب على العمل الاجتماعي. وأحد اهتماماتها المشتركة هو تهيئة رجال ونساء للخدمة في جميع أنحاء العالم)[٢].

ويرجع اهتمام هذه الكليات بالدراسات الإسلامية، والعلاقات الإسلامية النصرانية إلى أكثر من نصف قرن، حين آوت عائلة «كاد بيري» الثرية راهباً يحمل معه مخطوطات عربية وسريانية، فموَّلت إنشاء مركز لدراسة الوثائق والمخطوطات العربية والسريانية[٣]. وقد (أخذ متخصصون بالمحاضرات في العلوم الإسلامية على عاتقهم مساعدة المسيحيين في تعميق فهمهم للإسلام، بتحليل الإيمان والممارسة الإسلامية تحليلاً يجمع بين التعاطف والنقد[٤]. وفي السنين الأخيرة تمت متابعة المحاضرات، وتعددت بمساهمة بعض المسلمين، كطلابٍ أو ضيوفٍ محاضرين، أو مشاركين في لقاءات. وقد تنظمت في إطار كليات «سلّي أوك» عدة لقاءات استشارية بين مسلمين ومسيحيين في موضوعات تهم الجانبين)[٥].

المؤتمر: «الاستشاري لإنشاء «مركز دراسات مسيحية ـ إسلامية»:

دعت كليات سلّي أوك لعقد هذا اللقاء (استناداً إلى «خبرتها» في حقل العلاقات الإسلامية المسيحية، وللحاجة التي تتزايد إلحاحاً إلى

---

(١) انظر: Dialogue Between christians and Muslims (1/16).

(٢) من مقدمة وثيقة اللقاء التشاوري لإنشاء مركز للدراسات الإسلامية المسيحية في سلي أوك. عن: البيانات المسيحية الإسلامية (٨٩).

(٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).

(٤) غير خافٍ أن أولئك المتخصصين هم من المستشرقين والمنصرين.

(٥) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٨٩).

معرفة أعمق من المسيحيين للإسلام، ومن المسلمين للمسيحية... بسبب الحالة التي طرأت في السنين الأخيرة، من جراء ازدياد عدد الجماعات الإسلامية في أوروبا الغربية)[١]. فالتقى في برمنجهام مائة وعشرون مسلماً ونصرانياً ينتمون إلى ثمانية عشر بلداً في أوروبا وآسيا وأفريقيا، في ربيع الثاني عام ١٣٩٥هـ، الموافق مايو عام ١٩٧٥م لمناقشة مشروع إنشاء مركز في أوروبا الغربية للدراسات الإسلامية.

وصدرت وثيقة مشتركة عن المؤتمِرين جاء فيها: (إن استقلالية كليات سلّي أوك تتيح إمكانية تطوير التسهيلات الموجودة فيها على صعيد الدراسات الإسلامية للتجاوب مع هذه الحاجة: إنشاء مركز لدراسة الإسلام والمسيحية، في إطار العلاقات الإسلامية المسيحية. ويهدف المركز أن يكون مكاناً للبحث والتعليم والإعلام، من أجل استكشاف تقاليد الإيمانين في أوروبا وأي منطقة أخرى من العالم...

إننا نعلق أهمية كبيرة على دور المركز كمكان للأبحاث على أعلى مستوياتها، أبحاث تتناول مختلف العلوم الإسلامية، ومختلف مناطق العالم الإسلامي، مع تركيز خاص على الجماعات الإسلامية في أوروبا، وعلى اللاهوت المسيحي في المحيط الإسلامي، وعلى العلاقات التاريخية والمعاصرة بين المسيحية والإسلام...

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف ندعو المسلمين بإلحاح إلى أن يأخذوا مكانهم بالقرب من المسيحيين على جميع الأصعدة التخطيطية والتنفيذية في المركز، أكان في صفوف الطلاب أو الموظفين أو المستشارين... ومن أجل تغطية مصاريف الضيوف المداومين، ومساعدة أمانة السر، فالمسلمون كالمسيحيين يجب أن يكونوا ممثلين بالتكافؤ في «ملاك» المركز..)[٢].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) البيانات المسيحية ـ الإسلامية (٩٠ ـ ٩١).

إن هذا المشروع المتلبس بالصفة العلمية البحثية ليكشف بوضوح عن القلق النصراني المتنامي من جراء الوجود الإسلامي في قلب أوروبا، وما يمثله من تحديات عقدية واجتماعية في العمق النصراني. وإن الدعوة لـ «معرفة أعمق»، و«فهم أفضل»، و«استكشاف تقاليد الإيمانين»، ونحو هذه الجمل البريئة، لم تستطع أن تخفي الهاجس الخفي لهذه المراكز التنصيرية التي يزعجها أمر الجماعات الإسلامية في أوروبا، وتحمل همّ اللاهوت النصراني في المحيط الإسلامي، فتعمد إلى الالتفاف على المسلمين باسم الحوار والدراسات والعلاقات الإسلامية النصرانية، بل وتدعوهم بإلحاح إلى الإنفاق على هذه المراكز، وتقديم الخبرات والمخطوطات والاستشارات. وقد أثمر هذا المؤتمر التشاوري إنشاء:

«مركز دراسة الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية ـ C.S.I.C»:

تأسس هذا المركز بعد عام من المؤتمر التشاوري السابق، أي في عام ١٩٧٦م. ويعد حالياً أهم مراكز الحوار الإسلامي النصراني في المملكة المتحدة[١]. وصار ينظم الملتقيات بالتعاون مع المعاهد الإسلامية، والمجمع البابوي للحوار بين الأديان وغيره. ومن ذلك: المشاركة مع مجلس الكنائس العالمي، ومركز الدراسات الإسلامية، «المؤسسة الإسلامية» في ليستر «بريطانيا»، في مؤتمر: «الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية» المنعقد في شامبزي في سويسرا عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م[٢].

مؤتمر: «الدين والمواطنة في أوروبا والعالم الغربي»:

وقد عقد في آيانابا في جزيرة قبرص، بمشاركة كنائس الشرق

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 38.

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي المبحث الأول من هذا الباب.

الأوسط، في الفترة ٧ ـ ١٣ شوال عام ١٤١١هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٧ أبريل عام ١٩٩١م[١].

مؤتمر: «الحقل المسيحي الإسلامي من آسيا الوسطى إلى أوروبا»:

يعد هذا المؤتمر نقلة واسعة في مناشط المركز، فقد عقده في ولاية تتارستان الإسلامية المنضوية في جمهورية روسيا الاتحادية، بالتعاون مع «جامعة قازان» عام ١٩٩٣م[٢].

٣ ـ إيطاليا:

لئن كان «الفاتيكان» دولة مستقلة عن الجمهورية الإيطالية، يتمتع بحكمٍ ذاتي فوق مساحة محدودة (٤٤ هكتار) من العاصمة الإيطالية روما، إلا إن تأثيره الديني بطبيعة الحال يتجاوز محيطه الضيق إلى عموم الأراضي الإيطالية التي يدين معظم سكانها للكنيسة الكاثوليكية، ولو بصورة اسمية.

وفضلاً عن المبادرات والمحاولات الكاثوليكية للتقارب مع الإسلام التي سبق تفصيلها على المستوى العالمي، فإن إيطاليا واجهت في العقود الثلاثة الأخيرة موجة من الهجرات العمالية المسلمة نحو أراضيها، كما هو الحال في سائر دول أوروبا الغربية[٣]. وقد ساعدت الأنظمة العلمانية المدنية هؤلاء المهاجرين على إقامة مساجدهم ومراكزهم الثقافية، وكان لذلك أثرٌ على المجتمع الإيطالي نفسه.

تقول مجلة «٣٠ يوماً» ذات الصبغة السياسية التنصيرية

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم (٢٣٤)

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 79.

(٣) ومع ذلك فإن نسبة الهجرة إلى إيطاليا تعد من أضعف النسب في البلدان الأوروبية إذ تبلغ ١,٦٪ من مجموع السكان. جريدة الحياة السبت ١٨ نوفمبر ١٩٩٥م.

الكاثوليكية: (أصبح واقعاً في إيطاليا أن عدد المنتمين للديانة الإسلامية من المواطنين الإيطاليين تجاوز ٤٠,٠٠٠ وحدة. وهذه الظاهرة نسبياً متواضعة إذا ما قورنت بالديانة الكاثوليكية، ولكنها تفوق الديانة اليهودية التي لها جذور عميقة تاريخياً. وهذا ما يجعل الاعتقاد بأن الإسلام سيوسع قاعدته في المستقبل، وليس فقط بسبب الزيادة التي لا مفر منها للهجرة من الجنوب إلى الشمال)[١].

ولا يملك أحد الكرادلة الكاثوليك إخفاء هذه المخاوف المستقبلية من المد الإسلامي في إيطاليا فيطلق تصريحات انفعالية أثناء الاحتفالات بالألفية الثالثة لميلاد المسيح، تنبىء عن هواجس الكنيسة، فيقول الكاردينال بيفي أسقف مدينة بولونيا: (ليست إيطاليا بلاداً مهجورة بلا تاريخ، ومن غير تقاليد عريقة. ثمة أضداد تتنافر ويستحيل الجمع بينها. إما أن تثبت أوربا هويتها المسيحية، وإما إنها سائرة إلى الارتماء في حضن الإسلام... أنا لم أنزعج قط من فكرة الحروب الصليبية. أعرف أن كلامي سيساء فهمه، لكن من واجبي أن أفصح عن شواغلي)[٢].

إن هذا القلق المتنامي من حركة الإسلام العالمية، وقبوله في أوساط ذات تقاليد عريقة معادية له باعتناق أفرادٍ منهم الدين الوافد، حمل كثيراً من الجهات الدينية وغير الدينية على مد الجسور نحو الإسلام ومحاورته في إيطاليا إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية.

ويقدّر الدكتور حسن جوليو سورافيا، أحد السابقين إلى الإسلام من الإيطاليين، عدد المسلمين في إيطاليا بمليون نسمة، ٩٠٪ منهم من المهاجرين المغاربة والأفارقة والمصريين وغيرها من البلاد العربية

---

(١) مجلة ٣٠ يوماً. عدد ٢ عام ١٩٩٦م (٣٠) بقلم إيموايغولي.

(٢) جريدة الحياة عدد (١٣٧١٧).

والإسلامية، ويمثل مسلمو إيطاليا ١٠٪ فقط من مجموع المسلمين هناك[١].

• ومن أبرز الجمعيات المعنية بالحوار والتقارب مع المسلمين محلياً وعالمياً:

«جمعية سانت إيجيديو ـ «St. Egidio»»:

تعد هذه الجمعية الإيطالية المنشأ، الكاثوليكية التوجه، من أشهر وأنشط مؤسسات الحوار بين الأديان على المستوى العالمي في السنوات الأخيرة. ورغم التأكيدات المتوالية من قبل الجمعية، والفاتيكان أيضاً، على استقلالية أعمالها عن توجيهات الفاتيكان، فإنه يُعتقد أنه يتخذ من الجمعية أداة مرنة فعالة لتناول كثيرٍ من القضايا التي يتحاشى الظهور فيها لاعتباراتٍ شتى. ونظراً لهذا الارتباط، وللحضور القوي، والمبادرات المتتابعة لجمعية سانت إيجيديو على المستوى الدولي في مسائل التقارب بين الأديان، فسنلقي مزيداً من الضوء عليها، وتعريفها كما تعرف نفسها[٢].

(هي مجموعة جمعياتٍ مسيحية نشأت داخل الكنيسة الكاثوليكية، إثر المجمع الفاتيكاني الثاني. ولذا فإن سانت إيجيديو لا يمكن أن تعرَّف بالمعنى الضيق كجمعية تطوعية، بالرغم من قوة التشابه مع بعضهما بعضاً، أو هيئة غير حكومية، أو جمعية خيرية، من النوع الأنجلوسكسوني «جمعية لا تسعى لتحقيق الربح»... إن جمعية سانت إيجيديو رابطة كنسية، تُعرَّف قانونياً بأنها رابطة عالمية شعبية علمانية[٣]، معترف بها لدى الكرسي الرسولي.

---

(١) جريدة «العالم الإسلامي» الاثنين ٧ ـ ١٣ جمادى الأولى ١٤١٨ هـ ـ (٦).

(٢) قام الباحث بزيارة مقر الجمعية في العاصمة الإيطالية، والتقى بأحد كبار مسؤوليها وهو البروفسور يناري وبعض معاونيه، والحوار معهم حول جمعيتهم وأهدافها ومناشطها. وقدموا لي ملفاً تعريفياً، ومطبوعات تتعلق بالجمعية، وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩ هـ.

(٣) الصفة «العلمانية» في العرف الغربي في مقابل «الكهنوتية» فكل من ليس من=

تطورت جمعية سانت إيجيديو من رابطة تكونت عام ١٩٦٨م في مدرسة ثانوية في روما، كانت محاولة من فرقة من الطلاب للعيش في رابطة أخوية تختار العيش باتصال مباشر مع أفراد المجتمع الأشد فقراً، اعتماداً على واجبات الحياة التي تعكس إيمانياً الرسالة الإنجيلية. واليوم تضم سانت إيجيديو عدة مئات من الجمعيات من أحجام متفاوتة، وأعضاء من مختلف الأعمار، من جميع طبقات الحياة، بما في ذلك جمعيات خارج إيطاليا. والمؤسس الذي كان حينذاك طالب مدرسة ثانوية، أندريا ريكاردي، هو اليوم أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة روما الثالثة... إن الخصائص التعريفية للجمعية (كما وردت في نظامها الأساسي الذي وافق عليه الكرسي الرسولي) هي:

□ أولوية الكرازة[1] بالإنجيل، وخاصة في أوساط الناس الأكثر بعداً عن التجربة والممارسة الدينية.

□ أولوية خدمة الجمعية في أوساط الفقراء بروح المجمع، روح «كنيسة كل الناس لا سيما الفقراء».

□ أولوية الحوار المسكوني بين الأديان، المدعوم من خلال ضيافة كنيسة روما، وصداقة ومساندة المسيحيين في الشرق. «الدِّين تجاه القدس»، والصداقة والتعاون مع جميع المؤمنين من الأديان والمذاهب الأخرى، من أجل السلام والتعايش في مختلف بقاع العالم)[2].

تلك هي جمعية سانت إيجيديو من حيث المنشأ والأهداف

= طبقة رجال الدين «الأكليروس» بمراتبهم المختلفة، يعد علمانياً، بناءً على النظرة الكنسية التي تفصل الدين عن الدنيا.

(١) الكرازة: الوعظ بالحقائق المسيحية. «سريانية». المنجد في اللغة (٦٨٠).

(٢) من نشرة تعريفية صادرة عن الجمعية باللغة الإنجليزية (١).

والوضعية القانونية. وبه يتبين كما يجهر بذلك القائمون عليها أنها هيئة كنسية تسعى لتحقيق الرسالة الإنجيلية عن طريق الخدمات الاجتماعية والحوار، لتحقيق الكرازة بالإنجيل.

أما من الناحية العملية، فمنذ عام ١٩٧٣م، اتخذت الجمعية من دير عتيق في أحد أحياء روما القديمة، يحمل اسم قديسة كاثوليكية «إيجيديو» مقراً وعنواناً لها، تمارس فيه كل مساء تجربة «الصلاة الكبرى»[(١)]، وتربط ربطاً وثيقاً بين هذه الطقوس الكهنوتية، والمناشط الاجتماعية والسياسية التي تتبناها.

جاء في النشرة التعريفية الصادرة عن الجمعية (لقد ظلت جمعية سانت إيجيديو، بوصفها هيئة كنسية، حريصة على التمييز بين التزاماتها الخاصة في الحقلين الاجتماعي والمدني، وبين أي وضع سياسي طارىء. هذا الالتزام القوي في الحقل المدني يتجذر في الممارسة اليومية للصلاة الفردية والجماعية التي تمثل الطريقة المتماسكة للحفاظ على وحدة أولوية الكرازة بالإنجيل، ومساعدة الفقراء)[(٢)].

وتنتشر فروع هذه الجمعية في زهاء عشرين بلداً في أوروبا الغربية والشرقية وأفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى واللاتينية، وتقوم بالخدمات الاجتماعية التالية ضمن رسالتها التنصيرية:

- رعاية الأطفال وتعليمهم.
- الاهتمام بالمرضى والمسنين وإيوائهم وعلاجهم.
- الوقوف إلى جانب المهاجرين، من جنوب العالم وشرقه، إلى أوروبا وتقديم وجبات الطعام، والمساعدات القانونية، وإيجاد فرص عمل لهم.

---

(١) انظر: مجلة ٣٠ يوماً. (جمعية من أجل السلام) ميكيلي برانكاليه (٣٠).
ونشرة: «لجنة الصداقة الإسلامية المسيحية» لجمعية سانت إيجيديو (١٢ ـ ١٣).

(٢) النشرة التعريفية (٢).

ومنذ مطلع التسعينيات لمع نجم جمعية سانت إيجيديو في مبادرات السلام بين الفرقاء السياسيين في مناطق مختلفة من العالم، فمن ذلك:

■ رعاية مفاوضات السلام لوقف الحرب الأهلية في موزامبيق، عام ١٩٩٠م ـ ١٩٩٢م (وضمن علاقة التضامن والمساعدة هذه سعت جمعية سانت إيجيديو أولاً إلى إعادة فتح قنوات الاتصال والحوار بين الحكومة الماركسية ـ اللينينة المتشددة آنذاك، وكنيسة الموزامبيق بهدف إتاحة مزيد من الحرية الدينية في البلاد)[1].

■ إقامة ملتقيين عن الجزائر عقدا في روما في مقر الجمعية وضما ممثلي جميع الأحزاب السياسية والمعارضة، أحدهما في نوفمبر ١٩٩٤م، والآخر في يناير ١٩٩٥م.

■ عقد لقاءات فلسطينية إسرائيلية في أسيزي عام ١٩٩٤م، والقدس عام ١٩٩٥م.

■ اجتماع بين أطراف النزاع في غواتيمالا في مقر الجمعية، في فبراير عام ١٩٩٦م.

■السعي لدى حكومة يوغسلافيا أثناء حربها مع حلف شمال الأطلسي، بسبب ممارستها البشعة للتطهير العرقي في إقليم كوسوفا المسلم عام ١٩٩٩م حتى تمكنت من إطلاق زعيم الألبان في الإقليم، إبراهيم روقوفا، يوم الأربعاء ١٩/١/١٤٢٠هـ، الموافق ٥/٥/١٩٩٩م[2]، بدعم من الفاتيكان وإحضاره إلى روما، للسعي إلى تسوية معينة.

---

(١) النشرة السابقة.

(٢) وكالات الأنباء. وقد أذاعت هيئة الإذاعة البريطانية BBC الخبر في نفس اليوم.

والجمعية لا تخفي مقاصدها الدينية النصرانية الكامنة خلف مبادراتها في السلام والإنماء. تقول الجمعية في نشرتها التعريفية: (على طرقات الصداقة والحوار عملت جمعية سانت إيجيديو محاولةً تشجيع تفاهم أكبر. وبهذا السياق تأتي العلاقات والأعمال في بلدان أفريقيا، والشرق الأقصى، وأمريكا الوسطى، حيث توجد الأقلية التمثيلية للنصارى الشرقيين.

وفي الصورة الكلية لهذه المبادرات السلمية، يبقى أن تضاف المبادرة الأخيرة لجمعية سانت إيجيديو، أي عملها في ألبانيا. بدأ البرنامج منذ عامين تقريباً بشحن مواد غذائية، ودوائية أساسية للبلاد جنباً إلى جنب مع تنمية العلاقات الوثيقة مع الكنيسة...)[1].

هذا هو الوجه التنصيري السافر لجمعية سانت إيجيديو في مجال الخدمات الاجتماعية، والمبادرات السياسية باسم السلام والإنماء، فما بالك بالمحاولات النشطة للتقريب بين الأديان، والحوار بين أتباعها، الذي ينص عليه النظام الأساسي للجمعية؟

(رابطة: البشر والأديان People and Religions)

لقد كان الحدث المفاجىء الذي دعا إليه البابا يوحنا بولس الثاني في سابقة لا نظير لها في تاريخ العلاقات بين الأديان، وهو الصلاة المشتركة من أجل السلام، الذي ضم عدداً من القادة الرسميين للأديان في بلدة أسيزي الإيطالية في أكتوبر عام ١٩٨٦م، لقد كان ذلك الحدث بداية انطلاق واسعة لجمعية سانت إيجيديو لتحقيق أهدافها في مجال الحوار بين الأديان.

(إن أولوية الحوار المسكوني والحوار بين الأديان قد قاد جمعية سانت إيجيديو إلى تلقي حدس أسيزي: أن يجمع المؤمنون معاً، مع

---

(١) النشرة التعريفية (٧).

التأكيد على ضرورة الصلاة من أجل السلام[1]. ومن ثم أنشأت الجمعية رابطة دولية باسم «البشر والأديان». ومنذ ذلك الحين تبنت الجمعية الدعوة لإقامة الصلاة المشتركة بين الأديان، على غرار يوم الصلاة في أسيزي. فنظمت الملتقيات التالية:

(١) ملتقى: «الصلاة كمصدر للسلام» ـ في روما عام ١٩٨٧م.

(٢) ملتقى: «المصلون في بحثٍ عن السلام» في روما عام ١٩٨٨م.

(٣) ملتقى: «الحرب بلا عودة» في وارسو ـ بيركناو «بولندا» عام ١٩٨٩م بمناسبة الذكرى الخمسين لاندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م.

(٤) ملتقى: «من الشرق إلى الغرب بحر من السلام» في باري عام ١٩٩٠م.

(٥) ملتقى: «الأديان في سبيل بحر من السلام» في مالطا عام ١٩٩٠م.

(٦) ملتقى: «أوروبا والأديان والسلام» في بروكسيل ـ لوفانو ـ عام ١٩٩٢م.

(٧) ملتقى: «أرض البشر، ابتهالات إلى الله» في ميلانو ـ إيطاليا عام ١٩٩٣م.

وقد تميز هذا الملتقى بتنظيم دقيق، وحضور مميز لقادة عالميين دِينيين وسياسيين من مختلف الأديان، وربما كان لوقوعه إثر معاهدة الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني دورٌ في ذلك. فقد ألقى محاضرة الافتتاح الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل جورباتشوف، بحضور رؤساء جمهوريتي إيطاليا وألبانيا.

---

(١) النشرة التعريفية بالجمعية (٤).

وقد وجهت الدعوة لمفتي تونس، وبطريرك الأرثذوكس، وبطريرك الكاثوليك في سوريا، وبطريرك اللاتين في القدس، والفاتيكان، وكبير حاخامات إسرائيل، والأمير حسن بن طلال ولي عهد الأردن، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ومفتي اليمن، ورئيس مجلس العلماء في أندونيسيا، ومفتي البوسنة، فضلاً عن نحو مائة من المؤسسات الدينية المختلفة في العالم. وقد تضمن الملتقى عدة ندوات تناولت:

- دور الأديان في التقريب بين الشعوب، وفي تحقيق السلام والتعاون الدوليين، وفي إشاعة الديموقراطية، واحترام حقوق الإنسان. كما تنظم ندوة خاصة عن دور الإعلام الحديث في مساندة الأديان ورسالتها(١).

(٨) ملتقى: «الأصدقاء في الله، شهادة السلام» في أسيزي عام ١٩٩٤م.

(٩) ملتقى: «المأوى والسعادة في السلام» في فلورنسا، إيطاليا عام ١٩٩٥م.

(١٠) ملتقى: «السلام اسم الرب» في روما عام ١٩٩٦م. وكان أيضاً من الملتقيات، المميّزة التي حضرها أكثر من أربعمائة ممثل لمختلف الأديان والتقاليد، خلال الفترة ٧ ـ ١٠ أكتوبر، تحلقوا حول ثمانية وعشرين طاولة حوار مستديرة، وأقيمت سبعين صلاة في الكنائس الرومانية. وكان من بين الحضور أربعة عشر كاردينالاً، وقادة مسلمون، فيهم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وأشهر خبير معاصر بالتلمود، واثنا عشر ربَّانياً من ذوي النفوذ، وأساقفة وكهنة من الكنيسة الإنجليكانية، والكنائس البروتستانتية الأخرى، وبطاركة الأرثذوكس، من اليونان، والصرب، والرومانيين، والسريان، والكلدان، والقبط،

---

(١) انظر: جريدة «الأهرام الدولي» عدد ١٨ سبتمبر عام ١٩٩٣م.

والدروز، والقسس المارونيين، وحركات الفقراء والمعاقين العالمية، ورئيس جمهورية إيطاليا، ورئيس وزرائه، والمدير العام لمنظمة الأمم المتحدة، ومنظمة العفو الدولية، ورئيس الصليب الأحمر الدولي، ومنظمة الاتحاد الأوروبي.(١) كما حضر أيضاً الرئيس البرتغالي السابق ماريو سواريس، وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي، ورئيس جمعية العلماء في المغرب(٢).

إن هذا الحضور المميَّز والمتنوع ليكشف حجم الدور الذي تؤديه جمعية سانت إيجيديو، وضخامة الدعم الذي تلقاه، فبالرغم من أن هذه الملتقيات المتتابعة تعقد باسم الصلاة من أجل السلام، بروح أسيزي، كما يعبر القائمون عليها، إلا إن البرنامج الحافل من الندوات، والموضوعات المطروحة للنقاش، تكشف أبعاداً أخرى لنشاط هذه الجمعية. ويصف أحد المراسلين طبيعة هذا الملتقى قائلاً: (ليس مؤتمراً بالمعنى التقليدي، وليس له جدول أعمال يناقشه الحاضرون، ويخرجون منه بقرارات، بل هو عبارة عن محاور للنقاش، وفضاءات للتعبير تعقد بشكل متواز. فهناك ست أو سبع ندوات تعقد في وقتٍ واحد، فيختار المشارك الندوة التي يريدها. وهي ندوات مفتوحة للجمهور الذي يستطيع أن يناقش بكامل الحرية، في حدود الوقت المتوفر)(٣).

ومن أبرز عناوين تلك الندوات:

- الانتقال السلمي أو غير العنيف نحو السلام والديموقراطية.
- أية إنسانية وأي عمل إنساني في العام ٢٠٠٠.
- المسيحية والإسلام وجهاً لوجه.

---

(١) مجلة: داخل الفاتيكان Inside The Vatican. عدد نوفمبر ١٩٩٦م (٨١، ١٩، ٢١).
(٢) جريدة الشرق الأوسط عدد الاثنين ١٤ أكتوبر ١٩٩٦م الصفحة الأولى.
(٣) المرجع السابق. قصي صالح الدرويش.

- هل يوجد مكان للإعلام الديني في الألفية القادمة؟
- المرأة في الأديان، الصلاة في الأديان، الأديان والأصولية، القومية والدين، الأديان والبيئة.
- حصيلة الحوار بين الأديان.
- الأزمات والمصادر الروحية في أميركا، وجهاً لوجه حول الإيمان.
- الإسلام والعالم المعاصر.
- التقاليد الدينية في اليابان.
- ندوة البحر الأبيض المتوسط.

وكان يتخلل هذه الندوات جدل حاد، وصدامات حول نقاط حساسة بين مختلف الأطراف(١). وتلاحظ الهيمنة النصرانية على أعمال الملتقى في تكرار الحديث عن الألفية الثالثة. وهي مناسبة تخص النصارى وحدهم، كما يلاحظ تبجيل البابا يوحنا بولس الثاني، وتقديمه بصورة الأب الروحي لجميع الأديان والطوائف، من مراسم الافتتاح إلى ديباجة البيان الختامي، وانتهاءً بالصلاة الجماعية في ختام أعمال المؤتمر. وقد وقع المشاركون على بيان ختامي هذا نصه:

(عشر سنوات مضت منذ حدث يوم أسيزي في أكتوبر ١٩٨٦م، عندما دعا البابا يوحنا بولس الثاني قادة الكنائس المسيحية، والأديان العالمية الكبرى، للصلاة من أجل السلام في الأرض. إننا نشكر الله على التقدم الذي تحقق خلال هذه السنوات، كل واحد فينا قرب وليس ضد الآخر. في مواجهة الحروب التي أحياناً تقلق العالم نضع ثقتنا الأولى في الصلاة. الرب يسمع الابتهالات، يليّن قلوب الرجال

---

(١) المرجع السابق.

العنيفة، يمنح الحكمة والعدالة، ويطمئن أولئك الذين يسعون نحو السلام.

إننا نحيي ذكرى ضحايا الصراع والجراحات التي لا تزال مفتوحة. وباحتفال نردد نداء السلام. الأديان لا تبعث الضغينة والحرب، إنها لا تسوغ إراقة الدماء البريئة. الأديان لا تريد الحرب، وإنما السلام. لا محل للقداسة في الحرب، فقط السلام هو المقدس. في السنوات القليلة الأخيرة، استناداً إلى النداء الموجه من البابا يوحنا بولس الثاني في أسيزي، والذي نتشارك فيه بسعة، نمت طاقات جديدة للسلام، ومشاعر جديدة من عدم التفاهم بين المؤمنين أشبه بتيار متزايد. إننا نأمل أن يغسل هذا التيار من السلام أراضي الحرب، ويطفىء الضغينة، ويغذي الآمال لعالم بلا صراع. لقد نذرنا أنفسنا أن ننمي محبة السلام بين ظهراني أتباعنا المؤمنين.

وكما أننا مقتنعون أن الأديان تملك مسؤولية كبيرة في الوعظ بالصفح، فإننا نخاطب جميع أولئك الذين يقتلون، أو يثيرون الحرب باسم الله. إننا نذكرهم أن السلام اسم الله. الحديث عن حروبٍ دينية مجرد هراء. لا الضغينة ولا الصراع يمكن أن تعتمد على الدين.

إننا نخاطب أولئك الذين يستعملون السلام لإقامة مصالحهم، إننا ندعوهم أن يبصروا في مسؤولياتهم، إن الحرب دوماً رحلة بلا عودة، تخلف وراءها مجازر حمقاء.

إننا لا نملك أي قوة خارج القوة الضعيفة للإيمان. وباسمها ندعو كل أحد أن يتخلى عن مشاعر العنف. التواضع، والتفاهم، والحوار، طرائق لمعالجة الصراعات، البحث عن العدالة، وفوق كل ذلك، الحب يمكن أن يجنبنا تهديد الحرب.

هذه ابتهالاتنا، ونحن نعتقد أنها أيضاً لملايين المؤمنين من الرجال والنساء في جميع العالم)[١].

إن هذا النص الكامل للبيان النهائي لملتقى جمعية سانت إيجيديو العاشر ليكشف عن المهمة المزدوجة التي تمارسها الجمعية؛ ففي الوقت الذي تعزز فيه مكانة الكنيسة النصرانية، والأقلية النصرانية حيثما وجدت على وجه الأرض، وتتذرع بالمعونات الإنسانية، ومشاريع الوساطات السياسية لبلوغ أهدافها، تغض الطرف عما يقع للآخرين، والمسلمين خاصة، من مذابح واضطهاد، بل وتنتظر حتى يفرغ الجزار من سلخ ذبيحته، لتلبس مسوح الرهبان، وتربِّت على أكتاف ذوي الضحية موصية إياهم بالصبر والسلوان!

إن هذا البيان الذي يقطر رقة ورأفة، يصاغ بهذا الأسلوب المتنسك إثر فراغ النصارى، بقسميهم الكاثوليك والأرثذوكس من الصرب والكروات، من ذبح مئات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك، ونهش لحومهم، واقتطاع أراضيهم، وهتك أعراضهم، وهدم مساجدهم باسم الدين والصليب، ثم إلزامهم بالتوقيع صاغرين على معاهدة دايتون المذلة، التي تذيب شخصيتهم وانتماءهم الإسلامي العريق، في بحر أوروبا النصرانية الموحدة، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها، أو أريد لها ذلك، وتمكن الجريح من الأنين عام ١٩٩٦م، تنادى الرهبان والقسس للصلاة من أجل السلام، وجاءت وجوه خاشعة عاملة ناصبة تذكر قادة الأديان بضرورة الموعظة بالصفح والغفران، وإطفاء الضغينة، وتقول بملء أفواهها: إن الحديث عن حروبٍ دينية مجرد هراء!!

---

(١) ترجمة البيان الختامي Final Appeal لأعمال الملتقى، حصلت عليه باللغة الإنجليزية من الجمعية نفسها.

إن بياناً كهذا لا يعيّن الجاني ويندد به على الأقل، ولا المجني عليه ويشهد له، لهو بيان فارغ لا قيمة له، إذ لا يُحق حقاً ولا يُبطل باطلاً، إلى الحد الذي يوقع على مضمونه ممثلو الصرب أنفسهم، ممن حضروا الملتقى. وأخطر ما فيه أنه أقرَّ ما أفنى المستشرقون والمنصرون فيه أعمارهم، ومن بعدهم صنائعهم في بلاد المسلمين، من الدعوة إلى إلغاء الجهاد ونسخه. وهو ما يظهر جلياً في البيان حين يعد الحروب الدينية مجرد هراء، ومنزوعة القداسة بإطلاق، ويتقبله المسلمون وكأنه قضية مسلمة، والله المستعان على ما يصفون.

(١١) ملتقى: الصراع أو اللقاء: الأديان والثقافات على مفترق طرق.

عقد في بادوا قرب فينيسيا «البندقية» في إيطاليا، عام ١٩٩٧م وتناول الحديث عن العلاقات المتوسطية ـ نسبة إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط ـ خصوصاً، والعلاقة بين الإسلام والغرب عموماً[(١)]. وصدر عن الملتقى بيان ختامي ذو صياغة كنسية عن السلام والمحبة ونبذ العنف والحروب، يتسم بالتعميم، ولا يتناول قضايا خاصة[(٢)].

وإلى جانب هذه الملتقيات التي تضم المسلمين وأهل الكتاب والوثنيين على تنوع طرائقهم، خصت جمعية سانت إيجيديو اليهود والنصارى والمسلمين بملتقياتٍ مرادفة، كان من أهمها:

مؤتمر: «السلام بين الأديان، والسلام بين المجتمعات»:

عقد هذا المؤتمر يومي ٢٩ ـ ٣٠ أبريل سنة ١٩٩١م في روما، إثر حرب الخليج الثانية. وقد حضره شخصيات رسمية بارزة من

---

(١) جريدة هيرالد تريبيون العالمية عدد ١٠ أكتوبر ١٩٩٧م International Herald Tribune.

(٢) انظر: نص البيان الختامي في مجلة (تقرير أورشليم) عدد ٣٠ أكتوبر ١٩٩٧م The Jerusalem report.

المسلمين والنصارى واليهود، وعقدت جلساته في مبنى بلدية روما، وافتتحه رئيس وزراء إيطاليا إذ ذاك، جوليو أندريوتي، وعمدة روما.

وتضمن المؤتمر بحث القضايا التالية:

١ - (السلام بين الدين والمجتمع) تحدث فيه كل من: الكاردينال روجر أتشيجاري، رئيس مجلس العدالة والسلام في الفاتيكان، والشيخ محمد المختار السلامي، مفتي تونس، والحاخام شالومي جورين، الحاخام الأكبر لإسرائيل.

٢ - (الكتاب والسلام الاجتماعي. التوراة. العهد الجديد. القرآن) تحدث فيه أسقف السريان الأرثوذكس في حلب، وممثل رابطة العالم الإسلامي، وربّاني[1] روما.

وقد نظمت الجمعية للمشاركين ثلاث زيارات: للبابا يوحنا بولس الثاني، وللسنيور كوسيجا، رئيس جمهورية إيطاليا، وللكاردينال فرنسيس آرنزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان.

وقد صاغ الكاردينال أشيلي سلفستريني، سكرتير «مجلس الشؤون العامة في الفاتيكان» نتائج المؤتمر بإحدى عشرة فقرة، نختار منها:

(١ - أن هداية «إبراهيم»، ونور ما جاء به، يحقق الطريق الآمن للأديان الثلاثة، التي لا شك أن لديها مواقف صعبة تواجه نشاطها وحياتها وسلوك أبنائها.

٢ - أن الحكيم هو من يستطيع استنباط أحكام وآراء جديدة من كتابه...

١٠ - تتنادى الأديان اليوم إلى حركة تجديد، بأن يكون الكتاب «كتاب أي عقيدة» حكماً، فليطبق كل منا كتابه حتى يكون هو المنهج والطريق لمجتمعاتنا إلى السلام، وليرتفع دعاؤنا بأننا نبني للسلام، ولكل البشرية «البحر الأبيض المتوسط، الشرق الأوسط، العالم

---

(١) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] ما نصه: (وأولى الاقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يرب الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها، ويقوم بها) جامع البيان ٣/ ٣٢٧.

كله»)[١]. وقد خلا المؤتمر من بحث القضايا العقدية الأساسية، ولاحظ بعض ممثلي المسلمين إكثار المتحدثين من اليهود والنصارى ذكر عبارة «الله الواحد الأحد»، وكأنهم يقصدون أن المسلمين ليسوا وحدهم الموحدين)[٢].

مؤتمر: «الأديان الثلاثة من أجل السلام لأورشليم»:

انعقد هذا المؤتمر في مدينة القدس ذاتها، في أغسطس عام ١٩٩٥م، بحضور ممثلين من المسلمين والنصارى واليهود، تجمعهم رغبة مشتركة لتحقيق السلام في المدينة المقدسة[٣].

«لجنة الصداقة الإسلامية ـ المسيحية»:

(نشأت لجنة الصداقة الإسلامية ـ المسيحية في روما عام ١٩٨٥م، بمبادرة من جمعية سانت إيجيديو، وهي ترمي إلى تعزيز المعرفة المتبادلة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي. وبغية تحقيق هذا الهدف، تشجع لجنة الصداقة الإسلامية ـ المسيحية فرص التفكير واللقاءات لمرحلة جديدة في العلاقات بين الديانتين.

نشأت اللجنة من عمل مكثف، وزيارات وتبادلات ثقافية، كانت جمعية سانت إيجيديو قد بدأته منذ سنواتٍ عديدة مع البلدان التي غالبية سكانها مسلمون)[٤].

هكذا تعرّف هذه اللجنة الفرعية نفسها، وهي إلى جانب حضورها

---

(١) من تقرير للدكتور عبد الله بن عبد الشكور كامل. مدير المركز الإسلامي في فيينا، وممثل رابطة العالم الإسلامي في المؤتمر، مؤرخ في ٢٦/ ١٠/ ١٤١١هـ ١١/ ٥/ ١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق (٩).

(٣) النشرة التعريفية بجمعية سانت إيجيديو (٤).

(٤) لجنة الصداقة الإسلامية ـ المسيحية كتيب تعريفي (٤).

الدائم في مناشط الجمعية الأم، بل في بعض مناشط الفاتيكان الحوارية، تختص بمحاولاتٍ مستقلة للتقريب بين الإسلام والنصرانية، في إطار الهدف المعلن العام للتقارب بين جميع الأديان الذي ترفع لواءه الجمعية.

(لقد أقامت اللجنة من خلال شبكة جمعيات سانت إجيديو، سلسلة علاقات مع المراكز الإسلامية الموجودة في القارة الأوروبية. فقد اتخذت سلسلة مبادرات حوار متنوعة، انطلاقاً من روما ومدريد ولندن، ومروراً بالنمسا وبلجيكا وألمانيا... كانت إحدى المبادرات العامة للجنة سلسلة محاضرات عن الحوار والتعايش بين الإسلام والمسيحية، ألقيت في روما في شتاء ١٩٨٥م ـ ١٩٨٦م. وهدفت إلى إعطاء الجمهور الإيطالي فرصة للمقارنة والمعرفة بشأن الإسلام والكنيسة التي تعيش في دار الإسلام)[١]. ومن اللقاءات الإسلامية النصرانية التي رعتها الجمعية:

«اللقاء الثنائي مع وفد رابطة العالم الإسلامي»:

تم هذا اللقاء في مطلع عام ١٩٩٣م في روما، بدعوة من الجمعية لوفدٍ من الرابطة برئاسة أمينها العام إذ ذاك د. عبد الله بن عمر نصيف. وأجرى الوفد سلسلة لقاءاتٍ مكثفة مع الجمعية والحكومة الإيطالية، وألقى الدكتور نصيف محاضرة في الكامبيدوليو[٢] عن: «الإسلام وتحديات العالم المعاصر».

وصدر تصريح مشترك عن الطرفين، أكدا فيه على التزامهما في التعاون من أجل أن تكون القيم الدينية أساساً للنظام العالمي الجديد[٣].

---

(١) المرجع السابق (٧).
(٢) مبنى البلدية: وهو من المعالم الشهيرة في روما.
(٣) لجنة الصداقة الإسلامية ـ المسيحية (٨ ـ ٩).

مؤتمر: السبيل إلى حياة إسلامية في مجتمع غير مسلم (المعاملات)»:

عقد هذا المؤتمر في روما عام ١٩٩٧م، وقد دعى إليه محاضرون من مصر والمغرب والجزائر، ولم يحظ بتأييدٍ وحضور من الجالية المسلمة في إيطاليا بسبب عدم إشراكهم في التخطيط لهذا الملتقى.

مؤتمر: «المحافظة على الهوية الإسلامية في مجتمع غير مسلم»:

دعت جمعية سانت إيجيديو إلى هذا المؤتمر في العام التالي ١٩٩٨م، وجاء في نص إعلانها: (... تقترح الجمعية إقامة يومٍ دراسي ثالث يكون مناسبة طيبة لاجتماعٍ خاص مقصور على الفعالياتَ المسؤولة عن مختلف الجمعيات والمراكز الإسلامية بإيطاليا... نأمل أن يحقق هذا اليوم لأصدقائنا المسلمين بإيطاليا مزيداً من الوعي والتعاون والسلام). وكان التجاوب معه أكبر من سابقه بسبب إدراك الجمعية ضرورة التنسيق مع المسلمين في إيطاليا[1].

إن جمعية سانت إيجيديو قد لفتت أنظار العالم منذ منتصف الثمانينيات بمبادراتها المتنوعة، على جميع الأصعدة الدينية والاجتماعية والسياسية، وأثارت تساؤلات كثيرة حول مصادر دعمها وتمويلها، ومن ثم أهدافها وغاياتها. وقد بات جلياً أنها تلقى دعماً من الحكومة الإيطالية، إلى حد أن العديد من المطلعين يعتبرونها إحدى أذرع الخارجية الإيطالية، وربما وزارات أخرى[2].

والأهم من ذلك، علاقتها الوثيقة بالفاتيكان. وقد وصف بعض الصحفيين الغربيين هذه العلاقة بقوله: (إن جمعية سانت إيجيديو ليست

---

(١) كما أفاد بذلك الدكتور: نور الدين دشان، أحد أبرز رؤساء الهيئات والجاليات الإسلامية في إيطاليا أثناء زيارتي له يوم الأحد ١٤١٩/٤/٢ هـ في أنكونا.

(٢) انظر: جريدة الأهرام الدولي. حوار الأديان وصدام الحضارات. صلاح الدين حافظ عدد ٢٩ سبتمبر ١٩٩٣م.

هي الفاتيكان. إنها جماعة كاثوليكية ملتزمة، وهذا يعني أن مبادراتها تخصها. لكن بات واضحاً بازدياد أن الفاتيكان في الجزء الأخير من القرن العشرين، يستخدم جمعية سانت إيجيديو كنوعٍ من «الباب الخلفي»، قناة للمضي قدماً بجدول أعماله الديبلوماسية...

إن ثمَّ مخاوف لدى بعض الكاثوليك التقليديين أن تنتهي مبادرات جمعية سانت إيجيديو إلى «التوفيقية»، بتبسيط وتجهيل الاختلافات بين مختلف الأديان. ولكن الفاتيكان ظل يدعم جهود الجمعية، وغدا مسروراً من رؤيتها تجني ثمرة مميزة، خصوصاً في جلب السلام في أنجولا، وتمنى أن تحقق مشاريع الجمعية دوراً إنجيلياً وسلمياً حقيقياً يندفع قدماً)[١].

إن هذا الدعم الفاتيكاني، يفسر الانتشار الواسع لجمعية ناشئة في العديد من مواقع التوتر في العالم مثل: إثيوبيا، وإرتيريا، رومانيا، وألبانيا، السلفادور، وفيتنام، أرمينيا، ولبنان، والموزامبيق، والأكراد في إيران، والجزائر، وغواتيمالا، وتركيا، والبوسنة... الخ.

كما تولي الجمعية اهتماماً خاصاً بالأقليات النصرانية في العالم الإسلامي، إذ تقول في أحد تقاريرها: (إن المسيحية في العالم العربي والإسلامي تمثل شيئاً نفيساً، ليس بسبب كون الجذور التاريخية للكنيسة كانت هناك، ولكن أيضاً للوضع المميز لغير المسلمين الموجودين في دار الإسلام. وفي هذا المجال فإن الاهتمام باللاجئين «تمتلك جمعية سانت إيجيديو خطة لإعادة توطين المسيحيين في البلاد العربية» يمتزج بالعلاقات بجمعيات كاثوليكية وغير كاثوليكية... وفقاً لسانت إيجيديو فإن قواعد التعددية العرقية، ضرورية للتحدث بلغة: السلام، العنف،

---

(١) مجلة Inside The Vatican لـ: أنتونيو كاسباري، وجوينهلجر عدد نوفمبر ١٩٩٦م (١٨).

التعددية للتعرف على أعراف الآخرين. وفي هذا الصدد فإن جمعية سانت إيجيديو تهتم بمراكز التعددية العرقية، مع عناية خاصة بالأقليات الدينية، حيث تتولى غالباً خصائص الأقلية العرقية إذا لم يكونوا مستعدين لذلك. ولهذا تملك جمعية سانت إيجيديو روابط وثيقة في لبنان ذي العقائد الكثيرة، وفي العالم العربي الإسلامي على العموم مع الأقليات المسيحية «من الملكانيين السوريين واللبنانيين، إلى القبط المصريين، ومن الكلدان في الهلال الخصيب، إلى مسيحيي الجزائر». ولكن أيضاً في ألبانيا ذي الجماعات الدينية، الأربع.. فإن ممثلي سانت إيجيديو يتبوؤون موقعاً غير رسمي، كمستشارين للحكومة في القضايا الدينية منذ نهاية الحكم الشيوعي في ١٩٩٠م. أما أرتيريا فإن هذا البلد الذي يعرف بالتوازن بين المسلمين والمسيحيين فيه، قد طلبت حكومته من سانت إيجيديو أن تبعث مراقبين للانتخابات الجارية)[١].

كما تقوم الجمعية بتمهيد الطريق للفاتيكان في القضايا الشائكة، فحين تغيب الصرب عن الصلاة من أجل السلام في البوسنة، التي دعا إليها البابا يوحنا بولس الثاني في أسيزي، قامت الجمعية بتصفية الأجواء مع الكنيسة الصربية الأرثذوكسية، وتم عقد لقاءٍ في روما بين بابا الكاثوليك، والبطريرك الصربي. كما قامت الجمعية بدور خاص في العلاقة بين الفاتيكان والاتحاد السوفييتي سابقاً[٢].

كل هذه الأنشطة تلقي بظلالها على مبادرات جمعية سانت إيجيديو في مجال الحوار بين الأديان، وأهدافها. وقد وجه البابا يوحنا بولس الثاني خطاباً للجمعية في أكتوبر عام ١٩٩٣م جاء فيه: (لا تزال المحبة تحيي الحوار الذي تجريه جمعيتكم مع الأديان الكبرى غير

(١) من تقرير حصل عليه الباحث من الجمعية ذاتها.
(٢) المرجع السابق.

المسيحية، خصوصاً مع اليهودية والعالم الإسلامي. استمروا في هذا الطريق. بفضل قوة الاحترام والصداقة سوف تتمكنون من المساهمة في تخطي المصاعب الموروثة، وهدم جدران عدم التفاهم والبرودة المتبادلة. أليست هذه روح المصالحة والسلام التي تحاولون نشرها خلال الملتقيات الدولية التي تنظمون؟ لقد كتبت إليكم منذ أسابيع قليلة بمناسبة الملتقى الدولي في ميلانو، إنني مسرور أن أرى كيف استمرت المسيرة التي بدأت في أسيزي، واجتذبت بازدياد رجالاً ونساءً من مختلف الأديان والثقافات، توحدهم رغبة واحدة في منحة السلام الكبرى)(١).

(نادي بالرمو الثقافي المتوسطي):

نشط هذا المركز الواقع في عاصمة جزيرة صقلية «بالرمو» بإيطاليا في حقبة الثمانينيات فقط، فعقد ست مؤتمرات ثنائية، إسلامية نصرانية، كانت على النحو التالي:

• **مؤتمر: «في سبيل مخرجٍ من أزمات عصرنا»:**

عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

• **مؤتمر: «التصوف الإسلامي والتصوف المسيحي»:**

يومي ١٤، ١٥ محرم عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٢ أكتوبر عام ١٩٨٣م. وحضره مائتا مشارك.

• **مؤتمر: «الله والإنسان والطبيعة»:**

في الفترة: ٢٨ ربيع الأول ـ ١ ربيع الآخر عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٢٣ ـ ٢٥ نوفمبر عام ١٩٨٤م.

• **مؤتمر: «الإنسان ومصيره»:**

في الفترة: ١٠ ـ ١٢ صفر عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٥ ـ ٢٧ أكتوبر عام ١٩٨٥م.

---

(١) Interreligious Dialogue. The Official Teaching ot the Catholic Church (1963 - 1995) p. 516.

• **مؤتمر: «العلم والتقدم والدين»:**

في الفترة: ١٨ ـ ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٣ نوفمبر عام ١٩٨٦م.

• **مؤتمر: «العمل والتأمل في النظرة المسيحية والإسلامية»:**

في الفترة: ٢٨ ـ ٣٠ ربيع الأول عام ١٤٠٨هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٢ نوفمبر عام ١٩٨٧م.

ولم يصدر عن أيٍ من هذه الملتقيات بيان مشترك[١]. ويظهر أنها منتديات فكرية، ذات نزعة صوفية كما يستشف من بعض عناوينها.

الجمعية الدينية الدولية ومقرها روما. وقد عقدت مؤتمراً دوليًا ضخماً في الفترة: ٧ ـ ١٠ ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٣ ـ ٦ سبتمبر عام ١٩٨٤م تحت عنوان:

«حرية الدين أو العقيدة أساس السلام» حضره ثلاثمائة مشارك من اثنين وأربعين بلداً، يمثلون مختلف الطوائف والأديان)[٢].

المنظمة الدولية للتقدم وقد عقدت مؤتمراً إسلامياً نصرانياً في روما في الفترة: ١٥ ـ ١٧ محرم عام ١٤٠٢هـ، الموافق ١٧ ـ ١٩ نوفمبر عام ١٩٨١م بعنوان:

«مفهوم التوحيد»: حضره خمسة وعشرون مشاركاً. ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

مؤسسة جوفياني أنيلي:

ومقرها في مدينة تورينو عقدت مؤتمراً بعنوان:

---

(١) انظر اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. أرقام التسلسل: ١٢٣، ١٣٢، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٩، ١٩٦.

(٢) المرجع السابق (٤٤).

(٣) المرجع السابق. تسلسل رقم (١١٣).

«المسلمون الأوربيون»: في مايو عام ١٩٨٩م[١].

(الحركة الإيطالية «شركة وتحرير» Communione e Liberaziane)

عقدت مؤتمراً ثلاثياً بين المسلمين والنصارى واليهود، في أثينا في اليونان، بعنوان: **«التقاليد الدينية والعصر الحالي»**: في الفترة: ١ - ٣ صفر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٥ - ٢٧ سبتمبر عام ١٩٨٧م[٢].

(معهد تورنتو للعلوم الدينية) مقره مدينة تورنتو جنوب إيطاليا، وقد عقد مؤتمراً إسلامياً نصرانياً في الفترة ٢٠ - ٢٢ جمادى الثانية عام ١٤٠٩هـ، الموافق ٢٦ - ٢٨ يناير عام ١٩٨٩م بعنوان:

«قيم الإسلام الروحية»: ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

المحاولات المحلية في إيطاليا للتقارب بين الأديان:

إضافة إلى الدور العالمي الذي تقوم به المؤسسات الدينية في إيطاليا في الدعوة إلى الحوار والتقارب بين مختلف الأديان، نظراً للخصوصية الدينية لهذا البلد، باحتوائه معقل النصرانية الكاثوليكية في العالم «الفاتيكان»، وما يرتبط به من مؤسسات، وللموقع الجغرافي الذي تحتله إيطاليا بين دول حوض البحر المتوسط، وكأنها العَدْوة الدنيا لبلوغ العدْوة القصوى لكلا الحضارتين الواقعتين على ضفافه، إضافة لتلك المحاولات العالمية، نمت محاولات محلية للتقارب، أنشأتها حركة الهجرة من الجنوب الإسلامي إلى الشمال النصراني، وفرضت نفسها على جميع الأطراف.

وسوف نعرض فيما يلي لثلاثة نماذج محلية في إيطاليا لتأثير دعوة التقريب والحوار على المسلمين والنصارى واليهود وهي:

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥١).

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم: ١٩٣.

(٣) المرجع السابق (٢٠٩).

١ ـ لجنة ترايفينتا للحوار المسكوني بين الأديان.

٢ ـ اتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا.

٣ ـ جمعية «قريش» الإسلامية.

(لجنة «ترايفينتا» للحوار المسكوني بين الأديان)

هي مؤسسة تنصيرية مقرها مدينة بولونيا، إحدى أكبر مدن وسط إيطاليا. وقد نشرت مذكرة في بعض صفحات بعنوان: «مسيحيون ومسلمون في حوار» كشفت في مطلعها عن دوافعها للحوار قائلةً:

(تعاني الكنائس من المشاكل الاجتماعية والدينية الناتجة عن الهجرة الضخمة لبعض الشعوب من بلادهم إلى شمال شرق إيطاليا بحثاً عن العمل. وأساقفة «ترايفينتا» حساسون لعواقب هذه الظاهرة، ويدعون في رسالتهم، الصليب إكويليا، إلى العمل على جعل هذا التركيب أداة حثٍ لإيجاد نضوجٍ إنساني مسيحي، بدل جعله سبباً لتخفيف تافه للعادات أو للأديانِ أو الدفع إلى عوامل إلحادية. لهذا الغرض تعرض لجنة «ترايفينتا» للعمل المسكوني والحوار، للمجتمعات المسيحية تعليمات وإرشادات واقعية لفهم صحيح لهذه الظاهرة، حتى تشجع الحوار بين الأديان، غير ناسية لواجباتها في الدعوة للتنصير، والإحسان، والواجبات لضيافة المهاجرين...).

ثم شرعت المذكرة في التعريف بدين الإسلام عقيدةً وشريعة، معتمدةً على ما جاء في قرارات المجمع الفاتيكاني، والتوجيهات في سبيل الحوار التي أصدرتها أمانة السر الفاتيكانية، ثم عددت نقاط ومواضع الخلاف العقدية المعروفة. وحين بلغت قضية العلاقة بين الدولة والدين في الإسلام، قالت: (والقضية التي هي تحت المناقشة الجدية، بحيث يسمح بالتعدد الديني، أمر يؤدي إلى الانفجار كلما أخذ النقاش الشكل الأصولي عند كل دعوة في سبيل تطبيق الشريعة

الإسلامية، وجعلها فوق قوانين الدولة في الأوضاع الغربية، لا بد من مساعدة المسلمين في فهم الفرق بين الدولة والدين، بين الإيمان والحضارة. تجربة المعايشة بين متدينين، وعلمانيين في وضعٍ يحترم التعدد الديني، ومن هنا تكون الحاجة إلى الحوار والترحيب).

إن أساقفة لجنة «ترايفينتا» المتحسسين لمعاناة الكنائس الإيطالية من ظاهرة الهجرة الإسلامية إلى بلادهم، يتطوعون في مساعدة المسلمين لاعتناق النظرة الكنسية التي تفصل بين الدين والدنيا، والإيمان والحضارة، ويسعون لترويضهم على تقبل فكرة العيش في مجتمع يضم متدينين (!) وعلمانيين، وهذا منبع الحاجة إلى الحوار.

وتحدد المذكرة واجب الكنائس الغربية تجاه العلاقة مع المسلمين الوافدين بقولها: (واجب الكنائس هو أن يهيئوا ويدعموا الحوار بين الأديان، عبر معرفة عميقة لكلٍ من الدينين: المسيحية والإسلام: لا بد من الإصغاء من جهة المسيحيين لكي يفهموا الإسلام والمسلمين، ولا بد من الصبر في أثناء الحوار حتى تكون النتيجة تفاهم وتعاون، حتى تسود في الأرض إرادة الله. وهكذا نود أن نتعامل مع المهاجرين المسلمين اليوم وغداً).

ثم تختم المذكرة بتقديم جملة من التوجيهات من مجمع كنائس ترايفينتا:

(أ ـ مبادرات مشتركة في الصلاة، مع مراعاة ألا يكون هناك اختلاط في الصلاة، بين الأديان. ولا بد من التقدير والاحترام والابتعاد عن التدخل في شؤون الآخرين.

ب ـ محل العبادة: يقع على عاتق السلطات المدنية توفير محلٍ للعبادة وفقاً لحرية الأديان، وحتى لا يكون المجال متاحاً للكنائس فقط.

ج ـ الدعوة إلى النصرانية: لا بد من الحذر من تنصير الكبار، ويتم ذلك حسب قوانين الكنيسة.

د ـ الزواج المختلط بين المسلمين والمسيحيين: الأشخاص الذين يرغبون الزواج المختلط يجب عليهم أن يدركوا حقيقة ما يواجهون من صعوبات دينية وثقافية وقانونية، وتحت رعاية وإشراف الكنيسة.

لجنة ترايفينتا لتوحيد المسيحية، وترقية الحوار)[1].

إن أمثال هذه الجمعيات الكنسية التي تتحسس التأثير الإسلامي على أوروبا النصرانية كثير، ولا تكاد تخلو منها مقاطعة إيطالية، وهي تعتمد أسلوب الانفتاح والحوار والمجاملة مع المسلمين لأهداف مصلحية بلا ريب، إذ هي في الأصل مؤسسات دينية تنصيرية. وقد وجدت أن أسلوب المصانعة والمجاملة والضيافة أجدى من أسلوب المواجهة الذي ينصب الطرفين وجهاً لوجه، أمام الرأي العام المستقل، ومن ثم فالظهور بمظهر الوفاق يجلب المنافع، ويدرأ المفاسد. ومن أمثلة ذلك توجيه التهاني في المناسبات الدينية الإسلامية، ففي شهر رمضان عام ١٤١٢هـ، الموافق شهر مارس ١٩٩٢م وجهت الجمعية المسيحية في ترنيتنو للتنصير وحوار الأديان، تهنئة للمسلمين في الصحف جاء فيها: (في تاريخ ٤ مارس ١٩٩٢م في هذا العام اجتمع الصيام الإسلامي والمسيحي. وهذا الأمر يشير إلى أهمية الحوار بين الجماعتين، وفي هذه الفترة التي تتصف بالعبادة من صيامٍ وصلاة واستغفار، فإن الجالية المسيحية بإخلاص تكون قريبة منَ أختها الإسلامية. ندعو الله أن يوفقنا في هذه الفترة المباركة أن يجعل كلاً من الطرفين منفتحين تجاه بعضها بعضاً، ممارسين أعمالاً خيرية وتعاونية مشتركة. بهذا الأسلوب يمكننا أن نُكون مجتمعاً حقيقياً مبنياً على التقدير والتفاهم.

---

(١) المذكرة باللغة الإيطالية محفوظة لدى الباحث.

في هذا الوقت بعون مريم العذراء، التي يكرمها المسلمون والمسيحيون، كمثالٍ للمؤمنين. إن أية جالية مدعوة أن تعتبر من حقها حمل هذه الرسالة بالسلم والبهجة، وتدعو الجمعية المسيحية للتبشير، أي مجتمع ديني إلى تولي هذه المسؤولية بالدعوة إلى الحوار بصدقٍ وتواضع)[١].

وهكذا تمزج التهنئة بمزاج الشرك والتنصير، وتسكب في كأس المجاملة وروح الضيافة، ليحتسيها المسلم المهاجر إلى أرض النصارى بحثاً عن عمل.

اتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا:

تعد الجالية اليهودية في روما من أقدم الجاليات في العالم، إذ يرجع تاريخ وجودها هناك إلى ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وخمسين عاماً. وينتظم الجاليات اليهودية في إيطاليا اتحاد واحد، ويرجعون إلى حاخام روما الأكبر[٢].

وقد أصدر المؤتمر الثالث لاتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا المنعقد في الفترة ٢١ ـ ٢٣ يونيو ١٩٩٨م، الموافق ٢٧ ـ ٢٩ سيفان ٥٧٥٨ ـ حسب التقويم العبري ـ بياناً باسم مجلس السياسة العامة للاتحاد حول العلاقة بالمسلمين في إيطاليا، وهذا نصه:

(المؤتمر الثالث لاتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا، واضعاً في الاعتبار:

□ أهمية تسهيل اندماج المهاجرين المسلمين في إيطاليا، وإبعاد أي شكل من أشكال عدم التسامح العنصري، ومرض معاداة الأجانب.

---

(١) المجلة الإيطالية: Vifa Trentina 15.30 1992.

(٢) مجلة ٣٠ يوماً عدد ١ عام ١٩٩٦م (١٢ ـ ١٣).

□ الحاجة لضمان الحرية الدينية للمسلمين المقيمين في إيطاليا، أسوة بالآخرين.

□ أهمية الحوار بين المسلمين واليهود في حوض البحر الأبيض المتوسط، كأداة للتفاهم والسلم يدعو المجلس الجديد إلى:

- تشجيع الحوار مع ممثلي الجالية الإسلامية في إيطاليا.
- تشجيع أنشطة ثقافية مترابطة مبنية على قالب سلمي واندماجي مشترك، مع احترام اختلاف الآخرين)[١].

وهذا التعاطف المظهري من قبل اليهود تجاه المهاجرين المسلمين مبعثه أمران:

أحدهما: ترسيخ مبدأ حفظ حقوق الأقليات، مما يعزز وضع الأقلية اليهودية في الوسط النصراني.

الثاني: محاولة التوصل إلى مكاسب قانونية واجتماعية للطائفة اليهودية، في بعض الجوانب التي تتشابه فيها الأحكام الفقهية في الديانتين، فتعتضد بمطالبة المسلمين.

وقد علقت «توليا تزيفي»، رئيسة اتحاد الجاليات اليهودية على هذا البيان بالقول: (... إنه من النادر أن تطالب أقلية كانت مضطهدة بالأمس، وتسعى إلى تحقيق حقوق أقلية أخرى، تنمو وتتضاعف بقوة، لكن فرض عليها عقوبة اجتماعية وثقافية نتيجة لعدم الاهتمام بها، وتشير إلى أولوية إيجاد قانونٍ أساسي يكون مشتركاً بشأن الجنسية في الأراضي الإيطالية، بغض النظر عما ينتج من آفاتٍ في النزاع بين العرب واليهود في الشرق الأوسط، بل ولا بد من الحوار بين الأقليتين في إيطاليا، لكي تتم المساهمة والتفاهم في الشرق الأوسط. إن الأمر

---

(١) البيان باللغة الإيطالية محفوظ لدى الباحث.

يتجاوز مجرد طيبة نفس، ولكن يقترح قواعد تعم الجميع حتى يتسنى تعايش سلمي تحت سماءٍ واحدة، تفادياً لاستعلاء أقليةٍ على أقلية أخرى. وفي حال استعداد الإسلام للمقاربة مع الآخرين، فإنه يكون بإمكاننا أن نقول: إننا أمام حدثٍ جديد وعظيم الشأن، تجعل من إيطاليا مهد الحوار والتفاهم.

هناك بالفعل نقاط مشتركة بين عالمي الإسلام واليهودية له وزن عظيم. وقد حدث بالأمس أن اقتحمت الشرطة الإيطالية في ميلانو المركز الإسلامي هناك لإغلاق معملٍ للختان. إذاً فإن تنظيم ممارسة الختان سواءً من الناحية الدينية والصحية داخل الهيكل الصحي الحكومي، يمثل هدفاً مشتركاً بين المسلمين واليهود)(١).

وإذا عرف السبب بطل العجب.

(جمعية «قريش»):

«قريش» CO.RE.IS هي الكلمة الناتجة من الحروف الإيطالية الأولى لـ «الجماعة الدينية الإسلامية» في إيطاليا. وهي جماعة محدودة العدد، تتخذ من مدينة «ميلانو» عاصمة الشمال الإيطالي، مقراً لها. وجميع أفرادها ممن يحملون الجنسية الإيطالية أصولاً أو تجنساً. وتحاول أن تقدم نفسها ممثلاً رسمياً للمسلمين الإيطاليين لدى الحكومة الإيطالية، رغم أنها لا تضم في عضويتها سوى عددٍ قليل منهم. وثَمَّ ملحظان أساسيان على منهج هذه الجمعية(٢):

أحدهما: النزعة الصوفية الغالية في برامجها، وعلاقات أفرادها بمؤسسها، بما يطابق علاقة «المريدين» بـ «الشيوخ» في الطرق الصوفية التقليدية.

---

(١) عن الجريدة الإيطالية Mercoledi 24 Giugno 1998.

(٢) قام الباحث بزيارة مقر الجمعية في ميلانو يوم السبت ١/٤/١٤١٩هـ والالتقاء=

الثاني: العنصرية الأوروبية، والتجافي عن سائر المسلمين المهاجرين الذين يمثلون السواد الأعظم (٩٠٪ من المسلمين الإيطاليين)، والرغبة في خصوصية تميزهم عنهم.

وهذان الملحظان شائعان لدى بعض المسلمين من أصل أوروبي، حتى نشأ ما سُمي بـ «الإسلام الأوروبي». وجمعية «قريش» تعبير عن شخصية مؤسسها، وهو السيد عبد الواحد بلافتشيني «Pallavicini»، وهو مسلم إيطالي اعتنق الإسلام قبل أكثر من أربعين سنة[١]، ونشط على الساحة المحلية والإسلامية كممثلٍ للمسلمين الإيطاليين، وعضوٍ في تنظيمات متعددة. والذي يعنينا هنا موقفه من قضية التقريب بين الأديان كنموذجٍ للمسلم الغربي الذي يعيش في وسطٍ نصراني كثيف، تشده إليه أواصر الرحم والقربى، والدين السابق.

□ ظلَّ عبد الواحد بلافتشيني (يمثل المركز الإسلامي الثقافي في إيطاليا، وبتفويض ذلك المركز، احتل لعدة سنوات منصب سفير في الفاتيكان لدى المجلس البابوي للحوار بين الأديان)[٢].

□ شرع من خلال جمعيته في عقد مؤتمراتٍ في الحوار الإسلامي المسيحي، كان منها:

مؤتمر: «المطالبة بحقوق المسلمين في إيطاليا»: وقد عقده في عام ١٩٩٦م، في كازينو سان ريمو الشهير بالقمار والفساد، بحضور رسمي لبعض سفراء المسلمين.

مؤتمر: «إيطاليا والإسلام»: وقد عقده في مدينة «باليرمو» عاصمة جزيرة صقلية يومي: ٦، ٧ يونيو عام ١٩٩٧م.

= بمؤسس الجمعية ومعظم مسؤوليها، والحوار معهم وقتاً طويلاً: والوقوف على نمط التعامل الذي يجري بينهم، والحصول على بعض مطبوعاتهم.

(١) كما ذكر لي شخصياً في زيارتي إياه بمقر جمعيته.

(٢) IN Dialogo Can L'Islam. Unita Ix dassier p. 196 «بالإيطالية».

مؤتمر: «الإسلام في الغرب» وهو من أحدث المؤتمرات، فقد عقده في مدينة «بيروجيا» يوم السابع من شهر يونيو عام ١٩٩٨م.

ومعظم المتحدثين في هذه الملتقيات من مسؤولي جمعية قريش مثل:

□ ابنه، يحيى عبد الواحد، مدير عام الجمعية.

□ أحمد عبد الولي، المسؤول القانوني.

ويطرح عبد الواحد بلافتشيني ومريدوه فكرة «الإبراهيمية»، كرابط بين الأديان، واعتماد «الإسلام»، بمفهومه العام، دون اشتراط «الإسلام» الخاص الذي جاء به محمد ﷺ[1].

وقد كتب الدكتور: حسن جوليو سورافيا، أستاذ الفلسفة في إحدى الجامعات الإيطالية، وهو من السابقين إلى الإسلام من

---

(١) قلت لعبد الواحد بلافتشيني: البعض يدعو إلى «الإبراهيمية» ما معنى ذلك؟ فقال: نحن لا ندعو إلى «الإبراهيمية» ولا «المحمدية» نحن ندعو إلى الإسلام. كل من اتبع رسولاً من رسل الله فهو مسلم. قلت: هذا صحيح متفق عليه قبل بعثة نبينا محمد ﷺ، أما بعد ذلك فلا دين صحيح سوى الإسلام. فإذا زعم اليهود والنصارى اليوم أنهم أتباع لموسى وعيسى عليهما السلام، وقد خالفوا ما جاءا به فلا يمكن أن نسميهم «مسلمين». قال: وكذلك المسلمين إذا خالفوا ما جاء به محمد. قلت: القول بألوهية المسيح وبنوته والتثليث ليست كبعض المخالفات الفرعية التي تصدر من مسلمين في دائرة التوحيد. فسكت. وتدخل أحمد عبد الولي قائلاً: لا يمكن أن ندعو النصارى إلى الإسلام ونحن نقول لهم أنتم كفار. يجب أن نتقرب إليهم، ونعقد العلاقة معهم بالرفق والمحبة. قلت له: يمكن أن يتم بيان الحق واضحاً جلياً بأدب ورفق، كما أرشد الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾. ثم كيف نسمي من أنكر رسالة نبينا محمد ﷺ مسلماً؟! بادر بالرد قائلاً لهذا كان مسيحياً أو يهودياً. فأدركت أن القوم يرون أن أهل الكتاب مؤمنين، يسعهم ما هم فيه.

الإيطاليين، رسالة وجهها إلى الجمعيات والجاليات الإسلامية والسفارات والهيئات الرسمية للحد من تعديات السيد بلافتشيني على الإسلام والمسلمين، نقتطف ما ورد فيها من نقولات عنه:

■ يقول في كتابه «الإسلام الباطني»: (عندما نتعرض لأمثلة من البوذية أو الإسلام، بالتأكيد ليس لأننا نعتقد أن هذه الديانات بالأصل أفضل من المسيحية أو من الديانات القديمة الغربية في حوض البحر المتوسط).

■ (إذا كان من الضروري لنا بحثاً عن الحقيقة الروحية، الانتساب إلى منظمة باطنية تابعة لدينٍ سماوي ما، فإن هذا الانتساب يتعدى كونه شكلاً خاصاً لهذه الديانة، ليصبح انتقالاً حقيقياً نحو مركزنا الداخلي الباطن).

إن هذه النزعة الباطنية هي التي تلغي الحدود والفواصل، فلا يبقى فرقانٌ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان في ضمير من تسكنه، ولا يحصل اغتباطٌ بدين الإسلام الذي اصطفاه الله لعباده المؤمنين، ولا يقع همٌّ في قلب من عشعشت فيه تلك النزعة لدعوة الناس إلى الإسلام، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، باعتبار أن «جميع الطرق موصلة إلى روما»!

ولهذا كان من آثارها التخذيل عن اعتناق الإسلام من قبل الأوروبيين:

■ (يجب أن نشير إلى أولئك الذين قد خاب أملهم من الحضارة الغربية، والخارجين من تجارب قاسية متطرفة؛ يمينية أو يسارية، هؤلاء الذين أصبح عندهم «موضة» اتخاذ الإسلام ديناً كعقيدة جديدة للتغلب على مشاكل العالم الحديث، وكمثل طريقٍ ثالث، أو خيار ثالث مضاد للكتلتين القويتين، والمقصود منه أنه ضد المسيحية، إن لم نقل إنه ضد الديانات جميعاً).

إذاً فعلى هؤلاء الثائبين إلى رشدهم، المستجيبين لنداء الفطرة في دين الإسلام أن لا يركبوا «الموضة»، وأن يعودوا إلى قواعدهم النصرانية الأولى، كما يفهم من قوله:

■ (بالنسبة للاختيار المزعوم من قبل البعض، لصالح طقوس غير تلك الأصلية التي يكون عليها أحدنا، فإنه إذا أعطينا شكلاً دينياً معيناً، فلأنه بالضبط ذلك هو الشكل الذي نحن بحاجة إليه)! وبعبارة أشد وضوحاً:

■ (يجب أن لا نفكر أنه من الضروري لذلك أتباع رسالاتٍ لاحقة لديننا الأصلي. لأن كل الطقوس - أي الأديان - تصبح سارية المفعول، من الأساس وحتى آخر الزمان).

ثم ينتظم المسلمين مع اليهود والنصارى في منظومة «الإبراهيمية»، بعبارات مستخذية متذللة لإخوان القردة والخنازير، وعباد الصلبان:

■ (إن كنا لا نحلم أن نكون معتبرين «إخوة محظوظين»، باعتبارنا لسنا من ذلك النسل الذي ولد منه المسيح... ولكننا نرغب في أن نكون إخوة حقيقيين، لأننا فروعٌ وراثية من نفس البطريرك، إبراهيم[1]، ووارثين لنفس الطقوس الروحية التي لا تختلف إلا من الناحية التاريخية. ولذلك، وإن لم نكن إخوة كباراً لليهود فنحن إخوة صغار، لكن دائماً إخوة)!

أما لماذا ينزعج من تزايد الإقبال على الإسلام من قبل الأوروبيين، مع أن الإسلام في أقل الأحوال - وفق نظريته - أحد الأديان سارية المفعول، وهو بذاته ينتسب إلى دين الإسلام، ويؤدي

---

(١) حاشا خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام عن ألقاب الكهنوت النصراني، ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

الصلاة؟ إن سر هذا الانزعاج يكشف عنه النص التالي: (هذه هي إذاً المحاولة لبناء جاليات إسلامية منبوذة من بقية الأمة المحيطة بها، كمحاولة لأساس إصلاحي غير واقعي، وكلعبة سياسية كنا شهداء عليها في أوروبا وغيرها. جاليات خاضعة ربما عن غير قصد لأهداف القوى العظمى، أو قوى أخرى على حد سواء. كل ذلك بناءً على الرغبة لغرض عودة إلى الإسلام الشكلي فقط، وليتبعها فرضية خلخلة النظم الحالية، واستبدالها بنظم دينية شكلاً فقط، ليس فقط في البلاد الإسلامية، بل في العالم كله، تقليداً للحملات التنصيرية الكاثوليكية التي كانت تغطي التوسع الاستعماري الأوربي، وهكذا يراد القيام بحربٍ صليبية غير معقولة. لكن بالمقلوب، أي من الشرق إلى الغرب)[1].

فما دلالة هذا الكلام الخطير، وما هي بواعثه؟

أما دلالته فواضحة؛ فإن القائل يرفض نمو جاليات إسلامية في أوروبا النصرانية، تتسم بالحركة والتأثير والانتشار بدعوى أنها:

١ ـ محاولة إصلاحية غير واقعية! فماذا عسى أن تصنع تلك الجاليات القليلة في وسط البحر الخضم من النصارى.

٢ ـ لعبة سياسية لقوىً عظمى، أو غير عظمى لم يسمها، تستغلها لتحقيق أهدافها.

٣ ـ عودة لإسلام شكلي.

٤ ـ تؤدي إلى خلخلة النظم الحالية، واستبدالها بنظم دينية شكلية أيضاً.

---

(١) النصوص السابقة منقولة عن رسالة للدكتور حسن جوليو مطلعها: (أخي المسلم هل تعلم من هو بالافيتشيني عبد الواحد) باللغة الإيطالية، ومترجمة إلى العربية في ثلاث صفحات.

٥ ـ محاكاة للحملات التنصيرية المصاحبة للاستعمار الأوروبي، وبالتالي فهي حرب صليبية بالاتجاه المعاكس.

إن أدنى من لديه حس إسلامي، يدرك تهافت هذه الدعاوى التي يراد بها إجهاض الدعوة إلى الله تعالى، ونشر دينه بين عباده، ووقف المد الإسلامي في أوروبا المحجوبة بحجب النصرانية المحرفة لقرونٍ طويلة، كل ذلك لأسبابٍ بعضها مزعوم موهوم، وبعضها حقٌ يلتزم به أهل الإسلام ويعلنونه على الملأ.

فماذا يضير بلافتشيني من محاولاتٍ إصلاحية تبلغ ما شاء الله أن تبلغ في إصلاح القارة الأوروبية أو بعضها، أو أقل القليل؟ أليس هذا هو الموقف الشرعي الذي لا يسع المسلم سواه. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

وهل يجوز أن توقف الدعوة بدعوى أنها ورقة سياسية لقوى معينة، تستخدمها لأغراض خاصة؟ وهل هذا إلا عين كلام أعداء الإسلام من العلمانيين في بلاد المسلمين؟ ولماذا يتباكى «المسلم الإيطالي» على تخلخل النظم الحالية العلمانية؟

ولِم يحذر من عودة الإسلام، ويقطع سلفاً بأنه شكلي، وأن النظم البديلة للوضع القائم ستكون شكلية أيضاً؟ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم].

ثم ألا يستحي من ينتسب إلى الإسلام، ويدعي تمثيل المسلمين في بلده من تشبيه الدعوة الإسلامية بالحملات التنصيرية، المحمولة على متن الفيالق الاستعمارية؟

وكيف استقام له أن يشبه بضعة آلاف من العمال المسلمين المهاجرين بحثاً عن لقمة العيش، وتحصيل الكفاف، مع سلب حقوقهم وانتهاك كرامتهم ـ نسبياً ـ بالجيوش الصليبية الاستعمارية التي تعيث في الأرض فساداً، وتهلك الحرث والنسل؟

والخلاصة أنه خائفٌ من اكتساح الإسلام لأوروبا، بدرجة مبالغ فيها، تلحقه بما اصطلح على تسميته في بعض الدوائر الغربية «Islamo-Phobia» أو «رُهاب الإسلام».

تلك هي دلالة كلامه، أما باعثه وتفسيره ـ في نظر بعض الدعاة هناك ـ فأمران أحلاهما مُرٌّ:

أحدهما: اعتناقه «الإسلام الصوفي»، لا الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، إسلام أصحاب القول بالحلول ووحدة الوجود، الذين يضاهئون قول النصارى في المسيح عليه السلام. فهو يمقت إسلام الدعوة والعلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستريح إلى همهمات المجذوبين، وطقطقات السبحات، وحضرات الصوفية[(١)].

الثاني: أنه دسيسة من قبل الفاتيكان في جسم المسلمين لإفساد أمرهم، ودعم محاولات الفاتيكان وتوجيهاته في التقريب بين الأديان، وتحقيق الاحترام المتبادل. والله أعلم.

٤ ـ فرنسا:

يعيش في فرنسا قرابة أربعة ملايين مسلم، معظمهم من أبناء المغرب العربي، يضمهم في فرنسا أكثر من تسعمائة وخمسين مسجداً، حسب إحصائية رسمية في عام ١٩٩٢م[(٢)]، ولم يزل هذا العدد يتنامى[(٣)].

---

(١) حدثني مرافق لي في هذه الزيارة يتقن الإيطالية، أنه أثناء جلوسي مع بلافتشيني، دعاه ابنه يحيى إلى المشاركة في حلقة لأعضاء الجمعية، ودار فيها كلام صوفي موحش من كلام أهل وحدة الوجود، حتى قال يحيى بن عبد الواحد بلافتشيني وهو يتحدث عن «الإنسان الكامل»: (إن ذلك الإنسان يظل يسمو حتى يصل إلى درجة يصبح خطابه لله تعالى كخطاب إلهٍ لإله)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) مجلة ٣٠ يوماً. عدد ٢ عام ١٩٩٦م. «المسلمون في القارة القديمة» (٣٠، ٣١).

(٣) تعد فرنسا أعلى البلدان الأوربية في نسبة الهجرة، إذ تبلغ ٨٪ من مجموع السكان، انظر جريدة الحياة السبت ١٨ نوفمبر عام ١٩٩٥م.

(ويوجد في فرنسا أكثر من مائة مجموعة مسيحية إسلامية محلية، باعثها شؤون مدنية، وأحداث عالمية، وموضوعات عقدية وروحية، تعمل بصورة مستقلة، وتقرر أسلوبها الخاص، وأهدافها، وبرامج عملها، دون أن يضمها اتحاد قومي... وباتت زيارة أماكن العبادة بين الجانبين حدث يومي، فيمكن للنصراني أن يدخل المسجد بسهولة، كما أنه ليس مستغرباً أن يوجد المسلمون في الكنائس، خصوصاً في مناسبات التعميد، والزواج، والمآتم، والحفلات الأخرى لأصدقائهم وجيرانهم النصارى. ويحدث غالباً أن يتصل المسلمون بالأبرشيات للسعي في المساعدة في توفير مكان ملاءم للصلاة، خلال شهر رمضان، لطلب توقيع لدعم الجمعيات الإسلامية، ولمواجهة توترات الحوار، ولإظهار التكافل مع طالبي اللجوء في كوارث الانفجار)[١].

أ ـ (دير سيننكا):

نشأ في هذا الدير محاولات للتقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية، من خلال لقاءات دينية صوفية[٢]، في منتصف السبعينيات الميلادية كان أهمها:

مؤتمر: «صوفيو الصحراء»:

عقد في «سيننكا» في الفترة: ٥ ـ ١٢ رجب عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٢٥ يوليو ـ ٣ أغسطس عام ١٩٧٤م[٣].

مؤتمر: «تطور التفكير الديني في الأديان الموحّدة الثلاثة»:

عقد في سيننكا في الفترة: ١٦ ـ ٢٣ رجب ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٥ يوليو إلى ١٠ أغسطس عام ١٩٧٥م[٤].

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P/36-37.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٤٤).

(٣) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل (٤٧).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (٦٩).

مؤتمر: «أسماء الله للإنسان المعاصر»:

عقد في «سيننكا» في الفترة: ١٩ ـ ٢٢ ذي القعدة عام ١٣٩٦هـ، الموافق ١١ ـ ١٤ نوفمبر عام ١٩٧٦م(١).

مؤتمر: «كلمة الله»:

عقد في «سيننكا» في الفترة: ٢٩ ذي القعدة ـ ١ ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ، الموافق ١١ ـ ١٣ نوفمر عام ١٩٧٧م. وحضره خمسة وثلاثون مشاركاً(٢).

ب ـ (فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية):

GRIC (le groupe de recherches islamo - chretiens)

تعد هذه المجموعة الدراسية من أنشط مجموعات الحوار الإسلامي النصراني في العالم من الناحية البحثية، وقد ولدت في المؤتمر الأخير لدير سيننكا عام ١٩٧٧م، وتألفت من تنسيق جهود (فرقة أبحاث إسلامية مسيحية) في فرنسا، ونظيرتها في شمال أفريقيا، وتضم ثمانين مثقفاً من الجانبين، يعالجون مسائل عقدية تجمع وتفرق أتباع الديانتين(٣).

وهذه الجمعية وسابقتها تمثلان نمطاً نادراً من محاولات التقريب بين الأديان بطرحهما الاختلافات العقدية على مائدة البحث، مما تحاشاه كثير من المحاولات الأخرى، إما خشية الخصومة والتفرق، أو خشية الوقوع في التلفيقية. وربما وجدنا في متاهة التصوف المتشعبة من الأديان مجالاً للوصول إلى صيغٍ مشتركة في بعض المسائل العقدية.

وقد صدر عن مجموعة «GRIC» ميثاق مشترك يكشف عن طبيعة توجهها وأهدافها، نقتطف منه ما يلي:

---

(١) المرجع السابق. تسلسل (٨٠).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (٨٦).

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P. 37-69.

١ ـ إننا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، نعتقد أن الرب قد استعلن بالكلمة. المسلمون يُعرِّفون هذا الاستعلان بالقرآن، النصارى يرونه في عيسى المسيح نفسه، وكلمة الله صنعت الإنسان، كلاً من جماعتينا تعتقد أن إيمانها عطية من الله تقبلها النوع البشري، وأن هذا يعين لها طريقة خاصة جداً للاتصال بالله. إنه لهذا السبب نحن نكون نصارى أو مسلمون، ولسنا أتباعاً لدينٍ آخر أو ملاحدة...

٤ ـ إننا لا نحاول التوفيق فيما لا يمكن توفيقه، إننا لا نسعى لكتمان أو تقليل اختلافاتنا الأساسية، أو لِنجد بعض قاسم مشتركٍ عام يجمع المتناقضات فقط على حساب الحقيقة. هدفنا أن نعرف بالضبط أين تقع الاختلافات الأساسية فعلاً، وليس أن يظن أين تقع، حين تصور من وجهة نظر لأوضاع ثابتة)[1].

ولا يخفى ما في هذه الصياغة من تعبيرات ومضامين كنسية مجافية للإسلام، بتنظير عقيدة الحلول النصرانية بعقيدة «القرآن كلام الله غير مخلوق»، لتسويغ كفرهم بالله العظيم.

لقد نشطت هذه الفرقة GRIC في مجال الحوار الإسلامي النصراني، وتفرعت عن دير سيننكا، ذي الاهتمام بالحوار بين المسلمين والنصارى واليهود، واتخذت من باريس مقراً لها، في حين تعقد مؤتمراتها المتتابعة في دول شمال أفريقيا المسلمة وأوربا. ومنها:

مؤتمر: «الأسفار المقدسة»:

عقد في سيننكا في الفترة: ٢٦ ـ ٢٨ شعبان ١٣٩٨هـ، الموافق ١ ـ ٣ يوليو عام ١٩٧٨م، وحضره خمسة مشاركين[2].

---

(١) عن Recognize The Spiritual Bonds. P.70.

(٢) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية، تسلسل رقم: ٩٣، ١٠٢.

مؤتمر: «قراءة الأسفار المقدسة»:

عقد في مدينة تونس في الفترة: ١٨ ـ ٢١ شوال عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٠ ـ ١٣ سبتمبر عام ١٩٧٩م، وحضره واحدٌ وعشرون مشاركاً، وهو امتداد للمؤتمر السابق(١).

مؤتمر: «كلمة الله والكتب المقدسة»:

عقد في الرباط ـ المغرب ـ في الفترة: ٩ ـ ١٢ ذي القعدة عام ١٤٠١هـ، الموافق ٨ ـ ١١ سبتمبر عام ١٩٨١م، وحضره عشرون مشاركاً، وهو امتدادٌ لسابقَيه(٢).

مؤتمر: «كلمة الله»:

عقد في تونس في الفترة: ١٣ ـ ١٩ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٢ ـ ٨ سبتمبر عام ١٩٨٢م، وحضره سبعة عشر مشاركاً، وهو امتداد كذلك للمؤتمرات الثلاثة السابقة(٣).

مؤتمر: «العلمنة»:

عقد في سيننكا في الفترة: ٢٩ ذي القعدة ٣ ذي الحجة عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٧ ـ ١١ سبتمبر عام ١٩٨٣م(٤).

مؤتمر: «العلمنة»:

عقد في الرباط ـ المغرب ـ في الفترة ٢٩ ذي القعدة ـ ٥ ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٢٦ أغسطس ـ ١ سبتمبر عام ١٩٨٤م وحضره ثلاثة وعشرون مشاركاً من ستة بلدان(٥).

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق. تسلسل (١١٢).
(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٢٤).
(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٣٠).
(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٤١).

مؤتمر: «العلاقة بين الروحانيات والزمنيات»:

عقد هذا المؤتمر في الفاتيكان ـ في الفترة: ٢١ ـ ٢٦ ذي الحجة عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٧ ـ ١٢ سبتمبر عام ١٩٨٥م، وحضره ثمانية عشر مشاركاً[١].

مؤتمر: «الدين والدولة»:

عقد في مدينة «الحمامات» في تونس في الفترة: ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٦هـ ـ ١محرم ١٤٠٧هـ، الموافق ٢ ـ ٦ سبتمبر عام ١٩٨٦م، بحضور ستة عشر مشاركاً، وهو امتداد لسابقه[٢].

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في بروكسل ـ بلجيكا ـ في الفترة ٢٩ ذي الحجة عام ١٤٠٧ هـ ٤ محرم عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٥ ـ ٢٩ أغسطس عام ١٩٨٧م، بحضور عشرين مشاركاً[٣].

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في الرباط ـ المغرب ـ في الفترة: ١٧ ـ ٢١ محرم عام ١٤٠٩هـ الموافق ٣٠ أغسطس ـ ٣ سبتمبر عام ١٩٨٨م، بحضور خمسة وعشرين مشاركاً، وهو امتداد لسابقه[٤].

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في مدينة «غروتّا فراتّا» ـ إيطاليا ـ في الفترة: ٢٣ ـ ٢٩ محرم عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٥ ـ ٣١ أغسطس عام ١٩٨٩م بحضور تسعة عشر مشاركاً[٥].

---

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٥٤).
(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٧٢).
(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٩٢).
(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢٠٤).
(٥) المرجع السابق. تسلسل (٢١٥).

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في الحمامات في تونس في الفترة: ٥ ـ ١٠ صفر عام ١٤١١هـ، الموافق ٢٦ ـ ٣١ أغسطس عام ١٩٩٠م بحضور سبعة عشر مشاركاً[١].

مؤتمر: «الإيمان والعدالة: مستقبل الجماعة»:

عقد في الرباط ـ المغرب في الفترة: ١٤ ـ ٢٠ صفر عام ١٤١٢هـ الموافق ٢٤ ـ ٣٠ أغسطس ١٩٩١م، بحضور خمسة عشر مشاركاً، وهو الحلقة الأخيرة من مؤتمرات الإيمان والعدالة[٢].

مؤتمر: «الخطيئة والمسؤولية الخلقية»:

عقد في بروكسل ـ بلجيكا ـ في الفترة: ٢٧ صفر ـ ٢ ربيع الأول عام ١٤١٣هـ، الموافق ٢٦ ـ ٣١ أغسطس عام ١٩٩٢م، بحضور سبعة عشر مشاركاً[٣].

ويلاحظ في هذه المؤتمرات الصيفية المتتابعة، النزوع إلى الأسلوب البحثي الذي لا يكترث بتكثير الحضور، بل يقتصر على النخب المثقفة، ويتناول موضوعات معينة يتناولها بالبحث والحوار على مدى سنواتٍ متتابعة لحين الوصول إلى صيغة معينة، ثم يقوم بنشر أبحاثه في كتب، وليس في بيانات مشتركة وقد صدر منها فعلاً:

□ تلك الكتب التي تسائلنا: الإنجيل والقرآن. «عنوان الطبعة الفرنسية» أو: تحدي الكتب المقدسة: الإنجيل والقرآن. «عنوان الطبعة الإنجليزية».

□ الإيمان والعدالة:

---

(١) المرجع السابق. تسلسل (٢٢٧).
(٢) المرجع السابق. تسلسل (٢٣٦).
(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٤٨).

كما يلاحظ تدرج الفرقة من بحث مسائل عقدية تتصل بالكتب المقدسة وكلمة الله، إلى بحث مسائل تطبيقية في العلمنة والعلاقة بين الروحانيات والزمنيات، ثم مسائل خلقية اجتماعية حول الإيمان والعدالة، والخطيئة.

ج ـ (أمانة السر للعلاقات مع الإسلام)

: SRI (Secratariat Pour Les Relations avec L'Islam)

نشطت هذه الجمعية على المستوى المحلي في فرنسا منذ أواسط السبعينيات وحتى أواسط الثمانينيات، في عقد بعض المؤتمرات الحاشدة، إما بصفة منفردة أو بالتعاون مع جمعيات محلية مماثلة. وقد أسسها مؤتمر أساقفة فرنسا الكاثوليك عام ١٩٧٣م، لتكون وسيلة لتشجيع وتنسيق اللقاءات المسيحية الإسلامية في فرنسا[١]. ولا تزال تمارس مناشطها المحلية حتى الآن في معظم المدن الفرنسية الكبرى[٢] ومن أشهر مؤتمراتها:

مؤتمر: «الصلاة»:

انعقد هذا المؤتمر في «توسْكَراي» ـ فرنسا ـ في الفترة: ١٣ ـ ٢٠ شعبان عام ١٣٩٦هـ، الموافق ٩ ـ ١٦ أغسطس عام ١٩٧٦م. ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

مؤتمر: «الإيمان والثقافة في الإسلام والمسيحية الأمس واليوم»:

انعقد في «شانتيلي» ـ فرنسا ـ في الفترة ١٣ ـ ١٦ شعبان عام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩ ـ ٢٢ يوليو عام ١٩٧٨م بالاشتراك مع «مركز

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P.36.

(٢) كما يتضح ذلك من نشرتها الدورية التي تحمل اسمها. انظر مثلاً عدد يناير عام ١٩٩٧م.

(٣) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (٧٨).

الينابيع الثقافي» وحضره مائة شخص، ولم يصدر عنه بيان مشترك[1].

مؤتمر: «الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر»:

عقد هذا المؤتمر الحافل في «شانتيلي» ـ فرنسا ـ في الفترة: ١٧ ـ ٢٠ شعبان عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٢ ـ ١٥ يوليو عام ١٩٧٩م، بالاشتراك مع «مركز الينابيع الثقافي» في شانتيلي، وحضره مائة وخمسون مشاركاً، وأصدروا منه نداءً إلى السلطات الفرنسية لتحسين وضع المسلمين في فرنسا، نظراً لكون الإسلام قد بات الديانة الثانية في البلاد، من حيث عدد معتنقيه، جاء في مطالبه:

١ ـ إقامة عددٍ أكبر من أمكنة العبادة والصلاة، حيث يسكن المسلمون، تفترض حداً أدنى من التفهم والدعم.

٢ ـ بث برامج إسلامية في الإذاعة والتلفزيون، واردٌ في دفتر شروط القناة الأول في التلفزيون والراديو الفرنسيين، ولكن لم يتحقق بعد عملياً.

٣ ـ إمكانية الممارسة الدينية لدى العمال والموظفين «أي الصلوات، والأعياد الدينية، والصوم، والمأكولات الشرعية، والحج» تتعلق بتفهم أصحاب الأعمال. من الضروري أن يتنبه الذين لديهم مسلمون إلى الوعود التي كانوا قد قطعوها.

٤ ـ إن تعليم الأولاد الديانة الإسلامية يواجه نقصاً كبيراً في الكتب وباقي الوسائل التربوية، كما يتعلق بتعلم اللغة العربية، وبالمكانة التي يجب أن تحتلها هذه اللغة في المؤسسات التربوية)[2].

وهذا النداء يشي من جهة بالوضع الصعب الذي يعانيه المسلمون

---

(١) المرجع السابق. تسلسل رقم: (٩١).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية. (١٣٦ ـ ١٣٧).

في فرنسا، ومن جهة أخرى يشير إلى تنامي الوجود الإسلامي وتأثيره، إلى درجة استثارة الرأي العام الفرنسي، والمؤسسات الدينية لتأييد مطالبه. ولا ريب أن النصارى في فرنسا وسائر أوربا والعالم كانوا يتحسسون من الخطر الإلحادي في حقبة السبعينيات، وتفشيه في مجتمعاتهم، مما يرشح دعم المؤسسات الدينية بعامة، كما يتضح من عنوان هذا المؤتمر والذي قبله.

مؤتمر: «المسيحيون والمسلمون إزاء المرض والألم والموت»:

عقد في باريس في يوم ١٩ ربيع الآخر عام ١٤٠٢هـ، الموافق ١٤ فبراير عام ١٩٨٢م، وحضره مائة شخص، ولم يصدر عنه بيان مشترك[(١)].

مؤتمر: «كيف نؤمن نحن المسيحيين والمسلمين في عالمٍ تعددي ومتعلمن؟»:

عقد في ليون ـ فرنسا ـ في الفترة: ١٥ ـ ١٩ شوال عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٦ ـ ٣٠ يوليو عام ١٩٨٣م، ولم يصدر عنه بيان مشترك[(٢)].

د ـ (مركز الجبل العالي) (Haut mont):

شرع هذا المركز في تفعيل الحوار الإسلامي النصراني داخل فرنسا منذ مطلع الثمانينيات، وينزع في طروحاته نحو التقريب في الجوانب الروحية والخلقية والاجتماعية مثل:

مؤتمر: «المؤمنون إزاء حقوق الإنسان»:

عقد في مدينة «موفو» ـ فرنسا ـ في الفترة: ١١ ـ ١٢ ربيع الآخر

---

(١) اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (١١٦).
(٢) اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (١٢٩).

عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٦ ـ ٧ فبراير عام ١٩٨٢م، وحضره مائة مشارك من الجانبين[١].

مؤتمر: «إسلامي مسيحي»:

عقد في موفو يومي ٢٠ ـ ٢١ جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ، الموافقين ٥ ـ ٦ مارس عام ١٩٨٣م[٢].

مؤتمر: «كيف نعيش نحن المسلمين والمسيحيين، ونشهد لإيماننا في عالم تغرّب عن الله؟»:

عقد في موفو يومي ١٤ ـ ١٥ جمادى الثانية عام ١٤٠٤هـ، الموافقين ١٧ ـ ١٨ مارس عام ١٩٨٤م[٣].

مؤتمر: «العيد»:

عقد في موفو يوم ٢٧ جمادى الثانية عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٩ مارس عام ١٩٨٦م وحضره مائة وخمسون شخصاً[٤].

مؤتمر: «الضيافة»:

عقد في موفو يومي ١٣ ـ ١٤ رجب عام ١٤٠٧هـ، الموافقين ١٤ ـ ١٥ مارس عام ١٩٨٧م، بحضور مائة وعشرين شخصاً[٥].

مؤتمر: «استيقاظ الإيمان في الشبيبة»:

عقد في موفو يومي ٢٣ ـ ٢٤ رجب عام ١٤٠٨هـ، الموافقين ١٢ ـ ١٣ مارس عام ١٩٨٨م، بحضور مائة وخمسين شخصاً[٦].

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (١١٥).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٢٦).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٣٧).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٦٤).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٨٤).

(٦) المرجع السابق. تسلسل (٢٠٠).

مؤتمر: «النعش فوارقنا معاً»:

عقد في موفو يومي ٢٢ ـ ٢٣ جمادى الثانية عام ١٤٠٩هـ، الموافقين ٢٨ ـ ٢٩ يناير عام ١٩٨٩، بحضور مائة وخمسين شخصاً[١].

مؤتمر: «السعي معاً للعدالة والسلام»:

عقد في موفو يومي ٢٧ ـ ٢٨ شعبان عام ١٤١٠هـ، الموافقين ٢٤ ـ ٢٥ مارس عام ١٩٩٠م[٢].

مؤتمر: «لنصبح كائنات حرة في نظر الله»:

عقد في موفو يومي ١٨ ـ ١٩ رمضان عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٢ ـ ٢٣ مارس ١٩٩٢م، بحضور قدره مائتا شخص[٣].

هـ ـ (مركز الينابيع الثقافي) (Les Fontaines):

ومقره مدينة «شانتيلي». وقد اشترك مع أمانة السر للعلاقات مع الإسلام SRI في مؤتمرين: «الإيمان والثقافة في الإسلام والمسيحية، الأمس واليوم» عام ١٩٧٨م، و«الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر» عام ١٩٧٩م ـ كما تقدم ـ ومن مناشطه:

مؤتمر: «يقظة الإسلام السياسية»:

عقد في شانتيلي يومي ١٦ ـ ١٧ جمادى الأولى عام ١٤٠٢هـ، الموافقين ١٣ ـ ١٤ مارس عام ١٩٨٢م، بحضور مائة شخص.

مؤتمر: «حقوق الإنسان والأديان»:

عقد في شانتيلي يومي ٧ ـ ٨ جمادى الثانية ١٤٠٤هـ، الموافقين ١٠ ـ ١١ مارس عام ١٩٨٤م بالاشتراك مع معهد روبرت شومان

---

(١) المرجع السابق. تسلسل (٢١٠).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (٢٢٣).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٢٤). ولم يصدر عن أي من المؤتمرات التسعة السابقة بيانات مشتركة.

لأوربا «IRSG»[(١)]، المنسوب إلى السياسي الفرنسي، عضو الجبهة الشعبية الجمهورية للحركة الكاثوليكية، ورئيس وزراء فرنسا ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م[(٢)].

و ـ (جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية):

هي جمعية ذات نزعة صوفية: تسعى إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية نشطت خلال الثمانينيات في عقد مؤتمراتٍ ثلاثية الأطراف، أهمها:

مؤتمر: «التربية الدينية»:

عقد في شانتيلي يومي: ١٣ ـ ١٥ شعبان عام ١٤٠١هـ، الموافقين ٢٥ ـ ٢٧ يونيو عام ١٩٨١م، وحضره ثمانون شخصاً[(٣)].

مؤتمر: «الإيمان عند إبراهيم»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ٦ ـ ٨ رجب عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٣٠ أبريل ـ ٢ مايو عام ١٩٨٢م، وحضره مائة وخمسون شخصاً[(٤)].

مؤتمر: «التوراة والإنجيل والقرآن»:

عقد في تولوز يومي ١٧ ـ ١٨ ربيع الآخر عام ١٤٠٤هـ، الموافقين ٢١ ـ ٢٢ يناير عام ١٩٨٤م، بالاشتراك مع معهد تولوز الكاثوليكي[(٥)].

---

(١) ويترجم أحياناً بمركز العيون، نظراً لأن الكلمة الفرنسية Fontaine تعني: «نبع» أو «عين» فيظنهما بعض من كتب في الموضوع مركزين مختلفين. أما النبع بمعنى المصدر فيقابل الكلمة الفرنسية La Source.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: ١١٨، ١٣٦.

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل: (١١١).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٢٠).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٣٣).

مؤتمر: «الصلاة عند اليهودية والمسيحية والإسلام»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ١٨ ـ ٢٠ رجب عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٢٨ ـ ٣٠ أبريل عام ١٩٨٤م[١].

مؤتمر: «الإيمان والإصغاء إلى الآخر»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ٨ ـ ١٠ شعبان عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١٨ ـ ٢٠ أبريل عام ١٩٨٦م[٢].

مؤتمر: «الرجاء انتظار خلّاق»:

عقد في شانتيلي يومي ٧ ـ ٨ شوال عام ١٤٠٧هـ، الموافقين ٥ ـ ٦ يونيو عام ١٩٨٧م[٣].

مؤتمر: «اليهودية والمسيحية والإسلام أمام روحانيات الشرق الأقصى»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ٢٧ ـ ٢٨ رمضان ١٤٠٨هـ، الموافق ١٤ ـ ١٥ مايو عام ١٩٨٨م[٤].

ز ـ (معهد تولوز الكاثوليكي):

كانت باكورة نشاطه في حقل الحوار الثلاثي بين الأديان، اشتراكه مع جمعية الكتبة الناطقين بالفرنسية في مؤتمر: «التوراة والإنجيل والقرآن» عام ١٩٨٤م، ثم استقل بعقد مؤتمرات في مقره في مدينة تولوز الفرنسية كان أهمها:

مؤتمر: «البحث عن الله»:

عقد هذا المؤتمر الحاشد يومي ١٤ ـ ١٥ جمادى الأولى عام

---

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٣٩).
(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٦٥).
(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٩٠).
(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢٠٢). ولم يصدر عن المؤتمرات السبعة السابقة بيانات مشتركة.

١٤٠٦هـ، الموافقين ٢٥ ـ ٢٦ يناير عام ١٩٨٦م، حضره مائتان وخمسون مشاركاً من المسلمين والنصارى واليهود[١].

مؤتمر: «الغفران»:

عقد يومي ١٠ ـ ١١ جمادى الثانية عام ١٤٠٨هـ، الموافقين ٣٠ ـ ٣١ يناير عام ١٩٨٨م[٢].

مؤتمر: «الكتابة المقدسة والكتابة الدنيوية»:

عقد يومي ٣٠ جمادى الثانية ـ ١ رجب عام ١٤١٠، الموافقين ٢٧ ـ ٢٨ يناير عام ١٩٩٠م[٣].

مؤتمر: «من هو قريبك؟»:

عقد يومي ٢ ـ ٣ رجب عام ١٤١٢هـ، الموافقين ٢٥ ـ ٢٦ يناير عام ١٩٩٢م[٤].

ح ـ (جمعية الحوار الإسلامي المسيحي):

:(Association For Muslim - Dialogue) A.D.I.C

تأسست هذه الجمعية بمبادرات عربية وفرنسية، إسلامية ونصرانية، في نهاية عام ١٩٨٧م، توجت بعقد أول اجتماع تأسيسي في ١٢/١٠/١٩٨٩م، شارك فيه ثمانون شخصية من فرنسا والمغرب العربي والشرق الأوسط وغرب أفريقيا.

ومن أبرز الشخصيات المؤسسة من الجانب النصراني: ميشال لولون، مستشار الفاتيكان السابق لشؤون الإسلام، والأمين العام للجمعية. ومن الجانب الإسلامي الدكتور التيجاني هدام، وزير الأوقاف

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٦٢).
(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٩٩).
(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٢١).
(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢٤١).

السابق في الجزائر، وعميد المعهد الإسلامي لمسجد باريس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فرنسا، ورئيس الجمعية، مقاسمةً مع السياسي الفرنسي فرناند رويون، سفير فرنسا الأسبق في دمشق وأنقرة[١].

كما رأس الجمعية أيضاً الدبلوماسي المصري عادل عامر، والدكتور علي السمان[٢] وأبرز أعمال الجمعية على الإطلاق.

المؤتمر: «العالمي للحوار الإسلامي ـ المسيحي»:

عقد هذا المؤتمر بمقر المجلس الأوربي بمدينة «ستراسبورغ» الفرنسية، يومي ٣، ٤ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ، الموافقين ٢٠، ٢١ ديسمبر عام ١٩٩٠م. ويمكن تحديد بواعث الدعوة للمؤتمر، كما تراها إدارة الجمعية بما يلي:

١ ـ ازدياد حدة المشاعر العنصرية لدى الفرنسيين، وقلق المسلمين في فرنسا من العداء المعلن من أحزاب اليمين الفرنسي المتطرف ضد العرب والمسلمين.

٢ ـ الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب، من جراء الحملات الإعلامية ضد الإسلام خصوصاً، بعد تفاعلات قضية الكاتب البريطاني، ذي الأصل الهندي سلمان رشدي[٣].

٣ ـ أحداث لبنان التي صورت للرأي العام الفرنسي بأنها اضطهاد

---

(١) انظر: مجلة الموقف. عدد ٧٥. أبريل ١٩٩١م ـ رمضان ١٤١١هـ (٤٢).
(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).
(٣) وذلك بسبب إصداره كتاب «آيات شيطانية»، الذي تعرض فيه للإساءة إلى زوجات رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهن وبرأهن، وكفريات أخرى. وقد أصدر الزعيم الرافضي «آية الله خميني» فتوى بإهدار دمه، وكان لتلك الفتوى أسوأ الأثر في لفت الأنظار إلى كتابه وترويجه، والنيل من الإسلام وشريعته.

للنصارى في المشرق، مما أدى إلى ظهور كتابات فرنسية متعصبة[١]، ككتاب جان ـ بيار فالونيه: «حياة مسيحيي الشرق وموتهم»، الذي سبق التعريف به في الباب الأول.

وقد حظي المؤتمر بحضور مميز وكثيف، فقد شارك فيه ثمانون مسلماً، وثمانون نصرانياً، فيهم شخصيات دينية وسياسية بارزة مثل:

- الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي. د. عبد الله عمر نصيف.
- مدير عام الأونسكو. فيديريكو مايور.
- رئيسي وزراء في حكوماتٍ فرنسية سابقة هما: جاك شابان دلماس، وكلود شيسون.
- وزير الثقافة الفرنسي جاك لانغ، ووزير الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية، رولان دوما.
- الأمين العام للمجلس الأوربي، كاترين لالومبير... وآخرون.

وتليت فيه رسائل من الرئيس المصري حسني مبارك، ورئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، الكاردينال فرنسيس آرينزي، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، حامد الغابد.

وشارك في المؤتمر وفودٌ من مصر والسعودية وفلسطين والجزائر ولبنان والإمارات العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وجمعيات إسلامية أوربية، وجمعيات فرنسية مماثلة، كما مثلت فيه مختلف الكنائس النصرانية الكبرى.

وكانت المحاور الرئيسية لبحوث وكلمات المؤتمر حول ثلاثة موضوعات رئيسية: الأديان والسلام، الدين والمجتمع والثقافة، مسؤولية المؤمنين اليوم.

---

(١) انظر: مجلة «الموقف» عدد ٧٥. أبريل عام ١٩٩١م ـ رمضان ١٤١١هـ (٤٢).

وتفرع عنها عناوين فرعية هي:

□ أسس الحوار للعيش المشترك الإسلامي ـ المسيحي.

□ طبيعة العلاقات بين الشمال والجنوب.

□ شهادات لبنانية، وأخرى فلسطينية عن التعايش.

ونقتطف بعض الجمل التي وردت على ألسنة بعض المتحدثين:

• السفير أحمد وسيدو، ممثل أمين منظمة المؤتمر الإسلامي حامد الغابد: (الحوار بين الأديان، يجب أن يكون من خلال التعاون في القضايا المشتركة التي يسببها الشقاء والتخلف والبؤس والمرض في العالم).

• الأب رفيق خوري، ممثل بطريرك القدس لطائفة اللاتين، الكاردينال ميشال صباح، عَدَّ الحوار الإسلامي ـ المسيحي أحد أربع ظواهر تاريخية حددت بشكلٍ إيجابي علاقات مسيحيي الشرق الأوسط مع مواطنيهم المسلمين، وأنه الفقه المسيحي الوحيد، الذي تم التفكير به وكتابته بتأثير وفعل دينٍ آخر.

• الأب ميشال سوران، سكرتير الفاتيكان السابق للعلاقة مع الإسلام: (إن المواقف التي اتخذتها الكنيسة الكاثوليكية خلال العقود الأخيرة ـ حول الحوار ـ قد تم اتخاذها بانسجام تامٍ مع إيمانها وعقيدتها، وهذه المواقف لم تشكل بالنسبة لها تخلياً عن هويتها، وإنما شكلت أكثر من عودةٍ مطلوبة إلى هذه الهوية).

• عبد الحق إسماعيل غيدر دوني[1]، ممثل جمعية المسلمين الإيطاليين: (إن الحوار بين الأديان يمكن أن يصبح دليلاً ومرشداً

---

(١) وهو نائب رئيس جمعية «قريش» عبد الواحد بلافتشيني، الذي سبق التعريف به وبجمعيته في محاولات التقريب في إيطاليا.

لتحولنا الداخلي، ويجب علينا أن ندرك أن الإيمان بالله الواحد المتعال، والذي هو أيضاً إلٰه الرحمة، الرحمٰن. ويجب علينا أن نحرص على أن لا يسبق ويتقدم الإيمان بالطائفة، على الإيمان بالله)(١).

ويظهر الفرق جلياً بين النصين الأخيرين؛ نصراني ينفي بشكل قاطعٍ أن يكون الحوار تخلياً عن الهوية العقدية، ومسلم يرى الحوار دليلاً على تحولٍ داخلي يقدم الإيمان بالله بصورته المبهمة المجملة على إيمان الطائفة الخاص!!

وقد صدر في نهاية أعمال المؤتمر بيان ختامي، جاء في توصياته:

■ (آن الأوان لكي نعمق بكل استقامة وجدية المعرفة المتبادلة، التي كثيراً ما تكون ناقصة أو خاطئة عند المسلمين والمسيحيين في ما يخص ديانة الآخرين، لا سيما في الأمور التالية: الاختبار الروحي، وتاريخ جماعاتهم وما أبدعته على صعيد الفن والحضارة والمبادئ الأخلاقية. المطلوب منها إيصالها إلى الأسر والشعوب والعالم بأسره.

■ ولهذه الغاية يوصي المشاركون في لقاء ستراسبورغ جماعاتهم القيام بنشاطاتٍ تثقيفية متفق عليها ومستمرة، وذلك لتعليم الأولاد البالغين من خلال الكتب، وسائر وسائل الإعلام...

■ إن المعرفة لا تكفي، فبعد أن تتزود الجماعات المسلمة والمسيحية بغنى القيم الروحية والأخلاقية المشتركة بينها، والنابعة من الإنجيل والقرآن، عليها أن تعمل مع سائر الجماعات الدينية: **من جهة**، لتحديد أطر الاتفاق الممكن بين مواقفها تجاه المشاكل الحالية

---

(١) انظر: هذه النصوص في ملف المؤتمر، مجلة الموقف. عدد ٧٥ أبريل ١٩٩١م رمضان ١٤١١هـ (٤٣ ـ ٥٣).

والمستقبلية، لا سيما في سبيل السلام والعدالة الاجتماعية والحرية الدينية. ومن جهة أخرى، للعمل معاً للتأثير في السلطات الحكومية والرأي العام بما يخص تلك الحقول وتلك الاتجاهات)[١].

كما تضمن البيان تعهد A.D.I.C بالقيام بدور المنسق والوسيط لتحقيق تلك الأهداف.

مؤتمر: «أهمية الحوار الإسلامي المسيحي في تعليم وحماية الشباب»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «رووان» ـ فرنسا ـ يومي ٥، ٦ رجب عام ١٤١٢هـ، الموافقين ١٠ ـ ١١ يناير عام ١٩٩٢م، بتنظيم من جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C، وحضره أكثر من مائتي شخصية من الجانبين، من أوروبا وأفريقيا وجزر المحيط الهادي.

وقد وزعت الجمعية وثيقة تتضمن الأفكار التي طرحت في مؤتمر ستراسبورغ.

ثم صدر بيان ختامي عن المؤتمر تضمن:

١ ـ أهمية أن يتعرف الشباب على أسس وتعاليم القيم الروحية الدينية.

٢ ـ أن يتعرف شباب كل دين على ما تحتويه الأديان الأخرى من قيمٍ ومعانٍ، حتى نتفادى خطر الانغلاق على الذات، وحتى يتدعم الحوار بين الأديان.

٣ ـ أن يتنبه الآباء والمعلمون إلى ضرورة حماية الشباب من التأثيرات السلبية التي تعوق النمو الصحي لشخصيتهم، ودعوة أجهزة الإعلام أن تقوم بدورها في هذا السبيل، لتقدم صورة صحيحة وعادلة وموضوعية عن الإسلام لدى المسيحيين، وعن المسيحية لدى المسلمين.

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٦٥ ـ ١٦٦). ومجلة الموقف (٥٧/ ٥٤ ـ ٥٥).

٤ ـ تدعيم لقاء المعلمين والمربين المسلمين والمسيحيين، للتشاور، وتبادل الأفكار حول سبل غرس مبادئ التسامح والتعاطف بين الأديان لدى الشباب، بالتعاون مع الحكومات المعنية)[١].

مؤتمر: «التعايش»:

عقد في مدينة «مرسيليا» ـ فرنسا ـ يوم ٢٧ شعبان ١٤١٢هـ، الموافق مطلع مارس عام ١٩٩٢م. وقد حضره مائة وثلاثون شخصاً من المسلمين والنصارى واليهود[٢].

ط ـ (بلدية مونيليه):

عقدت بلدية مونيليه الفرنسية مؤتمراً في مقرها يومي ١٥ ـ ١٦ شعبان عام ١٤٠٥هـ، الموافقين ٦ ـ ٧ مايو عام ١٩٨٥م بعنوان:

«الإله الواحد والإنسان المعاصر»: حضره خمسمائة شخص من المسلمين والنصارى واليهود، ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

ي ـ (مركز خدمة العلاقات الإسلامية المسيحية) SRCM:

ومقره مدينة ستراسبورغ. وقد نظم مؤتمراً بعنوان:

«المسيحيون والمسلمون في المجتمع الفرنسي في سبيل التحاور الديني»: عقد يومي ٣٠ جمادى الثانية ـ ١ رجب عام ١٤١٠هـ، الموافقين ٢٧ ـ ٢٨ يناير عام ١٩٩٠م[٤].

---

(١) جريدة الأهرام. يوم ١٤١٢/٧/١٥هـ.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (٣٤٣).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٥٠).

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (٢٢٠).

ويوجد في فرنسا هيئات أخرى معنية بقضية التقريب بين الأديان مثل:

ك ـ مجموعات الصداقة الإسلامية المسيحية، مثل GAIC وAMIC.

ل ـ الأخوية الإبراهيمية Fraternite d'Abraham.

م ـ وكالة الكنيسة والإسلام، وهي مؤسسة تابعة للاتحاد البروتستانتي الفرنسي.

ن ـ المجموعة الدراسية للأبحاث الإسلامية في ستراسبورغ:

٥ ـ النمسا:

يرجع تاريخ الحوار بين المسلمين ونصارى النمسا إلى وقتٍ مبكر، حين زار الكاردينال فرنسيسكوس كوينج، رئيس أساقفة النمسا، جامعة الأزهر، وألقى محاضرة في قاعة الشيخ محمد عبده في ٢٧ ذي القعدة عام ١٣٨٤هـ، الموافق ٣١ مارس عام ١٩٦٥م، بعنوان: «عقيدة التوحيد في العالم المعاصر»، ضمن أعمال الموسم الثقافي لجامعة الأزهر، وقد استبق الكاردينال انتهاء المجمع الفاتيكاني الثاني في ديسمبر من نفس العام ليجهر بالقول: (... إننا نؤمن أن هداية الله قد تتأتى للمؤمنين بغير المسيحية من أديان، ولو أننا لا نستطيع نحن أن نعتنق هذه الأديان، ولهذا فإن القول بأن «هداية الله لا تأتي خارج الكنيسة» قول مردود)[١].

---

(١) عقيدة التوحيد في العالم المعاصر: الكاردينال: فرنسيسكوس كوينج ـ وقد كان للكاردينال كوينج دور بارز في صياغة البيان المجمعي «العلاقة مع غير المسيحيين» الداعي إلى الحوار ـ ترجمة: د. محمد محمود غالي. مراجعة: محمد علوي عبد الهادي، جامعة الأزهر. الموسم الثقافي لعام (١٣٨٤هـ ـ ١٣٨٥هـ). مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٦م.

ويتخذ من نزعة كل من الإسلام والنصرانية نحو الدعوة المعلنة مبرراً للحوار، ويضع له قاعدة مشتركة، وشروطاً في أربع نقاط:

١ ـ الأساس المشترك للتوحيد.

٢ ـ الرابطة المشتركة التي تربط بين الدينين، لأن كلاً منهما «دين كتاب».

٣ ـ احترام أتباع كل دين للدين الآخر، باعتباره سبيلاً يسرها الله للإنسان ليبلغ بها غايته، وليس في هذا الاحترام ما يتطلب تخلي صاحب الدين عن دينه، أو ما ينقص إيمانه بأن دينه هو وحده الحق المطلق.

٤ ـ المبدأ الذي يؤمن به المسيحيون والمسلمون على السواء، وتنادي به الآية الكريمة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولا يجرح هذا المبدأ ما شجر بينهم من خلافات في عصور التاريخ)[١].

كما يجعل الكاردينال كوينج من المصير المشترك الذي يواجه أديان التوحيد ـ على حد تعبيره ـ والمتمثل في الإلحاد المتفشي في تلك الفترة، سبباً ملحاً للالتقاء، لكنه يشدد على عدم الانزلاق إلى فكرة توحيد الأديان قائلاً: (وينبغي علينا جميعاً، إلى جانب ذلك كله، أن نكون على حذر من كل هذه الجهود السائدة في عالم اليوم داعية إلى الوحدة، حتى لا يغرر بنا إلى رقةٍ في العقيدة، لا نكترث معها إلى أي دينٍ ننتسب، وحتى لا نسهم في ترويج قضية الإلحاد، لأن الإلحاد المتحرر ينادي بأن الأديان كلها متشابهة، وهو يعني بذلك أن الأديان كلها باطلة)[٢] ولا نعلم أن أحداً من الأزهر أو جامعته تعقب

---

(١) المرجع السابق. (١٤، ١٥)، وانظر في بيان خروج النصرانية عن ملة إبراهيم المبحث الثاني من التمهيد.

(٢) المرجع السابق. (٢٠).

الكاردينال في دعوى التوحيد، أو دعاه إلى الكلمة السواء، بل قد طبعت جامعة الأزهر المحاضرة بكاملها.

وقد أثبت الكاردينال كوينج تعليقاً عن دائرة المعارف الفلسفية ٣/ ٤٩٢ في حاشية ص(١٥)، عن قضية التوحيد ننقله لأهميته: (لقد أخذت المسيحية عقيدة الإله العظيم، ولكنها أضافت إلى ذلك عقيدة الإله الابن، الذي تجسد في المسيح، الإله الإنسان، كما أضافت المسيحية كذلك عقيدة الأفلاطونية الحديثة من الإيمان بروح العالم «روح القدس»، ولهذا لا تعتبر إن أردنا الدقة دين توحيد)[١].

وقد قيل: «من فمك أدينك». فالحمد لله الذي أنطق كل شيء.

مؤتمر: «الكنيسة والمسلمون في أوربا»:

انعقد هذا المؤتمر النصراني في مدينة فيينا بضاحية «مودلنغ» ـ فيينا ـ في الفترة: ١٩ ـ ٢١ نوفمبر عام ١٩٧٦م، بإشراف الأمانة الفاتيكانية للعلاقة بغير المسيحيين، وشارك فيه تسعة عشر نصرانياً لبحث وضع المسلمين في أوربا، ثم دعي في اليوم الأخير ستة من المسلمين بصفة مرجعية[٢]. وطلب من الدكتور إسماعيل بالِك، المسلم النمساوي، من أصل بوسني، أن يحضر ورقة حول السؤال: «ماذا يتوقع المسلمون في أوربا من الكنيسة؟»[٣].

(معهد القديس جبريل اللاهوتي):

هو معهد تنصيري تأسس في القرن التاسع عشر، وتخصص في أعمال التنصير في أقاصي آسيا، مثل الصين واليابان، واتجه منذ منتصف السبعينيات الميلادية إلى تنظيم مؤتمراتٍ حوارية مع المسلمين، والبوذيين، والهندوس.

---

(١) انظر: حاشية رقم (٢٩) (١٥) من المرجع السابق.

(٢) انظر: .Dialogue Between Christians and Muslims P.30-31

(٣) انظر: .Recognize The Spiritual Bonds. .p39

ومن أبرز أعماله في هذا المضمار:

(مؤتمر إله المسيحية والإسلام):

انعقد هذا المؤتمر في مدينة فيينا ـ عاصمة النمسا ـ في ضاحية مودلنغ، في الفترة: ١٢ ـ ١٦ جمادى الثانية عام ١٣٩٧هـ، الموافق ٣١ مايو ـ ٤ يونيو عام ١٩٧٧م. وقد شارك في أعماله اثنان من المسلمين، وخمسة من النصارى، بحضور جمع غفير يبلغ مائة وثمانين شخصاً. وقد طرحت الموضوعات التالية:

- تاريخ المواجهة بين النصرانية والإسلام.
- الإله في العهد القديم.
- الإله كما ظهر بواسطة عيسى. (تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً).
- «الإله» في الإسلام.
- «الإله» كواحد، و«الإله» كثالوث. «تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً».
- الإسلام بوصفه دين خضوع لإرادة الله.
- تكوين الإنسان مهيئاً لصلة حميمة بالإله[1].

مؤتمر: «الإنسان كمصغٍ إلى كلام الله، في نظر المسيحية والإسلام»:

انعقد هذا المؤتمر في مودلنغ قرب فيينا، في معهد القديس جبريل اللاهوتي، في الفترة: ١٧ ـ ٢٠ أبريل عام ١٩٩٠م. ويعد هذا المؤتمر، السادس في سلسلة المؤتمرات اللاهوتية، التي يعقدها المعهد مع أطرافٍ عدة، كما أنه الثاني في سلسلة اللقاءات الإسلامية النصرانية.

---

(١) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims p.(31-37-42).

أما مدلول هذا العنوان فيشرحه مدير المعهد والمؤتمر د. أندرياس بشته، وعميد كلية اللاهوت الكاثوليكي بجامعة مونستر «ألمانيا»، البرفسور: عادل تيودور خوري، في مقدمتهما لكتاب «الإصغاء إلى كلام الله»، بقولهما: (هو موضوع من شأنه على ما يبدو، إن أحسنا فهمه، أن يكشف الاتفاق العميق بين المسيحية والإسلام، وفي الوقت نفسه الفرق بين التراثين الدينيين، فإن الإصغاء المؤمن إلى حقيقة يفهمها ويكرمها المسيحيون والمسلمون، ولو بنوعٍ مختلف، ككلمة يوجهها الله إليهم، يرتكز عليه الكيان المسيحي والمسلم على حدٍ سواء، وبه يصبح المسلم مسلماً، والمسيحي مسيحياً)[1].

وقد افتتح المؤتمر وزير العلوم والأبحاث في الحكومة النمساوية الدكتور: إرهاد بوزك، وأشار إلى أنه (يعيش في النمسا عدة عشرات آلاف من المسلمين الذين لا تتهيأ لهم إلا نادراً فرصة التعبير عن حياتهم الدينية، بصلواتهم وأعيادهم الدينية وممارساتهم الدينية... إني أعتقد أنه من المهم في حوار الأديان إثبات الأمور الأولية المتفق عليها، دون أن نعتبرها واقعاً بديهياً، بل هدية النعمة، وكما أنه ليس من المجدي في الحوار مع اليهود أن نستهل الحديث بطرح السؤال عن مجيء المسيح، كذلك ليس من المجدي أن نبحث بادئ الأمر مع المسلمين في قضية الثالوث الأقدس. من المؤسف أننا على علم بمواضع الاختلاف في ما بيننا أكثر من علمنا بمواطن الاتفاق... فهلمّ بنا إذاً يهوداً ومسلمين ومسيحيين نثبت ونعي وعياً عميقاً، أن هذه الأديان العالمية الثلاثة الكبيرة تنتمي إلى أبٍ مشترك، إلى إبراهيم، أبي الإيمان)[2].

---

(١) «الإصغاء إلى كلام الله» (٥). من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم(٥).

(٢) المرجع السابق: (١٥، ١٦).

وقد ألقيت في المؤتمر المحاضرات التالية:

□ المسيحيون والمسلمون ماثلون معاً أمام كلام الله. لعادل تيودور خوري.

□ الإنسان في القرآن الكريم بوصفه مستمعاً إلى كلام الله. لمحمود حمدي زقزوق.

□ الإصغاء إلى كلمته. الكلمة القريبة كقدرة منشئةٍ للحياة بحسب العهد الجديد. ليورغن رولوف.

□ الكلمة الإلهية والمؤلّهة. لجسبرت غرسهاك.

□ الإصغاء إلى كلمة الله. القرآن الكريم في تاريخ التقليد الإسلامي. لمحمد طالبي.

□ الكلمة والطريق. بحث الإنسان عن الله في التصوف الإسلامي. لمحمود أيوب.

□ التبادل الصوفي. التبادل العجيب بين الإنسان والله في الكلمة الإلهية. ليوسف سودبراك.

ويتضح من هذه المحاضرات النزعة الفلسفية والصوفية، وانسياق المتحدثين المسلمين خلف النسق اللاهوتي النصراني، في تناول مسائل الاعتقاد[1].

وإلى جانب هذه المحاضرات جرت «ساعة صلاة»! مشتركة ـ حسب تعبيرهم ـ قدم لها أندرياس بشته مدير المعهد، والمؤتمر، بقوله: (إن وقوفنا معاً أمام الله، هو في الأعماق، موهبة منحت لكل واحدٍ منا في شخصيته الفريدة وكرامة حياته. ولذلك هو يحدونا أن نقيم هذه

---

(١) انظر: النصوص الكاملة للمحاضرات مترجمة إلى العربية في «الإصغاء إلى كلمة الله».

المشاركة الروحية في اختلاف مذاهبنا، ونعبر عنها بواسطة الصلاة... فنستمع في الجزء الأول من ساعة الصلاة المسيحية الإسلامية هذه إلى تلاوة تفسير من القرآن والكتاب المقدس، ثم نوجِّه كل منا بلغة إيمانه الخاصة، وقلبه المؤمن، كمسلمين ومسيحيين، نوجه صلاتنا إلى الله)[١].

مؤتمر: «سلامٌ للبشر: المؤتمر الدولي الأول المسيحي الإسلامي»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني الدولي في «فيينا»، في الفترة: ٣٠ مارس ـ ٢ أبريل عام ١٩٩٣م، بمبادرة وسعي من وزير الخارجية النمساوي، د. ألويس موك، وتنظيم وتنفيذ من معهد القديس جبريل للاهوت الأديان، الذي ترأس مديره د. أندرياس بشتِه المؤتمر، مما أضفى طبيعة دينية ـ سياسية على أعماله وأهدافه.

وقد شارك فيه ستة وأربعون مشاركاً من الجانبين، من شخصيات دينية وسياسية وعلمية، حاول منظمو المؤتمر أن يمثلوا من خلالهم مختلف التوجهات والطوائف في الإسلام والنصرانية. ومن أبرزهم:

■ الدكتور: عصمت عبد المجيد. الأمين العام لجامعة الدول العربية.

■ الدكتور: السيد محمد خاتمي، مستشار الرئيس الإيراني ـ ذلك الوقت.

■ السيد: منوّر سجدزلي، وزير أندونيسيا السابق للشؤون الدينية.

■ الشيخ: أحمد كفتارو، مفتي سوريا.

■ الكاردينال: فرانسيس كوينج رئيس أساقفة النمسا ـ سابقاً ـ.

■ المطران: هنري تيسيه، رئيس أساقفة الجزائر.

■ المطران: جورج خضر، مطران جبل لبنان للروم الأرثوذكس.

(١) المرجع السابق. (١٨٥ ـ ١٨٦).

كما تليت رسائل من بعض الشخصيات من الجانبين وهم:

١ ـ الأمير الحسن بن طلال، ولي عهد الأردن ـ سابقاً ـ.

٢ ـ الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر.

٣ ـ الكاردينال: فرنسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان.

مما يكشف عن حجم المؤتمر على الصعيدين الديني والسياسي.

وقد قدمت فيه ستة بحوث على مدى ثلاثة أيام، تعقبها مناقشات عامة. وهي:

□ السلام في التصور الإسلامي. مفهوم السلام في العالم وضرورته. د. محمود زقزوق.

□ جذور السلام في الكتاب المقدس والتقليد المسيحي. غوتفريد فانوني.

□ السلام وحقوق الإنسان في منظار الكنائس. غيرهارد لوف.

□ أسس الحرية اللاهوتية والفقهية، استقلال الإنسان وسيادته في نظر الإسلام، كقاعدة للسلام العالمي المرغوب فيه جدياً، محمد مجتهد شَبِستري.

□ التعددية الدينية والاجتماعية السياسية، نظرة إسلامية في إطار التجربة الأندونيسية، نور كِلش مجيد.

□ التعددية الاجتماعية السياسية، والتضامن العالمي من منظور التحرر. ك.س. إبراهام. وقد صدر عن المؤتمر ـ بعد مداولات وتعديلات ـ بيان ختامي عرف بـ«تصريح فيينا»، تضمن نداءات دينية للمسلمين والنصارى هي:

«١ ـ إنا نهيب بجميع المسيحيين والمسلمين، بصدد تركيز السلام

وتوطيده أن يتغلبوا أخيراً على تاريخ علاقاتهم المرهَق، وأن يجدوا سبيلاً إلى تفاهم متبادل أفضل، وإلى تنحية الأحكام المسبقة، وإلى النظر إلى معتقدات الآخرين الدينية بعين الاحترام والتقدير[١].

٢ ـ إنا نهيب بجميع المسيحيين والمسلمين أن يجهدوا بعضهم مع بعض، ومع جميع الناس، في إقامة عالمٍ إنساني، عالم يستطيع فيه جميع الناس، أن يحيوا بعضهم مع بعضٍ بالكرامة والعدل والتسامح المتبادل والسلام، وتوزع فيه خيرات أرضنا توزيعاً عادلاً، وتُحَل فيه التوترات والخلافات بروح الحوار، وبالرسائل التي يمليها الاستعداد والعزم على إحلال السلام.

٣ ـ إنا نهيب بجميع المسيحيين والمسلمين في العالم كله أن ينبذوا الحرب وأن يعطوا هم أنفسهم مثالاً للسلام.

٤ ـ إنا نهيب بجميع المسلمين والمسيحيين أن يجابهوا كل محاولة ترمي إلى استخدام الدين لتبرير مقاصد سياسية).

كما تضمن تصريح فيينا نداءاتٍ إلى السياسيين في العالم تطالبهم بما يلي:

(١ ـ أن يحترموا ويحموا كرامة الإنسان التي لا يمكن التخلي عنها.

٢ ـ أن يعترفوا بالحقوق الأساسية الخاصة بكل إنسان ويضمنوها بقوة القانون.

٣ ـ إن التحامل على الأقليات، واضطهاد الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، وتذليل المحتاجين، التي تحدث في كثيرٍ من

---

(١) إن هذه النداءات تعني تنحية أحكام الكتاب والسنة في شأن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين واحترام وتقدير العقائد الشركية من التثليث والتجسد والبنوة، وسائر العقائد الوثنية.

الأماكن، تشكل شكوى صارخة ضدنا. فنحن نطالب المسؤولين السياسيين بأن ينحوا هذا الظلم، ويقيموا العدل على الصعيد الوطني، وفي العلاقات الدولية.

٤ ـ في النزاعات الحربية الحاضرة تتجلى عدم قدرة الهيئات السياسية على تأمين السلام بنوعٍ فعال. فنحن نناشد المسؤولين السياسيين أن يخلقوا أو يدعموا مرافق دولية قادرة على وضع حدٍ للعدوان وعلى تأمين السلام.

٥ ـ أن يوجهوا نشاطهم إلى إنشاء التضامن العالمي وتوطيده، وإلى حماية البيئة الحياتية المشتركة بين جميع البشر)[١].

لقد أطلقت هذه النداءات عام ١٩٩٣م باسم «سلام للبشر»! وعلى بُعد بضع مئات الكيلومترات جنوب قاعة المؤتمر تجري مذابح مروعة لمسلمي البوسنة والهرسك، في قلب أوربا التي يتشدق ساستها، ويهمهم كرادلتها بعبارات السلام وحقوق الإنسان. لا، بل إن أحد المشاركين في المؤتمر من المسلمين الأوربيين، وهو البرفسور عبد الجواد فلاتوري ـ مسلم ألماني ـ امتنع عن التصويت على البيان لرفض رئيس المؤتمر توجيه نداء للإعلاميين بالكف عن تشويه الإسلام في وسائل الإعلام الغربية.

مؤتمر: «عالمٌ واحدٌ للجميع. أسس التعددية الاجتماعية والسياسية والثقافية في نظر المسيحية والإسلام. المؤتمر الدولي الثاني المسيحي الإسلامي»:

عقد هذا المؤتمر في العاصمة النمساوية «فيينا»، في ضاحية «مودلنغ»، في الفترة: ٧ ـ ١٠ محرم عام ١٤١٨هـ، الموافق ١٣ ـ ١٦

---

(١) انظر: النص الكامل للبيان، والمحاضرات والمناقشات مجموعة في كتاب: سلامٌ للبشر: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون. رقم(٣). أندرياس بشته، عادل تيودور خوري. وآخرون. مركز الأبحاث في الحوار الإسلامي، المكتبة البولسية، جونية ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

مايو عام ١٩٩٧م، بمبادرة من وزارة الخارجية الاتحادية النمساوية، وتنظيمٍ وإشراف من معهد القديس جبريل اللاهوتي. وجرت مراسم الافتتاحَ وسط حشد من المدعوين بلغ ثلاثمائة شخصية من رجالات الثقافة، وسفراء الدول الإسلامية والأوربية، بالإضافة إلى:

- وزير خارجية النمسا، نائب المستشار، د. فولفجانج شيل.
- رئيس الجمهورية الأسبق، كورت فالدهايم.
- وزيرة خارجية السويد، لينا هيلام واللن.
- وَزير الأوقاف المصري، د. محمود زقزوق.
- أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان، مايكل فيتزجيرالد.
- رئيس أساقفة النمسا سابقاً، الكاردينال كوينج.

كما تليت فيه رسائل وجهت إلى المؤتمر من العاهل المغربي، الملك الحسن الثاني، وسيد محمد خامنئي شقيق المرشد الإيراني، الذي كان مقرراً حضوره(١).

أما المشاركون في أعمال المؤتمر فـ(قد لوحظ أن الحضور من الجانب الإسلامي اقتصر على عددٍ من المفكرين المعروفين بأفكارهم الليبرالية، في حين ضم الجانب المسيحي رجال دين ناشطين في مجال التبشير والتنصير)(٢). ومن هؤلاء ممن سبق عرض بعض أفكارهم:

□ د. محمد الطالبي، الأستاذ في كلية العلوم الإنسانية بتونس.

□ د. رضوان السيد، الأستاذ بالجامعة اللبنانية، ورئيس تحرير مشارك في مجلة الاجتهاد.

□ د. علي مراد، من جامعة السربون في باريس.

---

(١) عن تقرير من المركز الإسلامي في فيينا التابع لرابطة العالم الإسلامي.
(٢) عن تقرير من وزارة التعليم العالي ـ المملكة العربية السعودية.

□ المطران جورج خضر، رئيس أساقفة الروم الأرثوذكس لجبل لبنان.

□ د. عادل تيودور خوري، الأستاذ بجامعة موينيستير بألمانيا.
وآخرون...

وحضرت المؤتمر من إسرائيل د. كلاودي جيفري، مديرة المدرسة المسيحية الفرنسية في القدس. وبالجملة فقد كان المؤتمر حدثاً بارزاً من حيث نوعية المشاركين ودرجة الاهتمام.

وقد صدر عن المعهد «وثيقة إعدادية» بأربع لغات، منها العربية، تضمنت تلخيصاً لبواعث عقد المؤتمر، وجدول أعماله على مدى ثلاثة أيام، وغايته. نقتطف منها الفقرات التالية:

(١ ـ في موجة الشمولية المجتاحة التي تزداد اندفاعاً، يواجه عالمنا تعددية اجتماعية وثقافية تشكل على الصعيد الوطني والدولي بنوعٍ متزايد، إحدى كبريات التحديات السياسية[١].

٢ ـ إن التوترات الاجتماعية والسياسية التي تنجم عن ذلك في الدول المفردة، وعلى الصعيد الدولي، كونت أحد المواضيع المركزية التي دار البحث حولها في المؤتمر الدولي المسيحي الإسلامي «سلام للبشرية»، الذي عقد في فيينا سنة ١٩٩٣م، وسوف تشكل الآن الموضوع الأساسي لهذا المؤتمر اللاحق.

٣ ـ إن هناك اختلافات كثيرة بين المواقف الخاصة في الحقل الديني والثقافي والاجتماعي، وفي الحقل الاقتصادي والتقني والسياسي. ولكن هل تقود هذه الاحتمالات حتماً عاجلاً أم آجلاً إلى الخصومة والنزاع؟ أم تكمن في الخلافات قوة خلاقة بوسعها أن تحول

---

(١) هكذا في النص العربي للوثيقة الصادرة عن المعهد، وفي العبارة خفاء، وبالمقارنة بالنص الإنجليزي فالمقصود أن موجة الشمولية «العولمة» تهدد التعددية الاجتماعية الثقافية.

ميل المواقف المختلفة إلى التحدي والكفاح، إلى نوعٍ جديد من استباق الخيرات «راجع قرآن ٥»، قوةً تستطيع أن تضربَ السيوف سككاً، والأسنة مناجل «راجع أشعيا ٢»[١]؟

٤ ـ إن الأمة الإسلامية والجماعة المسيحية تعيان وعياً يزدادا وضوحاً مسؤوليتها الدينية، وواجبهما في القيام بجهدٍ مشترك، وفي العمل معاً في جميع ميادين المجتمع البشري، وهما تريدان في إطار المؤتمر الحواري في فيينا، وعلى أساس قواهما المتشعبة في العالم الاشتراك في البحث عن طرقٍ جديدة تمكن العالم في تيار توثق وحدته من أن يتجنب خطر الانقلاب إلى ميدان نزاع على الصعيد الإقليمي أو الشامل، ومن أن يضحى بالعكس، وطناً للجميع. . .

٨ ـ إن غاية المؤتمر الحواري هذا، هي تجميع عناصر جديدة تبدو في نظر المسلمين والمسيحيين ضرورة لبناء نظام سياسي جديد، من شأنه أن يكفي البشرية حاجاتها في طريقها نحو المستقبل، وذلك لكي يصير عالم الغد عالماً للجميع)[٢].

لقد توالت دعوات المتحدثين في المؤتمر لمشروع «العالم الواحد» في حفل الافتتاح:

● وزير خارجية النمسا د. فولفجانج شيل: (إن هذا المؤتمر سيؤدي بما يقوم به إلى تحقيق عالم واحد). وضرب المثل بصلاح الدين الأيوبي للخلق الطيب والتصرفِ الحكيم.

---

(١) يريد البيان بقوله: راجع قرآن ٥: ما ورد في السورة الخامسة حسب ترتيب المصحف، سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ آية (٤٨). وبقوله راجع أشعيا ٢ ما جاء في سفر أشعيا من العهد القديم: (ويقضي للشعوب الكثيرة. فيضربون سيوفهم سككاً، ورماحهم مناجل. فلا ترفع أمة على أمة سيفاً) (٢/ ٤) (١٥٣٢).

(٢) الوثيقة الإعدادية لمؤتمر: عالم واحد للجميع.

● رئيس المؤتمر، ورئيس معهد القديس جبريل القس: د. أندرياس بشته: (... سنسهم في بناء عالم موحد، ونوجد وننمي روح التسامح). ودعا في كلمته، في ختام أعمال المؤتمر إلى (الوصول إلى إنسان عالمي) على حد تعبيره.

وقد ناقش المؤتمرون في يومهم الأول موضوع: (الحقيقة الدينية المطلقة، والتعددية الدينية)، وفي اليوم الثاني موضوع: (النظم القانونية المتوجبة، ووسائل فرض احترامها لتحقيق نظام اجتماعي متعدد)، وفي اليوم الثالث موضوع (الثقافة العالمية الواحدة) أو ما اصطلح على تسميته «العولمة الثقافية». وفي كل يوم يتقاسم الحديث متحدثان من الجانب الإسلامي والنصراني.

لقد كان الجانب النصراني في كلماته في المؤتمر يركز الحديث على قضية احترام «التعددية» بصورها المختلفة، وضمان الحريات، إلى درجة الكلام باسم الإسلام نفسه، كما في الكلمة التي ألقاها مايكل فيتزجيرالد، أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان، نيابة عن رئيسه، الكاردينال آرينزي حيث قال: (إن الإسلام يقبل بالتعددية، كما أنه لا يجبر اليهود والمسيحيين على أن يدينوا بالإسلام. وأؤكد أن التعددية اليوم فرصة لنظام جديد متسع. إن الإسلام لا يؤيد الثقافة الواحدة، ويؤيد الحوار المثمر بين الديانات والثقافات... إنني أستطيع أن أقتبس الكثير من القرآن، وأن أقول إنه يحتوي على أساسيات التعددية الاجتماعية والدينية... كما أن التعددية الدينية تؤكد المساواة بين البشرية)[1].

وغير خافٍ ما في هذا الكلام من مغالطة. فمصطلح «التعددية» بمفهومه الذي يدعو إليه المؤتمرون ليس بمعنى إقرار الإسلام لأهل

---

(١) من تقرير المركز الإسلامي في فيينا التابع لرابطة العالم الإسلامي. (١٠).

الكتاب على دينهم، إذ الإقرار لا يعني القبول، فضلاً عن الزعم الكاذب بأن الإسلام لا يؤيد الثقافة الواحدة، أو إطلاق القول بالمساواة بين البشرية.

ثم أردف فيتزجيرالد قائلاً: (لقد حدثت حروبٌ في أفريقيا وغيرها، وكانت هناك ضغوط قوية، فدعونا نقول إنه يمكن عمل الكثير، والذي يتمثل في التعددية والاعتراف بها، وحقوق الإنسان والمعاملة العادلة حتى نعد ونهيئ طريقاً للسلام، إن الأساس بين المسلمين والمسيحيين هو الإيمان بالله، وكرامة الإنسان. ونحن ننتسب جميعاً إلى الله، وفقاً لضمائرنا كأفراد وجماعات، لنحترم حق الحرية الدينية، لنتمكن من التعاون).

لقد مثَّل أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان بالحروب الطويلة في أفريقيا، في إشارة إلى مشكلة النصارى في جنوب السودان، وتناسى الجريمة البشعة، والمجزرة الرهيبة التي ارتكبها النصارى على مرمى حجرٍ منه في حق الأكثرية ـ لا الأقلية ـ المسلمة في البوسنة والهرسك، الذين لم تجف دماؤهم بعد، ولم تضمد جراحاتهم، في قلب أوربا المتمدنة، وليس في أدغال أفريقيا المتخلفة! فضلاً عن مآسي المسلمين في الفلبين وأرتريا ولبنان وغيرها.

كيف يسوغ لهؤلاء الحديث عن التعددية الاجتماعية، والحرية الدينية، وحقوق الأقليات، وقد سيق مسلمو البلقان قرابين على مذبح التعصب النصراني المقيت؟

إن الهدف من ذلك هو المقايضة، بتحسين أوضاع النصارى، ومنحهم مزيداً من الحريات في البلاد الإسلامية، كما أفصحت عن ذلك وزيرة خارجية السويد، في كلمتها في حفل الافتتاح، حيث قالت: (إننا حين نرحب بالمسلمين في أوربا، فإننا نريد أن نؤكد على الحاجة

لحماية وحقوق الأقليات، مسيحيين أو سواهم، لتكون موضع احترام في البلدان الإسلامية، نفس المبادىء التي تنطبق على الأقليات الإسلامية في أوربا، تكون للأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية)[١].

وثم جانب آخر، ظل يطرق عليه الجانب النصراني، وهو علاقة الدين بالسياسة، حيث تتباين الرؤية بين المفهوم الكنسي الذي يزعم أنه لا يتدخل في شؤون السياسة، والمفهوم الإسلامي الذي يرى الدنيا بكافة مجالاتها ظرفاً للدين، وتعبداً لله رب العالمين.

• فقد عرَّض الكاردينال كوينج، رئيس أساقفة النمسا السابق بهذه القضية في أكثر من موضع في كلمته حيث قال: (إننا في أوربا نفهم أن أي استخدام للدين فيما فيه إكراه للغير، سيثير الفتنة في عالم أصبح كالقرية الواحدة... إن سوء استعمال الدين من أجل السياسة سوف يؤدي إلى مناقشة سلبية، بل إلى المنازعات الحربية)[٢] كما لوحت بذلك وزيرة خارجية السويد حين قالت: (إن الدين يمكن أن يساء استخدامه، فيصبح قوة شديدة الضرر في السياسات وفي إشعال الصراعات)[٣].

والناظر في مناطق التوتر العالمية بين المسلمين والنصارى يجد بشكل واضح أن الدعم والتأييد القادم من الغرب النصراني للفئات النصرانية ضد المسلمين يناقض هذا الكلام الذي يرددونه في المحافل الرسمية، ويدعون المسلمين إليه.

وقبل أن نخلف معهد القديس جبريل للاهوت الأديان وراءنا

---

(١) عن النص الإنجليزي للكلمة. (٣).

(٢) عن تقرير المركز الإسلامي في فيينا. (١٢).

(٣) عن النص الإنجليزي للكلمة. (٢).

ظهرياً، نسجل هذه الملاحظة البارزة التي ظهرت في مبادراته الأخيرة في عقد التسعينيات، وهي اقتران الخطاب السياسي بالديني، والحضور الحكومي الرسمي في محافل ذات صفة دينية، حضوراً واعياً مشاركاً، لا مجرد تشريفات، مما يعكس تنامي الشعور الأوربي بالإسلام على كافة الأصعدة.

٦ ـ ألمانيا:

يقطن ألمانيا جالية إسلامية كبيرة تبلغ أربعة ملايين مسلم، معظمها من الأتراك، وحسب إحصائية رسمية في عام ١٩٩٢م، فإن عدد المساجد في ألمانيا بلغ ستمائة مسجد(١)، ولا شك أن العدد قد ازداد خلال السنوات اللاحقة. ويوجد في ألمانيا، شرقيها، وغربيها، مؤسسات معنية بالتقريب بين الأديان على المستويين المحلي والعالمي. ومن أبرزها:

(مؤسسة أديناور(٢)): Konrad Adenauer Foundation:

وقد عقدت المؤسسة بضعة لقاءاتٍ ثنائية؛ إسلامية ـ نصرانية، يهودية ـ نصرانية، وأخرى ثلاثية الأطراف: إسلامية ـ يهودية ـ نصرانية في عدة مواقع في العالم منذ مطلع الثمانينيات الميلادية أهمها:

---

(١) انظر: مجلة ٣٠ يوماً. عدد ٢ لعام ١٩٩٦م (٣١)، وتبلغ الآن أكثر من ألف مسجد ومصلى، كما في كتاب: المسلمون في ألمانيا أصولاً وهجرات: مصطفى دسوقي كسبه. مجمع البحوث الإسلامية ـ مجلة الأزهر. طبعة جمادى الآخرة عام (١٤١٨هـ) القاهرة. (٤١).

(٢) (نسبة إلى السياسي الألماني «كونراد أديناور» (١٨٧٦ ـ ١٩٦٧م) الذي نهض ببلاده من سقطتها إثر الحربين العالميتين، وأسس الحزب الديمقراطي المسيحي، ورأس حكومة ألمانيا الاتحادية «ألمانيا الغربية» للفترة (١٩٤٩ ـ ١٩٦٣م) انظر: المنجد في الأعلام. (٣٠).

مؤتمر: «دور الإيمان في الثقافة والحقوق السياسية»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «بون» في الفترة: ١٧ ـ ٢٠ جمادى الأولى عام ١٤٠١هـ، الموافق ٢٣ ـ ٢٦ مارس عام ١٩٨١م، بمشاركة ثلاثين مسلماً ونصرانياً. ولم يصدر عنه بيان مشترك[١].

مؤتمر: «الإنماء والتعاون بين الشعوب»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في مدينة «ياوندي» عاصمة الكمرون، في الفترة ٨ ـ ١١ ربيع الآخر عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٤ فبراير عام ١٩٨٣م. ولم يصدر عنه بيان مشترك[٢].

مؤتمر: «التربية والقيم»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في مدينة «المحمدية» في المغرب، في الفترة: ١٧ ـ ٢١ شعبان ١٤٠٥هـ، الموافق ٨ ـ ١٢) مايو عام ١٩٨٥م، وشارك فيه وفودٌ من خمسة وأربعين بلداً، ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

مؤتمر: «الروحانية من متطلبات عصرنا»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة تونس في الجمهورية التونسية، في الفترة: ١١ ـ ١٦ شعبان عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٦ أبريل عام ١٩٨٦م، بمبادرة مشتركة من مؤسسة أديناور، والمركز التونسي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية «CERES»، وشارك فيه عددٌ يترواح ما بين الأربعين والثمانين من المسلمين والنصارى. ولم يصدر عنه بيان مشترك[٤].

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٠٩).

(٢) انظر: المصدر السابق. تسلسل (١٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق. تسلسل (١٥١).

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٦٦).

وقد بحث المشاركون في اكتشاف الالتزامات المبطنة في الأسس والتطبيقات الدينية، للتكيف مع متطلبات وحاجات الحياة العصرية[(١)].

مؤتمر: «سَلَمنكا Salamanca للحوار الثلاثي»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «سلمنقة» الواقعة غرب أسبانيا، عام ١٩٨٦م وهو أول حوار تعقده المؤسسة بين المسلمين والنصارى واليهود[(٢)].

مؤتمر: «فهم الآخر»:

عقد هذا المؤتمر الثلاثي أيضاً في سان أوغسطين قرب «بون» ـ ألمانيا ـ وجمع مسلمين ونصارى مقدسيين من فلسطين، مع يهود إسرائيليين في جوٍ ودي، خلال الفترة: ١٢ ـ ١٦ شوال عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٩ مايو ـ ٢ يونيو عام ١٩٨٨م، برعاية مشتركة من المجلس المسيحي اليهودي العالمي، ومؤسسة أديناور، وحضره ثلاثة وأربعون مشاركاً؛ أربعة عشر مسلماً، وتسعة عشر نصرانياً، وعشرة يهود[(٣)]، وقد أمضي الوقت في فحص الآراء المسبقة لدى الأطراف الثلاثة، وتوضيح نصوص الكتب المقدسة لديهم[(٤)].

مؤتمر: «نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً، والاستماع من بعضهم بعضاً»:

انعقد هذا المؤتمر المحلي الكبير في مدينة «فيتَّان ـ آنابا/رور» في ألمانيا الاتحادية «الغربية» ـ حينذاك ـ في الفترة: ١٠ ـ ١٣ مايو عام ١٩٨٤م، ضمن فعاليات «أسبوع النصارى والمسلمين»، برعاية رئيس

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.78.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.104.

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم(٢٠٣).

(٤) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.104.

حكومة ولاية رينانيا الشمالية وستفاليا، يوهانِّس راو، المتضمن إلى جانب المؤتمر معرضاً للفن الإسلامي.

وقد حضره جمع غفير من الألمان والمسلمين المقيمين هناك، ومعظمهم من الأتراك.

نظم المؤتمر إلى جانب السلطات الألمانية المحلية، مؤتمر العالم الإسلامي ـ كراتشي، القسم الألماني في المؤتمر، وتضمنت محاضراته الموضوعات التالية:

- تاريخ الإسلام في ألمانيا، حتى ١٩٣٤م.
- محمد هو نبيّه، العقيدة الإسلامية بيننا.
- نوح وقوس قزح.
- ندوة: العيش مع بعضنا ـ السماع من بعضنا. تضمنت الحديث عن الاندماج في المجتمع الألماني، والاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي من قبل الحكومة الألمانية، بالتعاون مع الكنيسة، وإيجاد الإخاء والوئام، والتقيد بالنظام.

وقد تضمن المؤتمر زيارة الكنيسة والمسجد في مدينة فيتان في مسيرة كبيرة يقودها بعض القسس والأئمة المحليين[1].

مؤتمر: «الإرساليات المسيحية لدى المسلمين»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «برلين» في الفترة: ٨ ـ ١١ ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٣ نوفمبر عام ١٩٨٥م، بمبادرة

(١) انظر: صرخة حق من ألمانيا: سامي عادل طبّارة أوسنابروك ـ ألمانيا D4500 Osnabruck جمهورية ألمانيا الاتحادية. من محفوظات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية رقم (٢١٠٢٢).

مشتركة من مؤتمر العالم الإسلامي - كراتشي - وجمعية أصدقاء الإسلام في برلين. ولم يصدر عنه بيان مشترك[١].

وترتبط «جمعية أصدقاء الإسلام» بالجمعية النصرانية الإسلامية، وتصدر نشرة بعنوان «الله أكبر» كل شهرين، يتم طبعها بالمطبعة الكاثوليكية ببلدة زوست[٢].

مؤتمر: «مسلمون ومسيحيون معاً في العمل وفي الفراغ وفي الاستراحة»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «مارل» في ألمانيا الاتحادية «الغربية» حينذاك، في الفترة: ١٠ - ١٤ صفر عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٥ - ١٩ أكتوبر عام ١٩٨٦م.

ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

مؤتمر: «تحديات الحوار»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «بندرف» في الفترة: ٦ - ١٣ شعبان ١٤٠٩هـ، الموافق ١٣ - ٢٠ مارس عام ١٩٨٩م، وضم ممثلين عن المسلمين والنصارى واليهود[٤].

مؤتمر: «المسيحيون والمسلمون مسؤوليتهم تجاه العالم»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «فرانكفورت»، في الفترة: ٢٥ - ٢٦ رجب عام ١٤١٢هـ، الموافق ٣٠ - ٣١ يناير عام ١٩٩٢م، وحضره ثمانون مشاركاً من الجانبين ولم يصدر عنه بيان مشترك[٥].

---

(١) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٥٩).

(٢) انظر: صرخة حقٍ من ألمانيا، سامي طبّارة.

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٧٥).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢١٢).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (٢٤٢).

مؤتمر: «الأديان تدعو إلى أوربا بلا عنصرية»:

هو شعار الملتقى الثامن لمؤتمر «عبر الثقافات»، المنعقد في مدينة فرانكفورت في الفترة ١٨ ـ ٢٠ أغسطس عام ١٩٩٧م، بحضور ممثلين عن المسلمين، والنصارى بشقيهما الكاثوليكي والبروتستانتي، واليهود. وانصب الحديث على خطر تصاعد النزعة العنصرية، والتطرف الديني في أوربا، حيث يجري في ألمانيا سلسلة جرائم ضد المهاجرين المسلمين من قبل «النازيين الجدد»، وأحياناً إحراق كنائس ومنازل ومساجد.

ومما قيل في المؤتمر المذكور:

■ (قال يورجن ميكش، ممثل الكنيسة البروتستانتية: (إن على الأديان أن تقف موحدة في مواجهة العنصرية، وأن لا ترتكب ذات الخطأ الذي ارتكبته السياسة في موقفها المشتت... إن على المعمورة المسيحية أن تتسع وتتحول إلى معمورة عبر الأديان... إن البعض صار يعبث بالقناعات الدينية كي يبرر حروبه ضد الآخرين، وإن هذه الحقيقة القديمة ما زالت تنطبق على واقع اليوم وعلى حروب القرن العشرين أكثر من أي وقت مضى... إن الامتناع عن الحوار بين الثقافات، والجهل بالأديان، يعزز أجواء عدم الثقة بين الديانات المختلفة، ويغذي التعصب الديني.

■ ندَّد نديم إلياس، رئيس المجلس الإسلامي المركزي في ألمانيا، بالممارسات العنصرية التي يقع المسلمون ضحية لها في أوربا. وقال: إن السلطات في مختلف الدول الأوربية عجزت حتى الآن عن توفير الحماية الكافية للجالية المسلمة، وطالب هذه السلطات باتخاذ إجراءات سليمة لحماية الحقوق الثقافية والدينية للمسلمين، كما طالب إلياس بتقبل «الوسط الإسلامي المعتدل» كطرفٍ حواري كفؤ مع الأديان الأخرى. واعتبر ذلك خطوة مهمة تقطع الطريق على «تحول الشباب

إلى مواقف متطرفة». ودعا إلياس ممثلي الأديان والطوائف إلى زيارة المساجد الإسلامية يومي الثالث والرابع من أكتوبر المقبل، في إطار فعالية تشمل كافة ألمانيا، يقودها المجلس الإسلامي المركزي، تحت شعار «أيام المساجد المفتوحة»...

■ ودعت رئيسة اتحاد الكنائس الألمانية بيربل فارتنبيرج بوتر، الأديان إلى تقوية إيمانها بعملها المشترك، والابتعاد عن دعاوى انفرادها بامتلاك الحقيقة، كمثل يدفع العنصريين أيضاً للانفراد بها، وتحويلها إلى مدخلٍ لهجماتهم)[1].

وقد اتفق المؤتمرون على تأسيس رابطة معادية للعنصرية لمواجهة «حملة العداء للأجانب في ألمانيا».

هذا ويلمس الباحث اهتماماً ملحوظاً بالإسلام والحوار مع المسلمين في الأوساط الرسمية والعلمية في ألمانيا في الآونة الأخيرة، سوى مؤتمرات التقارب المشار إليها آنفاً، ومن صور ذلك:

١ - منح اتحاد الناشرين الألمان «جائزة السلام» لعام ١٩٩٥م لعميدة المستشرقين الألمان الأستاذة: أنا ماري شيمل، المعروفة بدفاعها عن الإسلام، ودحضها الشبهات التي أطلقها الأوربيون النصارى، من مستشرقين ومنصرين على الإسلام[2]. وقد قلدها الوسام رئيس الجمهورية الألمانية الاتحادية د. رومان هيرتزوغ.

٢ - شكل مستشرقون ألمان حلقة عمل تحت اسم «الحداثة

---

(١) جريدة الشرق الأوسط. عدد (٦٨٤٠) في ١٩٩٧/٨/٢٠م. ماجد الخطيب. كولون. ألمانيا.

(٢) انظر: حواراً معها في جريدة الحياة. عددي (١٢١٢٩)، (١٢١٣٠) يومي السبت والأحد ٢٣، ٢٤ ذي الحجة عام ١٤١٦هـ الموافقين ٢٣، ٢٤ مايو عام ١٩٩٦م. صفحة «تراث» ٢١، ٢٢. حوار: ثابت عيد.

والإسلام»، الهدف منها حسب قول الدكتور فولف ليغنس، عميد كلية العلوم في برلين، إزالة المواقف المسبقة بين الغرب والإسلام، عن طريق ندوات في القطاع التعليمي العالي في برلين، وتقديم منح دكتوراه للراغبين في دراسة الإسلام، وتنظيم أكاديمية صيفية، وقد تأسست هذه الحلقة في يونيو عام ١٩٩٦م، وحظيت بدعمٍ سخي من وزارة البحوث الاتحادية، وولاية برلين، ومؤسسة كورير[(١)].

٣ ـ استقبل رئيس الدولة الألمانية الاتحادية رومان هيرتزوغ، في قصر الرئاسة ببرلين شيخ الأزهر، محمد سيد طنطاوي يوم الاثنين الأول من ذي القعدة عام ١٤١٧هـ، الموافق ١٠ مارس عام ١٩٩٧، كما استقبله وزير الخارجية، كلاوس كينكل يوم الأربعاء بمقر وزارته، وبحثا معه سبل تقوية العلاقات النصرانية الإسلامية، وصدر بيان عن وزارة الخارجية إثر الزيارة، أشارت فيه إلى أن كينكل والشيخ الطنطاوي اعتبرا أن الزيارة بمثابة «إشارة مهمة للمسيحيين والمسلمين في أوربا الذين عليهم أن ينظروا إلى بعضهم البعض من دون مواقف مسبقة، وأن يمارسوا حواراً مفتوحاً على مختلف الحضارات». وذكر البيان أن أوربا والعالم الإسلامي يملكان تاريخاً مشتركاً عمره مئات السنين، ومع ذلك فإن الطرفين يعرفان القليل عن بعضهما البعض، ودعا إلى النظر في الإسلام «بشكل متميز، وعدم السماح بتشويهه بسبب أعمال المتطرفين فيه».

وقد دعت الجمعية الألمانية ـ العربية، ومؤسسة كونراد أديناور في بون إلى حضور حديث للشيخ الطنطاوي ظهر يوم الثلاثاء في قاعة المركز العلمي الكبيرة[(٢)].

---

(١) انظر: جريدة الحياة، عدد (١٢١٦٨)، الأربعاء ٣ صفر عام ١٤١٧هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٩٦م. بون إسكندر الديك.

(٢) انظر: جريدة الحياة، عددي (١٢٤٣٠، ١٢٤٣٢) يومي الثلاثاء والخميس ٢، ٤ ذي القعدة عام ١٤١٧هـ الموافقين ١١، ١٣ مارس عام ١٩٩٧م. «شؤون عربية».

وكان وزير الخارجية الألماني، كلاوس كينكل، قد دعا عام ١٩٩٥م إلى عقد مؤتمر حوار حضاري يضم ممثلين دينيين وسياسيين لإنعاش الحوار الإسلامي ـ النصراني، وأدلى بتصريحات يندد فيها بتشويه الإسلام، ودعا إلى عدم الربط بين الإرهاب والإسلام، وشدد على دور تركيا بوصفها جسر التواصل بين الشرق والغرب. إلا أن البرلمان الألماني لم يجز عقد المؤتمر بسبب المشكلة التي نشأت إذ ذاك بين إيران وألمانيا، والخلاف حول دعوة إيران للمشاركة، فألغي[(١)].

٤ ـ منحت مؤسسة «كارل كوبيل» للطفولة والأسرة في ألمانيا جائزتها السنوية، البالغة مائة ألف مارك ألماني «٥٥٨٠٠» دولار، لمسجد «مانهايم» الواقع في الوسط الغربي من ألمانيا، وعلى وجه الخصوص للمعهد الألماني التركي لأبحاث الاندماج التابع للمسجد، لمبادراته في إطار الحوار بين الأديان، من خلال برنامج «المسجد المفتوح»، حيث زاره نحو مائة ألف شخص، بينهم أربعين ألف تلميذ خلال عامين[(٢)]. (ويتم التلاقي من خلال نقل المعرفة في إطار ندواتٍ ومحاضرات تشرف عليها لجان مشتركة بين المسلمين، وغير المسلمين، فضلاً عن الرحلات والأعياد والدورات التأهيلية المشتركة)[(٣)].

٥ ـ صدر عن دار النشر الألمانية «تاشن بوخ» عام ١٩٩٨م في مدينة فرانكفورت، كتابٌ بعنوان «الإسلام والغرب. دعوة إلى الحوار»

---

(١) جريدة عكاظ. عدد (١١٢٣٠). الجمعة ١٠ محرم ١٤١٨هـ ١٦ مايو ١٩٩٧ (٧). عهود مكرم ـ بون.

(٢) جريدة الشرق الأوسط. الأربعاء ١٩/٣/١٤١٨هـ الموافق ٢٣/٧/١٩٩٧م.

(٣) المسلمون في ألمانيا أصولاً وهجرات: مصطفى دسوقي كسبه. مجمع البحوث الإسلامية ـ مجلة الأزهر. طبعة جمادى الآخرة عام (١٤١٨هـ) القاهرة (٤٢).

للكاتب الألماني المسلم: كاي حافظ، الخبير في شؤون الإسلام والاستشراق في معهد الشرق الألماني في هامبورج، تضمن التأكيد على الروابط بين الشرق والغرب، ورد نظرية صراع الحضارات، والدفاع عن الإسلام والحركات الإسلامية[١].

٦ ـ دعت مجموعة «سيبيدور» في فرانكفورت إلى لقاءٍ منفتح مع المسلمين في ألمانيا، وتكثيف الحوار معهم بوصفهم ثالث أكبر طائفة دينية بعد البروتستانت والكاثوليك. وفي ذلك اللقاء الذي أجرته «سيبيدور»، دائرة الوثائق المسيحية الإسلامية، في مايو عام ١٩٩٨م طرح الحضور موضوعات غير لاهوتية كمادة للحوار تتعلق بالجوانب الاجتماعية والتعليمية. مثل: المسلمون في المستشفيات، السجون الألمانية، الأطفال المسلمون في المدارس الألمانية، دفن الموتى المسلمين، تعليم الدين الإسلامي في المدارس باللغة الألمانية، كما طبق في ولاية «هيسن» الألمانية لأول مرة، كإرادة سياسية[٢].

٧ ـ أعلن رئيس ألمانيا الاتحادية، رومان هيرتزوغ يوم الجمعة الموافق ١٤١٩/٦/٢٦هـ ـ ١٦/١٠/١٩٩٨م عن تأسيس معهد دولي للحوار الإسلامي النصراني، بمشاركة ثمان دولٍ أوربية وإسلامية (النرويج، وفنلندا، وأسبانيا، وإيطاليا وماليزيا ومصر والأردن والمغرب)، بهدف إدارة الحوار الإسلامي الأوربي بشكل فعال[٣].

إن هذا الاهتمام الحكومي والمؤسسي ـ العلمي والاجتماعي ـ بقضية التقارب مع المسلمين، والحوار معهم محلياً وعالمياً يندرج في

---

(١) جريدة الشرق الأوسط عدد (٦٩٩٥) في ٢٤ رمضان عام ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ يناير عام ١٩٩٨م.

(٢) انظر: جريدة عكاظ الخميس ١٤١٩/٢/٣ الموافق ١٩٩٨/٥/٢٨م.

(٣) جريدة المسلمون، العدد الأخير (٧١٥) السبت ١٤١٩/٦/٢٧هـ = ١٧/١٠/ ١٩٩٨م.

عموم القلق الأوروبي العام من الصحوة الإسلامية، وتزايد الإقبال على الإسلام من مواطنيها، ورغبة المهاجرين المسلمين، في تحسين أوضاعهم، ونيل حقوقهم الاجتماعية والسياسية التي تكفلها الدساتير الغربية من حيث المبدأ، وأيضاً خوف تلك الحكومات من تصاعد وتيرة التعصب الديني النصراني ضد الأجانب أولاً، ثم ـ ربما ـ ضد بعض طوائف النصارى من قِبل بعض آخر.

وألمانيا على وجه الخصوص تحتفظ بعلاقاتٍ تاريخية مع تركيا العثمانية، وأحلافٍ عسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى، ويقيم على أراضيها أكثر من مليوني تركي، وقريباً من هذا العدد من جنسيات إسلامية متنوعة، كما ترتفع بينهم نسبة المواليد. وتشير بعض الإحصاءات أن نسبة الطلاب المسلمين في المدارس بلغت عام ١٩٩٨م ٢٥٪ من مجموع الطلاب[(١)]. ومن هنا تسعى الحكومات الألمانية والمؤسسات العلمية والاجتماعية سعياً حثيثاً إلى دمج هذه الشريحة المتميزة في المجتمع الألماني، وتفادي شعورها بالعزلة والضيم، الأمر الذي قد يحملها إلى الالتفات إلى الجذور الأصلية.

وقد كشف الدكتور صلاح الدين الجعفراوي، رئيس المجلس الإسلامي في ألمانيا عن هذه المخاوف فقال: (في لقاءاتٍ عديدة مع مسؤولين رسميين أوربيين أكدوا لي أنهم يتخوفون من دور الدول الإسلامية على الساحة الأوروبية، ويرغبون في قطع خيوط الاتصال بين الأقليات المسلمة في أوربا وبين الدول العربية والإسلامية)[(٢)].

---

(١) من مقابلة مع د. صلاح الجعفراوي رئيس المجلس الإسلامي الألماني مع جريدة الشرق الأوسط عدد ٧٣٢٢ في ١٤١٩/٨/٢٦هـ ـ ١٩٩٨/١٢/١٥م.

(٢) المرجع السابق.

٧ ـ الدنمرك:

يعيش في جزر الدنمرك شمال أوربا جالية إسلامية من المغاربة والفلسطينيين وغيرهم. ومن أشهر الجهات المعنية بشأن الحوار هناك:

١ ـ (مركز الحوار في أوغوس):

وهو مؤسسة تنصيرية تعنى بالدفاع عن العقائد النصرانية عن طريق الحوار المفتوح. وقد وجد في الأصل نتيجة لنمو ما يسمى بحركات الأديان الجديدة في الدنمرك، ويهدف إلى شرح الإيمان النصراني لذوي المعتقدات الأخرى، وإدانة المخالفين عن طريق المواجهة في الحوار. ويرفض المركز فكرة دمج الأديان، ويقوم بالإجابة على تساؤلات الأفراد معتقداً أن الإيمان النصراني يملك الإجابات الصحيحة.

ويرتبط بالمركز على المستوى العالمي فروع في بومباي، ودلهي، وبانكوك، حيث الهدف الرئيسي للمركز في الحوار مع البوذيين والهندوس. وعلى المستوى الأوربي يعقد المركز عدة ملتقيات في دول البلطيق وروسيا، كما يعقد حلقة دراسية عالمية سنوية في الدنمرك حول حركات الأديان الجديدة، ويشارك في تنظيمات أخرى في حلقات متشابهة في أوربا. وقد نشأ عن عمل المركز عدة مشاريع، مثل: الحوار البوذي المسيحي «ABCD» في الدنمرك وخارجها[1]. أما الحوار مع الإسلام فقد افتتح المركز مؤخراً فرعَ «الدين الإسلامي»، ويقوم عليه نائب مدير المركز، «مورتن موبييرغ»، المتخصص في الشؤون الإسلامية.

---

(١) عن نشرة تعريفية صادرة عن المركز باللغة الإنجليزية لدى الباحث بعنوان The Dialogue Center.

٢ ـ (معهد الأديان بجامعة كوبنهاجن):

٣ ـ (لجنة السلام العالمي في سبورغ):

ولم تتوفر معلومات عن مناشط هاتين الجهتين.

٨ ـ هولندا:

تضم هذه الدولة الأوربية جالية إسلامية كبيرة من المغاربة والأتراك، وأخيراً الصوماليين، وتحتفظ بعلاقات تاريخية مع دول جنوب شرق آسيا الإسلامية في حقبة الاستعمار، وتنشط فيها الدراسات الاستشراقية.

ويرجع اللقاء الإسلامي النصراني إلى مطالع السبعينيات، بمبادرة من الكنائس المحلية المختلفة التي أصدرت نشرة مسيحية إسلامية عام ١٩٧٤م، ثم تُوج التنسيق بتأسيس لجنة استشارية رسمية تضم أحد عشر ممثلاً مسلماً من تنظيمات المساجد، ومثلهم من الكنائس النصرانية، في مايو عام ١٩٨٦م.

وفي عام ١٩٨٢م أصدر مجلس الكنائس في الأراضي المنخفضة «الاسم الذي يطلق على هولندا» توجيهات للمسيحيين بشأن اللقاء بالمسلمين[١].

كما يقوم **«معهد دراسة الأديان»** بجامعة أمستردام الحرة بإصدار نشرة بيبلوغرافية توثيقية عن حوار الأديان وقضاياه، منذ عام ١٩٨٦م[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.37-38.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة (١٥٣).

٩ ـ السويد:

يقيم في هذه الدولة الإسكندنافية الواقعة في شمال أوربا قرابة ثلاثمائة ألف مسلم، أي ما يمثل نسبة ٤٪ من مجموع السكان.

وتبدي السويد اهتماماً بالوجود الإسلامي في أوربا، فقد احتضنت استوكهولم مؤتمراً للإسلام الأوربي «Euro - Islam» كما يسمونه، ضم حوالي مائة من المثقفين والأكاديميين، في يناير عام ١٩٩٥م، ثم أعقبه مؤتمر مماثل في مدينة «المفرق» في «الأردن» في العام التالي، بدعم سويدي[١].

ونشرت صحيفة «سفنسكا داجبلادت» تحقيقاً موسعاً عن إنشاء:

(مؤسسة إسكندنافية للحوار الديني الثلاثي): مقرها مدينة جوتنبرغ بغرب السويد أسسها:

١ ـ مسلم سوري يدعى: الشيخ محمد يعقوبي، قدم السويد عام ١٩٩١م، ويعمل باحثاً في جامعة جوتنبرغ، ويحاضر في وزارة الخارجية السويدية، ومن المتحمسين لإيجاد هوية إسلامية أوربية.

٢ ـ الراباي روني كاهانا، زعيم الجمعية اليهودية في جوتنبرغ.

٣ ـ القس سجفريد، قسيس بجمعية المبشرين المسيحيين، والأمين لمجلس المبشرين السويدي.

وتقوم المؤسسة بتنظيم المحاضرات عن التعاون والحوار بين المسلمين والنصارى واليهود، وتزور المدارس والمؤسسات السويدية لنشر أفكارها، كما تقوم برحلاتٍ لمناطق النزاع في العالم، وقد زار ممثلوها البوسنة، وصلوا في مساجدها، وكنائسها، ومعابد اليهود بها[٢].

---

(١) من كلمة وزيرة الخارجية السويدية لينا هيلام واللن في مؤتمر «عالم واحد للجميع».

(٢) عن ترجمة لما نشر في الصحيفة المذكورة.

وقد كشف الحاخام الأكبر لليهود السفارديم في إسرائيل، «إلياهو باكشي» عن جهود سويدية رسمية للتقريب بين الأديان، فقال في إجابة عن سؤال صحفي عن نيته في توسيع الحوار مع شخصياتٍ دينية بالعالم العربي والإسلامي:

(قمنا منذ مدة، وبطريقة سرية باتصالات مع قضاة وشخصيات دينية مسلمة ومسيحية، وكان ذلك برعاية الحكومة السويدية، وقد بدأت تلك الاتصالات في مستوى أكاديمي وبدأت تتعمق لتشمل رجال الدين وتهدف للتقارب بين ممثلي الديانات الثلاث)[1].

نقد وتحليل:

لقد ضاهت المحاولات الناشئة للتقريب بين الأديان في أوربا الغربية، من حيث العدد والفاعلية، مثيلاتها الصادرة عن الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي. ولكنها تنوعت تنوعاً كبيراً في بواعثها، وموضوعاتها، وأسلوب أدائها، لتنوع وتعدد الجهات التي تبنتها من حكومية أو أهلية. ويمكن أن نميز الاتجاهات التالية:

١ ـ اتجاه المجمع الفاتيكاني الثاني: الذي يهدف إلى تحقيق التعارف، والتواصل العام، وتبادل المجاملات، وطرح موضوعات معينة من جنس مقاومة الإلحاد، وتعزيز قيم الإيمان والأخلاق، بالإضافة إلى مناقشة بعض الجوانب العقدية التي تحجم عنها المراجع الدينية الرسمية. وقد ساد هذا الاتجاه في حقبة السبعينيات الميلادية كما في مؤتمرات: قرطبة، مودلينج. كما نشط التقارب على أسس صوفية في فرنسا وإيطاليا

٢ ـ الاتجاه الاجتماعي: الذي فرضته حركة الهجرة العمالية

(١) جريدة الشرق الأوسط عدد (٧٠٢٣) في ١٩/ ٢/ ١٩٩٨م.

الواسعة إلى أوربا في حقبة الثمانينيات وأواخر السبعينيات، مما حمل جهات كنسية وأهلية وحكومية على عقد عشرات المؤتمرات المحلية والإقليمية لمعالجة وضع الجاليات الإسلامية في أوربا، والتركيز على سبل إدماجهم في المجتمع الأوربي، كما في المؤتمرات المعقودة في فرنسا وبريطانيا وألمانيا.

٣ ـ الاتجاه السياسي: الذي تبنته بعض الحكومات الأوربية في أواخر الثمانينيات وخلال التسعينيات، واتسم بالصفة الدولية ومناقشة قضايا الإرهاب والأصولية والسلام العالمي، كما في المؤتمرات التي عقدت في النمسا وفرنسا والسويد.

وبالجملة، فلا تزال قضية الوجود الإسلامي في أوربا مصدر قلق لجهات كنسية وحكومية وأهلية، سواء بالنسبة للمهاجرين أو للأهليين من المسلمين، لا سيما وأعداد المسلمين آخذة بالازدياد، وهذا يؤثر على طموحات دول الاتحاد الأوربي في (أوربا موحدة)، التي أهم ركائزها (وحدة الدين).

وقد أثبتت أحداث العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي في البلقان (البوسنة، والهرسك، وكوسوفا) عمق الافتراق بسبب الاعتقاد، وأن جذوة التعصب الصليبي لم تطفئها رياح المبادئ العلمانية والليبرالية والإنسانية، بل اتقد أوارها، وزاد ضرامها كأعنف ما تكون، عند أدنى شعور بوجود متميز للمسلمين في أوربا.



المبحث الخامس

محاولات التقريب بين الأديان
في أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي (سابقاً)

١ ـ بولندا:

تمثل بولندا أو بولونيا إحدى أكبر دول أوربا الشرقية. وقد عقد **(اللقاء التحضيري للمؤتمر المسيحي الإسلامي)** في مدينة ساليزي جورن قرب العاصمة «وارسو»، في ١٥ ـ ١٨ شوال عام ١٤٠٦هـ ٢٣ ـ ٢٦ يونيو عام ١٩٨٦م، بمبادرة من الجمعية المسيحية الاجتماعية «chss» بغرض الإعداد لمؤتمر إسلامي ـ نصراني عالمي.

وشارك فيه ممثل اتحاد المسلمين الديني في بولندا، ومفتي سوريا الشيخ أحمد كفتارو، وممثلي بعض السفارات الإسلامية في وارسو، بالإضافة إلى ممثلي كنيسة الأرثذوكس الروس، والاتحاد المسيحي الديمقراطي في ألمانيا الاتحادية حينذاك.

وقد اتفق المتناقشون على إدراج قضايا البحث التالية في المؤتمر القادم:

١ ـ ما يوحد النصرانية والإسلام كديانتين ونظامَيْ أخلاق.

٢ ـ الاحتياجات وإمكانات التعاون والتقارب في مجال الأخلاق والحياة الاجتماعية.

أما العناوين المقترحة للمعلومات والبيانات المشتركة فهي:

١ ـ الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

٢ ـ النصرانية وموقفها من الإسلام.

٣ ـ موقف الإسلام من النصرانية على أساس القرآن.

٤ ـ صورة الإسلام في العالم النصراني.

٥ ـ الإسلام في بولندا.

٦ ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام والنصرانية.

٧ ـ السلام باعتباره مبدأ وواجباً دينياً عند النصارى والمسلمين.

٨ ـ التسامح والتعصب في الإسلام والنصرانية.

٩ ـ مشكلة إساءة استخدام الدين لأغراضٍ سياسية.

١٠ ـ المهمة المشتركة للنصارى والمسلمين في عالمٍ مهددٍ بالخطر[١].

المؤتمر: «الدولي للحوار الإسلامي المسيحي»:

انعقد هذا المؤتمر في وارسو، في الفترة: ١٧ ـ ١٨ أكتوبر عام ١٩٨٦م، وضم عدداً كبيراً من الوفود من مختلف القارات. وقد صدر عن المؤتمر بيان مشترك، بعد نزاعات حول صياغة مقرراته، بسبب تعصب ممثلي إحدى الكنائس المشاركة، تضمن الإقرار بوحدانية الله، وأن محمداً رسول الله[٢]، وتوصيات تتعلق بالأماكن المقدسة لدى المسلمين والنصارى في القدس الشريف، مناوئة للصهيونية[٣].

---

(١) من محضر اجتماع اللقاء التحضيري الذي وزعته سفارات بولندا على الدول الإسلامية للدعوة للمؤتمر القادم. (صورة باللغتين العربية والإنجليزية لدى الباحث).

(٢) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق (٢/ ٧٤٦). وانظر الكلام على بيانه المشترك في محاولات الشيخ أحمد كفتارو من هذه الرسالة.

(٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي بسام كجك (٢٨٠ ـ ٢٨١).

٢ ـ تشيكوسلوفاكيا (سابقاً):

مؤتمر: «الحوار الإسلامي المسيحي حول الدين والسلام في الشرق الأوسط»:

انعقد هذا المؤتمر في مدينة «براغ» عاصمة تشيكوسلوفاكيا ـ قبل انقسامها ـ في الفترة ١ ـ ٣ فبراير عام ١٩٨٦م. وشارك فيه عشرون من المسلمين والنصارى. وقد رأس الجانب الإسلامي مفتي سورية، الشيخ أحمد كفتارو، ورأس الجانب النصراني، د. كارل هاينتس بيرنهارت، الأستاذ بكرسي العهد القديم في قسم اللاهوت في جامعة «هومبولت» في برلين من ألمانيا الديمقراطية حينذاك، بدعوة من مؤتمر السلام المسيحي.

وقد صدر عن المؤتمر بيان مشترك تضمن الإقرار الصريح بنبوة محمد ﷺ جاء في مطلعه: (نحن المشتركين في هذا اللقاء المنتمين إلى دينين سماويين نتفق في الإيمان بالله الواحد الأحد، خالق الأرض والسموات، كما نتفق بأنه لا إله إلا هو، ونشهد كأناسٍ تابعين للسيد المسيح رسول الله، وللنبي محمد رسول الله بإيماننا بالله، وبالرسائل المرسلة من قبل الله التي تحمل الحكمة والحب والإخاء)، وجاء في أثنائه: (جميع المشاركين في المناقشات أكدوا في كلماتهم على النقاط المحددة في المحاضرتين بأن الإيمان بالله، وبرسالتي عيسى ومحمد السماويتين من جهة، والعمل الشامل من أجل السلام شيئان متلازمان)[١].

وقد اكتسى البيان صبغة البيانات السياسية، فأشاد على لسان

---

(١) انظر: نص البيان باللغتين العربية والتشيكية في الملحق رقم (٣٣) من كتاب: «الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق» (٢/ ١٠٤٥).

رئيس الوفد المسيحي بالأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي، ميخائيل جورباتشوف، واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، إذ ذاك، على البدءِ من جانبها وقف الاختبارات النووية، وفي البيان نفسه دعا الدكتور بيرنهارت إلى (كشف الحجج المستترة بالدين للخلافات السياسية). وحول مشكلة الشرق الأوسط دعا البيان إلى: (تأمين حق الشعب الفلسطيني في دولةٍ خاصة به). وأكد المفتي العام لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، طلعت تاج دينوف على (ضرورة دحر جميع المحاولات لاتخاذ الدين مبرراً للسياسة الصهيونية التوسعية وغير المشروعة).

٣ ـ الاتحاد السوفييتي (سابقاً):

إنه لمن دواعي العجب أن تحتضن أكبر دولة شيوعية ملحدة، مؤتمراتٍ دينية إذ أنها قامت أصلاً على إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى، وتكذيب أنبيائه ورسله، ومحاربة أوليائه، ونشر الكفر والإلحاد والفساد بجميع صوره.

ويزول العجب حين يقف المرء على الدوافع التي من أجلها يُحشد «رجال دين» من شتى الأقطار، للتوقيع على بيان مُسَيَّس يخدم أهداف تلك الدولة. وقبل أن يتفكك اتحاد الجمهوريات السوفيتية عام ١٩٨٩م، جرى فوق أراضيه الشاسعة عقد بضعة مؤتمرات أهمها:

المؤتمر: «الدولي للأديان»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «زاغورسك» بالقرب من موسكو، في مطلع شهر يوليو عام ١٩٦٩م، وحضره مفتي سوريا، الشيخ أحمد كفتارو، واتسمت قراراته بالسمة السياسية حول الوضع في الشرق الأوسط، والدعوة إلى النضال في سبيل السلم[١].

---

(١) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (٢/ ٧١٤ ـ ٧١٦).

مؤتمر: «التعاون الديني من أجل السلام ونزع السلاح»:

عقد هذا المؤتمر في موسكو، في الفترة: ١٨ ـ ٢٢ جمادى الثانية ١٣٩٧هـ، الموافق ٦ ـ ١٠ يونيو عام ١٩٧٧م، بدعوة من بطريرك موسكو وسائر روسيا الأرثوذكسي، «بيمن». وحضره وفود متعددة الأديان والمذاهب[١].

المؤتمر: «العالمي لرجال الأديان في سبيل إنقاذ الحياة البشرية من الكارثة النووية»:

عقد هذا المؤتمر في موسكو، في الفترة: ١٦ ـ ٢٠ رجب عام ١٤٠٢هـ، الموافق ١٠ ـ ١٤ مايو عام ١٩٨٢م، بدعوة من بطريرك موسكو وسائر روسيا «بيمن» الأرثوذكسي، وحضره وفود من جميع الأديان. وألقى مفتي سورية، الشيخ أحمد كفتارو محاضرة بعنوان: «المبادئ الدينية والروحية السلمية للأديان العالمية» اقترح في ختامها: (علينا أن نلقن أتباعنا من خلال كتب ونشرات نبين فيها تلاقي أديان السماء، وما اتفقت عليه من مثل عليا، ومبادئ سامية، من أجل أخوة إنسانية عالمية، وتعاون على نشر المحبة بين الجميع)[٢].

مؤتمر: «من أجل السلام والتآخي بين الشعوب»:

عقد هذا المؤتمر الثنائي ـ إسلامي ـ نصراني ـ في مدينة تشيكنت في الاتحاد السوفييتي، في شعبان عام ١٤٠٣هـ، الموافق مايو عام ١٩٨٣م[٣].

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٨٣).

(٢) انظر: نص المحاضرة في الملحق رقم (٢٧) من كتاب: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (٢/ ١٠٢٢ ـ ١٠٢٤).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٢٨).

مؤتمر: «من أجل كونٍ تَحَرَّر من جميع الأسلحة النووية في سبيل حياة البشر»:

عقد هذا المؤتمر الضخم متعدد الأطراف في موسكو، في الفترة: ١٤ ـ ١٦ جمادى الثانية عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٤ ـ ١٦ فبراير عام ١٩٨٧م، وقد حضره حوالي ألف مشارك من ثمانين بلداً[1].

ويظهر من شعارات هذه المؤتمرات أنها موجهة لخدمة أغراض سياسية معينة حول قضايا سباق التسلح والحرب الباردة التي كان المعسكر الشيوعي أحد قطبيها. ولم تكن معنية بمناقشة قضايا دينية عقدية أو اجتماعية أو دعوية، كما هو الشأن مع كنائس أوربا الغربية، المستقلة عن تأثير حكوماتها نسبياً.



---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٨٣).

المبحث السادس

محاولات التقريب في الولايات المتحدة الأمريكية

يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية عددٌ كبير من المسلمين، هاجروا من شتى بقاع العالم واستوطنوا تلك البلاد ذات التنوع العرقي والديني والثقافي، وفي دراسة إحصائية متميزة بعنوان: «تقدير أعداد المسلمين المقيمين في أمريكا» لـ كارول ل. ستون، جاء فيها: (انطلاقاً من تقديرات المسلمين في أمريكا عام ١٩٨٠، وتصاعد الهجرات الإسلامية والمواليد من عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٨٦، فقد قدر عدد المسلمين في عام ١٩٨٦، بأربعة ملايين نسمة.. وهو ما يمثل زيادة قدرها ٢١٪ على فترة السنوات الست من ١٩٨١ إلى ١٩٨٦. وبفرض أن معدل الزيادة سيظل ثابتاً طوال الأربعة عشرة القادمة، فإن عدد المسلمين في الولايات المتحدة بحلول ٢٠٠٠ سيكون قد تضاعف تقريباً بالمقارنة بتقديرات عام ١٩٨٠)[١].

إن وجود قرابة سبعة ملايين نسمة في الولايات المتحدة من المسلمين على مشارف القرن الحادي والعشرين قد نبّه أطرافاً عديدة في الساحة الأمريكية إلى ضرورة التحاور معهم. وقد أشرنا إلى لونٍ من التقارب اليهودي الإسلامي في الباب الأول، ونذكر هاهنا بعض

---

(١) عن كتاب: المسلمون في أمريكا: إيفون يزبك حداد. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م). طبعت لأول مرة بالإنجليزية بمطابع أكسفورد عام ١٩٩١م. (٤٥). وانظر ما تقدم في الفصل الثالث من الباب الأول في حقيقة التقريب عند اليهود.

المحاولات التي تمت على الصعيد الإسلامي النصراني، أو المحاولات التي انتظمتها جميعاً، نظّم بعضها مركز «كينيدي» في واشنطن.

مؤتمر: «الحوار الثلاثي بين الأديان الإبراهيمية»:

عقد في نيويورك، في شهر نوفمبر عام ١٩٧٩م، وحضره الكاردينال «بينيدولي» رئيس الأمانة الفاتيكانية للعلاقات مع غير المسيحيين[١].

مؤتمر: «في سبيل الحوار»:

عقد في مدينة «ملووكي» بولاية وسكونسن بين مسلمين ونصارى، في الفترة: ١٦ ـ ١٧ رجب عام ١٤٠٣هـ،الموافق ٢٩ ـ ٣٠ أبريل عام ١٩٨٣، بمبادرة من جمعية **«العمل من أجل العلاقات المسيحية الإسلامية»**. ولم يصدر عنه بيان مشترك[٢].

مؤتمر: «الفاتيكان والإسلام والشرق الأوسط»:

عقد هذا المؤتمر الكبير في جامعة فيلانوفا الكاثوليكية ـ فيلادلفيا، عام ١٩٨٥م[٣]. برئاسة الكاردينال فرنسيس آرينزي.

كما تكون في عقد السبعينيات والثمانينيات بعض اللجان والجمعيات المحلية المعنية بقضية الحوار، مثل:

* **(الحوار بين مطرانية «أبرشية» لوس أنجلوس)**: والمركز الإسلامي هناك، الذي ابتدأ عام ١٩٧٧م، بغرض تعميق التفاهم، وتقديم خدمات مجتمعية أفضل.

* **(اتحاد تحسين العلاقات الإسلامية المسيحية)**: الذي اتخذ من شيكاغو مقراً له عام ١٩٨٦م، وأعلن أهدافه المتمثلة بالتوصل إلى فهم

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.103.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٢٧).

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.79.

متبادل، وبث تيار من المعلومات والبيانات المشتركة، وتكوين قيادة جمعية موحدة.

*** (المائدة المستديرة بين المسلمين والنصارى واليهود في ديترويت)**: بدأت منذ عام ١٩٨٦م في استضافة منتديات سنوية حول الاحترام، والمصالحة، والحرية الدينية، والالتزام نحو السلام.

*** (الحملة الخاصة Task Force للمجمع الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة NCCC)**: التي عقدت ثلاثة ملتقيات سنوية، ونشرت رسائل إخبارية وكتيبات وشجعت بعض المؤتمرات للحوار وتفهم الإسلام والتفاعل مع المسلمين[١].

مؤتمر: «مفهوم الوحي ومضموناته»:

عقد هذا المؤتمر الثلاثي في مدينة «ستون مونتين» في ولاية جورجيا، في الفترة ٧ - ١٠ جمادى الثانية عام ١٤١٠هـ، الموافق ٤ - ٧ يناير عام ١٩٩٠ م[٢].

مؤتمر: «مسلمون ومسيحيون موضوعات مشتركة وهويات متميزة»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «كولومبس» بولاية أوهايو، يوم ٢٨ شعبان عام ١٤١٠هـ ،الموافق ٢٥ مارس عام ١٩٩٠م، بمبادرة من المؤسسة الإسلامية في أوهايو، وأبرشية كولومبس الكاثوليكية، ومكتب المتروبوليت. ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.108.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢١٩).

(٣) وعلى المستوى الثلاثي صدر عن المؤسسة الإسلامية، والأبرشية الكاثوليكية، وطائفة «تيفرات إسرائيل» اليهودية كتيّب مشترك بعنوان: المسلمون والمسيحيون، والمسلمون واليهود، ماضٍ مشترك، ومستقبل مرجو»، انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.103.

مؤتمر: «معهد هارتفورد (مركز دانكن بلاك ماكدولاند لدراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية)»:

عقد عام ١٩٩٠م، وضم مائتي أستاذ، وثلاثين متحدثاً لتقويم العلاقات الإسلامية المسيحية[١].

مؤتمر: «مسيحيون ومسلمون على عتبة القرن الحادي والعشرين»:

عقد هذا المؤتمر الثنائي في مدينة «هوستون» بولاية تكساس في الفترة: ١٦ ـ ١٨ شوال عام ١٤١٠هـ، الموافق ١١ ـ ١٣ مايو عام ١٩٩٠م. ولم يصدر عنه بيان مشترك[٢].

مؤتمر: «إسلامي مسيحي»:

عقد في مدينة «أكسفورد» بولاية أوهايو، بمبادرة من أبرشية جنوب أوهايو الإنجيلية، ولجنة مشتركة من المسلمين والنصارى في الفترة: ٢ ـ ٣ ذي القعدة عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٧ ـ ٢٨ مايو عام ١٩٩٠م، ولم يصدر عنه بيان مشترك[٣].

مؤتمر: «السعي للحوار»:

عقد في مدينة «واشنطن، بمبادرة من مؤتمر الأساقفة الكاثوليك الوطني «NCCB»، والمجمع الإسلامي الأميركي، وجامعة العالم الإسلامي في الفترة: ١٣ ـ ١٤ ربيع الثاني عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٢ أكتوبر عام ١٩٩١م. ويعد هذا اللقاء أول لقاء إسلامي ـ نصراني على مستوى الولايات المتحدة، وقد سبق بمؤتمراتٍ محلية بين الجانبين منذ عام ١٩٨٦[٤]، فقد شارك فيه مشاركون قدموا من شيكاغو

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.79.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٢٥).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٢٦).

(٤) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.108.

وديترويت ولوس أنجلس ونيويورك وواشنطن، بهدف رفع التبادل الإسلامي ـ النصراني إلى مستوى قومي. وحدد البيان المشترك أهداف المؤتمر بما يلي:

■ (الانتباه إلى الحكمة الصادرة عن الحوارات المحلية.

■ مراعاة الاحترام والتفاهم.

■ العمل على وضع حدٍ للصورة المشوهة والمبتذلة عن المعتقدات، بإعادة النظر في العرض الذي ينشره الآخرون في المنشورات الكاثوليكية الرسمية.

■ التطرق بالحوار إلى معنى الرسالة والدعوة وطرقهما وأهدافهما.

■ تبادل الوثائق التي تعبر عن كل تراث، وإلى البحث فيها.

■ ضم جهودهم لتحقيق القيم المشتركة، ولا سيما العدل والسلام واحترام الخليقة.

■ التعاون في الحصول على التعايش السلمي بين الجماعتين في الولايات المتحدة، وسائر أنحاء العالم.

■ اتفق المشاركون على مباشرة هذا الحوار انطلاقاً من القناعة بأنّه مشيئة الله، وتحقيق أمين لتعاليم معتقداتهم)[1].

(مركز التفاهم الإسلامي المسيحي):

جاء في إحدى منشورات المركز التعريف التالي:

(تأسس مركز التفاهم الإسلامي المسيحي: تاريخ وقضايا عالمية في ١٩٩٣م، من قبل جامعة جورج تاون، و Fondation Pour L'Entente entre Chretiens et Muslmans في جنيف، لتعزيز الحوار بين الديانتين الكبيرتين.

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٨٠ ـ ١٨١).

إن المركز يركز على اللقاء التاريخي، واللاهوتي، والسياسي، والثقافي، بين الإسلام والمسيحية، والعالم الإسلامي والغرب، يضم المركز في مقره بمدرسة إدموند أ. والش للخدمات الأجنبية في جامعة جورج تاون: التعليم والبحث والقضايا العامة.

إن تأسيس مركز التفاهم الإسلامي المسيحي ينبع من دور الدين في النظام العالمي المعاصر. إن كلاً من الإرث اليسوعي الكاثوليكي لجورج تاون، وموقعها في واشنطن، قد شكّلا اهتمام الجامعة الملتزم بدراسة الدين والقضايا العالمية. إن الإسلام واحدٌ من كبريات القوى الروحية والاجتماعية في العالم اليوم، وتأثيره وأهميته سوف يمتدان وينموان في القرن الحادي والعشرين. ولذا فإن دراسة الإسلام في جورج تاون يشمل محتواه الديني، ومغزاه الثقافي، ودوره في القضايا العالمية، بالإضافة إلى الخبرة المسيحية في العالم الإسلامي.

إن تركيز مناشط المركز، معاً في المجال القومي والعالمي تتم من خلال التعليم والندوات، والمؤتمرات العالمية، والتغطية الشاملة للوسط، إن الكلية المركزية، وكلية الزيارات، تقدمان دوراتٍ في الإسلام، وتاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، لطلاب المرحلة الجامعية، والخريجين في الجامعة. إن منظومة عريضة من مناشط القضايا العامة، والمنشورات، تسعى لتفسير تفاعل العالم الإسلامي والغرب لمختلف الجمعيات، والحكومات، والأكاديميين، والإعلام، والجمعيات الدينية والعالم المشترك)[١].

ويدير المركز الدكتور جون. ل. اسبوزيتو، بروفسور في الدين

---

(١) Christian - Muslim Relation In The Twenty First Century العلاقات المسيحية الإسلامية في القرن الحادي والعشرين. محاضرة من منشورات المركز - صفحة تعريفية.

والقضايا العالمية، ولجنة إدارية «قيادية» مكونة من: د. برباره ستوزر، مديرة الدراسات العربية المعاصرة، ود. أناتوني تابماسكو، أستاذ كرسي قسم اللاهوت. ود. جيفري فون آركس، من الجمعية اليسوعية S.J، قسم التاريخ. أما الكلية المركزية فيشترك في إلقاء الدروس فيها إلى جانب مدير المركز بعض النصارى، والنصارى العرب والمسلمين، وأما الأساتذة الزائرون والمشاركون في الأبحاث فمعظمهم من البلدان الإسلامية، ماليزيا، ولبنان، وبنجلاديش، وغيرها.

ويرعى برنامج المركز الجهات التالية:

١ ـ مؤسسة العلاقات المسيحية الإسلامية في جنيف.

٢ ـ نقابة الموارد الماليزية، الكرسي الماليزي للإسلام في جنوب شرق آسيا.

٣ ـ سناء صباغ لجناح حسيب صباغ.

٤ ـ مصانع زينل المحدودة، في العربية السعودية[(١)].

وقد عقد المركز عام ١٩٩٤م جملة من الندوات ركزت على العناوين التالية:

القدس، النصارى في الدول الإسلامية، تحدي الإسلام السياسي[(٢)].

ولا يزال المركز يمارس نشاطه حتى الآن.

نقد وتحليل:

ونلاحظ في محاولات التقريب بين الإسلام والأديان في الولايات المتحدة الأمريكية ما يلي:

١ ـ تأخر هذه المحاولات مقارنة بأوربا الغربية، فجمعية

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٧، ١٨).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.79.

الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط التي تأسست في حدود سنة ١٩٤٨م لم تكن تمارس نشاطها في الولايات المتحدة، مقرها، بل كانت تتخذ من الشرق الأوسط حقلاً لتجاربها التقريبية التي منيت بالفشل[١].

أما مؤتمر مجلس الكنائس العالمي المنعقد في إيفانستون عام ١٩٤٨م، فقد كان ومضة عابرة، قدح زنادها حضور مندوبَين من اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي المنبثقة عن مؤتمر بحمدون المنعقد في نفس العام[٢]، ثم خبت.

ولم يظهر على السطح وجود ملموس لمحاولات التقريب إلا في أواخر عقد السبعينيات الميلادية، حين ابتكر «مركز كيندي» في واشنطن مصطلح «الحوار الثلاثي» «Trialogue»، لأول مرة في تاريخ الحوار الديني، بدءاً من عام ١٩٧٨م مروراً بعقد الثمانينيات، بتنظيم دورات للقيادات المثقفة من المسلمين والنصارى واليهود، لمناقشة موضوعات عقدية واجتماعية، بل وسياسية حساسة[٣].

ولعل هذا الفارق الزمني الملحوظ بين أمريكا وأوربا الغربية في الاهتمام بقضية التقريب يعود إلى الفاصل الجغرافي والتاريخي والاجتماعي بين العالم الإسلامي والعالم الجديد «الأمريكتين»، في مقابل الإرث التاريخي، والتواصل الجغرافي والاجتماعي بين أوربا والعالم الإسلامي، فضلاً عن كون أوربا محضن النصرانية الذي تأرز إليه منذ قرون، ومنها خرجت دعوة التقريب بين الأديان في ثوبها المعاصر.

---

(١) انظر: الحديث عن الجمعية ومؤتمراتها في مبحث «المحاولات المبكرة» من هذا الفصل.

(٢) انظر: الحديث عن المؤتمر في مبحث «محاولات مجلس الكنائس العالمي» من هذا الفصل.

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.103.

وثمَّ سبب مهم آخر، هو تأخر الهجرات الإسلامية المؤثرة إلى القارة الأميركية ففي حقبة الثمانينيات تضاعف عدد المسلمين المهاجرين، كما تقرر كارول. ل. ستون: (بالقياس إلى إجمالي عدد المهاجرين الذين وفدوا إلى الولايات المتحدة، فقد زاد عدد المهاجرين المسلمين على الضعف خلال العقدين الماضيين، حيث زاد من ٤٪ من إجمالي المهاجرين في عام ١٩٦٨ إلى ١٠,٥٪ في عام ١٩٨٦م)[١]. ولا شك أن هذه النسبة ظلت ترتفع في التسعينيات، ففي مطلع التسعينيات كان (١٤٪ من جملة المهاجرين إلى الولايات المتحدة مسلمون)[٢].

٢ ـ معظم المحاولات والمبادرات النصرانية تمت من قبل مؤسسات دينية وكنائس كاثوليكية، بدءاً بمركز كيندي، ومروراً بجامعة فيلانوفا الكاثوليكية، وأبرشية كولومبس الكاثوليكية، ومؤتمر الأساقفة الكاثوليك الوطني في الثمانينيات وانتهاء بجامعة جورج تاون ذات الإرث الكاثوليكي في التسعينيات.

وربما كان ذلك لأن الكاثوليك في الولايات المتحدة أقل من البروتستانت مما يجعلهم حريصين على إبراز التنوع الديني للمجتمع الأمريكي حتى لا تستبد به الأكثرية[٣]. إضافة إلى الارتباط بالفاتيكان الذي يتخذ موقفاً أكثر استقراراً وانضباطاً من الكنائس غير الكاثوليكية تجاه حوار الأديان.

٣ ـ تركزت معظم المحاولات في ولاية أوهايو، رغم أنها ليست من المناطق الآهلة بالمسلمين، مقارنة بالولايات الثلاث: كاليفورنيا،

---

(١) المسلمون في أمريكا (ص٤٨).

(٢) شالوم ـ السلام (٨٣).

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.109.

ونيويورك، وألينوي[1]. ولعل ذلك عائدٌ إلى نشاطٍ محلي، ومبادرات خاصة، توفرت في أوهايو.

أما الأسباب التي دعت إلى إحياء فكرة التقريب بين الأديان، ومع الإسلام خاصة في المجتمع الأمريكي، فترجع إلى عوامل دولية وعوامل محلية؛ فالمناطق الإسلامية في العالم تعيش توترات مستمرة تجعل الولايات المتحدة الأمريكية، بوصفها أقوى دولة في العالم شديدة الحضور، وأحياناً تكون طرفاً مباشراً في تلك التوترات، مما يحمل الباحثين الأميركان من مختلف التخصصات على دراسة الإسلام من جوانبه المتعددة، والسعي لاحتواء المسلمين. وأما العوامل المحلية فمبعثها الوجود الإسلامي المتنامي بقوة في المجتمع الأمريكي نفسه، من المهاجرين والسكان الأصليين، وتصور الدكتورة إيفون حداد هذا بقولها: (تصاعد الاهتمام بمسلمي أمريكا، نظراً لتواجدهم المتزايد في المناطق الحضرية، بالإضافة إلى تطور مؤسساتهم المتميزة في طول البلاد وعرضها. وتضم مؤسساتهم أكثر من ٦٠٠ مسجد/ مركز إسلامي، وكليتين إسلاميتين، وعشرات من المدارس الدينية النهارية، ومئات من مدارس نهاية الأسبوع، ومنظمات نسائية، ومجموعات شبابية، وتنظيمات مهنية ومدنية، كما أن قيادة المجتمع الإسلامي يسيطر عليها المتطوعون من الناس العاديين، المهتمون بصيانة تراثهم، ونشر عقيدتهم، مع قدوم الجيل الجديد. ففي خلال العقد الأخير أمكنهم إقامة عددٍ من المطابع، ومراكز توزيع الكتب والمجلات الدينية القومية والإقليمية، للمعاونة في توجيه المؤمنين نحو التمسك بعقائدهم وبممارساتهم الإسلامية، داخل بيئة غريبة عنهم في أغلب مظاهرها.

وهناك برامج تلفزيونية وإذاعية منتظمة عن الإسلام والتراث

---

(١) المسلمون في أمريكا (٤٦، ٤٧).

العربي، علاوة على توزيع الأشرطة المسجلة ـ المسموعة والمرئية ـ للمواعظ والخطب من خلال شبكات قومية)[١].

أما المحاولات الأمريكية على المستوى الدولي للتقريب بين الأديان فمنها:

١ ـ (مجمع السلام بين الأديان):

وقد أسسه المونسنيور الكاثوليكي الدكتور جوزيف غريميليون، مدير قسم العدالة والسلام في الفاتيكان، ثم تغير مسماه منذ عام ١٩٧٤م إلى:

٢ ـ المؤتمر: «الإسلامي اليهودي المسيحي ـ «MJCC»»:

وعقد مؤتمره الأمل في «بيلاجيو» عام ١٩٧٥م، وشغل منصب الرئيس فيه د. إسماعيل فاروقي أما المؤتمر الثاني فكان:

مؤتمر: «النظام العالمي المتغير، تحدي لإيماننا»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني اليهودي في «الشبونة» عاصمة البرتغال، في الفترة: ٢٥ ـ ٢٩ ذي القعدة عام ١٣٩٧هـ، الموافق ٧ ـ ١١ نوفمبر عام ١٩٧٧م، برعاية (مجمع السلام في الأديان) وشارك فيه ثمانية يهود، وسبعة مسلمين، وخمسة عشر نصرانياً، وتباحثوا في أسباب المصالحة والصداقة والتعاون[٢].

ثم كان المؤتمر الثالث عام ١٩٧٩م.

٣ ـ «معبد التفاهم»:

أنشأت هذه الهيئة في نيويورك مسز ديكرمان هولليستر عام ١٩٦٠م (هدفها الرئيسي هو تدعيم التفاهم بين الأديان العظمى، وتوجه برامجها لمن يتبعون أديان العالم، ولقادة هذه الأديان وفقهائها)[٣]. وقد عقدت مؤتمرات قمة روحية، منها مؤتمر جنيف في الفترة: ٣١ مارس ـ ٤ أبريل عام ١٩٧٠م.

---

(١) المسلمون في أمريكا (١٣، ١٤).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.103-104.

(٣) الحوار بين الأديان وليم سليمان قلادة. (٢٤) هامش(٤).

المبحث السابع

محاولات التقريب بين الأديان في آسيا

تضم قارة آسيا معظم سكان العالم، كما تضم مختلف الأديان والملل الوثنية. ويعيش معظم المسلمين في هذه القارة، ففي شبه القارة الهندية «الهند، وباكستان وبنجلاديش» أكثر من ثلاثمائة وعشرة ملايين مسلم، وفي أندونيسيا وحدها يعيش أكثر من مائة وستين مليون مسلم.

ومعظم سكان الهند، الذين يبلغون مليار نسمة تقريباً، ينتمون إلى الهندوسية، في حين يعتنق أكثرية السكان في تايلند، وبورما، واليابان البوذية.

وتنتشر الكونفوشسية في الصين، أما النصرانية فإنها أقلية في جميع البلدان الآسيوية، باستثناء الفلبين، ومع ذلك، وربما لأجل ذلك، فإن النصارى، وخصوصاً الكاثوليك، ظلوا يأخذون بزمام المبادرة في محاولات التقريب بين الأديان، فقد سعت المؤتمرات الأسقفية لبلدان آسيا إلى تنسيق مناشطها لتعزيز الحوار منذ عام ١٩٧٢م، فكونت اتحاداً من مؤتمر أساقفة آسيا FABC، مع مكتب القضايا المسكونية وحوار الأديان OEIA، تمخض عن تأسيس سلسلة من (برامج الأساقفة لشؤون حوار الأديان BIRAS، لمنح الأساقفة الكاثوليك فرصة لدراسة ومناقشة الطرق لتشجيع الحوار بين الأديان، بالإضافة إلى المشاكل والمصاعب التي تطرأ في العلاقات مع أتباع مختلف الأديان. ومن أشهرها BIRAII عام ١٩٧٩م، في كوالالمبور،

ومؤتمر فاراناسي، في الهند عام ١٩٨٣م[١]، ثم في الباكستان ـ ملتان ـ عام ١٩٩٢م، بعنوان «العمل معاً في سبيل انسجام العالم المخلوق». وبعض هذه المحاولات تتم بمبادراتٍ حكومية من دول المنطقة لمعالجة قضايا التوترات القائمة أو المتوقعة، كما في الفلبين وأندونيسيا.

والمقصود هنا ذكر المحاولات الوطنية المحلية أو الأقليمية للتقريب بين الأديان في البلدان الآسيوية، دون تلك اللقاءات العالمية، أو حتى الإقليمية التي تبنتها جهات غير آسيوية مثل الفاتيكان، أو مجلس الكنائس العالمي، وعقدت في بعض الحواضر الآسيوية، فقد سبق التعريف بها ضمن محاولات تلك الجهات، بما أغنى عن إعادتها هنا.

١ ـ الباكستان:

يضم هذا البلد الإسلامي العريق، أقلية نصرانية نشأت خلال الاستعمار الإنكليزي لشبه القارة الهندية، وقد قام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة للباكستان عام ١٩٨١م، والتقى برئيسها إذ ذاك الجنرال محمد ضياء الحق. ومن أبرز محاولات الحوار في الباكستان:

(الجمعية الباكستانية للحوار بين الأديان ـ PAIRD):

عقدت مؤتمراً إسلامياً نصرانياً في لاهور يوم ٢٥ ربيع الأول عام ١٤٠٨هـ، الموافق ١٧ نوفمبر عام ١٩٨٧م بعنوان:

«العناصر المشتركة بين الإسلام والمسيحية»: شارك فيه سبعون شخصاً من الجانبين[٢].

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.111.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٩٥).

(اللجنة الوطنية للعلاقات المسيحية الإسلامية):

وهي لجنة كنسية منبثقة عن مؤتمر أساقفة الباكستان، وقد عقدت مؤتمراً بعنوان:

«آفاق السلام والانسجام الجديدة في الباكستان»:

في مدينة «فيصل أباد» في الفترة: ١٤ ـ ١٨ ربيع الثاني عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٢ ـ ٢٦ أكتوبر عام ١٩٩١م، حضره ستون مشاركاً[١].

وإلى جانب المنظمات الوطنية، تحتضن الباكستان في عاصمتها:

(مؤتمر العالم الإسلامي):

الذي شارك في العديد من مؤتمرات حوار الأديان على المستوى العالمي. وقد سبقت الإشارة إلى مؤتمرين هما:

مؤتمر: «مسيحيون ومسلمون، تعايش واستماع متبادل»: في وتن ـ ألمانيا عام ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

مؤتمر: «الإرساليات المسيحية لدى المسلمين»: في برلين ـ ألمانيا عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م[٢]. ومن مشاركاته أيضاً:

مؤتمر: «السلام في العالم»:

عقد هذا المؤتمر في طوكيو يوم ١٠ صفر عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٥ نوفمبر عام ١٩٨٤م مع المؤتمر الإسلامي الياباني. وقد ضم مختلف الأديان والطوائف[٣].

ونظراً للضآلة النسبية في أعداد النصارى في الباكستان، وخوفهم

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٣٨).

(٢) انظر: عن هذين المؤتمرين محاولات التقريب في ألمانيا (١٢٨٤ ـ ١٢٨٥).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٤٥).

من الذوبان في المحيط الإسلامي من حولهم، فقد نشأت فكرة تكوين الجماعات «أو المشاعات النصرانية الأساسية» «Basic Christian Communities»، و(هي عبارة عن مجموعات قليلة الأعداد تماماً، «مثل مشاعة داراهشان ـ النور ـ» التي تأسست في السبعينيات في كراتشي بالباكستان، من طرف عددٍ من الفرنسيسكان، ويعرف أعضاؤها بعضهم البعض جيداً. يعيشون مجتمعين، ولا يضعون نصب أعينهم أي أهدافٍ وغايات تبشيرية محددة. أما هدفهم الأساسي فإنه يتمثل في العيش ببساطة وسط مواطنيهم المسلمين، دون ازدراء أي عمل، وبالمقابل الالتزام الذاتي بتقديم المساعدة الطوعية لأولئك الذين يعيشون بين ظهرانيهم أو في أحيائهم، ويحتاجون إلى هذه المساعدة الإنسانية[١].

وفي الوقت نفسه يدرسون الإسلام والثقافة الإسلامية، والفلكلور المحلي، والشعر الديني، ومع الالتزام بتحاشي كل ما يشكل إهانة لمشاعر المسلمين الدينية، والاستفزاز لمعتقداتهم وحياتهم السلوكية «مثل تناول لحم الخنزير، تعاطي المشروبات الروحية[٢] علناً». وبفضل هذا المسلك تمكنت مجموعة «داراهشان» من أن تجمع حولها عدداً من المتصوفة المسلمين، وتقيم معهم بعض الصلوات المشتركة في مناسباتٍ معينة)[٣].

---

(١) وهل عامة النشاط التنصيري المخطط إلا من هذا القبيل، حيث يستدرون عواطف الجهال المنكوبين باسم المساعدات الإنسانية؟! وإن زعموا أنهم لا يضعون نصب أعينهم أهدافاً وغاياتٍ تنصيرية، فما تخفي صدورهم أكبر، كما يتبين من آخر الكلام.

(٢) هكذا يسمون الخمر بغير اسمها والحق أنها فساد الروح، إلا أن تكون أرواح النصارى والصوفية.

(٣) الإسلام والمسيحية إلكسي جورافسكي (١٥٩).

٢ ـ بنجلاديش:

يوجد في بنجلادش ذات الأكثرية السكانية المسلمة تمثيل لمختلف الديانات، وقد نشطت فيها جمعيات الحوار متعددة الأطراف، وجمعيات الحوار الإسلامي النصراني.

ومن أبرز تلك الجمعيات:

(مجمع الأديان البنغالي من أجل السلام والعدالة) «BICDAJ».

وقد عقد أكثر من مائة وثلاثين لقاءً شهرياً، على مدى عشر سنوات، منذ عام ١٩٨٣م. ضم إلى جانب المسلمين النصارى والهندوس والبوذيين وأتباع الأديان التقليدية، ونشط بشكل مكثف عام ١٩٩٢م إثر هدم الهندوس للمسجد البابري في أيوديا، بهدف تحقيق الانسجام. ويرعى المجمع أكثر من ثلاثين مدرسة مهنية «حرفية» لتخريج البالغين، ويدرب المعلمين للعمل في البرامج المهنية، وتنظيم البرامج المتعاقبة لإعادة تأهيل الأطفال المعاقين، والمشردين والأيتام. كما يرتب المجمع حلقاً دراسية للأعياد الدينية كرمضان وعيد الميلاد، والذكريات السنوية، كإلقاء القنبلة على هيروشيما، والمناسبات التأييدية كيوم المهنة، واليوم العالمي للسلام[١].

وقد عقد المجمع مؤتمراً بعنوان:

«السلام والعدالة»: في دكّا في الفترة: ٢١ ـ ٢٣ شعبان ١٤٠٩هـ، الموافق ٢٨ ـ ٣٠ مارس عام ١٩٨٩م، بحضور خمسة عشر ممثلاً عن الأديان المختلفة[٢].

(الوكالة الأسقفية للحوار المسكوني وبين الأديان) «CEID».

وهي جماعة كنسية كاثوليكية ناشطة في مجال الحوار منذ عام ١٩٧٤م، معاً للوحدة بين النصارى، وللتفاهم فيما بين الأديان. فقد

---

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P.91.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢١٤).

أنجزت ست عشرة حلقة أسقفية دراسية واسعة في موضوعات حوار الأديان، وثلاثة وعشرين اجتماعاً وطنياً.

وتجري CEID كل شهرين مشاركات دينية، ولقاءات صلوات، لأتباع الديانات المختلفة، كما تجري كل شهرين حلقاً دراسية للنساء، ومجموعات نقاش لتمكين المرأة من مختلف الأديان للمشاركة في الخبرة والصعوبات.

كما تصدر CEID رسالة إخبارية بعنوان Oikkotan، وأعمالاً أخرى في مجال العلاقات الإسلامية النصرانية[(١)].

٣ ـ الهند:

بدأت محاولات التقريب في الهند بين المسلمين والنصارى منذ أواسط عقد الستينيات، وتتسم العلاقة بين الجانبين بالوئام والهدوء، نظراً لأن كلاً منهما يمثل أقلية بالنسبة إلى الوسط الوثني المتلاطم، ثم ظهرت محاولات التقريب الجماعية بين مختلف الأديان والملل في أواخر السبعينيات، واستمرت المحاولات الثنائية والمتعددة حتى الآن، ونسوق أدناه مسرداً بالمؤتمرات المعقودة حسب التسلسل الزمني:

المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الأول»:

عقد في مدينة «نجبور» عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، بمبادرة من معهد «هنري مارتن»، ومعهد الدروس الإسلامية في نيودلهي، ولم يحفظ عنه بيان مشترك[(٢)].

مؤتمر: «التعايش الأفضل»:

عقد في مدينة «أليغاره» في الفترة: ٨ ـ ١٠ شوال عام ١٣٩٤هـ،

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.114, 115.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١١).

الموافق ٢٥ ـ ٢٧ أكتوبر عام ١٩٧٤م، بمبادرة من لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك. وشارك فيه ثلاثة عشر مسلماً، وعشرون نصرانياً، ولم يصدر عنه بيان مشترك[1].

مؤتمر: «الكنيسة والجامع ومساهمتهما في انسجام الأديان والمصالحة بينهما»:

عقد في «نيودلهي» في الفترة ٧ ـ ٩ ذي القعدة عام ١٣٩٨هـ، الموافق ٩ ـ ١١ أكتوبر عام ١٩٧٨م، بمبادرة من ثلاث جهات:

- لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك «CBCI».
- معهد هنري مارتن في حيدر آباد.
- المعهد الهندي للدراسات الإسلامية.

وحضره أربعون مشاركاً من الجانبين، ناقشوا فيه على مدى الأيام الثلاثة قضايا التعليم الديني المتبادل. (وقد تتوج الاجتماع الأخير، عفوياً، بصلاة مشتركة صامتة... واقترح المشاركون في اللقاء ضمن الاجتماع الأخير تأليف لجنةٍ دائمة صغيرة من مسلمين ومسيحيين:

أ ـ تعمل للحفاظ على العلاقات الجيدة بين الجماعتين الدينيتين، وتصبح محكمة يُلجأ إليها عند حدوث خلافاتٍ بينهما.

ب ـ تُقرر وتُخطط للقاءات لاحقة مماثلة لهذا اللقاء، وتنشر المعلومات الهامة عن الجماعتين، بواسطة وسائل الإعلام.

ج ـ تشجع تعليم الإسلام في مؤسسات التعليم الديني المسيحي، والعكس بالعكس، وتقيم بطريقة علمية المواد التعليمية لجهة ملاءمتها التعاطي مع الموضوعات المتعلقة بالمسيحية والإسلام.

د ـ تُنشئ وتشجع التفكير اللاهوتي حول المسائل الأساسية التي

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٥٣).

تمس الإيمان والتعليم الأخلاقي في كلا الديانتين)[١].

وقد ذكرت مجلة Islamo - Christiana التي تصدر عن المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية أن عدداً من كليات اللاهوت والفلسفة المسيحية في الهند قد أنشأت دروساً أساسية عن الإسلام، في حين أن البرامج التقليدية في بعض المدارس الإسلامية توفر شيئاً من المعلومات، وبعض المناقشات حول المسيحية، لكن في إطار التفكير الإسلامي التقليدي ورؤيته.

وفي الجملة فإن نصارى الهند يبتغون تدريس الإسلام من خلال الرؤية الاستشراقية الحاقدة، وينقمون على المسلمين تدريس النصرانية وفق الرؤية الشرعية والعقيدة الإسلامية.

• **«ملتقى معهد فادسا جيوتي»:** في دلهي عام ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. كما شارك المعهد المذكور في مؤتمر «القداسة في الإسلام والمسيحية» الذي نظّمه المعهد البابوي للدراسات الإسلامية والعربية في روما عام ١٩٨٥م، وسبق التعريف به[٢].

مؤتمر: «تأسيس رابطة الدراسات الإسلامية (ISA)»:

نشأ من لقاء مجموعة كاثوليكية في «أكرا» Agra عام ١٩٧٩م، بدعوى الحاجة إلى تعزيز أفضل لعلاقات التفاهم والانسجام بين النصارى والمسلمين في الهند. وينص ميثاق الرابطة على السعي لتشجيع الدراسات والبحوث والتعليم المهتمة بالتاريخ، والثقافة الدينية، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية، والجوانب الأخرى للإسلام.

وتصدر الرابطة منذ تأسيسها مجلة ربع سنوية بعنوان «سلام». كما أصدرت كتاباً بعنوان: «مسلمو الهند: العقائد والممارسات»، لا يزال

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) تقدم في محاولات الكنيسة الكاثوليكية.

مرجعاً واسع الاستعمال من قبل الكاثوليك، وكتاباً يتعلق بتساؤلات وصلوات المسلمين[1].

مؤتمر: «التعايش والصلاة والتفكير معاً»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «أليغاره» في ربيع الأول عام ١٣٩٩هـ - فبراير عام ١٩٧٩م بمبادرة من:

- جماعة تعددية الأديان.
- لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك «CBCI»[2].

مؤتمر: «من أجل إنشاء جمعية للحوار بين الأديان»:

عقد في «عجبر - رجستان» يوم ٢٢ ذي القعدة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ٢ أكتوبر عام ١٩٨٠م، بمبادرة من الأب ليسير، والمزار الإسلامي «الدرجة»، ومشاركة مسلمين ونصارى وهندوس[3].

مؤتمر: «التربية الدينية»:

عقد في نيودلهي في الفترة: ٧ - ٩ ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ١٧ - ١٩ أكتوبر عام ١٩٨٠م، بمبادرة من معهد هنري مارتن في حيدر آباد، وفرع الدروس الإسلامية بجامعة «ميليا»، وحضره ثلاثون مشاركاً من المسلمين والنصارى[4].

مؤتمر: «الحمد لله»:

عقد في «حيدر آباد» في الفترة: ١٣ - ١٥ ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ٢٣ - ٢٥ أكتوبر عام ١٩٨٠م، بمبادرة من معهد هنري مارتين، ولجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند CBCI، وفرع

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٩٦).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٣).

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٥).

الدروس الإسلامية بجامعة ميليا، وحضره أربعون مشاركاً[١].

مؤتمر: «الدين قوة انسجام في المجتمع الهندي»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «أليغارة» يومي ١٢ ـ ١٣ صفر عام ١٤٠١هـ، الموافقين ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٨٠، بمبادرة من **جمعية أليغارة للحوار بين الأديان**، وحضور شخصيات المدينة[٢].

«احتفال لمناسبة الأعياد»:

جرى في مدينة «بنغلور» يوم ٢٦ ربيع الآخر عام ١٤٠٥هـ، الموافق ١٩ يناير عام ١٩٨٥م، من قبل فرقة طلاب مسلمين ونصارى[٣].

مؤتمر: «حوار متعدد الأطراف»:

عقد في مدينة «أوتكموند» في الفترة: ٩ ـ ١١ شوال عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١٧ ـ ٢٠ يونيو عام ١٩٨٦م، بمبادرة من: جماعة ساتسنغ Satsang المتعددة الأديان، ولجنة الحوار لمجلس أساقفة الهند الكاثوليك CBIC، والرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان[٤].

مؤتمر: «من أجل تعارف أفضل»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «إسكنديراباد» في الفترة: ١٨ ـ ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٣ نوفمبر عام ١٩٨٦م، بمبادرة من معهد هنري مارتين والمجلس المسيحي الدولي للهند، وحضره ثلاثون مشاركاً من المسلمين والنصارى والهندوس[٥].

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٦).
(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٨).
(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٤٨).
(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٦٨).
(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٨٠).

مؤتمر: «من أجل السلام والانسجام في الهند»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «نيودلهي» يومي ٤ ـ ٥ شعبان عام ١٤٠٧هـ، الموافقين ٤ ـ ٥ أبريل عام ١٩٨٧م، بمبادرة من لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك CBCI، وحضره ثلاثمائة مشارك من مختلف الأديان والطوائف[١].

مؤتمر: «الحياة معا بالتلاقي الديني»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في مدينة «كوئمبورة» في الفترة ٩ ـ ١١ رمضان عام ١٤٠٧هـ ٨ ـ ١٠ مايو عام ١٩٨٧م، بمبادرة من مركز كوئمبورة للتلاقي الديني، **والرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان**، ومشاركة سبعين شخصاً[٢].

مؤتمر: «مساهمة الدين في نمو البشرية الكامل»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في مدينة «تريفندروم» في الفترة: ١١ ـ ١٥ جمادى الثانية عام ١٤١١هـ، الموافق ٢٨ ديسمبر عام ١٩٩٠م ـ ١ يناير عام ١٩٩١م، بمبادرة من **لجنة الحوار في مجلس كنائس ولاية «كيرلا»**[٣].

٤ ـ سيريلانكا:

شهدت جزيرة سيلان «سيريلانكا» ذات التعددية الدينية، حيث يمثل المسلمون والنصارى أقليتين بالنسبة لأكثرية السكان الهندوس والبوذيين، مؤتمراتٍ عالمية بتنظيم مجلس الكنائس العالمي أهمها: مؤتمر السعي لتأسيس جماعة عالمية عام ١٩٧٤م، ومؤتمر: مسلمون

---

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٨٦).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٨٨).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٣٢).

ومسيحيون يعيشون معاً ويعملون معاً. عام ١٩٨٣م[١]. وإلى جانب ذلك عقد مؤتمر على المستوى المحلي بعنوان:

مؤتمر: «نهار صلاة وسلام وتفاهم»:

في الخامس من رمضان عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١٤ مايو عام ١٩٨٦م، بمبادرة من **«منظمة أديان الجزيرة الموحدة»** دعيت إليه مختلف الأديان والطوائف[٢].

٥ ـ إيران:

ترجع العلاقات بين الطائفة الشيعية المرتبطة بالمراجع الإيرانية مع الفاتيكان إلى وقتٍ مبكر، فإثر إعلان قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥م قام ممثل الطائفة الشيعية في أوربا، الدكتور: مهدي روحاني بزيارة البابا بولس السادس في شوال عام ١٣٨٥هـ فبراير ١٩٦٦م. وعلى مستوى الطائفة تمَّ تبادل زيارات بين النائب البابوي «جون روب»، والشيخ الخالصي، في الكاظمية، جمادى الأولى عام ١٣٩٢هـ ١٤ يوليو عام ١٩٧٢م وروما في ٣ ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ ١٥ نوفمبر عام ١٩٧٧م.

وعلى مستوى السلطات الإيرانية، جرت زيارة في يونيو عام ١٩٧٦م من قبل الكاردينال بينيدولي، رئيس أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، مصحوباً بالمونسيور روسانو، والأب أبو مخ، إلى طهران حيث التقوا الشاه والقادة الدينيين[٣].

وقد ظل الحوار الإسلامي ـ النصراني في إيران مقصوراً على

---

(١) انظر: محاولات مجلس الكنائس العالمي في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٦٧).

(٣) انظر: Twenty Five Years of Dialogue. p.3.

الكنائس الأرثذوكسية، حيث شارك «المركز الإيراني للدراسات الثقافية الدولية C.I.C.S» في سلسلة من اللقاءات مع كنائس أرثذوكسية في اليونان، ومجموعات نصرانية أخرى(١).

وكان أول لقاءٍ منظمٍ مع الكاثوليك هو:

«مؤتمر الحداثة»:

وقد عقد في طهران عام ١٩٩٤م، بين المركز الإيراني للدراسات الثقافية الدولية C.I.C.S، والمجمع البابوي للحوار بين الأديان P.C.I.D(٢).

٦ ـ أندونيسيا:

يمثل هذا البلد أكبر مراكز الثقل السكاني في العالم الإسلامي، إذ يعيش فوق جزره البالغة أكثر من ثلاث عشرة ألف جزيرة قرابة مائةٍ وثمانين مليون نسمة. غالبيتهم العظمى من المسلمين(٣). وتشير إحصائية عام ١٩٩٠م إلى النسب المئوية التالية: المسلمون ٨٧,٢١٪، البروتستانت ٦,٠٤٪، الكاثوليك ٣,٥٨٪، الهندوس ١,٨٣٪، البوذيون ١,٠٣٪، ومذاهب أخرى. ٠,٣١٪(٤).

وقد ارتفعت نسبة المسلمين في هذا العقد الأخير، بسبب معدل النمو السكاني المطرد، وحركة العائدين إلى الإسلام ممن وقعوا في عقودٍ سابقة ضحايا لأعمال التنصير المكثف.

وقد خضعت هذه الجزر الإسلامية المنتشرة على جانبي خط

---

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P.78 - 51.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: أطلس العالم: مجموعة من المتخصصين ـ مكتبة لبنان ـ بيروت. طبعة: ١٤١٧هـ (٩٦).

(٤) انظر: Aspiring For the Middle Path. Dr. Tarmizi Taher P.33.

الاستواء شرقي آسيا، لمختلف صنوف المستعمرين قرابة ثلاثة قرون ونصف، ابتداءً من البرتغاليين والأسبان الذين جلبوا معهم الكاثوليكية في مطلع القرن السادس عشر، ثم الهولنديين والإنجليز الذين جلبوا البروتستانتية في مطلع القرن السابع عشر، وحتى اليابانيين البوذيين أثناء الحرب العالمية الثانية، وباستسلامهم للحلفاء أعلنت أندونيسيا استقلالها في عام ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٥م. وقد تعرضت عام ١٩٦٥م لخطر الوقوع في براثن الشيوعية، ولكن الله سلّم، ففشلت محاولتهم الانقلابية الدموية.

وقد تمكن النصارى خلال هذه العهود المتناقضة، من تحقيق مكاسب كبيرة، ونفوذٍ واسع، والتغلغل في جميع مرافق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بما لا يتفق أبداً مع حجم تمثيلهم السكاني، وكان من أخطر أعمالهم الانتهازية استغلال فشل الانقلاب الشيوعي، وقيام حملة حكومية وشعبية للقضاء على فلول الشيوعيين ومطاردتهم، فكانت الكنائس تقوم بتنصير هؤلاء بدعوى أنها الوسيلة الوحيدة لحمايتهم وحقن دمائهم، وسجلت قفزاتٍ كبيرة في أعداد المعتنقين للنصرانية، فراراً من تهمة الشيوعية[١]، زاعمين أن جميع معتنقيها من المسلمين، وحتى قرر الكاثوليك في جزيرة فلوريس (أن كل من لا ينتمي إلى الديانة الكاثوليكية يعتبر شيوعياً يجب ذبحه، وهكذا ذبحوا ثمانية من أقطاب مسلمي «واي وايرنغ»... وبذلك اضطر بعضهم إلى اعتناق الكاثوليكية، وكانوا يطلقون سراح من اتهموه بالشيوعية من المسلمين إذا رضي باعتناق الكاثوليكية»[٢]. وهذا ما يفسر عمليات التنصير الواسعة، التي أعقبت انقلاب الثلاثين من سبتمبر عام ١٩٦٥م، الشيوعي الفاشل.

---

(١) المرجع السابق (٤٠).

(٢) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا: أبو هلال الأندونيسي. دار الشروق. جدة. الطبعة الرابعة (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م). (٧٩، ٨٠).

وقد نقلت مجلة العربي عن مجلة «تايم» الأمريكية، في تلك الفترة الخبر التالي: (أصبحت أندونيسيا مسرحاً لأكبر حركة تبشيرية مسيحية في العصر الحديث... إن خطورة هذا الأمر تتجلى إذا ذكرنا أن أندونيسيا أمة إسلامية تكاد تكون خالصة، إذ أن نسبة المسيحيين الأصليين بين سكانها المائة وعشرة ملايين، نسبة لا تكاد تبلغ ١٠٪. ففي غضون الأشهر العشرين الأخيرة التي أعقبت ثورة أندونيسيا على الشيوعية، والتي نشطت فيها أعمال التبشير، بلغ عدد الأندونيسيين الذي تخلوا عن دينهم «الإسلام» واعتنقوا الدين المسيحي ٢٥٠,٠٠٠ نسمة، ويشمل هذا الرقم الذين التحقوا بالكنيسة الكاثوليكية، وبالكنيسة البروتستانتية على السواء...

ولقد بلغ من إقبال الأندونيسيين المتحولين، على الإنجيل أن نفدت كمياته في أندونيسيا)[1].

وفي بحثٍ تقدم به المنصِّر ج. إيدرون أور لمؤتمر التنصير الشهير المنعقد في ولاية كولورادو عام ١٩٨٧م بعنوان: «الدعوة إلى التجديد الروحي» يتساءل الكاتب: (إذا طرح السؤال: في أي مكانٍ من العالم يتم تنصير المسلمين، وضمهم إلى عقيدة نصرانية حيوية بأعدادٍ كبيرة؟ فالإجابة ستكون بأن هذا يحدث في إندونيسيا... بينما كان المسلمون المسعورون يقومون بقتل ١٠٠,٠٠٠ شخص من أعدائهم الشخصيين والسياسيين، كان النصارى يتعاطفون مع الأصدقاء والأعداء على حدٍ سواء... في عام ١٩٦٧م أعلنت جمعية الكتاب المقدس الأندونيسية أنه قد تم تنصير ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، فيما وصف أنه تحول نحو النصرانية بمعدل لم يسبق له مثيل في العصور الحديثة. بينما أعلنت آنذاك وكالة

---

(١) مجلة العربي عدد(١٠٧) جمادى الثانية عام ١٣٨٧هـ أكتوبر عام ١٩٦٧م (٣٥).

يونيتدبرس العالمية بأنه تم تنصير ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة خلال ثلاث سنوات، لكن هذا كان تصريحاً غير مدعم بحقائق أو وثائق. في عام ١٩٦٦م وبفضل توفر وسائل الطباعة الحديثة باعت جمعية الإنجيل عدداً من النسخ في شهرٍ واحد فاق ما باعته منذ عام ١٩٦١م. وقد طاف المنصرون أرجاء الجزر لتنظيم لقاءات جماهيرية تجلت فيها قدرة الرب)[1].

ويصف أحد الكتاب الأندونيسيين تلك الهجمة التنصيرية الشرسة التي وقعت على ذلك البلد المسلم الوادع إثر الانقلاب الشيوعي الفاشل قائلاً: (استطاع النصارى أن يحققوا أكبر الفوائد، ففتحوا الأبواب لدخول مختلف الطوائف المسيحية إلى أندونيسيا، بما في ذلك طائفة «شهود يهوه»، ولدخول آلاف المبشرين، وتوزيعهم على مختلف الأماكن والجزر، وشيدوا آلاف الكنائس الفخمة، والأديرة والبيع والمستشفيات ومعاهد الكهنوت والصروح البطريركية، وتلقوا المعونات الضخمة الخارجية، نقدية وعينية، فقد كانت هناك بواخر ترسو في موانئ إندونيسيا حاملة إسمنت وخرسانة ومختلف مواد البناء الأخرى، ومعدات رياض الأطفال والمدارس التبشيرية، وكلها معونات من مختلف الهيئات الكنسية العالمية إلى نصارى أندونيسيا، معفاة من الضرائب والجمارك والمكوس.

كما تقاطرت أفواج المبشرين والمبشرات، والرهبان والراهبات، من شتى الجنسيات إلى أندونيسيا، «يكرزون» بالإنجيل في مختلف أصقاع أندونيسيا، دون معقبٍ أو رقيب، وحتى دون أن يعرف الكثيرون إلى أين ذهبوا، وماذا يعملون حيث يستقرون؟

وهكذا قامت خلال تلك الفترة كنائس ومعاهد وجامعات ودور

---

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (٦٢٧ ـ ٦٢٩).

أيتام وملاجئ ومستشفيات ومستوصفات في مختلف أنحاء العاصمة، ومدن الأقاليم وعواصمها، وحتى المناطق التي عرفت بنقائها الإسلامي من أتباع الأديان الأخرى. ومباني هذه المؤسسات تعتبر نماذج فخمة لفن المعمار الحديث، ومواقعها في المدن والأقاليم توحي وكأن أندونيسيا بلد نصراني صميم)[١].

وقد صاحب ذلك كله صلفٌ وغرور واستفزاز للمسلمين في عدة حالات، مما أثار حفيظة ذلك الشعب المتسامح. فجرت أحداث شغبٍ وعنف بين الجانبين عام ١٩٦٧م[٢]، مما حمل الحكومة العلمانية هناك على السعي في محاولة التقريب بين الأديان الخمسة المعترف بها، وهي: الإسلام، والكاثوليكية، والبروتستانتية ـ حيث تقدِم هاتان الطائفتان النصرانيتان نفسيهما منفصلتين لتحقيق مكاسب مزدوجة ـ والهندوسية والبوذية. فجرت عدة محاولات حكومية في هذا الصدد منذ عام ١٩٦٧م وحتى الآن، وكانت كما يلي:

مؤتمر: «ممثلي الأديان في أندونيسيا»:

دعت الحكومة عن طريق وزارة الشؤون الدينية جملةً من ممثلي الأديان الخمسة لعقد مؤتمر للأديان في جاكرتا ـ العاصمة ـ يوم ٣٠ نوفمر عام ١٩٦٧م، استهله رئيس الجمهورية، الجنرال سوهارتو ببيان سبب عقد هذا الاجتماع، وهي الأحداث التي وقعت في بعض المناطق (ويخشى أن تتسبب في قيام خلاف بين الأديان هنا)، وأكّد على مبدئين من العناصر الخمسة التي قامت عليها جمهورية إندونيسيا بعد الاستقلال ـ ويسمونها ـ «البانتشاسيلا»[٣] ـ وهما:

---

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا (ص٢٧، ٢٨).

(٢) انظر: في المرجع السابق حوادث (ميلابوه» و«مكاسار» (٣٠، ٣١).

(٣) البانتشاسيلا: Pancasila. أي: الأعمدة الخمسة وهي: ١ ـ الربانية المتفردة. =

• الدولة قائمة على أساس الربانية المتفردة.

• تكفل الدولة لكل فرد من المواطنين الحرية التامة لاعتناق دينه، وممارسة شعائر ذلك الدين.

وليس للمسلمين أدنى وضع مميز، رغم كونهم عامة أهل البلاد، بل يعاملون على قدم المساواة معاملة النصارى والهندوس والبوذيين الذين لا يمثلون مجتمعين سوى عشر السكان!

وقد ضمن رئيس الجمهورية خطابه الافتتاحي مُقْتَرَحَيْن أساسيين:

(١ ـ الامتناع عن ممارسة التبشير تجاه أحد الأديان المعترف بها في أندونيسيا، وخاصة إذا كانت هذه الممارسات تتسم بشبهة من القسر أو الإكراه، وباستخدام وسائل الإغراء والإغواء أمام العوز والفاقة والحاجة. فقد ثبت أن التبشير مع المسلمين قد أحدث رد فعل بلغ في بعض الأحيان حداً من العنف، يخشى معه أن يتطور إلى مشاكل بل كوارث قومية.

٢ ـ إذا كان ولا بد من الاستمرار في التبشير، فليوجه إلى المجتمعات البدائية التي لا تزال تعج بها المناطق الداخلية في كاليمنتان وإيريان).

وقد قبل زعماء المسلمين بتلك المقترحات، ورفضها النصارى بشقَّيْهم، مما يكشف صعوبة الموقف الإسلامي في تلك الحقبة، وقوة النصارى، حتى قال الدكتور تامبونان، وزير الشؤون الاجتماعية آنذاك، وأحد زعماء البروتستانت: إن المسيحيين رغم ارتباطهم بالدولة الإندونيسية، إلا إنهم مرتبطون أكثر بالأوامر الإلهية المذكورة في

= ٢ ـ الإنسانية العادلة. ٣ ـ القومية الإندونيسية. ٤ ـ الديمقراطية الشعبية. ٥ ـ العدالة الاجتماعية. انظر: قانون البانتشاسيلا في أندونيسيا، مجلة الأمة عدد ٧ عام ١٩٨١م (٤١).

الإنجيل، التي تطالبهم أن يكرزوا بالإنجيل، الخليقة كلها، ولذلك فهم مضطرون للقيام بهذا الواجب، ومستعدون للبذل والفداء من أجله)[١].

وفي مقابل ذلك جاء على لسان بعض القادة المسلمين ما يلي:

■ (... رغم من أن بعض مضامين الميثاق المقترح سوف يحد من نشاطنا نحن المسلمين أيضاً، إلا أننا رغبة في وحدة صفوف الأمة وفي تماسكها، أصرح بأنني أوافق من حيث المبدأ على هذا الميثاق المقترح)[٢].

■ (إننا نحن المسلمون لدينا أوامر صريحة بنفس المعنى أيضاً، والمسلمون يحسون بواجب الامتثال لتلك الأوامر أيضاً. ولكن المعضلة تكمن في أن أداء هذه الواجبات في الوقت الحاضر قد أدى إلى حدوث مضاعفات خطيرة جداً، تقتضي منا جميعاً إعمال الفكر والعقل لتفادي أخطار تلك المضاعفات)[٣].

ولم تُجدِ تنازلات المسلمين في عقر دارهم في ثني النصارى عن موقفهم المتصلب، والتراجع عن مهمتهم التنصيرية المسعورة. ففشل الاجتماع، ولم يخرج إلا بتوصية واحدة، وهي تكوين هيئة استشارية من ممثلي الطوائف الدينية عرفت باسم: (المنتدى الاستشاري بين الأديان Inter - Religious Consultation Foram).

وقد شرعت الحكومة من خلال المنتدى الاستشاري في إقامة سلسلة من اللقاءات متعددة الأطراف، بهدف إرساء قواعد الوفاق الديني، فعقدت العديد من المؤتمرات في مدن أندونيسيا المختلفة نذكر منها، حسب الترتيب الزمني:

---

(١) المرجع السابق (٣٩، ٥٣).
(٢) المرجع السابق (٥١).
(٣) المرجع السابق (٥٣).

مؤتمر: «من أجل حوار بين الأديان»: عقد في جاكرتا يوم ٧ ذي القعدة عام ١٣٩١هـ، الموافق ٢٩ نوفمبر عام ١٩٧١م، بمبادرة من وزير الشؤون الدينية إذ ذاك، الدكتور معطي علي، أثناء زيارة لاجتماع الأساقفة الكاثوليك الثاني والثلاثين لجنوب شرق آسيا.

مؤتمر: «الدين عامل إنمائي»: عقد في جاكرتا يومي ١٥ ـ ١٦ جمادى الأولى عام ١٣٩٢هـ، الموافقين ٢٧ ـ ٢٨ يونيو عام ١٩٧٢م، بمقر المعهد الدولي للشؤون الإسلامية.

مؤتمر: «كيبرون»: في ١٤ جمادى الثانية عام ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٦ يوليو عام ١٩٧٢م.

مؤتمر: «باندونغ»: في الفترة: ١٨ ـ ٢٣ رجب عام ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٨ أغسطس ـ ٣ سبتمبر عام ١٩٧٢م. وقد حضره مائة وخمس وسبعون مشاركاً من مختلف الطوائف.

مؤتمر: «أهمية الدين»: في «سربايا» في الفترة: ٢ ـ ٦ ذي القعدة عام ١٣٩٢هـ، الموافق ٩ ـ ١٣ يناير عام ١٩٧٢م، بواقع عشرين ممثلاً لكل طائفة.

مؤتمر: «موانع الانسجام»: في يونيكرتا، في الفترة: ٣ ـ ٧ محرم عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٦ ـ ١٠ فبراير عام ١٩٧٣م، بواقع عشرين ممثلاً لكل طائفة.

مؤتمر: «الجهد من أجل الحوار»: في جاكرتا، في الفترة ٥ ـ ٨ ربيع الأول عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٨ ـ ١١ أبريل عام ١٩٧٣م، بواقع خمسين ممثلاً لكل طائفة.

مؤتمر: «العناصر المشتركة»: في «ميدان»، في الفترة: ٢٥ ـ ٢٧ ربيع الأول عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٢٨ ـ ٣٠ أبريل عام ١٩٧٣م.

مؤتمر: «باندونغ»: في الفترة: ٢٥ أبريل إلى ١ مايو عام ١٩٧٣م.

مؤتمر: «المسؤولية المشتركة من أجل العدالة»: في «بونتياناك»، يومي ٥ ـ ٦ جمادى الأولى عام ١٣٩٣هـ، الموافقين ٦ ـ ٧ يونيو عام ١٩٧٣م، بين سبعة من العلماء، وستة قسس، وخمسة كهنة.

مؤتمر: «مينادو»: في ١٧ نوفمبر عام ١٩٧٣م.

مؤتمر: «أهمية الحوار الديني»: في بالمبانغ، في الفترة ١٤ ـ ١٧ ذي الحجة عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٨ ـ ١١ يناير عام ١٩٧٤م.

مؤتمر: «من الحوار تنبع الحكمة»: في «دميسار» بجزيرة بالي ذات الأغلبية الهندوسية، في الفترة: ٢٧ ذي الحجة عام ١٣٩٣هـ ـ ١ محرم عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٥ يناير عام ١٩٧٤م، بواقع ثلاثين ممثلاً عن كل طائفة.

مؤتمر: «بنجرماسن»: في الفترة: ٢٩ ـ ٣١ مارس عام ١٩٧٤م.

مؤتمر: «التوفيق بين التسامح والتعاون على نشر الدين»: في كوبنغ في جزيرة «تيمور» ذات الأغلبية النصرانية، يومي ١١، ١٢ شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافقين ٢٨، ٢٩ أكتوبر عام ١٩٧٤م.

مؤتمر: «حول مؤتمر «كولومبو»: في «بونتياناك»، في الفترة: ٢٠ ـ ٢٣ شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٦ ـ ٩ نوفمبر عام ١٩٧٤م، لتدارس نتائج مؤتمر «كولومبو» الذي نظمه مجلس الكنائس العالمي للأديان الخمسة الكبرى في العالم، للسعي لتأسيس جماعة عالمية في أبريل من العام نفسه[1].

مؤتمر: «التعاون في سبيل الإنسان»: في سميرانغ، في الفترة: ١٤ ـ ١٧ محرم عام ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٧ ـ ٣٠ يناير عام ١٩٧٥م، بحضور ستين مشاركاً من مختلف الطوائف.

---

(١) تقدم في محاولات مجلس الكنائس العالمي في المبحث الثالث من هذا الفصل.

• **(مؤتمر هل نتابع الحوار؟)**: في جاكرتا، في ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ، الموافق أبريل عام ١٩٧٥م، بمشاركة عشرين زعيماً دينياً.

• **مؤتمر: «ميدان»**: في الفترة: ٢٠ ـ ٢٣ نوفمبر عام ١٩٧٥م.

• **مؤتمر: «باندونغ»**: في فبراير عام ١٩٧٦م.

• **مؤتمر: «ساميرانغ»**: في الفترة ٢٤ ـ ٢٧ يناير عام ١٩٧٧م.

• **مؤتمر: «كوينغ»**: في ٢١ أبريل عام ١٩٧٧م.

• **مؤتمر: «بالنغ كاريا»**: في ٨ ديسمبر عام ١٩٧٧م.

تلك ثلاثة وعشرون مؤتمراً جرت خلال ست سنوات فقط[1]، تكشف عن الحرص البالغ لدى وزارة الشؤون الدينية في الحكومة الأندونيسية على تفعيل قضية التقريب بين الأديان، في بلدٍ تسود فيه ديانة واحدة يعتنقها ٩٠٪ من الشعب. مما يوحي أن المراد هو الحفاظ على المكاسب التي حققتها الأقلية النصرانية في عقودٍ خلت، ووضعها في مصاف الدين الرئيسي للأمة، باسم «الحريات الدينية».

وقد قوَّم أحد أركان الحكومة الأندونيسية الأخيرة، وهو الدكتور ترمذي طاهر، وزير الشؤون الدينية، في كتاب صدر عام ١٩٩٧م، محاولات التقريب الوطنية بين الأديان خلال حقبة السبعينيات بقوله: (على الرغم من أن المنتدى الاستشاري بين الأديان فشل بادئ الأمر في حل المشكلات الدينية، إلا أنه نجح في عقد سلسلة لقاءات في السبعينيات. وفي تلك اللقاءات صيغت بعض فقرات الاتفاقات الأساسية، أضحت حجر الارتكاز لحوار إضافي، وفي غضون ذلك

---

(١) تم حصر المؤتمرات من كتاب: Maslah Hubungan Antar Umat Beragama Di = Indonesia باللغة الأندونيسية ط. (١٩٧٩) لمجموعة من المحررين، واللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل الأرقام: (٢٧، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٥).

سنَّت الحكومة الأندونيسية من خلال وزارة الشؤون الدينية عدة تنظيمات، وقد كان أشدها أهمية قراري وزير الشؤون الدينية رقمي ٧٠، ٧٧ عام ١٩٧٨م[١]، المؤيدين بالقرار الوزاري رقم ١ عام ١٩٧٩م... وخلاصة هذه الفقرات كما يلي:

أولاً: مناشط الوعظ الديني والتبشيري لا يجوز أن توجه لأولئك الذين اعتنقوا ديناً للتو.

ثانياً: مناشط الوعظ الديني والتبشيري لا يجوز أن تستخدم طرقاً جائرة، كاستعمال الغذاء، والكساء، والدواء، إلخ في سبيل إغراء الناس للتحول إلى دينٍ معين.

ثالثاً: مناشط الوعظ الديني والتبشيري لا يجوز أن تتم بأسلوب الزيارات من بابٍ إلى باب.

وأخيراً: المساعدات المالية الأجنبية، والتسهيلات، ودعم الموارد الإنسانية لا يجوز توزيعها دون موافقة الحكومة)[٢].

لقد أدركت الحكومة الأندونيسية بعد ثلاثةٍ وعشرين مؤتمراً من مؤتمرات الحوار بعض الحقائق، وتكشفت لها بعض نوايا النصارى ومخططاتهم لتنصير هذا البلد الإسلامي العريق، فأصدرت هذا القرار عام ١٩٧٩م، ونرجو أن يكون أخذ طريقه إلى التنفيذ لصد الهجمة التنصيرية الشرسة التي كانت تزمع عقد مؤتمر الجمعية العمومية الخامسة لمجلس الكنائس العالمي عام ١٩٧٥م في جاكرتا، عاصمة أكبر تجمع إسلامي على وجه الكرة الأرضية، إمعاناً في الكيد، واحتفالاً بتحقيق الانتصارات، في الوقت الذي يرحبون بالحوار ودعوات التقارب، كجزءٍ

---

(١) نصوص هذه القرارات مثبتة في مطبوعة صادرة عن وزارة الشؤون الدينية بعنوان: PEDOMAN PENYARAN - AGAMA DI INDONESIA.

(٢) انظر: Aspiring For the Middle Path. Dr. Tarmizi Taher p.41.

من استراتيجية عامة، صرح بها عتاة المنصِّرين مثل ج. إيدون. أور في «الدعوة إلى التجدد الروحي» حيث يقول في توصياته: (يجب استبدال تشويه سمعة الإسلام، بالتعايش والحوار، دون إضعاف التنصير، على الرغم من زيف الإسلام وعجزه)[١].

مجمع سوبود العالمي: World Subud Council:

ينسب هذا المجمع إلى رجلٍ أندونيسي يدعى: «محمد سوبود». ولد في عام ١٩٠١م، وشرع في عام ١٩٣٠م بعمل تدريبات «روحية» في مدينة «سميرانغ» في جاوه الوسطى، وطورها على مدى سبع عشرة سنة، بغرض إيجاد «وحدة دينية» بين أعضاء من انتماءات مختلفة من الأديان والمعتقدات والاتجاهات الاجتماعية والسياسية، يجمعهم - حسب زعمه - الاعتقاد بألوهية واحدة. وأطلق على محاولته تلك، عام ١٩٤٧م، اسم: «اجتماع الأخوة الروحية لذوي الأخلاق الطيبة والإحسان» ثم أعلن مبادئها بشكل واسع عام ١٩٥٧م، وظلت تنتشر حتى امتدت إلى ٧٦ دولة.

ولهؤلاء «السوبوديين» مجلسان؛ روحي، ومؤسسي، ويمارسون أنشطتهم في مقر سوبود نفسه، الذي أنشأه ليخدم فكرته في توحيد المعتقدات والأديان بشكل عملي معاشي، بصفة مجمع سكني في ضاحية «شيلاندا» بالعاصمة الأندونيسية جاكرتا، يتكون هذا المجمع من مبنى حراسة أمامي، وبيوت سكنية، ومبنى ذي أدوار، ومباني للضيافة، وقاعة كبيرة للتدريبات الروحية. وكل من يسكن هذا المجمع، من أعضاء هذه الجماعة[٢].

---

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (٦٣٠).

(٢) عن دراسة صادرة عن وزارة الشؤون الدينية في أندونيسيا، عام ١٩٧٩م بعنوان: Deskripsi Subud. (Susila Budhi Dharama) تأليف: Dr.S.M Yusuf Asri (١، ٢).

وتزعم هذه الجماعة أنها جاءت بإرادة الله لأجل التعايش السلمي بين الأديان كلها، حيث تمثل عائلة إنسانية واحدة، تسعى نحو هدفٍ واحدٍ لإلهٍ واحد. ويقول سوبود أنه ليس من غرضه إبادة الأديان، وأنه لم يأت بدينٍ جديد، بل هي وسيلة لجمع الناس، فكل يعمل على شاكلته، وكل من عمل بمقتضى دينه فإنه يستحق الجنة(١).

وتفشو هذه المزاعم الباطلة في أوساط المثقفين ثقافةً غربية، من الإسلاميين العصرانيين، وينادون بها على صفحات الجرائد والمجلات ومنابر الإعلام المتنوعة، ويتسنمون المناصب الدينية الرسمية، لإقرار هذه الضلالات وترسيخها في المجتمع الأندونيسي المسلم(٢).

وقد طفت مظاهر التقارب الديني المصطنع في أندونيسيا إلى حد الاعتراف الرسمي بخمسة أديان، توصف جميعها بأنها «توحيدية»، بما في ذلك الهندوسية والبوذية، بالإضافة إلى إقامة مجمعات للمعابد الدينية ضمن إطار واحد، كما في «حديقة أندونيسيا المصغرة TAMAN MINI INDONESIA»، التي تمثل موقعاً وطنياً سياحياً لعرض التراث والثقافة الوطنية، حيث أقيم فيها مجمع لمعابد الأديان الخمسة المعترف بها، مسجد، وكنيسة كاثوليكية، وكنيسة بروتستانتية، ومعبد هندوسي، ومعبد بوذي، تنتصب جنباً إلى جنب، ولا يفصل أحدها عن الآخر سوى ممر صغير(٣).

---

(١) المرجع السابق. الباب الرابع «علاقة سوبود بالأديان والاعتقادات الروحية».

(٢) انظر: على سبيل المثال مقالات مجموعة لطائفة من هؤلاء العصرانيين في كتاب Passing Over Melintasi Batas Agama تحرير: كرم الدين هداية، وأحمد جوزفا. بإشراف د. نور خالص مجيد. طبعة ١٩٩٨م،

(٣) قد وقف المؤلف بنفسه على هذا المجمع يوم الخميس الموافق ١٦/ ٤/ ١٤٢٠هـ، ووثقه بالصور المرئية.

٧ ـ ماليزيا:

كانت بلاد الملايو «ماليزيا» من المواطن الإسلامية الخالصة، حتى قام الاستعمار الإنجليزي في مطلع القرن العشرين الميلادي باستجلاب أعدادٍ كبيرة من الصينيين والهنود للعمل في الزراعة وغيرها، وظلت أعدادهم تزداد ـ لا سيما الصينيون ـ حتى بلغت قرابة ثلث السكان في نهاية القرن، وفضلاً عن هذا، فقد أمسكوا بزمام الاقتصاد والإدارة في هذا البلد الإسلامي العريق، وكادوا أن يتسنموا منصب الحكم والسياسة في أواخر الستينيات ١٩٦٩م، عبر انتخابات مزيفة، أسفرت عن فوز الأقلية الصينية بمعظم مقاعد البرلمان، ثم أعقبها انقلاب عسكري، وجرت حرب أهلية بين الملاويين والصينيين.

ومنذ ذلك الحين، والمسألة العرقية المرتبطة بالانتماء الديني ذات حساسية بالغة، وقد حرصت الحكومات المتعاقبة على ترسيخ مفهوم المواطنة، والدعوة إلى الوئام بين أتباع الديانات المختلفة، فتأسس:

المجلس الاستشاري الماليزي للأديان:

الذي عقد: **مؤتمر: «القيم الدينية المشتركة في سبيل بناء الأمة»:** في كوالالمبور، في الفترة من ١٤ إلى ١٥ جمادى الثانية عام ١٤٠٤هـ، الموافق ١٧، ١٨ مارس عام ١٩٨٤م، وحضره ستمائة شخص من جميع الأديان[١].

وقد تكررت المحاولة في عقد التسعينيات، حيث عقد مؤتمران للتقريب بين الأديان، نظمهما البرفسور عثمان بكر، نائب مدير جامعة الملايو، تلميذ داعية التقريب بين الأديان، الشيعي، المقيم في

---

(١) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب «البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة» تسلسل رقم (١٣٨).

الولايات المتحدة الأمريكية سيد حسين نصر[١].

وتظهر بعض آثار دعوة التقريب بين الأديان في المجتمع الماليزي بوجود مسجد إلى جواره كنيسة أو معبد بوذي في بعض المدن، ووضع نسخ من القرآن الكريم، والإنجيل، وكتاب تعاليم بوذا في غرف بعض الفنادق.

٨ ـ الفلبين:

هو البلد الآسيوي الوحيد ذو الأغلبية السكانية النصرانية. ومرد ذلك إلى الاستعمار الأسباني الكاثوليكي الذي دام قرابة أربعة قرون (١٥٢١ ـ ١٨٩٨م)، ومارس فيه الأسبان وسائل التنصير القسري على شعوبه، بما فيهم المسلمين، واضطهدوهم، وأطلقوا عليهم اسم «المورو» الذي أطلقوه على بقايا المسلمين في الأندلس. ثم باع الأسبان جزر الفلبين عام ١٨٩٨م على الأمريكيين بمبلغ عشرين مليون دولار[٢]، فاستمر النفوذ النصراني، والإقصاء المتعمد للمسلمين الذين حوصروا في الجزر الجنوبية مندناو، وسولو، وتمَّ توطين مئات الآلاف من النصارى بين ظهرانيهم بعد الاستقلال الرسمي عام ١٩٤٥م.

وقد ظل التوتر سائداً في المنطقة منذ أن وطئت أقدام الغزاة

(١) لم تتوفر لدي معلومات عن هذين المؤتمرين. وانظر في التعريف بسيد حسين نصر. المسلمون في أمريكا (١٠٣).

(٢) انظر: مسلمو الفلبين والمشكلات التي تواجه المنظمات الإسلامية. الحاج عبد الرحمٰن ر.ت لينزاج ضمن بحوث: الأقليات المسلمة في العالم. ظروفها المعاصرة. آلامها، آمالها: أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ ـ ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٢ ـ ٧ يناير ١٩٨٦م. إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض. شركة العبيكان للطباعة والنشر. الرياض (٥١٩/٢ ـ ٥٢٥).

النصارى بلاد الفلبين، خلال الحقبة الأسبانية المقيتة، ثم مخططات الاستدراج الأمريكية، وأخيراً محاولات الاستيعاب من قبل الحكومات الفليبينية المتعاقبة. وقد تفاقمت الصراعات الدموية بين المسلمين والنصارى في الجنوب في مطلع السبعينيات، مخلفةً وراءها آلاف القتلى والمشردين والقرى والمساجد المحروقة.

ويبلغ عدد المسلمين في الفلبين وفق إحصائية عام ١٩٩٢م ٣,٨ مليون نسمة[١]، من مجموع سكان الفلبين البالغ عددهم أكثر من ستين مليوناً.

وقد كانت الفلبين محلاً لعقد بعض المؤتمرات العالمية والإقليمية في مجال «الحوار الإسلامي المسيحي». ومن أشهر تلك المؤتمرات:

مؤتمر: «زامبونغا ستي»: عام ١٩٧٤، من قبل أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين.

مؤتمر: «مراوي ستي»: عام ١٩٧٦م، من قبل مجلس الكنائس العالمي.

مؤتمر: «باتّايا الإقليمي»: عام ١٩٩٤م، من قبل المجمع البابوي للحوار بين الأديان[٢].

أما على المستوى المحلي فقد سعت الحكومة، وبعض الجهات الأكاديمية إلى تفعيل قضية الحوار بغية تخفيف التوتر، وتحقيق بعض الأهداف، فعمدت السلطات الحاكمة ذات الأغلبية النصرانية المطلقة في وقت مبكر إلى إنشاء:

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٢) سبق التعريف بهذه المؤتمرات في هذا الفصل.

(الاتحاد المسكوني للسلطات الدينية):

في مانيلا ـ العاصمة ـ عام ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م[١]. وبعد اندلاع المواجهات القتالية بين المسلمين والنصارى في الجنوب في مطلع عقد السبعينيات دعمت الحكومة عقد المؤتمرات الوطنية التالية:

مؤتمر: «بناء الإرادة الحسنة»: في زامبونغا ستي عام ١٩٧٤م، للتشاور والتعاون حين وقوع النزاعات الأهلية[٢].

مؤتمر: «الوحدة في التعددية»: في زامبونغا ستي، يومي ١٨ ـ ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٩٥هـ، الموافقين ٢٩ ـ ٣٠ مارس عام ١٩٧٥م، بتنظيم من لجنة حوار حكومية[٣].

مؤتمر: «تحقيق البرامج الحكومية»: في مراوي ستي، عام ١٩٧٦م، لدراسة مجموع الموظفين في الجيش والوظائف الرسمية، والفرص الاقتصادية للمسلمين وتحقيق تفاهم أفضل بين الحضارات[٤].

مؤتمر: «الهدنة وإعادة التفاوض بين جبهة تحرير مورو الوطنية «MNLF» والحكومات الفلبينية»: في تاغايتي ـ قرب مانيلا ـ عام ١٩٧٩م[٥].

مؤتمر: «الأبعاد الخلقية والروحية في العلاقات الإسلامية المسيحية في الفليبين»[٦]: عقد في مراوي ستي، في الفترة: ٢ ـ ٧ صفر عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٣٠ نوفمبر ـ ٤ ديسمبر عام ١٩٨١م.

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٧).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١١٤).

مؤتمر: «العلاقات الإسلامية المسيحية، على المستوى الجذري في جولو»: عام ١٩٨٤م[١].

مؤتمر: «القضايا القانونية للشريعة والنظام المدني والمحاكم: في كوتوباتو عام ١٩٨٦م[٢].

مؤتمر: «الوجود الإسلامي بين المسيحيين، والوجود المسيحي بين المسلمين»: في زامبونغا ستي عام ١٩٨٧م[٣].

مؤتمر: «العلاقات الإسلامية المسيحية في مندناو»: عقد في زامبونغا ستي في الفترة: ٢٦ ـ ٢٨ رجب عام ١٤٠٩هـ، الموافق ٣ ـ ٥ مارس عام ١٩٨٩م[٤].

أما على المستوى الأكاديمي، فقد نشطت ثلاث مؤسساتٍ علمية منذ أواخر الستينيات على عقد مؤتمر سنوي في شهر أغسطس غالباً، وهي:

١ ـ (جامعة الدروس لجنوب شرق آسيا «Silsilah»): في مدينة زامبونغا الإسلامية.

٢ ـ (مركز دنسلان للأبحاث): ومقره مدينة مراوي الإسلامية.

٣ ـ (معهد جولو): في مدينة جولو الإسلامية.

ويحضر هذه المؤتمرات المتتالية من الجانبين ما بين خمسين إلى مائة مشارك. وهي:

مؤتمر من أجل الانفتاح والتفاهم مع الإسلام المعاصر»: مراوي. ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

---

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢١١).

مؤتمر: «تقدم الإسلام في الفلبين»: مراوي. ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

مؤتمر: «اتجاه التباحث في (فرانو): مراوي. ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

مؤتمر: «اتجاه التباحث في مغندناوه»: كوتوباتو. ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

مؤتمر: «أهمية الدين» جولو. ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

مؤتمر: «تدوين العادات الإسلامية، والشريعة القرآنية»: دفاوه. ١٣٩٣هـ ـ سبتمبر ١٩٧٣م.

مؤتمر: «أسس التفاهم الإسلامي ـ المسيحي الدينية»: كجايان ـ أورو ١٣٩٤هـ ـ ديسمبر ١٩٧٤م.

مؤتمر: «لقاء الثقافات»: زامبونغا. ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

مؤتمر: «من أجل تفاهم أعمق»: لاناوه. ١٣٩٦هـ ـ يونيو ١٩٧٦م.

مؤتمر: «لقاء وحوار»: مراوي ١٤٠١هـ ـ مايو ١٩٨١م[1].

أما الكنيسة الفليبينية فلا نكاد نجد لها ذكراً إلا في مؤتمرٍ واحد هو:

«مخيم من أجل التعارف الأفضل»: الذي عقد في مدينة «كوتوباتو»، في الفترة ٢٦ ربيع الثاني إلى ٣ جمادى الأولى عام ١٣٩٦هـ، الموافق ٢٦ أبريل إلى ٢ مايو عام ١٩٧٦م، بمبادرة من لجنة الحوار الإسلامي المسيحي، ولجنة PACEM من أساقفة الفلبين[2].

---

(١) انظر: عن المؤتمرات العشرة السابقة، اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية، تسلسل (١٥، ١٨، ٢٢، ٢٦، ٣٤، ٤٠، ٥٨، ٧٠، ٧٦، ١١٠).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (٧٤).

وهذا يكشف عن درجة العداء والتوتر وانعدام الثقة الناتجة عن الاضطهاد النصراني للمسلمين، بخلاف الحال حين يكون النصارى أقلية في بلدٍ مسلم، أو أقلية مماثلة للمسلمين في بلدٍ وثني، حيث تبدي المنظمات الكنسية تقارباً ملحوظاً مع المسلمين، كما هو الحال في الهند مثلاً.

٩ ـ اليابان:

يعتنق معظم سكان الجزر اليابانية، البالغ عددهم أكثر من مائة وثلاثة وعشرين مليون نسمة، البوذية، وقد دخل ممثلو هذه الديانة الوثنية معترك محاولات التقارب الديني في العالم بوصفها أحد الأديان الخمسة الكبرى في العالم من حيث عدد الأتباع.

وإثر البدعة الكاثوليكية الأخيرة المتمثلة بـ«يوم الصلاة من أجل السلام» في مدينة أسيزي الإيطالية، التي دعا لها البابا يوحنا بولس الثاني قادة الأديان العالمية في أكتوبر عام ١٩٨٦م، أعلن الراهب البوذي «إيتاي يامادا Etai Yamada»، رئيس دير «جبل هيي Mt. Hiei»، ورئيس «المؤتمر الياباني لممثلي الأديان J.C.R.R»، المشارك في يوم أسيزي، أعلن يوماً «للصلاة في روح أسيزي» يقام في جبل هِيي في اليابان[1]، في العالم التالي ١٩٨٧م، بمناسبة مرور ألف ومائتي عام على تأسيس أهم المعابد البوذية في اليابان على سفح ذلك الجبل قرب العاصمة القديمة «كيوتو».

---

(١) يمثل هذا الجبل الواقع قرب العاصمة العريقة «كيوتو»، المركز الثقافي والديني لليابان، أهمية تاريخية في تاريخ الديانة اليابانية، حيث أسس الراهب البوذي سايكو Saicho أول معبدٍ بوذي على سفحه عام ٧٨٧م، وصار منطلقاً لانتشار البوذية في اليابان. انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.95.

«يوم الصلاة من أجل السلام في جبل هيي»:

انعقد هذا الملتقى العالمي للأديان، المنسوج على غرار يوم أسيزي في الرابع من أغسطس عام ١٩٨٧م. وقد شهده ستمائة ممثل ديني من البوذيين، والنصارى، والكونفوشيين، والهندوس، واليهود، والمسلمين، والأديان الجديدة، والشنتو، قدموا فيه نظرتهم نحو تحقيق السلام العالمي من خلال معتقداتهم الدينية.

ثم صعد ممثلو الأديان جبل هِيي، وأداروا حلقة صلاة عند المعبد البوذي! وقد حضره هذه الطقوس الوثنية ـ وللأسف ـ من المسلمين: ممثل لشيخ الأزهر، ورابطة العالم الإسلامي، وعميد الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد، والمدير العام لمركز البحوث في تركيا، والممثل الرسمي للمسلمين في الاتحاد السوفييتي(١).

وهذا من شؤم مجاراة أهل الكتاب وموافقتهم، حيث لم يكتفوا بمداهنة بعض المسلمين إياهم متعللين بالشُّبَه الكثيرة، فما زالوا بهم حتى أوردوهم حياض الوثنية، وبيوت الأصنام. وصدق الله إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران].



(١) انظر: Regonize The Spiritual Bonds. P.95-96 وانظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (٢٥).

رسائل جامعية (٢٠)

دعوة التقريب بين الأديان

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

تأليف
الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

المجلد الرابع

دار ابن الجوزي

المبحث الثامن

محاولات التقريب بين الأديان في العالم العربي

العالم العربي قلب العالم الإسلامي، من الناحيتين الجغرافية والمعنوية. والعرب وإن كانوا لا يمثلون سوى ٢٠٪ من مجمل مسلمي العالم، لكنهم يمثلون العمق الإسلامي حضارة وتاريخاً وواقعاً ومعاشاً. فلا عجب أن تتوجه إليهم المحاولات الغربية بصفة رئيسة في الدعوة إلى الحوار والتقارب، وكأن الناس لهم تبع. كما أن بعض البلدان العربية تضم بقايا نصارى منذ القدم، صاروا يرفعون لواء الحوار مع مواطنيهم المسلمين، ويقدمون أنفسهم أحياناً وسطاء بين العالم الإسلامي والعالم النصراني[١]. وفي أماكن عدة تقع بين الجانبين بعض التوترات.

وسنعرض هاهنا لمحاولات التقريب بين الأديان التي نشأت ابتداءً في بلدانٍ عربية، بصفة مؤسسات متخصصة في هذا الشأن، دون تلك التي قامت على أسس مغايرة، ثم دُعيت للمشاركة في مبادرات خارجية. كما سنكتفي بالإشارة فقط، إلى ما سبق التعريف به من محاولات كانت المؤسسات العربية المتخصصة طرفاً فيها دفعاً للتكرار، مع الإحالة في الهامش إلى مواضعها السابقة.

١ ـ لبنان:

يمثل هذا البلد الصغير بمساحته (١٠,٤٥٢كم٢)، وسكانه (٢,٧٠١,٠٠٠) نسمة[٢]، منطقة من أشد مناطق العالم حساسية في

---

(١) راجع مبحث حقيقة التقريب عند النصارى العرب في الباب الأول.

(٢) انظر: أطلس العالم ط١٤١٧هـ.

العلاقات الإسلامية النصرانية. فقد أدت حركة الهجرة الموجهة نحو جبال لبنان من قبل نصارى الشام والعراق إلى نشوء تكافؤ عددي بين المسلمين والنصارى، ساعد الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان منذ عام ١٩١٨م على تمكين النصارى، وقد تسبب ذلك في اندلاع حروب أهلية متعاقبة، كان أعنفها في العصر الحديث حرب ١٩٥٨م، وحرب ١٩٧٥م، التي دامت خمس عشرة سنة تقريباً. لقد حفز هذا الوضع المتوتر القيادات الدينية والفكرية في لبنان على تفعيل قضية الحوار، من منطلقين:

أحدهما: واقعي، وهو التعايش السلمي بين أتباع عديدٍ من الديانات والطوائف ينتشرون على رقعة صغيرة من الأرض، أشبه بالفسيفساء ذات الألوان المتداخلة.

الثاني: التشوف المفرط في الأمل أن تكون التجربة اللبنانية السلمية أنموذجاً يحتذى للعلاقات الإسلامية ـ النصرانية، وأن يكون لبنان جسر الاتصال بين الشرق المسلم والغرب النصراني، عن طريق نصاراه الذين طالما تغنوا بهذه الخاصية[١].

لقد نشأت محاولات التقريب بين الإسلام والنصرانية بمبادرات «إسلامية» غالباً، قبل الحرب الأهلية الأخيرة (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠م)، ومبادرات نصرانية منظمة بعدها، بصورة معاهد بحوث ومراكز حوار.

١ ـ (الندوة اللبنانية):

هي عبارة عن منتدى ثقافي متعدد الأغراض؛ فكري، أدبي؛ اجتماعي، سياسي، يعتمد أسلوب المحاضرة، أنشأها «ميشال أسمر» في خريف عام ١٩٤٦م. وكان موسم المحاضرات الأسبوعية يمتد من

---

(١) راجع بواعث التقريب عند النصارى العرب.

أكتوبر حتى يونيو، إلى أن توقفت عام ١٩٧٤م[1]، قبيل الحرب الأهلية الأخيرة، وقد ألقي على منبرها قرابة خمسمائة محاضرة. ومن بين هذه المئين كانت سلسلة:

«محاضرات المسيحية والإسلام في لبنان»:

عقدت في موسم عام ١٩٦٥م، وتناوب عليها ثمانية محاضرين من الجانبين، وهم: صبحي الصالح، موسى الصدر، حسن صعب، نصري سلهب، يواكيم مبارك، جورج خضر، فرنسوا دوبره لاتور، ويوسف أبو حلقة، وكانت تلك المحاضرات محل اهتمام الرأي العام في تلك الحقبة، فعقد المحاضرون الثمانية عدة لقاءات لوضع بيان مشترك، ونشره على الملأ نقتطف منه:

■ (إن المحاضرين الثمانية الذين اشتركوا في سلسلة «المسيحية والإسلام في لبنان». . . لعلى يقين بأن لبنان هو الموطن المختار لمثل هذا الحوار المسيحي الإسلامي، وبأنه حين يجدد وعيه بتعاليم هاتين الرسالتين يسهم في تجديد طاقة الإنسان الروحية وصونها. . .

■ وإنهم ليعاهدون الله على تحقيق لقاءٍ أخوي مستمر، ينهلون خلاله من معين الديانتين العالميتين، وتعمل فيه كل فئة بتعاليم دينها، جاهدة في تفهمها لما انطوت عليه الديانة الأخرى من عبرٍ وعظات ونظم، تقرب الإنسان من أخيه الإنسان. . .

■ أن يسعوا لإنشاء معهد جامعي عالٍ للدراسات الدينية المقارنة، تشرق فيه المعرفة بحقائق المسيحية والإسلام. . .

ويحرص المحاضرون على تأكيد تقديرهم للمقامات الروحية من

---

(١) انظر تعريفاً مستفيضاً بالندوة ومؤسسها، ومحاضراتها في المدونة الضخمة الصادرة عن «دار النهار» - بيروت ١٩٩٧م، بعنوان: «عهد الندوة اللبنانية. خمسون سنة من المحاضرة».

مسلمة ومسيحية، آملين أن يلتقوا معها في هذا الحوار، ليكون أكثر إيجابية وأعمق تأثيراً...)[١] ٨ تموز ١٩٦٥م. وقد تقدم عرض بعض الأفكار الواردة في محاضرتي صبحي الصالح، ويواكيم مبارك، في الباب الأول.

«محاضرات العدالة في المسيحية والإسلام»:

عقدت في موسم عام ١٩٦٦م، وشارك فيها، ثمانية آخرون من الجانبين.

وإلى جانب هذه المحاضرات (انطلق التعاون بين «الندوة اللبنانية»، والخوري يواكيم مبارك في إطار المشروع الرامي إلى وضع الحوار المسيحي الإسلامي في سياقٍ علمي منظم في لبنان، واستمر متنوعاً حتى وفاة مؤسس الندوة، أواخر عام ١٩٨٤. من ثمراته صدور كتاب «الإسلام» عام ١٩٧٥، وكتاب «الخماسيّة المارونية» في سبعة مجلدات عام ١٩٨٤، في منشورات «الندوة اللبنانية»)[٢].

ويرى أحد المحللين النصارى لمواقف «الندوة اللبنانية» أن تفعيل قضية العلاقات بين المسيحية والإسلام في لبنان بهاتين السلسلتين من المحاضرات في منتصف الستينيات، لمحاولة إرساء تصور مستقل لفكرة «فصل الدين عن الدولة» تخالف التصورات القومية والاشتراكية السائدة منذ الخمسينيات، فيقول ناصيف نصار: (لم تكن فكرة الفصل بين الدين والدولة في أيديولوجيا «الندوة اللبنانية» متطابقة مع معناها في الأيديولوجيات القومية العلمانية... ولذلك لم ينبر محاضرو الندوة للتفكير في كيفية فصل الإسلام والمسيحية عن المجتمع السياسي في لبنان، بل انبروا للتفكير في كيفية إقامة التعاون بينهما، وفي كيفية

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (٣٢ ـ ٣٤).

(٢) عهد الندوة اللبنانية (٢٨ ـ ٢٩) هامش رقم(٣١).

الارتكاز عليهما في سياسة الدولة اللبنانية، من دون وقوعٍ في الدمج بين الدين والدولة...

أما الجوانب التطبيقية، فقد سعت إلى إيجادها تحت مفاهيم الحوار والتفاهم والمصالحة والقيم المشتركة، والمحاضرات الملقاة ضمن سلسلة «المسيحية والإسلام في لبنان»... وسلسلة «العدالة في المسيحية والإسلام»[1].

في هذا السياق جاءت تلك المحاضرات لبعض الزعامات الدينية من الجانبين، في زخمٍ من «الموادة» و«المجاملات» و«المداهنات»، سرعان ما ذهب دفؤها حين هبت رياح العصبية الدينية في السبعينيات.

وقد شهدت السنوات الست السابقة لاندلاع الحرب الأهلية عدداً من المبادرات الإسلامية، دعا إليها مفتي لبنان الشيخ حسن خالد ـ رحمه الله ـ مختلف الطوائف الدينية، وكانت على النحو التالي:

مؤتمر ١٤ شعبان عام ١٣٨٨هـ، الموافق ٢٦ أكتوبر عام ١٩٦٩م.

مؤتمر: «التعاون الروحي»: في ١٢ ذي القعدة عام ١٣٩٠هـ، الموافق ٩ يناير عام ١٩٧١م.

مؤتمر: «التعاون الروحي، والترابط بين جميع الطوائف»: في محرم ١٣٩١هـ، الموافق مارس ١٩٧١م.

مؤتمر ٢٠ رمضان عام ١٣٩٣هـ، الموافق ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٣م.

مؤتمر محرم ١٣٩٥هـ، الموافق فبراير عام ١٩٧٥م، بمناسبة الاحتفال بالسنة الهجرية[2].

---

(١) عهد الندوة اللبنانية (٢٤). مقالة تحليلية للندوة لناصيف نصار.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل الأرقام (١٨، ٢٤، ٢٥، ٤١، ٦٣).

ولم يصدر عن هذه الملتقيات بيانات مشتركة. وبعد اندلاع الحرب: عقد مؤتمران:

مؤتمر: «التعايش والاتحاد الإسلامي ـ المسيحي عنصران أساسيان للبنان»:

عقد في بيروت يوم ٢٨ رمضان عام ١٣٩٥هـ، الموافق ٤ أكتوبر عام ١٩٧٥م بين مختلف القيادات الدينية[(١)].

مؤتمر: «التعايش الإسلامي ـ المسيحي في لبنان»:

عقد في بيروت يوم ٢ جمادى الأولى عام ١٤٠٤هـ، ٢٢ فبراير عام ١٩٨٤م بدعوة من البطريرك إغناطيوس هزيم الأرثذوكسي لمختلف القيادات الدينية[(٢)].

٢ ـ (مجلس كنائس الشرق الأوسط ـ «MECC»):

رغم الاسم الإقليمي لهذا التنظيم الكنسي، إلا أنه في الحقيقة لبناني المولد والنشأة، ومعظم نصاراه الشرقيين من لبنان، وقد تأسس في أواخر مايو عام ١٩٧٤م، من تلاقي عدة حركات ناشطة، هي:

١ ـ مجلس كنائس الشرق الأدنى، الذي تأسس في بيروت من بعض الكنائس البروتستانتية الشرقية عام ١٩٣٢م.

٢ ـ حركة الشبيبة الأرثوذكسية، التي تأسست عام ١٩٤٢م، والتف شبابها حول المطران جورج خضر، مطران جبل لبنان للروم الأرثذوكس.

٣ ـ المكتب المسكوني لشبيبة وطلاب الشرق الأدنى، الذي تأسس عام ١٩٦٢م.

٤ ـ الفرع المشرقي لاتحاد الطلاب المسيحيين العالمي.

---

(١) المرجع السابق تسلسل (٧١).

(٢) المرجع السابق تسلسل (١٣٤).

وقد التقت هذه الحركات في مؤتمرٍ عام في «نيقوسيا ـ قبرص»، وأعلنت تشكيل المجلس الذي كان مشبعاً بالروح القومية، وتيار الثورة الفلسطينية. وتضمنت توصياته الدعوة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، وتكررت في جمعيته العمومية في برمانا عام ١٩٧٧م، نيقوسيا ١٩٨٠م[١].

وقد كان للمجلس دورٌ في التحضير للمؤتمرات العالمية التي عقدت في لبنان، مثل:

مؤتمر: «الانفتاح والتعاون لإزالة التعصب وسوء التفاهم»: المعقود في برمانا عام ١٣٩٢هـ، ـ ١٩٧٢م، بمبادرة مجلس الكنائس العالمي[٢].

مؤتمر: «الإيمان والعلم والتقنية»: المعقود في بيروت عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، بمبادرة من مجلس الكنائس العالمي أيضاً[٣].

مؤتمر: «مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي»:

وقد عقد في بيروت في أتون الحرب الأهلية، بمبادرة من المجلس، والندوة اللبنانية، في الفترة: ٢٤ ـ ٢٦ ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ٣ ـ ٦ نوفمبر عام ١٩٨٠م، وضم خمسة وثلاثين مشاركاً من لبنان والمغرب وأوربا. وصدر عنه بيان مقتضب لا يتضمن أي قضية موضوعية، بل مجرد توصيتين فنيتين بجمع وقائع اللقاء، واقتراح تكوين لجنة متابعة[٤]، مما يكشف عن الوضع المتأزم خلال مرحلة المواجهة المسلحة.

---

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٦٩).
(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي (١١٤٤).
(٣) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي (١١٦٤).
(٤) البيانات المسيحية الإسلامية (١٤٠ ـ ١٤١).

وكان المجلس قد عقد على المستوى الداخلي لأعضائه عدة مؤتمرات لدراسة مستقبل العلاقات الإسلامية المسيحية، في برمانا عام ١٩٧٥م، وأثينا عام ١٩٧٨م، وبيروت عام ١٩٨٠م. ثم شكل في ختام عام ١٩٨٤م فريق عمل استشاري في هذا الشأن عقد مؤتمرات مماثلة في قبرص ـ أثناء الحرب ـ كان أهمها:

مؤتمر: **«الانتماء الديني والمواطنة»**: في أبريل عام ١٩٨٥م.

مؤتمر: **«الدين في المجتمع»**: في أكتوبر ١٩٨٧م.

وفي مطلع عام ١٩٩٠م انضمت الكنائس الكاثوليكية الشرقية إلى المجلس[١]، ليصبح بذلك أول رابطة نصرانية تجمع مختلف الطوائف النصرانية الكبرى: الأرثذوكس، والبروتستانت والكاثوليك، تحت سقف واحد، حفزها نحو تناسي الخلافات والعداوة والبغضاء التي أغراهم الله بها، الخوف من الذوبان في المحيط الإسلامي الذي دبت في أوصاله بوادر صحوة إسلامية واعدة.

وفي حقبة التسعينيات شارك المجلس في العديد من محاولات التقريب والحوار كان منها:

مؤتمر: **«الدين والمواطنية في أوربا والعالم العربي»**: في آيانابا ـ قبرص عام ١٩٩١م، بمبادرة من مركز سليّ أوك ـ برمنجهام ـ كما ذكر في موضعه[٢].

كما شارك مجلس كنائس الشرق الأوسط في تشكيل:

- فريق العمل العربي للحوار الإسلامي المسيحي الذي تكون من:

---

(١) انظر: الحوار الإسلامي ـ المسيحي. ضرورة المغامرة (ص١٧١).

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية، (المملكة المتحدة) (١٢٠٩).

١ ـ الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار، يمثلها: سعود المولى، ومحمد السماك[١].

٢ ـ هيئة مصغرة في القاهرة، من: محمد سليم العوا، وطارق البشري.

٣ ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط، ويمثله: غبريال حبيب، جورج ناصيف، رياض جرجور، طارق متري.

وكان من أبرز أعماله:

المؤتمر: «العالمي الإسلامي المسيحي حول القدس»: الذي عقد في القاهرة في مايو عام ١٩٩٦[٢].

مؤتمر: «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس»:

عقد هذا المؤتمر في بيروت، في الفترة: ٢٨ ـ ٢٩ محرم عام ١٤١٧هـ، الموافق ١٤ ـ ١٥ يونيو عام ١٩٩٦م، بدعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط، حضره مائتان من رؤساء وممثلي الطوائف الإسلامية والنصرانية المشرقية، ومن أبرزهم: مفتي سوريا، ومفتي لبنان، ورئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وبعض العلماء. ومن النصارى بطاركة الأقباط، والروم الأرثذوكس، و الكاثوليك، والسريان، واللاتين، والمارونيين. وقد (توزع المؤتمرون في مناقشاتهم وخطبهم بين الدعوة إلى التأكيد على عروبة القدس ورفض تهويدها، وبين الدعوة إلى إعطاء المدينة الطابع العالمي)[٣]. كما اتسمت الخطب بالصبغة القومية التي تضع المسلمين والنصارى العرب في جبهة واحدة، في مواجهة الصهيونية واليهودية. ومن ذلك:

---

(١) ستأتي الإشارة إلى هذه الهيئة لاحقاً.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٥).

(٣) جريدة الحياة العدد (١٢١٦٥) الأحد ٣٠ محرم ١٤١٧هـ ـ ١٦ يونيو ١٩٩٦م (٢) شؤون عربية.

■ دعا الشيخ محمد مهدي شمس الدين، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان إلى: (ضرورة أن تبقى القدس على صفتها العربية، ونصل إلى المحافظة على المسيرة والهوية بدءاً من دعم الفلسطينيين، مسيحيين ومسلمين لكي يبقوا على أرضهم، وحماية كل مباني القدس التي تحمل سماتها، وإعادة الحياة إلى تراثها، وإنشاء أمانة عامة، إسلامية مسيحية، تتولى الترويج لحماية القدس على مستوى العالم بين المسلمين والمسيحيين).

■ وقال الشيخ يوسف القرضاوي: (هي ليست ملك الفلسطينيين وحدهم، بل هي ملك المسيحيين والمسلمين)!

وفي مقابل هذا التملق للنصارى الذي لم يحلموا به، ولا في حقبة الحروب الصليبية، جاءت تصريحات بطاركة النصارى في المؤتمر جريئة، تشي بما في نفوسهم من أطماع عجزوا عن تحقيقها طوال القرون، وها هي ذي تحظى بمباركة وإقرار من ممثلي هيئاتٍ إسلامية، فمن ذلك:

■ قال بطريرك الكاثوليك، مكسيموس الخامس حكيم: (النتيجة الحتمية الواضحة هي أن القدس لا يمكن أن تكون لدولة واحدة، أو دينٍ واحد من الأديان الثلاثة، بل يجب أن تكون مدينة السلام، وللأديان الثلاثة).

■ قال الكاثوليكس آرام الأول: (بسبب الوجه الديني، والدعوة الخاصة، والصفة العالمية، يجب أن يكون للقدس وضع خاص... يجب أن يعلن عن وجهها العالمي، وصفتها الدينية. والأسرة العالمية يجب أن تكفل ثبوت هذا الوضع وديمومته).

وقد صدر عن هذا المؤتمر الذي وصف بأنه (أهم تظاهرة إسلامية مسيحية لأجل القدس) بيان ختامي، جاء فيه:

(... على مستوى العالم، وعلى المستوى العربي الإسلامي ـ المسيحي، فضلاً عن مستوى أية دولةٍ على حدة، لا توجد سلطة، مهما كانت، لها حق التصرف في هوية القدس المسيحية ـ الإسلامية، وكل قرار من أية جهة محلية أو دولية يمس هذه الهوية باطل لا قيمة، له ولا مشروعية تستمد منه أو تبنى عليه...

ندعو مسلمي ومسيحيي العالم أجمع للوقوف إلى جانب الحقوق الفلسطينية المشروعة، والكنائس وكافة هيئات العالم الإسلامي ومنظماته جميعاً إلى أن يكون تحرير القدس شاغلها الشاغل...)[١].

ما كان أحوج المشاركين المسلمين إلى قراءة التاريخ حتى يتبينوا الطبيعة المزدوجة ذات الوجهين لجلسائهم، بل ما كان أحوجهم إلى قراءة القرآن العظيم، ليدركوا حقيقة التحالفات العارضة، والتحالفات الدائمة التي قررها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٣ ـ (اللجنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار):

كانت وثيقة الوفاق الوطني التي وقعتها مختلف الطوائف والأحزاب اللبنانية في مدينة «الطائف» بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨٩م، إيذاناً بانتهاء الحرب الأهلية المروعة التي دامت قرابة خمسة عشر عاماً، ثم أعقبها إعلان دستور جديد للبنان عام ١٩٩٠م يعيد ترتيب التوازنات السياسية المعبرة عن الكتل الدينية والمذهبية في ذلك البلد.

وخلال السنوات الثلاث اللاحقة، كانت الأجواء غير مستقرة

---

(١) النقولات السابقة جميعاً من المرجع السابق. وانظر في تقويم المؤتمر أيضاً: مجلة البيان عدد (١٠٨) (٦٠ ـ ٦٩).

تماماً بسبب حمى الانتخابات النيابية في بلدٍ لم تضمد جراحه بعد، وبسبب عدوانٍ إسرائيلي جوي على جنوبه، وعلى البقاع الغربي، وأخيراً بسبب حادث تفجير كنيسة سيدة النجاة، مما عرض الوفاق الوطني للخطر، فتنادت المراجع الدينية إلى توثيق الوحدة الوطنية، والعيش المشترك، عبر سلسلة من اللقاءات والمداولات على مدى عامين، كانت مادتها (مسوَّدة ورقة تشخص الشكوى المسيحية). وتكونت لجنة وطنية ـ غير حكومية ـ تمثل مختلف المرجعيات الدينية والمذهبية في ذلك البلد الأمشاج[١].

(إن اللجنة الوطنية هي هيئة مشتركة ممثلة للمرجعيات الروحية في لبنان. تأسست إثر القمة الروحية اللبنانية الجامعة في صرح بكركي)[٢] في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٣م. وكانت مهمة هذه اللجنة أوسع من قضية الحوار الإسلامي ـ المسيحي، إذ كانت مدعوة لتثبيت مبادئ سياسية واجتماعية راهنة، مبنية على ميثاق الطائف والدستور الجديد، ومن ثم تضمنت ورقة اللجنة التي تمخضت عنها تلك اللقاءات على عناوين مثل: «لبنان العيش المشترك»، «العلاقات اللبنانية السورية»، «المقاومة الوطنية»، وأخيراً: «الحوار الإسلامي المسيحي». ومع ذلك فـ(ليس الحوار المسيحي الإسلامي المقصود هنا، الحوار اللاهوتي أو الفقهي، وإن كان من الخطأ تفاديه بالمطلق، أو استبعاده إلى ما لا نهاية، في الشأن الحياتي الذي يضم المسيحيين والمسلمين، والأصح أن الحوار المقصود يقوم اليوم بين المسيحيين والمسلمين، أو بين مسيحيين ومسلمين حول الصيغة السياسية الأفضل لقيام حياة وطنية

---

(١) انظر في هذا: ورقة اللجنة الوطنية الإسلامية ـ المسيحية للحوار. سليمان تقي الدين مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٢٦٧ ـ ٢٧٧).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٩٠). وضاحية «بكركي» مقر البطريرك الماروني، حيث «الموارنة» أكبر الكتل النصرانية في لبنان.

مشتركة، في ظل كيان واحد، وتحت رعاية دولة واحدة)[١].

وقد جاء في نص ورقة اللجنة الوطنية الإسلامية ـ المسيحية للحوار التي وقعها كل من: سعود المولى «شيعي»، محمد السماك «سني»، عباس الحلبي «درزي»، حارس شهاب «ماروني»، كميل منسَّى «كاثوليكي»، غبريال حبيب «أرثذوكسي»، وجان سلمانيان «أرمني أرثذوكسي»، وأذيعت في الخامس من يناير عام ١٩٩٥م ما يلي:

(الحوار المسيحي الإسلامي: إن العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين بجميع طوائفهم هو قيمة لبنان الكبرى، وهو رسالة لبنان إلى العالم، من حيث إنه نموذج حياة، ومن حيث إنه علاقة حوار دائم بين العالمين المسيحي والإسلامي، وصلة تواصل لإغناء القيم الإنسانية التي تطبعها هاتان الرسالتان السماويتان بطابعهما...

إن التآخي الوطني بين المسيحيين والمسلمين في لبنان ليس مجرد التزام تفرضه مرتكزات العيش المشترك، وضرورة تجنب الفتنة، ولكنه قدر وخيار، ومهمة إنسانية نبيلة، تجعل من لبنان صاحب رسالةٍ عالمية...

من أجل ذلك تدعو «اللجنة الوطنية الإسلامية ـ المسيحية للحوار» إلى اعتماد الأمرين التاليين:

الأول: وجوب إجراء مراجعة وطنية شاملة في ضوء المعطيات التي تجمعت خلال السنوات الأربع التي تلت تصديق وثيقة الوفاق الوطني...

الثاني: الدعوة لتحويل هذه اللجنة التي تمثل المرجعيات الروحية المسيحية والإسلامية كافة، إلى مؤسسة وطنية يكون هدفها: استباق أي

(١) ورقة اللجنة الوطنية. سليمان تقي الدين. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٢٧٤).

خلل تتعرض له الحياة المسيحية ـ الإسلامية المشتركة داخل لبنان، واقتراح الحلول والمعالجات لمنع انعكاس أحداث خارجية ذات بعدٍ طائفي أو مذهبي على وحدة اللبنانيين، وإبراز الروح المدنية. . .

إن عالم الغد يبنى على حوار الحضارات، وحوار الحضارات يقوم أساساً على حوار الرسالات السماوية التوحيدية، وهذا ما يجسده لبنان عبر الحياة المشتركة بين أبنائه)[١].

إننا نسلم بالوضع المتميز للبنان، حيث المسلمون والنصارى متكافئون عددياً على رقعة جغرافية صغيرة، ولكننا نشك في الدعاوى العريضة التي تحملها الورقة عن «العيش المشترك»، و«رسالة لبنان إلى العالم»، و«مهمته الإنسانية النبيلة»، وما تنفثه هذه الكلمات العطرية التي لا تقوى على إخفاء رائحة البارود!

لقد كانت ورقة اللجنة الوطنية تعبيراً عن الخوف من انتكاس مشروع العيش المشترك، والعودة إلى كابوس الحرب التي اصطلى جميع الفرقاء بنارها. ومع ذلك لم تتمكن اللجنة من تفعيل الحوار الإسلامي ـ المسيحي، والارتقاء إلى مستوى مؤسسة وطنية جامعة، وعاد التشرذم يرتدي ثوب الحوار، حيث سعت معظم الكتل الدينية إلى تأسيس مراكز ومعاهد للحوار، ذات صبغة بحثية علمية، تنتمي إلى مؤسسات طائفية معروفة، أو تطوير معاهد سابقة لتواكب مرحلة الحوار، والعيش المشترك في منتصف التسعينيات.

وفضلاً عن ذلك فقد جاء «النداء الأخير» الصادر عن سينودس الأساقفة الكاثوليك «المجمع الراعوي من أجل لبنان»، المنعقد في الفاتيكان ـ روما ـ في الفترة ٢٦/١١/١٩٩٥م ـ ١٤/١٢/١٩٩٥م

---

(١) انظر النص الكامل للورقة في: الحوار الإسلامي ـ المسيحي ضرورة المغامرة (١٨٣ ـ ١٨٩)، ومجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢).

مسكوناً بروح التشاؤم والانكماش، والخوف من فقدان الهوية النصرانية، والاضمحلال الثقافي للكنائس الشرقية، من جراء الانخراط في المشاريع الوطنية الجامعة، والإلحاح على قضية الجماعات المتمايزة منذ القِدم، وتعدد ثقافاتها، مما يشكك في دعاوى «العيش المشترك»، و«بلد الحوار»، فضلاً عن «رسالته إلى العالم»[١].

٤ ـ (معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية):

ينتمي هذا المعهد إلى «جامعة القديس يوسف» في بيروت. وقد جاء في نشرة تعريفية صادرة عنه، ما يلي: (أنشئ معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية سنة ١٩٧٧، ليلبي الحاجات الناتجة عن المأساة التي ألَمَّت بلبنان آنذاك، ويرمي إلى التعاطي مع الإسلام والمسيحية تعاطياً جديداً، انطلاقاً من الحقائق الأساسية التي يمتاز بها هذان التراثان، وهو يسعى إلى عرض التراث الثقافي الإسلامي، والتراث الثقافي المسيحي عرضاً أميناً وداخلياً ـ أي كما يفهمها أبناؤهما ـ مع اعتماده أسلوباً عصرياً، وفضلاً عن ذلك يود المعهد أن يأخذ على عاتقه تعميق التفاهم بين الإسلام والمسيحية، من غير أدنى تحيز لجهة على أخرى. . .

يقدم المعهد مجموعة من الدروس السنوية أو الفصلية، ومن المحاضرات، التي يقدم فيها الأساتذة والمحاضرون، المسلمون أو المسيحيون، حصيلة إيمانهم، بين يدي موضوعٍ مشترك، أو قضية مشتركة، ويتضمن برنامجه حلقات دراسة وبحثٍ تتناول موضوعات مشتركة بين التراثين الدينيين، وتنشر نتائج أبحاثها عند الاقتضاء)[٢].

---

(١) انظر في نقد بيان السينودس مجلة الاجتهاد (٣٠/ ٧ ـ ٢٢) الفضل شلق (٣١، ٣٢/ ٢٥ ـ ٣٤) رضوان السيد.

(٢) نشرة صادرة عن المعهد (١، ٢) ورسالة جوابية لدى المؤلف.

وعلى سبيل المثال تضمن برنامج السنة الجامعية ١٩٩٦ ـ ١٩٩٧م للمعهد المواد التالية:

١ ـ دروس: مدخل إلى العقيدة المسيحية والعقيدة الإسلامية، يلقيها اثنان من الآباء اليسوعيين، و«شيخ» مسلم.

٢ ـ حلقات دراسية: تضم اثني عشر طالباً تمت مقابلتهم سلفاً مع الأستاذ وهي:

أ ـ الفلسفة الأخلاقية في القرنين العاشر والحادي عشر. مقارنة بين الغزالي، ويحيى بن عدي.

ب ـ شروط لـ«عيش مشترك».

٣ ـ محاضرات أسبوعية في القضايا الأخلاقية الحياتية.

٤ ـ مركز توثيق: مختص بالعلاقات الإسلامية المسيحية[1].

وقد صدر عن المعهد كتابان يصبان في أهدافه في مجال الحوار، هما:

١ ـ طريقة التحليل البلاغي والتفسير. تحليلات نصوص من الكتاب المقدس، ومن الحديث النبوي الشريف. اشترك في تأليفه أربعة من منسوبي الجامعة والمعهد. طبع عام ١٩٩٣م.

٢ ـ البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من ١٩٥٤م/١٣٧٣هـ إلى ١٩٩٢م/١٤١٢هـ نصوص مختارة. جمعتها جولييت حداد. طبع عام ١٩٩٥م[2].

٥ ـ (مركز التراث العربي المسيحي للتوثيق والبحث والنشر) «CEDRAC»:

يتبع هذا المركز جامعة القديس يوسف، أيضاً، وقد شُرع في تأسيسه عام ١٩٨٦م، ودُعي للاضطلاع بهذه المهمة الأب سمير خليل

(١) نشرة صادرة عن المعهد.

(٢) وقد أفدت منه كثيراً في مادة هذا الفصل.

اليسوعي[1]، ولكن ظروف الحرب الأهلية حالت دون التنفيذ حتى عام ١٩٩١م. (أما الهدف من المشروع فيتمثل في إحياء التراث العربي، لاكتشاف الهوية المسيحية، العربية من جهة، وبناء مشروع مشترك إسلامي ـ مسيحي، يرتكز على الفكر العربي من جهة أخرى).

وحتى تظهر العلاقة بين هذين الهدفين؛ التراث، والحوار، يقول الأب سمير خليل: (إن كلمة «عربي» التصقت دوماً بالمفهوم الإسلامي في الغرب والشرق، فبان الفكر العربي مرادفاً للفكر الإسلامي، وهذا ينم عن جهل وعدم معرفة، وذلك في غياب معاهد وكليات تدرس التراث العربي المسيحي، الأمر الذي يؤدي إلى تحريفٍ تاريخي خطير. فخلال القرون الأربعة الأولى للهجرة «حتى عام ١٠٥٠م» قامت الحضارة العربية الإسلامية على نتاج المسيحيين العرب، سواء في الطب أو الفلسفة أو الرياضيات. وتدرب المسلمون شيئاً فشيئا على أيدي المسيحيين وتفوقوا، فظهرت الحضارة الإسلامية. وحتى النتاج الفكري في العصر الذهبي في القرن العاشر، معظمه للمسيحيين، وكتاب «الفهرست» لابن النديم «١٩٩٦م» يُظهر أن غالبية المؤلفات تعود إلى مفكرين مسيحيين.

من هنا يتبين لنا أننا نعجز عن فهم الحضارة العربية الإسلامية،

---

(١) سمير خليل جريس. ولد في القاهرة عام ١٩٣٨م. تخصص بدراسة التراث العربي النصراني القديم منذ عام ١٩٦٣، وأصدر مجلة في هذا الصدد عام ١٩٧٦م، ثم أصدر بضعة مجلدات بعنوان «التراث العربي المسيحي». وقد شغل مناصب دينية وعلمية لدى الفاتيكان:
أستاذ اللاهوت العربي المسيحي في المعهد البابوي للدراسات الشرقية PIO.
أستاذ الإسلاميات في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية PISAI.
مستشار الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين ـ المجمع البابوي للحوار بين الأديان ـ لاحقاً ـ عن وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٠٩).

من دون العودة إلى المسيحيين. فالتفاعل بين الحضارتين ولَّد النهضة العربية العباسية التي نمت بفضل تفاعل الفكر المسيحي مع السلطة الإسلامية، وإلى حدٍ ما مع نتاج المفكرين المسلمين. وكذلك في القرن ١٩ ارتكزت النهضة على نتاج المفكرين المسيحيين، وخصوصاً في لبنان والشام، الذين انفتحوا على الحضارات الغربية، وهذه ظاهرة واضحة تاريخياً لا يمكن إنكارها...

ويرمي المركز على المدى البعيد إلى خلق حوار مسيحي - إسلامي على الصعد الثقافية والعلمية والفكرية، باعتبار أن التوصل إلى تفاعل حضاري عميق يحقق النهضة التي نحتاج إليها اليوم بإلحاح)[1].

إن هذا التصريح لأحد أقطاب النصارى العرب، ليكشف عن أحد الأهداف المرحلية التي تسعى إليها هذه المؤسسات العلمية الحوارية، ومعاهد الدراسات والبحوث؛ إنها تحاول جاهدة أن تنفخ في صورة النصارى العرب الذين طواهم التاريخ الإسلامي حين لم يقبلوا ما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ من الهدى والعلم، ولم يرفعوا بذلك رأساً، كما صنع سائر العرب الذين أكرمهم الله بإيمانهم، فكانوا خير أمةٍ أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله. وهذه الخصال الثلاث - لعمر الله - عمدة الحضارة الإسلامية، فصاروا سادة الدنيا وأئمة الدين، وقبع من لم تسبق له من الله الحسنى من نصارى العرب وغيرهم خدماً للمسلمين الفاتحين؛ ما بين منجِّم ونطاسيّ ونجار وحَسَّاب، فيما يصفه سليلهم الأب سمير خليل اليسوعي أساساً للحضارة الإسلامية. وليت شعري كيف لم تثمر هذه الحرف والصنائع حضارة نصرانية عربية للغساسنة ونصارى تغلب، حين كان يستعملهم علوج الروم والفرس على بعض الأقاليم؟

---

(١) جريدة النهار البيروتية، عدد ١٩٨٠٩/أغسطس ١٩٩٧. (مراكز الحوار المسيحي الإسلامي).

إن الحضارة الإسلامية الحقة، هي حضارة عهد النبوة والقرون الثلاثة الفاضلة التي اعتمدت على الوحيين، الكتاب والسنة، ولم يدب الضعف والخور والفرقة في المسلمين إلا حين تسلل هؤلاء إلى مجالس الخلفاء، وزينوا لهم ترجمة كتب اليونان وفلسفتهم، وصرفوهم عن علوم الكتاب والسنة، فيما يسميه الأب سمير خليل «العصر الذهبي» وكذلك كان الحال في القرن التاسع عشر والعشرين، حين احتضن نصارى الغرب إخوانهم نصارى الشرق، من أمثال هذا الرجل، وصنعوهم على أعينهم في بلادهم، وأعادوا تصديرهم إلى بلاد المسلمين المتخلفة في الجوانب المدنية لينفثوا سموم المستشرقين وأفكارهم الحاقدة.

إن الهدف من تضخيم دور النصارى في تاريخ الحضارة الإسلامية ـ كما يحاول عبثاً ـ مدير مركز التراث العربي المسيحي هو محاولة وضع شراذم النصارى الشرقيين في موضع النديّة على مائدة الحوار الإسلامي المسيحي بدعوى أنهم عنصر الإبداع، وروح النهضة، ونحو هذه العبارات التي ما ملَّ هؤلاء الأدعياء من تردادها، مع ما تحمله من ازدراء للسواد الأعظم من الأمة العربية المسلمة، حسداً من عند أنفسهم.

٦ ـ (مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي «CERDIC»):

ينتمي هذا المركز إلى معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت في لبنان ـ حريصا ـ حيث أسند إليه المجمع العام للجمعية البولسية، الكاثوليكية الاتجاه، مهمة إنشائه عام ١٩٩٥م، تمشياً مع توجيهات المجمع الفاتيكاني الثاني. ويشرف على المركز مجلس مكون من:

١ ـ البرفسور: عادل تيودور خوري(١).

(١) من مواليد جنوب لبنان عام ١٩٣٠م. درس الفلسفة واللاهوت في معهد=

٢ ـ الأب مشير باسيل عون، مدير المركز[١].

٣ ـ مدير معهد القديس بولس.

ويحدد مدير المركز وظيفته بأنه (يعنى بتعزيز الحوار الفكري الأكاديمي البحت، الرامي إلى إظهار مواضع التعاون والتكاتف بين المسيحية والإسلام... ـ وأنه ـ منعتق في بنيته الفكرية من كل أيديولوجية سياسية، ومن كل تسلط خارج عن نطاق إلهامات الفكر الحر الذي يعضده روح الحق، وهو لذلك لا ينقاد إلا لما يمليه عليه إيمانه المسيحي، يحرص أن يختبره في أوسع مدلولٍ له، وأعمق انتشار له، في مطاوي استفهامات البشر وتساؤلاتهم)[٢].

وهو كلامٌ يمتح من بئر المجمع الفاتيكاني الثاني الذي وسع مفهوم الخلاص ليشمل عناصر لا تنتمي إلى الإيمان الكاثوليكي التقليدي، بدعوى أن روح القدس يعمل بطريقة خفية في الآخرين الذين

= القديس بولس. ورسم كاهناً عام ١٩٥٣م. وهو أستاذ في اللاهوت الكاثوليكي، وباحث في الإسلاميات، والعلاقات الإسلامية المسيحية. عمل أستاذاً في كلية اللاهوت الكاثوليكية بجامعة هونستر الألمانية، ومديراً لمعهد علوم الأديان المقارنة. ومستشاراً في المجمع البابوي للحوار بين الأديان، وعضواً في معهد القديس جبرائيل للاهوت الأديان في مودلنغ ـ النمسا. ومن مؤلفاته: اللاهوتيون البيزنطيون والإسلام ٣ مجلدات، السماحة في الإسلام، الإسلام في عقيدته ونظامه ومطالبه، الأقليات في الخارج، هكذا تكلم النبي: مقتطفات من الحديث، ماذا يجري في العالم الإسلامي؟، الإسلام يقترب منا، وترجمة القرآن الكريم إلى الألمانية، وتفسير كبير للقرآن في عدة مجلدات. انظر مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٤١٢).

(١) كاهن كاثوليكي من لبنان. أستاذ الفلسفة في معهد القديس بولس، انظر مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ٤٢٣) ولد عام ١٩٦٤م، وسيم كاهناً عام ١٩٩٢م. له أربعة كتب معربة ومؤلفات بالفرنسية.

(٢) العدل في المسيحية والإسلام (٥، ٦).

يتلمسون الحقيقة الكاملة في مطاوي استفهاماتهم وتساؤلاتهم، كما يعبر الأب مشير باسيل عون.

أما البواعث المحلية والمرحلية لإنشاء المركز، فيبررها بقوله:

(.. في حين شرع الإسلام في أوربا وأمريكا في يقظته الفكرية الحديثة حيث يعي وعياً أشد تطلباً لهويته ودوره، بتنا نشهد في لبنان والشرق الأوسط ظهور مذاهب أصولية متزمتة، منكمشة على ذاتها، وأمام هذا التحدي صممت جمعية الآباء البولسيين على تخصيص قسطٍ من طاقاتها وجهودها للبحث عن سبل جديدة للحوار تراعي تقلبات التاريخ، ومتطلبات الوضع الثقافي العالمي الحديث)[١].

وأبرز مناشط «مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي» في حريصا ـ لبنان ـ إصدار سلسلة من الكتب تحت عنوان: «المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون» تهدف إلى إبراز جوانب التشابه والمقارنة، وتستكتب شخصيات نصرانية دينية، وإسلامية عصرانية، صدر منها حتى الآن:

١ ـ العدل في المسيحية والإسلام. لمجموعة من الكتاب من الجانبين. طبع عام ١٩٩٦م.

٢ ـ الإسلام والغرب، الإسلام والعلمانية. لبولس الخوري. طبع عام ١٩٩٦م، ١٩٩٧م.

٣ ـ سلام للبشر. مجموع محاضرات ألقاها مسلمون ونصارى في مؤتمر مودلنغ. طبع عام ١٩٩٧م[٢].

٤ ـ بين المسيحية والإسلام: بحث في المفاهيم الأساسية. لمشير باسيل عون. طبع عام ١٩٩٧م.

---

(١) جريدة النهار البيروتية. عدد (١٩٨٠٩) ١ أغسطس ١٩٩٧م.

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية (النمسا).

٥ ـ الإصغاء إلى كلام الله في المسيحية والإسلام، مجموع محاضرات ألقاها مسلمون ونصارى في مؤتمر مودلنغ عام ١٩٩٠م[1]. طبع عام ١٩٩٧م.

٦ ـ الإسلام في عقيدته ونظامه، لعادل تيودور خوري.

٧ ـ مقالات لاهوتية في سبيل الحوار. لمشير باسيل عون. طبع عام ١٩٩٧م.

٨ ـ الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام. مجموع مقالاتٍ لكتَّابٍ من المسلمين والنصارى. طبع عام ١٩٩٩م.

٩ ـ تراثٌ وحداثة ـ قراءة للفكر العربي العالمي لبولس الخوري. طبع عام ١٩٩٧م. وقد تمت طباعة هذه السلسلة في المكتبة البولسية ـ جونية ـ لبنان.

٧ ـ (مركز الدراسات المسيحية الإسلامية):

ينتمي هذا المركز إلى جامعة البلمند، التي تتبع الطائفة الأرثذوكسية في لبنان، وقد تأسس عام ١٩٩٥م، إثر حلقة استشارية دعت إليها الجامعة، والتأمت في الفترة: ٢٤ ـ ٢٧ مايو عام ١٩٩٥م، (شارك في الندوة عددٌ من ممثلي المراكز الجامعية التي تعنى بهذه الدراسات في لبنان والعالم العربي وأوربا والولايات المتحدة، فضلاً عن بعض المختصين في لبنان والخارج، والأساتذة من جامعة البلمند)[2] بلغت عدتهم سبعة وثلاثين مشاركاً، قدموا من اثني عشر بلداً.

---

(١) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية (النمسا).

(٢) دورٌ ورؤية: جامعة البلمند ـ مركز الدراسات المسيحية الإسلامية. المطبعة الكاثوليكية. عاريا ـ لبنان. طبعة ١٩٩٦م. (٧).

وقد تشكل للمركز مجلس إدارة مكون من نصارى ومسلمين، يتولى وضع خطة عمل سنوية ويتابع تنفيذها، ضمن أهداف المركز المعلنة:

(١ ـ درس تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية وتطورها، والتركيز على خصوصيات العالم العربي، انطلاقاً من التجربة اللبنانية في هذا المجال.

٢ ـ تطوير الحوار الإسلامي المسيحي على كل الصعد.

٣ ـ تقديم منهج أكاديمي يؤدي إلى نيل شهادة الكفاءة في العلاقات المسيحية ـ الإسلامية.

٤ ـ فهم مبادئ العيش المشترك، وإغناؤها، انطلاقاً من التجربة اللبنانية، والتفاعل بين طريقتي التفكير الإسلامية والمسيحية)[١].

ويرى الأرثذوكس العرب أنهم أقرب الطوائف النصرانية إلى المسلمين بسبب التاريخ المشترك، ومعاناة العدوان الصليبي اللاتيني على حدٍ سواء، كما يردد ذلك المطران جورج خضر في طروحاته[٢]. ومن ثم يدلون بهذه الخصوصية في إنشاء هذا المركز، فيقول د. طارق متري، منسق أعمال الندوة الاستشارية في مسرد مبررات إنشائه:

(والجامعة معنية بوصفها مؤسسة ترعاها الكنيسة الأنطاكية الأرثذوكسية، بمساهمة المسيحيين الشرقيين العرب، إلى جانب المسلمين في بناء المجتمع والنهوض الثقافي. وهي تعي أهمية التجربة التاريخية للأرثذوكس العرب في علاقاتهم بالمسلمين)[٣]. ثم يخلص إلى القول (... لعل أولى خصائص المركز أن يأتي من البداية إسلامياً

(١) مجلة النهار البيروتية عدد (١٩٨٠٩) ١ أغسطس ١٩٩٧م.
(٢) انظر الباب الأول، مبحث النصارى العرب. (٤٣١).
(٣) دور ورؤية (٢٩ ـ ٣٠).

ـ مسيحياً، في التخطيط والتمويل والإشراف والتنفيذ)[1] يتضح ذلك بالمقارنة بسابقيه.

وقد صدر عن المركز ثلاثة كتب:

١ ـ دور ورؤية: ويتضمن وقائع الندوة الاستشارية التي أنشأته. طبع عام ١٩٩٦م.

٢ ـ المسيحية والإسلام مرايا متقابلة: ويحوي نصوص المحاضرات التي نظمها المركز عام ١٩٩٦م لكلٍ من: د. رضوان السيد، الأب: سمير خليل، المطران كيرلس بسترس، الأستاذ: محمد السماك، د. طارق متري، حول: الفكر الإسلامي والمسيحية، والفكر المسيحي والإسلام. وقد طبع عام ١٩٩٧م.

٣ ـ نحو الجدال الأحسن: وهو تسجيل لمحاورات إسلامية نصرانية في مجال العقيدة والدعوة، بين الدكتور: محمود أيوب، من جامعة تمبل في ولاية فيلادلفيا الأميركية، والمطران جورج خضر. طبع عام ١٩٩٧م.

وقد عقد المركز حلقة دراسية شارك فيها مسلمون ونصارى حول «الدين والدنيا» عام ١٩٩٦م. كما عقد المركز حلقة دراسية في صيف عام ١٩٩٧م في الفترة: ١٨ ـ ٢٧ أغسطس. بعنوان: (النظرات المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين)، تضمنت تتبع هذه النظرات خلال عهود زمنية متعددة، وفي مواقع معينة، ومن خلال كتابات أدبية وقصصية وفقهية[2].

ويتبع المركز وحدة مستقلة تعنى برصد ظاهرة الطائفية في لبنان

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عن نشرة صادرة عن المعهد بعنوان: «برنامج الحلقة الصيفية. النظرات المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين».

على الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تعرف بـ: «مرقب العيش المشترك»، يقوم عليها باحثون من الجانبين، يمثلون خلية بحث لتتبع حال العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية في لبنان، وتحليل النتائج، دون أن يكون المرقب طرفاً في الحوار[1].

أما على الصعيد الإسلامي في لبنان فلا يوجد مراكز متخصصة، أو معاهد بحوث متفرغة لدرس قضية الحوار، على غرار ما لدى الجانب النصراني، وإنما يوجد هيئات أو معاهد تعليمية تولي اهتماماً لقضية التقارب والحوار، وتضم أفراداً يمثلون مرجعيات مذهبية، أو مفكرين ليبراليين يتكررون في معظم التشكيلات التي تتفتق في لبنان. فمن ذلك:

٨ ـ (المعهد العالي للدراسات الإسلامية):

وهو معهد ديني شرعي يتبع «جمعية المقاصد الخيرية» العتيقة، لأهل السنة في لبنان، وقد أنشئ المعهد عام ١٩٨١م، وتبعته كلية الدراسات الإسلامية عام ١٩٨٩م.

ويدير المعهد الدكتور: رضوان السيد، ويرتبط بعقدٍ مع جامعة القديس يوسف، يقضي بتبادل الأساتذة، وتقرير دراسة الدين الآخر. فيقوم مثلاً الأب: سمير خليل اليسوعي بتدريس مادة «المسيحية» لطلاب المعهد، بل ويذهب طلاب المعهد إلى الجامعة لدراسة النصرانية، ويقوم بعض شيوخ المعهد مثل د. مروان قباني، ورفيق العجم، وعلي دحروج، بالتدريس في معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية التابع لجامعة القديس يوسف، كما أشرنا آنفاً.

---

(١) جريدة النهار البيروتية العدد (١٩٨٠٩) ١ أغسطس ١٩٩٧م.

٩ ـ (الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار):

تأسست بمبادرة من رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الذي أسس قبل ذلك: «الأمانة العامة الدائمة للقمة الروحية الإسلامية» عام ١٩٩٣م[١]، في محاولة لتكوين موقف «إسلامي» لبناني موحد يمثل مختلف الطوائف المنتسبة إلى الإسلام في لبنان، في وقت كانت تجري فيه اجتماعات متزامنة للجنة الوطنية للحوار، واجتماعات للمجمع الراعوي من أجل لبنان «السينودس».

وهكذا فإن «المعهد العالي» يمثل ذروة المحاولات الإسلامية اللبنانية للتقارب على الصعيد العلمي، و«الهيئة» تمثل ذلك على الصعيد السياسي، وهي محاولات لا تقارن بما أنجزه الجانب النصراني. ويرى الدكتور رضوان السيد أن عدم حماس المسلمين لتأسيس المراكز ومعاهد الحوار يرجع إلى سببين:

■ (شكوكهم ـ المسلمون ـ في دعاة الحوار، لارتباط أذهانهم منذ أكثر من مائة عام بمسائل التبشير والاستعمار. . .

أن الحوار كحوار لم يصبح جزءاً مهماً من ثقافتنا. . .)[٢].

وقبل أن نغادر هذا البلد الذي يمثل «أنبوبة اختبار» للعلاقات الإسلامية المسيحية في قلب الأمة الإسلامية، وتتبارى فيه مراكز الحوار ومؤسساته، نثبت ملاحظاتٍ على مسيرة الحوار للأب جورج مسوح، مدير مركز الدراسات المسيحية الإسلامية بجامعة البلمند: (ومن غرائب الأمور أن يحكى عن الحوار الإسلامي المسيحي، أي الحوار بين ديانتين، أي بين عقيدتين، والموضوعات التي قلما تطرح هي الأمور

---

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٥).

(٢) جريدة النهار البيروتية. العدد السابق.

اللاهوتية العقائدية، فالكلام حالياً في موضوعات عقائدية مسيحية كالثالوث، وصيرورة الله إنساناً في شخص يسوع المسيح (أو عيسى ابن مريم)، وكيفية تقبل المسلمين هذه العقائد المسيحية، لأمر لا يتطرق إليه إلا عرضاً. كذلك الأمر في ما يعود إلى قضية نبوءة محمد ورسالته، وكيف يفهم المسيحيون هذه النبوءة، لأمر يعتبر من المحرمات التي لا يجوز الجهر بها.

ومن الملاحظ أيضاً أن الحوار الذي تم في «الندوة اللبنانية»، وهو حوار غير رسمي ولا تمثيلي، عام ١٩٦٥م، وقد تطرق إلى موضوعات لاهوتية عميقة، بينما اكتفى حوار اللجنة الوطنية، وهو حوار رسمي وتمثيلي للطوائف، بالشؤون الوطنية.

لا شك أخيراً أن الحوار الحقيقي لم يبدأ بعد، ذلك أن الهواجس والمخاوف التي تمنع التلاقي ما زالت تخيم في الأجواء، الخطاب السائد في البلاد اليوم خطاب ظاهره وطني، وباطنه طائفي متقوقع)[١].

٢ ـ الأردن:

تجري في الأردن ذات الأربعة ملايين نسمة تقريباً، ٦٪ منهم نصارى، حركة نشطة للتقريب بين الإسلام والنصرانية، على المستوى المحلي والعالمي، تحظى باهتمام ودعم رسمي أدى إلى مشاركةٍ فعالة من قبل بعض الهيئات الثقافية، وتأسيس هيئاتٍ أخرى متخصصة للحوار الإسلامي المسيحي، ومن أبرزها:

١ ـ **(ميدان الفكر العربي)** وقد شاركت مؤسسة آل البيت ـ الآتي ذكرها ـ ومركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في عقد:

---

(١) ملحق جريدة النهار ١٠/٥/١٩٩٧م.

مؤتمر: «اليقظة الإسلامية، وتساؤلات الأمة العربية»: الذي عقد في الفترة: ١٣ ـ ١٦ رجب عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٤ ـ ١٧ مارس عام ١٩٨٧م، بمشاركة خمسين مفكراً من المسلمين والنصارى[١]. كما شاركت كنيسة «وندسور» الإنجليكانية في عقد:

مؤتمر: «ممارسة البنوك وفقاً للإسلام والمسيحية»: في ماعين ـ الأردن ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م[٢]. ويبدو أن هذه المؤسسة تنتمي إلى حقبة القومية العربية المنصرفة. وقد برزت بعد ميدان الفكر العربي:

٢ ـ (مؤسسة آل البيت «مآب» المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية): ورئيسه الأعلى الأمير الحسن بن طلال، ولي عهد الأردن ـ سابقاً ـ، الذي يبدي اهتماماً ملحوظاً بالعلاقات الإسلامية النصرانية، ورئيسه المباشر الدكتور ناصر الدين الأسد.

وقد سبقت الإشارة إلى جملة من مشاركاته الفعالة مع الكنيستين الكاثوليكية والإنجليكانية، التي بلغت تسعة مؤتمرات[٣]. ونضيف هنا مشاركاته مع الأرثذوكس:

مؤتمر: «السلطة في المسيحية والإسلام»:

عقد في «شامبيزي ـ سويسرا» في الفترة: ١٤ ـ ١٦ ربيع الأول عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٧ ـ ١٩ نوفمبر عام ١٩٨٦م مع المتروبوليت «دمسكينوس»، والمطران جورج خضر.

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٨٥).

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية، (المملكة المتحدة) (١٢٠٥).

(٣) انظر: المبحث الثاني والثالث من هذا الفصل.

مؤتمر: «التعايش الإسلامي المسيحي، والقيم الإنسانية المشتركة»:

عقد في عمان في الفترة: ٢٩ ربيع الأول ـ ٢ ربيع الآخر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٤ نوفمبر عام ١٩٨٧م، مع مركز «شامبيزي» الأرثذوكسي، بحضور ثمانين مشاركاً.

مؤتمر: «السلام والعدالة»:

عقد في «شامبيزي» في الفترة ٣ ـ ٦ جمادى الأولى عام ١٤٠٩هـ، الموافق ١٢ ـ ١٥ ديسمبر عام ١٩٨٨م.

مؤتمر: «التعددية الدينية»:

عقد في «إستنابول ـ تركيا) في الفترة: ٩ ـ ١٣ صفر عام ١٤١٠هـ، الموافق ١٠ ـ ١٤ سبتمبر عام ١٩٨٩م، بالاشتراك مع مركز شامبيزي المسكوني، وجامعة إنكلترا[١].

وإلى جانب هذه المؤتمرات الإسلامية ـ النصرانية، قام المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية «مؤسسة آل البيت» بعقد مؤتمراتٍ إسلامية ذات صلة، وبحوثٍ متخصصة كان أهمها:

■ مشروع بحوث: (معاملة غير المسلمين في الإسلام) ١٤٠٣ ـ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٩م. وتضمن أحد عشر بحثاً، صدرت في مجلدين عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

■ مؤتمر: «المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر»: الذي شغل الدورة العاشرة للمجمع في الفترة ٧ ـ ٩ صفر عام ١٤١٦هـ، الموافق ٥ ـ ٧ يوليو عام ١٩٩٥م. وقدمت إليه سبعٌ وعشرون دراسة، صدرت في مجلدٍ واحد عام ١٩٩٦م.

---

(١) انظر عن المؤتمرات الأربعة السابقة: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل الأرقام (١٧٨، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٦).

٣ ـ (المعهد الملكي للدراسات الدينية):

هو من أحدث مؤسسات الحوار في الأردن ـ وربما في العالم ـ حيث أسس في شهر يوليو عام ١٩٩٤م، بمبادرة، وإشراف الأمير الحسن بن طلال، وإدارة الدكتور: كمال الصليبي، و(هدفه الرئيسي: تعميق الفهم المتبادل بين الإسلام والمسيحية، عن طريق الأبحاث والحوار العلمي، وتوضيح أن المسيحية جزء من تاريخ العرب وحضارتهم، وتشجيع حوار الأديان بشكل عام). وقد جاء في نشرته التعريفية ما يلي:

(إن المعهد يوفر الوسائل والإمكانات لدراسة المسيحية، مع التركيز على المسيحية في البلاد العربية والإسلامية، وهو أيضاً يوفر الوسائل والإمكانات لدراسة اليهودية، والعلاقات اليهودية ـ الإسلامية.

يتضمن برنامج المعهد أبحاثاً وإصدارات، وتنظيم محاضرات وندوات ومؤتمرات في حقلي الدراسات المسيحية، والدراسات اليهودية، وعلاقتهما المباشرة، وغير المباشرة بالعالمين العربي والإسلامي، إن المعهد، يشجع زيارات يقوم بها علماء مهتمين (هكذا) باختصاص المعهد لاطلاعهم على أعمال المعهد، وكذلك على معالم الأردن.

لقد تم استحداث برنامج للحوار يهدف إلى المحافظة على الزخم الذي سبق أن أطلق في مجالات العلاقات بين المسلمين والنصارى واليهود. ويشجع هذا البرنامج على إرساء قواعد التعاون بين الأديان مع المعاهد الأخرى التي لها توجهات مشابهة، ولإنجاح هذا التعاون والحوار تم تبنّي مقاربة وثيقة الصلة بحاجات المجتمعات الحديثة، ومتطلباتها الحالية والمستقبلية. ولهذا الهدف، فقد جرى التوكيد على النواحي المشتركة في الديانات الثلاث)[1].

---

(١) عن النشرة التعريفية الصادرة عن المعهد باللغتين العربية والإنكليزية.

لقد أنشئ المعهد ليواكب «حاجات المجتمعات الحديثة» التي لا تتسع لها طروحات ميدان الفكر العربي القومية الداعية إلى إلقاء إسرائيل في البحر، كما كان يردد أساطين الفكر القومي، ويهتفون ضد أوربا وأمريكا النصرانيتين، ولا تتلائم معها أطر مؤسسة آل البيت، ومشاريع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مهما قدمت من «تسامح» في معاملة غير المسلمين. فجاء هذا المعهد إثر توقيع معاهدات السلام مع إسرائيل ليساهم في عملية «التطبيع» بين شعوب المنطقة، في أحرج جوانب التطبيع وأشقها، وهو التطبيع الديني.

وفي سبيل تحقيق أهدافه، قام المعهد بجملة من المناشط المكثفة:

أولاً: برنامج حوار الأديان: ويعنى بعقد مؤتمراتٍ بين مختلف الأديان، جرى منها:

مؤتمر: «النظرة المتبادلة بين الإسلام والمسيحية عبر التاريخ»:

عقد في عمّان في الفترة: ٢١ ـ ٢٤ أغسطس عام ١٩٩٥م، بمشاركة عددٍ من الباحثين والأكاديميين، وقد نشرت بعض الأوراق المختارة في مجلة كليات سلّي أوك في بيرمنغهام Islam and Christian - Muslim Relations في عدديها الأولين لعام ١٩٩٦م[١].

مؤتمر: «علاقة اللاعنف بالشرق الأوسط المعاصر، في ذكرى المهاتما غاندي»:

عقد في عمّان يومي ٤ ـ ٥ مايو عام ١٩٩٦م، بالتنسيق مع السفارة الهندية، والوكالة الثقافية الهندية[٢].

---

(١) انظر: (النشرة) العدد الأول. سبتمبر عام ١٩٩٦م (٣).

(٢) عن: Activities & Output 1994 - 1996 «خطة نشاط».

مؤتمر: «الدين والهوية الشعبية»:

عقد في «تشارترج ـ إنكلترا ـ» في الفترة: ١٢ ـ ١٤، أبريل عام ١٩٩٦م، بالتنسيق مع مؤسسة حوار الأديان في لندن(١).

مؤتمر: «الخوف من السلام»:

عقد في عمّان عام ١٩٩٧م، بمشاركة نخبة من الأكاديميين والمثقفين من عدة دولٍ في المنطقة، قدمت فيه خمس عشرة ورقة عمل، تستند على أنه: (مع تطور المسيرة السلمية في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة ظهر بوضوح أن ثمة تخوف من السلام أيضاً)(٢).

مؤتمر: «الحوار المشترك بين الإسلام والمسيحية»:

عقد في عمّان في الفترة: ١ ـ ٣ أبريل عام ١٩٩٧م مع كنيسة السويد. وقد نوقشت فيه الموضوعات التالية: تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، العلاقة بين التدين والهوية الوطنية، المرأة والمجتمع والدين في الأردن، تجربة المسلمين المهاجرين في أوربا، المسؤوليات المتبادلة بين المجتمعات المضيفة، والمجموعات المهاجرة، وعوائق التعايش السلمي في المجتمعات المتعددة الأديان(٣).

مؤتمر: «الدين والوطنية والهوية، الشرق الأوسط في الإطار العالمي»:

عقد في عمّان عام ١٩٩٧م، بالتعاون مع «معهد الحياة والسلام» في السويد، الذي يعقد مؤتمراً سنوياً في بلدٍ معين. وقد تناول المؤتمر الموضوعات التالية:

الهوية الوطنية في المشرق العربي، الدين والسياسة في الشرق

---

(١) المرجع السابق.

(٢) (النشرة) العدد الثالث. مارس ـ يونيو عام ١٩٩٧م (٣).

(٣) انظر: (النشرة) العدد الرابع. يونيو ـ سبتمبر عام ١٩٩٧م (٣)،

الأوسط في إطار المفهوم الديني الإبراهيمي»[١].

مؤتمر: «القدس وما حولها في القرن التاسع عشر: المسيحيون، والمسلمون في بيئة متعددة الأديان»:

عقد في عمان صيف عام ١٩٩٧م. يفحص المؤتمر مختلف المجتمعات المسيحية والإسلامية، والمواقع المقدسة أثناء التغيرات الاجتماعية والسياسية في سياق الحياة المقدسية من عام ١٨٣٠م حتى ١٩٨١م[٢].

ثانياً: الكتب والإصدارات:

صدر عن المعهد خلال مدةٍ وجيزة العديد من الكتب، منها:

١ ـ المسيحية في العالم العربي للأمير الحسن بن طلال. باللغتين العربية والإنكليزية، عمّان ١٩٩٤م ولاحقاً بالفرنسية والألمانية.

٢ ـ القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، للدكتور مصطفى الحياري، باللغة العربية. عمّان ١٩٩٤م.

٣ ـ رجل سابق لعصره: المعلم بطرس البستاني ١٨١٩ ـ ١٩٨٣، للدكتور يوسف قزما خوري. باللغة العربية. بيروت ١٩٩٥م.

٤ ـ الإرساليات التبشيرية، تقارير من سوريا العثمانية ١٨١٩ ـ ١٨٧٠) في خمسة مجلدات باللغة الإنكليزية، للدكتور كمال الصليبي، والدكتور يوسف قزما خوري. بيزوت عام ١٩٩٥م.

٥ ـ عيسى ومريم في القرآن والتفاسير، لأربعة من باحثي المعهد بإشراف الدكتور يوسف قزما الخوري باللغة العربية.

٦ ـ الإرساليات التبشيرية: تقارير من العراق (١٨١٩ ـ ١٨٧٠):

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عن 1994 Activities & Output - 1996 «خطة نشاط».

في مجلدين باللغة الإنكليزية، للدكتور كمال الصليبي، والدكتور يوسف قزما الخوري بيروت ١٩٩٥م.

٧ ـ سيرة عيسى في تراجم المسلمين في القرن الثاني عشر، لابن عساكر الدمشقي (١١٠٥ ـ ١١٧٦)، للدكتور: سليمان مراد. باللغة العربية.

٨ ـ المسيحيون والمسيحية في القرآن والتفاسير لعددٍ من الباحثين في المعهد في مجلدين بالعربية.

٩ ـ السريان قديماً وحديثاً، لسمير عبده.

١٠ ـ الوثائق العثمانية المتعلقة بنصارى البلاد العربية. تأليف وترجمة عبد الرحيم أبو حسين. باللغة العربية.

١١ ـ اليهودية والعالم العربي، لحسان منيمنه، باللغتين العربية والإنكليزية.

١٢ ـ نقابة الأشراف في إستانبول العثمانية، لصالح السَّداوي. باللغة العربية.

١٣ ـ الأرمن الفاطميون، لسيتا دادويان.

١٤ ـ معجم أعلام المسيحيين العرب في العصور الإسلامية. باللغة العربية، ثم بالإنكليزية ١٩٩٧م.

١٥ ـ قاموس عربي بالمصطلحات الكنسية واللاهوتية للمسيحية العربية. ١٩٩٧م.

١٦ ـ أهل الكتاب في القرآن والتفاسير.

١٧ ـ إسلاموفوبيا «الخوف من الإسلام»، لفواز جرجس.

١٨ ـ التبادل الإسلامي ـ المسيحي إثر سقوط بغداد. دراسة لمقابلات الألوسي الكرملي ودوره في إحياء الأدب العراقي، لـ: هالة فتاح.

١٩ ـ مسرد المؤلفات الخاصة بالمسيحية في السودان، لـ: جون قاي يو. (باحث زائر في المعهد).

وإلى جانب هذه الإصدارات المتعاقبة، يصدر المعهد الملكي للدراسات الدينية نشرتين فصليتين ـ كل ثلاثة أشهر ـ:

إحداهما: باللغة العربية عنوانها «النشرة»، تقع في ست عشرة إلى عشرين صفحة، تتضمن أخبار المعهد، وصفحتين ثابتتين لترجمة ثلاثة من أعلام الإسلام والنصرانية واليهودية، وتعريفاً بالكتب المتعلقة بالنصارى العرب، ومقالاتٍ أخرى.

الثانية: باللغة الإنجليزية، عنوانها: (Inter - Faith Quarterly) تغطي موضوعات عن الإسلام والنصرانية واليهودية، ومسألة حوار الأديان.

ويتضح بشكل جلي من مسرد الكتب التي أصدرها المعهد، وطبيعة المقالات المنشورة في الدوريتين أن المعهد يهدف إلى إحياء «النصرانية» بكافة طوائفها بعد أن كادت تنقرض، بنفض الغبار عن تاريخها، وتبجيل أعلامها، والتقريب بينها وبين الإسلام، وبين اليهودية والإسلام ـ وإن بشكل أقل بسبب عدم استقرار الوضع في المنطقة ـ لمواكبة «حاجات المجتمعات الحديثة»، كما جاء في التعريف.

ثالثاً: الاستضافات:

في غضون ثلاث سنواتٍ فقط ١٩٩٤م ـ ١٩٩٧م، زار المعهد الملكي للدراسات الدينية أكثر من ثلاثين شخصية علمية أو سياسية أو دينية، من قساوسة، ومستشرقين، وممثلي هيئاتٍ دينية ودولية ومراكز حوار مماثلة. وألقى بعضهم محاضراتٍ مثل:

- (العهدة العمرية: تقييم تاريخي جديد)، للمستشرق الألماني البرفسور ألبرخت نوت. عام ١٩٩٤م.

■ (اليهود في الإسلام)، للمستشرق الشهير برنارد لويس. عام ١٩٩٤م.

■ (الإسماعيلية، ومؤسسات الإمامة)، للسيد سيف الدين القصير، أمين سر الهيئة الثقافية في المجلس الإسلامي الشيعي الإمامي لمؤسسة الأغاخان في سورية. عام ١٩٩٧م.

لقد أصبح المعهد إرصاداً لمن حارب الله ورسوله من اليهود والنصارى والهندوس، من شتى أصقاع الأرض، حتى أصحاب الاتجاهات المتعصبة ضد المسلمين، فقد زاره في شهر أبريل من عام ١٩٩٧م الدكتور «جيمس اتكن»، رئيس شعبة القيادة الواعدة في المجلس العالمي للمسيحيين اليهود.

٣ ـ فلسطين:

يعيش المسلمون في هذا البلد الإسلامي السليب، محنة عظيمة منذ أن دخل القائد الإنكليزي الصليبي «اللنبي» القدس عام ١٩١٧م. وقد أسلمها النصارى لليهود عام ١٩٤٨م وفاءً بوعد «بلفور»[١]، بعد أن وطّئوا لهم أكناف الأرض، وسمحوا بتدفق شُذَّاذ الآفاق، من أهل لعنة الله وغضبه إلى الأرض المباركة، ومكّنوهم من مقاليد الأمور، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد نشأت منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م جمعيات إسلامية ـ نصرانية مشتركة، من عرب فلسطين، تجمعها الرابطة القومية، وتنافح عن الحقوق الوطنية ضد الهجمة الصليبية ـ الصهيونية، فلم تكن الراية متميزة، ولا الأهداف خالصة.

---

(١) بلفور (آرثر جيمس) Balfour (١٨٤٨ ـ ١٩٣٠): سياسي إنكليزي، رئيس الوزراء (١٩٠٢)، ثم وزير الخارجية ١٩١٧م. أصدر وعد بلفور الذي ضمنه حق اليهود بإنشاء وطنٍ قومي في فلسطين ١٩١٧م. المنجد في الأعلام (١٤١).

(اختارت الجمعيات شعاراً لها «الهلال وبداخله صليب». وحددت لنفسها مهمة: «المطالبة بحقوق عرب فلسطين في وطنهم، ومناهضة وعد بلفور، والوقوف في وجه الهجرة الصهيونية، والدفاع عن عروبة فلسطين، والحيلولة دون عزلها عن الحركة العربية)[1].

وكانت بعض مجالس تلك الجمعيات المشتركة مناصفة بين المسلمين والنصارى، رغم أن نسبة النصارى في فلسطين في تلك الحقبة ١٠٪ من مجموع السكان.

وبالجملة فقد كان هذا اللون من التقارب ذا بواعث وطنية اجتماعية ضد الغزاة. ثم انحلت تلك الجمعيات، وذهبت مطالبها أدراج الرياح أمام الاجتياح الصهيوني، وفي عقد الثمانينيات برز اسم معهد تنطور الفلسطيني أو:

(معهد تنطور المسكوني للأبحاث اللاهوتية):

ومقره ضاحية «تنطور» في القدس. وهو معهد نصراني نظم المؤتمرات التالية:

مؤتمر: «أسس الحوار مع المسلمين»:

وقد عقد في القدس في الفترة: ٢٨ أبريل - ٣ مايو عام ١٩٨٠م. وقد حضره المونسيور روسانو، رئيس أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين إذ ذاك[2].

مؤتمر: «حوار وتعايش»:

عقد في القدس بمبادرة من الدكتور: جرجس الخوري، ولجنة إسلامية - نصرانية تابعة للمعهد في الفترة ١ - ٣ ذي الحجة عام

---

(١) العلاقات الإسلامية - المسيحية، فلسطين نموذجاً. فايز سارة. مجلة الاجتهاد. (٣٠/١٥٦).

(٢) انظر: Twenty Five Years of Dialogue. P.3.

١٤٠٣هـ، الموافق ٩ ـ ١١ سبتمبر عام ١٩٨٣م، وحضره أربعون مشاركاً من المسلمين والنصارى[١].

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة»:

عقد في القدس من قبل اللجنة السابقة في الفترة: ٤ ـ ٦ ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٣١ أغسطس ـ ٢ سبتمبر عام ١٩٨٤م، بحضور مكثف بلغ مائتي مشارك[٢].

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي الإسلامي في الأراضي المقدسة»:

وهو امتداد لسابقه، وعقد في القدس في الفترة: ٢٠ ـ ٢٢ ذي الحجة عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٦ ـ ٨ سبتمبر عام ١٩٨٥، وحضره تسعة وأربعون مشاركاً[٣].

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة»:

وهو امتداد لسابقيه، عقد في الفترة: ١١ ـ ١٣ ذي الحجة عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٨ ـ ٣٠ أغسطس عام ١٩٨٦م، وحضره خمسة وسبعون مشاركاً[٤].

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة»:

عقد في الفترة: ٢٩ ذي الحجة عام ١٤٠٧هـ ـ ٢ محرم عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٥ ـ ٢٧ أغسطس ١٩٨٧م[٥]، وهو آخر هذه السلسلة من مؤتمرات التراث.

---

(١) انظر اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية ـ الإسلامية. تسلسل: (١٣١).

(٢) المرجع السابق (١٤٢).

(٣) المرجع السابق (١٥٣).

(٤) المرجع السابق (١٧١).

(٥) المرجع السابق (١٩١).

٤ ـ تونس:

يعيش في هذا البلد العربي المسلم الصغير ـ مساحته ١٦٤,٠٠٠كم٢ فقط ـ أكثر من ثمانية ملايين نسمة[1]، كلهم، أو أكثريتهم الساحقة مسلمون، ويشاركهم العيش أقلية من النصارى الذين خلفهم الاستعمار الفرنسي، والجماعات التنصيرية التي تعمل تحت رعايته، لا سيما إرساليات «الآباء البيض»، ومعظم هؤلاء النصارى من الكاثوليك حسب تقديرات المطران «فؤاد طوّال»، أسقف تونس[2]، حيث يقول: (يعيش في تونس اليوم حوالي ٢٠ ألف كاثوليكي «أي نسبة ٠,٣٪ من إجمالي السكان...»، و٤٠ كاهناً وراهباً، وأكثر من ١٥٠ راهبة من رهبانيات مختلفة... لدينا ١٧ مدرسة وعيادة طبية... ـ ثم يصف وضع كنيسته بقوله ـ:

إنّها كنيسة مكونة من أقلية لها حدود كثيرة، فلا وصول لنا إلى وسائل الإعلام، وليس لدينا أكليريكيات، ولا أكليروس محلي، ولا توجد لدينا جماعات مسيحية مكونة من أبناء البلاد الأصليين...: لقد بدأت دول أفريقيا الشمالية عملية تعريب ضخمة في كافة القطاعات تقريباً، وإن الجماعة المسيحية... باتت غير محظوظة بسبب الافتقار اللغوي والثقافي الخطير.

نحن في الواقع ننتمي إلى تقاليد وطنية وثقافية مختلفة، لا يزال التقليد الفرنسي متفوقاً بينها... نحن نعي كوننا أجانب، وكوننا قليلين، وكوننا لا شيء، ولكن، لنا رسالة علينا أن نؤديها في هذه الأراضي. وليست الرسالة والخدمة والشهادة موجهة إلى المسيحيين المعمَّدين

---

(١) أطلس العالم (٩٦).

(٢) أردني المولد.

وحسب، بل أيضاً إلى العالم كله. فالرب يرسلنا إلى العالم كله. . .)[١].

ورغم هذا الحجم الذي لا يؤبه له للنصارى في هذا البلد الإسلامي العريق، فقد نشأت فيه محاولات مبكرة للتقريب بين الإسلام والنصرانية تمت على يد:

(المركز التونسي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية «CERES»):

ويتبع الجامعة التونسية. وقد تولى إدارته الأستاذ: عبد الوهاب بوحديبة، الذي وصف بـ«الأب»[٢]! وشارك فيه بفاعلية أحد أقطاب الحوار الإسلامي ـ النصراني المستخذين للنصارى، وهو الأستاذ: محمد الطالبي[٣]، الذي قدم للملتقى الأول بقول المعري:

إن الشرائع ألقت بيننا إحَناً   وأودعتنا أفانين العداوات

ومن تلك المحاولات التي شارك فيها المركز مشاركة أساسية:

١ ـ مؤتمر: «الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو»: في تونس عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م مع مجلس الكنائس العالمي[٤].

٢ ـ مؤتمر: «معاني الوحي والتنزيل ومستوياتها»: في تونس، في الفترة: ٣ ـ ٧ جمادى الثانية عام ١٣٩٩هـ، الموافق ٣٠ أبريل ـ ٤ مايو عام ١٩٧٩م، بحضور ستين مشاركاً[٥].

---

(١) مقتطفات من مقابلة أجراها معه دجوفاني كوبيدو، المحرر في مجلة ٣٠ يوماً الإيطالية. عدد (٤ ـ ١ ـ ١٩٩٧/١٩٩٨م) (٤٢ ـ ٤٤).
(٢) انظر: وثائق عصرية في سبيل الحوار (١٣).
(٣) سبقت ترجمته وعرض بعض آرائه في مبحث: (الإسلاميون العصرانيون) من الباب الأول.
(٤) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي (١١٥٣).
(٥) انظر البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم (٩٩). ولم يصدر عنه بيان مشترك.

٣ ـ مؤتمر: **«حقوق الإنسان»**: في تونس، في الفترة: ٣٠ رجب ـ ٥ شعبان عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٢٤ ـ ٢٩ مايو عام ١٩٨٢م، بحضور أربعين مشاركاً[1].

٤ ـ مؤتمر: **«الروحانية من متطلبات عصرنا»**: في تونس عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مع مؤسسة «أديناور» الألمانية[2].

٥ ـ مؤتمر: **«مساهمة الأديان في السلام»**: في تونس، في الفترة: ٢٧ ربيع الثاني ـ ٢ جمادى الأولى عام ١٤١٢هـ، الموافق ٤ ـ ٩ نوفمبر عام ١٩٩١م[3].

(مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات):

هي مؤسسة حادثة يديرها الدكتور عبد الجليل التميمي من «جامعة تونس». وقد عقدت مؤتمراً في العاصمة التونسية لمدة خمسة أيام، اعتباراً من يوم الجمعة ١٠ ذي القعدة عام ١٤١٦هـ، الموافق ٢٩ مارس عام ١٩٩٦م بعنوان:

«المسيحيون والمسلمون في عصر النهضة الأوربية»:

وقد شارك فيها أكثر من أربعين باحثاً ومفكراً من أوربا والعالم العربي، تناول فيها محاضرون من روسيا وبلغاريا ورومانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا ودول المغرب العربي، العلاقات السياسية في مواقع معينة، بين النصارى الأوربيين والمسلمين، وظهور ذلك في الكتابات الأدبية في تلك الفترة. يقول الدكتور التميمي، منظم المؤتمر:

(إن العلاقات والتفاعلات بين المسلمين والمسيحيين كثيرة

---

(١) انظر البيانات المسيحية تسلسل رقم (١٢٢). ولم يصدر عنه بيان مشترك.

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية (١٢٨٣).

(٣) انظر البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم (٢٣٩). ولم يصدر عنه بيان مشترك.

وعميقة، استمرت عبرها، ومن خلالها، المخاوف والأفكار المسبقة التي كانت سائدة حتى عصر النهضة الأوربي، وانعكس ذلك في الأدب والفن والإنتاج الفكري للجانبين... يندرج عقد الندوة في إطار ترسيخ الاعتراف المتبادل، وتكريس الحوار واللقاء بين الثقافات)[١].

ولا شك أن للقرب الجغرافي لتونس، وغيرها من دول شمال أفريقيا العربية ـ ليبيا على وجه الخصوص[٢] ـ من إيطاليا التي تحتضن عاصمتها روما، الفاتيكان، دوراً في تفعيل محاولات التقارب الديني بين ضفتي المتوسط، بالإضافة (إلى تأثير الآباء البيض من الأفارقة، ورئيسهم الكاردينال «لافيجييه»[٣]، وإلى كون معظم العاملين في أمانة السر الفاتيكانية، أو المجلس البابوي للحوار درَّسوا وعملوا في تونس وبلاد شمال أفريقيا فترة طويلةً من حياتهم)[٤].

٥ ـ السودان:

يعاني هذا البلد الإسلامي الكبير ـ مساحته ٢,٥٠٦,٠٠٠كم² ـ مشكلة مزمنة في جنوبه، زرعها الاستعمار الإنكليزي قبيل رحيله عام ١٩٥٦م، تتمثل بالحرب الأهلية التي تندلع بين آونةٍ وأخرى بين المسلمين والنصارى، بالرغم من أن هؤلاء الأخيرين أقلية لا تتجاوز العشرة في المائة من مجموع السكان البالغ عددهم ٢٥,٢٠٤,٠٠٠

---

(١) جريدة الحياة عدد (١٢٠٨٧) ٢٩ مارس ١٩٩٦م، ١٠ ذي القعدة ١٤١٦هـ.

(٢) تقدم عرض المحاولات الفاتيكانية ـ الليبية وتقويمها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) لافيجييه أو لافيجري La vigerie (١٨٢٥ ـ ١٨٩٢) كاردينال فرنسي اهتم بشؤون الشرق. رئيس أساقفة الجزائر. أسس جمعية الآباء البيض (١٨٦٨). المنجد في الأعلام (٦٠٨).

(٤) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٤).

نسمة[١]، كما أنهم ليسوا أكثرية في الجنوب، حيث يشاركهم العيش المسلمون، والوثنيون الذين يمثلون عشرين بالمائة من مجموع السكان، إلا أنهم (استفادوا من السياسة البريطانية التي جعلت التعليم حكراً على الإرساليات التبشيرية. فأصبح معظم المتعلمين في تلك الفترة من المسيحيين، وهم الذين تولوا قيادة الجنوب فيما بعد)[٢].

ومنذ عام ١٩٥٥م، إبان الحكم الإنكليزي، ونصارى الجنوب يقومون بثورات مسلحة ضد الحكومات المركزية المتعاقبة في السودان، بغية الانفصال التام أحياناً، أو مجرد الاستقلال الذاتي أحياناً أخرى، حسب قوة الدعم الإقليمي والعالمي من القوى النصرانية. ويزيد الأمر سوءاً عدم استقرار الوضع السياسي في الشمال، والأزمات الاقتصادية الخانقة، والجفاف، والمجاعات، والتشرد، التي تجعل الجنوب مسرحاً للهيئات والمنظمات العالمية المتنوعة، وما تحمله من توجهات تزيد المشكلة ولا تقضي عليها.

وكغيره من البلدان الإسلامية التي تحتضن أقلية نصرانية نشأت محاولات مبكرة لاحتواء الأزمة تحت شعار التقارب، كان أوّلها:

مؤتمر: «من أجل اللقاء مصادفة»:

عقد في العاصمة «الخرطوم» يوم ٢٥ شوال عام ١٣٨٨هـ، الموافق ١٥ يناير عام ١٩٦٩م، بمبادرة من مجلس الكنائس السوداني، ومشاركة مختلف الجهات الدينية السودانية[٣].

ولم تخمد حرب الجنوب إلا عام ١٩٧٢م، إثر توقيع معاهدة

---

(١) انظر: أطلس العالم (٩٦).

(٢) الحوار الديني في السودان. خطة عمل إيجابي. محاضرة لـ د. الطيب زين العابدين محمد في مؤتمر حوار الأديان في الخرطوم عام ١٩٩٤م (٢).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم(١٦).

أديس أبابا، التي منحت الجنوبيين صلاحيات واسعة. ثم اندلعت حركة التمرد مرة أخرى عام ١٩٨٤م مضيفة إلى مسوغاتها المزعومة عنصراً جديداً، وهو معارضة إعلان تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الذي رفعته الحكومة في مطلع الثمانينيات، دون أن تطبقه.

ومع وصول «الجبهة القومية الإسلامية» بقيادة الدكتور حسن ابن عبد الله الترابي، لسدة الحكم إثر انقلابٍ عسكري عام ١٩٨٩م، صارت الحكومة تعيش تهمة «الأصولية» واستهداف الوجود النصراني في الجنوب، فقامت بتفعيل قضية التقريب بين الأديان، حتى الوثني منها، بشكل لم يسبق له مثيل حتى في البلدان الغربية، ووجد في منظري الجبهة من أصحاب الفكر العصراني المتحرر، من يسوغ هذه الممارسات التي يتحرج من بعضها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، ونشأ في مطلع التسعينيات هيئات تستظل بظل الحكومة التي توصف بـ«الإسلامية»، أجرت محاولاتٍ جريئة، وقدمت طروحاتٍ منكرة لم تعهد في بلاد المسلمين. ومن ذلك:

(ملتقى السلام العالمي لرجال الأديان):

عقد في «الخرطوم» في جمادى الأولى عام ١٤١٢هـ، الموافق نوفمبر عام ١٩٩١م، بدعوة من مجلس الصداقة الشعبية العالمية، وهي منظمة شبه حكومية، وحضره وفودٌ من مختلف الأديان والملل، حتى الهندوسية والبوذية والكونفوشسية والتقاليد الوثنية الأفريقية، في محاولة لإظهار الاتجاه المتحرر المتسامح للنظام الجديد.

مؤتمر: «من أجل مزيد من التعاون الديني على طريق النهضة»:

عقد «مؤتمر الأديان في السودان» تحت هذا الشعار في العاصمة الخرطوم، في الفترة: ٥ ـ ٩ ذي القعدة عام ١٤١٣هـ، الموافق ٢٦ ـ ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م. ويعد: (أول مؤتمر شعبي جامع للأديان، يعقد

في السودان بمباركة الدولة وتأييدها)[١]. وقد شارك فيه وفودٌ كثيرة قدمت من إحدى وثلاثين دولة من العالمين الإسلامي والنصراني، بالإضافة إلى كوريا واليابان. وقد زار المؤتمرون أثناء فترة انعقاد المؤتمر عدداً من الكنائس، والمساجد، ومقار الهيئات الدينية، والجمعيات التطوعية.

وقدمت في المؤتمر عدة محاضرات منها[٢]:

١ ـ أخلاقيات الحوار الديني، والتنافس الديني بين الديانات لـ د. يوسف الخليفة أبو بكر، الذي عدد محاور ورقته بـ (أخلاقيات الحوار حسب ما جاء في الإسلام، أهداف التبشير الإسلامي، والتنافس التبشيري لصالح الإنسان السوداني، ومؤشرات ميثاق الحوار الديني المقترح، وآفاق جديد لبيان تنافس تبشيري حر وعادل لخدمة البلاد دينياً واجتماعياً).

٢ ـ تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مجتمع متعدد الأديان. لـ د. أحمد علي الإمام. وهو موضوع ذو حساسية بالغة لدى النصارى. وقد تضمنت المحاضرة الجمل التالية:

■ إن الواقع التطبيقي في الدولة والمجتمع يؤكد... حرية الاعتقاد والفكر، وحق المساواة القانونية والعدل... والإسلام دين الحرية الفكرية، وأنه لا حجر على أحدٍ في حرية الفكر والتعبير...

■ ليس المقصود من عقد الذمة في الإسلام تحصيل المال، إنما هو في المشاركة في واجب الدفاع والحماية.

---

(١) من البيان الختامي لمؤتمر الأديان في السودان (٧ صفحات): ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م... و«المباركة» لا تضاف إلا إلى الله.

(٢) العرض أدناه مستخلص من تقرير صادر عن قسم التحقيقات بوكالة الأنباء السودانية.

■ يكفل نظام الحكم الإسلامي حق الحكم الذاتي، مع حق التميز الثقافي للأقاليم التي يكون فيها غير المسلمين في مكانٍ يخصهم، ويباشرون بأنفسهم إدارة شؤونهم، مع الاحتكام إلى محاكمهم بما كان يجعلهم في حكم الإقليم الآن.

ولا ندري بأي معيار «إسلامي» سوّغ المحاضر حرية التعبير عن الشرك بالتثليث وعقيدة ألوهية المسيح وبنوته، وأن ذلك مما تكفله الدولة الإسلامية لمواطنيها؟! ولا كيف سوّغ سابقه «التنافس التبشيري لصالح الإنسان السوداني»؟! ولكنه الفقه العصراني الترابي الميكافيلّلي، الذي يعتمد قاعدة: «الغاية تبرر الوسيلة».

٣ ـ نحو حوار إسلامي ـ مسيحي في السودان. للأب: غبريال روج، وزير الدولة بوزارة الخارجية في الحكومة الإسلامية! ومما جاء في محاضرته:

■ إن من الديانات المعتنقة حالياً، وتدعو إلى المحبة، المسيحية والإسلام واليهودية والهندوسية والبوذية.

■ إن التعايش في السودان هو مثالٌ لإرساء التعايش بين الأديان.

■ إن مشكلة الجنوب ليست مشكلة دينية، بل هي مشكلة سياسية.

٤ ـ الحوار الإسلامي ـ المسيحي في الشرق الأوسط. لغبريال حبيب، أمين عام مجلس كنائس الشرق الأوسط، الذي دعا إلى إعادة اكتشاف المسيحية العربية كشريك أساسي في الحوار الإسلامي ـ المسيحي العالمي. . .

٥ ـ الدين ودوره في السلام والتنمية «الجانب المسيحي» لـ زكري رزق جيد، مدير المدرسة الإنجيلية السودانية بأم درمان، الذي قرر أن: الكتاب المقدس دستور وقانون معصوم للإيمان والأعمال، والمرجع الأعلى ذو السلطان للحق الإلهي. . .

٦ ـ دور المرأة المسيحية في التنمية. لـ.د. كريستينا يعقوب إسحاق. جامعة الخرطوم.

٧ ـ دور المرأة المسيحية في تحقيق وإقرار السلام، للأستاذة هيلين كيلا وانقولا، رئيس دائرة السلام للاتحاد العام للمرأة السودانية.

٨ ـ دور سيدنا عيسى كحلقة وصل مهمة بين المسلمين والمسيحيين. للبرفسور: جمال بدوي، المحاضر بجامعة سانت ميري بكندا.

ولكن أهم محاضرة من بين الثمانية عشر محاضرة التي ألقيت على مدى خمسة أيام كانت محاضرة الدكتور: حسن بن عبد الله الترابي، الذي يمثل الجانب الفكري لحكومة الإنقاذ ويعبر عن توجهاتها[١]. (وكان معظم تركيز الدكتور الترابي في محاضرته منصباً على أن التبشير هو عمل إنساني يحترم إنسانية الإنسان، وأن على العالم احترام التنوع الديني... ودعا الترابي في محاضرته إلى ضرورة حفظ الديانات، وتنمية روح الدين المؤدية لتوحيد الأديان... وقال: إن العالم يتجه الآن نحو التوحد، الأمر الذي يستوجب تصنيف هذا العالم من حيث التدين، دون الأخذ بالتفاصيل)[٢].

وهذا كلام لا يختلف في فحواه عن كلام زنادقة الصوفية من أهل وحدة الوجود، أو النحل الباطنية كالبهائية[٣]، وربما زاد عليه بالثناء على التبشير.

---

(١) ورغم ذلك لم يتضمن تحقيق قسم التحقيقات بوكالة أنباء السودان أدنى إشارة لها، إمعاناً في التظاهر بعدم الارتباط بين الحكومة السودانية وشخصية الدكتور الترابي، في تلك الفترة.

(٢) جريدة «الشرق» القطرية تحقيق عن مؤتمر حوار الأديان، مشاهدات عائد من الخرطوم: يعقوب الزهير. الأحد ٢٣ ذي القعدة عام ١٤١٣هـ ١٦ مايو عام ١٩٩٣م.

(٣) انظر: فصل «الأصول التاريخية» من الباب الأول.

وقد كان النشاط التنصيري المكثف الذي يتعرض له السودان حتى انعقاد هذا المؤتمر يخضع لإشراف «لجنة المبشرين» المكونة من أعضاء مسلمين، فجاء كلام الترابي مسقطاً لها.

وقد صدر عن «مؤتمر الأديان في السودان» بيان ختامي مسهب، نقتطف من بنوده ما يلي:

■ (اعتماد الدين كأساس لنهضة البشرية، وتأكيد محاور الالتقاء، وإبراز القواسم المشتركة بين الأديان، والحض على ما يجمع الناس ويوحدهم، لا على ما يفرقهم.

■ إشاعة المساواة بين الناس، أياً كان دينهم أو معتقدهم أو نظامهم الاجتماعي والأخلاقي، وتكريم الإنسان إنفاذاً لمشيئة الله...

■ إن المفهوم الحقيقي للحوار الديني لا يقتصر على مجرد تبادل الآراء، وغرس روح التسامح، وإنما يجب إعماله إيجابياً في تغيير نوعية الحياة، وإحلال قيم العدل والقسط في التعامل بين الأفراد والجماعات والدول، وأن يُسعى به إلى خلق نظام عالمي يجعل العدل، وإعلاء قيمة الإنسان، وصون كرامته، وتأمين حقوقه، والاستجابة لحاجاته الأساسية العادلة)[١].

ولم يفت المؤتمرين أن ينوّهوا بزيارة البابا يوحنا بولس الثاني القصيرة للسودان، حين توقف لمدة يومٍ واحدٍ فقط، في العاشر من فبراير عام ١٩٩٣م، بعد رحلته الرعائية ليوغندا، عائداً إلى روما، وكان بابا الفاتيكان قد ضمَّن كلمته التي وجهها إلى القادة السودانيين في الخرطوم الدعوة إلى منح الأقليات في البلد حقوقهم في العيش بلغتهم الخاصة، وثقافتهم وتقاليدهم، وإعطائهم الفرصة لتحقيق انتمائهم،

---

(١) المواد: (٦، ٧، ٩) من البيان الختامي.

والتعبير عن ذواتهم[١]، في إشارة واضحة إلى الحرب الدائرة في الجنوب مع المتمردين النصارى.

كما أبدى المؤتمرون غبطتهم لعزم الحكومة السودانية «الإسلامية!» على إعادة النظر في قانون الهيئات التبشيرية![٢].

إن ما تحاول أن تقوله بعض مؤتمرات التقريب بين الأديان التي عقدت في عواصم غربية على وجل وتردد، يقال في الخرطوم في ظل حكومة «الإنقاذ» الإسلامية بملء الفم!

إن الحوار الديني يُطمح من ورائه ـ في الخرطوم ـ إلى خلق نظام عالمي يحمل مبادئ إنسانية عامة، كتلك التي تتستر بها الماسونية، ويطمس خصوصية الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه.

ولا أدل على ذلك من «ميثاق الحوار الديني في السودان» الذي صدر عن المؤتمر، في سابقة خطيرة من نوعها لم تقع في أي بلدٍ من بلدان المسلمين، ولم تجرؤ عليها حكومة شيوعية أو قومية أو علمانية، في السودان، ولكن صدر بمبادرة الدولة «الإسلامية» وتأييدها، ولخطورة هذا التوجه وتداعياته المستقبلية نورد نص الميثاق كاملاً:

(نحن المنتمين إلى الديانات السماوية[٣] ـ الإسلام والمسيحية ـ في السودان، وقد التقينا في عاصمة وطننا الخرطوم، على اختلاف

---

(١) انظر تفاصيل الزيارة وكلماتها في Recognize The Spiritual Bonds. P.133 - 136 .

(٢) البيان الختامي. مادة(١٣). وقد أعيد النظر فعلاً في قانون منع التنصير في شمال السودان الذي سن في مطلع الستينيات في عهد الفريق إبراهيم عبود، فألغي في عهد حكومة الترابي «الإسلامية»، وصار المنصرون يذرعون البلاد شمالها وجنوبها، وتفسح لهم منابر الإعلام في أجهزة الدولة الرسمية من إذاعة وتلفاز وصحف، وانشغل الدعاة بمحاربة التنصير في الشمال، مما أثر على مسيرة الدعوة الإسلامية.

(٣) راجع التمهيد مبحث دين الإسلام. في بيان حكم هذا التعبير.

مللنا ومذاهبنا ولغاتنا وأعراقنا، في مؤتمر الأديان بالسودان على ملأ من أهل الأديان[١] الذين استجابوا لدعوتنا، فتوافدوا من أكثر من ثلاثين دولة أفريقية وآسيوية وأوربية وأمريكية، نعلن إيماننا الراسخ بالله خالقنا، وأننا جميعاً أبناء وطنٍ واحد هو السودان، وقد عاهدنا الله على الوفاء بالآتي:

١ ـ أن نعمل على إعلاء راية الدين والقيم الروحية النبيلة، التي تحث على إرساء قواعد العدالة والمساواة، وصون كرامة الإنسان، من أجل نهضة بلادنا وتطورها.

٢ ـ أن نبذل كل ما في وسعنا لدعوة أبناء شعبنا أن يحرصوا على التمسك بما يجمعنا، وأن ينأوا عن نوازع الفرقة والشتات، فأصل الدين واحد، والأديان السماوية تعمر بالمبادئ والقيم والمثل المشتركة الكفيلة بجمعنا على الهدى وفعل الخيرات.

٣ ـ وأن نتعاون جميعاً لصياغة مجتمعٍ سوداني موحد، تسوده المحبة، ويظلله السلام. فالإسلام والمسيحية كلاهما يحثان على المحبة والفضيلة والتراحم والسلام والعدالة، واحترام الإنسان، ورعاية حقوقه وحرماته.

٤ ـ وأن نتجرد لعبادة الله مخلصين له الدين.

٥ ـ وأن نجعل الحوار والتفاهم بالتي هي أحسن.

٦ ـ وألا نجعل من اختلاف الدين سبباً للفتنة والفرقة والشتات والاحتراب.

٧ ـ وأن يحترم كلٌ منا عقائد الآخرين.

٨ ـ وأن نعمل على إزالة كل أسباب النزاعات والخلاف بين

---

(١) نعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. من ابتلي فليستتر!

جماعات أمتنا، بالحوار الموضوعي المخلص الأمين، عبر لجنة مشتركة من أهل الديانات بالسودان.

٩ ـ وأن نحرص على تربية ناشئتنا على التحلي بالفضائل، وعمل الصالحات، التي دعت إليها الأديان السماوية.

١٠ ـ وأن نوثق عرى التواصل والود، ونتبادل المعارف والمعلومات عن الأديان السماوية، وسيلة لتيسير الحوار والتفاهم والتعايش الرحيم.

ووفاءً بما جاء في هذا الميثاق، نتعاهد على أن ندعو للآتي، ونعمل له:

أ ـ حرية الاعتقاد والتعبير عنه والعمل له.

ب ـ الاهتمام بدور العبادة، ورعاية حرمتها.

ج ـ حرية التربية الدينية، والحرص على تيسير سبلها، وإعداد معلميها وتدريبهم.

د ـ إدخال مادة الأديان المقارنة في مناهج التعليم العالي.

هـ ـ تشجيع قيام الجمعيات الطوعية الخيرية المشتركة.

و ـ الحث على التسامح، وعدم إكراه أحد على تغيير دينه وعقيدته.

ز ـ رعاية الفقراء، وعدم استغلال الفقر والعوز للتأثير على العقيدة.

ح ـ توجيه الطاقات الروحية إلى تحقيق الرقي الأخلاقي، والنهضة الشاملة والتقدم.

وإننا إذ نعاهد الله مسلمين ومسيحيين على السعي إلى تحقيق ما تقدم، ندعو أهل الديانات في قارتنا الأفريقية وفي قارات العالم

الأخرى أن يعملوا على إشاعة روح الحوار بين أهل الديانات والتقريب بينهم، وعلى رفع كل ضروب الظلم عنهم، وبسط معاني المحبة والتعاون وحسن التعايش. ونتعاهد على أن نسعى، بجهود كل أهل الديانات، إلى الإسهام الفاعل في صياغة نظام عالمي جديد يتحاكم إلى قيم الدين، ويشيع العدل والمساواة والاستقرار والسلام)[١] اهـ.

هذا ما تقاسم عليه القوم، وعاهدوا الله عليه، من دعاة التقريب من المسلمين والنصارى، وهو كما وصفه واضعوه، إسهام في صياغة نظام عالمي جديد.

إن التاريخ العلمي والسياسي للمسلمين طوال القرون لم يشهد مثل هذا اللون من «الاجتهاد» العصراني، الذي فتح بابه على مصراعيه دون شرطٍ أو قيد منظِّر الحركة الإسلامية في السودان الدكتور حسن بن عبد الله الترابي[٢] وتلاميذه. إن روح الميثاق ومادته لتطبع في النفس أن ليس فرق بين دين الله الحق الخاتم «الإسلام»، والنصرانية المثلثة المشرِكة، وأنه يسوغ ويصح لمن شاء اعتناق ما شاء، وأن المقصود إعلان راية الدين ـ أياً كان ذلك الدين ـ وبذل الوسع لدعوة الشعب للتمسك به، حتى ولو كان القول بألوهية المسيح، أو بنوته، أو أن الله سبحانه ثالث ثلاثة، وفوق ذلك حرية التعبير عنه والعمل له، وفوق هذا وذاك الالتزام باحترام عقائد الآخرين، حتى ولو كانت عين الكفر والشرك بصريح القرآن والسنة!!

فأين أصحاب العمائم البيض في الخرطوم من قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وإنما

---

(١) ميثاق الحوار الديني في السودان صفحتان: ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م. وقد نشرته وكالة الأنباء السودانية ضمن تحقيقها عن مؤتمر الأديان.

(٢) انظر ترجمته وعرض موقفه الفكري من قضية التقريب بين الأديان في الباب الأول مبحث (الإسلاميون العصرانيون) في الفصل الثالث.

وصاهم بما تضمنه قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]، وقال في شأن النصارى خاصة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران]، وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء].

فهل علم هؤلاء أن محاوريهم من نصارى السودان فهموا من المادة الرابعة من الميثاق (وأن نتجرد لعبادة الله مخلصين له الدين) ما دلت عليه الآيات المحكمات السابقة؟

قطعاً إنهم ما علموا عنهم ذلك، ولكنه الهوى والادِّهان في دين الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد أراد الإسلاميون العصرانيون في السودان مداهنة النصارى وتملقهم، سعياً لاسترضاء الإعلام الغربي والحكومات الغربية، فلم ينالوا خيراً، وتعرضوا لسخط الله عليهم، وأسخط عليهم الناس. وكان أشدهم سخطاً أولئك النصارى الذين حاولوا إرضاءهم، ومن شواهد ذلك:

١ ـ قامت اللجنة التحضيرية للمؤتمر بدعوة الكاردينال آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان لحضور المؤتمر، وهو الكاردينال النيجيري الأصل، الذي ما ترك دولة في العالم إلا قصدها لإعزاز دينه، فامتنع عن الحضور! (حيث إن الحكومة السودانية اتصلت به دون استشارة «مجلس الكنائس السوداني»).

٢ ـ قام الأب «ميشال لولون» الكاثوليكي الفرنسي، وعضو المجمع البابوي للحوار، بالإعلان من منبر القاعة، (بأنه موجود شخصياً، وغيره من القساوسة الكاثوليك الموجودين في القاعة، بصفتهم الشخصية فقط، ولا يمثل أحدٌ منهم الفاتيكان، ولا يمثل كنيسته أيضاً). مما سبب إحراجاً بالغاً لرئاسة المؤتمر.

٣ ـ قام مجلس الكنائس السوداني بإملاء شروطه على رئاسة المؤتمر، من حيث الإدلاء برأيٍ موحد يمثل مجلسهم، دون أن تعبر كل كنيسة على حدة عن رأيها كما أرادت اللجنة، والتقدم بوثيقة ـ اعتبرتها اللجنة سلبية ـ تتضمن ذكر الاضطهادات التي تعرض لها النصارى منذ عام ١٩٨٣م، واستنكار محاولات التعريب والأسلمة وغير ذلك.

٤ ـ قاطع الكاثوليك ـ باستثناء القليل ـ حضور المؤتمر، وامتنعوا عن استقبال وفود المؤتمر في كنائسهم، أثناء الزيارات الميدانية في الخرطوم، وملكال، وجوبا.

أما سائر المدعوين من أصقاع العالم، فكان الأمر يبدو لهم مسألة محلية بالدرجة الأولى، وإنما جمعوا في تظاهرة سياسية، أكثر من كونها موضوعية.

ويطرح أحد الصحفيين ممن شهد وقائع المؤتمر السؤال التالي، ويجيب عليه:

(هل حقق المؤتمر أهدافه؟.. إن السودان الذي يحاول أن يغير صورته في الإعلام الغربي، لا أعتقد أنه يفهم حقاً ذلك الإعلام تمام المعرفة، لأنه راح ينظر إلى رجال الدين المسيحي في الغرب من أجل التأثير على وسائل إعلامهم، وهم يفتقدون ذلك التأثير، وفاقد الشيء لا يعطيه)[1].

---

(١) مجلة «الشرق» القطرية. مشاهدات عائد من الخرطوم. يعقوب الزهير. الأحد ٢٥ ذي القعدة ١٤١٣هـ، ١٦ مايو عام ١٩٩٣م.

فنعوذ بالله من الضلال والخسران، والركون إلى أعداء الرحمٰن.

وإثر زيارة البابا يوحنا بولس الثاني للسودان، سارع قادة ثورة الإنقاذ لتوثيق الصلة بالفاتيكان، فقصد الدكتور حسن بن عبد الله الترابي روما في أكتوبر عام ١٩٩٣م، وعقد مؤتمراً صحفياً، وألقى محاضرة في جمعية سانت إجيديو[1]، وتحدث فيهما عن الإسلام وعن السودان، و(أن العالم محتاجٌ إلى نظامٍ جديد لا يركز على القوة والتفوق المادي ليفرض قيماً معينة على الجميع، بل يركز على ما يشترك فيه الناس جميعاً من قيمٍ عليا، يتم التراضي على احترامها وحمايتها)[2].

وفي اليوم الأخير طاف الترابي بالفاتيكان برفقة الكاردينال آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان، فزار المجمع، والمجلس البابوي للثقافة، وكان آخر المطاف زيارة البابا يوحنا بولس الثاني، واختلائه به، ووصف ذلك اللقاء بأنه (كان إيجابياً أكثر من بقية لقاءاته... وأنه ـ أي د. الترابي ـ قد ركز على قضية التفاهم بين المتدينين، وضرورة إقرار العدالة في النظام العالمي الدولي)[3].

(جمعية حوار الأديان في السودان):

أوحى بفكرة هذه الجمعية الكاردينال فرانسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار مع الأديان أثناء مرافقته للبابا يوحنا بولس الثاني، في زيارته الخاطفة للسودان في فبراير عام ١٩٩٣م، فراق زخرفها لدعاة التقريب، وطرحت فكرتها على القادة الرسميين للديانتين، وتم عقد الاجتماع التمهيدي الأول لتأسيس الجمعية في ٩ فبراير عام ١٩٩٤م، على رأس سنة من زيارة البابا تماماً، وشرعت في مزاولة محاولاتها التقريبية، ومن ذلك:

---

(١) انظر التعريف بها في محاولات التقريب في أوربا الغربية (إيطاليا).
(٢) جريدة «الإنقاذ الوطني» السودانية. عدد ٢٥ أكتوبر ١٩٩٣م.
(٣) المرجع السابق.

■ دعوة المطران سمير قفعيتي، مطران كنيسة القدس، وكبير أساقفة الشرق الأوسط (للتفاكر حول قضية الحوار بين الأديان، والقضايا التي تهم أهل الإيمان).

■ عقد عدد من المؤتمرات الفرعية بالولايات الجنوبية، وانتخاب اللجان التنفيذية لجمعيات الحوار بين الأديان في عدد من المدن الجنوبية.

■ تكوين اللجنة التحضيرية لعقد مؤتمر الحوار بين الأديان ـ الآتي ذكره ـ والقيام بالعديد من الاتصالات واللقاءات، ومكاتبة العديد من الزعماء وقادة الأديان في مختلف بقاع العالم. وقد تشكلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من:

- د. مصطفى عثمان إسماعيل. الأمين العالم لمجلس الصداقة الشعبية العالمية، ورئيس اللجنة.
- الأب إزيكيل كوتجراك. سكرتير مجلس الكنائس السوداني.
- د. عبد الرحيم علي. مدير جامعة أفريقيا العالمية.
- الأب هنري بوما. الكنيسة الكاثوليكية.
- الشيخ الشريف مصطفى خالد. المجلس الصوفي العالمي.
- الأب القمص فيلوثاوس فرج، كاهن كنيسة الشهيدين القبطية.
- الشيخ محمد بخيت البشير[1]. وكانت أبرز أعمال اللجنة:

مؤتمر: «الحوار بين الأديان: (سلامٌ للجميع)»:

عقد هذا المؤتمر بقاعة الصداقة في الخرطوم في الفترة: ٨ ـ ١٠ أكتوبر عام ١٩٩٤م، بدعوة من «مجلس الصداقة الشعبية العالمية ـ جمعية حوار الأديان في السودان». وقد وجهت على نطاقٍ عالمي

---

(١) من كلمة اللجنة التحضيرية للمؤتمر للدكتور: مصطفى عثمان إسماعيل.

واسع الهيئات ومنظمات إسلامية ونصرانية (ليشهدوا انطلاقة عمل هذه الجمعية). وحضر المؤتمر (أكثر من خمسين كنيسة ومنظمة إسلامية، ومؤسسات وهيئات دينية، وطرق صوفية، من حوالي ثلاثين دولة... وأداروا بينهم الرأي والحوار المخلص الصريح والصادق، حول المحاور الخمسة التالية:

□ المحور الأول: الخلفية التاريخية لحوار الأديان.

□ المحور الثاني: موضوعات وقضايا الحوار التي اشتملت على:

أ - الأساس الفقهي والنظري للحوار والتعايش بين الأديان.

ب - القواسم المشتركة بين الأديان.

ج - الدعوة إلى السلام والتعاون والتعايش.

د - التعاون بين الأديان في مواجهة النزعات المادية.

هـ - قضايا السلوك والأخلاق في منظور الأديان.

و - الدين والسياسة والقانون.

ز - موقف الأديان من القضايا الإنسانية.

□ المحور الثالث: حوار الأديان والتحديات ورؤى المستقبل.

□ المحور الرابع: الديانات والسلام العالمي.

□ المحور الخامس: جمعية حوار الأديان: التجربة السودانية.

وقدمت في إطار هذه المحاور تسعة عشر بحثاً، وكان استهلال عمل المؤتمر في الجلسة الافتتاحية بتلاوة من القرآن الكريم، وقراءة مباركة من الكتاب المقدس)[١].

---

(١) البيان الختامي لمؤتمر الحوار بين الأديان (سلام للجميع ١٩٩٤م): (١، ٢).

ومن البحوث التي طرحت في المؤتمر:

• الحوار الديني في السودان. خطة عمل إيجابي. د. الطيب زين العابدين محمد. ضمنه عرضاً تاريخياً عن أسباب التنوع الديني في السودان، وعوامل التأثير عليه من قبل الهجرات، والاستعمار الإنجليزي، والصحوة الإسلامية في عقدي السبعينيات والثمانينيات، ثم المنافسة الدينية بين الإسلام والكنائس الغربية على كسب الوثنيين في أفريقيا.

ثم تحدث عن ضرورات الحوار الديني، مركزاً على أن السودان مؤهل لكي يكون النموذج والمثال للحوار! مقدماً عدة أسباب منها: (أن السودان من أقل البلاد تأثراً بالتراث الفقهي التقليدي في العلاقات بين أهل الملل والنحل. ومن ثم فإن السودان يستطيع أن يحدث اجتهاداً جديداً في التعامل بين المسلمين والمسيحيين، يلائم مقتضيات العصر الحاضر)[١].

وقد أحدث فعلاً. وكل محدثة في دين الله بدعة.

وفي آداب الحوار وموضوعاته وآليته، ردد ما يقوله دعاة التقريب من النصارى، من المعرفة والفهم المتبادل، والاحتراز من السعي نحو تغيير الدين، (وإن كانت حرية الدعوة والتبشير يجب أن تكفل لكل مسلم أو مسيحي) كما قال، مما يؤكد تحرره وأمثاله من التراث الفقهي التقليدي، المتمثل بالعهدة العمرية، وأحكام أهل الذمة، وتبرؤهم منها.

• قوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين في السودان. للقاضي بمحكمة الاستئناف السودانية، سمير ساوس، تحدث عن مصادر الشريعة المسيحية! وطمأن المؤتمرين إلى أن وضع الأقباط الأرثذوكس في السودان يتميز بالإنصاف والعدل والاستقرار، وقد أفاض في تقرير

---

(١) نص المحاضرة (٦).

العقائد النصرانية الكفرية، التي تقشعر منها جلود المؤمنين[١].

• تجربة السودان في التعبير عن التنوع الديني في الحياة السياسية. د. إسماعيل الحاج موسى. قرر فيها أن (الإنسان السوداني هو حصيلة التمازج بين الثقافة العربية الإسلامية، والموروث الأفريقي)[٢]. وتغنى طويلاً بخصائص السودان. في التسامح والتعايش، والفهم الرحب لطبيعة الدين الإسلامي، مشدداً على أن جميع الخلافات والنزاعات لا ترتكز على أسس دينية.

• حقوق الإنسان في المسيحية. للأب القمص فيلوثاوس فرج. كاهن كنيسة الشهيدين. كانت أشبه بقدّاس كنسي منها بمحاضرة.

• سوسيولوجيا الأديان. المفهوم، الدلالة، الأبعاد، مدخل نظري حول الحوار بين الأديان د. حسن إسماعيل عبيد، تناول فيها «الظاهرة الدينية»! ـ على حد تعبيره ـ كما يتناولها علم الاجتماع الغربي بوصفها (نتاجاً للبيئة الاجتماعية بمفهومها الشامل، وتعبيراً عن الواقع الاجتماعي)[٣].

وقال أيضاً: (إن الحوار يرفض مبدأ أي توجه إحلالي، يسعى إلى نسخ الديانات القائمة وتمثلها واستيعابها في دينٍ ما، بحسبان أنه الأقوم أو الأفضل أو الأحسن. إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة، باختلاف منطلقاتها العقائدية، ورؤيتها للكون وللإنسان وللحياة)[٤].

فما أعظم الفرق بين متحدثيهم الذين يرون أنهم يؤدون «شهادة»،

---

(١) نص المحاضرة (٧).
(٢) نص المحاضرة (٢).
(٣) نص المحاضرة (٦).
(٤) نص المحاضرة (١٠).

وبين هؤلاء العصرانيين الذين يزعمون أنهم إن أرادوا إلا إحساناً وتوفيقاً.

- الحوار بين الأديان «التحديات والآفاق» د. حسن بن عبد الله الترابي.

دعا فيها إلى إقامة «جبهة أهل الكتاب»[١]، و(تكثيف الحوار، وتأسيس المنابر المشتركة، لا لمناقشة القضايا اللاهوتية، ولكن لمناقشة ما يمكن أن نفعله سوياً لإشاعة المثل والقيم الدينية... إن البعد عن عصبية الدين، والتحرر من التعصب المذهبي، هو الباب المفضي إلى حوار حقيقي بين الأديان. فإذا ترك أهل الأديان، التعصب كل لمذهبه وملته، وأقبل على دراسة الأديان بعقل متفتح كان أحرى أن ينكشف له الأصل الواحد لهذه الأديان، واشتراكها في القيم الأساسية التي تدعو له)[٢].

إنها ذات المعاني التي أطلقها جمال الدين الأفغاني قبل مائة عام[٣]، تتردد في جنبات قاعة الصداقة، في مؤتمر مجلس الصداقة الشعبية العالمية، على ألسنة العصرانيين من تلاميذه، وكلاهما؛ الأفغاني، والترابي، قد تلطخ بآفة الركون إلى الذين ظلموا، لتحقيق مكاسب سياسية، وها هو الترابي يقول: (إن الوحدة الوطنية تشكل واحدة من أكبر همومنا، وإننا في الجبهة الإسلامية نتوصل إليها بالإسلام على أصول الإبراهيمية، التي تجمعنا مع المسيحيين، بتراث التاريخ الديني المشترك، وبرصيد تاريخي من المعتقدات والأخلاق، وإننا لا نريد الدين عصبية عداء، ولكن وشيجة إخاء في الله الواحد[٤].

---

(١) راجع مبحث: الإسلاميون العصرانيون. من الباب الأول.

(٢) نص المحاضرة. (٥، ٦).

(٣) انظر: فصل الأصول التاريخية لدعوة التقريب. الباب الأول.

(٤) مجلة المجتمع. العدد (٧٣٦) في ٨/ ١٠/ ١٩٨٥م.

لقد تقرب هؤلاء الترابيون إلى النصارى بأصناف القرب والمجاملات:

■ فحضروا أعيادهم الدينية، وهنؤوهم على صفحات الجرائد والمجلات.

■ وشاركوهم صلواتهم في كنائسهم.

■ وتبرعوا بمئات الآلاف من الجنيهات السودانية لعمارة كنائسهم في مدينة «واو» الجنوبية[١].

■ وفتحوا لهم وسائل الإعلام في يوم الأحد في الفترة الصباحية لإذاعة قُدَّاساتهم.

■ واستهلوا جلسات المجلس الوطني بآياتٍ من القرآن الكريم، وترتيل من الإنجيل... إلخ[٢].

فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، وما ازداد القوم إلا ازدراءً لهم، واستطالةً عليهم. واندلعت الثورات المسلحة في أقاليم الجنوب لا تطالب بالاستقلال فحسب، بل بإسقاط نظامهم. وصدق الله إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]. فماذا يريدون منهم؟ ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

❊ ❊ ❊

(١) جريدة الإنقاذ الوطني السودانية. عدد ٤/١/١٩٩٢م.

(٢) انظر: مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي. الأمين الحاج محمد أحمد. (١٤٨).

المبحث التاسع

محاولات عالمية متفرقة

مؤتمر: «اللاجئون والمهجّرون: (آفاقٌ وعمل مشترك)»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي المسيحي في مدينة «فالّيتا» بجزيرة مالطا، في الفترة: ٨ ـ ١٠ شوال عام ١٤١١هـ، الموافق ٢٢ ـ ٢٤ أبريل عام ١٩٩١م، بمبادرة مجموعة منظمات دولية إسلامية ونصرانية هي:

١ ـ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

٢ ـ مؤسسة الدعوة الإسلامية العالمية.

٣ ـ المؤتمر الإسلامي العالمي.

٤ ـ اللجنة الدولية الكاثوليكية للاجئين.

٥ ـ الاتحاد اللوثري العالمي.

٦ ـ مجلس الكنائس العالمي.

وقد مثل هذه المنظمات أربعون شخصاً من المسلمين والنصارى، تباحثوا في مشكلة النزوح، والهجرة الجماعية، واللجوء، التي يعاني منها حوالي ثلاثين مليون نسمة في العالم، من بينهم مئات الآلاف من النصارى الذي يعملون في بلدان الشرق الأوسط المسلمة المنتجة للنفط، ومئات الآلاف من المسلمين الذين استوطنوا أوربا وأمريكا المعلمَنة، ذات الأكثرية النصرانية، كما جاء في صدر البيان الختامي للمؤتمر، وأنه (لا يزال النصارى في بعض البلدان الإسلامية يعانون من

معاملتهم كغرباء، حتى ولو كانوا مقيمين فيها منذ ألفي سنة! وفي الوقت ذاته ينظر إلى المسلمين كغرباء في أوربا وسائر البلدان الغربية، حتى ولو كانوا مقيمين فيها منذ جيلين أو ثلاثة. لا تزال ممارسات عدوانية ظاهر كنبذ اللاجئين تتكاثر في عدة بلدان...

وفي أغلب الأحيان نرى بعض السياسيين يركزون على اللاجئين والمهجرين جاعلين إياهم «كبش المحرقة»، وسبباً للمآسي الاجتماعية الداخلية، فيثيرون تجاههم العدائية)[١].

وقد تضمن البيان المسهب تحديد العناصر المشتركة - في نظر المؤتمرين - بين الديانتين في هذه القضية: (أ - الأرض ملك الله، قد عهد بمواردها للبشرية جمعاء، لكي تصبح في متناول الجميع بكل عدالة ورحمة.

ب - وقد دعانا الله لنحب بعضنا بعضاً كمحبتنا لذواتنا، ومن ثم لنخدم الجميع من دون أية أنانية أو تمييز عنصري أو طبقي أو اقتصادي أو ديني. يجب أن تقدم مساعداتنا في سبيل أهدافٍ إنسانية محضة، ومن دون أي قصدٍ لاجتذاب الآخرين دينياً.

ج - لقد نشأت المسيحية والإسلام في جوٍ من الاضطهادات، إذ أن عدداً كبيراً من المؤمنين في الديانتين اختبر مأساة التهجير)[٢].

وباستثناء العنصر التاريخي الأخير «ج»، فإن سابقيه غيرُ مُسلَّمين. فالأرض ملك الله، وقد استخلف فيها بني آدم، وسخر لهم ما فيها ليقوموا بعبادته وطاعته، فحينئذٍ تحل لهم زينتها وطيباتها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. (ومفهوم

---

(١) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية (١٦٩).

(٢) المرجع السابق (١٧٠).

الآية، أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة له ولا مباحة، بل يعاقب عليها، وعلى التنعم بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة)[١].

وأما العنصر الثاني «ب»، فإن الله دعانا لمحبة أوليائه وبغض أعدائه وجعل ذلك علامة على الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وتوعد من قدم محبة القرابة المشركة، وما سواها من حظوظ الدنيا على محبة الله ورسوله وجهادٍ في سبيله، فقال: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وجعل نبيه ﷺ أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله[٢]. فكيف ساغ لممثلي ثلاث جمعيات دعوة إسلامية أن تقر هذا الباطل، وتنسب إلى «الكتب والعقائد المقدسة» ـ كما في البيان ـ هذه الفرية، وتسوي بين أهل التوحيد والإيمان، وأهل التثليث وعباد الصلبان، في المحبة والخدمة دون أدنى تمييز، وتوافق ـ مجاراة للقوم ـ على التبرؤ من أي قصدٍ لاجتذاب الآخرين دينياً؟! أين الدعوة إذاً؟! ومتى كان المنصرون الذين يذرعون مخيمات المهجرين المسلمين يرعون هذه المبادئ؟!

فلا عجب أن يخلص المؤتمرون إلى النتيجة التالية:

(بناءً على تعاليمنا ومفاهيمنا واهتماماتنا المشتركة، توصلنا إلى المقولات التالية:

أ ـ يمكننا القول إنه حيث توجد حالات تهجير، لا تتم مشيئة الله على الأرض[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (٢١).
(٢) تقدم تخريجه (١٦٨).
(٣) بل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالمشيئة التي هي إرادة الله الكونية=

ب ـ حدثت صراعات وجراح عميقة في تاريخنا المشترك، تركت آثارها الدفينة، ومنها عدم الثقة الهائل. علينا أن نزيل الصراعات ونتخطى عدم الثقة، ونشفي الجراح وأن نبدأ بخلق الثقة بيننا.

ج ـ علينا كمؤمنين، أن نتعهد بتكريم كل شخصٍ واحترامه، من أي عرقٍ أو حضارة أو دين. وأن نؤكد واجب اقتسام خيرات الأكثر ثراءاً مع الأقل ثراءً، وإننا مدعوون لنكوِّن علامات رجاء من خلال تأكيدنا وجود الله، وننشر هذا الرجاء بمحبتنا المتبادلة)[١].

وبه يتبين أن الخلفية الحقيقية لمشاكل اللاجئين والنازحين والمهجرين من أتباع ديانة معينة، في مجتمع يعتنق ديانة مخالفة، ليست معيشية فحسب، بل الأهم من ذلك كما يتضح من التوصيات، الخلفية الدينية العقدية التي يسعى المؤتمرون إلى إذابتها بالشعارات الإنسانية الفضفاضة.

مؤتمر: «مجتمع الأرض الواحد»:

عقد هذا الاجتماع العالمي الذي يضم ممثلين من مختلف المنظمات الدينية في العالم، في مدينة «بوسي» بسويسرا، في الفترة: ٨ ـ ١٠ أغسطس عام ١٩٩١م، بتنظيم من مجموعة عمل من مختلف الطوائف الدينية، وقد التقى ما يقرب من خمسين زعيماً دينياً في المعهد

= القدرية لا راد لها ولا بد من وقوعها ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. أما إرادة الله الشرعية التي بمعنى المحبة فقد تقع وقد لا تقع. كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وعليه، فحالات التهجير هذه لا ريب أنها وقعت بمشيئة الله وإرادته الكونية. وأما من حيث هي فإنها غالباً بسبب الظلم والفساد في الأرض، والله لا يحب الفساد، ولا يريده ولا يرضاه.

(١) المرجع السابق (١٧١).

المسكوني في «بوسي»، التابع لمجلس الكنائس العالمي. وهدف الاجتماع إعلان وبيان مبادئ لميثاق الأرض، لعرضه على الاجتماع التمهيدي الثالث لمؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية، ومعالجة المشاكل العاجلة التي سيعنى بها مؤتمر «قمة الأرض» عام ١٩٩٢م، لكون المشاركين في إعلان هذا البيان يعكسون آراء الملايين من المؤمنين الملتزمين[١]. فقد أعلنوا:

(إن مجتمع الأرض أعظم هبة لنا، ومسؤولية مقدسة. نحن ندرك نداءً يحثنا على أن نتلقى هذه الهبة مع الشكر والعرفان، وأن نقتات من خيرات الأرض بعناية واهتمام، وأن نتقاسمه بالإنصاف والعدل... يجب أن يعترف ميثاق الأرض بأن لاستغلالنا غير العادل للبيئة وتدميرها، بالإضافة إلى احترامنا لها وحفاظنا عليها، أن يعترف بأن لكل ذلك أبعاد روحية وخلقية)[٢].

وهذه الأبعاد ـ كما يشير إليها البيان ـ تتصل بالعدالة الاجتماعية، بتحديد النمو والمشاركة العامة في الموارد، وحقوق الأجيال القادمة، والإضرار بالبيئة وتلويثها، والثراء والفقر في شعوب العالم، وتأثير الحروب، وتهجير الناس بالقوة، والاستهلاك المفرط للطاقة لدى دول الشمال.

المؤتمر العالمي للدين والسلام World Confrence On Relegion Peace ـ «WCRP»:

مقره الرئيسي جنيف، وله فروع متعددة في أنحاء العالم، وقد دأب منذ مطلع السبعينيات على عقد مؤتمرات عالمية واسعة النطاق، تضم مختلف الأديان، منها:

---

(١) كما جاء في تقرير حول المؤتمر لدى رابطة العالم الإسلامي ـ إدارة الدراسات والبحوث رقم (٧١٨/د) في ٢٠/٥/١٤١٢هـ (١، ٢).
(٢) المرجع السابق (٣، ٤).

١ ـ **مؤتمر: «كيوتو»**: في اليابان عام ١٩٧٠م[(١)].

٢ ـ **مؤتمر: «الدين من أجل حياة فضلى»**:

عقد في «لوفان» ـ بلجيكا ـ في الفترة: ٩ ـ ١٥ شعبان عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٢٨ أغسطس ـ ٣ سبتمبر عام ١٩٧٤م[(٢)].

٣ ـ **مؤتمر**: «برنستاون»: الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٩[(٣)].

٤ ـ **مؤتمر: «التعددية والتسامح»**:

عقد في «نيروبي» ـ كينيا، في ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق سبتمبر عام ١٩٨٤م[(٤)].

٥ ـ **مؤتمر: «باريس»**:

في الفترة: ٢ ـ ٤ ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١٥ ـ ١٧ نوفمبر عام ١٩٨٥م، وحضره مائة مشارك من اثني عشر بلداً[(٥)].

٦ ـ **مؤتمر: «السلام من خلال العمل والصلاة»**:

عقد في بكين ـ الصين ـ يوم ١٧ شوال عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٥ يونيو عام ١٩٨٦م[(٦)].

٧ ـ **مؤتمر: «التجاسر على الحوار: تخطي الخوف والعنف بالحوار والثقة»**:

عقد في «روفريتو» ـ إيطاليا في الفترة: ١ ـ ٤ رمضان عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٣٠ أبريل ـ ٣ مايو عام ١٩٨٧م، بحضور مائة مشارك من ستة عشر بلداً أوربياً[(٧)].

---

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٤٨).

(٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٤٣).

(٥) انظر: ضرورة المغامرة (١٥٢)،

(٦) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٧٠).

(٧) انظر: اللوحة لتابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٨٧).

٨ ـ **مؤتمر: «مساهمة الدين في بنيان الثقة في المجتمعات التعددية الحديثة»:**

عقد في «ملبورن ـ أستراليا» في الفترة: ١٥ ـ ٢١ جمادى الثانية ١٤٠٩هـ، الموافق ٢١ ـ ٢٧ يناير عام ١٩٨٩م[١].

٩ ـ **مؤتمر: «العلاقات بين دينٍ منظم ودولة ديمقراطية»:**

عقد في «جوهانسبرغ» ـ جنوب أفريقيا ـ في الفترة: ١٤ ـ ١٦ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ، الموافق ٢ ـ ٤ ديسمبر عام ١٩٩٠م، وحضره ثلاثمائة وخمسون مشاركاً[٢].

١٠ ـ **مؤتمر: «الأطفال العالمي»:**

عقد هذا المؤتمر في مدينة «برنستون» بولاية نيوجيرسي الأمريكية، في الفترة: ٢٥ ـ ٢٧ يوليو عام ١٩٩٠م، في المدرسة اللاهوتية لبرنستون، إثر اجتماع للمجلس التنفيذي للمؤتمر العالمي للدين والسلام، في الثامن عشر من أبريل من نفس العام، بهدف إصدار إعلان من الأديان العالمية حول أطفال العالم. وقد جاء في مسودة الإعلان، تحت عنوان: «المسؤوليات الدينية والروحية» ما يلي: (بالنسبة للهندوس، فإن الطفل ليس تجسيداً فعلياً للإنسانية فحسب، بل هو تجسيد لجوهر الألوهية. كذلك الأمر الذي يلزمنا بوجوب توفير المعيشة المادية للطفل حتى يتمكن من النمو بكامل روحه.

أما بالنسبة للمسيحي، فإن كل طفلٍ يعتبر انعكاساً بطريقة فريدة للصورة الإلهية، ووسيلة للتذكير، بصفة خاصة، بأن كل الخلق عيال الله، وكل مسيحي مطالب بأن يستجيب بفعالية لأولئك الأطفال الضعفاء، سواء كانوا عزلًا أو جوعى أو مشردين أو مرضى أو عراة أو مسجونين أو يعانون من شتى المصائب.

---

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٠٨).
(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٢٩).

أما بالنسبة للمسلم، فإن الإنسان هو خليفة الله في الأرض[١]، وهو أعظم هدية للحياة، وحتى تعزز هذه الهدية الإلهية، وحتى يكون الإنسان مؤهلاً لخلافة الله في الأرض، فإن بقاء وحماية وتطوير الأطفال تعتبر مسائل ذات أسبقية، وحقيقة هي التزام على كل مؤسسة إنسانية.

أما بالنسبة للبوذيين، فإن الكبار والأطفال يملكون طبيعة بوذا حيث إنهم جميعاً أبناء أو عيال لبوذا. وبوذا يعهد بهؤلاء الأطفال إلى آبائهم، ويلزمهم بمسؤولية رعاية وتربية أولئك الأطفال كتجسيد للطبيعة، وحقوق الطفل مثل حقوق الكبار، لا يمكن نكرانها.

أما بالنسبة لليهودي، فإن إرادة الله قد أنزلت إلى الشعب اليهودي من أجل الأطفال، وبقاء الأطفال نفسه مرتبط بتنفس الأطفال الذين ينعمون بوجود الضوء الإلهي، والطفل وعدٌ مستقبلي من جيل لجيل آخر)[٢].

إن هذا النص الذي يبتغي «تأصيل» قضية فرعية، لدى مختلف ملل الكفر والشرك والوثنية، ويحشر معهم أهل الإسلام، لَيَكشِفُ عن طبيعة هذه الملتقيات التي تجعل «العالمية» و«التقارب» فوق كل اعتبار، ولا ترى «الحق» و«الباطل» سوى «تعددية ثقافية».

---

(١) هذا كلامٌ موهم؛ إذ أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أراد به آدم، قال ابن الجوزي: (وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه. وهذا قول ابن مسعود ومجاهد. والثاني أنه خلف من سلف في الأرض قبله. وهذا قول ابن عباس والحسن). زاد المسير (١/ ٦٠). فليس الخليفة هو الإنسان بإطلاق. قال الطبري: (ذلك الخليفة هو آدم، ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حق، فمن غير خلفائه، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله) جامع البيان (١/ ٢٠٠).

(٢) مسودة إعلان اجتماع الأديان العالمية حول أطفال العالم (٦، ٧).

إن على أهل الإسلام أن ينأوا بأنفسهم عن الخوض في هذه الممارسات، ويستحوا من خالقهم ومعبودهم، أن ينسب إليه الشريك ويكفر به ويستهزأ، بمرأىً منهم ومسمع، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال بعد ذلك مذكراً ومؤكداً: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء]. وأي كفر أشنع وأبشع من خرافات الهندوس والبوذيين، وشرك النصارى، ومزاعم اليهود.

وإلى جانب ذلك يطالب ممثلو الأديان العالمية ـ بمن فيهم من شهد المؤتمر من المسلمين ـ قائلين: (وكمجموعاتٍ دينية، نجد أنفسنا مطالبين بالآتي:

تأكيد الحقائق الروحية التي ورثناها من الماضي، وكذلك الالتزام بها. . .)[١].

وثالثة الأثافي: (الابتهال من أجل أطفال العالم: من الابتهال هو صلاة أو دعاء يتكون من مجموعة من الابتهالات، يرفعها أحد الكهنة، ويرددها المصلون من بعده)[٢]. اللهم غفراً.

ثم وجَّه وليام إف. فندلي، الأمين العام المشارك للمؤتمر العالمي للدين والسلام، فرع الولايات المتحدة الأمريكية، مناشدةً للزعماء الدينيين في العاشر من يونيو من العام التالي ١٩٩١م لـ«الوفاء بالوعد» الذي قطعته الوفود الدينية المشاركة في قمة برنستون من خلال:

(١ ـ المعابد الدينية، أيام السبت والأحد والجمعة ٢٧ ـ ٢٩

(١) المرجع السابق (٨).

(٢) المرجع السابق (٩).

سبتمبر عام ١٩٩١م، بحيث تدرج المواعظ والقراءة والنشاطات في صلواتها العادية، لإحاطة المجتمعين علماً بالوعود التي قطعت في القمة، وما تستطيع أن تعمله للتأكد من أن الوعود يتم الوفاء بها.

٢ ـ الوفاء بالوعد: الأنشطة المدرسية، من ٣٠ سبتمبر إلى ٤ أكتوبر عام ١٩٩١م. إنَّ أسبوعاً من الدروس والخطط والأنشطة لفصول المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والكليات، سيطلع المدرسين والتلاميذ والطلاب وأسرهم على الوعود التي قطعت في القمة، وما تستطيع أن تعمله للتأكد من أن الوعود يتم الوفاء بها)[(١)].

وهذا أسلوبٌ جديد في محاولات الحوار والتقريب بين الأديان، يتجاوز القاعات المغلقة، والوفود الرسمية، ليصل إلى جميع الناس في مساجدهم ومدارسهم، مكرساً فكرة تقارب الأديان، مميعاً للحدود والفوارق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

١١ ـ مؤتمر: «الأديان من أجل السلام في الشرق الأوسط»:

عقد هذا المؤتمر العالمي في اليابان في الفترة: ٦ ـ ٩ نوفمبر عام ١٩٩٢م، بتنظيم من المؤتمر العالمي للدين والسلام ـ فرع اليابان ـ وقد شاركت فيه منظمات دينية متنوعة. وكان لرابطة العالم الإسلامي دور كبير في بيان حقوق الشعب الفلسطيني، وفضح عدوان اليهود داخل إسرائيل وخارجها على العرب والمسلمين. ثم كان لها استدراك على البيان الختامي للمؤتمر الذي اقتصر على عبارة «يجب اجتناب العنف»، دون أن يدين الظالم، وينتصر للمظلوم[(٢)].

---

(١) عن دراسة حول القمة العالمية لرعاية الطفل ٩١ الوفاء بالوعد «بتصرف يسير» رابطة العالم الإسلامي. إدارة الدراسات والبحوث رقم (١٣٧) في ٢/ ٢/ ١٤١٢هـ.

(٢) كما يتضح ذلك من رسالة موجهة عقب المؤتمر إلى رئيس فرع المؤتمر العالمي للدين والسلام في اليابان نيكيّو نيوانو، صورتها لدى المؤلف.




الباب الثالث

نقد دعوة التقريب بين الأديان وتقويمها

ويتضمن فصلين:

* الفصل الأول: نقد دعوة التقريب بين الأديان في ضوء العقيدة الإسلامية.

* الفصل الثاني: المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب.






الفصل الأول

نقد دعوة التقريب بين الأديان في ضوء العقيدة الإسلامية

مر في غضون البابين السابقين تعليقات وتعقبات متفرقة اقتضاها السياق، وفرضها وجوب البيان وقت الحاجة، وعدم إرسال كلام المبطلين على عواهنه مفصولاً عن كشف عواره، ودفع شبهته. ونهدف في هذا الباب إلى نظم المتناثر، ورد الفرع إلى الأصل، والمثال إلى القاعدة، والكشف عن كلياتٍ تبلورت مادتها بعد ذاك العرض التفصيلي، في سبيل نقد هذه البدعة الحادثة في الأمة الإسلامية، التي ألقت بكلكلها، ووضعت جرانها بين ظهراني المسلمين؛ دعوة التقريب بين الأديان.

ولا شك أن العروة الوثقى، والحجة الدامغة في نقد دعوة التقريب بين الأديان، بأشكالها المختلفة، التي جرى تحريرها وتمييزها في مطلع الباب الأول «حقيقة التقريب»، هي العلم أن دين الله واحد لا يتعدد، وهو الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وأن رسوله الواجب الاتباع الذي ختم به النبيين واحدٌ، هو محمد ﷺ، وأن كتابه المحفوظ الناسخ لما قبله من الكتب، المهيمن عليها واحد، هو القرآن.

فمن ثم فكل دينٍ سوى الإسلام الذي ابتعث الله به محمداً ﷺ فهو إما باطل أو منسوخ، غير مقبول عند الله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]. فليس على وجه الأرض دين حق يتعبد به لله سوى الإسلام، ولم يبق كتاب

منزل من عند الله يتعبد بتلاوته والعمل به سوى القرآن، ولا رسولٌ يجب اتباعه سوى محمدٍ ﷺ. فلو بقي أحدٌ من الأنبياء السابقين حتى زمن بعثته لم يسعه إلا أن يؤمن به، ويدخل في عقده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

وهذه الأصول العظيمة من المعلوم من الدين بالضرورة، لا ينكرها إلا كافر بالله ورسوله وكتابه. إذا تقرر هذا تهاوت فكرة التقريب بين دين الله الحق، الإسلام، وسائر الأديان المحرفة المنسوخة، فضلاً عن الوثنيات الشركية، بل لم يسغ أصلاً أن تخطر بالبال، أو تطوف في مجاري التفكير، إلا على سبيل الخطرات الشيطانية التي تستدفع بالاستعاذة، وتنقشع بالذكرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف].

جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، برئاسة الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز[1] رحمه الله: (إن من يحدث

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن آل باز، أبو عبد الله، ولد في الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وطلب العلم في صباه، وكان بصيراً فحفظ القرآن قبل البلوغ، ثم أصيبت عيناه بمرض وهو ابن ست عشرة سنة، فضعف بصره حتى ذهب، وعوضه الله البصيرة في الدين، فتلقى العلم على مشاهير علماء الدعوة السلفية في نجد، مثل الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، قاضي الرياض، وسعد بن عتيق، وحمد بن فارس، وسعد بن وقاص البخاري في مكة، ثم لازم الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ منذ سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ، حيث ولي القضاء في منطقة الخرج أربعة عشر عاماً حتى نهاية عام ١٣٧١هـ. ثم درَّس في المعهد العلمي في الرياض، وكلية الشريعة بالرياض، ثم عين عام ١٣٨١هـ نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية، ثم رئيساً عام ١٣٩٠هـ بعد وفاة=

نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية، كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان. وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان)(١)

وقد سبق في التمهيد بيان انحراف اليهود والنصارى عن التوحيد، ورغبتهم عن ملة إبراهيم، ووقوعهم في الكفر والشرك بالله، وتكذيب رسله، وتحريف كتبه، وتضييع شرائعه، في قديم عهدهم، ثم طبَّقوا هذا

= شيخه محمد بن إبراهيم، حتى عام ١٣٩٥هـ، ثم عاد إلى الرياض رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. وإلى جانب ذلك عضوية المجالس التالية: هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ثم رئيساً دائماً لها، اللجنة الدائمة للإفتاء، ثم مفتياً عاماً للمملكة، رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، رئاسة المجلس الأعلى للمساجد، رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة التابع لرابطة العالم الإسلامي، المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة. وله مؤلفات تربو على العشرين منها: الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، التحقيق والإيضاح في المناسك، التحذير من البدع. (عن ترجمة الشيخ لنفسه). انظر مجموع فتاواه ج(٢)، (٩ ـ ١٢). بالإضافة إلى محاضرات عديدة، ومشاركات دائبة في المؤتمرات والندوات، وفتاوى في الإذاعة والصحافة لا حصر لها، وهمّ دائم في الدعوة إلى الله، وتفقد أحوال المسلمين في كل مكان، ونصح لله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، مع ورعٍ نقي، وزهدٍ في الدنيا، يزينه حلم واسع، وخلق كريم، وأدب جم، وعبادةٍ دائبة، حتى طرح له القبول في الأرض، وأحبه الناس، وقد وافاه الأجل المحتوم، بعد مرضٍ ألم به ستة أشهر، لم يقطعه عن عوائده وبذله، صبيحة يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ في مدينة الطائف، وصلى عليه حشد هائل في المسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة. رحمه الله.

(١) انظر النص الكامل للفتوىٰ في الملحق رقم (٢) في آخر الكتاب.

الكفر بالاستنكاف عن الإيمان برسوله محمد ﷺ الذي قال: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[1]. فكيف يتسلل إلى ذهن مؤمن حنيف التفكير في التقريب بين الإسلام الذي أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، ورضيه لعباده ديناً، فيكفأ ما في إنائه، أو يشوبه بالأكدار والأخلاط الضارة؟!

ولهذا كان من دلائل بطلان هذه الدعوة الفاجرة نفرة عوام المسلمين، الباقين على الفطرة السليمة، منها، واستهجانهم إياها.

ولكن زيادةً في البيان، وتفصيلاً لهذه الجمل العامة، وإزالةً للشبهة العالقة ببعض النفوس، إما بسبب الجهل، أو الهوى، أو داعي المصلحة الملغيَّة، نتناول نقد هذه الدعوة من خلال المباحث التالية:

١ ـ دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان.

٢ ـ دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان.

٣ ـ شبهات دعاة التقريب بين الأديان وكشفها.



---

(١) رواه مسلم (١/ ١٣٤).

المبحث الأول

دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان

نهدف في هذا المبحث إلى بيان بطلان فكرة التقريب بين الأديان، من حيث هي فكرة مجردة، ومناقضتها لأصول الإسلام في ذاتها، ولوازمها العلمية والعملية، وسوف نستدعي في هذا الصدد مقالات دعاة التقريب من الجانبين، وتنظيرهم للفكرة، والتزامهم بلوازمها، من خلال الفقرات التالية:

أولاً: أنها رغبةٌ عن ملة إبراهيم ﷺ وحيدة عن «الصراط المستقيم»:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة]. فمن رام القرب من اليهودية والنصرانية، فضلاً عن سائر الملل الوثنية، فقد رغب عن ملة إبراهيم، التي هي الحنيفية المسلمة[(١)]. وقد أمر الله عباده المؤمنين بلزومها، فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، أي فالزموها[(٢)]. وقال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران].

وملته ﷺ هي ملة الأنبياء قبله وبعده، وهي الإسلام بمعناه العام[(٣)]، الذي يعني إسلام الوجه لله تعالى بالإخلاص له وحده دونما سواه، ونبذ الشرك، والإحسان في عبادته باتباع شرعه الذي شرعه على

---

(١) جامع البيان (١/ ٥٥٨).

(٢) جامع البيان (١٧/ ٢٠٧).

(٣) راجع مبحث: دين الإسلام في التمهيد (٣ ـ ١١).

لسان نبيه الذي بعث إليه، والإيمان بالمعاد، وذلك أحسن الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقد سَفِهَ اليهود والنصارى أنفسهم حين رغبوا عن ملة إبراهيم عليه السلام، بوقوعهم في أنواع الشرك والبدع، والكفر والفسوق والعصيان، كما قال قتادة رحمه الله: (رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعةً ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم)[1]. ومع ذلك فقد حاولوا انتحاله، والانتساب إليه، فأكذبهم الله، وأبطل دعواهم، وبرأ نبيه الكريم من كفرهم وضلالهم، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]، وأنكر عليهم أن يكون أحدٌ من أنبيائه من ذريته، على اليهودية أو النصرانية، فقال: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. كما حاولوا استزلال المؤمنين في عهد النبوة إلى طريقهم، بدعوتهم إلى التهود أو التنصر، فرد الله دعوتهم في نحورهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة]. قال ابن جرير رحمه الله: (احتج الله لنبيه محمد ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها. وعلمها محمداً نبيه ﷺ فقال: يا محمد: قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي تجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وندع سائر

---

(١) جامع البيان (١/٥٥٨). وراجع مبحث: «أهل الكتاب» في التمهيد.

الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا، ويقرُّ بها بعضنا، فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا إلى الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم)(١). وامتثل ﷺ أمر ربه فدعاهم إلى ملة إبراهيم، في خطة رشد، وكلمة سواء فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ولكن أتباع عزرا ـ لا موسى ـ وبولس ـ لا المسيح ـ شرقوا بدعوته، ولجّوا في طغيانهم، واستنكفوا واستكبروا عن اتباع الهدى، ورغبوا عن ملة إبراهيم.

وتأسيساً على ما مضى، فإن الدعوة إلى التقارب مع اليهود والنصارى، بلْه سائر الملل، حيدة عن ملة إبراهيم، ورغبة عنها، واستجابة لمطلب قديم لدى أهل الكتاب ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]، فما عسى أن يجد المسلم الحنيف عند المغضوب عليهم والضالين، سوى مكر الليل والنهار في إخراج المسلمين عن ملة أبيهم إبراهيم، دون أن يحيدوا هم قيد أنملة عن باطلهم وشركهم، كما أخبر عنهم اللطيف الخبير بقوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

وقد أرشد الله عباده المؤمنين إلى طلب الهداية إلى الصراط المستقيم في كل ركعة يركعونها في صلواتهم، من فرضٍ أو نفل، وعرَّفه لهم، وميَّزه عن غيره من سبل المجرمين، فقال في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

---

(١) جامع البيان (١/ ٥٦٤).

فوحَّد الصراط، ولم يعدده، كما في سائر المواضع في القرآن، كقوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٢٦]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤] وغيرها.

ووصفه في جميع المواضع بالاستقامة، فهو (الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه)[1].

وأضافه تارة إلى نفسه، وتارةً إلى عباده الذين أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فإضافته إلى ذاته العلية لأنه هو الذي شرعه، وإضافته إلى عباده المنعم عليهم لأنهم سلكوه، فهم أهل الهداية والاستقامة.

وميزه سبحانه عما سواه من السبل، وميزهم عمن سواهم من السالكين، أي: (غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق. وقد أكد الكلام بلا، ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارىٰ)[2].

فعلم أن من تشوّف إلىٰ مقاربة اليهود والنصارىٰ، فقد حاد الاهتداء إلىٰ الصراط المستقيم، ونزع إلىٰ سلوك صراط المغضوب عليهم أو صراط الضالين. فما أحرىٰ دعاة التقريب أن يتدبروا هذه الآيات البينات التي يرددونها في كل صلاة.

وقد تفتقت عقولهم في العصر الحديث لاستدراج المسلمين إلى شَرَك التقريب بين الأديان بالدعوة إلى «الإبراهيمية»، والالتقاء تحت

(١) جامع البيان (١/ ٧٣).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٠).

شعار إبراهيم ﷺ، في زخرف من القول، وبهرج من المظاهر الجوفاء، تستخف عقول السذج من الصحفيين، والمفكرين العصرانيين، والمنسوبين إلى العلم، غير الراسخين، كما جرى في ملتقى قرطبة الإبراهيمي، ومتحفها التضليلي الذي أدار رحاه الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي[١] عام ١٩٨٧م، وما تلاه من مؤتمرات ضمت يهوداً ونصارى ومسلمين. وما شعر هؤلاء المشاركون من المسلمين أنهم ضووا تحت شعار «إبراهيم» التاريخي، وليس «إبراهيم» الموحد الحنيف، وأن أقرانهم من اليهود والنصارى قد رغبوا عن ملته، وانتحلوا اسمه الشريف لاقتناص ضحاياهم، ليكتسبوا من أهل الإسلام اعترافاً ضمنياً، بل وصريحاً بأنهم على ملة إبراهيم.

وهذا في حد ذاته رغبةٌ عن ملة إبراهيم.

أمّا من أوغل مع القوم في نفق التقريب، وجرى في دهاليزه المظلمة، فقد أوقفوه على حقيقة أمرهم، وخبيئة نفوسهم، وهي رفض ملة إبراهيم، والتنصل من تبعاتها. ومن شواهد ذلك لدى دعاة التقارب من الجانبين:

■ يقول رايموندو بانيكار: (إن القضية التي تطرحها آسيا وأفريقيا أو أمريكا هي: إيضاح إن كانت المسيحية تريد أن تظل ديانةً توحيدية، ذات صبغة إبراهيمية أم أنها مستعدة للانفتاح)[٢]. ورغم أن النصرانية المحرفة ليست ديانة توحيدية إبراهيمية، لكن الرجل يريد أن يُسرِّع في التخلص من هذه القشرة الرقيقة، والدعوى المزعومة في الانتماء لملة إبراهيم، التي يصفها بـ«المحجر البشري للأسرة الدينية». ويتساءل متبرماً

---

(١) راجع مبحث: (محاولات روجيه جارودي) في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) العقيدة للأمام (٣٧).

في موضع آخر: (إن كان العرق الإبراهيمي يقدم اللغة الوحيدة الممكنة للمسيحية)[١].

■ يقول خيسوس آبيلينو دي لابيندا: (إن التوحيد الذي يستبعد أي شيءٍ غيره، والذي يسيطر على التقليد الإبراهيمي بحذافيره، شيءٌ لا يقوم بذاته، ولا يمكن أن يستمر من وجهة النظر التحليلية، وهذا التوحيد الذي يستبعد كل ما سواه، هو جوهر عقدة التفوق التي تجرجرها أديان هذا التقليد. فينبغي عل كل هذه الديانات الإبراهيمية أن تمتحن نفسها، وتمحص نفسها بنفسها ذاتياً من هذه الرذيلة التي ترتكبها ضد ديانات أخرى، وأن تتنازل عن احتكارها الذي تزعمه)[٢].

■ ويقول شريف عبد الرحمٰن جاه: (كي يكون المرء مسيحياً أو مسلماً، ليس من الضروري أن يكون من الناحية الروحية سامياً)[٣]. أي منتمياً إلى ملة إبراهيم، أبي الساميين.

ثانياً: أنها ابتغاءٌ لدين غير الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]. فمن لم تطب نفسه، وتقر عينه، بكل ما جاء به محمد ﷺ، وراح يتقرَّب إلى دينٍ سواه، فقد ابتغى غير الإسلام ديناً، يلفقه من هنا وهناك، حسب ما يستحسنه عقله، ويميل إليه هواه. قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ودين الإسلام هو ما أرسل الله به رسوله محمداً ﷺ من الهدى، الذي هو العلم النافع، ودين الحق، الذي هو العمل الصالح. وقد

---

(١) إلى الجذر (٨١).
(٢) إلى الجذر (١١١).
(٣) المرجع السابق (١٠٥).

نسخ الله به سائر الأديان. فلا يوجد على وجه الأرض دينٌ صحيح يُتعبد الله به، ويقبله، سوى ما جاء به محمد ﷺ. وقد دأب دعاة التقريب بين الأديان على نطح هذه الصخرة الراسية، ومحاولة اختراق هذه العقيدة المتينة، بالدعوة إلى ضربٍ من التدين العام الذي يتحلل من العقائد المحكمة، والشرائع العادلة، التي تميز دين الإسلام عن سائر الأديان المنسوخة والمبدلة. وسلكوا لبلوغ هذه الغاية مسلكين:

• **أحدهما:** تمييع مفهوم الإيمان، بحيث يشمل كل من زعم أنه جمع خصالاً ثلاثاً: الإيمان بالله، الإيمان باليوم الآخر، العمل الصالح، ولو لم يكن مؤمناً برسالة محمدٍ ﷺ، وما جاء به من عند الله، والحكم بنجاته في الآخرة.

وهذا مسلك كثير من الإسلاميين العصرانيين، ومن شواهد ذلك:

▪ يقول محمد أبو رية: (إن النجاة من الخوف والفزع، ونيل المثوبة والأجر، أمران منعقدان بأن يؤمن الإنسان بالله واليوم الآخر، وأن يأتي من الأعمال ما هو لصلاح الدنيا والآخرة. فمن فعل ذلك فله أجره عند ربه، ولا خوف عليه ولا حزن، لا فرق في ذلك بين من كانوا على ملة إبراهيم، ومن كانوا على دين غيره من الأنبياء كموسى وعيسى، بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشيء من تلك الأديان)[١].

▪ يقول عبد اللطيف غزالي: (الإسلام الذي لا يقبل غيره الله، هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن. وأي امرئ كان هذا حاله، فإنه مسلم سواءٌ كان مؤمناً بمحمد، أو كان من اليهود أو النصارى أو الصابئين، وإذن فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون... والركوع والسجود وما إليهما في الصلاة، وصيام نهار

(١) دين الله واحد (٥٢).

رمضان، وشعائر الحج إلى بيت الله في مكة، ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد بذاتها إسلام)[١].

■ ويقول محمد عمارة: ولقد يحسب البعض ـ وتلك قضية هامة ـ أن هؤلاء المبشَّرين بالنجاة، من أتباع الشرائع السماوية غير المحمدية، هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية، أما من أدرك هذه البعثة أو جاء بعدها، فلن ينجيه الإيمان بالله والآخرة والعمل الصالح، إلا إذا هو آمن بشريعة محمد، عليه الصلاة والسلام، قد يحسب البعض هذا، ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية، لن يحول بين فرقائها الذين توزعتهم، وبين النجاة)[٢].

فهذا مسلكٌ يشرع ابتغاء دينٍ غير دين الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ، في سبيل تحقيق التقريب بين الأديان، وهو دين يقوم على إيمان مجمل بوجود الله وربوبيته، مع شوائب شركية، دون توحيد العبادة الذي بعثت به الرسل، والالتزام ببعض القيم الخلقية والإنسانية فحسب!

المسلك الثاني: محاولة طمس الخصائص المميزة لدين الإسلام من النواحي التشريعية والتطبيقية، من عباداتٍ ومعاملات وحدود، ومحاربة تطبيق الشريعة الإسلامية. وهو مسلك بعض الزنادقة المندسين بين المسلمين، من أمثال روجيه جارودي.

ومن شواهد ذلك:

(١) نظرات في الدين (١٦).

(٢) الإسلام والوحدة القومية (١٤١). وانظر المناقشة التفصيلية، والرد على هذه الدعاوي في مبحث «الإسلاميون العصرانيون» الفصل الثالث من الباب الأول.

■ يقول روجيه جارودي: (يكمن هذا المرض، على سبيل المثال، في إرادة مفادها تطبيق القانون الجزائي السائد في القرن السابع، كاليد المقطوعة، بسبب السرقة، أو الجلد، بالسوط بسبب الزنى - ويضيف إليها الفقهاء، ضد القرآن الكريم وباسم التقليد، الرجم حتى الموت - وفي إرادة مفادها تطبيق القانون المدني والأحوال الشخصية، اللذين كانا يتوافقان مع شروط القرن السابع التاريخية، على الزواج والطلاق والمواريث.. إنها جريمة ضد الإسلام، وليس لـ«تطبيق الشريعة» الحقيقي أي علاقةٍ بهذه الحرفية الكسول)[١].

■ ويقول شريف عبد الرحمٰن جاه: (الإسلام لديه رسالة عالمية، تذهب إلى ما وراء الصفات والمميزات الثقافية.. إن محاولة تطبيق المضمون الرسمي بصورة مماثلة في يومنا هذا، كما طبق في قرونٍ خلت، إنما هو تفسير غير ملائم. ويمكن أن يفسح المجال لمواقف متشددة غير مرنة، ويمكن أن تكون بعيدة عن الرسالة القرآنية الحقيقية)[٢].

وهذا مسلك يرمي إلى سلخ المسلمين عن دينهم في أحوالهم الاجتماعية والتشريعية والاقتصادية وغيرها، بحسبان أن ذلك شريعة تاريخية استنفدت أغراضها، وأن عليهم أن يصطنعوا ديناً جديداً يتوافق مع عصرهم.

وهكذا يلتقي المسلكان على ابتغاء دينٍ غير دين الإسلام، بإذابة الحد الفاصل بين الإيمان وأهله، والكفر وأهله من جهة، وطمس معالم الإسلام وخصائصه وتشريعاته من جهة أخرى. وهو أمرٌ لا بد منه لدعاة التقريب بين الأديان.

---

(١) الإسلام (٨١، ١٢٦)، وانظر: تفنيد دعاويه في مبحث (محاولات روجيه جارودي) في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) إلى الجذر (١٠٥).

ثالثاً: أنها طعن في رسالة نبينا محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]. فمن سعى للتقريب بين رسالته ﷺ وسائر الأديان والملل، فقد طعن في شمولها، وعمومها وكفايتها، وختمها لسائر النبوات. فمن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وجوب الاعتقاد بأن محمداً ﷺ ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وأن رسالته إلى الناس كافة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، وأن سائر الخلق بعد بعثته، أمته؛ أمة الدعوة. سواء في ذلك المشركون وأهل الكتاب، قال ﷺ: «والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1].

ولا ريب أن ذلك يقتضي بداهةً أن الإيمان به شرطٌ لصحة الإيمان، وأنه لا يسع كائناً من كان ـ ولو كان نبياً ـ إلا اتباعه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]. وعليه فمن جعل رسالة محمد ﷺ طرفاً على مائدة التقريب بين الأديان فقد تنقصها، وغمطها حقها، وطعن في صدق صاحبها ﷺ، وكان ذلك منه إقراراً ضمنياً بتعدد الأديان، وتسويغاً لها، وتسليماً لأصحابها بإنكار نبوة محمد ﷺ، ولا يتم لدعاة التقريب أمرهم إلا بذلك، فمن ثم هوّنوا من شأن الإيمان برسالته ﷺ كشرطٍ للإيمان، ومن شواهد ذلك:

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٣٤).

■ يقول محمد عمارة: (إذا ما وقف أهل الكتاب، من أتباع شرائع الرسل الذين سبقوا محمداً ﷺ عند التصديق برسالة رسلهم، وأبوا التصديق برسالة محمد ونبوته - مع توحيدهم وعملهم الطاعات - فإن ذلك الوقوف، وهذا التوقف لا يخرجهم من إطار الدين الواحد، ولا حظيرة التدين بالإسلام - فموقفهم هذا هو انحراف. والفرق بين من يؤمن بمحمد، وبكل الرسل، وبين الذين يجحدون نبوته ورسالته - مع توحيدهم وطاعتهم - كمثل الفرق بين إيمان المؤمن الخالي من البدع، وبين إيمان من تشوب البدع إيمانه)[١].

فدعاة التقريب مسوقون بهاجس الهيام بالتقريب، إلى تصحيح إيمان كفرة أهل الكتاب، وعباداتهم الشركية، حتى لا يشوبه سوى شائبة جحد نبوة محمد ﷺ ورسالته، التي لا تعدو في نظرهم دائرة البدعة داخل الدين الواحد!

وقد دأب داعية التقريب الفرنسي، روجيه جارودي، على التهوين من الحدث التاريخي الذي عظّمه الله، وامتن به على عباده، وهو بعثة محمدٍ ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران]. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة]. ففي مقابل هذه الآيات العظيمة الفخمة، يقول جارودي بعباراتٍ باردة، مسكونةٍ بروح الحسد لهذه الأمة التي امتن الله عليها بهذه النعمة:

■ (لم يزعم محمد ﷺ قط أنه جاء بدينٍ جديد... إننا نضعف

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (٦٤).

عقيدتنا لو زعمنا بأننا أفضل من الخلق لمجرد تجاهلنا من هم سوانا)[١].

■ ليس الإسلام ديناً جديداً ولد مع نبوة النبي محمد ﷺ. ليس الله إلهاً خاصاً، وقفاً على المسلمين)[٢].

فالنبي ﷺ عنده ـ في أحسن الأحوال ـ كأنبياء بني إسرائيل الذين يجددون الدين، بالمعنى العام للدين، وعيسى موصوف بالقرآن ـ في نظره ـ أفضل من محمد[٣] ﷺ ـ. ودينه ﷺ مجرد «يقظة دينية»، لا ديناً جديداً ذا معالم مستقلة، وخصائص مميزة، إلى حد زعمه أن رجال الدين النصارى في إسبانيا، بعد مرور أكثر من قرنٍ ونصف على الفتح الإسلامي لم يكونوا يعرفون اسم «محمد» ﷺ، ولا اسم «القرآن» الكريم! بل والإسلام ذاته لم يكن مميزاً عن الأريوسية طوال هذه المدة![٤].

وهذا الغض المتعمد من قيمة الرسالة الخاتمة، وصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام، ضروري لدعاة التقريب لتخطي الحواجز والعقبات أمام صهر الإسلام المتميز المتألق، الوارث لملة إبراهيم، في صهريج الديانات المحرَّفة والملل الوثنية، فلا عجب إذاً أن تخلو بيانات المئات من مؤتمرات التقارب من ذكر نبوته ﷺ.

---

(١) من أجل إسلام القرن العشرين «ميثاق إشبيلية» (٥، ٦).

(٢) الإسلام (١٧).

(٣) نحو حرب دينية جدل العصر (٢٢ ـ ٢٣).

(٤) انظر الإسلام (٣٨). وانظر مناقشة هذه الدعاوى في الفصل الأول من الباب الثاني، محاولات روجيه جارودي.

رابعاً: أنها طعنٌ في القرآن العظيم وهيمنته على الكتب السابقة:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وهذه قاصمة الظهر لدعاة التقريب! فلئن مضى شخص رسول الله ﷺ، فإن كتابه الذي أوحي إليه ماثل حاضر محفوظٌ إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]. وقد أخبر الله تعالى أن الطائفتين من قبلنا قد حرفوا الكلم عن مواضعه، وكتبوا الكتاب بأيديهم، وقالوا: هو من عند الله، وما هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، وكتموا بعض ما أنزل الله. وقد أسفرت الدراسات النقدية التي تمت على أيدي متأخريهم، على حصول التناقض، ووقوع التحريف، وفقدان الأسانيد في أسفارهم وأناجيلهم ورسائلهم المقدسة عندهم[١].

وقد علم القاصي والداني من المسلمين، أن الله تعالى أوحى إلى نبيه محمداً ﷺ كلامه محضاً لم يُشَب، قاضياً وحاكماً وناسخاً للكتب السابقة، فلم يبقَ فيها مستمسك لأحد، فكل ما بين أيديهم إما صحيح منسوخ، أو باطل محرف.

وقد شقيَ دعاة التقريب بهذا القرآن الذي ما أنزله الله على نبيه ليشقى. فطفقوا يتطاولون عليه، ويتناوشونه من كل مكانٍ بعيد، بشبهاتهم الواهنة، وأنّى لهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]. وقد سلكوا لمحاولة تمرير باطلهم مسالك شتى:

١ ـ المناداة بإخضاع النص القرآني لمعاول النقد التاريخي، ورفع الحصانة الربانية عنه، يستوي في هذا الكفر البواح، دعاة التقريب من الجانبين. فمن شواهد ذلك:

---

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.

■ يقول طريف الخالدي: (أرى من بين تلك المشكلات التي يجب الخوض فيها من جديد مسألة «خلق القرآن». فالقول بخلق القرآن يعني أن القرآن تاريخي، وهذا أمرٌ هام جداً يتيح لنا أن ننظر من خلاله إلى الإسلام كظاهرة تاريخية، لا كنظام أزلي. كنصٍ ينبغي أن نعيد فهمه باستمرار على ضوء آخر ما استجد من العلوم البشرية، وآخر ما وصلنا إليه من فهم لتاريخ الحضارة الإسلامية)[1].

■ ويقول محمد حسين فضل الله: (ويتساءلون ـ يريد علماء النصارى: هل يمكن أن نطبق النقد التاريخي على القرآن الكريم، كما نطبقه على الكتاب المقدس، ليكون الحوار حراً في الدائرة العلمية الدقيقة؟ نلاحظ في ذلك أن علماء المسلمين دخلوا في مناقشات علمية في مفاهيم القرآن، أكثر حدةً وقساوةً على الإيمان من المناقشة في الجانب التاريخي فيه... مما يجعل مناقشة التاريخ القرآني ممكنة في المنهج العقلي الإسلامي، الذي يعمد إلى التأويل المنسجم مع السياق المجازي للقرآن، على أساس القواعد العربية البلاغية العامة)[2].

■ يقول هنري تيسير: (إن نقد مصادر التقليد الإسلامي... هو أمرٌ غير مقبول حتى الآن في المجتمعات الإسلامية)[3].

■ يقول موريس بورمانس: (أوَ من الممكن أن نخضع، على قدم المساواة، النصوص المقدسة «الكتاب المقدس، والقرآن» لنفس متطلبات النقد التاريخي؟)[4].

---

(١) المسيحيون العرب. دراسات ومناقشات (١٤٥).

(٢) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (١٩). وانظر في الرد التفصيلي على النصين السابقين مقدمة مبحث «الإسلاميون العصرانيون» في الباب الأول.

(٣) العقيدة للأمام (١٥).

(٤) المرجع السابق (١١٧).

■ يقول جوسيت جيان غوينول: (في يومنا هذا، فإن النقد الذاتي غير معترف به حتى الآن، في الإسلام، كحاجة)[١]. وما أشبه حال هؤلاء بحال من قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

٢ ـ دعوى «تاريخية القرآن» التشريعية، بغرض تعطيل الحدود الجزائية، والأحكام الاجتماعية والاقتصادية، التي تميز المجتمع المسلم عن سائر المجتمعات، وتحول دون تقريب أهل القرآن من عبّاد الأوثان والصلبان. وممن تولى كبر هذه الفرية في العصر الحديث، روجيه جارودي، فمن مقولاته:

■ (إن كل آية قرآنية نزلت من الملأ الأعلى إلى التاريخ. فلا مجال لتطبيق نصوص آية تطبيقاً حرفياً بمعزل تام عن مضمونها التاريخي التي نزلت فيه)[٢].

■ (ليست هذه «التاريخية» تاريخية القرآن الكريم، أكثر وضوحاً في أي نصٍ منها كما في النصوص الخاصة بالمرأة... كل ذلك مرتبطٌ بشروطٍ تاريخية معينة... وعلى عاتقنا تقع مسؤولية أن نجد الوسائل التاريخية في كل لحظةٍ لتحقيق هذه الغايات المتعالية، كما يضرب لنا القرآن الكريم عليها مثلاً مجتمع المدينة، ويستبعد هذا التمييز القرآني الواضح كل حرفية، ويدعونا للتفكير في الأمثلة، ولا يدعونا لأن نطبق أحكاماً تشريعية تاريخية تطبيقاً أعمى، كل الأزمنة)[٣].

٣ ـ التأويل المذموم (التحريف)، وذلك بليّ أعناق النصوص الدالة على كفر اليهود والنصارى، وحملها على محامل متعسفة، وهو

---

(١) المرجع السابق (١٤٩).
(٢) وثيقة إشبيلية (١٩).
(٣) الإسلام (١٠٣).

مسلك كثيرٍ من النصارى العرب حتى إنهم يجعلون ذلك شرطاً للتقارب، والحل الوحيد للخروج من مأزق التعارض الصريح بين «القرآن» و التقريب. ومن أبرز ما طالته محاولات التأويل:

أ ـ أن النصارى المذمومين المكفَّرين في القرآن فرقة منقرضة، لا تمثل عامة النصارى اليوم.

ب ـ أن التثليث المنسوب إلى النصارى في القرآن الكريم، يختلف عن الثالوث الذي قرره مجمع نيقية، إما لكونه ثالوثاً عددياً، أو لكون أحد أركان الثالوث هو مريم، وهو ما لا يقول به عامة النصارى.

ج ـ أن الابنيَّة المنسوبة إلى النصارى في القرآن، تختلف عن الابنية التي يقول بها النصارى، لكونها ابنية متجسدة.

وكل ذلك يتم بتأويلات باردة، ومماحكاتٍ لفظية، لا تغني عنهم شيئاً، بل تؤكد التهمة، وتؤيد استحقاقهم للحكم الذي وصمهم الله به في محكم التنزيل[١].

كما ردد أصداء هذا التحريف روجيه جارودي، فدافع عن عقيدة التثليث، وبنوة المسيح، وألوهيته المزعومة، معتمداً مسلك التأويل الكلامي تارة، ومسلك التأويل الباطني الصوفي تارة أخرى[٢].

واستدعىٰ الأب الأسباني غاليندو هذه التحريفات في مؤتمره الثالث للتقريب، الذي أسفر فيه عن نيته المبيتة في التوحيد بين الأديان على أساس ألوهية المسيح[٣].

---

(١) انظر: في هذا مقولات: الأب يوسف درة الحداد، والمطران جورج خضر، والمطران سليم كيرلس في مبحث «النصارى العرب»، والرد على شبهاتهم.
(٢) انظر: نحو حرب دينية (٢٣ ـ ٢٧)، الإسلام ص (١٩، ١١٢).
(٣) راجع أعمال المؤتمر الثالث في «محاولات الأب غاليندو» في الفصل الأول من الباب الثاني.

وفي المنتسبين إلى الإسلام «سماعون لهم»، يشاركونهم الرغبة في الانفلات من إحكام النص القرآني الذي يحول بينهم وبين ما يشتهون. ومن شواهد ذلك:

■ يقول محمد حسين فضل الله: (إن الحوار لا بد أن يرتكز على مواجهة العقيدة المعاصرة للإسلام والمسيحية، وباعتبار أن الكثير من مفاهيم العقيدة لكل منهما، ربما تجاوزها الواقع الفكري لهذا أو ذاك، مما يجعل الدخول في مناقشتها حركة في الفراغ. كما نلاحظه في بعض الأفكار التي يثيرها القرآن عن التفكير النصراني في عصر النزول، مثل «الابنية المتجسدة»، أو «التثليث المادي العددي»، وأن نحو ذلك مما يقول بعض المسيحيين عنه، بأنه لا يمثل العقيدة المعاصرة لهم، بل يمثل لوناً من ألوان التفكير البائد لبعض فرقهم التي يرفضون خطها العقيدي، كما يرفضه المسلمون، فلا يجوز لهم أن يلزموهم به، كما لو كان يمثل الحقيقة الإيمانية للمسيحية في بعدها الفكري العقدي)[١].

■ ويقول سميح دغيم: (إن المشكلة الرئيسية ليست في النصوص الإسلامية والمسيحية المنزلة، بل في قراءة وتفسير تلك النصوص، وغيرها من النصوص الدينية. وفي يومنا هذا لا توجد منهجية لقراءة النصوص القرآنية)[٢].

وما أشبه حال هؤلاء «التقريبيين» الذين يحاولون التوفيق بين كلام الله المحكم، وبين مقتضيات طاغوت التقريب، بحال من قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة (٣).
(٢) إلى الجذر ص (١٣٩).

وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء].

خامساً: أنها اتباع لغير سبيل المؤمنين، ومخالفة لإجماع المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

ولا ريب أن دعوة التقريب بين الأديان بدعة في الدين، ليس عليها عمل سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وإنما هي مُولدة خداج من عمل اليهود والنصارى، لقىً على سبيل المجرمين، ولا يُعلم وقوعها، أو تسويغها في تاريخ الإسلام إلا على أيدي زنادقة الباطنية، كجمعية إخوان الصفا، وأهل وحدة الوجود من الصوفية، والإسلام منهم براء، وأهله لهم أعداء. ثم نفض غبارها، ومهد سبلها في مطلع القرن الرابع عشر الهجري جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده التركماني، ونسج على منوالهما، وسار على خطاهما في اتباع غير سبيل المؤمنين، سائر العصرانيين(١).

وقد دفع أهل الكتاب والسنة والجماعة من علماء المسلمين في نحورهم، وأعلنوا النكير عليهم، والبراءة مما انزلقوا إليه، في مقاماتٍ محمودة، وبيانات مشهورة، يأتي بيانها لاحقاً(٢).

ومن المعلوم المشهور في السيرة النبوية بمرحلتيها المكية والمدنية، أنه ﷺ لم يسع إلى تقاربٍ مع اليهود أو النصارى، رغم توفر

---

(١) راجع: فصل الأصول التاريخية في الباب الأول. «طلائع العصرانيين» (٣٣٥ - ٣٤٠).

(٢) انظر: قسم الملاحق هذا الكتاب.

الأسباب الداعية لذلك، حسب قانون دعاة التقريب، كمواجهة الشرك في الجزيرة العربية. فقد كان بمكة نفرٌ من أهل الكتاب، كما كان مهاجره بالمدينة محفوفاً بثلاث قبائل كبار من قبائل اليهود؛ بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وقد أبرم معهم عقداً ذا صفةٍ أمنية وتنظيمية، خلا من أي لونٍ من ألوان التقارب الديني الذي ينادي به دعاة التقريب اليوم، وكاتب ﷺ ملوك النصارى داعياً إياهم إلى الإسلام، ولم يعرض عليهم ـ وحاشاه ـ التقارب بين الإسلام والنصرانية لمواجهة الوثنيين من المجوس وغيرهم، أو التعاون على إرساء القيم المشتركة للديانتين، كما يلهج بذلك دعاة التقريب، وفاوض وفد نصارى نجران، ودعاهم إلى الإسلام، وجادلهم، وألجأهم إلى المباهلة، دون أن يرضى منهم بموافقته على بعض الكتاب والكفر ببعض، حتى أعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون[1]. وعلى هذا سار خلفاؤه الراشدون المهديون في البلاد المفتوحة، لم تزِلَّ بهم قدم، أو يتسلل إليهم وهن، أن يقاربوا أهل الكتاب في شيء من الدين[2].

ومن لوازم دعوة التقريب، تجهيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وتخطئتهم، حيث لم يسلكوا هذا السبيل، ولم يأذنوا به، بل منعوه وحذروا منه. ودعاة التقريب يلتزمون بهذا اللازم عبر صور شتى، منها:

١ ـ مجاراة النصارى بالدعوة إلى الاعتراف بمظالم الماضي، والاعتذار عن أخطائه. وهو معنىً تولد في أحشاء المجمع الفاتيكاني الثاني[3]، ودأبت مؤتمرات التقريب على ترداده، وهو يصدق على

(١) انظر الفصل الثاني من هذا الباب.
(٢) راجع نبذة تاريخية في التمهيد.
(٣) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩).

التاريخ الأسود للأمم النصرانية الملطخ بدماء الأبرياء، ولكنه يحمل في طياته إدانة سبيل المؤمنين المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا، بالسيف والسنان، والحجة والبرهان.

٢ ـ نبز السلف الصالح، أئمة الهدى والدين بألقاب السوء، لحمايتهم جناب التوحيد، ومقارعة أهل البدع والملاحدة من دعاة وحدة الوجود، ووحدة الأديان، وقطع أطماعهم.

٣ ـ تمجيد زنادقة الصوفية والباطنية من الفلاسفة والشعراء والسلاطين، ووصف أعصارهم المنحطة، بالازدهار والانفتاح. كما يظهر ذلك جلياً في كتابات جارودي(١).

سادساً: أنها موالاة لأعداء الدين:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]. وإنما ينزع لمقاربة الكافرين رقة في الدين، وموالاة لأعداء الله، وأعداء أوليائه المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ . . .﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

ومن أبجديات دعوة التقريب بين الأديان، ومسلماته، وديباجات مؤتمراته، التأكيد على «المحبة» و«الأخوة» و«الصداقة» و«الثقة» و«الاحترام المتبادل» ونحوها من شعارات الولاء الظاهر والباطن، مما يفضي إلى تحطيم عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين، وشواهد ذلك كثيرة منها:

■ أقوال الشيخ أحمد كفتارو، مثل: (ليتحابب أهل الأديان السماوية، ويناصر بعضهم بعضاً)(٢)، وقوله مخاطباً جمعاً من

---

(١) راجع «محاولات روجيه جارودي» في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) الدعاة والدعوة الإسلامية المنطلقة من مساجد دمشق (١/ ٥٢٩).

النصارى: (لقد عرفناكم من خلال قرآننا، وأوامر نبينا، فاعرفونا... وصافحناكم بأمرٍ من نبينا وقرآننا فصافحونا... وعانقناكم فعانقونا... ودرسناكم دراسة أخوة وحب من خلال ديننا وفقهنا فادرسونا... ولا ينقصنا إلا أن نقترب ونقترب، وعندها لا بد وأن نرى أنفسنا إخوةً متفاهمين. هذا اللقاء والتعاون سيكون قريباً بإذن الله وبجهد المؤمنين والمخلصين من أبناء كل دينٍ سماوي)[١].

وقوله: (إن العلاج، هو في الدعوة الصادقة إلى تلاقي الديانتين السماويتين الكبيرتين في العالم؛ الإسلام والمسيحية، وإلى وضع الإخاء والحب في ظل إيمان عقلاني، يتعاون فيه الجميع بصدقٍ وإخلاص)[٢].

■ ويقول د. يوسف القرضاوي في بيان أهداف الحوار: (تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلفتها الحروب الصليبية قديماً، والاستعمارية حديثاً، وإشاعة معاني الإخاء والإنسانية والمرحمة، وفتح صفحة جديدة لعلاقات أنقى وأصفى)[٣].

■ ويقول عبد الرحمٰن شريف شيرغي: (إني أحلم، وهذا من أحلامي الحميمة، أن يأتي يومٌ نتقارب فيه بعضنا من بعض... ونزرع معاً المحبة، وليس الكراهية)[٤].

■ ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إن المودة ليست واجبةٌ بالنسبة لأبناء الأمة الواحدة، بل هي واجبة للمخالفين في الدين، ما داموا لم يعتدوا على المسلمين ولم يعادوهم... وإذا كانت المودة هي الرابطة

(١) المرجع السابق (٦٧١).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٦٩١).
(٣) أولويات الحركة الإسلامية (١٧٦).
(٤) إلى الجذر (١٨٣).

التي تربط بني الإنسان، بحكم الإسلام وسائر الأديان، فإن الرحمة تنبعث منها)[١].

وهذا غيضٌ من فيض من موالاة أعداء الدين. ولا عجب وقد ائتم هؤلاء برائد التقارب في العصر الحديث، محمد عبده، القائل: (الأصل السابع للإسلام: مودة المخالفين في العقيدة)[٢].

سابعاً: أنها فتنة عن بعض ما أنزل الله:

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فأمر الله نبيه ﷺ في سياق الحديث عن اليهود والنصارى، والتوراة والإنجيل أن يحكم بينهم بما أنزل الله، والحكم هو فصل القضاء، ونهاه عن اتباع أهوائهم المقابلة لما أنزل الله، وحذره من فتنتهم إياه عن بعض ـ فضلاً عن جميع ـ ما أنزل الله، ولم يأمره تعالى بالتقارب معهم، ومصانعتهم، والالتقاء معهم في منتصف الطريق، بالتنازل عن شيءٍ مما أنزل الله، مهما كانت الدوافع والبواعث، بغرض التوصل إلى «إيمان مشترك»، أو البحث عن «مساحات مشتركة»، تجر معها أضعافها مما ليس بمشترك.

وفكرة التقريب تقتضي الوقوع في هذا المحذور الديني الذي حذر الله منه نبيه ﷺ، لأنها مؤسسة على الانحياز نحو المخالف، والتحرك نحوه للاقتراب منه، وهذا لا ينفك عن تفريط وتساهل وممالئة وتنازل، كما يشهد بذلك الواقع، ونشير هاهنا إلى جملٍ عامة من انتهاك بعض حدود الله، والفتنة عن بعض ما أنزل الله، مما تحفل بها مؤتمرات التقريب، ونظرياته تحت مسمياتٍ وشعارات مستحدثة:

---

(١) تنظيم الإسلام والمجتمع، محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي ط(١٩٧٥م). (٥١ ـ ٥٢).

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٧٣).

١ ـ تصحيح دين اليهود والنصارى ـ وربما غيرهم ـ تحت مسمى «الاعتراف بالآخر». وهو شعارٌ لا يكاد يخلو منه مؤتمر من مؤتمرات التقريب نصاً أو فحوى، والمقصود منه انتزاع اعترافٍ من المسلمين بصحة دين المغضوب عليهم والضالين، الذين فارقوا ملة إبراهيم، واستنكفوا عن الإيمان بخاتم النبيين، وإقرارهم على وصف أنفسهم وأديانهم بـ «الأديان التوحيدية» أو «الأديان السماوية» أو «الأديان الإبراهيمية» ونحوها.

٢ ـ رفع الأحكام الشرعية القرآنية والنبوية بكفر اليهود والنصارى، تحت مسمى «التحرر من الأحكام المسبقة»، و«تعديل صورة الآخر»، و«فهم الآخر كما يريد»، ونحوها، ليتوصلوا إلى نفي وصمة «الشرك» التي دمغهم بها القرآن، عبر سلسلة طويلة من المماحكات والمخاتلات اللفظية المكشوفة، لإقناع المسلمين أنهم لا يقعون تحت وطأة تلك الأحكام، وتارة ينادون بذلك تحت مسمى «إزالة التشويه المتبادل في الكتب المدرسية والأدب والإعلام»، لتنشأ ناشئة من أبناء المسلمين، لا ترى فرقاً بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان.

٣ ـ إلغاء أحكام أهل الذمة، وإدانتها تحت مسمى «العدالة الاجتماعية»، و«العيش المشترك»، و«حقوق الإنسان». وهذه الأحكام العادلة الكريمة، وإن لم تكن في محل التطبيق والتنفيذ، بل قد هجرت منذ زمن بعيد، إلا أن القوم يسعون لاجتثاث أصلها، وإدانتها، حتى لا يبقى للمسلم ـ ولو نظرياً ـ شعورٌ بالتميز والخيرية.

٤ ـ إبطال حد الردة، والتمكين للكافرين في بلاد المسلمين، بالدعوة إلى دينهم، وبناء معابدهم، ونشر كتبهم، تحت مسمى «الحرية الدينية»، و«التعددية الدينية»، و«التعرف على الآخر»، و«الإصغاء المتبادل».

٥ ـ إلغاء الجهاد في سبيل الله، تحت مسمى «السلم العالمي»،

وإدانة حركة الفتح الإسلامي تحت مسمى «الاعتراف بمظالم الماضي». وهذه الفريضة المكتوبة، التي شرَّف الله بها أمة محمدٍ ﷺ، وجعلها سبب رحمة للناس، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، رغم أنها قد انحسرت انحساراً بالغاً في العصور الأخيرة، إلا أن دعاة التقريب من النصارى يفتلون في الذروة والغارب لاقتلاعها من قلوب المسلمين، وتشويهها، واستدراج المسلمين لمقايضتهم، بإدانة الحملات الصليبية الفاجرة الظالمة، لقاء إدانة حركة الفتح الإسلامي، والتخلي عن مبدأ الجهاد، وتأويله بالتأويلات الباردة الساقطة.

٦ ـ التشكيك في الدين، وإضعاف اليقين بخبر الله وخبر رسوله ﷺ، تحت مسمى «النسبية»، ومهاجمة «امتلاك الحقيقة المطلقة». والكفار حين يعترفون بذلك على أنفسهم وأديانهم المدخولة المحرفة، يستنزلون المسلمين لمقابلتهم بالمثل، ويمجدون «أساتذة التشكك» من زنادقة الملحدين.

٧ ـ حل عقد الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله، ورابطة الإخوة الإسلامية، تحت مسميات: «المحبة والاحترام المتبادل»، و«الأخوة الإنسانية»، و«الثقة»، و«نبذ التعصب»، و«نبذ الشك والارتياب بالآخر» ونحوها. وكلها شعارات شائعة باتت في حكم البدهيات والمسلمات لدى دعاة التقريب.

٨ ـ ترك الدعوة إلى الله، وهداية الخلق إلى الصراط المستقيم، مقابل إيقاف نشاط التنصير، بدعوى أن ذلك ينافي أدبيات الحوار والتقارب، والتفاهم الديني، والاقتصار على الدعوة بين الأتباع فقط.

فكل هذه الأصول العقدية، والمقاصد الشرعية، عصفت بها رياح فتنة التقريب بين الأديان لاستزلال المسلمين عن بعض ما أنزل الله، تحت ستار هذه الشعارات البراقة التي نحتها دعاة التقريب، كما فعل

أشياعهم من المبطلين من قبل، حين يسمون الأشياء بغير أسمائها لدفع شناعتها، واستجلاب التأييد لها(١).

وشواهد هذه الفتنة عما أنزل الله كثيرة مبثوثة في غضون ما تقدم من هذا البحث؛ في كتابات دعاة التقريب، وفي بيانات مؤتمراته وندواته.

ثامناً: أنها تسوية لأهل الإيمان بأهل الشرك وعباد الأوثان:

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص]. ومن دعا إلى التقريب بين الأديان، فقد سوّى بين من فرَّق الله بينهم، وقبل سلفاً بمبدأ الندية، والمساواة الدينية، وهذه غاية تشرئب إليها أعناق الكافرين، وتنقطع دونها آمالهم وأطماعهم؛ أن يقبل المسلم الحنيف بالنزول عن مرتبته العليَّة التي أحلَّه الله إياها بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]، والتخلي عن الخيرية التي شرف الله بها أمة الإسلام بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فيقعد على مائدةٍ مستديرة مع عباد الصلبان والأوثان والأبقار، وإخوان القردة والخنازير، وهم يخوضون في آيات الله، ويشركون به، ويكفرون برسله. وقد نهى الله نبيه عن مثل هذا فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي

---

(١) فالمعتزلة مثلاً بنوا مذهبهم على أصولٍ خمسة ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها العذاب، وهي: التوحيد، وأرادوا به نفي الصفات عن الله، والعدل، وستروا به إنكار القدر. والوعد والوعيد، وأرادوا به نفي الشفاعة، وإنكار كون العاصي الموحد تحت المشيئة والإرادة. والمنزلة بين المنزلتين، وقصدوا بها رفع اسم الإيمان عن مرتكب الكبيرة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز أو لزوم الخروج على أئمة الجور، انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٢ ـ ٧٩٣).

ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام] ثم ذكّره تعالى والمؤمنين بهذا الأمر مرة أخرى فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

وهذه المثلية هي التي يسعى إليها أعداء الإسلام، ويستجرون إليها محاوريهم من دعاة التقارب، ليحشروهم في زمرة المغضوب عليهم والضالين، والذين لا يعلمون من المشركين على قدم المساواة، ويعدون ذلك شرطاً مسبقاً للتقريب. ومن شواهد ذلك:

■ يقول بول خوري: (الحوار يفترض المساواة بين الأشخاص والجماعات)[١].

■ تقول ماريا تسكانو وخورمان نكوتشيا: (الحوار يمكن أن يحدث فقط بين طرفين متساويين... أن نعترف بتجربة الآخر، كصاحب تجربة صحيحة بالمثل كتجربتنا)[٢].

■ يقول غبريال عبود: (على أساسٍ من الثالوث: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمةٍ أخرجت للناس، يرتكز هذا الاستئثار)[٣].

■ يقول جوسيت جيان غوينول: (في هذه الحياة نعيش معاً متساوين، أهذا يكون أمراً متمشياً مع الإيمان الإسلامي؟ هذا هو السؤال الذي يفرض المستقبل، والذي لا نفتأ نشير إليه)[٤].

---

(١) العقيدة للأمام (١٩٣).

(٢) إلى الجذر (١٣١).

(٣) العقيدة للأمام (١٦١).

(٤) العقيدة للأمام (١٤٩).

■ يقول روجيه جارودي: (إن مسلماً يعرف النصوص المقدسة في الهند والصين، نصوص زرادشت، والتوراة والتقاليد الروحية الكبيرة في أفريقية وأمريكة الهنود الحمر في الشمال، يمكنه ألا يفهم على نحوٍ أفضل ماهية كلية التنزيل القرآني فحسب، ـ وهو تنزيل فريد في ذاته ـ بدلاً من الاعتقاد أنه فريد بمجرد «الغرور» و«الزهو» الساذج، لأننا نجهل أو نحتقر إيمان الآخرين)[1].

■ ويقول فهمي هويدي: (ليس صحيحاً أن المسلمين في هذه الدنيا صنفٌ متميز ومتفوق من البشر لمجرد كونهم مسلمين. وليس صحيحاً أن الإسلام يعطي أفضلية للمسلمين، ويخص الآخرين بالدونية. ليس صحيحاً أن ما كتبه أكثر الفقهاء في هذا الصدد هو دين ملزم، وحججٌ لا ترد، إنما هو اجتهادٌ يصيب ويخطئ. إن دعاوى التميز على الآخرين، وتكريس هذا التميز من جنب أكثر الفقهاء، إنما تستخدم لغةً ليست مقبولة ديناً، فضلاً عن أنها لغة باتت محل إدانة هذا العصر)[2].

تاسعاً: أنّها مداهنة في دين الله:

قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم]. قال ابن جرير ﷺ (معنى ذلك: ود هؤلاء المشركون يا محمد، لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك)[3]. وهذا عين التقريب بين الأديان الذي يجترحه دعاة التقريب بملاينة مخالفيهم، وملاطفتهم، وعدم النكير عليهم في شركهم وكفرهم بالله العظيم، وموافقتهم على عدم الخوض في مسائل الاعتقاد الكبرى،

(١) الإسلام (٩٤).
(٢) المسلمون والآخرون، أشواك وعقد على الطريق. مجلة العربي عدد ٢٦٧ ربيع الأول ١٤٠١هـ فبراير ١٩٨١م (ص٤٩).
(٣) جامع البيان (٢٩/٢١ ـ ٢٢).

ثم تصدير البيانات الختامية لملتقياتهم وندواتهم بعبارات المداهنة والتملق من «المحبة والاحترام المتبادل»، و«الاعتراف بالآخر»، ونحوها، وربما خرج ذلك إلى ممارساتٍ عملية شائنة، كما سنبينه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

وكما حذر الله تعالى نبيه ﷺ أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزل إليه، فيدع العمل به والحكم به ـ كما تقدم ـ حذره أيضاً من مداهنة الكفار بممالئتهم وموافقتهم على قول أو فعل بعض ما يريدون، لقاء استجابة أو موافقة منهم على ما يدعوهم إليه. فإن القوم ليسوا على شيءٍ، فلا يجدون حرجاً من المقايضة ببعض باطلهم. أما صاحب الحق فلا يسعه أن يتنازل عن أدنى شيءٍ منه، لأن الدين لله. وقد تعرض ﷺ لنوعٍ من ادهان الكافرين، علَّة أن يوافقهم على بعض ما يشتهون، وربما وقع في نفسه ﷺ إجالة نظرٍ، وتقدير مصلحة، ولكن الله عصمه[1]، وأنزل في ذلك آياتٍ مغلظة، ووعيداً شديداً، فقال: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

فإذا كان هذا قد قيل لسيد ولد آدم ﷺ في شيءٍ قليل، وقد كاد ولم يفعل، فكيف بمن يسعون بأقدامهم، ويكتبون بأقلامهم، ويعتلون المنابر، منادين بالتقريب بين الأديان، ممجدين شعار أهل الكفر وعباد الصلبان؛ من «التعددية الدينية»، و«تبادل الخبرة الدينية»، و«التجارب الروحية»، ونبذ دعوى «امتلاك الحقيقة المطلقة».

ومن شواهد قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم] في هذا العصر:

---

(١) انظر: جامع البيان (١٥/ ١٢٩ ـ ١٣١).

■ يقول موريس بورمانس: (أوَ من الممكن أن نخضع على قدم المساواة، النصوص المقدسة: الكتاب المقدس، والقرآن، لنفس متطلبات النقد التاريخي؟)[١]، وقوله: (قد يكون من قبيل اللعب على المكشوف قبول حرية أن يغير المرء دينه... المسيحيون تنازلوا عن تطبيق أي عقوبة في حال الردة)[٢].

■ يقول جوسيت جيان غوينول: (يجد المسلمون أمراً عادياً تماماً أن يعترف المسيحيون لإخوانهم بحق الانتقال للإسلام، وأقران المسلمين الذين قد يرغبون في التحول للمسيحية أليس بإمكانهم الحصول على نفس الحرية؟)[٣]. أي فهلموا نتواضع على تسويغ الردة.

وغني عن القول أن هذه «الحرية الدينية» التي يتملق بها هؤلاء القسس أهلَ الإسلام، ليست مكرمة من «محاكم التفتيش»، بل هي من ضمانات المبادئ الإنسانية التي تكفلها الحكومات العلمانية الغربية، وإن رغم أنف الكنيسة.

ويقابل هذه المزايدات النصرانية في «سوق المداهنة» مزايدات التقاربيين من المنسوبين إلى الإسلام، الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على الدين، نظراء على تراثه، يبيعون به ويشترون كيفما شاءوا، ومن نماذج ذلك:

■ يقول طريف الخالدي: (إذا ألقينا نحن المسلمين نظرةً على اللاهوت المسيحي لنرى ماذا يفرقنا عن بعضنا البعض، نرى أن التثليث، على عكس ما قد يتصوره البعض، هو أهون العوائق بيننا. أما أصعب العوائق فيما بيننا فهو، على عكس ما قد يظنه البعض، مسألة

(١) العقيدة للأمام (١١٧).
(٢) العقيدة للأمام (١١٧).
(٣) العقيدة للأمام (١٤٩).

صلب المسيح. فالصليب طريق الخلاص في المسيحية جمعاء، عربيةً كانت أو غربية، ونفي الصلب واضح وصريح في القرآن، ولكني أرى أن حتى هذا العائق لا يشكل في الواقع عائقاً حقيقياً. فالمسلم أيضاً يحمل معه «صليبه» الذي يؤدي به إلى الخلاص)[١].

■ ويقول محمد عمارة: (كما أن اعتراف المسلم بشريعة عيسى أو موسى، وبرسالتيهما، لا يلزم منه ترك شريعة محمد، واتخاذ العيسوية أو الموسوية طريقاً للتدين بالدين الإلهي الواحد، فكذلك الحال مع اعتراف المسيحي واليهودي بشريعة محمد ورسالته، لا يستلزم منه أن يدع شريعته ويستبدلها بشريعة الإسلام. فليحتفظ كلٌ بشريعته)[٢].

■ يقول الشيخ أحمد كفتارو: (ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرآة الصافية نور الشمس)[٣]، وقال: (لا بد من الإسراع بالتعاون والتنسيق والتقارب بيننا. ليبقَ كل واحد منا على دينه مسلماً أو مسيحياً... لكن ليتعرف كلٌ منا على ما عند أخيه، من خبرةٍ وتجربة. نتعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه من فروع، وفي هذا ما فيه من خير يعود على الجميع)[٤].

ونختم هذه النماذج المتقابلة للمداهنة، والمداهنة بالمثل، من كل طرفٍ على حدة، بنموذجٍ جامع يرويه الشيخ كفتارو: (قال لي قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في أحد لقاءاتي الحوارية معه: إنني أقرأ

---

(١) المسيحيون العرب (ص١٤٥).
(٢) الإسلام والوحدة القومية (٢١٨).
(٣) سلامٌ للبشر (٥٨).
(٤) الدعاة والدعوة (٢/ ٦٩٤).

القرآن كل يوم. فكان جوابي له: وأنا أحفظ الإنجيل)[١].

عاشراً: أنها لبس للحق بالباطل، وصدّ عن سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]. ولا ريب أن طلب القربى من الكفار يورث فتنةً في الأرض، وفساداً كبيراً، حيث يختلط الحق بالباطل وتتكدر مشاربه ويتعكر صفوه، من جراء الظهور أمام الكافة بمظهر التوافق والانسجام، لا المفاصلة والاستبيان، مما يؤدي إلى تبلبل الناس وتشوشهم، وعدم تمييزهم بين الحق والباطل، وهذا من أعظم الصد عن سبيل الله.

ولهذا أمر الله نبيه ﷺ، وعباده المؤمنين، بالتميز عن الكافرين في كل شيء، لا سيما في مقام الدعوة والعبادة، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف]. وقال: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]، وأمر نبيه أن يقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون]. قال ابن القيم رحمه الله: (إن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبداً، فإنه دين باطل فهو مختص بكم، لا نشرككم فيه، ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق. فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم)[٢].

وقد صور الدكتور علي بن نفيع العلياني هذا الأثر السيء لِلَبس الحق بالباطل، الناجم عن محاولات التقريب بين الإسلام وأهل الكتاب بالتحليل التالي:

(إن كثيراً من النصارى وبعض اليهود متعطشون إلى دينٍ شاملٍ كاملٍ كالإسلام، وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية،

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٠٧٥).

(٢) الضوء المنير على التفسير (٦/ ٤٧٥). وانظر: بدائع الفوائد (١/ ١٤٠).

التي هي من صنع الأحبار والرهبان، وليستا الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام، فإذا سمع هؤلاء تلك الشنشنة التي تصدر من أشخاصٍ يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة، المتضمنة لاعترافهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين، وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود، والبحث عن مزاملته بأي ثمن، ومحاولة تقريبه من الإسلام، خاب ظنهم، وقالوا: لماذا ننتقل إلى الإسلام، وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسة، بل إن ديننا أفضل منه، بدلالة حرص أصحابه على تقريبنا إليهم، ليكسبوا بذلك شرفاً وعزاً)[١].

بل إن مجرد اللقاء ولو على قدم المساواة، ودون تشوق وحرص، بحد ذاته يؤدي إلى ذات النتيجة. يقول الأستاد أنور الجندي: (إن هناك محاولات لحجب الإسلام بدعاوى الحوار. والحوار يهدف إلى حقيقة الحصول على اعترافات إسلامية من علماء مسلمين لامعين، بأنه لا توجد خلافات حقيقية بين الإسلام والمسيحية، وأن الخلافات بينهما هي خلافات أكاديمية. وذلك لتقديمها إلى الغربيين لإقناعهم بأن تطلعهم إلى الإسلام لا يفيد، بعد أن تبين لهم ـ كذباً وزوراً ـ أنه لا يوجد خلافٌ بينه وبين المسيحية، ولذا عليهم ألا يلتفتوا إلى الإسلام)[٢]، وهذا من أدهى وسائل الصد عن سبيل الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه. (٢٤٩).

(٢) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (٤١).

المبحث الثاني

دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان

لقد أدت الممارسة العملية الواسعة لدعوة التقريب في العقود الأربعة الأخيرة إلى انكشاف سوءاتها، وظهور آثارها السيئة على عقائد المتصلين بها وأعمالهم. ودلالة الواقع ـ لدى بعض الناس ـ أقوى في النفس من مجرد العلم النظري. كما أن الاستدلال بالواقع والآثار العملية منهج قرآني في إقناع المخالفين، وردهم إلى جادة الصواب. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام]. والآيات في معناهما كثيرة. وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة].

ونهدف في هذا المبحث إلى بيان بطلان دعوة التقريب بين الأديان من خلال الممارسة العملية الميدانية، المتحققة فعلاً، خلافاً للمبحث السابق الذي يعتمد التأصيل الشرعي المجرد، ولذلك سوف نستدعي في هذا الصدد بعض التطبيقات العملية، ونصوص البيانات المشتركة التي تقاسم عليها دعاة التقريب من الجانبين، من خلال الفقرات التالية:

أولاً: إصرار النصارى على دينهم وعدم اقترابهم من الحق:

إن المتتبع لدعوة التقريب بين الأديان التي أطلقها النصارى في هذاالعصر يجد عجباً! فرغم كل البيانات والشعارات والدعوات المنادية

بالتقارب، والتي تقتضي ـ بداهة ـ أن يتقدم كل جانب نحو الآخر خطوة، إلا أن الواقع يكشف بوضوح أن النصارى لم يحيدوا قيد أنملة عن مواقفهم العقدية الأساسية، ولم يستجيبوا لبعض الدعوات الملحة، بالتزحزح عن مواقف عقدية تاريخية، حملهم عليها الهوى والعزة بالإثم. وحتى ما عده البعض تحولاً لاهوتياً في تاريخ الكنيسة بإمكان شمول الخلاص من هم خارجها، فسروه تفسيراً يقتضي أن يكون سبب الإمكان راجعاً إلى عمل الروح القدس بصورة خفية، وأن مهمة الحوار الأخذ بأيديهم إلى الحقيقة الكاملة[1].

وحقيقة الحال أن النصارى يريدون من غيرهم أن يقتربوا منهم فحسب. ولا يقابلون ذلك إلا بمظاهر جوفاء، وبياناتٍ إعلامية، يتسللون من خلالها إلى أتباع الديانات الأخرى. قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. ومن شواهد ذلك:

أ- إصرار النصارى على الجهر بالسوء من القول في ملتقيات التقارب:

لم تحمل المجاملة آباء الكنيسة على مراعاة محاوريهم أو مضيفيهم من دعاة التقارب من المسلمين، بل صدعوا بكفرهم وتثليثهم بين ظهراني المسلمين دون مواربة، ومن أمثلة ذلك:

■ كلمة البابا يوحنا بولس الثاني في الدار البيضاء بالمغرب، التي حشد له فيها عشرات الآلاف من الشبان والشابات المسلمين، الذين حملتهم الحافلات على حين غرة من مدارسهم وجامعاتهم، حتى غصت بهم مدرجات «الاستاد» الرياضي، في ١٩ أغسطس عام ١٩٨٥م. ومما جاء فيها قوله: (إن الصراحة تقتضي أيضاً أن نعترف بتبايناتنا، وأن نحترمها، ومن البديهي أن أهم هذه التباينات هي نظرتنا إلى شخص

---

(١) راجع الباب الأول في حقيقة التقريب لدى النصارى. وثيقة «حوار وبشارة».

سيدنا يسوع الناصري وعمله. إنكم تعلمون أن سيدنا يسوع في اعتقاد المسيحيين هو الذي يدخلهم في معرفة حميمة للذات الإلهية التي تفوق كل إدراك بشري، وفي نوعٍ من الاتحاد الابني بعطايا الله ومواهبه، ولذلك فهم يشهدون أنه هو الرب والمخلص)[١]. ثم ختم كلمته الطويلة بابتهال.

■ كلمة رئيس أساقفة أسبانيا الكاردينال الكاثوليكي، أنريكي ترانكون، في مؤتمر (التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى في المسيحية والإسلام) المعقود في قرطبة عام (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) حين خاطب جمهور أهل التقريب قائلاً: (إن عقيدتنا في التثليث لا تنقص شيئاً من ذلك التأكيد القاطع المطلق، من ذلك الإيمان الذي ينبغي لإخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به، فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم، ولا نرضى أن نتهم بأننا نشرك مع الله آلهة أخرى... بجانب ذلك نؤمن بأن لعيسى صبغة إلهية... تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الإنسان، هي بالنسبة لنا أيضاً سر لا يدرك، واستناداً إلى نصوصنا، وتقليدنا العقيدي، نعبر عن الوحدة الإلهية بالتثليث)[٢].

■ لقد قال الأب موريس بورمانس في توجيهاته: (ليس أسوأ للحوار من السعي الكاذب إلى التكيف، وقوامه عند المسيحي، انتقاص إيمانه حين عرضه بحيث يجعله مقبولاً لدى المسلمين. إن الحوار يفقد كل معناه، إذا انتقص الفريق المسيحي إيمانه إلى حد جعله عموميات، وحجب عقائده التي تفترق عما يؤكده القرآن)[٣].

---

(١) دراسات إسلامية مسيحية (٨). أو: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين. (١٩٦).

(٢) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٦). وراجع التعليق على المؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية (أسبانيا والبرتغال) من الباب الثاني.

(٣) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٧).

ب ـ إصرارهم على إنكار نبوة محمد ﷺ:

لئن كان نصارى القرون الوسطى مغيَّبون تحت ركام الخرافات والأساطير التي كان ينسجها خيال رهبانهم المريض، ويصمون فيها شخص نبينا ﷺ بأقذع السباب والفِرى، فما عذر هؤلاء النصارى المعاصرين الذين تكشفت لهم حقائق هذا الدين، وتمكنوا بوسائلهم الخاصة من الوصول إلى مصادره الأصلية، ووقفوا على ما تتضمنه من حقٍ وصدقٍ وعدلٍ وبر؟!

لقد أبى النصارى الزاعمون أنهم يسعون إلى التقارب مع المسلمين مجرد التسليم بنبوة محمد ﷺ، حتى ولو لم يتبعوه، كما يؤمنون بعامة أنبياء بني إسرائيل. وقد تعرضت الكنيسة الكاثوليكية لحملة قوية أثناء انعقاد (ندوة الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس ـ ليبيا ـ عام (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦)، من قبل رئيس الجماهيرية الذي قال: (نقول لأهل الكتاب: هل يستمر نكران نبوة محمد؟ وطبعاً هذا خطأ في حق الله سبحانه وتعالى، وجهل كبير من قبل الناكرين لنبوة محمد)[١]. ومن قبل رئيس الجانب الإسلامي، الدكتور محمد أحمد الشريف، الذي أثنى على بيانات المجمع الفاتيكاني الثاني بشأن المسلمين، وأتبعه بالقول: (ويبقى تعرّف المسيحيين على حقيقة نبوة محمد ﷺ الذي بشر المسيح برسالته، ضماناً فعالاً لانطلاق حقيقي في التعاون الإسلامي المسيحي)[٢]. وبعد الولادة المتعسرة للبيان المشترك، تمخض عن هذه الجملة: (يكرم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها)[٣]. وغاية ما فيها: تكريم كل جانب لمن يعتقده الجانب الآخر

---

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (٧٤).
(٢) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (٥٤). وراجع وقائع المؤتمر بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثاني.
(٣) المرجع السابق (١٤٦).

نبياً، فقط. وذلك لا يرتقي إلى النص على محمد ﷺ كما أراد الجانب الإسلامي ـ والإقرار بنبوته، وقد تركت هذه التجربة المريرة بالنسبة للكنيسة دروساً للمستقبل في معرفة مواطئ أقدامها، والاشتراط المسبق على تحاشي موضوعاتٍ بعينها.

وحينما انعقد مؤتمر (التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى في المسيحية والإسلام) في قرطبة عام (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م)، كان المتوقع من جهة غير كنسية «جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية» أن تعلن اعترافها بنبوة محمد ﷺ، ولكن «التقدير الإيجابي» لم يبلغ هذ الحد، وأفصح الأب جاك جوينيه عن السر الأثيم في ذلك بقوله: (إن الاعتراف بمحمدٍ نبياً يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن، وبالتالي بأن محمداً خاتم المرسلين وخاتم الأديان. وهذا لا يعتبر سوى إلغاء لإنجيل المسيح)[١].

وبعد هاتين الواقعتين طوي بساط البحث في هذه المسألة، وتحاشىٰ «دعاة التقريب» إثارتها. وقد كتب سكرتير عام جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا إلى شيخ الأزهر عبد الحليم محمود رحمه الله يدعوه إلى المشاركة في مؤتمر قرطبة الإسلامي المسيحي الثالث، حول موضوع: «محمد وعيسى ملهمان للقيم الاجتماعية المعاصرة»[٢]، فلم يجبه إلى طلبه، وكتب له خطاباً جاء فيه: (إنه لا بد من الاعتراف بالدين الإسلامي، وبرسوله، حتى ينال المسلمون في أوربا ما يناله اليهود من الاعتراف بأعيادهم وشعائرهم.. وإنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحترمه المسلمون وهو عيسى عليه السلام، وأتباع رسول لا يعترف به المسيحيون، وهو محمد ﷺ)[٣]. وذهبت المناشدة أدراج الرياح.

---

(١) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٤).

(٢) راجع التعريف بالمؤتمر في الفصل الثاني من الباب الثاني (١١٨٤).

(٣) أوربا والإسلام. د. عبد الحليم محمود. دار المعارف ـ القاهرة. الطبعة الثانية. (١٨٥) وانظر النص الكامل في قسم الملاحق رقم (٤).

ج ـ إصرار النصارى على إضلال الناس بما يسمونه «التبشير»:

لعل أهم قضية يثيرها المحاورون المسلمون في مؤتمرات التقارب، ويتمسكون بها، قضية المطالبة بوقف أعمال التنصير في المجتمعات الإسلامية الفقيرة، المضطرة إلى الطعام والكساء والدواء، مما تخلفه الحروب والفيضانات والمجاعات والأوبئة في دول العالم الثالث، ومعظمها «إسلامية». وربما أظهر النصارى الموافقة في حالاتٍ معينة، لكن دون أن يكون له أثر واقعي ملموس، وفي حالات أخرى يعلنون عن إصرارهم التام على ممارسة دورهم الإضلالي والابتزازي، دون مداراة. ومن شواهد ذلك:

■ في مؤتمر ممثلي الأديان في أندونيسيا الذي عقدته الحكومة الأندونيسية عام ١٩٦٧م، لمواجهة بعض الاضطرابات الداخلية الناجمة عن النشاط التنصيري الذي كان ينخر في جسم البلاد، في تلك الحقبة، اقترح رئيس الجمهورية الامتناع عن ممارسة التبشير تجاه أتباع أحد الأديان المعترف بها في أندونيسيا، والتوجه إلى المناطق البدائية من البلاد، فأجاب زعماء النصارى بالقول: (إن المسيحيين رغم ارتباطهم بالدولة الأندونيسية، إلا إنهم مرتبطون أكثر بالأوامر الإلهية المذكورة في الإنجيل، التي تطالبهم أن يكرزوا بالإنجيل الخليقة كلها، ولذلك فهم مضطرون للقيام بهذا الواجب، ومستعدون للبذل والفداء من أجله)[١].

في المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة الذي نظمته جماعة «كريسلام»، قال: موريس بورمانس: (إن الرجال القائمين على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين، فعليهم التزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر

---

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا (٢٨).

بحقه في القيام بمهمته الرسولية، بل أيضاً واجب القيام بعملٍ تبشيري)[1].

يقول الأستاذ أنور الجندي: (الغرب يعرف وجوه القصور في دعاويه، ولكنه يحرص على أن لا يمسها المسلمون... وهو غير مستعد لأن يتنازل عن قيد شبر واحد في هذا الحوار لحساب الالتقاء على قاعدةٍ أو أساس، وإنما هي في الحقيقة، محاولة تعرض الإسلام للذوبان، وتقديم التنازلات، عن طريق أسئلة ماكرة، ومحاورين غاية في الدهاء، وحسن الظن من الطرف الآخر)[2].

فأي اقترابٍ أبداه النصارى إذاً من المسلمين في باب الاعتقاد والدعوة إليه؟ ليس ثمَّ إلا ما ذكر الله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨].

ثانياً: مساواة كتاب الله بما كتبوه بأيديهم وقالوا: هو من عند الله:

وهذا أمرٌ مسلَّم في تراث دعاة التقريب، لا نزاع فيه ولا نقاش، فقد تواضع القوم من مختلف الأطراف على احترام الكتب الدينية لكل ملة، أياً كان مضمونها، وعدّوا ذلك من شروط التقارب، والنيل منه من نواقضه ومبطلاته. وطفقوا يطلقون على التوراة والإنجيل التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم، مع القرآن العظيم اسم: «الكتب السماوية»، و«الأسفار المقدسة»، و«الوحي»، ونحوها من الألقاب والأوصاف التي لا تصدق ولا تنطبق إلا على القرآن. وسلَّم دعاة التقريب من المسلمين لأوليائهم من اليهود والنصارى بهذه القضية، ضاربين عرض الحائط بالآيات القرآنية القطعية الدلالة، والأحاديث النبوية الصحيحة

---

(١) العقيدة للأمام (١١٧).

(٢) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (١٧٢).

الثبوت[١]، بل والاعترافات الصريحة لباحثي اليهود والنصارى ونقادهم بأن كتبهم مدخولة، امتدت إليها أيدي العبث والتحريف، وظهر عليها الاضطراب والتناقض، فضلاً عن انقطاع السند. وقبلوا مذعنين خاضعين، في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ المسلمين أن يساووا ما كتبه أهل الكتاب بأيديهم، وقالوا هو من عند الله وما هو من عند الله، بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، والكتاب العزيز الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ...﴾ [فصلت]، أنزله الله على نبيه محمد ﷺ محضاً لم يشب، وتكفل ـ سبحانه ـ بحفظه بنفسه، ولم يكله إلى خلقه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر].

ولم يقتصر الأمر على الكتب المحرفة، ذات الأصل السماوي؛ التوراة والإنجيل، فإن دعاة التقريب والوحدة من زنادقة أهل الكتاب لا يقنعون بذلك، بل جروا غيرهم إلى تعظيم كتب الوثنيين، ووحي الشياطين، ومن شواهد هذا الاستدراج:

■ يقول روجيه جارودي: الإسلام الحي ينبغي له أن يغتني لدى كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلهية، من «الأوبانيشاد» في الهند، إلى «طاوية» تشوانغ تسو... وستكون النظرية اللاهوتية الإسلامية أغنى، بقدر ما تدمج أعمق المساهمات في تفسير الكتابين المنزلين السابقين ولاهوتيهما..

فكيف يكون بوسع مسلم أن يحرم نفسه من التجربة الروحية الهندية، والصينية، ويجهل تعليم أنبياء الشعوب كلها، في حين أن القرآن الكريم يأمره أن يصدقهم...

أعتقد على سبيل المثال، أن تأملاً عميقاً مخلصاً في «الأرفائيتا»

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» حول كتبهم الدينية في التمهيد.

الفيدية... وتوحيد المسلمين... سيغني تصوري الوحدة لدى الجانبين، ويكشف عن التشابهات الواقعية، الفروق أيضاً، في عملٍ هندي حقيقي، ومسلم حقيقي، الناجمة عن التصور الخاص بكلٍ من الأرفائيتا والتوحيد...

إن مسلماً يعرف النصوص المقدسة في الهند والصين، نصوص زرادشت، والتوراة، والتقاليد الروحية الكبيرة في أفريقية، وأمريكة الهنود الحمر في الشمال، يمكنه أن لا يفهم على نحوٍ أفضل ماهية كلية التنزيل القرآني فحسب.. بل يمكنه أن يباشر مع الناس القادمين من إيمانٍ آخر حواراً سمحاً وجريئاً، حواراً آسراً)[١].

■ نقل أ.تورنس. كوبيلُّو عن أحد رجال الدين الكاثوليك الصينيين قوله: (سيأتي اليوم الذي تكون فيه كتابات «كونفوشيوس»... معترفاً بها مثل «العهد القديم»)[٢].

هذا ما رضيه النصارى لأنفسهم، ويريدون أن يستدرجوا إليه نظراءهم من دعاة التقريب من المسلمين.

ومن صور مساواة القرآن العظيم بقراطيس أهل الكتاب:

١ ـ الدعوة الظالمة إلى طباعة المصحف الشريف، والعهد القديم، والعهد الجديد في كتابٍ واحد بين دفتين، وقد نادى بها في أواخر السبعينيات الميلادية، مع فكرة مجمع الأديان في سيناء، بعض رواد التقارب والتطبيع مع اليهود، فلم يمهله الله حتى هلك مطلع الثمانينيات[٣]. ثم أحيا الدعوة إلى «طبع القرآن الكريم والتوراة

---

(١) الإسلام (٨٧، ٩١، ٩٣ ـ ٩٤). وانظر التعليق على كلام جارودي في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) إلى الجذر (١٣).

(٣) انظر مقالة: (البهائية في السياسة المعاصرة في مجلة المختار الإسلامي عدد ٤١ رجب ١٤٠٦هـ).

والإنجيل في غلافٍ واحد» بعض من سار على دربه في التقارب مع اليهود والنصارى، بعد قرابة عشرين سنة، فعاجله الأجل[١]. ولعل هذا من تكفل الله بحفظ كتابه.

وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية ما نصه: (لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلافٍ واحد!! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلالٍ بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق «القرآن الكريم»، والمحرف أو الحق المنسوخ «التوراة والإنجيل»)[٢].

وقال فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد[٣]: (كيف لا يستحي من المنتسبين إلى الإسلام من يدعو إلى طبع هذه الأسفار، والإصحاحات المحرفة المفترى فيها، مع كتاب الله المعصوم «القرآن الكريم». إن هذا من أعظم المحرمات، وأنكى الجنايات، ومن اعتقده صحيحاً فهو مرتد عن الإسلام)[٤].

٢ ـ عقد المؤتمرات باسم الكتب الدينية، حيث يحشر «القرآن» مع غيره، مما يشعر بالاعتراف بها، وأنها والقرآن على حدٍ سواء. ومن تلك المؤتمرات المعقودة:

مؤتمر: «كلمة الله»: في دير سيننكا، ذي القعدة عام ١٣٩٧هـ، نوفمبر عام ١٩٧٧م.

---

(١) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة ـ الرياض الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) (١٢، ٣٠، ٧٧).

(٢) فتوى رقم (١٩٤٠٢) في ٢٥/١/١٤١٨هـ. انظر النص الكامل في قسم الملاحق. ملحق رقم (١).

(٣) عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٤) الإبطال (٧٧).

مؤتمر: «الأسفار المقدسة»: في دير سيننكا ـ فرنسا ـ شعبان ١٣٩٨هـ، يوليو ١٩٧٩م.

مؤتمر: «قراءة الأسفار المقدسة»: في تونس. شوال عام ١٣٩٩هـ، سبتمبر عام ١٩٧٩م.

مؤتمر: «كلمة الله والكتب المقدسة» في الرباط. ذي القعدة عام ١٤٠١هـ، سبتمبر عام ١٩٨١م.

مؤتمر: «كلمة الله»: في تونس. ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ، سبتمبر عام ١٩٨٢م.

وقد تمخضت هذه اللقاءات التي رعتها «فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية...»[١]. عن إصدار بحوث تجمع أعمال هذه المؤتمرات طبعت في كتابٍ بعنوان: (تلك الكتب التي تسائلنا: الإنجيل والقرآن) الطبعة الفرنسية، أو: (تحدي الكتب المقدسة: الإنجيل والقرآن) الطبعة الإنجليزية.

مؤتمر: «التوراة والإنجيل والقرآن»: في «تولوز» ـ فرنسا ـ ربيع الآخر عام ١٤٠٤هـ، يناير عام ١٩٨٤م، برعاية جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية[٢].

مؤتمر: «الكتابات المقدسة والكتابات الدنيوية»: في «تولوز». رجب عام ١٤١٠هـ، يناير ١٩٩٠م برعاية معهد تولوز الكاثوليكي[٣].

إن أقل ما تعنيه هذه اللقاءات الاستعلان والمجاهرة بتوثيق ما أوهنه الله، وإعمال ما نسخه آخر كتبه، وأقربها عهداً به. ودعاة التقريب يمهرون البيانات المشتركة في تقرير ذلك. ففي لقاء هونغ كونغ

---

(١) راجع التعريف بهذه الفرقة ومناشطها في الفصل الثاني من الباب الثاني (١٢٤٧).
(٢) راجع التعريف بالجمعية في الباب الثاني (١٢٥٧).
(٣) راجع التعريف بالمعهد في الباب الثاني (١٢٥٨).

الشهير «المسلمون والمسيحيون في المجتمع»، المنعقد في ذي الحجة ١٣٩٤هـ، يناير ١٩٧٥م[١]، جاء في الفقرة الثامنة من البيان الختامي: (لا شك أن المسلمين والمسيحيين لديهم عناصر مميزة في إيمانهم، ينظرون إليها ككنوز ثمينة. المسلمون لديهم القرآن، يؤمنون أنه وحي من الله، من خلال رسوله... والمسيحيون لديهم «الأخبار السارة» «الإنجيل»، لأعمال الله القديرة في المسيح يسوع، ومن خلاله، لأجل فداء البشرية، فعلاقة المحبة مع كائنات بشرية تقود المسلمين والمسيحيين إلى تقدير هذه الكنوز واحترامها)[٢].

٣ ـ من أبشع صور التسوية بين كلام الله، وما زعموا أنه من عند الله، ما يوجد في بعض محافل التقريب من استهلال الحفل بالقرآن الكريم، ثم بالإنجيل، كما جرى في مؤتمر الحوار بين الأديان «سلام للجميع»، المنعقد في الخرطوم في أكتوبر عام ١٩٩٤م. فقد نص البيان الختامي على (استهلال عمل المؤتمر في الجلسة الافتتاحية بتلاوة من القرآن الكريم، وقراءة مباركة من الكتاب المقدس)[٣]. بل قد اتخذت هذه الفعلة الشنيعة صفة الديمومة لدى دعاة التقريب في ذلك البلد المسلم العريق، فصاروا يستهلون جلسات المجلس الوطني بآياتٍ من القرآن الكريم، وترتيل من الإنجيل[٤]. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ...﴾ [النساء: ٨٢]. وقال معجِّزاً إياهم عن مضاهاته: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود]. وتنزل معهم في

---

(١) راجع التعريف بالمؤتمر في الباب الثاني (١١٥٤).
(٢) البيانات الميسحية الإسلامية المشتركة (٧٧).
(٣) البيان الختامي (٢).
(٤) انظر: مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي (١٤٨).

الخطاب فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ...﴾ [يونس]. ثم أيأسهم بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

ثالثاً: مساواة بيوت الله بمعابد الكفار:

لقد كان من الآثار لدعوة التقريب التسوية بين بيوت الله، المساجد التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور]، بكنائس النصارى التي تغص بالتصاوير العارية، والصلبان الضخمة، ويجهر فيها بالتثليث، وتأليه عيسى ابن مريم، وبيع اليهود التي تتلى فيها أسفارهم الموضوعة، المتضمنة أذى الله سبحانه وتعالى وأنبيائه، ومعابد الكفار، من عبدة النار والأبقار والأصنام، بناءً على الأصل الفاسد لدعوة التقريب، التي ترى أن الكل أماكن عبادة. وفي ذلك يقول سلفهم، ابن الفارض:

وإن نارَ بالتنزيل محراب مسجدٍ ... فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبارُ في كل ليلة
وإن خرَّ للأحجار في البُدِّ عاكف ... فلا وجه للإنكار بالعصبية
وما احتار من للشمس عن غرةٍ صبا ... وإشراقها من نور إشراق غرتي
وإن عبد النارَ المجوسُ وما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حجة[1]

وقول نظيره، عبد الكريم الجيلي:

فطوراً تراني في المساجد راكعاً ... وإني طوراً في الكنائس راتع[2]

---

(١) ديوان ابن الفارض. التائية الكبرى (٣٠٧ ـ ٣٠٨).
(٢) انظر: فصوص الحكم (٢١٢).

فلم يبق فرقٌ بين مأوى الملائكة، ومأوى الشياطين، وبيوت الرحمة، وبيوت العذاب عند دعاة التقريب. ومن شواهد التسوية في العصر الحديث:

١ ـ البدعة الفاجرة ببناء مجمعٍ لأماكن العبادة يضم مسجداً وكنيسةً وكنيساً، في «وادي الراحة» بصحراء سيناء، يسمى «مجمع الأديان». وقد تساءل الدكتور محمد البهي قائلاً: ما هو الهدف من «مجمع الأديان» الذي يعتزم إقامته في وادي الراحة؟ هل الهدف إقامة معابد ثلاثة في مبنى واحد ترمز إلى: الديانات السماوية: «اليهودية، والمسيحية، والإسلام؟[(١)].

أم الهدف من إقامته في سيناء ليكون بديلاً عن «القدس»، ويصبح مزاراً لأهل الأديان الثلاثة؟

وإذا كان الهدف منه أن يكون رمزاً إلى الديانات الثلاثة... لماذا يقام في سيناء بالذات؟ وهل بإقامته هناك عندئذٍ تسقط الفوارق في القيمة الدينية بين أنماط العبادة التي يباشرها اليهود في معبدهم هناك... والأخرى التي يباشرها المسيحيون في كنيستهم، وكذلك المسلمون في مسجدهم؟ ويصبح كل مباشر لعبادته في المكان الخاص بها، مقبولاً عند الله في نظر الآخر، على معنى أن يعتقد بذلك: اليهودي والمسيحي والمسلم؟.

هل الهدف من إقامة مجمع الأديان... بسيناء بوادي الراحة،

---

(١) جرى التنبيه على خطأ إطلاق مصطلح «الأديان السماوية»، وأنه لا دين سماوي سوى الإسلام. كما أن تسمية «النصرانية» بـ «المسيحية»، و«النصارى» بـ «المسيحيين» عدول عن التعبير القرآني والنبوي، وموافقة وإقرار على الانتساب للمسيح ﷺ وهو منهم براء. وكذلك تجنب التعبير بـ«الأديان الثلاثة» لما يشعره ذلك من المساواة. راجع التمهيد.

هدف سياسي وهو: تحويل أنظار المسلمين بالخصوص عن القدس، وما ارتبط بها من تاريخ الأديان الثلاثة؟ وعندئذٍ هل يصبح المكان الذي تقام فيه المساجد للمسلمين بسيناء وهو وادي الراحة، هو المكان الثالث الذي تُشد إليه الرحال؟)[1].

ومهما تكن الاحتمالات والإجابات عن هذه التساؤلات، فإنا نعلم أن هذه الفكرة جاءت في سياق معاهدة السلام مع اليهود عام ١٩٧٩م، المتضمنة تطبيع العلاقات بين المسلمين واليهود في المنطقة، لكسر حاجز النفرة والعداوة المتأصلة بين اليهود والذين آمنوا:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقد أريد تعميم هذه البدعة الخطيرة في جميع المرافق، في «رحاب الجامعات»، و«المطارات»، و«الساحات العامة»[2]، ليقر في قلوب الناس أن الأديان كلها سواء، وأنها توصل إلى الله، وأن أماكن عباداتها على حدٍ سواء، وتستحق جميعاً الإكرام والإجلال.

ولم يقتصر الأمر على إقامة المساجد والكنائس والبيع تحت سقفٍ واحد، أو ضمن سور محيط فقط، بل ضُم إلى هذه الثلاث معابد الوثنيين. وقد عاين المؤلف في أكبر ساحات العاصمة الأندونيسية جاكرتا، المعروفة بـ (TAMAN MINI INDONESIA) مجمعاً لمعابد الأديان المعترف بها هناك وهي: الإسلام والنصرانية والبوذية والهندوسية، يضم مسجداً، وكنيسة كاثوليكية، وأخرى بروتستانتية،

(١) الإخاء الديني.. ومجمع الأديان وموقف الإسلام د. محمد البهي. دار العاصمة ـ الرياض. (٢٢ ـ ٢٥). وانظر مجلة «المختار الإسلامي» العدد ٤١ رجب ١٤٠٦هـ، أبريل ١٩٨٦. (٤٢ ـ ٥٠).

(٢) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام، وغيره من الأديان (١٣).

ومعبداً بوذياً، ومعبداً هندوسياً، تنتصب جنباً إلى جنب، داخل محيط واحد، لا يفصل أحدها عن الآخر سوى ممر صغير. كما وقف المؤلف على مخططٍ هندسي لإقامة مشروع معماري في إيطاليا يضم معابد للأديان الخمسة الكبرى في العالم، على هيئة صرحٍ دائري يضم خمس وحدات معمارية، يحيط بساحةٍ عامة، ليلتقي في رحبتها المصلون! ويقوم على المشروع من النواحي القانونية والمالية مسلمٌ ونصراني ويهودي(١).

وقد أنكر علماء الإسلام هذه البدعة ذات اللوازم الكفرية، وحذروا منها، فمن ذلك ما جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية: (لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: «بناء مسجد وكنيسة ومعبد» في مجمعٍ واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدينٍ يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخٍ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال، لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم، والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعترافٌ بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى عن ذلك، كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس «بيوت الله»، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولةً عند الله، لأنها عبادة غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] بل هي بيوتٌ يكفر فيها بالله. نعوذ بالله من الكفر وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٦٢): ليست ـ أي البيع والكنائس ـ بيوت الله، وإنما

---

(١) انظر في قسم الملاحق صورة مصغرة للمشروع. ملحق رقم (٨).

بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها وأهلها، كفار، فهي بيوت عبادة الكفار)[1].

وجميع هذه اللوازم الكفرية المذكورة في الفتوى السابقة حاصلةٌ بدعوى التقريب بين الأديان، كما تقدم في المبحث الأول، ولكنها تظهر ظهوراً جلياً، وتنقدح آثارها في نفس العامة بصفةٍ مباشرة، بوجود الدليل المادي المشاهد، كهذه المجمعات المضلِّلة. وحينئذٍ يصبح «المسجد» الذي أسس ليكون أحد أركان الثالوث (مسجد، كنيسة، معبد) مسجد ضرار، لا يحل القيام فيه أبداً. يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: (هذه المساجد من شعائر الإسلام، فواجب تعظيمها، ورعاية حرمتها، وعمارتها، ومن تعظيمها ورعايتها، عدم الرضا بحلول كنائس الكفرة، ومعابدهم في حرمها، وفي جوارها، وإقرار إنشائها في بلاد الإسلام، ورفض مساجد المضارَّة بالإسلام، والضِّرار بالمسلمين، في بلاد الكافرين. فإن «المسجد» والحال هذه، مسجد مضارَّة للإسلام، لا يجوز إقراره ولا الصلاة فيه، ويجب على من بسط الله يده من ولاة المسلمين هدم هذا المجمع، فضلاً عن السكوت عنه، أو المشاركة فيه، أو السماح به، وإن كان ـ والحال ما ذكر ـ في بلاد كفرٍ، وجب إعلان عدم الرضا به، والمطالبة بهدمه، والدعوة إلى هجره.

وانظر، كيف تشابهت أعمال المنافقين، ومقاصدهم، في قديم الدهر وحديثه، إذ بنى المنافقون مسجداً ضراراً بالمؤمنين، أما عملهم اليوم، فهو أشد ضراراً بالإيمان، والمؤمنين، والإسلام والمسلمين، وقد أنزل الله ـ سبحانه ـ قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقال الحكيم

---

(١) فتوى صادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية برقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ١٤١٨/١/٢٥هـ، برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

الخبير ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة][1].

٢ ـ ويلتحق بباب التسوية بين بيوت الله ومعابد الكفار، ما شاع بين دعاة التقريب من تبادل الزيارات بين عمّار المساجد، ومرتادي المعابد، وتنظيم زياراتٍ لدور العبادة، مما يزيل الجفوة الإيمانية بين المسلم والكافر، ويجلب المودة بين المسلمين، والمحادين لله ورسوله، ويشعر الدهماء بأن تلك البيوت المزورة جميعاً بيوت الله، وروادها أهل دينه على حدٍ سواء، ومن الوقائع العملية لهذا اللون من التسوية:

• حضور النصارى المشاركين في مؤتمر «لاغون» ـ غانا ـ رجب عام ١٣٩٤هـ، يوليو عام ١٩٧٤م، حفل افتتاح الجامع الجديد لجامعة غانا، ورد المسلمين الزيارة بالمثل[2].

• جاء في أهداف «برنامج وستمنستر للتلاقي الديني» المنبثق عن الكنيسة الكاثوليكية في لندن، الذي يشمل جميع الأديان، والتقاليد الوثنية، والحركات الدينية الحديثة: (تنظيم زيارات متحضرة لبيوت العبادة، لتشجيع الفهم من خلال التجربة)[3].

---

(١) الإبطال (٩٨ ـ ٩٩).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٥٧).

(٣) Recognize The Spiritual Bonds. P.91-92.

• قام ممثلون لمؤسسة اسكندنافية للحوار الديني بين المسلمين والنصارى واليهود، بزيارةٍ للبوسنة، وصلوا في مساجدها، وكنائسها، ومعابد اليهود بها[١].

• ضمن فعاليات مؤتمر: «نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً والاستماع من بعضهم بعضاً» المنعقد في مدينة «فيتان ـ آنابا رور» في ألمانيا، مايو ١٩٨٤م[٢]، جرت مسيرة مكونة من مسلمين ونصارى يقودها قسس وأئمة محليون، لزيارة الكنيسة التابعة للمدينة المذكورة، والمسجد[٣].

• تخلل مؤتمر: «الأديان في السودان»: المنعقد في «الخرطوم» في ذي القعدة عام ١٤١٣هـ، أبريل عام ١٩٩٣م، الذي ضم ممثلين لمختلف الأديان في العالم، زياراتٍ لعددٍ من الكنائس والمساجد في الخرطوم، وملكال، وجوبا[٤].

رابعاً: مشاركة أهل الكتاب والمشركين في الصلوات والابتهالات والمناسبات الدينية:

هذا باب خزي وعار في الدنيا، وحسرةٍ وندامة في الآخرة، ولجه دعاة التقريب بين الأديان، وسيقوا إليه رغباً أو رهباً، بخطام قبولهم بمبدأ المداهنة والتقريب الذي تقلدوه، وطوقوا به أعناقهم، فلم يملكوا

---

(١) عن ترجمة لمقالة في صحيفة «سفنسكا دا جبلات» راجع محاولات التقريب في أوربا الغربية (السويد).
(٢) راجع التعريف بالمؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية (ألمانيا) الباب الثاني (١٢٨٤).
(٣) صرخة حق من ألمانيا (٩).
(٤) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في العالم العربي (السودان) الباب الثاني (١٣٩٢).

دفعه أو منعه، وإلا وصموا بالتعصب ونبذ الآخرين، وعدم القبول بالتعددية الدينية، ونحوها من شروط التقريب وأركانه.

وقد جرى في غضون العقود الثلاثة الأخيرة ما يندى له الجبين من ممارساتٍ ومواقف ليس لها سابقة في تاريخ المسلمين، ولا تستقيم إلا على قانون الزنادقة والملحدين. وهذا مسردٌ بسجِلّ العار، الموجب لسخط الجبار، سبحانه وتعالى حسب تسلسلها التاريخي:

١ ـ على هامش مؤتمر: «الإيمان بالله الواحد والجماعة الإنسانية. من أجل التعاون بين المسلمين والمسيحيين في أفريقيا على صعيد العمل والشهادة» المنعقد في «لاغون» ـ غانا ـ في رجب عام ١٣٩٤هـ، يوليو عام ١٩٧٤م[١]: (لبى المسيحيون دعوة المسلمين واشتركوا في صلاة الجمعة لمناسبة تدشين الجامع الجديد ضمن جامعة غانا، ثم حضروا في اليوم التالي حفلة تدشين هذا الجامع، كما أن المسلمين قبلوا دعوة المسيحيين، وحضروا صلاة الأحد)[٢]. وجاء في توصيات المؤتمر القيام بخطواتٍ عملية للالتقاء بروحية المشاركة والتعاون، ما يلي: (الخطوة الأولى: يمكن إقامة صلوات مشتركة، من أجل تطور المجتمع ككل)[٣].

٢ ـ ضمن فعاليات المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الدولي الأول» المنعقد في «قرطبة» في شعبان عام ١٣٩٤هـ، سبتمبر عام ١٩٧٤[٤]. (أقيم في المؤتمر حفل رمزي، ألا وهو إعادة فتح الجامع ـ الكاتدرائية

---

(١) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي من الباب الثاني (١١٤٩).
(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٥٧).
(٣) المرجع السابق (٥٩).
(٤) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (أسبانيا والبرتغال) من الباب الثاني (١١٨١).

في قرطبة، حيث أقيمت صلاة الجمعة، وفي اليوم التالي القداس الإلهي)[١].

ولم تكن تلك «الجمعة» استهلالاً لاستئناف الصلاة الشرعية في رحاب المسجد المغتصب، بل كانت جمعة «يتيمة»، جمعة «رمزية» لمشروع التقريب بين الإسلام والنصرانية، كما وصف ذلك أحد كبار دعاة التقريب النصارى، ومؤسس جماعة «كريسلام»، الأب الأسباني «غاليندو» بقوله: (إن تلك الصلاة التاريخية في تلك الجمعة الموافقة ١٣ سبتمبر ١٩٧٤م، كانت بمثابة انفصام جديد لحجاب التاريخ، وصارت بمثابة معلم لبداية كيفية جديدة لرؤية بعضنا بعضاً، ولإقامة علاقات بيننا نحن المسلمين، والمسيحيين)[٢]. وجديرٌ بالذكر أن تلكم الصلوات يشهدها طائفة من التقريبيين.

٣ ـ وفي اللقاء التخطيطي لمؤتمر: «الخطوات القادمة في الحوار الإسلامي ـ المسيحي» المنعقد في «كارتيني» ـ سويسرا ـ في شوال عام ١٣٩٦هـ، أكتوبر عام ١٩٧٦م[٣]. جاء في توصياته: (جميعنا مطلعون على التمييز الموجود لدى المسلمين بين «الصلاة الرسمية» و«الدعاء». إننا نشجع المشاركة المناسبة في الاحتفالات الدينية بعضنا لدى الآخر. ورغب بعضنا في أن يسمح له بالوجود الصامت في أوقات عبادة الجانب الآخر. كما أن بعضنا شارك في الصلوات والأدعية والتأملات، وصلى على نية بعضنا الآخر)[٤].

ولا يُعلم كيف خرَّج «فقهاء» التقريب التعبد بالحضور الصامت،

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٦٨).

(٢) العقيدة للأمام (٧).

(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي من الباب الثاني (١١٦٢).

(٤) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١١٣).

ولا كيف حرّروا مسألة «الاستنابة» في النية، في الصلاة الكنسية؟!

٤ ـ تكررت الصلاة المشهورة من الجانبين في جامع قرطبة، أثناء انعقاد مؤتمر: «الصداقة الإسلامي المسيحي الدولي الثاني» المنعقد في ربيع الأول عام ١٣٩٧هـ، مارس عام ١٩٧٧م[١]. (تجسيداً للاحترام المتبادل، الذي كانت صورته الواقعية ـ خارج قاعات المؤتمر ـ تتمثل في إقامة المسلمين لشعائر صلاة الجمعة... ثم في إقامة المسيحيين لقداس الأحد... وحرص المسلمون والمسيحيون على أن يشاركوا في الموقفين معاً)[٢].

٥ ـ وفي آسيا، أثناء انعقاد مؤتمر: «الكنيسة والجامع، ومساهمتهما في انسجام الأديان، والمصالحة بينهما» في نيودلهي في ذي القعدة عام ١٣٩٨هـ، أكتوبر عام ١٩٧٨م[٣]، بلغ الانسجام والتصالح ذروته بين دعاة التقريب حتى (تتوج الاجتماع الأخير عفوياً، بصلاة مشتركة صامتة)[٤]. وليس في دين الإسلام صلاة صامتة، فضلاً عن أن تكون مشتركة مع أهل التثليث، فلا ريب أن تلك «الصلاة» جرت وفق طقوس النصارى الكهنوتية.

٦ ـ في سابقة مؤسفة خطيرة، شارك الشيخ أحمد كفتارو، مفتي سوريا، في يونيو عام ١٩٨٦م في الاحتفال بمرور ألف سنة على وجود وإنشاء الكنيسة الروسية[٥]. ولا يخفى ما يجري في احتفالٍ كهذا في

---

(١) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أروبا الغربية (أسبانيا والبرتغال) من الباب الثاني (١١٨٤).
(٢) مجلة الفيصل عدد (٥) ذو القعدة ١٣٩٧هـ، أكتوبر ١٩٧٧م.
(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في آسيا (الهند) من الباب الثاني (١٣٢١).
(٤) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٢٧).
(٥) الدعاة والدعوة (٢/ ٧٢٦).

صنوف الشرك والكفر بالله العظيم، ونسبة الولد له، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ ثالث ثلاثة، فضلاً عن المعنى الشنيع المنطوي تحت الاحتفال بتأسيس «بيت عذاب» أمضى ألف سنة ينشر الكفر والشرك، ويصد عن سبيل الله، ويحيك المؤامرات ضد الخلافة الإسلامية العثمانية، أولاً، ثم يسوم مسلمي أواسط آسيا سوء العذاب، ويفتنهم عن دينهم.

٧ ـ «يوم الصلاة من أجل السلام»: في أسيزي:

لعل هذا الحدث المشين الذي دعا إليه البابا يوحنا بولس الثاني، مطلع عام ١٩٨٦م ممثلي جميع الأديان، وانعقد فعلاً في السابع من أكتوبر من العام نفسه، يعد أكبر تظاهرة دينية في تاريخ البشرية، يختلط فيها مسلمون مع أصناف كفرة أهل الكتاب، والمشركين، في يوم صلاة وصوم، تحت رعاية البابا والكنيسة الكاثوليكية، ونثبت أدناه وصفاً تفصيلياً لنشأة الفكرة وتنفيذها، كما وردت في المصادر الفاتيكانية ذاتها: (في يناير، ١٩٨٦م، أعلن البابا يوحنا بولس الثاني مبادرة، أخذت أناساً كثيرين بما فيهم الكاثوليك بالدهشة. فقد صرح أنه سوف يدعو قياداتٍ من جميع أديان العالم إلى «أسيزي» في أكتوبر القادم، للمشاركة في يوم صلاةٍ وصيامٍ من أجل سلام العالم. وقد اختار بلدة أسيزي في وسط إيطاليا، لأنه مسقط رأس، ومقر القديس المسيحي «فرانسيس»، الذي ترمز حياته للعديدين، كنوعٍ من القداسة المتواضعة، اللطيفة، المنفتحة على الآخرين، المتقبلة لكافة الإنسانية، إن المسيحيين والمسلمين سيتذكرون أنه في ذروة الحروب الصليبية، رفض فرانسيس النزعة المولعة بالقتال لكثيرٍ من معاصريه من المسيحيين، وبدلاً من ذلك رحل للقاء السلطان الملك الكامل بسلام وصداقة، في مصر. وفي سبيل تجنب أي شكلٍ من «التلفيقية»، عرض البابا، أنه في يوم الصلاة من أجل السلام في أسيزي سوف تأخذ كل مجموعة دينية مكانها الخاص للصلاة، وبهذه الطريقة ستتمكن كل مجموعة من الشعور بالحرية للتعبد بدقة، وفق تقاليدها الخاصة.

بعد الترحيب الأولي من البابا، أوصل مؤمنو كل مجموعة دينية إلى مكان صلاتها. فالمسيحيون، على اختلاف كنائسهم جعلوا في خدمة مسكونية في كاتدرائية القديس «روفينو» حيث يديرها البابا، أما الوفد الإسلامي، بمشاركين من اثني عشر بلداً، فقد أدوا صلاتهم الإسلامية (الصلاة الطقسية التي يفعلها المسلمون خمس مرات يومياً)، في دير القديس «أنطونيو»، مقر الطبقة الكهنوتية الاعتيادية الثالثة للفرنسيسكان.

أما المجموعات الدينية الأخرى ـ اليهود، البوذيون، الهندوس، الدينيون التقليديون، السيخ، الجينيون، البهائيون، الشنتويون، الزرادشتيون، فقد أدوا صلواتهم في مواقع مخصصة حول أسيزي، وخلال اليوم لوحظ الصوم.

وفي الطقس الأخير، التئم جميع المشاركين في ميدانٍ قبالة باسيليكا[١] القديس فرانسيس، حيث رتل ممثلو كل مجموعة دينية صلاتهم بصوتٍ عال، في حين أن الآخرين ينصتون بصمت بالغ الاحترام. وقد شكر البابا القادة الدينيين على حضورهم، وألقى الضوء على معنى ما أنجزوه سوياً ذلك اليوم في أسيزي، وقد ختم الطقس بإيماءات وإشارات السلام بين القادة الدينيين، وتهادي شتلات الزيتون، ليعاد غرسها في بيوت أوطانهم، ثم اشتركوا بأخوية، في وجبة طعام)[٢].

هذا وقد ظهر البابا يوحنا بولس الثاني في ذلك اليوم، كما تدل الصور الملتقطة لوقائع الاجتماع، واسطة العقد، وقطب الرحى، لجميع

---

(١) الباسِيليكا: Basilica مصطلح يطلق على كاتدرائية كاثوليكية ذات امتيازات خصها البابا. انظر: المورد (٩٠).

(٢) Recognize The Spiritual Bonds.P. 93-94 .

القادة الدينيين، لا بوصفه مضيفاً بل (قدم نفسه للعالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً، وأنه حامل رسالة السلام للبشرية جمعاء)[1].
إن تجنب التلفيقية، كما جاء في النص السابق، بأداء كل مجموعةٍ دينية صلاتها الخاصة على حدة، لا يخرج دعاة التقريب من المسلمين من الحرج العظيم الذي أوقعوا أنفسهم فيه، وأهانوا دينهم الذي ينتسبون إليه بسببه، من عدة أوجه:

أ ـ المشاركة في مناسبة كفرية بدعية، تولى كبرها رأس النصرانية في العالم.

ب ـ وسم تلك المناسبة بسمة واحدٍ من أعمدة الدين النصراني المحرف، وهو القديس ـ عندهم ـ فرانسيس الأسيزي، الذي بلغ به الحماس لدينه، والتفاني في التنصير أن يقصد أحد ملوك المسلمين، الملك الكامل الأيوبي، بغية تنصيره.

ج ـ إنزال المشاركين المسلمين في دير شركٍ وتثليث، يحمل اسم كبير من كبار النصارى، القديس أنطونيو، ليؤدوا صلاة التوحيد، وفي مقر طائفةٍ كانت ولا تزال، تجوب بلاد المسلمين حاملةً صليب الشرك لتنصير أبناء المسلمين، هي طائفة الفرنسيسكان، تسير على خطى مؤسسها فرانسيس الأسيزي.

د ـ الانخراط، ويا للخزي والعار، مع أمم الشرك والوثنية، في طقوسٍ كفرية، وتراتيل شيطانية، قبالة بيت عذاب تجلله الصلبان الضخمة، والتصاوير المنحوتة، ويؤمها إمام ضلالة! فوا حسرتاه! هل تلي القرآن العظيم، والذكر الحكيم، مع شنشنات الكهان، وما تنزلت به الشياطين على كل أفاكٍ أثيم؟ يستمعها دعاة التقريب ببالغ الاحترام،

---

(١) سلسلة تقارير. وزادة الشؤون، الإسلامية والأوقاف بالكويت الرقم المسلسل (٨٧/١٥) في ١٩٨٧/٨/٥م.

كما يصف التقرير. فلم يبقَ ما يتجنبه البابا من التلفيقية، إلا أن يتقلد المشاركون الصلبان، ويتناولوا العشاء الرباني «الأفخارسيتيا»، ضمن طقوس القداس الكنسي.

وقد أخذت جمعية سانت إيجيديو على عاتقها تكرار هذه السنة السيئة، فصارت تدعو إلى إقامة الصلاة المشتركة بين الأديان من أجل السلام كل عام، على غرار يوم الصلاة في أسيزي، مضيفةً إلى ذلك ملتقياتٍ فكرية ذات موضوعات متنوعة، تعقد تلك الصلوات والملتقيات في مواقع متنوعة في أوربا[١].

٨ ـ انتقلت إمامة الصلاة المشتركة لممثلي الأديان، من الغرب إلى الشرق، من مناصب الصلبان إلى بيوت الأوثان، حين دعا الراهب البوذي «إيتاي يامادا» ممثلي الأديان المجتمعين في أسيزي عام ١٩٨٦م، إلى احتفال بوذي في الرابع من أغسطس عام ١٩٨٧م، بمناسبة مرور ألف ومائتي عام على تأسيس أهم المعابد البوذية، قرب العاصمة اليابانية القديمة «كيوتو». ورقى المشاركون في الاحتفال، بما فيهم ممثلون لمؤسسات إسلامية مرموقة[٢] جبل «هِيي»، ليشهدوا طقوس احتفال وثني. والله المستعان.

٩ ـ في أثناء سلسلة محاضرات مؤتمر: «الإصغاء إلى كلام الله المسيحية والإسلام» المنعقد في «مودلنغ» قرب «فيينا» ـ سويسرا ـ في أبريل عام ١٩٩٠م[٣] دعا مدير معهد القديس جبرائيل اللاهوتي، د.

---

(١) راجع التعريف بجمعية سانت إيجيديو، ومؤتمرات الصلاة من أجل السلام في محاولات التقريب في أوربا الغربية (إيطاليا) الباب الثاني (١٢١٢).

(٢) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (٢٥) وانظر أيضاً: Recognize The Spiritual Bonds. P.95 .

(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوربا الغربية (النمسا) من الباب الثاني (١٢٦٩).

أندرياس بشته، إلى «ساعة صلاة» قائلاً: (إن وقوفنا معاً أمام الله هو في الأعماق موهبةٌ منحت لكل واحدٍ منا في شخصيته الفريدة، وكرامة حياته. ولذلك هو يحدونا أن نقيم هذه المشاركة الروحية في اختلاف مذاهبنا، ونعبر عنها بواسطة الصلاة...

فنستمع في الجزء الأول من ساعة الصلاة المسيحية الإسلامية هذه إلى تلاوة تفسير من القرآن والكتاب المقدس، ثم نوجه كل منا بلغة إيمانه الخاصة، وقلبه المؤمن، كمسلمين، ومسيحيين، نوجه صلاتنا إلى الله)[١].

وقد وعظ القومَ المتقاربين أحد المسلمين، بتفسير «تقاربي» لقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]. كما وعظهم أحد النصارى، بنصٍ من سفر أشعيا. تلا ذلك قراءة لسورة الفاتحة من قبل المسلمين، وقراءة المقطع (أبانا الذي في السماوات) من إنجيل متى (٦/ ٩ ـ ١٣) للنصارى، ثم تسبيحٌ مشترك شبيه بما في سفر المزامير[٢].

١٠ ـ في مؤتمر: «الأطفال العالمي» المنعقد في «برنستون» ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ الذي ضم مسلمين ونصارى ويهود وبوذيين وهندوس، في يوليو عام ١٩٩٠م، فقرة بعنوان: «الابتهال من أجل أطفال العالم» عُرِّفت بما يلي: (الابتهال هو صلاة أو دعاء يتكون من مجموعة من الابتهالات يرفعها أحد الكهنة، ويرددها المصلون من بعده). وقد صُدِّرت جمل الابتهال بعبارتين: (أنقذوا أطفالنا)، و(احموا أطفالنا). فلا ندري هل الكاهن يرفع ابتهالاته إلى الواحد القهار، أم إلى أرباب متفرقين، وآلهة شتى.

---

(١) الإصغاء إلى كلام الله (١٨٥ ـ ١٨٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٨٧ ـ ٢٠٠).

والنصارى لا يبالون - في دينهم - أن يفعلوا ذلك، كما تفعل أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات مع غير المسيحيين، ومن بعدها المجمع البابوي لحوار الأديان، من توجيه التهنئة بعيد الفطر، سنوياً، للمسلمين، ليستدرجوا المسلمين لخطواتٍ مماثلة: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ⑨﴾ [القلم]. ولن يعدموا من دعاة التقريب ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرامٌ بالاتفاق. مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك. أو: تهنأ بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة فقد تعرض لمقت الله وسخطه)[1].

هذا كلامه رحمه الله، وهو يلحظ الجانب الشخصي لفردٍ من المسلمين، فكيف إذا لُحظ الأمر الجلل، والخطب العظيم، وهو السعي للتقريب بين دين الله الإسلام، ومن رغب عن ملة إبراهيم؟!

خامساً: إجراء الدراسات الدينية المشتركة، ومقارنة الأديان:

إن من آثار دعوة التقريب بين الأديان العملية، النزوع نحو تأسيس دراسات دينية، ومبادلات ثقافية، ومقارنة بين مختلف الأديان، لا بنية إظهار تفوق دين الإسلام وعلوه على الدين كله، بل بهاجس

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

إبراز أوجه التوافق والتشابه، ومحاولة طمس وإقصاء أوجه الاختلاف. ولعل هذه النزعة بدأت أول الأمر تحت غطاءِ «علم مقارنة الأديان»، وهو ليس من العلوم الإسلامية أو الفنون الشرعية[١]. ثم نما وتطور حتى صار يصب في قناة تقريب الأديان. ولعل أول من تنبه إلى هذه العلاقة بين «مقارنة الأديان» و«تقريب الأديان»، الكاتب الإسلامي الفاضل الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله حيث كشف في محاضرة ألقاها عام (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) في جامعة طرابلس ـ ليبيا ـ بعنوان «الإسلام والعالمية» على اندراج اتجاهات المقارنة في منظومة العالمية، أو ما يسمى حالياً بـ«العولمة» بمعنى جعل العالم واحداً[٢]. فقال: (وليست الدراسات الحديثة في الدين المقارَن، والأدب المقارن، والقانون المقارن، وعلم اللغة المقارن... وأشباهها إلا فروعاً من هذا التصور)[٣].

ودعاة التقريب بين الأديان يحذرون من أن تتجه مقارنة الأديان إلى نوعٍ من البحث والتمحيص في ذات المعتقدات لتمييز الخبيث من الطيب، بل يهدفون إلى تلمس وجوه الشبه فقط، ففي البيان الختامي لأحد مؤتمرات التقريب بين الإسلام والنصرانية المبكرة، عقد في «لاغون» ـ غانا ـ رجب ١٣٩٤هـ ـ يوليو ١٩٧٤م، جاء بعد تعريف

---

(١) يقول الأستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمته الحافلة لترجمته لبروتوكولات حكماء صهيون: (وقل مثل ذلك في علم مقارنة الأديان، التي يحاول اليهود بدراسة تطورها، ومقارنة بعض أطوارها ببعض، ومقارنتها بمثلها في غيرها، أن يمحوا قداستها، ويظهروا الأنبياء مظهر الدجالين) الخطر اليهودي (٧٨). وبذلك يتبين الفرق بين هذا المنحى اليهودي، والتراث الإسلامي المتمثل في دراسة «الملل والنحل» و«الفرق» و«المقالات» الذي يهدف إلى إبطالها وكشف عوارها.

(٢) راجع حقيقة التقريب. الباب الأول.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية (١٨٠).

«الحوار» ووسائله وأهدافه، هذا الاحتراز: (خوفاً من أن يعتبر الحوار، خطأ، نوعاً من المقارنة بين الديانات، للتعرف إلى معتقداتها بطريقة أكاديمية، تصبح هدفاً لذاتها)[١]. فهو بالتالي اتجاه يستبعد أي صورةٍ من صور «الدعوة» و«المجاملة» و«المناظرة» و«المحاججة» التي جاء بها الإسلام، ونطق بها القرآن.

أما المطلوب حقاً، والمنفَّذ فعلاً، من قبل دعاة التقريب فله شواهد ماثلة، ومؤسسات قائمة، ترفع لواء البحث المشترك بين الأديان، ومن ذلك:

١ - في ختام سلسلة محاضرات «المسيحية والإسلام في لبنان»، التي عقدتها الندوة اللبنانية[٢] في موسم عام (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)، جاء في البيان الذي وقعه المشاركون من المسلمين والنصارى التوصية التالية: (يرى الجميع لزاماً عليهم أن يسعوا لإنشاء معهد جامعي عالٍ للدراسات الدينية المقارنة، تشرق فيه المعرفة بحقائق المسيحية والإسلام، ويصبح قبلةً لجميع الباحثين عن هذه الحقائق بحثاً علمياً)[٣].

وكان ذلك قد ورد على لسان «يواكيم مبارك» في محاضراته، وأيده في ذلك «صبحي الصالح»[٤]. بل قد دعا يواكيم مبارك (أن يحتل أستاذٌ مسلم منبراً مختصاً بالمسيحية في الجامعة اللبنانية، وأن يحتل مقابل ذلك، أستاذٌ مسيحي المنبر المختص بالأنظمة

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٦١).

(٢) راجع التعريف بالندوة ومناشطها في محاولات التقريب في العالم العربي (لبنان) من الباب الثاني (١٣٥٠).

(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٣٤).

(٤) انظر: عهد الندوة اللبنانية (٤٧٧، ٤٩٠).

الإسلامية)(١). وقد ترجمت هذه الدعوات والمساعي إلى واقع قائمٍ في لبنان، ترعاه مؤسسات أنشأت لهذا الغرض، وعامتها بمبادراتٍ نصرانية، وهي:

أ ـ معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، التابع لجامعة القديس يوسف، المؤسس عام ١٩٧٧م. وجاء في تعريفه: (يرمي إلى التعاطي مع الإسلام والمسيحية تعاطياً جديداً، انطلاقاً من الحقائق الأساسية التي يمتاز بها هذان التراثان... يأخذ على عاتقه تعميق التفاهم بين الإسلام والمسيحية)(٢). وحقق المعهد فعلاً هذا الاشتراك على مستوى الأساتذة والطلاب والدراسات(٣). ومن نتاجه المطبوع في هذا السبيل كتاب (طريقة التحليل البلاغي والتفسير. تحليلات نصوص من الكتاب المقدس ومن الحديث النبوي الشريف) في أكثر من ثلاثمائة صفحة، اشترك في تأليفه مسلمان ونصرانيان.

ب ـ مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، التابع لمعهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت في حريصا. وهو (يعني بتعزيز الحوار الفكري الأكاديمي البحت، الرامي إلى إظهار مواضع التعاون والتكاتف بين المسيحية والإسلام)(٤).

وقد نشط هذا المركز الذي لم ينشأ إلا في عام ١٩٩٥م في حقل التأليف، بغرض إبراز أوجه التشابه بين الإسلام والنصرانية في

---

(١) المرجع السابق (٤٧٧).

(٢) عن نشرةٍ صادرة عن المعهد.

(٣) راجع التعريف بالمعهد ومناشطه في محاولات التقريب في العالم العربي (لبنان)، من الباب الثاني (١٣٦٣).

(٤) من مقدمة مدير المركز مشير باسيل عون لكتاب (العدل في المسيحية والإسلام) (٥).

موضوعات محددة، فأصدر تسعة كتب، في بحر أربع سنوات[١].

ج - مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، التابع لجامعة البلمند للطائفة الأرثذوكسية، المؤسس عام ١٩٩٥م. ويعقد المركز حلقات دراسية مشتركة، تصدر موادها بصفة كتب[٢].

د - المعهد العالي للدراسات الإسلامية، التابع لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. ويقوم بتبادل الأساتذة مع المؤسسات العلمية النصرانية[٣].

٢ - في الأردن أنشئ (المعهد الملكي للدراسات الدينية) عام ١٩٩٤م، و(هدفه الرئيسي: تعميق الفهم المتبادل بين الإسلام والمسيحية، عن طريق الأبحاث والحوار العلمي)[٤].

وقد أصدر عشرين كتاباً خلال خمس سنوات فقط.

٣ - في تونس أسست مؤخراً: (مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات)[٥]، لنفس الأهداف.

٤ - في المملكة المتحدة «بريطانيا» أنشئ (مركز دراسة الإسلام، والعلاقات المسيحية الإسلامية: عام ١٩٧٦م، إثر مؤتمرٍ استشاري

---

(١) راجع التعريف بالمركز وإصداراته في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٦٧).
(٢) راجع التعريف بالمركز، ومناشطه في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٧٠).
(٣) راجع التعريف بالمعهد، ومناشطه في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (٣٧٣).
(٤) من نشرة تعريفية بالمعهد.
(٥) راجع التعريف بها في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٨٩).

دعت إليه كليات «سلي أوك». (ويهدف المركز أن يكون مكاناً للبحث والتعليم والإعلام، من أجل استكشاف تقاليد الإيمان في أوربا، وأي منطقة أخرى من العالم... إننا نعلق أهمية كبيرة على دور المركز كمكان للأبحاث على أعلى مستوياتها، أبحاث تتناول مختلف العلوم الإسلامية، ومختلف مناطق العالم الإسلامي... تقديم دروس إعدادية، أو متخصصة)[١].

٥ ـ تضمن (برنامج وستمنستر للتلاقي الديني) المنبثق عن أسقفية وستمنستر الكاثوليكية: (تنظيم فصولٍ دراسية صيفية، قاعدتها الإدارية مكونة من ممثلين من مختلف المجتمعات، وموادها تدرس من قبل أساتذة يعلنون عقائدهم)[٢].

٦ ـ في الولايات المتحدة الأمريكية أنشئ (مركز التفاهم الإسلامي المسيحي) عام ١٩٩٣م[٣]، تحت رعاية جامعة جورج تاون، لـ(يركز على اللقاء التاريخي واللاهوتي والسياسي والثقافي بين الإسلام والمسيحية... إن الكلية المركزية، وكلية الزيارات، تقدمان دوراتٍ في الإسلام، وتاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية)[٤].

وبالإضافة إلى هذه المراكز التي أنشئت بغرض القيام بدراساتٍ مشتركة، ثمَّ معاهد عريقة في التنصير، وجمعيات تنصيرية ركبت موجة الحوار والتقارب، لتحقيق أهدافها التاريخية الدينية من أشهرها:

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٩٠).

(٢) Recognize The Spiritual Bonds. P.91 - 92.

(٣) راجع التعريف بالمركز في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٠٨).

(٤) صفحة تعريفية بالمركز من مقدمة كتاب: Christiay Muslims.

١ ـ معهد القديس جبرائيل اللاهوتي في مودلنغ ـ النمسا ـ.

٢ ـ معهد هارتفورد بالولايات المتحدة الأمريكية.

٣ ـ جمعية سانت إيجيديو بإيطاليا.

٤ ـ مركز الحوار في أوغوس ـ الدنمرك.

إن هذه المؤسسات البحثية المشتركة، التي تحمل اسم الدينين معاً، لتؤثر تأثيراً بالغاً في إشاعة فكرة التقريب، ولبس الحق بالباطل، وحجب الحقيقة الكاملة، بل هي أشد تأثيراً من مؤتمرٍ يعقد هنا أو هناك يصاحبه زخم إعلامي مؤقت ثم ينقطع. إذ هي تمثل عملاً مدروساً، يسير وفق خطة زمنية، لبلوغ أهداف معينة، تجعل الزمان والمكان، وتغير الأحوال، جزءاً من مشروعها.

ومن أخطر هذه المشاريع البحثية المشتركة ما دعا إليه بيان قرطبة، الصادر عن المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول، في شعبان عام ١٣٩٤هـ، سبتمبر عام ١٩٧٤م، وفيه:

(الدعوة إلى التأليف في حقل العقيدة، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان... تنقية المناهج والكتب الدراسية في العالمين المسيحي والإسلامي من الأخطاء التي تسيء إلى أي من الدينين)[١]. فهل يحلم هؤلاء التقريبيون أن ينسخوا قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]. وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. وقوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢] وأمثالها كثير؟

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٧٠).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٧٦).

سادساً: عرض الإسلام بصورة مشوهة:

لقد أدى منهج التقريب بين الإسلام وسائر الأديان والملل، إلى عرض الإسلام بصورة شائهة، لا تعبر تعبيراً صادقاً عن صراحة الحق، وبرد اليقين الذي يحمله إلى الناس كافة. لقد بخس دعاة التقريب من الإسلاميين، الدين حقه حين نظموه في سلك سائر الأديان المحرفة، بله النحل الوثنية، أولاً، وانتقصوه ثانياً، حين حجبوا دعوة التوحيد المشرقة التي بادأ بها رسول الله ﷺ أمم الأرض كلها: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وأساءوا إليه وظلموا، حين ألبسوه ملابس طرائق دخيلةٍ عليه، ثالثاً، ليتواءم مع قانون التقريب.

ولعل أبشع ممارسة في هذا السبيل، تقديم الإسلام بثوب الصوفية التي يهيم بها النصارى، لما فيها من مذاهب الحلول والاتحاد، وتمجيد رموز المتصوفة الملحدين، بوصفهم أئمة الإسلام، ورواد الفكر والتوحيد، وذم أهل السنة والحديث والفقه، ونبزهم بالجمود والتعصب والانغلاق، فنشأ عن هذه العملية المضلة أثران سيئان:

أحدهما: انصراف الباحثين عن الحقيقة، عن اعتناق الإسلام وزهدهم به، حيث لم يروا فيه سوى فلسفةً صوفية منحازةً عن الحياة والنشاط الإنساني الطبيعي، شأنها شأن فلسفات الهندوسية والبوذية الوثنية.

الثاني: انخراط بعض المخدوعين، في هذا اللون من البدع الكفرية، بحسبان أنها الإسلام. ونجد هذا الاتجاه، محبذاً عند كثيرٍ من دعاة التقريب في هذا العصر، ومن أمثلة ذلك:

■ يقول جارودي: (إن تجريم الصوفية هو جريمة ضد الإسلام... الصوفية هي باطنية الإسلام، فلعل إسلاماً بلا باطنية، إسلاماً مقتصراً على طقوسه... هو إسلامٌ ميت. وكل إحياءٍ للفكر الديني للإسلام يمر عبر إعادة الاعتبار للتصوف)[١].

فمن ثم قدّم روجيه جارودي صورة مضلِّلة لرواد متحفه في «القلعة الحرة» في قرطبة، البالغ عددهم مائة ألف زائر سنوياً، حين عرَّف لهم الإسلام من خلال ابن عربي الصوفي الوجودي، وابن رشد الفيلسوف.

■ يقول غاليندو، مؤسس جماعة كريسلام: (إن الصوفية هي الطريق لتوحيد الأديان)[٢].

وقد عقدت مؤتمرات عديدة لإبراز دور المتصوفة، وتمجيد ذكرهم، في سياق مؤتمرات التقريب بين الأديان، كان منها:

* مؤتمر: «صوفيو الصحراء»: في دير سنينكا في فرنسا عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

* مؤتمر: «التصوف الإسلامي، والتصوف المسيحي»: في بالرمو ـ صقلية ـ عام (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م).

* مؤتمر: «يونس إمره: تجربة روحية وثقافية»: في روما عام ١٩٩١م، إحياءً لذكرى الشاعر الصوفي الباطني، الاثني عشري، التركي يونس إمره، وقد عزفت موشحاته في القصر البابوي.

* مؤتمر: «الإنسان كمصغٍ إلى كلمة الله» في مودلنغ عام ١٩٩٠م، طغت عليه المحاضرات الصوفية.

---

(١) الإسلام في الغرب (١٦).

(٢) راجع محاولاته في الفصل الأول من الباب الثاني.

* ممارسات مجموعة (دار هشان) النصرانية في الباكستان مع دراويش الصوفية[١].

أما السر الكامن وراء هذا التقارب بين النصارى والصوفية، فيتضح من هذا النص الرخو لأحد الصوفية المعاصرين: (ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرآة الصافية نور الشمس، قال الشاعر العربي:

إذا سكن الغدير على صفاء ... وجنب أن يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلا امتراءٍ ... كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي ... يرى في صفوها الله العظيم)[٢]

فمن ثم قال داعية التقريب والوحدة بين الأديان والوثنيات المنتسب إلى الإسلام، روجيه جارودي: (لقد فتنني كثيراً أولئك المتصوفة، الذين أدركوا بعمق يثير الدهشة حقاً تلك المسافة اللاغية، أو لنقل: الحضور الغائب بين الأنا الإلهية، والأنا البشرية)[٣].

إنها لجريمة عظيمة، وصدٌّ عن سبيل الله، وإضلالٌ للخلق، أن يعرض الإسلام من قبل بعض دعاة التقريب بثوبٍ صوفي، مضاهاةً للنصرانية، وتقرباً إلى زعاماتها، ومداهنةً لهم. وهم بذلك لا يقلون خطراً عمن يشوهون صورة الإسلام بطرقٍ أخرى، كالعنف والعدوان، إن لم يزيدوا عليهم.

لقد تولد من هذا التضليل مواليد خداج، تمثلت في جماعات

(١) راجع محاولات التقريب بين الأديان في آسيا «الباكستان» في الباب الثاني.
(٢) سلامٌ للبشر (٥٨).
(٣) من مقابلة مع مجلة العربي ديسمبر عام ١٩٨٧م.

اعتنقت الإسلام بعقد الصوفية، وبدعها العقدية والعملية، ووجد ذلك في أوربا، منطلق دعوة التقريب، بكثرة. ويجمع هذا اللون من جماعات «الإسلام الأوربي» خصائص مشتركة منها:

١ ـ سلوك الطرق الصوفية المعروفة في العالم الإسلامي، من قادرية، ونقشبندية، وترقاوية.

٢ ـ إقامة علاقات مشبوهة مع الكنائس المحلية، والتوغل في التقارب الديني مع النصارى.

٣ ـ نبذ الإسلام بصفته الشمولية، والاندماج التام في البنية الاجتماعية والقانونية الأوربية، عن رضى.

ومن أمثلة هذه المجموعات المضللة:

■ جمعية قريش: (الجماعة الدينية الإسلامية في إيطاليا) ومقرها ميلانو[١].

■ الجماعة الإسلامية في أسبانيا[٢].

■ جماعة أصدقاء الإسلام في ألمانيا، في برلين[٣].

ويروي شاهد عيان وقائع مؤتمر من مؤتمرات التقارب بين المسلمين الألمان، الذين يغلب عليهم التوجه الصوفي، ومواطنيهم النصارى، وهو مؤتمر: (نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً، والسماع من بعضهم بعضاً)، الذي عقد في مدينة فيتان رور عام ١٩٨٤م، إثر محاضرة «نوح وقوس قزح»، الذي قصد بها إظهار التشابه بين الديانتين، فيقول: (ثم تبع ذلك قُداس وتراتيل وترانيم كنسية، مع

---

(١) راجع محاولات التقريب في إيطاليا، في الفصل الثاني من الباب الثاني.
(٢) راجع محاولات التقريب في أسبانيا في الباب الثاني.
(٣) راجع محاولات التقريب في ألمانيا في الباب الثاني.

أنغام الأرغن، فخيم على الجميع الوجوم والصمت، كأنهم في كنيسة يتعبدون..

ثم قدم البرفسور د.ع. خوري كاسيت مسجل عليها أناشيد الذكر، لكي يسمعها النصارى والمسلمون، ولسان حاله يقول: هكذا يذكر المسلم ويتعبد، فبدأ صوت الدُّف والدق على الطبلة، ومن خلالها يسمع كلمة الله، الله (أل ل اه)، ء ل ل ه.. وتواشيح باللغة التركية)[١]. كما أشار إلى بعض المظاهر التي لاحظها على تلك الفئة من المسلمين الألمان، ذوي النزعة الصوفية، رافقت أعمال المؤتمر مثل:

■ عقد اجتماعٍ للمسلمين الألمان، في مكان مخصص لسكنى الكهنة والقسس، معلَّق فيه الصليب.

■ عقد المؤتمر في صالةٍ فيها صورٌ عارية.

■ التساهل في تقديم وجبة تحتوي على لحم الخنزير لأحد المسلمين.

■ تركهم أداء صلاة المغرب مع المسلمين الأتراك ـ الجالية الإسلامية الكبرى في ألمانيا ـ وانشغالهم بالتحدث وشرب الشاي مع القساوسة[٢]. إلى غير ذلك من المظاهر التي تنبئ عن حقائق مؤسفة.

وقد أشار الأستاذ أنور الجندي إلى وجود (جماعة من الراغبين في الدخول في الإسلام، ترى أن التصوف بالمفهوم الباطني القائم على الرقص والموسيقى والتراتيل، هو مدخلٌ إلى الإسلام في الغرب)[٣]. وهذا عين التشويه للإسلام، وإضلال الخلق. وقال في موضعٍ آخر:

---

(١) صرخة حقٍ من ألمانيا (١٤).

(٢) المرجع السابق (٣، ٧، ١٠، ١٣)،

(٣) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (٢٠١).

(والواضح أن الغرب يريد أن يغطي الفراغ الموجود عنده بمفهومٍ منحرف من التصوف، وأن يأخذ مسائل التمايل والدفوف والغناء، الذي يجيزه بعض الفرق الصوفية الغالية، بديلاً للرقص الإيقاعي، وكله تهويم وتمايل، ولكن نحن نرجو أن يعلم المسلمون في الغرب أن الطريق الصحيح ليس هذا، وأن مفهوم أهل السنة والجماعة وحده هو القادر على هدايتهم وشفاء نفوسهم، وإعطائهم السكينة والإيمان العميق، أما استبدال ضلال بضلال فهذا من مؤامرات أعداء الصحوة الإسلامية)[١]، .

سابعاً: استغلال النصارى شعار التقريب لنشر دينهم.

لقد استغل النصارى شعارات التقريب والحوار بين الأديان لتحقيق مكاسب جديدة، والوصول إلى مواقع متقدمة في مخاطبة مختلف شعوب الأرض، ودعوتهم بطريقةٍ مباشرة أو غير مباشرة إلى «النصرانية». فالتنصير بالمعنى التقليدي المعهود بات منبوذاً، وإن كان لا يزال قائماً، واعتبر في مناسبات عديدة نوعاً من قهر الضمير، لا سيما إذا كان مصحوباً بالابتزاز الخدمي، من طعامٍ وكساءٍ ودواء وتعليم وتوظيف، وصار محل إدانة من قبل الجميع، حتى من بعض النصارى أنفسهم[٢]. وبرزت فكرة «الحوار» و«التقارب» بديلاً عصرياً مناسباً للوصول إلى ذات الأهداف، لقد كان البابا يوحنا بولس الثاني واضحاً في الإفصاح عن دور التقريب والحوار، حول قضية «الحوار والبشارة» والعلاقة بينهما، الذي شغل بالهم عقب المجمع الفاتيكاني الثاني[٣].

---

(١) المرجع السابق (١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) وهو ما يسمى بـ(الدياكونيا) أي: تنظيم الخدمة بمعنى استغلالها لأغراضٍ أخرى. انظر: البيانات الصادرة عن مؤتمر لاغون عام ١٣٩٤هـ، وهونغ كونغ ١٣٩٤هـ، وشامبزي ١٣٩٦هـ.

(٣) راجع حقيقة التقريب عند الكنيسة الكاثوليكية في الباب الأول. (٣٤٣).

يقول البابا: (بسبب متغيرات الزمن الحديث، وانتشار عددٍ من المفاهيم اللاهوتية الجديدة، يتساءل البعض: هل أن الرسالة إلى غير المسيحيين لا تزال قائمة؟ ألم تستبدل بالحوار بين الديانات؟ أليس الترقي هدفاً كافياً؟ هل إن احترام الضمير والحرية لا ينفي كل عرضٍ للاهتداء؟ ألا يستطيع المرء أن يحقق خلاصه في أية ديانةٍ كانت؟ إذاً لماذا الرسالة؟

- وفي صدد الإجابة على هذه التساؤلات، يقول:

أحد العوامل الأشد خطراً لفقدان الاهتمام بالالتزام بالرسالة، هو الذهنية المطبوعة باللامبالاة، الكثيرة الانتشار، ويا للأسف، بين المسيحيين، والمبنية غالباً على مفاهيم لاهوتية غير صحيحة، ومتأثرة بـ«كل الأديان متساوية»... إن ثمة أيضاً أعذاراً واهية يمكن أن تحولنا عن البشارة. والأكثر خداعاً هي بالتأكيد تلك التي يتوهم البعض إسنادها إلى هذه أو تلك من تعاليم المجمع. ويخلص إلى القول:

إن الحوار بين الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية.. إنه مرتبط بها، بنوعٍ خاص، وهو تعبير عنها... تريد الكنيسة من خلال «الحوار» أن تكتشف «بذور الكلمة»، وأشعة الحقيقة، التي تنير الناس أجمعين... إن الحوار هو الطريق إلى الملكوت)[1].

ومن أقدم الكتاب المسلمين الذين نبهوا على استغلال النصارى لأسلوب التقارب عن طريق الحوار، الكاتبان: مصطفى الخالدي، وعمر فروخ في كتابهما الرائد الشهير: (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) الصادر عام ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م حيث قالا: (يصعب على المبشرين أن يتصلوا بالناس، وخصوصاً بالمثقفين، وذوي المكانة الاجتماعية، فلجأوا إلى وسيلةٍ جديدة سموها «الحوار» تقوم على جمع نفرٍ من المثقفين، ذوي الكلمة المسموعة في قومهم على مناقشات علنية،

---

(١) مقتطفات من رسالة الفادي (١١، ٥٥، ٨٨، ٩٠).

لا تمت بظاهرها إلى التبشير، وإن كانت غايتها الحقيقية زعزعة العقائد، بجر الناس إلى القول والرد، ثم النفوذ من خلال الأخطاء والجمل المتشابهة إلى التأثير على ذوي النفوس الضعيفة...

والحوار بين المبشرين وبين أتباع الأديان غير المسيحيين أمر قديم، فإن عدداً كبيراً من المؤسسات الغربية، كالمدارس، والنوادي، وجمعيات الشبان والشابات، وسائل لحوارٍ مستتر كثيراً أو قليلاً - وغاية هذا الحوار زعزعة العقائد على ألسنة أشخاصٍ معروفين في قومهم، والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان أقوى يداً، وأرفع صوتاً.

ومما يؤسف له أن نفراً قد حملهم تيار هذا الحوار إلى حيث لا يريدون)[١].

ويقول الدكتور ظفر الإسلام: (هذه الحوارات لا تفيد أحداً، إلا المبشرين الذين فشلوا فشلاً ذريعاً في جهودهم الميدانية لتنصير المسلمين، وهم يأتون إلى هذه الحوارات ليتعلموا المزيد عن الإسلام والمسلمين، وبالتالي ليصلحوا كتاباتهم، ويتقنوا أساليبهم التبشيرية. والواضح أن هناك أشياء لا يمكن تعلمها من الكتب وحدها)[٢].

ومن جملة «الغنائم الباردة» التي كسبها النصارى من التقريب:

١ - استلال اعترافات صريحة وضمنية من محاوريهم المسلمين، من دعاة التقريب، بصحة دينهم، وسلامة كتبهم، وصواب معتقدهم، نضحت بها البيانات الختامية لمؤتمرات التقريب، ولم يجد دعاة

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية. مصطفى الخالدي، عمر فروخ، المكتبة العصرية - بيروت. الطبعة الرابعة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) (٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) نظرة على ظاهرة الحوار المسيحي الإسلامي مجلة البعث الإسلامي. جمادى الثانية ١٤١٠هـ (٦٩).

التقريب من المسلمين بدأً، عن وعي أو غير وعي، من إقرارها، والتسليم لهم بها، وهو أمرٌ لم يكن يحلم به النصارى طوال القرون الخالية، من المسلمين ومن شواهد ذلك:

■ في مؤتمر «بحمدون» عام ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م: (نعتقد نحن المؤمنين بالله تعالى وبوصاياه...)[١].

■ في الدستور المقترح على مؤتمر بحمدون ١٩٧٥هـ ـ ١٩٥٦م: (المادة الثانية... فقرة ٣: التعاون على العمل لصالح العقيدتين. فقرة ٤: تشجيع دراسة القرآن والإنجيل)[٢].

■ وفي لقاء الفاتيكان عام ١٣٩٠هـ بين وفدٍ من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وأمانة السر الفاتيكانية، دعا البلاغ المشترك إلى تعزيز العلاقات الجيدة (فتقوى هذه الأخوة بين مؤمنين يشتركون في احترام كل القيم الدينية، والإيمان بالله)[٣].

■ في مؤتمر هونغ كونغ عام ١٣٩٤هـ، ١٩٧٥م: (إن كلا الديانتين الإسلامية والمسيحية تجدان رسالتهما نابعة من الله الرحيم... إننا ننتمي جميعنا إلى أسرة إبراهيم الروحية)[٤].

■ في مؤتمر قرطبة عام ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م: (إقامة تعاون إسلامي مسيحي لتأكيد الإيمان بالله... الدعوة إلى التأليف في حقل العقيدة، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين، لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان)[٥].

---

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٥).
(٢) الحوار الإسلامي المسيحي (٤٧٨).
(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٤٣).
(٤) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٧٦، ٧٧).
(٥) المرجع السابق (٧٠).

■ في مؤتمر طرابلس ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م: (يؤكد الجانبان إيمانهما بالله الواحد الأحد... إن كلا الجانبين يشجع على ترجمة الكتب السماوية إلى جميع اللغات)[١].

■ في لقاء عمّان حول «قيم الحياة العائلية» مع الكنيسة الإنجليكانية عام ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، جاء في البيان النهائي: (من المفيد تلخيص معتقداتنا المشتركة، إذ يمكننا أن نعبر عنها بطرقٍ مختلفة، وأن نفسرها أيضاً تفاسير متنوعة)[٢].

■ وفي البيان الختامي المنعقد في مدينة «إبادان» النيجيرية، برعاية الكنيسة الكاثوليكية عام ١٤١٢هـ، ١٩٩١م توصية بـ(توعية المسيحيين والمسلمين كي لا يعتبروا مؤمني الديانة الأخرى كأنهم كفار، بل يعاملونهم بكل احترام)[٣].

وهذا قليلٌ من كثير مما تزخر به البيانات الختامية المشتركة لدعاة التقريب، وما يلفظونه من قول في كتبهم ومقالاتهم، لا يحيط به جمع.

٢ ـ بناء الكنائس، ونشر الكتب التنصيرية، والسماح بالنشاط التنصيري في بلاد المسلمين. وكل ذلك يتم تحت شعار «الحريات الدينية»، و«التعددية» التي تعد من شروط التقارب وفروضه، وقد استغلها الجانب النصراني استغلالاً بشعاً، وصار يندد بالبلدان التي لا تفسح الطريق أمام جحافل مبشريه، ويصفها بالتعصب. بينما يفتح دعاة التقريب من المسلمين الباب على مصراعيه لها. ومن شواهد ذلك:

■ بعد ندوة الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م قطف الجانب النصراني أولى الثمار بافتتاح كنيسة

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (١٤٦).
(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٥٣).
(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٧٧).

كاثوليكية في مدينة بنغازي الليبية عام ١٩٧٧م، بينما جنى المسلمون خيبة الأمل في إعادة افتتاح جامع قرطبة العريق للمسلمين، كما تمنوا في البيان الختامي للمؤتمر السالف الذكر، الذي أدان أيضاً كل محاولةٍ ترمي إلى مصادرة الكتب الدينية، أو منع تداولها في أي جزءٍ من أجزاء العالم[١].

■ في مؤتمر شامبيزي، عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م: (عبر المشتركون في اللقاء عن الأسف إذ منعوا من حق تشييد أمكنة عبادتهم: فالمسلمون المشاركون في اللقاء يعتبرون أن ذلك مناقضٌ للشريعة الإسلامية، ولمبدأ الحرية الدينية)[٢].

■ في مؤتمر الأديان في السودان عام ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، أكد الدكتور حسن الترابي على: (أن التبشير عمل إنساني يحترم إنسانية الإنسان، وأن على العالم احترام التنوع الديني)[٣].

وألغي العمل بقانون الهيئات التبشيرية الذي سن في مطلع الستينيات، ويمنعها من العمل في شمال السودان. فصار المنصرون يجوبون البلاد طولاً وعرضاً تحت حماية حكومة الإنقاذ. وفسحت لهم أجهزة الإعلام بث برامجهم التنصيرية، ونقل صلواتهم من الكنائس في الإذاعة والتلفاز[٤]. وجاء في «ميثاق الحوار الديني في السودان»: حرية الاعتقاد، والتعبير عنه، والعمل له).

٣ ـ ظهور النصرانية بصورة «الدين الأفضل»، وزعيمها «البابا»

---

(١) انظر بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (١٤٦).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٠٦). وراجع التعليق على المؤتمر في الباب الثاني.

(٣) جريدة الشرق القطرية. الأحد ٢٣ ذي القعدة عام ١٤١٣هـ ١٦ مايو عام ١٩٩٣م.

(٤) راجع محاولات التقريب في العالم العربي (السودان) من الباب الثاني.

بصفة «القائد الروحي للأديان»، كما جرى في يوم الصلاة من أجل السلام في أسيزي عام ١٩٨٦م، وما تلاه، وحرصه على الخطابة الجماهيرية بأتباع مختلف الأديان، في مختلف بقاع العالم، والالتقاء بممثليهم أينما حل، باسم الحوار والتقارب[١]، مما أوقع فتنة في قلوب الضعفاء المبهورين.

٤ ـ إحياء مطامعهم التاريخية في القدس:

لقد أتاحت روح التقريب بين الأديان للنصارى أن يجددوا أحلامهم الصليبية القديمة في بيت المقدس، وأن يجاهروا علناً بأن أولى القبلتين، ومسرى رسول الله ﷺ، ومحل ثالث المساجد التي يشد إليها الرحال، ليست ملكاً لأحد، ولا تختص بدينٍ معين، بل انتزعوا من نظرائهم من دعاة التقريب الإسلاميين تصريحات لم يكونوا يحلمون بها، منذ أن استعاد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله القدس منهم.

وقد جاءت هذه الدعاوى على ألسنة أدعياء التقارب منهم، منذ المجمع الفاتيكاني الثاني، في عهد البابا بولس السادس، وحتى الآن، وقد تهيئوا للألفية الثالثة، وشدوا الرحال من كل مكان في العالم، للاحتفال بالميلاد في القدس والناصرة وبيت لحم:

■ قال البابا بولس السادس في رسالته الموجهة إلى المؤتمر الإسلامي لزعماء الدول الإسلامية المنعقد في الرباط عام ١٩٦٩م (إن تمثيل الأديان التوحيدية الثلاثة في الأراضي المقدسة، وخصوصاً القدس، يمكن أن يكون بداية التوحيد والانسجام والسلام)[٢].

وكان «الفاتيكان» قد انتقد عام ١٩٨٠م قرار إسرائيل بجعل القدس عاصمة لها.

---

(١) راجع «الرحلات البابوية» في الباب الثاني.

(٢) Inter - religoue Dialogue. The officia Teaching. P.169.

وقد عقد لفيفٌ من دعاة التقريب من الإسلاميين والنصارى العرب، مؤتمراً في محرم عام ١٤١٧هـ، يونيو ١٩٩٦م بعنوان: «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس» منح فيه المتحدثون المسلمون رصفاءهم النصارى حق الشراكة في القدس:

■ فقال الدكتور يوسف القرضاوي: (هي ليست ملك الفلسطينيين وحدهم، بل هي ملك المسيحيين والمسلمين).

■ ودعا محمد مهدي شمس الدين إلى (إنشاء أمانة عامة، إسلامية مسيحية، تتولى الترويج لحماية القدس على مستوى العالم بين المسلمين والمسيحيين).

وتنمر ممثلو الطوائف النصرانية الشرقية:

■ فقال البطريرك الكاثوليكي، مكسيموس الخامس حكيم: (النتيجة الحتمية الواضحة هي أن القدس لا يمكن أن تكون لدولةٍ واحدة، أو دين واحد من الأديان الثلاثة، بل يجب أن تكون مدينة السلام، وللأديان الثلاثة).

■ وقال الكاثيلوكس آرام الأول: (بسبب الوجه الديني، والدعوة الخاصة، والصفة العالمية، يجب أن يكون للقدس وضع خاص.. يجب أن يعلن عن وجهها العالمي، وصفتها الدينية، والأسرة العالمية يجب أن تكفل ثوابت هذا الوضع وديمومته)[1].

ما كان ينبغي لأهل الإسلام أن يركنوا إلى الذين ظلموا، ويمكنونهم من أنفسهم، ويطمعوهم في خالص حقهم، وإن كان مغصوباً من قبل آخرين، مهما كانت التعلات، ولكنه شؤم التقريب الذي يقود إلى التنازلات، والمواضعة على الدنية في الدين.

---

(١) التصريحات الأربعة السابقة منقولة عن جريدة الحياة. العدد (١٢١٦٥) الأحد ٣٠ محرم ١٤١٧هـ، ١٦ يونيو ١٩٩٦م (٢) «شؤون عربية».

ثامناً: موالاة اليهود والنصارى بعضهم بعضاً من دون المسلمين:

حمل دعاة التقريب من المسلمين قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]، على كفرة النصارى الذين أصروا على شركهم، وقولهم إن الله ثالث ثلاثة، وليس على من آمن منهم بنبوة محمد ﷺ وما أنزل إليه، واتبعه، كما دلت الآية نفسها، وما بعدها: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة]، وظلوا يستشهدون بها في كل مناسبة من مناسبات التقريب، ليثبتوا رحماً وولاءً خاصاً مع عبدة الصلبان وأهل التثليث، يدلّون به ويلمزون به اليهود، وما علم هؤلاء أن الفريقين في جبهة مشتركة ضد أهل الإسلام، كما شهد الله بذلك، وحذر عباده من موالاتهما، على حدٍ سواء فقال: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، وقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يحتمل معنيين لا تعارض بينهما:

أحدهما: أن بعض كل ملة منهما ولي بعضها الآخر. **الثاني**: أن اليهود أولياء النصارى والعكس. قال ابن جرير رحمه الله: (عنى بذلك أن بعض اليهود أنصار بعضهم على المؤمنين، ويد واحدة على جميعهم، وأن النصارى كذلك بعضهم أنصار بعض على من خالف دينهم وملتهم، معرفاً بذلك عباده المؤمنين أن من كان لهم أو لبعضهم ولياً، فإنما هو وليهم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين، كما أن اليهود والنصارى لهم حرب، فقال تعالى ذكره للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضاً بعضكم أولياء بعض، ولليهودي والنصراني حرباً كما هو لكم حرب، وبعضهم لبعضٍ أولياء، لأن من والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان

الحرب، ومنهم البراءة، وأبان قطع ولايتهم)[١].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي ﷺ: «بعضهم أولياء بعض» يتناصرون فيما بينهم، ويكونون يداً على من سواهم)[٢]. وهذا هو الواقع قديماً وحديثاً، وليس المقصود حشد دلائل ذلك من مسلك عامة اليهود والنصارى، فذلك له ديوان حافل، بل المقصود هنا إثبات وقوعه وصدوره من أدعياء التقارب، على كلا المعنيين السابقين. فمن ذلك:

أ ـ موالاة النصارى لليهود في اغتصابهم أرض فلسطين، واضطهاد أهلها المسلمين بالقتل والسجن والتشريد، على مدى نصف قرنٍ، بل يزيد، وامتناعهم عن الإدانة العلنية الصريحة لإسرائيل منذ إنشائها، ومن شواهد ذلك:

١ ـ في أول مؤتمرٍ تشهده المنطقة العربية، من مؤتمرات التقريب، وهو مؤتمر بحمدون المنعقد عام ١٩٥٤م، أي بعد ست سنواتٍ من إعلان دولة إسرائيل، وتشريد الفلسطينيين، وإيقاع المذابح المروعة بهم، يقول مدير الأبحاث والنشر في جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط، مجيباً على سؤالٍ عن «مشكلة الشرق الأوسط»: (إننا هنا نبحث أموراً علمية، ولن نتدخل في الأمور السياسية»[٣]. ثم صدر عن المؤتمر بيان لا يحمل أدنى إشارة إلى الوضع المأساوي، والعدوان الغاشم الظالم، الذي لا يبعد عن ضاحية بحمدون سوى عشرات الكيلومترات. وتحت الضغط والنقد الشديدين ألحق بالبيان «وصية» تتعاطف مع اللاجئين المطرودين، وتحيلهم على الأمم المتحدة، ولا تشير ببعض كلمة إلى من طردهم، وأخرجهم من ديارهم[٤].

---

(١) جامع البيان (٦/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن (٢/ ٣٠٤).

(٣) هرطقات فريسية (٨).

(٤) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٥، ١٦).

٢ ـ في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في طرابلس ـ ليبيا ـ عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، نشب خلافٌ بين دولة ليبيا، ودولة الفاتيكان، صاحبتي المبادرة في عقد المؤتمر، حول البندين (٢٠، ٢١) من البيان الختامي اللذين ينصان على إدانة الصهيونية ـ وليس اليهودية ـ باعتبارها حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين، وعلى تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في العودة إلى دياره، وعلى عروبة القدس ورفض التهويد. وتحفظ الوفد الفاتيكاني على البندين لحين بت الكرسي الرسولي في مضمونها، الذي امتنع عن التصديق عليهما لاحقاً، لتضمنها إشاراتٍ سلبية إلى الصهيونية[١].

٣ ـ وظلت مؤتمرات التقريب تتجنب التعرض لوضع إسرائيل، باستثناء مؤتمر قرطبة الذي سبق مؤتمر طرابلس بسنتين[٢]، بل قد بذلت جهود لتطبيع العلاقات بين إسرائيل وجيرانها المسلمين، وإحلال سلامٍ يقر اغتصابها للأرض المسلمة، والمقدسات الإسلامية، بعضها دولية، وبعضها تحت مظلة تقارب الأديان كان منها:

■ مؤتمر: «سلمنكا للحوار الثلاثي عام ١٩٨٦م».

■ مؤتمر: «فهم الآخر في سان أوغسطين، قرب «بون» عام ١٩٨٨م»: ضم مسلمين ونصارى مقدسيين ويهود إسرائيليين.

■ مؤتمر: «الحوار بين الأديان والسلام في الشرق الأوسط، في طليطلة عام ١٩٨٨م» وفي نفس العام اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل في الوجود. ثم كان مؤتمر «مدريد» عام ١٩٩٢م الذي أعطى اليهود الاعترافِ التام، والشرعية المطلقة، من مختلف الفرقاء.

---

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار (١٥١).

(٢) انظر البيان الختامي للمؤتمر في البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٧١)، فقرة ٢٢.

٤ ـ قامت الكنيسة الكاثوليكية، (الفاتيكان) بالاعتراف بإسرائيل عام ١٩٩٣م، وأقيمت علاقات ديبلوماسية بين الكيانين الدينيين اليهود والنصارى[1].

إن سر هذا التأييد الظاهر والخفي هو العداء المشترك للمسلمين من جهة، والعقيدة النصرانية الأصولية المبنية على تفسيراتٍ حرفية لنصوص العهد القديم، تفيد بضرورة وجود دولةٍ لليهود في الأزمنة الأخيرة، كعلامة على عودة المسيح في الألفية السعيدة التي تخيلها يوحنا في رؤياه، إثر معركة هرمجدون[2]. ومن ثم تكونت النظرة الإنجيلية الأصولية، بضرورة مساعدة إسرائيل، وتأييد مشروع جعل «القدس» عاصمة موحدة لليهود، للتسريع بعودة المسيح. وظل هذا الشعور يتنامى في الأوساط النصرانية عامة، والبروتستانتية خاصة، في مطالع الثمانينيات، حتى بلغ مجموع المنظمات الإنجيلية الموالية لإسرائيل في الولايات المتحدة مائتين وخمسين منظمة، تعكس آراء ورغبات نحو سبعين مليون أمريكي إنجيلي[3].

---

(١) انظر مجلة ٣٠ يوماً عدد (١، ٤) عام (١٩٩٧ ـ ١٩٩٨م).

(٢) هرمجدون: ليس الحديث عن معركة «هرمجدون» مقتصراً على النخب المتعصبة من اليهود والنصارى، بل هو حديث الصحف والمجلات والشركات السياحية. ففي استطلاع عن «إسرائيل» نشرته مجلة GEOGRAPHICAL SUPPLEMENT الإنجليزية، في عدد يونيو ١٩٩٩م، ورد ضمن فقرات لتذكير زوار إسرائيل، ما يلي: (إحدى المواقع الأثرية في شمال إسرائيل، مساحة المعركة للأرض المقدسة «ميجيدو». خمسة وعشرون ميلاً جنوب غرب حيفا، وتعرف أيضاً بـ«هرمجدون»، هو المكان الذي يواجه فيه جيش الخير ووصية الرب، قوى الشر، ليعجل «بالمجيء الثاني». الطوائف المسيحية، وغالباً من أمريكا، تعتقد أن الموعد بات قريباً: (٧٢).

(٣) من الجماعات المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة مجموعات Moral Majority «الأغلبية الأخلاقية» الذي بلغ عددهم سبعين مليوناً، وأهم مبادئها:
١ ـ أراضي فلسطين والأردن هي أرض إسرائيل، دون سواها. =

ب ـ موالاة النصارى بعضهم بعضاً في العدوان على المسلمين:

لقد انطلقت حركة التقريب بين الإسلام والنصرانية من حاضرة الفاتيكان، ومقر مجلس الكنائس العالمي في «جنيف»، في الوقت الذي كانت كثير من بلاد المسلمين ترزح تحت الاستعمار النصراني الغربي، كما في الجزائر مثلاً، أو تعاني من اضطهاد المتنفذين فيها من النصارى، كما في قبرص وبعض دول آسيا كالفلبين، وأفريقيا كالحبشة.

وربما اعتذر بعدم الصلة بين الكنيسة، والقيادات السياسية للحكومات الغربية أو المحلية في دولة ما. ولو سلمنا ـ جدلاً ـ بذلك، فما الذي كان يمنع دعاة التقريب من النصارى من إدانة الظالم، والانتصار للمظلوم، ولو معنوياً.

والشواهد على هذا الانخذال، وذلك الصمت المعبّر، كثيرة. فمن ذلك:

١ ـ صمت مؤتمرات جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط الثلاثة، بحمدون ١٩٥٤م، الإسكندرية ١٩٥٥م، بحمدون ١٩٥٦م، عن المجازر التي تعرض لها المسلمون في الجزائر وقبرص والفلبين والحبشة «أثيوبيا» وتنزانيا. وظلت المؤتمرات اللاحقة تتجاهل المظالم الواقعة على الأرض اليوم، وتدعو إلى نسيان مظالم التاريخ!

٢ ـ لم يتغير هذا المسلك من قبل أدعياء التقارب من النصارى،

= ٢ ـ لا تكتمل الشروط والهيئات لقيام السيد المسيح وانبعاثه، إلا بعد قيام إسرائيل، وبناء الهيكل على موقع المسجد الأقصى، وإقامة مملكة داود.

٣ ـ لا بد من قيام صراع عالمي مدمر Armageddon تهزم في نهايته القوى المعادية للسيد المسيح Antichreist انظر: د. موسى الكيلاني، رئيس المجلس الإسلامي العالمي من كلمة له محفوظة لدى المؤلف (٣).

وانظر: مقالة (حمى سنة ٢٠٠٠) عبد العزيز كامل. مجلة البيان عدد (١٣٨) صفر ١٤٢٠هـ، يونيو ١٩٩٩م (٩١).

في السكوت عن إدانة الظالم وتجريم المجرم من بني ملتهم، حتى في عقد التسعينيات الميلادية، التي تكشفت فيه الحقائق والمعلومات أكثر من ذي قبل. فقد وقعت فاجعة المسلمين في البوسنة والهرسك في قلب أوربا المتحضرة! على بعد بضع مئاتٍ من الكيلومترات من مراكز التقريب، ومعاهد الحوار، في روما وجنيف وفيينا، ولم تشأ تلك الجهات التي دأبت على التغني بالشعارات الإنسانية، وحقوق الإنسان، والحريات الدينية، أن تعيّن الظالم وتوجّه له الاتهام، بل اكتفت بعزاء المظلوم، ودعوته إلى الصبر والغفران، لقد عقد في مطلع هذه المأساة المروعة لقاءان هامان:

أحدهما: يوم الصلاة من أجل السلام في البوسنة، دعا إليه البابا يوحنا بولس الثاني، في بلدة أسيزي في يناير عام ١٩٩٣م، وقصره على ممثلين للمسلمين والنصارى، من البوسنة وكرواتيا ومقدونيا وألبانيا وسائر البلدان الأوربية، وغاب عنه ممثلو الكنيسة الصربية الأرثذوكسية[(١)]، ولم يصدر عن الملتقى أي إدانة للصرب، بل كان جملةً من الهمهمات حول السلام، الغرض منه بالدرجة الأولى تبرئة النصرانية، والتنصل من المسؤولية.

وقد قامت جمعية سانت إيجيديو المعنية بالتقريب بين الأديان لاحقاً، بعقد لقاء بين البابا يوحنا بولس الثاني، وبطريرك الكنيسة الصربية في روما لتنقية الأجواء[(٢)].

الثاني: مؤتمر: «سلامٌ للبشر»: الذي عقد في أبريل من العام نفسه ١٩٩٣م، بتنظيم من معهد القديس جبريل اللاهوتي، ومبادرة من وزير الخارجية النمساوي، وشهده عددٌ من كبار الشخصيات الداعية إلى تقارب الأديان من الجانبين على المستوى الديني والسياسي، ولم يصدر

---

(١) Recognize The Spiritual Bonds.P.99 - 101.

(٢) من تقرير صادر عن الجمعية.

عنه، في بيانه الختامي، أدنى إشارة لإدانة الصرب والكروات على جرائمهم في حق مسلمي البوسنة، واكتفى بالدعوة إلى نبذ الحرب وإحلال السلام[١].

وحين وضعت الحرب أوزارها في البوسنة، وأرغمت الضحية على التوقيع بمدادٍ من دمها على اتفاقية «دايتون» المجحفة المذلة، بالتنازل عن أراضيها، وحقوقها، شخص رهبان السوء والنفاق برؤوسهم، ولبسوا مسوح الضأن على قلوب الذئاب، فدعت جمعية سانت إيجيديو، الذراع السياسي غير الرسمي للفاتيكان، إلى ملتقى حاشد في روما عام ١٩٩٦م، بعنوان (السلام اسم الرب)! وراحوا يتبجحون في بيانهم الختامي قائلين: (الأديان لا تبعث الضغينة والحرب. إنها لا تسوغ إراقة الدماء البريئة، الأديان لا تريد الحرب، وإنما السلام، لا محل للقداسة في الحرب، فقط السلام هو المقدس... إننا نأمل أن يغسل هذا التيار من السلام أراضي الحرب، ويطفئ الضغينة، ويغذي الآمال لعالمٍ بلا صراع. لقد نذرنا أنفسنا أن ننمي محبة السلام بين ظهراني أتباعنا المؤمنين... الحديث عن حروبٍ دينية مجرد هراء)[٢].

هذه طريقة القوم، كما أخبر الله عنهم «بعضهم أولياء بعض» فحين تواتيهم الفرصة ينقضوا على المسلمين، ضاربين عرض الحائط بسائر دعوات التقارب والمحبة والحوار، فإذا نالوا مقصودهم عادوا إلى تخدير ضحيتهم بعبارات التسامح والسلام حتى يقتنع، من جانبٍ واحد، أن الحروب الدينية (الجهاد) مجرد هراء.

ومن عجبٍ أن يحضر ممثلو الصرب هذا اللقاء، ويوقعوا على بيانه الختامي! فمتى يستفيق دعاة التقارب، ويعتصموا بثوابت الكتاب والسنة، ويتعلموا من تجارب الماضي، وشواهد الحاضر؟

---

(١) راجع وقائع المؤتمر والتعليق عليه في الفصل الثاني من الباب الثاني (١٢٧٢).
(٢) البيان الختامي. وراجع النص الكامل في الفصل الثاني من الباب الثاني.

المبحث الثالث

شبهات دعاة التقريب بين الأديان وكشفها

على الرغم من صراحة النصوص الشرعية على بطلان فكرة التقريب بين الأديان، ومعارضتها للمعلوم من الدين بالضرورة من أوجهٍ عديدة، وعلى الرغم من دلالة الواقع المعاش الذي أفرزته هذه الدعوة من آثار ينفر منها كل مؤمن، وتأباها فطرته وعقيدته، كما أوضحنا في المبحثين السابقين، إلا أن هذه الدعوات استهوت نفراً من المسلمين العصريين، وأشربوا حبها، فاندفعوا إلى الانخراط في برامجها، وإحياء مجامعها، وترديد شعاراتها التي صاغتها الدوائر الكنسية الغربية. وطفقوا يتلمسون المسوغات الشرعية، ويتذرعون بالعلل المصلحية لتصحيح طريقهم البدعي الذي تنكَّبوه، وفارقوا به سبيل السابقين الأولين من المؤمنين والتابعين لهم بإحسان.

وقد أوتي هؤلاء العصرانيون جدلاً، وقدرةً على تشقيق الكلام، وتحريف الكلم. وعامة ما يتشبثون به:

* إما استدلال بنصٍ شرعي على غير وجهه الصحيح.

* وإما إعمالٌ لنصوص شرعية، وإهمالٌ لأخرى لا يتم الحق إلا بالأخذ بهما معاً.

* وإما اعتقاد مصلحة ما معتبرة، وهي في واقع الأمر ملغيَّة.

وكل ذلك ناتج عن جهل بالشرع، وهوىً متبع، وإعجاب بالرأي، ورقة في الدين. وإلا فقد «وضح الصبح لذي عينين».

وسوف نستعرض أدناه أهم الشبهات التي يزوق بها دعاة التقريب

بضاعتهم المزجاة، وبعضها مما ألممنا به سابقاً ـ عَرَضاً ـ في ذكر بواعثهم، أو في تبين حقيقة التقريب عندهم في الباب الأول. فنثبت أدنى كل شبهة بضع نقول كاشفة لمرادهم، ثم نتبعها بالمناقشة والرد. والله المستعان.

الشبهة الأولى: التقريب بين الأديان وسيلة لتحقيق «التعارف» المذكور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

■ يقول د. أحمد صدقي الدجاني: (والإسلام يقرر أن الله خلق الناس من ذكرٍ وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا... أحد الأهداف التي لها أولوية، هدف التعارف، الذي يتحقق من خلال معرفة الآخر على حقيقته، وتصحيح الصورة الذهنية عنه، الحافلة بركامٍ من الأحكام المسبقة، وسوء الفهم، اللذين يفرقان بين أتباع الديانتين)[(١)].

■ ويصف د. يوسف الحسن «الحوار» بأنه: (تقليد حضاري، وفعل ثقافي رفيع). ويعرب عن مدى حاجة البشرية إلى التعارف مستدلاً بآية الحجرات، ثم يقول: (هذه هي رسالة الحضارة القائمة على الإيمان بوحدة الأصل البشري، وعلى مبدأ التعارف، والتسامح الثقافي في مواجهة نفي الآخرين، وعلى الرغبة المشتركة في بلورة قيمٍ إنسانية، تبطل المناخات المفعمة بالمخاوف)[(٢)].

■ ويجعل د. عبد العزيز التويجري «التعارف» على رأس قائمة أهداف الحوار من منظور إسلامي ويفسر التعارف في آية الحجرات بقوله: (فالتعارف هنا يتسع ليشمل التعاون والتعايش، وكل ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر)[(٣)].

---

(١) مجلة «الإسلام اليوم» عدد (١٢). مقالة: آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخرى واستشرافها بالحوار (٣٩).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٣).

(٣) الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي (٢٢).

وهذا تأويل عصري حادث لقوله تعالى «لتعارفوا». وهو معنىً درج دعاة الحوار والتقريب على ذكره، وغالباً ما يستنسخ بعضهم من بعض، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع إلى التفاسير المعتبرة للكشف عن مراد الله منه، كما فهمه سلف الأمة. قال ابن جرير ﷺ: (وقوله «لتعارفوا» يقول: ليعرف بعضكم بعضاً في النسب)[(١)]. وقال ابن كثير ﷺ: (أي ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته)[(٢)]. وهذه طريقة عامة المفسرين.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نقل بعض دعاة التقريب معنى «التعارف» الذي حمله هؤلاء على التعرف على الآخر، والتعاون معه، وبلورة قيم مشتركة، إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو «الاعتراف»:

■ يقول د. موسى الكيلاني بعد استدلاله بالآية السابقة: (فالمعرفة هي محور الحوار، والاعتراف المتبادل هو ركنه وأسُّه)[(٣)].

■ ويعدد د. شوقي أبو خليل بعض المواقف التاريخية لمعاملة المسلمين لأبناء البلدان المفتوحة (كشواهد على الاعتراف بالآخر واحترامه)[(٤)]. ويذكر منها دونما إحالة أو توثيق: (وفي مطلع القرن الثالث الهجري، عقد في مدينة مرو حوارٌ بين الأديان، من غير مجاملات أو مداهنات. جمع هذا الحوار الجاثليق كبير النصارى، ورأس الجالوت زعيم اليهود، والهربذ الأكبر ممثل الزرادشتية، وعمران الصابئ قطب الصابئة، والفيلسوف قسطاس الرومي، وجمعٌ من

---

(١) جامع البيان (٢٦/ ١٤٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٨٥).
(٣) من كلمة له محفوظة لدى الباحث.
(٤) الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب. هاني المبارك، شوقي أبو خليل. دار الفكر المعاصر ـ بيروت، دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م). (٦٥).

المتكلمين. حوارٌ سبقه الاعتراف بالآخر، والعيش معه بحريةٍ وانفتاح)[١].

وعلى فرض ثبوت هذه الواقعة، فما من شكٍ أنها كانت مجلس مناظرة ومجادلة ـ من غير مجاملاتٍ أو مداهنات، كما وصف أبو خليل ـ وليست من ضرب الحوار السائد حالياً من تحاشي أوجه الخلاف العقدي، والاقتصار على أوجه الاتفاق. وعلى أي حال فهو مجلس لم يشهده أهل السنة والجماعة، بل حضره المتكلمون.

■ ثم تحول تأويل «لتعارفوا» من منح الاعتراف لغير المسلمين إلى طلب الاعتراف منهم واستجدائه والتوق إلى ذلك، كما يقول د. رضوان السيد: (وبدا من ناحية أخرى توق المسلمين الشديد ليعترف بهم المسيحيون ديناً مستقلاً، كما اعترف بهم الإسلام باعتبارهم أهل كتاب)[٢].

■ ويقول الأستاذ كامل الشريف في تعداده لمنطلقات الحوار في العصر الراهن: (إن الحوار من وجهة النظر الإسلامية، ينطلق من الاعتراف بالأديان السماوية السابقة وكتبها المقدسة ورسلها الكرام، ويدعو الطرف الآخر لمثل هذا الاعتراف، حتى تكتمل قاعدة الحوار البناء)[٣].

وقد تعقبه الدكتور محمد رشيدي في نقده القيّم لمقالته، بالقول: (في رأيي أن هذا المنطلق الثاني للحوار لا يمكن حدوثه. إن كلمة

---

(١) المرجع السابق (٧٦).
(٢) مجلة الاجتهاد (٢٨/ ١٠).
(٣) من كلمة له في اللقاء الإسلامي المسيحي الرابع عام (١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م) المنعقد في عمّان بعنوان: آفاق المستقبل للتعايش الإسلامي المسيحي في ديار الإسلام في ضوء التجارب السابقة، وقد نشرت في مجلة أرض الإسراء عدد (١١٥) رجب ١٤٠٨هـ (٣٣).

«الاعتراف» لها معنىً خاص. فالديانة اليهودية كانت صحيحة حتى نسختها الديانة المسيحية. والديانة المسيحية كانت صحيحة حتى نسخها الإسلام. فالاعتراف باليهودية معناه الاعتراف بها كدين أنزل قبل مجيء عيسى عليه السلام، والاعتراف بالمسيحية، معناه الاعتراف بها كدينٍ جاء به عيسى عليه السلام ناسخاً لأمور وجدت في تعاليم اليهودية. ولا يتصور أن يعترف اليهود بالمسيحية، إلا بالدخول في المسيحية. كما لا يتصور أن يعترف المسيحي بالإسلام، إلا بدخوله في الإسلام)[١].

ولكن دعاة التقريب يطلقون الكلام على عواهنه في مسألة «الاعتراف» بالدينين السابقين بما يوهم أنهما لا يزالان دينين صحيحين باقيين لم ينسخا، وربما اعتقد بعضهم ذلك. ويفعلون هذا لعلهم أن يظفروا باعترافٍ مقابل، وأنّى لهم، كما أوضح الدكتور رشيدي.

إن التقرب من الأديان الباطلة أو المنسوخة بدعوى تحقيق هدف «التعارف» شبهة داحضة، وتأويل فاسد، وتفسير بالرأي لا يستند على بينة أو أثارة من علم.

يقول د. ظفر الإسلام خان: (لا تتعدى ظاهرة الحوار المسيحي الإسلامي الحاضرة أكثر من عقدين من الزمان. وكانت المواجهات الإسلامية المسيحية القديمة تختلف كثيراً عن هذه الحوارات، وكان الرسول الكريم ﷺ قد تحدث إلى نصارى نجران، كما كان الخليفة عمر بن الخطاب قد تحدث إلى رؤساء الكنيسة بالقدس، وقام المسلمون في القرون التالية بالمباحثة مع النصارى واليهود في مختلف أرجاء العالم الإسلامي. ولم تكن تلك المباحثات مناقشات ودية تهدف إلى «الاعتراف المتبادل»، بل كانت مناظرات تحاول دحض معتقدات

---

(١) النقد المذكور صادر عن مكتب رابطة العالم الإسلامي في جاكرتا في مذكرة محفوظة لدى الباحث (٨).

الطرف الآخر. ولم يشعر المسلمون بضرورة «الحوار» العاجلة يوماً ما، وإنما جاءت المبادرة من الكنائس الغربية لعددٍ من الأسباب الدينية والسياسية... والإسلام في حقيقة الأمر، دين التبليغ والدعوة، وهو لا يسعى إلى الحصول على اعترافٍ به من قبل الأديان الأخرى أو المؤمنين بها)[١].

الشبهة الثانية: التقريب وسيلة للدعوة إلى الله، وتفهمها من قبل الغرب:

■ يضع الدكتور حسن الترابي على رأس دواعي «الحوار» ومبرراته، ما يلي:

■ (أ - إنه ضرورة شرعية لتبليغ الرسالة، وحمل أمانة الدعوة، فالأصل هو التفاعل التبليغي، وعدم جواز السكون)[٢]. وذاك لعمر الله هدف مشروع، ووسيلة شرعية معلومة، حين يكون الحوار «حوار الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن» لإظهار دين الله على الدين كله، بالحجة والبيان، فحيَّهلا. وأما حين يكون «حوار التقريب بين الأديان» فلا، ولا كرامة. وهذا مثار الحذر والريبة، فإن كثيراً من دعاة التقريب يزفُّون دعواهم إلى التقارب بثوب الدعوة، ويزوقونها بجملة من المحسنات اللفظية ذات المدلولات الشرعية المعتبرة، ولكن ليس تحتها شيء من الحقيقة الشرعية فعلاً، كما يشهد واقع المئات من مؤتمرات الحوار التي لم تحقق شيئاً من مقاصد الدين الحنيف، بل لبَّست الأمر على كثير من الناس.

ومما يدل على أن الحذر في محله، قول الترابي في ذات المحاضرة: (وكيفما كانت وسائل إدارة الحوار مع الغرب، فلا خطاب

---

(١) مجلة البعث الإسلامي الهندية. عدد جمادى الثانية ١٤١٠هـ (٦٥).
(٢) محاضرة: أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب، نشرة شؤون الأوسط عدد ٣٦ ديسمبر ١٩٩٤م (٩١).

بينهم وبين علمائنا التقليديين، الذين ليس لهم مع الغرب، بل ليس لهم معنا نحن الإسلاميين الذين نسعى لتنزيل الإسلام على الواقع المعاصر، من تفاهم على قضايا فكرية كثيرة. ذلك أنهم يحفظون فتاوى قديمة، أو نصوصاً نزلت على واقعٍ قديم، تجاوزته مستجدات العصر)[١].

ترى هل عرف تاريخ الإسلام هذا التصنيف الذي يفرق بين «العلماء التقليديين» و«الإسلاميين»؟ وهل كان أهل الإسلام ودعاته إلا العلماء العاملون الذين حفظوا نصوص العلم، وطفقوا يدعون الناس إليه؟ ومن تلك الفئة المحدثة التي حكم عليها الترابي بنفسه أنها لا تنتمي إلى أهل العلم، ولا تتفاهم مع أهله في قضايا فكرية كثيرة، ولا تحفظ نصوصه، وفي نفس الوقت تسعى لتنزيل الإسلام على الواقع المعاصر؟! وما هي مؤهلاتها إذاً لتنبري عن جدارة! بواجب تبليغ الرسالة، وحمل أمانة الدعوة؟ لقد أجاب الترابي عن هذه التساؤلات، ووصَّف تلك الفئة بقوله: (أحسب أن المثقفين من الإسلاميين، سواء في أوربا أو الذين درسوا هناك، وعاشوا في الغرب وخبروه، هم أقرب لأن يصلوا هذه الصلة، ويديروا الحوار)[٢]. فهل أتي الإسلام إلا من اتخاذ هؤلاء الجهال أئمة.

إن الدعوة إلى التقريب بين الأديان لا يمكن أن تكون بحالٍ من الأحوال دعوةً إلى الله، لأنها تحمل في ذاتها الحيدة عن دين الله، والتنصل عن بعض ما أنزل الله، سواءً جرى ذاك التقريب في مجال العقائد والمفاهيم، الذي يخلط الحق بالباطل أو في مجال العلاقات بين أتباع الدينين الذي يقضي على الولاء والبراء.

وأين ثمار هذه الدعوة المزعومة وآثارها منذ أربعين سنة في نشر

---

(١) المرجع السابق (٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨١).

دين الله، ودخول الناس فيه أفواجاً؟ إنه لا يعلم أن أياً من ملتقيات الحوار التي يغشاها دعاة التقريب من الإسلاميين قد تمخضت عن إسلام شخصٍ واحد. والسبب بسيطٌ جداً، هو أن هؤلاء التقريبيين لا يعتمدون في خططهم «الدعوية» المزعومة أسلوب الدعوة المباشرة، ومبادأة الطرف المقابل بالجملة القرآنية التي يبتدرها جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤، المؤمنون: ٢٣، ٣٢] لأنها في نظرهم نصوص قديمة، نزلت على واقع قديم، تجاوزته مستجدات العصر، والعصرانيين[١].

الشبهة الثالثة: التقريب وسيلة للتعاون بين أتباع الأديان لمواجهة الإلحاد والفساد:

■ يقول الشيخ أحمد كفتارو: (لقد جعل القرآن بين المسلمين والمسيحيين رابطة روحية يعيشون تحت ظلالها في سعادة، متكاتفين متعاونين... فلمَ لا نرى في عصرنا هذا مثل هذا التفتح والتعاون، والتلاقي فيما بيننا، ولا سيما أن الإلحاد يكاد يلف العالم بظلامه... ضمن هذه القاعدة: «نتعاون على ما نشترك فيه، ونتسامح فيما يُختلف فيه من فروع»)[٢].

■ يقول د. يوسف القرضاوي في مستهل تعداده للأهداف المشروعة من الحوار بين الإسلام والنصرانية: (... الوقوف في وجه

---

(١) رسم الدكتور حسن الترابي ما أسماه استراتيجية منظومة شاملة للحوار مع الغرب، أدرج فيه اثنين وأربعين عنواناً في قضايا الحوار المقترحة في جميع الشؤون، حتى الفنون والألعاب الرياضية، ولم تتضمن عنواناً واحداً في التوحيد الذي دعت إليه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. انظر: المرجع السابق (٩١ ـ ٩٣).

(٢) الدعاة والدعوة (١/ ٥٦٠).

تيار الإلحاد والمادية، الذي يعادي كل الرسالات السماوية... وكذلك تيار الإباحية والانحلال الخلقي)[١].

■ ويقول الأستاذ كامل الشريف بعد عودته من ندوة جارودي الإبراهيمية في قرطبة عام ١٩٨٧م، تحت عنوان «التعاون ضد الفساد»: (.. بالنسبة للمسلمين ـ بالذات ـ فهم لا يملكون أن يكونوا على الحياد، أو يتصرفوا وكأن الأمر لا يعنيهم. ذلك أن أكثر الأفكار والتيارات التي تهدد قضية الإيمان والحياة والأخلاق تبرز في منطقة نفوذ الكنيسة، ابتداءً بشبح الحرب النووية، وانتهاءً بالأزياء التي ينقصها الاحتشام، مروراً بالجديد المبتكر من السموم والمخدرات. أما في ميدان الأفكار، فإن الشيوعية والوجودية والعلمانية بكل مدارسها هي صناعة أوربية ترعرعت هناك قبل أن تجد لها مرتعاً في الفراغ العقائدي الذي يخيم على ديارنا... ولعل من الإنصاف القول أن الكنيسة أخذت تحارب بذكاءٍ وشجاعة في كل هذه الميادين، إلا أن الطرف المتلقي يظل عندنا. ومن هنا تبدو أهمية التعاون المقترح في هذه الميادين. إنها معركة تدور في النبع وعند المصدر ومن صالحنا أن ندخل فيها. ولو لم تنهض الكنيسة للعمل لكان لزاماً علينا أن نحرضها على ذلك)[٢].

لعل هذه الشبهة هي أقدم الشبهات التي جلبت دعوة التقريب بين الأديان إلى بلاد الإسلام، حين وفدت بين يدي مؤتمر بحمدون عام ١٩٥٤م[٣]. وهي شبهة قديمة تتجدد بتجدد ألوان الإلحاد والفساد وصوره، فحتى بعد سقوط الشيوعية برزت «العولمة» خصماً جديداً تناط به دواعي التعاون والحوار لمجابهته.

---

(١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (١٧٥).

(٢) مقالة: (الحوار الإسلامي المسيحي) جريدة «الدستور» الأردنية. الاثنين ٢/ ٣/ ١٩٨٧م (٧).

(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في الباب الثاني (١٠٨١).

ولا شك أن «أهل الكتاب» من اليهود والنصارى خير من «الذين لا يعلمون»، من الوثنيين، والملحدين القدامى والمحدثين، كما أنه من دواعي فرح المؤمنين أن ينتصر «أهل الكتاب» على الوثنيين والملحدين، كما فرح المؤمنون الأوائل بغلبة الروم النصارى للفرس المجوس، بعد أن بشرهم الله بذلك. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم]. ولكن التمييز بين أصناف الكفرة شيء، والتقارب معهم والتعاون بدعوى مواجهة الإلحاد والفساد شيءٌ آخر، ولا يجوز الربط بينهما. ذلك أن للإسلام دعوته الخاصة ومنهجه المتفرد في هداية الخلق، وانخراط دعاة التقريب في برامج مشتركة مع اليهود والنصارى يفضي إلى تصويب اليهودية والنصرانية، وبالتالي نقل البشر من ركن من أركان النار إلى ركنٍ آخر، ليس غير. والتعاون معهم لدفع مفسدة جزئية، كالإجهاض والمخدرات، قد يؤدي إلى مفسدة كلية تمس الاعتقاد، فربما توهم الناس أن ليس لدىٰ اليهود والنصارىٰ والمشركين انحراف سوى ذلك.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (وسذاجة أي سذاجة، وغفلة أي غفلة، أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين. إذا كانت المعركة مع المسلمين!!!

وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان، وفي كل زمان، حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب للوقوف في وجه المادية والإلحاد بوصفنا جميعاً أهل دين! ـ ناسين تعليم القرآن كله، وناسين تعليم التاريخ كله. فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين «هؤلاء أهدى

من الذين آمنوا سبيلاً».. وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة، وكانوا لهم درعاً ورداءاً. وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شردوا العرب المسلمين في فلسطين، وأحلوا اليهود محلهم، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية! أهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان... في الحبشة والصومال وأريتريا والجزائر، ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند، وفي كل مكان!

إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعاً على أساس العقيدة. فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة.. ومن ثم فلا يمكن أن يقوم الولاء ـ وهو التناصر ـ بين المسلم وغير المسلم؛ إذ أنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة.. ولا حتى أمام الإلحاد مثلاً ـ كما يتصور بعض السذج منا، وبعض من لا يقرأون القرآن، ولا يعرفون حقيقة الإسلام، وبعض المخدوعين أيضاً.. يتصورون أن الدين كله دين! كما أن الإلحاد كله إلحاد! وأنه يمكن إذاً أن يقف «التدين» بجملته في وجه الإلحاد. لأن الإلحاد ينكر الدين كله، ويحارب التدين على الإطلاق...

ومن ثم فليس هناك جبهة تديُّن يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هنا «دين» هو الإسلام.. وهناك «لا دين» هو غير الإسلام.. ثم يكون هذا اللادين.. عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة، أو عقيدة أصلها وثني باقية على وثنيتها، أو إلحاداً ينكر الأديان.. تختلف فيما بينها كلها. ولكنها تختلف كلها مع الإسلام. ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء.. فكيف يمكن إذاً أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع من لا يؤمن بالإسلام ديناً ومنهجاً ونظاماً وشريعة، ومن يتجه في

سعيه إلى أهدافٍ أخرى ـ إن لم تكن معادية للإسلام وأهدافه، فهي على الأقل ليست أهداف الإسلام ـ إذ الإسلام لا يعترف بهدفٍ ولا عملٍ لا يقوم على أساس العقيدة، مهما بدا في ذاته صالحاً ـ «والذين كفروا أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف»)[١].

الشبهة الرابعة: التقريب وسيلةٌ لإبراز التسامح الإسلامي، وتحسين صورة الإسلام المشوهة في الغرب:

■ يقول محمد حسن الحمصي في طليعة تعداده لمآثر دعاة التقريب بين الإسلام والنصرانية أنهم: (أبرزوا لرجال الدين المسيحي، ولجماهير النصارى هناك، الموقف الإسلامي النبيل الذي يدعو إلى التسامح مع أبناء الديانات السماوية الأخرى)[٢]. ثم طفق يستشهد بمواقف المداهنة، وعبارات الاستخذاء للنصارى، المجافية للتوجيه القرآني، الراغبة عن المنهج النبوي.

■ يقول د. موسى الكيلاني: (المسلمون والمسيحيون يرزأون تحت إرثٍ من التاريخ الدامي الذي يعرقل الحوار. وكلاهما يئن تحت عبءٍ إيديولوجي من مخلفات القرون الماضية، ويحول دون إشراع أبواب المستقبل المتسامح الزاهر للأجيال الجديدة)[٣].

■ يقول د. يوسف الحسن: (هناك حاجة ماسة لوضع أسس صحيحة من أجل حوار حقيقي، لأن الإسلام في المرحلة الراهنة، هو موضع حملةٍ ضارية في الغرب، دأبت على خلط الأوراق بين الإرهاب من ناحية، والإيمان والدين من ناحية أخرى، وبالتالي فإن الحوار يجب أن يكون متوازناً، بمعنى أن يساهم الغرب نفسه في إعطاء مساحةٍ

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٩١٠، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦).
(٢) الدعاة والدعوة (١/ ٥٥٤)، وما بعدها.
(٣) من كلمة له محفوظة لدى الباحث (٢).

من المكان والزمان، لعرض الوجه الحقيقي للإسلام)[١].

إن مفهوم «التسامح» الذي يتكئ عليه دعاة التقريب مفهوم فضفاض يتضمن حقاً وباطلاً، يحتم ضرورة الاستفصال عن المدلول المراد:

■ فإن أريد بالتسامح، العفو والصفح في المعاملة، بالتنازل عن بعض الحقوق الشخصية مالية أو معنوية، أو ما يحيله الشرع الإسلامي إلى اجتهاد ولاة أمور المسلمين في معاملة الحربيين من المنِّ أو الفداء، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية، أو منح الذميين والمعاهدين والمستأمنين في المجتمع الإسلامي حقوقاً مدنية، وإذناً في البقاء على دينهم وعباداتهم، من غير إكراهٍ لهم على اعتناق الإسلام، فهو حقٌّ جاء به الإسلام، وحفل به تاريخه، وفاق به جميع الأنظمة القديمة والحديثة، وقد شهد له بذلك الأعداء[٢]. فهو بهذا المدلول فضيلة خلقية، ومنهجٌ نبيل في العلاقات الدولية، والتنظيم الاجتماعي، لا يثلم عقيدة، ولا يهدر كرامة، ولا يضيع حقاً.

■ وإن كان «التسامح» يعني المداهنة، وإعطاء الدنية في الدين، وتسوية المسلمين بالمجرمين، وإدانة سبيل السابقين الأولين من المؤمنين، وإباحة جناب المجتمع المسلم لجحافل المنصرين والملحدين لإشاعة الفاحشة الفكرية والخلقية في الذين آمنوا، باسم «الحرية الدينية»، و«التعددية الثقافية»، و«التنوع الحضاري»، وما شابهها من زخرف القول، بحجة تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين، فما هذا بتسامح، بل خنوع واستخذاء، ونزع للباس التقوى.

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي، الفرص والتحديات (٢٣).

(٢) انظر نبذاً من صور التسامح هذا في كتيب: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب.

يقول أحد دعاة التقريب: (إن التسامح يعد خطأ حضارياً يقضي بمنح الآخرين حرية التعبير عن الآراء والأفكار التي تغاير الآخرين، كما يسمح بالعيش وفقاً للمبادئ والمعتقدات التي لا ندين بها سوية. إن التسامح أصبح إذاً مسألةً لا يمكن فصلها عن الحرية وحقوق الإنسان... إن التسامح يجب أن يشمل الجميع، وكل الأديان على وجه الأرض. إن العالم العربي مدعوٌ في المستقبل القريب إلى أن لا يواصل تجاهله لوجود عدة بلايين من البشر على وجه البسيطة، من الذين لا يدعون الانحدار من إبراهيم، ولا يعني ذلك أبداً أن حضاراتهم وأنماط تفكيرهم غير جديرة بالتقدير والاحترام، مثلما هو الشأن لحضارتنا ونمط تفكيرنا. بل يجب علينا إذاً نحن المسلمين أن نطبق على الآخرين ما نطالب به لأنفسنا)[١].

هذا مؤدى مفهوم التسامح الذي ينادي به دعاة التقريب، يضفي عباءته الفضفاضة على كل مشركٍ وثني، فضلاً عن اليهودي والنصراني، ويمنحه التقدير والاحترام من جهة حضارته وعقيدته، ويتيح له أن يجهر بالسوء من القول!

إن الغرب الذي يخطب هؤلاء التقريبيون وده، لا يكف ليلَ نهار عن تشويه الإسلام في وسائل الإعلام والسخرية من أهله[٢]، ولا يعوزه

(١) مقالة التسامح الإسلامي ـ المسيحي، والتقارب العربي الأوربي ليسا بالمستحيلين. عبد الجليل التميمي. جريدة الحياة عدد (١٢٣٩٨) الخميس ٢٨ رمضان ١٤٢٧هـ، ٦فبراير ١٩٩٧م.

(٢) انظر في هذه الدراسة الجادة والمنصفة: (التغطية الإعلامية للإسلام) لإدوارد سعيد، أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا. وانظر كتاب: (تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر) دراسة نقدية في ضوء الإسلام. تأليف عبد اللطيف إبراهيم الحسين ـ أطروحة ماجستير ـ دار ابن الجوزي. الدمام. الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

للقيام بهذا الصد عن سبيل الله وجود تصرفات طائشة مرفوضة تتسم بالعنف والعدوان من بعض المنتسبين إلى الإسلام، كما لن يوقفه بالمقابل اطراح هؤلاء التقريبيين بين أيديهم في ضعة وانخذال، فتلك عقيدة راسخة، وطبيعة متأصلة في نفوسهم، منذ فجر الإسلام ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

إن كل جريمة ترتكبها مجموعة دينية أو عرقية أو ثورية في أنحاء العالم، لا تنسب في لغة الإعلام الغربي إلى الدين الذي تنتمي إليه تلك المجموعة، أو حتى الفرد، إلا حين تصدر عن مسلمين، فيقال رأساً: (الإرهاب الإسلامي) و(الإرهابيون المسلمون)، ولا يقال لجرائم الصرب الفظيعة في البوسنة وكوسوفا (إرهاب أرثذوكسي)، ولا لعلميات الألوية الحمراء في إيطاليا (إرهاب كاثوليكي)، ولا لتفجيرات الجيش السري الإيرلندي (إرهاب بروتستانتي)، ولا لأعمال القمع التي يمارسها الجيش الإسرائيلي يومياً (إرهاب يهودي)، بل لا يقال لمجازر الهنود القوميين، وهدمهم لمساجد المسلمين (إرهاب هندوسي)، ولا لعمليات الجيش الأحمر الياباني (إرهابٌ بوذي). كما لا توصف حملات التشويه والتشهير الإعلامي ضد الإسلام في الغرب بالتطرف وعدم التسامح. ودعاة التقريب، بحكم ثقافاتهم الغربية غالباً، يدركون هذه الحقائق جيداً فلا يزيدهم ذلك إلا تقرباً إلى الخصم الذي لا يمل من الابتزاز.

إن تحسين صورة الإسلام في أذهان الغربيين، والناس جميعاً، وإبراز محاسن الإسلام، لا يكون إلا بالتمسك به، والتأدب بآدابه، والدعوة إليه، ولا يكون أبداً بانتقاصه، واجتزائه، والتخلي عن شيءٍ منه قرباناً إلى الكافرين، وموالاةً لهم من دون المؤمنين.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (إن الذين يحاولون تمييع هذه

المفاصلة الحاسمة باسم «التسامح» و«التقريب بين الأديان السماوية»، يخطئون فهم معنى الآيات، كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي)[١].

الشبهة الخامسة: التقريب ضرورة يفرضها الواقع العالمي الجديد:

■ يقول د. موسى الكيلاني: (خلال العقدين القادمين سيحتاج المسلمون والمسيحيون إلى جسور كبيرة توثق ما بينهما، وتكون كبيرة بحجم الأخدود الكبير من عدم الفهم الذي يفصل بيننا. لقد تقلص العالم الفسيح الواسع، وأصبحنا نعيش كل يوم، وقد فقدنا استقلاليتنا المطلقة، وغداً كل يزداد اعتماداً على غيره... حيث أصبح الكون قريةً صغيرة تجوبها الأفواج من السياح، ويختلط بها العديد من الأعراق والأجناس)[٢].

■ ويصف د. حسن الترابي الحوار مع الغرب بأنه (ضرورة عملية يفرضها الواقع العالمي القائم على الاتصال، والتفاعل، والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات والحركات، مما يوجب علينا فهم الآخرين، وتفهم واقعهم، ومعرفة الحقائق للتعامل معها)[٣].

■ يقول الفضل شلق: (إن علينا أن نعترف بالأمر الواقع، ونعمل كي نتجاوزه، ولن يكون هذا التجاوز ممكناً دون الأخذ بثقافة الغرب، والانخراط بالعالم)[٤].

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٩١٢).

(٢) من كلمة له محفوظة لدى الباحث.

(٣) محاضرة أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب. نشرة شؤون الأوسط عدد ٣٦ (٩١).

(٤) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/ ١١).

إن هذه المقدمات محل قبول وتسليم من كل أحد، فوسائل الاتصال الحديثة ألغت مفهوم «البعد»، وبات كل شيءٍ قريباً. فما لم تبلغه الأقدام، تأتي به وسائل الإعلام، قبل أن يقوم المرء من مقامه، بل قبل أن يرتد إليه طرفه، عبر التقنيات الحديثة. ولكن ما رتبه دعاة التقريب من نتائج على تلكم المقدمات محل رفضٍ، وإلزامٌ بما لا يلزم. فليس من مقتضى هذا التواصل العالمي الذوبان في بوتقة الأممية، والانسلاخ من الهوية، والانخراط في ثقافة الغير، وإن بدعوى تجاوزها.

ينبغي أن يكون أسعد الناس بهذه التيسيرات الحضارية التي تنقل الكلمة، وتبث الدعوة، أهل الإسلام، وأمة الخير التي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، مستفيدةً من هذه الوسائل الحديثة التي تختصر المسافات، وتعمم الخطاب، وتطلق كلمة التوحيد واضحة قوية لاشِية فيها، ولا لبس بباطل، وترسم الصورة الحقيقية المشرقة لأهل الإسلام، دون تشويش أو غبش، فتقرع الأسماع وتملأ العيون، وتقيم الحجة، لا أن يُطوَّع الدين الحق، بدعوى تفهّم الآخرين الذين يهجمون علينا بثقافاتهم، فنقيم لهم «الجسور الكبيرة» ليعبروا إلينا.

الشبهة السادسة: التقريب وسيلة لتحاشي النزاعات والحروب، وصدام الحضارات:

■ يقول د. محمد عثمان صالح: (من دواعي الحوار أيضاً الرغبة العامة في العيش في سلام وأمن، بعيداً عن التوترات والمنازعات والحروب. إذ أن الحوار كما أدرك الكثيرون يقارب بين الأفكار، أو على الأقل يستل سخائم النفوس)[١].

---

(١) تحديات الحوار بين الأديان وضوابطه. ورقة مقدمة إلى مؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم عام ١٩٩٤م (٢).

■ يقول د. يوسف الحسن: (إنه بدون سلام بين الأديان، ستكون هناك حروب تملأ الكرة الأرضية، وتأكل روح الإنسان، ولا سلام بين الأديان بدون حوار صادقٍ ومخلص)[١].

■ يقول د. موسى الكيلاني: (ليس من الصحيح أن الحوار الإسلامي المسيحي ضربٌ من الكماليات التي يتمتع بخدمتها المترفون، فقد أصبح له في قرننا العشرين أولوية تتجاوز كل ما أدرج على الأجِندة[٢] السياسية. أقول هذا نظراً لوجود بعض النبرات العالية بين المسلمين والمسيحيين، تحاول إقناعنا أن العداء والصراع أبديين تاريخيين[٣]، وأن مجال التعاون والتعايش، وهم)[٤].

إن التلويح بخطر النزاعات والحروب، سلاحٌ يشهره بعض دعاة التقريب بين الأديان لتمرير فكرتهم، وضربٌ من الإرجاف لتوهين النفوس وزلزلتها عن التمسك بأهداب الدين. ويعلم هؤلاء جميعاً أن الذي يملك الآلة العسكرية المتطورة الجبارة ويصنعها، هم النصارى وغيرهم من أمم الكفر، وليس المسلمين، وأن مثيري النزاعات والحروب غالباً هم الطامعون المتحرشون بالأمم الضعيفة المسالمة التي لا تضاهيهم عدةً وعتاداً. فمحصلة دعواهم أن على المسلمين إذاً، لتحاشي تلك النزاعات والحروب والصدامات الحضارية، مسايرة الأمم التي تملك الترسانة العسكرية، والاقتراب منها، بالتخلي عن مقومات قوتها الذاتية، المتمثلة بعقيدتها المتفردة، التي تشيع في نفوس معتنقيها معاني الاستعلاء والتميز، والتطلع لإظهار دين الله على الدين كله.

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات.

(٢) الأجندة: Agenda: كلمة إنجليزية معناها برنامج، أو جدول أعمال.

(٣) هكذا في الأصل، والصواب: أبديان تاريخيان.

(٤) من كلمة له محفوظة لدى المؤلف.

كما يعلم هؤلاء التقريبيون أن النبرات العالية بحتمية الصراع بين الإسلام والنصرانية تنبعث من المعسكر المقابل بكل بجاحة، وتصميم، وليس من الصف الإسلامي. فإن الحروب والخصومة ليستا هدفاً للإسلام، ولا شهوةً للمسلمين، كما يزعم المستشرقون، بل هو دين المرحمة، ونبيه نبي الرحمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]. ومن سابغ رحمته أنه يخرج العباد، من رق العبودية للعباد، إلى فسحة العبودية لرب العباد، ويكشف الفتنة التي يتخبط بها البشر، بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فإن حال أحدٌ بين الناس وتبليغ دين الله كان حرياً أن يقاتل ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ومع ذلك فهو ينزع إلى السلم في غير مذلة: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، والتاريخ شاهد على أن المسلمين أرحم الفاتحين، وأرفق المظفرين، وأن خصومهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة].

أما الغرب النصراني المعاصر الذي يُدعى أهل الإسلام للاقتراب الديني معه، فإنه يطلق على ألسنة كبار منظريه، ومنجميه السياسيين نذر الحظر، وشارات التحفز والتوثب لمنازلة الإسلام وأهله، ومن شواهد ذلك:

١ ـ كتاب «نهاية التاريخ وخاتم البشر»، للأمريكي، الياباني الأصل، فرانسيس فوكوياما[1].

وقد أراد فوكوياما أن يقلِّد الديموقراطية الغربية إكليل النصر النهائي والحاسم، مأخوذاً بنشوة سقوط الاتحاد السوفيتي، وانهيار

---

(١) كان نائباً سابقاً لمدير مجموعة تخطيط السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية، ومستشاراً لمؤسسة «راند كوربوريشن» في واشنطن حالياً.

الشيوعية، بوصفها آخر خصوم الديموقراطية الغربية المظفرة، ويعلن بذلك «نهاية التاريخ» بتربع الحضارة الغربية، ذات الأصول النصرانية، على عرش البشرية الختامي، مهدراً بذلك سائر الأيديولوجيات والأديان، مع اعترافه بما يتمتع به الإسلام من خصائص ومزايا، فيقول: (صحيح أن الإسلام يشكل أيديولوجيا متسقة ومتماسكة شأن الليبرالية والشيوعية[١]، وأن له معاييره الأخلاقية الخاصة به، ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية، كذلك فإن للإسلام جاذبية يمكن أن تكون عالمية، داعياً إليه البشر كافةً باعتبارهم بشراً، لا مجرد أعضاء في جماعة عرقية أو قومية معينة. وقد تمكن الإسلام في الواقع من الانتصار على الديموقراطية الليبرالية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، وشكل بذلك خطراً على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية بصورة مباشرة)[٢].

٢ ـ مقالة البروفسور صموئيل هانتنغتون[٣]، المنشورة في مجلة Forreign Affairs، الشؤون الخارجية، بعنوان: «صدام الحضارات»، ضمن دراسة مطولة بعنوان: «المصالح الأمريكية ومتغيرات الأمن»، في يونيو عام ١٩٩٣م، ويرشح فيها الحضارة الإسلامية أن تكون أبرز خصوم الحضارة الغربية في القرن الحادي والعشرين، ويحدد زمن

---

(١) حاشا دين الله أن يشبه بهذه النظم الأرضية الوضعية المتناقضة والمختلة، قال تعالى عن القرآن العظيم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

(٢) نهاية التاريخ وخاتم البشر. فرانسيس فوكوياما. ترجمة: حسين أحمد أمين. مركز الأهرام للترجمة والنشر: مؤسسة الأهرام ـ القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م). (٥٦).

(٣) أستاذ العلوم السياسية، ومدير مؤسسة جون أولين للدراسات بجامعة «هارفارد» الأمريكية، ومدير أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية، ومسؤول سابق في مجلس الأمن القومي عن التخطيط.

الصدام ومكانه؛ فيرى أن العقدين، الأول والثاني من القرن الحادي والعشرين الميلادي سيشهدان صراعاً على خطوط التماس، شمال البحر الأبيض المتوسط بإزاء جنوبه، وجمهوريات الاتحاد السوفيتي النصرانية مع المسلمة، وباختصار فهو يرى أن للإسلام حدوداً دموية، على حد تعبيره[(١)].

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة «المجلة»، بعد أربع سنواتٍ من نشر مقالته الشهيرة وما أعقبها من انتقاداتٍ وتداعيات، أكد هنتنغتون أفكاره السابقة بثقة وجزم لمحاوره المسلم، الذي بدا وكأنه يستجديه في التخلي عنها، ونقتطف من تلك المقابلة الصريحة ما يلي:

* (لماذا أنت متشائم حول مستقبل العلاقات بين الغرب والإسلام؟

* ما دام الإسلام سيبقى إسلاماً، وليس هناك أي شكٍ في ذلك، وما دام الغرب سيبقى غرباً، ولا يتوقع أحدٌ أن يصبح الغرب شرقاً، سيظل الصراع قائماً بينهما، كما ظل قائماً لأربعة عشر قرناً...

* لماذا تقول دائماً «الإسلام والغرب»؟ ولا تقول «الإسلام والمسيحية»؟ لماذا، تخلط بين الدين هنا، والقومية هناك؟

* هذا سؤال معقول. وأعتقد أنني فعلت ذلك لأن العادة جرت على وصف الغرب بالغرب. قبل مئات السنين كان الناس يستعملون عبارة «الغرب المسيحي» لكن لا أحد يفعل ذلك الآن.

---

(١) لقد أثارت مقالة هانتنغتون ردود فعلٍ واسعة في الشرق والغرب ما بين منتقد ومؤيد ومعتدل، وانظر في ذلك: ترجمة المقالة، وبعض الردود والتعقيبات في كتاب «صدام الحضارات» الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. بيروت ١٩٩٥م، وعدد خاص من مجلة «الهلال» المصرية نوفمبر عام ١٩٩٣م، والإسلام والغرب والديمقراطية. جودت سعيد، عبد الواحد العلواني. دار الفكر ١٩٩٦م، والإسلام وصراع الحضارات. د. أحمد القديدي. كتاب الأمة رقم (٤٤). قطر ١٩٩٥م.

* قلت إن المشكلة بالنسبة للغرب ليست الإسلاميين المتطرفين، إنما الإسلام كله؟

* نعم قلت ذلك. الإسلام بكل طوائفه وأقسامه في مختلف الدول، عبارة عن حضارة كاملة، تشمل الدين والدنيا، وكل مظاهر الحياة اليومية، ولهذا قلت إن الإسلام ونظام الدول الغربية لن يلتقيا. بالإضافة إلى هذا فإن المسلمين يعلنون في وجه كل غربي أن دينهم هو الأحسن، وأن عاداتهم وتقاليدهم هي الأفضل. كلهم يقولون ذلك: المتطرفون والمعتدلون والليبراليون)[١].

هذه تقريرات خبير متمرس تبوأ أعلى المواقع الاستشارية والتخطيطية، وليست انفعالات طائشة من زعيم قومي، إنها خلاصة تجارب أئمة الكفر الذين خبروا خصائص الإسلام عن دراسة ودراية، واستيقنتها أنفسهم، فلم تقدهم تلك المعرفة المجردة إلى نصح أنفسهم وشعوبهم، ليدخلوا في السلم كافة، بل حملتهم عاطفة العصبية والعزة بالإثم أن يطلقوا صيحات الخطر بحتمية الصراع بين نقيضين لا يجتمعان؛ الهدى والهوى.

وكلما زاد هؤلاء النصارى صراحة ووضوحاً، زاد دعاة التقريب من بني جلدتنا تعامياً وإغماضاً عن الحقائق الثابتة بالكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيزيد أولئك إمعاناً في طلب التنصل من عرى الدين، فلا يطفئ غلتهم إلا أن يفارق المسلمون دينهم، عياذاً بالله، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

---

(١) مجلة المجلة عدد ٨٩٦ في ١٣/٤/١٩٩٧م أجرى المقابلة: محمد علي الصالح.

إن استدفاع ويلات الحروب وآثارها المدمرة لا يكون بالمقايضة على أمور الدين الاعتقادية، أو التشريعية، فليس ذلك لأحدٍ من الخلق، وإنما يكون بموالاة الله ورسوله والمؤمنين، واتخاذ الأسباب المعنوية والمادية لدفع الشر والعيش بكرامة وعزة. ولا يليق أن يغدو التلويح بالصراع من قبل دهاقنة النصارى المحنكين[1] مثار هلع أهل الإسلام وخورهم، فيستجيبوا لدعوتهم إلى التقريب بين الأديان والحضارات، فلا والله لن يرضيهم ذلك عنا، ولن يكف شرهم، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]

الشبهة السابعة: التقريب وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف طوائف الأمة:

أسس محمد عمارة كتابه «الإسلام والوحدة القومية» على شفا هذا الجرف الهاري، إثر أحداث عنفٍ طائفية جرت بين المسلمين والأقباط في مصر. فأثبت للنصارى وصف الإيمان، وجعل كفرهم برسالة محمد ﷺ مجرد بدعة داخل الدين الواحد، ووصف «الجزية» بأنها «ضريبة» وليست حكماً شرعياً، وخلص إلى القول: (ما بال البعض

---

(١) تمثل هذه القضية مادة خصبة لكتاب من اليهود والنصارى، ومن أمثلة ذلك: مقالة: (تحدي الإسلام الراديكالي) لـ: جوديث ميلر، مقالة: ما هو الخطر الأخضر؟ لـ ليون ت. هدار. وهما معربان في نشرة مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، مقالات معربة رقم (١٨)، مقالة: (حتمية الصراع بين الإسلام والغرب) لـ: برنادر لويس في مجلة The Monthly سبتمبر ١٩٩٠م. ومقالة (الإسلام والغرب) لـ:بريان بيدهام المنشورة في صحيفة الإيكونوميست في ٦ أغسطس عام ١٩٩٤م. انظر عرضاً لها في: الإسلام والغرب والديموقراطية. (٣٧ ـ ٩٧).

يتعلق بثباتها سبيلاً للشقاق الديني، وتمزيق وحدة الأمة، تحت ستار زائف من الدين)[١].

■ يقول سعود المولى: (إن المطلوب في هذا السياق بلورة الوعي المسيحي العربي بأنه شريك في الحوار، وليس ملحقاً بالكنائس العالمية، وبأنه شريك في المشروع النهضوي الحضاري، وبأن المسيحية العربية هي إسلام حضاري وتاريخي)[٢].

يقول د. يوسف الحسن: (عاش المسلمون والمسيحيون العرب، فهماً مشتركاً للمبادئ الإيمانية السماوية، وإسلام النفس لله، فكانوا جميعاً أبناء حضارة واحدة، معتمدين العقل، ووحدة العيش، وشراكة المصير، ورابطة الثقافة والفكرة الوطنية، سبلاً للتفاهم والتقارب في شؤون الدين والدنيا على حدٍ سواء)[٣].

وهذه النزعة التي تقدم رابطة «الوطن» على رابطة الدين نزعة نفاق، لم يزل أهل الإسلام يعرفون ذلك من أهل النفاق بلحن القول، مذ كان الإسلام محاصراً في المدينة. قال الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، رحمه الله، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب:١٣]. (فقالت هذه الطائفة: «يا أهل يثرب» يريدون: «يا أهل المدينة» فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن التسمية فيه، إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية ليس لهما في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك مجرد الخور الطبيعي)[٤].

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (٩٦). والكتاب يعج بمثل هذه الدعاوي. راجع مبحث «الإسلاميون العصرانيون».
(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢٢٥).
(٣) الحوار الإسلامي المسيحي، الفرص والتحديات (٢٠)، وراجع التعليق على النصوص السابقة في الباب الأول.
(٤) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان. (٦/ ٢٠٣).

من عجبٍ أن يساوم دعاة التقريب على دينهم، من أجل حفنةٍ من أهل الكتاب عاشوا آمنين مطمئنين في كنف المجتمع المسلم طوال القرون، وتمتعوا بحقوقٍ مدنية ودينية لا تكفلها الأنظمة الوضعية، فينفخون في صورتهم وقد أقمئهم الله، ويقدمونهم وقد أخّرهم الله، متلفعين بمرطٍ من دعوى الجاهلية؛ القومية، والوطنية ونحوها، إن تحقيق الوحدة الوطنية تكون بالقيام لله بالقسط، وإرساء معالم الشرع الشريف، ورفع مناره، وحفظ حقوق أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين من أي عدوان يقع عليهم، دون أن يتضمن ذلك تنازلاً عن شيءٍ من الدين، عقيدةً أو شريعة. وهم منذ صدور «الخط الهمايوني»[1]، يهدبون الإعفاءات، والاختصاصات، من الحكومات المتعاقبة، حتى تنمّروا وسمنوا، وغدوا من أثرى طبقات المجتمع، وأكثرها رعايةً في العديد من البلدان الإسلامية، ثم لا يرعوون حتى يطالبوا برفع الأوصاف القرآنية، والأحكام الشرعية الثابتة المحكمة في شأنهم، باسم التقارب والحوار والعيش المشترك، ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

الشبهة الثامنة: التقريب وسيلة لتحسين أوضاع الأقليات الإسلامية في الغرب:

■ يقول د. محمد الحسن: (هناك تحديات أخرى أمام الحوار، تستدعي عزيمة وتعاوناً لمواجهتها، من بينها... ضغوط الهجرة الخارجية إليه، حيث صور المسلمون المهاجرون ككبش فداء، أو خيال

---

(١) هو المرسوم الذي أصدره السلطان عبد المجيد العثماني عام ١٨٣٩م، تحت ضغط الدول الكبرى لتنظيم أوضاع رعايا الدولة العثمانية، ويعرف بـ«خط شريف غولخانة». ثم أعقبه الخط الهمايوني الثاني عام ١٨٥٦م إثر حرب القرم، الذي اعترف فيه السلطان عبد المجيد بالمساواة بين الرعايا المسلمين وغير المسلمين. راجع نبذة تاريخية في التمهيد.

مآتة Scarecrows، فألقي اللوم عليهم، كسبب لهذه الأزمات، وانصبت عليهم بالتالي مشاعر عنصرية وكراهية وتعصب... وكذلك إشكاليات أخرى تتعلق بمسلمين أوربيين مواطنين، وآخرين مهاجرين، لهم حقوق الاعتراف بدينهم في مجتمعاتهم الأوروبية، وبقوانين للأحوال الشخصية لهم «من زواج وطلاق وإرث وعادات وتقاليد وطعام وملابس». إن تعاون بني البشرية لمواجهة كل هذه التحديات وغيرها قادر على حشد الطاقات، وإن الحوار بين المسيحيين والمسلمين، هو أحد السبل الراشدة للوصول إلى هذا التعاون)[١].

ونسجل في هذا المقام الحقائق التالية:

١ - إن حركة «التقريب بين الأديان» التي تتولاها جهات كنسية وشبه كنسية في الغرب لا علاقة لها - عملياً - بتحسين أوضاع المسلمين المهاجرين والمقيمين في تلك البلاد، وما ناله هؤلاء من حقوقٍ، هي أدنى مما يستحقون، كفلته لهم الأنظمة المدنية العلمانية، وليست المراجع الدينية. وهذا فرقٌ أصيل في مقام التنظير والمقارنة مع وضع أهل الذمة ومن شابههم في المجتمع الإسلامي.

٢ - أن الكنائس المحلية في أوروبا وأمريكا، التي أبدت تعاطفاً ظاهرياً مع المهاجرين في السبعينيات وأوائل الثمانينيات، كانت تتشبث بأدنى محالفة دينية لمواجهة تيار الإلحاد والحداثة الذي فضَّ الناس من حول الكنائس وزهدهم فيها، فاعتضدت بهذه المحاولات التقاربية لتعزيز مكانتها، وتثبيت الأرضية التي تميد بها من جهة، وإطفاء وهج الندية التي يحملها الإسلام إلى أراضٍ جديدة من جهة أخرى، وذلك بالالتحام معه ظاهرياً لصرف جمهور الكنيسة الناشز، عن الوافد الجديد. وانكبت تدرس هذه الظاهرة الإسلامية وآثارها على المجتمع

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات. (٥١ - ٥٢، ٥٤).

الأوروبي عبر مؤسساتٍ متخصصة ترصد حركة الإسلام، تبلورت في عام ١٩٨٦م بصورة: (لجنة الإسلام في أوروبا)[١] وغيرها.

٣ ـ أن وضع الأقليات الإسلامية المهاجرة للعمل في الغرب، أدنى بكثير من حال الطوائف النصرانية المقيمة بين ظهراني المسلمين في أوروبا، وتعاني كثيراً من صنوف التمييز العنصري والأذى والقسر المنظم للذوبان في المجتمعات الغربية، وعدم تمكينها من نيل حقوقها الاجتماعية والدينية، ويتضح الفرق الهائل بمقارنة ذلك بوضع الأقلية اليهودية التي لا تنسب من الناحية العددية إلى المسلمين، ومع ذلك فهي محل الرعاية والاعتبار في الأعياد الدينية والعادات وشؤون الطعام والخدمات. يقول السيد على الصوري: (إن معظم الأقليات الإسلامية في أوروبا تعيش في محنةٍ حقيقية. ومحنتهم أمرٌ قائم متحرك، يعيش في حياة الناس أو على الأقل في وجداناتهم وأحاسيسهم. ولا تقتصر المحنة على الاضطهاد فقط، بل قد تكون محنة إهمال أكثر منها محنة اضطهاد)[٢].

ومع ذلك فإن نبرة الإدلال والمنة تنبعث دون انقطاع من مختلف الدوائر الغربية السياسية والدينية، كما يتضح من الفقرة التالية.

٤ ـ أن الذي يحكم وضع الأقليات الإسلامية في الغرب ليس التقدم في التقارب الديني، فهذا يتم مجاناً دون مقابل، وإنما درجة المقايضة بتمكين الأقليات النصرانية في المجتمع الإسلامي، ومنحها الحريات الكاملة لممارسة النشاطات الدينية والتنصيرية، وإلجاء المسلمين إلى القبول بمبدأ الردة وتغيير الدين بمنتهى الحرية.

---

(١) راجع التعريف بهذه اللجنة، وأصل نشأتها في محاولات التقريب في أوروبا الغربية في الفصل الثاني من الباب الثاني (ص١١٧٧).

(٢) مقالة: (الإسلام في أوروبا.. الاحترام قبل الحوار) السيد علي الصوري. جريدة العالم الإسلامي. الاثنين ٧ ـ ١٣ رجب ١٤١٧هـ (٢).

ومن الشواهد الصارخة على ذلك:

١ ـ ندوة (تعايش الإسلام مع الفكر الغربي) التي نظمتها المجموعة البرلمانية لحزب الشعب الأوروبي «الديموقراطيين المسيحيين PPE» وهو ثاني تكوين برلماني ويضم ١٢١ عضواً في البرلمان ببروكسل في ديسمبر عام ١٩٩٢م.

(ومن أهم الموضوعات التي تم... طرحها في الندوة:

■ عدم توافق الإسلام مع الديموقراطية الغربية.

■ إعادة النظر في الحرية المعطاة للمسلمين في أوروبا.

■ الحذر مما يقوله بعض المسلمين دفاعاً عن الإسلام، مثل التبريرات المقدمة منهم والتي تقول بأنه يجب التفريق بين الدين الإسلامي، ومن يستغله لأسبابٍ دعائية، كذلك موضوع المتطرفين..

■ أن العالم المتحضر لا يسمح بالممارسات والتجاوزات التي ينتهجها العالم الإسلامي ضد الديانة المسيحية..

هذا وقد طالب المعلقون في الندوة أن تعامل الجالية الإسلامية في أوروبا بالمثل، حيث أكد غالبية المشاركين بأن الدول الأوربية التي تعتمد على الديموقراطية في تعاملها اليومي، وتقبل بمبدأ حرية الأديان، لا تستطيع السكوت على المعاملة القاسية التي يعامل بها المسيحيون في بلاد الإسلام)[(١)]. وقد استشهد نائب البرلمان بافلوس سارليس بخطابٍ ألقاه أسقف ديمترياس أمام القضاة والمحامين في اليونان، تضمن هجوماً على بلدين إسلاميين محافظين.

٢ ـ في مؤتمر: «عالم واحد للجميع. أسس التعددية الاجتماعية

---

(١) تقرير صادر عن سفارة دولة الكويت في بروكسل برقم (٣٠٤/ ٩٢) بتاريخ ١٣/ ١١/ ١٩٩٢م.

والسياسة والثقافية في نظر المسيحية والإسلام». المنعقد في فيينا في محرم عام ١٤١٨هـ، مايو عام ١٩٩٧م[1] قالت وزيرة خارجية السويد في حفل الافتتاح: (إننا حين نرحب بالمسلمين في أوروبا فإننا نريد أن نؤكد على الحاجة لحماية وحقوق الأقليات، مسيحيين أو سواهم، لتكون موضع احترامٍ في البلدان الإسلامية. نفس المبادىء التي تنطبق على الأقليات الإسلاميّة في أوروبا تكون للأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية).

فعبثاً يحاول دعاة التقريب تحقيق مكاسب للجاليات الإسلامية في الغرب عن طريق الحوار الديني، وبذل المزيد من المقاربة العقدية والعملية. إن الأقلية المسلمة في الغرب ورقة ضغط ومقايضة في سوق الفتنة عن بعض ما أنزل الله.

٣ ـ في المقابلة التي أجرتها مجلة المجلة مع صموئل هنتنغتون، جاء ما يلي:

■ (إذا تطورت المواجهة بين الإسلام والغرب، ماذا سيكون مصير المسلمين في الدول الغربية؟ في أمريكا وحدها حوالي خمسة ملايين مسلم؟

■ المسلمون في الدول الغربية أقلية، مثلما أن المسيحيين في الدول الإسلامية أقلية. وهذا الأمر الواقع يفرض اعتبارات وظروفاً خاصة.

■ إذا حصلت مواجهة بين الإسلام والغرب، هل سيقف المسلمون في الغرب إلى جانب هذا أم ذاك؟

■ كل شيءٍ يعتمد على نظرة مسلمي الغرب لأنفسهم، هل هم

---

(١) راجع التعريف بالمؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (النمسا) الباب الثاني.

من الغرب الذي يعيشون فيه؟ أم هم مع البلاد الإسلامية التي جاءوا منها؟

■ هل يمكنهم أن يكونوا مسلمين، وفي نفس الوقت جزءاً من الحضارة الغربية «المسيحية»؟ أليس الدين من أسس الحضارة؟

■ نعم، الدين مهم في التكوين الحضاري، ولكن الحضارة تؤثر على الممارسات الدينية أحياناً. انظر ماذا حصل للدين الكاثوليكي في أمريكا. الحضارة الأمريكية أساسها الدين البروتستانتي. لكن الكاثوليك الذين هاجروا إلى هنا تأقلموا، وتأمركوا، وأصبحوا مختلفين عن الكاثوليك في إيطاليا، مثلاً)[1].

إن هذه الإجابة الأخيرة مراوغة مكشوفة، فالكاثوليك والبروتستانت فرعان لدين واحد، بخلاف الإسلام مع النصرانية. وهنتنغتون يدرك جيداً أنه حين تصل الأمور إلى هذه المستويات فلن يكون حال مسلمي أوروبا بأفضل من حال الموريسيكيين في الأندلس أمام التعصب النصراني الأعمى.



(١) مجلة المجلة عدد ٨٩٧ في ١٣/٤/١٩٩٧م.

الفصل الثاني
المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب

تبين من كل ما سبق أن «دعوة التقريب بين الأديان» دعوة باطلة من أساسها، وأنها بدعةٌ محدثة في الدين، ليس عليها عمل المسلمين، ولا هي من سبيل المؤمنين، بل هي مضاهاة لليهود والنصارى والملحدين.

وليس من لازم هذا القول أن الإسلام يوصد أبوابه، ويرخي أستاره، ويقطع الجسور بينه وبين أمم الأرض، إما بدافع الاستعلاء أو بدافع الخوف من الاختراق الخارجي، كلا! بل الأمر على نقيض ذلك تماماً فإن إيمان المؤمن، بحد ذاته، وخيرية الأمة بمجموعها، لا يتمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة مختلف الأجناس والشعوب، لتحقيق هدفٍ نبيل، وغاية سامية، هي هداية الخلق ونفع البشرية. إن التقوقع والانكماش والانكفاء على الذات، صفات لا تتفق مع طبيعة النفس المؤمنة، ولا مع مشروع الأمة المسلمة ودورها في إصلاح البشرية. والنصوص الشرعية في بيان فضيلة الدعوة إلى الله، وهداية الخلق، كثيرة متوافرة تكشف عن روح الإيجابية والعطاء والمبادرة البناءة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال في شأن الأمة جميعاً: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

ثم امتدحها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (والمعنى أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس... فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم، والمدح لهم، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها ـ رأى من الناس سُرعة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها)[١]. فأنى لهذه الأمة التي شهد لها رب العالمين بالخيرية، وقام سوقها على دعوة الخلق إلى سبيل الرشاد، من الانغلاق والتقوقع والسلبية؟!

ولكن انفتاح هذه الأمة الراشدة على سائر الملل والنحل انفتاح مبصر، وليس تقحماً أعمى. انفتاح من يحمل المفتاح، ويرفع شعلة النور أمام الناس، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وليس انفتاح «التعرف على الآخر»، فقد استبان سبيل المجرمين، وليس انفتاح البحث المشترك عن الحقيقة، فالحقيقة محفوظة لم تغب: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [الأنعام: ٥٧]. ففيم الخبط في التيه، والضرب في العماء؟!

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩٣، ١٠٣).

إن للإسلام منهجه المستقل، وطريقه المتميز في تحديد مسار العلاقة بأهل الكتاب. وقد تحدد هذا المسار منذ بزوغ شمس الإسلام، بالوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبهدي رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وأجمعت عليه أمته قولاً وعملاً على مر القرون، ولم تفتقر يوماً من الأيام إلى عقد (مجمع مسكوني) لأئمة العلم والدين، لوضع صيغة جديدة، ومنظومة محدَّثة، لإعادة رسم العلاقة مع أهل الكتاب وغيرهم. وذلك المنهج هو الدعوة الصريحة المباشرة إلى دين الإسلام، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أما «التقريب بين الأديان» فليس من منهج الإسلام في شيء، مهما زوّقه أهله، وستروا سوأته بأنواع الألقاب، ومن أشهرها في العقود الأخيرة لقب «الحوار»[١]، الذي هو في الأعم الأغلب «حوار التقارب»، وليس «حوار الدعوة»، ولا «حوار المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن»، كما يشهد الواقع العملي. وبالتالي فهو حوار مرفوض، أشبه بالخوض في آيات الله منه ببيان آيات الله، وبطمس الحجة منه بإقامة الحجة. يقول الدكتور ظفر الإسلام خان: (من نتائج الحوار إسباغ القبول على دينٍ قد عفى عليه الزمن... ويمكن الإسلام ـ كما رأينا علماءنا عبر القرون ـ أن يناظر ويناقش المسيحية واليهودية، ولكن لا سبيل إلى الحوار معهما، فالمناظرة والنقاش يهدفان إلى كشف عيوب الآخر وإبرازها، بينما الحوار يهدف إلى التكيف والتوفيق والاعتراف بالطرف الآخر كند... ومُثُل الحوار من أفضل السبل للقضاء على ديناميكية الإسلام، ونهضته الحاضرة. إننا لا نحتاج إلى تفاهم أو تسوية مع الكنيسة، بل إلى الإجهار بحقنا الأبدي، والإصرار

---

(١) راجع فصل حقيقة التقريب في الباب الأول.

على ذلك. ولنا هداية واضحة في القرآن ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهكذا فإن الحوار الديني الوحيد الذي يمكن مع الآخرين، بما فيهم المسيحيون، هو لأجل الدعوة، وليس للاسترضاء، والاعتراف المزيف)[١].

لقد واجه رسول الله ﷺ أهل الكتاب؛ يهوداً ونصارى، في العهد المكي وفي العهد المدني، في حال الضعف وفي حال القوة، في حال السلم وفي حال الحرب، في داخل الجزيرة العربية وفي خارجها، والقرآن يتنزل، ولم يتغير مضمون الخطاب العقدي أبداً، بل بقي ثابتاً مطرداً واضحاً، إنه خطاب الدعوة وحسب. ولم يكن يوماً ما حوار التقارب بشقيه العقدي والعملي.

ونهدف في هذا الفصل الأخير إلى استجلاء المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب بوصفه المنهج الأصيل، ولا نقول البديل عن دعوة التقريب بين الأديان، فقد كان ولا يزال وسيبقى إن شاء الله، شعار هذه الأمة وفرعها الشامخ الذي تتوارى إلى جواره كل نابتة قميئة تخرج من شق من شقوق الأرض. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم].

وقد سبق في التمهيد بيان حكم الإسلام في أهل الكتاب من الناحية العقدية، والعملية، ونعرض ها هنا للناحية الدعوية من خلال:

المبحث الأول: مضمون الخطاب الدعوي لأهل الكتاب.

المبحث الثاني: أسلوب دعوة أهل الكتاب.

---

(١) مجلة البعث الإسلامي الهندية. عدد (٩) المجلد (٣٤) جمادى الثانية (١٤١٠هـ) (٧٠).

المبحث الأول

مضمون الخطاب الدعوي لأهل الكتاب

الأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، فلا بد أن يكون مضمون دعوة أهل الكتاب وغيرهم، (سبيل الله) لا سبيل غيره. وعبارات المفسرين في معنى هذا السبيل متطابقة:

- قال ابن جرير رحمه الله:

(إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام)[١].

- وقال القرطبي[٢] رحمه الله:

(إلى دين الله وشرعه)[٣].

- وقال الشوكاني[٤] رحمه الله:

(سبيل الله هو الإسلام)[٥].

---

(١) جامع البيان (١٤/ ١٩٤).

(٢) سبق ترجمته (ص٧١٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري. تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني. دار إحياء التراث العربي - بيروت. طبعة (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م). (١٠/ ٢٠٠).

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه محدث مجتهد، ومحدث حافظ، من كبار علماء اليمن، ولد سنة ١١٧٣هـ، ولي القضاء بصنعاء، وله ما يقرب من ١١٤ مؤلفاً منها: «نيل الأوطار»، و«البدر الطالع»، و«إرشاد الفحول»، و«فتح القدير»، و«السيل الجرار»، وغيرها. توفي سنة ١٢٥٠.
الأعلام (٦/ ٢٩٨)، البدر الطالع (٢/ ٢١٤)، نيل الوطر (١/ ٣).

(٥) فتح القدير (٣/ ٢٠٣).

• وقال السعدي رحمه الله: (ليكن دعاؤك للخلق، مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع، والعمل الصالح)[١].

فكل آي الكتاب، وكل هدي محمدٍ ﷺ تفصيلٌ لهذا الإجمال. وقد اختصت كل طائفة من طوائف الكفر بجملةٍ من الآيات، تكشف شبهاتهم الخاصة، كالمشركين في الربوبية، والمشركين في الألوهية، ومنكري البعث والمعاد، وغيرهم من مشركي العرب، وكفرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب خطاباً صريحاً مباشراً، بصيغة النداء ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٢] ست مرات، ومسبوقة بفعل الأمر لنبيه ﴿قُلۡ﴾[٣] مثلهن، ومرةً بصيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[٤]، ومثلها مسبوقة بـ ﴿قُل﴾[٥]، وثلاث مرات بصيغة ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[٦] المعاصرين لظهور الإسلام، فصار مجموع هذه النداءات: سبعة عشر خطاباً في كتاب الله، مع ما عطف عليه من آياتٍ أخر، أو جاء على غير صيغة النداء. وذلك يدل على مزيد العناية بأهل الكتاب لأنهم أقرب نسباً وسبباً بالمؤمنين. فحري بأهل الإسلام في كل زمانٍ ومكان أن يترسموا هدي القرآن، ويدعوا إلى ما دعا إليه القرآن، ويعظموا ما عظمه، ويقدّموا ما قدمه، وألاّ يلتفوا إلى مسالك أخرى ليست من هديه ودله.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٢٥٤).
(٢) سورة آل عمران: الآيات ٦٥، ٧٠، ٧١ ـ النساء: ١٧١ ـ المائدة: ١٥، ١٩.
(٣) سورة آل عمران: الآيات ٦٤، ٩٨، ٩٩ ـ المائدة: ٥٩، ٦٨، ٧٧.
(٤) سورة النساء: الآية ٤٧.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٢٠.
(٦) سورة البقرة: الآيات ٤٠، ٤٧، ١٢٢.

ونستخلص من تلك الآيات المحكمات الدعوة إلى:

أولاً: التوحيد الخالص ونبذ الشرك:

• قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

فهذه الآية العظيمة هي ميثاق الوفاق الوحيد بين المسلمين وأهل الكتاب، فإما أن يدخلوا في عقدها فيكونون والمسلمين سواء، أمةً واحدة، وإما الافتراق الذي لا تلاقي معه ولا اقتراب، ولا سبيل ثالث. وهذا الخطاب القرآني من الوضوح والبيان بحيث لا يشتبه إلا على من في قلبه زيغ. ومن صور هذا الزيغ:

١ ـ **تحريف معنى** ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ عن المعنى الذي فُسِّرت به في الآية ذاتها، إلى معانٍ أخرى، بحسبان هذه «الكلمة السواء» هي القدر المشترك المتفق عليه سلفاً، وليس أمراً يُدعى إليه أهل الكتاب، وهو التوحيد، الخالص من شوائب الشرك، الذي تلبسوا به ووقعوا فيه فعلاً.

■ يقول محمد حسين فضل الله: (إن هناك أكثر من قضية مشتركة يلتقي فيها المسلمون والمسيحيون في كل الساحات، وهي الكلمة السواء في التوحيد، ورفض الشرك، ووحدة الإنسانية، ورفض الاستكبار والاستعباد الإنساني)[(١)]. فمتى حصل هذا الالتقاء يا ترى بين المسلمين والنصارى في التوحيد ورفض الشرك؟ وهل كان خطاب القرآن تحصيل حاصل؟ وهل جرى هذا الاتفاق، على مفهوم أهل السنة والجماعة للتوحيد، أم على قانون أهل البدع الشركية؟

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة.

■ يقول محمد الحسن: (هدف الحوار مع المسيحية هو الوصول إلى «كلمة سواء» لعمل الصالحات والنافعات للبشرية، ولمواجهة الطغيان، وتحقيق معرفة كل طرفٍ بالآخر، وإزالة سوء الفهم، والتعاون على البر والتقوى... على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرف لعقيدة الآخر)(١). إنه لا يكتفي بتحريف الآية عن مضمونها العقدي الصريح، حتى يشترط أن لا تفسر به أيضاً، ليسلم له حواره من مسائل الاعتقاد الذي يخدش عقائد المشركين من أهل التثليث.

■ يقول حسن الترابي: (هذه هي دعوتنا اليوم: أن نقيم جبهة «أهل الكتاب». والكتاب عندما يطلق في القرآن يقصد به كل كتابٍ جاء من عند الله. وميثاق هذه الجبهة: ألا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. ونفهم من ذلك: ألا نقبل أي فكر ينقض الهدى الإلهي، وألا نقبل الدعوات اللادينية التي ترمي إلى هدم المثل والأخلاق الدينية)(٢). فيا لها من جبهة جديدة، ويا لها من كلمة سواء، كلاهما نقيض مراد الله.

■ وأقبح من ذلك تحريف محمد عمارة حيث يقول: (هل يستطيع جميع الفرقاء أن يتفقوا على كلمة سواء: أن يتخذ أبناء كل شريعة، شريعتهم طريقاً ونهجاً خاصاً لتدينهم بالعقائد الأصلية للدين الإلهي الواحد.. فليحتفظ كل بشريعته... وليعترف الجميع بكل الشرائع)(٣).

٢ ـ التهوين من شأن ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾:

■ يقول الأستاذ كامل الشريف: (إن الحوار يقنع باللقاء على

---

(١) الحوار الإسلامي. الفرص والتحديات (٤٣).

(٢) الحوار بين الأديان: التحديات والآفاق (٥).

(٣) الإسلام والوحدة القومية (٢١٧، ٢١٨).

الحد الأدنى بافتراض أن الاتفاق مهما كان صغيراً في البداية، إلا أنه يخلق ديناميكية خاصة ترتاد به آفاقاً جديدة في طريق الوفاق ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤][1] فهل هذا اتفاق صغير يتعزى المتحاورون بقبوله مبدئياً طمعاً بما هو أكبر؟

ولما كان شأن هذه الآية عظيماً، وكانت فرقان ما بين المسلمين وأهل الكتاب ـ والنصارى خاصة ـ كان النبي ﷺ يكتب بها إلى ملوكهم، مقرونة بالدعوة إلى الإسلام، لأن مضمونها الإسلام بعينه، كما في كتابه ﷺ إلى هرقل، عظيم الروم: (أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم اليرسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران])[2].

ثانياً: النهي عن الغلو في الدين، والقول على الله بغير الحق:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

والغلو: مجاوزة الحد. ومن صور غلو أهل الكتاب، وقولهم على الله غير الحق:

---

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي على ضوء التجارب السابقة. مجلة الإسراء عدد (١١٥) رجب ١٤٠٨ (٣٣).

(٢) صحيح البخاري (٦/١) من حديث أبي سفيان الطويل. وسيأتي الكلام على فقهه في المبحث الثاني.

- دعوى ألوهية المسيح عليه السلام وربوبيته.
- دعوى أن الله سبحانه ثالث ثلاثة.
- دعوى بنوة المسيح والعزير لله سبحانه وتعالى.
- اتخاذ التصاوير والتماثيل لـ «قديسيهم»، وخاصة النصارى.
- التشدد في أحكام الطهارات والعبادات والمطعومات، من قبل اليهود... الخ[١].

فهذا الغلو في الدين هو الذي أوقعهم في الشرك والقول على الله بغير علم. فلا بد من مبادأتهم بالدعوة إلى ترك الغلو والشرك، وإخلاص العبادة، لله والقصد في جميع الأمور. وإن من أعظم ما يرتكبه دعاة التقريب، ويحادون به الله ورسوله، ويكذبون خبره، تسويغ شرك أهل الكتاب؛ من الغلو والشرك بالتثليث، وتأليه المسيح، ودعوى البنوة لله، وصرف ذلك كله إلى طوائف قد انقرضت بزعمهم، وبالتالي يسبغون عليهم اسم الإيمان، ويرفعون عنهم وصمة الكفر، وأنهم ليسوا من أصحاب النار[٢].

فالواجب على المسلمين الصدع بما أمروا به، ومصارحة اليهود والنصارى بأن ما هم عليه إما باطل، أو حق منسوخ، وعدم مداهنتهم في دين الله، كل ذلك مع الحكمة والموعظة الحسنة، على نحو ما سنبين في المبحث الثاني.

ثالثاً: الإيمان برسالة محمد ﷺ واتباعه:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.

(٢) تقدم ذكر هذه الشبهات في مواضع عديدة. انظر مثلاً: مبحث (الإسلاميون العصرانيون) من الباب الأول.

رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد]. قال ابن جرير ﷺ: (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين: التوراة والإنجيل خافوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ... يعطكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى عليه السلام والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم بإيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبياً)(١).

فلا يجوز لأهل الإسلام بأي مسوغ تجاوز هذه الدعوة الأصلية، وإهمالها وإرجائها، أو مواضعة أهل الكتاب على اعترافٍ عام بنبوته ﷺ دون تصديقه واتباعه، واعتقاد أن شريعته ناسخة لشرائعهم، وأن رسالته

---

(١) جامع البيان (٢٧/ ٢٤١).

للناس كافة، عربهم وعجمهم، بل للإنس والجن جميعاً، وأنه لا يسع أحداً من الخلق التعبد لله بعد بعثة رسوله ﷺ إلا بما شرع عن طريقه.

رابعاً: الإيمان بالقرآن:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة].

• ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران].

فلا بد من دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالقرآن العظيم بوصفه كلام الله حقيقة، نزل به جبريل على قلب محمد ﷺ، وأنه مصدق للتوراة والإنجيل مهيمن عليهما، ناسخٌ لشرائعهما، يقص عليهم أكثر الذي هم فيه يختلفون. ولا يحل بحالٍ من الأحوال مساواة الكتب التي بأيديهم به، وحسبانها جميعاً على حدٍ سواء.

هذه أصول الإيمان التي يجب البداءة بها في مخاطبة أهل الكتاب، تأسياً بالكتاب العزيز، وتقديماً لما قدمه الله، وتعظيماً لما عظَّمه، وبه يتبين إفلاس دعاة التقريب بين الأديان، حين يشيحون بوجوههم عن هذه الأصول، ويشتغلون بالترهات، أو الفروع بعد أن يخلعوا عليها ألقاب الجلال، ويضفوا عليها صفات الجمال، ويعدوا الحديث عنها من الجهر بالحق الذي يتطلب الشجاعة الأدبية، في حين يتواصون بتحاشي الحوار في أصول الإيمان ومسائل الاعتقاد. كما يتضح من المثال التالي:

■ يقول أحمد صدقي الدجاني: (يجب أن ينأى هذا الحوار، والحوار بين الأديان بعامة، عن استهداف التوحيد بين دينين أو أكثر. وهذا يعني ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر، والتسليم بمبدأ الاختلاف، ومبدأ حرية الاختيار... هدفٌ رئيس لهذا الحوار أن يجهر بالحق في المسائل والأمور التي تهم الناس، وأن يذكر بالمبادىء والقيم العليا التي يجب الالتزام بها، منهم، ومن السلطان، ومن بيدهم مقاليد الأمور... فمنها ما يتعلق بالموقف العقيدي المبدئي من قضايا بعينها، في مقدمتها قضية مقاومة العنصرية والتمييز العنصري، وقضية العدل الاجتماعي، وقضية الحرية والمسؤولية وقضية السلام القائم على العدل)[١].

هذه وللأسف أمهات القضايا العقدية التي ينبري دعاة التقريب للذود عن حياضها، ويتواصون بالجهر بها، والصبر على ما يصيبهم من أذى في سبيلها، ويهجرون الدعوة إلى أركان الإسلام، ومعاقد الإيمان، متوهمين أو مُوهمين أن البحث فيها يفضي إلى توحيد دينين أو أكثر حيناً، أو يقطع حبل الاتصال والحوار أحياناً.

ولعمر الله، إن كان البحث في مسائل الاعتقاد يفضي إلى رجوع أهل الكتاب إلى الحق فيتحدون بأهل الإسلام فهذا غاية المطلوب، ومنتهى الآمال. وإن كان الحوار في مسائل الاعتقاد يستهدف إيجاد عقيدة ملفقة من دينين، فذلك عين الكفر والإلحاد، فكيف يظن أنه من لازم الدعوة إلى أصول الإيمان؟! ومن ظن ذلك فقد أغرب وأبعد النجعة. ومن تخوف أن ينقطع حبل الاتصال من جراء البحث في مسائل الاعتقاد، فإنا نقول: وهل كان موصولاً حتى ينقطع؟ وهل الحوار إلا وسيلة لغاية هي تصحيح العقيدة؟ فإذا انتفت الغاية ففيم التوسل إذاً؟!

---

(١) آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخرى، واستشرافها بالحوار. مجلة الإسلام اليوم عدد ١٢ (٤٠).

المبحث الثاني

أسلوب دعوة أهل الكتاب

كما بين الله سبحانه وتعالى مضمون دعوة أهل الكتاب، بيَّن أيضاً أسلوب دعوتهم ودعوة وغيرهم من أصناف الناس بوجهٍ عام، فقال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل]. وأرشد عباده المؤمنين إلى أسلوب مجادلة أهل الكتاب، بوجه خاص، فقال: ﴿۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت]. فهاتان الآيتان عمدة هذا الباب، والمرجع في كل ما يأتي الداعي ويذر، في دعوة أهل الكتاب.

وقد فصل هذا الإجمال المذكور في الآيتين، النسق القرآني في مخاطبتهم، والتطبيق العملي من لدن رسول الله ﷺ، في دعوتهم بالأساليب المتنوعة، وما سارت عليه الأمة الإسلامية المهدية عبر القرون. وسنتناول في الصفحات التالية:

١ ـ بيان معنى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٢ ـ الأساليب القرآنية في دعوة أهل الكتاب.

٣ ـ الوسائل النبوية في دعوة أهل الكتاب.

٤ ـ عمل الأمة الإسلامية، وسبيل المؤمنين.

أولاً: بيان معاني: (الحكمة) و(الموعظة الحسنة) و(المجادلة بالتي هي أحسن):

أ ـ الحكمة:

• قال ابن منظور: (الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم)[١].

• وقال الراغب[٢]: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل)[٣].

• قال ابن جرير: («الحكمة» يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك، وكتابه الذي ينزل عليك)[٤].

• وقال ابن الجوزي: (وفي المراد بالحكمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن... والثاني: الفقه.. والثالث: النبوة)[٥].

• وقال الشوكاني: (أي بالمقالة المحكمة الصحيحة. قيل: وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين)[٦].

فمجموع هذه العبارات يدل على صفة تجمع الحجة البالغة،

---

(١) لسان العرب (٣/ ٢٧٠).

(٢) الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصبهاني (أو الأصفهاني) المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان. سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي، من كتبه: «محاضرات الأدباء»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«الأخلاق» و«المفردات في غريب القرآن»، و«حل متشابهات القرآن» توفي سنة ٥٠٢هـ.
انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٥)، الذريعة (٥/ ٤٥)، كشف الظنون (١/ ٣٦)، سفينة البحار (١/ ٥٢٨)، آداب اللغة (٣/ ٤٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن (١٢٧).

(٤) جامع البيان (١٤/ ١٩٤).

(٥) زاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٦) فتح القدير (٣/ ٢٠٣).

والقول الفصل، والفعل الرشيد، مستمدة من الشرع الصحيح والعقل الصريح، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ب ـ الموعظة الحسنة:

• قال ابن منظور: (الوَعظ، والعِظة، والعَظة والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب؛ قال ابن سيده[١]: هو تذكيرك للإنسان بما يليِّن قلبه من ثوابٍ وعقاب)[٢].

• وقال الراغب: (الوعظ: زجرٌ مقترنٌ بتخويف. قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب)[٣].

• قال ابن جرير: (بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكَّرهم بها في تنزيله، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه)[٤].

• وقال البغوي[٥]: (يعني مواعظ القرآن، وقيل: الموعظة الحسنة

---

(١) ابن سيده (٣٩٨ ـ ٤٥٨هـ) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن، إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية، وانتقل إلىٰ دانية فتوفي بها، كان ضريراً. صنف: «المخصص»، و«المحكم والمحيط الأعظم»، و«شرح ما أشكل من شعر المتنبي»، و«الأنيق» في شرح حماسة أبي تمام. انظر: الأعلام (٤/ ٢٦٣).

(٢) لسان العرب (١٥/ ٣٤٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن (٥٢٧).

(٤) جامع البيان (١٤/ ١٩٤). سورة النحل.

(٥) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي، فقيه محدث مفسر، ولد سنة ٤٣٦هـ، في «بغا» من قرى خراسان، له: «شرح السنة»، و«التهذيب»، و«مصابيح السنة»، و«الجمع بين الصحيحين»، و«لباب التأويل في معالم التنزيل». توفي سنة ٥١٠هـ. الأعلام (٢/ ٢٥٩)، وفيات الأعيان (١/ ١٤٥)، تهذيب ابن عساكر (٤/ ٣٤٥)، دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٢٧).

هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل: هو القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف)(١).

• وقال ابن الجوزي: (في «الموعظة الحسنة» قولان: أحدهما: مواعظ القرآن... والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه)(٢).

• وقال ابن كثير: (أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى)(٣).

• وقال الشوكاني: («الموعظة الحسنة»: وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة، باعتبار انتفاع السامع بها قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية، الموجبة للتصديق بمقدماتٍ مقبولة)(٤).

ومجموع هذه العبارات يدل على صفة تستخدم المؤثرات العاطفية الوجدانية، المستمدة من آيات الله في النفس والآفاق، وسنن الله الكونية، بما يثير في النفس الرغبة والرهبة، والاستجابة لدعاء الحكمة. إذ أن بعض الناس يقتنع بالدعوة المحكمة، لكن لا يقع منه الإيمان والقبول التام، كما حكى الله عن آل فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. وعن فرعون نفسه أن موسى عليه السلام جبهه بالقول: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. كما أن من الناس من يتأثر تأثراً عاطفياً سطحياً لا يبلغ اليقين والاعتقاد الجازم، فربما انقاد لظاهر الأمر برهة من الزمن ثم

---

(١) معالم التنزيل، البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود. تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. دار طيبة - الرياض. الطبعة الثانية (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م). (٥/ ٥٢).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦١٣).

(٤) فتح القدير (٣/ ٢٠٣).

انتكس. فكان لا بد للدعوة التامة من مخاطبة العقل بالحكمة، والقلب بالموعظة الحسنة.

ج ـ المجادلة بالتي هي أحسن:

• قال ابن منظور: (الجدل: وهو شدة الخصومة... الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة. المناظرة والمخاصمة)[١].

• وقال الراغب: (الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)[٢].

• قال ابن جرير: (وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها. أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك.

• ثم روى بسنده عن مجاهد: (أعرض عن أذاهم إياك)[٣]. وقال في آية العنكبوت: (﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: (يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه)[٤].

• وقال البغوي: (وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن، أي: أعرض عن أذاهم، ولا تقصر في تبليغ الرسالة، والدعاء إلى الحق)[٥].

• وقال القرطبي: (على معنى الدعاء لهم إلى الله ﷻ، والتنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة)[٦].

---

(١) لسان العرب (٢/ ٢١٢).
(٢) المفردات في غريب القرآن (٨٩).
(٣) جامع البيان (١٤/ ١٩٤).
(٤) جامع البيان (٢١/ ١).
(٥) معالم التنزيل (٥/ ٢٥).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٥٠).

● وقال ابن الجوزي: (في قوله ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: جادلهم بالقرآن. والثاني: بـ «لا إله إلا الله»... والثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألِن لهم جانبك)[١].

● وقال السعدي: (ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت عن غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدةٍ مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلقٍ ولطفٍ ولين كلام، ودعوةٍ إلى الحق وتحسينه، ورد الباطل وتهجينه، بأقرب طريقٍ موصلٍ لذلك. وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة، وحب العلو، بل يكون القصد، بيان الحق، وهداية الخلق)[٢].

● وقال الشنقيطي[٣]: (أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة ـ أن يجادل خصومه بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من إيضاح الحق بالرفق واللين. ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أحسن: قوله لموسى وهارون في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه] ومن ذلك القول اللين: قول موسى له: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ [النازعات].

ومجموع هذه العبارات من أهل اللغة والتفسير يدل على أن «المجادلة بالتي هي أحسن» وصف يتضمن ثلاثة أمور:

---

(١) زاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٩٢).

(٣) الشنقيطي (١٣٢٥ ـ ١٣٩٣هـ) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر، مدرس، من علماء شنقيط. ولد وتعلم بها. وحج سنة ١٣٦٧هـ، واستقر مدرساً في المدينة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة ١٣٨١هـ. وتوفي بمكة. من مصنفاته: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، و«منع جواز المجاز»، و«منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» انظر الأعلام: ٦/ ٤٥.

١ ـ المخاصمة والمناظرة لكشف الشبهات بالحجج والبينات، وأنواع الاستدلالات لمغالبة الخصم، بغية هدايته، وحصول البلاغ التام رجاء إيمانه.

٢ ـ أن تكون تلك المجادلة بالقرآن والتوحيد والطرق الشرعية في الاستدلال.

٣ ـ أن تنضبط بالآداب الشرعية من اللطف وحسن الخلق والرفق واللين والصبر على الأذى، والبعد عن الغلظة والمخاشنة والفظاظة في القول والفعل.

وهذا سر تقييد «المجادلة» بـ «التي هي أحسن»، لأن الجدل في حد ذاته أقرب إلى الذم منه إلى المدح، ولهذا جاء استعماله في القرآن العظيم في سياق الذم غالباً، ووردت النصوص النبوية الكثيرة في ذم «الجدل» و«المجادلين»[(١)]. فلما كانت دلالته تنقسم إلى: محمود، ومذموم، بل كان المذموم منه أكثر، احتيج لتقييد المأمور به «بالتي هي أحسن»، واستثناء المنهي عنه بما كان «بالتي هي أحسن».

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن استعمال إحدى هذه الطرق الثلاث يتنوع بتنوع المدعوين. فلكل طائفة من الخلق مرتبة تليق بها، وتدعى بها. قال الفخر الرازي: (اعلم إنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة، وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن.. ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعضٍ، وجب أن تكون طرقاً متغايرة متباينة...

---

(١) من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وقوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)، وقوله: (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)، رواه البخاري (١٥٩/٥)، رواه مسلم (٢٠٥٤/٤).

واعلم أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينة. والمقصود من ذكر الحجة، إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين، وإما أن يكون المقصود إلزام الخصم وإفحامه.

أما القسم الأول: فينقسم أيضاً إلى قسمين، لأن الحجة إما أن تكون حجة حقيقية يقينية قطعية مبرأة عن احتمال النقيض، وإما أن لا تكون كذلك، بل تكون حجة تفيد الظن الظاهر والإقناع الكامل[(١)]، فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج في هذه الأقسام الثلاثة: أولها: الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وذلك هو المسمى بالحكمة. وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات، وهي التي قال الله في صفتها: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وثانيها: الأمارات الظنية: والدلائل الإقناعية، وهي الموعظة الحسنة. وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل. ثم هذا الجدل على قسمين:

■ القسم الأول: أن يكون دليلاً مركباً من مقدماتٍ مسلمة في المشهور عند الجمهور، أو من مقدمات مسلمة عند ذلك القائل، وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن.

■ والقسم الثاني: أن يكون الدليل مركباً من مقدماتٍ باطلةٍ فاسدة، إلا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب، والحيل الباطلة، والطرق الفاسدة، وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل، إنما اللائق بهم هو القسم الأول، وذلك هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل والحجج في هذه الأقسام الثلاثة المذكورة في هذه الآية.

---

(١) هكذا في الأصل. وربما كان صوابها: (لا الإقناع الكامل).

إذا عرفت هذا فنقول: أهل العلم ثلاث طوائف: الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية، والعلوم اليقينية، والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالدلائل القطعية اليقينية، وهي الحكمة، والقسم الثاني: الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة، لا طلب المعرفة الحقيقية، والعلوم اليقينية، والمكالمة اللائقة بهؤلاء المجادلة التي تفيد الإفحام والإلزام. وهذان القسمان هما الطرفان. فالأول: هو طرف الكمال. والثاني: طرف النقصان.

وأما القسم الثالث فهو الواسطة، وهم الذين ما بلغوا في الكمال إلى حد الحكماء المحققين، وفي النقصان والرذالة إلى حد المشاغبين المخاصمين. بل هم أقوامٌ بقوا على الفطرة الأصلية، والسلامة الخلقية، وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية، والمعارف الحكمية، والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالموعظة الحسنة. وأدناها المجادلة، وأعلى مراتب الخلائق الحكماء المحققون، وأوسطهم عامة الخلق، وهم أرباب السلامة، وفيهم الكثرة والغلبة)[1].

فهذا ترتيب للطرق الثلاث من الأعلى إلى الأدنى بحسب حال المدعوين، فتخاطب كل طبقةٍ بما يناسبها من إحدى هذه الطرق. وعكس الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، فجعل هذه المراتب تدرج من الأدنى إلى الأعلى بالنظر إلى الشخص الواحد، من جهة الداعي فقال: («الحكمة» أي كل أحدٍ على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده. ومن الحكمة، الدعوة بالعلم، لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم. وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الرازي. فخر الدين، محمد بن عمر. دار الفكر - بيروت. الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) (١٠/ ١٤٠ - ١٤١).

الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها. وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد الله للعاصين من العقاب العاجل والآجل.

فإن كان المدعو، يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيةً إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً. ومن ذلك، الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألا تؤدي المجادلة إلى خصامٍ أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصدُ منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها)[(١)].

فالفخر الرازي جعل هذه الأوصاف الثلاثة مراتب متغايرة متباينة بحسب حال المدعوين؛ أعلاها الحكمة، وأوسطها الموعظة، وأدناها المجادلة، يقابل كل مرتبة طائفة من الناس. والسعدي جعلها أحوالاً للداعي يترقى بها مع المدعو من الأسهل إلى الأصعب لتبليغ الدعوة، دون أن يتعلق ذلك بحال المدعوين من الكمال أو النقصان.

والأقرب للسياق القرآني أن تجتمع الدعوة بالحكمة، والدعوة بالموعظة الحسنة في حق المدعو الواحد، لأن الله جمع بينهما، وعلقهما معاً بالفعل «ادع»، لتنوع تأثيرهما في الإقناع، فيعضد أحدهما الآخر. أما الجدل فيحتاج إليه أحياناً إذا وجدت دواعيه من شُبهٍ عالقة، أو تشبيه وتلبيس للصد عن سبيل الله. فلهذا قطع تعلق المجادلة بباب الدعوة المباشرة، فلم يقل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بل جعلها من بابٍ آخر، وإن كان يحصل بها ضمناً دعوة وبيان، ودفع عدوان.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

ولما كان أهل الكتاب أحرى أن يقع منهم الجدال، لما يرون عليه أنفسهم من ميراث الكتاب، وآثار النبوة السابقة، ولما ورثوه أيضاً من ركام الجدل الذي ضلوا به عبر القرون، خصهم الله بالذكر، ونبه عباده المؤمنين على الالتزام بمنهج الأدب الشرعي في مجادلتهم فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقد اختلف المفسرون في هذه الآية من جهتين: إحداهما: في المراد بالذين ظلموا، والذين لم يظلموا من أهل الكتاب، والثاني: في كونها منسوخة أو محكمة. والحق في المسألتين ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله حيث قال: (وأولى الأقوال بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾: إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب. فإن قال قائل: أوَ غير ظالم من أهل الكتاب، إلا من لم يؤد الجزية؟ قيل: إن جميعهم، وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله محمداً ﷺ ظلمة، فإنه لم يعن بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ ظلم أنفسهم. وإنما عنى به: إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب بغير الذي هو أحسن، بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ فمعلوم إذا كان قد أذن لهم في جدالهم، أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم، وأنهم غير المؤمن، لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحق، لأنه إذا جاء بغير الحق، فقد صار في معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحق[1]، فإذا كان ذلك كذلك، تبين أن لا معنى

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن كان قصده العناد، يعلم أنه على باطل، =

لقول من قال: عنى بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أهل الإيمان منهم[١]، وكذلك لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال وزعم أنها منسوخة[٢]، لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل)[٣].

وقد ادُّعي النسخ أيضاً في آية النحل[٤] التي لا تختص بأحدٍ دون أحد، قال القرطبي: (هي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار، ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة)[٥]. وهذا الأخير هو الحق، لأن الغاية من بعثة الرسل هداية الخلق، لا وضع السيف على رقابهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (وإذا كان النبي ﷺ يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه، والمراد بذلك تبليغه رسالات الله وإقامة الحجة عليه، وذلك قد لا يتم إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة، ويجاب به عن المعارضة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، علم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقاً)[٦].

= ويجادل عليه، فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن، لكن قد نجادله بطرقٍ أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاءً له بموجب عمله). الجواب الصحيح (١/ ٢١٩).

(١) انظر: جامع البيان (٢١/ ٢)، وتوجيه هذا القول في الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٥٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٢١/ ٢)، معالم التنزيل للبغوي (٦/ ٢٤٨)، وزاد المسير (٦/ ٢٧٧).

(٣) جامع البيان (٢١/ ٢، ٣).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٥/ ٥٢)، وزاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٠٠).

(٦) الجواب الصحيح (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).

وقال: (ما ذكره الله تعالى من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا، محكم لم ينسخه، وكذلك ما ذكره تعالى من مجادلة الخلق مطلقاً بقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] فإن من الناس من يقول: آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف، لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط، فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ... فهذا لا يناقضه الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة.

فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به، والقتال المأمور به، فلا منافاة بينهما، وإذا لم يتنافيا بل أمكن الجمع، لم يجز الحكم بالنسخ. ومعلوم أن كلاً منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر، وأن استعمالهما جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق)[1]. ثم شرع رحمه الله في بيان ذلك من تسعة أوجه.

فإذا كان الأمر بالمجادلة بالتي هي أحسن محكم لم ينسخ، حتى والغلبة والظهور للمسلمين على أهل الكتاب في القرون الخوالي، فلا ريب أنه يتأكد الأخذ به في هذا الزمان الذي انعكس فيه الحال.

ثانياً: الأساليب القرآنية في دعوة أهل الكتاب:

خير ما فسر به القرآن هو القرآن. فإن ما أجمل في موضع منه، قد فسر في موضع آخر. فهذه الجمل الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، قد فصلت بأساليب شتى في مثاني القرآن العظيم، وتنوعت هذه الأساليب تنوعاً كثيراً لعلهم يتقون

---

(١) الجواب الصحيح (١/٢١٧ ـ ٢١٩).

أو يحدث لهم ذكراً، ولتكون منهجاً للدعاة إلى الله في كل زمانٍ ومكان في مخاطبة أهل الكتاب، تغنيهم عن الأساليب المستحدثة، والطرق المبتدعة، التي تطيل الطريق، وتبلبل السالك، وتطمس نصاعة المنهج ووضوح الخطاب، وتضيع الجهود، وتهدر الأوقات في غير ما طائل، كما يحصل للمشتغلين بالحوار مع أهل الكتاب، على غير سنة واتباع، ودون ترسم لهدي الكتاب المبين.

وفيما يلي ثمانية أساليب مستنبطة من الخطاب القرآني لأهل الكتاب، مبنية على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، إلا لمن ظلم، فيتعين على من تصدى لدعوة أهل الكتاب ومحاورتهم الأخذ بها، والنسج على منوالها، وألا يعدل بها شيئاً من أساليب أهل الأهواء والبدع.

١ ـ أسلوب المبادأة الواضحة:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

إن أخذ زمام المبادرة في مخاطبة أهل الكتاب ينبغي أن ينشأ من الجانب المسلم، فينادي غيره، ويجمعهم ليلقي عليهم دعوته الواضحة الصادقة، كما يدل النداء في هذه الآية. ولطالما شكا المشتغلون بالحوار الإسلامي ـ النصراني ـ بصيغته المعاصرة من كون المبادرة تأتي غالباً من الجانب النصراني، وأن المحاورين المسلمين يساقون دون تخطيط مسبق، وأهدافٍ واضحة، من جانبهم، عبر قنواتٍ ومسالك، رسمها لهم سلفاً محاوروهم من أهل الكتاب. وهذا في الواقع ليس بمستغرب، لأن دعاة التقارب من المسلمين جفوا المنهج الشرعي القائم على دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء، فلم يبق لهم ما يدلون به على

الآخرين. فأهل الإسلام لا يستقيم أمرهم، ولا يعبّرون بصدقٍ عن دينهم، إلا أن يكونوا أصحاب مبادرة للقيام بأمر الله، وغاية واضحة في الدعوة إلى الله، وخطة بينة بالالتزام بمنهج الله، كما دلت عليه هذه الآية العمدة، وإلا تقاذفتهم ألاعيب الذين كفروا من أهل الكتاب، ومبادراتهم العبثية الموسومة بالتقارب والحوار ونحوها.

٢ ـ أسلوب العبرة والتذكير:

• قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ [البقرة].

• ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦﴾ [البقرة].

• ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤﴾ [النساء].

وقد تضمن القرآن العظيم ثلاثاً وعشرين واقعة مصدَّرة بكلمة (وإذ) الظرفية، تذكّر أهل الكتاب من يهودٍ ونصارى بما جرى من أسلافهم مع أنبيائهم، وعواقب ذلك، لا لمجرد القصص، وإنما للتذكير والاعتبار والاستبصار، حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه، وتحل بهم المثلات. فينبغي اعتماد هذا الأسلوب القرآني في مخاطبة أهل الكتاب، لأن الاستشهاد بحقائق التاريخ ـ وعامتها موجودةٌ في كتبهم، والتذكير بدروسه وعبره، من أقوى وسائل التأثير.

٣ ـ أسلوب الإغراء والترغيب:

• قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة]. قال ابن جرير ﵀: (لو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل... وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم من الفرقان الذي جاء به محمد ﷺ... لأنزل عليهم من السماء قطرها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارها)[(١)].

• ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠].

• ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

• ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد].

قال ابن جرير: (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ... يعطكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم

---

(١) جامع البيان (٦/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

بعيسى ﷺ، والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم إيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبياً... يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيءٍ من فضل الله الذي آتاكم وخصكم به، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضلهم على جميع الخلق، فأعلمهم الله جل ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة ما لم يؤتهم)(١).

فهذا الأسلوب من أنجح الأساليب وأدعاها إلى قبول الحق والاغتباط به. ففيه من الترغيب والإغراء ما يحفز أصحاب الهمم العالية، والنفوس التواقة إلى الكمالات، إلى استشراف الهدى بنفس مستبشرة طامعة بفضل الله ورحمته. كما أنه لا يهدر الماضي بإطلاق، ويسفهه بالكلية، ويحطم سائر أعماله، بل يجعل الحاضر امتداداً لصواب الماضي، ونوراً وهدىً ورحمة وفضلاً وخروجاً من الظلمات إلى النور، وعفواً ومغفرة عن خطئه وانحرافه، ويعدهم خير الدنيا بالأكل من فوقهم ومن تحت أرجلهم وسائر التوسعات، وخير الآخرة بالفوز بكفلين من رحمة الله.

٤ ـ أسلوب التحذير والترهيب:

• قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة].

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء].

• ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة].

---

(١) جامع البيان (٢٧/٢٤١ ـ ٢٤٢، ٢٤٥).

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة].

• ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

فهذه الآيات وأمثالها، المتضمنة للتهديد والوعيد والتحذير، ترتجف لها القلوب التي فيها أدنى حياة، فتحملها على إعادة النظر فيما تعتقد وتقول وتعمل، فإذا لم يحفزها حافز الترغيب، ردعها رادع الترهيب، وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٥ ـ أسلوب التوبيخ والنكير:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران].

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران].

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة].

ولا يزال أهل الكتاب مقيمين على ما وبخهم الله فيه، وأنكره عليهم من الكفر بآيات الله كفاحاً مع قيام الحجة، ولبس الحق بالباطل، والصد عن سبيل الله، والنقمة على أولياء الله، فيما ينفثونه من سموم ودعايات مضللة في وسائل الإعلام، وما ينفقونه من أموالٍ طائلة، وجهودٍ مضنية لتنصير الناس وصرفهم عن دين الله الحق. فلا بد

من استمرار النكير عليهم وتبكيتهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد، تأسياً بكتاب الله.

٦ - أسلوب المحاججة والنقض:

• قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

• ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

• ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة].

• ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة].

• ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

• ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [آل عمران].

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة].

وهذا في كتاب الله كثير. فإن المبطلين يتشبثون بخيط العنكبوت لمجادلة أهل الإيمان، والتشويش عليهم، والصد عن سبيل الله، فلا بد من هتك أستارهم، وبيان تهافت حججهم ودعاويهم، إقامةً لحجة الله عليهم، ورفعاً لِلَّبس عن الناس.

ولم يزل هذا منهج المؤمنين المهتدين بالقرآن العظيم، من سلف هذه الأمة وتابعيهم بإحسان، من تصنيف الكتب، وعقد المناظرات، وندبيج المقالات في نقض هذا المسلك، دون البحث عن مواضع الاتفاق، وإقصاء مواضع الافتراق لتحقيق «التقارب الديني» كما يزعمون، وما ذاك من سبيل المؤمنين. قال ابن القيم ﷺ في فقه قصة وفد نجران: (ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه، إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم. ولا يهرب عن مجادلتهم إلا عاجزٌ عن إقامة الحجة، فليولّ ذلك إلى أهله، وليخَلّ بين المطي وحاديها، والقوس وباريها)[1].

ويا ليت هؤلاء العصرانيين من أهل التقريب بين الأديان لما قصروا عن هذه المرتبة خلوا بين أهل الإسلام وخصومهم، ووكلوا الأمر لأهله، لكنهم أذاعوا دعوة التقريب وأفشوها بين المسلمين، ورددوا أصداء شبهات أهل الكتاب، وسفهوا طريقة السابقين الأولين، وزعموا أنها من سجال الماضي ومظالمه وجراحاته، التي يجب أن تندمل وتمحى. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٣﴾ [النساء].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٣٩).

٧ ـ أسلوب المباهلة:

• قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران]. قال ابن جرير رحمه الله: (فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى ابن مريم... فقل تعالوا: هلموا فلندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل يقول: ثم نلتعن: فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في آية عيسى)[1].

وهذه درجة متقدمة في سلم مخاطبة أهل الكتاب، يصار إليها عند الإصرار وكمال الإعذار، وانقطاع الخصم، وتقشع الشبه بالحجة والبيان. فإذا أعيت الحيلة، وتبين عناد الخصم ألجىء إلى المباهلة. وهي وسيلة مفيدة من جهتين:

١ ـ إظهار التحدي، والثقة التامة، بأن الداعي إلى المباهلة على الحق.

٢ ـ إرهاب المعاند، وحمله على الجد والحزم، بالتعرض للعنة الله، فينتقل من حالة المنازعة الجدلية النظرية، إلى مقام المواجهة العملية المخيفة، فربما نزع واستغفر واستعتب.

قال ابن القيم رحمه الله في فقه قصة وفد نجران: (ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك... وهذا من تمام الحجة)[2].

---

(١) جامع البيان (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٤٣).

٨ ـ أسلوب المفاصلة:

- قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].
- ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ [البقرة].
- ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)﴾ [آل عمران].

إن المنهج الشرعي يقوم على الصدق والبينة، فكما أنه يهتبل الفرصة، ويبادىء غيره بالدعوة الواضحة إلى أصول الاعتقاد، فإنه لا يدع الأمر معلقاً لا ينتهي إلى حدٍ واضح، بل يحزم أمره، ويحمل غيره على تحديد موقفه، بعد البيان التام، وكشف الشبهة، وإقامة الحجة. فإما الإسلام وإما التولي. وحينئذٍ فلا بد من الجهر والإعلان والإشهاد، بعد المحاورات والمفاوضات المنتهية بالتولي والإعراض، بأنا مسلمون، ومن سوانا ليسوا كذلك. وهكذا ينبغي أن يكون «البيان الختامي» من طرفٍ واحد، لا أن يكون بحثاً عن «قضايا مشتركة» يعلنها الطرفان، فيكسب أهل الكتاب تنازل المسلمين عن دعواهم الأساسية: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ثالثاً: الوسائل النبوية في دعوة أهل الكتاب:

كانت سيرته ﷺ ترجماناً للقرآن، وبياناً له، فامتثل أمر ربه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وانتهى عما نهاه بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وكلاهما آية مكية، فدعا النبي ﷺ كل من لقيه إلى دين الله دون استثناء، ولم يدر بخلده يوماً أن ما جاء به من عند الله

استمرارٌ لليهودية والنصرانية المحرفتين، أو أن يسعى للحصول على اعترافٍ منهما، أو أراد مزاملتهما، كما زعم بعض دعاة التقريب[١]، بل أدرك ﷺ منذ الوهلة الأولى أنه ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة]، وأوقفه الله على انحرافاتهم وضلالاتهم، وأخبره: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النمل]. وقد كان أهل الكتاب في تخوم الجزيرة العربية، وفي يثرب ونجران، وأفراد قلائل في مكة، فدعاهم جميعاً ﷺ إلى دين الله في العهدين المكي والمدني، وتوسل بعدة وسائل، منها:

١ ـ غشيانهم في محافلهم ومجتمعاتهم وبيوتهم، ومن شواهد ذلك:

• (عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن في المسجد، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريد. ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغّت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله)[٢].

• (عن عوف بن مالك ﷺ قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدٍ لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر يهود، أروني اثني عشر رجلاً

(١) انظر مجلة الاجتهاد (٢٨/ ٥).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ٦٥)، (٨/ ٥٧، ١٥٦)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٧) ومدراس اليهود: كنيستهم... والإضافة في بيت المدراس إضافة العام للخاص، وفسروه بموضع قراءة التوراة. حاشية على صحيح البخاري (٨/ ٥٧)، وانظر: فتح الباري (١٢/ ٢٨٣).

يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه، قال: فأسكتوا ما جاوبه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد. فقال: أبيتم. فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم. ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج، نادى رجل من خلفنا: كما أنت محمد. قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمون فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد له بالله إنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة. قالوا: كذبت ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً. قال رسول الله ﷺ: كذبتم لن يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن كذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم. قال فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام. وأنزل الله ﷻ فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف](١).

• (وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار)(٢).

فدلت هذه الأحاديث الصحيحة على ما يلي:

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٥٢)، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤١٥، ٤١٦) وسكت عنه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: ورجاله رجال الصحيح (٧/ ١٠٥، ١٠٦).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٩٧).

١ ـ أن من هديه ﷺ غشيان أهل الكتاب في مجتمعاتهم الدينية، وفي زمن أعيادهم، في أماكن عبادتهم وتعليمهم، رجاء كثرتهم، كما صنع كليم الله موسى، حين قال: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾ [طه] وكذلك زيارتهم، وعيادة مريضهم في بيوتهم، لدعوتهم إلى الإسلام.

٢ ـ مبادأة أهل الكتاب بالدعوة الصريحة إلى الإسلام: «أسلموا»، وعدم الاشتغال بشيءٍ سوى ذلك، وتكرار الدعوة ثلاثاً دون خلطها بدعوةٍ سواها.

٣ ـ استعمال أسلوب الترغيب والإغراء أولاً، كما في قوله: «أسلموا تسلموا»، وقوله: «يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء والغضب الذي غضب عليه».

٤ ـ استعمال أسلوب الترهيب والوعيد ثانياً حين الإباء، كما في قوله: «أبيتم. فوالله إني لأنا الحاشر[1] وأنا العاقب[2]»، وقوله: «اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم».

٥ ـ استعمال أسلوب التوبيخ والنكير، لقوله: «كذبتم، لن يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن كذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم».

٦ ـ المجادلة بالتي هي أحسن. فإن اليهود لما دعاهم ﷺ إلى الإسلام، قالوا: قد بلغت، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقولهم: «قد بلغت»، كلمة مكرٍ ومداجاة، ليدافعوه بما يوهمه ظاهرها. ولذلك

---

(١) الحاشر: الذي يُحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره. النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٨٨).

(٢) العاقب: هو آخر الأنبياء، والعاقب والعقوب: الذي يخلف من كان قبله في الخير. المرجع السابق (٣/ ٢٦٨).

قال ﷺ: ذلك أريد، أي التبليغ[1]. ونقل في موضع آخر عن المهلب[2] وجه مناسبة الحديث للترجمة في باب (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، من كتاب التوحيد في صحيح البخاري: (وجه ذلك: أنه بلغ اليهود، ودعاهم إلى الإسلام والاعتصام به، فقالوا: بلغت، ولم يذعنوا لطاعته، فبالغ في تبليغهم وكرره، وهذه مجادلة بالتي هي أحسن)[3].

٢ ـ دعاؤهم إلى دار الإسلام:

● روى أنس بن مالك ﷺ في حديث قدوم النبي ﷺ المدينة مهاجراً ـ الطويل ـ: (... فلما جاء نبي الله ﷺ، جاء عبد الله بن سلام، فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ. فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا، فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا. قالوا: ما نعلمه. قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مرار. قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى لله، ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى لله، ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى لله، ما كان ليسلم. قال: يا ابن سلام اخرج عليهم. فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي

---

(١) فتح الباري (٦/ ١٩٥).

(٢) المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي الأندلسي، مصنف «شرح صحيح البخاري» توفي سنة ٤٣٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٩).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٦٥).

لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا له: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ)[١].

• ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن سعد أنه روى من طريق سعيد بن جبير قال: (جاء ميمون بن يامين، وكان رئيس اليهود إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، ابعث إليهم فاجعلني حكماً، فإنهم يرجعون إليّ، ثم أرسل إليهم فأتوه فخاطبوه فقال: اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم. قالوا: قد رضينا ميمون بن يامين. فقال: اخرج إليهم فأبوا أن يصدقوه)[٢].

فيستفاد من هاتين الواقعتين:

١ ـ أن من هديه ﷺ دعوة أهل الكتاب إلى مجلسه لعرض الإسلام عليهم إذا طمع في ذلك، وتجددت أسبابٌ توجب ذلك، كإسلام بعض عظمائهم.

٢ ـ أن من وسائل دعوة أهل الكتاب حكاية إسلام من أسلم منهم، لا سيما أهل العلم والفضل والسيادة منهم، لحفزهم على الإسلام، وإذهاب الوحشة من ذلك ولم يزل ـ بحمد الله ـ في كل جيلٍ وقبيل شاهد من بني إسرائيل يؤمن بالله، ويشهد شهادة الحق ممن يشار إليه بالبنان، ليكون حجة عليهم.

٣ ـ لا بأس باستعمال الحيلة وسيلةً لإلزام المدعو بالحق، وحمله على القبول فيؤمن، أو النكوص فيفتضح أمره، وذلك بعد دعوتهم دعوة صريحة إلى الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).
(٢) فتح الباري (٧/ ٢١٣ ـ ٢١٤).

٣ ـ الكتابة إلى ملوكهم:

عن أنسٍ ﷺ أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه ﷺ)[١]. فهذا نوع من البلاغ الذي أمره الله تعالى به: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وأمثالها كثير وقد بلغ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، فمن لم تبلغه قدمه، ويصله صوته، بعث إليه رسله، وحملهم كتبه، وأقام عليه الحجة، وضمَّنه من تحت إمرته.

وقد حكى أهل السير كتباً كثيرة بعث بها رسول الله ﷺ إلى ملوك النصارى وعظمائهم، وهم:

■ هرقل، قيصر الروم وعظيمها.

■ النجاشي ملك الحبشة، وهو الذي وليهم بعد أصحمة رحمه الله، سنة تسع.

■ المقوقس، عظيم القبط ملك مصر.

■ الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك غسان. وغيرهم[٢].

وعامة هذه الكتب من أخبار أهل التواريخ، التي لا تستقيم على قانون المحدثين، ومعيارهم في الثبوت، والصحيح الثابت منها كتابه ﷺ لهرقل عظيم الروم، الذي رواه البخاري ومسلم في حديث أبي سفيان

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٣٩٧).

(٢) ختم الزيلعي رحمه الله كتابه «نصب الراية» بمسردٍ بنصوص «كتب النبي ﷺ إلى عظماء الأمم» (٤/ ٤١٩ ـ ٤٢٥): ولم يتكلم عليها. وانظر: «وفاء الوفاء» لابن سيد الناس (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٧١)، وانظر: الجواب الصحيح (١/ ٢٨٧ ـ ٣٠٠) وانظر: «شرح المواهب اللدنية» لابن زنجويه (٣/ ٣٤٠ ـ ٣٥٧)، وانظر زاد المعاد (٣/ ٦٨٨ ـ ٦٩٧).

الطويل مع هرقل، وفيه: (ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين. و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤][١].

وهذا الكتاب عمدة وأصل في دعوة أهل الكتاب، مضموناً وأسلوباً، وفيه من الفوائد ما يلي:

١ - أن من هديه ﷺ استعمال وسيلة الكتابة في تبليغ دين الله حيث لا تبلغ المشافهة، ولا تحصل المواجهة. وعلى أساس هذه السنة المحكمة حرر المسلمون الرسائل، وصنفوا الكتب في دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم.

٢ - مبادأة أهل الكتاب بالدعوة الصريحة المباشرة إلى الدخول في دين الإسلام؛ دعوةً لا لبس فيها ولا غموض؛ ناجزة غير مؤجلة، خالصة غير مشوبة.

٣ - استعمال أسلوب الترغيب والإغراء بقوله: «تسلم»، وقوله: «يؤتك الله أجرك مرتين».

٤ - استعمال أسلوب الترهيب والوعيد، كما في قوله: «فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين»، قال الخطابي[٢] رحمه الله: (والمعنى أنك إن

---

(١) صحيح البخاري (١/٦)، (٣/١٣٩٦)، وراجع مبحث «موقف أهل الكتاب من الإسلام» في التمهيد.

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، ولد سنة ٣١٩هـ. =

لم تُسلم، وأقمت على دينك، كان عليك إثم الزَّرَّاعين والأجراء الذين هم خَوَلٌ وأتباع لك)[١]. وقال ابن حجر رحمه الله: (وفي الكلام حذفٌ دل المعنى عليه، وهو: فإن عليك مع إثمك إثم الأريسيين، لأنه إذا كان عليه إثم الأتباع بسبب أنهم تبعوه على استمرار الكفر، فلأن يكون عليه إثم نفسه أولى)[٢].

٥ ـ استعمال أسلوب الخطاب الرفيع، الذي لا ينحط إلى دركات المداهنة، والمجاملات الكاذبة، والتملق المستهجن، ولا يتعالى إلى حدٍ يورث النفرة والجفاء، كما يتضح من وصفه ﷺ لـ «هرقل» بـ «عظيم الروم»، ومن تحيته البديعة التي صدّر بها كتابه: «السلام على من اتبع الهدى». قال الخطابي: (فأما قوله في كتابه «إلى عظيم الروم»، فمعناه: من تعظم الرومُ وتقدمه عليها. ولما يكتب إلى ملك الروم، لما يقتضيه هذا الاسم من المعاني التي لا يستحقها من ليس من أهل دين الإسلام، ولو فعل ذلك لكان فيه التسليم لملكه، وهو بحكم الدين معزول، ومع ذلك فلم يخله من نوع من الإكرام في المخاطبة، ليكون آخذاً بأدب الله تعالى في تليين القول لمن يبتدئه بالدعوة إلى دين الحق)[٣].

= فقيه محدث، من أهل بست، توفي سنة ٣٨٨هـ، من تصانيفه: «معالم السنن» و«إصلاح غلط المحدثين» و«غريب الحديث» و«أعلام الحديث».
انظر: الأعلام (٢/ ٢٧٣)، وفيات الأعيان (١/ ١٦٦)، إنباء الرواة (١/ ١٢٥)، خزانة الأدب (١/ ٢٨٢).

(١) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري. الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد. تحقيق: الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. جامعة أم القرى. معهد البحوث العلمية. مركز إحياء التراث الإسلامي ـ مكة المكرمة الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م). (١/ ١٣٨).
(٢) فتح الباري (١/ ٣٦).
(٣) أعلام الحديث (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

وهذا ملحظٌ مهم يجب أن يتنبه له الذين يتصدون لخطاب النصارى، فلا يخضعون بالقول، ويستخذون لأعداء الله، ويمنحوهم قيادهم، وينزعون هيبتهم بأنفسهم، كقول بعضهم: «إخواننا النصارى»، أو مخاطبة كبيرهم بـ «يا قداسة البابا». كما لا ينبغي لهم أن يقعوا في الجفاء والمخاشنة بترك التحية المناسبة للمقام، وعدم تنزيل الناس منازلهم، ومخاطبتهم بما يليق بمكانتهم عند قومهم، من غير أن يقع المتكلم في الكذب.

قال النووي ﷺ في فوائد هذا الكتاب النبوي: (ومنها: التوقي في المكاتبة، واستعمال الورع فيها، فلا يفرِط ولا يفرِّط. ولهذا قال النبي ﷺ: إلى هرقل عظيم الروم. فلم يقل: ملك الروم، لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحدٍ إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ، أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة. ولم يقل: إلى هرقل، فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال: عظيم الروم، أي الذي يعظمونه ويقدمونه. وقد أمر الله بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾، وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾)[١].

إن المنطق عنوان المرء، ومظهره المنبىء عن مخبره، المقتضي لما يترتب عليه من هيبة وإجلال وقبول، أو أضدادها. هذا بالنسبة إلى الشخص من حيث هو، فكيف إذا كان يمثل الإسلام والمسلمين في نظر محاوريه؟

٦ ـ بيان معنى «كلمة سواء» بالتفسير النبوي القاطع لتأويلات الجاهلين، وتحريفات المبطلين، وأنها عين دين الإسلام، ليس غير؛ لا

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٠٨).

القدر المشترك الذي كان متفقاً عليه سلفاً بزعمهم، ولا بحسبانه حداً أدنى واتفاقاً صغيراً[١]، أو مجرد إطار خارجي لتحقيق تكافؤ طرفي الحوار، على حد تفسير أحدهم للآية بقوله: (لست رباً لي، ولست عبداً لك، كلنا عبيد لربٍ واحد)[٢].

فقد عين النبي ﷺ دعوته بوضوح فقال: (فإني أدعوك بدعاية الإسلام)، وفي رواية لمسلم: (بداعية الإسلام)[٣]، قال الخطابي: (وبيان الدعاية في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾[٤]، وقال ابن حجر: (أي بالكلمة الداعية إلى الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)[٥]. ثم أدرج ﷺ الآية مستدلاً بها على هذه الدعوة، ومتمثلاً أمر ربه امتثالاً دقيقاً حين قال له: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. فما أحوج المسلمين اليوم إلى فقه هذا الكتاب النبوي العظيم، ولزوم غرزه، قال ابن حجر: (وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على الأمر بقوله: أسلم، والترغيب بقوله: تسلم، ويؤتك، والزجر بقوله: فإن توليت، والترهيب بقوله: فإن عليك، والدلالة بقوله: يا أهل الكتاب. وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى وكيف لا ، وهو كلام من أوتي جوامع الكلم ﷺ)[٦].

وقد كان هذا الكتاب العظيم في زمن الهدنة التي أعقبت صلح الحديبية، فبعث به النبي ﷺ آخر سنة ست، وكان وصوله إلى هرقل في

---

(١) راجع مبحث «الإسلاميون العصرانيون» في الفصل الثالث من الباب الأول.
(٢) الإسلام والغرب مع الدكتور يوسف القرضاوي (١٦، ١٧).
(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٣٩٧).
(٤) أعلام الحديث (١/ ١٣٦).
(٥) فتح الباري (١/ ٣٥).
(٦) فتح الباري (١/ ٣٧).

المحرم سنة سبع على ما حرره الحافظ ابن حجر[(١)]. وقد روى الإمام أحمد ﵀ ما يدل على أنه ﷺ كتب إلى هرقل كتاباً آخر في السنة التاسعة من الهجرة، في غزوة تبوك التي كانت موجهة إلى الروم. ففي حديث التنوخي[(٢)] الطويل: (قدم رسول الله ﷺ تبوك فبعث دحية الكلبي إلى هرقل، فلما أن جاء كتاب رسول الله ﷺ، دعا قسيسي الروم وبطارقتها، ثم أغلق عليه وعليهم باباً، فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني إلى أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب، ليأخذن ما تحت قدمي، فهلم نتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجلٍ واحد حتى خرجوا من برانسهم... الخ)[(٣)].

فبين الكتابين النبويين لهرقل، سنتان ونصف، والأول صدر في حال سلم، وموادعة، والثاني في حال غزوٍ وجهاد، ولم يدع النبي ﷺ الدعوة إلى الإسلام في أيٍ من الحالين، ولم يكتف بدعوته الأولى لهرقل عن عرض الخصال الثلاث في الثانية، وعلى رأسها الإسلام. قال النووي في شرح كتاب النبي ﷺ الأول: (في هذا الكتاب جمل من القواعد، وأنواع من الفوائد ـ منها: دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم، وهذا الدعاء واجب، والقتال قبله حرام، إن لم تكن بلغتهُم دعوة الإسلام. وإن كانت بلغتهم فالدعاء مستحب)[(٤)].

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٣٥).

(٢) التنوخي: أحد قبيلة تنوخ، وكان رسول هرقل إلى النبي ﷺ.

(٣) المسند: (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢)، (٤/ ٧٤، ٧٥). وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه عبد الله بن أحمد، وأبو يعلى ورجال أبي يعلى ثقات، وكذلك رجال عبد الله بن أحمد (٨/ ٢٣٩).

(٤) صحيح مسلم شرح النووي (١٢/ ١٠٧). وقال شيخ الإسلام: (وأخبر غير=

٤ ـ استقبال وفودهم:

• (عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد، صاحبا نجران، إلى رسول الله ﷺ يريدن أن يلاعناه. قال فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنًا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين. فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة ابن الجراح. فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة)[١].

وقصة قدوم وفد نصارى نجران معلومة مشهورة في كتب التفسير والسنة والسير. وقد نزل صدر سورة آل عمران بشأن محاجتهم للنبي ﷺ، وما ذكر في الصحيح آنفاً نزر يسير بجنب ما أفاض فيه أهل التواريخ والسير من أخبار لا تخلو أسانيدها من مقال[٢]، ونختار منها ما رواه ابن إسحاق: قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير[٣]، قال: لما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحَبَرات: جببٌ وأردية، في جمال رجال بني الحرث بن كعب، قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذٍ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد

= واحد أن هذا الكتاب باقٍ إلى الآن عند ألفنش صاحب قشتالة وبلاد الأندلس، يفتخرون به، وهذا أمر مشهور معروف) يريد ألفونسو. الجواب الصحيح (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٢٠).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨)، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢/ ٢٠٤ ـ ٢١٦)، وانظر: الجواب الصحيح (١/ ١٧٧) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٩ ـ ٦٤٦).

(٣) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي، المدني، ثقة من السادسة. تقريب التهذيب. (٢/ ١٥٠). لكن روايته هنا منقطعة، وتقدمت ترجمته (١٨٤).

رسول الله ﷺ يصلون، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»، فصلوا إلى المشرق..

فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ، فلم يجبهما. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها..)[1]. ثم شرع ابن إسحاق في تفسير الآيات حتى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ثم ذكر قصة المباهلة وبعث أبي عبيدة بن الجراح بنحو حديث البخاري السابق.

٥ ـ دعوتهم حال الغزو والجهاد:

● عن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على

---

(١) سيرة النبي ﷺ (٢/٢٦). وقد صحح ابن القيم رحمه الله القصة والصلاة في أحكام أهل الذمة (١/١٨٧).

المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم... الحديث)[١].

• وعن سهل بن سعد ﷺ - في قصة فتح خيبر - أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب، وقد أعطاه الراية: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[٢]. وفي رواية: (قاتلهم حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها. وحسابهم على الله)[٣].

فلا شك أن دعوة أهل الكتاب وغيرهم من المشركين في ظل بارقة السيوف مدعاة لأن يتبصروا في حالهم ومآلهم بعين الجد، بعد أن تنكسر عزتهم بالإثم، وتسقط عن قلوبهم وعقولهم حجب اللامبالاة والإعراض، فيكون للدعوة حينئذٍ وقعٌ مؤثر، فيحملهم الرغب أو الرهب على قبولها والإذعان لها، وإن لم يدخل الإيمان في قلوبهم بعد. وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: (عجب الله ﷻ من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)[٤]. قال النووي ﷺ: (معناه: يؤسرون، ويقيدون، ثم يسلمون، فيدخلون الجنة)[٥]. فكذلك إذا دعوا حال الإرهاب بالسيف، فأسلموا، ثم حسن إسلامهم.

ويستفاد من هذه الوفادة ما يلي:

---

(١) رواه مسلم: (٣/ ١٣٥٧).
(٢) متفق عليه. واللفظ لمسلم (٤/ ١٨٧٢).
(٣) متفق عليه. واللفظ لمسلم (٤/ ١٨٧٢).
(٤) رواه البخاري: (٤/ ٢٠).
(٥) رياض الصالحين ٥٣٨.

١ ـ أن من هديه ﷺ ـ استقبال وفود أهل الكتاب، بغرض دعوتهم إلى الإسلام أولاً، أو مفاوضتهم على صلح ونحوه. وقد كان ﷺ يعرض الإسلام على وافد أهل الكتاب، حتى ولو كان رسول قومه، كما قال للتنوخي رسول هرقل: (هل لك في الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم، قلت: إني رسول قوم، وعلى دين قوم، ولا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص][1]، ودعا الجارود بن عمرو، أخا عبد القيس وكان نصرانياً، حين وفد إليه على رأس قومه، ورغبه في الإسلام (فقال يا محمد إني قد كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه)[2]، ودعا عدي بن حاتم إلى الإسلام ـ وكان نصرانياً ـ فأسلم[3].

٢ ـ أن من وسائل الدعوة، بل هي أعظمها، إسماع المدعو كلام الله، القرآن. وقد ذكر ابن سعد في طبقاته أنه ﷺ (دعاهم إلى الإسلام، فأبوا، وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم القرآن)[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٤٢) وسبق تخريجه.

(٢) سيرة النبي ﷺ (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٥٧، ٣٧٨).

(٤) الطبقات الكبرى: (١/ ٣٥٨). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه. إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي وجب أن يترجم له ما يقوم به عليه الحجة. ولو كان عربياً وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست لغته، وجب أن يبين له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى، وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك. وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه). الجواب الصحيح (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).

وأهل الكتاب أولى بسماعه من المشرك الذي قال فيه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة]. ولهذا كان من حال بعضهم ما قص الله في كتابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة]، وقوله: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣﴾ [القصص].

٣ ـ أن في دين الإسلام ـ بحمد الله ـ سعة في معاملة وفود أهل الكتاب، ترفع الحرج، وتؤلف القلوب. فمن ذلك:

أ ـ تمكينهم من دخول مساجد المسلمين للحاجة.

ب ـ الإذن لهم بإقامة صلاتهم فيها، بمشهد من المسلمين. ففي رواية ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير أن وفد نجران (دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال النبي ﷺ: دعوهم). قال ابن القيم في فقه هذه القصة: (وفيها: تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين، وفي مساجدهم أيضاً، إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك)[1].

وقال: (وأما دخول الكفار مسجد النبي ﷺ فكان ذلك لما كان بالمسلمين حاجة إلى ذلك، ولأنهم كانوا يخاطبون النبي ﷺ في عهودهم، ويؤدون إليه الرسائل ويحملون منه الأجوبة، ويسمعون منه الدعوة، ولم يكن النبي ﷺ ليخرج من المسجد لكل من قصده من الكفار، فكانت المصلحة في دخولهم إذ ذاك أعظم من المفسدة التي فيه... وأما الآن فلا مصلحة للمسلمين في دخولهم مساجدهم

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٣٨).

والجلوس فيها. فإن دعت إلى ذلك مصلحة راجحة جاز دخولها بلا إذن، والله أعلم)[١].

ج - تمكينهم من التعبير عن معتقداتهم، والمحاجة عنها، والمجادلة فيها دون ضغط أو ترهيب، مع أولي الأمر، وأصحاب الشأن، من العلماء الراسخين، وليس أمام العامة السالمين من سماع الشبهات، الباقين على الفطرة الأصلية، خلافاً لما ينادي به دعاة التقريب اليوم من «الحرية الدينية» لإفشاء ضلالاتهم.

٤ ـ استعمال أسلوب المجادلة والمحاجة مع أهل الكتاب، وإن طالت، لاستفراغ حججهم، ودحض شبهاتهم، واحتمال سماع الأذى في هذا السبيل، حتى ولو كان طعناً في القرآن. ففي الصحيح عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لما أورده أهل نجران على رسول رسول الله ﷺ ولم يجبهم عنه، أجاب عنه النبي ﷺ ولم يقل لهم ليس لكم عندي إلا السيف، ولا قال: قد نقضتم العهد)[٣].

وقد صبر عليهم رسول الله ﷺ، في وفادتهم هذه، واحتمل مماراتهم، وكثرة مجادلتهم، واختلافهم عليه، حتى روى ابن جرير قال: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: وحدثني ابن لهيعة، عن

---

(١) أحكام أهل الذمة: (١/ ١٩١).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥).
(٣) الجواب الصحيح (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

سليمان بن زياد الحضرمي عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليت بيني وبين أهل نجران حجاباً، فلا أراهم ولا يروني»، من شدة ما كانوا يمارون النبي ﷺ)[١].

٥ ـ استعمال «المباهلة» إذا لم تثمر المجادلة، واستنفدت أغراضها المشروعة وتقدم ذكر فائدتها.

٦ ـ أنه لا يكفي في مجادلة، أهل الكتاب أن يعترفوا بنبوة محمد ﷺ دون أن يتبعوه، وينخلعوا مما هم عليه، ويدخلوا في السلم كافة، خلافاً لما يتوهمه بعض دعاة التقريب فتحاً مبيناً، ونصراً مؤزراً؛ أن يظفروا بكلمة ثناء من أحد القسس والكهان عن رسول الله ﷺ، واعتراف مجرد بأنه نبي[٢].

قال ابن القيم في فقه هذه القصة: (وفيها: أن إقرار الكاهن الكتابي لرسول الله ﷺ بأنه نبي، لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته)[٣]. وكذا قال ابن حجر في فوائدها: (أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام، حتى يلتزم أحكام الإسلام)[٤].

وكذلك لو زعم الكتابي بنوع تأويل، كأن يعد ما هو عليه من الدين إسلاماً، لم يقبل منه، حتى يقبل الإسلام الخاص الذي جاء به محمد ﷺ. ولهذا قال ﷺ للحبرين حين قالا: قد أسلمنا قبلك،

---

(١) جامع البيان (٣/ ٢٩٨)، ورجال إسناده: يونس بن عبد الأعلى: ثقة (التقريب ٢/ ٣٨٥)، عبد الله بن وهب: ثقة حافظ (التقريب ١/ ٤٦٠)، ابن لهيعة: صدوق خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما. (التقريب ١/ ٤٤٤)، سليمان بن زياد الحضرمي: ثقة (التقريب ١/ ٣٢٤).

(٢) راجع محاولات الشيخ أحمد كفتارو في الفصل الأول من الباب الثاني

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٣٨).

(٤) فتح الباري (٨/ ٧٤).

(كذبتما. يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير)، فرد عليهما مراوغتهما، لكونهما لم يفارقا نواقض الإسلام العقدية، والتزامهما بشعائر غيره الظاهرة. وفي هذا ردٌ بين على دعاة التقريب من أمثال جارودي المنادي بالإسلام الأزلي، الداعين إلى التحلل من رسوم الإسلام الظاهرة، وعلاماته الفارقة[١].

رابعاً: عمل الأمة الإسلامية، وسبيل المؤمنين:

هذا هو المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب مضموناً وأسلوباً ووسيلة، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وكما هدى إليه القرآن الحكيم بأساليبه المتنوعة التأثير، التي لا يعدلها فضلاً أن يساميها أسلوب، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وكما بينته سنة نبينا محمد ﷺ القولية والعملية في دعوة أهل الكتاب، القائل: (من رغب عن سنتي فليس مني)[٢].

وعلى هذا المسلك القويم، والمَهْيَع الرشيد، سارت الأمة الإسلامية على مر القرون، واختلاف الأحوال السياسية، من ضعفٍ وقوة، وسلمٍ وحرب، وقلةٍ وكثرة، ملتزمة بما جاء به القرآن، وترجمته السنة والسيرة النبوية اعتقاداً وعملاً، أو اعتقاداً حين لا تحصل القدرة. ولم يخامرها شك قط في استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، واستحداث عقائد جديدة، وابتداع أساليب شاذة، وارتكاب وسائل ليست من سبيل المؤمنين، كالدعوة إلى التقريب بين الأديان.

والتاريخ العلمي والحضاري للأمة الإسلامية زاخر بالأمثلة الناطقة على لزوم هذا المنهج الشرعي، في حقل الدعوة والتصنيف، وفي

---

(١) راجع محاولات روجيه جارودي في الفصل الأول من الباب الثاني.
(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٦)، صحيح مسلم (٢/ ١٢٠).

التطبيق الميداني. وما هذه الملايين من البشر الذين يعتنقون الإسلام اليوم، وينتشرون في جميع بقاع المعمورة من مختلف الأعراق والأجناس، إلا ثمرة ذلك المنهج الذي أخرج أسلافهم من الظلمات إلى النور، وأسبغ عليهم وعلى ذراريهم النعمة، وأتمها لهم. ولو سلك المسلمون الأولون ـ وحاشاهم ـ مسلك التقريب بين الأديان، والتلفيق بين العقائد لانمحت رسوم الإسلام. وطوي ذكره.

وسنختار ثلاثة أمثلة من تاريخ الإسلام القديم والوسيط والحديث، في مواقع شتى وأحوال متنوعة تكشف عن إطباق الأمة الإسلامية على سلوك منهج الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

أحدها: محاورة جعفر بن أبي طالب وإخوانه المهاجرين إلى الحبشة، مع النجاشي.

الثاني: كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سرجوان النصراني ملك قبرص.

الثالث: مناظرة الشيخ رحمت الله الهندي مع القس البروتستاني فندر.

المثال الأول: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي:

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى. فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية. فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالا: هم في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم.

فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم. فاتبعوه. فسلم ولم يسجد. فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ. قال وما ذاك؟ قال: إن الله ﷻ بعث إلينا رسوله ﷺ، وأمرنا أن لا نسجد لأحدٍ إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوي هذا. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده. أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم. والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته، حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضئه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما. ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً، وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته)[1].

قال ابن كثير رحمه الله (وهذا إسنادٌ جيد قوي، وسياق حسن)[2]. وقد رويت هذه الواقعة الإيمانية العظيمة بروايات متعددة عمن شهدها من المهاجرين كجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، نفسه، وعن خصمه من الكفار ـ حينذاك ـ عمرو بن العاص أيضاً، وكانا طرفي الحوار أمام النجاشي، وعن أم سلمة رضي الله عنها، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٦١) والبيهقي في دلائل النبوة (٢٩٨). ولعل آخره من كلام عبد الله بن عتبة، الراوي عن ابن مسعود. وقد ثبت في الصحيحين أنه ﷺ (نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم، وكبر عليه أربعاً). صحيح البخاري (٢/ ٩١)، صحيح مسلم (٢/ ٦٥٦).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٦٩).

كما تقدم، بسياقات مطولة، تتفق في مضمونها على الجوانب التالية:

١ ـ الصدق مع الله ﷻ قولاً وعملاً، طلباً لرضاه، وإظهاراً لدينه، حتى مع القلة، والغربة، والخصم المترصد. كما يتضح في جهرهم بمعتقدهم الذي يخالف أعظم معتقدات مضيفيهم من النصارى، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يقيمون وزناً للحسابات الدنيوية، والدعاوى المصلحية في جنب الله، ففي رواية ابن إسحاق عن أم سلمة ﵂: (فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول، نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ، كائن من ذلك ما كان)[1].

٢ ـ البعد عن صور المجاملات الزائفة؛ القولية والفعلية، التي يسارع فيها دعاة التقريب بين الأديان، إرضاءً لأعداء الله، وسقوطاً في فتنة المداهنة، كحضور أعياد الكفار الدينية، ومشاركتهم في صلواتهم وطقوسهم الوثنية. فقد أبى جعفر وأصحابه ﵃ أن يخضعوا لأعراف الكفار الشركية فيسجدوا للملك، رغم رهبة الموقف، ودهشة المفاجأة، وزجر الحاشية. ففي رواية البيهقي وأبي نعيم عن أبي موسى الأشعري ﵁: (فانتهينا إلى النجاشي، وهو جالسٌ في مجلسه، وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سماطين. وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما

---

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. تحقيق: عبد المعطي قلعجي. دار الرياض للتراث ـ القاهرة. الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) (٣٠٢)، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس. دار النفائس ـ بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) (١/٢٤٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله ﷻ)[١].

فلله درهم ما أثبت قلوبهم، وأصدق ألسنتهم، وما أعظم إيمانهم بالله وتوكلهم عليه!

٣ ـ الحكمة وفصل الخطاب وحسن البيان، في خطبة جعفر رضي الله عنه بين يدي النجاشي وبطارقته، حيث لم يشرع في الخصومة والجدل، ولم يضع نفسه وإخوانه في موضع التهمة والغموض. بل تكلم بروية وأناة وترتيب بديع، فبين حالهم قبل بعثة محمدٍ ﷺ وبعدها، وقدم أركان الإيمان، وثنى بشرائع الإسلام الحسان، ومبانيه العظام، الدينية والخلقية والاجتماعية، ثم أفضى بتلطفٍ عظيم، وحسن تَأَتِّي إلى سبب قدومهم الحبشة. ففي رواية ابن إسحاق عن أم سلمة رضي الله عنها: (فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية. فقال له جعفر: أيها الملك: كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض، في سفك الدماء وغيرها. لا نحل شيئاً ولا نحرمه. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الأرحام، ونحمي الجوار، ونصلي لله ﷻ، ونصوم له، ولا نعبد غيره... فعدوا عليه أمور الإسلام، فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا، ويردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٢٥٢).

نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال النجاشي: هل معك شيءٌ مما جاء به؟ فقرأ عليه صدراً من «كهيعص»، فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله، لا أردهم عليكم ولا أنعِمُكم عيناً)[1]. يخاطب بعث قريش.

فقد جمعت هذه الحادثة من الفوائد الإيمانية، والمناهج الشرعية في مخاطبة أهل الكتاب، ما ينبغي أن تكون بحق زاداً لكل مؤمن، ومرجعاً لمن أراد ترسم هدي السلف الصالح، وسبيل المؤمنين، الجامع بين الصدق مع الله، والعزة الإيمانية، وحسن التصرف، والأدب الرفيع، والاعتراف بالفضل لأهله دون تزيُّد، ولا سيما المسلمين الذين يعيشون اليوم بين ظهراني النصارى في بلاد الغرب، من المهاجرين للعمل وغيره، والمقيمين والعابرين.

ب ـ المثال الثاني: شيخ الإسلام ابن تيمية مع سرجوان ملك قبرص:

كتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ﷺ، كتاباً جليلاً فخماً إلى أحد ملوك النصارى في زمانه، وهو «سرجوان» ملك قبرص، يدعوه ومن معه إلى الإسلام، ويبين محاسنه، ويحضه على فكاك أسرى المسلمين في بلاده، وعدم العدوان. والكتاب مثالٌ نادر لمنهج العلماء الربانيين الذين يقبسون من نور التنزيل، ويستضيئون من مشكاة النبوة، جمع فيه ﷺ الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣٠٢ ـ ٣٠٣)، دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٢٤٨ ـ ٢٤٩) وتقدم الكلام على سنده.

هي أحسن، واستعمل فيه مختلف وسائل التأثير الإيجابي من الأدب، والتلطف، وإظهار الشفقة، ومحبة الخير، في غير ما ضعة، مع البيان الشافي، والجهر بالحق، وهتك أستار الشرك الوثني والكتابي دون مداهنة، والترغيب والترهيب في أمر الإيمان، وفي شأن أسرى المسلمين.

فينبغي لعلماء المسلمين، والناطقين باسمه في المحافل والمنتديات أن ينسجوا على منواله، ويتشربوا منهجه، ويترفعوا عن الممارسات البدعية الدنية الحادثة.

ونبرز فيما يلي مقتطفاتٍ من هذا الكتاب تنبىء عما سواها مما تضمنه من منهج مخاطبة أهل الكتاب:

١ ـ أسلوب التحية وتاليف القلوب:

• (بسم الله الرحمن الرحيم. من أحمد بن تيمية إلى سرجوان، عظيم أهل ملته، ومن تحوط به عنايته، من رؤساء الدين، وعظماء القسيسين، والرهبان، والأمراء، والكتاب، وأتباعهم. سلام على من اتبع الهدى)[١].

• (وإنما نبه الداعي لعظيم ملته وأهله، لما بلغني ما عنده من الديانة، والفضل، ومحبة العلم، وطلب المذاكرة. ورأيت الشيخ أبا العباس المقدسي شاكراً من الملك: من رفقه ولطفه وإقباله عليه، وشاكراً من القسيسين ونحوهم.

ونحن قومٌ نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة؛ فإن أعظم ما عُبد الله به نصيحة خلقه)[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٠١). وقارن بكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل.
(٢) المرجع السابق (٢٨/ ٦١٥).

• (ولما كان أمر الدنيا خسيساً، رأيت أن أعظم ما يهدى لعظيم قومه، المفاتحة في العلم والدين، بالمذاكرة فيما يقرب إلى الله... وإن رأيت من الملك رغبة في العلم والخير كاتبته، وجاوبته عن مسائل يسألها. وقد كان خطر لي أن أجيء إلى قبرص لمصالح في الدين والدنيا. لكن إذا رأيت من الملك ما فيه رضى الله ورسوله عاملته بما يقتضيه عمله)[١].

• (وأبو العباس، حامل هذا الكتاب، قد بث محاسن الملك وإخوته عندنا، واستعطف قلوبنا إليه، فلذلك كاتبت الملك لما بلغتني رغبته في الخير، وميله إلى العلم والدين. وأنا من نوّاب المسيح وسائر الأنبياء، في مناصحة الملك وأصحابه، وطلب الخير لهم؛ فإن أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، يريدون للخلق خير الدنيا والآخرة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعونهم إلى الله، ويعينونهم على مصالح دينهم ودنياهم)[٢].

• (والله المسؤول أن يعين الملك على مصلحته التي هي عند الله المصلحة، وأن يخير له من الأقوال ما هو خير له عند الله، ويختم له بخاتمة خير، والحمد لله رب العالمين. وصلواته على أنبيائه المرسلين. ولا سيما محمد خاتم النبيين والمرسلين، والسلام عليهم أجمعين)[٣].

والمتأمل في هذه العبارات المسبوكة من العلم والحكمة، يدرك أن في دين الإسلام سعة ورحابة ومرونة، يتمكن بها أهله من مخاطبة المخالف الذي يرجى إيمانه ودعوته، بأدب ولطف وشفقة، دون الوقوع فيما حرم الله من المودة، والمداهنة، والخروج عن سمت الإيمان.

---

(١) المرجع السابق (٢٨/ ٦١٦).
(٢) المرجع السابق (٢٨/ ٦٢٨).
(٣) المرجع السابق (٢٨/ ٦٣٠).

٢ ـ الدعوة إلى توحيد الله، والإيمان برسوله محمد ﷺ:

• (إن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام، وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه أبوهم آدم، أبو البشر عليه السلام، حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأصنام...

فابتعث الله نبيه نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه... فبعث الله تعالى إمام الحنفاء، وأساس الملة الخالصة، والكلمة الباقية: إبراهيم خليل الرحمن، فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص...

ثم بعث الله المسيح ابن مريم رسولاً قد خلت من قبله الرسل... ودعا إلى الله وإلى عبادته، متبعاً سنة إخوانه المرسلين، مصدقاً لمن قبله، ومبشراً بمن يأتي بعده...

فلما اختلف الأحزاب من بينهم، هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فبعث النبي الذي بشر به المسيح، ومن قبله من الأنبياء، داعياً إلى ملة إبراهيم، ودين المرسلين قبله وبعده، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله لله... وأمر الله ذلك الرسول بدعوة الخلق إلى توحيده بالعدل فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران][1].

٣ ـ قول الحق في عيسى ابن مريم عليه السلام، وبيان ضلال النصارى:

• (فتفرق الناس في المسيح عليه السلام، ومن اتبعه من الحواريين، ثلاثة أحزاب.

• قومٌ كذبوه وكفروا به، وزعموا أنه ابن بغي، ورموا أمه بالفرية، ونسبوه إلى يوسف النجار...

---

(١) المرجع السابق (٢٨/ ٦٠٣ ـ ٦١٣).

• وقوم غلوا فيه، وزعموا أنه الله، أو ابن الله، وأن اللاهوت تدرع الناسوت، وأن رب العالمين نزل، وأنزل ابنه ليصلب ويقتل، فداءً لخطيئة آدم عليه السلام. وجعلوا الإله الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، قد ولد، واتخذ ولداً...

وتفرقوا في التثليث والاتحاد تفرقاً، وتشتتوا تشتتاً، لا يقر به عاقل، ولم يجيء نقل إلا كلمات متشابهات في الإنجيل وما قبله من الكتب، قد بينتها كلمات محكمات في الإنجيل وما قبله، كلها تنطق بعبودية المسيح، وعبادته لله وحده ودعائه وتضرعه)[١].

• (فأرباب التثليث في الوحدانية، والاتحاد في الرسالة، قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بين بفطرة الله التي فطر الناس عليها، وبكتب الله التي أنزلها.

ولهذا كان عامة رؤسائهم من القسيسين والرهبان، وما يدخل فيهم من البطارقة والمطارنة والأساقفة، إذا صار الرجل منهم فاضلاً مميزاً، فإنه ينحل عن دينه، ويصير منافقاً لملوك أهل دينه، وعامتهم رضي بالرياسة عليهم، وبما يناله من الحظوظ...

وأما الرهبان فأحدثوا من أنواع المنكرات والحيل بالعامة، ما يظهر لكل عاقل، حتى صنف الفضلاء في حيل الرهبان كتباً. ـ ثم ذكر أمثلة ـ.

ثم إن هؤلاء عمدوا إلى الشريعة التي يعبدون الله بها، فناقضوا الأولين من اليهود فيها؛ مع أنهم يأمرون بالتمسك بالتوراة، إلا ما نسخه المسيح... ـ وذكر أمثلة ـ)[٢].

• (فمن كان لا يؤمن بالله، بل يسب الله، ويقول إنه ثالث ثلاثة،

---

(١) المرجع السابق (٢٨/٦٠٧ ـ ٦٠٨).

(٢) المرجع السابق (٢٨/٦٠٨ ـ ٦١٠).

وأنه صلب. ولا يؤمن برسله... ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين، ويحرف نصوص التوراة والإنجيل، فإن في الأناجيل الأربعة من التناقض والاختلاف بين ما أمر الله به وأوجبه، ما فيها، ولا يدين دين الحق... فمن هذا حاله، فقد أمر الله ورسوله بجهاده، حتى يدخل في دين الله، أو يؤدي الجزية. وهذا دين محمد ﷺ)[١].

هذا منطق العلماء الربانيين، الموقعين عن رب العالمين، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يروغون روغان الثعالب مداراة للمغضوب عليهم أو الضالين، فيكتمون ما أخذ الله عليهم العهد والميثاق ببيانه، ويغشون عباد الله.

٤ ـ الترغيب والموعظة:

• (وقد آمن جماعات من أهل الكتاب قديماً وحديثاً، وهاجروا إلى الله ورسوله...)[٢].

• (والإسلام في عزٍ متزايد، وخير مترافد فإن النبي ﷺ قد قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[٣]. وهذا الدين في إقبال وتجديد. وأنا ناصح للملك وأصحابه، والله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة والإنجيل والفرقان)[٤].

• ثم ذكر وفد نجران، وكتاب النبي ﷺ إلى قيصر، وإسلام النجاشي.

---

(١) المرجع السابق (٢٨/ ٦٢١).
(٢) المرجع السابق (٢٨/ ٦١٢).
(٣) رواه أبو داود (٤/ ٤٨٠)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٢٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٦١) وصححه جمع من الأئمة منهم: ابن حجر، والسيوطي، والعراقي، والألباني. انظر في تخريجه وفقهه مجلة البيان، الأعداد (١ ـ ١٣).
(٤) المرجع السابق (٢٨/ ٦١٩).

• (وأنا ما غرضي الساعة إلا مخاطبتكم بالتي هي أحسن، والمعاونة على النظر في العلم، واتباع الحق، وفعل ما يجب، فإن كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديان. ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النصارى المقلدين، الذين لا يسمعون ولا يعقلون؛ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. وأصل ذلك أن تستعين بالله، وتسأله الهداية، وتقول: اللهم أرني الحق حقاً، وأعنِّي على اتباعه، وأرني الباطل باطلاً، وأعني على اجتنابه، ولا تجعله مشتبهاً علي فأتبع الهوى فأضل)[١]، وذكر له دعوات أخر.

٥ ـ الترهيب والزجر عن العدوان على المسلمين:

• (فيا أيها الملك: كيف تستحل سفك الدماء، وسبي الحريم، وأخذ الأموال بغير حجة من الله ورسوله. ثم أما يعلم الملك أن بديارنا من النصارى، أهل الذمة والأمان، ما لا يحصي عددهم إلا الله، ومعاملتنا فيهم معروفة. فكيف يعاملون أسرى المسلمين بهذه المعاملات التي لا يرضى بها ذو مروءة، ولا ذو دين؟! لست أقول عن الملك وأهل بيته ولا إخوته، فإن أبا العباس شاكر للملك ولأهل بيته كثيراً، معترفاً بما فعلوه معه من الخير، وإنما أقول عن عموم الرعية. أليس الأسرى في رعية الملك؟ أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والإحسان، فأين ذلك؟ ثم إن كثيراً منهم أخذوا غدراً، والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسات، فكيف تستحلون أن تستولوا على من أخذ غدراً؟! أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا، وتكونون مغدورين؟! والله ناصرهم ومعينهم؛ لا سيما في هذه الأوقات، والأمة قد امتدت للجهاد، واستعدت للجلاد. ورغب الصالحون وأولياء الرحمن في طاعته. وقد تولى الثغور الساحلية أمراء ذوو بأس شديد، وقد ظهر بعض أثرهم، وهم في ازدياد.

---

(١) المرجع السابق (٢٨/ ٦١٩).

ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية، الذي يغتالون الملوك في فرشها، وعلى أفراسها، من قد بلغ الملك خبرهم، قديماً وحديثاً. وفيهم الصالحون الذين لا يرد الله دعواتهم، ولا يخيب طلباتهم، الذين يغضب الرب لغضبهم، ويرضى لرضاهم)[1].

(وأما ما عندنا في أمر النصارى، وما يفعل الله بهم من إدالة المسلمين عليهم، وتسليطه عليهم: فهذا مما لا أخبر به، الملك؛ لئلا يضيق صدره. ولكن الذي أنصحه به، أن كل من أسلف إلى المسلمين خيراً، ومال إليهم، كانت عاقبته معهم حسنة، بحسب ما فعله من الخير، فإن الله يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، والذي أختم به الكتاب الوصية بالشيخ أبي العباس، وبغيره من الأسرى، والمساعدة لهم، والرفق بمن عندهم من أهل القرآن، والامتناع عن تغيير دين واحدٍ منهم. وسوف يرى الملك عاقبة ذلك كله)[2].

هذا منهج إمامٌ رباني، وعالم أمة، في مخاطبة أهل الكتاب، مقتفياً آثار نبي هذه الأمة ﷺ في دعوة الناس، كل الناس، إلى الخير، ودفع غائلة الشر عن المسلمين.

المثال الثالث: الشيخ رحمت الله الهندي والقس فندر:

عاث المنصرون الغربيون في بلاد الهند فساداً، متدرعين بحماية النفوذ الإنجليزي، المتمثل بشركة الهند الشرقية أولاً، ثم بالاستعمار العسكري السافر منذ عام (١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م) الذي أنهى حكم الإمبراطورية المغولية الإسلامية، التي دامت قرابة ثلاثة قرون ونصف: (٩٣٢ هـ - ١٢٧٤هـ، ١٥٢٦م - ١٨٥٧م).

---

(١) المرجع السابق (٢٨/ ٦٢٢ - ٦٢٣).

(٢) المرجع السابق (٢٨/ ٦٢٦).

وكان من أشد هؤلاء المنصرين خطراً، وأذلقهم لساناً، وأسحرهم بياناً، وأجرأهم على الطعن في الإسلام، وكتابه، ونبيه ﷺ، مع الحركة الدائبة في الخطابة والتأليف، المستشرق الأمريكي، الذي كان كاثوليكياً ثم تحول إلى البروتستانتية، القس فندر ـ أو بفندر ـ G.G. Pfander. وقد صنف هذا المنصر كتاباً جمع فيه ما تفرق في غيره من المطاعن والشبهات والتشكيك بدين الإسلام، أسماه «ميزان الحق»، ظل مرجعاً أساسياً لسائر المنصرين العاملين في أوساط المسلمين، بالإضافة إلى كتبٍ أخرى. وقد ترجم فندر (كتابه «ميزان الحق» من الفارسية إلى الأوردية، وزاد عليه ترجمة كتاب «طريق الحياة» و«مفتاح الأسرار». وبهذا أثار بفندر مجادلات شديدة مع علماء الإسلام في «دهلي» و«أكرا» و«لكنو»، وزلزل بذلك إيمان كثيرٍ من المسلمين، وإن يكن الذين تنصروا منهم قليلاً عددهم. وأعان المبشرين في هذه المجادلات المسلمون المتنصرون)[1].

وإضافة إلى النشاط الكتابي فقد (تزعم فندر الحملة التنصيرية داخل الهند، بإلقاء المواعظ والخطب، في الاجتماعات العامة، والمآتم والأفراح الإسلامية والهندوسية، والتهجم على العقائد غير النصرانية، وتقديم النصائح للمستمعين، بالإيمان بالمسيح الذي هو فداء للمصدقين به. وأن من يموت غير مصدقٍ بالمسيح يموت مملوءاً بالخطيئة[2].

وقد بلغت به الجرأة أنه كان يتخذ من درج الجامع الكبير بدلهي، قرب القلعة الحمراء، منصة لإلقاء خطبه من فوقها، بين العصر

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي أ.ل شاتليه. تلخيص وتعريب: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي. المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة. الطبعة الرابعة (١٣٩٨هـ) (٣٢).

(٢) مراد فندر بالإيمان بالمسيح: الإيمان بأنه إله وأحد أقانيم الثالوث وأنه ابن الله، كما يعتقد هو.

والمغرب، بل وكان يقوم تحت حراسة قوات الأمن الإنجليزية بتجميع الناس في الشوارع الرئيسية، والأسواق العامة المزدحمة، وإلزامهم بالوقوف والاستماع لخطبه ومواعظه. وكان من نشاطه القيام بجولاتٍ كثيرة في مختلف أنحاء الهند يعقد خلالها الندوات، ويلقي المحاضرات في كل مكان يحل فيه، طاعناً في عقيدة الإسلام، ومشككاً في القرآن الكريم، وفي رسول الإسلام ﷺ، وداعياً النصرانية، ومتحدياً علماء المسلمين علناً، مثيراً المجادلات الدينية معهم)[1].

فلما بلغ السيل الزبى، ودب الشك إلى ضعاف الإيمان، ولم يرتفع للحق صوت مدوي، انبرى له الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الله الكيرانوي العثماني، المولود عام ١٢٣٣هـ ـ ١٨٨٨م. وهو من أهل بيت علم ودين وفضل، ينتهي نسبهم المحفوظ إلى ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقصد محل إقامته في أكبر آباد «آكرا» في جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ مارس ١٨٥٤م، لمنازلته في مناظرة علنية على رؤوس الأشهاد، ولما لم يجده في بيته، وجه إليه كتاباً جاء فيه: (إني وصلت إلى هذا البلد لأمر ما، وحصل لي الفراغ من هذا الأمر، الذي كنت مشتغلاً فيه، وأريد أن أرجع إلى دهلي. وارتسم في قلبي إلى الآن بفضل الله بالأدلة القطعية، أن الكتب المقدسة منسوخة ومحرفة، وأن الدين الأحمدي حق، ارتساماً لا يخطر ببالي خلافه على سبيل الوهم الضعيف أيضاً. وطالعت مطالعة كثيرة في كتبكم، وكتبت جوابها أيضاً، ولكم توجه تام في رد الملة الإسلامية.. وأريد لأجل الأمور التي مر ذكرها أن أستفيد من تقريركم بحضور الأشخاص المعدودين من أهل العلم من المسلمين والمسيحيين، وأظهر مكنوناتي، ليحصل لكل من الحاضرين اطلاع على إفادتكم... فإن كان هذا الأمر

---

(١) مقدمة إظهار الحق. للدكتور محمد أحمد ملكاوي (٢٣).

مقبولاً عندكم فعينوا يوماً ومكاناً، ثم أخبروني لأقيم في هذا البلد إلى أن أفرغ من هذا الأمر، وإلا أرجع إلى دهلي، إذ لا مطلوب لي في الإقامة بهذا البلد. فأرجو من لطفكم تخبروني في جواب هذا المكتوب عن أحد الأمرين)[١].

ولعل الشيخ رحمه الله كان يخشى أن يتهرب فندر من المناظرة العلنية، فتفوت مصلحة فضحه على الملأ ـ، فلأجل هذا تلطف في العرض. وبالفعل فقد صدق ظن الشيخ، فأدرك فندر مراده، وأعرب عن ضيقه، ولكنه اضطر للقبول بشروطٍ فقال في جوابه: (ظهر من مكتوبكم أن مقصودكم المباحثة العلانية في مجمع الأشخاص من الفريقين هذه الطريقة وإن لم تكن عندي مفيدة إفادة كثيرة، لكني لست بخارجٍ عن إطاعة أمركم. أشاور أولاً في تعيين اليوم والوقت اثنين أو ثلاثة من أمراء الإنكليز، ثم أخبركم، وينعقد محفل المناظرة بعده. والمستحسن أن يراعى في هذه المباحثة هذه الأمور:

الأمر الأول: أن تكون المناظرة في النسخ والتحريف، كما استدعيتم.

والثاني: يتكلم في أمرٍ يكون مختار الطرفين.

والثالث: أن لا يذكر أمر خارجٌ عن المبحث في أثناء المناظرة.

والرابع: أن يكون واحدٌ حكماً يقال له: جرمن Chairman في عرف الإنكليز)[٢].

---

(١) وقائع المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمت الله الهندي والقسيس فندر الإنكليزي كتب محاضر جلساتها باللغة الأوردية: السيد عبد الله الهندي. وترجمها إلى العربية: رفاعي الخولي الكاتب. دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الجفان والجابي. ليماسول ـ قبرص. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م). (٩٥ ـ ٩٦).

(٢) المرجع السابق (٩٩ ـ ١٠٠).

وقد رد الشيخ بالقبول بشرطيه الأول والثالث، وطلب توضيحاً للثاني. وتحفظ على الرابع بحجة عدم رضى أحد من الطرفين بكون الحكم من ملة الآخر، (فلا ترتفع شبهة رعاية الحَكَم عن قلوب الخلق، سواء كان مسيحياً أو محمدياً، فأرى ألا يكون هذا الأمر مشروطاً)[١].

وبعد مداولات ومكاتبات بلغت تسعة مكاتيب من كل طرف، تمكن الشيخ ﷺ من التغلب على مماطلات فندر، وتحديد موعدٍ للمناظرة الكبرى، يومين متواليين؛ الاثنين والثلاثاء ١٢،١١ من رجب عام ١٢٧٠هـ ١١،١٠ أبريل عام ١٨٥٤م في مسائل أربع[٢]: النسخ والتحريف، وألوهية المسيح، والتثليث، ونبوة محمد ﷺ، ويتكرر اللقاء في كل أسبوع حتى يستوفى البحث.

وبالفعل تمت الجولة الأولى من المناظرة الكبرى في الموعد المذكور. وقد حضر يومها الأول زهاء ستمائة شخص من أكابر المسلمين والنصارى والهندوس. وحضرها في اليوم الثاني ما يزيد على ألف شخص. وتم تدوين وقائعها على يد السيد عبد الله أكبر آبادي الهندي، الذي يشغل منصب المترجم الثاني في دار الحكومة في أكبر آباد. وقد كشفت المناظرة عن واسع علم الشيخ واطلاعه على تاريخ العهدين القديم والجديد، ومواضع الخلل والتفاوت فيهما، وأظهرت قوة حجته، وإلزامه خصمه بالإلزامات الثقيلة، وكذلك مساعده الدكتور محمد وزير خان، مع الأدب الجم والمحافظة على السمت، والجدال

(١) المرجع السابق (١٠١).

(٢) هكذا ذكر كل من الشيخ، وفندر في مكتوبيهما الأخيرين، المرجع السابق (١٢١، ١٢٢). وذكر الدكتور ملكاوي أنها خمسة، بإضافة موضوع إعجاز القرآن، بناءً على ما ذكره الشيخ رحمت الله لاحقاً في خطبة إظهار الحق انظر: مقدمة إظهار الحق (٣٤)، وإظهار الحق (١/ ٦).

بالتي هي أحسن. كما فضحت هذه المناظرة عدو الله ورسوله «فندر»، وصاحبه القس «فرنج» حيث انقطعا، وسكتا عدة مرات، ولم يحيرا جواباً. وأقرا واعترفا بحصول التحريف في كتبهما الدينية، مع حصول قدر من الانفعال والتحكم المستهجن من جانبهما. ونقتطف جملاً مما جرى في ذلك اليومين المشهودين:

أ - في إثبات نسخ القرآن للإنجيل: (قال الفاضل النحرير[١]: إن قول المسيح في حق الحواريين في الباب العاشر من إنجيل متى هكذا «إلى طريق الأمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». وفي الباب الخامس عشر من إنجيل متى، وقع قوله في حق نفسه هكذا: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». فأقر بخصوص نبوته إلى بني إسرائيل. ووقع قولهم في خطابهم في الآية الخامسة عشرة من الباب السادس عشر من إنجيل مرقس، هكذا: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة». فالقول الثاني ناسخ للأول.

قال القسيس: إن المسيح نفسه نسخ الحكم الأول.

قال الفاضل النحرير: قد ثبت أن هذا القدر في كلام المسيح عليه السلام جائز، وإن نسخ هو بنفسه. وإذا ثبت قدرته على النسخ فأبوه[٢] أقدر، لأنه أعظم منه، على اعترافه في الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا، قول عيسى عليه السلام، هكذا: «إن أبي أعظم مني». وأهل الإسلام يقولون: إن أبا المسيح الذي هو أعظم منه بشهادته، نسخ أحكام الإنجيل بالقرآن. ولا يقولون: إن محمداً نسخها بنفسه.

---

(١) يقصد بهذا اللقب الشيخ رحمت الله.

(٢) وقع هذا على سبيل مجاراة الخصم على اصطلاحه، وليس إقراراً. فحاشاه سبحانه أن يكون أباً لأحد.

فلا بد أن لا يكون بعدها[١] في نسخ أحكام الإنجيل بالقرآن، وأن يكون تمسككم بقول المسيح: «أن السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول» باطلاً قطعاً)[٢].

ب ـ في مسألة التحريف: أورد الشيخ رحمت الله، وصاحبه الحكيم محمد وزير، على القس فندر وصاحبه فرنج، نماذج من تناقض الأناجيل واضطرابها، ثم: (قال القسيس: الغلط أمر والتحريف أمرٌ آخر.

قال الحكيم: إن كان الإنجيل كله إلهامياً، ولا مجال للغلط في الإلهام، فلا شك أنه يكون لسبب التحريف فيما بعد، وإن لم يكن إلهامياً يثبت مطلبٌ آخر: وهو أن هذا الإنجيل ليس بكتابٍ إلهامي على رأيكم أيضاً.

قال القسيس: إن التحريف لا يثبت إلا إذا ثبت أن عبارةً لا توجد في النسخ القديمة، وتوجد في النسخ الجديدة.

فأحال الحكيم إلى الآية السابعة والثامنة من الباب الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا.

قال القسيس: إن التحريف وقع ههنا، وكذا في موضعٍ أو موضعين آخرين...

ثم التفت القسيس فرنج إلى الحكيم، وقال له في لسان أوردو: إن القسيس فندر أيضاً يسلم أن التحريف قد وقع في سبعة أو ثمانية مواضع. فقال الفاضل قمر الإسلام، إمام الجامع الكبير في أكبر آباد، للكاتب خادم علي مهتم «مطلع الأخبار»[٣]: اكتبوا أن القسيس أقر

(١) يظهر أنه سقطت هنا كلمة، ربما تكون «شك» ليستقيم المعنى.
(٢) وقائع المناظرة (١٣٢ ـ ١٣٣).
(٣) أي مراسل صحيفة «مطلع الأخبار».

بالتحريف في سبعة أو ثمانية مواضع. قال القسيس بعد استماعه: نعم اكتبوا.

ثم قال: ما لزم النقصان في الكتب المقدسة، وإن وقع التحريف بهذا القدر. وقد اختلفت العبارات يقيناً بسهو الكاتبين.

قال الحكيم: إن اختلافات العبارة عند البعض مائة ألف وخمسون ألفاً. وعند البعض ثلاثون ألفاً. فمختاركم أي قولٍ من هذين القولين؟

قال القسيس فرنج: التحقيق أن هذه الاختلافات أربعون ألفاً...

ثم قال المفتي[1]: إذا كان اختلاف العبارات مسلماً عندكم، فإذا وجدت العباراتان مختلفتين فهل تقدرون أن تعينوا إحداهما، أن هذا كلام الله جزماً، أم لا؟

قال القسيس: لا نقدر أن نعين إحداهما جزماً.

قال المفتي: إن دعوى أهل الإسلام هذه، أن هذا المجموع الموجود المستعمل الآن من كتب العهدين ليس كله كلام الله جزماً. وقد ثبت بإقراركم هذا المعنى أيضاً.

قال القسيس: زاد على الوقت الموعود نصف ساعة. فتكون المباحثة غداً.

قال الفاضل المناظر النحرير: أقررتم بالتحريف في ثمانية مواضع. ونحن نثبته إن شاء الله في خمسين أو ستين موضعاً، بإقرار علماء المسيحية)[2].

وفي اليوم التالي لم يكن حظ هذين القسيسين المخذولين بأفضل من الأمس، بل زاد تعريهما وانكشافهما، حتى خرجا عن أصول آداب

---

(١) الحافظ رياض الدين.

(٢) وقائع المناظرة (١٤٥ ـ ١٤٧).

المناظرة الحرة - لا سيما فندر نفسه - إلى ضرب من التحكم والتعسف، وكأنما هي هذيانات محموم، أو حركات مذبوح، أو من يريد سد باب المناظرة. ففي آخر مناظرة اليوم الثاني كرر القول: (أجيبوني بالاختصار، أتسلمون المتن أم لا؟ فإن سلمتم تكون المباحثة في الأسبوع الآتي، لأنَّا لا نستدل في المباحثة الباقية إلا بالأدلة النقلية من هذا الكتاب، ونعلم أن العقل محكوم الكتاب. لا أن الكتاب محكوم العقل[١].

قال الفاضل: لما ثبت الزيادة والنقصان في هذه الكتب على اعترافكم أيضاً، وثبت التحريف فيها، صارت مشتبهة عندنا بهذا السبب، ولا نعتقد البتة أن الغلط لم يقع في المتن. فلا يصح لكم أن توردوا دليلاً من هذه الكتب علينا في المباحثة الآتية في مسألتي التثليث والبنوة، لأنه لا يكون حجة علينا)[٢].

وقبل أن ينفض الجمع، أعلن الشيخ رحمت الله قائلاً على سبيل التحدي: نحن حاضرون إلى شهرين للمباحثة، بلا عذر. إلا إن هذا الكتاب لا يكون حجة علينا، والدليل المنقول عنه لا يكون كافياً لإلزامنا؛ نعم إن كان عندكم دليلٌ آخر في مسألتي التثليث والبنوة فأوردوه)[٣].

ولكن فندر نكص على عقبيه، وحنق عليه أهل ملته، وخضد الله شوكته. وذفف عليه الشيخ بعدة مكاتيب بعد هذه الجولة من المناظرة،

---

(١) قد يأتي في النقل ما لا يستقيل العقل بإثباته، لكن يمتنع أن يأتي النقل الصحيح بما يحيله العقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات، كإحالة العقل الجمع بين التثليث والوحدة.

(٢) وقائع المناظرة (١٦٥).

(٣) وقائع المناظرة (١٦٦).

يستدرجه إلى مثلها[١]، ولكن الباغي حزم أمتعته ورحل عن الهند بكاملها، مذؤوماً مدحوراً، بعد المناظرة بمدةٍ يسيرة[٢]. ولكنه زور وقائع ما جرى ونشره، فانتدب السيد عبد الله أكبر آبادي إلى نشر محاضره ممهورة بتوثيق وتوقيع أعيان الحضور من قضاة ومفتين وأدباء وصحفيين، فعاد تزوير فندر وبالاً عليه. ثم إنه أعاد الكرة حين عينته الإرسالية الكنسية بلندن، في منصب المنصر الأول في القسطنطينية، عام ١٢٧٤هـ ـ ١٨٥٨م، فأوهم السلطان عبد العزيز، الخليفة العثماني أنه ناظر أحد علماء الهند الكبار وأفحمه، مما حمل السلطان على التحري عن الشيخ رحمت الله، والعثور عليه مجاوراً في البلد الحرام[٣]، فاستدعاه عام ١٢٨٠هـ واستخبره، ووقف على حقيقة الحال، وسر سروراً عظيماً، وطلب منه أن يدون تلك المناظرة. أما فندر فإنه لم يكد يسمع بقدوم الشيخ إلى إستانبول حتى بادر بالهرب.

وقد أدت هذه الفرية الأخيرة لفندر لدى السلطان إلى نتيجة علمية عظيمة؛ وهي تأليف كتاب «إظهار الحق» في أربعة مجلدات، بسط فيه

---

(١) انظر: نصوصها في المرجع السابق (١٦٨ ـ ١٩٤).

(٢) مقدمة إظهار الحق (٤٣).

(٣) كما شارك الشيخ رحمت الله الهندي ﷺ في جهاد النصارى بالحجة والبيان، شارك أيضاً بجهادهم بالسيف والسنان، فقاتلهم مع إخوانه من العلماء والمجاهدين عام ١٢٧٤هـ، مما حمل المستعمر الإنكليزي على طلبه، وتفتيش منطقة كرانه بيتاً بيتاً للقبض عليه وشنقه، ولكن الله سلم، وتمكن الشيخ من الفرار بدينه عبر البحر مهاجراً إلى مكة، مجاوراً بيت الله، فوصلها عام ١٢٧٨هـ، وبقي فيها حتى وفاته عام ١٣٠٨هـ، سوى فترة ذهابه لمقابلة السلطان عبد العزيز ١٢٨٠هـ، ثم السلطان عبد الحميد ١٢٩٩هـ، ١٣٠٤هـ. وقد أسس الشيخ في مكة المدرسة الشهيرة (المدرسة الصولتية) عام ١٢٩٠هـ، وصنف العديد من المؤلفات.
انظر ترجمته في مقدمة إظهار الحق للدكتور محمد ملكاوي (١٥ ـ ٢٢). ومقدمة وقائع المناظرة لبسام الجابي (٣ ـ ٣٥).

الشيخ الرد على المنصرين والمستشرقين، واستوفى الحديث على المسائل التي نكص فندر عن المناظرة فيها، لما ظهر خزيه وعجزه في الجولة الأولى. فجاء هذا السفر الجليل مرجعاً لأهل الإسلام في مجادلة أهل الكتاب. وقد رتبه ترتيباً بديعاً على أبوابٍ وفصولٍ ومقاصد. فكانت أبوابه:

- الباب الأول: في بيان كتب العهد العتيق والجديد.
- الباب الثاني: في إثبات التحريف.
- الباب الثالث: في إثبات النسخ.
- الباب الرابع: في إبطال التثليث.
- الباب الخامس: في إثبات كون القرآن كلام الله، ومعجزاً، ورفع شبهات القسيسين.
- الباب السادس: في إثبات نبوة محمد ﷺ، ودفع مطاعن القسيسين.

وقد تلقت الأمة الإسلامية هذا الكتاب بالقبول، فترجم إلى مختلف لغات المسلمين وطبع طبعاتٍ شتى[1]، ونفع الله به نفعاً عظيماً.

لقد كانت هذه الواقعة الإيمانية، التي جرت في فوعة الهجمة التنصيرية والاستعمارية على بلاد المسلمين في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، مثالاً يحتذى للسير على السنن الأولى والمجادلة بالحسنى. ورغم حال الضعف والاضطهاد التي كان يعانيها أهل الإسلام في تلك

---

(١) ومن أحسن طبعاته العربية، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بدراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي.

الحقبة العصيبة، إلا إنهم، أي أهل العلم والإيمان منهم، لم تفارقهم عزة الإيمان واليقين بظهور هذا الدين وعلوه، ولم يخامرهم أدنى خاطر ـ ولا على سبيل الوهم الضعيف، كما عبر الشيخ رحمت الله آنفاً ـ أن يسلكوا مع خصمهم المتنمر المتسلط مسلك المداهنة في الدين، والتقريب بين الأديان، والحوار الأعمى الضارب في التيه بلا خطام ولا زمام.

كما أن هذه التجربة الإيمانية حفزت كثيراً من المسلمين لمناظرة النصارى علانية، ودحض شبهاتهم، عن طريق التأليف، وأنعشت فيهم روح الجهاد بالكلمة والدعوة، وأرهبت عدو الله وعدوهم المتطاولين على دين المسلمين، وقرآنهم، ونبيهم ﷺ، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً. فلم يزل بحمد الله في هذه الأمة الخيّرة، والطائفة المنصورة من ينهد لمقارعة الحجة بالحجة، ودحض الشبهة، والمجادلة بالتي هي أحسن. ونشير في هذا المقام إشاراتٍ عابرة إلى بعض هذه المجاهدات في العصر الحاضر:

١ ـ المناظرة التي جرت بين نخبة من علماء المسلمين، وبعض القساوسة والمنصرين في الخرطوم في الفترة من ٢٣/١/١٤٠١هـ إلى ٢٩/١/١٤٠١هـ في مسائل التثليث والصلب والفداء والأبوة والبنوة. وقد أسفرت المناظرة عن إسلام هؤلاء القساوسة والمنصرين[1].

٢ ـ مناظرات الشيخ الداعية أحمد ديدات مع كبار القساوسة النصارى من أمثال: القس «جيمي سواجارت»، والقس الدكتور: «أنيس شروش» وغيرهما، في محافل مشهودة، ووقائع محفوظة بالوسائل

---

(١) وقد قامت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية في المملكة العربية السعودية بطبع محاضر هذه المناظرات ونتائجها في مجلدٍ فاخر بعنوان: (مناظرة بين الإسلام والنصرانية) عام ١٤٠٧هـ.

السمعية والبصرية، في حواضر العالم الغربي، وشاهدها عشرات الآلاف من البشر، ودونت في الكتب[1]، فكانت ـ بحمد الله ـ حجة على المغضوب عليهم والضالين، ونصراً وفرحاً وتأييداً للمؤمنين.

٣ ـ محاورات الدكتور عبد الله أحمد قادري الأهدل، في الدعوة إلى الله مع غير المسلمين. وهي محاورات شخصية مع أفرادٍ من ديانات شتى، تعتمد أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، للدخول في الإسلام[2].

كما يجدر التنبيه، بالمقابل على جداليات ليست من سبيل المؤمنين، ولا تمثل الإسلام وأهله في القديم والحديث، إما لكونها منحولة مزيفة، أو لكون الطرف الذي اتخذ ممثلاً للإسلام، من العصرانيين التقاربيين، الذين لا ينهجون منهج سلف الأمة.

ونشير أيضاً إلى ثلاثة أمثلة، اثنين تاريخيين، يكثر دعاة التقارب من النصارى العرب الاستشهاد بهما، ويردد صداهم ـ بغباء ـ دعاة التقريب من المسلمين، والثالث معاصر، وهي:

١ ـ الحوار المزعوم بين الجاثليق «طيموثاوس» من الكنيسة الشرقية، والخليفة العباسي «المهدي»، الذي تم بزعمهم سنة ٧٨١ م. وفيه يظهر الخليفة المهدي بصورة السائل الساذج، سطحي العلم، قصير النَّفس، سهل الانقياد للجاثليق، الواثق من معتقده، الثابت في موقفه، الذي لا يجامل ولا يداهن في إجاباته لمليكه، حتى حين يسأله عن نبيه

---

(١) انظر على سبيل المثال: المناظرة الحديثة بين الشيخ أحمد ديدات والقس سواجارت. ترجمة: جمال نادر. طبعة: دار الإسراء ـ عمان ـ عام ١٩٩٥م، مناظرة العصر. بين العلامة أحمد ديدات، والقس الدكتور: أنيس شروش. ترجمة على الجوهري. طبعة دار الفضيلة. القاهرة ١٩٩٢م.

(٢) انظر كتابه: حوارات مع أوروبيين غير مسلمين. طبعة الدار الشامية. بيروت، ودار القلم. دمشق ١٤١٠هـ.

محمد ﷺ يكتفي بالقول إنه «سلك في طريق الأنبياء»[١].

وقد حاول الأب سمير خليل[٢] توثيق النص، ضمن خطته الساعية لإبراز دور النصارى العرب في الحضارة الإسلامية، وقربهم من الخلفاء، والنفخ في صورتهم وتضخيم أثرهم. وحاشا خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، المهدي، الذي قال فيه الذهبي ﷺ: (كان.. قصّاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم)[٣] أن يُصغي لنصراني ضال، فضلاً عن أن يسائله مساءلة التلميذ الخفيض، ويقبل منه إنكار نبوة محمد ﷺ.

٢ ـ الرسالة المصنوعة، المعنونة بـ «رسالة الهاشمي إلى الكندي». وهي رسالة منسوبة إلى شخصٍ وهمي يدعى: عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، ويوصف بأنه ابن عم الخليفة الأموي! إلى صديقه النسطوري المسمى: عبد المسيح بن إسحاق الكندي، يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام، ويرد النصراني عليه.

ويحتفي نصارى العرب، من أمثال الأب يوسف درة الحداد بهذه الرسالة المزعومة، فيقول: (ولنا في الحوار الصحيح بين المسلمين والمسيحيين مثالاً رائعاً في «رسالة الهاشمي إلى الكندي»)[٤].

أما سر هذه الحفاوة فيرجع إلى كونها (تمتدح... أخلاق المسيحيين وسلوكهم، وكثرة علمهم وزهدهم، وتأخذ عليهم برفق تلك الاعتقادات التي لا يتناسب الإيمان بها، مع علمهم الغزير، وأخلاقهم الحميدة. أما المسلمون فتركز الرسالة ـ كما يركز الرد ـ على استخدام

---

(١) انظر مقالة: (التراث العربي المسيحي القديم والإسلام) للأب سمير خليل. في كتاب: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة (٨٧ ـ ٩٠، ٩٣ ـ ١٠٨).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٠١).

(٤) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي (٤٩).

السيف عندهم، وعلى مادية ولذائذ ومخاوف الجنة والنار، وصولاً للاستنتاج ـ وبرفقٍ أيضاً ـ أن هذه الأمور لا تتفق والأصل الإبراهيمي الذي يعتبره المسلمون جامعاً مشتركاً بينهم وبين المسيحيين. وهكذا لا يصح ـ وبطريقة مواربة أيضاً ـ اعتبار نبي الإسلام إبراهيمياً، كما لا يصح اعتبار الإسلام إكمالاً للمسيحية، فضلاً عن أن يكون ناسخاً لها)[١].

ولكن التزييف طغى إلى درجة لا تخفى، بحيث يستنتج قارئها رأساً أنها مصنوعة من كاتب نصراني، نظراً لهشاشة الرسالة، بحيث وضعها ليسهل عليه نقضها، واتخذ لكاتبها اسماً منحولاً بقصد إضفاء صبغةٍ واقعية على الحوار الموضوع[٢]. وحتى تاريخ تحريرها الموسوم بمطلع القرن الثالث الهجري، يرى الباحثون أنه مزيف، وأنها ترجع في الحقيقة إلى القرن الرابع الهجري[٣].

٣ ـ محاورات (نحو الجدال الأحسن)، التي عقدها مركز الدراسات المسيحية الإسلامية[٤] بجامعة البلمند بلبنان، التابع للطائفة الأرثذوكسية بين المطران جورج خضر، رئيس أساقفة جبل لبنان للروم الأرثوذكس، والدكتور محمود أيوب، من جامعة تمبل بولاية فلادلفيا الأمريكية. وهي عبارة عن مداهنات علنية، لا مناظرات ولا مجادلات،

---

(١) مقالة: التفكر الإسلامي في المسيحية ١. لرضوان السيد. في كتاب: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة (١٣).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي لعبد المجيد الشرفي. طبعة: الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٦م.

(٣) التفكر الإسلامي في المسيحية (١٢).

(٤) راجع التعريف بالمركز في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني.

فضلاً عن أن توصف بالحسن، بلْه الأحسن. إنها نمط من مناجاة دعاة التقريب من النصارى والإسلاميين العصرانيين المتحررين، إلا من العقلية الغربية. جرت على مدى ثلاثة أيام ٢٠، ٢١، ٢٢ مايو ١٩٩٦م، ونشرها المركز في كتاب عام ١٩٩٧م.

وقد لخص الأب الدكتور جورج مسّوح، مدير المركز، منحى كلٍ من طرفي الحوار بقوله: (ما طرحه الدكتور محمود أيوب يدور حول نقطتين أساسيتين، هما: «الشركة الإيمانية» و«التعددية الدينية» فقد دعا المحاضر إلى العمل من أجل «الشركة الإيمانية» بين المسيحيين والمسلمين. وهي شركة تتخطى فكرة التسامح المتبادل إلى ما هو أسمى. فتقوم أساساً على مبدأ الاستفادة المشتركة من الروحانيتين المسيحية والإسلامية، ذلك أنه يمكن المسيحي الاستفادة من التراث الروحي الإسلامي، ويمكن المسلم الاستفادة من التراث الروحي المسيحي، من دون أن يضطر أي منهما إلى إجحاد دينه[(١)]. كما دعا إلى قبول «التعددية الدينية» كنتيجة لـ «الحكمة الإلهية»، ذلك أن الله نفسه يرضى بهذه التعددية[(٢)]، ومن الخطأ القول «إن التعددية عمل من

---

(١) قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ [الفاتحة] ومحمود أيوب هذا معروف بنزعته الصوفية الغالية، كما يتضح من محاضرته في مؤتمر: الإصغاء إلى كلمة الله، بعنوان: (الكلمة والطريق. بحث الإنسان عن الله في التصوف الإسلامي) انظر كتاب: الإصغاء إلى كلام الله في المسيحية والإسلام (٢٠١ ـ ٢٢١).

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهذه الدعوى التي يرددها العصرانيون من جراء خلطهم الأعمى بين الشرع والقدر، فيسلكون مسلك الجبرية، وضلال الصوفية. راجع مبحث: (الإسلاميون العصرانيون) في الفصل الثالث من الباب الأول.

أعمال الشيطان». لا ريب أن طرح الدكتور أيوب في ما يخص «الشركة الإيمانية»، و«التعددية الدينية»، قد سجل فتحاً جديداً في تاريخ العلاقات الإسلامية ـ المسيحية.

أما المطران جورج خضر فشدد على مبدأ المعرفة الحقيقية المبنية على المصادر الرئيسية للعقائد الإسلامية والمسيحية. ذلك أن المعرفة الحقيقية هي وحدها التي تؤدي إلى الحوار الحقيقي. ودعا إلى احترام الحرية الدينية، وإرادة الإنسان في اختيار الإيمان الذي يتناسب واقتناعه. كما طرح المطران خضر مشكلة العلاقة في المسيحية والإسلام بين الإلهي والزمني، والتقائهما في التاريخ، معدداً أمثلةً على ذلك كتجسد المسيح، واجتماع الطبيعتين الإلهية والإنسانية في شخصه، وارتباط نزول القرآن بحياة نبي الإسلام)[١].

فشتان بين الرجلين! رجلٌ هان عليه دينه الذي يُنسب إليه، فطفق يتقرب إلى النصارى مبتغياً إبرام شراكة روحانية معهم، مسبغاً الصفة الشرعية على التعددية الدينية، دون أن يطالب بشيء لدينه، ولو على سبيل المقايضة التي تحفظ له ماء وجهه، وإن كان لا يملك ذلك، فالدين لله، ورجلٌ استغل هوان صاحبه فجعل يقرر معتقده الشركي الكفري بتأليه المسيح وتجسده، ويحجر عقائد الإسلام وشرائعه، ودلالات القرآن بالعصر النبوي فقط. وكل ذلك يتم باسم (الجدال الأحسن).

وهذا اللون من الحوار، وإن سموه «جدالاً بالتي هي أحسن»،

(١) نحو الجدال الأحسن. محاورات إسلامية مسيحية. المطران: جورج خضر، الدكتور: محمود أيوب. تحقيق: جورج مسوح، وكاترين سرور. مركز الدراسات المسيحية الإسلامية. جامعة البلمند ـ لبنان. المطبعة الكاثوليكية ـ عاريا. الطبعة الأولى (١٩٩٧م) (٦، ٧).

هو ما يريده النصارى من وراء إنشاء مراكز الدراسات المشتركة، وهو ما عبر عنه مدير المركز، الآنف الذكر، الأب «جورج مسّوح» حين قال: (ومن غرائب الأمور أن يحكى عن الحوار الإسلامي المسيحي، أي الحوار بين ديانتين، أي بين عقيدتين. والموضوعات التي قلما تطرح هي الأمور اللاهوتية العقائدية. فالكلام حالياً في موضوعات عقائدية مسيحية كالثالوث، وصيرورة الله إنساناً في شخص يسوع المسيح «أو عيسى ابن مريم»، وكيفية تقبل المسلمين هذه العقائد المسيحية، لأمر لا يُتطرق إليه إلا عرضاً)[1].

فلا غرابة حينئذٍ أن يعد مسّوح طرح محمود أيوب فتحاً جديداً. وإنما الغريب كل الغرابة أن يجرؤ النصارى على المطالبة بالحوار العقدي، على تهافت عقائدهم واضطرابها، بينما يؤكد دعاة التقريب بين الأديان من الإسلاميين في كل وادٍ وناد على ضرورة اجتناب البحث في مسائل الاعتقاد، وهم ـ لو فقهوا ـ أسعد الناس بهذا الباب!!

أما المتبعون سبيل المؤمنين، فمستمسكون بالحجة، سائرون على المحجة لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي وعد الله. والله لا يخلف الميعاد.



(١) ملحق جريدة النهار البيروتية ١٠مايو ١٩٩٧م (محطات الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان).

الخاتمة

وتتضمن :

- أولاً: نتائج البحث.
- ثانياً: التوصيات.

أولاً: النتائج

١ ـ دين الله واحدٌ من لدن آدم إلى محمدٍ ﷺ، وهو الإسلام بمعناه العام، الذي هو الاستسلام لله بالطاعة، وإفراده بالعبادة، والخلوص من الشرك.

وهذا هو المعنى الوحيد الصحيح لـ «وحدة الأديان». أما الشرائع الإلهية فمتعددة.

٢ ـ أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد رغبوا عن ملة إبراهيم، وفارقوا الدين الحق الذي جاءت به أنبياؤهم، وحرفوا كتب الله المنزلة عليهم؛ بالزيادة والنقصان، والتحريف اللفظي والمعنوي. فاليهودية تقوم على «توراة عزرا»، و«تلمود الحاخامات». والنصرانية تقوم على «الأناجيل المحرفة»، و«رسائل بولس» الذي أدخل عليها التثليث، وتأليه المسيح، وبنوته، وسائر البدع العقدية والعملية، وأبطل الشريعة، وقد آلوا جميعاً إلى جملةٍ من الأوضاع الشركية، والرسوم البدعية، والأخلاق الذميمة.

٣ ـ أن الإسلام بمعناه الخاص، هو ما بعث الله به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق، وأنزل به كتابه وكلامه؛ «القرآن»، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه. فنسخ الله بالإسلام جميع الأديان السابقة، وختم بنبيه النبوات، وأرسله للناس كافة، فلا يقبل الله ديناً سواه، ولا يتعبد لله بعبادةٍ سوى ما شرع على لسان نبيه الخاتم ﷺ.

٤ ـ أن من آمن من أهل الكتاب بمحمدٍ ﷺ واتبعه، آتاه الله أجره مرتين، ومن أصر على دينه، فهو كافر مشرك ضال فاسق،

محكوم عليه باللعن والغضب، والخلود بالنار. ولا يحل لأهل الإسلام موادة أهل الكتاب واتخاذهم بطانةً من دون المؤمنين، ولا التشبه بهم في شيءٍ مما يختصون به، من العقائد والعبادات والعادات. ويتعين على أهل الإسلام، ـ عند القدرة ـ جعل الدين كله لله بدعوتهم إلى الإسلام، أو بذلهم الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، أو قتالهم، إظهاراً لدين الله، وتمييزاً لأوليائه من أعدائه. ومع ذلك فلا يجوز إكراههم على اعتناق الإسلام، وتحرم أذية ذميهم ومعاهدهم ومستأمنهم. ولا يجوز ظلمهم وخفر ذمتهم، ويجب الوفاء بعهدهم وعقدهم، واستعمال العدل معهم. ويشرع الإحسان إليهم بالقول والعمل؛ من هدية وعطية وزيارة وعيادة ونحوها، لا سيما إذا قارنها نية تأليف قلوبهم على الإسلام. ويحل طعامهم المذكى، ونساؤهم المحصنات. وسر ذلك: التفريق بين قاعدة حفظ الدين وتميز المسلمين، المقتضية تحريم موالاتهم وموادتهم والتشبه بهم، وقاعدة العدل والإحسان، المقتضية جواز برهم، وحفظ حقوقهم، ومنع ظلمهم. ومن لم يدرك الفرق وقع في الغلط من إحدى الجهتين.

٥ ـ كان النصارى أقرب مودة للذين آمنوا، فاعتنق كثير منهم الإسلام. وكان اليهود أشد عداوة للذين آمنوا، فاستكبروا عن قبول الإسلام، وجحدوا نبوة محمد ﷺ، وكادوا له المكائد. واستنكفت الزعامات الدينية والسياسية لأهل الكتاب عن توقيع البشارات الواضحة المذكورة في كتبهم بمبعث محمد ﷺ عليه، ضناً بملكهم ورياستهم. وأكَل كثيرٌ من الأحبار والرهبان أموال الناس بالباطل، وصدوا عن سبيل الله.

٦ ـ اتسم تاريخ العلاقات الإسلامية ـ الكتابية، وخاصة مع النصارى، لكون الملك في أيديهم، بالعداء، والجهاد المستمر، الذي كان فتحاً مبيناً في القرون الفاضلة الأولى، وسجالاً في العصور

الوسيطة، وانحساراً في العصور الحديثة، مع بعض الشذوذات التي لا تلغي القاعدة. وكان النصر والتمكين متناسباً تناسباً طردياً مع التزام المسلمين بدينهم، وأخذهم بأسباب القوة المعنوية والمادية، عبر مراحل تاريخية متمايزة، دون أن تشهد على الإطلاق أي لونٍ من «الوفاق الديني»، أو «التقارب العقدي». إنْ هي إلا المفاوضات، والعهود، والصلح المؤقت. وستظل هذه السمة باقية، والجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة، كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة.

٧ ـ خلا التاريخ اليهودي من وجود بذور لفكرة التقريب بين الأديان، لما طبع عليه اليهود من الكبر وازدراء الآخرين، واعتقادهم أنهم شعب الله المختار. ولكنهم دعوا إلى هذه الفكرة من خلال الحركة الماسونية، المتفرعة من الشجرة اليهودية الخبيثة، بهدف حلحلة الروابط الدينية الأخرى، وهدم الأديان سوى اليهودية.

وقد ظل التراث النصراني ينضح بالحقد والتشويه والتضليل، لا الموضوعية، فضلاً عن المقاربة، تجاه الإسلام حتى قيام الحملات الصليبية المتتابعة منذ ٤٩٠هـ ـ ١٠٩٦م، حيث قارنه أسلوب المجادلة العقلية وإثارة الشبهات، ثم التنصير. وإثر سقوط القسطنطينية عام ٨٥٧هـ، ١٤٥٣م، نشأت محاولات لفهم الإسلام بعيداً عن الموروث الكنسي المضلّل. وتخلل ذلك ظهور كتابات متفرقة تصوِّب التدين بجميع صوره، وتدعو إلى التقارب مع الإسلام، بلغت ذروتها على يد فلاديمير سولوفيوف (١٨٥٣ ـ ١٩٠٠م)، ولويس ماسينيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م)، الذي حاول أن يقيم جسراً بين الإسلام والنصرانية، من خلال التصوف الحلولي، عَبَر على متنه دعاة التقريب فيما بعد.

وفي حواشي التاريخ الإسلامي نبتت نوابت شاذة، خارجة عن الإسلام سوغت وحدة الأديان، تمثلت في غلاة الصوفية أرباب القول بوحدة الوجود، والفرق الباطنية السرية كإخوان الصفا، ثم تسللت إلى

الفرق الباطنية اللاحقة، كالبهائية، حتى تحمَّل فكرة التقريب بين الأديان آخر القرن الثالث عشر الهجري، مؤسس المدرسة العصرانية الحديثة جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٥هـ)، وتلميذه محمد عبده التركماني (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ)، بمعاونة نفرٍ من النصارى الإنجليز، والرافضة.

٨ ـ خرجت دعوة التقريب بين الأديان من حيز الكمون إلى الاستعلان، ومن نطاق الفكرة إلى التنفيذ، في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، من خلال مؤتمراتٍ إسلامية ـ نصرانية متفرقة. ثم أطلق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م) الفكرة من عقالها، وفتح الباب للنصارى على مصراعيه للتقارب مع المسلمين وغيرهم، بالتخلي عن عقيدتهم العتيدة «لا خلاص خارج الكنيسة»، وإعلان أن «الخلاص» يمكن أن يشمل سواهم، وخاصة المسلمين. ودعا إلى التقارب مع المسلمين واليهود، ونسيان الماضي، والتفاهم، والتعاون.

٩ ـ تتدرج حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث عبر ثلاثة مستويات:

أ ـ التقريب دون التوفيق أو التلفيق، بأن يبقى لكل دين خصائصه العقدية والتعبدية المميزة، لكن مع اعتقاد إيمان الآخرين، واحترام عقائدهم وشعائرهم، والدعوة للتعرف عليهم، وإبراز أوجه التشابه والاتفاق، وإقصاء أوجه الاختلاف والافتراق، وتحاشي البحث في مسائل الاعتقاد، والاعتذار عن أخطاء الماضي، والتعاون على تحقيق القيم المشتركة، وإشاعة المحبة والمودة والمجاملات الدينية. وهذا الاتجاه هو السائد، وتمثله قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني.

ب ـ وحدة الأديان: باعتقاد صواب جميع صور التدين، وانتمائها إلى حقيقة واحدة، وإن تنوعت مظاهر العبادة. فهذه المرتبة تستلزم

المرتبة السابقة، وتزيد عليها الدعوة إلى التخفف من الخصائص العقدية والتشريعية، في سبيل الانضواء تحت وحدة صغرى كالإبراهيمية، أو كبرى كالإنسانية. ويمثل هذا الاتجاه محاولات المفكر الفرنسي روجيه جارودي.

ج ـ توحيد الأديان: بجعل الدين واحداً، إما بالالتقاطية التي تستمد عناصر الدين الجديد من مصادر شتى، كما هو الحال في «المونية»، أو بالسعي لاجتذاب الآخرين نحو عقيدة معينة لأحد الأديان، كمحاولات جماعة «كريسلام»، الرامية إلى التوحد حول «تأليه المسيح».

ولا ريب أن الصورة الوحيدة الصحيحة لتوحيد الأديان، أن يتحد أتباع جميع الأديان والملل والنحل على الدين الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ، دين الإسلام، الذي لا يقبل الله ديناً سواه.

١٠ ـ مصطلح «الحوار»، قد يراد به (حوار التقريب) بين الأديان، وقد يراد به (حوار التعايش) بين أتباع الأديان، لتحقيق مصالح مشتركة من أمور المعاش. فهو بالمعنى الأول مذموم مطلقاً، وبالمعنى الثاني يخضع للسياسة الشرعية للأمة.

١١ ـ نشأت دعوة التقريب بين الأديان في العصر الحديث، وترعرعت في حجر النصارى الغربيين، على اختلاف طوائفهم. وانطلقت المبادرات الأولى من المرجعيتين الكبريين لنصارى العالم: الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي، وذلك لبواعث شتى: تنصيرية، وعالمية، وسياسية، ولصد المد الإسلامي أمام العالم المفتوح في أعقاب الحربين العالميتين. وأسس كل منهما دائرة مستقلةً للحوار مع غير النصارى.

وقد دار في أروقة الفاتيكان، واجتماعات الجمعية العمومية

لمجلس الكنائس العالمي جدلٌ عميق، حول معضلة الجمع بين الحوار والبشارة، انعكس على فاعلية واتجاه حركة التقريب. ويمكن تمييز مراحل ثلاث في موقف النصارىٰ من حوار التقريب:

أ ـ مرحلة تجربة الحوار: وقد سادت منذ نهاية المجمع الفاتيكاني الثاني حتى أواخر السبعينيات الميلادية، وكانت متأثرة بقرارات المجمع التقاربية، وشخصية البابا بولس السادس، وسيادة الاتجاه الاشتمالي الاحتوائي في مجلس الكنائس العالمي. وامتازت بعقد العديد من المؤتمرات العالمية والإقليمية، وإعداد الدراسات.

ب ـ مرحلة تقويم الحوار: وقد امتدت من أواخر السبعينيات إلى أواسط الثمانينيات الميلادية، وانحسرت فيها مؤتمرات الحوار بشكل ملحوظ.

ج ـ مرحلة البشارة من خلال الحوار: وقد أعقبت المرحلة السابقة، بعد أن تغلب التيار المحافظ في الكنيسة الكاثوليكية، والتيار الحصري الضيق في مجلس الكنائس العالمي، الداعيان إلى تدعيم التنصير، واستغلال الحوار للأغراض التنصيرية. وقد واكب ذلك تسنم البابا يوحنا بولس الثاني سدة البابوية، وقيامه بنشاطٍ دؤوب في تعزيز مكانة الكنيسة في شتى أرجاء العالم، مع الحفاظ على شعار الحوار إعلامياً.

١٢ ـ تأخرت دعوة التقريب بين الأديان لدى النصارى العرب، من أتباع الكنائس الشرقية، والاتحادية الغربية، إلى ما بعد انتهاء الحرب اللبنانية، باستثناء شواهد قليلة، وظلت مفتقَدة بالنسبة لأكبر طائفة نصرانية في البلاد العربية، القبط. وركزت محاولات النصارى العرب، لبواعث أمنية واجتماعية، على قضيتين: هما:

■ محاولة إثبات أن النصارى المذمومين في القرآن، فرقة

منقرضة، وأن أحكام الكفر لا تطالهم، ومحاولة فلسفة عقيدة التثليث والبنوة بما يرفع عنهم وصمتها.

■ حوار التعايش، وتحقيق مكاسب اجتماعية، وحريات دينية، والقيام بدور الوسيط في الحوار الإسلامي ـ النصراني مع الغرب، تعويضاً عن الفراغ الناجم عن تراجع القومية العربية.

١٣ ـ تتناقض فكرة التقريب بين الأديان مع اليهودية الأرثذوكسية بشقيها: التقليدي العنصري، والأصولي السياسي في إسرائيل. وتتقبلها اليهودية الإصلاحية في دول الشتات، لبواعث مصلحية بحتة: اجتماعية، وسياسية، كما في الولايات المتحدة الأمريكية.

١٤ ـ نشأت محاولات محلية واسعة، في العديد من مناطق العالم التي تقطنها جماعات دينية متنوعة، للتقريب بينها، وإشاعة المبادىء الفكرية التي نادت بها دعوة التقريب بين الأديان، إما لتخفيف حدة التوتر والعنف الطائفي، كما في لبنان، والسودان، والفلبين، أو لتحقيق مكاسب تنصيرية كما في شبه القارة الهندية (الهند، باكستان، بنجلاديش، بالإضافة إلى سيريلانكا)، وأرخبيل الملايو (ماليزيا وأندونيسيا)، أو لاستيعاب المهاجرين الجدد من المسلمين، ودمجهم في المجتمعات النصرانية المضيفة، كما في أوروبا وأمريكا. وتشرف على هذه المحاولات المحلية جهات حكومية وأهلية ودينية.

١٥ ـ استجاب لدعوة التقريب بين الأديان نفر من المسلمين ذوي الثقافة العصرانية، المتحررين من ضوابط العقيدة الإسلامية، فضاهئوا النصارى، ومالئوهم وداهنوهم، وأقروا لهم ـ غالباً ـ بوصف الإيمان، ورددوا أصداء قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني. وقد أعوزهم ذلك إلى اعتساف الأدلة، وتأويل الثوابت العقدية، وليّ أعناق النصوص، إما لبواعث انهزامية أمام الاتجاهات الفكرية الحديثة، أو لبواعث قومية وطنية مراعاة للنصارى العرب، أو بدعوى مواجهة الإلحاد، أو حتى لمجابهة إسرائيل.

١٦ ـ برزت محاولاتٌ فردية متميزة في العصر الحديث، لتعزيز فكرة التقريب بين الأديان والدعوة إليها، جمعت بين الجانب التنظيري، والنشاط العملي، منها:

أ ـ محاولات المفكر الفرنسي روجيه جارودي، الذي زعم الانتساب إلى الإسلام، ثم نادى بتاريخية الشريعة الإسلامية، وما تقوم عليه من آياتٍ قرآنية، وأحاديث نبوية، وهاجم علماء الإسلام، ودعا المسلمين إلى الانخراط أولاً في «الإبراهيمية» مع اليهود والنصارى، ثم إلى «الإنسانية» ثانياً، مع سائر ملل الملاحدة والوثنيين، وابتدع قراءة شاذة للتاريخ الإسلامي وتقويم أعلامه، ومشروعاً مستقبلياً للتحلل من الإسلام عقيدة وشريعة. وبذل في سبيل ذلك جهوداً فكرية وعملية.

ب ـ محاولات الأب الأسباني، المنصر في جماعة الآباء البيض، آميليو غاليندو، مؤسس مجموعة كريسلام، الذي يسعى لجعل الإيمان بألوهية المسيح محوراً لالتقاء الأديان.

ج ـ محاولات المتنبىء الكذاب المليونير الكوري صن مون، الداعي إلى انخراط الأديان تحت دعوته، والذي ينفق نفقاتٍ باهظة على عقد المؤتمرات العالمية لتوحيد الأديان.

د ـ محاولات الشيخ أحمد كفتارو العلنية للتقارب مع النصرانية خاصة، والملل الأخرى عامة، تحت مسمى «الروحانية»، والقيام بالرحلات والكتابات في هذا السبيل.

١٧ ـ دلت النصوص الشرعية القاطعة على بطلان «دعوة التقريب بين الأديان»، لأن دين الله واحد هو الإسلام الذي ابتعث الله به محمداً ﷺ، وما سواه إما باطلٌ أو منسوخ. فمن رام التقريب بينه وبين غيره، فقد رغب عن ملة إبراهيم، وابتغى ديناً غير دين الإسلام، وطعن في صدق محمدٍ ﷺ وعموم رسالته، وأنكر هيمنة القرآن على الكتب

السابقة، ونسخه لأحكامها، وخالف إجماع المسلمين، واتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، ووالى أعداء الدين، واتبع أهواءهم، وسقط في الفتنة عن بعض ما أنزل الله، وداهن في دين الله، ولبّس الحق بالباطل، ووقع في الصد عن سبيل الله. وكلها لوازم لا محيد لدعاة التقريب عنها. وفسادها معلومٌ من الدين بالضرورة. وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، وبطلان الفرع يعود على الأصل بالإبطال.

١٨ ـ دل الواقع العملي المشاهد، خلال فوعة دعوة التقريب بين الأديان في العقود الأربعة المنصرمة على ظهور بعض النتائج والآثار الملموسة، الناجمة عن تجربة التقريب، كالتسوية بين كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن، والكتب المحرفة المنسوبة إلى أنبياء الله، التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم، ووصفها جميعاً بـ «مقدسة» و«سماوية» و«كلام الله». وكذلك التسوية بين بيوت الذكر والرحمة؛ المساجد، وبيوت العذاب والشرك، من معابد اليهود والنصارى والمشركين، ومشاركتهم في صلواتهم، واحتفالاتهم الدينية والفكرية، وإقامة المؤسسات البحثية المشتركة بين الأديان، بغرض تنقية المناهج الدراسية، والوسائل الإعلامية من النقد المتبادل، ورفع الأحكام العقدية والشرعية في شأن أهل الكتاب، واستلال اعترافات صريحة وضمنية من نظرائهم المسلمين على صحة دينهم وكتبهم، وإعادة عرض الإسلام بصورة مشوهة خداج، كالتصوف الباطني. ومع ذلك كله، لم يحد النصارى قيد أنملة عن معتقداتهم، فلم ينتهوا عن قولهم «ثلاثة»، ولا عن غلوهم في الدين، وأصروا على إنكار نبوة محمدٍ ﷺ، وعلى المضي في تضليل الخلق بما يسمونه «التبشير»، مستغلين الفاقة المعيشية، والصحية، والأمنية، لكثير من شعوب العالم الثالث ـ وغالبيتهم مسلمون ـ ولتحقيق مكاسب جديدة، ومواطىء أقدام لمنصريهم، وإقامة كنائسهم، تحت شعار التقارب والحوار والتسامح.

وفي الوقت ذاته لا يكفون عن موالاة بعضهم بعضاً وموالاة اليهود والمشركين على الظلم والعدوان ضد المسلمين، وإحياء مطامعهم القديمة في القدس. وكل هذه الآثار والنتائج الواقعية، ثمار فجة لدعوة التقريب، شواهدها ماثلة لا يمكن إنكارها.

١٩ ـ (إن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب. وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان. وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمةٌ قطعاً، بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآنٍ وسنةٍ وإجماع..

وتأسيساً على ما تقدم: فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، الدعوةَ إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها)[1].

٢٠ ـ إن المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب هو دعوتهم إلى سبيل الله المتضمن:

أ ـ تحقيق توحيد العبادة، ونبذ الشرك بجميع صوره. وهذا هو المراد بـ: «كلمة سواء».

ب ـ ترك الغلو في الدين، والقول على الله بغير الحق، من التثليث، وتأليه المسيح، ودعوى بنوة المسيح وعزير لله تعالى، وتعظيم الصور والتماثيل... الخ.

ج ـ الإيمان بنبوة محمد ﷺ واتباعه.

---

(١) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية رقم (١٩٤٠٢) في ٢٥/١/١٤١٨هـ انظر: النص الكامل في قسم الملاحق رقم (١).

د ـ الإيمان بالقرآن، ونسخه لما سبقه من الكتب.

أما أسلوب هذه الدعوة فيقوم على ثلاثة أوصاف: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما جاءت مبينة في القرآن، وفي هدي رسول الله ﷺ.

وأما وسائل ذلك فمتعددة، وأشرفها الوسائل النبوية التي دلت عليها سيرته العطرة، كغشيانهم في محافلهم ومناسباتهم، لدعوتهم دعوةً صريحةً مباشرة إلى الإسلام، واستدعائهم إلى دار الإسلام لهذا الغرض، ومكاتبة زعمائهم الدينيين وغيرهم، واستقبال وفودهم استقبالاً حسناً لدعوتهم ومحاجتهم، وجهادهم بالسيف حتىٰ يقبلوا الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

وفي عمل الأمة الإسلامية عبر القرون، وطريقة السلف الصالح، ترجمة لهذه المقاصد الإيمانية، والوسائل الشرعية، وبيان لسبيل المؤمنين، والصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.



ثانياً: التوصيات

ليس من لازم النتائج السابقة، القاضية ببطلان دعوة التقريب بين الأديان، منع اقتراب المسلمين من غيرهم، وقطع خطوط التواصل مع مختلف أمم الأرض، وانكماشهم وتقوقعهم، بل إبطال هذا المسلك البدعي المتشابه، والعودة إلى المنهج الشرعي المحكم، الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

والأصل في الأمة الإسلامية، كما دلت الآية السابقة، وغيرها من النصوص الشرعية، وكما نطق بذلك التاريخ العملي لحركة الدعوة والجهاد في سبيل الله، أن تأخذ بزمام المبادرة، وتبادىء الناس بمشروعها الإيماني الرباني في إقامة بناء الدنيا على قواعد الدين، وتعبيد الناس لرب العالمين، وتحريرهم من رق الهوى وعبودية الشياطين. وحيث قد آلت حال الأمة في العصور الأخيرة إلى ضربٍ من التخلف والضعف والتبعية لغير المسلمين، في العديد من مناحي الحياة، واستلمت دفة التوجيه والتأثير والمبادرة تيارات الضلال العقدي والمسلكي، تغرق البشرية بأمواج الشبهات والشهوات، كان لا بد لأهل الإسلام، وحملة الدين من العمل على صعيدين:

• **أحدهما:** مواجهة هذه التيارات، ودفعها بالنقد الرصين البناء، المؤسس على الأصول العقدية الصحيحة، وكشف عوارها، وبيان خطرها على مسيرة الأمة.

• **والثاني**: الاشتغال بالبناء الذاتي، والإعداد الصحيح لجميع مناحي القوة المستطاعة، وأعظمها القوة الإيمانية، التي تستدعي وتقتضي بقية المناحي.

وحين هجمت «دعوة التقريب بين الأديان» على الأمة الإسلامية في حملتها العنيفة في العقود الأربعة المنصرمة، اضطربت مواقف، وتزلزلت قلوب، وهاجت أقلام، واهتزت منابر، بما يُعرف وما لا يعرف. وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وثبتهم بالقول الثابت، فلا يمكن القول ـ بحمد الله ـ أن الأمة بمجموعها، ولا بأكثرها، قد رضيت بهذه الدعوة واطمأنت إليها، بل السواد الأعظم باقون على الفطرة القويمة، في النفرة من دعاوى التقريب واستهجانها. فهذه الأمة أمة مهدية، منصورة، مرحومة، حرية بكل خير، قريبةٌ من كل رشد، لا تجتمع على ضلالة.

وعلى أساس هذه الدراسة النقدية لدعوة التقريب بين الأديان في ضوء العقيدة الإسلامية يتقدم المؤلف بهذه التوصيات، مستنيراً بالمنهج الشرعي الذي سبق تقريره في الباب الثالث.

١ـ عقد المؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية للدعوة إلى كلمة سواء:

■ امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

■ وتأسياً بهديه ﷺ في مخاطبة أهل الكتاب مشافهةً؛ بالجدال والمحاجة والمناظرة، ومكاتبةً لعظماء أهل الملل.

■ واستغلالاً للفرصة النادرة، والإمكانات المتاحة في كثيرٍ من الدول الغربية، التي تسودها أنظمة ديموقراطية، تسمح بحرية التعبير عن

الرأي، ومخاطبة الجمهور بالوسائل الأدبية اللائقة، دون إثارةٍ أو اعتداء. وأسعد الناس بذلك هم المسلمون المتأدبون بآداب الدعوة إلى الله، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

فينبغي للهيئات الإسلامية الموثوقة، أن تسعى في هذا السبيل القاصد، والمحجة البيضاء، وألا تضيع جهودها وإمكاناتها، وجهود العاملين معها، فيما لا طائل من ورائه، أو ما فائدته قليلة، بجنب مشاريع الدعوة الإسلامية الصريحة.

وقد جاء في توصيات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة عام ١٣٩٦هـ، البند الثامن عشر، تحت عنوان: «المؤتمر الإسلامي»، ما يلي: (يوصي المجلس أن تقوم الرابطة بعقد مؤتمر يسمى «المؤتمر الإسلامي»، الغرض منه دعوة غير المسلمين إلى كلمة سواء بيننا وبينهم بالمجادلة والموعظة الحسنة. على أن تفتح لهم الأبواب لمعرفة الإسلام، وتدعى لحضور هذا المؤتمر الأديان الأخرى)[١].

كما أن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي قد اقترحت في مجال «الحوار بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى» ما يلي:

(١ ـ إنشاء هيئة خاصة تضم العلماء المتخصصين في الحوار مع النصارى وغيرهم من الأديان الأخرى.

٢ ـ الإكثار من عقد ندوات إسلامية، يدعى إليها هؤلاء النصارى واليهود، ويكون ذلك بمبادرة من جهاتٍ إسلامية معروفة)[٢].

إن الأخذ بهذه التوصيات والمقترحات، كفيل بإذن الله أن يقدم

(١) محضر قرارات وتوصيات الدورة الثامنة عشر. بند (١٨).
(٢) من تقرير صادر عن الأمانة العامة للرابطة: (٢) الحوار بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى (٣٤٧).

التعريف الصحيح، والبلاغ المبين، بالإسلام وعقائده وشرائعه، إلى أمم الأرض التائهة، المتعطشة إلى الحقيقة، التي بها انبلاج النور، وانثلاج الصدور. ويمكن التوسل في سبيل إيصال الدعوة إلى الكافة بجميع وسائل الإعلام والتبليغ. ومن صور ذلك:

• استئجار بعض القنوات التلفزيونية العالمية والمحلية، للتعريف بالإسلام ومحاسنه، في برامج دورية، مع الحذر من الظهور بمظهر المشاركة على حدٍ سواء مع سائر الملل، بما يُقِر في قلوب الناس أن هذه الأديان والملل طرائق متساوية إلى عبادة الله.

• إنتاج مختلف أنواع الأوعية الإعلامية، من أشرطة تسجيل صوتي «كاسيت»، وضوئي «فيديو»، ونشرات، وكتب، للتعريف الحق بالإسلام، وإقامة الحجة البالغة.

• المشاركة في المناظرات التلفزيونية من قبل الأكفاء المؤهلين، حول مختلف الموضوعات المتصلة بالإسلام، وربطها بالأصل العظيم؛ توحيد الله، ونبذ الشرك. وهذه المناظرات والمحاورات المفتوحة، ظاهرة واسعة الانتشار في الإعلام الغربي، وتحظى بمتابعة واسعة وجاذبية من قبل المشاهدين.

٢ ـ المشاركة الإيجابية في المؤتمرات والمنتديات الدينية، بالصفة الشرعية المتميزة:

ثم موقفان من المسلمين حيال المشاركة في ملتقيات الحوار الديني التي تدعو إليها جهات كنسية، أو منظمات دينية نصرانية ـ غالباً ـ وهما:

أ ـ الرفض المطلق، والإعراض التام، بل وإدانة جميع صور المشاركة، بحسبانها لوناً من ألوان المداهنة، والاستدراج والفتنة عما أنزل الله. لصدور تلك المبادرات من جهاتٍ لا تألوا جهداً في صد المسلمين عن دينهم، والكيد لهم.

وقد تبلور هذا الموقف إثر الممارسات الأولى، التي كشفت الغبن والغرر الذي حاق بالمسلمين، دون تحقيق شيءٍ من المقاصد الشرعية، في مقابل المكاسب والغايات التي جناها الطرف الآخر.

ب ـ القبول المطلق، والاسترسال التام مع داعي هذه المؤتمرات والندوات، دون قيدٍ أو شرط، والتساهل والمجاملة الزائدة مع المخالفين، وموافقتهم على رسومهم التي رسموها لسير الحوار، والحدود التي أقاموها، وأقنعوا رصفاءهم بعدم تخطيها، كالبحث في مسائل الاعتقاد، وعدم الجهر بكلمة الحق، وكشف الباطل، ضمن تعليلات مصلحية فاسدة.

ولا شك ـ والحال هذه ـ أن الموقف الأول هو الحق الذي يجب لزومه، والعض عليه بالنواجذ، حرصاً على نقاء الدعوة، وسلامة المنهج، والبعد عن مواطنِ الريب. ولكن لا تجوز الصيرورة إليه حتى يثبت ثبوتاً أكيداً تعذر البلاغ، وإقامة الحجة، في مثل هذه المنتديات، ورفض الجهات الداعية المنظِمة السماح للمحاورين المسلمين من إعلان ما يريدون، ونقد ما يسمعون.

ذلك أن الرفض والامتناع موقف سلبي. ويمكن أن يتخذه أعداء الإسلام مغمزاً أو مطعناً في الإسلام وأهله، من وصفهم بالجبن والتخاذل عن المواجهة، أو وصمهم بالشعور بالنقص، وعدم القدرة على التعايش مع مستجدات العصر، أو رميهم زوراً وبهتاناً بالتعصب ونبذ الآخرين، وعدم اعتماد أسلوب المحاورة بالحجة، وعدم احتمال سماع «الرأي الآخر»، وأنه لم ينتشر سابقاً إلا بحد السيف والإكراه.

وقد اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا المحذور، في معرض رده على من قال إن: (آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف) فقال: (الوجه الثامن: إن كثيراً من أهل الكتاب يزعم أن محمداً ﷺ وأمته، إنما أقاموا دينهم بالسيف، لا بالهدى والعلم

والآيات، فإذا طلبوا العلم والمناظرة، فقيل لهم: ليس لكم جواب إلا السيف، كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب، وكان هذا من أعظم ما يحتجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام، وأنه ليس دين رسول من عند الله، وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف)[١].

فلما كان اتقاء هذا المحذور مطلوباً عند من يحتجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام، فكيف بمن يحتجون به عند غيرهم من سائر أمم الأرض، بل ويشبهون به على ضعاف العلم والإيمان، من المسلمين؟!

كما أن هذه المنابر والمنتديات إذا اعتلاها الراسخون في العلم والمؤمنون، تكون حجة على فئام عظيم من الخاصة والعامة، وبلاغاً للناس، إذا وقعت على الصفة الشرعية، والغاية الإيمانية، الذي تضمنها قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل]، وترفعت عن مظاهر المداهنة القولية والعملية، والانخناس عن قول كلمة الحق. وفي سيرة رسول الله ﷺ العملية ـ كما تقدم ـ دلائل كالشمس ـ على ذلك، من غشيانه محافل اليهود في أعيادهم الدينية، وأماكن عبادتهم[٢].

وقد جاء في قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة عام ١٣٩٦هـ، البند التاسع عشر، ما يلي: (درس المجلس الدعوة التي تلقتها الأمانة العامة، للاشتراك في المؤتمر المسيحي الإسلامي، الذي ينظمه مجلس الكنائس العالمي في جينيف في يناير ١٩٧٧م[٣]، وقرر:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٢٤٤).
(٢) راجع الفصل الثاني من الباب الثالث.
(٣) لعل المقصود مؤتمر الحوار الإسلامي ـ المسيحي المعقود في كارتيني ـ قرب=

١ ـ الموافقة على الاشتراك في هذا المؤتمر، وغيره من المؤتمرات المماثلة، بشرط أن يكون المقصود من ذلك بيان الحق الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ، وبطلان ما سواه من الأديان.

٢ ـ أن يتولى تمثيل الرابطة فيها العلماء المختصون بالمواضيع المطروحة في جدول أعمالها)[1].

وأحسب أنه لو جرى الالتزام بهذين الشرطين لتحقق نفعٌ عظيم، ولأفضى الحال إلى بينة من الأمر؛ فإما القبول بالحق والرضى بالإسلام، وإما النكوص، والكف عن الدعوة إلى مثل هذه المنتديات، واستغلالها في أغراض الصد عن سبيل الله، وتغطية أعمال التنصير.

ولكن السائد ـ وللأسف ـ كما تبين من استعراض عشرات، بل مئات، المؤتمرات في الباب الثاني، الإعراض عن الشرط الأول بالكلية، وعدم الشهادة لله، والقيام بالقسط، في بيان الحق الذي بعث به نبيه محمداً ﷺ، وبطلان ما سواه من الأديان، والاشتغال بموضوعات جانبية، والتأكيد على الاحترام المتبادل، وتجنب الخوض في مسائل الاعتقاد، وحسبان ذلك تشويهاً وتجريحاً. وأيضاً، التساهل في تطبيق الشرط الثاني ـ بالنظر إلى عموم المؤتمرات ـ فلا يتحدث باسم الإسلام أهل العلم والاختصاص، المتمسكين بالكتاب، المُمَسِّكين بالكتاب، بل طائفة من المثقفين ثقافة عصرية، ممن قد تتوفر فيهم العاطفة الإسلامية أحياناً، ويقصرون في باب العلم الشرعي الرصين، مع غلبة مجاملة، ورقة في الدين.

= جنييف ـ في أكتوبر عام ١٩٧٦م وليس يناير ١٩٧٧م، وشاركت فيه الرابطة فعلاً. فليس لمجلس الكنائس العالمي مؤتمر في يناير ١٩٧٧م، فربما تقدم عن موعده المشار إليه.

(١) محضر قرارات الدورة الثامنة عشرة (١٤) ـ لدى المؤلف.

كما ينبغي التنبه في مقام الدعوة إلى المشاركة الإيجابية في ملتقيات الحوار الديني إلى جوانب أخرى.

أ ـ أن لا يقترن اللقاء بإحياء مناسبةٍ دينية أو وثنية لدى الطرف المُضِيف، أو بدعةٍ كفرية يساق إليها المحاورون المسلمون، بما يحشرهم في زمرة المغضوب عليهم، والضالين، والذين لا يعلمون، أمام وسائل الإعلام، وجماهير المسلمين. ومن أمثلة ذلك:

■ المشاركة في الاحتفال بمرور سِني معينة على إنشاء كنيسة، أو معبدٍ بوذي، ونحوه.

■ المشاركة في يوم الصلاة المشتركة من أجل السلام ونحوه، تحت رعاية البابا.

ب ـ عدم الاستجابة للمشاركة في مؤتمراتٍ تدعو صراحة إلى فكرةٍ باطلة شرعاً، مثل «وحدة الأديان»، أو صادرة عن جهاتٍ مشبوهة، تقصد الإيقاع بالمسلمين في خططٍ دعائية خاصة، مثل الحركة المونية، التي استدرجت عدداً من علماء ومفكرين مسلمين إلى مؤتمر عقدته في استانبول عام (١٩٨٥م)، وأعلن المنظمون له، والممولون لنفقاته، نبوة الكذاب الدعي، صن مون[١]. وقد جاء في قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته التاسعة والعشرين المنعقدة في الفترة ـ ٦ ربيع الثاني عام ١٤٠٩هـ، الفقرة (٤) من (ثانياً) ما يلي: (وجوب التحذير من الحوار الذي تدعو إليه بعض المنظمات غير الإسلامية المشبوهة، مثل الكنيسة المتحدة التي يترأسها القس الكوري المتنبىء، صون ميونج مون، والهيئات والتنظيمات المنبثقة عنها، والعمل على كشف النقاب عن أباطيل تعاليمها للمسلمين خاصة، وللعالم عامة)[٢].

(١) راجع التعريف به في الفصل الأول من الباب الثاني. (٩٠١).

(٢) محضر قرارات الدورة التاسعة والعشرين. (ثانياً) فقرة (٤).

وأمثال هذه المنظمة، مما يحمل توجهاً مسبقاً، كثير، كالمجموعات الصوفية الباطنية التي ترمي إلى جر المسلمين إلى النصرانية بحبل التصوف الباطني، مثل جماعة «كريسلام»[١]، أو التي تقصد إذابة المسلمين في الوحدة العالمية، أو الإبراهيمية مثل مؤتمرات جارودي[٢]، أو المنظمات التي تصر على مواصلة أعمال التنصير في صفوف المسلمين، مستغلةً فقرهم ومرضهم وتشردهم، وفي ذات الوقت تنادي بالحوار.

ج - يجب أن يكون للجانب الإسلامي في هذه الملتقيات دورٌ فعال في التخطيط، والاختيار، والتنفيذ، في جميع المراحل، وألا يكون دوره حضورياً فقط، أو بصفة مراقب حتى لا يستغفل أو يستدرج إلى مواقف، إعلامية تضليلية، غير مقصودة له.

وقد وضع المجلس الأعلى العالمي للمساجد، في دورته التاسعة عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، شروطاً «فنية»، لمراعاتها عند عقد أي حوار مع الهيئات النصرانية، وهي:

(١ ـ وضع قائمة المدعوين للحوار، بحيث تكون محل اتفاق الجانبين.

٢ ـ وضع جدول الأعمال باتفاق الطرفين.

٣ ـ ألا ينشر تقرير أو وثيقة أو كتاب عن موضوع الحوار إلا باتفاق الطرفين.

٤ ـ أن يتم تسجيل الحوار في محضر، وجعله في يدٍ أمينة.

٥ ـ لا يتولى الحوار إلا المختصون من علماء المسلمين.

---

(١) راجع محاولات الأب غاليندو في الفصل الأول من الباب الثاني.
(٢) راجع محاولات روجيه جارودي في الفصل الأول من الباب الثاني.

٦ ـ أن تبلغ جميع المؤسسات الإسلامية في العالم بنص هذا الحوار، أو خلاصته إن أمكن).

ولو أن المحاورين المسلمين التزموا بالشروط الموضوعية والفنية السالفة، لحصل خيرٌ كثير، ودُفع شر كثير، ولوجد المسلمون أنفسهم أمام تجربة صريحةٍ حاسمة في هذا الموضوع المثير للجدل، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

٣ ـ إسناد قضايا حوار «التعايش» إلى المتخصصين من أفرادٍ ومنظمات، وليس إلى الأفراد والهيئات ذات الصفة الشرعية: ذلك أن قطاعاً واسعاً مما تلتئم حوله مؤتمرات الحوار الإسلامي ـ النصراني يدور حول مسائل حياتية، تتعلق بالبيئة، والهجرة، واللاجئين، والمعوقين، ومكافحة الجريمة والأمراض. . . الخ. فينبغي أن يكون التمثيل الإسلامي فيها على يد متخصصين في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة والطب، من ذوي الفضل والالتزام الشرعي، وأن يبينوا إلى جانب الطرح الموضوعي، المتخصص، محاسن الشريعة، وأثر العقيدة في ذلك. وتشارك فيها هيئات ومنظمات معنية بهذه الشؤون المعيشية.

وليس في الإسلام بحمد الله فصل بين الدين والدنيا، وليس فيه رجال دين، وعلمانيون. فالإسلام دين متكامل، شامل لمصالح العباد في الدنيا والآخرة، وأهله على اختلاف مواقعهم وتخصصاتهم أمة واحدة، تجمعهم عقيدة واحدة، وشريعة واحدة وإنما يتفاضلون بالتقوى.

لكن ثم محذورٌ من إقحام أهل العلم والدين، والهيئات الدينية والشرعية العريقة، في بحث هذه القضايا الجانبية، يتمثل في نظري ـ في توهين الدعوة الأصلية إلى كلمة سواء؛ بتوحيد الله ونبذ الشرك، بالاشتغال بمسائل فرعية، لا يليق أن ينتقل إليها من يحملون شارة العلم والدين، ويتجاوزون أهم القضايا التي أخذ الله عليهم العهد

والميثاق ببيانها للناس. ومن الطبيعي أن يكون أثر مشاركتهم سلبياً على العامة، حيث يهون في نفوسهم الفرق العظيم الذي جاء به الإسلام، من دعوة الخلق إلى خلع ما هم عليه من العقائد الباطلة، والرسوم البالية، والانتقال قلباً وقالباً إلى حال جديد، هو دين الله الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه. ومن ثم فانصراف أهل الدين والعلم إلى هذه المسائل، وحضورهم مؤتمراتها يوهِن تلك الدعوة، ويقرب المسافة بين الدين الحق والملل الباطلة في نفوس الناس، ويفقده جاذبيته وتميزه.

وفي نقد الدكتور محمد رشيدي لمقالة الأستاذ كامل الشريف حول «مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي» المتضمنة اقتراحه (تركيز الحوار على القضايا «الحياتية») قال: (أرى أن لا يقام ذلك بين الكنائس، والمؤسسات الدينية الإسلامية، ولكن بين زعماء المسلمين من الساسة والاقتصاديين، مع زعماء المسيحيين، بحيث يمنع ذلك الاتفاق أن يجذب تأثيراتٍ أخرى في حياتنا الدينية يجب علينا أن نفرق بين التسامح بين الأديان، وبين الاعتقاد بأن الأديان متساوية. والحوار له ضرر عكسي يهاجم المسلمين، وينشر الاعتقاد أمام الخاصة والعوام بأن الأديان متساوية)[1].

ويجب أن لا يتجاوز هذا الضرب من حوار التعايش، الحدود والغايات المرسومة له، ولا أن يخرج إلى أنماطٍ من المجاملات المحرمة، شأنه في ذلك شأن المعاهدات والاتفاقات التي يبرمها ولاة الأمر من المسلمين، مع غير المسلمين، من معاهدين ونحوهم.

أما الحوار في مسائل الاعتقاد والدين، فليس له إلا صيغة واحدة، هي صيغة الدعوة إلى كلمة سواء، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ولا يمكن أن يخضع لأسلوب

(١) نقد على مقالة معالي الأستاذ كامل الشريف (٢٢). محفوظة لدى المؤلف.

المفاوضات، والتنازلات، والمقايضات، التي تتسع لها السياسة الشرعية في المسائل الحياتية المشتركة، التي تتعلق بها مصالح الطرفين. وبالتالي فليس هناك «حوار ديني» بهذا الاعتبار بين الإسلام وغيره، ولا تقارب ديني بين الإسلام وغيره، ولكن يمكن أن يكون هناك حوار معيشي، وتقارب معيشي بين المسلمين وغيرهم، لا بين الإسلام وغيره، لتحقيق مصالح معيشية مشتركة.

٤ ـ التقويم المستمر لمسيرة الحوار، وتبادل الخبرات بين الجهات الإسلامية:

إن من الضرورة بمكان في غياب مرجعية واحدة تتولى شؤون أهل الكتاب، أن يتلاقى المعنيون من الجهات والهيئات الإسلامية المعتبرة للتشاور حول جدوى الحوار وتقويم مسيرته. وتبادل الخبرات، وثمرات التجارب السابقة، ثم اتخاذ القرارات حول المضي فيه إن كان يحقق المقاصد الشرعية، أو التوقف إن كانت الأخرى، وأن يتم ذلك في ضوء العقيدة الإسلامية، والسياسة الشرعية.

والملاحظ أن الجانب الآخر، النصراني غالباً، يقوم بعملية مزدوجة:

■ الاتصال بجهاتٍ إسلامية متعددة، كل على حدة، متعللاً بعدم وجود هرمية كهنوتية في الإسلام.

■ التنسيق مع الجهات النصرانية المماثلة، التي تتبع مرجعية كنسية أخرى. كما يتضح بالتنسيق الدائم بين أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، المجمع البابوي للحوار بين الأديان، لاحقاً، والوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب المعتقدات والمثل الحية، التابعة لمجلس الكنائس العالمي.

وبالمقابل، فإن مستوى التخطيط، والتنسيق، وتبادل الخبرات،

بين الجهات الإسلامية خلال العقود الماضية أقل من الحد الأدنى. ولا ريب أن لبعض الجهات، الإسلامية المعتبرة، مثل رابطة العالم الإسلامي، والأزهر، ووزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في العديد من البلدان الإسلامية تجاربها الخاصة، وتوصياتها، ولكنها لم ترتقِ بعد إلى درجة الموقف الموحد، والنضج التام، من أصل القضية وتضاعيفها. وذلك يحتم أن تلتئم هذه الجهات، مسترشدة بالمنهج الشرعي الرصين، مستفيدة من تجارب الماضي، وتصدر عن رؤية شرعية واحدة.

ومن الخطوات الحديثة في هذا الصدد انعقاد ندوة في القاهرة في الفترة: (١٥ ـ ١٦ شوال ١٤١٨هـ ـ ١٣ ـ ١٤ فبراير ١٩٩٨م) بعنوان: (ندوة تقويم وتأصيل منهجية الحوار الإسلامي المسيحي)، بدعوةٍ من المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وحضور أكثر من عشرين منظمة إسلامية معنية بالحوار. وقد تم الاتفاق على:

(**أولاً**: تشكيل لجنة لوضع مشروع خطة منهاج عام للنهوض بالحوار، وتحديد منطلقاته وأهدافه، وضوابطه وآلياته، وتحديد أسس التنسيق والتعاون بين المنظمات والجهات التي تمارس الحوار، لتكون في متناول الجميع)[1].

هذا وقد رسمت الندوة ـ سلفاً ـ بعض الضوابط للجنة المكلفة بوضع خطة المنهاج العام، تضمن الفقرة التالية: (مع الارتياح للحوار في الموضوعات العامة، إلا إنه لا مانع من الحوار في العقائد، إذا كان ذلك مفيداً)[2]. وهي فقرة توحي ـ فعلاً ـ بالحاجة الماسة إلى ترشيد مسيرة الحوار وتأصيلها، بحيث يصبح الحوار في العقائد على

(١) محضر اجتماع لجنة الحوار الإسلامي المسيحي (٤). محفوظة لدى المؤلف.
(٢) المرجع السابق (٥).

رأس قائمة الأولويات والمهمات التي يتعين البدء بها وجوباً، لا مجرد الإذن بها جوازاً، مشروطاً بالفائدة.

إن أهل الإسلام، بأمس الحاجة في هذا الزمان ـ وفي كل زمان ـ إلى التمسك بالمنهج الشرعي المستمد من الوحيين، كتاب الله، وسنة نبيه محمد ﷺ، ففيهما الغناء والشفاء وحسن العاقبة، وأن يردوا جميع ما اختلف فيه إلى الله والرسول: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، مسترشدين بفقه العلماء الربانيين الذين يستنبطونه منهم، من هذين المصدرين الثابتين.

٥ ـ الاهتمام بالأقليات الإسلامية في أنحاء العالم:

لا يكاد يخلو موطن تطلع عليه الشمس في هذا العصر من وجود مسلمين. فإن حركة الهجرة، والاتصال المستمر، واعتناق الإسلام من قِبل أبناء الشعوب الأخرى، قد أدى إلى انتشار الإسلام في جميع أنحاء المعمورة. فحيثما حل المسافر في مدينةٍ من مدن العالم، فلن يعدم مسجداً، أو مركزاً إسلامياً، يؤوي إليه مسلمو تلك الأصقاع، من مواطنين أصليين، أو مهاجرين للعمل أو الدراسة. وهؤلاء في الحقيقة رسلٌ للإسلام إلى أهالي تلك البلاد، بحكم استعلانهم باعتناق هذا الدين، ومرايا عاكسة لعقيدته وشريعته في سلوكهم الشخصي، ووضعهم الاجتماعي. ولَكَم كان هؤلاء سبباً مباشراً، أو غير مباشر لاعتناق آخرين دين الإسلام. إما بالدعوة الصريحة، أو بالقدوة الحسنة، والسلوك الحميد.

وكثير من هؤلاء المسلمين القلة في بلاد الكفار، يعانون من الجهل والقطيعة من بقية إخوانهم المسلمين، مع معاناتهم الأصلية من العيش بين ظهراني الكافرين، والتأثر والخضوع لأعرافهم الاجتماعية، وقوانينهم المدنية[١].

---

(١) نشير في هذا المقام إلى بعض الجهود المبذولة لدراسة أوضاع الأقليات=

إن توجيه العناية لهذه الأقليات القاطنة في مشارق الأرض ومغاربها، يمكن أن يكون فتحاً جديداً في باب الدعوة إلى الله، والتعريف الصادق بالإسلام وأهله، الملتزمين بهديه. فينبغي للمؤسسات الإسلامية، الدعوية والخيرية، التواصل مع تجمعات المسلمين في سائر دول العالم، في الجوانب التالية:

أ ـ توعيتهم وتعليمهم أمور دينهم، عن طريق بعث الدعاة إلى الله، وإقامة الدورات الشرعية، وتزويدهم بالكتب وغيرها من أوعية العلم، باللغات التي يحسنون، ومنح الفرص لأبنائهم لتلقي الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢][(١)].

ب ـ عمارة المساجد لهم، والمدارس الإسلامية لأبنائهم، والمراكز التي تقوي رابطتهم، وتحول ـ بإذن الله ـ دون ذوبانهم في المجتمعات التي يعيشون فيها.

ج ـ السعي لدى حكوماتهم، لمنحهم كامل حقوقهم المدنية، وحرياتهم الدينية، في اللباس والأعياد وغيرها، والاعتراف بمؤسساتهم، وروابطهم، ومدارسهم، ودعمها أسوة ببقية الطوائف، وتسهيل أمورهم المدنية والحقوقية.

= المسلمة في العالم، فمنها: المؤتمر العالمي للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في مدينة الرياض، بالمملكة العربية السعودية في الفترة من ١٢ ـ ١٧ جمادى الأولى عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٢ ـ ٢٧ يناير عام ١٩٨٦م، تحت عنوان: (الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة، آلامها، وآمالها)، وملتقى (فقه الأقليات) المصاحب لافتتاح مسجد الملك فهد في أدنبره في سكوتلندا، برعاية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، في أغسطس عام ١٩٩٨م.

(١) على أحد التفسيرين في معنى الآية: (ليتفقه هؤلاء الذين ينفرون، ولينذروا قومهم المتخلفين) زاد المسير (٣/ ٥١٧).

وقد استنبط الشيخ عبد الرحمن السعدي كَلَّلهُ فائدة مناسبةً للمقام، من مقالة قوم شعيب عَلَيْهِ: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَكَ﴾ [هود: ٩١]، فقال: (إن الله يدفع عن المؤمنين بأسبابٍ كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها. وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، وأهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين، لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك. لأن الإصلاح مطلوبٌ على حسب القدرة والإمكان.

فعلى هذا لو سعى المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية «جمهورية»، يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية، لكان أولى من استسلامهم لدولةٍ تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عَمَلة أو خدماً لهم.

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام، فهو المتعين. ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة)[1].

هذا، وعامة دول الغرب الآن تنتهج الديموقراطية، وإتاحة الحريات لمختلف الاتجاهات والطوائف والأديان، مما يمكن أن يفيد منه المسلمون فائدة عظمى في نشر دينهم والدعوة إليه. وبعض هذه الأقليات من أهل البلاد الأصليين، فيمكنهم الحصول على امتيازات خاصة، كما أنهم أدرى بقومهم وطرائق التأثير عليهم، فينبغي الاستفادة منهم ومشورتهم. يقول الدكتور الداعية، عبد الله أحمد قادري الأهدل: (الحقيقة أن المسلمين إذا أرادوا للدعوة إلى الله تعالى أن تنتشر في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ٤٥٧).

أوروبا، فإن عليهم أن يستنصحوا المسلمين الأوربيين المخلصين، الذين هم أدرى بنفسيات أبناء بلدانهم، وبالطرق والأساليب النافعة في نشر الدعوة، وبالقوانين التي يمكن من خلالها اغتنام الفرص لإقامة المشروعات القريبة والبعيدة، لتثبيت هذا الدين في أوروبا، وجعله راسخاً في نفوس أبنائه الذين وفدوا إلى أوروبا من خارجها، وكذلك في نفوس الداخلين فيه من جديد، وأجيالهم القادمة. فاقتراحات المسلمين الجدد من أهل أوروبا، التي يمكن أن يؤدى بها الواجب، جديرة بالدراسة والاهتمام، والمتابعة والتخطيط والتنظيم، ثم التنفيذ، مع إضافة آراء دعاة الإسلام، من أهل المراكز الإسلامية النشيطة في الدعوة)[١].

ويلتحق بهذا الجانب أيضاً، العناية بالطلاب المبتعثين من البلاد الإسلامية للدراسة، وتأهيلهم وتحصينهم بالعلم النافع، الكاشف للشبهات، الباعث على الدعوة إلى سبيل الله.

٦ ـ قيام الجامعات الإسلامية، والمعاهد الشرعية بإحياء فن المناظرات، والمجادلة بالتي هي أحسن، وتأهيل الدعاة والمحاورين للقيام بواجب الدعوة والبلاغ: فمما يلاحظه المتتبع أن كثيراً من الجامعات الغربية، وكليات اللاهوت، والمعاهد التنصيرية العريقة، تضم أقساماً للدراسات الإسلامية، ومراكز للحوار الديني، وتقوم بعقد المؤتمرات المتتالية، بل ثم مراكز ومعاهد مستقلة أنشئت في مواقع عدة من العالم لهذا الغرض[٢]. فحري بالجامعاتِ الإسلامية أن تولي هذا الأمر حقه من الاهتمام والرعاية، وفق المناهج الشرعية المعتبرة، دون محاكاة الأنماط الغربية.

---

(١) حوارات مع أوربيين غير مسلمين (١٠).

(٢) انظر قائمة المراكز والمعاهد والمؤسسات المعنية بالحوار. في قسم الجداول والفهارس. جدول رقم (٢).

ومن المشاريع المقترحة في هذا الصدد:

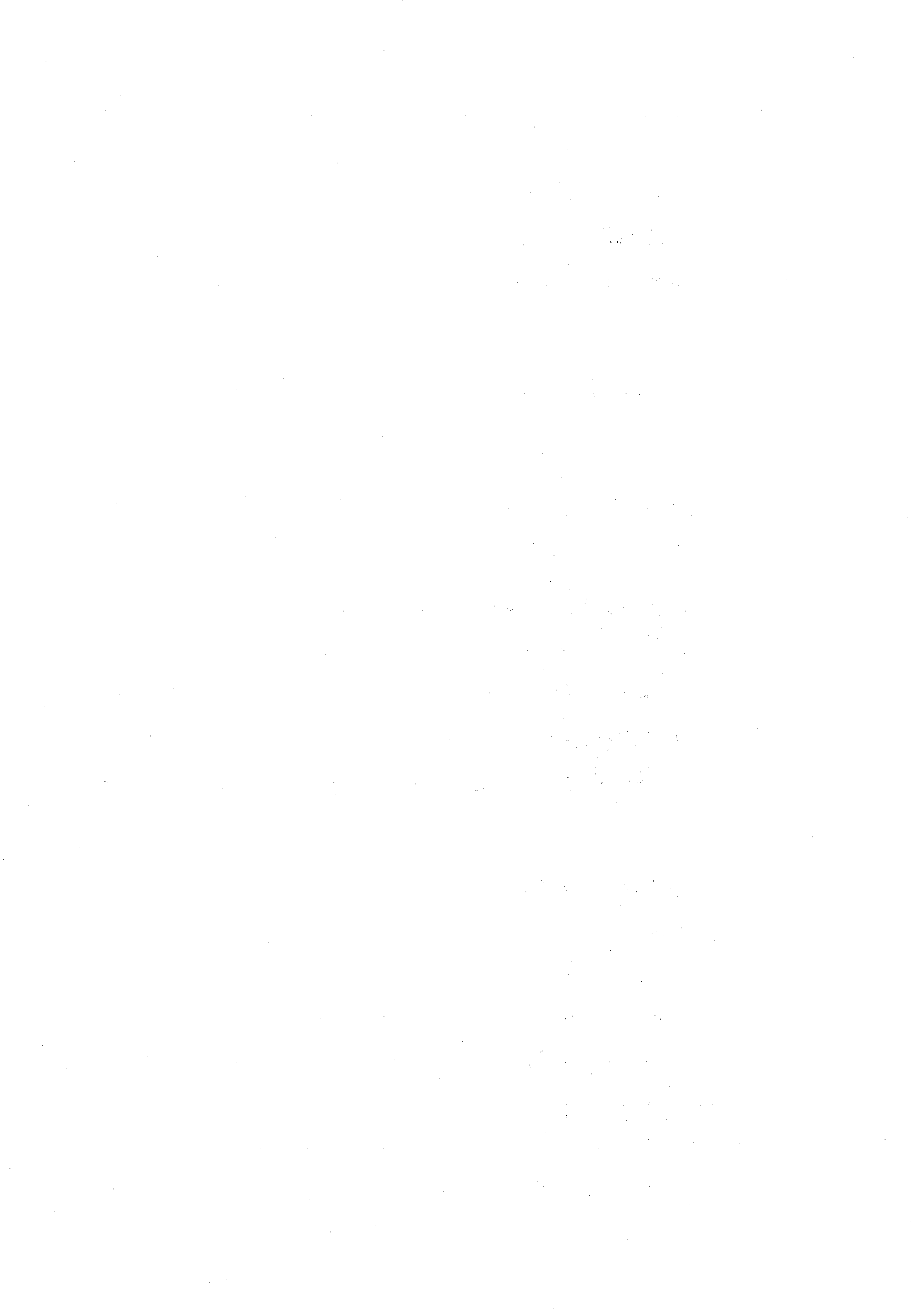
أ ـ إحياء التراث الإسلامي الحافل في باب المناظرة والجدل مع أهل الكتاب، تحقيقاً ودراسةً، في أقسام الدراسات العليا، ومراكز البحوث.

ب ـ رصد المستجدات من الاتجاهات الحديثة داخل الملل الأخرى، وأهدافها ووسائلها.

ج ـ تأسيس أقسام للدعوة، وتخريج الدعاة المؤهلين لمحاورة أهل الكتاب وغيرهم.

وبهذه الوسائل وأمثالها، يمكن للأمة الإسلامية أن تقوم بالمهمة التي شرفها الله بها، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وإخراج العباد، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، بما من الله به عليها من إكمال الدين، وإتمام النعمة، والرضى لها بالإسلام ديناً.

وهذا هو المسار الصحيح، والإطار الرشيد، لأي «عولمة» تنشدها البشرية لتتوحد من خلالها، وما سوى ذلك فوسواس الشياطين، وسبيل المجرمين. فما أحرى أهل الإسلام باطراح الضعف والخور، والأخذ بأسباب القوة الإيمانية والمادية، والإعداد الجاد المدروس لامتثال أمر الله، وقيادة البشرية إلى سبل السلام، وإخراجها من الظلمات إلى النور. قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].



الملاحق

وتتضمن:

ملحق (١): فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (١٩٤٠٢) حول الدعوة إلى (وحدة الأديان).

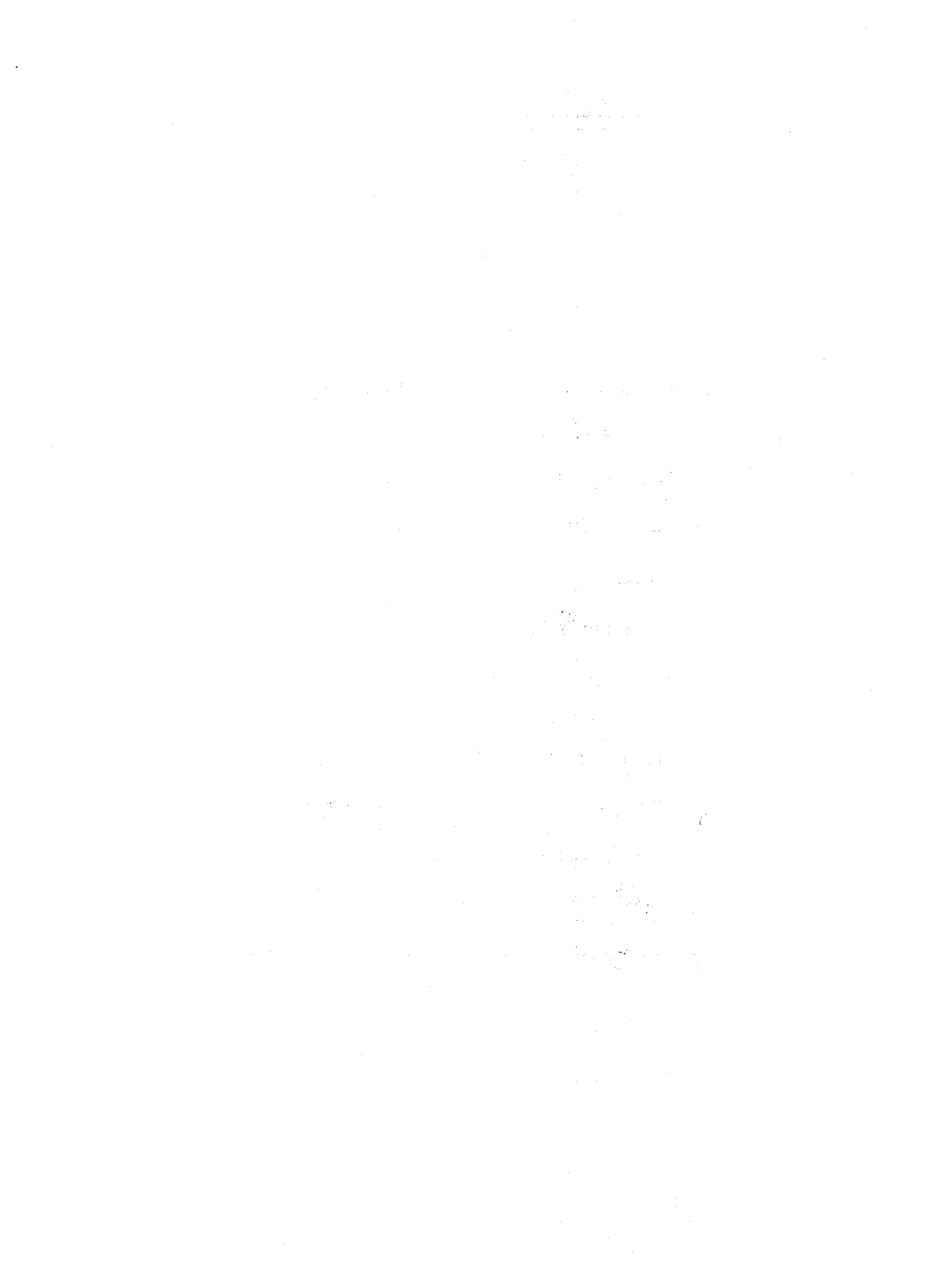
ملحق (٢): فتوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٧٨٠٧) حول الدعوة إلى (التقارب بين الأديان).

ملحق (٣): قطعة من خطبة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ حول (التقريب بين الأديان).

ملحق (٤): الرسالة الجوابية لشيخ الأزهر د. عبد الحليم محمود على سكرتير عام جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا حول المشاركة في مؤتمر (قرطبة العالمي الإسلامي المسيحي الثالث).

ملحق (٥): أنموذجان من رسائل التهنئة التي يوجهها الفاتيكان للمسلمين بمناسبة عيد الفطر.

ملحق (٦): صورة لمخطط هندسي لمشروع مجمع معابد الأديان في إيطاليا.



فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ٢٥/١/١٤١٨هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات، بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء: مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات، والمطارات، والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات، في الشرق والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: أن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يَبْقَ على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]. والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى: (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل، من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يُتعبد الله به سوى: (القرآن الكريم)

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثاً: يجب الإيمان بأن (التوراة والإنجيل) قد نُسِخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل، بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله جل وعلا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران].

ولهذا، فما كان منها صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي». رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعاً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب]. فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ. ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حياً لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وأنه لا يسع أتباعهم

إلا ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]. ونبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعاً لمحمد ﷺ، وحاكماً بشريعته، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامساً: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام، من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة]، وغيرها من الآيات. وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار».

ولهذا: فمن لم يكفّر اليهود والنصارى فهو كافر، طرداً لقاعدة الشريعة: (من لم يكفر الكافر فهو كافر).

سادساً: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى: (وحدة الأديان)، والتقارب بينها، وصهرها في قالب

واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام، وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله جل وعلا: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

سابعاً: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة، إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة]، ويقول جل وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة].

ثامناً: أن الدعوة إلى (وحدة الأديان)، إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام، لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١ ـ فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢ ـ لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد!! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم)، والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣ ـ كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة: لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال، لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله)، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله، لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]. بل هي: بيوت يكفر فيها بالله. نعوذ بالله من الكفر وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٦٢): «ليست ـ أي: البيع والكنائس ـ بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار».

عاشراً: ومما يجب أن يُعْلم، أن دعوة الكفار بعامة، وأهل الكتاب بخاصة، إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم

ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]. أما مجادلتهم، واللقاء معهم، ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عُرى الإسلام، ومعاقد الإيمان، فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون. قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

* وإن اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس، فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة، بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم، نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الرئيس	نائب الرئيس
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	**عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ**
عضو	**عضو**
صالح بن فوزان الفوزان	**بكر بن عبد الله أبو زيد**

فتوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٧٨٠٧)(١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه. . وبعد:

أولاً: أصول الإيمان التي أنزل الله بها كتبه على رسله، التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والتي دعت إليها رسله عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم وموسى وعيسى، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، كلها واحدة، بشَّر سابقهم بلاحقهم، وصدَّق لاحقهم سابقهم، وأيَّده ونوَّه بشأنه، وإن اختلفت الفروع في الجملة، حسب مقتضيات الأحوال والأزمان ومصلحة العباد، حكمة من الله وعدلاً، ورحمة منه سبحانه وفضلاً، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران] ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش (١/ ٨٠ ـ ٨٧). مكتبة العبيكان. الرياض. الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران]، وقال تعالى بعد ذكره دعوة خليله إبراهيم إلى التوحيد، وذكر من معه من المرسلين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [النحل]، وقال ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] الآيات.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة. الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». رواه البخاري.

ثانياً: حرف اليهود والنصارى الكلم عن مواضعه، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم. فغيروا بذلك أصول دينهم، وشرائع ربهم. من ذلك قول اليهود عزير ابن الله، وزعمهم أن الله مسه لغوب، وأصابه تعب، من خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فاستراح يوم السبت، وزعمهم أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه، ومن ذلك أنهم أحلوا الصيد يوم السبت بحيلة، وقد حرمه الله عليهم، وأنهم ألغوا حد الزنا في حق المحصن، ومن ذلك قولهم أن الله فقير ونحن أغنياء، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة]، إلى غير ذلك من التحريف والتبديل القولي والعملي عن علم، اتباعاً للهوى، ومن ذلك زعم النصارى أن المسيح عيسى عليه السلام ابن الله، وأنه إله مع الله، وتصديقهم اليهود في زعمهم

أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه، وزعم كل من الفريقين أنهم أبناء الله وأحباؤه، وكفرهم بمحمد ﷺ وبما جاء به، وحقدهم عليه وحسدهم إياه من عند أنفسهم، وقد أخذ عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا به ويصدِّقوه وينصروه، وأقروا على أنفسهم بذلك، إلى غير ذلك من فضائح الفريقين وتناقضهم. وقد حكى الله الكثير من كذبهم وافترائهم وتحريفهم وتبديلهم ما أنزل إليهم من العقائد والشرائع، وفضحهم، وردَّ عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة]. الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران] الآيات، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة] الآيات، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة] إلى غير ذلك مما لا ينقضي منه العجب من افترائهم وتناقضهم ومخازيهم وفضائحهم. والقصد ذكر نماذج من أحوالهم، ليبنى عليها الجواب فيما يأتي:

ثالثاً: مما تقدم يتبين أن أصل الديانات التي شرعها الله لعباده واحد لا يحتاج إلى تقريب. كما يتبين أن اليهود والنصارى قد حرفوا وبدلوا ما نزل إليهم من ربهم، حتى صارت دياناتهم زوراً وبهتاناً، وكفراً وضلالاً. من أجل ذلك أرسل إليهم رسول الله محمد ﷺ ولغيرهم من الأمم عامة، ليبين ما كانوا يخفون من الحق، ويكشف لهم عما كتموه، ويصحح لهم ما أفسدوا من العقائد والأحكام، ويهديهم وغيرهم إلى سواء السبيل. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة]، وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة].

لكنهم صدوا وأعرضوا عنه بغياً وعدواناً وحسداً من عند أنفسهم، من بعد ما تبين الحق. قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة] الآيات، وقال ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة] الآيات، وقال ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ [البينة] الآيات.

فكيف يرجو عاقل يعرف إصرارهم على الباطل، وتماديهم في غيهم، عن بينة وعلم، حسداً من عند أنفسهم، واتباعاً للهوى، التقارب بينهم وبين المسلمين الصادقين. قال الله تعالى: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة] الآيات، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران] الآيات، بل هم إن لم يكونوا أشد من إخوانهم المشركين كفراً وعداوة لله ورسوله والمؤمنين، فهم مثلهم. وقد قال الله تعالى لرسوله في المشركين: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم] الآيات، وقال له: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية، كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلاً   عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت   وسهيل إذا استقل يمان

رابعاً: لو قال قائل: هل تمكن الهدنة بين هؤلاء، أو يكون بينهم عقد صلح حقناً للدماء، واتقاء لويلات الحروب، وتمكيناً للناس من الضرب في الأرض، والكد في الحياة لكسب الرزق وعمارة الدنيا، والدعوة إلى الحق وهداية الخلق، إقامة للعدل بين العالمين - لو قيل ذلك، لكان قولاً متجهاً، وكان السعي في تحقيقه سعياً ناجحاً، والقصد إليه قصداً نبيلاً، له مكانه وعظيم أثره، لكن مع المحافظة على إحقاق الحق ونصره، فلا يكون ذلك على سبيل مداهنة المسلمين للمشركين، وتنازلهم عن شيء من حكم الله، أو شيء من كرامتهم وهوانهم على أنفسهم، بل مع الإبقاء على عزتهم، والاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، عملاً بهدي القرآن، واقتداء بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]. وقد فسر ذلك النبي ﷺ عملياً، وحققه بصلحه مع قريش عام الحديبية، ومع اليهود في المدينة قبل الخندق، وفي غزوة خيبر، ومع نصارى الروم في غزوة تبوك، فكان لذلك الأثر العظيم، والنتائج الباهرة، من الأمن، وسلامة النفوس، ونصرة الحق، والتمكين له في الأرض، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، واتجاه الجميع للعمل في الحياة لدينهم ودنياهم، فكان الرخاء والازدهار، وقوة السلطان، وانتصار الإسلام، والسلام، وفي التاريخ وواقع الحياة أقوى دليل وأصدق شهيد على ذلك لمن أنصف

من نفسه، أو ألقى سمعه، واعتدل مزاجه وتفكيره، وبرئ من العصبية والمراء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل)...

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز



قطعة من خطبة
فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -
يوم الجمعة الموافق ١٥/١/١٤٢٠هـ

(إني لأعلم أن من الناس من انخدع، وظن أن دين اليهود والنصارى دين قائم، ولكنه ليس بشيء، إن هذا الدين الذي عليه اليهود والنصارى دين منسوخ، نسخه الذي شرعه لهم، وهو أحكم الحاكمين. فمن زعم أنهم اليوم على دين يرضاه الله، وأن أديانهم كالدين الإسلامي، وحاول أن يقول أن هذه الأديان الثلاثة كلها صحيحة، فإنه كافر مرتد عن دين الإسلام، يجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله، لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]. هؤلاء المخدوعون الذين يريدون أن يداهنوا أعداء الله، إنما هم مغرورون، سفهاء في العقول، ضلال في الدين. إنه لا يمكن أن يجتمع دين صحيح مع أديان باطلة أبداً.

أيها الإخوة: إنه قد يسمع ما بين حين وآخر كلمة «الأديان الثلاثة»، حتى يظن السامع أنه لا فرق بين هذه الأديان الثلاثة، كما أنه لا فرق بين المذاهب الأربعة، ولكن هذا خطأ عظيم، إنه لا يمكن أن يحاول التقارب بين اليهود والنصارى والمسلمين، إلا كمن يحاول أن يجمع بين الماء والنار. إن دين اليهود ليس بشيء، ولا ينفعهم، بل هو مصيرهم إلى النار إن تمسكوا به. وإن دين النصارى ليس بشيء، ولن ينفعهم، وإنما يقودهم إلى النار إن تمسكوا به، لأن الواجب على الجميع أن يؤمنوا بالنبي ﷺ. وقد أقسم ﷺ وهو البار الصادق بدون قسم فقال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بما جئت به، إلا كان من أصحاب النار». ومن المعلوم أن النصارى واليهود، ولا سيما كبراؤهم من

علمائهم وأمرائهم ورؤسائهم، لا شك أنهم قد سمعوا بهذا الدين الإسلامي، فإذا لم يؤمنوا به كانوا من أصحاب النار، بشهادة أصدق الشهداء من الخلق رسول الله ﷺ).

وقال فضيلته في فوائد حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم، ما نصه:

(إن اليهود والنصارى الآن، أكثرهم سامع ببعثة الرسول ﷺ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل باسمه صلوات الله وسلامه عليه. قد بشر به عيسى عليه الصلاة والسلام ومع ذلك لم يؤمنوا، وعاندوا، فهم كفار، موسى بريء من اليهود، وعيسى بريء من النصارى، ومحمد بريء من الجميع، ولا علاقة بيننا وبينهم، ولا صلة بيننا وبينهم، ومن ادعى أن دينهم مقبول عند الله، فهو كافر مرتد، إما أن يرجع عن قوله، وإما أن تضرب عنقه. وإذا ضربت عنقه، فإنه يرمس في حفرة بعيد عن المباني، لأنه مكذب لله عز وجل، فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] فقط. فالذي يدعي أن اليهود اليوم على دين، والنصارى على دين، ويحاول أن يجمع بين الأديان الثلاثة، لا شك أنه كافر وإن صلّى وإن صام وحج، كافر لأنه مكذب لله ورسوله، فلا تغتروا عباد الله بما لوث هؤلاء الصحف، بما كتبوا من سوادهم الذي سود وجوههم، بمحاولة التقريب بين الأديان)[1].

(١) من تسجيل صوتي محفوظ لدى المؤلف.

الرسالة الجوابية لشيخ الأزهر، الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله على طلب سكرتير عام (جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية) للمشاركة في مؤتمر قرطبة العالمي الإسلامي المسيحي الثالث(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المحترم:

تحية طيبة، وبعد:

فإني أشكر لكم هذه الرغبة في التفاهم بين المسلمين والمسيحيين، وإثراء الفكر المسيحي المعاصر بالحلول التي أوحاها الله تعالى إلى محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم، وذلك فيما يتعلق بالمشاكل المعاصرة.

وقد وصلتني أخبار المؤتمرين السابقين.

وأحب أن أنبه، في مودة(٢)، ومن أجل تفاهم عميق، إلى بعض الأمور:

١ ـ أن الإسلام ـ منذ أن بدأ ـ خالف الجو العالمي: اليهودي والوثني... في أمر عيسى عليه السلام، لقد أعلن الإسلام مباشرة تقديره واحترامه لعيسى وأمه، أما عيسى عليه السلام فهو وجيه في الدنيا والآخرة. وأما أمه فهي صديقة(٣). ووجاهة عيسى عليه السلام جزء من إيمان المسلم،

---

(١) نشرت في مجلة الأزهر، عدد يونيو ١٩٧٨م وكتاب... أوروبا والإسلام... للشيخ عبد الحليم محمود (١٨٤ ـ ١٨٧).

(٢) لا يخفى ما في هذا التعبير من تجوُّز ومعارضة لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. وفي الأسلوب النبوي في مخاطبة الكفار سعة وغنية. راجع الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٣) يتعين في هذا المقام الصدع بالحق، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وبراءة أمه وطهرها جزء من إيمان المسلم. ولم يقف الإسلام من عيسى عليه السلام ومن أمه موقف اليهود الذين ما زالوا على موقفهم إلى الآن وأمه، لقد افتروا ـ وما زالوا ـ على عيسى وأمه، ورموهما ببهتان شنيع... أما الإسلام فإنه مجدهما، وما زال مستمراً في تمجيده لهما.

فماذا لقي المسلمون من المسيحيين في مقابل ذلك؟

٢ ـ أنه لا بد من الاعتراف بالدين الإسلامي وبرسوله، حتى ينال المسلمون في أوربا ما يناله اليهود، من الاعتراف بأعيادهم وبشعائرهم... وأنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحترمه المسلمون، وهو عيسى عليه السلام، وأتباع رسول لا يعترف به المسيحيون، وهو محمد ﷺ.

٣ ـ إن المسلمين والمسيحيين يعملون على مقاومة الانحراف والانحلال والمادية والإلحاد. وكان يجب أن يسيروا في خط متعاون متساند ضد التيارات المنحرفة.. ولكن ـ للأسف ـ يسير المسيحيون في طريق تنصير المسلمين بقوة: فهم يعملون ليل نهار على أن ينصروا المسلمين في كل مكان في العالم، وكل الدول الغربية، وأمريكا، ترسل إرساليات لتنصير المسلمين بأسلوب مكشوف واضح، أو بأسلوب خفي مستور، ويضيق المسلمون بذلك ضيقاً شديداً. وبرغم ذلك فإن ملايين الجنيهات تنفق في سعة للتنصير بكل الطرق.

ومما هو ملاحظ أن الدول الإسلامية ليس لها إرساليات تبشيرية.. وقد أرسل المسيح عليه السلام لهداية خراف بني إسرائيل الضالة، ومع ذلك فإن المسيحيين تركوا خراف بني إسرائيل الضالة، وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين.. تساعدهم الثروة، وتساعدهم وسائل الحضارة الحديثة.

ولو حصروا نشاطهم على تنصير الوثنيين لما أثار ذلك ضيق

المسلمين الشديد، وكراهيتهم للأسلوب، ولموضوع التنصير نفسه[١].

٤ ـ والمسلمون أقليات في بعض الأقطار المسيحية مثل الفلبين، وهذه الأقليات المسلمة ينكل بها باسم المسيحية: تؤخذ أرضها، وييتم أطفالها، وتترمل نساؤها، ولا تجد إلا ارتياحاً في نفوس الأغلبية المسيحية.. ونحب أن ينتهي التنكيل بالمسلمين في الأقطار التي بها الأغلبية المسيحية: نحن نحب أن ينتهي ذلك إنسانية، ونحب أن ينتهي ديناً.

٥ ـ وفي المؤتمرات التي تعقد في إسبانيا وغيرها هناك أسلوبان للحديث:

أ ـ التزام العقل. وهنا يتحلل المسلمون من مبادئ دينهم، فيتناولون المسيح عليه السلام وأمه بالأسلوب العقلي، فيكون موقفهم منهما موقف اليهود[٢]، يقولون على مريم وعلى ابنها ما يضيق به المسيحيون ضيقاً شديداً، ويقولون على المسيحية نفسها ما يضيق به المسيحيون ضيقاً شديداً.

ولكن المسلمين في هذه المؤتمرات يتبعون مبادئ دينهم، فيحترمون المسيح عليه السلام وأمَّه... أما المسيحيون فإن البعض منهم لا يبالي، فيتحدث عن رسول الإسلام بما يضيق به صدر المسلمين، فلا تكون هذه المؤتمرات وسائل تفاهم، وإنما تكون وسائل تنافر، وذلك كما حدث في المؤتمرين السابقين من بعض المسيحيين.

ب ـ التزام ما تمليه روح التفاهم: فلا يساء إلى المسلمين في مقدساتهم.

---

(١) في هذا الكلام إيهام بصحة ما عليه النصارى من الدعوة إلى دينهم الباطل.

(٢) شتان بين موقف المسلمين من عبد الله ورسوله، عيسىٰ ابن مريم، وأمه العذراء الطاهرة البتول، وموقف اليهود. وليس للمسلمين موقف عقلي يخالف الموقف الديني الشرعي. وفي عبارة شيخ الأزهر بعض الخفاء.

٦ ـ ونحن من جانبنا قد قدَّمنا أسس التفاهم واضحة سافرة: احترام المسيح عليه السلام، واحترام أمه عليها السلام..

فماذا قدم المسيحيون؟... لا شيء.

بل على العكس من ذلك، لقد هاجموا وما زالوا يهاجمون رسول الإسلام، ومبادئ الإسلام، فهل يمكن مع ذلك التفاهم؟

٧ ـ وأحب أن أقول: إن الإسلام هو العامل الأكبر في تثبيت المسيحية حين اعترف بوجود المسيح عليه السلام وحين برَّ أمه. ومع ذلك فقد قوبل بجحود لا مثيل له، وما زال يقابل بهذا الجحود من المسيحيين على أكبر خدمة أديت للمسيح عليه السلام.

وبعد: فإني أحب صادقاً أن نتعاون في صدِّ كل انحراف، وأحب أن أقول إنه لولا تقديري لكم لما كتبت لكم هذا. وإنني يسرني أن أقرأ لكم.

وسأتحدث إليكم عن رأيي في موضوع المؤتمر في المستقبل إن شاء الله.

ولكم تحيتي وتقديري.

د. عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر



SECRETARIATUS PRO NON CHRISTIANIS

00120 CITTA DEL VATICANO

رسالة سكرتارية الفاتيكان لشؤون العلاقات الدينيّة الى المسلمين بمناسبة عيد الفطر المبارك ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

أيّها الأصدقاء المسلمون الأعزّاء ، الإخوة والأخوات في الله

بمناسبة عيد الفطر المبارك يُسعد أمانة سرّ الفاتيكان للعلاقات مع مؤمني الأديان الأخرى أن تحيّيكم في كلّ عام وتقدّم لكم أخلص التهاني .

لقد عبّرتم طوال شهر رمضان بالصوم والصلاة عن الإيمان بالله والطاعة لإرادته المقدّسة . هذا الإيمان بالإله الواحد الأحد الحيّ القيّوم ، تراث جميع الأبناء المنتمين بالروح لإبراهيم أبي المؤمنين ، يجمعنا إخوةً وأخوات في الله ويحثّنا على العمل معًا في سبيل التضامن والعدل والسلام بين الناس .

ومن بين المؤمنين الصادقين الذين انتعشوا بروح الله وعاشوا وفقًا لطاعة إبرهيم نخصّ بالذكر مريم أمّ المسيح التي يكرّمها المسيحيون والمسلمون قدوةً للمؤمنين ، وإن اختلفوا في اعتبارات تتعلق بدورها وبعض صفاتها . ولمّا كان قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني بلفت انتباه المؤمنين الكاثوليك طوال سنة ١٩٨٧ - ١٩٨٨ إلى سيرة مريم الروحيّة ، بدا لنا مناسبًا أن نستدعيَ وجهها الجذّاب في رسالتنا إليكم اليوم .

لقد حظيتْ مريم بنعمة فريدة من لدُن ربّها فاصطفاها على نساء العالمين وطهّرها وعصمها من مسّة الشيطان الذى لم يجد إليها سبيلا . أصغت مريم الى صوت الربّ القدير وصدّقت كلمته ووهبت ذاتها لعبادته وكانت نِعْمَ الخادمة القانتة المتواضعة فأصبحت لنا قدوةً في الإيمان والعبادة والتوكّل على الله ونموذجًا حيًّا في الإحسان والطهارة والقداسة . إنّ مريم لهي بالحقيقة رمزٌ لكل امرئٍ على الحرّيّة الحقيقيّة والكرامة الروحيّة ولاسيّما للمرأة التي طالما أساء التاريخ تقييمها .

نسأل الله أن يمُنّ علينا بالنعم الروحيّة التي يرنو إليها البشر والتي صلّيتم وصمتم من أجلها طوال الشهر الكريم وأن يمنحكم في هذا العيد بركاته ويُديمكم في الطمأنينة والبهجة والهناء .

Francis Card. Arinze
President

كردينال فرانسيس آرينزى



PONTIFICIUM CONSILIUM
PRO
DIALOGO INTER RELIGIONES
00120 CITTÀ DEL VATICANO

المجلس البابوي للحوار بين الاديان

رسالة لمناسبة عيد الفطر السعيد
في ختام شهر رمضان المبارك ١٤١٥-١٩٩٥

اصدقاءنا المسلمين ،

سلام عليكم وبركة لكم من لدن الله ،

١. يسرّني ان احييكم باسم اعضاء الكنيسة الكاثوليكية ، وقد أشرف شهر رمضان على نهايته . ولكون الصوم زمن زهد وصلاة ومقاسمة ، فإنّه يساعد على تقوية الروابط مع الله تعالى ومع الناس ،خلائقه .

٢. فمن اجل الله يبذل الصائم هذا الجهد ، الذى به يعلن عن جلال الله ويتضع امامه ويساله سبحانه وتعالى غفران خطاياه . إنه عمل ينقي الانسان ويجعله اكثر قربا من الله ، القدوس الاوحد .

٣. وإذ يجتهد الانسان في التقرّب من الله ، فانه يقترب في الوقت نفسه من اخوته ويصبح اكثر مودّة تجاههم . فمن تقرّب الى الله ، أصبح دون شك اكثر انتباها لضرورة اقترابه نحو اخيه الانسان ، الخليقة الاحبّ الى الاله الرحيم الحنون . عندما يرى الناس ذواتهم موضوع رحمة الله ، فإنهم يشعرون بقوّة تدفعهم الى التصرّف بالطريقة عينها نحو قريبهم . نقرأ في الانجيل المقدّس قول السيّد المسيح ، في معرِض كلامه عمّن يسعف الذين هم في ضيق : «كلما فعلتم هذا لأحد اخوتي هؤلاء الصغار ، فلي قد فعلتموه» (انجيل متى ٢٥ ، ٤٠).

٤. نشكر الله معكم على هذه الايام المباركة ، ونهنئكم على الجهد المبذول والنتائج المجتناة ، متمنين لكم من اعماق قلوبنا عيداً مباركاً .

٥. ان الصوم يعلّمنا ، ضمن ما يعلّم ، حسن استخدام الخيرات الارضية . هذا موضوع يَعنينا جميعا ، بوصفنا سكان هذا الكوكب ، وعلى وجه الخصوص بوصفنا مؤمنين بإله «واحد خالق السماء والارض» ، والذي «له ما في السماوات وما في الارض» والذي جعل الانسان «خليفته» وشريكاً له في ادارة امور العالم .

٦. اننا لسوء الحظ لا نحترم دوما الدور الذى أوكله الينا الخالق . كثيرا ما نستعمل

Adresse Postale - Postal Address
00120 CITTÀ DEL VATICANO
Tel. 698.84321 - 698.83648
FAX: 698.84494

Bureaux - Office
VIA DELL'ERBA, 1 - 00193 ROMA

موارد الارض دون حساب وبلا حكمة ، خلافا لما اقرّه الله تعالى . والنتائج السلبيّة لذلك السلوك واضحة للعيان : التدمير التدريجي لطبقة الاوزون ، تلوّث التربة والماء والهواء ، تناقص الاشجار وتراجع الغابات ، زوال انواع نباتية وحيوانية ... عالمنا معرض كذلك لخطر نفاذ بعض موارده الطبيعية ، فضلا عن خطر النفايات الصناعية والذرّية . ولا نبالغ اذا قلنا بوجود ازمة بيئية وانعدام الامن البيئي ، مما يوّلد الاضطراب والخوف . والازمة البيئية هي في الواقع ازمة اخلاقية .

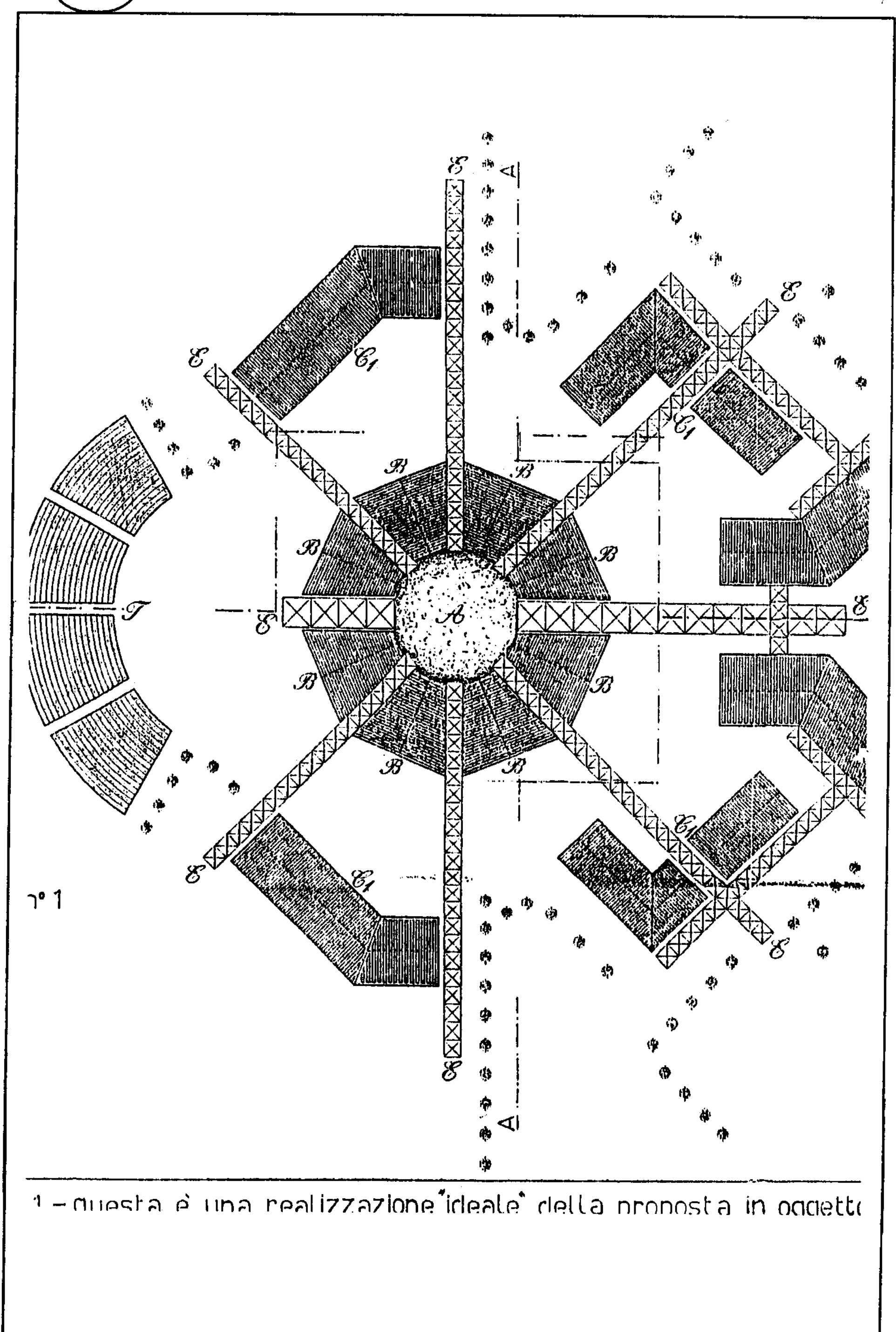
٧ . لا يجوز لسكّان الارض ان يظلوا مكتوفي الايدي حيال الوضع السائد . ان ما يجري ليس خطرا على الانسان فحسب ، انمّا هو اهانة للخالق جلّ جلاله كذلك . المؤمنون كافة وذوو الارادة الصالحة مدعوون الى تدبّر الامر . والتزام المؤمن بحماية البيئة ينبع من ايمانه بالله الخالق ويتطلب تغييرا في التفكير والسلوك . فللركض وراء المتعة وللنزعة الاستهلاكية نتائج سلبية على أسلوب المعيشة وعلى البيئة . ولكي نغيّر اسلوب حياتنا ، نحتاج الى ممارسة الزهد والاعتدال وروح التضحية . والصوم يساعد على تنمية هذه الفضائل .

٨ . ان حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية هما من واجبات الأسرّة البشرية بكاملها ، افرادا ومؤسسات ودولا ومنظمات ، حكومية كانت او غير حكوميّة . ألا يوجد هنا ايضا قيمة مشتركة بين مؤمني سائر الديانات على وجه العموم ، وبين المسلمين والمسيحيين على وجه الخصوص؟ الا يمكننا العمل معا لخير الاجيال القادمة ، للحفاظ على الارض نظيفة ، والهواء نقيا ، والماء صافيا وموارد الارض بعيدة عن خطر النفاذ؟ أليس من المناسب ، بل ومن الضروري ، توعية الرأي العام ، وبخاصة أولي الامر ، في هذا الشأن؟ ان التربية على الاحساس بالمسؤولية البيئية واحترام الحياة في الاسرة والمدرسة ووسائل الإعلام من شأنها ان تكون عونا ثمينا للشبيبة على اختلاف اديانها . سيجد بذلك الشبّان والشابات مجالا للتفكير ودافعا الى العمل وفرصة لتنمية ضمير بيئي . وسيُسهِم هذا التكاتف الجديد في تدعيم السلام العالمي ، لإنّ لكثير من القيم الاخلاقية المرتبطة باحترام البيئة علاقة متينة مع بناء مجتمع يسوده السلام .

٩ . هذه هي ، اصدقائي المسلمين ، الافكار التي ارغب في ان اشاطركم إيّاها . أكرّر تهانيّ بالعيد السعيد ، متمنياً لكم السعادة ودوام التقدّم .

Francis Card. Arinze
President

الكاردينال فرنسيس اريـنزي
رئيس المجلس البابوي للحوار بين الاديان



مخطط هندسي لمشروع مجمع معابد الأديان إيطاليا.

الجداول والفهارس

وتتضمن:

١ ـ مسرد بالمؤتمرات المعقودة للتقريب بين الأديان.

٢ ـ قائمة بالجمعيات والمؤسسات والمراكز المعنية بقضية التقريب بين الأديان.

٣ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٤ ـ فهرس الآثار.

٥ ـ فهرس الأعلام.

٦ ـ فهرس الفرق والطوائف.

٧ ـ فهرس المراجع.

٨ ـ فهرس الموضوعات.



١ ـ مسرد بالمؤتمرات المعقودة للتقريب بين الأديان مرتبة حسب وقوعها الزمني

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١ ـ تاريخ الأديان الدولي ١٩٣٥م	بروكسل ـ بلجيكا	١٦ ـ ١٩٣٥/٩/٢٠م		١٠٧٤
٢ ـ المؤتمر العالمي للأديان ١٩٣٦م	لندن	٣ ـ ١٩٣٦/٧/١٨م	المجلس العالمي للأديان	١٠٧٥
٣ ـ المؤتمر العالمي للأديان ١٩٣٧م	باريس ـ فرنسا	١٩٣٧م	المجلس العالمي للأديان	١٠٧٧
٤ ـ القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية	بحمدون ـ لبنان	١٩ ـ ١٣٧٣/٨/٢٦هـ ٢٢ ـ ١٩٥٤/٤/٢٩م	جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط	١٠٨١
٥ ـ نداء للتعاون الإسلامي المسيحي	إيفانستون ـ الولايات المتحدة الأمريكية	ذي الحجة ١٣٧٣هـ أغسطس ١٩٥٤م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٠
٦ ـ مؤتمر لجنة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي	الإسكندرية ـ مصر	١٦ ـ ١٣٧٤/٤/٢١هـ ٩ ـ ١٩٥٥/٢/١٤م	جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط	١٠٨٤
٧ ـ الإسلام والحضارة الغربية	البندقية ـ إيطاليا	١ ـ ١٣٧٥/٢/٦هـ ١٩ ـ ١٩٥٥/٩/٢٤م	مؤسسة جوفياني ستي	١٠٨٧
٨ ـ مؤتمر لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي	بحمدون ـ لبنان	٦ ـ ١٣٧٥/١١/٩هـ ١٥ ـ ١٩٥٦/٦/١٨م	جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط	١٠٨٥
٩ ـ محاضرات المسيحية والإسلام	بيروت	١٩٦٥م	الندوة اللبنانية	١٣٥١
١٠ ـ المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول	نجبور ـ الهند	١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م	معهد هنري مارتن	١٣٢٠
١١ ـ محاضرات العدالة في المسيحية والإسلام	بيروت ـ لبنان	١٩٦٦م	الندوة اللبنانية	١٣٥٢
١٢ ـ ممثلي الأديان في أندونيسيا	جاكرتا ـ أندونيسيا	١٩٦٧/١١/٣٠م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣١
١٣ ـ لقاء تحضيري	جنيف ـ سويسرا	٤ ـ ١٩٦٨/٣/٧م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤١
١٤ ـ من أجل الانفتاح والتفاهم مع الإسلام المعاصر	مراوي ستي ـ الفلبين	١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م	جهات أكاديمية	١٣٤٤

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٥ - من أجل اللقاء مصادقة	الخرطوم - السودان	١٣٨٨/١٠/٢٥هـ ١٩٦٩/١/١٥م	مجلس الكنائس السوداني	١٣٩١
١٦ - المؤتمر الدولي للأديان	زاغورسك - الاتحاد السوفيتي	١٩٦٩/٧/١م		١٣٠١
١٧ - المؤتمر الإسلامي المسيحي الاستشاري	كارتيني - سويسرا	١٢-١٣٨٨/١٢/١٦م ٢-١٩٦٩/٣/٦م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤١
١٨ - مؤتمر إسلامي مسيحي	بيروت - لبنان	١٣٨٨/٨/١٤هـ ١٩٦٩/١٠/٢٦م	الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان)	١٣٥٣
١٩ - تقدم الإسلام في الفلبين	مراوي ستي - الفلبين	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٢٠ - حوار بين متبعي الديانات الحية	عجلتون - لبنان	٤-١٣٩٠/١/٧هـ ١٢-١٩٧٠/٣/١٥م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٣
٢١ - مؤتمر معبد التفاهم	جنيف - سويسرا	٣/٣١-١٩٧٠/٤/٣م	معبد التفاهم في نيويورك	١٣١٤
٢٢ - لقاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة بأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	الفاتيكان	١٧-١٣٩٠/١٠/٢١هـ ١٦-١٩٧٠/١٢/٢٠م		١١٠٨
٢٣ - اتجاه التباحث في «فرانو»	مراوي ستي - الفلبين	١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٢٤ - مؤتمر كيوتو	كيوتو - اليابان	١٩٧٠م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
٢٥ - التعاون الروحي	بيروت - لبنان	١٣٩٠/١١/١٢هـ ١٩٧١/١/٩م	الشيخ حسن خالد «مفتي لبنان»	١٣٥٣
٢٦ - من أجل حوار بين الأديان	جاكرتا - أندونيسيا	١٣٩١/١١/٧هـ ١٩٧١/١١/٢٩م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٢٧ - التعاون الروحي والترابط بين جميع الطوائف	بيروت - لبنان	محرم ١٣٩١هـ - مارس ١٩٧١م	الشيخ حسن خالد «مفتي لبنان»	١٣٥٣
٢٨ - اتجاه التباحث في «مغندناوه»	كوتوباتو - الفلبين	١٣٩١هـ - ١٩٧١م	جهات أكاديمية	١٣٤٥

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٩ ـ أهمية الدين	سربايا ـ أندونيسيا	٢ـ٦/١١/١٣٩٢هـ ٩ـ١٣/١/١٩٧٢م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٠ ـ الدين عامل إنمائي	جاكرتا ـ أندونيسيا	١٥ـ١٦/٥/١٣٩٢هـ ٢٧ـ٢٨/٦/١٩٧٢م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣١ ـ تحقيق التفاهم والتعاون الإنساني	برمانا ـ لبنان	٣٠/٥ـ٦/٦/١٣٩٢هـ ١٢ـ١٨/٧/١٩٧٢م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٤، ١٣٥٥
٣٢ ـ مؤتمر كيبرون	كيبرون ـ أندونيسيا	١٤/٦/١٣٩٢هـ ٢٦/٧/١٩٧٢م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٣ ـ مؤتمر باندونغ١	باندونغ ـ أندونيسيا	١٨ ـ ٢٣/٧/١٣٩٢هـ ٢٨/٨ـ٣/٩/١٩٧٢م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٤ ـ أهمية الدين	جولو ـ الفلبين	١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٣٥ ـ اتحاد المؤمنين لمجابهة الإلحاد	باريس ـ فرنسا	ربيع الثاني ١٣٩٢هـ يونيو ١٩٧٢م	الأزهر، الفاتيكان، جامع باريس	١١٠٩
٣٦ ـ موانع الانسجام	يونيكرتا ـ أندونيسيا	٣ـ٧/١/١٣٩٣هـ ٦ـ١٠/٢/١٩٧٣م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٧ ـ الجهد من أجل الحوار	جاكرتا ـ أندونيسيا	٥ـ٨/٣/١٣٩٣هـ ٨ـ١١/٤/١٩٧٣م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٨ ـ العناصر المشتركة	ميدان ـ أندونيسيا	٢٥ـ٢٧/٣/١٣٩٣هـ ٢٨ـ٣٠/٤/١٩٧٣م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٩ ـ مؤتمر باندونغ٢	باندونغ ـ أندونيسيا	٢٥/٤ـ١/٥/١٩٧٣م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٤٠ ـ المسؤولية المشتركة من أجل العدالة	بونتياناك ـ أندونيسيا	٥ـ٦/٥/١٣٩٣هـ ٦ـ٧/٦/١٩٧٣م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٤١ ـ مؤتمر مينادو	مينادو ـ أندونيسيا	١٧/١١/١٩٧٣م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٤٢ ـ تدوين العادات الإسلامية والشريعة القرآنية	دفاوه ـ الفلبين	١٣٩٣هـ سبتمبر ١٩٧٣م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٤٣ ـ مؤتمر إسلامي مسيحي	بيروت ـ لبنان	٢٠/١٠/١٣٩٣هـ ١٧/١٠/١٩٧٣هـ	الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان)	١٣٥٣
٤٤ ـ أهمية الحوار الديني	بالمبانغ ـ أندونيسيا	١٤ـ١٧/١٢/١٣٩٣هـ ٨ـ١١/١/١٩٧٤م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٤٥ - من الحوار تنبع الحكمة	دميسار - أندونيسيا	١٣٩٣/١٢/٢٧هـ - ١٣٩٤/١/١هـ ٢١ - ١٩٧٤/١/٢٥م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٤٦ - مؤتمر بنجرماسن	بنجرماسن - أندونيسيا	٢٩ - ١٩٧٤/٣/٣١م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٤٧ - نحو جماعة عالمية: الوسائل والمسؤوليات للعيش معاً	كولومبو - سيرلانكا	٣/٢٤ - ١٣٩٣/٤/٣هـ ١٧ - ١٩٧٤/٤/٢٦م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٩
٤٨ - وحدانية الله، والجماعة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين الأفارقة على صعيد العمل والشهادة	لاغون - غانا	٦/٢٦ - ١٣٩٤/٧/١هـ ١٧ - ١٩٧٤/٧/٢١م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٩، ١٤٧٨
٤٩ - صوفيو الصحراء	سينتكا - فرنسا	٥ - ١٣٩٤/٧/١٢هـ ٧/٢٥ - ١٩٧٤/٨/٣م	دير سينتكا	١٢٤٦
٥٠ - الدين من أجل حياة فضلى	لوفان - بلجيكا	٩ - ١٣٩٤/٨/١٥هـ ٨/٢٨ - ١٩٧٤/٩/٣م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
٥١ - لقاء أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية	القاهرة - مصر	٢٢ - ١٣٩٤/٨/٢٩م ٩ - ١٩٧٤/٩/١٦م		١١٠٨
٥٢ - المؤتمر الإسلامي المسيحي الدولي الأول	قرطبة - أسبانيا	٢٣ - ١٣٩٤/٨/٢٨هـ ١٠ - ١٩٧٤/٩/١٥م	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا	١١٨١، ١٤٧٨
٥٣ - حقوق الإنسان في الإسلام والمسيحية	الفاتيكان	١٣٩٤/١٠/٩هـ ١٩٧٤/١٠/٢٥م	وفد من علماء المملكة العربية السعودية والفاتيكان	١١١٤
٥٤ - التعايش الأفضل	أليغاره - الهند	٨ - ١٣٩٤/١٠/١٠هـ ٢٥ - ١٩٧٤/١٠/٢٧م	لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك	١٣٢٠
٥٥ - التوفيق بين التسامح والتعاون على نشر الدين	كوبنغ «تيمور» - أندونيسيا	١١ - ١٣٩٤/١٠/١٢هـ ٢٨ - ١٩٧٤/١٠/٢٩م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٥٦ـ نظرة الأديان السماوية إلى الإنسان وإلى تطلعه نحو السلام	جنيف ـ سويسرا	١٣ـ١٤/١٠/١٣٩٤هـ ٣٠ـ٣١/١٠/١٩٧٤م	وفد من علماء المملكة العربية السعودية ومجلس الكنائس العالمي	١١٥٣
٥٧ـ حول مؤتمر كولومبو	بونتياناك ـ أندونيسيا	٢٠ـ٢٣/١٠/١٣٩٤ ٦ـ٩/١١/١٩٧٤م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٥٨ـ الضمير المسيحي، والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو	قرطاج ـ تونس	٢٥/١٠ ـ ٢/١١/١٣٩٤ ١١ـ١٧/١١/١٩٧٤م	مجلس الكنائس العالمي، ومركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية	١١٥٣، ١٣٨٨
٥٩ـ مؤتمر زامبونغاستي التحضيري	زامبونغاستي ـ الفلبين	شعبان ١٣٩٤هـ سبتمبر ١٩٧٤م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	١١١٧، ١٣٤٢
٦٠ـ بناء الإرادة الحسنة	زامبونغاستي ـ الفلبين	١٩٧٤م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣
٦١ـ أسس التفاهم الإسلامي ـ المسيحي الدينية	كجايان ـ أورو ـ الفلبين	١٣٩٤هـ ديسمبر ١٩٧٤م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٦٢ـ المسلمون والمسيحيون في المجتمع: لأجل الإرادة الحسنة، والتشاور والعمل معاً في جنوب شرق آسيا	هونغ كونغ	٢٠ـ٢٦/١٢/١٣٩٤هـ ٤ـ١٠/١/١٩٧٥م	مجلس الكنائس العالمي ولجنة الحوار الإسلامي المسيحي لجنوب شرق آسيا والمؤتمر المسيحي في آسيا	١١٥٤، ١٤٧٠
٦٣ـ التعاون في سبيل الإنسان	سميرانغ ـ أندونيسيا	١٤ـ١٧/١/١٣٩٥هـ ٢٧ـ٣٠/١/١٩٧٥م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٦٤ـ أصداء لقاء هونغ كونغ	مانيلا ـ الفلبين	٤/٢/١٣٩٥هـ ١٦/٢/١٩٧٥م	مجلس الكنائس العالمي	١١٥٧
٦٥ـ الوحدة في التعددية	زامبونغاستي ـ الفلبين	١٨ـ١٩/٥/١٣٩٥هـ ٢٩ـ٣٠/٣/١٩٧٥م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٦٦ ـ تطور التفكير الديني في الأديان الموحِّدة الثلاثة	سينتكا ـ فرنسا	١٦ ـ ١٣٩٥/٧/٢٣هـ ٢٥/ ٧ ـ ١٠/ ١٩٧٥/٨م	دير سينتكا	١٢٤٦
٦٧ ـ التعايش والاتحاد الإسلامي المسيحي عنصران أساسيان للبنان	بيروت ـ لبنان	١٣٩٥/٩/٢٨هـ ١٩٧٥/١٠/٤م	القيادات الدينية المحلية	١٣٥٤
٦٨ ـ مؤتمر ميدان	ميدان ـ أندونيسيا	٢٠ ـ ١٩٧٥/١١/٢٣م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٦٩ ـ مؤتمر إسلامي مسيحي	بيروت ـ لبنان	محرم ١٣٩٥هـ فبراير ١٩٧٥م	الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان)	١٣٥٣
٧٠ ـ لقاء الثقافات	زامبونغاستي ـ الفلبين	١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٧١ ـ هل نتابع الحوار؟	جاكرتا ـ أندونيسيا	ربيع الأول ١٣٩٥هـ أبريل ١٩٧٥م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٧٢ ـ المؤتمر الإسلامي اليهودي المسيحي	بيلاجو ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٧٥م	مجمع السلام بين الأديان	١٣١٤
٧٣ ـ الحوار الإسلامي المسيحي	مراوي ـ الفلبين	١٣ ـ ١٣٩٦/١/١٧هـ ١٥ ـ ١٩٧٦/١/١٩م	مجلس الكنائس العالمي	١١٥٨، ١٣٤٢
٧٤ ـ ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	طرابلس ـ ليبيا	٢ ـ ١٣٩٦/٢/٦هـ ١ ـ ١٩٧٦/٢/٥م	الفاتيكان، والجمهورية الليبية	١١١٨
٧٥ ـ مخيم من أجل التعارف الأفضل	كوتوباتو ـ الفلبين	٢٦/ ٤ ـ ١٣٩٦/٥/٣هـ ٢٦/ ٤ ـ ١٩٧٦/٥/٢م	لجنة الحوار الإسلامي المسيحي ولجنة PACEM	١٣٤٥
٧٦ ـ التبشير والدعوة الإسلامية	شامبيزي ـ سويسرا	٢٨/ ٦ ـ ١٣٩٦/٧/٤هـ ٢٦/ ٦ ـ ١٩٧٦/٧/١م	مجلس الكنائس العالمي، والمؤسسة الإسلامية في ليستر، ومركز الدراسات الإسلامية في كليات سلي أوك	١١٥٨
٧٧ ـ الصلاة	توسكراي ـ فرنسا	١٣ ـ ١٣٩٦/٨/٢٠هـ ٩ ـ ١٩٧٦/٨/١٦م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام	١٢٥٢

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٧٨ - التخطيط للحوار الإسلامي المسيحي: الأشكال الراهنة والمستقبلة	كارتيني - سويسرا	٢٥ - ١٣٩٦/١٠/٢٨هـ ١٩ - ١٩٧٦/١٠/٢٢م	مجلس الكنائس العالمي	١١٦٢، ١٤٧٩
٧٩ - أسماء الله، للإنسان المعاصر	سينتكا - فرنسا	١٩ - ١٣٩٦/١١/٢٢هـ ١١ - ١٩٧٦/١١/١٤م	دير سينتكا	١٢٤٧
٨٠ - الكنيسة والمسلمون في أوربا	فيينا «مودلنغ» - النمسا	١٩ - ١٩٧٦/١١/٢١م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	١٢٦٨
٨١ - تحقيق البرامج الحكومية	مراوي ستي - الفلبين	١٩٧٦م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣
٨٢ - من أجل تفاهم أعمق	لاناوه - الفلبين	١٣٩٦هـ يونيو ١٩٧٦م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٨٣ - مؤمر باندونغ ٣	باندونغ - أندونيسيا	فبراير ١٩٧٦م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٨٤ - ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	بالرمو - صقلية (إيطاليا)	١٩٧٦م		١١٢٥
٨٥ - ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	كاتانيا - صقلية (إيطاليا)	نوفمبر ١٩٧٦م		١١٢٥
٨٦ - ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	مالطا (الأولى)	١٩٧٦م		١١٢٥
٨٧ - مؤتمر الصداقة الإسلامي المسيحي الثاني	قرطبة - أسبانيا	٣/٣٠ - ١٣٩٧/٤/٦هـ ٢١ - ١٩٧٧/٣/٢٧م	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا	١١٨٤، ١٤٨٠
٨٨ - مؤتمر كوبنغ	كوبنغ - أندونيسيا	١٩٧٧/٤/٢١م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٨٩ - إله المسيحية والإسلام	فيينا «مودلنغ» - النمسا	١٢ - ١٣٩٧/٦/١٦هـ ٥/٣١ - ١٩٧٧/٦/٤م	معهد القديس جبريل اللاهوتي	١٢٦٩
٩٠ - التعاون الديني من أجل السلام ونزع السلاح	موسكو - الاتحاد السوفيتي	١٨ - ١٣٩٧/٦/٢٢هـ ٦ - ١٩٧٧/٦/١٠م	بطريرك موسكو الأرثذوكسي (بيمن)	١٣٠٢
٩١ - النظام العالمي المتغير: تحدي لإيماننا	لشبونه - البرتغال	٢٥ - ١٣٩٧/١١/٢٩هـ ٧ - ١٩٧٧/١١/١١م	مجمع السلام بين الأديان	١٣١٤

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٩٢ ـ كلمة الله	سينتكا ـ فرنسا	٢٩/١١ ـ ١٠/١٢/١٣٩٧ ١١ ـ ١٣/١١/١٩٧٧م	دير سينتكا	١٢٤٧، ١٤٦٨
٩٣ ـ الإيمان، والعلم، والتقنية ومستقبل الإنسانية	بيروت ـ لبنان	٢ ـ ٦/١٢/١٣٩٧هـ ١٤ ـ ١٨/١١/١٩٧٧م	مجلس الكنائس العالمي	١١٦٤، ١٣٥٥
٩٤ ـ مؤتمر ساميرانغ	ساميرانغ ـ أندونيسيا	٢٤ ـ ٢٧/١/١٩٧٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٩٥ ـ مؤتمر بالنغ كاريّا	بالنغ كاريا ـ أندونيسيا	٨/١٢/١٩٧٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٩٦ ـ في سبيل المصالحة والسلام والعدالة في لبنان	جنيف ـ سويسرا	جمادى الثانية ١٣٩٧هـ يونيو ١٩٧٧م	مجلس الكنائس العالمي، ومنظمة سوباكس	١١٦٤
٩٧ ـ من أجل تفاهم أعمق	القاهرة ـ مصر	٣ ـ ٦/٥/١٣٩٨هـ ١١ ـ ١٤/٤/١٩٧٨م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، وإدارة جامعة الأزهر	١١١٠
٩٨ ـ ندوة تعريف الإسلام بطريقة أفضل في كتب التعليم الديني	مدريد ـ إسبانيا	١٤/٧/١٣٩٨هـ ٢٠/٦/١٩٨٧م	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا، مكتب الإعلام التابع لجامعة الدول العربية	١١٩٥
٩٩ ـ الأسفار المقدسة	سينتكا ـ فرنسا	٢٦ ـ ٢٨/٨/١٣٩٨هـ ١ ـ ٣/٧/١٩٧٨م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٨، ١٤٦٩
١٠٠ ـ الإيمان والثقافة في الإسلام والمسيحية الأمس واليوم	شانتيلي ـ فرنسا	١٣ ـ ١٦/٨/١٣٩٨هـ ١٩ ـ ٢٢/٧/١٩٧٨م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام ومركز الينابيع الثقافي	١٢٥٢
١٠١ ـ الكنيسة والجامع، ومساهمتهما في انسجام الأديان والمصالحة بينهما	نيودلهي ـ الهند	٧ ـ ٩/١١/١٣٩٨هـ ٩ ـ ١١/١٠/١٩٧٨م	لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك معهد هنري مارتن، المعهد الهندي للدراسات الإسلامية	١٣٢١، ١٤٨٠

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٠٢ ـ ملتقى معهد فادسا جيوتي	دلهي ـ الهند	١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م		١٣٢٢
١٠٣ ـ التعايش الإسلامي المسيحي	شامبيزي ـ سويسرا	١٣ ـ ١٥/٤/١٣٩٩هـ ١٢ ـ ١٤/٣/١٩٧٩م	مجلس الكنائس العالمي	١١٦٤
١٠٤ ـ معاني الوحي والتنزيل ومستوياتها	تونس	٣ ـ ٧/٦/١٣٩٩هـ ٣٠/٤ ـ ٤/٥/١٩٧٩م	المركز التونسي للدراسات والأبحاث	١٣٨٨
١٠٥ ـ الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر	شانتيلي ـ فرنسا	١٧ ـ ٢٠/٨/١٣٩٩هـ ١٢ ـ ١٥/٧/١٩٧٩م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام ومركز الينابيع الثقافي	١٢٥٣
١٠٦ ـ قراءة الأسفار المقدسة	تونس	١٨ ـ ٢١/١٠/١٣٩٩هـ ١٠ ـ ١٣/٩/١٩٧٩م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩، ١٤٦٩
١٠٧ ـ الهدنة وإعادة التفاوض بين جبهة تحرير مورو الوطنية والحكومات الفلبينية	تاغايتي ـ الفلبين	١٩٧٩م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣
١٠٨ ـ التعايش والصلاة والتفكير معاً	أليغاره ـ الهند	ربيع الأول ١٣٩٩هـ فبراير ١٩٧٩م	جماعة تعددية الأديان، لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك	١٣٢٣
١٠٩ ـ تأسيس رابطة الدراسات الإسلامية ISA	أكرا ـ الهند	١٩٧٩م		١٣٢٢
١١٠ ـ الحوار الثلاثي بين الأديان الإبراهيمية	نيويورك ـ الولايات المتحدة الأمريكية	نوفمبر ١٩٧٩م		١٣٠٥
١١١ ـ مؤتمر الصداقة الإسلامي المسيحي الثالث	قرطبة ـ إسبانيا	١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا	١١٩٦
١١٢ ـ ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	باريس	١٩٧٩م	اليونسكو	١١٢٥
١١٣ ـ مؤتمر برنستاون	برنستاون ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٧٩م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١١٤ ـ أسس الحوار مع المسلمين	القدس ـ فلسطين	٢٨/٤ ـ ٣/٥/١٩٨٠م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٥
١١٥ ـ الحمد لله	حيدر أباد ـ الهند	١٣ ـ ١٥/١٢/١٤٠٠هـ ٢٣ ـ ٢٥/١٠/١٩٨٠م	معهد هنري مارتن، ولجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك وفرع الدروس الإسلامية بجامعة ميليا	١٣٢٣
١١٦ ـ التربية الدينية	نيودلهي ـ الهند	٧ ـ ٩/١٢/١٤٠٠هـ ١٧ ـ ١٩/١٠/١٩٨٠م	معهد هنري مارتن، فرع الدروس الإسلامية بجامعة ميليا	١٣٢٣
١١٧ ـ من أجل إنشاء جمعية للحوار بين الأديان	عجبر ـ الهند	٢٢/١١/١٤٠٠هـ ٢/١٠/١٩٨٠م	الأب ليسير والمزار الإسلامي «الدرجة»	١٣٢٣
١١٨ ـ مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي	بيروت ـ لبنان	٢٤ ـ ٢٦/١٢/١٤٠٠هـ ٣ ـ ٦/١١/١٩٨٠م	مجلس كنائس الشرق الأوسط والندوة اللبنانية	١٣٥٥
١١٩ ـ الدين قوة انسجام في المجتمع الهندي	أليغاره ـ الهند	١٢ ـ ١٣/٢/١٤٠١هـ ٢٠ ـ ٢١/١٢/١٩٨٠م	جمعية أليغاره للحوار بين الأديان	١٣٢٤
١٢٠ ـ ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	مالطا (الثانية)	١٩٨٠م		١١٢٥
١٢١ ـ دور الإيمان في الثقافة والحقوق السياسية	بون ـ ألمانيا	١٧ ـ ٢٠/٥/١٤٠١هـ ٢٣ ـ ٢٦/٣/١٩٨١م	مؤسسة أديناور	١٢٨٣
١٢٢ ـ التربية الدينية	شانتيلي ـ فرنسا	١٣ ـ ١٥/٨/١٤٠١هـ ٢٥ ـ ٢٧/٦/١٩٨١م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٧
١٢٣ ـ كلمة الله والكتب المقدسة	الرباط ـ المغرب	٩ ـ ١٢/١١/١٤٠١هـ ٨ ـ ١١/٩/١٩٨١م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩، ١٤٦٩
١٢٤ ـ مفهوم التوحيد	روما ـ إيطاليا	١٥ ـ ١٧/١/١٤٠٢هـ ١٧ ـ ١٩/١١/١٩٨١م	المنظمة الدولية للتقدم	١٢٣١
١٢٥ ـ الأبعاد الخلقية والروحية في العلاقات الإسلامية المسيحية في الفلبين	مراوي ستي ـ الفلبين	٢ ـ ٧/٢/١٤٠٢هـ ٣٠/١١ ـ ٤/١٢/١٩٨١م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣
١٢٦ ـ لقاء وحوار	مراوي ستي الفلبين	١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م	جهات أكاديمية	١٣٤٥

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٢٧ ـ المؤمنون إزاء حقوق الإنسان	موفو ـ فرنسا	١١ـ١٢/٤/١٤٠٢هـ ٦ـ٧/٢/١٩٨٢م	مركز الجبل العالي	١٢٥٤
١٢٨ ـ المسيحيون والمسلمون إزاء المرض والألم	باريس ـ فرنسا	١٩/٤/١٤٠٢هـ ١٤/٢/١٩٨٢م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام	١٢٥٤
١٢٩ ـ يقظة الإسلام السياسية	شانتيلي ـ فرنسا	١٦ـ١٧/٥/١٤٠٢هـ ١٣ـ١٤/٣/١٩٨٢م	مركز الينابيع الثقافي	١٢٥٦
١٣٠ ـ المسيحيون والمسلمون العائشون والعاملون معاً: المبادئ الأخلاقية والممارسات في حقل البرامج الإنسانية والتنموية	كولومبو ـ سيرلانكا	٣ـ٥/٦/١٤٠٢هـ ٣٠/٣ـ١/٤/١٩٨٢م	مجلس الكنائس العالمي، والمؤتمر الإسلامي العالمي (كراتشي)	١١٦٨
١٣١ ـ الإيمان عند إبراهيم	شانتلي ـ فرنسا	٦ـ٨/٧/١٤٠٢هـ ٣٠/٤ـ٢/٥/١٩٨٢م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٧
١٣٢ ـ المؤتمر العالمي لرجال الأديان في سبيل إنقاذ الحياة البشرية من الكارثة النووية	موسكو ـ الاتحاد السوفيتي	١٦ـ٢٠/٧/١٤٠٢هـ ١٠ـ١٤/٥/١٩٨٢م	بطريرك موسكو الأرثذوكسي (بيمن)	١٣٠٢
١٣٣ ـ حقوق الإنسان	تونس	٣٠/٧ـ٥/٨/١٤٠٢هـ ٢٤ـ٢٩/٥/١٩٨٢م	المركز التونسي للدراسات والأبحاث	١٣٨٩
١٣٤ ـ كلمة الله	تونس	١٣ـ١٩/١١/١٤٠٢هـ ٢ـ٨/٩/١٩٨٢م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩، ١٤٦٩
١٣٥ ـ في سبيل مخرجٍ من أزمات عصرنا	بالرمو ـ صقلية	١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣٠
١٣٦ ـ الإنماء والتعاون بين الشعوب	ياوندي ـ الكمرون	٨ـ١١/٤/١٤٠٣هـ ٢١ـ٢٤/٢/١٩٨٣م	مؤسسة أديناور	١٢٨٣
١٣٧ ـ مؤتمر إسلامي مسيحي	موفو ـ فرنسا	٢٠ـ٢١/٥/١٤٠٣هـ ٥ـ٦/٣/١٩٨٣م	مركز الجبل العالي	١٢٥٥
١٣٨ ـ في سبيل الحوار	ملووكي ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٦ـ١٧/٧/١٤٠٣هـ ٢٩ـ٣٠/٤/١٩٨٣م	جمعية العمل من أجل العلاقات المسيحية	١٣٠٥
١٣٩ ـ كيف نؤمن نحن المسيحيين والمسلمين في عالم تعلدي ومتعلمن؟	ليون ـ فرنسا	١٥ـ١٩/١٠/١٤٠٣هـ ٢٦ـ٣٠/٧/١٩٨٣م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام	١٢٥٤

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٤٠ ـ العلمنة!	سيتنكا ـ فرنسا	٢٩/ ١١ ـ ٣/ ١٢/ ١٤٠٣ ـ ٧ـ ١١/ ٩/ ١٩٨٣م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩
١٤١ ـ حوار وتعايش	القدس ـ فلسطين	١ ـ ٣/ ١٢/ ١٤٠٣هـ ٩ ـ ١١/ ٩/ ١٩٨٣م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦
١٤٢ ـ التصوف الإسلامي، والتصوف المسيحي	بالرمو ـ صقلية	١٤ ـ ١٥/ ١/ ١٤٠٤هـ ٢١ ـ ٢٢/ ١٠/ ١٩٨٣م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣٠
١٤٣ ـ من أجل السلام والتآخي بني الشعوب	تشيكنت ـ الاتحاد السوفيتي	شعبان ١٤٠٣هـ مايو ١٩٨٣م		١٣٠٢
١٤٤ ـ التوراة والإنجيل والقرآن	تولوز ـ فرنسا	١٧ ـ ١٨/ ٤/ ١٤٠٤هـ ٢١ ـ ٢٢/ ١/ ١٩٨٤م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية ومعهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٧، ١٤٦٩
١٤٥ ـ التعايش الإسلامي المسيحي في لبنان	بيروت ـ لبنان	٢/ ٦/ ١٤٠٤هـ ٢٢/ ٢/ ١٩٨٤م	البطريرك إغناطيوس هزيم الأرثذوكسي	١٣٥٤
١٤٦ ـ حقوق الإنسان والأديان	شانتيلي ـ فرنسا	٧ـ ٨/ ٦/ ١٤٠٤هـ ١٠ ـ ١١/ ٣/ ١٩٨٤م	مركز الينابيع الثقافي، ومعهد روبرت شومان لأوربا IRSG	١٢٥٦
١٤٧ ـ كيف نعيش نحن المسلمين والمسيحيين ونشهد لإيماننا في عالم تغرب عن الله؟	موفو ـ فرنسا	١٤ ـ ١٥/ ٦/ ١٤٠٤هـ ١٧ ـ ١٨/ ٣/ ١٩٨٤م	مركز الجيل	١٢٥٥
١٤٨ ـ القيم الدينية المشتركة في سبيل بناء الأمة	كوالالمبور ـ ماليزيا	١٤ ـ ١٥/ ٦/ ١٤٠٤هـ ١٧ ـ ١٨/ ٣/ ١٩٨٤م	المجلس الاستشاري الماليزي للأديان	١٣٤٠
١٤٩ ـ الصلاة عند اليهودية والمسيحية والإسلام	شانتيلي ـ فرنسا	١٨ ـ ٢٠/ ٧/ ١٤٠٤هـ ٢٨ ـ ٣٠/ ٤/ ١٩٨٤م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٨
١٥٠ ـ نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً والاستماع من بعضهم بعضاً	فيتان ـ آنابا/ رور ـ ألمانيا	١٠ ـ ١٣/ ٥/ ١٩٨٤م	السلطات المحلية الألمانية ومؤتمر العالم الإسلامي ـ كراتشي	١٢٨٤، ١٤٧٧

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٥١ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ١	القدس - فلسطين	٤-٦/١٢/١٤٠٤هـ ٣١/٨-٢/٩/١٩٨٤م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦
١٥٢ - العلمنة ٢	الرباط - المغرب	٢٩/١١ - ٥/١٢/١٤٠٤هـ ٢٦/٨-١/٩/١٩٨٤م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩
١٥٣ - حرية الدين أو العقيدة أساس السلام	روما - إيطاليا	٧-١٠/١٢/١٤٠٤هـ ٣-٦/٩/١٩٨٤م	الجمعية الدينية الدولية	١٢٣١
١٥٤ - مؤتمر السلام في العالم	طوكيو - اليابان	١٠/٢/١٤٠٥هـ ٥/١١/١٩٨٤م	مؤتمر العالم الإسلامي المؤتمر الإسلامي الياباني	١٣١٧
١٥٥ - الحوار	وندسور - المملكة المتحدة	٢٠-٢٣/٣/١٤٠٥هـ ١٥-١٨/١١/١٩٨٤م	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومؤسسة آل البيت	١٢٠٣
١٥٦ - الله والإنسان والطبيعة	بالرمو - صقلية	٢٨/٣-١/٤/١٤٠٥هـ ٢٣-٢٥/١١/١٩٨٤م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣٠
١٥٧ - التعددية والتسامح	نيروبي - كينيا	ذي الحجة ١٤٠٤هـ سبتمبر ١٩٨٤م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
١٥٨ - العلاقات الإسلامية المسيحية على المستوى الجذري	جولو - الفلبين	١٩٨٤م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٤
١٥٩ - الإله الواحد والإنسان المعاصر		١٥-١٦/٨/١٤٠٥هـ ٦-٧/٥/١٩٨٥م	بلدية مونيليه	١٢٦٥
١٦٠ - القداسة في الإسلام والمسيحية	الفاتيكان - المعهد البابوي للدراسات العربية والإنسانية	١٥-١٦/٨/١٤٠٥هـ ٦-٧/٥/١٩٨٥م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	١١٢٩
١٦١ - التربية والقيم	المحمدية - المغرب	١٧-٢١/٨/١٤٠٥هـ ٨-١٢/٥/١٩٨٥م	مؤسسة أديناور	١٢٨٣
١٦٢ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ٢	القدس - فلسطين	٢٠-٢٢/١١/١٤٠٥هـ ٦-٨/٩/١٩٨٥م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٦٣ ـ العلاقة بين الروحانيات والزمانيات	الفاتيكان	٢١ـ١٤٠٥/١٢/٢٦هـ ٧ـ١٩٨٥/٩/١٢م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥٠
١٦٤ ـ اتحاد العالم الإسلامي	إستانبول ـ تركيا	١٩ـ١٩٨٥/٩/٢٢هـ	المجلس العالمي للأديان، كلية «الإلهيات» بجامعة مرمرة.	١٠٣٣
١٦٥ ـ قيم الحياة العائلية في المجتمع الحالي	عمّان ـ الأردن	١٣ـ١٤٠٦/١/١٥هـ ٢٨ـ١٩٨٥/٩/٣٠م	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومؤسسة آل البيت	١٢٠٣
١٦٦ ـ الإنسان ومصيره	بالرمو ـ صقلية	١٠ـ١٤٠٦/٢/١٢هـ ٢٥ـ١٩٨٥/١٠/٢٧م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣٠
١٦٧ ـ مؤتمر باريس	باريس ـ فرنسا	٢ـ١٤٠٦/٣/٤هـ ١٥ـ١٩٨٥/١١/١٧م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
١٦٨ ـ الإرساليات المسيحية لدى المسلمين	برلين ـ ألمانيا	٨ـ١٤٠٦/٣/١١هـ ٢١ـ١٩٨٥/١١/٢٣م	جمعية أصدقاء الإسلام في برلين مؤتمر العالم الإسلامي ـ كراتشي ـ	١٢٨٥، ١٣١٧
١٦٩ ـ التلاقي	نونسلو ـ المملكة المتحدة	١٤٠٦/٣/١٢هـ ١٩٨٥/١١/٢٤م	برنامج وستمنستر	١٢٠٢
١٧٠ ـ الفاتيكان والإسلام والشرق الأوسط	فيلانوفا ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٨٥م	جامعة فيلانوفا الكاثوليكية	١٣٠٥
١٧١ ـ الإيمان في سبيل السلام وإنماء الإنسان	سوتهول ـ المملكة المتحدة	١٤٠٦هـ أكتوبر عام ١٩٨٥م	برنامج وستمنستر	١٢٠٢
١٧٢ ـ البحث عن الله	تولوز ـ فرنسا	١٤ـ١٤٠٦/٥/١٥هـ ٢٥ـ١٩٨٦/١/٢٦م	معهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٨
١٧٣ ـ الحوار الإسلامي المسيحي حول الدين والسلام في الشرق الأوسط	براغ ـ تشيكوسلوفاكيا	١ـ١٩٨٦/٢/٣م		١٣٠٠

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٧٤ - الدين والمسؤولية	بورتونوفو - بنين	٢٠-١٤٠٦/٦/٢٤هـ ٣-١٩٨٦/٣/٧م	مجلس الكنائس العالمي	١١٧٠
١٧٥ - العيد	موفو - فرنسا	١٤٠٦/٦/٢٧هـ ١٩٨٦/٣/٩	مركز الجبل العالي	١٢٥٥
١٧٦ - الإيمان والإصغاء إلى الآخر	شانتيلي - فرنسا	٨-١٤٠٦/٨/١٠هـ ١٨-١٩٨٦/٤/٢٠م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٨
١٧٧ - الروحانية من متطلبات عصرنا	تونس - الجمهورية التونسية	١١-١٤٠٦/٨/١٦هـ ٢١-١٩٨٦/٤/٢٦م	مؤسسة أديناور والمركز التونسي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية CERES	١٢٨٣، ١٣٨٩
١٧٨ - نهار صلاةٍ وسلام وتفاهم	سيريلانكا	١٤٠٦/٩/٥هـ ١٩٨٦/٥/١٤م	منظمة أديان الجزيرة الموحدة	١٣٢٦
١٧٩ - حوار متعدد الأطراف	أوتكموند - الهند	٩-١٤٠٦/١٠/١١هـ ١٧-١٩٨٦/٦/٢٠م	جماعة ساتسنغ لتعددية الأديان ولجنة الحوار بمجلس أساقفة الهند الكاثوليك الرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان	١٣٢٤
١٨٠ - اللقاء التحضيري للمؤتمر المسيحي الإسلامي	ساليزي جورن - بولندا	١٥-١٤٠٦/١٠/١٨هـ ٢٣-١٩٨٦/٦/٢٦م	الجمعية المسيحية الاجتماعية CHSS	١٢٩٨
١٨١ - السلام من خلال العمل والصلاة	بكين - الصين	١٤٠٦/١٠/١٧هـ ١٩٨٦/٦/٢٥م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
١٨٢ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ٣	القدس - فلسطين	١١-١٤٠٦/١٢/١٣هـ ٢٨-١٩٨٦/٨/٣٠م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦
١٨٣ - الدين والدولة	الحمامات - تونس	١٤٠٦/١٢/٢٧هـ - ١٤٠٧/١/١هـ ٢-١٩٨٦/٩/٦م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥٠

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٨٤ - المؤتمر الإسلامي المسيحي بمناسبة الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على تأسيس جامع قرطبة	قرطبة - أسبانيا	٦-٩/٢/١٤٠٧هـ ١١-١٤/١٠/١٩٨٦م	اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى والمركز الإسلامي في أسبانيا التابع لرابطة العالم الإسلامي	١١٩٧
١٨٥ - مسلمون ومسيحيون معاً في العمل وفي الفراغ وفي الاستراحة	مارل - ألمانيا	١٠-١٤/٢/١٤٠٧هـ ١٥-١٩/١٠/١٩٨٦م		١٢٨٦
١٨٦ - المؤتمر الدولي للحوار الإسلامي المسيحي	وارسو - بولندا	١٧-١٨/١٠/١٩٨٦م	الجمعية المسيحية الاجتماعية CHSS	١٢٩٩
١٨٧ - الدين والدولة، الدين والتربية	ذيانابورا - أندونيسيا	٤-٩/٤/١٤٠٧هـ ٦-١١/١٢/١٩٨٦م	مجلس الكنائس العالمي، ومنظمة إيمان وشعوب حية	١١٧١
١٨٨ - السلطة في المسيحية والإسلام	شامبيزي - سويسرا	١٤-١٦/٣/١٤٠٧هـ ١٧-١٩/١١/١٩٨٦م	مؤسسة آل البيت والمتروبوليت دمسكينوس (مركز شامبيزي)	١٣٧٦
١٨٩ - العلم والتقدم والدين	بالرمو - صقلية	١٨-٢٠/٣/١٤٠٧هـ ٢١-٢٣/١١/١٩٨٦م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣١
١٩٠ - من أجل تعارف أفضل	اسكندرأباد - الهند	١٨-٢٠/٣/١٤٠٧هـ ٢١-٢٣/١١/١٩٨٦م	معهد هنري مارتن المجلس المسيحي الدولي للهند	١٣٢٤
١٩١ - يوم الصلاة من أجل السلام	أسيزي - إيطاليا	أكتوبر ١٩٨٦م	البابا يوحنا بولس الثاني	١٤٨١
١٩٢ - القضايا القانونية للشريعة والنظام المدني والمحاكم	كوتوباتو - الفلبين	١٩٨٦م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٤
١٩٣ - مؤتمر سلمنكا للحوار الثلاثي	سلمنكا - أسبانيا	١٩٨٦م	مؤسسة أديناور	١٢٨٤

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٩٤ ـ الدين والمجتمع	كلمباري ـ جزيرة كريت	٣ـ٧/٢/١٤٠٨هـ ٢٧/٩ـ١/١٠/١٩٨٧م	مجلس الكنائس العالمي	١١٧١
١٩٥ ـ الملتقى الإبراهيمي	قرطبة ـ أسبانيا	١٢ـ١٥/٦/١٤٠٧هـ ١٢ـ١٥/٢/١٩٨٧م	مؤسسة روجيه جارودي	٩٠٧
١٩٦ ـ من أجل كونٍ تحرر من جميع الأسلحة النووية في سجل حياة البشر	موسكو ـ الاتحاد السوفيتي	١٤ـ١٦/٦/١٤٠٧هـ ١٤ـ١٦/٢/١٩٨٧م		١٣٠٣
١٩٧ ـ الضيافة	موفو ـ فرنسا	١٣ـ١٤/٧/١٤٠٧هـ ١٤ـ١٥/٣/١٩٨٧م	مركز الجبل العالي	١٢٥٥
١٩٨ ـ اليقظة الإسلامية وتساؤلات الأمة العربية		١٣ـ١٦/٧/١٤٠٧ ١٤ـ١٧/٣/١٩٨٧م	ميدان الفكر العربي مؤسسة آل البيت مركز الأهرام للدراسات السياسية	١٣٧٦
١٩٩ ـ من أجل السلام والانسجام في الهند	نيودلهي ـ الهند	٤ـ٥/٨/١٤٠٧هـ ٤ـ٥/٤/١٩٨٧م	لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك	١٣٢٥
٢٠٠ ـ التجاسر على الحوار: تخطي الخوف والعنف بالحوار والثقة	روفريتو ـ إيطاليا	١ـ٤/٩/١٤٠٧هـ ٣٠/٤ـ٣/٥/١٩٨٧م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
٢٠١ ـ الحياة معاً بالتلاقي الديني	كئمبتوره ـ الهند	٩ـ١١/٩/١٤٠٧هـ ٨ـ١٠/٥/١٩٨٧م	مركز كوئمتبوره للتلاقي الديني الرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان	١٣٢٥
٢٠٢ ـ الأخلاقيات وإدارة الأعمال ١	وندسور ـ المملكة المتحدة	٢٩/٩ـ٢/١٠/١٤٠٧هـ ٢٩ـ٣١/٥/١٩٨٧م	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومؤسسة آل البيت	١٢٠٥
٢٠٣ ـ الرجاء انتظار خلّاق	شانتيلي ـ فرنسا	٧ـ٨/١٠/١٤٠٧هـ ٥ـ٦/٦/١٩٨٧م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٨
٢٠٤ ـ يوم الصلاة من أجل السلام	جبل هيي ـ اليابان	٤/٨/١٩٨٧م	الراهب البوذي إيتاي يامادا	١٣٤٧

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٠٥ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ٤	القدس - فلسطين	١٤٠٧/١٢/٢٩هـ - ١٤٠٨/١/٢هـ ٢٥ - ١٩٨٧/٨/٢٧م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦
٢٠٦ - الإيمان والعدالة ١	بروكسل - بلجيكا	١٤٠٧/١٢/٢٩هـ - ١٤٠٨/١/٤هـ ٢٥ - ١٩٨٧/٨/٢٩م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥٠
٢٠٧ - التقاليد الدينية والعصر الحالي	أثينا - اليونان	١ - ١٤٠٨/٢/٣هـ ٢٥ - ١٩٨٧/٩/٢٧م	الحركة الإيطالية «شركة وتحرير»	١٢٣٢
٢٠٨ - العناصر المشتركة بين الإسلام والمسيحية	لاهور - باكستان	١٤٠٨/٣/٢٥هـ ١٩٨٧/١١/١٧م	الجمعية الباكستانية للحوار بين الأديان	١٣١٦
٢٠٩ - العمل والتأمل في النظرة المسيحية والإسلامية	بالرمو - صقلية	٢٨ - ١٤٠٨/٣/٣٠هـ ٢٠ - ١٩٨٧/١١/٢٢م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣١
٢١٠ - التعايش الإسلامي المسيحي، والقيم الإنسانية المشتركة	عمّان - الأردن	٢٩/٣ - ١٤٠٨/٤/٢هـ ٢١ - ١٩٨٧/١١/٢٤م	مؤسسة آل البيت ومركز شامبيزي الأرثذوكسي	١٣٧٧
٢١١ - التعددية الدينية	نيودلهي - الهند	٣٠/٣ - ١٤٠٨/٤/٦هـ ٢٢ - ١٩٨٧/١١/٢٨م	مجلس الكنائس العالمي	١١٧١
٢١٢ - الوجود الإسلامي بين المسيحيين والوجود المسيحي بين المسلمين	زامبونغاستي - الفلبين	١٩٨٧م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٤
٢١٣ - الصلاة كمصدر للسلام	روما	١٩٨٧م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢١٤ - الغفران	تولوز - فرنسا	١٠ - ١٤٠٨/٦/١١هـ ٣٠ - ١٩٨٨/١/٣١م	معهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٩
٢١٥ - استيقاظ الإيمان في الشبيبة	موفو - فرنسا	٢٣ - ١٤٠٨/٧/٢٤هـ ١٢ - ١٩٨٨/٣/١٣م	مركز الجبل العالي	١٢٥٥
٢١٦ - الحوار بين الأديان والسلام في الشرق الأوسط	طليطلة - إسبانيا	٢٦ - ١٤٠٨/٧/٢٨هـ ١٥ - ١٩٨٨/٣/١٧م	مجمع أديان المسكونة	١١٩٧
٢١٧ - اليهودية والمسيحية والإسلام أمام روحانيات الشرق الأقصى	شانتيلي - فرنسا	٢٧ - ١٤٠٨/٩/٢٨هـ ١٤ - ١٩٨٨/٥/١٥م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٨

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢١٨ ـ فهم الآخر	سان أوغسطين ـ ألمانيا ـ	١٢/١٦/١٠/١٤٠٨هـ ٢٩/٥ـ٢/٦/١٩٨٨م	مؤسسة أديناور والمجلس المسيحي اليهودي العالمي	١٢٨٤
٢١٩ ـ الإيمان والعدالة ٢	الرباط ـ المغرب	١٧ـ٢١/١/١٤٠٩هـ ٣٠/٨ـ٣/٩/١٩٨٨م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٠٥
٢٢٠ ـ ممارسة البنوك وفقاً للإسلام والمسيحية	ماعين ـ الأردن	٥ـ٦/٢/١٤٠٩هـ ١٧ـ١٨/٩/١٩٨٨م	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومنتدى الفكر العربي	١٢٠٥، ١٣٧٦
٢٢١ ـ السلام والعدالة	شامبيزي ـ سويسرا	٣ـ٦/٥/١٤٠٩هـ ١٢/١٥/١٢/١٩٨٨م	مؤسسة آل البيت ومركز شامبيزي الأرثذوكسي	١٣٧٧
٢٢٢ ـ مؤمنون يسيرون ويعملون معاً	أسيزي ـ إيطاليا	أكتوبر ـ ١٩٨٨م	المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٣٥
٢٢٣ ـ العقيدة للأمام: المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة		١٩٨٨م	كريسلام	٩٥٣
٢٢٤ ـ المصلون في بحثٍ عن السلام	روما	١٩٨٨م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢٢٥ ـ مساهمة الدين في بنيان الثقة في المجتمعات التعددية الحديثة	ملبورن ـ أستراليا	١٥ـ٢١/٦/١٤٠٩هـ ٢١ـ٢٧/١/١٩٨٩م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٦
٢٢٦ ـ قيم الإسلام الروحية	تورنتو ـ إيطاليا	٢٠ـ٢٢/٦/١٤٠٩هـ ٢٦ـ٢٨/١/١٩٨٩م	معهد تورنتو للعلوم الدينية	١٢٣٢
٢٢٧ ـ لنعش فوارقنا معاً	موفو ـ فرنسا	٢٢ـ٢٣/٦/١٤٠٩هـ ٢٨ـ٢٩/١/١٩٨٩م	مركز الجبل العالي	١٢٥٦
٢٢٨ ـ العلاقات الإسلامية المسيحية في مندناو	زامبونغاستي ـ الفلبين	٢٦ـ٢٨/٧/١٤٠٩هـ ٣ـ٥/٣/١٩٨٩م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٤
٢٢٩ ـ تحديات الحوار	بندرف ـ ألمانيا	٦ـ١٣/٨/١٤٠٩هـ ١٣ـ٢٠/٣/١٩٨٩م		١٢٨٦
٢٣٠ ـ السلام والعدالة	دكا ـ بنجلاديش	٢١ـ٢٣/٨/١٤٠٩هـ ٢٨ـ٣٠/٣/١٩٨٩م	مجمع الأديان البنغالي من أجل السلام	١٣١٩

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٣١ ـ الإيمان والعدالة ٣	غروتّا ـ إيطاليا	٢٣ـ١/٢٩/١٤١٠هـ ٢٥ـ٨/٣١/١٩٨٩م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥٠
٢٣٢ ـ التعددية الدينية	أستانبول ـ تركيا	٩ـ١٢/١٣/١٤١٠هـ ١٠ـ٩/١٤/١٩٨٩م	مؤسسة آل البيت ومركز شامبيزي الأرثذوكسي وجامعة إنكلترا	١٣٧٧
٢٣٣ ـ التربية الدينية في المجتمع المعاصر	الفاتيكان	٧ـ٥/٩/١٤١٠هـ ٦ـ١٢/٨/١٩٨٩م	الفاتيكان، ومؤسسة آل البيت	١١٣٢
٢٣٤ ـ الأخلاقيات وإدارة الأعمال ٢	وندسور ـ المملكة المتحدة	٩ـ٦/١١/١٤١٠هـ ٨ـ١٢/١٠/١٩٨٩م	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومنتدى الفكر العربي	١٢٠٥
٢٣٥ ـ المسلمون الأوربيون	تورينو ـ إيطاليا	مايو ١٩٨٩م	مؤسسة جوفياني أنيلي	١٢٣٢
٢٣٦ ـ الحرب بلا عودة	وارسو «بيركناو» ـ بولندا	١٩٨٩م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢٣٧ ـ إيصال القيم الدينية إلى شباب اليوم	روما	١٩٨٩م	جامعة أنقرة، والجامعة الجريجورية (الفاتيكان)	١١٣١
٢٣٨ ـ مفهوم الوحي ومضموناته	ستون مونتين ـ الولايات المتحدة الأمريكية	٧ـ٦/١٠/١٤١٠هـ ٤ـ١/٧/١٩٩٠م		١٣٠٦
٢٣٩ ـ المسيحيون والمسلمون في المجتمع الفرنسي في سبيل التحاور الديني	ستراسبورغ ـ فرنسا	٦/٣٠ـ٧/١/١٤١٠هـ ٢٧ـ١/٢٨/١٩٩٠م	مركز خدمة العلاقات الإسلامية SRCM	١٢٦٥
٢٤٠ ـ الكتابة المقدسة والكتابة الدنيوية	تولوز ـ فرنسا	٦/٣٠ـ٧/١/١٤١٠هـ ٢٧ـ١/٢٨/١٩٩٠م	معهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٩، ١٤٦٩
٢٤١ ـ الرسالة والدعوة	الفاتيكان	١٨ـ٧/١٩/١٤١٠هـ ١٤ـ٢/١٥/١٩٩٠م	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبية) والمجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٢٦

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٤٢ ـ السعي معاً للعدالة والسلام	موفو ـ فرنسا	٢٧ـ٢٨/٨/١٤١٠هـ ٢٤ـ٢٥/٣/١٩٩٠م	مركز الجبل	١٢٥٦
٢٤٣ ـ مسلمون ومسيحيون موضوعات مشتركة وهويات متميزة	كولومبوس ـ الولايات المتحدة الأمريكية	٢٨/٨/١٤١٠هـ ٢٥/٣/١٩٩٠م	المؤسسة الإسلامية في أوهايو وأبرشية كولومبوس الكاثوليكية ومكتب المتروبوليت	١٣٠٦
٢٤٤ ـ الإنسان كمصغ إلى كلام الله في نظر المسيحيّة والإسلام	فيينا «مودلنغ» ـ النمسا	١٧ـ٢٠/٤/١٩٩٠م	معهد القديس جبريل اللاهوتي	١٢٦٩، ١٤٨٤
٢٤٥ ـ مسيحيون ومسلمون على عتبة القرن الحادي والعشرون	هيوستون ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٦ـ١٨/١٠/١٤١٠هـ ١١ـ١٣/٥/١٩٩٠م		١٣٠٧
٢٤٦ ـ مؤتمر إسلامي مسيحي	أكسفورد ـ الولايات المتحدة الأمريكية	٢ـ٣/١١/١٤١٠هـ ٢٧ـ٢٨/٥/١٩٩٠م	أبرشية جنوب أوهايو الإنجيلية ولجنة مشتركة من المسلمين والنصارى	١٣٠٧
٢٤٧ ـ مؤتمر الأطفال العالمي	برنستون ـ أمريكا	٢٥ـ٢٧/٧/١٩٩٠م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٦
٢٤٨ ـ الإيمان والعدالة ٤	الحمامات ـ تونس	٥ـ١٠/٢/١٤١١هـ ٢٦ـ٣١/٨/١٩٩٠م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥١
٢٤٩ ـ التعايش بين الأديان: الواقع والآفاق	لافلتّا ـ مالطا	٤ـ٥/٥/١٤١١هـ ٢٢ـ٢٣/١١/١٩٩٠م	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (الليبية)، المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٢٦
٢٥٠ ـ العلاقات بين دين منظم ودولة ديمقراطية	جوهانسبرغ ـ جنوب أفريقيا	١٤ـ١٦/٥/١٤١١هـ ٢ـ٤/١٢/١٩٩٠م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٦
٢٥١ ـ حقوق الطفل وتربيته في الإسلام والمسيحية	عمّان ـ الأردن	٢٦ـ٢٨/٥/١٤١١هـ ١٣ـ١٥/١٢/١٩٩٠م	الفاتيكان، ومؤسسة آل البيت	١١٣٣
٢٥٢ ـ المؤتمر العالمي للحوار الإسلامي المسيحي	ستراسبورغ ـ فرنسا	٣ـ٤/٥/١٤١١هـ ٢٠ـ٢١/١٢/١٩٩٠م	جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	١٢٦٠

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٥٣ - مساهمة الدين في نمو البشرية الكامل	تريفندرم - الهند	١١ - ١٥/٦/١٤١١هـ ٢٨/١٢/١٩٩٠م - ١/١/١٩٩١م	لجنة الحوار في مجلس كنائس كيرلا	١٣٢٥
٢٥٤ - مؤتمر معهد هارتفورد	الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٩٠م	مركز دانكن بلاك ماكدولاند لدراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية	١٣٠٧
٢٥٥ - الأديان في سبيل بحرٍ من السلام	مالطا	١٩٩٠م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢٥٦ - من الشرق إلى الغرب بحر من السلام	باري	١٩٩٠م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢٥٧ - الأديان، والثقافات، والتسامح	أنقرة - تركيا	١٩٩٠م	جامعة أنقرة، والجامعة الجريجورية	١١٣١
٢٥٨ - التعاون في التنمية الإنسانية	إبادان - نجيريا	٢٤ - ٢٨/١/١٤١٢هـ ٤ - ٨/٤/١٩٩١م	المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٣٥
٢٥٩ - الدين والمواطنة في أوربا والعالم الغربي	أيانابا - قبرص	٧ - ١٣/١٠/١٤١١هـ ٢١ - ٢٧/٤/١٩٩١م	مركز دراسة الإسلام، والعلاقات المسيحية الإسلامية لكليات سلي أوك	١٢٠٩، ١٣٥٦
٢٦٠ - اللاجئون والمهجرون: آفاق وعمل مشترك	فاليتا - مالطا	٨ - ١٠/١٠/١٤١١هـ ٢٢ - ٢٤/٤/١٩٩١م	منظمات دولية إسلامية ومسيحية	١٤١٠
٢٦١ - السلام بين الأديان، والسلام بين المجتمعات	روما - إيطاليا	٢٩ - ٣٠/٤/١٩٩١م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٣
٢٦٢ - مجتمع الأرض الواحد	بوسي - سويسرا	٨ - ١٠/٨/١٩٩١م	مجموعة عمل متعددة الأديان	١٤١٣
٢٦٣ - الإيمان والعدالة: مستقبل الجماعة	الرباط - المغرب	١٤ - ٢٠/٢/١٤١٢هـ ٢٤ - ٣٠/٨/١٩٩١م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥١

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٦٤ ـ السعي للحوار	واشنطن ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٣ ـ ١٤/٤/١٤١٢هـ ٢١ ـ ٢٢/١٠/١٩٩١م	مؤتمر الأساقفة الكاثوليك الوطني NC CB وجامعة العالم الإسلامي	١٣٠٧
٢٦٥ ـ آفاق السلام والانسجام الجديدة مع الباكستان	فيصل آباد ـ الباكستان	١٤ ـ ١٨/٤/١٤١٢هـ ٢٢ ـ ٢٦/١٠/١٩٩١م	اللجنة الوطنية للعلاقات المسيحية الإسلامية	١٣١٧
٢٦٦ ـ مساهمة الأديان في السلام	تونس	٢٧/٤ ـ ٢/٥/١٤١٢هـ ٤ ـ ٩/١١/١٩٩١م	المركز التونسي للأبحاث والدراسات	١٣٨٩
٢٦٧ ـ العدالة الاجتماعية	أنقرة	١٩٩١م	الجامعات التركية، المجلس البابوي للعدالة والسلام	١١٣٢
٢٦٨ ـ ملتقى السلام العالمي لرجال الأديان	الخرطوم ـ السودان	جمادى الأولى ـ ١٤١٢هـ نوفمبر ـ ١٩٩١م	مجلس الصداقة الشعبية العالمية	١٣٩٢
٢٦٩ ـ يونس إمره؛ تجربة روحية وثقافية	الجامعة الجريجورية ـ روما	١٩٩١م	جامعة أنقرة، الجامعة الجريجورية	١١٣١
٢٧٠ ـ أهمية الحوار الإسلامي المسيحي في تعليم وحماية الشباب	رووان ـ فرنسا	٥ ـ ٦/٧/١٤١٢هـ ١٠ ـ ١١/١/١٩٩٢م	جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	١٢٦٤
٢٧١ ـ من هو قريبك؟	تولوز ـ فرنسا	٢ ـ /٧/١٤١٢هـ ٢٥ ـ ٢٦/١/١٩٩٢م	معهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٩
٢٧٢ ـ المسيحيون والمسلمون: مسؤوليتهم تجاه العالم	فرانكفورت ـ ألمانيا	٢٥ ـ ٢٦/٧/١٤١٢هـ ٣٠ ـ ٣١/١/١٩٩٢م		١٢٨٦
٢٧٣ ـ التعايش	مرسيليا ـ فرنسا	٢٧/٨/١٤١٢هـ ١/٣/١٩٩٢م	جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	١٢٦٥
٢٧٤ ـ لنصبح كائنات حرة في نظر الله	موفو ـ فرنسا	١٨ ـ ١٩/٩/١٤١٢هـ ٢٢ ـ ٢٣/٣/١٩٩٢م	مركز الجبل العالي	١٢٥٦

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٧٥ ـ دور المرأة في المجتمع حسب الإسلام والمسيحية	الفاتيكان	٢٤ـ٢٦/١٢/١٤١٢هـ ٢٤ـ٢٦/٦/١٩٩٢م	الفاتيكان، ومؤسسة آل البيت	١١٣٣
٢٧٦ ـ الخطيئة والمسؤولية الخلقية	بروكسل ـ بلجيكا	٢٧/٢ـ٢/٣/١٤١٣هـ ٢٦ـ٣١/٨/١٩٩٢م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥١
٢٧٧ ـ الأديان من أجل السلام في الشرق الأوسط	اليابان	٦ـ٩/١١/١٩٩٢م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٩
٢٧٨ ـ الدين والشريعة والمجتمع	جنيف ـ سويسرا	١٤ـ١٨/٦/١٤١٣هـ ٩ـ١٣/١٢/١٩٩٢م	مجلس الكنائس العالمي	١١٧١
٢٧٩ ـ أوربا والأديان والسلام	بروكسل ـ بلجيكا	١٩٩٢م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢٨٠ ـ المسلمون والمسيحيون أمام مشاكل العالم الحالية	مدريد ـ أسبانيا	٤ـ١/١٠/١٤١٣هـ ٢٦ـ٢٨/٣/١٩٩٣م	اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى والمركز الإسلامي في مدريد التابع لرابطة العالم الإسلامي	١١٩٨
٢٨١ ـ سلام للبشر	فيينا «مودلنغ» ـ النمسا	٣٠/٣ـ٢/٤/١٩٩٣م	معهد القديس جبريل اللاهوتي	١٢٧٢، ١٥١١
٢٨٢ ـ من أجل مزيدٍ من التعاون الديني على طريق النهضة «مؤتمر الأديان في السودان»	الخرطوم ـ السودان	٥ـ٩/١١/١٤١٣هـ ٢٦ـ٣٠/٤/١٩٩٣م	مجلس الصداقة الشعبية العالمية	١٣٩٢، ١٤٧٧
٢٨٣ ـ اللقاء الثنائي بين وفد رابطة العالم الإسلامي وجمعية سانت إيجيديو	روما ـ إيطاليا	يناير ١٩٩٣م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٦
٢٨٤ ـ أرض البشر، ابتهالات إلى الله	ميلانو ـ إيطاليا	١٩٩٣م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢٨٥ ـ الحقل المسيحي الإسلامي من آسيا الوسطى إلى أوربا	تتارستان ـ روسيا الاتحادية	١٩٩٣م	مركز دراسة الإسلام، والعلاقات المسيحية الإسلامية التابع لكليات سلي أوك	١٢١٠

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٨٦ ـ وسائل الإعلام وعرض الدين	طرابلس ـ ليبيا	أكتوبر ١٩٩٣م	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبية) والمجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٢٧
٢٨٧ ـ سلام للجميع «الحوار بين الأديان»	الخرطوم ـ السودان	٨ ـ ١٠/١٠/١٩٩٤م	مجلس الصداقة الشعبية العالمية جمعية حوار الأديان في السودان	١٤٠٤
٢٨٨ ـ الحداثة	طهران ـ إيران	١٩٩٤م	المركز الإيراني للدراسات الثقافية الدولية C.I.C.S والمجمع البابوي للحوار بين الأديان P.C.I.D	١٣٢٧
٢٨٩ ـ الأصدقاء في الله، شهادة السلام	أسيزي ـ إيطاليا	١٩٩٤م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٨
٢٩٠ ـ الانسجام بين المؤمنين من مختلف العقائد	باتايا ـ تايلند	أغسطس ١٩٩٤م	المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٣٦، ١٣٤٢
٢٩١ ـ القومية اليوم: مشاكل وتحديات	عمّان	يناير ١٩٩٤م	الفاتيكان، ومؤسسة آل البيت	١١٣٤
٢٩٢ ـ إلى الجذر: البحث عن لغةٍ مشتركة من أجل حوار مشترك بين الأديان	مدريد ـ أسبانيا	١٩٩٤م	كريسلام	٩٧٦
٢٩٣ ـ المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر	عمّان ـ الأردن	٧ ـ ٩/٢/١٤١٦هـ ٥ ـ ٧/٧/١٩٩٥م	مؤسسة آل البيت	١٣٧٧
٢٩٤ ـ النظرة المتبادلة بين الإسلام والمسيحية عبر التاريخ	عمّان ـ الأردن	٢١ ـ ٢٤/٨/١٩٩٥م	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٣٧٩
٢٩٥ ـ الأديان الثلاثة من أجل السلام لأورشليم	القدس ـ فلسطين	أغسطس ١٩٩٥م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٥

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٩٦ ـ المأوى والسعادة في السلام	فلورنسا ـ إيطاليا	١٩٩٥م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٨
٢٩٧ ـ المسيحيون والمسلمون في عصر النهضة الأوربية	تونس	١٠/١١/١٤١٦هـ ٢٩/٣/١٩٩٦م	مؤسسة التميمي للبحث العلمي	١٣٨٩
٢٩٨ ـ الدين والهوية الشعبية	تشارترج ـ إنكلترا	١٢ ـ ١٤/٤/١٩٩٦م	المعهد الملكي للدراسات الدينية، شبكة حوار الأديان في لندن	١٣٨٠
٢٩٩ ـ علاقة اللاعنف بالشرق الأوسط المعاصر في ذكرى المهاتما غاندي	عمّان ـ الأردن	٤ ـ ٥/٥/١٩٩٦م	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٣٧٩
٣٠٠ ـ مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس	بيروت ـ لبنان	٢٨ ـ ٢٩/١/١٤١٧هـ ١٤ ـ ١٥/٦/١٩٩٦م	مجلس كنائس الشرق الأوسط	١٣٥٧
٣٠١ ـ المؤتمر العالمي الإسلامي المسيحي حول القدس	القاهرة ـ مصر	مايو ١٩٩٦م	مجلس كنائس الشرق الأوسط	١٣٥٧
٣٠٢ ـ المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر	عمّان ـ الأردن	٧ ـ ٩/٢/١٤١٦هـ ٥ ـ ٧/٧/١٩٩٦م	مؤسسة آل البيت	١٣٧٧
٣٠٣ ـ السلام اسم الرب	روما ـ إيطاليا	٧ ـ ١٠/١٠/١٩٩٦م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٨
٣٠٤ ـ المسيحية والإسلام: مرايا متقابلة	البلمند ـ لبنان	١٩٩٦م	مركز الدراسات الإسلامية المسيحية	١٣٧٢
٣٠٥ ـ المطالبة بحقوق المسلمين في إيطاليا	سان ريمو ـ إيطاليا	١٩٩٦م	جمعية قريش	١٢٣٩
٣٠٦ ـ الحوار المشترك بين الإسلام والمسيحية	عمّان ـ الأردن	١ ـ ٣/٤/١٩٩٧م	المعهد الملكي للدراسات الدينية، كنيسة السويد	١٣٨٠
٣٠٧ ـ الدعوة الإسلامية والرسالة المسيحية في القرن القادم	الفاتيكان ـ المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية	٢٧ ـ ٣٠/٤/١٩٩٧م	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبية)، المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٢٧

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٣٠٨ - عالم واحد للجميع: أسس التعددية الاجتماعية والسياسية والثقافية في نظر المسيحية والإسلام	فيينا «مودلنغ» - النمسا	٧-١٠/١/١٤١٨هـ ١٣-١٦/٥/١٩٩٧م	وزارة الخارجية الاتحادية النمساوية، ومعهد القديس جبريل اللاهوتي	١٢٧٥، ١٥٤١
٣٠٩ - إيطاليا والإسلام	بالرمو - صقلية	٦-٧/٦/١٩٩٧م	جمعية قريش	١٢٣٩
٣١٠ - الأديان تدعو إلى أوربا بلا عنصرية	فرانكفورت - ألمانيا	١٨-٢٠/٨/١٩٩٧م		١٢٨٧
٣١١ - النظرات المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين	البلمند - لبنان	١٨-٢٧/٨/١٩٩٧م	مركز الدراسات الإسلامية المسيحية	١٣٧٢
٣١٢ - نحو الجدال الأحسن	البلمند - لبنان	١٩٩٧م	مركز الدراسات الإسلامية المسيحية	١٣٧٢
٣١٢ - الخوف من السلام	عمّان - الأردن	١٩٩٧م	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٣٨٠
٣١٣ - الدين والمواطنة والهوية - الشرق الأوسط في الإطار العالمي	عمّان - الأردن	١٩٩٧م	المعهد الملكي للدراسات الدينية (الأردن)، معهد الحياة والسلام في السويد	١٣٨٠
٣١٤ - القدس وما حولها في القرن التاسع عشر المسيحيون والمسلمون في بيئة متعددة الأديان	عمّان - الأردن	١٩٩٧م	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٣٨١
٣١٥ - السبيل إلى حياة إسلامية في مجتمع غير مسلم «المعاملات»	روما - إيطاليا	١٩٩٧م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٧
٣١٦ - الصراع أو اللقاء: الأديان والثقافات على مفترق طرق	بادوا - إيطاليا	١٩٩٧م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٣
٣١٧ - من أنا في قولكم أنتم؟ المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة	مدريد - إسبانيا	١٩٩٧م	كريسلام	٩٩٨
٣١٨ - الإسلام في الغرب	بيروجيا - إيطاليا	٧/٦/١٩٩٨م	جمعية قريش	١٢٤٠
٣١٩ - المحافظة على الهوية الإسلامية في مجتمعٍ غير مسلم	روما - إيطاليا	١٩٩٨م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٧

٢ ـ قائمة بالجمعيات والمؤسسات والمراكز المعنية بقضية التقريب بين الأديان ـ مرتبة هجائياً

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
١ ـ اتحاد تحسين العلاقات الإسلامية المسيحية	شيكاغو ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٨٦م	١٣٠٥
٢ ـ الأخوية الإبراهيمية	فرنسا		١٢٦٦
٣ ـ أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين SNC	الفاتيكان	١٩٦٤م	١٠٨٩
٤ ـ أمانة السر للعلاقات مع الإسلام SRI	فرنسا		١٢٥٢
٥ ـ الأيام الآرامية	آراس ـ فرنسا	١٩٨٠م	١١٧٩
٦ ـ اتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا	روما ـ إيطاليا		١٢٣٦
٧ ـ اتحاد الجمعيات اليهودية (UAHC)	نيويورك ـ الولايات المتحدة الأمريكية		٦٠٧
٨ ـ الاتحاد المسكوني للسلطات الدينية	الفلبين	١٩٦٢م	١٣٤٢
٩ ـ برنامج وستمنستر للتلاقي الديني	لندن		١٢٠١
١٠ ـ بلدية مونبليه	فرنسا		١٢٦٥
١١ ـ جامعة الدروس لجنوب شرق آسيا Silsilah	زامبونغاستي ـ الفلبين		١٣٤٤
١٢ ـ جماعة تعددية الأديان	الهند		١٣٢٣
١٣ ـ جماعة كريسلام مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية	مدريد	١٩٨٤م	٩٤٣
١٤ ـ جمعية «أليغاره» للحوار بين الأديان	الهند		١٣٢٤
١٥ ـ جمعية «قريش» «الجماعة الدينية الإسلامية في إيطاليا»	ميلانو ـ إيطاليا		١٢٣٨
١٦ ـ جمعية الإخاء الديني	القاهرة	١٩٤١م	١٠٧٧
١٧ ـ جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط	الولايات المتحدة الأمريكية	حدود سنة ١٩٤٨م	١٠٧٩
١٨ ـ الجمعية الباكستانية للحوار بين الأديان PAIRD			١٣١٦
١٩ ـ جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	فرنسا	١٩٨٧م	١٢٥٩
٢٠ ـ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية	طرابلس ـ ليبيا		١١١٨
٢١ ـ الجمعية الدينية الدولية	روما ـ إيطاليا		١٢٣١
٢٢ ـ جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا	إسبانيا	١٩٦٦م	١١٨١

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
٢٣ ـ جمعية العمل من أجل العلاقات المسيحية الإسلامية	الولايات المتحدة الأمريكية		١٣٠٥
٢٤ ـ جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	فرنسا		١٢٥٧
٢٥ ـ جمعية حوار الأديان في السودان	السودان	١٩٩٤م	١٤٠٣
٢٦ ـ جمعية سانت إيجيديو	روما	١٩٦٨م	١٢١٢
٢٦ ـ الحركة الإيطالية شركة وتحرير			١٢٣٢
٢٨ ـ الحملة الخاصة TASK FORCE	الولايات المتحدة الأمريكية		١٣٠٦
٢٩ ـ دير سيننكا	فرنسا		١٢٤٦
٣٠ ـ رابطة البشر والأديان «جمعية سانت إيجيديو»	روما	١٩٨٦م	١٢١٦
٣١ ـ الرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان	الهند		١٣٢٥
٣٢ ـ شبكة الحوار الديني	المملكة المتحدة		١٢٠٠
٣٣ ـ فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية GRIC		١٩٧٧م	١٢٤٧
٣٤ ـ كليات سلي أوك	برمنجهام ـ المملكة المتحدة		١٢٠٧
٣٥ ـ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية	الفاتيكان		١٢٠٠
٣٦ ـ كنيسة وندسور الإنجليكانية	وندسور ـ المملكة المتحدة		١٢٠٢
٣٧ ـ اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى			١١٩٧
٣٨ ـ لجنة الإسلام في أوربا		١٩٨٦م	١١٧٧
٣٩ ـ لجنة الحوار بين مطرانية لوس أنجلوس والمركز الإسلامي	لوس أنجلس الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٩٧م	١٣٠٥
٤٠ ـ لجنة الحوار في مجلس كنائس كيرلا	الهند		١٣٢٥
٤١ ـ لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك CBCI	الهند		١٣٢١
٤٢ ـ لجنة الحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية (مجلس الكنائس العالمي)	جنيف ـ سويسرا	١٩٦٩م	١١٤٠
٤٣ ـ لجنة السلام العالمي	سبورغ ـ الدنمرك		١٢٩٤
٤٤ ـ لجنة الصداقة الإسلامية المسيحية «جمعية سانت إيجيديو»	روما ـ إيطاليا	١٩٨٥م	١٢٢٥
٤٥ ـ لجنة العلاقات مع أتباع المعتقدات الأخرى التابع لمجلس الكنائس البريطاني		١٩٧٧م	١٢٠٠

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
٤٦ ـ اللجنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار	لبنان	١٩٩٣م	١٣٥٩
٤٧ ـ اللجنة الوطنية للعلاقات الإسلامية المسيحية	(مؤتمر أساقفة باكستان)		١٣١٧
٤٨ ـ لجنة ترايفيتا للحوار المسكوني بين الأديان	بولونيا ـ إيطاليا		١٢٣٣
٤٩ ـ المؤتمر الإسلامي اليهودي المسيحي MJCC		١٩٧٤م	١٣١٤
٥٠ ـ مؤتمر العالم الإسلامي	كراتشي ـ الباكستان		١٣١٧
٥١ ـ المؤتمر العالمي للدين والسلام WCRP	جنيف		١٤١٤
٥٢ ـ المؤتمر الياباني لممثلي الأديان J.C.R.R			١٣٤٦
٥٣ ـ مؤسسة أديناور	ألمانيا		١٢٨٢
٥٤ ـ مؤسسة آل البيت	عمّان ـ الأردن		١١٣٢
٥٥ ـ مؤسسة آل البيت «مآب» المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية	عمّان ـ الأردن		١٣٧٦
٥٦ ـ مؤسسة إسكندنافية للحوار الديني الثلاثي	جوتنبرغ ـ السويد		١٢٩٥
٥٧ ـ مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات	تونس		١٣٨٩
٥٨ ـ المؤسسة العالمية المتحدة للأديان IRF	نيويورك ـ الولايات المتحدة الأمريكية		١٠٣٢
٥٩ ـ مؤسسة جوفياني أنيلي	تورينو ـ إيطاليا		١٢٣١
٦٠ ـ مؤسسة روجيه جارودي. المركز الثقافي في القلعة الحرة	قرطبة		٩٢٥
٦١ ـ المائدة المستديرة بين المسلمين والنصارى اليهود	ديترويت ـ الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٨٦م	١٣٠٦
٦٢ ـ المجلس الاستشاري الماليزي لشؤون الأديان	كوالا لمبور ـ ماليزيا		١٣٤٠
٦٣ ـ مجلس الصداقة الشعبية العالمية	السودان		١٣٩٢
٦٤ ـ المجلس العالمي للأديان	نيويورك ـ الولايات المتحدة الأمريكية		١٠٣٢
٦٥ ـ مجلس الكنائس البريطاني BCC	المملكة المتحدة	١٩٧٧م	١٢٠٠
٦٦ ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط MECC		١٩٧٤م	١٣٥٤
٦٧ ـ مجمع أديان المسكونة			١١٩٧
٦٨ ـ مجمع الأديان البنغالي من أجل السلام والعدالة BICDAJ	دكا ـ بنجلاديش		١٣١٩
٦٩ ـ المجمع البابوي للحوار بين الأديان	الفاتيكان	١٩٨٨م	١٠٨٩

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
٩١ ـ معهد الدراسات الإسلامية المسيحية «جامعة القديس يوسف»	بيروت ـ لبنان	١٩٧٧م	١٣٦٣
٩٢ ـ المعهد العالي للدراسات الإسلامية «جمعية المقاصد الخيرية»	بيروت ـ لبنان	١٩٨١م	١٣٧٣
٩٣ ـ معهد القديس جبريل اللاهوتي	فيينا ـ النمسا		١٢٦٨
٩٤ ـ المعهد الملكي للدراسات الدينية	عمّان ـ الأردن	١٩٩٤م	١٣٧٨
٩٥ ـ المعهد الهندي للدراسات الإسلامية	الهند		١٣٢١
٩٦ ـ معهد تنطور المسكوني للأبحاث اللاهوتية	القدس ـ فلسطين		١٣٨٥
٩٧ ـ معهد تورنتو للعلوم الدينية	تورنتو ـ إيطاليا		١٢٣٢
٩٨ ـ معهد تولوز الكاثوليكي	تولوز ـ فرنسا		١٢٥٨
٩٩ ـ معهد جولو	جولو ـ الفلبين		١٣٤٤
١٠٠ ـ معهد دراسة الأديان	أمستردام ـ هولندا		١٢٩٤
١٠١ ـ معهد هنري مارتن	حيدر أباد ـ الهند		١٣٢١
١٠٢ ـ المنتدى الاستشاري بين الأديان	أندونيسيا	١٩٦٧م	١٣٣٣
١٠٣ ـ منظمة (سودباكس) SODEPAX			١١٦٤
١٠٤ ـ منظمة أديان الجزيرة الموحدة	سيريلانكا		١٣٢٦
١٠٥ ـ المنظمة الدولية للتقدم	روما		١٢٣١
١٠٦ ـ منظمة: (إيمان وشعوب حية)			١١٧١
١٠٧ ـ ميدان الفكر العربي	عمّان ـ الأردن		١٣٧٥
١٠٨ ـ نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	بالرمو ـ صقلية		١٢٣٠
١٠٩ ـ الندوة اللبنانية	بيروت ـ لبنان	١٩٤٦م	١٣٥٠
١١٠ ـ الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار	بيروت ـ لبنان		١٣٧٤
١١١ ـ الوكالة الأسقفية للحوار المسكوني وبين الأديان CEID	دكا ـ بنجلاديش		١٣١٩
١١٢ ـ وكالة الكنيسة والإسلام «الاتحاد البروتستانتي الفرنسي»	فرنسا		١٢٦٦

٣ ـ فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة

الحديث	رقم الصفحة

٤ ـ فهرس الآثار

٥ ـ فهرس الأعلام
المترجم لهم في الحواشي

٦ ـ فهرس الفرق والطوائف المعرّف بها

٧ ـ فهرس المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١ ـ أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.

٢ ـ أبحاث في الفكر اليهودي: د. حسن ظاظا، دار القلم ـ دمشق، دارة العلوم والثقافة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣ ـ الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٤ ـ أحكام أهل الذمة: ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.

٥ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تخريج وتعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب، بيروت.

٦ ـ الإخاء الديني.. ومجمع الأديان وموقف الإسلام: محمد البهي، دار العاصمة، الرياض.

٧ ـ أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته: الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٨ ـ الأديان الحية: نشوؤها وتطورها: أديب صعب، دار النهار، بيروت.

٩ ـ أوروبا والإسلام: عبد الحليم محمود. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٠ ـ الإسلام: روجيه جارودي، ترجمة: وجيه أسعد، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م.

١١ ـ الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر، روجيه جارودي، ترجمة: د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٢ ـ الإسلام والغرب: برنارد لويس، دار الرشيد ـ دمشق ـ بيروت، مؤسسة الإيمان ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٣ ـ الإسلام والغرب: مع د. يوسف القرضاوي، حسن علي دَبَا، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا ـ مصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٤ ـ الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم: أليكسي جورافسكي، ترجمة: د. خلف محمد الجراد، مراجعة: أ.د: محمود حمدي زقزوق، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت طبعة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥ ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده، مطبعة المنار، القاهرة ـ مصر.

١٦ ـ الإسلام والوحدة القومية: د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

١٧ ـ الإصغاء إلى كلمة الله في المسيحية والإسلام: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم (٥)، اندراوس بشته، وعادل تيودور خوري، وآخرون، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، جونيه ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٨ ـ أصول الأصوليات والتعصبات السلفية: روجيه جارودي، مكتبة الشروق، القاهرة، طبعة يناير ١٩٩٦م.

١٩ ـ الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الرب والأرض: إيان لوستك، ترجمة: حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٢٠ ـ أطلس العالم: مجموعة من المتخصصين ـ مكتبة لبنان ـ بيروت، طبعة: ١٤١٧هـ.

٢١ ـ إظهار الحق: الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٢ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٢٣ ـ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني: د. محمد عمارة، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٤ ـ الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود: غازي السعدي، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمّان ـ الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٢٥ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق وتعليق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت ـ مكتبة الخاني ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٦ ـ إفحام اليهود: وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ: السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق وتعليق: د. محمد بن عبد الله الشرقاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٧ ـ الأقباط في مصر في العصر العثماني: د. محمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر، طبعة ١٩٩٢م.

٢٨ ـ الأقباط في وطنٍ متغير: د. غالي شكري، دار الشروق، القاهرة ـ مصر، طبعة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٩ ـ الأقباط والقومية العربية: أبو سيف يوسف، مركز دراسات الوحدة العربية.

٣٠ ـ الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة: آلامها: آمالها: أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ ـ ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ ـ ٢٧ يناير ١٩٨٦م، إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض.

٣١ ـ الإمام محمد عبده: جدلية العقل والنهضة: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٢ ـ إنجيل برنابا: ترجمة: د. خليل سعادة، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٣ ـ أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه: د. علي بن نفيع العلياني، دار طيبة، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٤ ـ أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٥ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٦ ـ الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء: إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ـ لبنان، الطبعة العربية الرابعة ١٩٩٥م.

٣٧ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٨ ـ بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ـ طرابلس: إعداد ونشر: المكتب الشعبي للاتصال الخارجي الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، تنفيذ: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس ـ ليبيا.

٣٩ ـ البداية والنهاية: ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، مكتبة المعارف ـ بيروت، مكتبة النصر ـ الرياض، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

٤٠ ـ بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة وتقديم: د. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤١ ـ بلاط الشهداء: شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٤٢ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألوسي، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجة الأثري، المكتبة الأهلية ـ مصر، الطبعة الثانية ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م.

٤٣ ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام: ابن حجر، أحمد بن علي، العسقلاني، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤ ـ البيان الختامي لمؤتمر الأديان في السودان (٧ صفحات)، ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م.

٤٥ ـ البيان الختامي لمؤتمر الحوار بين الأديان سلام للجميع ١٩٩٤م.

٤٦ ـ البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة. نصوص مختارة: جمع: جوليت حداد، إشراف: الأب أوغسطين دوبره لاتور، د. هشام نشابة، جامعة القديس يوسف، بيروت، معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤٧ ـ تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة: أنور الجندي، دار الاعتصام.
٤٨ ـ تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م.
٤٩ ـ تاريخ الحركة المسكونية: الأب: روبير كليمان اليسوعي، ترجمة الأب: صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
٥٠ ـ تاريخ الكنيسة: جون لوريمر، ترجمة فهيم عزيز، دار الثقافة، القاهرة، طبعة ١٩٨٢م.
٥١ ـ تاريخ الكنيسة الشرقية، وأهم أحداث الكنيسة الغربية: المطران ميشيل يستيم، الأرشمندريت اغناطيوس ديك، معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، حريصا، المكتبة البولسية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩١م.
٥٢ ـ تاريخ الكنيسة المسيحية: أفغراف سميرنوف، تعريب: الكسندروس جحا، مطرانية الروم الأرثذوكس بحمص ـ سوريا، طبعة ١٩٦٤م.
٥٣ ـ التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية. وطأة ثلاثة آلاف سنة: إسرائيل شاحاك، ترجمة: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
٥٤ ـ تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، دار الجيل ـ بيروت.
٥٥ ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية: مصطفى الخالدي، عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
٥٦ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٥٧ ـ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: د. أحمد بن عبد الله الزهراني، د. حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، مكتبة دار طيبة، مكتبة دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٨ ـ التفسير الكبير: الفخر الرازي، محمد بن عمر، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥٩ ـ التلمود. تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٦٠ ـ تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، طبعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٦١ ـ تنصير العالم: (مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني)، د. زينب عبد العزيز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦٢ ـ التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي: ترجمة كتاب: الإنجيل والإسلام، إعداد: دون ماكري، نشر دار مارك MARC الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٦٣ ـ تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، طبعة ١٩٧٥م.

٦٤ ـ توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: الأب: موريس بورمانس، أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، ترجمة: المطران يوحنا منصور، المكتبة البولسية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٦٥ ـ التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: د. محمد الشاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٦ ـ التوراة. تاريخها وغاياتها: ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٦٧ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة السعيدية، الرياض ـ السعودية، مطابع الدجوي ـ القاهرة طبعة عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٦٨ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٦٩ ـ الجامع الصغير من حديث البشير النذير: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحلبوني، دمشق.

٧٠ ـ جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب (دار الكتاب العالمي) بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٧١ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية: أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. علي بن حسن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٧٢ ـ الحساسية الدينية: جمال البنا، الزهراء للإعلام العربي.

٧٣ ـ الحضور المسيحي في الشرق. شهادة ورسالة: مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، المطبعة البولسية، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٧٤ ـ حقيقة البابية والبهائية: د. محسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، دمشق ـ سوريا، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٧٥ ـ الحوار الإسلامي المسيحي ـ الفرص والتحديات: د. يوسف الحسن، المجمع الثقافي ـ أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٧٦ ـ الحوار الإسلامي المسيحي ـ ضرورة المغامرة: د. سعود المولى، دار المنهل اللبناني، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٧٧ ـ الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي: د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٧٨ ـ حوارٌ وبشارة: تأملاتٌ وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل، المجمع البابوي للحوار بين الأديان، تعريب دائرة الترجمة في المكتبة البولسية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٧٩ ـ خطبة الحاجة: الألباني، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

٨٠ ـ الخطر اليهودي. بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٦١م.

٨١ ـ خلق أفعال العباد: البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٨٢ ـ الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق: إعداد د. محمد حسن الحمصي، دار الرشيد، دمشق ـ بيروت، مؤسسة الإيمان ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٨٣ ـ دورٌ ورؤية: جامعة البلمند ـ مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، المطبعة الكاثوليكية، عاريا ـ لبنان، طبعة ١٩٩٦م.

٨٤ ـ دين الله واحد: محمود أبو رية، عالم الكتب.

٨٥ ـ رسالة إلى البابا والفاتيكان ذي الألف وجه: د. عبد الودود شلبي، المختار الإسلامي، القاهرة.

٨٦ ـ رسالة الفادي: البابا يوحنا بولس الثاني، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جل الديب ـ لبنان، صدرت في روما ١٩٩٠م.

٨٧ ـ روجيه جارودي، من الإلحاد إلى الإيمان، لقاءات ومحاضرات: إعداد: رامي كلّاوي، دار قتيبة، بيروت ـ دمشق، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٨ ـ روجيه جارودي، والمشكلة الدينية: محسن الميلي، تقديم: روجيه جارودي، دار قتيبة، بيروت ـ دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٩ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٩٠ ـ الزلاقة: شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٩١ ـ سلامٌ للبشر: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم (٣)، أندراوس بشته، وعادل تيودور خوري، وآخرون، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، جونية ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٩٢ ـ سلسلة تقارير المعلومات، مركز المعلومات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت: تاريخ: ٥/ ٢/ ١٩٨٧م موضوع: تساؤل حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية، رقم مسلسل (١٤/ ٨٧) تاريخ: ٢١/ ٧/ ١٩٨٧م. موضوع: اللقاء الإبراهيمي لجارودي.

٩٣ ـ سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٩٤ ـ سنن ابن ماجه: ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

٩٥ ـ سنن النسائي: النسائي، أحمد بن شعيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩٦ ـ السيرة النبوية: ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة ـ بيروت، طبعة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٩٧ ـ السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٩٨ ـ سيرة النبي ﷺ: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٩٩ ـ شالوم/ السلام، أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية: الحاخام: جاري م. بريتون جرانتور، والحاخام أندريا ل. ويس. ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تعليق: أحمد علي الكردي، تقديم: فتحي محمد حجازي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية ـ مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
١٠٠ ـ الشخصية الإسرائيلية: د. حسن ظاظا، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٠١ ـ الشعوب الإسلامية: د. عبد العزيز سليمان نوار دار النهضة العربية، بيروت، طبعة عام ١٩٧٣م.
١٠٢ ـ الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٠٣ ـ الصحاح: الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
١٠٤ ـ صحوة الرجل المريض: د. موفق بني المرجة، دار البيارق ـ بيروت، الطبعة الثامنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
١٠٥ ـ صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل المكتب الإسلامي، استانبول، طبعة ١٩٧٩م.
١٠٦ ـ صحيح الترمذي: بشرح الإمام بن العربي المالكي، الترمذي، أبو عيسى، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠٧ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٠٨ ـ صرخة حق من ألمانيا: سامي عادل طيّارة أوسنابروك ـ ألمانيا D 4500 Osnabruck جمهورية ألمانيا الاتحادية، بحث من محفوظات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية رقم (٢١٠٢٢).

١٠٩ ـ صلة الإسلام بإصلاح المسيحية: أمين الخولي، من سلسلة الأعمال الكاملة رقم (٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

١١٠ ـ الصوفية في الإسلام: د. ر.ا. نيكلسون، ترجمة وتعليق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، طبعة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م.

١١١ ـ العثمانيون في التاريخ والحضارة: د. محمد حرب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١١٢ ـ العدل في المسيحية والإسلام: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون ١. عادل تيودور خوري، ومشير باسيل عون، وآخرون، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، جونية ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١١٣ ـ العرب النصارى: حسين العودات، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١١٤ ـ التعريفات: الجرجاني علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١١٥ ـ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٦ ـ العصريون، معتزلة اليوم: يوسف كمال، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ـ مصر، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١١٧ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد بن طاهر التنير البيروتي، تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار عمران ـ بيروت، مكتبة الزهراء ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١١٨ ـ عقيدة التوحيد في العالم المعاصر: الكاردينال: فرنسيكوس كوينج، ترجمة: د. محمد محمود غالي، مراجعة: محمد علوي عبد الهادي، جامعة الأزهر، الموسم الثقافي لعام ١٣٨٤هـ ـ ١٣٨٥هـ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٦م.

١١٩ ـ العلاقات الإسلامية ـ المسيحية، قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل: مجموعة من المفكرين، المشرف على المشروع: سمير سليمان، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

١٢٠ ـ العلاقات الاجتماعية الدينية في المجتمع المصري المعاصر، د. عبد الوهاب إبراهيم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٢١ ـ عهد (الندوة اللبنانية) خمسون سنة من المحاضرة، دار النهار ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٢٢ ـ العهد الجديد: دار المشرق ـ بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق ـ بيروت، الطبعة الثالثة.

١٢٣ ـ العهد القديم: دار المشرق ـ بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.

١٢٤ ـ العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط، مفاهيم عصر قادم: سيار الجميل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٢٥ ـ غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، أبو هلال الأندونيسي، دار الشروق ـ جدة، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٢٦ ـ غوش إمونيم، الوجه الحقيقي للصهيونية: داني روبنشتاين، ترجمة: غازي السعدي، دار الجليل للنشر ـ عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

١٢٧ ـ غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢٨ ـ فتح الباري، شرح صحيح البخاري: ابن حجر، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية.

١٢٩ ـ فتح صقلية: شوقي أبو خليل دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٣٠ ـ الفتوحات الإسلامية: دحلان، أحمد زيني، مطبعة السعادة ـ مصر، طبعة ١٣٣٠هـ.

١٣١ ـ الفرق بين الفرق: عبد القادر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

١٣٢ ـ الفروق: القرافي، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، دار المعرفة، بيروت.

١٣٣ ـ الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم: غازي التوبة، دار القلم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

١٣٤ ـ الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه: د. حسن ظاظا، دار القلم ـ دمشق، دارة العلوم والثقافة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣٥ ـ فلسطين أرض الرسالات الإلهية: روجيه جارودي، ترجمة وتعليق وتقديم: د. عبد الصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، طبعة ١٩٨٦م.
١٣٦ ـ في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي: آية الله السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٣٧ ـ القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
١٣٨ ـ القرآن دعوة نصرانية: الأب: يوسف درة الحداد.
١٣٩ ـ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د. موريس بوكاي، ترجمة: قسم الترجمة بالدار، مكتبة مدبولي ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
١٤٠ ـ القرآن والكتاب: الأب: يوسف درة الحداد.
١٤١ ـ كتاب الأموال: أبو عبيد، القاسم بن سلّام الأزدي البغدادي، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٤٢ ـ كتاب الخراج: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية ـ القاهرة، الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ.
١٤٣ ـ كتاب الرد على المنطقيين: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، إدارة ترجمان السنة، لاهور ـ باكستان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٤٤ ـ الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى: القس: ويسلي أرياراجا، تعريب: الخوري بولس الصياح، المكتبة البولسية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
١٤٥ ـ الكتب المقدسة: العهد العتيق، والعهد الجديد، جمعية ترقية المعارف المسيحية: طبعها وليم واطس، لندن، ١٨٥٧م، مكتبة السائح طرابلس ـ لبنان، ١٩٨٣م.
١٤٦ ـ كلمة اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار بين الأديان: د. مصطفى عثمان إسماعيل.
١٤٧ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود: ترجمة كتابي: اليهودي على حسب التلمود د. روهلنج، تاريخ سوريا لسنة ١٨٤٠م، شارل لوران، ترجمة: د. يوسف نصر الله، دار القلم ـ دمشق، دارة العلوم ـ بيروت، طبعة دار القلم الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٤٨ ـ لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم الأنصاري، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤٩ ـ مؤتمر الأديان في السودان: تحقيق: في (٧ صفحات) صادر عن قسم التحقيقات بوكالة السودان للأنباء.

١٥٠ ـ مؤتمر الأديان في السودان ١٩٩٣م، تحقيق صادر عن: قسم التحقيقات بوكالة السودان للأنباء.

١٥١ ـ المؤتمر الدولي الأول للمسلمين الأوروبيين: ١٩ ـ ٢١ يوليو ١٩٨٥م.

١٥٢ ـ الماسونية تحت المجهر: د. إبراهيم فؤاد عباس، دار الرشاد ـ جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥٣ ـ ماهية الحروب الصليبية: د. قاسم عبدة قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، طبعة ١٩٩٣م.

١٥٤ ـ المجمع الفاتيكاني الثاني دساتير ـ قرارات ـ بيانات، ترجمة الأب حنا فاخوري ـ معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت حريصا، المكتبة البولسية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٥٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، وابنه محمد، الطبعة الأولى ـ صورة ١٣٩٨هـ.

١٥٦ ـ محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ.

١٥٧ ـ محمد في الكتاب المقدس: عبد الأحد داود، ترجمة: فهمي شما، مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥٨ ـ مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي: الأب يوسف درة الحداد.

١٥٩ ـ مراتب الإجماع: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٠ ـ المستدرك على الصحيحين: الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦١ ـ المسلمون في ألمانيا أصولاً وهجرات: مصطفى دسوقي كسبه، مجمع البحوث الإسلامية ـ مجلة الأزهر، طبعة جمادى الآخرة عام ١٤١٨هـ القاهرة.

١٦٢ ـ المسلمون في أمريكا: إيفون يزبك حداد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، طبعت لأول مرة بالإنجليزية بمطابع جامعة أكسفورد عام ١٩٩١م.

١٦٣ ـ المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية: طارق البشري، دار الشروق ـ القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٦٤ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني تحقيق: أبو عاصم، حسن بن عباس بن قطب وآخرون، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة، مكتبة الخراز ـ جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: ابن حنبل، أحمد بن محمد، الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٦٦ ـ المسيحية في العالم العربي: الحسن بن طلال، المعهد الملكي للدراسات الدينية، مكتبة عمّان ـ عمّان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١٦٧ ـ المسيحية والإسلام، مرايا متقابلة: مجموعة من المؤلفين، مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، جامعة البلمند، الطبعة الكاثوليكية، عاريا ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٦٨ ـ المسيحيون العرب، دراسات ومناقشات: تحرير: إلياس الخوري، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ـ لبنان.

١٦٩ ـ المسيحيون في لبنان والمشرق (رؤى مستقبلية): الأباتي: بولس نعمان، د. كمال الصليبي، د. فريد الخازن، دير سيدة النصر، نسبية ـ غوسطا ـ لبنان، طبعة ١٩٩٦م.

١٧٠ ـ المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي: فيليب فارج، ويوسف كرباج، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

١٧١ ـ معاً أمام الله، في سبيل الإنسان والمجتمع: مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، نشر الأمانة العامة ـ بكركي ـ لبنان، طبعة ١٩٩٥م.

١٧٢ ـ مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام، د. محمد هلال، دار البشير ـ عمان الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٣ ـ مقاربة لاهوتية من خلال الحوار بين الأديان (إيمان جاري وإيماني): مجلس الكنائس العالمي ـ قسم الحوار مع الأديان الحية، ترجمة: طارق متري، نشر: مجلس كنائس الشرق الأوسط ـ بيروت ـ لبنان، طبعة ١٩٨٨م.

١٧٤ ـ المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف: موفق الدين ابن قدامة، وشمس الدين ابن قدامة، وعلاء الدين المرداوي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٧٥ ـ الملتقى الإسلامي المسيحي (الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو): الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة الدراسات الإسلامية ٥ (١٩٧٦م)، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

١٧٦ ـ الملل المعاصرة في الدين اليهودي: د. إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة هبة ـ القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٧٧ ـ الملل والنحل: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١٧٨ ـ من أجل إسلام القرن العشرين (ميثاق إشبيلية): روجيه جارودي.

١٧٩ ـ من أجل حوار بين الحضارات: روجيه جارودي، ترجمة: د. ذوقان قرقوط، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٨٠ ـ المنجد في اللغة والأعلام: لويس معلوف اليسوعي، دار المشرق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م.

١٨١ ـ المورد: قاموس إنكليزي ـ عربي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت طبعة ١٩٧٦م الطبعة العاشرة.

١٨٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة: إشراف: محمد شفيق عطا غربال، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى عام ١٩٦٥م.

١٨٣ ـ الموسوعة الفلسفية: د. عبد المنعم الحفَني، دار ابن زيدون ـ بيروت، مكتبة مدبولي ـ القاهرة، الطبعة الأولى.

١٨٤ ـ مواقف أحد: المطران جورج خضر، دار النهار للنشر ـ بيروت ـ لبنان، طبعة ١٩٩٢م.

١٨٥ ـ ميثاق الحوار الديني في السودان: (صفحتان)، ٣٠ إبريل عام ١٩٩٣م.

١٨٦ ـ نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام: محمود باشا الفلكي، ترجمة: أحمد زكي أفندي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١٨٧ ـ نحو حرب دينية، جدل العصر: روجيه جارودي، تقديم: ليوناردو بوف، ترجمة: صيّاح الجهيّم، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٨٨ ـ ندوات علمية، حقوق الإنسان في الإسلام: دار البلاد للطباعة والنشر، جدة، السعودية.
١٨٩ ـ النصرانية تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب: د. مصطفى شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، طبعة ١٩٩١م.
١٩٠ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ـ لبنان، طبعة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.
١٩١ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ابن قيم الجوزية تحقيق: مصطفى أبو النصر الشبلي، مكتبة السوادي ـ جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٩٢ ـ هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.
١٩٣ ـ هرطقات فِرِّيسية: د. جورج حنا، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، طبعة ١٩٥٤م.
١٩٤ ـ اليهود تاريخ وعقيدة: د. كامل سعفان، دار الاعتصام ـ القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
١٩٥ ـ يوحنا بولس الثاني والإسلام: د. زينب عبد العزيز.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

١ ـ باللغة الإنجليزية:

198 - Towards a Dialogue With Islam. Louis Gardet.

- نحو حوار مع الإسلام: تأليف: لويس جاردت.

199 - Crossing The Threshold of Hope.

- عبور عتبة الرجاء: تأليف: البابا يوحنا بولس الثاني.

200 - Cordoba - CALAHORRA. bridge From East to West.

- قرطبة، القلعة الحرة، جسر من الشرق إلى الغرب: مؤسسة روجيه جارودي.

201 - The Meaning of Life in Andulusia.

- معنى الحياة في الأندلس.

202 - Recognize The Spiritual Bonds Which Unite Us.

- التعرف على الروابط التي تجمعنا: المجمع البابوي للحوار بين الأديان.

203 - Dialogue Between Christians and Muslims.

- الحوار بين النصارى والمسلمين: المؤسسة الإسلامية في ليستر، بريطانيا.

204 - Twenty-Five Years Of Dialogue. Michael Fitzgerald.

- خمسة وعشرون عاماً من الحوار: تأليف: ميشيل فيتزجيرالد.

205 - Inter- Religious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963 - 1995).

- الحوار بين الأديان: التعاليم البابوية للكنيسة الكاثوليكية (١٩٦٣ ـ ١٩٩٥م).

206 - Christian-Muslim Relations In The Twenty First Century.

- العلاقات الإسلامية النصرانية في القرن الحادي والعشرين.

207 - Aspiring For the Middle Path. Dr. Tarmizi Taher.

- التشوف للطريق الوسط: تأليف: ترمذي طاهر.

٢ ـ باللغة الإندونيسية:

208 - Maslah Hubungan Antar Umat Beragama Di Indonesia.

- مجموعة من المحررين.

209 - PEDOMAN PENYARAN- AGAMA DI INDONESIA.

- وزارة الشؤون الدينية.

210 - Deskripsi Subud. (Susila Budhi Dharama).

- تأليف: Dr. S.M Yusuf Asri.

٣ ـ باللغة الإيطالية:

211 - IN Dialogo Can L'Islam. Unita Ix Dassier.

٤ ـ باللغة الأسبانية:

212 - PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO-CHRISTIAN.

- نشرة لقاء إسلامي مسيحي: تنظيم كريسلام.

213 - FE ADELANTE.

- العقيدة إلى الأمام.

214 - A LA RAIZ.

- إلى الجذر.

215 - QUIEN DECIS QUE SOY YO?

- من أنا في قولكم أنتم؟

ثالثاً: المجلات والدوريات:

١ - جريدة الأخبار.
٢ - جريدة الإنقاذ الوطني السودانية.
٣ - جريدة الأهرام. جريدة الأهرام الدولي.
٤ - الجريدة الإيطالية Mercoledi.
٥ - جريدة البعث السورية.
٦ - جريدة الحياة اللندنية.
٧ - جريدة الدستور الأردنية.
٨ - جريدة الشرق الأوسط.
٩ - جريدة الشرق القطرية.
١٠ - جريدة العالم الإسلامي.
١١ - جريدة النهار اللبنانية.
١٢ - جريدة تشرين السورية.
١٣ - جريدة عكاظ.
١٤ - نشرة شؤون الأوسط.
١٥ - مجلة (٣٠ يوماً) الإيطالية.
١٦ - مجلة (تقرير أورشليم).
١٧ - مجلة أرض الإسراء.
١٨ - مجلة الاجتهاد اللبنانية.
١٩ - مجلة الأزهر المصرية.
٢٠ - مجلة الإسراء الأردنية.
٢١ - مجلة الإسلام اليوم.
٢٢ - مجلة الإصلاح الإماراتية.
٢٣ - مجلة الأمة القطرية.
٢٤ - المجلة الإيطالية: Vifa Trentina.
٢٥ - مجلة البعث الإسلامي الهندية.
٢٦ - مجلة البيان اللندنية.
٢٧ - مجلة الدراسات الفلسطينية.
٢٨ - مجلة الدعوة السعودية.
٢٩ - المجلة الدولية الإسلامية المسيحية.
٣٠ - مجلة الشرق البريطانية.
٣١ - مجلة الشهاب اللبنانية.
٣٢ - مجلة العالِم السعودية.
٣٣ - مجلة العربي الكويتية.
٣٤ - مجلة العروة الوثقى.
٣٥ - مجلة الفيصل السعودية.
٣٦ - مجلة المجتمع الكويتية.
٣٧ - مجلة المجلة.
٣٨ - مجلة المختار الإسلامي.
٣٩ - مجلة المسلم المعاصر.
٤٠ - جريدة المسلمون.
٤١ - مجلة المعارج البيروتية.
٤٢ - مجلة الموقف العربي.
٤٣ - مجلة الهلال المصرية.
٤٤ - مجلة لواء الإسلام.
٤٥ - مجلة A GEOGRAPHICAL SUPPLEMENT الإنجليزية.
٤٦ - مجلة: داخل الفاتيكان Inside The Vatican.

٨ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الباب الأول

حقيقة التقريب بين الأديان وأصوله وبواعثه

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع — رقم الصفحة

الباب الثالث
نقد دعوة التقريب بين الأديان وتقويمها

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات